

سَلَامُ اللّٰهِ عَلَيْهَا
نور فاطمہ زہرا



کتاب خانہ دیجیٹل
www.noorfatemah.org

ارشاد الایمان

الی تفسیر القرآن

محمد بن حبیب اللہ سہروردی نجفی

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن

كاتب:

محمد بن حبيب الله سبزواري نجفي

نشرت في الطباعة:

دارالتعارف للمطبوعات

رقم الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

٥	الفهرس
١٠	إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن
١٠	إشارة
١٠	تقديم
١٠	سورة الفاتحة مكية، و عدد آياتها ٧ آيات
١٢	سورة البقرة مدنية، و عدد آياتها ٢٨٦ آية
٤٨	سورة آل عمران مدنية، و عدد آياتها ٢٠٠ آية
٦٧	سورة النساء مدنية، و عدد آياتها ١٧٦ آية
٨٦	سورة المائدة و هي مدنية، و آياتها ١٢٠ آية
١٠٠	سورة الأنعام مكية، عدد آياتها ١٦٥ آية
١١٥	سورة الأعراف مكية، عدد آياتها ٢٠٦ آية
١٣١	سورة الأنفال مدنية، عدد آياتها ٧٥ آية
١٣٨	سورة التوبة مدنية، و عدد آياتها ١٢٩ آية
١٥١	سورة يونس مكية، عدد آياتها ١٠٩ آية
١٦١	سورة هود مكية، عدد آياتها ١٢٣ آية
١٧٠	سورة يوسف مكية، عدد آياتها ١١١ آية
١٨١	سورة الرعد مدنية، عدد آياتها ٤٣ آية
١٨٥	سورة إبراهيم مكية، عدد آياتها ٥٢ آية
١٨٩	سورة الحجر مكية، عدد آياتها ٩٩ آية
١٩٣	سورة النحل مكية، عدد آياتها ١٢٨ آية
٢٠٢	سورة الإسراء مكية، عدد آياتها ١١١ آية
٢١٠	سورة الكهف مكية، عدد آياتها ١١٠ آية
٢١٨	سورة مريم مكية، و عدد آياتها ٩٨ آية

٢٢٣	سورة طه مكية، عدد آياتها ١٣٥ آية
٢٣٠	سورة الأنبياء مكية، عدد آياتها ١١٢ آية
٢٣٦	سورة الحج مدنية، عدد آياتها ٧٨ آية
٢٤٣	سورة المؤمنون مكية، عدد آياتها ١١٨ آية
٢٤٨	سورة النور مدنية، عدد آياتها ٦٤ آية
٢٥٤	سورة الفرقان مكية، عدد آياتها ٧٧ آية
٢٥٨	سورة الشعراء مكية، عدد آياتها ٢٢٧ آية
٢٦٤	سورة النمل مكية، عدد آياتها ٩٣ آية
٢٧٠	سورة القصص مكية، عدد آياتها ٨٨
٢٧٧	سورة العنكبوت مكية، عدد آياتها ٦٩ آية
٢٨٢	سورة الزم مكية، عدد آياتها ٦٠ آية
٢٨٦	سورة لقمان مكية، عدد آياتها ٣٤ آية
٢٨٩	سورة السجدة مكية، عدد آياتها ٣٠ آية
٢٩١	سورة الأحزاب مدنية، عدد آياتها ٧٣ آية
٢٩٧	سورة سبأ مكية، عدد آياتها ٥٤ آية
٣٠١	سورة فاطر مكية، عدد آياتها ٤٥ آية
٣٠٥	سورة يس مكية، عدد آياتها ٨٣ آية
٣٠٩	سورة الصافات مكية، عدد آياتها ١٨٢ آية
٣١٥	سورة ص مكية، عدد آياتها ٨٨ آية
٣١٩	سورة الزمر مكية، عدد آياتها ٧٥ آية
٣٢٥	سورة المؤمن مكية، عدد آياتها ٨٥ آية
٣٣٠	سورة فصلت مكية، عدد آياتها ٥٤ آية
٣٣٤	سورة الشورى مكية، عدد آياتها ٥٣ آية
٣٣٩	سورة الزخرف مكية، عدد آياتها ٨٩ آية

٣٤٣	سورة الدخان مكية، عدد آياتها ٥٩ آية
٣٤٥	سورة الجاثية مكية، عدد آياتها ٣٧ آية
٣٤٨	سورة الأحقاف مكية، عدد آياتها ٣٥ آية
٣٥١	سورة محمد (ص) مدنية، عدد آياتها ٣٨ آية
٣٥٤	سورة الفتح مدنية، عدد آياتها ٢٩ آية
٣٥٧	سورة الحجرات مدنية، عدد آياتها ١٨ آية
٣٥٩	سورة ق مكية، عدد آياتها ٤٥ آية
٣٦١	سورة الذاريات مكية، عدد آياتها ٦٠ آية
٣٦٣	سورة الطور مكية، عدد آياتها ٤٩ آية
٣٦٤	سورة النجم مكية، عدد آياتها ٦٢ آية
٣٦٦	سورة القمر مكية، عدد آياتها ٥٥ آية
٣٦٨	سورة الرحمن مدنية، عدد آياتها ٧٨ آية
٣٧٠	سورة الواقعة مكية، عدد آياتها ٩٦ آية
٣٧٢	سورة الحديد مدنية، عدد آياتها ٢٩ آية
٣٧٥	سورة المجادلة مدنية، عدد آياتها ٢٢ آية
٣٧٧	سورة الحشر مدنية، عدد آياتها ٢٤ آية
٣٧٩	سورة الممتحنة مدنية، عدد آياتها ١٣ آية
٣٨٠	سورة الصف مدنية، عدد آياتها ١٤ آية
٣٨١	سورة الجمعة مدنية، عدد آياتها ١١ آية
٣٨٢	سورة المنافقون مدنية، عدد آياتها ١١ آية
٣٨٣	سورة التغابن مدنية، عدد آياتها ١٨ آية
٣٨٤	سورة الطلاق مدنية، عدد آياتها ١٢ آية
٣٨٥	سورة التحريم مدنية، عدد آياتها ١٢ آية
٣٨٧	سورة الملك مكية، عدد آياتها ٣٠ آية

٣٨٨	سورة القلم مكية، عدد آياتها ٥٢ آية
٣٩٠	سورة الحاقة مكية، عدد آياتها ٥٢ آية
٣٩١	سورة المعارج مكية، عدد آياتها ٤٤ آية
٣٩٣	سورة نوح مكية، عدد آياتها ٢٨ آية
٣٩٤	سورة الجن مكية، عدد آياتها ٢٨ آية
٣٩٥	سورة المزمل مكية، عدد آياتها ٢٠ آية
٣٩٦	سورة المدثر مكية، عدد آياتها ٥٦ آية
٣٩٨	سورة القيامة مكية، عدد آياتها ٤٠ آية
٣٩٩	سورة الإنسان مدنية، عدد آياتها ٣١ آية
٤٠٠	سورة المرسلات مكية، عدد آياتها ٥٠ آية
٤٠١	سورة النبأ مكية، عدد آياتها ٤٠ آية
٤٠٢	سورة النازعات مكية، عدد آياتها ٤٦ آية
٤٠٤	سورة عبس مكية، عدد آياتها ٤٢ آية
٤٠٥	سورة التكويد مكية، عدد آياتها ٢٩ آية
٤٠٥	سورة الانفطار مكية، عدد آياتها ١٩ آية
٤٠٦	سورة المطففين مكية، عدد آياتها ٣٦ آية
٤٠٧	سورة الإنشقاق مكية، عدد آياتها ٢٥ آية
٤٠٨	سورة البروج مكية، عدد آياتها ٢٢ آية
٤٠٨	سورة الطارق مكية، عدد آياتها ١٧ آية
٤٠٩	سورة الأعلى مكية، عدد آياتها ١٩ آية
٤٠٩	سورة الغاشية مكية، عدد آياتها ٢٦ آية
٤١٠	سورة الفجر مكية، عدد آياتها ٣٠ آية
٤١١	سورة البلد مكية، عدد آياتها ٢٠ آية
٤١٢	سورة الشمس مكية، عدد آياتها ١٥ آية

٤١٣	سورة الليل مكية، عدد آياتها ٢١ آية
٤١٣	سورة الضحى مكية، عدد آياتها ١١ آية
٤١٤	سورة الشرح مكية، عدد آياتها ٨ آيات
٤١٤	سورة التين مكية، عدد آياتها ٨ آيات
٤١٤	سورة العلق مكية عدد آياتها ١٩ آية
٤١٥	سورة القدر مكية، عدد آياتها ٥ آيات
٤١٥	سورة البينة مدنية، عدد آياتها ٨ آيات
٤١٦	سورة الزلزلة مدنية، عدد آياتها ٨ آيات
٤١٦	سورة العاديات مكية، عدد آياتها ١١ آية
٤١٦	سورة القارعة مكية، عدد آياتها ١١ آية
٤١٧	سورة التكاثر مكية، عدد آياتها ٨ آيات
٤١٧	سورة العصر مكية، عدد آياتها ٣ آيات
٤١٧	سورة الهمزة مكية، عدد آياتها ٩ آيات
٤١٨	سورة الفيل مكية، عدد آياتها ٥ آيات
٤١٨	سورة قريش مكية، عدد آياتها ٤ آيات
٤١٨	سورة الماعون مكية، عدد آياتها ٧ آيات
٤١٩	سورة الكوثر مكية، عدد آياتها ٣ آيات
٤١٩	سورة الكافرون مكية، عدد آياتها ٦ آيات
٤١٩	سورة النصر مدنية، عدد آياتها ٣ آيات
٤١٩	سورة المسد مكية، عدد آياتها ٥ آيات
٤٢٠	سورة الإخلاص مكية، عدد آياتها ٤ آيات
٤٢٠	سورة الفلق مكية، عدد آياتها ٥ آيات
٤٢٠	سورة الناس مكية، عدد آياتها ٦ آيات

إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن

إشارة

نام كتاب: إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن نويسنده: سبزواری نجفی محمد بن حبيب الله موضوع: تحليلی قرن: چهاردهم زبان: عربی مذهب: شیعی ناشر: دار التعارف للمطبوعات مكان چاپ: بیروت سال چاپ: ۱۴۱۹

تقديم

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي أنار بكلامه قلوب أولى الألباب ليصروا به مع عقولهم طريق الصواب، يفصل لنا ظاهره من الأقوال والأعمال، وباطنه من الاعتقادات والأخلاق والمقامات والأحوال، فيحلّ عنها قيود النواقص لتسرع إلى غاية الكمال. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من فسّر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار». فهذه خيرات حسان من نكت نظم القرآن، من الله سبحانه وتعالى على بالتيسير لأن نرى بوضوح صور الإعجاز من بديع ربط كلماته، و ترتيب آياته من بعد ما كان يعدّ من قبيل الألغاز، فيظهر به أنها جوامع الكلمات ولوامع الآيات. فكل كلمة سلطان دارها و كل آية برهان جارها، وإن ما توهم فيها من التكرار فمن قصور الأنظار العاجزة عن الاستكبار، ولا بدّ منه لتوليد الفوائد الجمّة من العلوم المهمة، و تقرير الأدلة القويمة و كشف الشبه المدلهمة مأخوذة من تلك العبارات من غير تأويل لها و لا تطويل في إضمار المقدمات. و بعد نحمده حمدا كثيرا أن وفّقنا و ساعدنا في إنجاز هذا المصحف الكريم مفسّرا و ميسّرا للعامة و الخاصة، ولأبنائنا الناشئين، و هم الأمل، و عليهم معقد الرجاء في صحة الاعتقاد، و عمق اليقين، و صلابة الإيمان، و حضائنه الدين القويم، و هم الأمل في أن يكونوا حصنه الحصين، و درعه المتين، و تباشير الغد المشرق لنشر الإسلام و مبادئه، بإذن الله. هذا العمل اقتصر على تفسير اللفظة المبهمة غير الجارية على ألسنة الناس، و لم نلجأ إلى التطويل و البحث في الظاهر و اعتبار المعاني الحقيقية و المجازية، يقول الإمام على بن أبي طالب، أمير المؤمنين، عليه السلام: «لو شئت لأوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب» و إنما آثرنا الإيجاز كل الإيجاز، لكنه غير المخل، و آثرناه سهل التناول، تستطيع العامة أن تتداوله و تنتفع به، و قريب المأخذ، بسيط العبارة، متوازنا، سلسا، كامل التيسير. و تصحيحا للفائدة و تسهيلا لها، و تحقيقا للاستفادة المبسطة و للاستفادة السريعة و المباشرة إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٢ منه، جعلنا هذا التفسير على هامش المصحف الشريف، بحيث تكون قراءته و فهم آياته و المعاني و الألفاظ كلّا متكاملا و ميسّرا بشكل سهل و بسيط و غير متكلف. و هكذا أردناه، تناوله سهلا، واضح المعاني و الصور، مصحفا مفسّرا، قريب اللفظ و المعنى، سهل الفهم و القراءة، بعيدا عن الإشارات الاشتقاق، يفى بالغرض و يشفى المرض، يعمّ النفع به الكلّ و ليس الجزء، عامة المسلمين قبل خاصتهم. و بعد نحمد الله أولا و أخيرا لأنه وفّقنا في إنجاز هذا العمل على هذا النحو، و بهذا المستوى. و الله نسأل أن يوفّقنا، و يثبت أقدامنا، و يسدّد خطانا في خدمة دينه. و أخيرا أرجو أن أكون قد وفّقت. نرجو من الله مزيدا من الرعاية و التوفيق. و الحمد لله ربّ العالمين. الناشر إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٥

سورة الفاتحة مكية، و عدد آياتها ٧ آيات

أ- فضلها: لا يخفى أن أفضل سور القرآن سورة الحمد. لأنّ الله تعالى قد جعلها جزءا من الصلوة التي هي عماد الدين، بحيث لا يسدّ مسدّها شيء من سور القرآن قصارها و طوالها. ب- نزولها: هي مكية: ١- فاتحة الكتاب: لأنها مفتحة أو مفتاحه. ٢- و أمّ الكتاب: لاشتمالها على مجمل معانيه. و قد كان العرب يسمّون الجلدّة الجامعة للدماغ بمختلف حواسه: أم الرأس. و بيان ذلك: أنّها مشتملة

على معانى القرآن أصوله وأركانه بصورة اللَّف، من الثَّناء على الله بما هو أهله، و من التعيّد بالأمر والنَّهى، و الوعد و الوعيد. ٣- الحمد: و هو من أسمائها لذكره فى ابتدائها (١). ٤- السبع المثاني: إمّا لكونها سبع آيات اتَّفقا فى جملتها. أو لأنّها تشيى فى الفريضة. ٥- لها أسماء أخرى، كالشافية، و الكنز، و الوافية. ج- التفسير: ١- بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: هى آية من كلّ سورة إجماعا عندنا عدا براءة بالإجماع عندنا و عند غيرنا. و الباء للاستعانة، و يترجّح ذلك بأنّ الإنسان فى جميع أمورهِ يطلب الإعانة منه سبحانه. أو للمصاحبة، و الحجّة فيه التبرّك باسمه تعالى، و الحقّ أنّ التبرّك يحصل بكلّ من الاستعانة و المصاحبة، و لا فرق بينهما عند النظر الدقيق. و السورة مقولة على ألسنة عباده على ما هو الرائج بينهم فى محاوراتهم تعليما للتبرّك باسمه و حمده و مسألته. و متعلّق الظرف فعل مقدّر مؤخّر، لأهمية اسمه تعالى و قصر التبرّك عليه سبحانه. هكذا: بسم الله أتلو». حذف المتعلّق لدلالة الحال عليه. و الاسم من التَّيمُّن: بفتح السين و سكون الميم، و هو مصدر فمعناه جعل الاسم. أو من السَّمة: و أصله أى مصدره: و سم، معناه العلامة بالكى و نحوه. و لم يقل سبحانه: «بالله» لأنّ التبرّك باسمه أدخل فى الأدب. الله: أصله إله. حذفت الهمزة و عوض عنها أداة التعريف فصار مختصّا بالمعبود بالحقّ بالغلبة، بخلاف الإله فإنه كان لكل معبود، ثم غلب فى المعبود بالحق. و هو من: أله بالفتح، بمعنى: عبد أو تحيّر و معناه عام. و بالكسر (أله) بمعنى سكن أو فرع أو ولع لأنه معبود تحيّر فيه العقول و تطمئنّ بذكره القلوب و يفرّغ إليه و يولع بالتضرّع لديه. الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: صفتان مشبّهتان من رحم بكسر عين الفعل، كغضبان من غضب. و الرحمة هى رقة القلب المقتضية للإحسان. و اتّصافه تعالى بها باعتبار غايتها التى هى فعل، لا مبدئها الذى هو انفعال. و الرحمن أبلغ لاقتضاء زيادة البناء زيادة المعنى. و ملخص القول أنّ معنى الرحمن أى البالغ فى الرحمة غايتها، و لذا اختصّ به سبحانه. و إنما قدّم فى البسملة و غيرها من موارد اجتماعهما على الرحيم، لصيرورته بالاختصاص كالواسطة بين العلم و الوصف، فناسب توسيطه بينهما. و لعلّ وجه التقديم- مضافا إلى ما قلناه آنفا- كون الرحمانية دنيوية، و هى مقدّمة على الأخروية، و لا منافاة بين الوجهين. ٢- الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ: الحمد: هو الثناء على أمر جليل جميل صدر عن اختيار نعمة و غيرها. و نقيضه: الذمّ، و يراد منه المدح. أما الشكر فهو ما قابل النعمة من قول أو عمل أو اعتقاد. و من الشكر الحمد على النعمة بل هو أظهر أفرادها قال (ص): «الحمد رأس الشكر، ما شكر الله من لم يحمده» فجعله كأشرف الأعضاء، فكان الشكر منتف بانتفائه. و نقيضه الكفران. رَبِّ الْعَالَمِينَ: مالكهم و سائسهم، أى مدبّر أمورهم على ما ينبغى. و الرب مصدر، بمعنى التريّة، و هى تبليغ الشىء كماله المقدّر له تدريجيا. و هذا من أوصافه الخاصة به جلّ و علا التى تدلّ على أن قدرته فوق ما يتصوّر من القوى، و لا يطلق على غيره تعالى إلّا مضافا: كربّ الدار، أو مجموعا: كالأرباب. و العالم: اسم لما سوى الله، يقال: عالم الأرواح، و عالم الأفلاك، و عالم العناصر. و يطلق على مجموعها أيضا و إنما جمع هنا ليشمل مسماه كلّ الأجناس على اختلاف حقائقها و كذلك أفرادها. و يجمع بالواو و النون لتغليب جانب العقلاء. ٣- الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: كزرا فى مفتاح الكتاب الكريم إشعارا بشدّة اعتنائه سبحانه بالرحمة، أو تشبيها للرجاء بأن مالِك يوم الجزاء هو البالغ فى الرحمة. ٤- مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ: مالِك: بالألف على قراءة عاصم و الكسائي. و قرأ الباقون: «ملك يوم الدين» و الفرق أنّ المالك من له التصرّف فيما فى حوزته و تحت يده، و الملك إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٦ منصوب على المفعولية. و انفعاله و تقدّمه على فعله لإفادة الحصر، لأنّ تقديم ما هو حقّه التأخير يفيد الحصر. أى قصروا العبادة و الاستعانة عليه. و العبادة أعلى مراتب الخضوع و التذلّل، لا يستحقّها إلّا الله. و الاستعانة طلب المعونة فى الفعل، و يراد هنا طلب المعونة فى كلّ المهمّات، و لذا أيّهم المستعان فيه. و تكرير الضمير: «إياك و إياك» للتنصيص على التخصيص بالاستعانة. و تقديم العبادة على الاستعانة للتنبية على أنّ تقديم الوسيلة على طلب الحاجة أدعى إلى الإجابة. و إشار صيغة المتكلّم مع الغير ليؤذن بحقارة نفسه عن عرض العبادة و طلب المعونة متفردا على باب الكبرياء، فلا بدّ من انضمامه إلى جماعة تشاركه فى العرض و الطلب كما يصنع فى عرض الهدايا و رفع الحوائج إلى الملوك. و وجه العدول من الغيبة إلى الخطاب: أنّ فيه تطرية و تنشيطا للسامع ليس فى غيره. ٦- اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ: بيان للمعونة المطلوبة، كأنه قال: «كيف أعينكم؟» فقالوا: «اهدنا الصراط المستقيم». و الهداية: الدلالة بلطف إلى المطلوب. و قيل هى الموصلة، و غيرها إراءة الطريق. و عن

أمير المؤمنين علي (ع): اهدنا، أي: ثبتنا. وأصناف هدايته جلّ وعلا وإن لم يحصرها العدّ على أربعة أوجه: الأول: إفاضته القوى و الحواس لجلب النفع و دفع الضرر، يدل عليه: «أعطى كلّ شيء خلقه ثم هدى». الثاني: نصب الدلائل الفارقة بين الحق و الباطل، يدلّ عليه و هديّته النّجدين. الثالث: إرسال الرّسل و إنزال الكتب: و أمّا ثُمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ. أي بالإرسال و الإنزال. الرابع: إزالة الغواشي البدنيّة و إراءة الأشياء كما هي بالوحي أو الإلهام أو المنام الصادق أو الاستغراق في ملاحظة جماله و جلاله بحيث تقشعرّ جلودهم من الخشيّة ثم يرغبون في ذكر ربهم و يعرضون عمّا سواه، قال تعالى: تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ، ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَ قُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ، ذَلِكُمْ هَدَى اللَّهُ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ. و هذا يختص به الأنبياء و الأولياء، ثم الأمثل فالأمثل. و الصراط: هو الجادة، و الطريق. من سطرط الطعام أي ابتلعه. فكأنه يسترط السالبة. و جمعه سطرط ككتب. و المراد بالصّراط المستقيم، و نتيجه التأكيد أو التّنصيص على أن الطريق الذي هو علم في الاستقامة هو طريق المنعم عليهم لأنّه جعل كالتفسير له. و المراد بهم: المذكورون في كتابه: فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَ الصّٰدِقِينَ ... الآية. و قيل أراد بهم المسلمين، حيث إنّ نعمّة الإسلام أصل كلّ النعم. و الإنعام: إيصال النعمّة. و نعمه سبحانه كثيرة بحيث تعذر حصرها و عدّها و إنّ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا. و هي إمّا دنيويّة ظاهريّة كإفاضة الوجود و العمر و القوى البدنيّة أو باطنيّة. و من أسماها العقل و سائر القوى. و إمّا أخرويّة، و هي روحانيّة «كغفران الذنوب» و جسماني «كأنهار العسل و الشراب الطهور». غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَ لَمَّا الضَّالِّينَ: و الغضب: ثوران النّفس لإرادة الانتقام تشقيًا. فإن أسند إليه تعالى فباعتبار الغاية كما في الرّحمة، و العدول عن إسناده إليه تعالى إلى صيغته المجهول و إسناد عديله إليه تعالى، تأسيس لمباني الرّحمة. فكأنّ الغضب صادر عن غيره تعالى، و إلّا فالظاهر أن يقول: «غير اللّذين غضبت عليهم». و لَا الضّالِّينَ: من الضّلال و شعبه كثيرة، يجمعها العدول عن الطريق السوّى و لو خطأ. و المشهور تفسير «المغضوب عليهم» باليهود و «الضّالّين» بالنصارى. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٧

سورة البقرة مدنيّة، و عدد آياتها ٢٨٦ آية

آ- فضلها: سئل النبي (ص): أيّ سور القرآن أفضل؟ قال: البقرة. قيل: أيّ آي البقرة أفضل؟ قال: آية الكرسي. و قال الصادق (ع): من قرأ البقرة و آل عمران جاء يوم القيامة تظللانه على رأسه مثل الغمامتين. ب- نزولها: مدنيّة و آياتها مائتان و ستّ و ثمانون آية. كلّها نزلت بالمدينة إلّا آية منها نزلت بمنى و هي قوله: و اتّقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ... ج- التفسير: ١- الم: قيل: هذا و ما يأتي من الألفاظ المتهجّج بها: أسماء، مسمّياتها الحروف التي منها ركّبت الكلم. و الدليل صدق حدّ الاسم عليها، مع قبولها لخواصّ الاسم. و لعل السّر في النطق بهذه الألفاظ هو إشارة منه تعالى إلى أن «كتابنا» هذا ركّب من هذه الحروف الهجائية التي تنطقون بها نهارا و ليلا. فإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بمثله و أنتم عرب فصحاء. فإن عجزتم انكشف أن هذا القرآن من فعل غير المخلوق، و عمل من هو وراء الطّبيعة، فينبغي أن يتحدّى به كما تحدّى بقوله: فأتوا بسورة إلخ ... و قيل: هي أسماء للقرآن. و قيل إنها قسم أقسم الله تعالى بها لشرفها و عظمتها لكونها مباني كتبه و أسمائه و صفاته. و ورد عن أئمتنا عليهم السلام أنها من المتشابهات التي استأثر الله نفسه بعلمها و لا يعلم تأويلها غيره. ٢- ذَلِكُ الْكِتَابُ: يحتمل أن يكون «ذلك» إشارة إلى القرآن، أي الكتاب الذي أخبر به موسى بن عمران، أو عيسى بن مريم فأخبرا بنى إسرائيل. بهذا الكتاب الذي أفتح ب ألم لا ريب فيه من راب يريب، إذا حصل فيه الرّيبه أي الشك. و حقيقة الرّيبه قلق النفس و اضطرابها. و المعنى أنه- من وضوح دلالته- لا ينبغي أنه يرتاب فيه عاقل، فإنه لا مجال للرّيبه فيه. هُديّ مصدر. و هو الرّشاد، و البيان، و الدلالة. و هو ضد: الضلال. لِلْمُتَّقِينَ: و المتّقى: اسم فاعل من وقاه فاتّقى. و الوقاية فرط الصّيّانه، و شرعا من وقى نفسه الذنوب. و فسّر المتّقون بالذين يتّقون الموبقات. و هذا التفسير أعّم من سابقه، لأن الموبقات تشمل الذنوب و غيرها. و اختصاصه بالمتقين، لأن لهم كفاية الاهتداء على ضوئه و زيادة قابليته، و إلا فكثير من الناس يهتدون به. ٣- الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ: الإيمان إفعال، من آمن، بمعنى صدّق، و ضد التكذيب. و حقيقة الإيمان شرعا هو المعرفة باللّهِ و صفاته، و

برسله و بما جاؤوا به، و يلزمه التصديق بهم. و إلا فالتصديق بلا عرفان لسانى لا يترتب عليه أى أثر واقعى كالإسلام اللسانى. بل هما مترادفان. و الغيب: مصدر، بمعنى الغائب و المعقب، أى ما يستتر عن الحواس الظاهرية. بل يمكن أن يقال: إن المراد به: الخفى الذى لا يعلمه العباد إلا بإرشاد الله تعالى و هدايته. وَيَقِيمُونَ الصَّلَاةَ: من أقام العمود إذا قومه و استقامه. و المراد هنا هو أن يعدلوا أركان الصلاة، و يأتوا بواجباتها على أصولها و مقرراتها المشروعة حتى لا يقع فيها زيغ و لا يتطرق إليها باطل. وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ: و الرزق لغة الحظّ و النصيب، و عرفا إعطاء الله تعالى للحيوان ما ينتفع به كلّ بحسبه، فبالإضافة إلى الإنسان هو الأموال، و القوى، و الأبدان السالمة، و الجاه، و العلم، و فى رأس هذه النعم التوفيق لصرف كل واحدة منها فى محلّها و فيما خلقت لأجله. و من إسناد الرزق إلى نفسه سبحانه، و مدحهم بالإنفاق، نستفيد النعم التوفيق لصرف كل واحدة منها فى محلّها و فيما خلقت لأجله. و من إسناد الرزق إلى نفسه سبحانه، و مدحهم بالإنفاق، نستفيد أن الحرام خارج عنه و ليس منه لتزّه ساحتة السامية و ارتفاع مقامه العالى جلّ و علا عن القبائح، و عدم قابلية الحرام لمدح منفقه. و الإتيان (بمن) التبعية رمز إلى أنهم فى الإنفاق منزّهون عن الإسراف و التبذير.

٤- وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ: المراد بما أنزل: هو القرآن، و الشريعة بأسرها و ما أنزل من قبلك من الكتب السماوية الماضية و الشرائع السابقة و بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ أى يعلمون تمام العلم من غير شك و ترديد .. و تحصيل اليقين بالآخرة له طريقان: الأول بإخبار الصادق المصدّق، و الثانى بالمعجزة. و لليقين ثلاث مراتب: الأولى علم اليقين. و الثانية عين اليقين و هى فوق مقام علم اليقين. و الثالثة حق اليقين. و هى أرقى من السابقتين. فالسالك بعد إكمال المرتبة الثانية، و ارتقائه فى يقينه بنتيجة رياضاته النفسانية، يصل إلى مقام يصير فيه بصره حديدا و سمعه شديدا، فىرى ما لا ترى عيون غيره من الناس، و يسمع ما لا تسمع آذانهم، و يدرك ما لا يخطر على قلوب أقرانه، إذ ترتفع الحجب، و تزول الأغشية، فىرى الأشياء على ما هى عليه بحقائقها و بواطنها و كما يرى ظواهرها سواء بسواء. ٥- أُولَئِكَ عَلَى إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٨ هُيْدَى مِنْ رَبِّهِمْ: إشارة إلى الصّنفين من المؤمنين. و كلمة على فى هذه الآية للاستعلاء، و معناه تشبيه تمسّكهم بالهدى أو ثباتهم عليه باعتلاء الراكب مركوبه و تسلّطه عليه و لصوقه به. و نكر هُيْدَى هاهنا للتعظيم، مِنْ رَبِّهِمْ تأكيد لتعظيمه لأنه ممنوح منه، و ليس هو إلّا اللطف و التوفيق. و أُولَئِكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ تكرير الإشارة لفائدة اختصاصهم و تميّزهم بالميزتين عن غيرهم. ٦- إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا: لما ذكر سبحانه أولياءه بصفاتهم الموجبة لهم و هى الهدى و الفلاح، أتبعهم بأضدادهم: أى الكفرة العتاة الذين لا يتناهون عن منكر و لا ينتفعون بالتبشير و الإنذار. سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ تَتَذَكَّرْهُمْ سواء: اسم بمعنى الإستواء. و الإنذار هو التخويف من العقاب مطلقا. و المراد منه هنا التخويف من عقاب الله تعالى. لا يُؤْمِنُونَ جملة مؤكّدة لما قبلها فلا محلّ لها من الإعراب، أو هى حال من ضمير عليهم أيضا مؤكّدة. و هذا الإخبار منه تعالى لا ينافى قدرتهم على الإيمان، لأنه سبحانه يخبر عن علمه بحالهم و عاقبة أمرهم. و علم الله بعدم إيمان شخص لا يسلب قدرة الشخص، كما أن علمه بإيمانه لا يجبره عليه، فلا يكون تكليفهم به تكليفا بما لا يطاق. ٧- خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَ عَلَى سَمْعِهِمْ ... الختم أخو الكتم. و عن الرضا (ع): هو الطبع على قلوب الكفّار عقوبة على كفرهم، كما قال تعالى: يَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ وَ عَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ أى غطاء. وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ و العذاب كالنكال زنة و معنى، ثم سمى به كلّ ألم فادح و إن لم يكن نكالا أى عقابا. و (العظيم) نقيض الحقيق، كالكبير نقيض الصغير. ٨- وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا ... و هم الذين أبطنوا الكفر و أظهروا الإيمان. بِاللَّهِ وَ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ تَكْزُرُ الباء لادّعاء الإيمان بكل واحد على الأصالة و ما هم بمؤمنين تكذيب لقولهم: آمنا، على ما حكى عزّ و جلّ فى صدر هذه الآية. و المراد ب (من) الموصولة: ابن أبى سلول و أضرابه كمعتب بن قسيم، و جماعة أخرى كانوا مع هؤلاء. ٩- يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَ الَّذِينَ آمَنُوا ... الخدع (بالفتح و الكسر) الختل، و هو أن يظهر للغير خلاف ما يخفيه، و ما يريد به من المكروه، و أصل معناه الإخفاء. و معنى المخادعة أن يعملوا معهم معاملة المخادع من إبطال كفرهم و إظهار الإسلام لديهم. و إنما أضاف مخادعة الرسول إليه تعالى لأن مخادعته ترجع إلى مخادعة الله كما قال عزّ و جلّ: إِنَّ الَّذِينَ يَبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يَبَايِعُونَ اللَّهَ، و المخادعة مع المؤمنين هو إيذاؤهم بخديعتهم و ما يُخَادِعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ أى ما يضرّون بتلك الخديعة أحدا و إنما يرجع وبال ذلك عليهم دنيا و آخرة و ما يَشْعُرُونَ أى:

و ما يحسون. ١٠- فَيَ قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ... أى شك و نفاق. و وجه تسمية الشك بالمرض أَنَّ الشك تَرَدَّد بين أمرين، و المريض مَرَدَّد بين الحياة و الممات. و يمكن أن تكون إخبارا بأن القلوب المريضة- بطبعها- يزداد المرض فيها لضعفها و لكونها مستعدة له كالأمزجة الضعيفة إذا ابتلت بالمرض. فلما لم يكن فيها استعداد لمقاومة المرض ينمو فيها المرض و يصير مزمنًا ثم يؤدي إلى الموت. فَرَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا بحيث تاهت قلوبهم و كادت أن تذوب في الدنيا، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ في الآخرة أى مؤلم موجه غاية الإيلام بما كانوا يَكْذِبُونَ بمقالتهم آمنا. و لفظ (كان) للاستمرار. ١١- وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ: بإظهار الشقاق و النفاق بين المسلمين قالوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ أى ليس شأننا إلّا الإصلاح. و قد حصروا أمرهم في الإصلاح لتصوّرهم الفساد إصلاحا لمرض قلوبهم. ١٢- أَلَا- إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ ... ردّ لدعواهم الكاذبة. وَلَكِنْ لَا- يَشْعُرُونَ بكونهم مفسدين مع غاية ظهور فسادهم الذى هو كالشيء المحسوس، وَلَكِنْ حَبَّ الشَّيْءِ يعمى و يصم. ١٣- وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ: آمِنُوا ... و قد نصحوا بأمرين مكملين لإيمان العبد، الأول: ترك الرذائل في قوله سبحانه: و لا تفسدوا. و الثانى: اكتساب الفضائل بقوله تعالى آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ يراد به النبى (ص) و من آمن من أصحابه الخالص. قالوا في الجواب أو فيما بينهم: أُنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ. استفهام إنكارى. و لام السفهاء للعهد. و المعهود هم الناس الذين آمنوا مع الرسول (ص) المذلون أنفسهم لمحمد (ص). و السفه هو ضعف الرأى و الخفة في العقل. أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ إنهم سفهاء، أى أخفاء العقول أراذل. وَلَكِنْ لَا- يَعْلَمُونَ أى يجهلون سفاهتهم. و من نفى عنهم العلم و الشعور فأولئك كالأنعام، بل هم أضل. ١٤- وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا ... هذا البيان تثبت لكونهم منافقين، لأن صاحب اللسانين هو الذى يقال له المنافق، و هو أيضا بيان لصنعهم مع المؤمنين و الكفار، أى إذا رأوا المؤمنين قالوا آمنا بما آمنت به و إذا خلّوا إلى شياطينهم أى انفردوا بإخوانهم من المنافقين الذين إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٩ يَكْذِبُونَ الرسول مثلهم فهم كالشياطين في التمرد و العصيان قالوا إِنَّا مَعَكُمْ، إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤْنَ بمحمد و أتباعه. ١٥- اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ... أى يعاملهم معاملة المستهزئ، أو يجازيهم على استهزائهم. وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ من مدّ الجيش و أمده أى زاده لا- من المد في العمر، فالمعنى: أنه يزيد في فسح المجال لطغيانهم. يَعْمَهُونَ يتحيرون و يترددون، و العمه هو التحير في البصيرة كالعمى في البصر. ١٦- أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ ... يعنى باعوا دين الله و اعتاضوا به الكفر بالله. فالشراء هنا لم يكن مبادلة، أى أخذًا و عطاء، بل هو ترك و أخذ فما رِبَحْتَ تِجَارَتُهُمْ و التجارة طلب الربح بالبيع و الشراء، و الربح الفضل على رأس المال، فهؤلاء المنافقون، استبدلوا الهداية بالضلالة، و الطاعة بالمعصية، و الربح بالخسارة! .. فأية جهالة أسوأ من هذه؟ .. و ما كانوا مُهْتَدِينَ لطرق الحق و الصواب، أى للتجارة التى فيها الربح الوافر. ١٧- مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا المثل: فى الأصل النظير، ثم أطلق على القول السائر. و لا يضرب إلّا لما فيه غرابة. و معنى الآية الشريفة: حالتهم العجيبة كحال من استوقد نارا أى طلب إشعال النار لارتفاع لهبها و سطوع نورها، ليصير بها ما حوله فلما أضاءت ما حوله أى انتشر نورها حول مستوقدها ليستضىء مع رهطه ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ أَطْفَأَ نَارَهُمْ فذهب النور و وقعوا فى الظلمة. و توضيح التشبيه أن المنافقين بظواهر إيمانهم رأوا الحق و شاركوا المؤمنين فى أحكام الإسلام. فلما أضاء نور الإيمان الظاهر ما حولهم، و أبصروا فوائد الإسلام ظلوا على عنادهم و عاشوا فى ظلمة ضلالهم. ثم أمتهم الله فصاروا فى ظلمات عذاب الآخرة لا يجدون منها مفرا و لا مناصا وَ تَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ خَلَى بينهم و بين ما اختاروه من الإصرار على الضلال لا يرون بعيونهم و لا يفقهون بقلوبهم، و هذا معنى تركه تعالى لهم. ١٨- صُمُّ بَكْمٌ عُمَى فَهُمْ لَا- يَرْجِعُونَ: صم طرش عن سماع الحق، بكم: عيون عن النطق به، عمى: مكفوفو البصر عن رؤيته و مع أنهم مكلفون بالرجوع عن الضلالة إلى الهدى فهم لا يرجعون. ١٩- أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ ... عطف على الذى استوقد. و الصيّب المطر الذى يصب أى ينزل بشدة، و السماء يراد بها العلاء. و وجه الشبه هو أن ما خوطبوا به من الحق و الهدى كمثل مطر، و كما أن الأرض تحيا بالمطر، فإن القلوب تحيا بالحق و الهدى. فالتشبيه كان بلحاظ الحياة التى فيهما. فِيهِ ظُلُمَاتٌ أى فى الصيّب الذى أريد به المطر. و الظلمات: ظلمة تكاثفه، و ظلمة غمامة، و ظلمة الليل. وَ رَعْدٌ أى الصوت الذى يسمع حين يتولد من احتكاك و تماس الذرات المؤلّف منها السحاب بعضها مع بعض حين تحرّكها بسرعة، و هو مثل للتخويف و الوعيد وَ بَرَقٌ و هو ما يلمع منه، و يتولد من كهربة الاحتكاك. يَجْعَلُونَ

أَصَابَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ الصَّاعِقَةُ نَارٌ تَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ عِنْدَ قِصْفِ الرِّعْدِ الشَّدِيدِ وَوَضَعَ الْبَرْقُ الْخَاطِفَ. حَذَرَ الْمَوْتِ أَيْ خَوْفَ الْمَوْتِ، وَخَشْيَةَ أَنْ يَنْزِلَ عَلَيْهِمُ الْبَرْقُ بِالصَّاعِقَةِ فَيَمُوتُوا مِنْ صَوْتِهَا الرَّهيبِ أَوْ إِحْرَاقِهَا. وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ مَطُوقٌ لَهُمْ. ٢٠- يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطِفُ أَبْصَارَهُمْ: وَضَعَتْ لَفْظَةً (يَكَادُ) لِمُقَارَبَةِ الْخَبَرِ مِنَ الْوُجُودِ. وَالمَعْنَى: قَرِيبٌ بِأَنْ يَخْتَلِسَ الْبَرْقُ أَبْصَارَهُمْ، أَيْ يَذْهَبَ بِهَا سَرِيعًا. كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ كَلَّمَا صَادَفُوا مِنَ الْبَرْقِ فَرَصَةً وَمِضَ انْتَهَزُوهَا وَمَشَوْا، وَإِذَا هَبَطَ الظَّلَامُ وَقَفُوا وَتَحَيَّرُوا. فَكَلَّمَا أَضَاءَ أَيْ ظَهَرَ لَهُؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ الْبَرْهَانَ وَالحِجَّةَ عَلَى مَا يَعْتَقِدُونَ مَشَوْا فِيهِ أَيْ فِي نُورِهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَقَفُوا مُتَحَيِّرِينَ لَا يَرُونَ سَبِيلًا يَسْلُكُونَهُ إِذَا رَأَوْا فِي دُنْيَاهُمْ مَا يَكْرَهُونَ. وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ يَذْهَبُ سَمْعُهُمْ بِقِصْفِ الرِّعْدِ أَوْ ظُهُورِ صَوْتِ الدَّعْوَةِ الْكَرِيمَةِ، وَيَذْهَبُ بَصَرُهُمْ بِوَضْعِ الْبَرْقِ وَسَطْوَعِ نُورِ الْإِسْلَامِ. إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَ الشَّيْءُ مَا يَصْخُحُ أَنْ يَعْلَمَ وَيُخْبِرَ عَنْهُ وَهُوَ يَعْمُ الْوَاجِبَ، وَالمَمْتَنِعَ، وَالمُمْكِنَ. وَخَصَّصَهُ الْعَقْلُ هُنَا بِالمُمْكِنِ. وَالقَدِيرُ هُوَ الْقَوِيُّ الْفَعَالُ لَمَّا يَشَاءُ عَلَى مَا يَشَاءُ. وَاللَّهُ تَعَالَى لَا يَعْجِزُهُ شَيْءٌ عَنْ شَيْءٍ. ٢١- يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ ... لَفْظَةُ «يَا» لِنِدَاءِ الْبَعِيدِ، وَرَبَّمَا اسْتَعْمَلَ فِي الْقَرِيبِ مَنَزَلًا مِنْزِلَتَهُ، وَإِنَّمَا لِعَظَمَتِهِ أَوْ لِلْاِعْتِنَاءِ بِشَأْنِ الْمَدْعُوِّ أَوْ لِعَظَمَتِهِ. وَكَلِمَةُ «أَيُّ» وَصَلَتْ إِلَى نِدَاءِ الْمَعْرُوفِ بِاللَّامِ لَتَعَذُّرِ دُخُولِ (يَا) عَلَيْهِ. وَقَدْ أَقْحَمَتْ يَاءَ التَّنْبِيهِ تَأْكِيدًا إِرْشَادَ الْأَذْهَانَ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ١٠ وَاهْتِمَامًا بِمَا خُوِطِبَ بِهِ. وَالنَّاسُ هُمُ الْمَوْجُودُونَ مِنَ الْمَكْلُفِينَ لِقَبْحِ خُطَابِ الْمَعْدُومِ، وَكُلٌّ مِنْ وَجَدُوا بَعْدَ ذَلِكَ فَهَمُ يَدْخُلُونَ فِي الْخُطَابِ بِدَلِيلِ الْمَشَارَكَةِ. وَالْخُطَابُ مُخْتَلَفٌ فِيهِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْمَخَاطِبِينَ، بِالإِضَافَةِ إِلَى الْكُفَّارِ وَالبَالِغِينَ الْمَكْلُفِينَ جَدِيدًا بِأَحْدَاثِ الْعِبَادَةِ بِشَرَائِطِهَا الْمُتَوَقَّفَةِ عَلَيْهَا. وَأَمَّا بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْمُؤْمِنِينَ فَبِإِزَادَةِ وَتَثْبِيتِ. الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مَتَّعَكُمْ قَلِيلًا أَيْ الَّذِينَ خَلَقَهُمْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْأُمَمِ. لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ يَسْتَفَادُ مِنَ الْآيَةِ الشَّرِيفَةِ أَنَّ الْعِبَادَةَ مُقَدَّمَةٌ لِتَحْصِيلِ التَّقْوَى الَّتِي هِيَ أَعْلَى مَرَاتِبِ الْعِبَادَةِ، أَوْ هِيَ تَرْكُ الْمَحْرَمَاتِ وَالِإِيتْيَانُ بِالْوَاجِبَاتِ. كَمَا أَنَّهُ يَسْتَفَادُ مِنْ قَوْلِهِ «لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ» أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْعَبْدُ بَيْنَ الرَّجَاءِ وَالخَوْفِ لَا مَغْتَرًا بِعَمَلِهِ وَفَعَالِهِ. ٢٢- الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا: أَيْ مَبْسُوطَةً تَقْتَرِشُونَهَا تَقْعُدُونَ عَلَيْهَا وَتَنَامُونَ، كَالْفِرَاشِ. وَالسَّمَاءُ بِنَاءٌ أَيْ قَبْءٌ مُضْرُوبَةٌ عَلَيْكُمْ. وَانْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يَعْنِي مَاءَ الْمَطَرِ فَإِنَّهُ يَنْزِلُ إِلَى الْأَرْضِ مِنْ جِهَةِ السَّمَاءِ سَحَابًا، أَوْ مِمَّا فَوْقَ السَّحَابِ. فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ أَيْ بِسَبَبِهِ. بِأَنْ جَعَلَهُ سَبِيلًا فِي حَيَاةِ الْأَرْضِ. بِمَا فِيهَا مِنْ إِنْسَانٍ وَحَيَوَانٍ وَنَبَاتٍ. فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا بَعْدَ مَا عَرَفْتُمْ أَنَّهُ تَعَالَى وَلِيَّ نِعْمَتِكُمْ وَخَالِقِكُمْ فَلَمْ جَعَلْتُمْ لَهُ شُرَكَاءَ وَأُنْدَادًا؟ وَالنَّدُّ: الْمِثْلُ. وَالنَّدُّ فَعْلًا هُوَ الْمِثْلُ الْمَخَالَفُ. وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ تَعْرِفُونَ أَنَّ هَذِهِ الْأَصْنَامَ الَّتِي جَعَلْتُمُوهَا أُنْدَادًا لَهُ تَعَالَى لَا تَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ لِأَنَّهَا جُمَادَاتُ. ٢٣- وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا: عَبْدُهُ، تَعَالَى: هُوَ النَّبِيُّ (ص). وَقَدْ تَحَدَّاهُمْ بِمَا نَزَّلَهُ عَلَيْهِ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، فَقَالُوا: فَاتُّوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ ... فِي الْفَصَاحَةِ وَالبَلَاغَةِ وَالإِعْجَازِ. وَآتَى لَهُمْ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ أَقْصَرِ سُورَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ الَّتِي أُعْجِزَ الْبَلَاغَةُ وَأُخْرَسَ الْفَصَاحَةُ! .. وَادَّعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ أَيْ اسْتَعِينُوا بِكُلِّ مَنْ بَحْضَرْتُمْ يَعَاوَنُكُمْ فِي الْإِيتْيَانِ بِسُورَةٍ مِثْلَ سُورَةِ الْقُرْآنِ، إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِي دَعْوَاكُمْ بِأَنْ مُحَمَّدًا قَدْ جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ نَفْسِهِ. ٢٤- فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا، وَلَنْ تَفْعَلُوا ... إِنْ لَمْ تَعْمَلُوا الَّذِي تَحَدَّثْتُمْ بِهِ وَلَنْ تَفْعَلُوا لِعِجْزِكُمْ. فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ جَنَّبُوا أَنْفُسَكُمْ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا- حَطْبُهَا- النَّاسُ وَ الْحِجَارَةُ! .. أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ أَيْ خَلَقْتَ وَهَيْئْتَ لَهُمْ. ٢٥- وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ... أَخْبِرِ الْمَصْدِّقِينَ وَ مُؤَدَى فُرُوضِهِمْ وَ نَوَافِلَهُمْ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ حُدُودُهَا بِهَجَةٍ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً تَجْرِي تَحْتَ أَشْجَارِهَا وَ قُصُورِهَا مِياهُ الْأَنْهَارِ. وَ النَّهْرُ: مَجْرَى الْمَاءِ الْوَاسِعِ وَ إِسْنَادُ الْجَرَى إِلَيْهِ مِنْ بَابِ الْمَجَازِ فِي الْإِسْنَادِ. كُلَّمَا رَزَقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا أَيْ كُلَّمَا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى بِثَمَرَةٍ يَجْتَنُونَهَا، قَالُوا هَذَا الَّذِي رَزَقْنَا مِنْ قَبْلُ فِي دَارِ الدُّنْيَا. وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا ... أَيْ جِئُوا بِالثَّمَرِ يَشْبَهُ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ فِي الْأَسْمِ النَّاشِئِ عَنْ الْمَشَابَهَةِ فِي النُّوعِ وَ اللَّوْنِ، وَ لَكِنَّهُ مُخَالَفٌ فِي الطَّعْمِ اللَّذِيزِ وَ الرَّائِحَةِ الزَّكِيَّةِ. وَ لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ مُنَظَّفَةٌ أَبْدَانُ الْأَزْوَاجِ مِنَ الْحَيْضِ وَ الْأَقْدَارِ وَ الْأَدْنَسِ الظَّاهِرِيَّةِ وَ الْمَعْنَوِيَّةِ. وَ نَقِيَّةٌ أَخْلَاقُهُنَّ مِنَ السُّوءِ كَالْحَسَدِ وَ النِّفَاقِ وَ شَكَاةِ الطَّبْعِ وَ غَيْرِهَا مِنَ الصِّفَاتِ الْمَكْرُوهَةِ. وَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ دَائِمُونَ. ٢٦- إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ... نَزَلَتْ رَدًّا عَلَى الْكُفْرَةِ وَ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ قَالُوا: أَمَا يَسْتَحْيِي رَبُّ مُحَمَّدٍ أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا بِالذُّبَابِ وَ الْعَنْكَبُوتِ؟ .. وَ حَاصِلُ مَعْنَى الْآيَةِ الشَّرِيفَةِ أَنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي: يَتْرَكُ

حياة و خجلا، من ضرب المثل بالبعوضة مع حقارتها. و بما فوقها كالذباب و العنكبوت مع هوانهما و ضعفهما، لفوائد هامة يدرکها الراسخون فی العلم. فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ يَعْنِي أَنَّهُ مَهْمَا يَكُنْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ الْبَتَّةَ. و الضمير فی (أنه) عائد للمثل و الحق: هو الأمر الثابت الذى لا يجوز إنكاره. و أَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يَقُولُونَ استحقاقا: أى شىء أراد و قصد بهذا المثل. يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَ يَهْدِي بِهِ كَثِيرًا الضلالة و الهداية متفرعتان عن الجملتين المتصدرتين بأما. فَإِنَّ الْعِلْمَ بِأَنَّ الْأَمْثَالَ حَقٌّ، هِدَايَةٌ، وَ الْجَهْلُ بِأَنَّهَا فِي غَيْرِ مَوْرَدِهَا ضَلَالَةٌ. وَ مَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ الْخَارِجِينَ عَنِ الْقَصْدِ. ٢٧- الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ ... حَدَّدَ صِفَاتِ فَسَقِهِمْ فَهَمْ يَنْقُضُونَ أَى يَرُدُّونَ وَ يَرَفُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مَا إِرْشَادُ الْأُذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ١١ أَخَذَهُ عَلَيْهِمْ فِي عَالَمِ الذَّرِّ مِنَ الْمِيثَاقِ لَهُ بِالرَّبُوبِيَّةِ، مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ ذَاكَ، لِأَنَّ الضَّمِيرَ فِي الْمِيثَاقِ عَائِدٌ لِلْعَهْدِ. أَى بَعْدَ إِحْكَامِ الْعَهْدِ وَ تَوْثِيقِهِ وَ إِبرَامِهِ. وَ يَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ يَنْكُتُونَ الصَّلَةَ بِالنَّبِيِّ وَ الْمُؤْمِنِينَ، وَ الْأَرْحَامَ وَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ يَنْشُرُونَ الْفَسَادَ وَ يَدْعُونَ إِلَى الْكُفْرِ وَ الزُّنْدَقَةِ، وَ قَطَعَ طَرِيقَ الْمُسْلِمِينَ بِالسَّرْقَةِ وَ التَّخْوِيفِ وَ الْقَتْلِ وَ الْوَعِيدِ، أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ وَ أَيَّةُ خَسَارَةٍ أَكْبَرُ مِنْ اسْتِبْدَالِ نَقْضِ الْعَهْدِ بِالْوَفَاءِ، وَ الْقَطْعِ بِالْوَصْلِ، وَ الْفَسَادِ بِالصَّلَاحِ، وَ الْعِقَابِ بِالثَّوَابِ؟. فَهَمْ كَمَنْ ضَيَّعَ رَأْسَ مَالِهِ بِاخْتِيَارِهِ وَ كَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهِ الْخُسْرَانُ الَّذِي أَلْزَمَهُ عَذَابُ الْأَبَدِ وَ حَرَمَهُ النِّعَمِ السَّامِدِ. ٢٨- كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَ كُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ... اسْتَفْهَامُ إِنْكَارِيٍّ فِي مَقَامِ تَعْجَبٍ. وَ الْخُطَابُ لِكُفَّارِ قَرِيشَ وَ الْيَهُودِ. كَيْفَ تَنْكُرُونَ اللَّهَ وَ كُنْتُمْ أَمْوَاتًا: أَى عُنَاصِرَ وَ أَخْلَاطًا وَ أَغْذِيَةً وَ نَطْفًا فِي الْأَصْلَابِ قَبْلَ خَلْقِكُمْ، فَأَحْيَاكُمْ أَثْنَاءَ وَجُودِكُمْ فِي أَرْحَامِ أُمَهَاتِكُمْ. ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ بَعْدَ خُرُوجِكُمْ إِلَى دَارِ الدُّنْيَا وَ عِنْدَ حُلُولِ آجَالِكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ فِي الْقُبُورِ عِنْدَ السُّؤَالِ أَوْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ تَعُودُونَ لِلْحَشْرِ مِنَ الْقُبُورِ إِلَى الْحِسَابِ وَ الثَّوَابِ أَوْ الْجَزَاءِ. ٢٩- هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ... خَلَقَ، أَى أَوْجَدَ لَكُمْ الْأَشْيَاءَ لِاتْتِفَاعِكُمْ فِي كُلِّ مَا تَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ فِي حَيَاتِكُمْ مِنَ الْمَطَاعِمِ وَ الْمَلَابِسِ وَ الْمَنَاحِكِ وَ الْمَسَاكِنِ وَ نَحْوِهَا. ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ أَى وَجَّهَ قُدْرَتَهُ وَ إِرَادَتَهُ لِخَلْقِهَا بَعْدَ خَلْقِ الْأَرْضِ وَ بَثَّ مَا فِيهَا فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ أَى جَعَلَهُنَّ مَسْتَوِيَاتٍ طَبَقِ النَّظَامِ الْأَحْسَنِ وَ الْأَصْلَحِ. وَ هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ عَارِفٌ خَبِيرٌ. ٣٠- وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ ... أَخَذَ بِالنَّبِيَّةِ إِلَى نِعْمَةٍ أُخْرَى عَلَيْهِمْ، وَ هِيَ نِعْمَةُ خَلْقِ أَبِيهِمْ آدَمَ (ع) وَ إِكْرَامِهِ وَ تَفْضِيلِهِ عَلَى الْمَلَائِكَةِ. الْمَلَائِكَةُ: جَمْعُ مَلَائِكَةٍ، كَالشَّمَالِ وَ الشَّمَالِ. وَ التَّائِيثُ لِلْجَمْعِ. وَ هُمْ أَجْسَامٌ لَطِيفَةٌ قَادِرَةٌ عَلَى التَّشَكُّلِ بِأَشْكَالٍ مُخْتَلِفَةٍ. إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً وَ هُوَ مِنْ يَخْلَفُ غَيْرُهُ، وَ الْمُرَادُ هُنَا آدَمَ (ع). قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَ يَسْفِكُ الدِّمَاءَ أَى كَمَا فَعَلَ الْجَنُّ مِنْ قَبْلِ إِذْ نَشَرُوا الْفِتْنَ وَ أَرَاقُوا الدِّمَاءَ! وَ قَدْ قَالُوا ذَلِكَ سُؤَالًا لَا اعْتِرَاضًا عَلَيْهِ سَبْحَانَهُ. وَ نَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَ نُقَدِّسُ لَكَ أَى نَفْعَلُ مَا تَرِيدُ مِنْ آدَمَ مِنَ التَّنْزِيهِ وَ التَّطَهِيرِ عَمَّا لَا يَلِيقُ بِجَنَابِهِ تَعَالَى وَ يَكْرَهُهُ. قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ أَعْرِفُ مَا لَا تَدْرِكُونَهُ مَا الْغَايَةُ. ٣١- ٣٢- وَ عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ ... أَى أَظْهَرَهَا ثُمَّ طَلَبَ مِنْهُمْ بَلِينَ وَ رَفَقَ قَائِلًا أَتَبَيَّنُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ أَى أَخْبَرُونِي بِأَسْمَاءِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي سَتَكُونُ مِنْ آدَمَ- وَ بَعْدَهُ- إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِي دَعْوَاكُمْ بِأَنْكُمْ أُولَى بِالْخِلَافَةِ فِي الْأَرْضِ مِنْ آدَمَ؟ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ إِذْ أَحْسَوْا أَنَّهُ تَعَالَى كَرِهَ جَوَابَهُمُ الَّذِي جَاءَ عَلَى مَقْتَضَى خَلْقِهِمْ وَ أَنَّهُمْ لَا يَعْرِفُونَ إِلَّا مَا عَلَّمَهُمْ بَعْدَ خَلْقِهِمْ. فَحَصَرُوا الْعِلْمَ بِذَاتِهِ الْقُدْسِيَّةِ، وَ اعْتَرَفُوا بِحُكْمَتِهِ الَّتِي لَا يَدْرِكُونَهَا، وَ تَأَدَّبُوا فِي إِظْهَارِ جَهْلِهِمْ أَمَامَ الْعَلِيمِ الْعَارِفِ الْحَكِيمِ الْمُتَقِنِ فِي أَعْمَالِهِ الْمَصِيبِ فِي أَقْوَالِهِ. ٣٣- قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ ... أَى أَخْبَرَهُمْ بِالْأَسْمَاءِ، وَ عَرَّفَهُمُ الْمَسْمِيَّاتِ فِي مَقَامَاتِهَا الرَّاقِيَّةِ، وَ الضَّمَائِرِ فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ مَعْهُودَةٍ وَ مَعْرُوفَةٍ عِنْدَ الْمَلَائِكَةِ، وَ لَوْلَا ذَلِكَ لَكَانَ تَعْلِيمُ أَسْمَاءِ الْمَسْمِيَّاتِ الْمَجْهُولَةِ غَيْرَ ذِي فَائِدَةٍ، حَتَّى مَعَ الْوَعْدِ بِتَعْرِيفِهَا فِيمَا بَعْدَ. فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ أَخْبَرَهُمْ بِهَا فَعَرَفُوهَا بِتَطْبِيقِ الْأَسْمَاءِ عَلَى الْمَسْمِيَّاتِ. قَالَ تَعَالَى: أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ أَعْرِفُ مَكُونَاتِهَا وَ أَسْرَارَهَا وَ أَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ وَ أَعْرِفُ مَا تَظْهَرُونَ مِنْ رَدِّكُمْ عَلَيَّ، وَ مَا تَخْفُونَ فِي ضَمَائِرِكُمْ أَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ أَفْضَلُ مِنْكُمْ. ٣٤- وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ ... أَخَذَ سَبْحَانَهُ فِي بَيَانِ نِعْمَةِ أُخْرَى عَلَى بَنِي آدَمَ وَ فَضِيلَةِ ثَانِيَةٍ، إِذْ أَمَرَ الْمَلَائِكَةَ بِالسُّجُودِ لِأَبِيهِمْ. وَ إِذْ: نَصَبَ بِمَضْمَرٍ، أَى: إِذْ ذَكَرْتُ يَا مُحَمَّدُ. وَ الْمَأْمُورُونَ هُمُ الْجَمِيعُ لِعُمُومِ اللَّفْظِ وَ لِقَوْلِهِ تَعَالَى فِي مَوْرَدٍ آخَرَ: فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّا إِبْلِيسَ. وَ السُّجُودُ، لَغَةً: التَّذَلُّلُ وَ الْخُضُوعُ، وَ شَرْعًا: وَضْعُ

الجبهة على الأرض بقصد العبادة. و سجد الملائكة كان تعظيماً لله و تكرمه لآدم (ع). فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ الَّذِي إِنَّمَا دَخَلَ فِي الْأَمْرِ لكونه منهم بالولاء. و لم يكن من جنسهم لأنه كان من الجن إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ١٢ أبى و أَشْتَكَبَ عما أمر به، و ترفع على آدم، و خالف أمر ربه وَ كَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ فِي عِلْمِ اللَّهِ وَ صَارَ مِنْهُمْ بِاسْتِكْبَارِهِ وَ احْتِقَارِهِ لِنَبِيِّهِ (ع)! ٣٥- وَ قُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَ زَوْجُكَ الْجَنَّةَ ... أَنْتَ: تأكيد للمستكن ليعطف عليه (الجنة) اللام فيها للعهد، و المعهود هو هذه. و قيل هي من جنان الدنيا و تغرب فيها الشمس و القمر. و لكن الظاهر من الآيات و من لفظة (اهبطوا) و خلق آدم في السماء كما هو ظاهر كثير من الروايات، بل صريحها. أَنَّ الْجَنَّةَ هِيَ جَنَّةُ سَمَاوِيَّةٍ، أكَانَتْ جَنَّةُ الْخُلْدِ أَمْ غَيْرَهَا. وَ كَلَامُهَا رَعْدًا حَيْثُ شَتَّتُمَا أَى أَكَلَا وَاسْعَا وَافِرَا بِلَا عَنَاءٍ مِنْ أَى مَأْكُولٍ تَرِيدَانِ وَ لَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ أَى شَجَرَةَ الْحَنْظَلَةِ عَلَى مَا هُوَ الْمَشْهُورُ. وَ هَذَا النَّهْيُ تَنْزِيهِيٌّ لَا تَحْرِيْمِيٌّ. وَ قَدْ عُلِقَ النَّهْيُ فِيهِ عَلَى الْإِقْتِرَابِ مِنَ الشَّجَرَةِ، لِأَنَّ الْقُرْبَ مِنَ الشَّيْءِ يَغْرِى بِهِ وَ يَكُونُ مَقْدَمَةً لِفَعْلِهِ. وَ النَّهْيُ عَنِ الْمَقْدَمَةِ نَهْيٌ عَنِ ذِيهَا أَكِيدًا، وَلِذَلِكَ قَالَ سُبْحَانَهُ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ لِنَفْسَيْكُمَا بِالْإِقْدَامِ عَلَى مَا لَيْسَ فِيهِ صَلَاحٌ لَكُمْ. وَ الظُّلْمُ هُوَ النِّقْصُ فِي الْحِظِّ وَ النَّصِيبِ، فَكَانَتْهُمَا لَمَّا أَكَلَا مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْقَصَا حَظَّهُمَا الَّذِي قَدَّرَ لَهُمَا فِي حَالِ عَدَمِ الْأَكْلِ مِنْهَا. وَ الْمَعْنَى الْآخَرُ لِلظُّلْمِ فِي اللُّغَةِ هُوَ وَضْعُ الشَّيْءِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ. وَ هَذَا يَنْطَبِقُ أَيْضًا عَلَى الْمَقَامِ لِأَنَّهُمَا وَضَعَا الْأَكْلَ فِي مَوْضِعِ الْكُفِّ، فَتَرَكَ الْأَوَّلَى. ٣٦- فَارْجَاهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ: أَى حَمَلَهُمَا عَلَى عَدَمِ الثَّبُوتِ فِي أَمْرِهِمَا وَ أَزَاحَهُمَا عَنْ فِكْرَةِ الْكُفِّ. فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ مِنَ النِّعَمِ الْجَزِيلَةِ وَ الْمَوَاهِبِ السَّيِّئَةِ وَ قُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَ الْخُطَابُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، صَدَرَ بِنَزُولِ آدَمَ وَ حَوَاءَ بِمَا اسْتَبَطْنَاهُ مِنْ ذُرِيَّتِهِمَا وَ إِبْلِيسَ. وَ هَكَذَا أَصْبَحَ آدَمُ وَ حَوَاءُ وَ مَا وَلَدَا مِنَ الذَّرِيَّةِ، أَعْدَاءُ لِإِبْلِيسَ وَ ذُرِيَّتِهِ، وَ هُوَ وَ ذُرِيَّتُهُ لَهُمْ عَدُوٌّ. إِلَى الْوَقْتِ الَّذِي حَدَّدَ تَعَالَى بِقَوْلِهِ وَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَ مَتَاعٌ إِلَى حِينٍ فَالْأَرْضُ هِيَ مَكَانُ بَقَائِكُمْ وَ مَوْضِعُ سَكْنِكُمْ وَ مَنَافِعُكُمْ وَ مَتَعُكُمْ وَ مَعَاشُكُمْ وَ مَعَادُكُمْ، وَ أَنْتُمْ فِيهَا إِلَى وَقْتِ آجَالِكُمْ، أَوْ إِلَى يَوْمِ قِيَامَتِكُمْ. ٣٧- فَتَلَقَى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ: أَى اسْتَقْبَلَهَا وَ أَخَذَهَا بِالْقَبُولِ. وَ الْكَلِمَاتُ يَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ قَوْلُهُ تَعَالَى: رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا ... الْآيَةَ. أَوِ الْأَسْمَاءَ الطَّيِّبَةَ الْخَمْسَةَ لِأَهْلِ الْكِسَاءِ (ع) فِيهَا أَقْوَالٌ عَرَضَتْ لَهَا التَّفَاسِيرُ الْمَفْصَلَةُ فَتَابَ عَلَيْهِ قَبْلَ اللَّهِ تَوْبَتَهُ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ كَثِيرُ الْقَبُولِ لِلتَّوْبَةِ. الرَّحِيمُ الْوَاسِعُ الرَّحْمَةُ وَ الْإِشْفَاقُ عَلَى الْعِبَادِ. ٣٨- قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا: أَنْزَلُوا مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ كُلِّكُمْ، بَعْدَ تَلَقَّى الْكَلِمَاتِ وَ بَعْدَ التَّوْبَةِ، نَزُولًا وَ هَبُوطًا حَقِيقِيًّا فَعَلِيًّا تَكْلِيفِيًّا إِثْبَاتِيًّا. وَ الضَّمِيرُ فِي (مِنْهَا) رَاجِعٌ إِلَى السَّمَاءِ أَوِ الْجَنَّةِ. وَ الْجَمِيعُ: تَعْنِي الْمَخَالِفِينَ لِلنَّهْيِ، وَ الشَّاعِينَ لَهُمَا فِي الْمَكِيدَةِ، فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى أَى إِنْ يَأْتِكُمْ مِنِّي هُدًى عَلَى لِسَانِ رَسُولٍ أَوْ بَكْتَابٍ فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لَا هُمْ يَحْزَنُونَ فَمَنْ اقْتَنَعَ وَ مَشَى بِحَسَبِ هُدَايَ وَ طَرِيقَتِي نَجَا وَ فَازَ وَ لَا خَوْفٌ وَ لَا حُزْرٌ عَلَيْهِ، وَ لَا يَصِيبُهُ مَا يَحْزَنُهُ وَ يَكْذَرُهُ. ٣٩- وَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ... أَى جَحَدُوا وَ لَمْ يَصَدِّقُوا بِآيَاتِي، أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ فَهْمُ أَهْلِ النَّارِ، وَ سَأَخْلُدُهُمْ فِي جَهَنَّمَ خُلُودًا سَرْمَدِيًّا جَزَاءَ اسْتِكْبَارِهِمْ وَ كُفْرِهِمْ. ٤٠- يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِي ... يَا أَوْلَادَ يَعْقُوبَ الَّذِي هُوَ إِسْرَائِيلُ، اذْكُرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ. لَا تَنْسُوا أَبَدًا نِعْمِي الَّتِي أَهَمَّهَا أَنْجَاءُ آبَائِكُمْ مِنْ فِرْعَوْنَ وَ الْغُرَقِ وَ أَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ أَى أَوْفُوا بِمِثَاقِي عَلَيْكُمْ فِي عَالَمِ الدَّرِّ، مِنَ الْإِيمَانِ بِي وَ بِرِسَالِي وَ كِتَابِي الْمُنْزَلَةِ إِلَيْكُمْ، وَ بِمَا فِيهَا مِنَ الشَّرَائِعِ وَ الْأَحْكَامِ. فَإِذَا وَفَيْتُمْ بِهَذِهِ الْمَذْكُورَاتِ وَفَيْتُمْ بِمَا عَاهَدْتُكُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْأَجْرِ وَ الثَّوَابِ وَ إِيَّايَ فَارْهَبُونِ أَى خَافُونِي. وَ الرَّهْبَةُ خَوْفُ التَّحْزُرِ. ٤١- وَ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ ... صَدَّقُوا بِالْقُرْآنِ الَّذِي أَنْزَلْتُ عَلَى مُحَمَّدٍ (ص) فَهُوَ يَصَدِّقُ كِتَابَكُمْ السَّمَاوِيَّةَ مِنَ التَّوْرَةِ وَ الْإِنْجِيلِ وَ غَيْرِهِمَا، وَ لَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ فَهُوَ يَحْذَرُهُمْ إِنْكَارَ مَا أَنْزَلَ، وَ يَعْزِضُ بِهِمْ خَاصَّةً، لِأَنَّهُمْ أَهْلُ كِتَابٍ وَ الْوَاجِبُ عَلَيْهِمْ أَنْ يَكُونُوا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ، لَكُونَهُمْ عَارِفِينَ بِهِ وَ بِصِفَاتِهِ وَ بِكَيْفِيَّةِ بَعْثِهِ. قَدْ قَرَأْتُمْ فِي كِتَابِهِمْ، وَ أَخْبَرْتُمْ بِهِمَا أَجْبَارَهُمْ وَ رَهْبَانَهُمْ. فَهَذَا الَّذِي كَانَ مَتَرَقِّبًا مِنْهُمْ، لَا أَنْ يَكُونُوا أَوَّلَ الْكَافِرِينَ بِهِ. وَ لَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا لَا تَسْتَبَدِّلُوا حُجْجِي بِرِئَاسَةِ دُنْيَوِيَّةٍ مُؤَقَّتَةٍ هِيَ لَكُمْ فِي قَوْمِكُمْ، تَنَالُونَ فِيهَا الرِّشَى إِرْشَادُ الْأَذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ١٣ وَ التَّحْفُ وَ الْهَدَايَا عَلَى تَحْرِيفِ الْحَقِّ وَ كِتْمَانِهِ. وَ إِيَّايَ فَاتَّقُونِ تَجَنَّبُوا بِطُشَى بَاتِبَاعِ الْحَقِّ وَ مَجَانِبِهِ غَيْرِهِ. ٤٢- وَ لَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ ... أَى لَا تَجْعَلُوا الْحَقَّ الْوَاضِحَ مُشْتَبِهًا بِالْبَاطِلِ وَ مَخْتَلِطًا بِهِ. وَ تَكْتُمُوا الْحَقَّ تَخَفُوا نَعُوتَ مُحَمَّدٍ (ص) الْمَوْجُودَةَ فِي كِتَابِكُمُ الْمُنْزَلَةَ مِنْ عِنْدِ رَبِّكُمْ، وَ تَخْفُونَ الْحَقَّ وَ أَنْتُمْ

تَعْلَمُونَ تعرفون ذلك. ٤٣- وَ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ آتُوا الزَّكَاةَ ... أى أقيموا صلاة المسلمين و ادفعوا زكاتهم. و هى صريحة بأن الكفار مخاطبون بالفروع كالأصول. و الظاهر فى خصوص الزكاة فى خصوص هذا المورد و أمثاله أنها الزكاة المالية، و قيل هى زكاة الفطرة. وَ ارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ. ذكر سبحانه الركوع بعد ذكر ما تشتمل عليه الصلاة، لأنه يكشف عن الخضوع الخاص الذى ليس فى غيره، و لذا خصه تعالى بالذكر. و قيل إن صلاة اليهود ليس فيها ركوع و لذا أمرهم به. ٤٤- أ تَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ ... جاءت فى مقام التعجب و التوبيخ. و البرّ العطاء، و المراد منه هنا كل خير وَ تَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ تتركونها معفاة من ذلك؟ .. وَ أَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ تقرأون التوراة. أ فَلَا تَعْقِلُونَ أ لا تدركون أى قبح يترتب على عدم امتثالكم و تناسيكم أنفسكم؟. ٤٥- وَ اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَ الصَّلَاةِ ... أطلبوا العون لأنفسكم بالصبر على اتباع الحق و رفض المال و الجاه، و بكف النفس عن مشتيتها و ميلها إلى المعاصى، و ضعفها عن الطاعات. و قيل إن الصبر فى الآية هو الصيام. وَ إِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ أى الصلاة. و يحتمل أن يكون الضمير راجعا إلى الاستعانة. و المراد بكبرها كونها ثقيلة شاقّة إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ المتواضعين الخاضعين لله تعالى. ٤٦- الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ ... يظنون هنا: يعتقدون لقاء الله و حسابه يوم البعث. فالظنّ هنا: العلم، لأن الخاشعين بعيدون غاية البعد عن الظنّ بقاء ربهم و بالبعث و النشور و الثواب و العقاب، بل هم العالمون بذلك علما يقينا، و خشوعهم يكشف عن علمهم الذى ذكرناه. وَ أَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ معادون يوم القيامة للتعظيم و الجنان و الجزاء الأوفى. ٤٧- يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ... كثر الخطاب لتنشيط السامع و ترغيبه بلذة المتابعة. فقد روى أن لذّة النداء أزالَتْ مشقّة التكليف. فالتكرار هنا ليس مستهجنا، بل له فوائد جليّة، و تترتب عليه آثار كثيرة. فعلى هذا الأساس قال سبحانه اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ حيث إنى بعثت منكم نبيا- موسى (ع)- و خلصتكم من ظلم فرعون و قومه، و أنزلت عليكم المنّ و السّيلوى وَ أَنَّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ أى فضلت أسلافكم على عالمى زمانهم تفضيلا ديتيا لأنهم آمنوا برسلى و أجابوا دعوتى، و جعلت منكم ملوكا دنيويين و رزقتكم من الطيبات. ٤٨- وَ اتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزَى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا: أى تجبّوا يوم عذاب لا ينقضى، و لا تتحمّل فيه نفس عن نفس شيئا و لا تقضى عنها حقًا و لا تخفف عن كاهلها جزاء. وَ لَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ إِذْ تَرَفُصُ شَفَاعَةُ نَفْسٍ عَنِ نَفْسٍ. و الشفاعة من الشّفع، و هو الزوج من العدد، فكأن المشفوع له (الفرد) يصير شفعا (زوجا) بضم الشّفع نفسه إليه. وَ لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ أى لا يقبل منها فدية تعدل الجرم و توازنه ... وَ لَا هُمْ يُنْصَرُّونَ وَ لَا يَنْجِحُونَ وَ يَنْجُونَ مِنَ الْعَذَابِ بِعَانَةِ مَعِينٍ وَ لَا بِنَصْرَةِ نَاصِرٍ، بل يقعون فيه أبد الأبد. ٤٩- وَ إِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ ... أصل الآل: أهل، لأنه يصغر على أهل. و فرعون: لقب كل ملك من العمالقة فى مصر، كقيصر و كسرى لملكى الرّوم و الفرس. و فرعون موسى (ع) هو مصعب بن الزّيان أو ابنه وليد. و فرعون يوسف (ع) الزّيان. و بينهما أكثر من أربعمائى سنه. يَسْؤُمُونَكُمْ أى يهينونكم و يذلّونكم و يذيقونكم سوء العذاب أشدّه و أسوأه يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ يقتلون الذكور من أولادكم إمّا بقر بطون الحوامل و إخراجهم و قتلهم، و إمّا بذبحهم بعد الولادة. وَ يَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ يستبقونهن إمّا للخدمة و النكاح. وَ فى ذلِكُمْ أى فى صنيعهم معكم، و إنجائكم منهم بلاءٍ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٍ محنة و اختبار صعب كبير. ٥٠- وَ إِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ ... أى اذكروا حينما فصلنا البحر فرقا و جعلنا فيه مسالك تعبرون منها للخلاص فَأَنْجَيْنَاكُمْ خَلَصْنَاكُمْ من كيدهم وَ أَعْرَفْنَا آلَ فِرْعَوْنَ أَطْبَقْنَا لَجَجَ الْمَاءِ عَلَيْهِمْ وَ أَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ترون إغراقهم .. ٥١- وَ إِذْ وَاْعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ يَوْمًا إِشْرَادَ الْأُذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ١٤ لَيْلَةً ... واعدّه: ضرب معه موعدا و جعل له ميقاتا بأن ينزل عليه التوراة بعد هلاك فرعون بثلاثين يوما، هى ليالى تمام ذى القعدة و عشرة من ذى الحجة. و قد عبّر عن الفترة بالليالى لأنها غزّة الشهور، و فى الليالى يستهلّ القمر الذى يحدّد الشهر بمنازله يوما بعد يوم. ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ اتَّخَذْتُمُوهُ إِلَهًا تَعْبُدُونَهُ بتسويل السامريّ مِنْ بَعْدِهِ بعد مضى ميقات عودة موسى بالتوراة. وَ أَنْتُمْ ظَالِمُونَ لأنفسكم بشركم. ٥٢- ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ: غفرنا لكم عبادة العجل بعد التوبة و تجاوزنا عن جرمكم لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ تحمدون الله الذى عفا عنكم. ٥٣- وَ إِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ ... أعطينا التوراة وَ الْفُرْقَانَ آياته و معجزاته المفرقة بين الحق و الباطل لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ أملا بأن ترشدوا بما فيه. ٥٤- وَ إِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ ... أذكر يا محمّد يوم خاطب موسى قومه قائلا يا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ أى ارجعوا إلى عبادة خالقكم، و ألقوا عن ذنبكم العظيم. و البارئ من برأ: خلق من

العدم، ومنه البرية أى الخليفة وجمعها البرايا. فَأَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إظهارا للتوبة و فرط الندم. و الظاهر أن التائب كان يقتل نفسه إما بأن يباشر المرء قتل نفسه، وإما بأن يقاتل العبد فيقتل بعضهم بعضا حتى يجيء أمر الله بقبول التوبة فيرفعوا اليد عن المقاتلة بعدها ذلكم أى قتل أنفسكم توبة و ندما خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ أَحْسَنَ بِنَظَرِ خَالِقِكُمْ مِنْ بَقَائِكُمْ أَيَّامًا قَلِيلَةً فِي الدُّنْيَا تَمُوتُونَ بَعْدَهَا فَتَخْلَدُونَ فِي النَّارِ .. و فى ذكر لفظة (بارئكم) مرة ثانية تقرير لبنى إسرائيل على تركهم عبادة الباري إلى عبادة العجل. و إذ فعلتم ذلك فَتَابَ عَلَيْكُمْ و يحتمل أن تكون هذه الجملة من قول موسى (ع). و التقدير: ما زلت قد فعلتم ما أمركم ربكم فقد تاب عليكم. إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ القابل للتوبة مرة بعد مرة. ٥٥- وَ إِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ. لَنْ نَصَدَّقَكَ وَ نَعْتَرِفَ بِنُبُوتِكَ وَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَرْسَلَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً نَظَرَ إِلَيْهِ عَيَانًا وَ عَلَنًا. فَأَخَذْتُكُمْ الصَّاعِقَةَ وَ أَنْتُمْ تَنْتَظِرُونَ ذَلِكَ أَنَّهُمْ سَأَلُوا أَمْرًا عَظِيمًا عِنْدَهُ سُبْحَانَهُ إِذْ طَلَبُوا رُؤْيَاهُ مَعَ أَنَّ الْمَرْتِيَّ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ مُوَاجِهاً وَ أَنْ يَكُونَ جَسَماً وَ هَذَا مُحَالٌ بِحَقِّهِ تَعَالَى. فَأَخَذْتَهُمُ الصَّاعِقَةَ السَّمَاوِيَّةَ بَغْتَةً لَخَطْوَرَةٍ مَا رَغِبُوا فِيهِ، فَأَحْرَقْتَهُمْ بِلَا مَهْلَةٍ حَرِيقَ اسْتِنْصَالٍ. أَوْ أَنَّهَا كَانَتْ صَيْحَةً عَذَابٍ، أَوْ قَصْفَ رَعْدٍ مَهْلِكٍ، فَمَاتُوا فِي الْحَالِ الَّتِي هُمْ عَلَيْهَا وَ هُمْ يَنْظُرُونَ إِلَى الصَّاعِقَةِ تَنْزِلَ عَلَيْهِمْ. ٥٦- ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ ... أَى أَحْيَيْنَاكُمْ. بَعْدَ الْمَوْتِ. لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ تَحْمَدُونَ اللَّهَ عَلَى إِحْيَائِكُمْ بَعْدَ إِمَاتَتِكُمْ بِالصَّاعِقَةِ. ٥٧- وَ ظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ ... بِسُطْنَا عَلَيْكُمْ ظِلَّ الْغَمَامِ فِي صَحْرَاءِ التِّيهِ، وَ جَعَلْنَا فَوْقَ رُؤُوسِكُمْ لِيَقِيَكُمْ حَرَّ الشَّمْسِ وَ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ يَقَالُ إِنَّهُ كَانَ كَالصِّمْغِ يَسْقُطُ عَلَى الْأَشْجَارِ. وَ هُوَ الَّذِي مِنَ الشَّهْدِ وَ أَنْصَعُ مِنَ الثَّلْجِ وَ السَّلْوَى الطَّيْرُ الدَّسَمُ المعروف، وَ هُوَ مِنْ أَطْيَبِ الطُّيُورِ. وَ قِيلَ إِنَّهُ كَانَ يَنْزِلُ عَلَيْهِمْ مَشْوِيًا عِنْدَ الْعِشَاءِ فَإِذَا أَكَلُوا وَ شَبِعُوا مِنْهُ رَفَعَهُ. كُلُّوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ يَعْنِي قَلْنَا لَهُمْ. كُلُوا مِنْ هَذَا الْمَبَاحِ اللَّذِيزِ. وَ مَا ظَلَمُونَا لَمْ يَلْحَقُوا بِنَا ظُلْمًا بِكَفَرِهِمْ هَذِهِ النِّعَمَ وَ تَبْدِيلَ الْكَفْرِ بِالشُّكْرِ وَ لَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ يَضُرُّونَهَا وَ يَجْحَفُونَ بِحَقِّهَا. ٥٨- وَ إِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ ... أَى بَيْتَ الْمَقْدَسِ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى فِي مَكَانٍ آخَرَ: ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ بَعْدَ خِلَاصِهِمْ مِنَ التِّيهِ. فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا كُلُوا مَا أَرَدْتُمْ مِنْ أَنْوَاعِ الْأَطْعَمَةِ أَكَلًا رَغَدًا: وَاسْعَا هُنَا. وَ ادْخُلُوا الْبَابَ مَدْخَلَ الْقَرْيَةِ أَوْ الْقَبَّةِ الَّتِي كَانُوا يَصْلُونَ إِلَيْهَا سُبْحًا خَاضِعِينَ سَاجِدِينَ شُكْرًا لِلَّهِ وَ قَوْلُوا حِطَّةً مِنْ حِطِّ الْحَمْلِ عَنْ ظَهْرِ الدَّائِيَةِ: أَنْزَلَهُ. يَعْنِي: قَوْلُوا حَالِ سَجُودِكُمْ: نَرْجُو أَنْ يَكُونَ فَعَلْنَا سَبِيحًا لِحِطِّ ذُنُوبِنَا وَ كَفَّارَةً لَخَطَايَانَا. فَإِذَا قُلْتُمْ ذَلِكَ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ نَتَجَاوَزُ عَنْ ذُنُوبِكُمُ السَّالِفَةِ، وَ سَيَتَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ مَعَ الْمَغْفِرَةِ زِيَادَةً أَجْرًا، وَ نَكْثَرُ لِمَنْ أَطَاعَ وَ أَحْسَنَ مِنْكُمْ. ٥٩- فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ ... أَى غَيَّرُوا، وَ وَضَعُوا مَكَانَ الدَّعَاءِ بِحِطِّ الذُّنُوبِ قَوْلًا غَيْرَهُ كَقَوْلِ بَعْضِهِمْ: حَنْطُهُ، اسْتَهْزَاءٌ بِالتَّكْلِيفِ! وَ قِيلَ إِنْ بَعْضُهُمْ وَضَعَ مَكَانَ السَّجْدَةِ الزَّحْفَ عَلَى اسْتِهْزَاءٍ نَحْوِ الْبَابِ، سَخِرِيَهُ وَ اسْتَخْفَافًا بِأَمْرِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ! فَأَنْزَلْنَا إِرْشَادَ الْأُذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ١٥ عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا عَتَاوًا وَ لَمْ يَنْقَادُوا لِمُوسَى (ع) فِي الْأَقْوَالِ وَ لَا- فِي الْأَفْعَالِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ عَذَابًا مُقَدَّرًا، قِيلَ إِنَّهُ الطَّاعُونَ الَّذِي مَاتَ فِيهِ أَرْبَعَةٌ وَ عِشْرُونَ أَلْفًا فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ، وَ قِيلَ مَائَةٌ وَ عِشْرُونَ أَلْفًا! بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ أَى بِسَبَبِ فَسَقِهِمُ الَّذِي كَانُوا لَا يَرْجِعُونَ عَنْهُ وَ لَوْ عَاشُوا أَبَدَ الدَّهْرِ .. ٦٠- وَ إِذِ اسْتَشْفَى مُوسَى لِقَوْمِهِ ... تَذَكَّرَ يَا مُحَمَّدُ حِينَ سَأَلَ مُوسَى قَوْمَهُ الْمَاءَ لَمَّا عَطَشُوا فِي التِّيهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ عَصَاهُ. هِيَ الْعَصَا الَّتِي دَفَعَهَا إِلَيْهِ شُعَيْبُ (ع)، وَ كَانَتْ مِنْ آسِ الْجَنَّةِ أَهْبَطَهَا آدَمُ مَعَهُ. وَ «الْحَجَرُ»: حَجَرٌ طَوْرِيٌّ مَرِيعٌ تَنْبَعُ مِنْ كُلِّ وَجْهِ مِنْهُ ثَلَاثُ أَعْيُنٍ، فَلِكُلِّ سَبْطٍ تَسِيلُ عَيْنٌ فِي جَدُولٍ يَسْتَقُونَ مِنْهُ. فَأَنْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ لِكُلِّ سَبْطٍ عَيْنُهُ كُلُّوا وَ اشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ نِعْمَةُ الْجَزِيلَةِ كَالْمِنْ وَ السِّلْوَى وَ مَاءُ الْحَجَرِ وَ لَا تَعْتَوُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ لَا تَطْغَوْا فِيهَا وَ تَظْهَرُوا الْفُسَادَ. ٦١- وَ إِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ ... أَى لَا صَبْرَ لَنَا عَلَى نَوْعٍ وَاحِدٍ مِنَ الطَّعَامِ الَّذِي هُوَ الْمِنْ وَ السِّلْوَى دُونَ غَيْرِهِمَا. فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ اطْلُبْ مِنْهُ لِأَجْلِنَا يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا أَى خَضَرُهَا وَ أَطْيَبِ أَنْوَاعِهَا. وَ قَتَائِهَا النَّبَاتُ الْمَعْرُوفُ الَّذِي ثَمَرُهُ يَشْبَهُ ثَمَرَ الْخِيَارِ وَ قَوْمُهَا الْقَوْمُ هُوَ الثُّومُ وَ عَدَسَتُهَا وَ بَصَلُهَا وَ هُمَا مَعْرُوفَانِ قَالَ أَوْ تَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَذْنَى أَوْ تَطْلُبُونَ تَغْيِيرَ الطَّعَامِ الْأَقْرَبَ مَكَانَهُ، وَ الْأَسْهَلَ تَنَاوُلًا وَ الْأَقْلَ كَلْفَةً؟، بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَحْسَنَ وَ أَرْفَعُ مَنَزَلَةً، وَ أَطْيَبُ طَعْمًا، وَ أَبْعَدُ عَنِ الْكَدِّ وَ التَّعَبِ بِسَبِيلِهِ؟. أَهْبَطُوا مِضِرًّا أَى أَنْزَلُوا مِصْرًا مِنَ الْأَمْصَارِ: أَى بِلَدًا مِنَ الْبِلَادِ، لَا مِصْرَ فَرَعُونَ الَّتِي خَرَجُوا مِنْهَا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ حَيْثُ تَجِدُونَ مَا طَلَبْتُمْ مِنْ تَغْيِيرِ النِّعْمَةِ بِأَدُونِهَا وَ أَحْسَنِهَا. وَ ضَرِبَتْ عَلَيْهِمُ الدَّلَّةُ وَ الْمَسِيكَةُ وَ هَذِهِ مِنَ الْأَخْبَارِ

الغيبية التي ظهرت آثارها على اليهود من زوال ملكهم حتى أيا منا هذه، و ستبقى إلى الأبد بلا ريب. و الذلة: هي الهوان. و ضربت: جعلت و المسكنة: أثر الفقر من السكون و الخزي. وَ بَاؤُ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ رَجَعُوا بَعْدَ صِفَاتِهِمْ هَذِهِ كُلَّهَا مَغْضُوبًا عَلَيْهِمْ مَلْعُونِينَ مُسْتَحَقِّينَ لِلْغَضَبِ وَاللَّعْنِ. ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَنْكُرُونَهَا، وَ الثَّانِي أَنَّهُمْ كَانُوا لَا يَتَوَرَّعُونَ عَنِ الْوُقُوفِ فِي وَجْهِ دَعْوَةِ اللَّهِ وَ يَقْتُلُونَ النَّبِيَّ بِغَيْرِ الْحَقِّ كَزَكْرِيَّا وَ يَحْيَى، ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَ كَانُوا يَعْتَدُونَ ذَلِكَ: إشارة إلى ما ذكر من كفرهم و عصيانهم و استهزائهم بالله و ملائكته و رسله و كتبه. ٦٢- إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ... قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَ لَمْ تَوْثِقْ قُلُوبَهُمْ مِمَّنْ حَوْلَكَ يَا مَحْمَدُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ. وَ الَّذِينَ هَادُوا دَخَلُوا فِي الْيَهُودِيَّةِ. وَ هَادُ بِمَعْنَى رَجَعَ إِلَى الْحَقِّ وَ تَابَ. وَ سَمَّوْا يَهُودًا لِتَوْبَتِهِمْ وَ رَجوعِهِمْ عَنِ عِبَادَةِ الْعَجَلِ. وَ النَّصَارَى جَمَعَ نَصْرَانٍ، كَسَكَارَى وَ سَكَرَانٍ. دَعَا بِهَذَا الْأَسْمِ إِمَّا لِأَنَّهُمْ تَنَاصَرُوا فِيهِمَا بَيْنَهُمْ، أَوْ لِأَنَّهُمْ تَنَاصَرُوا إِلَى قَرْيَةِ النَّاصِرَةِ الَّتِي كَانَ يَسْكُنُهَا عِيسَى (ع) بَعْدَ دَعْوَتِهِ مَعَ أُمِّهِ مِنْ مِصْرَ أَوْ هُوَ مَأْخُذٌ مِنْ قَوْلِهِ: مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ لَهُ الْحَوَارِيُّونَ: نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ. وَ الصَّابِئِينَ وَ هُمُ جِيلٌ صَبَا إِلَى دِينِ اللَّهِ أَيْ: مَالُوا، وَ هُمُ كَاذِبُونَ فِي دَعْوَاهُمْ. أَوْ- كَمَا قِيلَ- كَانُوا يَعْبُدُونَ الْكَوَاكِبَ أَوْ الْمَلَائِكَةَ، مِنْ: صَبَأٌ إِذَا خَرَجَ. أَوْ أَنَّهُمْ مِنْ صَبَا: مَالٌ، وَ قَدْ مَالُوا عَنْ جَمِيعِ الْأَدْيَانِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ صَدَّقَ بِاللَّهِ وَ بِالْبَعْثِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَ نَزَعَ عَنْ كُفْرِهِ مِنْ هَؤُلَاءِ وَ عَمِلَ صَالِحًا فَعَلَ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ بِهِ خَالِصًا عَنِ الشَّوَابِ، لَا يَبْغِي إِلَّا رِضَى الرَّبِّ فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ ثَوَابُهُمْ الَّذِي يَسْتَوْجِبُونَهُ عَلَى الْإِيمَانِ الْكَامِلِ الْخَالِصِ مِنْ كُلِّ مَا كَرِهَهُ اللَّهُ وَ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَ لَا هُمْ يَخْزَنُونَ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ فِي الْآخِرَةِ وَ لَا يَحْزَنُونَ عَلَى الدُّنْيَا، وَ يَنْجُونَ مِنَ هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ اللَّذَيْنِ قَدْ يَعْضِضَانِ لِكُلِّ أَحَدٍ. ٦٣- وَ إِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ ... أَيْ اذْكُرُوا الْعَهْدَ الَّذِي أَخَذْنَاهُ عَلَيْكُمْ بِالْعَمَلِ بِمَا فِي التَّوْرَةِ مِنَ التَّكْلِيفِ، وَ مِنَ الْاعْتِرَافِ بِنَبْوَةِ مُحَمَّدٍ (ص) وَ رَفَعْنَا فَوْقَكُمْ الطُّورَ وَ هُوَ جَبَلٌ فِي صَحْرَاءِ التِّيهِ بِسِينَاء. خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ أَقْبَلُوهُ. وَ «مَا» مَوْصُولٌ يَعْنِي التَّوْرَةَ. بِقُوَّةِ أَيْ بِجَدِّ وَ إِيْمَانٍ صَادِقٍ. وَ اذْكُرُوا مَا فِيهِ أَيْ لَا تَنْسُوا مَا فِي التَّوْرَةِ وَ اَعْمَلُوا بِمُوجِبِهَا وَ لَا تَغْفُلُوا شَيْئًا مِنْهَا لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ لَكِي تَتَجَنَّبُوا عَذَابِي وَ تَتَّقُونِي وَ تَخَافُوا عِقَابِي. ٦٤- ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ ... أَيْ: إِرْشَادُ الْأَذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ١٦ أَعْرَضْتُمْ عَنِ الْعَهْدِ وَ الْمِيثَاقِ وَ الْوَفَاءِ بِهِمَا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ بَعْدَ أَخْذِكُمْ مَا عَاهَدْتُمْ عَلَيْهِ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ لَوْلَا- تَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ بِقَبُولِ التَّوْبَةِ، وَ إِمْهَالِهِ لَكُمْ بَعْدَ أَنْ رَاجَعْتُمُوهُ فِيمَا فَرَضَ عَلَيْكُمْ، وَ رَحْمَتِهِ الَّتِي شَمَلَتْكُمْ بِإِنْعَامِهِ عَلَيْكُمْ بِالْإِسْلَامِ لَوْلَا ذَلِكَ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ مَعَ مَنْ خَسِرَ مِنَ الَّذِينَ لَمْ يَوْفُقُوا لِلتَّوْبَةِ وَ لَا لِلْإِقْرَارِ بِمُحَمَّدٍ (ص) بَعْدَ ظُهُورِ دَعْوَتِهِ. ٦٥- وَ لَقَدْ عَلِمْتُمْ الَّذِينَ اغْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ ... عَرَفْتُمْ الَّذِينَ تَجَاوَزُوا حُدُودَ مَا شَرَعَ لَهُمْ مِنَ النَّهْيِ عَنْ صَيْدِ الْحَيْتَانِ يَوْمَ السَّبْتِ. فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ فَجَعَلَهُمْ- بِالْمَسْخِ- قِرَدَةً مُبْعِدِينَ عَنْ رَحْمَتِهِ فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ. ٦٦- فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا: الضَّمِيرُ فِي جَعَلْنَا يَعُودُ إِلَى الْأُمَةِ الَّتِي مَسَخَتْ قِرَدَةً. وَ هُمُ أَهْلُ أَيْلَةٍ، الْقَرْيَةُ الَّتِي عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ. وَ قِيلَ إِنَّهُ قَصْدُ الْمَسْخِ وَ الْقِرْدِيَّةِ نَكَالًا عِقَابَهُ لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا لِمَنْ حَضَرَهَا وَ شَهِدَهَا وَ مَا خَلْفَهَا وَ لِمَنْ يَأْتِي بَعْدَهَا مِنَ الْأُمَمِ. وَ مَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ أَيْ أَنَّهَا نَصَحَ وَ تَذَكَّرَ لِمَنْ كَانَ مُتَّقِيًا مِنْهُمْ أَوْ مِنْ غَيْرِهِمْ. ٦٧- وَ إِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ ... اذْكُرُوا- يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ- يَوْمَ قَالَ مُوسَى لِيَهُودِ عَصْرَهُ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً وَ سَبَبُ الْأَمْرِ بِذَبْحِهَا: أَنَّ رَجُلًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَتَلَ قَرَابَةً لَهُ، ثُمَّ أَخَذَهُ وَ طَرَحَهُ عَلَى طَرِيقٍ أَفْضَلَ سَبَطَ مِنْ أَسْبَاطِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، ثُمَّ جَاءَ يَطْلُبُ بَدْمَهُ. فَقَالُوا لِمُوسَى: سَبَطَ آلُ فُلَانٍ قَتَلَ فَأَخْبَرْنَا مِنْ قَتْلِهِ. فَقَالَ (ع): «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً» ائْتُونِي بِبَقَرَةٍ، قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُؤًا أَيْ تَسْتَهْزِئُ وَ تَسْخَرُ مِنَّا؟ قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ اسْتَعَاذَ بِهِ تَعَالَى مِنْ أَنْ يَسْخَرَ وَ يَسْتَهْزِئَ. وَ لَوْ أَنَّهُمْ عَمِدُوا إِلَى بَقَرَةٍ أَجْزَأَهُمْ، وَ لَكُنْتُمْ شَدَّدُوا فَشَدَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ. ٦٨- قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ ... سَلْ رَبَّكَ لِأَجْلِنَا يُبَيِّنَ لَنَا مَا هِيَ وَ مَا صِفَتُهَا لِنَمْتَثِلَ أَمْرِهِ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ بَعْدَ مَا سَأَلْتَهُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَ لَا بَكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ أَيْ أَنَّهَا لَا مَسَّةَ وَ لَا فَتِيَّةَ بَلْ هِيَ وَسْطُ بَيْنَهُمَا. فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ فَفَعَلُوا مَا أَمَرَكَمُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ. ٦٩- قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لُونُهَا ... سَأَلُوا عَنْ لَوْنِهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءٌ فَاقِعٌ لَوْنُهَا صَفْرَاءٌ شَدِيدَةُ الصَّفَرِ حَتَّى قَرْنُهَا وَ ظَلْفُهَا تَسْرُ النَّاطِرِينَ تَرْتَاحُ نَفْسُ النَّاطِرِينَ إِلَيْهَا. ٧٠- قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ ... سَأَلُوهُ أَنْ يَسْأَلَ رَبَّهُ يُبَيِّنَ لَنَا مَا هِيَ تَكَرِيرًا لِزِيَادَةِ الْاسْتِضَاحِ وَ بَيَانًا لِكثْرَةِ لَجَاجِهِمْ وَ شِدَّةِ خُصُومَتِهِمْ مَعَ نَبِيِّهِمْ (ع) فَقَالُوا: إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا أَيْ اشْتَبَهَتْ صِفَتُهُ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ بِهَا. وَ إِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ إِلَى صِفَتِهَا بِتَعْرِيفِ اللَّهِ. ٧١- قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ ...

أجاب موسى (ع) أن الله تعالى يقول إنها لا ذلُولُ تُبَيِّرُ الْأَرْضَ لَمْ تَذَلِّ بحراثته الأرض و قلبها بالفلاحة و بأظلافها و لا تَسْقِي الْحَرْثَ و ليست من النواضع التي تدير النواير فتسقى الزرع مُسَلَّمَةً لا شَيْءَ فِيهَا سَلِيمٌ من العيوب، لا وضح فيها و لا لون يخالط لونها. قالوا الآن جِئْتُ بِالْحَقِّ أى ظهرت حقيقة صفاتها. فلمّا تَمَّت صفات البقرة اشتروها فذَبَحُوهَا و ما كَادُوا يَفْعَلُونَ أى فعلوا ذلك ببطء و كانوا يريدون أن لا يفعلوا ذلك: إمّا لغلاء ثمنها. و إمّا خوف فضيحة القاتل، و إمّا لجاجا فى العناد كما هى عادتهم. ٧٢- و إِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا ... خطوب الجميع لوجود القتل فيهم أو لمداهنه غير المباشرين معهم، الكاشفة عن رضاهم بفعلهم، لكون القاتل معلوما عند أكثرهم من القرائن. فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا أى تدافعتم فدفعت كلّ مَتَّهِمِ التَّهْمَةَ عن نفسه و الله مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ أى مظهره و مبرزه. ٧٣- فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِنَعْصَةٍهَا ... أى خذوا جزءا من البقرة التي ذبحتوها، كذبها أو فخذها أو لسانها، ثم اضربوا القاتل به فإنه يحيا و يخبر بقاتله. و هكذا كان. كَذَلِكَ يُخَيِّ اللَّهُ الْمَوْتَى أى يعيد لهم الحياة. و هو خطاب منه سبحانه لمشركى قريش و غيرهم يبيّن فيه سهوله البعث. و يُرِيكُمْ آيَاتِهِ دلائل قدرته و أعلام الدلالة على صدق محمد (ص) لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ تفكّرون و تستعملون عقولكم كيلا تكونوا كمن لا عقل له. ٧٤- ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ ... خلت من اللين و الرحمة و تصلبت من بعيد ذلك أى بعد إحياء القاتل. فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ فى صلابتها و عدم لينها أو أَشَدُّ قَسْوَةً من الحجارة و لم يقل سبحانه: أقسى، بل قال: أشد لأنها أبلغ فى إظهار القسوة، و قد بيّن تلك الأشدية بقوله: وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ١٧ لأنّها أى من الحجارة ما هو أنفع للناس منكم لأنفسكم. فمن الحجارة ما ينبع منه الماء و تفيض العيون و إِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشْقَقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ و إِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ينزل و يتردى من أعالي الجبال خشية و انقيادا و خضوعا و خوفا من الله و مَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ أيها المكذّبون بآياتي، الجاحدون لنبوة خاتم رسلى محمد (ص). ٧٥- أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ ... الخطاب للنبي (ص)، و لصحبه. يعنى: هل أنتم تحرصون و ترغبون بأن يؤمن لكم هؤلاء اليهود، و يصدقوا بالنبي و كتابه و يقبلوا ما فيه و قد كان فريقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ فَتَنَهُ، منهم - أسلافهم - كانوا يسمعون كلام الله تعالى على لسان نبيه موسى (ع) فى طور سيناء، و كانوا يفهمون أوامره و نواهيه و جميع مواعظه و نصائحه، ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعِيدٍ ما عَقَلُوهُ يغيرونه و يحولونه عن حقيقته، و يؤولونه وفق ميولهم بعد أن كانوا قد فهموا المراد منه. وَ هُمْ يَعْلَمُونَ علما وجدانيا أنهم مفترون كذبة فيما ينقلونه لأصحابهم من صفات محمد (ص) و موعد بعثته. ٧٦- وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا ... بمحمد (ص) و برسالته قالوا أى قال هؤلاء المنافقون: آمَنَّا صدقنا بأن محمدا (ص) على الحق و أنه المبشر به فى التوراة. و إِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أ تُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحِاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ جمعهم خلوة مع أقرانهم من منافقى اليهود - بعيدا عنكم - قال المنافقون لأندادهم ممن قابلوا المؤمنين: لم حدثتم المؤمنين بمحمد بما بيّن الله لكم فى التوراة من صفاته؟. و لم أخبرتموهم بذلك و فتحتم لهم باب الاحتجاج عليكم و علينا - اليوم و فى يوم القيامة - حين أظهرتم لهم ما نطق به كتابكم أ فلا تَعْقِلُونَ و تدركون أن الذى اعترفت به لهم، صار حجة فى يدهم علينا جميعا عند ربنا! ٧٧- أ و لا- يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ ... أ فلا يعرف اليهود القائلون لإخوانهم: أ تحدّثونهم بالحق ليحاجوكم به أن الله يعرف ما يُسَيِّرُونَ ما تحكونه فى سرّكم، و ما تضمرونه من عداوة محمد و ما يُغْلِبُونَ من إيمانكم الكاذب لأنكم تظهرون الإيمان و تبطنون الكفر .. ٧٨- وَ مِنْهُمْ أُمِّيُونَ ... جاهلون للقراءة و الكتابة لا- يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ أى التوراة إلّا أمانى جمع: أمانة، و هى التعليل بالكذب، فهم لا يعرفون من التوراة إلّا أكاذيب أحبارهم المختلفة و إن هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ بما يقدلون به رؤساءهم. ٧٩- فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ... الويل: حلول الشر. و الهلاك. أو أدنى و أسوأ بقاع جهنم، و المراد بالذين يكتبون الكتاب: اليهود. أى الذين يكتبون التوراة المحرّفة، بأيديهم - تأكيدا، كما يقال: رآه بعينه، و سمعه بأذنه. ثُمَّ يَقُولُونَ هذا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ و ذلك أنهم كتبوا صفات النبي (ص) عن التوراة بعد ما حرّفوها، ثُمَّ نسبوها إلى التوراة المنزلّة. لِيُشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أى ليعتاضوا بما يأخذونه من أعراض الدنيا. كالهدايا و الرشى و الوجاهة، و غير ذلك مما هو قليل زائل مهما كان جليلا. فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَ وَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْتُمُونَ من الحرام، و المعاصى بإزاء هذه المقالات الكاذبة. ٨٠- وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ ... هذا جوابهم لذوى أرحامهم حين سألوهم: لم تفعلون هذا النفاق مع أنكم تتألون غضب الله و سخطه و ستخلدون فى النار؟. فأجابوا قائلين:

ليس الأمر كما تزعمون، و لن يعدبنا الله بالنار إلاً أَيْاماً مَعْدُودَةً كمقدار ما عبدنا العجل - أربعين يوماً - ثم نصير إلى الجنان. قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَى: يا محمد قل لهؤلاء المنافقين: بأى برهان تستدلون على دعواكم الباطلة؟ هل عقدتم مع الله سبحانه عهداً بأن لا يعدبكم إلاً بمقدار ما عبدتم العجل؟ أم تقولون عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ أم تدعون الكذب و تفترون على الله؟ ما ليس لكم به علم. ٨١- بلى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ ... نعم قد تمسكم النار، أنتم و كل مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً عمل عملاً قبيحاً و فعلاً شنيعاً و أَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ طَوْقَهُ من جميع نواحيه. فَأُولَئِكَ أَى المرتكبون للسيئات، الذين تحيط بهم خطاياهم، هم أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ لأن نياتهم فى الدنيا أن لو خلدوا فيها أن يعصوا الله أبداً. ٨٢- وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ... لَمَّا تَوَعَّدَ اللَّهُ الْمُسِيئينَ الْخَاطِئِينَ بالنار، ثنى بوعده الكريم للمؤمنين إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ١٨ الذين يفعلون الواجبات و يلتزمون بالتروك فقال: أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ. ٨٣- وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ... و اذكر يا محمد حيث ألزماهم إزاماً مؤكدا لا تَعْدُونَ إلاً اللَّهُ إخبار معناه التهى، و هو أبلغ من صريحه فكأنه قد سورع إلى امتثاله فأخبر عنه. و بِالْأَوَّلِينَ إِحْسَانًا أَى تحسنون لهما إحساناً. وَ ذِي الْقُرْبَى أَى بذى القربى، تصلونه و تحفظون قربه منكم و اليتامى أن ترأفوا بهم و تعطفوا عليهم و تعاملوهم بالشفقة و الْمَسَاكِينَ و أن تؤتوا المساكين حقوقهم المشروعة لهم. و المسكين بوزن مفعيل من السكون. فكأن الفقر أسكنهم فى بيوتهم أو قعد بهم عن الطلب و أحجلهم و قولوا لِلنَّاسِ حُسْنًا يعنى قولاً- حسناً، بأن تعاملوهم بالخلق الجميل. و أَقِيمُوا الصَّلَاةَ فى أوائل أوقاتها و يتضمن الأمر بإقامتها: إتيانها بجميع شرائطها التى لها دخل فى صحتها و كمالها و آتوا الزَّكَاةَ بإيصالها إلى أهلها على ما فرضه الله سبحانه فى كتابه ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ أَعْرَضْتُمْ أَيُّهَا الْيَهُودُ عَنِ الْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ إلاً قَلِيلًا مِنْكُمْ أَى من أسلم منكم و أنتم مُعْرِضُونَ منصرفون. ٨٤- وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ ... أَى: يا بنى إسرائيل اذكروا حين أخذ العهد على أسلافكم و على من يصل إليه هذا الأمر لا تَشْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ أَى لا يريق بعضكم دماء بعض و لا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أن لا تفعلوا ما يبيح قتلكم و إخراجكم عن بلادكم و أوطانكم. و قد جعل غير الرجل نفسه لا تصاله به أصلاً أو ديناً. ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ اعترفتكم بذلك الميثاق كما اعترف به أسلافكم و أنتم تَشْهَدُونَ على إقرار أسلافكم. ٨٥- ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ ... أَيُّهَا الْمُنَافِقُونَ النَّاكثُونَ الْمُخَاطَبُونَ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ بفعلكم ما يكون سبباً لقتلكم، أو أن المراد: قتل بعضهم بعضاً و تُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَ الْعُدْوَانِ تظاهرون: تتظاهرون أَى تتعاونون عليهم بما هو إثم: أَى قبيح يستحق فاعله اللوم عليه. و العدوان: هو الإفراط فى الظلم و التعدى. و إِنْ يَأْتُواكُمْ أُسَارَى تُفَادَوْهُمْ يعنى أن الذين تخرجونهم من ديارهم، و تتعاونون على ذلك و على ظلمهم و قتلهم، إن أسرههم أعداؤكم أو أعداؤهم تدفعون عنهم فدية للأعداء، من أموالكم، و تأخذونهم من أيديهم بكل قيمة و بكل وسيلة كانتا و هُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ كَرَّرَ سبحانه تحريم إخراجهم من ديارهم لئلا يتوهم تحريم المفاداة. و الضمير فى قوله وَ هُوَ لِلشَّانِ. مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ بصيغة اسم المفعول و رفع قوله إِخْرَاجُهُمْ. أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَ تَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَالذى أوجب المفاداة هو الذى حرم القتل و إخراج العباد من ديارهم. فما بالكم تطيعونه فى بعض و تعصونه فى الآخر؟ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ مِنْكُمْ مَا قِصَاصٌ مِنْ يَفْعَلْ عَمَلَكُمْ إلاً خِزْيٌ فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا أَى ذل بضرب الجزية عليهم مع ما يستبطن ذلك من الهوان. وَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَ مَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ يرجعون إلى عذاب فى الآخرة يتفاوت على قدر مراتب معاصيهم و مخالفتهم له سبحانه. ٨٦- أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ: ابتاعوا حظ الدنيا الفانية و حطامها الزائل، بنعيم الآخرة الباقية الخالدة فلا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ فما لهم فى الآخرة إلاً النار و لا هُمْ يُنصَرُّونَ يعانون و يساعدون بدفع العذاب عنهم. ٨٧- وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ ... أَى التوراة وَ قَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ أَتبعنا به و أرسلنا على أثره الرسل: الأنبياء، واحداً بعد واحد و آتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ أَى المعجزات الواضحة: كإبراء الأكمه و الأبرص، و إحياء الموتى، و الإخبار بالمغيبات. وَ أَيَذُنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَى قُوَّيْنَاهُ به. و يقال إن روح القدس هو جبرائيل (ع). و قيل إنه ملك موكل بحراسة الأنبياء من الحوادث، و إلهامهم العلوم و المعارف، و قيل أيضاً هو الاسم الأعظم الذى به يحيى الموتى و به يحصل تنفيذ سائر الأمور الخارقة للعادة. أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ: ما لكم كلما أرسلنا نبياً لا

يجيئكم بما تحبون استَكْبَرْتُمْ أخذتكم الكبرياء عن اتّباعه وإطاعته فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ كموسى وعيسى عليهما السلام وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ كما فعل أسلافهم. ٨٨- وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ ... أى مغشاة بأغطيّة تحول دون وصول ما تقوله يا محمد لنا. بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ أبعدهم من الخير والرحمة، إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ١٩ وأخزاهم بسبب كفرهم. فَقَلِيلًا ما يُؤْمِنُونَ تصديقهم فى غاية القلّة أما كلمه (ما) فمزيدة، وفائدتها التأكيد لما تدخل عليه. ٨٩- وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ... أراد بالكتاب القرآن مُصِِّدٌ لِمَا مَعَهُمْ أى: التوراة، فإنّ القرآن يصدّق بأنها كتاب سماوى نزل من عند ربّ العالمين وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ أى قبل ظهور محمّد (ص) بالرسالة و الدّعوة، يَشْفَتُحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أى يطلبون الفتح والظفر والنصر على المشركين ويقولون: اللَّهُم انصرنا بالنبيّ المبعوث فى آخر الزمان، الذى نجد وصفه ونعته فى التوراة. فَلَمَّا جَاءَهُمْ ما عَرَفُوا حين أتاهم ما عرفوا من الحقّ المذكور فى كتابهم، وهو نعت محمد (ص) وأوصافه الدّالة عليه وعلى نبوته كَفَرُوا بِهِ أنكروه وجحدوه فَلَعَنَهُ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ المنكرين الذين صاروا مطرودين من رحمة الله. ٩٠- بِشَيْءٍ مَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ ... أى بشئ الشئ شيئا باعوا به أنفسهم. أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ الجملة بيان ل (ما) الموصولة التى فى (بشئما) وهذه هى المخصوصة بالذم. فالله سبحانه ذمّ اليهود وعابهم لكفرهم بما أنزل على موسى بن عمران (ع) من التوراة التى تصدّق محمدا (ص) وتبين أوصافه وعلاماته، و اليهود قد عرفوا ذلك وجحدوه بغيّا أى عدولا عن الحقّ أَنْ يُنْزَلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أى لأنّ ينزل القرآن على محمّد (ص) حيث أبان فيه نبوته، وأظهر فيه، أو به، آيته التى هى معجزته الباقية إلى الأبد. فَبَإُذٍ يَغْضَبُ عَلَى غَضَبٍ رَجَعُوا خَائِبِينَ مستحقّين لغضب فوق غضب. وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ مذلّ. ٩١- وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ... أى صدّقوا بما أنزل على محمد (ص) أو بكل كتاب أنزله على الرسل. قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا أى التوراة وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ ينكرون ما دونه من الكتب السماوية كالإنجيل والقرآن وَهُوَ الْحَقُّ الصّادق الثابت الناسخ لما قبله. مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ ومصدقا: حال مؤكدة من مرجع الضمير فى: وَهُوَ الْحَقُّ، وردّ لمقاتلتهم، لأنّ كفرهم بما يوافق التوراة ويصدّقها- أى القرآن- كفر بها أيضا. قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ أى قل يا محمد لليهود: لو كنتم مؤمنين بالتوراة وبما فيها فلم تقتلوا أنبياء الله فى الأعصار الماضيه مع أن صريح التوراة حرّم قتل النفس المحترمة فكيف بالنفوس المقدّسة، كنفس النبيّين صلوات الله عليهم أجمعين؟. ٩٢- وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ... البيّنات هى الآيات التسع الواضحات التى من أعظمها جعل العصا حيّة، واليد البيضاء. ثُمَّ اتَّخَذْتُمْ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ جعلتم العجل إلها بعد انطلاقه لميقات ربه. وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ لأنفسكم بعبادة العجل. ٩٣- وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ ... ألزمناكم بالعهد على أن تفوا به ولا- تعبدوا إلّا الله ولا- تشركوا به شيئا. وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمْ الطُّورَ: جبل فى صحراء سيناء. خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ أى قلنا لهم: خذوا ما آتيناكم من الدين وأحكامه وفروضة بعزم وثبات واسمّعوا ما أمرتم به سماع طاعة قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا أى سمعنا ما دعانا إليه محمّد (ص) وما أظناه. وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ دخل حبّ العجل فى أعماقهم كما يدخل الصبغ الثوب فيتخلله بكافه أجزائه، وتغلغل فى قلوبهم كتغلغل الشراب فى جوف الظمآن بِكُفْرِهِمْ بسبب كفرهم. قُلْ بِشَيْءٍ مَا يُأْمُرُكُمْ بِهِ إِيْمَانُكُمْ أى التوراة فإنها ليس فيها عبادة عجول ولا- أمر بالكفر بالله إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ بموسى و كتابه كما تزعمون. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٩٤ ٢٠- قُلْ إِنْ كُنْتُمْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ ... أى الجنّة ونعيمها عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً أى مختصة بكم كما زعمتم. مِنْ دُونِ النَّاسِ أى ليست لأحد غيركم من الناس. إِنْ كُنْتُمْ تَعْتَقِدُونَ ذلك فَتَمْنُوا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ فى دعواكم صَادِقِينَ فَإِنَّ مَنْ أَيْقَنَ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَأْنِسُ وَيَشْتَاقُ إِلَيْهَا أَكْثَرَ مِنْ أَى شَيْءٍ وَيَتَمَنَّى الْمَوْتَ أَنَا بعد آن ليخلص من دار العناء والفناء، ويصير إلى دار النعيم والبقاء. ففى التوراة مكتوب: إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ يَتَمَنُّونَ الْمَوْتَ وَلا يرهّبونه. ٩٥- وَلَنْ يَتَمَنَّوهُ أَبَدًا ... جملة نفى وتأييد. فهم لا- يتمنونه إلى الأبد بِمَا قَدَمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ بما أسلفوا من المعاصى وأسباب دخول النار حتما، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ: هذه جملة تضمّن الوعيد لهم لكونهم من الطاغين لما فى دعواهم مما ليس لهم. والكاذب ظالم لنفسه ولغيره. ٩٦- وَلَتَجِدَنَّهِنَّ أَرْحَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ ... أى: يا محمد إنهم- مضافا إلى أنهم لن يتمنوا الموت- هم حريصون على حياة متطاولة أكثر من بقية الناس ممن يئس من الجنّة ونعيمها. وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا إِذَا قِيلَ فِيهَا: مَا فَائِدَةُ قَوْلِهِ تَعَالَى: وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا، وَهُمْ جَمْلَةٌ مِنَ

الناس؟ قلنا: إنما خصّوا بالذكر بعد العموم لأن حرصهم على الحياة أشد من غيرهم، لأنهم لا يؤمنون بالغيب، و يكفرون بالبعث، ولا يرون غير الدنيا داراً أخرى فيها توبيخ شديد لليهود خاصة لأنهم يدعون الإقرار بالجزاء. فحرصهم أشد من حرص المنكرين، فهو إذا يدل على علمهم بأن مصيرهم إلى النار! يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سِنَةٍ أَوْ أَنْ مِنْهُمْ مَنْ يَحِبُّ أَنْ يَعِيشَ أَلْفَ سَنَةٍ. وَمَا هُوَ بِمُزْخَرْجِهِ مِنَ الْعَذَابِ لَيْسَ بِمَبْعَدِهِ عَنْ أَنْ يُعَمَّرَ يَعِيشَ كَثِيرًا وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ يَراهم و يطلع على أعمالهم. ٩٧- قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ ... كَفَنَدِيلَ. وَهُوَ الْأَمِينُ عَلَى الْوَحْيِ لِجَمِيعِ رُسُلِ اللَّهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ. يَأْمُرُ تَعَالَى نَبِيَّهِ أَنْ يَقُولَ لِلْيَهُودِ الَّذِينَ عَادُوا جِبْرَائِيلَ أَنَّهُمْ ظَالِمُونَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ الْقُرْآنَ عَلَى قَلْبِكَ يَا ذَاكَ اللَّهِ وَ مِنْ عِنْدِهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ أَى أَنَّ الْقُرْآنَ يَصَدِّقُ مَا قَبْلَهُ مِنَ الْكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ وَمِنْهَا كِتَابُهُمُ التَّوْرَةُ. وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ هُدًى مِنَ الضَّلَالَةِ، وَبَشْرًا بِمُحَمَّدٍ (ص). ٩٨- مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ ... الْمَرَادُ بِالْعَدَاوَةِ لِلَّهِ مُخَالَفَةُ أَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ، وَالْعِنَادُ فِي إِنْعَامِهِ عَلَى الْمُقَرَّبِينَ مِنْ عِبَادِهِ. أَمَّا الْمَلَائِكَةُ فَلَعَلَّهُمْ مَلَائِكَةُ النَّصْرِ الْمَبْعُوثُونَ لِنَصْرَةِ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ وَإِعَانَتِهِمْ فِي مَوَارِدِ الْحَاجَةِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ أَفْرَادًا بِالذِّكْرِ مَعَ دُخُولِهِمَا فِي الْمَلَائِكَةِ لِفَضْلِهِمَا، فَإِذَا كُنْتُمْ أَيُّهَا الْيَهُودُ أَعْدَاءَ لِهَؤُلَاءِ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ فَإِنَّهُ تَعَالَى عَدُوٌّ لَكُمْ وَلِكُلِّ الْكَافِرِينَ بِسَبَبِ كُفْرِكُمْ، وَسَيَفْعَلُ بِكُمْ جَمِيعًا مَا يَفْعَلُهُ الْعَدُوُّ بِالْعَدُوِّ. ٩٩- وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ... يَا مُحَمَّدُ: قُلْ لَجَمَاعَةِ الْيَهُودِ، قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ آيَاتٍ وَاضِحَاتٍ مِنْ حَيْثُ الدَّلَالَةُ عَلَى صِدْقِ دَعْوَايَ بِأَنِّي نَبِيٌّ مَرْسَلٌ مِنْ قَبْلِهِ، فَانظُرُوا فِيهَا. وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ وَمَا يَجْحَدُ بِهَا إِلَّا الْمَتَمَرِّدُونَ الْخَارِجُونَ عَنْ دِينِ اللَّهِ وَطَاعَتِهِ طَلِبًا لِلرِّيَاسَةِ وَعِنَادًا لِلْحَقِّ. ١٠٠- أَوْ كُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا ... فَمَا بِالْهَمِّ كُلَّمَا وَاثَقُوا مِيثَاقًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ طَرَحُوهُ وَالْقَوَّةُ. وَقَدْ قَالَ «مِنْهُمْ» لِأَنَّ بَعْضَهُمْ لَمْ يَنْقُضِ الْعَهْدَ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ يَعْنِي لَا يُؤْمِنُونَ بِالتَّوْرَةِ وَمَا جَاءَ فِيهَا. ١٠١- وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ... أَى جَاءَ إِلَى الْيَهُودِ. وَالرَّسُولُ هُوَ مُحَمَّدٌ (ص) الَّذِي صَدَّقَ التَّوْرَةَ وَمِنْ جَاءَ بِهَا. وَقِيلَ: هُوَ الْكِتَابُ- أَى الْقُرْآنُ- الْمَرْسَلُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَصَدِيقًا لِلتَّوْرَةِ وَنَبُوءَ مُوسَى (ع)، مَعَ أَنَّهُ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ مِنَ التَّوْرَةِ، وَمَعَ ذَلِكَ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَالفريق يقال لجماعته أكثر من الفرقة، و يطلق على الطائفة. وَ الْمَرَادُ بِهِ هُنَا جَمَاعَةُ الْيَهُودِ الَّذِينَ طَرَحُوا الْقُرْآنَ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَلَمْ يَقْبَلُوهُ وَلَا عَمِلُوا بِهِ. وَبِمَا أَنَّهُمْ نَبَذُوا الْمَصَدَّقَ لِتَوْرَاتِهِمْ فَقَدْ نَبَذُوا التَّوْرَةَ مَعَهُ. وَلِذَا قَالَ بَعْضُ الْمَفْسَّرِينَ: الْكِتَابُ الْمُنْبُذُ هُوَ التَّوْرَةُ. كَمَا أَنَّهُمْ لَا يَغْلُمُونَ بَحِثَ يَتَرَاءَى لِمَنْ يِلَاحِظُهُمْ أَنَّهُمْ لَا يَعْرِفُونَ أَنَّ هَذَا الْكِتَابَ كِتَابُ اللَّهِ، مَعَ أَنَّهُمْ عِلْمُوا ذَلِكَ وَعَانَدُوهُ. إِرْشَادُ الْأَذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ١٠٢ ٢١- وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِكَ سُلَيْمَانَ ... هَذَا عَطَفٌ عَلَى: نَبَذُوا. وَ الْمَرَادُ بِ (مَا) الْمَوْصُولَةُ: كُتُبُ السِّحْرِ وَ الْكُهْنَةُ الَّتِي كَانَتْ تَقْرَأُهَا الشَّيَاطِينُ فِي عَهْدِ سُلَيْمَانَ النَّبِيِّ (ع) وَ زَمَانِ سُلْطَانِهِ. بَلْ زَعَمُوا أَنَّ سُلَيْمَانَ (ع) كَانَ كَافِرًا، وَمَا كَفَّرَ سُلَيْمَانٌ كَمَا ادَّعَى الْيَهُودُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا بِمَا كَتَبَهُ مِنَ السَّحَرِ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السَّحَرَ كَفَرُوا بِسَبَبِ تَعْلِيمِهِمُ النَّاسَ السَّحَرَ. وَمَا أَنْزَلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ عَطَفٌ عَلَى السَّحَرِ أَوْ عَلَى مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ. وَ هَذَا الْمَلَكُانِ أَهْبَطَا إِلَى الْأَرْضِ لِيُعَلِّمَا النَّاسَ السَّحَرَ إظهاراً للفرق بينه وبين المعجزة، وَلِيُعَلِّمَا أَنَّ مُلْكَ سُلَيْمَانَ، لَمْ يَكُنْ قَائِمًا عَلَى السِّحْرِ وَ الشَّعْوَذَةِ، وَلِذَا أَنْزَلَ اللَّهُ الْمَلَائِكَةَ لِيُظَاهِرَا النَّاسَ، لَا لِيُسَحِّرَا النَّاسَ، أَنْزَلَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى بِبَابِلَ مَدِينَةٍ تَقَعُ فِي سَوَادِ الْكُوفَةِ. وَ هُمَا هَارُوتُ وَ مَارُوتُ مَلَكَانِ ظَهَرَا لِلنَّاسِ بِصُورَةٍ بَشَرٍ لِيُعَلِّمَا النَّاسَ. فَشَرَعَا فِي التَّعْلِيمِ وَ الْوَعْظِ وَ النَّصِيحِ كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مَنْ أَحَدٌ حَتَّى يَقُولَا: إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَنْصَحَانِ مَنْ يَعْلَمَانِهِ وَيُخْبِرَانِهِ أَنَّهُمَا ابْتِلَاءٌ مِنَ اللَّهِ وَ اخْتِبَارٌ، ثُمَّ يَنْهِيَانِهِ عَنِ التَّعَلُّمِ إِذَا كَانَ يَرِيدُ أَنْ يَعْمَلَ بِمَا تَعَلَّمَهُ فِي غَيْرِ الْإِتِّجَاهِ الَّذِي أَرَادَهُ اللَّهُ مِمَّا يُوْجِبُ الْكُفْرَ وَ الْجُحُودَ. فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ وَمِمَّا أَنْزَلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَ زَوْجِهِ أَى سَحَرًا يَكُونُ سَبَبًا لِلتَّفْرِيقِ بَيْنَهُمَا. وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ أَى أَنَّ الَّذِينَ يَفْعَلُوا ذَلِكَ لَا يُلْحِقُونَ ضَرَرًا بِأَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ أَى بِأَمْرِهِ وَ مَشِيئَتِهِ وَ رِخْصَتِهِ. وَ يَتَعَلَّمُونَ مَا يَصُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ لِأَنَّهُمْ يَقْصِدُونَ بِهِ الشَّرَّ، وَ الشَّرَّ لَيْسَ بِنَافِعٍ لَهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ أَى أَنَّ الْيَهُودَ عِلْمُوا أَنَّ مِنْ اسْتِبْدَالِ السَّحَرِ بِدِينِهِ أَوْ بِكِتَابِ اللَّهِ، وَ رَهْنِ عَقِيدَتِهِ الدِّينِيَّةِ بِالسَّحَرِ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ لَيْسَ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ حِظٍّ وَلَا نَصِيبٍ وَ لَبِئْسَ مَا شَرُّوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَى بَاعُواهَا بِالْحَقِيرِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ قَايِضُوا الدِّينَ بِالسَّحَرِ، وَ الْآخِرَةَ بِالدُّنْيَا! ١٠٣- وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَ اتَّقَوْا ... أَى الْيَهُودَ أَوْ السَّحَرَةَ، لَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمُحَمَّدٍ

(ص)، و بكتابه المنزل عليه، و تجنبوا المعاصي التي يرتكبونها لَمُتُوبَةً، مِنْ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لو فعلوا ذلك لأُثْبِتُوا مَثُوبَةً هِيَ خير و السحر لا خير فيه. لو كانوا يَعْلَمُونَ يدركون حقيقة الأمر. ١٠٤- يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا ... راع أحوالنا و تلتطف بضعف إدراكنا حتى نفهم ما تقول و تأمرنا به. فقلدهم اليهود و خاطبوا النبي بقولهم: راعنا، و اللفظة بلغتهم العبرانية (راعينا) تعنى سباً و شتماً، و لذلك نهى المؤمنون عن قولها و قُولُوا انْظُرْنَا أَى أَمَهْلَنَا و انتظرنا. ثم أمرهم سبحانه بقوله و اسْمَعُوا حين يأمركم رسول الله بأمر و أطيعوه. و لِلْكَافِرِينَ الْمُتَهَانِينَ بالنبي (ص)، الشاتمين له عِذَابٌ أَلِيمٌ: شديد. ١٠٥- مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ... لَا يَحِبُّ الْكَفَّارُ وَلَا أَهْلَ الْكِتَابِ يَعْنِي أَتْبَاعَ التَّوْرَةِ و الإنجيل، و لَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ و لا يحب المشركون من غير أهل الكتاب أن ينزل عليكم الوحي أو القرآن و جميع المعجزات الدالة على النبوة حسداً و كيدا. و اللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنَ النَّبِيِّ و الهداية لدين الإسلام و اللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ يختار لرسالته بالرحمة و الهداية و التوفيق من يشاء. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٢٢

١٠٦- مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا ... النسخ هو الإلغاء. و قوله ننسها، إما من النسء بالهمز، أى التأخير، أو من الإنساء بمعنى إذهابها عن القلوب و محوها منها. فالمتحصيل أن كل آية نرفع حكمها أو نمحوها من الأذهان نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا للعباد فى أمور دينهم و دنيائهم أو مِثْلَهَا فلا يفوتهم شىء بسبب النسخ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ اعلم أنه تعالى يقدر على النسخ و التبديل و الإتيان بما هو خير مما كان لمصالح العباد و منافعهم. ١٠٧- أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ و الْأَرْضِ ... الاستفهام للتقرير: لا بد أن تعلموا أن الله سبحانه يملك أموركم، و يجريها على ما فيه صلاح دينكم و دنياكم كما أنه تعالى ملكهما و مدبرهما. و مَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ أَى أن من يتولى أموركم هو من أَرْزَمَةِ الْأُمُور طَرَا بيده و هو الله. و لَا- نَصِيرٌ لَا- ناصر قوياً غير الله تعالى. ١٠٨- أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْئَلُوا رَسُولَكُمْ ... بل تقصدون أن تطلبوا من النبي اقتراحاتكم و مختلفاتكم المستحيلة أيها الكفار و اليهود المعاندون، كما سِئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ أَى كما طلب يهود عصره أشياء مستحيلة كروية الله جهرةً و أمثالها و مَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ من أنكر نبوة محمد (ص) فى القرآن و فى التوراة، فإنه قد تبدل الكفر بالإيمان و انحرف عن طريق الحق الموصلة إلى رضوان الله و جنانه. ١٠٩- وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ... أحب كثير منهم، لو يَرُدُّوكُمْ مِنْ بَعِيدِ إيمانكم كُفَّاراً فى إرجاعكم إلى الكفر من بعد الإيمان حَسِداً لكم و رغبة فى زوال هذه النعمة عنكم. مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ منبعثاً عن أنفسهم الضالة، مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ عرفوا أنكم على الحق و أنهم على الباطل فَأَعْفُوا وَاضْرِبُوا اسْلُكُوا معهم سبيل العفو و ترك العقوبة أو التقيح لما كان من عداوتهم، حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ من القتال و أخذ الجزية إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ قادر على الانتقام منهم عاجلاً كما أنه قادر على كل الأمور. ١١٠- وَ أَفِيمُوا الصَّلَاةَ و آتُوا الزَّكَاةَ ... عطف على قوله: و اعفوا و اصفحوا. و مَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ من صلاة أو صدقة تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ تَجِدُونَ ثَوَابَهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ لا يخفى عليه شىء لأنه يرى الأعمال، فلا يضيع عنده شىء. ١١١- وَ قَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى ... هود: جمع هائد أى عائد إلى الله، قالت اليهود: لن يدخل الجنة إلا- من كان هوداً، و قالت النصارى: لن يدخل الجنة إلا من كان نصارى، لكن تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ تلك آمالهم الباطلة قل يا محمد لهؤلاء هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ حجتكم على مقاتلتكم الفاسدة من اختصاصكم بالجنة إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فى دعواكم. ١١٢- بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ ... نعم سيدخل الجنة غيرهم ممن أخلص نفسه لله حينما سمع الحق و هُوَ مُحْسِنٌ موحد فَلَهِ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ ثَوَابُهُ و لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ لَيْسَ عَلَيْهِمْ خَشْيَةٌ حينما يخاف الكافرون مما يشاهدونه يوم الفرع الأكبر و لَا هُمْ يَخْزَنُونَ بل يفرحون لأنهم مبشرون عند موتهم بالجنة. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٢٣ ١١٣- قَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ و قَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ ... إقرار من كل واحد من فريقى أهل الكتاب بأن الآخر ليس على عقيدة صحيحة أو شريعة يعتد بها. وَ هُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ فى حين أنهم يقرأون هذا الكتاب أو الكتب السماوية مطلقاً. كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ أَى مثل ذلك الذى سمعت من تقاويل الفريقين، فعل الجهلة الذين لا علم عندهم و لا كتاب، قالوا لأهل كل دين: ليسوا على شىء! فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فيما كانوا فيه يَخْتَلِفُونَ يحكم بين اليهود و النصارى- يوم الفصل و القضاء- و يريهم الحق و الحقيقة. ١١٤- وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ و سِيعَى فى

خَرَابِهَا: ... لا أحد أظلم ممن منع ذكر الله في أى مسجد من المساجد بالصلاة والتسبيح وسعى في خرابه بالهدم أو التعطيل. أولئك المانعون ما كان لهم أن يَدْخُلُوها إِلَّا خَائِفِينَ من المؤمنين أن يبطشوا بهم ويفتكوا لهم في الدُّنْيَا خِزْيٌ أى قتل وسبى وإبعاد وذلة بضرب الجزية عليهم ولهم في الآخرة عَذَابٌ عَظِيمٌ في نار جهنم بكفرهم وظلمهم. ١١٥- وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ... أى الأرض كلها، لأن كل بقعة من الأرض يصدق عليها أنها مشرق للشمس ومغرب أيضا. فَأَيْنَمَا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهَ اللَّهِ فَأَيْنَمَا تُوْجِهْتُمْ بوجوهكم بأمره فهناك قبلته التى رضىها لكم. إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ وسع فضله كل شئ وأحاط علمه بكل شئ. ١١٦- وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ... قالت النصارى: المسيح ابن الله، وقالت اليهود: عزيز ابن الله، وقال مشركو العرب: الملائكة بنات الله سبحانه تقديسا له وتنزيها عن التولد والولادة، بل له ما فى السماوات والأرض من الملائكة وعزيز والمسيح وغيرهم من موجودات الكون. وهو عز وجل مالك ذلك كله، فالسماوات والأرض ومن فيهن كُلُّ لَه قَانِتُونَ مطيعون متواضعون أذلاء أمام عظمتة، تكويننا وتشريعنا. ١١٧- بَدِيعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ... أى منشئهن لا من شئ وإذا قضى أمرا قدره وحتمه فإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ: كُنْ فَيَكُونُ بلا مهلة بعد أن يريد ويقصد إحداثه. ١١٨- وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ... أى جهلة المشركين ومتجاهلو أهل الكتاب لو لا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ هَلَّا يَكْلَمُنَا اللَّهُ كما كَلَّمَ موسى (ع) أو يوحى إلينا أنك رسوله. أو تأتينا آية تدل على صدقك كالتى جاء بها موسى وعيسى (ع) كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فى الأيام الماضية، قالوا مثل قَوْلِهِمْ وطلبوا أن يكلمهم الله أو أن تأتيتهم آية، بل قال اليهود لنبيهم موسى (ع): أرنا الله جهرة!. و قال النصارى للمسيح (ع): هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء؟. لذلك تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قُلُوبَ اللاحقين أشبهت قلوب السابقين فى العمى والضلالة قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ أى أظهرناها لأرباب اليقين بشكل لا يحتاجون منها لطلب المزيد. ١١٩- إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ... يا محمد أنت فى كل حال متلبس بالحق، وقد بعثناك بوظيفته تبشير للمؤمنين السامعين المطيعين، وإنذار وتحذير لمن عصاك من المخالفين والعاصين. وَلَا تُشْغَلْ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ لا تتحمل مسئولية أحد منهم يوم القيامة. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٢٤ ١٢٠- وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى ... لا يقبلون منك دعوة حتى تتبع ملتتهم دينهم قل مجيبا لهم: إِنَّ هُدَى اللَّهِ أَى الإسلام هُوَ الْهُدَى هو الصراط القويم وما عداه هو الضلال. وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مَيُولَهُمْ إِلَى الْفَاسِدِ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ الوحى المتضمن للقرآن والإسلام ما لك من الله من ولى ولا نصير أى لا يكون لك ولى أمر يحفظك ولا معين يمنعك منه. ١٢١- الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ ... أى المؤمنون من أهل الكتاب، وقيل المراد بهم جماعة قدمت من الحبشة فأسلمت. يَتْلُونَهُ يقرءونه حَقَّ تِلَاوَتِهِ كما أنزل فلا يحرفونه أولئك يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ بِالْكِتَابِ الْمُنَزَّلِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ لأنهم اشتروا الضلالة بالهدى والدنيا بالآخرة. ١٢٢- يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِي ... قد تقدم تفسيرها فى الآية رقم (٤٧). ١٢٣- وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ ... مر تفسيرها فى الرقم ٤٨ سابقا. ١٢٤- وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ... الابتلاء: الاختبار وفسر بذبح ولده والإتمام بتسليمه وعزيمه على الذبح قال تعالى: إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا أى قدوة فى الدين والدنيا. قال إبراهيم ومن ذريتي نسلى؟ قال تعالى: لَا- يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ فَإِنْ مِثَاقِي هَذَا لَا أَضْعُهُ فى عهد ظالم لنفسه ولغيره دل على أن الظالم لا يكون إماما للأمم بحال، ومن هنا اشترطت العصمة فيه. ١٢٥- وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ ... والبيت هو الكعبة مَثَابَةً لِّلنَّاسِ أى مجمعا يحججون إليه ويرجعون عند التوبة وأمن أى موضع أمن يحرم فيه الظلم والقتال. وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى والتقدير قلنا لهم وأمرناهم: اتخذوا لكم مكان صلاة فى مقام إبراهيم (ع)، والمقام، يحتمل أن يكون مكان قيام إبراهيم (ع) لعبادة أعم من الصلاة، ويحتمل أن يكون موضع الحجر الذى قام عليه حين ندائه ودعوته الناس للحج على ما روى، أو حين بنى البيت عند ما أمر هو وابنه ببناؤه ورفع قواعده. وَعَهْدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتَنَا لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ أمرناهما بتطهيره وليس المراد بالتطهير تنظيفه من الأخباث الظاهرة فقط، بل التطهير يعنى تخصيصه بالأنفس الطاهرة الزكية من الأبرار، فى قبال الأنفس الخبيثة القدره من المشركين والكفار!. وقيل إن المراد بالتطهير تطهيره من الأصنام التى كانت معلقة على باب الكعبة وفى جوفها. والطائفون: هم الذين يطوفون حول البيت ويدورون سبعة أشواط تعيدا، والعاكفون: أى المقيمون فيه ليلا- ونهارا للعبادة والرُّكَّع

السجود: هم المصلون. ١٢٦- وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ ... واذكر يا محمد إذ دعا إبراهيم ربه رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا هذا: إشارة للبيت الحرام باعتباره وما حوله، سأل ربه أن يجعله موضع أمن و أمان لكل من دخله. وَازْرُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ أى: أنعم بها عليهم. مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَمَنْ كَفَرَ مَبْتَدَأُ يَتَضَمَّنْ معنى الشرط، وخبره فَأُمْتَعَهُ أَحَبِيهِ زمانا، أو أهبه متاعا و نعيما قَلِيلًا مقصورا على أيام قلائل فى الدنيا. ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ أى ألزمه به و أسوقه إليه عنفا لاستحقاقه له وَبَنَسَ الْمَصِيرُ لأنه مصير سيئ قبيح و عذاب لا ينقطع. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ١٢٧ ٢٥- وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ ... القواعد: جمع القاعدة، و هى من البيت أساسه الذى يبنى عليه. و أبهت القواعد أولا ثم أضيفت للبيت لأن فى التبيين بعد الإبهام تفخيما و إجلالا لشأن المبين رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا: يستفاد من طلب القبول إعطاء الأجر و الثواب على الطاعات إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ السميع لدعائنا العليم بجميع أمورنا ظاهرة و باطنة. ١٢٨- رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ ... أى: صيرنا خالصين لك مصفيين وَ مِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ أى: اجعل بعض نسلنا مخلصين لك. وَ أَرِنَا مَنَاسِكَكَ أى عَرَفْنَا مناسك الحج و عباداته المقررة وَ تَبَّ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ أى اقبل توبتنا و ندمنا إِنَّكَ كثير القبول لتوبة التائبين و واسع الرحمة. ١٢٩- رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ ... دعا ربه أن لا يقطع نعمة الهداية عن الأجيال القادمة فى ذريته بأن يرسل إليهم نبيا مرشدا من نسله (ع) يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ يقرأ عليهم دلائل التوحيد و يعلمهم كتبك السماوية أو القرآن. وَيُزَكِّيهِمْ يَطَهِّرُهُمْ من دنس الشرك إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ العزيز: المنيع الذى لا يغلب، و الحكيم الذى يحكم ما يعمل. ١٣٠- وَمَنْ يَزْغِبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ ... و من يعرض عن دين إبراهيم إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ إلا- من كان فى عقله خفة و فساد. وَ لَقَدْ اضْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا اخترناه فى الدنيا للرسالة و النبوة و هداية الخلق وَ إِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ الفائزين بالدرجات العلى المقربين من الله سبحانه. ١٣١- إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ، قَالَ أَسْلَمْتُ ... أى: اذكر إذ قال الله لإبراهيم انقد لله و أخلص له دينك فأسلم. لِرَبِّ الْعَالَمِينَ باري المخلوقين و رازقهم و مالك أمرهم. ١٣٢- وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ ... أى وصى بملته الشريفة الحنيفة أبناء الأربعة: إسماعيل، و إسحاق، و مدين، و مدان. وَ يَعْقُوبُ أى: و وصى بها يعقوب بنيه الإثنى عشر و هم الأسباط المعروفون. يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ اثبتوا على دين الإسلام حتى آخر رمق من الحياة. و قيل إن اليهود قالوا لرسول الله (ص): أليس تعلم بأن يعقوب أوصى بنيه باليهودية يوم مات؟ فنزل قول الله تعالى: ١٣٣- أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ ... أم: منقطعة بمعنى بل، و همزة الاستفهام هنا للجحد و الإنكار، أى: أبل كنتم؟ فالله سبحانه خاطب أهل الكتاب فقال: أم كنتم شهداء حاضرين حين جاء يعقوب الموت. أى: ما كنتم حضورا إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي بعد موتى قالوا: نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَ إِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَ إِسْمَاعِيلَ وَ إِسْحَاقَ وَ قَدْ عَدَّوْا إِسْمَاعِيلَ (ع) من آبائه لأن العرب تسمى العم أبا إلهها واحداً، وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ أى نعبد الله الواحد الأحد و نحن له مدعون مقررون بالعبودية. ١٣٤- تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ... إن إبراهيم و يعقوب و بنيهما، جماعة قد مضت إلى سبيل ربها. لَهَا مَا كَسَبَتْ وَ لَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ أى لكل أجر عمله خيرا أو شرا. وَ لَا تَسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ أى: يا معشر اليهود لا تؤاخذون بأعمالهم. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ١٣٥ ٢٦- وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى ... أى قالت اليهود: كونوا هودا، و قالت النصارى: كونوا نصارى، تَهْتَدُوا. قُلْ يا محمد: بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا بَل نَتَّبِعْ عقيدته، الحنيفة السهلة التى جاء بها إبراهيم (ع) حتى نهتدى إلى الحق. و حنيفا: حال من إبراهيم، أى مانثلا عن الباطل إلى الحق. و ما كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ بالله منذ خلقه. ١٣٦- قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ ... خطاب للمسلمين بأن يجهروا بعقيدتهم و يظهروا ما تدنوا به. و قد بدأ أولا بالإيمان بالله وحده و ما أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَ مَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَ إِسْمَاعِيلَ وَ إِسْحَاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ الْأَسْبَاطِ ثم ثنى بالإيمان بالقرآن و سائر الكتب السماوية على هؤلاء الأنبياء عليهم السلام. أمَّا الأسباط فهم حفدة يعقوب (ع) و ذرارى آبائه الإثنى عشر. و ما أُوتِيَ مُوسَى وَ عِيسَى أى التوراة و الإنجيل. وَ مَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ المرسلون. و خصَّ موسى و عيسى عليهما السلام بالذكر لأن الاحتجاج موجه على أهل الكتابين. و نحن لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَ لَا نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَ نَكْفُرُ بِبَعْضٍ كأصحاب الكتابين. وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ خاضعون لله منقادون لأوامره. ١٣٧- فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ ... فإذا آمن و سلم هؤلاء الكفرة مثل إيمانكم بالله و رسله و كتبه فَقَدْ اهْتَدَوْا سلكوا طريق الهدى و الرشاد. و

الباء زائدة في: بمثل. وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ أَيْ: وَإِنْ أَعْرَضُوا وَانصَرَفُوا فَإِنَّمَا هُمْ فِي خِلَافٍ لِلْحَقِّ وَعِدَاوَةٌ لِلْمُسْلِمِينَ، وَلَا تَخَفْ يَا مُحَمَّدُ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ سَيَكْفِيكَ أَمْرَهُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ لِدَعَائِكَ الْعَلِيمُ بِتَيْتِكَ. ١٣٨- صَبِغَةُ اللَّهِ ... صَبِغَةُ: مصدر مؤكّد لَامَنَّا بِاللَّهِ، وَهُوَ مَنْصُوبٌ بِمَقْدَرٍ، أَيْ: صَبَغْنَا اللَّهَ بِالْإِيمَانِ صَبِغَةً هِيَ دِينُهُ الَّذِي يَطْبَعُ مَعْتَنَهُ بِمَفَاهِيمِهِ وَهُوَ يُوْثِرُ فِيهِ كَمَا يُوْثِرُ الصَّبْغُ فِي الْجَسْمِ. وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صَبِغَةً أَيْ لَا صَبِغَةَ أَحْسَنَ مِنْ صَبِغَةِ اللَّهِ وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ خَاضِعُونَ مُطِيعُونَ. ١٣٩- قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ ... قَالَ أَهْلُ الْكِتَابِ: إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ كُلَّهُمْ مَنَّا لَا مِنَ الْعَرَبِ عَبْدُهُ الْأَوْتَانِ، فَلَسْتُ بِنَبِيٍّ، فَنَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى رَدًّا وَتَوْبِيخًا لَاعْتِرَاضِهِمْ عَلَى مَشِيتَتِهِ فَكَيْفَ تَجَادِلُونَ فِي أَمْرِ اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَا اخْتِصَاصَ لَهُ بِقَوْمٍ دُونَ قَوْمٍ، وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَسِينَالُ كُلِّ مَنَّا جِزَاءَ عَمَلِهِ إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ بِالْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ. ١٤٠- أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ ... إِلَى قَوْلِهِ: وَالْأَسْبَاطُ ... كَيْفَ تَقُولُونَ: يَا أَهْلَ الْكِتَابِ إِنْ هَؤُلَاءِ الْأَنْبِيَاءُ وَذُرِّيَّتُهُمْ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى فَيَا مُحَمَّدُ قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأَحْوَالِ هَؤُلَاءِ وَحَقِيقَةِ أَمْرِهِمْ أَمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَهُمْ وَأَرْسَلَهُمْ إِلَيْكُمْ. وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ أَيْ لَا أَحَدٌ أَظْلَمُ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ حَيْثُ أَخْفَوْا شَهَادَةَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِبْرَاهِيمَ (ع) بِالْحَنِيفِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ فِي كُلِّ مِنَ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ، وَتَنْزِيهِهِ عَنِ الْيَهُودِيَّةِ وَالنَّصْرَانِيَّةِ. وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ مَطَّلَعٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَهُ مِنَ الْكَيْدِ لِرَسُولِ اللَّهِ (ص)، وَهُوَ غَيْرُ غَافِلٍ عَنْهُمْ. ١٤١- تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ... مَرَّ تَفْسِيرُهَا فِي الْآيَةِ ١٣٤ مِنْ هَذِهِ السُّورَةِ. وَقَدْ كَثُرَتْ تَأْكِيدَاتُكَ لِلزَّجْرِ عَنِ الْإِتِّكَالِ عَلَى فَضَائِلِ الْأَبَاءِ وَالْمَاضِيَيْنِ. إِرْشَادُ الْأَذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ٢٧ ١٤٢- سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ ... السُّفَهَاءُ جَمْعُ سَفِيهِ: خِفَافُ الْحُلُومِ وَالْعُقُولِ، الْمُنْكَرُونَ لِتَغْيِيرِ الْقِبْلَةِ مِنْ مَنَافِقِي الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَسَائِرِ الْمُشْرِكِينَ. وَهِيَ جَمْعُ سَفِيهِ، وَقَدْ قَدِمَ الْجُمْلَةُ الْإِخْبَارِيَّةُ تَوْطِينًا لِلنَّفْسِ وَإِعْدَادًا لِلْجَوَابِ. مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا أَيْ: مَا صَرَفَهُمْ عَنْ قِبْلَةِ بَيْتِ الْمَقْدَسِ الَّتِي كَانُوا يَتَوَجَّهُونَ إِلَيْهَا فِي عِبَادَتِهِمْ لِيَتَّجِهُوا نَحْوَ الْكَعْبَةِ؟ قُلْ: لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَلَهُ الْأَرْضُ كُلُّهَا وَلَا يَخْتَصُّ بِهَ مَكَانٌ دُونَ آخَرَ، وَهُوَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ يَدُلُّ مَنْ يَرِيدُ عَلَى الطَّرِيقِ السَّوِيِّ حَسْبَمَا تَوَجَّهَ حُكْمَتُهُ. ١٤٣- وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ... أَيْ مَقْتَصِدَةً فِي الْأُمُورِ جَمِيعًا. أَوْ عَدَلًا. أَوْ خِيَارًا. لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فِي أَعْمَالِهِمُ الْمَخَالَفَةَ لِلْحَقِّ، فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا بِمَا عَمِلْتُمْ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ. وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا أَيْ وَجْهَ بَيْتِ الْمَقْدَسِ، مَا أَمْرُنَاكَ بِاسْتِقْبَالِهَا أَوَّلًا وَالتَّوَلَّى عَنْهَا آخِرًا. إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ أَيْ لِنَمْتَحِنَ النَّاسَ فَنَرَى التَّابِعَ لَكَ فِي التَّوَجُّهِ نَحْوَ الْكَعْبَةِ أَثْنَاءَ الصَّلَاةِ، مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ أَيْ مِمَّنْ يَرْتَدُّ وَيَرْجِعُ إِلَى قِبْلَةِ آبَائِهِ تَقْلِيدًا لَهُمْ، وَمَعْصِيَةً لَأَمْرِنَا، وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً أَيْ صَلَاتِهِمْ إِلَى الْكَعْبَةِ شَاقَّةً عَلَى الَّذِينَ يَخَالِطُ إِيْمَانَهُمُ الشُّرْكَ بِدَلِيلِ ارْتِدَادِ قَوْمٍ عَنِ الْإِسْلَامِ اسْتِعْظَامًا مِنْهُمْ لِتَرْكِ الْقِبْلَةِ الْأُولَى، وَجَهْلًا مِنْهُمْ بِحُكْمِ اللَّهِ. إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ مِنَ الَّذِينَ وَقَفَهُمُ اللَّهُ لِلْإِسْلَامِ وَدَلَّهُمْ عَلَى حُكْمِهِ، وَارْشَدَهُمْ إِلَى الْمَصْلَحَةِ فِي تَحْوِيلِ الْقِبْلَةِ. وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيْمَانَكُمْ يَجْعَلُ صَلَاتَكُمْ السَّابِقَةَ إِلَى الْقِبْلَةِ الْمَنْسُوخَةِ صَحِيحَةً مَقْبُولَةً كَالصَّلَاةِ إِلَى الْقِبْلَةِ النَّاسِخَةِ، إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ، رَحِيمٌ وَالرَّافَةُ أَشَدُّ الرَّحْمَةِ. ١٤٤- قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ... يُؤَكِّدُ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ يَرَى تَقَلُّبَ: تَحَوُّلَ وَجْهِ رَسُولِهِ مِنْ جِهَةٍ إِلَى جِهَةٍ فِي الْآفَاقِ، مُنْتَظِرًا أَنْ يَحْوِلَ فِي الصَّلَاةِ نَحْوَ الْكَعْبَةِ الَّتِي كَانَتْ قِبْلَةً أَبِيهِ إِبْرَاهِيمَ (ع) وَأَقْدَمَ الْكَعْبَتَيْنِ، وَيَنْتَظِرُهُ فَنَزَلَ عَلَيْهِ فَلَتَوَلَّيْنِكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا أَيْ فَلَنَحْوَلَنَّكَ نَحْوَ قِبْلَةِ تَحِبِّهَا وَتَرْغَبُ فِيهَا قَوْلٌ وَجْهِكَ شَطْرَ الْمَشْرِجِ الْحَرَامِ حَوْلَهُ فِي صَلَاتِكَ نَاحِيَةَ الْكَعْبَةِ مَعَ سَائِرِ مَقَادِيمِ بَدَنِكَ. وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ قُولُوا وَجُوهَكُمْ شَطْرَهُ تَصْرِيحٌ بِعُمُومِ حُكْمِ التَّحْوِيلِ لِجَمِيعِ الْأُمَمِ وَسَائِرِ أَهْلِ الْآفَاقِ. مُشِيرًا إِلَى أَنَّ ذَلِكَ مَعْلُومٌ لَدَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى بِقَوْلِهِ: وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ فَتَحْوِيلُ الْقِبْلَةِ مَذْكُورٌ عَنْدهُمْ، ثَابِتٌ لَدَيْهِمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ. وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ وَهُوَ حَاضِرٌ نَازِلٌ لَمَّا يَفْعَلُونَهُ. ١٤٥- وَلَئِنْ آتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ ... أَيْ وَاللَّهُ إِنْ جِئْتَ يَا مُحَمَّدُ بِأَيِّ بَرَهَانٍ عَلَى دَعْوَاكَ فِي تَحْوِيلِ الْقِبْلَةِ إِلَى الْكَعْبَةِ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ تَحَوَّلُوا إِلَى قِبْلَتِكَ. وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتِهِمْ لِأَنَّكَ مَأْمُورٌ بِالتَّحَوُّلِ عَنْهَا مِنْ قَبْلِ اللَّهِ حَسْمًا لِأَطْمَاعِهِمُ السَّخِيفَةِ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةِ بَعْضٍ لِأَنَّ الْيَهُودَ يَسْتَقْبِلُونَ بَيْتَ الْمَقْدَسِ، وَالنَّصَارَى يَتَّجِهُونَ نَحْوَ مَطْلَعِ الشَّمْسِ. وَكُلُّ مِنْهُمْ ثَابِتٌ عَلَى قِبْلَتِهِ، فَلَا يَرْجَى تَوَافُقُهُمْ كَمَا لَا تَرْجَى مُوَافَقَتَهُمْ لَكَ. وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعِيدٍ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ أَيْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ فِي أَمْرِ قِبْلَتِكَ. إِنَّكَ إِذَا لِمَنِ الظَّالِمِينَ وَقَدْ حَمَلَ أَرْبَابَ

التفسير هذه الآية المباركة على سبيل الفرض و التقدير لمكان عصمته (ص). إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٢٨ ١٤٦- الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ ... من اليهود و النصارى، يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ أَى يعرفون خاتم الأنبياء كمعرفتهم لأولادهم. وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ أَى من أهل الكتاب، لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ لَا يظهرون معرفة محمد (ص) و لا ينشرون صفاته المذكورة فى التوراة و هُمْ يَعْلَمُونَ أَى مع علمهم بها. ١٤٧- الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ ... أَى الذى يكتمونه- و هو الحق- كان من أمر ربك، فبكتمانهم لا يخفى فلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُكْتُمِينَ أَى الشاكين. ١٤٨- لِكُلِّ وَجْهَةٍ هُوَ مُوَلِّيْهَا ... أَى لكل أهل شرع جهه من القبلة مأمورون بأمره بالتوجه إليها سَبَقُوا الْخَيْرَاتِ بادروا إلى الطاعات. يَنْ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعاً أَى فى أَى موضع يدرككم الموت يحشركم الله إليه يوم الجمع بأجمعكم فيجازيكم. نَّ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ قادر على كل شىء. ١٤٩- وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ ... أَى أثناء السفر فى البلاد قَوْلٌ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فأدر وجهك ناحية الكعبة، فى صلاتك و إِنَّهُ لِلْحَقِّ مِنْ رَبِّكَ أَى التوجه إلى الكعبة فى الصلاة، هو الأمر الثابت من عنده تعالى، وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ و فى هذا الكلام تهديد و وعيد بالعقوبة كقوله: إِنَّ رَبَّكَ لَبَالْمُرْصَادِ. ١٥٠- وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ قَوْلٌ ... قيل: كَرَّرَ تأكيداً لأمر القبلة و تثبيتاً للقلوب عن فتنه النسخ ثانياً. وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ و هذا كسابقه كَرَّرَ للتأكيد. و على كل حال فقد كان التكرار لئلا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ و بهذا يرد احتجاج اليهود بأن المنعوت فى التوراة تكون قبلته الكعبة، ثم ترد مقالة المشركين بأنه يخالف قبله إبراهيم (ع) و يدعى أنه على ملته. إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ و ظاهر الاستثناء أنه من الناس فيكون متصلاً أَى لا يكون لأحد عليكم حجة إلا كلام هؤلاء الظالمين. و معناه أن التحول ليس بأمر من الله تعالى بل ميلاً إلى دين آبائه. و إنما سمى قولهم حجة- مع أن الظالم لا يكون له حجة- لأن ما يوردونه هو باعقادهم الفاسد حجة و إن كانت باطلة. فَلَا تَخْشَوْهُمْ، وَ اخْشَوْنِي لَا- تخافوهم فإن مطاعن الظلمة لا تضركم أبداً. و خافونى و لا تخالفوا أوامرى و نواهى إن كنتم مؤمنين حقاً وَ لِأَتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ عطف على: لئلا يكون. و لأكمل نعمتى عليكم ببيان معالم دينكم التى من جملتها تحويلكم إلى الكعبة فى الصلاة. وَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ إلى الحق و إلى أن التحويل إتمام للنعمة. ١٥١- كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ ... أَى كما أتممت عليكم نعمتى بتحويل قبلتكم، كذلك أتممتها عليكم بإرسال رسول منكم إليكم. يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا يقرأها لكم و يفسرها وَ يُزَكِّيْكُمْ أَى يطهركم من أدناس الجاهلية وَ يُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ و الكتاب هو القرآن الكريم، و الحكمة هى الوحي الذى هو السنه الشريفه. وَ يُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ أَى الذى لا- سبيل لكم إلى العلم به إلا من طريق الوحي. ١٥٢- فَادْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ... دعوة إلى عدم الغفلة المؤدية إلى نسيان الله، و ذكره بالطاعات ليدكرنا بمجازاتنا عليها بالنعم و الإحسان. وَ اشْكُرُوا لى أَى على نعمائى قولاً و عملاً. وَ لَا تَكْفُرُونَ بِالْجُودِ و المعصية. و الكفران نقيض الشكر. ١٥٣- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا ... على الآخرة بالصبر بالتجلى على الطاعات و عن الشهوات و قيل الصبر هو الصيام. وَ الصَّلَاةِ و هى معراج المؤمن. إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ بالتوفيق و العون. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٢٩ ١٥٤- وَ لَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتُلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ ... أَى أنهم ماتوا و فاتوا بل أحياء يعنى أنهم أحياء و لكن لا تَشْعُرُونَ لا تدركون ذلك، و لا تفهمون كيف تكون حياتهم. و الآية الشريفه نزلت فى شهداء بدر. ١٥٥- وَ لَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ ... أَى لنختبرنكم بشىء قليل من خوف السلطان بل مطلق الظلمة أو مطلق ما يخاف منه. وَ الْجُوعِ الذى يتولد من القحط أو الجذب. وَ نَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ بإخراج الزكاة أو التلف من الحوادث السماوية و الأرضية وَ الْأَنْفُسِ بالأمراض العارضة و الموت الذريع وَ الثَّمَرَاتِ من الحوادث أو عدم نزول الأمطار وَ بَشَرِ الصَّابِرِينَ الذين يتحملون تلك المشاق و الشدائد الكريهه على الطباع البشرية. ١٥٦- الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ ... فالمؤمنون إذا أصابتهم أتيه بليه قالوا إِنَّا لِلَّهِ و إِنَّا إِلَيْهِ راجعون و الجملة هذه إقرار من العبد بوجود الصانع و بمالكيته و بالبعث. ١٥٧- أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ ... أَى من كانوا على تلك الحال فإن لهم من ربهم مغفرة و ثناء جميلاً وَ رَحْمَةً أَى لطف و إحسان. وَ أُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ أَى المصبيون طريق الحق. ١٥٨- إِنَّ الصَّفا وَ الْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ ... الصفا و المروة مرتفعان بجانب المسجد الحرام يجرى بينهما عمل و هو السعى بكيفية خاصة. و شعائر، مفردا: شعيرة، و هى العلامة. و المراد من شعائر الله هنا شعائر الحج، أى مناسكه و أعماله و معاملته. فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ أَى قصد زيارة بيت الله، سواء أقصده

بأعمال مخصوصة تسمى حجاً أو بأعمال أخرى تسمى عمره. فلا- جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا أَى لا حرج عليه أن يسعى بينهما. و المروءة مما ابتدع أهل الجاهلية فأنزل الله هذه الآية. و إنما قال لا جناح عليه مع أن السعى واجب- و على قول على خلاف فيه- لأنه كان على المرتفعين صنمان يمسحهما المشركون إذا سعوا، فتخرج المسلمون عن الطواف بهما لأجل الصنمين فنزلت الآية. و مَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا أَى تبرع بزيادة على الواجب بعد إتمامه من الطاعات، فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ أَى أنه سبحانه مثيب عليه، و عليم بما يفعلونه.

١٥٩- إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا ... يعنى أحبار اليهود و رهبان النصارى، فإنهم علموا أن محمداً على الحق فأخفوا ذلك، و الحكم يشمل كل من كتم شيئاً من البينات أَى البراهين المنزلة فى الكتب المتقدمة. و الهدى الأدلة العقلية. مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ أَى بعد إيضاحه لهم إتماماً للحجة فى الكتاب التوراة أو جنس الكتاب فيشمل جميعها حتى القرآن. أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَ يَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ اللعن من الله هو الإبعاد من الرحمة و إيجاب العقوبة، و من غيره يكون معنى اللعن: الدعاء عليهم باللعن. ١٦٠- إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا ... أَى أقبلوا عن كتمان ما أنزل الله، و عن المعاصى وَ أَصْلَحُوا أَى صححوا ما أفسدوا وَ بَيَّنُّوا أَى أوضحوا ما بيناه. فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ أَعْفُو عَمَّا قَدْ سَلَفَ مِنْهُمْ وَ أَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ أَى البالغ فى العفو و الإحسان غايتهم. ١٦١- إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ... وجه كفرهم هو رد نبوة محمد (ص) وَ مَا تَوَّاهُ وَ هُمْ كُفَّارُ الْجَمْلَةِ حَالِيَّةٌ تَبَيَّنَ وَصْفُهُمُ الَّذِى كَانُوا عَلَيْهِ وَ مَا تَوَّاهُ عَلَيْهِ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَ الْمَلَائِكَةُ وَ النَّاسُ أَجْمَعِينَ تقدم معنى اللعن من الله و من الناس، و قيل المراد من الناس هنا عام كما قيل بأنه خصوص المؤمنين. ١٦٢- خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ ... أَى باقون أبداً فى جهنم. لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ لَا يضعف و قد يشتد. وَ لَا هُمْ يُنْظَرُونَ لَا يمهلون و لو بمقدار يسع الاعتذار. ١٦٣- وَ إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ ... عن ابن عباس أن كفار قريش قالوا: يا محمد صف لنا ربك و بين لنا نسبه، فأنزل الله سورة الإخلاص و هذه الآية التى دلت على أنه لا إله غيره و لا مثل له و لا ند فى صفة الألوهية. بل إنه واحد فى جميع صفاته التى يستحقها لنفسه. لا إله إلا هو هو تثبت لصفة الألوهية المستفاد من قوله: إلهكم إله واحد. الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ أَى المتصف بصفة الرحمانية جزئية و كلية، أصولاً- و فروعاً، و لا يكون فى عالم الوجود سواه، لأن كل ما سواه إما أن يكون نعمه، و إما أن يكون منعماً عليه ... فقالوا: إن كنت صادقاً فأت بآية نعرف صدقك، فنزلت الآيات الكريمة التالية: إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٣٠ ١٦٤- إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ ... و ما فيهما من العجائب فى دقة نظامهما و تكامل أجزائهما من حيث المنافع و الآثار المترتبة عليها. وَ اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَ النَّهَارِ بتعاقبهما نتيجة جريان الشمس و القمر مع ما ينتج عنه من فصول لكل منها خاصيته، مع اختلافهما بالطول و القصر بشكل دورى. وَ الْقُلُوكِ الَّتِى تَجْرَى فِى الْبَحْرِ يعنى السفن التى تمخر عباب البحار من الاهتداء إلى كيفية صنعها و إعطائها شكلها المتناسب مع الفائدة المتوخاة و المنسجم مع مياه البحار من حيث المد و الجزر و الليل و النهار و وضوح الرؤية و انعدامها و سكونها و هيجانها. بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ يفيدهم من السفر و التجارة و الصيد و غير ذلك وَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ الْمَطَرِ وابلًا كان أو طلاً. فَأَخْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَ ذَلِكَ يَخْرُجُ نَبَاتَاتُهَا وَ تُمِيرُ أَشْجَارُهَا بَعْدَ يَبْسِهَا، وَ تَفْجِيرُ أَنْهَارِهَا، وَ انشقاق عيونها و قنواتها بعد جفافها. وَ بَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ أَى نشر و فرق كل نوع مما يدب و يتحرك على وجه الأرض أو فوقها أو تحتها. وَ تَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ أَى تسييرها و تحويلها من جهة إلى جهة تسوق السحاب أو تنقل اللقاح. وَ السَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ أَى متدلل خاضع للنواميس التى أبدعها له الله، سواء كان واقفاً أو متحركاً. لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ كل ما تضمنته هذه الآية براهين ساطعة على صانع وحيد، لقوم موقنين للتعقل و التأمل فى الكون و الكائنات. ١٦٥- وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً ... أَى أن بعض الناس يتخذ غير الله أمثالا له من الأصنام و الزعماء فيتبعونهم. يُجْبُونَهُمْ يوادونهم و ينقادون لأوامرهم. كَحُبِّ اللَّهِ أَى كما يحب الله. وَ الَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ أَى أن المؤمنين أشد حبا لله من متخذي الأنداد مع الله، لأن المؤمنين لا يعدلون عنه إلى غيره بخلاف المشركين فإنهم يعدلون إلى الله عند الشدائد. وَ لَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا بِشْرَ كَهِمْ إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ حينما يبصرونه يوم القيامة و يرون أن القوة لله جميعاً فيعلمون أن القدرة له تعالى. وَ أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ و جواب لو محذوف أَى: لو رأوا ذلك لما اتخذوا من دون الله أندادا. ١٦٦- إِذْ تَبَرَأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا ... أَى إذ تبرأ المتبوعون، من أتباعهم، وَ رَأَوْا الْعَذَابَ الْوَاقِعَ عَلَيْهِ، أَى: حال رؤيتهم العذاب وَ تَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ

عطف على تبرأ. والحاصل أنه يزول من بينهم كل سبب يصل القريب بقربه والحبیب بحبيبه فلا ينتفعون بشيء من ذلك. ١٦٧- وقال الَّذِينَ اتَّبَعُوا ... أَى الْآتِبَاعِ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً يَا لَيْتَ لَنَا رَجْعَةً إِلَى الدُّنْيَا فَتَنْتَبَهَ مِنْهُمْ أَى الْمَتَّبِعِينَ كَمَا تَبَرَّأْنَا فِي الْآخِرَةِ! ... كَذَلِكَ مَثَلُ مَا رَأَوْا شِدَّةَ عَذَابِهِ وَغَلَبَةَ قُدْرَتِهِ وَتَبَرَّأَ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ. يُرِيدُهُمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسِرَاتٍ عَلَيْهِمْ يَعْنِي أَنَّ أَعْمَالَهُمْ فِي الدُّنْيَا تَنْقَلِبُ عَلَيْهِمْ نَدَامَاتٍ فِي الْآخِرَةِ، وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ نَدَمُوا أَمْ لَمْ يَنْدَمُوا، إِذْ لَا تَنَالُهُمْ رَحْمَةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ. ١٦٨- يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ ... الْخُطَابُ عَامٌّ لَجَمِيعِ الْمَكَلِّفِينَ مِنَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ. وَكُلُوا: لَفْظُهُ أَمْرٌ، وَمَعْنَاهَا الْإِبَاحَةُ. وَ لَفْظُهُ (مَنْ) لِلتَّبَعِضِ، لِأَنَّهُ لَيْسَ جَمِيعٌ مَا فِي الْأَرْضِ قَابِلًا لِلْأَكْلِ إِمَّا خَلْقَهُ وَإِمَّا شَرْعًا، كُلُّهُ حَلَالٌ طَيِّبٌ مَبَاحٌ لَذِيذٌ. وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ لَا تَنْتَصُوا لَوْسَاوَسِهِ وَتَزِينَاتِهِ. إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ وَاضِحُ الْعَدَاوَةِ لِلْإِنْسَانِ فَكَيْفَ يَطِيعُهُ؟ ١٦٩- إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ ... السُّوءُ: الْأَمْرُ الْقَبِيحُ، وَ الْفَحْشَاءُ: مَا تَجَاوَزَ الْحَدَّ فِي الْقَبِيحِ. وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ كَأَنْ يَقُولَ لِلْإِنْسَانِ: هَذَا حَلَالٌ، وَ هَذَا حَرَامٌ، مِنْ دُونِ عِلْمِ بِهِمَا، وَ هُوَ تَجَرَّ عَلَى اللَّهِ. إِرْشَادُ الْأَذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ٣١ ١٧٠- وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ...: أَطِيعُوا كِتَابَ اللَّهِ وَاسْمَعُوا قَوْلَ رَسُولِهِ وَاتَّبِعُوا فِيمَا يَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ مِنَ الْهُدَى قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَى نَحْنُ نَقْلِدُ آبَاءَنَا فِيمَا وَجَدْنَاهُمْ عَلَيْهِ مِنَ الدِّينِ فَإِنَّهُمْ أَبْصَرُوا مِنَّا وَ أَرَسَخُوا إِيْمَانَنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ وَ الْحَالُ أَنَّ آبَاءَهُمْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ شَيْئًا مِنَ الدِّينِ وَلَا يَمِيزُونَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ. ١٧١- وَمِثْلُ الَّذِينَ كَفَرُوا ... الْآيَةُ ... الْمَثَلُ: الْوَصْفُ. وَ النِّعِيقُ صَوْتُ الرَّاعِي لِغَنَمِهِ زَجْرًا، وَ النِّدَاءُ: الْجَهْرُ بِالصَّوْتِ. وَ الْمَعْنَى صَفْتُكَ فِي دَعَاءِ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى الْحَقِّ وَ عَدَمِ تَدْبِيرِهِمْ لَهُ كَالْبَهَائِمِ تَسْمَعُ صَوْتَ رَاعِيهَا مِنْ دُونِ أَنْ تَعْقِلَ شَيْئًا فَهَمْ صَمٌّ لَا يَسْمَعُونَ كَلَامًا يَفِيدُهُمْ بِكُمْ لَا يَتَكَلَّمُونَ بِمَا يَفِيدُ مَعْنَى عَمَى لَا يَبْصُرُونَ طَرِيقَ الْهُدَى. كَمِثْلِ الَّذِي يَنْقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَ نِدَاءً صُمٌّ بَكُمُ عُمَى فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ لِأَنَّ الطَّرِيقَ الْمُؤَدِيَّةَ إِلَى التَّعْقِلِ وَ هِيَ الْحَوَاسِ مُسَدُودَةٌ عَنْهُمْ. ١٧٢- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَسْتَلَذَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنَ النِّعَمِ الطَّيِّبَةِ السَّائِغَةِ. وَ اشْكُرُوا لِلَّهِ أَحْمَدُوهُ عَلَى مَا رَزَقَكُمْ مِنْ نِعْمَةِ الطَّيِّبَةِ إِنَّ كُتُبَكُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ إِنْ كُنْتُمْ تَخْشَوْنَ اللَّهَ بِالْعِبَادَةِ وَ تَقْرُونَ بِأَنَّهُ الْمَنْعَمُ الْحَقِيقِيُّ. ١٧٣- إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ ... أَى أَكْلَهَا وَ هِيَ الَّتِي تَمُوتُ بِلَا تَذَكِّيٍّ وَ الدَّمُ وَ لَحْمُ الْخَنْزِيرِ وَ مَا أَهْلًا بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ الْإِهْلَالُ: رَفْعُ الصَّوْتِ أَى حَرَّمَ أَكْلَ مَا ذَكَرَ اسْمَ الصَّنَمِ أَوْ أَى اسْمَ آخَرَ غَيْرَ اسْمِ اللَّهِ عَلَيْهِ عِنْدَ الذَّبْحِ فَمَنْ اضْطُرَّ أَجْبَأَتْهُ الْحَاجَةُ إِلَى أَكْلِ شَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الْمَحْرَمَاتِ كَمَا لَوْ كَانَتْ مَخْمَصَةٌ أَوْ مَجَاعَةٌ. غَيْرُ بَاغٍ وَ لَا عَادٍ غَيْرُ عَاصٍ لِإِمَامِ الْمُسْلِمِينَ وَ غَيْرِ مُعْتَدٍ بِالْمَعْصِيَةِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ أَى لَا حَرَجَ فِي الْأَكْلِ مِنْ تِلْكَ الْمَحْرَمَاتِ. إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ مُتَجَاوِزٌ عَنْ مَعَاصِي عِبَادِهِ، رَحِيمٌ يَرْفَعُ الْحَرَجَ عَنْهُمْ عِنْدَ الْاضْطِرَارِ. ١٧٤- إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ: مِنْ أَوْصَافِ مُحَمَّدٍ (ص) وَ نُبُوته وَ كَثِيرٌ مِنَ الْمُحَلَّلَاتِ الَّتِي هُمْ حَرَمُوهَا. وَ هُمُ الْيَهُودُ حَيْثُ أَخْفَوْا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى مُوسَى (ع) مِنَ الْكِتَابِ أَى التَّوْرَةِ الَّتِي فِيهَا أَوْصَافُ مُحَمَّدٍ (ص) وَ عَلَائِمُهُ وَ دَلَائِلُ نُبُوته. وَ يَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا مِنْ حَطَامِ الدُّنْيَا أَوْ رِئَاسَاتِهَا الزَّائِلَةِ بَعْدَ قَلِيلٍ. أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ لِأَنَّهَا مَأْلَهُمْ نَتِيجَةٌ مَا فَعَلُوهُ. وَ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِغَضَبِهِ عَلَيْهِمْ وَ لِذَا فَهَمْ لَيْسُوا أَهْلًا لِكَلَامِهِ بِلَا وَاسِطَةٍ. وَ لَا يُزَكِّيهِمْ وَ لَا يَطْهَرُهُمْ مِنْ ذُنُوبِهِمْ بِالْمَغْفَرَةِ لِأَنَّهُمْ لَا يَسْتَحِقُّونَهَا، وَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ مُوجَعٌ لَا يَطَاقُ. ١٧٥- أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى أَى شَرَاوَهُمُ الْكُفْرَ بِالْإِيْمَانِ لِحِفْظِ رِئَاسَاتِهِمُ الدُّنْيَوِيَّةِ. وَ الْمَقْصُودُ بِهِمْ عِلْمَاءُ الْيَهُودِ وَ النَّصَارَى، أَوْ مُطْلَقُ أَهْلِ الضَّلَالَةِ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ رُؤَسَائِهِمْ. وَ الْعَذَابُ بِالْمَغْفَرَةِ أَيْضًا اشْتَرَوْهُ بِكَيْمَانِ الْحَقِّ الَّذِي لَوْ بَيَّنَّه لَنَالُوهَا وَ ذَلِكَ لِأَغْرَاضِهِمُ الْفَاسِدَةَ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ مَا أَشَدَّ صَبْرَهُمْ عَلَى عَمَلِ يَصِيرُهُمْ لَا مُحَالَةً إِلَى النَّارِ. ١٧٦- ذَلِكُمْ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ: أَى أَنْ تَصْيِيرُهُمْ إِلَى النَّارِ بِسَبَبِ أَنَّهُ تَعَالَى نَزَلَ إِلَيْهِمْ كِتَابًا ثَابِتًا فَكَذَّبُوهُ وَ كَتَمُوا مَا فِيهِ جَحْدًا لِلْحَقِّ وَ عِنَادًا لِلنَّبِيِّ (ص) وَ إِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ أَى الْقُرْآنِ فَقَالُوا إِنَّهُ سِحْرٌ أَوْ شَعْرٌ أَوْ كِهَانَةٌ أَوْ أُسَاطِيرٌ أَوْ أَنَّ الْمُرَادَ بِالْكِتَابِ الْجِنْسِ، أَى كَتَبَ اللَّهُ الَّتِي آمَنُوا مِنْهَا بَعْضٌ وَ كَفَرُوا بِبَعْضٍ. لَفِي شَتَاقٍ بَعِيدٍ أَى فِي خِلَافٍ بَعِيدٍ عَنِ الْحَقِّ وَ الْحَقِيقَةِ، لِأَنَّ مَنْ أَوْقَعَ نَفْسَهُ فِي الطَّرِيقِ الْمَخْتَلَفَةِ مَعَ وَضُوحِ الطَّرِيقِ الْمَوْصِلَةِ إِلَى الْمَقْصُودِ يَزِيغُ طَبْعًا عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ، وَ يَضِيعُ عَنْهُ الْمَقْصِدُ. إِرْشَادُ الْأَذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ٣٢ ١٧٧- لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَ الْمَغْرِبِ: أَى لَيْسَ الْعَمَلُ الْحَسَنُ الْمَقْبُولُ مُنْهَضًا فِي أَنْ تَتَوَجَّهُوا فِي الصَّلَاةِ نَحْوَ الشَّرْقِ كَمَا هُوَ دِينُ النَّصَارَى أَوْ نَحْوَ الْغَرْبِ كَمَا هِيَ طَرِيقَةُ الْيَهُودِ، وَ لَكِنَّ

الْبِرِّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ أَى أَنْ الْبِرَّ هُوَ بَرٌّ مِنْ صَدَقَ بِاللَّهِ وَاسْتَمَعَ لَهُ وَأَطَاعَهُ. وَالْيَوْمَ الْآخِرِ الْقِيَامَةِ وَالْمَلَائِكَةُ وَفِيهِ التَّصَدِيقُ بِوُجُودِهِمْ وَأَنَّهُمْ عِبَادُ مُكْرَمُونَ وَالْكِتَابُ أَى جَنَسُهُ، يَعْنِي الْكُتُبَ السَّمَاوِيَّةَ بِأَجْمَعِهَا، وَالنَّبِيِّينَ دُونَ تَفْرِيقٍ. وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ أَى أَنْفَقَ الْمَالَ فِي مَوَارِدِهِ الْوَاجِبَةِ وَالْمَحَلَّةِ مَعَ حُبِّ الْمَالَ، أَوْ أَنْفَقَهُ عَلَى حُبِّ اللَّهِ، أَى لِحَبِّهِ سَبْحَانَهُ ذَوَى الْقُرْبَى أَى ذَوَى الرَّحْمِ وَالْإِتِمَامِ أَى الْمَحَاوِجِ مِمَّنْ مَاتَ آبَاؤُهُمْ وَالْمَسَاكِينَ الَّذِينَ لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا. وَابْنُ السَّبِيلِ أَى الْمَسَافِرَ الْمُنْقَطِعَ عَنْ أَهْلِهِ إِذَا لَمْ يَبْقَ مَعَهُ نَفَقَةٌ وَلَمْ يَجِدْ طَرِيقًا لَهَا، وَالسَّائِلِينَ الَّذِينَ أَلْجَأَهُمُ الْفَقْرُ إِلَى السُّؤَالِ. وَفِي الرِّقَابِ أَى الْعَبِيدِ تَحْتَ الشَّدَةِ وَالضِّيقِ وَالتَّعَبِ، فَيَسْتَحِبُّ أَنْ يَشْتَرُوا وَيَعْتَقُوا. وَقِيلَ لَهُمُ الْمَكَاتِبُونَ مِنْهُمْ. وَأَقَامَ الصَّلَاةَ صَلَّاهَا مُسْتَجْمَعَةً لِجَمِيعِ شَرَائِطِهَا وَآتَى الزَّكَاةَ دَفْعَ الزَّكَاةِ الْمَفْرُوضَةِ - الْمَالِيَّةِ وَالْبَدَنِيَّةِ - بِشَرَائِطِهَا وَالْمُؤْفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا اللَّهُ أَوْ النَّاسَ. وَالصَّابِرِينَ فِي الْبُؤْسَاءِ وَالضَّرَاءِ الصَّابِرِينَ مَنْصُوبٍ عَلَى الْمَدْحِ إِعْلَاءً لِأَمْرِ الصَّبْرِ. وَالْبُؤْسَاءِ الْبُؤْسُ وَالْفَقْرُ وَالضَّرَاءُ: الْمَرَضُ. وَحِينَ الْبُؤْسِ أَى عِنْدَ شِدَّةِ الْقِتَالِ لِلْعَدُوِّ أَوْلِيكَ الَّذِينَ صَبَرُوا فِي إِيْمَانِهِمْ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَبِكِتَابِهِ وَأَوْلِيكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ لِلَّهِ. ١٧٨- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ: أَى فَرَضَ عَلَيْكُمُ الْمَعَاوِضَةَ فِي الْقَتْلِ أَى الْمُقْتُولِينَ. الْحَرْ بِالْحَرْ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَى بِالْأُنْثَى أَى لَا بَدَّ مِنَ التَّسَاوَى عِنْدَ الْقِصَاصِ فِي الْجِنْسِ وَفِي الصِّفَةِ وَفِي الدِّينِ، فَالْحَرْ يَقْتُلُ بِالْحَرْ لَا بِالْعَبْدِ وَالْعَبْدُ يَقْتُلُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى. فَمَنْ عَفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ أَى الْجَانِي الَّذِي أَعْفَاه وَلِيَ الدِّمَ مِنَ الْقِصَاصِ فَاتَّبَاعُ بِالْمَعْرُوفِ أَى عَلَى الْعَافِي أَنْ يَتَّبَعَ بِالْمَعْرُوفِ أَنْ لَا يَشُدَّ فِي طَلَبِ الدِّيَةِ، وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ وَهَذِهِ تَوْصِيَةٌ لِلْجَانِي بِأَنْ لَا يَبْخُسَ حَقَّ الْوَلِيِّ بِأَدَاءِ الدِّيَةِ، وَلَا يَمَاطِلُهُ، ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ أَى أَنْ تَشْرِيعَ هَذَا التَّخْفِيفَ تَسْهِيلَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ لَكُمْ جَمِيعًا وَرَحْمَةً بِكُمْ، حَيْثُ لَمْ يَحْتَمِ الْقِصَاصُ كَمَا كَانَ فِي شَرِيعَةِ مُوسَى وَلَمْ يَحْتَمِ الدِّيَةُ كَمَا فِي شَرِيعَةِ عِيسَى. فَمَنْ اغْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ بِأَنْ يَقْبَلَ الدِّيَةَ وَالْعَفْوَ عَنِ الْقَوْدِ ثُمَّ يَعْتَدِيَ بِالْقَتْلِ لِلْقَاتِلِ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ أَى نَوْعٌ مَوْجَعٌ مِنَ الْعَذَابِ ١٧٩- وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ: وَلَكُمْ فِي إِيْجَابِ الْقِصَاصِ حَيَاةٌ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ عِنْدَ مَا يَتَّقِنُ أَنَّهُ سَوْفَ يَقْتُلُ لَوْ قَتَلَ فَإِنَّهُ سَوْفَ يَزْجُرُ عَنِ الْقَتْلِ فَيَحْيَا هُوَ وَمَنْ كَانَ يَعْزِمُ عَلَى قَتْلِهِ. يَا أُولِي الْأَلْبَابِ أَى يَا ذَوَى الْعُقُولِ الْمَفْكُورَةِ. لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ الْقَتْلَ مَخَافَةَ الْقِصَاصِ. ١٨٠- كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ ... فَرَضَ عَلَيْكُمْ أَى إِذَا قَرِبَ الْمَوْتُ مِنْ أَحَدِكُمْ. إِنْ تَرَكَ خَيْرًا أَى مَا لَا يَعْنِي بِهِ. الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْأَقْرَبُونَ مَنْ انْتَسَبَ إِلَى الْمَوْصِي بَوَاسِطَةٍ كَالْأَخِ وَغَيْرِهِ وَكَأَنَّ ظَاهِرَ الْآيَةِ وَجُوبَ الْوَصِيَّةِ لَهُؤُلَاءِ، لَكِنَّهُ قَامَ الْإِجْمَاعُ عِنْدَنَا عَلَى عَدَمِ الْوَجُوبِ. بِالْمَعْرُوفِ الْمُتَعَارَفِ مِنَ الْإِحْسَانِ بَلَا إِفْرَاطٍ وَلَا تَفْرِيطٍ. حَقًّا لَا يَجُوزُ إِنْكَارُهُ عَلَى الْمُتَّقِينَ لِلَّهِ. ١٨١- فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ ... أَى غَيْرِ الْإِيصَاءِ بَعْدَ ثَبُوتِهِ عِنْدَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ يَكُونُ إِثْمُ التَّبْدِيلِ عَلَى الْمُبْدِلِينَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ سَمِيعٌ لِمَقَالَةِ الْمَوْصِي مِنَ الْعَدْلِ أَوِ الظُّلْمِ فِي الْإِيصَاءِ، عَلِيمٌ بِعَمَلِ الْوَصِيِّ مِنَ التَّنْفِيزِ لِلْوَصِيَّةِ أَوِ التَّبْدِيلِ. إِرْشَادُ الْأَذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ٣٣ ١٨٢- فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا ... أَى مِنْ خَشِيَ أَنْ يَقَعَ مِنَ الْمَوْصِي جَنَفًا، أَى مِيلَ عَنِ الْحَقِّ خَطَأً أَوْ إِثْمًا أَى مِيلًا عَنِ الْحَقِّ مُتَعَمِّدًا فِي مَرَضِ الْمَوْتِ أَوْ غَيْرِهِ. فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ أَى فِي أَنْ يَشِيرَ عَلَى الْمَوْصِي بِالْحَقِّ لِأَنَّهُ مِنْ تَبْدِيلِ الظُّلْمِ وَرَدَّهُ إِلَى الْعَدْلِ فَيَكُونُ كُلُّ مِنَ الْمَوْصِي وَالْمَوْصِي لَهُ وَالْوَرِثَةُ رَاضِينَ وَهَذَا هُوَ الْإِصْلَاحُ. إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ غَفُورٌ لِلْمُذْنِبِ، رَحِيمٌ بِهِ. فَكَيْفَ لِمُصْلِحٍ مُسْتَحَقٍّ لِلْأَجْرِ وَالْثَوَابِ الْعَظِيمِ؟ ١٨٣- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ... أَى فَرَضَهُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَالزَّمَكُمْ بِهِ كَمَا فَرَضَهُ عَلَى الْأُمَمِ السَّابِقَةِ فِي وَجُودِهَا عَلَيْكُمْ. لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ أَى لَعَلَّكُمْ تَتَجَنَّبُونَ بِهِ الْمَعَاصِيَ، فَإِنَّهُ يَقْمَعُ الشَّهْوَةَ. ١٨٤- أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ ... مَوْقِفَاتٍ بَعْدَ مَعْلُومٍ، أَوْ قَلَائِلَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا مَرَضًا يَضُرُّهُ الصَّوْمُ. أَوْ عَلَى سَفَرٍ مَسَافَرًا مَسَافَةً شَرْعِيَّةً سَفَرًا مَبَاحًا. عَطَفَ عَلَى قَوْلِهِ: مَرِيضًا. فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ أَى أَنْ الْمَفْطَرُ لِلْمَرَضِ وَالسَّفَرِ عَلَيْهِ صَوْمُ أَيَّامٍ فِي غَيْرِ رَمَضَانَ تَوَازَى عِدَّةُ الْأَيَّامِ الَّتِي أَفْطَرَهَا فِيهِ، وَهَذَا صَرِيحٌ فِي وَجُوبِ الْقَضَاءِ. وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةً طَعَامُ مُسْكِينٍ أَى عَلَى الْقَادِرِينَ عَلَى الصَّوْمِ وَلَكِنْ بِمَشَقَّةٍ شَدِيدَةٍ وَجَهْدٍ كَبِيرٍ كَالْحَامِلِ الْمُقَرَّبِ وَذِي الْعَطَاشِ وَالشَّيْخِ الْهَرَمِ إلخ. فَلَهُمُ الْخِيَارُ بَيْنَ الصَّوْمِ، وَالفِدْيَةِ، لِكُلِّ يَوْمٍ إِطْعَامُ مُسْكِينٍ. فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا أَى زَادَ عَلَى مَقْدَارِ الْفِدْيَةِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ أَى أَنْ الزِّيَادَةُ فِي الْفِدْيَةِ خَيْرٌ عَلَى خَيْرٍ وَأَنْ تَصُومُوا أَيُّهَا الْمُطِيقُونَ لِلصَّوْمِ خَيْرٌ لَكُمْ يَعْنِي أَنَّ الصِّيَامَ خَيْرٌ مِنَ الْفِدْيَةِ وَالتَّطَوُّعُ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ فَضِيلَةَ الصَّوْمِ وَمَا يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ مِنَ الْمَنَافِعِ أَوِ الْمَصَالِحِ

الدينية و الدنيوية. ١٨٥- شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي ... بيان للأيام المعدودات، و رمضان: مصدر: رمض، أى احترق من الرَّمضاء، أضيف إليه الشهر و أصبح علما. أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ جملته إلى السماء الدنيا، ثم نجوما إلى الأرض فى طول عشرين سنة. أو ابتداء أنزل فيه، و كان ذلك فى ليلة القدر. و القرآن هو هُدًى لِلنَّاسِ هاديا للناس إلى الحق وَ بَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى أى آيات واضحة مما يهدى إلى الطريق السَّوَّى وَ الْفُرْقَانِ و ها هو فارق بين الحق و الباطل. فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ أى حضره كلُّهُ أو بعضا و كان غير مسافر و لا مريض. فَلْيُصِمْهُ أى فليصم فيه وَ مَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ أى فى سفر فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ كَرَّرَ تأكيداً لوجوب الإفطار و القضاء. يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَ لَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ أى فى جميع أموركم لا التضيق، و من جملة ذلك ما أمركم بالإفطار فى المرض و السفر. وَ لِتَكْمِلُوا الْعِدَّةَ لتتموا بالقضاء عدَّة ما أفطر فى شهر رمضان من أيام المرض و السفر وَ لِتَكْبِرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ أى لتعظموه على ما أرشدكم إليه من أحكام الدين أو المراد التكبير بعد الصلوات ليلة الفطر و غداة العيد و صلاة العيد. وَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ نعم الله بما يسر عليكم. ١٨٦- وَ إِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ... قربه سبحانه كونه مع الإنسان. أى أنى أسمع دعاءهم كما أن القريب يسمع من يناجيه. أَجِبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَا وَ فى هذا تقرير للقرب و وعد للداعى بالإجابة فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي أى يجب أن تجيبونى فيما دعوتهم إليه وَ لِيُؤْمِنُوا بِي و ليصدقوا بقدرتى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ يهتدون إلى إصابة الحق. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٣٤ ١٨٧- أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ ... الرَّفَثُ فى الأصل القول الفاحش و هو هنا كناية عن الجماع بمعنى الوطء، فدلّت الآية على حرمة للصائم فى نهار شهر رمضان، فنسخت حرمة فى الليل منه. هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ، وَ أَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ أى هنّ سكن لكم، و أنتم سكن لهن، كما قال تعالى: وَ جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا أَى سَكْنَا. عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ أنه سبحانه علم خيانتكم أنفسكم بالمعصية المؤدية إلى العقاب لو طئكم نساءكم فى شهر رمضان و هو محرم عليكم. فَتَابَ عَلَيْكُمْ غَفْرًا لَكُمْ وَ عَفَا عَنْكُمْ أى أزال تحريم ذلك أو محا أثره عنكم. فَالْمَنَ بَاشِرُوهُنَّ أى بعد ذلك العفو جامعوهن فى الليل. وَ ابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ اطلبوا ما أباحه الله لكم من أمر النكاح أو قضى من الولد. وَ كُلُوا وَ اشْرَبُوا حَتَّى يَبَيِّنَ لَكُمْ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ وَ كُلُوا وَ اشْرَبُوا لَيْلًا حَتَّى يَتَمَيَّزَ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْفَجْرِ أى النهار من الخيط الأسود أى من الليل و المقصود بالفجر الصادق منه. و هو ابتداء الصوم. ثُمَّ أَتَمُّوا الصَّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَ هذا بيان لختام الصوم و هو أول الليل و يعرف بذهاب الحمرة المشرقية بعد بيان بدئه أول النهار. وَ لَا تَبَاشِرُوهُنَّ وَ أَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ قيل إن المراد بالمباشرة هنا الجماع، و قيل هو ما دونه من الاستمتاع. أى لا تستمتعوا بنسائكم حال اعتكافكم فى المساجد و الاعتكاف مشروط بأن يكون فى أحد المساجد الأربعة عندنا: مكة و المدينة و الكوفة و البصرة كما هو مشروط بالصوم، و لا يكون أقل من ثلاثة أيام بلياليها. تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ أى الأحكام التى ذكرت حرمت الله فلا تقربوها فلا تأتوها و النهى عن قربها مبالغة فى وجوب عدم التعدي كَذَلِكَ أى مثل ذلك البيان يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ يوضح براهينه لعباده لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أى لكى يتجنبوا التجاوز لحدوده. ١٨٨- وَ لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ ... أى لا تتصرفوا فى مال الغير بالظلم و الغصب و سائر الوجوه التى لا- تحل وَ تَدُلُّوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ أى و لا تلقوا أمرها إلى الحكام و هم القضاء. لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ لِتَأْكُلُوا حَصَةً مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بالفعل الموجب للإثم باسم التحاكم و الرشوة و شهادة الزور و اليمين الكاذب وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ تدرون بأنكم مبطلون فى دعواكم. ١٨٩- يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ ... الْأَهْلُ جمع هلال مشتق من أهل الصبى إذا صاح حين يولد. و السؤال عن أحوال الهلال من الزيادة و النقصان و الحكمة من ذلك. إما نتيجة العوارض التى رمز إليها، فإنه ربما يعرف أيام الهلال بزيادته و نقصته عند أهل البوادي و الصحارى الذين جربوه بتلك الاختلافات و علموا عدد أيامه و لياليه بها. و لو كان على وتيرة واحدة لما ترتبت عليه تلك النتيجة و غيرها من المصالح و الحكم التى ذكرت فى نفس الآية أو لم تذكر. و من المحتمل أن سؤال السائلين كان عن الهلال و حقيقته، و هل هو بسيط أم مركب، و على فرض التركيب، من أى أجزاء ركب، إلما أن الله تعالى ما أجابهم عن سؤالهم و ترك جوابهم بمقتضى الحكمة. و بترك الجواب نحاهم عن فكرتهم، لأن السؤال كان مما يكره سبحانه كشفه و إظهاره للخلق، و اختص علمه بذاته المقدسة ككثير من العلوم و المعارف، و اكتفى بذكر الآثار و الخواص لأن بيان الحقيقة كان خارجا عن وسعهم و فهمهم،

إذ كانوا لا يستطيعون تصوّرها وتعلّلها، والله تعالى أعلم. و يحتمل احتمالا قويا أن السؤال متوجّه إلى ناحية عدد الأهله من حيث الزمان. أى ما فائدة كون الشهور متعدّدة أى إثنا عشر شهرا. وقد جاء الهلال هنا بمعنى الشهر فقوله: يسألونك عن الأهله، يعنى الشهور الإثني عشر من المحرم إلى ذى الحجة مثلا- و هنا جاء الجواب مطابقا للسؤال بلا حاجة إلى توجيه و لا تأويل. فقد سأله تعالى: ما الحكمه فى التعدّد. و ما وجه التحديد بهذه الحدود الخاصه، فعلمه تعالى الجواب بقوله: قل يا محمد قل هي مواقيت للناس وَالْحَجّ أى معالم و علائم لهم يوقتون بها ديونهم و مطالباتهم و عدد نسائهم، و صيامهم و فطرمهم و صلاتهم للعيد، و معالم الحج بحيث يعرف وقته من أوله إلى آخره و جميع مناسكه. و ليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ففى المجمع عن الباقر (ع): كانوا- أى أهل الجاهليه- إذا أحرما لم يدخلوا بيوتهم من أبوابها، و لكنهم كانوا ينقبون فى ظهور بيوتهم نقبا يدخلون و يخرجون منه، و كان هذا العمل سنّه و برا عندهم، إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٣٥ فنهوا عن التدنّ به و لكن البر من اتقى الله بترك مخالفته و أتوا البيوت من أبوابها و باشروا الأمور على وجهها الذى ينبغى أن تبشر عليه. و من ذلك أخذ معالم دينكم عن أهلها فهم أبواب الله و قد قال النبى (ص): أنا مدينه العلم و على بابها، و لا- تؤتى المدينه إلّا من بابها. و اتقوا الله فى جميع أموركم و أحوالكم لعلكم تفلحون تنجحون فى الوصول إلى ثوابه و تنالون رضوانه. ١٩٠- و قاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ... قاتلوا فى سبيل ترويج دين الله و تبليغ أحكامه الكفار الذين يقاتلونكم ليصدوا عن هذا السبيل. و لا تغتدوا لا تتجاوزوا قتال من هو من أهل القتال إلى التعدى على غيرهم إن الله لا يحب المعتدين المتجاوزين حدوده. ١٩١- و اقتلوهم حيث تقتلهم و هم ... يعنى اقتلوهم أينما وجدتموهم و ظفرتهم بهم. و أخرجوهم من حيث أخرجوكم أخرجوهم من مكه كما أخرجوكم منها. و الفتنه أشد من القتل للفتنه معان متعدده و المراد بها هنا الشرك بالله و هو أعظم من القتل لهم حيث وجدتموهم. و لا تقتلوهم عند المسجد الحرام أى لا تبادروهم بالقتال و لا تبدأوا بحرب الكفره و هتك الحرم حتى يقاتلوكم فيه أى حتى يفتحوا هم القتال و يبدءوا به فإن قاتلوكم فاقتلوهم فإن بدأوكم بالقتال فى الحرم فقاتلوهم و اقتلوهم فيه. كذلك الإخراج و القتل جزاء الكافرين عقابهم لما فعلوا بكم. ١٩٢- فإن انتهوا فإن الله غفور رحيم أى: فإن تركوا الشرك و القتال و تابوا، فالله تعالى يغفر لهم و يرحمهم. ١٩٣- و قاتلوهم حتى لا تكون فتنه ... أى شرك و يكون الدين لله أى حتى لا تكون العباده لغير الله. فإن انتهوا امتنعوا عن الشرك و أذعنوا للإسلام فلا عُِدوان لا عقوبه قتل. إلّا على الظالمين المستمرين على الكفر و التّفاق. و قد سمى القتل عدوانا لأنه عقوبه على العدوان. ١٩٤- الشّهر الحرام بالشّهر الحرام ... المراد بالشهر الحرام ذو القعدة الذى صد فيه المشركون المسلمين عن البيت و أداء مناسكهم عام ست للهجره مع تعهدهم بترك المسلمين يؤدون مناسكهم فى نفس الشهر من قابل فالله سبحانه يقول: إذا لم يفوا بما تعهدوا به فى قابل لكم فاقتلوهم و لو كان الشهر حراما فيه القتال لأن هذا الشهر بذاك الشهر الحرام السالف. و الحُرّمات قصاص جمع حرمة أى لكل ما يجب احترامه إذا انتهك أن يقتص بمثله. فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم فجازوه بمثل فعله. و اتقوا الله فى أوامره و نواهيه و اعلموا أن الله مع المتّقين يعينهم و يصونهم من جميع الحوادث و يصلح أمورهم الدنيويّه و الآخرويّه. ١٩٥- و أنفقوا فى سبيل الله ... ابدلوا أموالكم فى الطريق المؤديه إلى ثواب الله و رحمته و منها الجهاد. و لا تلقوا بأيديكم إلى التهلكه و لا تهلكوا أنفسكم بأيديكم بترك البذل فى تهيئه مقدمات الحرب مع الكفار و تمويلها فيتسلطون عليكم و يقتلونكم و التهلكه هى الهلاك. و أحسبوا إن الله يحبّ الْمُحْسِنِينَ قيل: معناه أحسنوا الظن بالله يبرّ بكم أو أحسنوا بالعود على المحتاج فإن الله يشيكم على كل ذلك. و قيل: المحسنين المقتصدين فى الإنفاق بلا تبذير و لا تقتير. ١٩٦- و اتّمو الحجاج و العُمرة لله ... اكملوها بمناسكهما و حدودهما و تأديه كل ماله دخل فيهما متقربين بذلك إلى الله. فإن أخصرتم أى منعتهم و حبستم عن الذهاب إلى الحج و أنتم محرمون بحج أو بعمره فما استيسر من الهدي يعنى قدّموا ما تيسر من الهدي للذبح و النحر و الهدي إما جزور أو بقرة أو شاة. هذا إذا أردتم الإحلال من الإحرام و لا تخلّقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدي محله أى لا تتحلّلوا ما دام الهدي لم يصل إلى محله لذبحه أو نحوه. و محله فى المحصر بالمرض منى يوم النحر، و هذا للحاج. و أمّا المعتمر فيذبح فى مكه. و فى الممنوع من قبل العدو المكان الذى أحصر فيه. فمن كان منكم

مَرِيضاً مَرَضاً مَحْجُوجاً لِلْحَلْقِ أَوْ بِهِ أذىً مِنْ رَأْسِهِ كَقَمَلٍ أَوْ جِرَاحَةٍ فَيَذَرُهَا أَى فليحلق و تجب عليه حينئذ بدل على التخيير مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ وَ الصِيَامِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، وَ الصَّدَقَةُ عَلَى سِتَّةٍ مَسَاكِينَ، وَ رَوَى أَنَهَا عَلَى عَشْرَةٍ. أَوْ نُشْكٍ ذَبَحَ شَاءَ. فَإِذَا أَمِنْتُمْ الْعَدُوَّ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى إِرْشَادِ الْأَذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ٣٦ الْحَجَّ أَى اسْتَمْتَعَ بَعْدَ التَّحَلُّلِ مِنْ عَمَرَتِهِ بِاسْتِبَاحَةِ مَا كَانَ حَرَاماً عَلَيْهِ إِلَى أَنْ يَحْرِمَ بِالْحَجِّ، فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ أَى فَعَلِهِ مَا تيسَّرَ لَهُ مِنَ الْهَدْيِ يَذْبَحُهُ بِمَنْىَ يَوْمِ الْعِيدِ. فَمَنْ لَمْ يَجِدِ الْهَدْيَ وَ لَا ثَمَنَهُ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ أَى يَوْمِ السَّابِعِ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ وَ الثَّامِنِ وَ التَّاسِعِ، فَإِنْ فَاتَهُ فِيهَا شَيْءٌ فَبَعْدَ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ وَ سَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَى أَوْطَانِكُمْ تَصُومُونَهَا. تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ أَى لَا تَنْقُصُ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَى أَنْ مَا ذَكَرَ مِنَ التَّمَتُّعِ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ لِلنَّائِي. وَ هُوَ مَنْ يَكُونُ بَيْنَهُ وَ بَيْنَ مَكَّةَ أَكْثَرَ مِنْ اثْنَيْ عَشَرَ مَيْلًا مِنْ تَمَامِ الْجِهَاتِ. وَ اتَّقُوا اللَّهَ بِالْمَحَافَظَةِ عَلَى أَمْرِهِ وَ نَوَاهِيهِ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ لِمَنْ خَالَفَهُ فِيهَا. ١٩٧- الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ ... أَى أَنْ وَقْتُهُ فِي شُهُورٍ مَعْرُوفَةٍ لَدَى الشَّارِعِ الْأَقْدَسِ، وَ هِيَ شَوَالٌ، وَ ذُو الْقَعْدَةِ، وَ ذُو الْحِجَّةِ. فَاسْتَبَدَّهَا بِغَيْرِهَا هُوَ مِنَ النِّسْيَاءِ الَّتِي عَدَّ اللَّهُ زِيَادَةً فِي الْكُفْرِ. فَمَنْ قَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَمِنْ أَحْرَمَ فِيهِنَّ بِالْحَجِّ فَلَا رَفْتٌ وَ لَا فُسُوقٌ وَ لَا جِدَالٌ فِي الْحَجِّ الرَّفْتِ: الْجَمَاعُ، وَ الْفُسُوقُ: الْكُذْبُ وَ السَّيِّبُ، وَ الْجِدَالُ: قَوْلُ الرَّجُلِ لَا وَ اللَّهُ، وَ بَلَى وَ اللَّهُ. وَ مَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ فَلَا يَضِيْعُهُ بَلْ يَثْبُتُ عَلَيْهِ. وَ تَزَوَّدُوا أَى حَصِّلُوا الزَّادَ لِأَخْرَجْتُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ فَإِنْ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى هَذِهِ الْجُمْلَةُ عَلَّاهُ لَكُنْ التَّزَوُّدُ لِلْآخِرَةِ يَكُونُ بِتَقْوَى اللَّهِ. وَ اتَّقُوا يَا أُولِي الْأَلْبَابِ يَا أَصْحَابَ الْعُقُولِ تَجَنَّبُوا غَضَبِي. ١٩٨- لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ ... أَى لَيْسَ عَلَيْكُمْ حَرَجٌ أَنْ تَطْلُبُوا رِزْقاً مِنَ اللَّهِ فِي زَمَنِ حَجِّكُمْ بِالتَّجَارَةِ وَ الْإِجَارَةِ وَ غَيْرِهِمَا. فَإِذَا أَفْضَيْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ أَى انْدَفَعْتُمْ مِنْ جَبَلِ عَرَفَاتٍ بَعْدَ الْمَوْقِفِ فَادْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ فَادْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ وَصُولِكُمْ لِلْمَزْدَلِفَةِ وَ هِيَ الْمَشْعَرُ الْحَرَامُ. وَ الذِّكْرُ هُوَ الثَّنَاءُ وَ الشُّكْرُ عَلَى نِعْمَةِ الْهِدَايَةِ وَ هَذَا الذِّكْرُ وَاجِبٌ لِلأَمْرِ بِهِ، وَ ظَاهِرُ الْأَمْرِ هُوَ الْوُجُوبُ. وَ الذِّكْرُ فِيهِ يَلْزَمُ الْكُونُ فِيهِ، وَ لِذَا يَقُولُ عِلْمَاؤُنَا: إِنْ الْوُقُوفُ فِيهِ وَاجِبٌ ... وَ اذْكُرُوهُ كَمَا هَيْدَاكُمْ أَى لِهَدَايَتِهِ إِيَّاكُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ. وَ إِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لِمَنِ الضَّالِّينَ أَى وَ إِنْ كُنْتُمْ قَبْلَ الْهَدْيِ لِمَنِ الضَّالِّينَ عَنِ الْحَقِّ. ١٩٩- ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ ... وَ الْخُطَابُ لِقَرِيشَ. أَى يَا مَعْشَرَ قَرِيشَ أَفِيضُوا مِنَ الْجَهَةِ الَّتِي أَفَاضَ النَّاسُ. حَيْثُ: ظَرْفٌ مَكَانٌ مَبْنِيٌّ عَلَى الضَّمِّ، وَ تَرَدُّدٌ لِلزَّمَانِ أَيْضاً. وَ الْإِفَاضَةُ: هِيَ الْإِنْدِفَاعُ بِشِدَّةٍ. وَ كَانَتْ قَرِيشٌ وَ حُلَفَاؤُهَا يَقِفُونَ بِجَمْعٍ - أَى الْمَزْدَلِفَةِ - وَ لَا يَقِفُونَ مَعَ سَائِرِ النَّاسِ بِعَرَفَاتٍ تَرْفَعُ عَلَيْهِمْ، فَأَمَرُوا بِمَسَاوَاتِهِمْ وَ مَشَارَكَتِهِمْ فِي الْخُرُوجِ إِلَى عَرَفَاتٍ أَوَّلًا، وَ مِنْهَا إِلَى الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ، وَ مِنْهُ إِلَى مَنَى. وَ اسْتَغْفِرُوا اللَّهَ اطْلُبُوا الْمَغْفِرَةَ مِنْهُ تَعَالَى لِمَا كَانَ يَصْدُرُ مِنْكُمْ مِنَ الْمَعَاصِي، إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ كَثِيرُ الْمَغْفِرَةِ وَاسِعُ الرَّحْمَةِ. ٢٠٠- فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ ... إِذَا أَذْبَتُمْ عِبَادَاتِ الْحَجِّ وَ أَعْمَالَهُ الْمَقْرَرَةَ فِي الشَّرْعِ فَادْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَى فَأَكْثَرُوا ذِكْرَ اللَّهِ بِالْإِعْدَاءِ وَ غَيْرِهِ كَمَا كُنْتُمْ تَفْعَلُونَ فِي ذِكْرِ آبَائِكُمْ وَ تَعْدَادِ مَفَاخِرِهِمْ فِي جَاهِلِيَّتِهِمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْراً أَى زِيدُوا فِي ذِكْرِ آلَائِهِ وَ شُكْرِ نِعَمَائِهِ. فَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا بَيْنَ سَبْحَانِهِ أَنْ مِنْ أَصْنَافِ النَّاسِ فِي أَمَاكِنِ الْحَجِّ وَ مَوَاقِفِهِ صَنَافٌ لَا يَطْلُبُ مِنْهُ تَعَالَى إِلَّا الدُّنْيَا. وَ هَذَا الصَّنَفُ قَدْ يُعْطِيهِ اللَّهُ مَا سَأَلَ. وَ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقِ الْخَلِيقِ، كَسَحَابٍ هُوَ النَّصِيبُ الْوَافِرُ مِنَ الْخَيْرِ، أَى لَيْسَ لَهُ فِي الْآخِرَةِ نَصِيبٌ مِنَ الْخَيْرِ. ٢٠١- وَ مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ... مِنْهُمْ مَنْ يَسْأَلُونَهُ تَعَالَى الْحَسَنَتَيْنِ وَ يَقُولُونَ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَ فِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَ قِنَا عَذَابَ النَّارِ فَهَؤُلَاءِ يَطْلُبُونَ لَأَنْفُسِهِمْ نَعِيمَ الدُّنْيَا وَ نَعِيمَ الْآخِرَةِ. ٢٠٢- أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ ... إِشَارَةٌ إِلَى الدَّاعِينَ بِطَلَبِ الْحَسَنَتَيْنِ. وَ يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ الْإِشَارَةُ لِلطَّرَفَيْنِ، فَلِكُلِّ نَصِيبٍ مِمَّا كَسَبُوا أَى مِنْ سَخِ مَا طَلَبُوهُ قَوْلًا أَوْ عَمَلًا. وَ اللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ قَادِرٌ عَلَى مَجَازَاةِ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي قَدَرٍ لَمَحَةٍ عَيْنٍ كَمَا وَرَدَ فِي الْخَبَرِ. إِرْشَادُ الْأَذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ٢٠٣ ٣٧- وَ اذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ ... يَعْنِي أَيَّامَ التَّشْرِيقِ الثَّلَاثَةِ. الْمُرَادُ بِالذِّكْرِ هُوَ التَّكْبِيرَاتُ وَ التَّهْلِيلَاتُ وَ غَيْرُهُمَا مِنَ الْأَدْعِيَةِ وَ الْأَذْكَارِ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ أَى أَسْرَعَ فِي الْخُرُوجِ مِنْ مَنَى فِي ثَانِي أَيَّامِ التَّشْرِيقِ بَعْدَ فَرَاقِهِ مِنْ رَمَى الْجِمَارِ فَلَا- إِثْمٌ عَلَيْهِ، وَ مَنْ تَأَخَّرَ فَلَا- إِثْمٌ عَلَيْهِ وَ بَقِيَ حَتَّى رَمَى فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ مِنْ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ فَالْمَتَعَجَّلُ وَ الْمَتَأَخِّرُ لَا إِثْمَ عَلَيْهِمَا فِيمَا أَتَيَا. لِمَنْ اتَّقَى. أَى أَنْ التَّخْيِيرَ- فِي التَّعْجِيلِ وَ التَّأَخُّرِ- لِمَنْ اتَّقَى اللَّهَ وَ تَجَنَّبَ مَعَاصِيَهُ وَ هُوَ الْحَاجُّ عَلَى الْحَقِيقَةِ ... وَ اتَّقُوا اللَّهَ أَمْرٌ ثَانٍ بِتَجَنُّبِ مَعَاصِي اللَّهِ. وَ اعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ تَيَقَّنُوا أَنَّكُمْ تَجْمَعُونَ إِلَى رَبِّكُمْ يَوْمَ

القيامة للحساب. ٢٠٤- وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا: ... نزلت في المنافقين. أى تستحسن كلامه يا محمد، فى الدنيا باعتبار أنها نوع حياة يعتمد الحكم فيها على الظاهر فقط حيث يتظاهر بتقديسك والتصدق بك و برسالتك. وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ يَشْتَشْهَدُ بِهِ وَيَحْلِفُ أَنَّهُ صَادِقٌ فِيمَا يَدَّعِيهِ وَيَقُولُهُ لَكَ. وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ وَهُوَ أَشَدُّ الْخِصْمَاءِ خُصُومَةُ لِلدِّينِ وَلَكَ وَالْحَقِّ. ٢٠٥- وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ ... أى إذا انصرف هذا المنافق من عندك، أو صار واليا على الناس سار فى الأرض لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ لأجل الفساد بإهلاك الحرث والنسل اللذين هما الركبان الأساسيان لبقاء النوع الإنسانى أى التغذية والتوليد. ولأجل الفساد بهدم أحكام الدين وزعزعة أسس الأخلاق. وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ وَاللَّهُ يَبْغِضُ الْفُسَادَ وَأَهْلَهُ. ٢٠٦- وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ ... أى إذا قيل له: تَجَنَّبْ غَضَبَ اللَّهِ ودع الفساد أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ استولت عليه عصبية الجاهلية، وحملته على ارتكاب اللجاج فى مضاعفة فساد. فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ أى كفته عقوبة وَلَبَسَ الْهَادُ وَجَهَنَّمَ بئس الفراش الممهّد له. ٢٠٧- وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ... أى يبيعها طلبا لمرضى الله تعالى. نزلت فى على (ع) حين نام على فراش النبى (ص) ليله تأمر المشركون على قتله. وَاللَّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبَادِ رَحِيمٌ بِهِمْ. ٢٠٨- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَافَّةً ... أيها المؤمنون يجب عليكم جميعا أن تثبتوا على ما دخلتم وهو الإسلام وذلك بتسليم الأمر لله ولرسوله والسلام والإسلام بمعنى واحد. وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ وَلَا تَسْلُكُوا طَرِيقَهُ فِيمَا يَزِينُ لَكُمْ مِنَ الْخُرُوجِ عَلَى شَيْءٍ مِنْ أَحْكَامِ دِينِكُمْ. إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ظَاهِرُ الْعَدَاوَةِ. ٢٠٩- فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ ... إذا انحرفتم عن الحق أى السليم الذى أمر به الله بعد أن ظهرت لكم الدلائل الواضحة على صلاح ما أمرتم به فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ غالب على أمره وحكيم فى صنعه وصنيعه. ٢١٠- هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ ... الاستفهام معناه التنفى بمقتضى الاستثناء، أى لا- ينتظر التاركون للدخول فى الإسلام إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ. فِى ظُلُمٍ مِنَ الْعَمَامِ وَهِيَ السَّحَابُ الْأَبْيَضُ الْمُتْرَاكِمُ كَالْمُظْلَمَةِ، وَ الْغُيُومُ الَّتِي يَظُنُّونَ بِهَا الرَّحْمَةَ وَالْمَلَائِكَةُ؟. معطوف على لفظة الجلالة أى تأتى الملائكة. وَقُضِيَ الْأَمْرُ تَمَّ إِهْلَاكُهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ أى أن كل الأمور مصيرها إليه حسابا و جزاء. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٣٨ ٢١١- سَلَّ بَنَى إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُمُ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ: ... سل يا محمد أولاد يعقوب وهم اليهود سؤال تقرير لتأكيد الحجة عليهم كم أعطيناكم من حجة واضحة ذكرت فى كتبهم على صدقك و نبوتك. وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ أَى فَكفروا بتلك الآيات و حرفوها عن وجوها الصحيحة بعد معرفتهم بها، فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ فالله يوردهم أشد العذاب لما صدر عنهم من تحريف و كفران. ٢١٢- زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ... أى بسبب كفرهم و اتباعهم للشيطان جملة و حسنت الحياة الدنيا بنظر الكفار و أشربوا حبها فى أعماقهم. وَيَسْتَخِرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ وَجَّهَ اسْتِهْزَائِهِمُ بِالْمُؤْمِنِينَ إِمَّا لِفَقْرِهِمْ، وَ إِمَّا لَزَهْدِهِمْ فِي الدُّنْيَا، وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالَّذِينَ تَجَنَّبُوا مَعَاصِيَهُ وَ اتَّبَعُوا مَرَاضِيَهُمْ فِي الْآخِرَةِ فِي عِلِيْنِ وَ الْكُفَّارِ فِي سَجِينِ وَ لَذَا فَسُوفَ يَسْخَرُ الْمُؤْمِنُونَ مِنْهُمْ وَ هُمْ عَلَى حَالِهِمْ هَذِهِ مِنَ الذَّلِّ وَ الْهَوَانِ وَ الْعَذَابِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ. وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ يعطى الكثير الذى لا يحصره حساب. ٢١٣- كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً ... أى أن أولاد آدم كانوا أهل دين واحد و مله واحدة بعد آدم (ع)، وَ هُوَ دِينُ اللَّهِ الَّذِي بَعَثَ بِهِ آدَمَ وَ اتَّبَعَهُ صَالِحُو ذُرِّيَّتِهِ. فَلَمَّا تَوَفَّاهُ اللَّهُ وَ تَلَاعَبَتْ بِذُرِّيَّتِهِ الْأَهْوَاءُ وَ الْغَرَائِزُ فَاخْتَلَفُوا. فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَ مُنْذِرِينَ فَأَرْسَلَ اللَّهُ إِلَيْهِمْ رَسُولَهُ مُبَشِّرِينَ بِالْجَنَّةِ لِمَنْ أَطَاعَهُمْ فِي أَمْرِ اللَّهِ، وَ مُنْذِرِينَ بِالنَّارِ لِمَنْ عَصَاهُمْ وَ أَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَ أَنْزَلَ مَعَ كُلِّ نَبِيٍّ كِتَابًا بِالصِّدْقِ وَ الْعَدْلِ. وَ قِيلَ إِنَّهُ أَنْزَلَ مَعَ بَعْضِهِمْ وَ لَمْ يَنْزِلْ مَعَ كُلِّ نَبِيٍّ كِتَابٌ. وَ قَوْلُهُ لِيُحْكَمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ أَى اللَّهُ تَعَالَى يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ قَبْلَ أَنْزَالِهِ. وَ مَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ وَ مَا اخْتَلَفَ فِي الْحَقِّ إِلَّا- الَّذِينَ أَعْطُوا الْعِلْمَ بِهِ كَالْيَهُودِ فَإِنَّهُمْ كَتَمُوا صِفَاتِ مُحَمَّدٍ (ص) بعد ما أعطوا العلم به مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ أَى الْحُجَجِ الْوَاضِحَةِ، وَ قِيلَ التَّوْرَةُ وَ الْإِنْجِيلُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ يَعْنِي: ظُلْمًا وَ حَسَدًا وَ طَلَبًا لِلرَّائِسَةِ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ لِمَا قَبْلَهُ، هَدَاهُمْ لذلك بِإِذْنِهِ بَعْلَمَهُ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ أَى يرشد إلى الإسلام من فيه القابلية للهداية. ٢١٤- أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ ... والمعنى: بل أظننتم و خلتتم أيها المؤمنون أن تدخلوا

الجنة قبل أن تمتحنوا بمثل ما امتحن به من مضى من المؤمنين قبلكم فتصبروا كما صبروا؟ ثم فضل ما أصاب من قبلهم من المؤمنين: و أم منقطعة و همزتها للإنكار، و معناها هنا: بل حسبتم، أى: لا تحسبوا. مَسَّتْهُمْ الْبُاسَاءُ وَ الضَّرَاءُ و قيل: الأول هو القتل، و الثانى هو الفقر. وَ زَلُّوا أى اضطربوا و أقلقوا من شدة ما أصبوا به من أنواع البلاء. حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهُ يَقُولُونَ عند تطويل مدة المصائب متى يأتى النصر الذى وعدناه أَلَا إِنَّ نَصِيرَ اللَّهِ قَرِيبٌ لَفُظُهُ: أَلَا، للاستفتاح، و تدل على تحقق ما بعدها. فقيل لهم إجابة لطلبهم: عاجل النصر مِمَّنْ النَّصْرُ بِيَدِهِ. ٢١٥- يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ ... أى أى شىء ينفق فى سبيله تعالى، قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ أى ما بذلتموه من مال، فَلِلَّذِينَ، وَ الْفُقَرَاءِ، وَ الْيَتَامَى وَ الْمَسَاكِينِ، وَ ابْنِ السَّبِيلِ فهُوَ ينفق عليهم كجواب عما سألوك عنه و اختصاص هؤلاء لبيان أكمل مصارف النفقة و أتمها. وَ مَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ مَا تَعْمَلُوا من عمل صالح يقربكم إلى الله، فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ يعرفه و يجازيكم عليه. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٣٩ ٢١٦- كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَ هُوَ كُزَّةٌ لَكُمْ: ... فرض عليكم قتال الكفار و هو مكروه من نفوسكم و تنفر منه طباعكم لخطورته و مشقته. وَ عَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ أى لعلكم تكرهون شيئاً فى الحال و هو خير لكم فى المال، كالقتال فإن فيه إحدى الحسنين النصر أو الاستشهاد. وَ عَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَ هُوَ شَرٌّ لَكُمْ كالتعود عن الجهاد حبا للحياة و فيه الشر لكم إذ فيه الذل فى الدنيا، و حرمان الأجر و الثواب فى العقبى وَ اللَّهُ يَعْلَمُ وَ أَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ يعرف ما فيه صلاحكم و فسادكم فى الدارين، و أنتم لا- تعرفون ذلك. ٢١٧- يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ ... عرفت الأشهر الحرم سابقا، و عرفت أن القتال فيها حرام فى الإسلام كما كان حراما قبل الإسلام. و المعنى: أنهم يسألونك يا محمد عن القتال فى الشهر الحرام، أى رجب: قِتَالٍ فِيهِ؟. هل فيه قتال؟ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَ صَدُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَ كُفْرٌ بِهِ فَاجِبُهُمُ أَنْ الْقِتَالُ فى الشهر الحرام ذنب عظيم و منع عن اتباع صراط الله المستقيم وَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ عن زيارة المسجد الحرام لأداء المناسك. وَ إِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ أى أن تهجير النبى و المؤمنين من مكة أعظم وزرا عند الله من القتل و القتال، وَ الْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ مر تفسيرا. وَ لَا- يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَزِدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنْ أَسِيطَاعُوا ... يخبر سبحانه نبيه (ص) و المؤمنين بدوام عداوة كفار مكة التى ترمى إلى إرجاعكم عن دينكم و صرفكم عن الإسلام لتعودوا إلى الجاهلية و الكفر إن قدروا على ذلك و لن يقدرُوا. وَ مَنْ يَزِدْكُمْ عَنْ دِينِكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَ هُوَ كَافِرٌ أى أن من انصرف عن دين الحق و مات على الردة فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فى الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ أى فسدت فلا ثواب عليها فى الآخرة و بالارتداد تفوت فوائدها الدنيوية أيضا. وَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ وَ المرتدون إذا ماتوا على الردة يكونون كافرين و يلحقون بهم فى الخلود بالعذاب. ٢١٨- إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ... صدَّقُوا اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ الَّذِينَ هَاجَرُوا وَ تَرَكُوا أوطانهم وَ جَاهِدُوا فى سَبِيلِ اللَّهِ وَ قَاتَلُوا فى إحياء دين الله الذين هم عليه، أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ أى يأملونها. و التعبير بالرجاء للتنبيه على أن العبد لا- بد و أن يكون فى جميع أحواله و أعماله بين الخوف و الرجاء. لا يغتر بأعماله العبادية و لا يئأس من رحمة الله فالله عند حسن ظن عبده فهو كثير المغفرة واسع الرحمة. ٢١٩- يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ ... أى عن حكم شربه و سائر أشكال تعاطيه وَ الْمَيْسِرِ أى حكم القمار. فإيا محمد قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ أى وزر عظيم لأنهما مفتاح الشر، وَ مَنَافِعٌ لِلنَّاسِ دُنْيَوِيَّةٌ: ككسب المال و تحصيل النشوة وَ إِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا لأنهما من الكبائر التى توجب الخلود فى النار و فى الآخرة و لأنهما مفتاح كل شر فى الدنيا و الشر الدائم المستمر أحرى بالاهتمام من المنفعة الجزئية الآنية. وَ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ: ... العفو هو ما فضل الأهل و العيال. و قيل هو الوسط بين الإسراف و التقير، و قيل هو خيار المال. كَذَلِكَ أى مثل ما بين أمر الخمر و الميسر و التَّفَقُّهُ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ يعنى يوضح لكم الحجج فى سائر الأحكام لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ فى الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ لكى تتدبروا و تأملوا فيما يتعلق بكم من شؤون الدارين. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٤٠ ٢٢٠- وَ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى وَ أَحْكَامِهِمْ. قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ أى إصلاح أموالهم بلا- أجر و معاشرتهم أحسن من إبعادهم و مجانبتهم وَ إِنْ تَخَالَطُوا فَخَافُواكُمْ أى إن تشاركوهم بخلط أموالهم مع أموالكم فتصيبوا من أموالهم عوضا عن قيامكم بأمورهم فهم إخوانكم و الإخوان يصيب بعضهم من أموال بعض. وَ اللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَ اللَّهُ يعلم من كان غرضه من مخالطة مال اليتامى إفساد مالهم أو إصلاحه. وَ لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْتَكُكُمْ أى لو أراد لأوقعكم فى

التعب و المشقة في أمر الأيتام بعدم الإجازة في الدخول في شؤونهم و التصرف في أموالهم إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَالِبٌ عَلَى مَا يَشَاءُ حَكِيمٌ فِي تَدْبِيرِهِ. ٢٢١- وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ ... لَا تَزَوَّجُوا النِّسَاءَ الْكَافِرَاتِ كُنَّ أَوْ غَيْرَهُنَّ، حَتَّى يَصَدَّقْنَ بِاللَّهِ وَ رِسُولِهِ. وَ لَأَمِيَّةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ أَى أَنَّ الْمَمْلُوكَةَ الْمُؤْمِنَةَ خَيْرٌ مِنَ الْحُرَّةِ الْكَافِرَةِ وَ لَوْ أَعْجَبَتْكُمْ بِحَسَنَتِهَا وَ مَالِهَا وَ نَسَبِهَا. وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ أَى لَا تَزَوَّجُوا نِسَاءَ كُمِ الْمُؤْمِنَاتِ لِلْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا بِغَيْرِ فَرْقٍ بَيْنِ الْكِتَابِيِّ وَ غَيْرِهِ. وَ لَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ حَرٌّ وَ لَوْ أَعْجَبَكُمْ جَمَالُهُ وَ مَالُهُ وَ نَسَبُهُ. أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ الْمَشْرُوكُونَ يَدْعُونَ النَّاسَ إِلَى الْكُفْرِ الَّذِي هُوَ سَبَبُ دُخُولِ النَّارِ وَ اللَّهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ أَى إِلَى فِعْلِ مَا يُوْجِبُ الْجَنَّةَ. وَ الْمَغْفِرَةُ بِإِذْنِهِ بِمَا يَأْمُرُ بِهِ وَ يَأْذَنُ فِيهِ مِنَ الْأَحْكَامِ الَّتِي تُوْصَلُ إِلَى مَغْفِرَتِهِ. وَ يُبَيِّنُ آيَاتِهِ وَ يُوْضِحُ حُجْجَهُ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ عَلَى أَمَلٍ أَنْ يَتَذَكَّرُوا وَ يَتَّعِظُوا. ٢٢٢- وَ يَسْتَأْذِنُكَ عَنِ الْمَحِيضِ ... عَنْ أَحْكَامِ الْمَحِيضِ وَ أحواله: وَ هُوَ خُرُوجُ دَمِ الْحَيْضِ فِي عَدَةِ الْمَرْأَةِ الطَّبِيعِيَّةِ قُلُّ هُوَ أَذَى أَى فِيهِ ضَرَرٌ يَسِيرٌ، وَقِيلَ هُوَ نَجَسٌ أَوْ قَذَرٌ فَاعْتَزَلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ أَى اجْتَنَبُوا مَجَامِعَهُنَّ مِنْ نَاحِيَةِ الْوَطْءِ بِالْخُصُوصِ فِي فِتْرَةِ الْحَيْضِ. وَ لَا تَقْرُبُوهُنَّ بِالْجَمَاعِ فَقَطْ حَتَّى يَطْهُرْنَ أَى يَنْقَطِعَ الدَّمُ عَلَى قِرَاءَةِ التَّخْفِيفِ. وَ حَتَّى يَغْتَسِلْنَ عَلَى قِرَاءَةِ الشَّدِيدِ (يَطْهُرْنَ) فَإِذَا تَطَهَّرْنَ أَى اغْتَسَلْنَ أَوْ تَوَضَّأْنَ أَوْ غَسَلْنَ الْفَرْجَ. فَأَتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ أَى جَامِعُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكَمُ اللَّهُ تَجَنَّبَهُ فِي حَالِ الْحَيْضِ وَ هُوَ الْفَرْجُ. إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ كَثِيرَى التَّوْبَةِ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ. وَ يُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ مِنَ الذُّنُوبِ وَ قِيلَ الْمُتَطَهِّرِينَ بِالْمَاءِ. ٢٢٣- نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ ... وَ الْحَرْثُ هُوَ شَقُّ الْأَرْضِ بِالْأَدْوَاتِ لِبَذْرِ الْحَبِّ. وَ قَدْ شَبَّهَ سَبْحَانَهُ النِّسَاءَ بِهَا لَمَّا يَلْقَى فِي أَرْحَامِهِنَّ مِنَ النَّطْفَةِ الَّتِي تَنْتِجُ الْأَوْلَادَ، نِسَاؤُكُمْ مَحَلُّ زَرْعِكُمُ الْوَلَدِ. فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ أَنَّى تَأْتَى مَكَانِيَّةً وَ تَأْتَى زَمَانِيَّةً وَ عَلَى الْأَوَّلِ يَكُونُ الْمَعْنَى: جَامِعُوا نِسَاءَكُمْ مِنْ أَى مَوْضِعٍ شِئْتُمْ قَبْلًا أَوْ دُبْرًا. وَ عَلَى الثَّانِي: جَامِعُوا نِسَاءَكُمْ فِي أَى زَمَانٍ شِئْتُمْ. وَ قَدَّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ أَى مَا يَفِيدُكُمْ فِي الدَّارَيْنِ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ. وَ اتَّقُوا اللَّهَ أَى تَجَنَّبُوا مَعَاصِيَهُ. وَ اعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقِقُوهُ أَى مُلَاقِقُو جَزَائِهِ ثَوَابًا كَانَ أَوْ عِقَابًا حَسَبَ أَعْمَالِكُمْ. وَ بَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِالثَّوَابِ وَ الْجَنَّةِ. ٢٢٤- وَ لَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَ تَتَّقُوا وَ تَصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ: ... الْعُرْضَةُ: الْإِعْتِرَاضُ وَ الْمَانِعُ، فَالْمَعْنَى: لَا تَجْعَلُوا الْيَمِينَ بِاللَّهِ عِلَّةً مَانِعَةً لَكُمْ مِنَ الْبِرِّ وَ التَّقْوَى وَ الْإِصْلَاحِ بَيْنَ النَّاسِ حَيْثُ تَعْتَمِدُونَهَا لِتَعْتَلُوا بِهَا وَ تَقُولُوا حَلَفْنَا بِاللَّهِ. وَ قِيلَ مَعْنَاهُ: لَا تَجْعَلُوا الْيَمِينَ بِاللَّهِ سَلْعَةً مُبْتَدَلَةً فِي كُلِّ حَقٍّ وَ بَاطِلٍ لِأَنْ تَبَرُّوا فِي الْحَلْفِ بِهَا وَ تَتَّقُوا فِيهَا الْمَآثِمَ وَ تَصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ، أَى لَا تَحْلِفُوا بِاللَّهِ صَادِقِينَ وَ لَا كَاذِبِينَ. وَ اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ يَسْمَعُ أَقْوَالَكُمْ وَ يَعْلَمُ مَا تَخْفَى صُدُورُكُمْ. إِرْشَادُ الْأُذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ٢٢٥ ٤١- لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ ... اللَّغْوُ فِي الْأَيْمَانِ مَا لَا قَصْدَ مَعَهُ بَلْ يَجْرَى عَلَى عَادَةِ اللِّسَانِ لِقَوْلِ الْعَرَبِ: لَا وَ اللَّهُ، وَ بَلَى وَ اللَّهُ، لِمَجَرَّدِ التَّأَكِيدِ. أَى لَا يُؤَاخِذُكُمْ اللَّهُ بِمَا لَا قَصْدَ مَعَهُ مِنَ الْحَلْفِ فَهُوَ لَغْوٌ أَى لَا فَائِدَةَ فِيهِ وَ لَا كَفَّارَةَ وَ لَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ أَى بِمَا قَصَدْتَ قُلُوبَكُمْ وَ انْعَقَدَتْ عَلَيْهِ، فَإِنْ عَقَدَ الْقَلْبُ هُوَ كَسَبُهُ. وَ اللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ وَ يَمَهِّلُ الْعُقُوبَةَ. ٢٢٦- لِلَّذِينَ يُؤُولُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرْبُصٌ أَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ ... يُؤُولُونَ مِنْ أَلَى يُؤَلَى إِبْلَاءٌ وَ هُوَ الْحَلْفُ وَ الْمَعْنَى هُنَا: لِلَّذِينَ يَحْلِفُونَ عَلَى عَدَمِ مَجَامِعَةِ نِسَائِهِمْ أَزِيدَ مِنْ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ضَرَارًا عَلَيْهِنَّ، يَمَهِّلُونَ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ. فَإِنْ فَاءُ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ أَى رَجَعُوا إِلَيْهِنَّ وَ جَامِعُوهُنَّ تَجِبَ عَلَيْهِمْ كَفَّارَةُ الْحَنْثِ وَ لَا عُقُوبَةُ عَلَيْهِمْ رَحْمَةً مِنَ اللَّهِ بِهِمْ. ٢٢٧- وَ إِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ: ... وَ إِذَا مُضَتْ الْأَشْهُرُ الْأَرْبَعَةُ وَ لَمْ يَجَامِعْ أَلْزَمَهُ الْحَاكِمُ عَلَى الرَّجُوعِ وَ الْكَفَّارَةَ أَوْ الطَّلَاقَ. فَإِنْ صَمَّمَ عَلَى الطَّلَاقِ وَ تَلَفَّظَ بِهِ مَعَ اسْتِجْمَاعِ شُرَاطِطِ صَحْتِهِ فَإِنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ تَلَفُّظَهُ وَ يَعْلَمُ نِيَّتَهُ. ٢٢٨- وَ الْمُطَلَّقَاتُ أَى الْمُخْلِيَّاتُ عَنْ عِلْقَةٍ أَزْوَاجَهُنَّ بِالطَّلَاقِ وَ كَانَ مَدْخُولًا بِهِنَّ وَ كُنَّ مِمَّنْ يَحْضُنَّ وَ غَيْرِ حَوَامِلٍ. يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ يَنْتَظِرْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ انْقِضَاءَ ثَلَاثَةِ قُرُوءٍ فَلَا يَجُوزُ لَهُنَّ أَنْ يَتَزَوَّجْنَ فِي هَذِهِ الْمَدَّةِ. وَ الْقُرُوءُ جَمْعُ قَرءٍ وَ هُوَ الطَّهْرُ، وَقِيلَ هُوَ الْحَيْضُ. وَ لَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ أَى لَا- يَجُوزُ لِلْمُطَلَّقَاتِ اللَّوَاتِي تَجِبَ عَلَيْهِنَّ الْعِدَّةُ أَنْ يَخْفَيْنَ حَمْلَهُنَّ إِنْ اسْتَبَانَ لثَلَا- يَظْلِمْنَ أَزْوَاجَهُنَّ بِمَنْعِ الرَّجُوعِ فِي الطَّلَاقِ أَوْ بِنَسْبَةِ الْوَلَدِ إِلَى غَيْرِ الزَّوْجِ صَنَعَ الْجَاهِلِيَّةِ. إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ أَى يَصَدَّقْنَ بَيِّقِينَ، فَإِنْ الْإِيمَانُ الْوَاقِعِيُّ مَانِعٌ عَنِ الْكُتْمَانِ وَ الْكَذْبِ، بَلْ وَ عَنْ كُلِّ عَمَلٍ غَيْرٍ مُشْرُوعٍ. وَ بَعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ أَى أَزْوَاجَهُنَّ أُولَى بِمَرَاجِعَتِهِنَّ فِي فِتْرَةِ الْعِدَّةِ. إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا يَعْنَى إِذَا اتَّفَقَا عَلَى حَسَنِ الزَّوْجِيَّةِ لَا- إِذَا كَانَ الْقَصْدُ مِنْ رَجُوعِ الزَّوْجِ الْإِضْرَارَ بِالزَّوْجَةِ. وَ لَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ

بِالْمَعْرُوفِ لِلنِّسَاءِ عَلَى أَزْوَاجِهِنَّ مِثْلَ مَا لَهُنَّ عَلَى زَوْجَاتِهِنَّ مِنْ حَقِّ مُتَعَارَفَةٍ بَيْنَ الْعُقَلَاءِ كُلِّ بِحَسْبِهِ. أَيْ أَنَّ لِلنِّسَاءِ عَلَى رِجَالِهِنَّ حَقًّا كَمَا أَنَّ لَهُنَّ عَلَيْهِنَّ حَقًّا لَا بَدَّ مِنْ أَدَائِهَا إِلَيْهِنَّ. وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ أَيْ فَضِيلَةٌ كَالطَّاعَةِ وَالرَّجُوعِ وَزِيَادَةِ الْمِيرَاثِ وَالْجِهَادِ الْخ. وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ أَيْ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ، وَفَاعِلٌ لِمَا تَقْتَضِيهِ الْحُكْمَةُ. ٢٢٩- الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ ... أَيْ الطَّلَاقُ الَّذِي يَمْلِكُ فِيهِ الزَّوْجُ حَقَّ الرَّجُوعِ فِي الْعِدَّةِ مِنْ دُونِ عَقْدٍ جَدِيدٍ مَرَّتَانِ. فَإِمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحُ بِإِحْسَانٍ أَيْ فَعْلِيكُمْ إِرْجَاعَهُنَّ بِشَرْطِ عَدَمِ كَوْنِ الرَّجُوعِ لِلْإِضْرَارِ بِهِنَّ وَإِلَّا- فَاتَرَكَوهُنَّ حَتَّى يَخْرُجْنَ مِنْ عِدَّتِهِنَّ فَتَبْنَ مِنْكُمْ وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِتَسْرِيحِ بِإِحْسَانِ الطَّلَاقُ الثَّلَاثَةُ. وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا فَلَا يَحِلُّ أَخْذُ شَيْءٍ مِمَّا كُنْتُمْ أُعْطِيْتُمُوهُنَّ مِنَ الْمَهْرِ ثُمَّ اسْتَنْتَى بِدَلِّ الْخَلْعِ فَقَالَ: إِلَّا أَنْ يَخَافَ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ مِنَ الْوُضَائِفِ الزَّوْجِيَّةِ الْمَقْرَرَةِ لِكُلِّ مِنْهُمَا. فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ أَيْ الْوُضَائِفِ الْمَقْرَرَةَ فِي الزَّوْجِيَّةِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ أَيْ لَا بِأَسْ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْحَالِ أَنْ يَأْخُذَ الزَّوْجُ الْفَدْيَةَ فِي عَوْضِ طَلَاقِهَا إِيَّاهَا. وَلَا بِأَسْ بِإِعْطَاءِ الزَّوْجَةِ لَهُ فَدْيَةٍ مُقَابِلَ تَطْلِيلِهَا. تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ إِشَارَةٌ إِلَى مَا حُدِّدَ وَشَرَعَ مِنَ الْأَحْكَامِ فَلَا تَعْتَدُوها أَيْ لَا تَتَجَاوَزُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَهُ سَبْحَانَهُ يَكُونُ ظَالِمًا لِنَفْسِهِ أَوْ لَزَوْجَتِهِ. ٢٣٠- فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ: ... أَيْ إِنْ طَلَّقَهَا الزَّوْجُ لِلْمَرَّةِ الثَّلَاثَةِ بَعْدَ الطَّلَاقِ الْمَتَقَدِّمِ ذَكَرَهُمَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ وَلَوْ بِالْعَقْدِ. حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ أَيْ بَعْدَ أَنْ يَنْكِحَهَا زَوْجٌ آخَرٌ غَيْرَ زَوْجِهَا الَّذِي طَلَّقَهَا فَإِنْ طَلَّقَهَا أَيْ الزَّوْجَ الْجَدِيدَ، بَعْدَ دُخُولِهِ فِيهَا فَلَا- جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا أَيْ لَا إِثْمَ عَلَى الزَّوْجَةِ وَزَوْجِهَا الْأَوَّلِ أَنْ يَنْشَأَ الزَّوْجِيَّةُ بَعْدَ عِدَّتِهَا بِعَقْدٍ جَدِيدٍ. إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ أَيْ إِذَا اعْتَقَدَا أَنَّهُمَا قَدْ يَلْتَزِمَانِ بِمَا شَرَعَهُ الشَّارِعُ لَهُمَا مِنْ لَوَازِمِ الزَّوْجِيَّةِ. وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ كُلِّ مَا ذَكَرَهُ أَحْكَامُ اللَّهِ الْأُمُورَ الَّتِي بَيْنَهَا فِي النِّكَاحِ وَالطَّلَاقِ وَالزَّجْعَةِ، وَالْمُرَادُ بِحُدُودِ اللَّهِ هُوَ طَاعَاتُهُ وَشَرَائِعُهُ الَّتِي ذَكَرَتْ قَبْلَ هَذِهِ الْجُمْلَةِ، لَا مَطْلُوقَ الْأَحْكَامِ وَإِنْ كَانَتْ كُلُّهَا حُدُودَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ وَيُوضَحُهَا لِلْعُلَمَاءِ. إِرْشَادُ الْأُذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ٤٢ ٢٣١- وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَّغْنَ أَجَلَهُنَّ قَارِبِينَ انْقِضَاءَ عِدَّتِهِنَّ. فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ: مَر تَفْسِيرُ مَا يَمِثَلُهُ. بِمَعْرُوفٍ مِمَّا يَعْتَارِفُ عَلَيْهِ النَّاسُ مِنْ مَعَامَلَةٍ حَسَنَةٍ. وَلَا تُمَسِّكُوهُنَّ ضِرَارًا أَيْ لَا تَرَاغِبُوهُنَّ لِلْإِضْرَارِ بِهِنَّ لِتَعْتَدُوا أَيْ لَتَجُورُوا عَلَيْهِنَّ بِتَطْوِيلِ الْعِدَّةِ وَتَضْيِيقِ النِّفْقَةِ وَمَا شَاكَلَ. وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ أَيْ الْإِمْسَاكُ الضَّرَارِي وَالْإِعْتِدَاءُ عَلَيْهِنَّ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ أَضَرَّ بِهَا حَيْثُ عَرَضَهَا لِعِقَابِ اللَّهِ. وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوعًا لَا تَسْتَخَفُّوا بِأَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ وَادْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ أَيْ الْإِسْلَامَ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ أَيْ الْقُرْآنَ وَمَا فِيهِ مِنْ أَحْكَامٍ وَقِيلَ الْمُرَادُ بِالْحُكْمَةِ: السُّنَّةُ. يَعِظُكُمْ بِهِ أَيْ بِمَا أَنْزَلَ لَتَتَّقُوا اللَّهَ تَتَّعَظُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ تَجْتَنِبُوا مَعَاصِيَهُ. وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ مِنْ أَعْمَالِكُمْ وَغَيْرِهَا. ٢٣٢- وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَّغْنَ أَجَلَهُنَّ ... أَيْ انْقَضَتْ عِدَّتِهِنَّ فَلَا تَغْضُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحَنَّ أَزْوَاجَهُنَّ أَيْ لَا تَمْنَعُوهُنَّ مِنَ التَّزَوُّجِ بِمَنْ رَضِينَ بِهِمْ أَزْوَاجًا لَهُنَّ. وَقِيلَ بِمَنْ كَانُوا أَزْوَاجًا لَهُنَّ مِنْ قَبْلِ. وَقِيلَ إِنْ الْخُطَابُ عَامٌ لِلْأَوْلِيَاءِ وَغَيْرِهِمْ. إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ إِذَا تَوَافَقَ الرَّجَالُ وَالنِّسَاءُ بِالنِّكَاحِ الصَّحِيحِ وَبِمَا لَا يَكُونُ مُسْتَنْكَرًا. ذَلِكَ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْإِشَارَةُ بِذَلِكَ، لِلْأَحْكَامِ الْمَذْكُورَةِ آتِهَا الَّتِي يَخُوفُ بِهَا مِنْ ... ذَلِكَ أَرْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ أَيْ أَنَّ الْعَمَلَ بِمَا ذَكَرَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ مِنَ الرِّيْبَةِ. وَاللَّهُ يَعْلَمُ يَعْرِفُ مَا فِيهِ الصَّلَاحُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ذَلِكَ. ٢٣٣- وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ: ... أَمْرٌ لِلْأُمَّهَاتِ إِنْ شِئْنَ بِإِرْضَاعِ أَوْلَادِهِنَّ عَامَيْنِ تَامِينَ أَرْبَعَةَ وَعَشْرِينَ شَهْرًا. لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرِّضَاعَةَ أَيْ أَنَّ هَذَا الْحُكْمَ لِمَنْ رَغِبَ فِي إِمْتَامِ الرِّضَاعَةِ. وَإِلَّا فَبِمَقْدَارِ مَا يَجْرِي الْإِتِّفَاقُ عَلَيْهِ مَعَ الْأَبِّ. وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ أَيْ عَلَى الْأَبِّ كَسْوَةُ الْوَالِدَاتِ الْمَرْضِعَاتِ وَنَفَقَتِهِنَّ مِنْ طَعَامٍ وَغَيْرِهِ بِمَا يَعْتَارِفُ عَلَيْهِ لَا تُكَلِّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا بِقَدْرِ اسْتَطَاعَتِهَا لَا تُضَارُّ وَالِدَتُهُ بِوَلَدِهَا لَا تُضَرُّ الْأُمُّ وَلَدُهَا بِالتَّفْرِيطِ فِي حَضَانَتِهِ وَإِرْضَاعِهِ غِيظًا عَلَى أَبِيهِ. وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ أَيْ الْأَبُّ فَإِنْ عَلَيْهِ أَنْ لَا يَضُرَّ بَوْلَدِهِ فِي تَسَامُحِهِ بِدَفْعِ النِّفَقَاتِ، أَوْ أَنْ يَأْخُذَهُ مِنْ أُمِّهِ غِيظًا عَلَيْهَا فَيَضُرَّ بَوْلَدَهُ. وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ أَيْ تَجِبُ النِّفْقَةُ لِلْأُمِّ الْمَرْضِعَةِ عَلَى وَارِثِ الْأَبِّ الْمَتُوفِي. وَقِيلَ عَلَى وَارِثِ الرِّضِيعِ. فَإِنْ أَرَادَ فَصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ: أَيْ إِذَا أَرَادَ الْأَبُّ وَالْأُمُّ الْمَرْضِعَةُ فَطَامَ الْمَرْتَضِعَ قَبْلَ الْحَوْلَيْنِ وَتَشَاوَرَا وَاتَّفَقَا عَلَيْهِ. فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَيْ لَا مُوَاخَذَةَ تَلْحَقُ بِهِمَا لِذَلِكَ الْفَطَامِ الْمُبَكِّرِ إِذَا كَانَتْ فِيهِ مَصْلَحَةُ الرِّضِيعِ. وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ الْخُطَابَ لِلْأَبَاءِ لِأَنَّ النِّفْقَةَ عَلَيْهِمْ. فَإِذَا لَمْ

ترد الأم أن ترضع ولدها، فلأب أن يطلب مرضعة ثانية مكانها. فلا جناح عليكم إذا سَلَّمْتُمْ ما آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ أى لا حرج عليكم فى ذلك بشرط أن تسلموا ما ضمنتموه للمسترضعة من أجره حسب ما هو متعارف بين الناس. وَ اتَّقُوا اللَّهَ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ تجنبوا معاصى الله فهو بصير بأعمالكم لا- يخفى عليه منها شىء. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٢٣٤ ٤٣- وَ الَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً ... فالرجال الذى يموتون و يتركون أزواجا أى نساء، فعلى هؤلاء النساء أن يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أى يحبسن أنفسهن عن الزواج، معتدات أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَ عَشْراً أى عشر ليال و عشرة أيام بعد الأربعة أشهر، فهذه عدّة المتوفى عنها زوجها. فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ انتهت مدّة عدتهن فلا جناح عليكم فلا مؤاخذه أيها الأولياء أو الحكام أو المسلمون فيما فَعَلْنَ فى أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ فى الترويج و الخروج من بيوتهنّ و التزيّن بما هو جائز لهنّ عرفاً و شرعاً، لا بما هو منكروا وَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ عليم بأعمال عباده. ٢٣٥- وَ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فيما عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ ... الخطاب للرجال الأجانب عن النساء: لا حرج عليكم فيما لمّحتم به دون أن تصرّحوا للنساء المطلقات أو الأرامل مما يدل على رغبتكم فى نكاحهن لمعرفة مدى رضاهن بذلك. أَوْ أَكُنْتُمْ فى أَنْفُسِكُمْ أى لا حرج عليكم فيما أضمرتم و أخفيتم فى أنفسكم من رغبة فى نكاحهن بعد انتهاء عدتهن. و لم تعرّضوا و لم تصرّحوا. عَلمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَيَذْكُرُونَهُنَّ برغبتكم فيهن مخافة أن يسبقكم غيركم إليهن. وَ لَكِنْ لَا- تُوَاعِدُوهُنَّ سِرّاً إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا لَأَنَّهُنَّ أَجَنَبِيَّاتٌ، و المواعدة بالسّر قد تدعو إلى ما لا يحلّ و تجرّ إلى الحرام. و قيل إن معنى السر هو إسرار عقدة النكاح إِلَّا لَكِنْ أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا قولوا ما عرف شرعا من التعريض فهو مباح لكم دون غيره. وَ لَا- تَغْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ أى و لا- تعقدوا عقد الزواج بعد العدة. وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فى أَنْفُسِكُمْ من العزم و غيره فَاحْذَرُوهُ بِمُخَالَفَةِ مَا أَمَرَكُمْ بِهِ، وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ و اعتقدوا بأنى غفار لعبادى أمهل العقوبة. ٢٣٦- لَا- جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمْ النِّسَاءَ ... أى لا تبعه عليكم فى طلاقهن ما لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفَرِّضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً أى قبل أن تدخلوا بهنّ و قبل فرض مهر لهن. وَ تَمَتَّعُوهُنَّ عِطْفَ عَلَى مَقْدَرٍ، أى طلقوهنّ و متّعهنّ بإعطائهن من أموالكم ما يتمتعن به عَلَى الْمَوْسِعِ قَدْرُهُ، وَ عَلَى الْمُقْتَرِ قَدْرُهُ الْمَوْسِعُ: ذو السعة و هو الغنى و المقتر هو المقل من المال. فعلى كل واحد أن يتمتع مطلقته بما يتلاءم مع سعته أو إقلاله. مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ بما هو المتعارف حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ أى متاعاً ثابتاً واجبا على من يحسن فى مقام أداء حقوق الناس. ٢٣٧- وَ إِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَ قَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ ... بعد أن بين سبحانه حكم الطلاق قبل الدخول مع عدم فرض مهر للزوجة فى الآية السابقة بين هنا الحكم مع فرض المهر فحكم بأن للزوجة نصف ما فرض لها من مهر إِلَّا أَنْ يَغْفُوا وَ الْعَافِيَاتُ هُنَّ الْمُطَّلَقَاتُ لهن أن يتركن ما يجب لهنّ أَوْ يَغْفُوا الَّذِي يَبْدِيهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ أى الولي إذا كانت البنت صغيرة أو غير راشدة إذا كان فيه مصلحة لها. وَ أَنْ تَغْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى الْخُطَابُ لِلْمُطَلَّقةِ وَ الْوَلِيّ فى صورة المصلحة للعفو أما وجه أن العفو أقرب لانتقاء معصية الله لأن من ترك حق نفسه كان أقرب إلى انتقاء معصية الله بأخذ ما لا حق له فيه. وَ لَا- تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ أى لا- تتركوا تبادل الإحسان فيما بينكم. إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ عليم بأعمالكم. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٢٣٨ ٤٤- حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَ الصَّلَاةِ الْوُسْطَى ... أى داوموا على الصلوات المفروضة فى أوقاتها المحددة بكامل ما يعتبر فيها من شرائط و أجزاء و خاصة الصلاة الوسطى و هى صلاة الظهر. و خصها بالذكر لبيان زيادة الاهتمام بها. وَ قُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ أى انتصبوا فى الصلاة داعين لأن القنوت هو الدعاء فى الصلاة حال القيام. ٢٣٩- فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ... فإن عرض لكم خوف لأى سبب فصلوا على أرجلكم و قيل مشاء أو حال كونكم راكبين على دوابكم فَإِذَا أُمِيتُمْ زَالِ خَوْفُكُمْ فَادْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمُ صَلَاةَ الْمُخْتَارِ الآمن كما علمكم سبحانه ما لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ما كنتم تجهلون من كيفية الصلاة و غيرها من الأحكام. ٢٤٠- وَ الَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ ... أى الذين يقاربون منكم الوفاة، وَ يَذَرُونَ أَزْوَاجاً و يتركون بعد موتهم زوجات، وَصِيَّةٌ لِأَزْوَاجِهِمْ فليوصوا وصية بناء على قراءة النصب. و قرئ بالرفع، أى عليهم وصية لأزواجهم و قد نسخ هذا الحكم متاعاً إِلَى الْحَوْلِ ما يتمتعن به من النفقة حولاً. غَيْرِ إِخْرَاجِ أى غير مخرجات من بيوت سكنهنّ. فَإِنْ خَرَجْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَنَازِلِ الْأَزْوَاجِ قَبْلَ تَمَامِ الْحَوْلِ و بعد انقضاء العدة. فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فى مَا فَعَلْنَ فى أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ أَيُّهَا الْأَوْلِيَاءُ لِلْمَيِّتِ إِذَا خَرَجْنَ مِنَ الْعَدَّةِ أَوْ بَانْقِضَاءِ السِّنَّةِ، فلا بأس عليكم

إن قطعتم عنهن النفقة أو تركن الحداد أو تزوجن لأن ذلك ليس منكرا. وَاللَّهُ عَزِيزٌ غَالِبٌ لَا يَظْهَرُهُ أَحَدٌ، حَكِيمٌ يَفْعَلُ مَا فِيهِ الْمَصْلَحَةُ.

٢٤١- وَلِلْمُطَلَّقاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ: ... تأكيد لمتعة غير المدخول بها و من لم يسم لها مهر. وقد تقدم. ٢٤٢-

كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ... يعنى: كما بين الله تعالى لكم سابقا الأحكام و ما تحتاجون إلى معرفته فى دينكم، يبين لكم هذه الأحكام مع دلائل وجوده لعلكم تكمل عقولكم. ٢٤٣- أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ ... أى ألم ينته علمك إلى القوم الذين خرجوا من ديارهم فرارا من الموت قيل هم قوم من بنى إسرائيل بلغ عددهم على رواية سبعين ألفا وقع الطاعون فيهم و قيل فرّوا من الجهاد. الخطاب تقدير لمن سمع بقصة القوم الذين خرجوا من ديارهم حذر الموت خوفا منه. فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا أى أماتهم الله جميعا على حالهم التى كانوا عليهم ثُمَّ أَحْيَاهُمْ أى رَدَّاهُمْ إلى الحياة، قيل بدعاء نبهم حزيل. إِنَّ اللَّهَ لَمَذُورٌ فَضَّلَ عَلَى النَّاسِ وَرَدَتْ هُنَا لِأَنَّ إِحْيَاءَ هَؤُلَاءِ بَعْدَ مَوْتِهِمْ إِنْعَامٌ عَلَيْهِمْ، وَعِبْرَةٌ لَهُمْ وَلِغَيْرِهِمْ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ اللَّهُ حَقَّ شُكْرِهِ. ٢٤٤- وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ... جاهدوا لإعلاء كلمته، و الخطاب للمسلمين. وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ لَأَقْوَالِكُمْ عَلَيْكُمْ بِمَا فِي ضُمَائِكُمْ فَاحْذَرُوهُ. ٢٤٥- مَنِ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ ... من ذا الذى ينفق فى سبيل الله و طاعته و المراد به الأمر و ليس هذا بقرض حاجة على ما قاله اليهود بأن ربنا فقير فهو يستقرض منا كفرا و سخرية. قَرْضًا حَسَنًا أى مقرونا بالإخلاص و طيب النفس. فَيُضَاعَفْ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً أى يكثر له جزاءه و يزيد فى ثوابه و تعويضه و الكثير عنده سبحانه لا يحصى. وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ أى يقتر على قوم و يوسع على آخرين حسب حكمته. وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ تعودون بعد الموت. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٢٤٦ ٤٥- أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ ... أى ألم ينته علمك يا محمد إلى ما سأله جماعة الأشراف من بنى إسرائيل لنبهم و قيل بأنه شمعون و قيل يوشع و قيل غير ذلك بعد موت موسى (ع) ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أى هتئ لنا قائدا نأتمر بأمره و ننتهى بنهيه و نقاتل معه و نجاهد فى سبيل ربنا و حسبته له تعالى. قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا أَجَابَهُمْ نَبِيهِمْ: لَعَلَّكُمْ إِنْ فُرِضَ عَلَيْكُمُ الْمَحَارِبُ مَعَ ذَلِكَ الْقَائِدِ تَجْتَنِبُونَ وَ لَا تُقَاتِلُونَ. و الاستفهام تقريرى. يعنى أنتم كذلك و لستم من أهل مقاتلة الخصم و مبارزته. قَالُوا وَ مَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أى ماذا يمنعنا من القتال فى طريق الحق وَ قَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَ أَبْنَانُنَا مِنْ أَوْطَانِنَا وَ أَهْلُنَا بِالْحَرْبِ وَ السَّبْيِ وَ هَلْ يَتَصَوَّرُ بَعْدَ هَذَا مَانِعٌ مَعْقُولٌ عَنِ الْقِتَالِ؟ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ أى فرض عليهم حرب العمالقة الذين كانوا يسكنون ساحل بحر الروم- المتوسط- بين مصر و فلسطين، و قد كانوا غالبيين على بنى إسرائيل. تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ أى جنبوا و أدبروا عن القتال غير طائفة قليلة. و قيل: كان عدد الباقيين الموافقين على القتال ثلاثمائة و ثلاثة عشر رجلا. وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ أى كان الله عليما بما سوف يؤول إليه أمرهم من الظلم و هو معصية الله بفرارهم من القتال. ٢٤٧- وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ ... الذى سألوه مسألتهم إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا و قيل سَمَى طالوت، لطوله. و فى بعض كتب اليهود عن بعض المؤرخين: كان أطول من جميع بنى إسرائيل من كتفه فما فوق. قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا أى كيف يكون له سلطان علينا وَ نَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَ نَحْنُ أَوْلَى بِالْمُلْكِ مِنْهُ لِأَنَّا مِنْ سَبْطِ النُّبُوَّةِ وَ هُوَ لَيْسَ كَذَلِكَ. وَ لَمْ يُؤْتِ سَعَةً مِنَ الْمَالِ لِيَقْدِرَ عَلَى تَمْلِكِ النَّاسِ بِهِ فَالْمُلْكُ بِلَا مَالٍ كَالْمَحَارِبِ بغير سلاح، قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ أى اختاره عليكم و هو أعلم بمصالح عباده وَ زَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَ الْجِسْمِ: أى سعة حيث كان أعلم بنى إسرائيل فى وقته و أجملهم و أنتمهم و أقواهم جسما. و هذان هما قوام الملك. لا ما ذكرتموه. فهذان الأمران أهم للسلطان مما اعتبرتم. وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ اللَّهُ يَعطى ملكه بحسب ما تقتضى حكمته و مصالح عباده فَازِمَةٌ الأمور بيده تعالى. وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ذو فضل و علم بمن له صلاحية الملك و الزعامة و السياسة الدنيوية و الدينية. ٢٤٨- وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ ... لما طلبوا منه دليلا- على أن تملك طالوت كان بمشيئة الله. إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أى علامة تملكك الله له أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ قِيلَ إِنَّهُ الصَّنَدُوقُ الذى أنزله الله على أم موسى فوضعت فيه ابنها و ألقته فى البحر، جعل فيه موسى (ع) الألواح و آثار النبوة كان فى بنى إسرائيل معظما يتبركون به ثم استخفوا به و احتقروا بعد موسى بمدته فرفعه الله عنهم، و قيل غير ذلك. و قد رَدَّ اللَّهُ بعد تملكه لطالوت عليهم. فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ طمأنينة لقلوبكم جعلها الله فيه و هذا من نعم الله على بنى إسرائيل كالمَنِّ و السلوى و غيرهما مما مَنَّ اللَّهُ تعالى به

عليهم. أما التابوت فكان عندهم بمنزلة اللواء الأعظم في الحرب، و كان معه الفتح و الظفر، وَ بَقِيَّةُ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَ آلُ هَارُونَ البقية ما كان قد وضع في التابوت بيد موسى (ع) و بقي فيه من آثار النبوة كالعصا، و نعلى موسى، و عمامة هارون إلخ و المقصود بآل موسى و هارون نفساهما. تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ قِيل: حملته قدام جيش طالوت عاليا بين السماء و الأرض، حتى إذا رآه بنو إسرائيل عيانا سكنت قلوبهم إِنَّ فِي ذَلِكَ أَى فى رجوع التابوت إليكم بعد رفعه من بينكم منذ زمن طويل لَأَيَّةٌ لَكُمْ علامته لكم على تمليك طالوت عليكم. إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ إِنْ كُنْتُمْ مُصَدِّقِينَ لقول نبيكم فى ذلك. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٢٤٩ ٤٦- فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ ... أى فلما خرج طالوت بجيشه من مكانه و كان الجو حارا فشكوا له قلة الماء قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ أى ممتحنكم بماء نهر ليميز الصادق من الكاذب منكم. فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي أى فمن شرب من ماء النهر فإنه لا- يكون من أتباعى و أهل ولايتى و لا- مؤمنابى و منقاد لأمرى، بل يعد فى زمرة العاصين و المعاندين. وَ مَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي يعنى و من لم يذقه فإنه من التابعين لى و أهل ولايتى. إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ مستثنيا بذلك الغرفة الواحدة باليد، ليعلم مبلغ طاعتهم لأوامر الابتلاء. فَشَرِبُوا مِنْهُ أى كلهم متجاوزين الحد المقدر المباح لهم. إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ كَفُّوا أنفسهم و لم يشربوا منه إِلَّا بمقدار الرخصة. و روى أن من اقتصر على الغرفة روى و من استكثر غلب عطشه و عجز عن المضى و اسودت شفته. فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ أى عند ما تخطى طالوت النهر هو و جنده الذين شربوا كما أمرهم و الذين لم يطعموا الماء أبدا. قَالُوا أى الذين اغترفوا قال بعضهم لبعض. و قيل الكافرون منهم لا- طاقمة لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَ جُنُودِهِ لا قدرة لنا على صد جالوت و جيشه. و لن نتمكن من قتاله و محاربته. قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَى يَتَّقُونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ أى بالبعث و الجزاء و هم المؤمنون المخلصون ممن لم يطعموا الماء أصلا كما قيل. كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ أى فرقة قليلة غلبت فِتْنَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ انتصرت على فرقة أكبر منها بأمر الله و الله مَعَ الصَّابِرِينَ يؤيدهم بنصره. ٢٥٠- وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَ جُنُودِهِ ... أى حين ظهر طالوت و المؤمنون معه لمحاربة عدوهم قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا طلبوا الصبر من الله تعالى يصبه عليهم صبا ليكون كافيا وافيا. وَ بَيَّنَّ أَقْدَامَنَا فى مواقع الحرب و النزال وَ انْصَرَفْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ وَ أظفرنا بجالوت و جنوده. ٢٥١- فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ ... أى غلبوهم بأمر الله. و المأثور أن هزيمة الكفار حصلت بعد أن قتل داود جالوت. وَ قَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ بِالمقلاع الذى كان معه و داود كان فى جيش طالوت وَ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ آتَى داود السلطان و الحكم المهيبة الذى لم يتيسر لأحد قبله. وَ الْحِكْمَةُ أى النبوة وَ عِلْمُهُ مِمَّا يَشَاءُ كفصل القضاء، و عمل الدروع السابغات أى الواسعة، و الصوت الجميل، و الزبور السماوى، بحيث لو قرأه بصوته لا- جمعت عليه الطيور تسبح الله و تمجده. وَ لَوْ لا- دَفَعَ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ أى ضرب الكافرين و المنافقين و المفسدين، و دفعهم بالمؤمنين، لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ خربت بغلبة المفسدين و الكفرة. وَ لَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ذو نعمة على الناس فى دينهم و دنياهم. ٢٥٢- تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ ... أى ما تقدم ذكره فى الآيات السابقة هو دلالات الله على قدرته تثلوها عَلَيْكَ بِالْحَقِّ نقرأها عليك يا محمد بالصدق و قيل: جبريل يقرأها عليك بأمر منا. وَ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ أى المبعوثين من الله إلى الناس كافة، بدلالة هذه الآيات: كإماتة ألوف الناس دفعة واحدة. و كإحيائهم كذلك بدعاء نبيهم، و كتمليك طالوت الذى لم يكن من الأسرة المالكة و أولاد يعقوب، و كتمليك داود و قد كان راعيا للغنم و تعليمه الحكمة و فصل الخطاب. و كهزيمة جالوت و العمالقة ... إلخ. فهى من الغيب الذى لا- يعلمه إلا- الله فأخبارك بها أكبر دليل على أنه قد أوحى إليك بها من الله و الله لا يوحى إلا إلى أنبيائه. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٢٥٣ ٤٧- تِلْكَ الرُّسُلُ ... إشارة إلى الأنبياء المذكورة قصصهم فى السورة فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ بمنقبه أو فضيلة تخصه مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ كَمُوسَى وَ رَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ أى فضّلهم بارتقاء المراتب كمحمد (ص). وَ آتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ أى المعجزات الدالة على صدق دعواه بأنه رسول الله. وَ أَيْدِنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ مر تفسيره فى الآية ٨٧ من هذه السورة وَ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ لَمْ يَقْتُلِ النَّاسَ بعد بعث الرسل و الدلائل بأن يلجنهم إلى الإيمان و يمنعهم من الكفر فلم يرد الله ذلك لاستلزامه إبطال فلسفة الثواب و العقاب التى لا تتم إلا مع اختيار للإنسان وَ لَكِنْ اخْتَلَفُوا تَنَازَعُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بتوفيق الله و حسن اختياره هو الهدى وَ مِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ بسوء اختياره وَ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا

أَقْتُلُوا تَأْكِيدَ وَ لَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ مما تقتضيه المصلحة و توجه الحكمة. ٢٥٤- يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ ... أى يا من صدّق بمحمد (ص) أنفقوا مما رزقناكم و ما فرضناه عليكم من زكاة الأعم من الفرض و النفل مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةً أى قبل أن يأتى يوم القيامة حيث لا بيع: أى تجارة و لا خلة: أى صداقة و لا شفاعه: إذ لا يملكها يوم القيامة إلا من ارتضى من عباده و هؤلاء لا- يشفعون إلا- لمن ارتضى سبحانه. وَ الْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ وَ الْكَافِرُونَ بِاللَّهِ الْمُنْكَرُونَ لأحكامهم هم الظالمون لأنهم عملوا بأنفسهم ما أوجب حرمانهم يوم القيامة من رحمة الله. ٢٥٥- اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ... هو المستحق للعبادة لا غيره و لا تحق الألوهية لسواه لأنه الذات المقدسة المتصفة بصفات الربوبية. الْحَيُّ أى الباقي الذى لا سبيل للفناء عليه لأنه الموجد للحياة و الفناء. الْقَيُّومُ: القائم الدائم بتدبير الخلق و حفظهم فى جميع شؤونهم لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ نَعَّاسٌ وَلَا نَوْمٌ أى ما يعرض للمخلوق فيغلب على سمعه و بصره. فإلله منزّه عن كل ذلك. لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أى هو المالك لما فيها و المتصرف فى جميع أمورها و المتكفل بكل حاجاتها مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ الاستفهام إنكارى، أى: لا يشفع يوم القيامة شافع مِمَّنْ ترجى شفاعته إلا بأمره. يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ أى أنه سبحانه يحيط بماضى الخلق و حاضره و مستقبلهم و قيل يعلم أمور الدنيا و الآخرة. وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ لَا يَعْلَمُونَ بِشَيْءٍ من معلوماته كما هو على الحقيقة إِلَّا بِمَا شَاءَ أى بما أراد أن يطلعهم عليه فعلمه ذاتى و علمهم عرض زائل وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قِيلَ: الكرسي: العلم أى أحاط علمه بهما. و قيل هو القدرة و السلطان أى أحاطت قدرته و سلطانه بهما. وَلَا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا لَا يَثْقُلُهُ إِسْكَاهُهَا فهو جَلٌّ و علا يمسكهما بقدرته الكاملة وَ هُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ المنزّه عن المثل و عن كل ما هو من صفات الممكن أو أن العلى مأخوذ من العلو بمعنى القدرة و السلطان و العظيم الشأن الكبير القادر فى سلطانه. ٢٥٦- لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ... أى ليس فى اعتناق الإسلام إكراه من الله و لكن العبد مخير فيه. و قيل: كان هذا قبل أن يؤمر النبى (ص) بقتال أهل الكتاب ثم نسخ بقوله تعالى: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ و لكن دعوى النسخ باطله لوجوه لا مجال لذكرها. قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ أى بعد ظهور طريق الحق و وضوحه من الباطل، و تمامية الحجة على الناس. فلا إكراه فى الدين و لا جبر عليه، بل صاروا مخيرين بالأخذ بأية عقيدة شأوا، ليهلك من هلك عن بينة و ليحيا من حيا عن بينة. فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ أى يجحده و يتبرأ منه. و الطاغوت هو الشيطان أو ما عبد من دون الله وَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ أى يصدق بالله و رسله. فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى أى اعتصم بعصمه متيناً لَا انْفِصَامَ لَهَا لَا تَنْقُطُ أَبَداً وَ لَا تَحُلْ. وَ اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ يسمع الأقوال و يعلم ما فى الضمائر. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٢٥٧ ٤٨- اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا ... أى وكيلهم الذى هو أولى بهم من أنفسهم، و مغيثهم، و ناصرهم يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ أى من ظلمات الكفر و الضلالة إلى نور الإيمان و الهداية بتوفيقه و لطفه. وَ الَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الطَّاغُوتُ و المراد بالطاغوت الشيطان أو رؤوس الضلال و الطاغوت و إن كان واحداً إنما أريد به الجمع يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ و المراد بالطاغوت الشيطان أو رؤوس الضلال و الطاغوت و إِنْ كَانَ واحداً إنما أريد به الجمع يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ من نور الإيمان إلى ظلمات الضلالة و الجهالة. أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ إشارة إلى الذين كفروا مع طواغيتهم. ٢٥٨ - أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ ... الاستفهام تقريرى أى لا بد أن تتدبر يا محمد. أو هل رأيت شخصا كالذى جادل إبراهيم فى ربه الذى كان يدعو إلى عبادته و توحيده و المجادل لإبراهيم كان النمرود و هو أول من ادعى الربوبية. أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ أى لأنه تعالى أنعم عليه بنعيم الدنيا وسعة المال فطغى و دفعه بطره (نمرود) إلى إنكار المنعم عليه، فبعث الله إبراهيم (ع) ليدعوه إلى طريق الحق إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّىَ الَّذِى يُحْيِى وَيُمِيتُ فى الكلام حذف تقديره أن النمرود قال لإبراهيم (ع): مَنْ رَبِّكَ؟ ... فأجابه إبراهيم ربه الذى يخلق الحياة و الموت. قَالَ أَنَا أَحْيِى وَأُمِيتُ أى أنا أحيى من هو مستحق للقتل فلا أقتله فأكون قد وهبته الحياة من جديد، و أميت إذ أقتل من أشاء و هو جواب يدل على جهل من نمرود لأن عدم القتل إبقاء لحياة موجودة، و ليس إحداث حياة لم تكن، قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِى بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ أى إن كنت إليها فغير سنه من سنن الكون بجعل الشمس تطلع من المغرب لأن الإله لا- بد أن تكون عنده القدرة على ذلك فَبَهِتَ الَّذِى كَفَرَ أى فشل و تحير لوضوح الحجة و عجزه عن مواجهتها. وَ اللَّهُ لَا

يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ لأنفسهم بإبائهم قبول الهداية. وقيل: لا يعينهم على تحقيق ما ابتغوه من فساد. ٢٥٩- أو كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ ... أى انظر و تفكر فى قصّة أخرى غريبة كقصّة محاكمة إبراهيم مع خصمه. هى قصّة الذى مر على قرية قيل إنه عزيز و القرية هى بيت المقدس و هى خاوية على عروشها العروش: جمع عرش. و يطلق على ركن الشئ و ما به قوامه، و التعبير كناية عن خرابها على يد بختنصر و قيل: خاوية يعنى خالية قال أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا و أَنَّى: ظرف، أى: متى. أو حال، بمعنى: كيف. أى تسأل عزيز: كيف أو متى يحيى الله أهل هذه القرية بعد موتهم و تفرّق أجزائهم؟ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ أى أعاده حيا إلى الدنيا قَالَ كَمْ لَبِثْتَ مكثت بإسماع صوت أو بيعث ملكك أو نبى. قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ وهذا كلام الظان لأن الله أماته فى أول النهار، و بعثه بعد مائة عام فى آخر النهار، فظن أنه نفس يوم نومه. (قال) القائل الذى احتملناه فى المورد: بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ أى مكثت هنا مائة سنة فَأَنْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ و قيل كان تينا أو عنباً و شَرَابِكَ و كان كما قيل عصيرا أوتينا لَمْ يَسْتَنْهَ أى لم يتغير بمرور السنين المتطاوله و أَنْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ الذى كيف تفرقت اجزائه بالموت و الفناء. وَلَنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ حجة و علامة ترشد المنكرين للبعث و أَنْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ أى عظام الحمار أو سائر الموتى كَيْفَ نُنْشِئُهَا أى نرفع بعضها على بعض لتركيبها فى أماكنها من الجسد ثُمَّ نَكْسُوها لَحْمًا أى نلبسها لحما بذاته نجعله من ها هنا و ها هنا ... فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أى عند ما انضحت لعزير كل تلك البينات قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ أى: حصل لى اليقين الكامل من المشاهدة و العيان بأن الله قادر مطلق على أن يبعث الموتى. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٢٦٠ ٢٤٩- و إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى ... انظر يا محمد إلى قصّة أخرى لإبراهيم حين سأل ربه أن يريه بالحس كيفية إحيائه الموتى بعد أن كان قد آمن بالعقل بقدرته تعالى على الإحياء بعد الإماتة و لذا فسّاه (ع) هذا لا يتنافى مع إيمانه العميق بالله و قدرته بلا أدنى شك. قَالَ أَوْ لَمْ تُؤْمِنُ استفهام تقريرى أى: بقدرتى على الإحياء قال بلى و لَكِنْ لِيُطْمَئِنَّ قَلْبِي أى يزداد سكونا و اطمئنانا بانضمام العيان إلى البرهان. قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ جمع طائر و الطيور قيل هى: طاووس، و ديك، و حمام، و غراب. فَصَرَّهُنَّ إِلَيْكَ أى اضممهن و قيل: قطعهن أجزاء ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا و قيل بأنها كانت عشرة أجبل و قيل أقل. ثُمَّ ادْعُهُنَّ أى نادهن: يا ديك، يا طاووس، إلخ ... يَأْتِيَنَّكَ سَعْيًا يَجِئَنَّ إِلَيْكَ مسرعات ساعيات. و أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ أى غالب ذو إحكام لما يبرمه. ٢٦١- مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ... على القول بأن التشبيه راجع إلى النفقات فالمعنى أن مثل ما ينفقون من أموالهم فى وجوه البر و منها الجهاد و أما على القول برجوعه إلى المنفقين فالمعنى: مثل المنفقين لأموالهم فى سبيل الله كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فى كُلِّ سَبِيلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ أى أن تلك النفقات فى البر تتضاعف لسبعمائه ضعف و اسناد الإنبات إلى الحبة مع أن المخرج الحقيقى لها هو الله سبحانه هو إسناد لبعض الأسباب كالماء و الأرض إلخ. و الله يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ أى يزيد على سبعمائه لمن يشاء بحسب إخلاصه و الله واسع أى موسع فى عطائه عَلِيمٌ بذوى الاستحقاق للمضاعفة و بنيه كل منهم. ٢٦٢- الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فى سَبِيلِ اللَّهِ ... تفضله سبحانه على المنفقين من أموالهم فى سبيله بمضاعفة أموالهم و أجورهم مشروط بشرطين: ثُمَّ لَا يَتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَّا الشَّرْطُ الأول أن لا يمتنوا على من أعطوه كأن يفخر المعطى بعطائه. و الشرط الثانى و لا أذى و هو الضرر اليسير. و قيل: هو أن يعبس المعطى فى وجه من أنفق عليه أو يسخره فى بعض أعماله نتيجة إنفاقه. لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ لهم جزاء برهم عند الله و لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ و لا هُمْ يَحْزَنُونَ أى يوم القيامة لأنهم يبعثون مطمئنين إلى صدق وعد الله بجزيل الثواب. ٢٦٣- قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَ مَغْفِرَةٌ ... أى التلطف مع السائل فى الكلام. و المغفرة العفو عن إلحاحه. خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أذى أى من إنفاق يقارنه الأذى و المن و الله غَنِيٌّ عن صدقاتكم بل كل طاعاتكم حَلِيمٌ لا يعاجل بالعقوبة. ٢٦٤- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صِدْقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَ الْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ: ... أى أن المن و الأذى سبب فى إبطال الصدقات بمعنى عدم ترتب الأثر عليها عينا كإبطال الرياء لصدقة المرائى الذى يقصد من تصدقه أن يراه الناس ليمدحوه، و يقولوا إنه محسن. و لا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ إذ لو كان مؤمنا بذلك لما عمل لغير الله فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صِهْفٍ مُوَأَنٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ أى أن المرائى فى إنفاقه كأنه حجر أملس عليه تراب فأصابه وابل أى نزل عليه مطر غزير فجرف التراب عنه فَتَرَكَهُ صِهْلًا حَجَرًا صلبًا أملس لا يصلح لزرع و لا إنبات ... فإن المنفقين بهذه الأوصاف لا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا

كَسَبُوا أَى لَا يَجِدُونَ ثَوَابَ مَا أَنْفَقُوا كَمَا لَا يَجِدُ الْإِنْسَانُ نَتِيجَةَ بَذَرِهِ عَلَى الصَّخْرِ الصَّلْدِ، وَلَا التُّرَابِ الَّذِي جَرَفَهُ الْوَابِلُ عَنْهُ. وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ أَى لَا يَمْنَعُهُمْ مِنَ الْهَدَى وَلَكِنَّهُ لَا يُوَفِّقُهُمْ إِلَيْهِ لِعَدَمِ اسْتِعْدَادِهِمْ لَتَلْقَى الْطَافَةَ. إِرْشَادُ الْأُذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ٢٦٥ ٥٠- وَمِثْلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ... إِنْ اللَّهُ قَابِلٌ بَيْنَ الْإِنْفَاقِ الْمَرْضِيِّ الْمَأْمُورِ بِهِ وَالْإِنْفَاقِ الْمَنْهَى عَنْهُ وَضَرْبٍ لِدَلَالَةِ أَمْثَالِهَا تَوْضِيحِيَّةٍ وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ مِثْلُ سَبْحَانَهُ لِمَنْ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ إِيْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ أَى يَصْرِفُونَ مِنْ أَمْوَالِهِمْ فِي طَرَقِ الْبِرِّ طُلُبًا لِمَرْضَاهِ تَعَالَى، وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ تَوَطُّينًا لِنَفْسِهِمْ عَلَى الثَّبُوتِ عَلَى طَاعَتِهِ سَبْحَانَهُ كَمِثْلِ جَنَّةٍ بَرْبُوهُ كِبِسْتَانٍ عَلَى مَرْتَفَعٍ مِنَ الْأَرْضِ. وَقَدْ افْتَرَضَهَا سَبْحَانَهُ بَرْبُوهُ لِأَنَّ شَجَرَهَا يَكُونُ أَنْضَرُ وَثَمَرُهَا أَكْثَرُ أَصَابَهَا وَابِلٌ أَى مَطَرٌ غَزِيرٌ. فَآتَتْ أَكْلَهَا ضِعْفَيْنِ أَى أَعْطَتْ غَلَّتْهَا مِثْلِينَ مِمَّا كَانَتْ تَعْطِيهِ. فَإِنْ لَمْ يُصَيَّبْهَا وَابِلٌ فَطُلٌّ فَإِذَا لَمْ يَتَسَنَّ لَهَا الْوَابِلُ فَإِنَّهَا يَنْزِلُ عَلَيْهَا الطَّلُ: الْمَطَرُ الْخَفِيفُ كَالرِّذَاذِ فَهِيَ مُنْتَجَةٌ عَلَى كُلِّ حَالٍ. وَكَذَلِكَ حَالُ الْإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ. وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ يَرَى أَعْمَالَكُمْ فِيجَازِيكُمْ بِحَسَبِهَا. ٢٦٦- أَيْوَدُ أَحَدُكُمْ ... أَيْ حِبُّ أَحَدِكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ أَى بَسْتَانٍ يَنْتِجُ غَالِبًا هَاتَيْنِ الثَّمَرَتَيْنِ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ حَالُ كَوْنِ مِيَاهِ الْأَنْهَارِ تَجْرَى مِنْ تَحْتِ أَشْجَارِهَا وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ بَلَغَ حَدَ الشَّيْخُوخَةِ وَالْهَرَمِ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ أَى أَوْلَادٌ صَغَارٌ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى تَحْصِيلِ مَعَاشِهِمْ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ أَى ضَرْبَتْهَا رِيحٌ هَوَجَاءَ التَّفْتِ بِأَشْجَارِهَا وَكَانَ فِي الْإِعْصَارِ نَارٌ سَمَاوِيَّةٌ فَاحْتَرَقَتْ أَشْجَارُ تِلْكَ الْجَنَّةِ وَهَذَا مِثْلُ لِمَنْ يَعْمَلُ الْحَسَنَاتِ عَنْ طَرِيقِ إِنْفَاقِ الْمَالِ وَغَيْرِهِ وَلَا يَرِيدُ بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ سَبْحَانَهُ ثُمَّ إِذَا اشْتَدَّتْ حَاجَتُهُ إِلَيْهَا فِي الْآخِرَةِ يَجِدُهَا قَدْ حَبَطَتْ فَيَتَحَسَّرُ كَمَا يَتَحَسَّرُ صَاحِبُ الْجَنَّةِ الْمُحْتَرَقَةِ الَّتِي كَانَتْ سَبَبَ مَعَاشِهِ وَمَعَاشِ أَوْلَادِهِ. كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ أَى يُوَضِّحُ لَكُمْ الدَّلَالَاتِ وَالْحُجُجَ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ تَتَذَكَّرُونَ وَتَعْتَبِرُونَ بِنَتِيجَةِ مَا ذَكَرْنَاهُ لَكُمْ وَتَتَذَكَّرُونَ فِي الْآيَاتِ لِلْإِعْتِبَارِ ... ٢٦٧- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ ... أَى اصْرِفُوا عَلَى الْمُحْتَاجِينَ مِنْ حَلَالِهِ أَوْ مِنْ جِيدِهِ. وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْمَأْرُوسِ أَى وَأَنْفَقُوا مِنَ الثَّمَارِ وَالْغُلَاتِ فِي طَرَقِ الْبِرِّ فَرَضًا وَنَفْلًا وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ أَى لَا تَقْصِدُوا صَرْفَ الرَّدَى مِنْ أَمْوَالٍ أَوْ مَزْرُوعَاتٍ أَى مُنْفَقِينَ مِنْهُ وَلَسْتُمْ بِأَخَذِيهِ إِلَّا أَنْ تُعْمِضُوا فِيهِ: الْإِعْمَاضُ فِي الْبَيْعِ الْحِطُّ مِنَ الثَّمَنِ لَعِبٍ فِيهِ. وَالْمَعْنَى: أَنْتُمْ تَنْفِقُونَ مِنْ رَدَى أَمْوَالِكُمْ فِي حِينٍ لَوْ أُعْطِيَ لَكُمْ لَا تَأْخُذُونَهُ مِنْ غَرَمَائِكُمْ إِلَّا بِالْمَسَاهِلَةِ أَوْ بَعْدَ الْحِطِّ مِنْ ثَمَنِهِ. وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْ صَدَقَاتِكُمْ حَمِيدٌ أَى مَحْمُودٌ عَلَى آلَائِهِ وَنِعْمِهِ وَقِيلَ بِمَعْنَى حَامِدٍ أَى مُجَازٍ لِلْمُنْفِقِينَ الْبِرَّةَ عَلَى إِحْسَانِهِمْ بِالْنِيَّةِ الْخَالِصَةِ. ٢٦٨- الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ ... يَخُوفُكُمُ الْفَقْرَ عِنْدَ الْإِنْفَاقِ فِي الْبِرِّ لِيَصَدَّكُمْ عَنْهُ وَيَأْمُرَكُمْ بِالْفَحْشَاءِ أَى يَسُوءُ لَكُمْ كُلَّ قَبِيحٍ مِنَ الْفِعْلِ أَوْ الْقَوْلِ. وَقِيلَ: الْفَحْشَاءُ: الْبُخْلُ. وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ أَى عَفْوًا عَمَّا فَرِطْتُمْ بِهِ وَفَضْلًا أَى زِيَادَةً فِي الْآخِرَةِ مِمَّا أَنْفَقْتُمْ فِي الدُّنْيَا ... وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ مُوسِعٌ عَلِيمٌ بِمَقْدَارِ إِنْفَاقِكُمْ فِيضَاعُهُ دُنْيَا وَآخِرَةٌ. ٢٦٩- يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ ... الْحِكْمَةُ قِيلَ بِأَنَّهَا الْعِلْمُ الَّذِي تَعْظُمُ نَفْعَتُهُ وَتَجَلُّ فَائِدَتُهُ يَعْطِيهِ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ. وَقِيلَ هِيَ عِلْمُ الْقُرْآنِ. وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ. وَمَنْ يُؤْتِ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَفَسَّرَ الْخَيْرَ هُنَا بِالشَّرَفِ وَالْكَرَمِ وَالْمِرَادُ بِكَثْرَتِهِ هُوَ الْمَرْتَبَةُ الْفَاضِلَةُ. أَمَّا تَقْدِيمُ ثَانِي الْمَفْعُولِينَ فِي الْجُمْلَةِ الْأُولَى فَهُوَ إِهْتِمَامٌ بِهِ كَمَا أَنَّ تَنْكِيرَ الْخَيْرِ فِي الْجُمْلَةِ الْآخِرَةِ لِلتَّعْظِيمِ، أَى: خَيْرٌ كَثِيرٌ ... وَمَا يَذَكِّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ يَعْنِي: لَا يَتَذَكَّرُ وَلَا يَتَعَبَّرُ بِجَمِيعِ مَا فَصَّلْنَا إِلَّا ذَوُو الْعُقُولِ الصَّائِبَةِ. إِرْشَادُ الْأُذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ٢٧٠ ٥١- وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ ... أَى مِمَّا أَنْفَقْتُمْ مِنْ صَدَقَةٍ فِي الْبِرِّ أَوْ مِنْ نَفَقَةٍ قَبِيحَةٍ غَيْرِ مَرْضِيَّةٍ مِنْهُ تَعَالَى كَالَّتِي يَعْقِبُهَا الْمَنُّ وَالْأَذَى. أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذَرٍ هُوَ أَنْ يَعْقِدَ الْإِنْسَانُ فِعْلَ شَيْءٍ مِنَ الْبِرِّ بِشَرَطِ كَأَن يَقُولَ: لِلَّهِ عَلَى كَذَا إِنْ حَصَلَ كَذَا. فَمِمَّا فَعَلْتُمْ مِنْ ذَلِكَ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ يَعْرِفُهُ فَيُثَبِّتُ عَلَيْهِ نَفَقَتَهُ مَرْضِيَّةً كَانَ أَوْ نَذَرًا فِي طَاعَةِ اللَّهِ. وَمَا لِلظَّالِمِينَ أَنْفُسُهُمْ مِنَ الَّذِينَ يَنْفِقُونَ فِي الْمَعَاصِي، وَيَنْذَرُونَ فِيمَا لَا يَرْضَى اللَّهُ، لَا يَكُونُ لَهُؤُلَاءِ مِنْ أَنْصَارٍ يَنْصُرُونَهُمْ وَيَمْنَعُونَ عَنْهُمْ عَذَابَ اللَّهِ. ٢٧١- إِنْ تَبَدَّلُوا الصَّدَقَاتِ ... أَى تَظْهَرُونَهَا عِنْدَ الْإِعْطَاءِ فَعَمَّا هِيَ أَى: نَفَعْنَا الصَّدَقَةَ هِيَ فِي ذَاتِهَا وَفِي إِظْهَارِهَا إِذَا لَمْ يَنْضَمَّ إِلَيْهَا شَيْءٌ مِنَ الرِّبَاءِ أَوْ الْمَنِّ وَالْأَذَى. وَإِنْ تُخْفَوُهَا وَتُؤْتَوُهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ: وَأَنْ تَعْطَوْهَا الْفُقَرَاءَ سِرًّا وَخَفِيَّةً أَفْضَلُ ثَوَابًا مِنْ إِعْلَانِهَا. وَقِيلَ: إِنْ الْإِخْفَاءُ مَطْلُوبٌ فِي النَّفْلِ لِزِيَادَةِ الْأَجْرِ، وَالْإِظْهَارُ مَطْلُوبٌ فِي الْفَرَضِ لِلتَّشْجِيعِ عَلَى إِنْفَاقِ الْحَقُوقِ الْمَرْسُومَةِ عَلَى الْقَادِرِينَ. وَكَفَرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ أَى: يَكُونُ الْإِخْفَاءُ سَبَبًا لِأَنْ يَكْفُرَ اللَّهُ عَنْكُمْ بَعْضَ سَيِّئَاتِكُمْ. وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ عَلِيمٌ وَمُطَّلَعٌ عَلَى

صدقاتكم و أعمالكم سرّها و علانيّتها. ٢٧٢ - لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ ... ليس مفروضاً عليك يا محمد بعد أن أنذرتهم و بشرتهم. هدى الناس و إيصالهم إلى الحقّ و لَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ يَدُلُّ و يوصل إلى الطريق المستقيم الحق من يشاء ممّن عندهم الأهلية للاهتداء و مَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَأَنْفُسِكُمْ ثواب ما تنفقون من طيب أموالكم في البر يعود إليكم و مَا تُنْفِقُوا إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ أَى لطلب مرضاته و هذا إخبار عن صفه إنفاق المؤمن الصادق الذى لا- يكون مقصوده من إنفاقه إلّا تحصيل رضوان الله. و مَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُؤَفَّفَ إِلَيْكُمْ و التوفية إكمال الشىء و إتمامه، فالمعنى تعطون جزاء وافيًا يوم القيامة. بحيث يرضى صاحبه بما يعطيه الله بدلا عما أنفق فى ذلك اليوم، يوم الفاقة و الفقر إلى رحمته. وَ أَنتُمْ لَا تَظْلُمُونَ بمنع الثواب، و لا بنقصان الجزاء. ٢٧٣- لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ... الجملة خبر لمبتدأ محذوف و التقدير: النفقة للفقراء الذين منعهم الاشتغال بالعبادة و طاعة الله التى منها الجهاد ... لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ فلا يتمكنون من العمل للتكسب و الضرب فى الأرض الذهاب و التصرف. و قد روى أن المراد بهم أهل الصفة و قيل كانوا نحوًا من أربعمائة من الفقراء المهاجرين، يسكنون صفة مسجد رسول الله (ص) و يستغرق وقتهم التعليم و التعلم و كانوا يستخرجون فى كل سرية يبعثها (ص) فيخرجون إليها مسرعين. يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ فجاهل حالهم يظنّ أنهم أغنياء بسبب إبانهم عن السؤال تَعْرِفُهُمْ بِسَيِّمَاتِهِمْ أى بالعلامات التى فيهم كصفرة الوجه مثلا. لَا يَسْتَلُونَ النَّاسَ إِحْفَافًا أى أصلا عفاً و سترًا لفقرهم، و قد يجىء الإلحاف بمعنى الإلحاح. و مَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ترغيباً فى الإنفاق سرا و علنا و تنبيها على أنه محفوظ مكتوب، معلوم عنده جلّ و علا. ٢٧٤- الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَ النَّهَارِ سِرًّا وَ عَلَانِيَةً ... يبين الله سبحانه فى هذه الآية الكريمة أوقات الإنفاق و أشكاله، و ثوابه العظيم. فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ أَى: فلهم أى أجر و أى مقدار! و لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ مر تفسيره و روى أن هذه الآية المباركة نزلت فى أمير المؤمنين على بن أبى طالب (ع)، حيث كان يملك أربعة دراهم، فتصدّق بدرهم فى النهار، و بدرهم فى الليل، و بدرهم علانية و بدرهم سرا فكان ما فعل (ع) درسا لكل مسلم و ذكرا و ثناء عطرا باقيا إلى يوم القيامة. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٥٢ ٢٧٥- الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا ... أى المال الربوى فى الدنيا الربا يعرف بأنه الزيادة التى تؤخذ فى القرض أو المعاملة ببعض الأشياء بمثلها كالمال و المكيل و الموزون. و حرمة ثابتة بالإجماع من المسلمين و بالكتاب و السنة، بل لا يبعد أن تكون حرمة من ضروريات الإسلام. لَا يَقُومُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ أى مثلما يقوم الذى يصرعه الشيطان و يمسّه بالجنون. و تكون هذه الحالة فى المحشر علامة على أكله الربا فى الدنيا. ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا أى ذلك العقاب لهم بسبب قولهم: إنّ البيع الخالى عن الربا كالبيع الذى فيه ربا إذ كلاهما بيع و كذلك الاقراض مع الزيادة فالمقصود فيها بالآخرة هو الربح و الفائدة منه. وَ أَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَ حَرَّمَ الرِّبَا وَ الواو للحال أى أن اجتهداهم كان خاطئا حال كون البيع محللا- من الله و كون الربا محرما منه تعالى و كفى بذلك فرقا. فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ أَى زجر منه تعالى و تذكير فأنتهى أى اعتبر و انزجر فله ما سلف أى ما أخذه قبل النهى فلا يلزمه رده و لا يسترد منه. وَ أَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ أَى أَنَّ اللَّهَ يحكم بشأنه ما يريد وَ مَنْ عَادَ رَجَعَ بعد معرفته الكاملة لحرمة الربا إلى أكل الربا فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون لأنهم قرناؤها لأن فعلهم هذا و قولهم السابق الذى رجعوا إلى تردیده يدل على كفرهم. ٢٧٦- يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا ... أى ينقصه و يذهب ببركته و يمحوه. وَ يُزَيِّبُ الصَّدَقَاتِ أى ينميهما بزيادة المال و الثواب و الله لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ و الكفار مبالغه: و هو المصر على الكفر و الأ-ثيم: المتمادى بالإثم. ٢٧٧- إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَ آتَوْا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لَا هُمْ يَحْزَنُونَ ... جمع سبحانه فى هذه الآية الكريمة الخصال الأربع التى هى أهم الخصال الشريفة بل هى أصولها و هى: الإيمان، الأعمال الصحيحة عبادات و معاملات، و الصلاة، و الزكاة و معناها واضح و قد مر تفسيرها. ٢٧٨- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ... الخطاب خاص بالمؤمنين لأنه أمرهم بالتقوى و هى فرع الإيمان. و لأنهم أشرف و أعظم شأنًا من غيرهم بسبب امتثالهم لأوامر الله. اتَّقُوا اللَّهَ وَ ذَرُّوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا تجنبوا غضبه و اتركوا ما بقى من الربا مكتفين برؤوس أموالكم عند الناس. إِنَّ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ مصدقين بالله و برسوله و بما أنزل من حكم الربا. ٢٧٩- فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ ... أى إذا لم تنتهوا عما نهيتم عنه فأذنوا:

فأيقنوا بقتال من الله ورسوله. وقرئت (فآذنوا) فيصير المعنى فأعلموا من لم ينته إلخ. وَإِنْ تُبْتُمْ رَجَعْتُمْ عَنِ الْمِرَابَاةِ فَلَكُمْ رُؤُسُ أَمْوَالِكُمْ أى مقدار المال الذى أقرضتموه دون زيادة لا تَطْلُمُونَ المدين بأخذ الزيادة ولا تَطْلُمُونَ بنقص رؤوس أموالكم. ٢٨٠- وَإِنْ كَانَ دُونُ عَشْرَةٍ ... أى إذا كان حال غريمكم عسيرة ضيقة أو كان مبتلى بالإفلاس فَنْظَرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ فَعَلَيْكُمْ بِإِمهاله إلى وقت يساره و التمكن من إرجاع المال. و عن الصادق (ع): حد الإعسار أن لا يقدر على ما يفضل عن قوته وقوت عياله على الاقتصاد وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ أى إذا احتسبتم دينكم صدقه على غريمكم المعسر هو أحسن جزاء لكم من إمهاله إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ أنه معسر أو: إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ما فى التصديق من الثواب ... ٢٨١- وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ... احذروا يوما تردون فيه إلى جزاء الله ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ فَتُعْطَى جزاء ما عملت من خير أو شر ثوابا أو عقابا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ بنقصان ثواب أو زيادة عقاب. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٥٣ ٢٨٢- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَيْتُمْ بِدَيْنٍ ... أى تعاملتم بالدين و داین بعضكم بعضا. إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاتَّقُوا أى إلى وقت معين مؤخر فسلجوا ذلك على القرطاس واجعلوه مكتوبا و بينوا وقت استحقاقه بالأيام أو الشهور أو غير ذلك. فإنه ادفع للنزاع. وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ أى بالسوية لا يزيد ولا ينقص فى كتاب المداينة أو البيع بين المتعاقدين وَلَا يَأْب كَاتِبٌ أى ولا يمتنع الكاتب أَنْ يَكْتُبَ الصَّكَّ و يحره على الوجه المتفق عليه وَكَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابَةِ بِالْعَدْلِ فَلْيَكْتُبْ للناس على حسب حاجاتهم و شروطهم شاكرًا لله أَنْ علمه هذه النعمة. وَهُوَ تَأْكِيدٌ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ أى يملى المدين على الكاتب بلسانه ما عليه ليشبهه الكاتب بالكتابة. وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ و ليخف جانبه فيذكر كل ما اشترطه على نفسه وَلَا يَخْشَ مِنْهُ شَيْئًا و لا ينقص من الدين شيئا من قيمته أو وصفه أو شروط تأجيله. فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ أى إذا كان المديون صغيرا أو ضعيف العقل أو البدن بحيث لا يقوى على الإملاء و إمضاء الصك لأى عارض فَلْيُمْلِلْ وَلْيُتَّقِ بِالْعَدْلِ فعلى ولى أمره أن يملى بالعدل كما أمر الله و قد تقدم. وَاسْتَشْهِدُوا عَلَى الَّذِينَ شَهِدْتُمْ مِنْ رِجَالِكُمْ اثْنين من المؤمنين دون النساء فى حال وجود الرجال فَإِنْ لَمْ يَكُنَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أى لا بد من كون الشهداء مرضيين رجلين كانا أو رجلا و امرأتين و سبب جعل امرأتين بدل رجل ثان هو مخافه أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا تَنْسَى الشَّهَادَةَ حسب أصولها للمتدانيين فَتَذَكَّرْ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى فعن على (ع): إذا ضلت إحداهما عن الشهادة و نسيتهما ذكرتها الأخرى فاستقامتا فى أداء الشهادة ... وَلَا يَأْب الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا أى لا يمتنعوا عن أداء الشهادة أو عن تحملها إذا طلب منهم ذلك وَلَا تَشْهَرُوا أى لا تضجروا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا فَاكْتُبُوا الدِّينَ مهما كان قدره إلى أَجَلِهِ أى مهلته المسماء ذَلِكَمُ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ أى أن الكتابة اعدل عنده تعالى وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ أى أصوب لها. و قيل اضبط لها. وَأَذْنَى أَلَّا تَرْتَابُوا أى أقرب ألا تشكوا فى الدين قيمه و أجلا. إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ يعنى اكتبوا الدين إلا فى مورد كانت المعاملة تجارة حالة يدا بيد أى معاطية فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا لَأَسَّ عَلَيْكُمْ إِذَا لَمْ تَكْتُبُوهَا لبعدها عن التنازع و التخاصم وَاشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ أى أشهدوا الشهود على بيعكم بعضكم لبعض. وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ببناء على قراءة الإدغام و الفتح من الأصل يضار و أما بناء على قراءة الإظهار و الكسر من الأصل: يضارر يكون المعنى: لا يفعل بالكاتب و لا بالشاهد ضرر بأن يكلف بمشقة أو قطع مسافة بعيدة من غير تكفل بمؤونه لا يجوز أن تصدر المضارة من الكاتب و لا من الشاهد بحرف بالزيادة أو النقصان وَإِنْ تَفَعَّلُوا فَإِنَّهُ فَسُوقٌ بِكُمْ يعنى إِنْ تَفَعَّلُوا الضرر الذى نهيتهم عنه فَإِنْ ذَلِكَ فَسُوقٌ أى قائم بكم. خروج عما أمر الله به سبحانه وَاتَّقُوا اللَّهَ فيما أمركم به و نهاكم عنه فى هذا المقام و غيره وَيَعْلَمُكُمُ اللَّهُ ما تحتاجون إليه و ما فيه مصالحكم الدنيوية و الأخروية. وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ يعلم المتقى و يميزه من غيره فيجازى كلا- على حسبه. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٥٤ ٢٨٣- وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ ... أى فى حالة سفر و أردتم الاستيثاق من دينكم وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا يَكْتُبْ لَكُمْ صَكَّ الدِّينِ و لا شاهدا فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ أى فخذوا رهانا مقابل المال الذى يستدينه غريمكم. و قد رفع (رهان) على الخبرية، و التقدير: فالوثيقة رهان مقبوضة. فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا أى وثق الدائن بالمديون فلم يطلب منه وثيقة و لا شاهدا و لا قبض منه رهنا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أى المديون (أمانته) دينه و ليرده إلى صاحبه بمقتضى الأمانة. وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ و ليتجنب عقوبه ربه بأن لا يجحد الحق لصاحبه أو يطله و لا تَكْتُمُوا

الشَّهَادَةَ لَا تَحْجُبُهَا وَتَبْخُلُوا بِهَا إِذَا مَا دَعَيْتُمْ إِلَىٰ أَدَائِهَا. وَالْخَطَابُ لِلشَّهُودِ، وَظَاهِرُ النَّهْيِ هُوَ حَرَمُهُ كِتْمَانُ الشَّهَادَةِ. وَمَنْ يَكْتُمُهَا فَإِنَّهُ آثَمُ قَلْبُهُ وَمَنْ حَجَبَهَا مَعَ عِلْمِهِ بِالْمَشْهُودِ بِهِ وَتَمَكُّنِهِ مِنَ الْأَدَاءِ مِنْ غَيْرِ ضَرَرٍ بَعْدَ مَا دَعَىٰ إِلَيْهَا ثُمَّ امْتَنَعَ وَلَمْ يَقْمِهَا يَكْشِفُ عَنْ أَنْ قَلْبُهُ مَرِيضٌ آثَمُ وَنَسْبَةُ الْإِثْمِ إِلَى الْقَلْبِ هِيَ بِاعْتِبَارِ أَنَّ الْكِتْمَانَ مِنْ أَعْمَالِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ بِمَا تَسْرُونَ عَلِيمٌ كَعِلْمِهِ بِمَا تَظْهَرُونَ. ٢٨٤- لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ... أَيُّهُ سُبْحَانَهُ مَالِكٌ لَهَا وَمُدَبِّرٌ لَشُؤْنِهَا وَبِيَدِهِ أَرْزَامُ أُمُورِهَا يَصْرِفُهَا كَيْفَ شَاءَ وَيَعْلَمُ مَا فِيهَا. وَإِنْ تَبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَى تَظْهَرُوهُ طَاعَةً كَانَ أَوْ مَعْصِيَةً خَيْرًا كَانَ أَوْ شَرًّا. أَوْ تُخْفُوهُ تَكْتُمُونَهُ يُحَاسِبُكُمْ بِهِ اللَّهُ أَى يُجَازِيكُمْ طَبَقَ اسْتِحْقَاقِكُمْ لِأَنَّهُ يَعْلَمُهُ إِذَا لَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةً. فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ بَعْدَ اسْتِحْقَاقِهِ الْعَذَابَ تَفْضُلًا وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ حَسَبَ اسْتِحْقَاقِهِ عَدْلًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ مَر تَفْسِيرُهُ. ٢٨٥- آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ... يَعْنِي صَدَقَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ (ص) بِمَا أُنْزِلَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ. وَالْمُؤْمِنُونَ كَذَلِكَ صَدَّقُوا بِذَلِكَ فَمَدَحَ اللَّهُ إِيْمَانَهُمْ كُلُّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَكَانَ لِسَانُ حَالِهِمْ قَوْلَهُمْ: لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ بَلْ نُؤْمِنُ بِمَا جَاءُوا بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِمْ وَلسنا كأهل الكتاب من اليهود والنصارى نؤمن ببعض ونكفر ببعض وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا دَعْوَةَ الدِّعَاءِ إِلَى اللَّهِ وَأَجَبْنَا إِلَى مَا دَعَوْنَا إِلَيْهِ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا نَسْأَلُكَ إِيَّاهُ وَالْإِنِّكَ الْمَصِيرُ أَى الرَّجُوعُ بَعْدَ الْمَوْتِ ... وَالْكَلَامُ هَذَا مُتَضَمِّنُ الْإِقْرَارِ بِالْبَعْثِ وَالْحِسَابِ. ٢٨٦- لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا ... فِيمَا افْتَرَضَ عَلَيْهَا مِنْ وَاجِبَاتٍ إِلَّا أَوْسَعَ مَا تَتَّسِعُ إِلَيْهِ طَاقَتُهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ الَّتِي فِيهَا رَضَى اللَّهُ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ مِمَّا فِيهِ سَخَطُهُ. رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا أَى إِذَا تَعَرَّضْنَا لِمَا يُوْدَى نَسِيَانٍ تَكْلِيفٍ أَوْ صُدُورِ خَطَاٍ أَوْ تَفْرِيطٍ أَوْ إِغْفَالٍ فَنَسْأَلُكَ يَا إِلَهَنَا أَنْ تَسَامَحَنَا بِذَلِكَ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا أَى لَا تَكْلِفْنَا إِصْرًا: أَى أَحْكَامًا ثَقِيلَةً شَاقَّةً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا كَمَا كَلَفْتَ الْأُمَمَ الْمَاضِيَةَ تَكْلِيفَ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَتْلَ النَّفْسِ لِتَكْفِيرِ الذَّنْبِ مِثْلًا أَوْ بَقْطِ بَعْضِ الْمَوَاضِعِ مِنْ أَبْدَانِهِمْ إِذَا تَجَسَّسَ وَكَتَحَرَّمَ بَعْضَ الطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ عَلَيْهِمْ. الْخ. رَبَّنَا وَلَا تُحْمِلْنَا مَا لَا- طَاقَةَ لَنَا بِهِ مِنَ الْعُقُوبَاتِ أَوْ التَّكْلِيفِ الشَّاقَّةِ وَاعْفُ عَنَّا تَجَاوَزْ عَنَّا وَاعْفُ لَنَا أَمْحِ ذُنُوبَنَا وَاسْتَرْهَا وَارْحَمْنَا اعْطِفْ عَلَيْنَا بِالْإِنْعَامِ دُنْيَا وَآخِرَةً. أَنْتَ مَوْلَانَا أَى وَلِينَا وَنَاصِرُنَا وَمَالِكُ أَمْرِنَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ أَى أَعْنَا عَلَيْهِم بِالظَّفَرِ وَالْغَلْبَةِ. إِرْشَادُ الْأَذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ٥٥

سورة آل عمران مدنية، و عدد آياتها ٢٠٠ آية

١- الم: قد مر تفسيرها في سورة البقرة فلا نكرهه. ٢- اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ... مر تفسيرها أيضا في آية الكرسي ٢٥٥ من سورة البقرة. ٣- نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ ... الظاهر أن المراد بالكتاب هو القرآن الكريم وَبِالْحَقِّ حَالٌ، أَى مُقَرَّنًا بِالْحَقِّ، إِمَّا ثَابِتًا بِلِحَظِ تَنْزِيلِهِ أَوْ بِالصَّدْقِ بِلِحَظِ مَضْمُونِهِ. مُصَدِّقًا لِمَا بَيَّنَّ يَدَيْهِ أَى لِمَا قَبْلَهُ مِنْ كِتَابٍ وَرِسْلِ. وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ مِنْ قَبْلُ قَبْلَ أَنْزَالِ الْقُرْآنِ وَ قَدْ ذَكَرَهُمَا مِنْ بَابِ ذِكْرِ الْخَاصِّ بَعْدَ الْعَامِّ وَالْأَوَّلِ كِتَابَ مُوسَى وَالثَّانِي كِتَابَ عِيسَى (ع). ٤- هُدًى لِلنَّاسِ أَى دَلَالَةً لِلنَّاسِ. قِيلَ عَنِ بِهِ الْكُتُبِ الثَّلَاثَةُ يَهْتَدِي أَهْلُ كُلِّ مَذْهَبٍ بِهِ. وَقِيلَ يَرْجِعُ إِلَى الْقُرْآنِ. وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ أَى مَا يَفْرُقُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ وَهُوَ جُمْلَةُ الْقُرْآنِ. ٤- إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ مِنْ كُتُبِهِ وَحُجُجِهِ وَبَرَاهِينِهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا جَحَدُوا بَعْدَ تَمَامِيهِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَزِيزٌ غَالِبٌ لَا يَقْهَرُ دُونَ أَنْتِقَامٍ يَعَاقِبُ الْمَجْرِمَ عَلَى جُرْمِهِ. ٥- إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ. أَى أَنَّهُ عَالِمٌ بِجَمِيعِ مَا مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَعْلَمَ بِهِ فِي جَمِيعِ الْعَوَالِمِ الْمُمْكِنَةِ، الَّتِي عَبَّرَ عَنْهَا بِمَا فِي الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ. ٦- هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ ... هُوَ الَّذِي يَخْلُقُ صُورَكُمْ صَانِعٌ بَدِيعٌ فِي صُنْعِهِ، قَدِيرٌ فِي تَدْبِيرِهِ وَتَقْدِيرِهِ. يَصُورُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ جَمْعَ رَحِمٍ وَأَصْلُهُ الرَّحْمَةُ وَهُوَ بَيْتُ الْحَبْلِ فِي الْمَرْأَةِ. كَيْفَ يَشَاءُ أَيْ صُورُهُ شَاءَ مِنْ حَيْثُ الْكَمِّ وَالْكَيفِ. لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ... لَا إِلَهَ غَيْرُهُ الْغَالِبُ فِي سُلْطَانِهِ الْمُتَقَنَّ فِي أَعْمَالِهِ وَصُنْعِهِ. ٧- هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ ... تَأْكِيدُ لَكُونَ الْقُرْآنَ مِثْلًا مِنْ عِنْدِهِ سُبْحَانَهُ وَبَيَانُ لِكَيْفِيَّةِ هَذَا الْإِنْزَالِ. مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ أَى أَنَّ دَلَالَتَهَا تَكُونُ عَلَى الْمَعْنَى الْمُرَادِ مِنْهَا مِنْ دُونِ قَرِينَةٍ أَوْ دَلَالَةٍ أُخْرَى لَوْضُوحِهِ. هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ أَى أَصْلُهُ. وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ مَا لَا يَعْلَمُ الْمَعْنَى الْمُرَادَ مِنْهَا بِظَاهَرِهَا لِالْتِبَاسَةِ حَتَّى يَقْتَرِنَ بِهِ مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ وَ لَوْ بَعَرَضَهُ عَلَى الْمُحْكَمِ. فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَنْجٌ أَى انْحِرَافٌ عَنِ الْحَقِّ بِجَهْلٍ أَوْ شَكٍّ

فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ يُؤُولُونَ تِلْكَ آيَاتِ تَأْوِيلًا بَاطِلًا يَنْسِجُ مَعَ أَهْوَائِهِمُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ لِإِضْلَالِ النَّاسِ وَخَاصَّةً السَّدَجَ مِنْهُمْ. وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ أَى طَلَبًا لِتَأْوِيلِهِ عَلَى خِلَافِ الْحَقِّ وَقِيلَ لَطَلَبَ مَنْفَعَةٍ دُنْيَوِيَّةٍ. وَ مَا يَغْلُمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ أَى الثَّابِتُونَ الْمُتَقُونَ فِيهِ وَ هُم أَهْلُ بَيْتِ النَّبَوَةِ (ع) يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ أَى الرَّاسِخُونَ يَقُولُونَ صَدَقْنَا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا أَى مَجْمُوعُ الْمُحْكَمِ وَ الْمُتَشَابِهِ مِنْ عِنْدِهِ سُبْحَانَهُ وَ مَا يَذْكُرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ أَى مَا يَفْكُرُ بِذَلِكَ وَ يُؤْمِنُ بِهِ إِلَّا أَرْبَابَ الْعُقُولِ الصَّائِبَةِ. ٨- رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعِيدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ... أَى لَا- تَجْعَلْهَا تَنَحُّرَ عَمَّا هِيَ عَلَيْهِ مِنَ الْفِطْرَةِ الْأُولَى وَ ذَلِكَ يَتِمُّ بِإِدَامَةِ لَطْفِكَ إِذْ هَدَيْتَنَا أَصْلًا إِلَى صِرَاطِكَ وَ دِينِكَ. وَ هَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً أَى اْمْنَحْنَا مِنْ عِنْدِكَ رَأْفَةً تَثْبِتُنَا عَلَى الْحَقِّ إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ كَثِيرُ الْعَطَاءِ. ٩- رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ ... يَعْنِي لِلْحِسَابِ وَ الْجَزَاءِ فِي يَوْمٍ لَا- مَجَالَ لِلشَّكِّ فِيهِ وَ هَذَا مِنْ جُمْلَةِ مَقَالَةِ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ. إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ أَى الْوَعْدَ. إِرْشَادُ الْأَذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ٥٦ ١٠- إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ... بِآيَاتِ اللَّهِ وَ رَسَلِهِ وَ مَاتُوا عَلَى الْكُفْرِ لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَ لَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا لَنْ تُفِيدَهُمْ إِذَا افْتَدَوْا بِهَا أَنْفُسَهُمْ تَخَلَّصًا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ عِزِّ وَ جَلِّ وَ لَنْ تُدْفِعَهُ عَنْهُمْ. وَ أَوْلَيْكَ هُمْ وَ قُوْدُ النَّارِ أَى الْكَافِرُونَ، هُمْ حَطَبُ النَّارِ وَ طَعْمَتُهَا. ١١- كَذَّابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ... حَالُ هَؤُلَاءِ الْكَافِرِ كَحَالِ آلِ فِرْعَوْنَ وَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْكَافِرِينَ حَيْثُ إِنَّهُمْ جَمِيعًا كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا تَفْسِيرٌ لِدَابِّهِمْ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ أَى أَهْلَكَهُمْ بِهَا وَ بِسَبِّهَا وَ اللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ جَزَاؤُهُ لِمَنْ يِعَاقِبُهُ قُوَى لَا يَحْتَمِلُ. ١٢- قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ... قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ وَ غَيْرِهِمْ: سَيُغْلَبُونَ سَتَهْزَمُونَ فِي الدُّنْيَا وَ تُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ أَى تَجْمَعُونَ إِلَيْهَا فِي الْآخِرَةِ وَ يَنْسُ الْمِهَادُ أَى أَنْ جَهَنَّمَ فَرَّاشٌ سُوءٌ وَ قَدْ عَبَّرَ سُبْحَانَهُ عَنْ جَهَنَّمَ بِالْمِهَادِ تَهْكِمًا. ١٣- قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ ... الْخُطَابُ لِمَنْ حَضَرَ مَعْرَكَةَ بَدْرٍ. وَ الْآيَةُ هِيَ الْعَلَامَةُ عَلَى صَدَقِ النَّبِيِّ (ص) فِي فِتْنَةِ التَّقَاتِ أَى فِرْقَتَيْنِ مُتَحَارِبَتَيْنِ اجْتَمَعَتَا بِيَدِ فِتْنَةٍ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَى فِرْقَةٍ تَحَارَبُ فِي سَبِيلِ دِينِ اللَّهِ. وَ هُمُ الرُّسُلُ (ص) وَ الْمُسْلِمُونَ مَعَهُ وَ أُخْرَى كَافِرَةٌ وَ هُمُ الْمُشْرِكُونَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ وَ مِنْ تَبِعِهِمْ. يَرَوْنَهُمْ مِثْلِيهِمْ أَى يَرَى الْمُسْلِمُونَ الْمُشْرِكِينَ ضَعْفِيهِمْ، رَأَى الْعَيْنُ يَعْنِي رُؤْيَاهُ حَسِيَّةً. وَ اللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَاصِرِهِ مَنْ يَشَاءُ وَ التَّأْيِيدُ مِنَ الْأَيْدِ أَى الْقُوَّةُ، فَهُوَ يَقْوَى إِنَّ فِي ذَلِكَ أَى فِي تَقْلِيلِ الْمُشْرِكِينَ بِأَعْيُنِ الْمُسْلِمِينَ، وَ فِي تَكْثِيرِ الْمُسْلِمِينَ بِأَعْيُنِ الْمُشْرِكِينَ، وَ فِي نَصْرِ الْقَلَّةِ عَلَى الْكَثَرَةِ لِعِزَّةٍ لَأُولَى الْأَبْصَارِ أَى فِي ذَلِكَ عِظَةُ لَذَوَى الْعُقُولِ. مِنَ الْبَصِيرَةِ لَا الْبَصَرِ. ١٤- زَيْنٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ ... أَى حَسَنٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الْمُشْتَهَاتِ الَّتِي تَتَعَشَّقُهَا النُّفُوسُ مِنَ النِّسَاءِ وَ الْبَنِينَ قَدَمَهُنَّ سُبْحَانَهُ فِي الذِّكْرِ لِأَنَّ الْفِتْنَةَ بَيْنَهُنَّ أَعْظَمُ فَإِنَّهُنَّ حَبَائِلُ الشَّيْطَانِ وَ أَمَا الْبَنِينَ فَإِنَّ جَهَنَّمَ قَدْ يَدْعُو إِلَى جَمْعِ الْحَرَامِ. وَ الْقَنَاطِيرُ الْمُقَنْطَرَةُ مِنَ الذَّهَبِ وَ الْفِضَّةِ جَمْعُ قَنْطَارٍ، وَ هُوَ الْمَالُ الْكَثِيرُ، وَ الْمُقَنْطَرَةُ الْمَجْمُوعَةُ وَ الْمَكْدَسَةُ. وَ الْخَيْلُ الْمُسَوَّمَةُ مِنَ السُّومِ أَى الرَّعْيِ أَوْ مِنَ السَّمَةِ أَى الْعَلَامَةِ أَوْ الْحَسَنَةِ مِنَ السِّمَاءِ. وَ الْأَنْعَامُ الْمَوَاشِي الْمَأْكُولَةُ اللَّحْمِ وَ الْحَرْثُ الزَّرْعُ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا أَى جَمِيعُ هَذِهِ الْمُشْتَهَاتِ، وَ سَائِرُ مَنَافِعِهَا إِنَّمَا هِيَ مِنْ أَعْرَاضِ الدُّنْيَا وَ الْإِنْتِفَاعُ بِهِ قَلِيلٌ لَا بَقَاءَ لَهُ وَ اللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ أَى الْمَرْجِعُ الْأَحْسَنُ حَيْثُ النِّعَمُ دَائِمَةٌ لَا تَزُولُ. ١٥- قُلْ أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ ... أَى: يَا مُحَمَّدُ قُلْ لِلنَّاسِ هَلْ أَخْبَرَكُمْ بِمَا هُوَ أَحْسَنُ وَ أَنْفَعُ مِنْ هَذِهِ الشَّهَوَاتِ الدُّنْيَوِيَّةِ الزَّائِلَةِ الَّتِي ذَكَرْتُ لَكُمْ فِي الْآيَةِ، لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَى تَجَنَّبُوا الْمُحَرَّمَاتِ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّتْ تَجَرَّى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ حُدُودٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِ قُصُورِهَا وَ أَشْجَارُهَا الْأَنْهَارُ مُقِيمِينَ فِيهَا بَلَا تَحُولُ عَنْهَا وَ لَا زَوَالُ لَهَا. وَ أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ أَى مَنْظَفَةٌ عَمَّا يَسْتَقْدِرُ مِنَ النِّسَاءِ خُلُقًا وَ خَلْقًا وَ رِضْوَانًا مِنَ اللَّهِ فَوْقَ ذَلِكَ كُلِّهِ، لِأَنَّهُ رَضِيَ اللَّهُ الْكَثِيرُ. وَ اللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ أَى عَالِمٌ عَارِفٌ بِمَا يَعْمَلُونَ وَ مَا يَسْتَحِقُّونَ مِنَ الْجَزَاءِ. إِرْشَادُ الْأَذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ٥٧ ١٦- الَّذِينَ يَقُولُونَ: رَبَّنَا إِنَّا آمَنَّا ... فِي هَذَا الْقَوْلِ بَيَانٌ لَصِفَاتِ الْمُتَّقِينَ الْقَائِلِينَ: رَبَّنَا إِنَّا صَدَقْنَا اللَّهَ وَ رَسُولَهُ! فَاعْفُ رَحْمَةً لَنَا ذُنُوبَنَا أَى اسْتَرْهَا عَلَيْنَا، وَ امْحُهَا عَنَّا وَ قِنَا عَذَابَ النَّارِ وَ جَنِّبْنَا إِيَّاهُ، وَ ادْفَعْهُ عَنَّا. ١٧- الصَّابِرِينَ عَلَى الطَّاعَةِ وَ عَنِ الْمَعْصِيَةِ. وَ الصَّادِقِينَ فِي إِيْمَانِهِمْ وَ جَمِيعِ أُمُورِهِمُ الدُّنْيَوِيَّةِ وَ الْآخِرَوِيَّةِ. وَ الْقَانِتِينَ الْمُطِيعِينَ دَائِمًا لِلَّهِ. وَ الْمُتَّقِينَ الْبَازِلِينَ مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَرَضًا وَ نَفْلًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ الْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَشْيَارِ فِي الْمَجْمَعِ: أَى الْمُصَلِّينَ وَ قَتِ السَّحَرِ يَسْأَلُونَ اللَّهَ الْمَغْفِرَةَ. ١٨- شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ .. شَهَادَتُهُ تَعَالَى هِيَ إِعْلَامُهُ بِوَحْدَانِيَّتِهِ وَ إِلَهِيَّتِهِ بِالْأَدِلَّةِ الْوَاضِحَةِ وَ الْحُجَجِ الْقَاطِعَةِ. وَ الْمَلَايِكَةُ أَيْضًا شَهِدُوا بِذَلِكَ وَ أُولُوا الْعِلْمِ شَهِدُوا بِمَا ثَبَتَ عَنْدهُمْ مِنْ عَجِيبِ صَنْعَةِ الَّذِي لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ غَيْرُهُ. وَ قِيلَ بِأَنَّ أُولَى الْعِلْمِ الْأَنْبِيَاءَ وَ الْأَوْصِيَاءَ. قَائِمًا

بِالْقِسْطِ أَيْ مَقِيمًا لِلْعَدْلِ. لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَا رَبَّ وَلَا مَعْبُودَ سِوَاهُ. الْغَزِيرُ الْحَكِيمُ مَر تَفْسِيرُهُ. ١٩- إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ .. أَيْ الدِّينَ الْمَرْضَى عِنْدَ اللَّهِ هُوَ الْإِسْلَامُ عَقِيدَةً وَشَرِيعَةً. وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ أَيْ مَا اخْتَلَفَ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى بِشَأْنِ هَذَا الدِّينِ. إِلَّا مَنْ بَغَى مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ أَيْ بَعْدَ أَنْ عَلِمُوا الْحَقَّ مِمَّا جَاءَ فِي كِتَابِهِمْ عَنْ نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ (ص) بَغْيًا بَيْنَهُمْ أَيْ ظَلَمًا لِلْحَقِّ وَحَسَدًا، وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ أَيْ يَنْكُرُ حُجُجَهُ الْوَاضِحَةَ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ سَرِيعُ الْجَزَاءِ لَا يَفُوتُهُ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِهِمْ. ٢٠- فَإِنْ حَاجُّوكَ، فَقُلْ ... أَيْ: فَإِنْ جَادَلُوكَ فِي أَمْرِ هَذَا الدِّينِ وَقِيلَ نَصَارَى نَجْرَانِ فَقُلْ: أَسْلَمْتُ وَجْهِي لِلَّهِ وَمَنْ اتَّبَعَنِي أَخْلَصْتُ قَسْدِي بِالْعِبَادَةِ إِلَيْهِ وَأَعْرَضْتُ عَنْ كُلِّ مَعْبُودٍ سِوَاهُ أَنَا وَمَنْ آمَنَ بِي وَصَدَّقَ بَرَسَالَتِي. وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ وَقُلْ يَا مُحَمَّدُ لِلْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَلِلْمُشْرِكِينَ مِمَّنْ لَا كِتَابَ لَهُمْ وَهُمْ الْأُمِّيُونَ أَسْلَمْتُمْ ... اسْتَفْهَامٌ بِمَعْنَى التَّهْدِيدِ فَهُوَ مُتَضَمِّنٌ لِلْأَمْرِ وَمَعْنَاهُ: أَسْلَمُوا. فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدْ اهْتَدَوْا صَدَقُوا بِكَ وَبَرَسَالَتِكَ فَقَدْ سَلَكَوا طَرِيقَ الْحَقِّ. وَإِنْ تَوَلَّوْا أَيْ أَعْرَضُوا وَأَصْرُوا عَلَى كُفْرِهِمْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ أَيْ إِيصَالُ رِسَالَةِ اللَّهِ إِلَى النَّاسِ وَلَا شَأْنَ لَكَ بِإِعْرَاضِهِمْ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ مَر تَفْسِيرُهُ. ٢١- إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ... أَيْ يَجْحَدُونَ حُجُجَ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّ بَغْيًا حَقَّ ظَلَمًا قِيلَ: هُمُ الْيَهُودُ قَتَلُوا ثَلَاثَةً وَأَرْبَعِينَ نَبِيًّا فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ وَيَقْتُلُونَ أَيْضًا الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ بِالْعَدْلِ مِنَ النَّاسِ قِيلَ: هُمُ مَائَةٌ وَاثْنَا عَشَرَ رَجُلًا مِنْ عِبَادِ بَنِي إِسْرَائِيلَ نَهَوْا قَتْلَ النَّبِيِّينَ عَنِ الْمُنْكَرِ الَّذِي فَعَلُوهُ فَقَتَلُوهُمْ بِدَوْرِهِمْ فَبَشَّرَهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ فَأَعْلَمَهُمْ وَ قَدْ عَبَّرَ هُنَا بِلَفْظِ التَّبَشِيرِ تَهْكُمًا عَلَيْهِمْ. ٢٢- أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .. إِشَارَةٌ إِلَى الْمَذْكُورِينَ فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ، حَبِطَتْ أَيْ بَطَلَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا لِعَدَمِ تَرْتِبِ الْأَثَرِ الْمَرْجُوعِ مِنْهَا مِنْ حَقْنِ الدَّمَاءِ وَاحْتِرَامِ الْأَمْوَالِ وَمَا شَاكَلَ كَمَا لَمْ تَثْمُرْ أَيْ أَجَرَ أَوْ ثَوَابَ فِي الْآخِرَةِ فَكَأَنَّهُمْ لَمْ تَكُنْ. وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ أَيْ مُسَاعِدِينَ فِي دَفْعِ الْعَذَابِ عَنْهُمْ. إِرْشَادُ الْأُذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ٥٨ ٢٣- أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِنَ الْكِتَابِ ... أَيْ: أَلَمْ تَعْلَمْ يَا مُحَمَّدُ بِحَالِ النَّاسِ وَقِيلَ أَنَّهُمْ الْيَهُودُ مِمَّنْ أَعْطَاوَا حِظًا مِنَ الْعِلْمِ بِالتَّوْرَةِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ التَّوْرَةِ وَقِيلَ الْقُرْآنَ دَعَا إِلَيْهِ لِيُحْكَمَ بَيْنَهُمْ أَيْ لِيُحْكَمَ بَيْنَنَا (ص) عَلَيْهِمْ بِكُتَابِهِمْ، قِيلَ فِي إِنْكَارِهِمْ لِنُبُوَّتِهِ (ص). وَقِيلَ فِي أَمْرِ إِبْرَاهِيمَ وَقَدْ ادَّعَا أَنَّهُ كَانَ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا وَقِيلَ فِي حُكْمِ الرِّجْمِ عَلَى الزَّانَا لَوَاقِعُهُ حَصَلَتْ. ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ أَيْ تَنْصَرِفُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ عَنْ قَبُولِ الدَّعْوَةِ حَالِ كَوْنِهِمْ مُعْرِضِينَ عَنِ اللَّهِ وَعَنِ الرُّسُولِ (ص). ٢٤- ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَمْ نَمَسِّنَا النَّارَ ... وَعَلَى إِعْرَاضِهِمْ عَنِ الْحَقِّ وَتَوَلِيهِمْ عَنْ دَعْوَتِهِ أَنَّهُمْ زَعَمُوا أَنَّ النَّارَ لَنْ تَصِلَ إِلَيْهِمْ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ أَيْ قَلِيلًا قِيلَ إِنَّهَا بَزَعَمِهِمُ الْأَيَّامَ الَّتِي عَبْدُوا فِيهَا الْعَجَلَ، وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ أَيْ أَطْمَعَهُمْ كَذِبُهُمْ عَلَى اللَّهِ وَافْتَرَاؤُهُمْ عَلَيْهِ كَقَوْلِهِمْ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ أَوْ لَنْ تَمَسِّنَا النَّارَ إِنْ لَمْ نَكُنْ طَائِفَةً مِنْهُمْ عَنْ قَبُولِ الدَّعْوَةِ حَالِ كَوْنِهِمْ مُعْرِضِينَ عَنِ اللَّهِ وَعَنِ الرُّسُولِ (ص). ٢٥- فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ .. أَيْ فَكَيْفَ حَالُهُمْ، وَمَا هُوَ مَقَالَهُمْ إِذَا حَشَرْنَا هُمْ لِلْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّتِي لَا شَكَّ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ أَيْ جُوزِيَتْ جَزَاءً وَافِيًا مُوَافِقًا لِمَا كَسَبَتْهُ فِي دَارِ الدُّنْيَا. وَ هُمْ لَا يُظْلَمُونَ لَا يَنْقُصُ مِنْ ثَوَابِهِمْ، وَلَا يَزَادُ عَلَى مَا اسْتَحَقُّوه مِنْ عِقَابِ جَهَنَّمَ وَحِينَئِذٍ سَيَنْكَشِفُ كَذِبُ مَا زَعَمُوهُ أَنَّ النَّارَ لَنْ تَمَسِّنَهُمْ. ٢٦- قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ .. يَا اللَّهُ مَالِكِ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَقِيلَ: مَالِكِ الْعِبَادِ وَمَا مَلِكُوا تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ أَيْ تَعْطِيهِ لِمَنْ تَشَاءُ أَنْ تَعْطِيَهُ وَتَنْزِعَ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ تَسْتَرِدُّهُ مِنْهُ بِمَوْتٍ أَوْ بِانْتِقَالٍ مِنْهُ إِلَى غَيْرِهِ وَنَحْوَهُمَا حَسَبِمَا تَقْتَضِيهِ الْحِكْمَةُ فِي كُلِّ مِنَ الْإِعْطَاءِ وَالْمَنْعِ وَتُعْزُ مَنْ تَشَاءُ تَسْتَرِدُّهُ مِنْهُ بِمَوْتٍ أَوْ بِانْتِقَالٍ مِنْهُ إِلَى غَيْرِهِ وَنَحْوَهُمَا حَسَبِمَا تَقْتَضِيهِ الْحِكْمَةُ فِي كُلِّ مِنَ الْإِعْطَاءِ وَالْمَنْعِ وَتُعْزُ مَنْ تَشَاءُ بِأَنْ تَوْفِّقَهُ لِتَحْصِيلِ الْخَيْرِ وَالسَّعَادَةِ وَتُذِلَّ مَنْ تَشَاءُ بِسَلْبِ نِعْمَتِكَ عَنْهُ، بِيَدِكَ الْخَيْرُ تَمْلِكُهُ وَتَمْنَحُهُ مَنْ شِئْتَ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ذُو قُدْرَةٍ مُطْلَقَةٍ عَلَى جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ. ٢٧- تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ... تَوْلِجٌ: أَيْ تَدْخُلُ فَأَنْتَ يَا رَبِّ تَدْخُلُ مِنَ اللَّيْلِ فِي النَّهَارِ، وَتَدْخُلُ مِنَ النَّهَارِ فِي اللَّيْلِ فَمَا زَادَ فِي أَحَدِهِمَا فَهُوَ نَقْصٌ فِي الْآخَرِ. وَتَخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ، وَتَخْرِجُ الْمَمِيتَ مِنَ الْحَيِّ كإِخْرَاجِ الْفَرَخِ مِنَ الْبَيْضَةِ وَبِالْعَكْسِ، أَوِ الْمَيِّتَ مِنَ الْإِنْسَانِ وَبِالْعَكْسِ. وَ مِنَ الْمَرْوِيِّ عَنِ الْبَاقِرِينَ (ع) فِي الْمَجْمَعِ أَنَّهُ إِخْرَاجُ الْمُؤْمِنِ مِنَ الْكَافِرِ، وَبِالْعَكْسِ. وَتَزُزُّ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ أَيْ تَعْطِي مَنْ تَشَاءُ أَنْ تَرْزُقَهُ بِغَيْرِ تَقْتِيرٍ وَلَا مَرَاعَةٍ لِمَقْدَارِ الرِّزْقِ. وَهُوَ عِبَارَةٌ عَنِ الرِّزْقِ الْوَاسِعِ. ٢٨- لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ... نَهَى سَبْحَانَهُ الْمُؤْمِنِينَ

عن موالاة الكافرين، أى محبتهم أو جعلهم أولياء أمرهم و مخالفتهم كما كانوا يفعلون فى الجاهلية، بل يجب أن تكون الموالاة لإخوانهم المؤمنين و مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَخْتَارِ الْكُفْرَةَ بِمَوَالَاتِهِ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِى شَيْءٍ يعنى أن الله برىء منه. إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً أى لا توادوهم و تداروهم إلّا فى حال خوفكم من ناحيتهم لاتقاء ضررهم و يُحَذِّرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ أى يخوفكم معية ذلك حتى لا تتعرضوا لسخطه سبحانه حين توالون أعداءه. و إِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ. أى إليه المرجع الأخير. ٢٩- قُلْ إِنْ تُحْفُوا مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يُعْلَمُهُ اللَّهُ: يا محمد قل إن تستروا ما فى قلوبكم أو تظهروه فالله يعرفه فإياكم أن تضمروا ما نهاكم الله عن إظهاره من موالاة الكافرين فلن ينفعكم إخفاؤه لأنه سبحانه يعلم السر و أخفى و يَعْلَمُ مَا فِى السَّمَاوَاتِ و مَا فِى الْأَرْضِ و اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ: مر تفسيره. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٥٩ ٣٠- يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا ... أى ما عملت من طاعة فى الدنيا تجد ثوابه حاضرا و ما عَمِلَتْ مِنْ شَوْءٍ، تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَ بَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا أى كذلك ما عملت من معصية فى الدنيا تجد عقابه حاضرا تحب أن يفصلها عنه وقت بعيد أو مسافة بعيدة كناية عن الندم على فعل ما سببه من معصية و يُحَذِّرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ مر تفسيره و اللَّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبَادِ أى رحيم. ٣١- قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ و اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ... قل لهم يا محمد: إن كنتم محبين لله حقًا فاتبعونى فيما جئتكم به من عنده يحبكم الله و يرضى عنكم و يتجاوز عن خطاياكم فهو كثير المغفرة واسع الرحمة. ٣٢- قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَاَطِيعُوا الرَّسُولَ ... قل لهم يا محمد أطيعوا الله إن كنتم صادقين فى إيمانكم به و محبتكم له و أطيعوا الرسول فيما جاءكم به عن ربه من دين و كتاب لأن الطاعة لازمة لذلك فَإِنْ تَوَلَّوْا أَعْرَضُوا عَنْ ذَلِكَ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ فَإِنْ ذَلِكَ يَكْشِفُ عَنْ كَذِبِهِمْ فيما يدعونه بل هم على كفرهم و الله يبغض الكافرين. ٣٣- إِنْ اللَّهَ اضْطَفَى آدَمَ وَ نُوحًا ... أى اختار و انتجب آدم و نوحا للنبوّة و الإمامة و آلَ إِبْرَاهِيمَ و آلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ كذلك ... و آل إبراهيم هم: إسماعيل و إسحاق و من ولد منهما، فدخل فيهم نبينا (ص) و آله (ع). و آل عمران هم: موسى و هارون. ٣٤- ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ و الذرية الأعقاب و الأولاد و المعنى: أنهم ذرية واحدة متناصلة متشعبة متسلسلة من لدن آدم و إبراهيم (ع) إلى عصر خاتم النبيين (ص) و اللَّهُ سَمِيعٌ لِلْأَقْوَالِ عَلِيمٌ بِالْأَعْمَالِ. ٣٥- إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ ... امرأة عمران بن الهشم من ولد سليمان (ع) هى أم مريم البتول و جدّة عيسى (ع) و اسمها حنة و اسم أبيها فاقوذ. و قد قالت أم مريم (ع): رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِي مُحَرَّرًا أى إننى رصدت حملى و وهبته لخدمتك مستخلصا لطاعتك و عماره بيتك. فَتَقَبَّلْنِي نَذْرِي قَبُولَ رَضَى إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ: مر تفسيره. ٣٦- فَلَمَّا وَضَعَتْهَا ... فلما ولدتها قالت رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى قَالَتْ ذَلِكَ فِى نَفْسِهَا تَحْسَرًا و خشية أن لا يقبل نذرها، لأنه ما كان ليقبل فى خدمة المعبد إلّا الغلام فى ذلك العصر و اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ لَأنه هو الذى خلقها و الجملة معترضة من كلامه سبحانه. و لَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى أى أن الأنثى لا تصلح لما تعلق به النذر و هو التحرير لخدمة بيت المقدس لما يعترىها من الحيض و أشباهه و كانت العادة عندهم جرت على ذلك. و إِنِّي سَمِيتُهَا مَرْيَمَ عطف على إني وضعتها، و مريم معناه فى لغتهم العابدة و الخادمة و إِنِّي أُعِيدُهَا بِكَ وَ ذُرِّيَّتُهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ أى أحميها بك و من يتناسل منها من الشيطان المطرود. ٣٧- فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ ... أى رضى بها فى النذر مكان الذكر، و لم يتقبل إلى ذلك اليوم غيرها للسدانة، و قيل: القبول الحسن انه سلك بها طريق السعداء و أَتَتْهَا نَبَاتًا حَسَنًا أى يسر لها تربية صالحة تناسب شأنها. و كَفَّلَهَا زَكَرِيَّا أى جعل أمر كفالتها بيده، فقام بأمرها و عند ما كبرت بنى لها مكانا خاصا للعبادة فى المسجد كان لا يدخله إلّا هو، ليحمل لها الطعام و الشراب. كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ أى الغرفة التى أفردا لها للعبادة وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا و الرزق كل ما ينتفع به، فلا اختصاص له بالمأكل و المشروب، و لكن قيل كان زكريا (ع) يجد عند دخوله عليها فاكهة الشتاء فى الصيف، و بالعكس. قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنْنِى لَكَ هَذَا أَيْ مِنْ أَيْنَ هَذَا الرزق قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ أَيْ مِنَ الْجَنَّةِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ مر تفسيره. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٦٠ ٣٨- هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ ... أى فى ذلك المكان- أو عند ذلك الذى رآه من كرامه مريم دعا ... قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً أى امنحنى و أعطنى ولدا و نسلا مباركا كما و هبت لحنه العجوز العاقر إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ تسمعه و تجيبه. ٣٩- فَتَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَ هُوَ قَائِمٌ يُصَلَّى فِى الْمِحْرَابِ ... أتاه نداء الملائكة و هو قائم: واقف يصلى فى

المسجد وقيل في محرابه أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِبَيْحِي مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ فَقَدْ بَشَرَهُ بَابْنٍ لَهُ يَسْمَى بِبَيْحِي الَّذِي يُؤْمِنُ بِكَلِمَةِ اللَّهِ، يعنى عيسى وقد سَمِيَ عيسى (ع) بكلمة الله لأنه أوجد بكلمة «كن» فكان من غير أب. وَسَيِّدًا يَتَرَأَسُ قَوْمَهُ وَتَكُونُ زَعَامَتُهُمْ بِيَدِهِ، وقيل سيدا في العلم والعبادة. وَحُصُورًا أَيْ أَنَّهُ مُتَبَتِّلٌ لَا يَأْتِي النِّسَاءَ وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ أَيْ مِنْ جَمَلَةِ الْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ هُمْ كُلُّهُمْ صَالِحُونَ. ٤٠- قَالَ رَبِّ أَتُنِيكَ لِي غُلَامٌ... قَالَ يَا رَبُّ كَيْفَ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ، وَأَمْرَاتِي عَاقِرٌ وَأَنَا طَاعِنٌ فِي السِّنِّ وَأَمْرَاتِي عَقِيمٌ قَالَ كَذَلِكَ أَيْ كَمَا أَنْتَ عَلَيْهِ مِنَ الْهَرَمِ وَالْعَقَمِ، إِذِ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ هُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. ٤١- قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً... أَيْ عَلامَةً لِأَعْرِفَ وَقْتُ الْحَمْلِ قَالَ أَتَيْتَكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ الْعَلامَةُ هِيَ أَنْ لَا تَقْدِرَ عَلَى تَكْلِيمِ النَّاسِ وَإِنْ كَانَ لِسَانُكَ مُطْلَقًا بِذِكْرِ اللَّهِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ بِلِيَالِيهَا تَبْقَاهَا لَا تَكَلِّمَ أَحَدًا أَثْنَاءَهَا إِلَّا رَمْرًا إِيْمَاءً وَادْكُزَ رَبِّكَ كَثِيرًا أَيْ فِي هَذِهِ الْمُدَّةِ وَذَكَرَ اللَّهُ بِتَسْبِيحِهِ وَتَحْمِيدِهِ وَمُنَاجَاتِهِ إِنَّمَا هُوَ كَلَامٌ مَعَ اللَّهِ لَا- مَعَ النَّاسِ فَمَا أَحْرَانَا بِاغْتِنَامِ فُرْصَةِ الْعَمْرِ وَكَسْبِ الْوَقْتِ لِلْإِكْتِنَانِ مِنَ الدُّعَاءِ وَالْأَذْكَارِ وَالْأُورَادِ لِنُصِلَ إِلَى هَذِهِ الْمَرْتَبَةِ السَّامِيَةِ فَتَكُونُ مَعَ الذَّاكِرِينَ... فَمَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: أَذْكَرَ رَبِّكَ فِي أَيَّامٍ عَدَمِ قَدَرْتِكَ عَلَى التَّكَلُّمِ مَعَ النَّاسِ وَسَبَّحَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ وَالتَّسْبِيحُ هُوَ تَتْلِيَةُ اللَّهِ أَيْ نَزَّهَ اللَّهُ آخِرَ النَّهَارِ وَأَوَّلَهُ. ٤٢- وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ... أَيْ أَذْكَرَ يَا مُحَمَّدٌ مَعْطُوفٌ عَلَى: إِذْ قَالَتْ امْرَأَةُ عِمْرَانَ. إِنَّ اللَّهَ اضْطَفَاكَ أَيْ اخْتَارَكَ وَطَهَّرَكَ أَيْ نَزَّهَكَ عَنِ الْأَدْنَسِ وَعَمَّا يَسْتَقْدِرُ مِنَ النِّسَاءِ، وَقِيلَ بِالْإِيْمَانِ عَنِ الْكُفْرِ وَاضْطَفَاكَ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ مِنْ أَهْلِ زَمَانِكَ... ٤٣- يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ... أَيْ اعْبُدِيهِ بِإِخْلَاصٍ وَاسْتِجْدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّائِعِينَ وَبِهَذَا أُمِرَتْ بِالصَّلَاةِ بِذِكْرِ أَرْكَانِهَا إِذْ أَمَرَهَا بِالسُّجُودِ وَبِأَنْ تَرْكَعَ مَعَ الرَّائِعِينَ. وَقِيلَ اسْجُدِي لِلَّهِ شُكْرًا وَصَلَّى مَعَ الْمُصَلِّينَ. ٤٤- ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ... يَعْنِي أَنَّ قِصَّةَ امْرَأَةِ عِمْرَانَ وَمَرْيَمَ وَزَكَرِيَّا وَبَشْرَى الْمَلَائِكَةُ لَهُمْ بِالْغُيُوبِ الَّتِي لَا- تَعْرِفُ إِلَّا بِالْوَحْيِ، لِأَنَّ أَبْوَابَ الْعِلْمِ الْآخَرَى بِهَا مَوْصَدَةٌ فِي وَجْهِكَ لِأَنَّكَ أُمِّي وَمَا كُنْتُ لَمَدَيْهِمْ إِذْ يُقْلَوْنَ أَقْلَامَهُمْ أَيْ: يَا مُحَمَّدٌ لَمْ تَكُنْ عِنْدَ سَدْنَةِ الْمَحْرَابِ وَهُمْ يَرْمُونَ أَقْلَامَهُمْ الَّتِي كَانُوا يَكْتُبُونَ بِهَا التَّوْرَةَ فِي الْمَاءِ أَهْهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ لِيَعْرِفُوا بِالْقِرْعَةِ مِنَ الَّذِي يَقُومُ بِأُمُورِ حَضَانَتِهَا وَتَرْبِيَتِهَا وَمَا كُنْتُ لَمَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ أَيْ حِينَ كَانُوا يَخْتَلِفُونَ فِي أَمْرِ كِفَالَتِهَا وَتَشَاجُرُونَ. ٤٥- إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ... أَيْ أَذْكَرَ يَا مُحَمَّدٌ حِينَ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِمَا فِيهِ سُرُورٌ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ كُنْ فَكَانَ عِيسَى (ع) مِنْ دُونِ أَبٍ وَمَسِيحًا فِي لُغَتِهِمْ مَعْنَاهُ الْمُبَارَكُ وَإِنَّمَا أَضِيفَ إِلَى مَرْيَمَ رَدًّا عَلَى الزَّاعِمِينَ أَنَّهُ ابْنُ اللَّهِ. وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَالْوَجِيهُ سَيِّدُ الْقَوْمِ وَصَاحِبُ الْجَاهِ وَالْمَنْزِلَةِ وَأَمَّا وَجَاهُ الْمَسِيحِ فِي الْآخِرَةِ فَتَكُونُ بِالشَّفَاعَةِ فِي الْأُمَةِ. وَمِنْ الْمُقَرَّبِينَ إِلَى ثَوَابِ اللَّهِ وَكَرَامَتِهِ. إِرْشَادُ الْأَذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ٦١ ٤٦- وَيَكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ... أَيْ أَنَّهُ حَالُ كَوْنِهِ طِفْلًا- رَضِيْعًا يَكَلِّمُهُمْ بِتَتْلِيَةِ أُمِّيهِ عَنِ السَّفَاحِ وَكَهْلًا وَهُوَ مَا بَيْنَ مَرَحَلَتِي الشَّبَابِ وَالشَّيْبِ يَكَلِّمُهُمُ بِالْوَحْيِ وَالنَّبُوَّةِ وَمِنْ الصَّالِحِينَ وَمِنْ النَّبِيِّينَ فَهُوَ مِنْ جَمَلَةِ عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ. ٤٧- قَالَتْ رَبِّ أَتُنِيكَ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ... أَيْ قَالَتْ مَرْيَمُ تَعْجَبًا: كَيْفَ يَكُونُ لِي وَلَدٌ! فَإِنَّ الْوَلَدَ كَيْفَ يَكُونُ بِلَا زَوْجٍ؟... قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِنْ الْأَمْرُ بِيَدِهِ تَعَالَى يَخْلُقُ بِأَيَّةٍ كَيْفِيَّةٍ يَرِيدُ إِذَا قَضَى أَمْرًا قَدَرَهُ فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ: كُنْ، فَيَكُونُ لَفْظُهُ: كُنْ إِرْشَادٌ إِلَى إِرَادَتِهِ التَّكْوِينِيَّةِ الَّتِي يَسْتَحِيلُ أَنْ يَتَخَلَّفَ الْمَرَادُ عَنْهَا. ٤٨- وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ... أَيْ جِنْسَ الْكِتَابِ الْمَنْزِلِ. وَقِيلَ: الْكِتَابَةُ. أَمَّا الْحِكْمَةُ فَلَعَلَّ الْمَرَادُ بِهَا الْفَقْهُ وَالْمَعْرِفَةُ، وَقِيلَ لَهَا مَعَانٍ أُخْرَى. وَأَفْرَدَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ بِالذِّكْرِ تَنْبِيْهَا عَلَى عَظَمَتِهِمَا. وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَيْ فِي حَالِ كَوْنِهِ مَبْعُوثًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ يَقُولُ لَهُمْ ذَلِكَ بَعْدَ أَنْ يَعلنَ كَوْنَهُ رَسُولًا لَهُمْ إِنِّي جِئْتُكُمْ بِدَلَالَةٍ دَالَّةٍ عَلَى نُبُوَّتِي مِنَ اللَّهِ هِيَ: أَنِّي أَخْلَقْتُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ، فَانْفُخْ فِيهِ، فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ أَيْ أَنِّي أَصَوِّرُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ مِثْلَ صُورَةِ الطَّيْرِ فَانْفُخْ فِي هَذَا الطَّيْرِ الْمَصَوَّرِ فَيَكُونُ طَيْرًا ذَا حَيَاةٍ بِقَدْرَةِ اللَّهِ. وَقِيلَ بِأَنَّ الطَّيْرَ الَّذِي صَوَّرَهُ كَانَ عَلَى هَيْئَةِ الْخَفَّاشِ وَأَبْرِيءُ الْأَكْمَةِ وَالْأَبْرَصِ، وَأُخِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ أَيْ أَشْفَى مَنْ كَانَ قَدْ وَلَدَ أَعْمَى وَمَنْ بِهِ مَرَضٌ جَلْدِي مَنْقَرٌ وَأُردَ إِلَى الْحَيَاةِ مَنْ مَاتَ كُلُّ ذَلِكَ بِقَدْرَةِ اللَّهِ وَأُبْنِيَكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ أَيْ: وَأَخْبَرَكُمْ بِالَّذِي تَأْكُلُونَهُ فِي بُيُوتِكُمْ وَتَحْتَبُّونَهُ فِيهَا. وَلِذَا كَانَ عِيسَى (ع) إِذَا لَاقَى رَجُلًا يَقُولُ لَهُ: أَكَلْتَ كَذَا، وَخَبَأَتْ كَذَا وَكَذَا... إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ أَيْ فِي مَا

ذكرت وفعلت، حجة لكم على ما ادعيت من النبوة إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ. ٥٠- وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ ... أى جئتكم مصدقا لما أنزل قبلى مِنَ التَّوْرَةِ بما فيه من البشارة بى وَلِأَحِلَّ لَكُمْ أَى وَمَحَلًّا لَكُمْ بَعْضَ الَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ مِمَّا كَانَتِ التَّوْرَةُ قَدْ حَرَّمَتْهُ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَى بحجة، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَى تجنبوا مخالفة الله وأطيعوا أمرى فيما أدعوكم إليه من عند ربى. ٥١- إِنَّ اللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ ... أى مالكى و مالكم فاعبدوه وحده هذا صراطٌ مُسْتَقِيمٌ أى هذا الذى أدعوكم إليه طريق الله الذى لا عوج فيه. ٥٢- فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ ... يعنى لما علم كفرهم وإنكارهم له ولدعوته قال: مَنْ أَنْصَارِى إِلَى اللَّهِ أَى من هم أعوانى على صد هؤلاء الكفرة مع عون الله أو فى الدعوة إلى سبيله. قَالَ الْخَوَارِثُونَ وَ خَوَارِى الرجل هم خاصته. و كان حوارىو عيسى عليه السلام اثنى عشر رجلا- نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ أَى أنصار دينه و أعوان نبيّه آمَنَّا بِاللَّهِ أَى صدقنا به و برسوله، وَ أَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ وَ قد استشهدوه لأن الرسل يشهدون يوم القيامة على أممهم من آمن أو كفر. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٥٣ ٦٢- رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَ أَتَّبَعْنَا الرَّسُولَ ... أى صدقنا بما أنزلت إلى عيسى من الإنجيل و أطعناه فَاتَّكَبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ أَى اجعلنا بتوفيقك لنا مع الأنبياء الذين يشهدون يوم القيامة على أممهم. ٥٤- وَ مَكْرُوا، وَ مَكَرَ اللَّهُ وَ اللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ... يعنى أن كفره بنى إسرائيل مكروا بعيسى أى كادوا له كيدا سيئا إذ وكلوا به من يقتله غيلة فجازاهم الله على مكرهم من جنس صنعهم بأن دبر تدبيرا لا يخطر ببالهم و هو إلقاء شبه عيسى على الجانى فقتله أصحابه بتوهم أنه هو و رفع الله عيسى إليه، و الله أعدل الماكرين لأن مكرهم ظلم و مكره مجازاة عليه. ٥٥- إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ مَتَوَفَّيْكَ وَ رَافِعُكَ إِلَيَّ ... هذا الكلام مبنى على التقديم و التأخير أى إنى رافعك و متوفيك لأن الواو لا توجب الترتيب و لما كان الله سبحانه لا يحويه مكان كان معنى رافعك إلى: إنى رافعك إلى مكان كرامتى و أمنى، أى السماء المختصة بالملائكة المستبحين. وَ مُطَهَّرَكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَى مبعذك عنهم و مجنبك منهم برفعك إلى وَ جَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَى أنه قضى سبحانه أن يكون المؤمنون به أى النصارى أعلى من كفره بنى إسرائيل، يعلنونهم بالحجة و بالسيف، و باستدلالهم و كونهم أدنى منهم فى الدنيا ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ أَى مآلكم و مصيركم فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ أَقْضِى بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ من أمر عيسى و شريعته. ٥٦- فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعَذْتُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ ... قيل عذاب الدنيا هو إذلالهم بأنواع المصائب كالقتل و السبى و الجزية إلخ. و عذاب الآخرة النار. وَ مَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ أَى أعوان يمنعونهم من عذابنا. ٥٧- وَ أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ... أى صدقوا بالله و رسله و جسدوا إيمانهم عملا- صالحا فيتم لهم جزاء إيمانهم و أعمالهم وَ اللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ بل يبغضهم و يعاقبهم. ٥٨- ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ ... إشارة إلى أخبار مريم و عيسى و زكريا و يحيى. و معنى ذلك أننا نقرأ هذا عليك من الحجج الدالة على صدق دعواك النبوة وَ الذِّكْرِ الْحَكِيمِ أَى القرآن الحكيم. ٥٩- إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ... نزلت هذه الآية الكريمة و ما يليها فى وفد نجران حيث سألوا النبى (ص): هل رأيت ولدا من غير أب؟ و المعنى: أن حال عيسى فى خلق الله إياه من دون أب كحال آدم فى خلق الله له من دون أب و لا- أم. حيث أنشأه من تراب ثم قال له كن فكان. فخلق آدم أدعى للدهشة. فلم لا- تستنكرون ما هو أعجب و تستنكرون العجيب؟ ٦٠- الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ ... أى ما ذكر من قضايا عيسى هو الحق من عند ربك فَلَا تُكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ أَى المرتابين. ٦١- فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ... أى من جادلَكَ فى عيسى من بعد ما جاءكَ من الحجج و البراهين أنه عبد الله و رسوله و كلمته ألقاها إلى مريم فَقُلْ: تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَ أَبْنَاءَكُمْ، وَ نِسَاءَنَا وَ نِسَاءَكُمْ، وَ أَنْفُسَنَا وَ أَنْفُسَكُمْ يَا مُحَمَّد: قل لوفد نصارى نجران: هلموا إلى حجة فاصلة تميز الحق من الباطل و هو أن ندعو أبناءنا أجمع المفسرون على أنهم الحسن و الحسين (ع) و أبناءكم. و نساءنا و اتفق المفسرون على أن المراد فاطمة (ع) إذ لم يحضر المباهلة غيرها و أنفسنا يعنى علينا (ع) خاصة و لا يجوز أن يكون المراد به النبى (ص) لأنه هو الداعى و من الواضح أن الإنسان لا يدعو نفسه. ثُمَّ تَبَهَّلْ أَى نتباهل بأن نلعن الكاذب منا و نحن وقوف بين يدى الله تعالى. و البهلة و البهلة: اللعنة. فَتَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ أَى نكاله و عقابه الديوى. و روى أنهم حين دعوا إلى المباهلة قالوا: حتى ننظر. ثم أتوه (ص) و قد غدا آخذا بيد على بن أبى طالب، و الحسن و الحسين بين يديه، و فاطمة الزهراء خلفه،

فقال أسقفهم: يا معشر النصارى: إنى لأرى وجوها لو سألوها الله أن يزيل جبلا من مكانه لأزاله: فلا تباهلوا. فأبوا المباهلة وصالحو النبى (ص) على جزية محددة كل عام. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٦٣ ٦٢- إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ ... أى الذى قص من نبيا عيسى هو الحديث الصدق فيما ينبغى أن يقال فيه وَ مَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ تنبيه و تذكير للنصارى بأن عيسى ليس إلا من جملة عباد الله و رسله. فالألوهية لله وحده الذى لا إله غيره وَ إِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ أى المتفرد فى القدرة الكاملة، و ذو الحكمة البالغة. ٦٣- فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ ... أى إذا انصرفوا و مالوا عن تصديقك و أعرضوا عن دعوتك فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ عارف بمن يريد الفساد فى دينه. و هذا وعيد لهم. ٦٤- قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ ... قد يراد بالكتاب الجنس، أى مطلق كتاب سماوى، و قد يراد الكتابان الرائجان فى ذلك العصر و هما التوراة و الإنجيل و الخطاب هنا متوجه إلى وفد نصارى نجران و لكن خصوصية المورد لا تخص الوارد فيصح أن يكون موجها إلى كل أهل الكتاب من اليهود و النصارى فقل لهم يا محمد تَعَلَّوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَ بَيْنَكُمْ أى هلموا إلى كلمة عدل بيننا و بينكم أَلَّا تَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَ لَا تُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا أى لا تقصد بالعبادة إلا الله و لا نشرك معه أحدا فيها. وَ لَا يَتَّخِذْ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ أى لا- يعبد بعضنا المسيح لأنه كان من بعض الناس و لا- نقول إنه ابن الله. أو عزيز بن الله و لا نطيع الأخبار و الرهبان فيما أحدثوا من التحليل و التحريم فهو من العبودية لهم أيضا. فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا إِذَا أَعْرَضُوا عَنِ الدَّعْوَةِ إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ مستسلمون منقادون لله وحده. و استشهدوهم على ذلك. ٦٥- يَا أَهْلَ الْكِتَابِ: لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ ... لم تجادلون فى إبراهيم منكم من يزعم أنه كان يهوديا و منكم من يزعم أنه كان نصرانيا. وَ مَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ وَ الْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ إِذْ وَجَدَ إِبْرَاهِيمَ قَبْلَ مُوسَى بِأَلْفِ سَنَةٍ وَ قَبْلَ عِيسَى بِأَلْفَى سَنَةٍ أَفَلَا تَعْقِلُونَ إِذْ كَيْفَ يَكُونُ إِبْرَاهِيمَ عَلَى دِينٍ وَجَدَ بَعْدَ عَهْدِهِ بَعَثَاتِ الْقُرُونِ! فهل تتفكرون فيما تقولون من الجدل غير العقلانى؟ ٦٦- هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ ... كلمة: ها، للتنبيه. و المعنى أنكم أنتم يا معشر اليهود و النصارى حاججتم أى جادلتم. فيما لكم به عِلْمٌ مما سُمى فى التوراة و الإنجيل فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فكيف تجادلون فيما تجهلون من دين الله. وَ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا كَانَ دِينَ إِبْرَاهِيمَ لِأَنَّهُ مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ علما. وَ أَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ذَلِكَ وَ عَلَى الْجَاهِلِ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الْعَالَمِ. فى هذا الزعم الخاطى و هذه الدعوى الباطلة. ٦٧- مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَ لَا نَصْرَانِيًّا ... نفى كون إبراهيم (ع) من هؤلاء أو من هؤلاء، و كذلك موسى و عيسى لأن الملتين محرقتان و لأن الدين عند الله الإسلام و التسميتان ما أنزل الله بهما من سلطان. وَ لَكِنْ كَانَ حَنِيفًا أَى مائلا عن الأديان كلها إلى دين الإسلام مُسْلِمًا فى عقيدته وَ مَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ الذين يجعلون مع الله إلها آخر من اليهود كانوا أو النصارى أو مشركى العرب. ٦٨- إِنَّ أَوَّلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ ... أى أحق الناس به للذين اتَّبَعُوهُ الْمُؤْمِنُونَ بنبوته فى زمانه، وَ هَذَا النَّبِيُّ وَ الَّذِينَ آمَنُوا يَتَوَلَّوْنَ نَصْرَتَهُ بِالْحُجَّةِ لِمَا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَقِّ، وَ هُمَ الَّذِينَ يَحِقُّ لَهُمْ أَنْ يَقُولُوا: نحن على دين إبراهيم وَ اللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ لِأَنَّهُ يَتَوَلَّى نَصْرَتَهُمْ. ٦٩- وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ... أى تمتى جماعة منهم لَوَيْضَةُ لَوْ كُنْتُمْ يَهْلِكُونَكم بحرفكم عن الإيمان و قيل بأنهم اليهود وَ مَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ أى و ما يلحق وبال إضلالهم إلا بهم لأنكم لن تستجيروا لهم وَ مَا يَشْعُرُونَ وَ مَا يَعْلَمُونَ عَوْدَةَ الضَّرَرِ عَلَيْهِمْ وَ قِيلَ: وَ مَا يَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ ضَلَالٌ لَجَهْلِهِمُ الْمَرْكَبُ. ٧٠- يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ... أى كيف تنكرون آيات الله التى نزلت فى الكتابين بنعوت محمد (ص) و صفاته و نبوته وَ أَنْتُمْ تَشْهَدُونَ تَعْلَمُونَ وَ تَشَاهِدُونَ مَا يَدُلُّ عَلَى صِحَّتِهَا فى التوراة و الإنجيل. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٦٤ ٧١- يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ ... أى لم تخطئون الحق بغيره من ضده بالتحريف لما فى كتبكم ... وَ تَكْتُمُونَ الْحَقَّ تَسْتُرُونَهُ، وَ هُوَ نَبُوءَةُ مُحَمَّدٍ (ص) المذكورة فى توراتكم و إنجيلكم وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ وَ تَعْرِفُونَ أَنَّ ذَلِكَ حَقٌّ لَا رَيْبَ فِيهِ. ٧٢- وَ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ... أى قالت جماعة منهم لجماعة أخرى تعليما لها على مخادعة المؤمنين. آمَنُوا أى تظاهروا بالإيمان بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْآيَاتِ، وَجَهَ النَّهَارِ أى أوله وَ اكْفُرُوا آخِرَهُ ثُمَّ ارْجِعُوا عَنْهُ آخِرَ النَّهَارِ نَفْسَهُ لَزَرَ بِذَوْرِ الشَّكِّ فى نفوسهم بالإسلام لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ يعودون عن الإسلام. ٧٣- وَلَا- تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبَعَ دِينَكُمْ ... خطاب من الله للمؤمنين: لا- تؤمنوا إلا- لمن تبع دينكم الإسلام. و قيل هى من كلام جماعة من اليهود لجماعة أخرى منهم. و يا محمد قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ وَ مِنَ هُدَاهِ اللَّهُ فَلَا مَضِلَّ لَهُ. وَ لَا تَصَدَّقُوا أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ

ما أوتيتهم من الدين الحنيف، أو يُحاجُّوكُم عِنْدَ رَبِّكُم لَأَن يَهُودُ قَالُوا: إِنَّا نَحَاجُّ عِنْدَ رَبِّنَا مِنْ خَالِفِنَا فِي دِينِنَا، فَبَيْنَ سَبْحَانِهِ أَنَّهُمْ هُم الدَّاحِضَةُ حُجَّتُهُمْ. قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ يَدِيهِ اللَّهُ قِيلَ يَرِيدُ بِهِ النُّبُوَّةَ، وَقِيلَ هِيَ نِعَمُ الدِّينِ وَالدُّنْيَا. وَبِيَدِ اللَّهِ: أَيْ فِي مَلِكِهِ وَهُوَ الْقَادِرُ عَلَيْهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ أَيْ يَعْطِيهِ مَنْ يَرِيدُ. وَاللَّهُ وَاسِعُ الرَّحْمَةِ وَالْجُودِ، عَلِيمٌ بِمَصَالِحِ الْخَلْقِ. يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ يعطى رحمته وجوده لمن أراد من المستحقين وفضله أعظم الفضل وأجله و يحتمل أن يراد بالفضل النبوة. ٧٥ - وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ... بَعْضُهُمْ مَنْ إِنْ تَأَمَّنْهُ يَقْطَارُ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأَمَّنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ أَيْ إِذَا اسْتَأْمَنْتَهُ عَلَى الْقَنْطَارِ يَرْجِعُهُ وَلَا يَخُونُ فِيهِ قِيلَ هُوَ أَلْفٌ وَمِائَتَانِ أَوقِيَّةٌ ذَهَبًا وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ وَبَعْضُهُمْ مَنْ إِذَا اسْتَأْمَنْتَهُ عَلَى ثَمَنٍ دِينَارٍ لَا يَرْجِعُهُ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا أَيْ إِلَّا أَنْ تَلَاظِمَهُ وَتَلَحَّ عَلَيْهِ. ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا أَيْ أَنَّ خِيَانَتَهُمْ لِلْأَمَانَةِ بِسَبَبِ قَوْلِهِمْ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمْنِيِّ سَبِيلٌ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي أَمْوَالٍ مِنْ لَيْسُوا عَلَى دِينِنَا وَقَدْ أَصْبَحْنَا سَبِيلًا لَأَنَّهُمْ مَشْرُكُونَ أَوْ لَأَنَّهُمْ تَحَوَّلُوا عَنْ دِينِ آبَائِهِمْ إِلَى الْإِسْلَامِ وَادَّعَوْا بِأَنَّ ذَلِكَ حُكْمُ اللَّهِ فِي كِتَابِهِمْ. وَ يَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ بِمَا يَدَّعُونَهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ كَاذِبُونَ فِيمَا يَزْعُمُونَ لَأَنَّ اللَّهَ أَمَرَهُمْ بِأَدَاءِ الْأَمَانَةِ وَحَرَمَهُ خِيَانَتَهَا. ٧٦ - بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى ... كَلِمَةُ: بَلَى، إِثْبَاتٌ لِمَا نَفَوْهُ. أَيْ اللَّهُ أَمَرَهُمْ بِالْوَفَاءِ بِالْأَمَانَةِ وَالْعَهْدِ. فَمَنْ وَفَى بِأَمَانَتِهِ وَعَهْدِهِ وَاتَّقَى خِيَانَتَهُمَا. فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ أَيْ يُشَبِّهِهُمْ وَإِنَّمَا عَدَلَ مِنَ الْمَضْمَرِ إِلَى الظَّاهِرِ وَقَالَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ وَلَمْ يَقُلْ يُحِبُّهُ لِيَبِينَ أَنَّ التَّقْوَى صِفَةُ الْمُؤْمِنِينَ فَكَأَنَّهُ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُؤْمِنِينَ وَلَا يُحِبُّ الْيَهُودَ لِأَنَّهُمْ لَا يَتَّقُونَ خِيَانَةَ الْأَمَانَةِ وَنَقَضَ الْعَهْدَ. ٧٧ - إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ ... يَشْتَرُونَ هُنَا بِمَعْنَى يَبِيعُونَ عَهْدَهُمْ مَعَ اللَّهِ مِنَ الْإِيمَانِ بِمُحَمَّدٍ (ص) وَالْوَفَاءِ بِالْأَمَانَاتِ وَأَيْمَانِهِمْ أَيْ يَبِيعُونَ مَا أَقْسَمُوا عَلَيْهِ مِنْ قَوْلِهِمْ: وَاللَّهِ لَنُؤْمِنَنَّ بِهِ وَلَنَنْصَرِّفَنَّهُ ثُمَّ نَكْثُوا ثَمَنًا قَلِيلًا أَيْ عَوْضًا نَزَرًا أَوَّلِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فَهَؤُلَاءِ لَا حَظَّ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. وَ قَدْ نَكَرَ لَفْظُهُ: خَلَاقٌ، لَنَفَى الْحَظَّ مُطْلَقًا وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ بَلْ يَكُلُّ أَمْرَهُمْ إِلَى مَلَائِكَةِ الْعَذَابِ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَيْ لَا يَرْحَمُهُمْ مِنْ بَابِ قَوْلِ الْقَائِلِ: انْظُرْ إِلَيَّ: يَرِيدُ أَرْحَمَنِي. وَلَا- يُزَكِّيهِمْ أَيْ لَا- يَطْهَرُهُمْ مِنْ ذُنُوبِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ مَوْجَعٌ. إِرْشَادُ الْأَذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ٦٥ ٧٨ - وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا ... أَيْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ طَائِفَةٌ يُلُونُ أَلَسَّتْهُمْ بِالْكِتَابِ يَحْرَفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَ يَعْدِلُونَ عَمَّا جَاءَ مِنَ الْحَقِّ فِي الْكِتَابِ إِلَى مَا كَتَبُوهُ بِأَيْدِيهِمْ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ لِتَحْسِبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ أَيْ لَتَنْظُنُّوا أَنَّ النَّصَّ الَّذِي يَتْلُونَهُ هُوَ مِنَ التَّوْرَةِ الْمُنَزَّلَةِ عَلَى مُوسَى وَ لَيْسَ هُوَ مِنْهُ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَكْذِبُونَ فِي ادْعَائِهِمْ أَنَّهُ مِنْ مَنَزَلٍ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ فِي حِينٍ أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ فَهُمْ يَكْذِبُونَ عَلَيْكُمْ وَعَلَى اللَّهِ. وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَيْ يَكْذِبُونَ عَلَيْهِ بِمَا يَقُولُونَ وَهُمْ عَالِمُونَ بِكَذِبِهِمْ. ٧٩ - مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكْفُرَ ... لَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ أَنْ يَعْطِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَ النَّبُوَّةَ أَيْ عِلْمَ التَّشْرِيعِ وَدُسْتُورَ شَرِيعَتِهِ وَ الرِّسَالَةَ إِلَى الْخَلْقِ ثُمَّ يَقُولُ لِلنَّاسِ: كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ أَيْ اعْبُدُونِي مَعَهُ أَوْ مِنْ دُونِهِ وَ هَذَا رَدٌّ عَلَى النَّصَارَى فِي شَأْنِ عِيسَى (ع). وَلَكِنْ بَلْ يَقُولُ: كُونُوا رَبَّائِيْنَ أَيْ كُونُوا عُلَمَاءَ بِمَا شَرَعَ اللَّهُ لِعِبَادِهِ كَامِلِينَ فِيهِ وَ فِي الْعَمَلِ بِهِ. بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَ بِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ أَيْ لِأَنَّكُمْ مَعْلَمُونَ لِلْكِتَابِ وَ دَارِسُونَ لَهُ. ٨٠ - وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا ... أَيْ وَ لَا كَانَ لِهَذَا النَّبِيِّ أَنْ يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيْ آلِهَةً تَعْبُدُونَهُمْ كَمَا هُوَ عَمَلُ الصَّابِيِّينَ وَ النَّصَارَى أَيْ يَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ اسْتَفْهَامٌ إِنْكَارِيٌّ وَالْمَعْنَى أَنَّ اللَّهَ إِنَّمَا يَبْعَثُ النَّبِيَّ لِيَدْعُو النَّاسَ إِلَى الْإِيمَانِ بِاللَّهِ فَكَيْفَ تَجُوزُونَ عَلَى مَنْ وَظِفَتْهُ ذَلِكَ أَنْ يَدْعُوَكُمْ إِلَى ضِدِّهَا وَهُوَ الْكُفْرُ. ٨١ - وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ ... إِذْ أَيْ إِذْكَرَ حِينَ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ أَيْ الْعَهْدَ عَلَى أُمَّةِ النَّبِيِّينَ وَقِيلَ: عَلَى النَّبِيِّينَ أَنْفُسَهُمْ لَمَّا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَ حِكْمَةٍ لِأَجْلِ الَّذِي أُعْطِيتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَ حِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ يَعْنِي: ثُمَّ لَمَجِئَ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ مِنْ كِتَابِ أَنْبِيَائِكُمْ، وَقِيلَ: الرَّسُولُ هُوَ مُحَمَّدٌ (ص) لَتُؤْمِنَنَّ بِهِ وَ لَتَنْصَرِّفَنَّ وَ الْإِيمَانُ بِهِ وَ فِي نَصَرَتِهِ قَالَ أَ أَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي يَعْنِي هَلْ اعْتَرَفْتُمْ وَقَبِلْتُمْ عَهْدِي وَ مِيثَاقِي الْغَلِظَ عَلَيْكُمْ بِالِاسْتِمَاعِ إِلَى مَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ أَنْبِيَائُكُمْ وَ أَنْ تَوَافَقُوا بِمُحَمَّدٍ (ص) إِذَا أَدْرَكْتُمُوهُ، وَ أَنْ تَنْصَرُّوهُ إِذَا اسْتَنْصَرَكُمْ؟ ... قَالُوا: أَقْرَرْنَا أَيْ الْأَنْبِيَاءُ أَوْ أَمَمَهُمْ أَجَابُوا بِالْاعْتِرَافِ. قَالَ اللَّهُ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ فَلْيَشْهَدْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ بِهَذَا الْإِقْرَارِ وَ أَنَا أَشْهَدُ عَلَيْكُمْ جَمِيعًا بِهِ. ٨٢ - فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ ... أَيْ أَعْرَضَ عَنِ الْإِيمَانِ بِمُحَمَّدٍ (ص) لَوْ أَدْرَكَهُ بَعْدَ أَخْذِ الْمِيثَاقِ الَّذِي

أقررتم به بين يدي الله تعالى و بين يدي أنبيائكم فأولئك هم الفاسقون الخارجون عن دائرة الإيمان. ٨٣- أ فَعَيَّرَ دِينَ اللَّهِ يَفْغُونَ ...
يعنى: هل أن المتولين يطلبون ديناً غير دين الله بعد كل هذه الحجج والاستفهام إنكارى فهذا لن يحصل أ تطلبون ديناً أحسن من
دين الله و أنفع لكم و هو يجمع لكم خير الدنيا والآخرة؟ ... و الاستفهام إنكارى، أى لا- يحصل، بل لا- يوجد لكم دين كدينه
سبحانه. و قد قدم المفعول به لتوجه الإنكار إليه. و يستفاد من هذا الإنكار التسفيه لهم و التوبيخ و المقت. و قد قرأ أبو عمرو و حفص
بلفظ الغيبة. أما الباقر فقرأوا بقاء الخطاب على تقدير: قل لهم، أ تريدون غير دين الله و له أسلم من فى السماوات و الأرض طوعاً و
كرهاً و هذا الإسلام محمول على عالم الذر عند أخذ الميثاق، لأنهم فى ذلك الوقت استسلموا فاختر بعضهم الإسلام رغبة، و بعضهم
الآخر شق عليهم القبول و مع ذلك أظهروه. و إليه يُرْجَعُونَ يردون للحساب. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٦٦ ٨٤- قُلْ آمَنَّا
بِاللَّهِ ... قل يا محمد: صدقنا بالله، أنا و أمتى. و ما أُنْزِلَ عَلَيْنَا، و ما أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَ إِسْمَاعِيلَ وَ إِسْحَاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ الْأَسْبَاطِ، و ما
أُوتِيَ مُوسَى وَ عِيسَى وَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ و بالرسول جميعاً من ذكر و من لم يذكر و بكل ما أنزل عليهم من كتب من عند الله تعالى لا
تُفَرَّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ، وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ أى لا نصدق بعضاً و نكذب بعضاً آخر كما يفعل غيرنا طمعاً فى رئاسته دنيوية زائلة، بل نحن
منقادون لله تعالى، مطيعون له. ٨٥- وَ مَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ... أى من يطلب غير الإسلام دين الله الذى حمّله كل
رسل الله إلى الناس و يرغب عنه إلى عقيدة أخرى فلا- يرضى الله منه ذلك و هو فى الآخرة مِنَ الْخَاسِرِينَ و فى يوم القيامة ييؤ
بالخسران و الهلاك و لا ينفعه عمله بل يكون وبالاً عليه لأنه يؤدى به إلى النار و غضب الجبار. ٨٦- كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ
إِيمَانِهِمْ وَ شَهِدُوا أَنَّ الرُّسُولَ حَقٌّ وَ جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ... جملة: و شهدوا معطوفة على فعل مقدر يدل عليه مصدره، أى فكيف يطف بهم
فيهداهم و يرشدهم إلى الحق بعد أن كانوا صدّقوا بالله و رسوله و اعترفوا بأنه (ص) حق من عند الله و قامت لديهم الحجج الواضحة
على كل ذلك ثم ارتدوا إلى الكفر؟ و الله لا يهدي القوم الظالمين فلا تشمل هدايته المتمردين على نواميسه جل و علا الكافرين به.
و لا الظالمين لأنفسهم و لغيرهم ممّن صدّوهم عن سبيل الحق. ٨٧- أُولَئِكَ جَزَاءُهُمْ ... أى الذين كفروا يكون حظهم و عقابهم أَنَّ
عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ أى طردهم عن رحمته و الملائكة و النَّاسِ أَجْمَعِينَ أيضاً يدعون الله يابعد أولئك الكفرة عن رحمته و دار رضوانه.
٨٨- خَالِدِينَ فِيهَا ... أى فى اللعنة و العقوبات التى استحقوها لا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ لا يسهل عليهم و لا هم يُنْظَرُونَ أى لا يمهلون
للتوبة يوم القيامة و لا يفتر عنهم العذاب. ٨٩- إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ ... رجعوا عن الكفر إلى الإيمان بصدق و ألقوا عمّا فعلوه
من المفاسد، و ندموا على ذلك قولاً- و فعلاً- وَ أَصْلَحُوا و اصطلحت نياتهم بالثبوت على الإيمان و دلّوا على ذلك عملياً. فَإِنَّ اللَّهَ
عَفُورٌ رَحِيمٌ فإنه سبحانه يغفر ذنوبهم و يدخلهم فى رحمته لأنه غفور رحيم. ٩٠- إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ... أى ارتدوا عن
الإسلام بعد دخولهم فيه و تصديقهم بما جاء به رسوله (ص). ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا كَالْيَهُودِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعِيسَى (ع) بعد إيمانهم بموسى
(ع) ثم ازدادوا كفراً حين كفروا بمحمد (ص). أو بعد إيمانهم به قبل بعثته ثم كفروا به بعدها. لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ إما لكونها ليست عن
إخلاص، و إما لأنها لا- تكون إلّا عند المعايضة حال الموت حيث لا- قيمة لها. و أُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ أى الضائعون عن الحق أو
الهالكون. ٩١- إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ مَاتُوا وَ هُمْ كُفَّارٌ ... أى ماتوا على كفرهم، فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَ لَوْ افْتَدَى بِهِ فُلَن
يَقْبَلُ مِنْ أَحَدِهِمْ فدية و لو بذل عوضاً يوم القيامة ملء الأرض ذهباً لو فرض وجوده أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَ مَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ: أى
مساعدين أو معينين بالشفاعة لرفع غائله أهوال يوم القيامة، و لفظه: من، زيدت للاستغراق، أى: و ما لهم ناصر من الشفعاء. إرشاد
الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٦٧ ٩٢- لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ... أى لن تحصلوا على الجنة و قيل على السعة فى المال
و الخير الكثير إلّا- إذا صرفتم مما هو محبوب لديكم من نفائس أموالكم خالصاً لوجه الله و ما تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ أى
علمه محيط بما تنفقونه فى مجالات البر من مالكم فيجازيكم به قل أو كثر إذا خلصت نياتكم. ٩٣- كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ
... أى أن أصول المطعومات على اختلافها، أو كل ما يؤكل كان حلالاً لبني إسرائيل أى اليهود .. إلّا ما حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ و
إسرائيل هو يعقوب النبی (ع) الذى قيل إنه كان مبتلى بعرق النساء، فنذر إن هو شفى أن لا يأكل الشحوم و لحوم الإبل. مِنْ قَبْلِ أَنْ

تُنَزَّلُ التَّوْرَةُ الَّتِي اشْتَمَلَتْ عَلَى تَحْرِيمِ مَا حَزَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِظُلْمِهِمْ لَأَنْفُسِهِمْ. وَ هَذَا تَكْذِيبٌ لِدَعْوَى الْيَهُودِ الَّذِينَ كَلَّمَا حَرَمُوا شَيْئًا أَضَافُوا تَحْرِيمَهُ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ. قُلْ فَمَا تَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ أَيْ قُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّد: جِئْتُوَا بِالتَّوْرَةِ وَ اقْرَأُوا عَلَيْنَا نَصَ الْمَحْرَمَاتِ فِيهَا إِذَا كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِي ادِّعَاءِ اتِّكُم. ٩٤- فَمَنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكُذْبَ ... أَيْ اخْتَرَعَ عَلَيْهِ مَا لَمْ يَقُلْهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ يَعْنِي بَعْدَ الْإِذْوَارِ بِالْحُجَّةِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ لَأَنْفُسِهِمْ بَارْتِكَابِهِمْ مَا يُؤُولُ بِهِمْ إِلَى الْعَذَابِ. ٩٥- قُلْ صَدَقَ اللَّهُ ... أَيْ قُلْ يَا مُحَمَّد لِهَؤُلَاءِ الْمَفْتَرِينَ إِنْ اللَّهُ سُبْحَانَهُ هُوَ الصَّادِقُ فِيمَا أَخْبَرَ مِنْ حُكْمِ الطَّعَامِ فِي حَقِّ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ قَبْلِ تَنْزِيلِ التَّوْرَةِ وَ مِنْ بَعْدِ. فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ أَيْ عَوَدُوا إِلَى حَنِيفِيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَ شَرَعْتَهُ فِي التَّحْرِيمِ وَ التَّحْلِيلِ حَنِيفًا وَ مَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَيْ مَائِلًا عَنِ الْأَدْيَانِ الْبَاطِلَةِ إِلَى الْإِسْلَامِ الَّذِي هُوَ الْإِنْقِيَادُ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْأَحَدِ. مَبْرَأً مِنَ الشَّرِكِ. ٩٦- إِنْ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ ... وَضَعُ: أَيْ بَنَى لِيَكُونَ لِلنَّاسِ مَكَانَ تَعْبَدُ وَ مَنْسَكًا أَبَدِيًّا فِي الْأَرْضِ لِلَّذِي بَنَى أَيْ الْكَعْبَةَ فِي مَكَّةَ مُبَارَكًا وَ هُدًى لِلْعَالَمِينَ كَثِيرَ الْخَيْرِ وَ الْبَرَكَهَةِ قِيلَ لِثُبُوتِ الْعِبَادَةِ فِيهِ بِاسْتِمْرَارٍ أَوْ لِمُضَاعَفَةِ ثَوَابِهَا عِنْدَهُ وَ فِيهِ. وَ دَلَالَةً لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ. ٩٧- فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ ... أَيْ فِي الْبَيْتِ الْحَرَامِ وَ حَرَمِهِ دَلَالَاتٌ وَاضِحَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ فَجَعَلَ الْمَقَامَ الشَّرِيفَ وَحْدَهُ هُوَ الْآيَةُ وَ قِيلَ: أَثَرُ قَدَمِهِ فِي الْمَقَامِ آيَةٌ بَيْنُهُ لِأَنَّهُ حَجَرٌ صَلْدٌ وَ لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَجْعَلَهُ كَالطِّينِ لَتَنْطَبِعَ فِيهِ صُورَةُ الْقَدَمِينَ إِلَّا- اللَّهُ. وَ قِيلَ إِنْ الْمَشَاعِرَ كُلَّهَا عِلَامَاتٌ، وَ مِنْهَا الْمَقَامُ. وَ مَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا عَظْفٌ عَلَى مَقَامٍ مِنْ حَيْثُ الْمَعْنَى، أَيْ وَ مِنْ الْآيَاتِ أَمِنْ مَنْ دَخَلَهُ. وَ قِيلَ: إِنْ الْحَرَمُ كُلَّهُ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَ مَنْ دَخَلَ الْمَقَامَ يَعْنِي الْحَرَمَ كَانَ آمِنًا لَا يَعْتَرِضُ بِقِصَاصٍ وَ غَيْرِهِ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْهُ كَمَا حَرَّمَ فِيهِ قَتْلَ الصَّيْدِ وَ اقْتِلَاعَ الشَّجَرِ إلخ. وَ لِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَ لِلَّهِ عَلَى مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَى حِجِّ الْبَيْتِ مِنَ النَّاسِ أَنْ يَحْجَّ إِلَى الْبَيْتِ. وَ الْاسْتَطَاعَةُ الْمَقْصُودَةُ هِيَ الْعَرْفِيَّةُ لَا الْعَقْلِيَّةُ الَّتِي هِيَ شَرْطٌ فِي كُلِّ تَكْلِيفٍ وَ الْاسْتَطَاعَةُ الْعَرْفِيَّةُ وَجُودُ الزَّادِ وَ الرَّاحِلَةُ وَ نَفَقَةُ مَنْ يَلْزِمُهُ نَفَقَتُهُ وَ الصَّحَّةُ وَ تَخْلِيَةُ السَّرْبِ مِنَ الْمَوَانِعِ وَ إِمْكَانُ السَّيْرِ. وَ مَنْ كَفَرَ جَحَدَ هَذَا الْفَرَضَ لِأَنَّهُ مِنْ ضَرُورِيَّاتِ الدِّينِ. فَإِنَّ اللَّهَ غَنَى عَنِ الْعَالَمِينَ لِأَنَّهُ لَا تَزِيدُ فِي مَلِكِهِ طَاعَةُ الْمُطِيعِينَ، وَ لَا تَنْقُصُ مِنْهُ مَعْصِيَةُ الْعَاصِينَ. ٩٨- قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ ... قُلْ يَا مُحَمَّد لِلْيَهُودِ وَ النَّصَارَى لَمْ تَكْفُرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أَيْ تَجْحَدُونَهَا وَ لَعَلَّ الْمَرَادَ بِالْآيَاتِ هُوَ مَا دَلَّ عَلَى صَدَقِ مُحَمَّدٍ (ص) وَ صَدَقَ كِتَابُهُ وَ مَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ. وَ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ؟ أَيْ حَاضِرٌ نَازِرٌ، يَرَى مَا تَعْمَلُونَ، وَ سَيَجَازِيكُمْ عَلَيْهِ. ٩٩- قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصِفُونَ عَنِّي سَبِيلَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ أَيْ: لِمَاذَا تَمْنَعُونَ الْمُؤْمِنِينَ عَنِ الْإِسْلَامِ الَّذِي هُوَ الطَّرِيقُ الْمَوْصِلُ إِلَى رِضْوَانِ اللَّهِ وَ مَغْفِرَتِهِ تَبْعُونَهَا عَوَجًا أَيْ تَطْلُبُونَ بِأَعْمَالِكُمُ التَّلْبِيسِيَّةَ اعْوِجَاجَ النَّاسِ وَ انْحِرَافَهُمْ عَنِ دِينِ الْإِسْلَامِ. وَ أَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَ أَنْتُمْ مِمَّنْ يَسْتَشْهَدُ بِكُمْ قَوْمُكُمْ فِي أُمُورِهِمُ الدِّينِيَّةَ فَكَيْفَ تَسْتَعْلُونَ نَفْتَهُمْ بِكُمْ لَتَحْرِفُوهُمْ عَنِ الْحَقِّ الَّذِي هُوَ الْإِسْلَامُ. وَ مَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ هَذَا تَهْدِيدٌ لَهُمْ أَيْ لَيْسَ اللَّهُ غَافِلًا عَنْ عَمَلِكُمْ. ١٠٠- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ... هَذَا خُطَابٌ تَحْذِيرِيٌّ لِلْمُؤْمِنِينَ إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ إِنْ اتَّبَعْتُمْ قَوْلَ هَؤُلَاءِ الْجَمَاعَةِ مِنَ الْيَهُودِ فِي إِثَارَةِ الضَّغَائِنِ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْإِسْلَامُ وَ قِيلَ: الْخُطَابُ لِلأَوْسِ وَ الْخَزْرَجِ بَعْدَ أَنْ حَاوَلَ بَعْضُ الْيَهُودِ إِيقَادَ نَارِ الْفِتْنَةِ بَيْنَهُمْ. يَزِدُّوكُمْ بَعْدَ إِيْمَانِكُمْ كَافِرِينَ يَرْجِعُونَكُمْ إِلَى الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَسْلَمْتُمْ. إِرْشَادُ الْأَذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ١٠١ ٦٨- وَ كَيْفَ تَكْفُرُونَ وَ أَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَ فِيكُمْ رَسُولُهُ ... هَذِهِ الْآيَةُ فِي مَقَامِ التَّعْجَبِ أَيْ لَا- يَنْبَغِي لَكُمْ أَنْ تَكْفُرُوا مَعَ مَا يَقْرَأُ عَلَيْكُمْ فِي الْقُرْآنِ مِنَ الْآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى وَحْدَانِيَّةِ اللَّهِ وَ نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ (ص) الَّذِي هُوَ رَسُولٌ مَبْعُوثٌ مِنْ قَبْلِهِ مَوْجُودٌ بَيْنَ ظَهْرَانِيكُمْ وَ مَنْ يَعْصِمُ بِاللَّهِ أَيْ مَنْ يَلْجَأُ إِلَيْهِ وَ يَلُودُ بِهِ مَتَمَسِّكًا بِكِتَابِهِ وَ بِدِينِهِ فَقَدْ هُدِيَ يَعْنِي: دَلَّ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ طَرِيقَ لَا عَوْجَ فِيهِ. ١٠٢- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ... أَيْ التَّقْوَى الْحَقِيقِيَّةُ وَ اسْتِفْرَاحُ الْجَهْدِ فِي الْقِيَامِ بِأَدَاءِ الْوَاجِبِ وَ اجْتِنَابِ الْحَرَامِ. وَلَا- تَمُوتُوا إِلَّا وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ تَأْكِيدٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَبَالِغُوا فِي التَّمَسُّكِ بِالْإِسْلَامِ بِحَيْثُ يَكُونُونَ عَلَيْهِ وَ لَا يَتْرَكُونَهُ حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُمْ الْمَوْتُ وَ جَدَّهُمْ عَلَيْهِ. ١٠٣- وَ اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ ... أَيْ تَمَسَّكُوا بِالْقُرْآنِ بِالْعَمَلِ بِمُقْتَضَاهُ. وَ قِيلَ: الْمَرَادُ بِحَبْلِ اللَّهِ: الْإِسْلَامُ وَ التَّمَسُّكُ بِهِ الْعَمَلُ بِأَحْكَامِهِ جَمِيعًا أَيْ مُجْتَمِعِينَ عَلَيْهِ وَ لَا- تَفَرَّقُوا أَيْ لَا تَتَفَرَّقُوا عَنِ دِينِ اللَّهِ أَوْ الْقُرْآنِ أَوْ الرُّسُولِ عَلَى قَوْلٍ. وَ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ أَيْ نِعْمَةَ الْإِيْمَانِ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَالْفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ أَيْ فِي عَصْرِ جَاهِلِيَّتِكُمْ حَيْثُ كَانَ الْغَزْوُ وَ الْقَتْلُ وَ السَّلْبُ وَ النِّزَاعُ الدَّائِمُ فَجَمَعَ قُلُوبَكُمْ عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْكُمْ مِنَ الْإِسْلَامِ وَ عَلَى نَبِيِّ الرَّحْمَةِ وَ الْمَحَبَّةِ مُحَمَّدٍ (ص)

فَأَصْدَحُّكُمْ فِي جَاهِلِيَّتِكُمُ الَّتِي كَادَتْ تَوْدِي بِكُمْ إِلَى النَّارِ لَوْلَا تَخْلِيصُ اللَّهِ لَكُمْ مِنْهَا بَأْنٍ مِنْ عَلَيْكُمْ بِدِينِهِ وَنَبِيِّهِ وَكِتَابِهِ. كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ أَيْ مِثْلَ هَذَا الْبَيَانِ الَّذِي تَلَاهُ عَلَيْكُمْ. فَهُوَ يَظْهَرُ لَكُمْ الدَّلَائِلُ وَالْحُجُجُ السَّاطِعَةُ حَتَّى تَهْتَدُوا إِلَى طَرِيقِ الْحَقِّ وَالثَّوَابِ. ١٠٤ - وَلِتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ ... أَيْ: كُونُوا أُمَّةً وَجَمَاعَةً عَلَى الْقَوْلِ بِأَنْ مِنْ بَيَانِيهِ وَأَمَّا عَلَى الْقَوْلِ بِكُونِهَا تَبْعِيضِيَّةً فَالْمَعْنَى وَلِتَكُنْ مِنْكُمْ جَمَاعَةٌ وَهِيَ بَعْضُ الْأُمَّةِ فَالْوَجُوبُ كِفَائِي. يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ أَيْ يَرْغَبُونَ النَّاسَ بِالْخَيْرِ وَهُوَ كُلُّ فِعْلٍ أَوْ تَرْكٍ حَسَنٍ عَقْلًا وَشَرْعًا. وَقِيلَ: هُوَ الدِّينُ. وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ الْمَعْرُوفُ هُوَ الطَّاعَةُ وَالْمُنْكَرُ هُوَ الْمَعْصِيَةُ. وَالْأَمْرُ وَالنَّهْيُ مِنْ فُرُوعِ الدِّينِ الْأَسَاسِيَّةِ. تَجِبُ عَلَى الْكُلِّ. فَعَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ النَّاسِ إِرْشَادُ أَقَارِبِهِ وَجِيرَانِهِ بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ وَأَوْلَيْكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ أَيْ الْآمُرُونَ وَالنَّاهُونَ الدَّاعُونَ إِلَى الْخَيْرِ هُمُ الْفَائِزُونَ بِرِضْوَانِهِ سُبْحَانَهُ. ١٠٥ - وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا ... تَفَرَّقُوا فِي الدِّينِ وَتَنَازَعُوا فِيهِ وَهُمْ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى. مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ أَيْ الْحُجُجُ الْوَاضِحَاتُ الَّتِي لَا يَنْبَغِي أَنْ يَخْتَلِفَ بَعْدَهَا. وَأَوْلَيْكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ لِهَؤُلَاءِ عَقُوبَةُ مُوجِعَةٍ شَدِيدَةٍ عَلَى تَفَرُّقِهِمْ وَتَنَازُعِهِمْ. ١٠٦ - يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ... إِنْخَابَرُ مِنْهُ سُبْحَانَهُ عَنْ زَمَانٍ ذَلِكَ الْعَذَابُ لِمَنْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُمْ وَصَفَتُهُ وَالْبَيَاضُ كُنْيَاةٌ عَنِ النُّورِ وَظُهُورُ السُّرُورِ فِي وَجْهِ الْمُؤْمِنِينَ كَمَا أَنَّ السَّوَادَ كُنْيَاةٌ عَنِ الْخَوْفِ مِنْ سُوءِ الْمَصِيرِ فِي وَجْهِ الْكَافِرِينَ وَلِذَا عَقِبَ سُبْحَانَهُ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ، أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيْمَانِكُمْ وَجَوَابُ أَمَّا، مُقَدَّرٌ. أَيْ فَيَقَالُ لِلَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ: أَكْفَرْتُمْ؟ وَقِيلَ بِأَنَّهُمْ جَمِيعُ الْكَافِرِينَ، أَوْ الْمُرْتَدُونَ بَعْدَ الْإِيْمَانِ، أَوْ الْمُنَافِقُونَ، أَوْ أَهْلُ الْبَدْعِ وَالْأَهْوَاءِ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ. فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ أَيْ ذُوقُوا الْعَذَابَ بِسَبَبِ كُفْرِكُمْ. ١٠٧ - وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ ... أَيْ الْمُؤْمِنُونَ الصَّادِقُونَ فَفِي رَحْمَتِ اللَّهِ أَيْ فِي لَطْفِهِ وَغَفْرَانِهِ، وَقِيلَ الْجَنَّةُ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ مَنَعُونَ نَعِيمًا مُقِيمًا إِلَى أَبَدِ الْأَبَدِ. ١٠٨ - تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ ... أَيْ الَّتِي قَدْ جَرَى ذِكْرُهَا هِيَ حُجُجُ اللَّهِ وَبَيِّنَاتُهُ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ نَقَرُهَا وَنَقَصَهَا عَلَيْكَ مُتَلَبِّسَةً بِالْحُكْمَةِ وَالصَّوَابِ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ إِنْ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مَا خَطَرٌ وَلَا يَخْطُرُ بِسَاحَتِهِ الْمُقَدَّسَةِ ظُلْمٌ لِأَنَّهُ مُنَزَّهٌ عَنْ ذَلِكَ. وَقَدْ بَيَّنَّ غِنَاهُ عَنْ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْآيَةِ التَّالِيَةِ: إِرْشَادُ الْأَذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ٦٩ ١٠٩ - وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَيْ أَنَّهُ مَالِكٌ حَقِيقَةٌ لِمَا فِي الْكُونِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ يَعْنِي أَنَّهُ سُبْحَانَهُ قَدْ مَلَكَ عِبَادَهُ فِي الدُّنْيَا أُمُورًا وَأَبَاحَ لَهُمُ التَّصَرُّفَ فِيهَا، وَلَكِنْ ذَلِكَ كُلُّهُ يَزُولُ فِي الْآخِرَةِ وَيَرْجَعُ إِلَيْهِ الْأَمْرُ كُلُّهُ. ١١٠ - كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ... أَيْ صَرِّمْتَ خَيْرَ أُمَّةٍ خَلَقْتَ لِأَمْرِكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيِكُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَإِيْمَانِكُمْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ. وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ إِيْمَانًا صَادِقًا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَيْثُ يَنْجُونَ مِنَ الْقَتْلِ وَالْمَذَلَّةِ وَمِنْ عَذَابِ اللَّهِ فِي الْآخِرَةِ. مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ بَعْضُهُمُ الْمَصْدَقُونَ بِمَا وَرَدَ فِي كِتَابِهِمْ مِنْ صِفَةِ مُحَمَّدٍ (ص) وَنُبُوَّتِهِ. بِمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ كِتَابَتُهُمْ مِنْ أَوْصَافِ نَبِينَا وَالبَشَارَةِ بِهِ، كَعَبْدِ اللَّهِ ابْنِ سَلَامٍ وَأَصْحَابِهِ مِنَ الْيَهُودِ، وَالنَّجَاشِيِّ وَتَابِعِيهِ مِنَ النَّصَارَى وَكَثَرَتْهُمْ الْفَاسِقُونَ وَهُمْ الْخَارِجُونَ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ. ١١١ - لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى ... أَيْ أَنَّهُ لَا يَصِلُ إِلَيْكُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ضَرَرٌ فِي أَمْوَالِكُمْ وَلَا أَنْفُسِكُمْ اللَّهُمَّ إِلَّا مَا يَسْبِيحُونَهُ مِنْ أَذًى بِالسُّبْحِ لَكُمْ. وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُؤْلَوْكُمْ الْأَذْبَارُ أَيْ حِينَ يَجَاوِزُونَ الْأَذَى بِاللِّسَانِ إِلَى الْقِتَالِ وَالْمَحَارِبَةِ، فَإِنَّهُمْ يَنْهَزُمُونَ أَمَامَكُمْ ثُمَّ لَا يُنْصِرُونَ أَيْ لَا يَعَانُونَ عَلَيْكُمْ، وَلَا يَمْنَعُونَ مِنْكُمْ. ١١٢ - ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ ... فَهِيَ مُحِيطَةٌ بِهِمْ، وَمُطَبَقَةٌ عَلَيْهِمْ إِحَاطَةُ الْبَيْتِ الْمَضْرُوبِ عَلَى أَهْلِهِ. أَتَيْنَ مَا تُقْفُوا يَعْنِي أَيْنَ وَجَدُوا إِلَّا بِحَبْلِ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ أَيْ أَنَّهُمْ لَا مَنَعَةَ لَهُمْ إِلَّا أَنْ يَعْتَصِمُوا بِذِمَّةِ اللَّهِ أَوْ ذِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَبِأُوبَعَضٍ مِنَ اللَّهِ أَيْ رَجَعُوا بِعَذَابِ اللَّهِ وَلَعْنِهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ أَيْ الذَّلَّةُ لِأَنَّ الْمَسْكِينَ يَكُونُ ذَلِيلًا. وَقِيلَ الذَّلَّةُ الْفَقْرُ وَالضَّعْفُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ أَيْ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ بِهَا وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ كَمَا هِيَ سِيرَتُهُمُ الْغَادِرَةُ ذَلِكَ أَيْ الْكُفْرَ وَقَتْلَ الْأَنْبِيَاءِ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ أَيْ بِسَبَبِ عَصْيَانِهِمْ وَاعْتِدَائِهِمْ عَنْ حُدُودِ الشَّرْعِ وَمَا سَنَّهُ اللَّهُ لِعِبَادِهِ. ١١٣ - لَيْسُوا سَوَاءً ... أَيْ لَيْسُوا جَمِيعُهُمْ عَلَى شَاكِلَةٍ وَاحِدَةٍ فِي الضَّلَالَةِ وَالْجَهَالَةِ، بَلْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ أَيْ أَنَّ مِنْهُمْ جَمَاعَةً مُسْتَقِيمَةً عَادِلَةً. أَوْ قَائِمَةٌ لِلْعِبَادَةِ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ يَقْرَأُونَ آيَاتِ الْقُرْآنِ فِي سَاعَاتِ اللَّيْلِ وَأَوْقَاتِهِ وَيَسْجُدُونَهُ تَعْظِيمًا لِلَّهِ وَقِيلَ يَصَلُّونَ. ١١٤ - يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ

الْيَوْمِ الْآخِرِ أَى يَصْدُقُونَ بِاللَّهِ وَ يَوْمَ الْجَزَاءِ وَ يَأْتُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ قِيلَ: المعروف هو الإقرار بنبوة محمد (ص) و المنكر نقيضه و هم يبادرون إلى فعل الطاعات و أولئك أى الموصوفون بالصفات الطيبة من الصالحين أى فى عداد الصالحين و هو رد لقول اليهود لعنهم الله: ما آمن بمحمد إلا شرارنا. ١١٥- وَ مَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ ... أى ما يعملوا من طاعة فلن يُكْفَرُوا أى فلن يجحد و لن يستر بمنع الثواب أو إنقاصه. وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ أى هو عالم جدا بأحوالهم فيجازيهم أحسن الجزاء إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ١١٦٧٠- إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَ لَا- أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً ... أى لن تنفع الكافرين و لن تدفع عنهم عذاب الله وَ أولئك أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ أى هم ملازموها بشكل دائم. ١١٧- ثَلْ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ... أى أن شبه ما يصرفونه من أموالهم رياء أو سمعة أو محادة لله و رسوله من جهة خسranهم لها مع ما يعقبه من حسرة عليها فى الدنيا و هلاكهم الجهنمى فى الآخرة مَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أى شبه ريح باردة بردا شديدا صابت حَرَتْ قَوْمٌ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ضربت زرعهم لأنهم ظلموا أنفسهم بالمعاصى شبه الله تعالى ضياع ما ينفق الكفار، بضياع حرث الظالمين و جعله حطاما. أَهْلَكَتْهُ أَتْلَفَتْهُ وَ أَبَادَتْهُ مَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ بَضِياعَ نَفَقَاتِهِمْ وَ إِتْلَافَ زَرْعِهِمْ لَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ بارتكابهم ما استحقوا به الإحباط و الإهلاك. ١١٨- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ ... يا من صدقوا بالله و رسوله لا تختاروا لأسراركم أحدا من غير أهل ملتكم و لا تفشوها عندهم. و البطانة هو الذى يعرفه الرجل أسرار و يثق به. لا- يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا الْخَبَالُ: فساد الرأى أى لا يبطئون فى إفساد آرائكم و أفكاركم بدسائسهم الشيطانية. وَ دُوا مَا عَيْتُمْ أى تمنوا أن يصيبكم المشقة و العنت فى دينكم قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ أى ظهرت العداوة فى مقالاتهم و كلماتهم، لأنهم. وَ مَا تُخْفَى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ يعنى أن أكبر من بغضائهم التى تظهر، هو ما يخفونه من عداوتهم التى يسرونها فى قلوبهم. قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ أى أوضحنا لكم العلامات الدالة على ما يميز به الولي من العدو إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ أى تدركون ما أوضحناه بالبيان الشافى. ١١٩- هَا أَنْتُمْ أَوْلَاءُ تُحِبُّونَهُمْ وَ لَا يُحِبُّونَكُمْ ... الهاء: للتنبيه. أى ها أنتم الذين تحبون هؤلاء الكفار و هم يبغضونكم وَ تَوْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ تصدقون به، أى بجنسه. و الواو للحالية، أى لا يحبونكم و الحال أنكم تؤمنون بكتبهم جميعا. فما بالكم تحبونهم و هم لا- يؤمنون بكتابكم؟ ... وَ إِذَا لَقَوْكُمْ قَالُوا آمَنَّا نِفَاقًا وَ مَخَادَعَةً وَ إِذَا خَلَوْا أى إذا انفردوا بأنفسهم عَصُوا عَلَيْكُمْ الْأَنَامِلَ أى رؤوس الأصابع مِنَ الْغَيْظِ وَ هو شدة الغضب و الحقد، حيث يرون ائتلافكم و اتحاد كلمتكم. قُلْ: مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ أى: يا محمد، قل للكافرين: موتوا بحسرتكم و غضبكم إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ عارف شديد العلم و المعرفة بما يخفونه فى صدورهم من النفاق و شدة العداوة للمسلمين ... ١٢٠- إِنْ تَمَسَسَكُمْ حَسَنَةٌ ... أى إذا أصابتكم نعمة من الله تَسَوُّهُمْ تحزنهم وَ إِنْ تُصِيبَكُمْ سَيِّئَةٌ أى إذا وقعت فى محنة أو غلبه عدو عليكم، يَفْرَحُوا بها يسرون بها. وَ إِنْ تُصِيبُوا عَلَى عداوتهم و أذاهم وَ تَتَّقُوا تتجنبوا موالاتهم و تحذروا معصية الله لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً أى مكر الكافرين و المنافقين إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ أى أنه تعالى عالم بأعمالهم من جميع الجهات ظاهرها و باطنها. ١٢١- وَ إِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ ... يعنى اذكر يا محمد حينما رحلت عن المدينة غدوة و المراد خروجه إلى معركة أحد. تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ أى تهيئ المؤمنين فى مراكزهم القتالية. وَ اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ مر تفسيره. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ١٢٢٧١- إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ ... أى اذكر أيضا حين عزمت جماعتان من المسلمين أَنْ تُفْشَلَا أى تجنبا عن القتال و تنكصا عنه و هما بنو سلمة و بنو حارثة. وَ اللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَ عَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ أى و الله ناصرهم و عليه فليتوكل المؤمنون فى جميع أمورهم. و هذه الآية تدل على أن الطائفتين المشار إليهما لم تنفذا ما همتا به بلطف الله سبحانه. ١٢٣- وَ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَ أَنْتُمْ أَذِلَّةٌ ... فإنه سبحانه يذكر المسلمين الحرب فى موقعه بدر، و نصره لهم فيها بإمدادهم بالملائكة و إلقاء الرعب فى قلوب أعدائهم فى حين كانوا ضعفاء لقله عددهم و عددهم بالنسبة إلى المشركين. فَاتَّقُوا اللَّهَ تَجْنِبُوا سَخَطَهُ بتجنب معاصيه لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ لتؤدوا لله الشكر على نعمته. ١٢٤- إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ ... يا محمد: اذكر حين كنت تقول للمؤمنين فى بدر أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَلَا يَعد كافيا لكم أَنْ يَمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ أى يعطيكم مددا بثلاثه آلافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُزِيلِينَ أنزلهم الله من السماء إلى الأرض لمساعدتكم و مؤازرتكم. ١٢٥- بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَ تَتَّقُوا ... أى: بلى يكفيكم و قيل بلى يفعل الله كما وعدكم. و على كلا التقديرين

فإن إمدادكم بالملائكة مشروط بصبركم على الجهاد و بأن تتقوا الله بتجنبكم معاصيه و ثباتكم على طاعته و يَأْتُوَكُمْ مِنْ قَوَرِهِمُ الْفُورُ: هو العلو. أى يهجم عليكم أعداؤكم من ناحية علوهم عليكم بقوة العدد و العدة. و فى هذا الوقت يُمَدِّدُكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ سواء كانت نفس الملائكة التى نزلت بيدى مع إضافة ألفين جديدين أو غيرهم. مُسَوِّمِينَ أى معلمين بعلامة يعرفون بها. ١٢٦- و مَا جَعَلَهُ اللَّهُ أَى مَا وَعَدَكُمْ و قدر نصركم هذا بالملائكة إِلَّا بُشِّرَى لَكُمْ سَوى بشاره لكم بأنكم الغالبون و لَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ أى لتراح قلوبكم و تسكن إلى هذا الإمداد بعد خوفها و مَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ و لعله سبحانه أراد أن يفهمهم بأنه هو تعالى الناصر الحقيقى و لا يكون النصر إلا من عنده حتى مع إمداده لهم بالملائكة. الْغَزِيْرُ الَّذِى لَا يَغْلِبُ الْحَكِيمُ فى تدبيره. ١٢٧- لَيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ... الْقَطْعُ هُوَ الْجَزْ و الإبانة و المعنى أنه سبحانه ينصر رسله على الطوائف التى تناوئهم طائفة طائفة توطئه لقطع دابر الذين كفروا و لم يؤمنوا بالله. و يهلكهم أو يَكْبِتُهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ يكتبهم أى يخزيهم بالهزيمة و قيل: الكبت هو إبقاء الغيظ و الحقد فى الصدر فينقلبوا، أى: يرجعوا بالانقطاع عما أملوا، بالخيبة و الخسران فى الدنيا و الآخرة. ١٢٨- لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ ... ليس لك يا رسول الله أن تتصرف فى أمر هؤلاء فإن الله هو مالك أمرهم، فإما أن يهلكهم و يخزيهم، و إما أن يتوب عليهم إن تابوا و أقبلوا عما هم فيه، أو يعذبهم إن أصروا ... فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ أى مستحقون للعقاب بسبب ظلمهم. و عبارة: فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ هى فى ظاهرها تعليل لحالهم و لكون مآلهم إليه سبحانه فهو يتوب عليهم أو يعذبهم بحسب الشروط التى يستحق بها العبد قبول التوبة أو العذاب. ١٢٩- وَلِلَّهِ مَا فِى السَّمَاوَاتِ و مَا فِى الْأَرْضِ ... أى هو مالك أمورها جميعا، و بيده زمام الموجودات التى فيها طرا. يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ لِمَن يَذْنِبُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ تفضلا و يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ مِمَّنْ لَمْ يُؤْمِنْ و لم يتب من الشرك أو الذنوب عدلا و اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ كثير المغفرة واسع الرحمة. ١٣٠- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ... خطاب و إن كان موجها إلى جماعة المؤمنين إلا أنه شامل فيما تضمنه من حكم إلى الناس جميعا لا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً أى الزيادة على أصل المال، و ذلك يضاعف بالتأخير إلى أجل بعد أجل و قد ذكر الأكل فى النهى عن الربا لكون معظم الانتفاع يعود إليه لما فيه من إشباع الحواس و اتَّقُوا اللَّهَ أى عقاب الله باتقاء معاصيه. و خاصة تلك التى تودى إلى فساد النظام الإنسانى لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ و عسى أن تكونوا من الفائزين برضى الله. ١٣١- وَ اتَّقُوا النَّارَ الَّتِى أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ... تجنبوا المعاصى التى توجب دخولكم النار التى هيئت للكافرين. ١٣٢- وَ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ... و أطيعوا الله فيما أمر و الرسول فيما شرع فإنكم إن فعلتم ذلك تصيرون موردا لرحمته الواسعة سبحانه. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ١٣٣ ٧٢- وَ سَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ ... أى بادروا- بوجه السرعة- إلى ما يوجب مغفرة الله لكم من صالح الأعمال وَ جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَ الْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ أى مقدار عرضها كمقدار عرضها معا هيئت للمطيعين لله و رسوله و قد ذكر العرض مبالغة فى السعة. ١٣٤- الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِى السَّرَّاءِ وَ الضَّرَّاءِ ... الجملة نعت للمتقين، فهم الذين يصرفون أموالهم لوجه الله فى حالتى اليسر و العسر. وَ الْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ أى الحابسين غيظهم فى صدورهم بصبرهم و ملكة إيمانهم فلا ينتقمون ممن يحاول إلحاق الضرر بهم مع قدرتهم عليه. وَ الْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ أى المتسامحين عن زلات غيرهم مما يجوز الصفح لهم عنه. وَ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ أى الذين يتصفون بهذه الصفات التى هى من الإحسان يثيبهم الله عليه. ١٣٥- وَ الَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً ... الفاحشة هى ما اشتد قبحه من المعاصى و الذنوب التى إذا ارتكبوها أو ظلموا أَنْفُسَهُمْ أى حملوها ما لم تحمل مما هو دون الفاحشة. ذَكَّرُوا اللَّهَ تذكروا عقاب الله بعد النسيان فارتدعوا فَاسْتَعَفُّوا لِدُنُوبِهِمْ أى طلبوا من ربهم غفران معصيتهم وَ مَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ أى لا يتجاوز عن السيئات و يمحوها إلا هو عز و جل. وَ لَمْ يَصْرُوهَا عَلَى مَا فَعَلُوا أى لم يقيموا عليه و يداوموا وَ هُمْ يَعْلَمُونَ بأنهم عاصون مقصرون. ١٣٦- أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَ جَنَّاتٌ ... أولئك إشارة للمتقين بالصفات المذكورة كلها جزاؤهم على أعمالهم تلك و توبتهم ستر على ذنوبهم من الله و إدخالهم الجنان. تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فيها مر تفسيره وَ نَعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ أى و نعم أجر العاملين ذلك الأجر ... ١٣٧- قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سَيِّئَاتٌ ... أى قد مضت قبل زمانكم وقائع سننها الله فى الأمم السابقة المكذبة فَيَسِيرُوا فِى الْأَرْضِ فَمَا نَظَرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ أى فتقبلوا فى أنحاء الأرض، و اطلعوا على حال من مضى من المكذبين و ما نزل بهم من ألوان

العذاب وكيف كانت نهاية أمرهم لتتعظوا. ١٣٨- هذا بيان للناس ... أى هذا القرآن هو دلالة للناس، و عبرة لهم و هدى و مؤظة للمُتَّقِينَ و بيان لطريق الرشd الذى ينبغى أن يسلك و نصح و إصلاح للسيرة و السلوك لأولئك الذين يجتنبون عقاب الله بالانزجار عن معاصيه. ١٣٩- وَلَا تَهْنُوا وَلَا تَحْزَنُوا ... لا تظهروا أيها المسلمون ضعفاء فى نظر الأعداء و لا تظهروا حزنكم أمامهم لما أصابكم من قتل يوم أحد و أَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ أَنْتُمْ الْمُتَفَوِّقُونَ و الفائزون عليهم فى كل حال إِنْ كُنْتُمْ مُصَدِّقِينَ بِاللَّهِ و رسوله إِنْ مِنْ كَانَتْ هَذِهِ صَفَتُهُ فَلَا يَضَعُفُ وَلَا يَحْزَنُ بَلْ تَكُونُ ثِقَتُهُ بِاللَّهِ قَوِيَّةً. ١٤٠- إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ ... يمسكم أى يلامسكم. و المعنى: إِنْ يَلَامِسْكُمْ أَوْ تَصْبِحْكُمْ جِرَاحٌ يَوْمَ أَحَدٍ فَقَدْ لَامَسَ الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ و أصابهم جراح أيضا فَأَنْتُمْ مُتَسَاوُونَ فِي الْمَصِيبَةِ. وَ تِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ أى نصرفها بينهم و نجعلها أدوارا مرة لجماعة و مرة عليها، لحكم و مصالح يعلمها الله. وَ لِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا أى يعرفهم حال كونهم متميزين بالإيمان. وَ يَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ عَظَفَ عَلَى مَا قَبْلَهُ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: و ليعلم، و المعنى: ليكرم بالشهادة من قتل يوم أحد منكم أو مطلق من يستشهد فى سبيل الحق و الله لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ جملة اعتراض فيها تنبيه للمؤمنين بأنه تعالى مع أنه لا- يحب الظالمين فإنه قد يمكنهم أحيانا استدراجا لهم من جهة، أو ابتلاء للمؤمنين لمصالح أخرى لا نعلمها. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٧٣ ١٤١- وَ لِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا ... أى ليخلصهم من الذنوب أو المراد أنه تعالى يختبرهم بالبلاء ليعلم مدى صبرهم و صدقهم. وَ يَمَحِّقَ الْكَافِرِينَ أى ينقصهم شيئا فشيئا حتى يفنيهم. ١٤٢- أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ ... الاستفهام إنكارى، أى أظنتم أن تدخلوا الجنة ... وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَ يَعْلَمِ الصَّابِرِينَ أى و لم تجاهدوا و لم تصبروا فإذا جاهد المجاهدون منكم و صبروا على هذا الجهاد فحينئذ يشاهد الله ما هم عليه من جهاد و صبر فيدخلكم الجنة. ١٤٣- وَ لَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَ أَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ...: خطاب لأصحاب النبى (ص) حيث كان قد فات بعضهم شهود بدر فكانوا يتمنون الشهادة بعد معركة بدر و قبل معركة أحد فلما رأوه فى معركة أحد ولّى كثير منهم فعاتبهم الله على موقفهم هذا فى هذه الآية. ١٤٤- وَ مَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ... ليس محمدا إلا بشرا اختاره الله لرسالته إلى الخلق و قد مضت من قبله رسل بعثهم الله إلى الخلق أيضا فأدوا الأمانة ثم مضوا بموت أو بقتل. أ فَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ أى رجعتم عن دينكم إلى دين الجاهلية و قلتم ليس هذا بنبي؟ و قد قالها بعض المنافقين فى أحد عند ما صرخ الشيطان قتل محمد. فجاءت هذه الآية توبيخا لهم ... وَ مَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ يَرْجِعْ فَلَئِنْ يَضُرَّ اللَّهُ شَيْئًا فَلَا يُلْحِقْ ضَرَرًا بِاللَّهِ لِأَنَّهُ الْغَنَى الْمَطْلُوقُ لَا تَنْفَعُهُ طَاعَةُ الْمُطِيعِينَ وَ لَا تَضُرُّهُ مَعْصِيَةُ الْعَاصِينَ. وَ سَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ أى سيثيب المؤمنين به الذين يشكرونه على نعمه الإيمان و التصديق. ١٤٥- وَ مَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ... أى ما كان نفس لتموت إلا بمشيئة الله و تقديره كتاباً مُؤَجَّلًا أى مسجلا مقدرا بأجل و وقت معين لا يقدم بإرادة حى و لا يؤخر برغبته. وَ مَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا أى: من يطلب بعمله ثواب الدنيا، نعطه منها ما أراد وَ مَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا و من يطلب بعمله ثواب الآخرة نعطه الثواب و لا نمنع عنه ما قدرنا له من الرزق فى الدنيا. وَ سَيَجْزِي الشَّاكِرِينَ و سنثيب من يشكرنا على نعمنا. ١٤٦- وَ كَأَيُّنَ مِنْ نَبِيٍّ ... أى: و كم ترى من رسول قاتلَ مَعَهُ رِيبُونَ كَثِيرٌ أى حارب معه فى سبيل تأثيل دعوته ريبون: و الريبون هم العارفون بالله تعالى و العالمون به و الربانيون فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أى ما فتروا عن الجهاد بسبب قتل نبيهم فى ساحة المعركة. وَ مَا ضَعُفُوا أى و لا نقصت قوتهم عن الجهاد و قد حصلت هذه الأمور كلها عند بعض من كان مع النبى (ص) يوم أحد. وَ مَا اسْتَكَاثُوا أى و ما خضعوا لعدوهم. وَ اللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ فى الجهاد فيشيهم على صبرهم. ١٤٧- وَ مَا كَانَ قَوْلُهُمْ ... أى الربانيين حين اللقاء مع أعداء الدين. إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَ إِسْرَافَنَا فى أَمْرِنَا أى ما كان قولهم إلا استغفارهم لذنوبهم و تجاوزهم عن الحد فيما لا يرضيه سبحانه وَ تَبَّتْ أَقْدَامُنَا وَ أَنْصَرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ طالبين الثبوت على الدين، و الظفر فى الحرب على أعداء الله و ذلك بتقوية القلوب و فعل الألفاظ الإلهية التى توجب ترسيخ المواقف. ١٤٨- فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا ... أى أعطاهم جزاء بما عملوا من الصالح ثواب الدنيا الذى هو هنا النصر على الأعداء و الغنائم و حُسن ثَوَابِ الْآخِرَةِ أى أجرها الحسن. وَ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ مر تفسيره. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٧٤ ١٤٩- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا

يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ أَيَّ إِذَا أَطَعْتُمُوهُمْ فِيمَا يَرْجِفُونَ وَكَانَتْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مَوَدَّةٌ فَسَوْفَ يَرُدُّوكُمْ إِلَىٰ كُفْرِ الْجَاهِلِيَّةِ لِأَنَّ الْإِنْقِلَابَ عَلَى الْأَعْقَابِ هُوَ الرَّجُوعُ عَنْ وَجْهِ الْقَصْدِ. فَتَنَقَّلُوا خَاسِرِينَ أَيَّ: فَتَرْجِعُوا خَاسِرِينَ لِأَنَّكُمْ بِذَلِكَ تَكُونُونَ قَدْ اسْتَبَدَلْتُمُ الْإِيمَانَ بِالْكَفْرِ وَالْجَنَّةَ بِالنَّارِ. ١٥٠- بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ ... أَيَّ لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرَ مَوَالِي وَ أَنْصَارًا لَتَسْلَمُوا فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ أَوْلَى أَنْ تَطِيعُوهُ لِأَنَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ فَلَا تَحْتَاجُونَ مَعَهُ إِلَىٰ مَعِينٍ لِأَنَّهُ خَيْرٌ مَعِينٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ... ١٥١- سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ ... السَّيْنِ لِلْإِسْتِقْبَالِ أَيَّ عَمَّا قَرِيبٍ وَفِي مَعَارِكٍ وَشَيْكَةٍ سَنَقْذِفُ الْخَوْفَ الْعَظِيمَ فِي قُلُوبِ الْكَافِرِينَ بِسَبَبِ شُرَكَائِهِم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا أَيَّ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ وَحْيٌ يَكُونُ لَهُ سُلْطَانُ الْحُجَّةِ وَمَا وَهُمْ النَّارُ أَيَّ مَنْزِلُهُم الَّذِي يَأْوُونَ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ هُوَ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوًى الظَّالِمِينَ وَ الْمَثْوَى هُوَ مَحَلُّ الْإِقَامَةِ، فَبِئْسَ ذَلِكَ الْمَقَامُ لِلظَّالِمِينَ النَّارِ. ١٥٢- وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ ... أَيَّ وَفَىٰ لَكُمْ اللَّهُ بِمَا كَانَ قَدْ وَعَدَكُمْ مِنَ النَّصْرِ عَلَى الْمَشْرِكِينَ وَكَانَ وَعْدُ اللَّهِ بَاقِيًا وَجَارِيًا إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ أَيَّ تَقْتُلُونَهُمْ بِمَشِيئَتِهِ قِتْلًا- ذَرِيعًا عَلَى وَجْهِ الْإِسْتِثْنَاءِ. حَتَّىٰ إِذَا فَتِنْتُمْ أَيَّ ضَعَفْتُمْ وَتَرَاخَيْتُمْ فِي أَمْرِ الْجِهَادِ وَظَهَرَتْ عَلَيْكُمْ عَلَائِمُ الْهَزِيمَةِ وَتَنَارَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَ اخْتَلَفْتُمْ فِي أَمْرِ مِتَابَعَةِ الْجِهَادِ وَ عَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ أَيَّ خَالَفْتُمْ أَمْرَ النَّبِيِّ (ص) عِنْدَ مَا تَرَكْتُمْ مَقَاعِدَ الْقِتَالِ الَّتِي أَمَرَكُمْ بِمِلَازِمَتِهَا مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ اللَّهُ تَعَالَى بِوَادِرِ النَّصْرِ فِي يَوْمٍ أَحَدٍ. مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا كَهَوْلَاءِ الْمَخَالِفِينَ لِأَمْرِ النَّبِيِّ (ص) الَّذِينَ انْدَفَعُوا لِنَيْلِ الْغَنَائِمِ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ كَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَبْرِ مَعَ بَقِيٍّ مِنْ عَسَاكِرِهِ وَ قَاتِلُوا فِي مَرْكَزِهِمْ حَتَّى قَتَلُوا وَوَقَعَ أَجْرُ شَهَادَتِهِمْ عَلَى اللَّهِ. ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ أَيَّ حَوْلَكُمْ عَنِ جِهَادِ الْمَشْرِكِينَ بِأَنْ كَفَّ نَصْرُهُ وَمَعُونَتُهُ عَنْكُمْ لِيُخْتَبِرَ مَدَى اسْتِقَامَتِكُمْ فَفَرَرْتُمْ خَفْتُمُوهُمْ وَفَرَرْتُمْ مِنْ زَحْفِهِمْ. وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ أَيَّ صَفَحَ تَفَضُّلاً عَنْ مَنْ خَالَفَ بَعْدَ أَنْ عَلِمَ مِنْكُمْ النَّدَمَ عَلَى الْمَخَالَفَةِ. وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَيَّ صَاحِبُ مَنَّةٍ وَإِحْسَانٍ عَلَيْهِمْ. ١٥٣- إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ ... أَيَّ وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْكُمْ إِذْ تَذْهَبُونَ فِرَارًا فِي أَحَدٍ مِنْ دُونِ أَنْ يَلْتَفِتَ وَاحِدٌ مِنْكُمْ إِلَى الْآخِرَةِ مِنْ شِدَّةِ الْخَوْفِ وَالْاضْطِرَابِ. وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ أَيَّ أَنَّ النَّبِيَّ (ص) يَنَادِيكُمْ بِنَفْسِهِ مِنْ وَرَائِكُمْ لَتَعْرِفُوا أَنَّهُ حَيٌّ. فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمِّ فَجَازَاكُمْ عَلَىٰ غَمِّكُمْ لِرَسُولِ اللَّهِ بِعَصْيَانِهِ أَنْ غَمَّكُمْ بِالْهَزِيمَةِ وَبَذْهَابِ أَمْوَالِكُمْ غَنَائِمَ لِلْكَافِرِينَ لِكَيْلًا- تَخَزَّنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا- مَا أَصَابَكُمْ أَيَّ أَنَّ كَثْرَةَ الْغُمُومِ وَتَرَاجُعِهَا عَلَيْكُمْ نَتِيجَةُ خَسْرَانِكُمُ الْغَنَائِمِ الَّتِي كُنْتُمْ تَأْمَلُونَ وَهَزِيمَتِكُمْ أَمَامَ الْكَافِرِ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ إِثْمٍ بِمَخَالَفَتِكُمْ أَوْامِرَ نَبِيِّكُمْ كُلِّ ذَلِكَ صَارَ كِفَارَةً لِمَا فَاتَكُمْ وَلِمَا أَصَابَكُمْ. وَبِهَذَا يَتَضَحَّ وَجْهُ ارْتِبَاطِ هَذِهِ بِقَوْلِهِ: عَفَا أَوْ فَاتَابَكُمْ. وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ عَالَمٌ بِمَا تَفْعَلُونَ. وَفِي هَذَا تَرْغِيبٌ لِلْمُؤْمِنِينَ بِالطَّاعَةِ وَالْإِبْتِعَادِ عَنِ الْمَعَاصِي، وَتَرْهيبٌ لِلْمُنَافِقِينَ مِنْ إِيْتَانِهَا. إِرْشَادُ الْأَذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ٧٥ ١٥٤- ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً ... أَمْنَةً: أَيَّ أَمْنًا بَعْدَ الْخَوْفِ وَذَلِكَ بِأَنْ سَلَّطَ عَلَيْكُمْ نِعَاسًا أَيَّ نَوْمًا. وَهَذَا بَدَلُ اشْتِمَالٍ مِنْ: أَمْنَةٍ، فَإِنَّ النَّوْمَ يَشْتَمِلُ عَلَى الْأَمْنِ لِأَنَّ النَّائِمَ لَا يَخَافُ يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ يَعْنِي جَمَاعَةَ الْمُؤْمِنِينَ يَنْزِلُ عَلَيْهِمُ النَّوْمُ دُونَ الْمُنَافِقِينَ فِيهِمْ الَّذِينَ طَارَ النَّوْمُ مِنْ أَعْيُنِهِمْ بِسَبَبِ خَوْفِهِمْ مِنْ عَوْدَةِ الْمَشْرِكِينَ لِقَتْلِهِمْ وَطَائِفَةً قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَيَّ وَجَمَاعَةُ شَغْلَتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ وَحَمَلَتْهُمْ عَلَى هَمٍّ جَدِيدٍ مِنَ الْخَوْفِ. يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ، ظَنُّ الْجَاهِلِيَّةِ أَيَّ يَتَوَهَّمُونَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَنْصُرُ رَسُولَهُ (ص) كَظَنَّهُمُ السَّابِقُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ وَهَذَا تَفْسِيرُ ظَنِّهِمْ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا يَتَسَاءَلُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ: هَلْ لَنَا مِنَ النَّصْرِ نَصِيبٌ بَعْدَ هَذِهِ الْهَزِيمَةِ قُلْ يَا مُحَمَّدُ: إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ فَهُوَ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَيُخْذِلُ مَنْ يَرِيدُ. يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ أَيَّ أَنَّ الْمُنَافِقِينَ يَخْفُونَ الشَّكَّ وَالنِّفَاقَ وَلَا يَظْهَرُونَهُ لَكَ وَيَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَيَّ مِنَ الظُّفْرِ كَمَا وَعَدَنَا النَّبِيُّ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا أَيَّ مَا قَتَلَ أَصْحَابُنَا. قُلْ يَا مُحَمَّدُ لَهُمْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ وَمَنَازِلِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ أَيَّ لَوْ كُنْتُمْ فِي مَنَازِلِكُمْ لَخَرَجَ الَّذِينَ انْتَهَتْ آجَالُهُمْ إِلَى أَمْكِنِهِ مَصَارِعُهُمْ. وَلِيُبَيِّنَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَيَمْتَحِنَ نَوَايَاكُمْ وَيَكْشِفَ عَمَّا فِي قُلُوبِكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ. وَلِيَمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ أَيَّ يَخْلُصَ مَا فِيهَا. وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ مَعْنَاهُ أَنَّهُ سَبَّحَانَهُ لَا- يَفْعَلُ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ مَا فِي صُدُورِكُمْ فَإِنَّهُ عَلِيمٌ بِهِ، وَلَكِنَّهُ ابْتَلَاكُمْ لِيَكْشِفَ أَسْرَارَكُمْ الَّتِي يَعْلَمُهَا فَيَقْعُ جَزَاؤُهُ لَكُمْ عَلَى مَا ظَهَرَ مِنْكُمْ. ١٥٥- إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ ... أَيَّ الَّذِينَ انْصَرَفُوا وَوَلَّوْا الدَّبَرَ عَنْ قِتَالِ الْمَشْرِكِينَ يَوْمَ التَّفَقُّي الْجَمْعَانِ جَمْعُ الْمُؤْمِنِينَ وَجَمْعُ الْمَشْرِكِينَ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ أَيَّ

أزَلَّهِمْ فَوْقُوا فِي الْمَعْصِيَةِ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا مِنْ مَعَاصِيهِمْ السَّابِقَةِ فَلَحَقَهُمْ تَبِعَتُهَا. وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ غُفْرَ ذَلِكَ لَهُمْ. إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ
 قَدْ مَرَّ مَعْنَاهَا. ١٥٦- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا ... نَهَى لِلْمُؤْمِنِينَ عَنِ الْاِقْتِدَاءِ بِالْكَافِرِينَ وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ مِنْ أَهْلِ
 النِّفَاقِ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْمَآرِضِ أَوْ سَافَرُوا لِلتِّجَارَةِ وَطَلَبِ الْمَعَاشِ فَمَاتُوا. أَوْ كَانُوا غَزَى أَى: أَوْ إِذَا كَانُوا غَزَاةً مُقَاتِلِينَ فَقَتَلُوا لَوْ كَانُوا
 عِنْدَنَا مُقِيمِينَ مَعَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا مَا أَصَابَهُم الْمَوْتُ فِي الْحَالِينَ لِجَعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ أَى لِيُوجِدَ بِقَوْلِهِمْ ذَاكَ حَزَنًا وَ
 نَدَمًا فِي قُلُوبِهِمْ لَمَّا يَحْصِلُ مِنَ الْخَبِيَةِ فِيمَا أَمَلُوا لَمَّا فَاتَهُمْ مِنْ عِزِّ الظَّفَرِ وَالْغَنِيمَةِ وَاللَّهِ يُحْيِي وَيُمِيتُ يَفْعَلُ ذَلِكَ فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ
 عِنْدَ حُلُولِ الْأَجَلِ فِي الْجِهَادِ وَغَيْرِهِ فَلَا يَمْتَنِعُونَ خَوْفَ الْقَتْلِ وَالْمَوْتِ، فَلَيْسَ كُلُّ مَنْ يَتَخَلَّفُ يَسْلَمُ مِنَ الْمَوْتِ، وَلَا كُلُّ مَنْ يَذْهَبُ
 إِلَى الْجِهَادِ يَقْتُلُ، لِأَنَّ الْإِحْيَاءَ وَالْإِمَاتَةَ بِيَدِهِ تَعَالَى، فَلَا مَوْتَ لِمَنْ قَدَّرَ لَهُ حَيَاةٌ وَلَا حَيَاةَ لِمَنْ قَضَى عَلَيْهِ بِالْمَوْتِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ
 أَى عَلِيمٌ. ١٥٧- وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ... أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ فِي الْجِهَادِ أَوْ مِتُّمْ أَصَابَكُمْ الْمَوْتُ وَأَنْتُمْ تَقْصِدُونَ مُجَاهِدَةَ الْكَفَّارِ لِمَغْفِرَةٍ
 مِنَ اللَّهِ أَى صَفَحَ عَنِ الذُّنُوبِ وَرَحْمَةَ الثَّوَابِ وَالْجَنَّةِ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ مِنْ حَطَامِ الدُّنْيَا وَزَخْرَفِهَا. إِرْشَادُ الْأُذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ،
 ص: ٧٦ ١٥٨- وَلَئِنْ مِتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ ... أَى إِذَا مِتُّمْ فِي مَنَازِلِكُمْ، أَوْ فِي طَرِيقِكُمْ إِلَى الْجِهَادِ، أَوْ فِي مَعْرَكَةِ الْقِتَالِ. لَبَّالِي اللَّهُ تَحْشَرُونَ
 مَرْجِعَكُمْ إِلَيْهِ فَيَجْزِي كُلَّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ حَسَبَ عَمَلِهِ وَنِيَّتِهِ. ١٥٩- فِيمَا رَحِمَهِ مِنَ اللَّهِ ... أَى فَبِأَى رَحْمَةِ اللَّهِ. وَقِيلَ: فَبِرَحْمَةِ عَظِيمَةٍ وَمَا
 زَائِدَةٌ وَالْخُطَابُ لِلنَّبِيِّ (ص). لَئِنْ لَهْمُ عَامِلَتُهُمْ بِاللِّينِ وَاللِّطْفِ وَلَوْ كُنْتُ فَظًّا أَى جَافِيَا قَاسَى الطَّبَاعِ غَلِظَ الْقَلْبِ شَدِيدَةً وَخَشَنَةً
 لَمَافُضُّوا مِنْ حَوْلِكَ أَى تَفَرَّقُوا عَنْكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ، وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنِي. وَشَاوَرَهُمْ فِي الْأَمْرِ وَاسْتَمْرَجَ
 آرَاءَهُمْ بِالشَّأْنِ الَّذِي تَرِيدُ تَطْيِيبًا لِحَوَاطِرِهِمْ فَإِذَا عَزَمْتَ أَى عَقَدْتَ النِّيَّةَ فِي قَلْبِكَ عَلَى الْفِعْلِ. فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ أَى: فَوَضَّ أَمْرَكَ إِلَى
 اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ أَى الْمَفْوضِينَ أَمْرَهُمْ إِلَيْهِ وَالْمُعْتَمِدِينَ عَلَيْهِ ١٦٠- إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ ... أَى يَجْعَلْكُمْ ظَافِرِينَ عَلَى مَنْ
 نَافَاكُمْ مِنْ أَعْدَائِكُمْ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ أَى لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَغْلِبَكُمْ وَإِنْ كَثُرَ أَعْدَاؤُكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ أَى يَمْنَعُ عَنْكُمْ مَعُونَتَهُ فَتَمَنَّيَ الَّذِي
 يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ فَمِنْ غَيْرِهِ تَعَالَى يَظْفَرُكُمْ بِأَعْدَائِكُمْ وَهَذَا فِي قُوَّةِ قَوْلِهِ: لَا يَنْصُرُكُمْ أَحَدٌ مِنْ بَعْدِ خِذْلَانِهِ لَكُمْ. وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
 الْمُؤْمِنُونَ مَرَّ مَعْنَاهُ. ١٦١- وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ ... أَى لَيْسَ مِنْ شَأْنِ النَّبِيِّ أَنْ يَخُونُ، أَوْ يَخْفَى مِنَ الْمَغْنَمِ شَيْئًا. وَمَنْ يَغُلُّ يَأْتِ بِمَا
 غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَى مُصَاحِبًا بِمَا اخْتَلَسَ، إِذِ الْمُسْتَفَادُ مِنَ الْبَاءِ هُوَ الْمَصَاحِبَةُ وَقِيلَ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَامِلًا لَهُ عَلَى ظَهْرِهِ. ثُمَّ تَوَفَّى كُلُّ
 نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ أَى تَجْزَى جِزَاءَ عَمَلِهَا تَامًا حَسَنَةً كَانَتْ أَوْ سَيِّئَةً، وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ أَى لَا زِيَادَةَ وَلَا نَقِصَةَ. ١٦٢- أَفَمَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ
 ... أَى الْمُتَّبِعَ لِرِضْوَانِ اللَّهِ الَّذِي هُوَ أَعْلَى مَرَاتِبِ الرِّضَا فَسَارَ فِي الطَّرِيقِ الْمُؤَدِّيَةِ إِلَيْهِ. كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ؟ ... أَى كَالَّذِي لَمْ يَتَّبِعْ
 رِضْوَانَهُ، بَلْ بَاءَ، أَى رَجَعَ وَعَادَ بِمَا يُوْجِبُ غَضَبَهُ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ يَعْنِي مَسْكَنَهُ فِيهَا وَبَسَّ الْمَصِيرُ وَمَا أَسْوَأَ مَصِيرِهِ ذَاكَ؟ ... ١٦٣- هُمْ
 دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ ... هُمْ أَى الَّذِينَ اتَّبَعُوا رِضْوَانِ اللَّهِ ذَوُو دَرَجَاتٍ مُتَفَاوِتَةٍ عِنْدَ اللَّهِ أَوْ: لَهُمْ دَرَجَاتٌ بِتَقْدِيرِ حُرُوفِ الْجَرَفِ: هُمْ وَاللَّهُ
 بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ مَرَّ مَعْنَاهُ. ١٦٤- لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ هُنَا بِمَعْنَى النِّعْمَةِ، أَى أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى
 الْمُؤْمِنِينَ حِينَمَا أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ رَسُولًا- بَشَرًا مِنْ جَنْسِهِمْ وَبِلِسَانِهِمْ بَلْ مِنْ رَهْطِهِمْ يَعْرِفُونَ مَنْشَأَهُ وَكُلَّ مَا يَتَمَتَّعُ بِهِ مِنْ صِفَاتِ سَامِيَّةٍ وَ
 خِلَالِ حَمِيدَةٍ. يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ أَى يَقْرَأُ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ فَيَفْهَمُونَ وَيُزَكِّيهِمْ أَى يَطَهِّرُهُمْ مِنْ دَنَسِ الْعُقَائِدِ الْجَاهِلِيَّةِ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَ
 الْحِكْمَةَ مَرَّ مَعْنَاهُ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ أَى أَنْ هَالَهُمْ كَانَتْ قَبْلَ الْبَعْثَةِ فِي عَصْرِ الْجَاهِلِيَّةِ فِي ضَلَالٍ وَاضِحٍ بَيِّنٍ. إِنْ مِنْ
 نَاحِيَةِ الْفِكْرِ أَوْ السَّلُوكِ. ١٦٥- أَوْ لَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ ... يَعْنِي: حِينَ أَصَابَتْكُمْ مِنْ أَعْدَائِكُمْ فِي أَحَدٍ مُصِيبَةٍ بِقَتْلِ سَبْعِينَ مِنْكُمْ قَدْ
 أَصَابَتْكُمْ مِثْلُهَا أَى فِي بَدْرِ حَيْثُ قَتَلَ الْمُسْلِمُونَ سَبْعِينَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَأَسْرَوْا سَبْعِينَ. قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا أَى: مِنْ أَيْنَ جَاءَتْ هَذِهِ الْمَصِيبَةُ وَ
 قَدْ وَعَدَنَا اللَّهُ بِالنَّصْرِ؟ ... قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ قُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ إِنْ ذَلِكَ كَانَ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ مِنْ اخْتِيَارِكُمْ الْفِدَاءَ يَوْمَ وَقَعَتْ
 بَدْرٌ. وَقِيلَ بِسَبَبِ عَصْيَانِكُمْ أَوْامِرَ الرَّسُولِ حَيْثُ تَرَكْتُمْ مَرَكَزَكُمْ الْقِتَالِيَّةَ طَمَعًا بِالْغَنَائِمِ. إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ مَرَّ مَعْنَاهُ. إِرْشَادُ
 الْأُذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ٧٧ ١٦٦- وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ ... أَى أَنْ الَّذِي حُلَّ بِكُمْ مِنْ قَتْلِ يَوْمٍ أَحَدٍ فَإِذْنُ اللَّهِ
 بِقَضَائِهِ وَعِلْمُهُ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ لِيَمَيِّزَ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْمُنَافِقِينَ. ١٦٧- وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا ... لِيَمَيِّزَ الْمُنَافِقِينَ. وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْ قَاتِلُوا فِي

سَبِيلَ اللَّهِ أَوْ اذْفَعُوا أَيْ قِيلَ لِلْمَنَافِقِينَ اَمْضُوا مَعَنَا كَيْ نَجَاهِدَ فِي سَبِيلِ رَبِّنَا، أَوْ دَافِعُوا عَنْ أَمْوَالِكُمْ وَ أَعْرَاضِكُمْ إِنْ لَمْ تَقَاتِلُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ قَالَ الْمَنَافِقُونَ لَوْ كُنَّا نَحْسِنُ الْقِتَالَ لَشَارَكْنَاكُمْ فِيهِ. هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ أَيْ بِمَقَالَتِهِمْ تِلْكَ اتَّضَحَ أَنَّهُمْ إِلَى الْكَفْرِ أَقْرَبُ مِنْهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ إِذْ يَظْهَرُونَ الْإِيمَانَ وَ يَسْرُونَ الْكَفْرَ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ يَعْرِفُ مَا سَتَرُوا مِنْ نِفَاقِهِمْ. ١٦٨ - الَّذِينَ قَالُوا لِلْإِخْوَانِ هُمْ وَقَعَدُوا ... يَعْنِي الْمَنَافِقِينَ الَّذِينَ قَالُوا لِلْإِخْوَانِ هُمْ فِي النِّفَاقِ أَوْ النَّسَبِ عَنْ شَهَدَاءِ أَحَدٍ وَ هُمْ أَنْفُسُهُمْ تَخَلَّفُوا عَنِ الْخُرُوجِ مَعَ النَّبِيِّ (ص) لِلْجِهَادِ. لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا وَ مَا خَرَجُوا إِلَى الْجِهَادِ قُلْ فَادْرُؤْا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ أَيْ ادْفَعُوا الْمَوْتَ عَنْكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِي زَعْمِكُمْ. ١٦٩ - وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ... أَيْ لَا تَظُنُّ أَنْ الْمَقْتُولِينَ فِي الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا كَبَقِيَةِ الْأَمْوَاتِ مِمَّنْ لَمْ يَقْتُلْ فِي الْجِهَادِ بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ أَيْ أَنَّهُمْ قَدْ رَجَعُوا إِلَى حَالِ الْحَيَاةِ بَعْدَ قَتْلِهِمْ، وَ هُمْ يَرْزَقُونَ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَ يَتَنَعَّمُونَ بِلَذَائِذِ الْخُلْدِ فِي دَرَجَةِ الْقَرَبِ مِنْهُ سَبْحَانَهُ ... ١٧٠ - فَرَحِّينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ... أَيْ أَنْ أَوْلَئِكَ الشَّهَدَاءِ مَسْرُورِينَ بِجَزِيلِ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، وَ بِمَا أَعْطَاهُمْ مِنَ الشَّهَادَةِ وَ الْفَوْزِ بِالْجَنَّةِ وَ يَسْتَبْشِرُونَ بِبَشَرِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ أَيْ بِقُدُومِ إِخْوَانِهِمْ مِمَّنْ خَلَفُوهُمْ عَلَى الْإِيمَانِ فِي دَارِ الدُّنْيَا وَ قَدْ كَتَبَتْ لَهُمُ الشَّهَادَةَ مِنْ خَلْفِهِمْ وَ يَأْتُونَ وَرَاءَهُمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ أَيْ يَسْتَبْشِرُونَ أَنْ لَا خَوْفَ عَلَى مُصِيرِهِمُ الْآخِرَى وَلَا يَلْحَقُ بِهِمْ حُزْنُ لِفِرَاقِ الدُّنْيَا حِينَ يَرُونَ مَنَازِلَهُمْ فِي دَارِ الْكَرَامَةِ. ١٧١ - يَسْتَبْشِرُونَ ... أَيْ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَ فَضْلِ النِّعْمَةِ وَ الْفَضْلِ يَكْشِفَانِ عَنْ مَعْنَى وَاحِدٍ، وَ لَكِنْ الْفَضْلُ يَبَيِّنُ زِيَادَةَ الْإِنْعَامِ عَلَيْهِمْ مِنْهُ سَبْحَانَهُ لِأَنَّهُ مُتَفَضِّلٌ يُعْطِي أَكْثَرَ مِنَ الْإِسْتِحْقَاقِ، وَ أَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ بَلْ يُؤْقِفُهُمْ جَزَاءَهُمْ وَلَا يَمْهَلُهُ وَلَا يَهْمَلُهُ. ١٧٢ - الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَ الرَّسُولِ ... أَيْ الَّذِينَ أَطَاعُوا أَوْامِرَ اللَّهِ وَ أَطَاعُوا رَسُولَهُ. مِنْ بَعِيدٍ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ نَالَهُمُ الْجِرَاحُ يَوْمَ أَحَدٍ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ بَطَاعَةَ الرَّسُولِ وَ إِجَابَةَ دَعْوَتِهِ وَ اتَّقُوا مَعَاصِيَ اللَّهِ أَجْرُ عَظِيمٍ ثَوَابٍ جَزِيلٍ. ١٧٣ - الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ ... الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ هُمُ النَّبِيُّ وَ أَصْحَابُهُ عِنْدَ مَا عَزَمُوا عَلَى الْخُرُوجِ إِلَى بَدْرِ الصَّغْرَى وَ النَّاسُ الَّذِينَ قَالُوا هُوَ نَعِيمُ بْنُ مَسْعُودٍ الْأَشْجَعِيُّ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ يَعْنِي أَنَّ أَبَا سَفْيَانَ وَ أَعْوَانَهُ مِنْ أَهْلِ الشَّرْكِ قَدْ أَتَوْا بِجَمْعٍ عَظِيمٍ لِمَقَاتِلَتِكُمْ فَاخْشَوْهُمْ أَيْ فَخَافُوهُمْ فَزَادَهُمْ إِيْمَانًا أَيْ زَادَهُمْ ذَلِكَ الْقَوْلُ إِيْمَانًا وَ قَالُوا: حَسْبُنَا اللَّهُ وَ نِعْمَ الْوَكِيلُ أَيْ وَلِينَا اللَّهُ وَ كَافِينَا، وَ نَعْمَ مِنْ تَوَكُّلٍ إِلَيْهِ الْأُمُورِ. إِرْشَادُ الْأَذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ٧٨ ١٧٤ - فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَ فَضْلٍ ... أَيْ رَجَعُوا فِي عَافِيَةٍ مِنْهُ سَبْحَانَهُ وَ ثَبَاتٍ عَلَى الْإِيمَانِ وَ تِجَارَةً رَابِحَةً. لَمْ يَمَسِّسْهُمْ سُوءٌ أَيْ لَمْ يَصِبْهُمْ فِي سَفَرِهِمْ هَذَا أَدْنَى شَرٍّ مِنْ أَعْدَائِهِمْ. وَ اتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ بِاطَاعَةِ نَبِيِّهِمْ وَ تَوَجُّهِهِمْ لِلْجِهَادِ وَ اللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ أَيْ صَاحِبُ مَنْعٍ وَ إِحْسَانٍ كَثِيرٍ عَلَى أَهْلِ طَاعَتِهِ. ١٧٥ - إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَائَهُ ... يَعْنِي: هُوَ إِبْلِيسُ الَّذِي يُوسَّسُ وَ يَفْزَعُ أَتْبَاعَهُ. وَ قِيلَ: إِنَّ ذَلِكَ التَّخْوِيفَ الَّذِي جَاءَ بِهِ نَعِيمُ بْنُ مَسْعُودٍ مِنْ فِعْلِ الشَّيْطَانِ يَخُوفُ أَوْلِيَائِهِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ بِالْكَافِرِينَ فَلَا تَخَافُوهُمْ أَيْ لَا تَفْرَعُوا مِنْهُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ وَ خَافُونَ وَ احْذَرُوا مَنِيَّ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ أَيْ مُصَدِّقِينَ بِي فَقَدْ أَعْلَمْتُمْ أَنِّي نَاصِرُكُمْ عَلَيْهِمْ. ١٧٦ - وَلَا يَحْزَنَنَّ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكَفْرِ ... أَيْ وَلَا يَحْزَنَنَّكَ يَا مُحَمَّدُ الْمَنَافِقُونَ. وَ قِيلَ: الْمُرَادُ بِمَنْ يُسَارِعُونَ فِي الْكَفْرِ قَوْمٌ مِنَ الْعَرَبِ ارْتَدَوْا عَنِ الْإِسْلَامِ. إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا أَيْ أَنَّهُمْ لَنْ يَلْحَقُوا ضَرَرًا بِدَعْوَةِ اللَّهِ سَبْحَانَهُ وَ لَا بِكَ وَ لَا بِأَوْلِيَائِهِ اللَّهُ مِنْ جَرَاءِ كُفْرِهِمْ. يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ أَيْ نَصِيبًا مِمَّا يَقْسِمُهُ بَيْنَ عِبَادِهِ مِنَ الْأَجْرِ وَ الثَّوَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ مَعْنَاهُ وَاضِحٌ. ١٧٧ - إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوْا الْكَفْرَ بِالْإِيمَانِ ... أَيْ الَّذِينَ اسْتَبَدَلُوا الْكَفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ أَيْ مُوجِعٌ. ١٧٨ - وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ... وَلَا يَظُنُّ الْكَافِرُونَ أَنَّمَا تُمْلَى لَهُمْ أَنْ إِمَهَالِنَا لَهُمْ بِاطَالَةِ الْعُمُرِ، أَوْ بِتَأْخِيرِ الْعُقُوبَةِ خَيْرٌ لَأَنْفُسِهِمْ يَجْنُونَ مِنْهُ الْمَنْفَعَةَ. إِنَّمَا تُمْلَى لَهُمْ لِيُزْدَادُوا إِثْمًا أَيْ إِنَّمَا نَمَهِّلُهُمْ لِتَكُونَ عَاقِبَةُ أَمْرِهِمْ أَزْدِيَادُ الْإِثْمِ بِتَرَكَمِ الذُّنُوبِ. وَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ أَيْ عَذَابٌ يَرُونَ فِيهِ هَوَانَهُمْ. ١٧٩ - مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ ... أَيْ أَنَّهُ سَبْحَانَهُ لَا يَدَعُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْإِخْلَاطِ بِغَيْرِهِمْ بَحِثْ تَشَبُّهَ الْحَالِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِ وَ الْمَنَافِقِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ أَيْ يَتَعَبَّدُكُمْ بِالْإِسْلَامِ وَ أَحْكَامِهِ حَتَّى يَمِيزَ الْمَنَافِقَ مِنَ الْمُؤْمِنِ وَ مَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ فَمَا كَانَ لِيُظْهِرَ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا مِنْكُمْ فَتَعْلَمُونَ مَا فِي الْقُلُوبِ وَ تَكْتَشِفُونَ إِيْمَانَ هَذَا أَوْ نِفَاقَ ذَاكَ، وَ لَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ أَيْ أَنَّهُ يَخْتَارُ لِرِسَالَتِهِ

من يريد فيطلعه على ما أراد من الغيب فآمنوا بالله ورسوله يعني: صدقوا بذلك أيها الناس. وإن تؤمنوا أى تصدقوا و تتقوا تتجنبوا عقابه بتجنب معاصيه و امتثال أوامره فلكم أجر عظيم ثواب كثير. ١٨٠- ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله ... ولا يظن الذين يبخلون بما أعطاهم الله من نعمه فيمسكون عن إنفاق ما أوجه عليهم فيها هو خيراً لهم أن يخلهم هو خير لهم. بل هو شرّ لهم للخلاص سيطوqون ما بخلوا به يوم القيامة سيجعل الله ما بخلوا به طوقاً من نار يلتف حول أعناقهم يوم القيامة والله ميراث السموات والأرض أى أن له كل ما فى الملك و الملكوت أزلاً و أبداً. والله بما تعملون خبير أى عليم بما تفعلونه من إنفاق أو إمساك، و سيجازيكم طبق عملكم. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٧٩ ١٨١- لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء أى أنه سمع عليم عارف بقول من قال ذلك لَمَّا أنزل سبحانه: من يقرض الله قرضاً حسناً، فقالوا: أ فقير ربنا يسأل عباده القرض؟ ... سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا أى نأمر الملائكة بكتبه فى صحائف أعمالهم. وَقَتْلَهُمُ الْآبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ أى و سنكتب قتل أسلافهم للأنبياء و رضا هؤلاء به وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْخَرِيقِ أى لن تستطيعوا الخلاص من عذاب نار محرقة. و التعبير بذوقوا من الذوق يشعر بكون عذاب أهل النار تدريجى لا دفعى. ١٨٢- ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ ... أى أن عقابكم ذلك بسبب أعمالكم و ما جنيتموه على أنفسكم و أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ لم يظلمكم و لا كان عذابه لكم إلَّا طبق ذنوبكم لأنه سبحانه العادل المطلق. ١٨٣- الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا ... يعنى أخذ علينا عهداً ورد فى التوراة و هؤلاء جماعة من اليهود أَلَّا تَوْمِنَ لِرَسُولٍ أى أن لا نصدق نبياً حتَّى يَأْتِينَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ إلَّا بعد أن يجيئنا بمعجزة خاصة كانت لأنبياء بنى إسرائيل، و هى أن يقدم قربان إلى الله تعالى فتزل نار من السماء فتلتهمه و هم ينظرون إليها. قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِى بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِى قُلْتُمْ يعنى قل لهم يا محمد قد أتاكم أنبياء بمعجز كثيرة تبين صدقهم، و أتوكم بمعجزة القربان الذى تأكله النار أيضاً فَلَمَّ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنَّ كُنتُمْ صَادِقِينَ أراد بذلك زكريا و يحيى (ع) و غيرهما من الأنبياء أى لماذا ارتكبتم جريمة قتلهم مع أنهم جاؤوكم بمقترحاتكم. ١٨٤- فَإِنْ كَذَّبُوكَ ... أى: إذا لم يصدقوك يا رسول الله بعد ما بينت لهم من الحجج الدامغة فليس هذا أمراً مبتدعاً منهم فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ و لم يصدقهم أقوامهم، و هذه سيرة الضالين و دأبهم مع الأنبياء، و لو جاؤ بالبينات بالمعجزات الدالة على صدقهم و الزُّبُرُ و مع مجيئهم بالزُّبُر: أى الكتب المشتملة على الحكم و المواعظ وَ الْكِتَابِ الْمُنِيرِ الذى ينير طريق دنياهم و آخرتهم بشرائعه و معارفه و المراد به هنا التوراة و الإنجيل. ١٨٥- كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ... أى كل من يتنفس و يحيا فى هذه الدار الفانية، سيدوق طعم الموت. وَ إِنَّمَا تُوفَّقُونَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أى تعطون أجركم الملائم لعملكم فى الدنيا وافيًا يوم الحساب فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ أى دفع عنها و أبعد وَ أَدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ أى نجح إذا رجع ميزان حسناته. وَ مَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ و ما لذات الدنيا و شهواتها إلَّا متعة زائلة باطلة تخدعكم و تغرکم بدوامها مع أن حقيقتها غير ذلك. ١٨٦- لَتَبْلُوَنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ ... أى لتخبرن فى أموالكم بنقصها أو هلاكها و فى أنفسكم بالقتل و غيره و ذلك لتمييز الصادق من الكاذب وَ لَتَشِيعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ أى من اليهود و النصارى الذين جاءتهم كتب ربهم قبل زمانكم وَ مِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أى من مشركى العرب أذى كثيراً أى ما يؤذيك من هجاء النبى (ص) و الاستهزاء به و بكم. وَ إِن تَصَبَّرُوا على ذلك الأذى وَ تَتَّقُوا أى تتجنبوا المعاصى و تتمسكوا بالطاعة لله دون أن تجزعوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ أى من محكمات الأمور التى لا بد من عقد القلب عليها بحيث لا يتطرق إليها التزلزل. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٨٠ ١٨٧- وَ إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ... أى: و اذكروا أيها المسلمون حينما أخذ الله عهد علماء اليهود و النصارى فى شأن نبوة محمد (ص) من علائم و أوصاف لتبيئته للناس لنظهرنه للناس وَ لَا تَكْتُمُونَهُ أى: وَ لَا تخفونه، فتبذوه وراء ظهورهم أى طرحوه و تركوه و لم يعتنوا به، أى نقضوا العهد و فعلوا ذلك الطرح للعهد المأخوذ عليهم وَ اشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أى أخذوا بكتمانه عوضاً يسيراً من حطام الدنيا. فَيَسَّ مَا يَشْتَرُونَ أى ساء و شؤم ما يبتاعونه. ١٨٨- لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُوتُوا ... أى: لا تظن بأن هؤلاء اليهود الذين يعجبون بأعمالهم التى يعملونها سمعة و رياء. وَ يُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا يعنى يرغبون بالمدح على أعمال لم تصدر عنهم فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ فلا تظن - يا محمد أنهم بمناجاة و بعد عن النار وَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ موجع. ١٨٩- وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ اللَّهُ عَلَى

كُلُّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ... مَرَّ مَعْنَاهُ. ١٩٠- إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ... يَعْنِي: إِنَّ فِي إِيجَادِهِمَا بِمَا فِيهِمَا مِنَ الصَّنْعِ الدَّقِيقِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَى فِي تَعَاقُبِهِمَا بِهَذَا التَّرْتِيبِ الدَّائِمِ ذَلِكَ كَلَهُ مِمَّا أَبْدَعَ اللَّهُ تَعَالَى لآيَاتٍ أَى عِلَامَاتٍ دَالَّةً عَلَى وَجُودِ اللَّهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ لِأُولَى الْأَلْبَابِ أَى ذَوَى الْعُقُولِ. ١٩١- الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ ... وَصَفَ سُبْحَانَهُ ذَوَى الْأَلْبَابِ بِأَنَّهُمْ يَلْهَجُونَ بِذِكْرِ اللَّهِ فِي حَالِ قِيَامِهِمْ وَقُعُودِهِمْ وَاضْطِجَاعِهِمْ أَى فِي جَمِيعِ حَالَاتِهِمْ. وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِي ذَلِكَ مِنْ عَجَائِبِ الصَّنْعِ وَآثَارِ الْقُدْرَةِ، مُعْتَبِرِينَ بِذَلِكَ، مُوقِنِينَ أَنَّهُ مِنْ صَنَعِ إِلَهٍ قَادِرٍ حَكِيمٍ. رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا أَى هَذِهِ الْخَلْقَةُ الْبَدِيعَةُ عِبْثًا أَوْ لِلْبَاطِلِ بَلَا- حِكْمَةً وَلَا مَصْلَحَةً بَلْ لَتَكُونَ دَلِيلًا عَلَى قُدْرَتِكَ وَوَحْدَانِيَّتِكَ. سُبْحَانَكَ أَى مَنَزَّهُ أَنْتَ عَنْ أَنْ تَخْلُقَ شَيْئًا عِبْثًا. فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ أَى جَنِّبْنَا عَنْهُ. ١٩٢- رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تَدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ ... أَى جَعَلْتَهُ مَطْرُودًا مِنْ رَحْمَتِكَ. وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ وَالظَّالِمُونَ لَيْسَ لَهُمْ نَاصِرٌ وَلَا مَعْنَى يَدْفَعُ عَنْهُمْ الْعَذَابَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. ١٩٣- رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ ... أَى سَمِعْنَا وَوَعَيْنَا مَا نُوْدَى بِهِ مِنْ دَعْوَةِ مُحَمَّدٍ (ص) أَوِ الْقُرْآنِ: أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَأَمَّا أَى صَدَّقُوا بِهِ وَتَقَنَّنُوا وَجُودَهُ وَرَبُّوبِيَّتَهُ فَصَدَّقْنَا وَاسْتَجَبْنَا لِدَعْوَتِهِ. رَبَّنَا فَاعْفُ لَنَا ذُنُوبَنَا أَى اسْتَرْهَا عَلَيْنَا يَوْمَ نَلْقَاكَ. وَقِيلَ: الْمَقْصُودُ كِبَائِرُ الذُّنُوبِ. وَكَفَرُوا عَنَّا سَيِّئَاتِنَا يَعْنِي امْحَاهَا عَنَّا وَقِيلَ: الْمَقْصُودُ صَغَائِرُ الذُّنُوبِ. أَمَّا التَّكْفِيرُ فَهُوَ مَحْوُ السَّيِّئَاتِ بِالْحَسَنَاتِ. فَبَيْنَهُمَا بِحَسَبِ الْمَعْنَى فَرْقٌ، لِأَنَّ هَذَا عَفْوٌ مَعَ السَّبَبِ، وَذَاكَ عَفْوٌ بِلَا سَبَبٍ، أَى أَعْمَ مِنَ التَّكْفِيرِ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ مُوجِبًا فِي مَرَحَلَةِ التَّفْضُلِ، وَيُمْكِنُ أَنْ لَا يَكُونَ. وَعَلَى كُلِّ حَالٍ فَهُوَ لِأَنَّ السَّامِعِينَ الْمُطِيعِينَ طَلَبُوا الْمَغْفِرَةَ وَتَكْفِيرَ الذُّنُوبِ مِنْ رَبِّهِمْ، ثُمَّ قَالُوا: وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ أَى اقْبِضْنَا حِينَ تَقْبِضُنَا إِلَيْكَ وَتَوَفَّانَا مَصَاحِبِينَ مُحْشُورِينَ مَعَهُمْ وَ الْأَبْرَارَ جَمْعَ بَرٍّ وَهُوَ هُنَا مِنْ أَطَاعِ اللَّهَ حَتَّى أَرْضَاهُ. ١٩٤- رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ ... أَى إِلَهِنَا أَعْطَانَا مَا وَعَدْتَنَا مِنَ الْأَجْرِ وَالثَّوَابِ عَلَى لِسَانِ أَنْبِيَائِكَ. وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَى لَا تَفْضَحْنَا أَوْ لَا تَهْلِكُنَا يَوْمَ الْحِسَابِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ وَأَنْتَ أَجَلٌ مِنْ أَنْ تَخْلِفَ وَعْدَكَ الَّذِي قَطَعْتَهُ عَلَى نَفْسِكَ مِنْ رَحْمَةِ عِبَادِكَ الْمُؤْمِنِينَ بِإِدْخَالِهِمْ جَنَّاتِكَ. إِرْشَادُ الْأَذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ٨١ ١٩٥- فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ ... فَأَجَابَ سُبْحَانَهُ عِبَادَهُ الدَّاعِينَ بِمَا تَقَدَّمَ لِيَكُونَ هَذَا بُرْهَانًا وَاضِحًا عَلَى أَنَّ الْعِبَادَ الصَّالِحِينَ إِذَا دَعَا رَبَّهُمْ بِتِلْكَ الْكَلِمَاتِ الْبَيِّنَاتِ فَانِ اسْتِجَابَتَهُ تَعَالَى لَهُمْ لَا تَتَخَلَّفُ أَبَدًا أُنَّى لَا أَضْمِجُ عَمَلٌ مِنْكُمْ أَى لَا أَنْسَاهُ وَلَا أَهْمَلُهُ مِنْ ذِكْرٍ أَوْ أَنْثَى رَجُلٍ أَوْ امْرَأَةٍ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ أَى مُتَسَاوُونَ فِي الْحِسَابِ، وَقِيلَ فِي نَصْرَةِ الدِّينِ. وَقِيلَ: بَعْضُكُمْ مِنْ جِنْسٍ بَعْضٌ فِي صِفَةِ الْإِيمَانِ وَالطَّاعَةِ. وَقِيلَ أَيْضًا: يَجْمَعُ ذُكُورَكُمْ وَإِنَاثَكُمْ أَصْلٌ وَاحِدٌ. وَقِيلَ غَيْرَ ذَلِكَ. فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ فَالَّذِينَ فَارَقُوا قَوْمَهُمْ إِلَى الْمَدِينَةِ أَوِ الَّذِينَ طَرَدُوا مِنْ قَبْلِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ بِيُوتِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ فِي مَكَّةَ وَأَوْدُوا فِي سَبِيلِي لِحَقِّ بِهِمْ الْأَذَى بِسَبَبِ إِيْمَانِهِمْ بِي وَ قَاتَلُوا وَقَتَلُوا أَى جَاهَدُوا الْكُفَّارَ وَحَارَبُوهُمْ وَقَتَلُوا أَثْنَاءَ جِهَادِهِمْ لَمَّا كَفَرَتْ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ لِأَمْحُوتِ الذُّنُوبِ عَنْهُمْ، وَ أَتَجَاوَزَ عَنْهَا وَلَمَّا دَخَلْنَاهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ مَرَّ مَعْنَاهُ ثَوَابًا لَهُمْ عَلَى ذَلِكَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَفْضُلًا مِنْهُ وَوَعْدًا حَسَنًا. وَقَدْ صَرَّحَ هُنَا بِاسْمِ الْجَلَالَةِ تَنْوِيهَا بِشَرَفِ الثَّوَابِ الَّذِي أَعَدَّهُ لَهُمْ. وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ أَى الْجَزَاءُ الْجَمِيلُ عَلَى الْأَعْمَالِ الْحَسَنَةِ. ١٩٦- لَا يَغْوُكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ: الْخُطَابُ لِلنَّبِيِّ وَالْمَقْصُودُ الْأَمَةُ. لَا يَخْدَعُنْكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ تَرَدُّدُ وَتَجَوُّلُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ سَالِمِينَ مُتَاجِرِينَ مُتَكَسِبِينَ لِلْأَمْوَالِ جَامِعِينَ لِلثَّرَوَاتِ. ١٩٧- مَتَاعٌ قَلِيلٌ ... أَى أَنْ مَا تَرُونَهُ مِنْ حَصُولِ تَقَلُّبِ هَؤُلَاءِ فِي رَغْدِ الْعِيشِ إِنْ هُوَ إِلَّا مَتَاعٌ زَائِلٌ حَقِيرٌ فِي جَنْبِ مَا أَعَدَّهُ اللَّهُ لِلْمُؤْمِنِينَ مِنْ نِعَمٍ دَائِمَةٍ فِي الْآخِرَةِ. ثُمَّ مَا وَاهُمْ جَهَنَّمَ مَا بِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جَهَنَّمَ يَدْخُلُونَهَا دَاخِرِينَ وَبُسَسَ الْمِهَادُ أَى مَا أَسْوَأَ هَذَا الْمُسْتَقَرِّ الَّذِي يَنْزِلُونَ فِيهِ وَيَمْهَدُونَهُ لَأَنْفُسِهِمْ بِأَعْمَالِهِمُ السَّيِّئَةِ. ١٩٨- لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ ... أَى الَّذِينَ خَافُوا اللَّهَ وَتَجَنَّبُوا مَعْصِيَتَهُ وَعَمِلُوا بِطَاعَتِهِ. لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا مَرَّ مَعْنَاهُ نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ قُصُورًا يَنْزِلُونَ فِيهَا أَعْدَهَا لَهُمْ فِي نَعِيمٍ دَائِمٍ ... وَمَا عِنْدَ اللَّهِ مِمَّا أَعَدَّهُ مِنْ نَعِيمٍ مُقِيمٍ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ أَى أَحْسَنَ لِلْمُؤْمِنِينَ الْمُطِيعِينَ، مِنْ ذَلِكَ الَّذِي يَتَقَلَّبُ فِيهِ الْكُفَّارُ وَهُوَ زَائِلٌ فَانٍ. ١٩٩- وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ ... أَى مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى مَنْ يَصْدُقُ بِاللَّهِ وَيَقْرَأُ بِوَحْدَانِيَّتِهِ. وَقَدْ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ وَأَصْحَابِهِ مِنَ الْيَهُودِ الَّذِينَ أَسْلَمُوا. وَقِيلَ نَزَلَتْ فِي بَعْضٍ مِنْ كَانُوا عَلَى النَّصْرَانِيَّةِ فَأَسْلَمُوا. وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَسُنَّةٍ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ فِي كِتَابِهِمْ مِنْ عِلَامَاتٍ نَبِيِّكُمْ (ص) خَاشِعِينَ لِلَّهِ خَاضِعِينَ لَهُ مَدْعِينَ. لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ

اللَّهُ تَمَنَّا قَلِيلًا أَى لَا يَبِيعُونَ مَا عِنْدَهُمْ مِنَ الدَّلَائِلِ عَلَى وَجُودِ اللَّهِ وَ تَوْحِيدِهِ وَ رَسُولِهِ بِعَوْضٍ يَسِيرٍ أَوْ لَيْتَكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ أَى الثَّوَابِ الْمُخْتَصَّ بِهِمْ الَّذِى وَعَدَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ مَرَّعًا. ٢٠٠- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ... أَى يَا أَيُّهَا الْمَصْدَقُونَ بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ اضْبِرُّوا عَلَى دِينِكُمْ أَى اثْبُتُوا عَلَيْهِ وَ صَابِرُوا عَلَى قِتَالِ الْأَعْدَاءِ أَتْنَاءَ الْجِهَادِ فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَ رَابِطُوا أَى أَعِدُّوا لَهُمْ وَ تَهَيَّأُوا وَ هَيِّئُوا مَا يَلِزَمُ لِقَاتِهِمْ. وَ اتَّقُوا اللَّهَ وَ حَازِرُوا مَا يَغْضِبُهُ، وَ افْعَلُوا مَا يَرْضِيهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ أَى تَنْجَحُونَ وَ تَفُوزُونَ. إِرْشَادُ الْأَذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ٨٢

سورة النساء مدنية، و عدد آياتها ١٧٦ آية

١- يَا أَيُّهَا النَّاسُ ... النَّاسُ: جَمْعُ إِنْسَانٍ، وَ هَذَا الْخَطَابُ عَامٌ لِجَمِيعِ الْمَكْلُفِينَ مِنْ بَنَى الْبَشَرِ اتَّقُوا رَبَّكُمْ أَى اجْتَنِبُوا سَخَطَهُ وَ غَضَبَهُ بِاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ وَ الْإِثْمَارِ بِأَوَامِرِهِ. الَّذِى خَلَقَكُمْ بِرَأْسِهِ مِنَ الْعَدَمِ بِقُدْرَتِهِ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ أَرَادَ بِهَا سُبْحَانَهُ نَفْسَ أَبِيْنَا آدَمَ (ع). وَ خَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا أَى حَوَاءَ (ع) خَلَقَهَا مِنْ فَاضِلِ طِينَتِهِ وَ جَعَلَهَا زَوْجَةً لَهُ. وَ بَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَ نِسَاءً وَ نَشَرَ مِنْ آدَمَ وَ حَوَاءَ بِطَرِيقِ التَّنَاسُلِ كَثِيرًا مِنَ الْجَنَسِينَ ذَكَورًا وَ إُنْثَاءً. وَ اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى تَسْأَلُونَ بِهِ أَى: تَتَسَاءَلُونَ وَ الْمَعْنَى: كَمَا تَعْظُمُونَ اللَّهَ فِى أَقْوَالِكُمْ عِنْدَ مَا يَسْأَلُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَتَقُولُونَ: أَسْأَلُكَ اللَّهُ وَ أُنْشِدُكَ اللَّهُ وَ بَرَبَكَ أَنْ تَفْعَلَ كَذَا فَعَظَمُوهُ أَيْضًا بِأَفْعَالِكُمْ وَ ذَلِكَ بِأَنْ تَأْتُمِرُوا بِأَوَامِرِهِ وَ تَنْزَجِرُوا عِنْدَ زَوَاجِرِهِ فَتَكُونُونَ قَدْ اتَّقَيْتُمُوهُ وَ الْأَرْحَامَ أَى وَ اتَّقُوا الْأَرْحَامَ بِأَنْ تَصْلُوهَا وَ لَا تَقْطَعُوهَا. إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا أَى أَنَّ اللَّهَ يَرِاقِبُكُمْ فِى أَمْرِ صَلَهِ الرَّحِمِ. ٢- وَ آتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ ... الْخَطَابُ فِى الْآيَةِ مُوجَّهٌ لِأَوْصِيَاءِ الْيَتَامَى، وَ هُوَ يَعْنِى: لَا تَمْنَعُوا عَنْهُمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَعْطُوهُمْ فِى حَالِ صِغَرِهِمْ بِالْإِنْفَاقِ عَلَيْهِمْ مِنْهَا اقْتِصَادًا، وَ فِى حَالِ كِبَرِهِمْ - مَعَ تَحَقُّقِ رَشْدِهِمُ الْمَالِ - بِتَسْلِيمِهَا إِلَيْهِمْ تَامَةً. وَ الْيَتِيمُ مَنْ مَاتَ أَبُوهُ وَ لَمْ يَبْلُغِ الْحُلُمَ. وَ لَا تَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ أَى الْمَالَ الْحَرَامَ الَّذِى حُرِّمَ بِالْكَسْبِ أَوْ بِأَكْلِهِ مِنْ أَمْوَالِ الْيَتَامَى بِالطَّيِّبِ مِنَ الْأَمْوَالِ الَّتِى أَحْلَاهُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ. وَ لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ أَى لَا تَأْكُلُوهَا مَعَ أَمْوَالِكُمْ. وَ ذَكَرَ الْأَكْلَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْأَمْوَالِ فَلَأَنَّهُ أَظْهَرَ مُصَادِقَ التَّنَصُّفِ. إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا وَ الْحُوبُ هُنَا الذَّنْبُ الْكَبِيرُ، أَى أَنْ أَكَلَ مَالَ الْيَتِيمِ بِغَيْرِ وَجْهِ حَقٍّ هُوَ ذَنْبٌ كَبِيرٌ. ٣- وَ إِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِى الْيَتَامَى ... أَى إِذَا خِفْتُمْ عَدَمَ الْعَدْلِ فِى رِعَايَةِ حَقُوقِ الْيَتَامَى مِنَ النِّسَاءِ فَلَا تَزَوَّجُوهُنَّ فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ يَعْنِى: تَزَوَّجُوا مَا حَلَّ لَكُمْ - لَا مَا لَدَّ لَكُمْ - مِنَ النِّسَاءِ سَائِرِ النِّسَاءِ اللَّائِي مِنْ غَيْرِ الْيَتَامَى أَوْ مِنْهُنَّ. مَثْنَى وَ ثَلَاثَ وَ رُبَاعَ أَى إِذَا لَمْ تَكْتَفُوا بِوَاحِدَةٍ فَانْكِحُوا مِنْ غَيْرِ الْيَتَامَى إِلَى أَرْبَعٍ لَا أَزِيدُ بِالنِّكَاحِ الدَّائِمِ. فَإِنْ خِفْتُمْ أَى حَذَرْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا حَالَةَ الْجَمْعِ بَيْنَهُنَّ فَوَاحِدَةً لَا أَكْثَرَ. أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ أَوْ انْكَحُوا الْإِمَاءَ الْمُتَعَدَّدَاتِ الْوَاحِدَةَ وَ الْإِمَاءَ الْعَدِيدَةَ بِأَى مِقْدَارِ كُنَّ لِقَلَّةٍ مُؤَوَّنَتِهِنَّ وَ خِفَةَ مُصْرَفِهِنَّ وَ عَدَمَ وَجُوبِ الْقِسْمِ بَيْنَهُنَّ وَ فِى حَكْمِهِنَّ الْمُتَعَدَّة. فَفِى الْكَافِى عَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ - فِى رَوَايَاتٍ كَثِيرَةٍ - أَنَّهَا لَيْسَتْ مِنَ الْأَرْبَعِ وَ لَا مِنَ السَّبْعِينَ، وَ أَنَّهُنَّ بِمَنْزِلَةِ الْإِمَاءِ لِأَنَّهُنَّ مُسْتَأْجَرَاتُ ذَلِكَ أَذْنَى أَلَّا تَعُولُوا أَى أَنْ اخْتَارَ الْحُرَّةُ الْوَاحِدَةَ أَوْ التَّسْرَى أَقْرَبَ إِلَى أَلَّا تَمِيلُوا إِلَى الْجَوْرِ وَ النِّقْصِ فِى نَفَقَةِ ذَاتِ النِّفَقَةِ. ٤- وَ آتُوا النِّسَاءَ صِدْقَاتِهِنَّ نَحْلَهُ ... وَ الصَّدَقَاتُ جَمْعُ صَدَقَةٍ، وَ هُوَ اسْمٌ لِمَهْرِ الْمَرْأَةِ. وَ النَّحْلَةُ، هِىَ الْعَطِيَّةُ مِنَ اللَّهِ وَ التَّفَضُّلُ مِنْهُ عَلَيْهِنَّ إِذْ فَرَضَ لَهُنَّ ذَلِكَ عَلَى الرِّجَالِ. وَ الْمَعْنَى وَ أَعْطُوا النِّسَاءَ مَهْرَهُنَّ عَطِيَّةً مِنَ اللَّهِ. فَإِنْ طَبَّنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا أَى: إِذَا أَعْطَيْنَاكُمْ شَيْئًا مِنْ مَهْرِهِنَّ عَنْ طَيْبِ نَفْسِهِنَّ فَكُلُّوهُ أَى خَذُوا الْمَوْهَبَ لَكُمْ. هَنِئًا أَى طَيِّبًا مَرِيئًا أَى سَائِغًا مَحْمُودًا الْعَاقِبَةُ. ٥- وَ لَا تَوْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمْ ... خَطَابٌ لِلْأَوْلِيَاءِ وَ الْأَوْصِيَاءِ. وَ لَا تَعْطُوا السُّفَهَاءَ: قِيلَ بِأَنَّهُمُ النِّسَاءُ وَ الْأَطْفَالُ. وَ قِيلَ النِّسَاءُ خَاصَّةً وَ قِيلَ السُّفَهَاءُ هُوَ كُلُّ مُبْذَرٍ لِلْمَالِ أَوْ مُسْرِفٍ فِى صَرْفِهِ الَّتِى جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا أَى الَّتِى جَعَلَ لَكُمْ اللَّهُ الْحَقَّ فِى الْقِيَامِ عَلَيْهَا لِحِفْظِهَا وَ صِيَانَتِهَا. وَ ارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَ اكْسُوهُمْ أَى لَا تَمْنَعُوهُمْ عَنِ الْارْتِزَاقِ بِأَمْوَالِهِمْ مِنَ الطَّعَامِ وَ الشَّرَابِ وَ الْمَسْكَنِ وَ الْمَلْبَسِ وَ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ ضَرُورِيَّاتِ الْحَيَاةِ اللَّائِقَةِ بِحَالِهِمْ. وَ قُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا أَى قَوْلًا حَسَنًا جَمِيلًا مَقْبُولًا شَرْعًا. ٦- وَ ابْتَلُوا الْيَتَامَى ... أَى اخْتَبِرُوهُمْ بِتَتَبُعِ أَحْوَالِهِمْ حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ رَمَزَ إِلَى الْبُلُوغِ الشَّرْعِيِّ مِنْ نَبَاتِ الْعَانَةِ وَ الْإِحْتِلَامِ أَوْ إِكْمَالِ خَمْسِ عَشْرَةِ سَنَةٍ لِلذَّكَرِ وَ تِسْعِ سَنَاتٍ لِلْأُنْثَى. وَ قِيلَ: الْمَقْصُودُ بِلُغِ الْبُلُوغِ النِّكَاحَ الْقُدْرَةَ عَلَى الْوُطْءِ فَإِنْ أَنْسَبْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ أَى إِرْشَادُ الْأَذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص:

٨٣ فإن وجدتم أو عرفتم منهم حسن التصرف في المال بعد اختبارهم فيجب عليكم أيها الأولياء تسليم أموالهم إليهم ولا تأكلوها إشرافاً لإسراف هنا وضع الشيء في غير موضعه. والمعنى: أيها الأولياء لا تأكلوا من أموال اليتامى التي لكم ولاية التصرف فيها بأكثر مما تحتاجون إليه ولا تفرطوا في دفعها إليهم عند بلوغهم راشدين مالياً. ولا تبادروا إلى أكلها حذراً من أن يكبروا فيطالبوكم بها. وبادراً أي مبادرة إلى أكل أموال اليتامى قبل أن يكبروا يبلغوا و يصبحوا راشدين. ومن كان غنياً من الأولياء بماله عن مال اليتيم فليست يغف بأن يأكل من ماله و يترك مال اليتيم. ومن كان فقيراً لا مال له فليأكل بالمعروف أي يأخذ من مال اليتيم بمقدار الحاجة فإذا دفعتم إليهم أموالهم أي إذا أعطيتهم أموالهم بعد حصول الشرطين المذكورين آنفاً فاشهدوا عليهم ادفعوها إليهم أمام شهود يشهدون بأنهم تسلموها، دفعوا للثمة فيما بعد، وكفى بالله حسيباً أي محاسباً وقيل: شاهداً على دفعها أو عدمه. ٧- للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون ... نصيب: أي حظ و سهم من تركه الوالدين والأقربين. وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وكذلك للنساء حق من تركه والديهن وأقربائهن. مما قل منه أو كثر أي من قليل التركة أو كثيرها. نصيباً مفروضاً أي سهماً و حظاً فرض تسليمه إلى مستحقه. ٨- وإذا حضر القسمة ... أي إذا شهد قسمة التركة أولوا القربى أي قرابة الميت الفقراء واليتامى والمساكين أي حضر القسمة أيضاً يتامهم و مساكينهم الذين يرجون أن تعطوهم شيئاً فارزقوهم منه أي أعطوهم من تركه الميت قبل تقسيمها بين الورثة. وقولوا لهم قولاً معزوفاً لعل هو الدعاء لهم بالرزق واليسار، والاعتذار إليهم. ٩- وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعفاء ... وليخش الله من يترك بعد موته أولاداً صغاراً أو كباراً ضعيفي العقل أو مرضى مزمنين فليقدر لهم نصيبهم من ماله ولا يوصى به في وجوه أخرى و يتركهم عالة يتكففون الناس الضعفاء عن أيديهم و بآرائهم التي قد لا يرضاها الله سبحانه و تعالى. وقد اختار هذا المعنى ابن عباس و جماعة كسعيد بن جبير و قتادة و أمثالهما من مشاهير العامة. فينبغي للمتوفين الذين يتركون ذرية ضعفاء خافوا عليهم الضياع و الفقر من بعدهم، فليتقوا الله فليخافوه حين الوصية مما زاد عن الثلث لأنفسهم، وليقولوا قولاً سديداً أي صواباً عدلاً موافقاً للشرع و الحق. ١٠- إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً ... أي أن من يأكل أموال اليتامى كلها أو بعضها و ليا كان أو غيره بغير سبب شرعي مسوخ إنما يأكلون في بطونهم ناراً أي أنهم يأكلون في بطونهم شيئاً يجزهم إلى النار. في بطونهم ناراً أي أنهم يأكلون في بطونهم شيئاً يجزهم إلى النار. و سيصلمون سعييراً أي سيدخلون النار المسعرة و هي المحمأة إلى أقصى الدرجات ليحترقوا فيها. ١١- يوصيكم الله في أولادكم ... أي يأمركم الله و يفرض عليكم في إرث أولادكم منكم. للذكر مثل حظ الأنثيين أي للابن من الميراث مثل نصيب البنتين حال الاجتماع. فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلث ما ترك أي المولودات للوارث حال كونهن منفردات و لا- ذكور و كن اثنتين فما فوق فلهن من التركة ثلثها بالفرض. يقتسمنه و تقسمانه بالتساوي. وإن كانت واحدة فلهما النصف أي لو ترك الميت بنتاً واحدة له منفردة عن الذكور فلهما نصف التركة بالفرض و لأبويه أي لوالدي الميت المباشرين لكل واحد منهما السدس مما ترك كل من والد الميت و والدته يأخذ سدس التركة بالفرض إن كان له ولد أي إذا كان للميت ولد و إن نزل، أو تعدد ذكراً كان أو أنثى. فإن لم يكن له ولد، و ورثه أبواه فلأمه الثلث أي فإن مات و لم يخلف ابناً و لا بنتاً و لا أحداً من الحفدة و كان أبواه حيين فلأمه ثلث التركة و الباقي للأب. بعد فرض الزوجة أو الزوج لو وجد طبعاً.. فإن كان له إخوة أي أنه كان للميت إخوة فلأمه السدس أي كما أن الولد يحجب الأم عن الثلث إلى السدس، فكذلك إخوة الميت يحجبون أمه عن الثلث إلى السدس إذا كان هناك أب. و كل ذلك مما ذكرناه في السهام إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٨٤ و الرد من بعد وصيته يوصى بها، أو دين فعبارة: من بعد، متعلقه بجميع ما تقدم من قسمة الموارث إلى تلك الحصص الخاصة بالورثة و كلمه. أو هي للإباحة فتفيد تساويهما في وجوب التقديم على القسمة انفراداً أو اجتماعاً. و لا- فرق بين أن يكون حقاً لله أو للناس آباءؤكم و أبناءؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا أي أنتم لا تعلمون من من الآباء أو الأمهات أو الأولاد يكون أقرب نفعا لكم بعد مماتكم أو في حياتكم، و لذلك فالتزموا بما فرضناه فريضة من الله أوجبها و عيئنا بحكمته. إن الله كان عليمًا حكيمًا عارفاً بمصالحكم حكيمًا فيما دبره لكم. ١٢- ولكم نصف ما ترك أزواجكم ... أي و لكم أيها الأزواج نصف تركه زوجاتكم إن لم يكن لهن ولد بحيث لم يلدن لا ذكراً و

لا- أنثى و إن نزل، منكم أو من زوج آخر قبلكم ... فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنَ المِيرَاثِ من سائر تركتهن مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِهِ يُوَصِّينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ مَرَّ شَرْحُهُ وَلَهُنَّ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ وَلَوْ كَانَ الْوَلَدُ مِنْ غَيْرِهِنَّ فَإِنَّهُ يَحْجُبُ عَنْهُنَّ الرُّبْعَ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ مِنْهُنَّ أَوْ مِنْ سِوَاهُنَّ فَلَهُنَّ الثُّمْنُ مِمَّا تَرَكَتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِهِ تُوَصُّونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَاحِدَةٌ كَانَتْ أَوْ أَكْثَرُ فَيَقْسَمُ الْفَرَضُ رُبْعًا كَانَ أَوْ ثَمْنًا عَلَيْهِنَ بِالسُّوِيَّةِ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُوَرِّثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةٌ اخْتَلَفَ فِي مَعْنَى الْكَلَالَةِ، فَقِيلَ هِيَ الْإِخْوَةُ وَالْأَخَوَاتُ مِنْ طَرَفِ الْأُمِّ، وَقِيلَ هِيَ الْوَارِثُ غَيْرُ الْوَالِدِ وَالْوَلَدِ، وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ. وَحَاصِلُ الْمَعْنَى أَنَّ الرَّجُلَ إِذَا مَاتَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَارِثٌ غَيْرُ كَلَالَةٍ، وَكَذَلِكَ الْمَرْأَةُ بِنَاءً عَلَى أَنَّهَا مَعْطُوفَةٌ عَلَى الرَّجُلِ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتُ أَى مِنَ الْأُمِّ، وَيُؤَيِّدُهُ الْإِجْمَاعُ وَالْأَخْبَارُ. فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا الشُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ الْمَيِّتُ مِنْ غَيْرِ وَارِثٍ سِوَاهُمَا فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلْثِ يَسْتَوِي الذَّكَرُ وَالْأُنْثَى فِي الْقِسْمَةِ لِإِجْمَاعِ الْأُمَّةِ عَلَى ذَلِكَ. وَهُوَ أَنَّ الْأَخَوَةَ وَالْأَخَوَاتُ مِنْ طَرَفِ الْأُمِّ مُتَسَاوُونَ فِي الْمِيرَاثِ. مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِهِ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرِ مُضَارٍّ أَى حَالُ كَوْنِ الدِّينِ غَيْرِ مُضَارٍّ بِوَرِثَتِهِ بِالزِّيَادَةِ عَلَى الثُّلْثِ، أَوْ بِالنَّقِصَةِ فِي حَقِّهِمْ فِي الْوَصِيَّةِ، كَالْإِصْبَاءِ بِدَيْنٍ لَا يُلْزِمُهُ قَصْدًا لِلْإِضْرَارِ عَلَى الْوَرِثَةِ لَا قَصْدًا لِلْقَرْبَةِ ... وَصِيَّتُهُ مِنَ اللَّهِ أَمْرًا وَاجِبُ الْإِتِّبَاعِ مِنَ اللَّهِ وَقَدْ صَرَّحَ سَبْحَانَهُ بِأَنَّهَا مِنَ اللَّهِ تَأْكِيدًا عَلَيْهَا مِنْ جِهَةٍ، وَتَعْظِيمًا لَشَأْنِهَا وَتَحْذِيرًا مِنْ مَخَالَفَتِهَا مِنْ جِهَةٍ ثَانِيَةٍ. وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمَطِيعِ وَبِالْعَاصِي حَلِيمٌ لَا يَعْجَلُ فِي عِقَابِ الْعَاصِينَ بَلْ يُؤَخِّرُهَا فَاسْحًا الْمَجَالَ لِلتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ لِتَشْمَلَهُمْ رَحْمَتُهُ الَّتِي وَسَّعَتْ كُلَّ شَيْءٍ. ١٣- تِلْكَ خُدُودُ اللَّهِ ... أَى أَنَّ هَذِهِ الْأَحْكَامَ الْمَزْبُورَةَ فِي الْيَتَامَى وَالْوَصَايَا وَالْمَوَارِثِ هِيَ حُدُودُ شَرْعِهَا اللَّهُ لَكُمْ، وَسَنَاهَا لِمَصَالِحِكُمْ. مَمْنُوعٌ عَلَيْكُمْ تَجَاوُزُهَا ... وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أَى يَعْمَلُ طَبَقَ مَا أَمَرَ بِهِ سَبْحَانَهُ وَبَلَّغَهُ رَسُولُهُ لِلنَّاسِ، فَلَا يَتَعَدَّى مَا وَضَعَهُ مِنْ أَحْكَامٍ يُدْخِلُهُ اللَّهُ جَنَاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا مَرَّ تَفْسِيرِهَا فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ وَذَلِكَ الْقَوْرُ الْعَظِيمُ أَى النِّجَاحُ الْكَبِيرُ وَالظَّفَرُ الْعَظِيمُ بَرَضَى اللَّهُ وَنَعِيمُهُ، وَلِنَجَاتِهِ مِنَ الْمَهَالِكِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. ١٤- وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ... أَى يَخَالِفُ أَمْرَ اللَّهِ وَ أَمْرَ رَسُولِهِ الَّذِي جَاءَ بِهِ عَنْ رَبِّهِ وَيَتَعَدَّى خُدُودَهُ وَيُخْرِجُ عَلَى أَحْكَامِهِ وَشَرَائِعِهِ الَّتِي أَمَرَ بِالْإِتِّبَاعِ بِهَا. يُدْخِلُهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا يَأْمُرُ بِهِ إِلَى النَّارِ دَائِمًا فِيهَا فَلَا يَمُوتُ فِيهَا فَيَقْضَى عَلَيْهِ وَلَا يَحْيَا فِيهَا حَيَاةً يَحْسُ مَعَهَا بِالرَّاحَةِ. وَلَهُ فِيهَا عَذَابٌ مُهِينٌ أَى عَذَابٌ تَرَاغَبَتْ إِهَانَتُهُ وَحَقَارَتُهُ وَاسْتِهْزَاءُ تَزِيدُ كُلَّهَا فِي عَذَابِهِ النَّفْسِ وَالْجَسَدِ. إِرْشَادُ الْأَذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ٨٥ ١٥- وَاللَّاتِي يَأْتِيَنِ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ ... أَى أَنَّ النِّسَاءَ اللَّوَاتِي يَزْنِينَ فَاسْتَشْهَدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ أَمَرَ لِلْحُكَامِ أَوِ الْأَزْوَاجِ بِطَلَبِ أَرْبَعَةِ شُهَدَاءٍ رِجَالٍ عَدُولٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنْ شَهِدُوا إِذَا شَهِدَ هَؤُلَاءِ الْأَرْبَعَةُ بِحُصُولِ الزَّانِي فَعَلًا فَامْسِكُوهُنَّ فِي الْغُيُوبِ فَاحْبِسُوا الزَّانِيَاتِ فِي بَيْوتِهِنَّ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ يَمْتَنَ عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ مِنَ الْحَبْسِ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا بِمَوْتِهِنَّ أَوْ مَوْتَ أَزْوَاجِهِنَّ أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ ... ١٦- وَالَّذَانِ يَأْتِيَانِيَا مِنْكُمْ ... أَى اللَّذَانِ يَزْنِيَانِ فَآذُوهُمَا وَبَخُوهُمَا فَإِنْ تَابَا أَى إِذَا أَقْلَعَا عَنْ ذَلِكَ وَاصْلَحَا وَاصْطَلَحَ حَالُهُمَا فَعَلًا- فَاعْرِضُوا عَنْهُمَا أَى كَفُّوا عَنْ آذَاهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَسْعَى بِرَحْمَتِهِ. ١٧- إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ ... أَى لَا تَوْبَةَ مَقْبُولَةً عِنْدَ اللَّهِ إِلَّا لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ الشُّوَّ بِجَهَالَةٍ أَى الَّذِينَ يَقْعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْقَبِيحِ عَنْ عَدَمِ عِلْمٍ بِإِثْمِهِ قُصُورًا أَوْ تَقْصِيرًا ثُمَّ يَتُوبُونَ يَرْجِعُونَ مِنْ قَرِيبٍ مُلَازِمِينَ لِمَلَاظِمِ لَزْمَانِ اقْتِرَافِ الذَّنْبِ. وَيُمْكِنُ حَمْلُهَا عَلَى الْأَقْرَبِ فَلَا اقْرَبَ مِنْهُ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَى الَّذِينَ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ وَلَا يَعُودُونَ لِمِثْلِ مَا وَقَعُوا فِيهِ الْبُتَّةُ، فَإِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ تَوْبَتَهُمْ وَيَغْفِرُ لَهُمْ ذُنُوبَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا مَرَّ مَعْنَاهُ. ١٨- وَلَيْسَتْ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ ... يَعْنِي لَا تَقْبَلُ تَوْبَةَ مَنْ يَرْتَكِبُونَ الذُّنُوبَ وَيُؤْخِرُونَ تَوْبَتَهُمْ مِنْهَا، حَتَّى إِذَا خَضَرَ أَحَدُهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ أَى صَارَ مَعَ الْمَوْتِ وَجْهًا لَوَجْهِهِ فَحِينَئِذٍ يَتُوبُ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ لَا تَقْبَلُ لَهُمْ تَوْبَةَ أَبَدًا. أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا أَى الْمُسَوِّفُونَ بِالتَّوْبَةِ وَالْكَافِرُونَ هِيَ أَلِيمًا لَهُمُ الْعَذَابُ الْمَوْجِعُ سَلَفًا. ١٩- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا ... كَانَ الرَّجُلُ فِي عَصْرِ الْجَاهِلِيَّةِ إِذَا مَاتَ أَبُوهُ أَوْ أَخُوهُ أَوْ أَحَدُ أَقَارِبِهِ، أَلْقَى ثَوْبًا عَلَى رَأْسِ زَوْجَتِهِ الْمَيِّتَةِ وَقَالَ: أَنَا أَحَقُّ بِهَا، فَإِنْ شَاءَ تَزَوَّجَهَا بِصَدَاقِهَا الْأَوَّلِ وَلَا يَدْفَعُ لَهَا مَهْرًا جَدِيدًا، وَإِنْ شَاءَ زَوَّجَهَا غَيْرَهُ وَأَخَذَ صَدَاقَهَا لَا يُعْطِيهَا مِنْهُ شَيْئًا، لِأَنَّهُ بِإِلْقَاءِ الثَّوْبِ عَلَيْهَا يَمْلِكُهَا. فَحَرَّمَ الْإِسْلَامُ ذَلِكَ. وَ الْمَعْنَى أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا النِّسَاءَ عَلَى سَبِيلِ الْمِيرَاثِ بِأَنْ تَرِثُوا نِكَاحَهُنَّ عَلَى كَرِهٍ مِنْهُنَّ وَ مُشَقَّةً عَلَيْهِنَّ. وَ النَّهْيُ مُتَوَجِّهٌ لِمَنْ كَانَ يَقُومُ بِمِثْلِ هَذَا الْعَمَلِ، وَ هُوَ مُنْعٌ عَنْ جَعْلِهِنَّ مَكْرَهَاتٍ أَى مُلْزَمَاتٍ بِمَا هُوَ كَرِهٌ لَهُنَّ، وَ

أى كره أشد عليهن مما ذكر. وَلَا تَغْضُ لُوهُنَّ لِتَذَهَبُوا بِبَعْضٍ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ الْعِضْلُ: هو التضييق. أى لا تسيئوا معاملتهن أو تضيقوا عليهن بقصد أن يفتدين طلاقهن بمهورهن أو بما يملكن كلا أو بعضا إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ أى إلا فى حال ارتكابهن فاحشة ظاهرة كالزنا أو النشوز وَ عَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ أى عيشوا معهن كما أمر الله بالإحسان وأداء حقوقهن فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ مَالَتِ أَنْفُسُكُمْ عَنْهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا فَمِنْ الْمَحْتَمَلِ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا كَمَا سَاكِهْنَ وَيَجْعَلُ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ويكون لكم فيه خير كثير مقدر فى علم الله فى الدنيا بولد صالح وفى الآخرة بثواب لكم ومغفرة. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٨٦-٢٠- وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ ... أى أردتم أيها الأزواج فراق زوجة للتزوج بغيرها والزواج عند الإطلاق: الصنف والقرين والجنس. وَآتَيْتُمْ إِخْدَاهُنَّ قِنطَارًا وَ كُنْتُمْ قَدْ أُعْطِيتُمُ الْمَطْلَقَةَ الَّتِي تَرِيدُونَ اسْتِبْدَالَهَا عِنْدَ تَرْوِيجِكُمْ بِهَا قِنطَارًا- كناية عن المال الكثير- فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أى و لو قل. أ تَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا أى أ تأخذونه ظلما وباطلا وإثما أى ذنبا بينا. والاستفهام إنكارى. فقد كان الرجل إذا أراد أن يتزوج امرأة جديدة بهت امرأته التى هى عنده بفاحشة و رماها بسوء حتى يلجئها إلى أن تفتدى نفسها بما أعطاها من مهر ليتزوج به غيرها، فنهى الله سبحانه عن ذلك العمل القبيح ثم قال مستهجننا هذا. ٢١- وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ ... أى عجا بأية حال تأخذون ذلك منهن وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ أَى انتهى الإفشاء والتبسط بينكما إلى حد الزوجية والجماع. يقال أفضى الرجل إلى جاريته أى جامعها. وَأَخَذَنْ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا أى عهدا وثيقا، وهو حق المعاشرة والمضاجعة وقيل بأنه نكاحه لها على كتاب الله وسنة رسوله. ٢٢- وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ ... وإن علوا فلا يجوز نكاح الأم ولا نكاح الجدة ولا نكاح زوجة الأب وإن لم تكن أما حقيقة. إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ أى ما مضى قبل الإسلام لأن الإسلام يجب ما قبله. إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً أَى زنا وَمَقْتًا بَغْضًا شَدِيدًا أى يوجب بغض الله. وَ سَاءَ سَبِيلًا أى بشس الطريق ذلك النكاح. ٢٣- حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَ بَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَ خَالَاتُكُمْ وَ بَنَاتُ الْأَخِ وَ بَنَاتُ الْأُخْتِ ... أى حرم عليكم نكاحن جميعا حرمة أبدية وَأُمَّهَاتُكُمْ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ حَلِيبَهُنَّ وَأَنْتُمْ صَغَارُ رِضَاعِهِ مُحَرَّمَةٌ تَنْبِتُ لِلْحَمِّ وَ تَشَدُّ الْعِظَمُ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرِّضَاعَةِ اشتركن معكم فى حليب امرأة. وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ كَأُمَّهَاتِكُمْ وَ رَبَائِكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ أَى البنات اللاتي تربونهن فى حجوركم: أى بيوتكم مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ أَى وطأتموهن فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ أَى لم تجامعوهن فلا- جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فلا- مانع من نكاح أولئك الربائب وَ خَالَاتُكُمْ أَيْ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ أَى النساء اللواتي يتزوجهن أبناؤكم الذين ليست بنوتهن لكم بالتبني فهن من المحرم عليكم التزويج بهن. وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ أَى لا يجوز التزويج بامرأة، وبأختها معا إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ قبل الإسلام إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا يعفو عما سلف قبل نزول هذه الأحكام الشريفة ... فكل المذكورات محرم نكاحهن حرمة أبدية. وقد كان الجاهليون يتزوجون الأختين بعقد واحد، أو بعقدين قبل مضى عدة الأخت الأولى، فلما جاء الإسلام عفا عما سلف وأمر بالفرقة بين المراء والمرأة إذا أسلم أحدهما لأن زوجيتهما تفسد بموجب أحكام الإسلام. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٨٧-٢٤- وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ ... كذلك حرم عليكم نكاح المحصنات، أى الحرائر ذوات الأزواج، وكذلك من كانت فى عدة بعل مطلق أو متوفى إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنَ السَّبَايَا وَ الْكُفَّارِ وَلَهُنَّ أَزْوَاجٌ فِيحِلُّ نِكَاحُهُنَّ بَعْدَ الْإِسْتِبْرَاءِ فَقَدْ وَرَدَ عِنْدَنَا بَأَنَّ يَبْعَهُنَّ هُوَ طَلَقُهُنَّ. كِتَابُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ أَى كتب الله عليكم تحريم هؤلاء كتابا وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ يُعْنَى أَحَلَّ لَكُمْ نِكَاحَ غَيْرِ جَمِيعِ هَؤُلَاءِ الْمُحَرَّمَاتِ اللَّاتِي ذَكَرَهُنَّ سَبْحَانَهُ فِي الْآيَتَيْنِ ٢٣ وَ ٢٤ ... نعم بقى شىء لا بد من قوله، وهو الجمع بين المرأة وخالتها أو عمتها بغير إذنهما فهو غير جائز أيضا أن تبغوا نعم بقى شىء لا بد من قوله، وهو الجمع بين المرأة وخالتها أو عمتها بغير إذنهما فهو غير جائز أيضا أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ أَنْ تَطْلُبُوا النِّسَاءَ بِبَدْلِ أَمْوَالِكُمْ لِهِنَّ إِمَّا نِكَاحًا بِمَهْرٍ أَوْ شَرَاءً بِشَمْنٍ لَا لِلزَّانَا بِهِنَّ. فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً فَمَا التذذتم به منهن فأعطوهن مهورهن التى سميتموها لهن عند العقد فهو مفروض عليكم. وقيل: إِنَّ الْآيَةَ وَارِدَةٌ فِي الْمَتْعَةِ، أَى النكاح الموقت والمعنى: فمتى عقدتم عليهن عقد متعة فآتوهن ما اتفقتم عليه معهن من أجر. ومن المعلوم أن المتعة شرعت ولم تنسخ بل منع عنها عمر بن الخطاب من عند نفسه. وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ أَى لا مسئولية تترتب على ما تتفقون عليه بعد أداء المهر أو الأجرة المحددة بزيادتها أو

بإنقاصها إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝ ٢٥- وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ ... أى الذى لم يجد غنى ليتزوج الحرائر المؤمنات فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ أى ليتزوج من الإماء المؤمنات ولا يصح نكاح الأمة إلا بإذن مولاهما. وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ أى خذوا بظاهر إيمانهم و كلوا السرائر إلى الله فهو المطلع عليها. بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ أى كلكم لآدم (ع) فلا- تستنكفوا من نكاح الإماء فإنهم منكم و أتم منهم. فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ أى بإذن مالكنهن. وَآتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ أى أعطوهن مهورهن بيدهن. فَإِنَّهُنَّ مُسْتَأْجَرَاتٌ وَ أَجُورُهُنَّ بِمَنْزِلَةِ مَهْرُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ أى بلا- مماطله و لا- نقيصة، الْمُحْصَنَاتِ عَفِيفَاتٌ غَيْرُ مُسَافِحَاتٍ غَيْرُ زَانِيَاتٍ وَ لَا مُتَخَذَاتٍ أَخْدَانٍ أى غير مرتبطات بأخلاء يزنون بهن سراً فإذا أُحْصِيَ أى تزوجن فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ أى زنين فى هذه الحال فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنْ الْعَذَابِ أى فعليهن نصف حد الزنا الذى على الحرائر. اللهم إلا حد الرجم فإن هذا الحد لا- ينصف. ذَلِكُ أَي نِكَاحُ الْإِمَاءِ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ يعنى لمن خاف الوقوع فى الزنا. والعنت فى الأصل هو انكسار العظم بعد الجبر، وقد استعمل على نحو الاستعارة فى المشقة. وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ عَنْ نِكَاحِ الْإِمَاءِ خَوْفَ لِحُوقِ الْعَارِ بِكُمْ وَ تَمْتَنَعُوا عنه و عن الزنا أحسن لكم وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ ٢٦- يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذَيِّبَ لَكُمْ ... أى أنه يريد أن يوضح لكم أحكام دينكم وَ يَهْدِيَكُمْ سَبِيلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَ يرشدكم إلى طريق الهدى التى سار عليها السابقون عليكم من أهل الحق وَ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَ يقبل توبتكم وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝ ٢٧ ٨٨- وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ ... أى يريد أن يوفقكم للتوبة بلطفه و إنما كرر سبحانه هذه الإرادة للتأكيد على وجوب شمول رحمته و مغفرته للخلق فى مقابل إرادة الظالمين وَ يُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ وَ هم كل المبطلين ممن ينصرفون وراء أهوائهم الساقطة أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا أى أن تنحرفوا عن طريق الحق انحرافا بينا بالإظهار للمنكرات و تشاركوهم فيما يقتربون من موبقات. ٢٨- يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ ... أى ييسر عليكم فى نكاح الإماء بل فى جميع التكاليف و ذلك لطفًا منه بكم. وَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا فى أمر النساء و الصبر عنهن. فشرع له فى ممارسته شهوة الجنس ما فيه صلاحه و إشباع رغبته فى آن. ٢٩- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ ... أى لا تأكلوها بالوجوه التى حرّمها الله تعالى كالسرقة و الربا و القمار بل مطلق الظلم سواء كان من النفس أو بواسطة الغير. إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ أى سوى فى مجال التجارة الصادرة عن رضا المتبايعين وَ لَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أى لا تلقوا بأنفسكم فى مواطن هلاكها فى الدنيا و الآخرة. وَ لا- يجوز قتل النفس إلا فى حال الدفاع و الجهاد المأذون فيه. إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا أى لم يزل عطوفا على الناس. ٣٠- وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ... أى أن من يعمل هذه المحرمات المذكورة عُذُوبًا تَجَاوَزُا مِنْهُ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَ اعتداء على سنته وَ ظُلْمًا لِنَفْسِهِ وَ لغيره فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا أى سوف نحرقه بنار و كَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا سهلا غير عسير. ٣١- إِنْ تَجَنَّبُوا كِبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ ... أى إذا حدثم عن الذنوب الكبيرة التى نهاكم سبحانه عنها و تنكبتم طريق المعصية العظيمة. نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ نَعْفُو عَنْ صَغَائِرِ ذُنُوبِكُمْ وَ نمحوها من صحائف أعمالكم لطفًا و كرما. وَ نُدْخِلْكُمْ مَدْخَلًا كَرِيمًا ندخلكم الجنة التى هى دار الكرامة و الغبطة. ٣٢- وَ لَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ ... تقتصر فى بيان معناه على ما قاله الصادق (ع): لا يقل أحدكم: ليت ما أعطى فلان من المال، و النعمة، و المرأة الحسنة، كان لى، فإن ذلك يكون حسدا. و لكن يجوز أن يقول: اللَّهُمَّ أعطني مثله ... لِلرَّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَ لِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ أى لكل من الرجال و النساء حظ مما ربحه بجهد و تعب و سعيه الشخصى فلا يجوز اغتصاب ثمره جهد الآخرين. وَ سَيُلَوِّا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ أى من عطائه و منه إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا فهو عارف ما يستحق كل واحد و ما هو بحاجة إليه فيعطيه هذا و ذاك منحه من خزائنه التى لا تنفذ. ٣٣- وَ لِكُلِّ جَعَلْنَا مَوَالِيٍّ مِمَّا تَرَكُ الْوَالِدَانِ وَ الْأَقْرَبُونَ ... أى لكل واحد من الرجال و النساء جعلنا ورثه هم أولى بميراثه، يرثون مما ترك الأب و الأم- و الأقربون علوا أن نزلوا مما شرع الله سبحانه ... وَ الَّذِينَ عَقَدْتُمْ أَيْمَانَكُمْ أى: و حلفاءكم الذين عاهدتموهم على النصرة و الإرث و الأيمان: هنا، جمع يمين بمعنى اليد و بمعنى القسم. فَمَا تَوْفَهُمْ نَصِيبُهُمْ أى أعطوهم حظهم إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا أى مطلعًا على ما تفعلونه فى هذا الشأن و فى غيره. و فى هذه الآية تهديد على منعهم نصيبهم كل فى مورده. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٨٩ ٣٤- الرَّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ ... أى الرجال

قيمون عليهن في سياسته و تدبير أمورهن و ذلك لسببين: الأول: بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ بما لهم من زيادة الفضل عليهن بالعلم و العقل و الشجاعة و قوة البدن. و الثاني: وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ أى بما يدفعونه من مهور و نفقات زوجية .. فَالْصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ مَطِيعَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ أى لأنفسهن و فروعهن و أحوال أزواجهن حال غيابهم بما حفظهن الله به من حقوق زوجية لهن وَ اللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ أى النساء اللاتى تخافون عصيانهن و ترفعهن عن مطاوعتكم فَعُظُوهُنَّ فوجَّهوا لهن الموعظة بالقول اللين وَ اهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ أى ابتدعوا عنهن في المراقد و لا تجمعهن. وَ اضْرِبُوهُنَّ ضرباً غير شديداً و غير مدم. فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ رَجِعْنَ عَنْ مَخَالَفَتِكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا فلا توبخوهن و لا تؤذوهن إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا أى متعالياً فاحذروه لأنه تعالى أقدر عليكم من قدرتكم على نسائكم فلا تبغوا عليهن. ٣٥- وَ إِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا ... أى إذا خشيتم خلافاً قد يقع بين الزوجين فَابْتَغُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَ حَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا يعنى أرسلوا للصالح بينهما رجلين عدلين لإجراء الحكومة فيما يشجر بينهما من خلاف واحد من أهل الزوجة و الثانى من أهل الزوج إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا أى إن أراد الحكمان إصلاحاً بين الزوجين يعينهما على نجاح قصدهما و الضمير فى قوله تعالى راجع إلى الحكامين، و التوفيق من الله يكون بتوجيه الأسباب نحو المطلوب من الخير للزوجين. فبالنتيجة إنه سبحانه يعين الحكامين على قصدهما الإصلاح بأن يلقيا المحبة بين الزوجين فيتم ذلك بحسن نيتهما و إرادتهما له و بلطف منه تعالى و بحسن توفيقه إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا عليمًا بنية الحكامين خبيراً بما فيه مصالح العباد. ٣٦- وَ اعْبُدُوا اللَّهَ وَ لَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ... أى وحدوه و عظموه و لا تشركوا غيره فى العبادة لأنها منحصرة بذاته سبحانه وَ بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا أى استوصوا بهما برا و انعاماً وَ بِذِي الْقُرْبَىٰ أى أصحاب القرابة فأحسنوا إليهم وَ الْيَتَامَىٰ وَ الْمَسَاكِينَ لا تنسوهم من إحسانكم و الرأفة بهم وَ الْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ الجار القريب فى النسب. وَ الْجَارِ الْجُنُبِ أى و الجار الأجنبي عنك. أى أحسن إلى جارك مطلقاً قريباً كان أو أجنبياً. وَ الصَّاحِبِ بِالْجُنُبِ يعنى الرفيق فى السفر و قيل الزوجة وَ ابْنِ السَّبِيلِ المسافر أو الضيف وَ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ يعنى: أرقاؤكم من العبيد و الإماء أحسنوا إليهم و إلى كل من سبق ذكره. إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا المختال هو المتكبر و الفخور هو الذى يعدد مناقبه تباها بها فإن الله لا يرتضيها. ٣٧- الَّذِينَ يَخْلُونُ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ ... أى ييخلون بما أنعم الله عليهم فلا ينفقون منه لا الواجب و لا المستحب و مع ذلك فهم يطلبون من غيرهم أن يحذو حذوهم فى البخل و عدم الإنفاق. وَ يَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ و يسترون نعمه التى أعطاهم الله إياها من الغنى و الثروة ليعتذروا عما هم فيه من بخل. وَ اعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا من كان هذا شأنه فهو كافر بنعم الله و له عذاب يهينه كما أهان النعمة بالبخل بها و الإخفاء لها. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٩٠

٣٨- وَ الَّذِينَ يَنْفَقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ ... عطف سبحانه على أولئك البخلاء، هؤلاء الذين ينفقون أموالهم فعلاً، و لكن لا لوجه الله بل رياء و سمعة، وَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ لَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ أى لا يصدقون بالله و لا بيوم الحساب فلا ثواب فى نظرهم و لا عقاب وَ مَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا أى صاحباً فى الدنيا و الآخرة فبئس القرين هو يزين له البخل و الكفر فيرديه فى العذاب المهين. ٣٩- وَ مَا ذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ ... أى أى ضرر يقع عليهم إذا صدقوا بالله و البعث و الحساب وَ أَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَ أَدَّوْا حقوق أموالهم لمستحقيها فجمعوا بين الإنفاق و الإيمان لينفعهم إنفاقهم. وَ كَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا يجازيهم وفق أعمالهم. ٤٠- إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ... أى أنه سبحانه لا ينقص من أجر أحد و لا يزيد فى عقابه بمقدار زنة الذرة، و هى أصغر جزء متصور من الشيء وَ إِنْ تَكُنْ الذَّرَّةُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا أى يزيدها بمقدار المثل أو أكثر وَ يُؤْتِ مِنْ لَدُنْهِ أَجْرًا عَظِيمًا يعطى من عنده فى الآخرة عطاء كثيراً و هو الجنة. ٤١- فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ ... أى فكيف يكون حال هؤلاء يوم القيامة إذا أحضرنا شاهداً من كل أمة وَ جِئْنَا بِكَ يَا مُحَمَّدُ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيداً تشهد على أمتك بمن فيهم هؤلاء الذين يسمعون الدعوة و لا يؤمنون بالله و لا باليوم الآخر ...

٤٢- يَوْمَئِذٍ يَرَوُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ عَصَوْا الرِّسُولَ ... يومئذ، يعنى: يوم القيامة يتمنى الذين كفروا بالله و خالفوا رسوله لَوْ تَسَوَّى بِهِمُ الْآرْضُ أى يتمنون لو لم يبعثوا و كانوا تراباً، هم و الأرض سواء. وَ لَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا و لا يقدرُونَ على إخفاء شئ من الله لأن جوارحهم سوف تشهد عليهم يومئذ. ٤٣- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى ... أى لا- تقوموا إلى الصلاة و قيل

المساجد حال كونكم فى سكر حتى تَعْلَمُوا ما تَقُولُونَ حتى تعوا ما تقرأونه و ما تؤدونه من أفعال الصلاة. و لا جُنْباً و الجنب من أمنى فلا يجوز له أن يقرب الصلاة إلا عابري سبيل أى لا تدخلوا المساجد فى حال الجنابة إلا اجتيازاً من باب إلى باب حتى تَغْتَسِلُوا من الجنابة و إن كنتم مَرْضَى تشكون من علّة و تخافون على أنفسكم من استعمال الماء للوضوء أو الغسل أو على سفر فى حال سفر مع فقدان الماء أو جاء أحد منكم من الغائط كناية عن الحدث، أو لَمْ يَسْتِمْ النساء أى جامعتموهن. فلم تَجِدُوا ماءً لتغسلوا من الجنابة إما لفقده أو لعدم تمكّنكم من استعماله. فتيمّموا صعيداً طيباً أى باشروا التيمّم بالتراب النظيف الطاهر، و الكيفية: فامسحوا بوجوهكم و أيديكم بالأثر الباقي من ذلك التراب إن الله كان عفواً غفوراً فهو متجاوز عن الذنوب كثير الستر لها. ٤٤- أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحاً مِنَ الْكِتَابِ ... ألا تنظر يا محمد إلى هؤلاء الذين أعطوا حظاً قليلاً من علم التوراة؟ يَشْتَرُونَ الضلالة أى يستبدلون الكفر بالإيمان لكتمانهم نبوة محمد (ص) و يَريُدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ و يحبون أن تتيهوا عن طريق الحق و تضيعوا عنه مثلما ضاعوا. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٩١ ٤٥- و الله أعلم بأعديكم ... أى: هو سبحانه أعرف بهم منكم فأطيعونى فيما نذبتكم إليه دونهم. و كفى بالله ولياً و كفى بالله نصيراً: أى ولاية الله لكم و نصره إياكم تغنيكم عن نصره هؤلاء و ولايتهم. ٤٦- مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ... أى من اليهود هؤلاء فريق يبدلون كلمات الله و أحكامه المنزلة عليهم فى التوراة و يصرفونها عن وجوها الصحيحة. و يَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا كُفْرًا و عناداً و اسْمِعْ غَيْرَ مُسْمِعِ أى اصغ لكلامنا غير مسموع منك قولك، و راعينا لئلا نلصقهم من معناه فى سورة البقرة و طعننا فى الدين أى إنكاراً له و تهويشاً عليه و لو أنهم قالوا سَمِعْنَا و أَطَعْنَا و اسْمِعْ و انظرنا لكان خيراً لهم و أقوم أى أنه كان من الخير لهم- لو عقلوا- أن و لو أنهم قالوا سَمِعْنَا و أَطَعْنَا و اسْمِعْ و انظرنا لكان خيراً لهم و أقوم أى أنه كان من الخير لهم- لو عقلوا- أن يسمعوا و يطيعوا، و يقولوا للنبي (ص) أمهلنا حتى نستوعب ما تقول و لكن لعنهم الله بكفرهم أى أبعدهم من رحمته بسبب كفرهم فلا يؤمنون إلا قليلاً لا يصدق بك يا محمد منهم إلا قليلاً أو إلا إيماناً ضعيفاً لا إخلاص فيه. ٤٧- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بما نزلنا ... خطاب لليهود و النصارى أن صدقوا بالقرآن مضيئاً لما معكم معترفاً بالتوراة و الإنجيل من قبل اليوم الموعود الذى ينتهى به قبول الإيمان و التصديق، و هو أن نطمس وجوهاً فنزدها على أذبارها أى تنزل آية العذاب منا على الكافرين و المنكرين، حين نرد وجوهاً إلى أقيمتها فيمشى أصحابها القهقهري أو نلعنهم نخزيهم كما لعنا أصحاب السبب مثلما أخزينا الذين خانوا الله بيوم السبت من اليهود فمسخناهم قرده و كان أمر الله مفعولاً أى أن إرادته تقع لا محالة فلا يتخلف المراد عنها. ٤٨- إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ... أى أنه تعالى غفار للذنوب لمن يشاء أن يغفر له. و لكن الشرك به لا يغفره لأحد مطلقاً، لأنه بناء على قولهم لا يبقى فرق بين الشرك و غيره حيث إن الشرك يغفر بالتوبة: و غيره لو كان غفرانه يحتاج إلى التوبة لكان الأمر سيان و هذا خلاف ظاهر الآية الشريفة و الروايات و أقوال العلماء الكبار و من يشرك بالله فقد افترى إثماً عظيماً أى فقد كذب بقوله إن العبادة يستحقها غيره سبحانه و اجترح ذنباً كبيراً. ٤٩- أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُرْكُونَ أَنْفُسَهُمْ ... و هم أهل الكتاب الذين يمدحون أنفسهم فيقولون: نحن أبناء الله و أحباؤه و لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى. بل الله يركى من يشاء أى يطهر و ينزه من الرذائل من يحبه و لا يظلمون فتيلاً أى أن الله لا يبخل أحداً حقه و لو بمقدار .. ٥٠- انظر كيف يفترون على الله الكذب ... انظر يا محمد كيف يكذبون على الله فى تحريف كلماته أو فى مدحهم أنفسهم و كفى به أى بكذبهم هذا و افتراءهم، إنما مبيناً ذنباً كبيراً بينا. ٥١- أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحاً مِنَ الْكِتَابِ ... مر معناه. يؤمنون بالجنّة و الطاغوت أى بالأصنام. و قيل إن الحب و الطاغوت صنمان كانا يعبدان فى عصر الجاهلية. و يقولون للذين كفروا. هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً أى يقولون لأبى سفيان و جماعته من المشركين هذه الأصنام أهدى ديناً من محمد و أصحابه. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٩٢ ٥٢- أولئك الذين لعنهم الله ... أولئك: إشارة لليهود الذين أخزاهم الله و أذلهم و من يلعن الله يخزيه و يطرده من رحمته فلن تجد له نصيراً فإنه لا معين له يدفع عنه دنيا و آخرة. ٥٣- أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ ... استفهام إنكارى أى: ليس لهم حظ من ملك الدنيا فإذا أى و لو فرض أنهم أعطوا ملك الدنيا لا يؤتون الناس نصيراً النقيض هو الخيط الرفيع الملتصق بظهر النواة. أى لا يعطونهم شيئاً زهيدا مهما بلغ فى الحقارة دلالة على

شَحَّهم و خَسَّاسَهُ نفوسهم. ٥٤- أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ... يعني: بل يحسدون الرسول و أهل بيته (ص) على ما تفضَّل سبحانه به عليهم من النبوة و الإمامة فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ أَى أعطينا محمداً، و أهل بيته- فهم آل إبراهيم- الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ أَى النبوة و العلم و الولاية وَ آتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا من افتراض طاعتهم على جميع الناس، أو ملك يوسف و داود و سليمان. ٥٥- فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ، وَ مِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ ... أَى فمن أهل الكتاب من صدَّق بمحمد (ص) و منهم من أعرض عنه و لم يؤمن. وَ كَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا يعنى يكفى لهؤلاء الكافرين عذاب جهنم نارا مضطربة متأججة. ٥٦- إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا ... إن الذين كذبوا أنبياءنا و جحدوا حججنا الواضحات سوف نطرحهم فى نار جهنم فى الآخرة لن يموتوا فيها بل كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ أَى احترقت يَدْلَنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا نَجِدُهَا بَأَن تَعُودَ إِلَى الْحَالَةِ التى كانت عليها لِيَذُقُوا الْعَذَابَ لِيَتَطَّعُوا أَلَمَ الْعَذَابِ من جديد إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا مر معناه. ٥٧- وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ... ذكرهم عزَّ و علا ليظهر الفرق بين هؤلاء و هؤلاء، فقال مستأنفا الكلام: و المصدقون بالله و رسوله العاملون بما أمر و المنتهون عما نهى عنه سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا مَرَّ شَرَحَهَا لَهُمْ فِيهَا أَرْوَاحٌ مُطَهَّرَةٌ لَهُمْ نَسَاءً مُطَهَّرَاتٍ من كل دنس و قذارة وَ نُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا أَى نجعلهم فى ظل دائم لا حرق فيه و لا برد كما هو شأن الظل فى الدنيا. ٥٨- إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا ... إن الله يأمركم أن تردوا كل أمانة إلى صاحبها سواء كانت لله و هى أوامره و نواهيه و تأديتها بإطاعته فيها أو للناس و قد ائتمنوكم عليها. وَ إِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ وَ هَذَا أَمْرٌ مَوْجِبٌ لِلْأَمْرَاءِ وَ الْحُكَّامِ وَ الْقَضَاةِ لِيَحْكُمُوا بِالْقِسْطِ بَيْنَ النَّاسِ وَ لِيَعَامِلُوهُمْ بِالسُّوِيَّةِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ وَ تَقْدِيرُ الْكَلَامِ: نعم شيئا يعظكم الله تعالى به، و هو العدل و أداء الأمانة إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا لَمَّا تَقُولُونَ بَصِيرًا بما تعملون. ٥٩- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ ... قرن الله سبحانه الأمر بإطاعة الرسول بالأمر بإطاعته للتنبيه على أن أوامره (ص) و نواهيه ملزمة كترك الواردة فى كتاب الله. وَ أُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ ثم قرن طاعته و طاعة رسوله أيضا بطاعة أولياء أوامره (ص) و نواهيه ملزمة كترك الواردة فى كتاب الله. وَ أُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ ثم قرن طاعته و طاعة رسوله أيضا بطاعة أولياء أمور الناس الذين هم آل محمد أَى الأئمة من أهل بيته صلوات الله عليهم أجمعين. فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ أَى إذا اختلفتم فى شىء من أمور الدين فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَ الرَّسُولِ يعنى ارجعوا فيه إلى الكتاب و السنة بسؤال من جعل القيم عليهما، و هو رسول الله (ص) فى حياته، ثم عترته و أوصياؤه الحافظون لشريعته من بعده. إِنَّ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ إيماننا صحيحا. ذَلِكَ يعنى: ذلك الرد إلى الله و رسوله و أولى الأمر خَيْرٌ من التنازع و الاختلاف و القول بالرأى و بحسب الشهوات وَ أَحْسَنُ تَأْوِيلًا أَى و أحمد عاقبه. اد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٩٣ ٦٠- أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا ... ألا تنظر- يا محمد- إلى الذين ادَّعَوْا أَنَّهُمْ صَدَّقُواك و آمنوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنَ الْقُرْآنِ وَ مَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ مِنَ التَّوْرَةِ وَ الْإِنْجِيلِ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ أَى أن يجعلوه حكما فى النزاع الذى قد ينشأ بين المسلمين و الكفار. و المقصود بالطاغوت هنا كعب بن الأشرف، فإنه قد اختلف مسلمون منافقون مع يهودى فدعا اليهودى المسلمين إلى محمد (ص) ليحاكمهم عنده، فقال المنافقون بل ندعوكم إلى كعب و هم يعلمون أنه ممن استرلهم الشيطان و أنه طاغوت جبار لا ينبغى التحاكم إليه. وَ قَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ أَى بالطاغوت الذى هو كعب و بكل طاغوت. وَ يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا وَ ينحرف بهم عن الحق. لأنه عرف فيهم النفاق و عرف أنهم من أتباعه. ٦١- وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أُنْزِلَ اللَّهُ وَ إِلَى الرَّسُولِ ... أَى و إذا قيل لهؤلاء المنافقين تعالوا لتحاكم طبق القرآن و ما يحكم به الرسول رَأَيْتَ يا محمد هؤلاء الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ أَظْهَرُوا الْإِيمَانَ بِكَ وَ أَبْطَنُوا النِّفَاقَ يَصِيدُونَ عَنْكَ صَيْدًا يَعْرِضُونَ عَنْكَ إِعْرَاضًا وَ يَحْمِلُونَ غَيْرَهُمْ عَلَى الْإِعْرَاضِ عَنْ الْحَقِّ. ٦٢- فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ ... أَى: فكيف تكون حالهم، و ما يصنعون إذا نالتهم من الله عقوبة و حلت بهم نكبة. بِمَا قَدَّمْتَ أَيْدِيَهُمْ أَى بسبب ما يفعلونه من النفاق و الصدَّ عنك ثُمَّ جَاؤُكَ يا محمد بعد وقوعهم بالشدة. يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ يَقْسُمُونَ الْإِيمَانَ بِاللَّهِ- كذبا و زورا إِنَّ أَرَدْنَا أَنَا مَا كُنَّا نُرِيدُ بِالتَّحَاكُمِ إِلَى غَيْرِكَ إِلَّا إِحْسَانًا وَ تَوْفِيقًا إِلَّا طَلَبًا لِلتَّوْفِيقِ فِيمَا بَيْنَنَا وَ تَخْفِيفًا عَنْكَ نَحْسِنُ إِلَيْكَ بِهِ، و إبعادا لك عما يثير الضغائن و الأحقاد ... ٦٣- أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ ... أولئك: إشارة إلى المنافقين الذين يعلم الله ما تنطوى عليه قلوبهم من النفاق

و الخيانة ممن فضحهم في الآيتين المتقدمتين. فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ لا تعاقبهم و أشح بوجهك عنهم و ذلك لمصلحته يعلمها الله. وَ عَظَّمَهُم بتخويفهم من الله وَ قُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ أَى فى حال خلوتك بهم إذ النصح فى السر أشد تأثيرا من القول جهرا. قَوْلًا بَلِيغًا أَى قولاً قويا مؤثرا فيهم قيل هو تخويفهم بالقتل بسبب جريمة نفاقهم عند إظهاره. ٦٤- وَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ ... أَى ما بعث الله نبيا إلّا ليكون مطاعا فيما يأمر به أو ينهى عنه بِإِذْنِ اللَّهِ أَى بأمر محتوم منه سبحانه. وَ لَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَلَوْ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ لَمَّا ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِالْإِغْلَاقِ تَابِينَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ طَلَبُوا أَنْ يَغْفِرَ لَهُمْ مَا بَدَرُ مِنْهُمْ مِنْ ظُلْمٍ وَ اسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ أَى و طلب الرسول المغفرة منه سبحانه لَوْحِدُوا اللَّهَ تَوَابًا رَحِيمًا أَى متفضلا عليهم بقبول التوبة، و بالرحمة ... ٦٥- فَلَا- وَ رَبِّكَ لَا- يُؤْمِنُونَ ... أَى: فو رَبِّكَ لَا يصيرون مؤمنين صادقين فيتخلوا عن خصلة النفاق التى تجرهم إلى الهلكة. حَتَّى يُحَكِّمُوكَ يُتْقَضُونَ إِلَيْكَ وَ يَرْضُونَ بِكُلِّ مَا تَحْكُمُ بِهِ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ أَى فى اختلافاتهم و ما التبس عليهم من الأحكام ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ أَى لا يحصل لهم ضيق مما حكمت به و لا تبرّم وَ يَسْلِمُوا تَسْلِيمًا وَ يَنَادُوا لِحُكْمِكَ انقيادا راضيا بظواهرهم و باطنهم. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٩٤ ٦٦- وَ لَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ ... أَى لو أوجبنا عليهم تخيرا قتل أنفسهم إما بتعريضها له فى حال الجهاد أو ترك ديارهم و أرضهم كما سبق و أوجبناهما على أسلافهم من بنى إسرائيل ما فَعَلُوا مَا فَعَلُوا مَا امْتَلَوْهُ وَ لَا نَعْدُوهُ. إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ باستثناء بعضهم اليسير من المؤمنين الطائعين وَ لَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ أَى لو أنهم عملوا ما يؤمرون به وَ تَمَشَّوْا مَعَ تَوْجِیْهِاتِكَ وَ نَصَائِحِكَ لَكُنْتَ خَيْرًا لَهُمْ لَكَانَتْ إِطَاعَتُكَ خَيْرًا لَهُمْ وَ أَشَدَّ تَثْبِيتًا أَى أقوى ثباتا لإيمانهم بحيث يصير إيماننا راسخا لا يزعه شىء. و قيل: أشد ثباتا على ولاية على (ع) لَأَنَّ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِيهِ. ٦٧- وَ إِذَا لَأَتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ... أَى فى حالة امتثال أوامرک و اتباع مواعظک کُنَّا نَعْطِيهِمْ مِنْ عِنْدِنَا أَجْرًا كَثِيرًا. ٦٨- وَ لَهْدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا وَ لَتَوَلَّيْنَا إِرْشَادَهُمْ إِلَى الطَّرِيقِ السَّوِيِّ. ٦٩- وَ مَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَ الرَّسُولَ ... أَى من يعمل بأوامر الله و أوامر رسوله فَأُولَئِكَ الْمُطِيعُونَ لَهُمَا، مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي الْجَنَّةِ وَ اغْدَقَ عَلَيْهِمْ مِنْ نِعْمَةِ الظَّاهِرَةِ وَ الْبَاطِنَةِ. وَ هُمْ مِنَ النَّبِيِّينَ أَى الرُّسُلِ الَّذِينَ بَعَثَهُمُ بِالنَّبُوَّةِ وَ الصِّدِّيقِينَ الْمَصْدَقِينَ لِرُسُلِنَا، وَ فِي كِتَابِ الْعِیُونَ عَنِ النَّبِیِّ (ص): لِكُلِّ أُمَّةٍ صَدِيقٌ، وَ صَدِيقُ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَ فَارُوقُهَا عَلِیُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ. وَ الشُّهَدَاءُ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي الْجِهَادِ وَ الصَّالِحِينَ الَّذِينَ صَلَحَ ظَاهِرُهُمْ وَ بَاطِنُهُمْ. وَ حَسَنٌ أُولَئِكَ رَفِيقًا وَ نِعْمَ الرَّفَاقُ هُمْ فِي الْآخِرَةِ ... ٧٠- ذَٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ ... ذَٰلِكَ: إِشَارَةٌ إِلَى مُرَافَقَةِ الْمَذْكُورِينَ فِي الْجَنَّةِ مَا تَفَضَّلَ بِهِ سُبْحَانَهُ عَلَى الْمُطِيعِينَ وَ كَفَى بِاللَّهِ يَكْفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا عَارِفًا بِالْمُطِيعِ وَ الْعَاصِیِ وَ الْمُؤْمِنِ وَ الْمُنَافِقِ. ٧١- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ ... خُطَابٌ لِلْمُؤْمِنِينَ: احذروا عدوكم بأخذ السلاح دائما فَانْفِرُوا أَى هَبُوا إِلَى الْجِهَادِ ثَبَاتٍ أَى فرقه بعد فرقه أَوْ انْفِرُوا جَمِيعًا أَى أَوْ تَوَجَّهُوا إِلَيْهِ مُجْتَمِعِينَ ... ٧٢- وَ إِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ ... وَ إِنْ مِنْ عِدَادِكُمْ أَيْهَا الْمُؤْمِنُونَ مُنَافِقِينَ يَتَشَاوَلُونَ عَنِ الْخُرُوجِ مَعَ النَّبِیِّ (ص) لِلْجِهَادِ وَ يَبْطِئُونَ غَيْرَهُمْ عَنِ الْجِهَادِ أَيْضًا. فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ أَى حَلَّتْ بِكُمْ كَارِثَةٌ كَهَزِيمَةٍ أَوْ قَتْلٌ قَالَ الْمُنَافِقُ الْمُبْطِئُ: قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ شَمَلْتَنِي رَحْمَتُهُ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا أَى حَاضِرًا فِي الْحَرْبِ فَيَصْنَعُ مَا أَصَابَهُمْ مِنَ الْقَتْلِ أَوْ الْهَزِيمَةِ .. ٧٣- وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ ... أَى غَنِيمَةٌ أَوْ نَصْرٌ لَيَقُولَنَّ ذَٰلِكَ الْمُنَافِقُ الْمُبْطِئُ كَأَنَّ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَقُولُ بِتَحْسِيرٍ مِنْ بَابِ حَدِيثِ النَّفْسِ: كَأَنَّهُ لَمْ تَكُنْ بَيْنِي وَ بَيْنَ هَؤُلَاءِ مُحَبَّةً وَ صَدَاقَةً. يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ أَتَمْنَى لَوْ كُنْتُ رَافِقَهُمْ فِي خُرُوجِهِمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا أَى أُرْبِحَ رِبْحًا كَثِيرًا مِنْ غَنَائِمِ الْحَرْبِ وَ السَّمْعَةِ بَيْنَ النَّاسِ. ٧٤- فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ ... أَى فليجاهد فى سبيل الدين الذين يبتغون بيع الدنيا الفانية بالآخرة الباقية وَ مَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلْ أَى مَنْ يَجَاهِدُ فِي سَبِيلِ دِينِ اللَّهِ فَيَسْتَشْهَدُ أَوْ يُغْلِبُ أَى يَنْتَصِرُ، فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ نِعْمَةً فِي الْآخِرَةِ أَجْرًا عَظِيمًا ثَوَابًا كَثِيرًا. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٩٥ ٧٥- وَ مَا لَكُمْ ... أَى: وَ أَى عذر لكم- فى هذه الحال من كرامة الشهداء و المجاهدين- لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ إِعْزَازِ دِينِهِ وَ الْمُشْتَغَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَ النِّسَاءِ وَ الْوِلْدَانِ أَى فى سبيل المستضعفين قيل: بأنهم جماعة من المسلمين بقوا فى مكة بعد الهجرة لحمايتهم و الذب عنهم، الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ أَى نَجِّنَا بِالْخُرُوجِ مِنْ مَكَّةِ الظَّالِمِ أَهْلِهَا التِّى ذَقْنَا مَرَارَةً ظَلَمَ أَهْلُهَا مِنْ كُفْرِهِ قَرِيشَ، وَ اجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا أَى من عندك من يتولى شؤوننا

وَأَجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصْرًا أَي ناصرا. ٧٦- الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ... فالمؤمنون يقاتلون الكفرة في السبيل التي توصلهم إلى مرضاه الله وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ أَي في السبيل التي توصلهم إلى إرضاء الشيطان فَقَاتِلُوا أَيها المؤمنون أولياء الشَّيْطَانِ أَتباعه و أشياعه، ف إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا أَي أن مكروه ضعيف. ٧٧- أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ ... ألا تنظر يا محمد إلى من قيل لهم في مكة قبل الهجرة امتنعوا عن قتال الكفار وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ أَي أدوا ما سوى القتال مما فرض عليكم من الصلاة و الزكاة المفروضة. فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ أَي فرض عليهم بعد الهجرة في المدينة إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ اللَّهَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ يَخَافُونَ الْقَتْلَ مِنَ الْكُفَّارِ كَمَا يَخَافُونَ الْمَوْتَ مِنَ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً أَوْ: هنا بمعنى بل، وقالوا معترضين- فيما بينهم و بين أنفسهم- على فرض القتال عليهم. رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لِمَاذَا أَوْجَبْتَ عَلَيْنَا الْجِهَادَ لَوْ لَا أَخَّرْتَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِلَى أَجَلٍ وَقْتُ مُؤَخَّرٍ لَوْ قَرِيبٌ غَيْرَ بَعِيدٍ! قُلْ يَا مُحَمَّد: مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ أَي أن ما فيها من نعم قليل بالنسبة لنعم الآخرة وَ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَ مَا فِيهَا لِمَنِ التَزَمَ تَقْوَى اللَّهِ وَ تَجَنَّبَ مَعَاصِيهِ، وَ لَا تُظَلِّمُونَ فِتْنًا وَ لَا يَصِيْبُكُمْ ظَلَمٌ حَتَّى لَوْ بَلَغَ مِثْلَ الْقَيْلِ الَّذِي هُوَ الْقَشْرُ الرَقِيقُ الَّذِي يَكُونُ فِي بَطْنِ النَّوَاءِ لِأَنَّهُ كَالْخِيطِ الْمَفْتُولِ. ٧٨- أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ ... يعني أن الموت يلحق بكم أينما تكونون، حَتَّى وَ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ أَي في حصون مُشَيَّدَةٍ قَوِيَةٍ مُحْكَمَةِ الْبِنَاءِ ... وَ إِنَّ نَصْرَهُمْ حَسَنَةٌ أَي نعمه و نماء يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يَعْدُونَهَا تَفْضُلًا مِنَ اللَّهِ وَ مِنْهُ وَ إِنَّ تَصِبُّهُمْ سَيِّئَةٌ أَي ما يسوؤهم كالجذب و القحط يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ يَا مُحَمَّد قُلْ يَا مُحَمَّد: كُلُّ مَنْ عِنْدَ اللَّهِ أَي كلا- الأمرين الخصب و القحط من عند الله فَمَا لَهُؤُلَاءِ الْقَوْمُ مَا بَالُ هَؤُلَاءِ الْجَمَاعَةِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا كَأَنَّهُمْ لَا يَفْهَمُونَ قَوْلًا ... ٧٩- مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ... خطاب للأمة عبر النبي (ص) أَي إن كل ما يصل إليك من نعم دينية و دنيوية فهي من الله وَ مَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ يَعْنِي مَا لَحِقَ بِكَ مِمَّا يَسُوؤُكَ فَمِنْ نَفْسِكَ أَي من عندك و تسببت إليها باختيارك وَ أَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا بَعَثْنَاكَ لِلخَلْقِ نَبِيًّا مَفْتَرِضَ الطَّاعَةِ وَ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا عَلَى رِسَالَتِكَ وَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٩٦ ٨٠- مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ... لأن إطاعته سبحانه مقرونة بإطاعة رسوله. و على كل عاقل أن يدرك ذلك و يعيه، لأننا ما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله. وَ مَنْ تَوَلَّى أَي و من أعرض عن هذا القول، و عصى و صَعَرَ بَخْده. فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيفًا فَلَمْ نَبْعَثْكَ حَافِظًا لَهُمْ مِنَ الْإِعْرَاضِ حَتَّى يَسْلَمُوا. أَوْ لَتَحْفَظْ عَلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ وَ تَحَاسِبَهُمْ وَ إِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَ عَلَيْنَا الْحِسَابُ. ٨١- وَ يَقُولُونَ طَاعَةٌ ... يعني إذا أمرتهم بأمر يظهر الطاعة و الامتثال، فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ أَي خرجوا بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ أَي دَبَّرُوا فِي اللَّيْلِ خِلَافَ مَا يَقُولُونَ مِنْ طَاعَتِكَ وَ اللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُيْتُونَ فَهُوَ سَبْحَانَهُ يَسْجَلُ فِي صَحَائِفِهِمْ مَا يَدَبَّرُونَ مِنَ الْخِلَافِ لِيَجَازِيَهُمْ بِهِ فَاعْرِضْ عَنْهُمْ انصرف بوجهك عنهم وَ تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَوْضَ أَمْرِكَ إِلَيْهِ وَ كَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا عَنكَ، يكفيك شرهم و ما يبيتون. ٨٢- أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ ... أما يتأملون في معاني القرآن و ما فيه من مواعظ و تهديد و وعد و وعيد و حكم و أمثال و تشريع، و يتبصرون بما يحوى من كشف لسرائرهم الخبيثة، و يرون ما اشتمل عليه من إعجاز و بلاغة و قوة تذهب بأحلامهم فيعتبرون بأنه الكتاب الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه. وَ لَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ أَي من تصنيفك أو تأليف غيرك من البشر لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا يَظْهَرُ فِي تَنَاقُضِ الْمَعَانِي وَ اخْتِلَافِ الْمَوَاضِعِ وَ تَبَايُنِ الْأَحْكَامِ. و يبدو في اختلال النظم و في خطأ سرد الأحكام أو في الخروج عن حدود الفصاحة و البلاغة. ٨٣- وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ ... يعني أن هؤلاء المنافقين أو ضعفة المسلمين إذا ورد عليهم خبر عن تحركات العدو و هو الخوف أو عن ظهور المؤمنين على عدوهم و هو الأمن أَدَاْعُوا بِهِ نَشْرَهُ وَ أَعْلَنُوهُ وَ لَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ أَي لو رجعوا إليه لأخذ رأيه (ص) وَ إِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ أَي أئمتهم و أصحاب الرأي فيهم لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ أَي أئمتهم و أصحاب الرأي فيهم لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ أَي عرف أولو الأمر كيف يستخرجون وجه الصواب فيه وَ لَوْ لَا- فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ يَعْنِي لَوْ لَمْ تَكُنْ رَحْمَةُ اللَّهِ وَ فَضْلُهُ الْعَمِيمُ شَامِلِينَ لَكُمْ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ فِي الْكُفْرِ وَ فِي كُلِّ مَا يُوَسَّوْسُ بِهِ لَكُمْ إِلَّا قَلِيلًا سِوَى الْقَلِيلِينَ مِنْ أَهْلِ الْبَصَائِرِ. ٨٤- فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ... يا محمد جاهد الكفار و المشركين لا- تُكَلِّفُ إِلَّا نَفْسَكَ أَي لست بمسؤول إلا عن نفسك وَ حَرَّضَ الْمُؤْمِنِينَ حَتَّمَهُ عَلَى الْقِتَالِ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ

بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَهُمْ قَرِيشٌ، فَعَسَى أَنْ يَمْنَعَ قُوَّتُهُمْ وَتَجِيئَهُمْ لِحَرْبِكِ. وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنَكُّلًا أَى أَكْثَرُ قُوَّةً وَأَقْوَى عَذَابًا. ٨٥- مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا ... مَنْ يَدْفَعُ عَنْ مُسْلِمٍ شَرًّا أَوْ يُوَصِّلُ لَهُ نَفْعًا. كَانَ لَهُ حِطٌّ مِنَ الثَّوَابِ عَلَى شَفَاعَتِهِ بِأَخِيهِ وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً عَكْسَ تِلْكَ يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا أَى نَصِيبٌ مِنْ وَزْرِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا أَى حَفِيزًا وَقَادِرًا. ٨٦- وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا ... أَى إِذَا أُلْقِيَ عَلَيْكُمْ سَلَامٌ مِنْ مُؤْمِنٍ فَارْجِعُوا عَلَيْهِ بِأَحْسَنَ مِمَّا قَالَ. أَوْ رُدُّوْهُمَا أَى بِمِثْلِ مَا قَالَ هَذَا دَلِيلٌ عَلَى وَجوب رد السلام على المسلم. إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا أَى مُحَاسِبًا بِدَقَّةٍ. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٩٧ ٨٧- اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ... مِنْ مَعْنَاهُ وَجَمَلُهُ (لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ) إِمَّا خَبَرُ الْمُبْتَدَأِ-اللَّهُ- وَإِمَّا عَرَضٌ، وَخَبَرُ: لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَى: لِيَحْشُرَنَّكُمْ جَمِيعًا إِلَى مَوْقِفِ الْحِسَابِ بِالتَّأَكِيدِ لَا رَيْبَ فِيهِ لَا شَكَّ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا أَى خَبْرًا وَوَعْدًا لَا خَلْفَ فِيهِ. وَالاسْتِفْهَامُ هُنَا إِنْكَارٌ يَعْنِي: لَيْسَ أَصْدَقُ مِنْهُ سُبْحَانَهُ حَدِيثًا وَلَا أَحَدٌ أَصْدَقُ مِنْهُ خَبْرًا. ٨٨- فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ، فَتَنَيْنَ ... أَى مَا لَكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ انْقَسَمْتُمْ فِي أَمْرِ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ فَرَقْتَيْنِ وَلَمْ تَتَّفِقُوا عَلَى كُفْرِهِمْ. وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا إِذْ رَدَّهُمْ إِلَى حَكْمِ الْكُفَرِ بِمَا أَظْهَرُوا مِنَ الْكُفْرِ أُرِيدُونَ أَنْ تَهْذَبُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ أَى: أُرْتَغَبُونَ- أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ- فِي الْحَكْمِ بِهَدَايَةِ مَنْ حَكَّمَ اللَّهُ بِضَلَالِهِ قِيلَ نَزَلَتْ فِي قَوْمٍ قَدَمُوا إِلَى الْمَدِينَةِ مِنْ مَكَّةَ ثُمَّ رَجَعُوا إِلَيْهَا وَمِنْهَا ذَهَبُوا إِلَى الْيَمَامَةِ بِبُضَائِعٍ لِلْمُشْرِكِينَ فَاخْتَلَفَ الْمُسْلِمُونَ فِي جَوَازِ غَزْوِهِمْ وَقِتَالِهِمْ. وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا فَالضَّالُّ لَا تَجِدُ طَرِيقَهُ لَجَعَلَهُ مِنَ الْمُهْتَدِينَ. ٨٩- وَذُؤُوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا ... يَعْنِي: تَمَنُّوا أَنْ تَكْفُرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَتَكُونُوا سَوَاءً أَى تَسْتَوُونَ مَعَهُمْ فِي الْكُفْرِ فَلَا- تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ أَى: لَا تَتَوَلَّوْهُمْ وَلَوْ أَظْهَرُوا الْإِيمَانَ حَتَّى يُهَاجِرُوا أَى يَخْرُجُوا مِنْ دَارِ الشَّرْكِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَطَرِيقِ التَّوْبَةِ وَتَعْلَى كَلِمَتُهُ. فَإِنْ تَوَلَّوْا عَنْ الْهَجْرَةِ فِي سَبِيلِ الدِّينِ فَخُذُوهُمْ أَى اقْبِضُوا عَلَيْهِمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ أَى: اقْتُلُوهُمْ أَيْنَ مَا أَصَبْتُمُوهُمْ فِي الْحِلِّ وَالْحَرَمِ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا أَى صَاحِبًا مِنْهُمْ وَلَا نَصِيرًا أَى مَعِينًا. ٩٠- إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ ... اسْتَشْنَى سُبْحَانَهُ مِنَ الْأَمْرِ لِقَاتِلِ الَّذِينَ لَا يَهَاجِرُونَ عَنْ أَرْضِ الشَّرْكِ مَنْ اتَّصَلَ مِنْهُمْ بِقَوْمٍ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمُسْلِمِينَ عَهْدٌ بِحَلْفٍ أَوْ جَوَارٍ فَلَا- يَجُوزُ حِينَئِذٍ قِتَالُهُمْ كَحَرَمَةِ قِتَالِ الْمُسْلِمِينَ لَمَنْ دَخَلُوا مَعَهُمْ هَمَّ بِعَهْدٍ. أَوْ جَاءُوكُمْ حَصْرًا صُدُّوهُمْ أَى ضَاقَتْ صُدُورُهُمْ. وَهَذَا اسْتِثْنَاءٌ آخَرٌ عَنِ الْأَمْرِ بِالْقِتَالِ أَنْ يُقَاتِلُوَكُمْ مَعَ قَوْمِهِمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ مَعَكُمْ وَهَذَا وَمَا بَعْدَهُ نَسْخٌ بِأَيِّ السِّيفِ. وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ وَهَذَا إِخْبَارٌ عَنْ مَقْدُورِهِ تَعَالَى، فَلَوْ أَرَادَ فَإِنَّهُ يَفْعَلُ وَيَجْعَلُهُمْ يُقَاتِلُونَكُمْ. وَلَكِنَّهُ لَمْ يَشَأْ بَلْ قَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ .. فَإِنْ اغْتَرَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوَكُمْ أَى هَاتَانِ الْفِتْنَتَانِ اللَّتَانِ اسْتِثْنَاهُمَا مِنَ الْأَمْرِ بِالْقِتَالِ إِذَا كَفَرُوا عَنْكُمْ وَكَفَرُوا عَنْكُمْ وَالْقَوَا إِلَيْكُمْ السَّلَامُ يَعْنِي اسْتَسْلَمُوا وَانْقَادُوا لَكُمْ وَصَالِحُكُمْ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا فَمَا أَذِنَ لَكُمْ فِي أَخْذِهِمْ وَقَتْلِهِمْ ... ٩١- سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ ... بِإِظْهَارِهِمُ الْإِسْلَامَ قِيلَ: نَزَلَتْ فِي جَمَاعَةٍ كَانُوا يَأْتُونَ النَّبِيَّ (ص) فَيَسْلُمُونَ رِبَاءً ثُمَّ يَعُودُونَ إِلَى قَرِيشَ وَيَرْتَدُونَ إِلَى عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ يَتَّبِعُونَ مِنْ ذَلِكَ أَنْ يَأْمَنُوا جَانِبَ الْمُسْلِمِينَ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ بِإِظْهَارِ مَوَافَقَتِهِمْ لَهُمْ فِي كُفْرِهِمْ. كُلُّهُمْ رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكَسُوا فِيهَا أَى كُلُّهُمْ دُعُوا إِلَى الْعُودَةِ إِلَى الشَّرْكِ رَجَعُوا فَإِنْ لَمْ يَغْتَرَلُوكُمْ يَعْنِي إِذَا لَمْ يَدْعُوا قِتَالَكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمْ السَّلَامَ وَلَمْ يَصَالِحُوكُمْ وَكَفُّوا أَيْدِيَهُمْ يَقْبِضُوهَا عَنْ قِتَالِكُمْ فَخُذُوهُمْ أَى اقْبِضُوا عَلَيْهِمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقِفْتُمُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ أَيْنَ وَجَدْتُمُوهُمْ وَأُولَئِكَ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا أَى جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ حُجَّةً ظَاهِرَةً فِي الْقِتَالِ. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٩٨ ٩٢- وَمَا كَانَ لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً ... الْخَطَأُ خِلَافُ الصَّوَابِ. وَهِيَ فِي مَحَلِّ اسْتِثْنَاءٍ مُنْقَطِعٍ مِنَ الْأَوَّلِ. يَعْنِي: مَا أَذِنَ اللَّهُ تَعَالَى وَلَا أَبَاحَ لِمُؤْمِنٍ فِيمَا عَهْدَ إِلَيْهِ فِي شَرْعِهِ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا، إِلَّا عَنْ غَيْرِ عَمْدٍ وَخَطَأً فِي هَذَا الْمَوْرِدِ هُوَ أَنْ يَرِيدَ شَيْئًا فَيَصِيبُ غَيْرَهُ، كَمَا يَجْرِي أَثْنَاءَ الصَّيْدِ مَثَلًا. وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَعَلِيهِ إِعْتَاقُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ مِنْ مَالِهِ خَاصَّةً عَلَى وَجْهِ الْكَفَّارَةِ وَكَحَقِّ اللَّهِ سُبْحَانَهُ. وَعَلَيْهِ أَيْضًا وَعَلَى عَاقِلَتِهِ دِيَّةٌ ثَمَنُ دَمٍ مُسَلِّمَةٍ إِلَى أَهْلِهِ مَدْفُوعَةٌ إِلَى أَهْلِ الْقَتِيلِ تَامَةً غَيْرَ مَنْقُوصَةٍ تَدْفَعُ إِلَيْهِمْ بِحَسَبِ انْصِبِهِ وَرِثَتِهِ. إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا يَعْنِي إِلَّا أَنْ يَتْرَكَهَا الْوَرِثَةُ صَدَقَهُ عَلَى الْقَاتِلِ وَعَاقِلَتِهِ فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ أَى إِنْ كَانَ الْقَتِيلُ مِنْ جَمَاعَةٍ يَنَاصِبُونَكُمْ الْخُصُومَةَ وَالْحَرْبَ وَلَكِنَّهُ فِي نَفْسِهِ مُؤْمِنٌ وَلَمْ يَعْرِفْ قَاتِلَهُ بِإِيمَانِهِ فَقَتَلَهُ ظَنًّا بِشَرِّهِ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ يَجِبُ عَلَيْهِ إِعْتَاقُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ كَفَّارَةً، وَلَيْسَ عَلَيْهِ دِيَّةٌ وَعَنْ

ابن عباس و قتاده و السرى و غيرهم لأن أهله كفار و هو مؤمن و الكافر لا يرث المؤمن. وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَى عَهْدٌ وَ ذِمَّةٌ وَ هُم لَيْسُوا بِحَرْبٍ لَكُمْ فَدِيَّةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ تَجِبُ عَلَى عَاقِلِهِ قَاتِلُهُ وَ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ كِفَارُهُ لِقَاتِلِهِ. وَ هَذَا هُوَ الْمَرْبُوعُ عَنِ الصَّادِقِ (ع) وَ قَدْ اخْتَلَفُوا فِي كَوْنِ الْمَقْتُولِ كَافِرًا أَوْ مُؤْمِنًا، فَقِيلَ إِنَّهُ كَافِرٌ وَلَكِنْ دِيَّتُهُ تَلْزِمُ قَاتِلَهُ بِسَبَبِ الْعَهْدِ وَ الذِّمَّةِ الَّتِي لِقَوْمِهِ مَعَ الْمُسْلِمِينَ وَ إِنْ كَانَ أَهْلُهُ كُفَرَاءً، كَمَا عَنْ الْحَسَنِ وَ إِبْرَاهِيمَ، وَ هُوَ أَيْضًا رَأَى أَصْحَابَنَا، إِلَّا أَنَّهُمْ قَالُوا: تُعْطَى دِيَّتُهُ لَوَرِثَتِهِ الْمُسْلِمِينَ دُونَ الْمُشْرِكِينَ. فَمَنْ لَمْ يَجِدْ أَى لَمْ يَقْدِرْ عَقْدُ الرِّقْبَةِ لِعَدَمِ وَجُودِهَا أَوْ لِعَدَمِ وَجُودِ ثَمَنِهَا فَصَّيَّامٌ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ فَعَلِيهِ وَجُوبُ صِيَامِهِمَا مُتَصِلَيْنِ تَوْبَتُهُ مِنَ اللَّهِ يَعْنِي لِيَتُوبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَ كَانَ اللَّهُ عَلَيْهِ حَكِيمًا مَرَّعًا. ٩٣- وَ مَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا ... أَى مِنْ قَتْلِ الْمُؤْمِنِ عَنْ قَصْدٍ عَالِمًا بِإِيمَانِهِ وَ حَرَمَةِ قَتْلِهِ وَ عَصَمَتِهِ دَمِهِ. فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا: أَى مُقِيمًا أَبَدًا وَ غَضَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ سَخَطَ عَلَيْهِ وَ لَعَنَهُ طَرْدَهُ مِنْ رَحْمَتِهِ وَ أَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا هِيَ لَهُ. وَ لَا فَرْقَ بَيْنَ الْقَتْلِ بِالسَّلَاحِ أَوْ الْخَنْقِ أَوْ الْحَرْقِ أَوْ الْإِغْرَاقِ أَوْ الضَّرْبِ حَتَّى الْمَوْتِ، وَ الْدِيَّةُ هُنَا تَلْزِمُ الْقَاتِلَ خَاصَّةً فِي مَالِهِ دُونَ الْعَاقِلَةِ. وَ فِي الْآيَةِ وَعِيدٌ شَدِيدٌ لِمَنْ يَقْتُلُ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا. ٩٤- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ... أَى سَافَرْتُمْ فِي جِهَادٍ وَ غَزَوْ فَتَبَيَّنُوا أَى مِيزُوا بَيْنَ الْكَافِرِ وَ الْمُؤْمِنِ حَتَّى تَشْتَبُوا مِنْ إِيْمَانِهِ أَوْ كَفَرِهِ قَبْلَ قَتْلِهِ. وَ لَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ أَى حِيَاكُم بِتَحِيَّةِ الْإِسْلَامِ، أَوْ مِنْ اسْتَسْلَمَ لَكُمْ كَلِمَةً مُؤْمِنًا أَى لَيْسَ إِيْمَانُكُمْ صَحِيحًا وَ لَكُنْكَ خَفْتُ مِنَ الْقَتْلِ تَبَيَّنُوا أَى تَطْلُبُونَ بِذَلِكَ. عَرَضَ الْحَيَاءُ الدُّنْيَا يَعْنِي الْغَنِيمَةُ فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ أَى أَنْ فِي مَقْدُورِهِ نَعَمٌ كَثِيرَةٌ لِمَنْ أَطَاعَهُ كَذَلِكَ كُنتُمْ مِنْ قَبْلُ قِلٌّ فِي مَعْنَاهُ: كَذَلِكَ كُنتُمْ أَنتُمْ مُسْتَخْفِينَ بِإِيْمَانِكُمْ خَوْفًا مِنْ قَوْمِكُمْ وَ حَذَرًا عَلَى أَنْفُسِكُمْ. فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ بِإِظْهَارِ دِينِهِ حَتَّى أَظْهَرْتُمْ فَتَبَيَّنُوا كَرَّهَا سُبْحَانَهُ لِلتَّكِيدِ بَعْدَ مَا طَالَ الْكَلَامُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ أَى لَمْ يَزَلْ بِمَا تَعْمَلُونَ تَفْعَلُونَ خَيْرًا عَلِيمًا قَبْلَ أَنْ تَعْلَمُوهُ. إِرْشَادُ الْأَذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ٩٩-٩٥ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَ الْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ ... أَى إِنْ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَتَخَلَّفُونَ عَنِ الْجِهَادِ لَا يَتَعَادَلُونَ مَعَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْ أَهْلِ الْإِيْمَانِ بِأَمْوَالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ، لِإِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ إِلَّا مِنْ قَعْدٍ عَنِ الْجِهَادِ لَعَلَّ فِي الْجِسْمِ أَوْ غَيْرِهِ. فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ مِيزَهُمْ وَ أَعْطَاهُمْ دَرَجَةً أَى مَنَزَلَةً أَعْلَى وَ كُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسَيْنِي الْجَنَّةَ. وَ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا بِدَلِيلِ مَا نَوَّهَ بِهِ مِنَ الدَّرَجَاتِ فِيمَا يَلِي: ٩٦- دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَ مَغْفِرَةً وَ رَحْمَةً ... دَرَجَاتٍ، أَى: مَنَازِلَ كَرَامَةٍ بَعْضُهَا أَعْلَى مِنْ بَعْضٍ لَا يَشُوبُ نَعِيمُهَا غَمٌ لِمَكَانِ غَفَرَانَ اللَّهِ لِدُنُوبِهِ وَ شَمُولِهِ بِرَحْمَتِهِ وَ كَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا لَمْ يَزَلْ عَفْوًا عَنْ عِبَادِهِ، مُتَفَضِّلًا عَلَيْهِمْ. ٩٧- إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ ... أَى تَقْبِضُ الْمَلَائِكَةُ أَرْوَاحَهُمْ فِي حَالِ هُمْ ظَالِمُونَ لَأَنْفُسِهِمْ حَيْثُ بَخَسُوهَا حَقَّهَا بِكُفْرِهِمْ فَجَلَبُوا لَهَا الْعِقَابَ، وَ حَرَمُوا مِنْ الثَّوَابِ قَالُوا أَى الْمَلَائِكَةُ اسْتَهْزَأَ فِيمَ كُنتُمْ أَى فِي أَى شَيْءٍ كُنتُمْ مِنْ دِينِكُمْ قَالُوا يَقْصِدُ الظَّالِمِينَ لَأَنْفُسِهِمْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ اسْتَضَعَفْنَا أَهْلَ الشَّرْكِ بِاللَّهِ فِي أَرْضِنَا فَحَالُوا بَيْنَنَا وَ بَيْنَ الْإِيْمَانِ. قَالُوا الْمَلَائِكَةُ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا؟ أَى فَتَخْرُجُوا مِنْ أَرْضِكُمْ إِلَى غَيْرِهَا وَ تَفَارِقُوا مِنْ إِيْمَانِكُمْ بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ. فَأُولَئِكَ مَا وَاهُمْ جَهَنَّمُ فَأُولَئِكَ الظَّالِمُونَ مَسْكَنُهُمْ جَهَنَّمُ وَ سَاءَتْ أَى كَانَتْ سُوءَ مَصِيرًا أَى مُحَلًّا يَصِيرُ إِلَيْهِ أَهْلُهَا. ٩٨- إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَ النِّسَاءِ وَ الْوِلْدَانِ ... أَى هَؤُلَاءِ الَّذِينَ اسْتَضَعَفَهُمُ الْمُشْرِكُونَ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَ لَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا فَهُمْ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى الْخُرُوجِ مِنْ مَكَّةَ مِنْ بَيْنِ الْمُشْرِكِينَ لِقَلَّةِ سَعِيهِمْ، وَ لَجْهَلِهِمْ بِالطَّرِيقِ ٩٩- فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَغْفُو عَنْهُمْ فَلَعَلَّهُ يَغْفِرُ لَهُمْ وَ كَانَ اللَّهُ غَفُورًا أَى لَمْ يَزَلْ ذَا صَفْحٍ عَنْ ذُنُوبِ عِبَادِهِ بِفَضْلِهِ غُفُورًا سَاتِرًا لِدُنُوبِهِمْ. ١٠٠- وَ مَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعًا كَثِيرًا وَ سَعَةً ... أَى وَ مَنْ يَفَارِقْ أَهْلَ الشَّرْكِ وَ يَفِرْ مِنْ وَطَنِهِ بِدِينِهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُتَحَوِّلًا مِنَ الْأَرْضِ وَ فَرَجًا وَ رِزْقًا وَاسِعًا. وَ مَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَ رَسُولِهِ أَى يَفِرْ بِدِينِهِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ أَى يَحِلُّ الْمَوْتُ سَاحَتِهِ قَبْلَ بُلُوغِهِ أَرْضَ الْإِسْلَامِ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ أَى أَخَذَ اللَّهُ عَلَى نَفْسِهِ أَنْ يُعْطِيَهُ ثَوَابَ هِجْرَتِهِ إِلَيْهِ. وَ كَانَ اللَّهُ غُفُورًا رَحِيمًا مَرَّعًا. ١٠١- وَ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَى: حَرْجٌ أَوْ أَثْمٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ بِأَنْ تَجْعَلُوا الرَّبَاعِيَّةَ رَكْعَتَيْنِ فِي حَالِ الْأَمْنِ. إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا أَى خِفْتُمْ فَتْنَتَهُمْ لَكُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ فِي دِينِكُمْ. وَ قِيلَ أَنْ يَقْتُلُوكُمْ. إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عِدُوًّا مُبِينًا ظَاهِرَ الْعِدَاوَةِ وَ بِهَذَا شَرَعَتْ صَلَاةُ الْخَوْفِ وَ بَيَانُهَا فِي

قوله تعالى: إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ١٠٠ ١٠٢- وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ ... شرع سبحانه بيان كيفية صلاة الخوف فقال لرسوله (ص): يا محمد إذا كنت في أصحابك الخائفين من عدوهم حين الضرب في الأرض فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ بتمام حدودها، و أنت تؤمهم فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أى قسم منهم يقف معك في الصلاة و ليق الباقون مترصدين للعدو و لِيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ أى ليتقلد المصلون أسلحتهم تأهباً لما قد يحدث. فَإِذَا سَجَدُوا يعنى فرغوا من سجودهم للركعة الأولى فَلْيَكُونُوا أى المصلين الذين اختتموا هذه الركعة مِنْ وَرَائِكُمْ فليصبروا بعد فراغهم وراءكم مواجهين للعدو و متيقظين كحال الطائفة الأولى من أصحابهم الذين و بعد انهاءهم الركعة الأولى يتمون ركعة ثانية و يتشهدون و يسلمون و الامام قائم في الركعة الثانية و هى في مواقف أصحابهم في مقابلة العدو فى حين يجيء الآخرون و يستفتحون الصلاة و يصلى بهم الامام الركعة الثانية فحسب ثم يطيل تشهده حتى يقوموا فيصلوا بقیة صلاتهم التى هى ركعتان. وَ لَتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يَصِلُوا و هم الذين كانوا فى مواجهة العدو فَلْيَصَلُوا مَعَكَ و لِيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ و أَسْلِحَتَهُمْ كما فعلت الطائفة الأولى وَ الَّذِينَ كَفَرُوا أى تمناؤا لَوْ تَغْفُلُونَ تعتزلون عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ تشتغلون عنها و عَنْ أَمْعِيَّتِكُمْ التى بها بلاغكم فى أسفاركم فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً أى يحملون عليكم حملة واحدة. وَ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أى لا حرج عليكم إِنْ كَانَ بِكُمْ أذى مِنْ مَطَرٍ داهمكم و أنتم وجهاً لوجه مع العدو أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى يعنى معلولين أو جرحى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ أى تلقوها عنكم إذا ضعفتم عن حملها. وَ اخذوا حِذْرَكُمْ احتسروا من العدو كى لا يباغتكم إِنْ اللَّهُ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُهِيناً هيا لهم عذاباً مذللاً مخزياً ...

١٠٣- فَإِذَا قُضِيَتْ الصَّلَاةُ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ... أى إذا فرغتم من الصلاة أيها المؤمنون و أنتم فى مواجهة أعدائكم، فادكروا الله على كل حال قياماً وقعوداً و مضطجعين فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ أى إذا اطمأننتم بزوال خوفكم من الأعداء فأتوا حدود الصلاة، و قيل: إنكم إذا استقرتكم فى أوطانكم فأتوا الصلاة، و قيل: إنكم إذا استقرتكم فى أوطانكم فأتوا الصلاة، و هو بعيد، لأنه سبحانه يتكلم هنا عن صلاتى القصر و الخوف. إِنْ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَوْقُوتًا: أى إِنْ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ واجبة مفروضة. ١٠٤- وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ ... و لا تضعفوا أيها المؤمنون فى طلب القوم الذين هم أعداء الله و رسوله و محاربتهم إِنْ تَكُونُوا تَأْلُمُونَ تتوجعون، فَإِنَّهُمْ يَأْلُمُونَ كَمَا تَأْلُمُونَ فَإِنَّ الْمَشْرِكِينَ يتوجعون من جراحهم كما تتوجعون. وَ تَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ و لكن يوجد فرق بينكم و بينهم هو أنكم تأملون من الله ما لا يأملون من الظفر بهم فى الدنيا و الثواب فى الآخرة. وَ كَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً مر معناه. ١٠٥- إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ... إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ يا محمد القرآن ناطقاً بحق الله على عباده لِيَتَحَكَّمَ بَيْنَ النَّاسِ تفصل بينهم بما أراك الله أعلمك و عرفك و لَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيماً نهى عن أن يدافع عن مسلم أو معاهد خان حقاً من حقوق الناس عليه. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ١٠١ ١٠٦- وَ اسْتَغْفِرِ اللَّهَ أَمْرٌ إِلَى الْأُمَةِ كُلِّهَا على وجه التأييد و وضع الحكم فى هذا الموضع، من خلال المعصوم (ص) بالاستغفار عند الهم بالمخاصمة عن الخائن إِنْ اللَّهُ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً يصفح عن ذنوب المسلمين بلطفه و يترك مؤاخذتهم على معاصيهم بسعة رحمته و مغفرته. ١٠٧- وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ ... أى: و لا تخاصم دفاعاً عن الذين يخونون أنفسهم و يظلمونها بارتكابهم المآثم و المعاصى، و الخطاب يراد به الأمة من خلاله (ص). إِنْ اللَّهُ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَاناً يَبْغِضُ من صارت الخيانة عادة له أَثِيماً أى فاعل الإثم. ١٠٨- يَسْتَحْفُونَ مِنَ النَّاسِ ... أى يكتُمون الخيانة عن الناس و لَا يَسْتَحْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَ هُوَ مَعَهُمْ و لَا يَسْتَسْتَرُونَ مِنَ اللَّهِ الذى يطلع عليهم لأنه معهم أينما كانوا و كيفما كانوا إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ أى يدبرون فى الليل عند بياتهم، قولاً يكرهه الله لأنه كذب و كَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطاً حفيظاً عالماً بأعمالهم كلها. ١٠٩- هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ... الخطاب هنا للمدافعين عن الخائن موضوع الآيات فهؤلاء الذين جادلتم عنهم أى عنهم فى هذه الحياة فى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا أثناء هذه الحياة على الأرض فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ و يدافع بين يديه عنهم يَوْمَ الْقِيَامَةِ و لا شاهد ببراءتهم يمثل أمامه سبحانه؟ ... أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا أى من يتولى معونتهم؟ ١١٠- وَمَنْ يَعْمَلْ شُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ... أى و من يفعل قبيحاً مكروهاً أو يظلم نفسه بارتكاب المعاصى بما دون الشرك ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ أى يطلب المغفرة من الله بعد توبته النصوح يَجِدِ اللَّهَ غَفُوراً رَحِيماً يلقه يمحو السيئات و يرحم العباد. ١١١- وَمَنْ يَكْسِبِ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبْهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ... هو واضح

نظير: لا- تكسب كل نفس إلّا عليها. وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا مر معناه. ١١٢- وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيثًا ... أى: و من يرتكب خطأ عن غير عمد، أو يعمل ذنبا عمدا. ثم ينسب ذنبه إلى برىء لم يفعله و قيل: الخطيئة: الشرك، والإثم: هو ما دون الشرك. فَقَدْ اخْتَمَلَ بُهْتَانًا أَى كذبا عظيما وَإِثْمًا مُبِينًا وَ ذنبا ظاهرا. ١١٣- وَلَوْ لَا- فَضَّلُ اللَّهُ عَلَيْكَ وَ رَحْمَتُهُ ... خطاب للنبي (ص) قيل: فضل الله على النبي (ص) هو إنعامه عليه بالنبوة و رحمته: هى نصرته بالوحي. و قيل: فضله، هو تأييده له بالطفاه، و رحمته هى نعمته عليه ثم قيل: هما النبوة و العصمة. لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَى أضمرت فرقة من الذين كفروا أَنْ يُضِلُّوكَ أَى: يزيلوك عن الحق بشهادتهم للخائنين بالبراءة. وَ مَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ أَى: و ما يزيلون عن الحق إلّا أنفسهم، وَ مَا يَضُرُّوكَ مِنْ شَيْءٍ يعنى أن كيدهم لن يلحق ضررا بك لأن الله حافظك وَ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ أَى القرآن وَ الْحِكْمَةَ أَى السنّة الشريفة. وَ عَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ يعنى و عَرَّفَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تعرفه من الشرائع و غيرها. وَ كَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ إِنْعامه عليك منذ أن خلقك إلى أن بعثك و جعلك خاتم النبيين. عَظِيمًا كبيرا. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ١٠٢ ١١٤- لا- خَيْرٌ فِى كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ ... اثنين. فلا خير فيما يتسارون به فيما بينهم إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ فَإِنْ نَجَوَاهُ تَكُونُ خَيْرًا أَوْ مَعْرُوفٍ أَى أمر ببرّ لاعتراف العقلاء بحسنه أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ أَى تأليف بينهم بالمودة. وَ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يعنى من يعمل ما تقدم ذكره ائْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ أَى طلبا لما يرضيه فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَى نعطيهِ أَجْرًا عَظِيمًا مثوبة عظيمة فى كثرتها و منزلتها. ١١٥- وَ مَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى أَى و من يخالف الرسول مع إظهار العداوة له من بعد ما ظهر له الحق بالحجة و الدليل وَ يَتَّبِعْ يَسْلُكْ طَرِيقًا غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ غير طريقهم الذى هو الإسلام نُؤَلِّهِ مَا تَوَلَّى يعنى نكله إلى من وكل نفسه إليه وَ نُضِلِّهِ جَهَنَّمَ أَى و نلزمه بدخول جهنم عقوبة له على ذلك وَ سَاءَتْ مَصِيرًا مر معناه. ١١٦- إِنْ اللَّهُ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ... إلى آخر الآية قد مرّ تفسيرها فيما تقدّم ١١٧- إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنْهَاءً ... أى: ما يدعون من دون الله تعالى غير إناث و هى أصنامهم التى كانوا ينحتونها على صور الإناث. وَ إِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا أَى: و ما يدعون إلا شيطانا ماردا فى كفره شديدا متماديا فى عصيانه. وَ هُوَ إِبْلِيسُ. ١١٨- لَعَنَهُ اللَّهُ، أَى أبعده عن الخير وَ قَالَ أَى الشيطان قال لما لعنه الله لَاتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا أَى حظا معلوما ١١٩- وَ لَأُخَذَنَّ لَهُمْ بتزيين المعاصى لهم. وَ لَأُمْتِنَنَّهُمْ بخلودهم فى الدنيا فينسئون الآخرة وَ لَأَمُرَّنَّهُمْ فَلَيُتَبَيَّنَنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ أَى بقطع آذان الأنعام و هو من عادات المشركين فى الجاهلية منهى عنه فى الإسلام وَ لَأَمُرَّنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرَنَّ خَلْقَ اللَّهِ يريد دين الله و أمره سبحانه بتحريم حلاله و تحليل حرامه. وَ مَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَى يرتضيه ناصرا. و قيل ربا لنفسه و وكىلا و قائدا، مؤثرا ما يدعو إليه لعنه الله على ما أمر الله تعالى به، و متجاوزا طاعة الله إلى معصيته فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا أَى ظاهرا واضحا إذ استبدل الآخرة الباقية بالدنيا الزائلة و الجنة بالآثار. ١٢٠- يَعْبُدُهُمْ وَيُمْنِيهِمْ ... أى الشيطان بعد الناس بالأكاذيب، و يمّنيهم بالأباطيل و الأوهام وَ مَا يَعْبُدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا و الغرور هو إيهام النفع فيما فيه ضرر، أَى لا يكون لما يعدهم أصل و لا حقيقة. ١٢١- أُولَئِكَ مَاوَاهُمْ جَهَنَّمَ ... أى من اتخذ الشيطان وليا فمزلهم الذى يؤويهم جهنم وَ لَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا أَى لا يلقون معدلا و مهربا عنها. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ١٠٣ ١٢٢- وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا: مر معناه فى تفسير الآية ٥٧ من هذه السورة وَ عِدَ اللَّهُ حَقًّا أَى وعد الله ذلك وعدا حقا لا خلف فيه ف (وعدا) مصدر دلنا الكلام على فعله الناصب له: و حقا أيضا مصدر من حقّ يحقّ حقا و معناه ثبت و وجب و لا خلف فيه. وَ مَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا أَى حديثا. و الاستفهام إنكارى، أَى لا أحد أصدق من الله تعالى فى جميع العوالم. ١٢٣- لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَ لَا أَمَانِيَّ أَهْلِ الْكِتَابِ ... أى لا- يكون ما وعد الله به من الثواب تابعا لتمنّياتكم أيها المؤمنون، و لا تابعا لتمنّيات أهل الكتاب مَنْ يَعْمَلُ سُوءًا يُجْزَى بِهِ مَنْ ارْتَكَبَ شيئا من المعاصى يجازيه الله به إما فى الدنيا أو الآخرة لتمنّيات أهل الكتاب مَنْ يَعْمَلُ سُوءًا يُجْزَى بِهِ مَنْ ارْتَكَبَ شيئا من المعاصى يجازيه الله به إما فى الدنيا أو الآخرة و هذا هو العدل الربانى الذى لا يدانيه عدل. وَ لَا يَجِدُ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَ لَا نَصِيرًا أَى لا يجد من يعمل السوء لنفسه من يدفع عنه عقوبة الله أو ينصره و ينجيه من عذابه. ١٢٤- وَ مَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ دُونِ أَنْتَى وَ هُوَ مُؤْمِنٌ ... و من عمل الأعمال الصالحة، ذكرا كان أو أنثى، و هو مؤمن بالله و رسله و ملائكته و بما جاء من عنده

فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا: أى ولا ينالهم ظلم ولو بمقدار النقيير وهو الحفيرة الصغيرة فى ظهر النواة كناية عن القلة. و هو سبحانه يعبر تارة بالذرة، و أخرى بالنقيير نفيا للظلم عن ساحته المقدسة. ١٢٥- وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ... أى ليس أصوب طريقة و أهدى سبيلا من الذى آمن بالله و أخلص فى عمله له، حالة كونه محسنا فى جميع أقواله و أفعاله. و اتبع ملة إبراهيم أى اقتدى بدينه و هو الإسلام خيفاً أى مستقيماً، مائلا عن سائر الأديان المنسوخة. و اتخذ الله إبراهيم خليلاً أى حبباً ألبسه ثوب الخلّة دون سائر الرسل و أنقذه من نار النمرود و جعله للناس إماماً. ١٢٦- وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ... ملكاً و ملكاً فهو الغنى عن جميع مخلوقاته و كَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا لا يعزب عنه مثقال ذرة فى الأرض و لا فى السماء من حيث العلم و القدرة و من جميع الوجوه. ١٢٧- وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ، قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ ... أى يسألونك عن الفتوى و عن الحكم فيما يجب للنساء و عليهن. فقل يا محمد الله يبين لكم عما سألتهم فى شأنهن و ما يتلى عَلَيْكُمْ فى الْكِتَابِ أى و يفتيكم ما يقرأ عليكم فى القرآن و تتعلمون منه- و هو أعلم بما فيه، و بما قاله بشأن النساء و فى يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا- تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ المراد بيتامى النساء هن البنات اليتيمات اللواتى كان يمنع عنهن ارثهن، و يمنع من التزوّج بالغير باختيارهن لأكل مالهنّ و حقهن. فورد الحكم فى القرآن بحرمة ذلك و النهى عنه. وَ تَزْعُبُونَ أَنْ تُنْكِحُوهُنَّ أى تتزوجوهن. وَ الْمُشْتَصِّعَيْنَ مِنَ الْوُلْدَانِ أى و نفتيكم فى المستضعفين من الصبيان الصغار الذين كانوا يحرمونهم حقهم و إرثهم و أَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ أى بالعدل، فأوجب إيصالهم جميعهم إلى حقوقهم كما شرح ذلك فيما تقدم من الآيات المتعلقة باليتامى. وَ مَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ أى ما تصنعوا من إحسان إلى هؤلاء اليتامى- صبياناً و بنات- فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا أى عالماً يجازيكم به. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ١٠٤ ١٢٨- وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا ... أى إن خافت المرأة أن يعرض عنها زوجها و يجفوها و يستعلى عليها أو يطلقها. فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا أى يجب على كل من الزوجين أن يصلحاً ما فسد بينهما يُصْلِحَا بأن تهب جميع حقوقها التى كانت لها على زوجها حتى لا يطلقها. وَ الصُّلْحُ خَيْرٌ مِنَ الطَّلَاقِ أَوْ الْجَفَاءِ عَلَى الْأَقْلِ. وَ أَحْضَرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ أى جعل الشحّ حاضراً لها و الغرض من إيرادها هنا هو بيان بأن المرأة لا تسمح لنفسها بصرف النظر عن حقها و قسمها، و الرجل - كذلك- يضمن بأن يسمع لها و يتبعها فى بيتها و لا سيما إذا أحب غيرها و كرهها، و فى تلك الحالة لا بد من الافتراق ... إذا عرى القلب عن الإيمان لأنه يشح بالطاعة و لا يبذل الانقياد لأمر الله جلّ و علا- و قد قال بعض العارفين: الشح فى نفس الإنسان ليس بمذموم لأنه طبيعة، خلقه الله تعالى فى النفوس كالشهوة و الحرص و الحسد بعض العارفين: الشح فى نفس الإنسان ليس بمذموم لأنه طبيعة، خلقه الله تعالى فى النفوس كالشهوة و الحرص و الحسد لا ابتلاء البشر و لمصلحة عمران الكون. و إنما المذموم أن يستولى سلطانه على القلب فيطاع ... و إنْ تُحْسِنُوا وَ تَتَّقُوا أى تفعلوا أزواجاً و زوجات فعلاً حسناً من حيث المعاشرة و الاختلاط و تتقوا النشوز و ما يجزّه من أضرار الظلم بالزوجة أو الزوج، مثل هذه الظروف فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا عارفاً بما يكون منكم فى أمرهن و منهن فى أمركم. ١٢٩- وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ... أى لن تقدروا على التعامل معهن بحيث يرضين كلهنّ منكم إذا كان لأحدكم زوجات متعدّدات و لو حرصتم على العدل القلبي فلا تكلفونه و لا تؤاخذون عليه. فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ أى لا تقبلوا كل الإقبال على من ملكتم محبتها بحيث يحملكم ذلك على الجور على صوابها مما قد يجركم إلى ترك ما فرضه الله عليكم لهن من نفقة و غيرها فتدرونها كَالْمُعَلَّفَةِ أى أنها ذات بعل و كأنها ليست بذات بعل. و إنْ تُصْلِحُوا وَ تَتَّقُوا تصلحوا فى القسمة بينهن و النفقة لهن و تتجنبوا الميل الكلى امثالاً لأمر الله تعالى بحفظ الجميع. فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا يعفو عن التقصير السالف فى حقهن، و يرحم محاول العدل. ١٣٠- وَإِنْ يَتَرَكَ اللَّهُ كُلاً مِنْ سَعَتِهِ ... أى فإن لم يحصل الوفاق بين الزوجين بل حصلت النفرة فإن يتفرقا بالطلاق حينئذ فإن الله يغنى كلّاً منهما من واسع رزقه و فضله و كَانَ اللَّهُ أَزْلاً و أبداً واسعاً جزيلاً الفضل، حَكِيمًا فى تدبير خلقه. ١٣١- وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ... مر معناه و لقد وصّينا أى أمرنا الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمُ الْيَهُودَ وَ النَّصَارَى وَ غَيْرَهُمْ وَ إِيَّاكُمْ أى و أمرناكم أيها المسلمون أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ تجنبوا جميعاً مخالفة ما يأمر به. و إنْ تَكْفُرُوا تجحدوا وصيته فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مر معناه و كَانَ اللَّهُ غَنِيًّا يعنى أنه غنى عن

الخلق و عبادتهم حميداً مستحقاً للحمد حمد أم لم يحمد. ١٣٢- وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ... مر معناه. وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا أى حافظاً لجميع ما فى الكون قادراً على تقدير أموره. ١٣٣- إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ ... أى أنه إذا أراد سبحانه يفتيكهم أيها الناس وَيَأْتِ بِآخَرِينَ يَجِئُ بغيركم بديلهم، وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا أى قادراً على الإفناء والتبديل. ١٣٤- مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا ... كالمجاهد الذى يطلب الغنيمة من وراء جهاده مثلاً فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ أى عنده سبحانه الثوابين لأنه مالك الدنيا والآخرة وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعاً بَصِيراً مر معناه. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ١٠٥ ١٣٥- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ ... أى دائبين على القيام بالعدل قولاً و فعلاً شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أى أقيموا الشهادة الصادقة خالصة لله و لو كانت الشهادة عليكم أو على الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ أى على أبوى الشاهد أو ذوى قرابته. إِنْ يَكُنْ الشَّاهِدُ أَوْ الْمَشْهُودُ عَلَيْهِ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا إِذْ لَا الْغِنَى يَجِيزُ الشَّهَادَةَ عَلَى الْغِنَى، و لا الفقر يمنع الفقير عن إقامة شهادته حين الإدلاء بها. فلا بد من إقامتها فى جميع الموارد. فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا أى أنه سبحانه أنظر للغنى و الفقير من سائر الناس فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا أى لا تعرضوا عن قول الحق و الحقيقة ميلاً مع هواكم النفسى و مخالفة لأمر ربكم فى إقامة الشهادة على وجهها و إِنْ تَلَوْا أى تاملوا فى أداء الشهادة بالحق أَوْ تُعْرِضُوا تَمْتَنِعُوا عَنْ أَدَائِهَا و إقامتها، فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا يعلم لى ألسنتكم، و يرى إعراضكم. ١٣٦- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ... الخطاب لكافة المسلمين الذين أظهروا الإسلام بألسنتهم، آمَنُوا فصدّقوا بقلوبكم بحيث يتطابق ما فى قلوبكم مع ما على ألسنتكم، بِاللَّهِ رَبِّكُمْ وَ رُسُولِهِ نبيكم وَ الْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رُسُولِهِ قرآنكم وَ الْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ عَلَى أَنْبِيَائِهِ السَّابِقِينَ كالتوراة و الإنجيل وغيرهما. وَمَنْ يَكْفُرْ أى ينكر و يجحد بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَ كُتُبِهِ وَ رُسُلِهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ أى لم يصدق بكل واحد من هذه الخمسة المسمايات فَقَدْ ضَلَّ أى فقد بعد عن الحق ضلالاً بعيداً ضارباً فى البعد. ١٣٧- إِنْ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ... يقصد بهم اليهود الذين آمنوا بموسى ثم كفروا بعبادتهم العجل ثُمَّ آمَنُوا بعد رجوعهم عن عبادة العجل. و قيل بأنهم النصارى آمنوا بوعيسى ثُمَّ كَفَرُوا يعنى بهم اليهود و النصارى الذين كفروا بوعيسى و كانوا مأمورين بالإيمان به ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا أى بمحمد (ص) لَمْ يَكُنْ اللَّهُ لِيُغْفِرْ لَهُمْ أى لا يعفو عن كفرهم و ارتدادهم و لَا لِيُهْدِيَهُمْ سَبِيلًا و لا- يدلهم على طريق تنجيهم من عذاب السعير. ١٣٨- بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا: أى أخبرهم تهكمًا بأن الله أعد للمنافقين فى دينه عذاباً موجعاً. ١٣٩- الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ... فالمنافقون هم الذين مالوا إلى الكافرين و تولّوهم و أخلصوا الود لهم و فارقوا المؤمنين و رضوا بالكفار من دونهم أَيْتَبَعُونَ عَنْدَهُمُ الْعِرَّةَ؟ يعنى هل يطلبون عند الكفار العون و المنعة؟ فَإِنَّ الْعِرَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً فهو العزيز الجبار الذى يعز من يشاء و يذل من يشاء. ١٤٠- وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ ... أى فى القرآن أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا أَنْكُمْ إِذَا كُنْتُمْ بَيْنَ أَنَاسٍ يَسْخَرُونَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ، و يستهزئون بما جاء من عنده فلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ فلا- تجالسوهم حَتَّى يَخُوضُوا فى حَدِيثٍ غَيْرِهِ أى حتى يتناولوا الحديث فى غير القرآن و آياتِ اللَّهِ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ لَا فَرْقَ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَهُمْ إِذْ شَارَكْتُمُوهُمْ الْمَجْلِسَ و أقررتموهم بسكوتهكم. إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَ الْكَافِرِينَ فى جَهَنَّمَ جَمِيعاً يجمعهم يوم القيامة فى نار جهنم، كما اجتمعوا فى دار الدنيا على أذى المؤمنين و الاستهزاء بآياتِ اللَّهِ. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ١٠٦ ١٤١- الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ ... أى إن الكفار و المنافقين هؤلاء و تفصيل حال المنافقين. و الذين: بدل من المنافقين و الكافرين، أولئك ينتظرون نتائج حروبكم مع الكفار فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ نَصَرْنَا مِنْهُ قَالُوا لَكُمْ: أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ و لو فى قلوبنا فأعطونا من الغنائم حَقًّا و إِنْ كَانَ حَصْلُ الْكَافِرِينَ الَّذِينَ حَارَبَكُمْ نَصَبٌ مِنَ النَّصْرِ و كسب الغنيمة قَالُوا أى قال المنافقون لهم: أَلَمْ نَشْتَحِذْ عَلَيْكُمْ؟ يعنى: أَلَمْ نمنعكم من المؤمنين و نجعلكم تغلبونهم بما زينا لهم، وَ نَمْنَعُكُمْ نَحْفَظُكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ و بأسهم. فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَعْدَ بَيْنِكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ و بين هؤلاء الكافرين و المنافقين يوم الفصل و لَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا و لو من طريق الحجة و البرهان إِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ نَاحِيَةِ الْقُوَّةِ وَ الْغَلْبَةِ. بل لا بدّ لهذا الدين أن يحفظه ربّ العالمين إلى أن يرث الأرض و من عليها. ١٤٢- إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ ... فالمنافقون الذين يخادعونكم بإظهار الإيمان و إبطان الكفر لحقن دمائهم و حفظ أموالهم إنما يخادعون الله بزعمهم، و يظنون أن الحيل تنطلى عليه كما تنطلى على الناس، وَ هُوَ خَادِعُهُمْ بِأَنْ أَمْهَلَهُمْ حَتَّى يَظْهَرُوا كُلَّ مَكْرِهِمْ

و كيدهم في دار الدنيا، ثم هو مجازيهم بالعقاب الشديد في الآخرة و إذا قاموا إلى الصلاة ليؤدوها قاموا كسالى أى متثاقلين يُرأون الناس يقصدون بصلاتهم الرياء و السَّمْعَةُ و لا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا أى لا يصلون إذا كانوا غائبين عن أعين المسلمين، و إذا ذكروا الله فإنما يفعلون من غير إخلاص و لذا وصفه بالقليل. ١٤٣- مُذَبِّذِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لا إِلَى هَؤُلَاءِ وَ لا إِلَى هَؤُلَاءِ ... أى مترددين بين الكفر و الإيمان فهم لا مع المؤمنين على بصيرة و لا مع الكافرين على جهالة و مَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا أى لن تجد له طريقا يكون به خلاصه من النار. ١٤٤- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ... يخاطب سبحانه المؤمنين ناهيا لهم عن أن توصلهم علاقتهم بالكافرين بحيث يتولى هؤلاء شؤونهم و يباشرون قضاياهم و يتناصرون معهم من دون المؤمنين لأنهم يصيرون بذلك مثلهم. أ تَرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا تبتغون بعملكم هذا أن تجعلوا لله عليكم سبيلا إلى عذابكم و حجة واضحة على تكذيبكم بموالاةكم للكافرين. ١٤٥- إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ... وعيد منه سبحانه للمنافقين بأنه سوف يلقيهم في أسفل طبقة من جهنم و لَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا و لا تجد- يا محمد- ناصرا لهؤلاء المنافقين ينقذهم من عذاب الله. ١٤٦- إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَ أَصْلَحُوا وَ اعْتَصَمُوا بِاللَّهِ ... استثنى سبحانه منهم الذين تابوا من نفاقهم و أصلحوا نياتهم و تمسكوا بكتاب الله و صدقوا رسوله قولا و عملا و أخلصوا دينهم لله فصاروا لا يبتغون في أعمالهم و أقوالهم إلا الله سبحانه فأولئك مع المؤمنين أى إنهم حينئذ يعدون من المؤمنين و يكونون معهم في الدارين و سَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا أى يعطيهم- يوم القيامة- ثوابا كثيرا. ١٤٧- مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَ آمَنْتُمْ ... الاستفهام إنكارى، و المعنى ليس لله من حاجة إلى تعذيبكم في الدرك الأسفل من النار إن حمدتم الله على نعمه بعد إيمانكم به و برسوله إذ لا تضره معصية من عصاه و لا طاعة من أطاعه لأنه الغنى. و كَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا أى لم يزل سبحانه مجازيا لكم على شكركم عالما بما تستحقونه من الثواب على الطاعات. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ١٠٧ ١٤٨- لا- يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ ... يعنى أنه سبحانه يكره كلام السوء يقال علنا. إِلَّا مَنْ ظَلَمَ أى من لم يصل إلى حقه فقد استثنى سبحانه من الحكم المتقدم جهر المظلوم بأن يدعو على الظالم و يذكره بما فيه من السوء عند من يعينه فى دفع ظلامته، أو من يشتم فيرد على الشتمة لينتصر لنفسه. و كَانَ اللَّهُ دَائِمًا مِنْذُ كَانَ سَمِيعًا لِلْأَقْوَالِ، عَلِيمًا عَارِفًا بِالْأَعْمَالِ. ١٤٩- إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ ... أى إن تظهروا حسنا من القول أو الفعل أو تخفوا ذلك أو إن تغفوا تتجاوزوا عن سوء فى قول أو فعل فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا أى لا- زال غافرا صفوحا عن خلقه قادرا على الانتقام منهم. ١٥٠- إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ ... أى ينكرون تعالى و لا يصدقون رسله و يُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ أى يرغبون أن يتكلموا فى وجود الله بجهة مفردة، و فى رسله و أنبيائه فى جهة ثانية مستقلة عن الأولى. وَ يَقُولُونَ نُوْمِنْ بِنِعْضٍ وَ نَكْفُرُ بِنِعْضٍ كما فعل اليهود حين آمنوا بموسى و بمن قبله، ثم كفروا بعباسى و بمحمد (ص) و كما فعل النصارى حين آمنوا بعباسى و أنكروا نبوة محمد (ص) و يُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا أى طريقا بين الإيمان بعباس، و الكفر بعباس. ١٥١- أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا ... الذين يمثلون حقيقة الكفر. فلن ينفعهم التبعض فى الإيمان و اعتدنا و أعددنا للكافرين عذابا مهينا أى يوقع و يذل صاحبه. ١٥٢- وَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ ... أى صدقوا، بخلاف الذين كفروا و لَمْ يُفَرِّقُوا كَالْكَافِرِينَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أى آمنوا بهم جميعا. أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجُورُهُمْ نِعْمَتُهُمْ ثَوَابُهُمُ المستحق بإيمانهم بجميع ما أمروا به. و كَانَ اللَّهُ عَفُورًا رَحِيمًا: مر معناه. ١٥٣- يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ ... أى: يطلب منك اليهود أن تنزل عليهم كتابا مكتوبا من عند الله كما كانت التوراة مكتوبة فى الألواح فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى وَ طَلَبُوا مِنْهُ أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ أَعْظَمَ مِمَّا طَلَبُوا مِنْكَ فَقَالُوا أَرَنَا اللَّهُ دَعَا نَنْظُرَ إِلَيْهِ جَهْرَةً أى عيانا فَأَخَذَتْهُمْ الصَّاعِقَةُ الْمَهْلِكَةُ، فأحرقتهم بِظُلْمِهِمْ أنفسهم بسؤالهم ذاك ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ أى اتخذوه معبودا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ و بعد رؤيته المعجزات الظاهرة و الدلائل الباهرة فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ تَجَاوَزْنَا عَنْهُ بِرَحْمَتِنَا لطفنا بهم وَ آتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا أى أعطيناه سلطه ظاهرة عليهم إذ أطاعوه بقتل أنفسهم للتكفير عن ذنبهم العظيم. ١٥٤- وَ رَفَعْنَا قُورُقَهُمُ الطُّورَ ... أى و رفعنا جبل الطور كالمظلة فوق رؤوسهم لما رفضوا ما جاءهم به موسى من تكاليف تهديدا باطباعه عليهم. بِمِثْقَالِهَا يعنى بسبب العهد المأخوذ عليهم بأن يعملوا بالتوراة فيخافوا فلا ينقضوه. وَ قُلْنَا لَهُمْ أى بلغناهم على لسان موسى ادْخُلُوا الْبَابَ

سَجَدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ: مر تفسير ذلك في الآية ٥٨ والآية ٦٥ من سورة البقرة. وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا أَى عهدا وثيقا مؤكدا على الطاعة والامتثال. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ١٠٨ ١٥٥- فَبِمَا نَقْضُ هِمَّ مِيثَاقِهِمْ ... ما: هنا مزيدة للتأكيد، والباء سببية، أى بسبب نقض اليهود ما عاهدوا الله عليه عملنا بهم ما عملنا من العقوبات. وَكَفَرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَجُحُودِهِمْ بِحُجْجِهِ الدَّالَّةِ عَلَى صَدَقِ رَسُولِهِ وَبَسَبِّ قَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ كَزَكْرِيَّا وَيَحْيَى وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ أَى مغلفة وقد مر معناه فى سورة البقرة بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا: مر معناه فى تفسير الآية ٨٨ من سورة البقرة. ١٥٦- وَكَفَرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ... أى بكفرهم بعيسى (ع) و بريمهم مريم بأعظم الكذب وهو الفاحشة. ١٥٧- وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ ... وقالوا: إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم وصلبناه رَسُولَ اللَّهِ بِزَعْمِهِ اسْتِهْزَاءَ بِنَبْوَتِهِ وَرِسَالَتِهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ نَفَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ زَعْمَهُمْ قَتْلَ عِيسَى وَصَلْبَهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ أَى اشتبه عليهم الأمر حيث ألقى سبحانه شبه عيسى على من كلف من قبل اليهود بمراقبة عيسى ورصد حركاته ليحيطهم بها فيقتلوه فعند ما دخلوا لينفذوا مكرهم قتلوا صاحبهم هم باعتبار شبهه بعيسى فقالوا: قتلنا عيسى وصلبناه. وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ أَى فى عيسى (ع) من ناحية قتله وصلبه، ومن ناحية رفعه إلى السماء، لَفَى شَكٌّ مِنْهُ أَى فى ريب من أمره. مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ يَقِينٍ إِلَّا آتْبَاعُ الظَّنِّ لَكِنَّهُمْ يَتَّبِعُونَ الظَّنَّ، وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا أَى ما قتلوا عيسى حقا. ولكنه الظن والشك: ١٥٨- بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ... مر تفسيره فى الآية ٥٤ و ٥٥ من آل عمران وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا: مر معناه. ١٥٩- وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ... المراد بأهل الكتاب هم الذين يكونون موجودين فى عصر نزول عيسى (ع) من السماء أيام ظهور القائم المنتظر (عج). فما من أحد من أهل الكتاب يشهد نزوله حينئذ إِلَّا يُؤْمِنُ بِهِ مُؤَكَّدًا قَبْلَ مَوْتِهِ وَتَوَفَى (ع) بعد أربعين سنة من خروج المهدي (ع). وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا أَى أنه يشهد يوم القيامة بكفر اليهود. ١٦٠- فَظَلَمُوا مِنَ الَّذِينَ هَادُوا ... أى بسبب صدور ظلم اليهود لأنفسهم حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ مَا كَانَ حَلَالًا مِنْ طَيِّبَاتِ النِّعَمِ الَّتِي كَانَتْ أُحِلَّتْ لَهُمْ كَأَجْزَاءَ كَثِيرَةٍ مِنْ لَحُومِ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ وَالْإِبِلِ إلخ. وَبَصَدَّ هِمَّهُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا أَى بسبب منع اليهود لأناس كثيرين عن طريق الحق: ١٦١- وَأَخَذَهُمُ الرَّبُّوا ... الذى يتعاملون به وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ أَى عن الربا وَبَسَبِّ أَكْلِهِمْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ أَى بغير استحقاق من ربا ورشى فى الأحكام وغيرها وَأَعْتَدْنَا هَيْئًا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا مُوجِعًا مَهِينًا. ١٦٢- لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ ... الراسخون بالعلم هنا هم المتفقهون بالتوراة من أبحار اليهود والمتعمقون فى دراسة الثابتون على ما فيه من عقائد، كعبد الله بن سلام وغيره ممن اعترف بالحق منهم، وقوله: منهم، متعلق بالراسخين الذين ذكرناهم. و ضمير الجمع راجع إلى أهل الكتاب الذين حكى سبحانه حالهم. وَالْمُؤْمِنُونَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ (ص) من غير أهل الكتاب يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ أَى يسلمون مع إيمانهم بالله وبك وبما نزل عليك من ربك وبما نزل على غيرك من الرسل، ثم وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ ويراد بهم الأنبياء والأئمة المعصومون (ع) وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ عطف على ما سبقه: وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ معطوف على ما سبقه أيضا، أو هو مبتدأ خبره: أُولَئِكَ الَّذِينَ سَيُؤْتِيهِمْ نِعْمَتُهُمْ أَجْرًا عَظِيمًا ثوابا على أعمالهم كبرى. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ١٠٩ ١٦٣- إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى ... هذه الآية الكريمة احتجاج قاطع وحجة دامغة تبطل قول المقترحين على النبى (ص) أن ينزل عليهم كتابا من السماء حيث يبين سبحانه فيها بأن أمره فى الوحى إليه (ص) كأمره فى الوحى لغيره من الأنبياء الماضين الحذو بالحدو من هذه الجهة، وهم جميعا بأمره ووحيه يعملون، من نوح إلى سائر المرسلين من بعده كإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا أعطينا داود زبوراً أى كتابا مثل كتبهم وصحفهم يسمى بهذا الاسم. والأسباط جمع سبط وهو الحفيد. والمراد بهم هنا أسباط بنى إسرائيل الاثنا عشر الذين هم من ولد يعقوب (ع)، سَمَوْا بِذَلِكَ لِلتَّفْرِيقِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَوْلَادِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ (ع) ١٦٤- وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ ... أى: بعثنا رسلا كثيرين حدثناك عنهم مِنْ قَبْلُ أَنْ نَرْسَلَكَ إِلَى النَّاسِ وَأَرْسَلْنَا أَيْضًا غَيْرَهُمْ رُسُلًا كَثِيرِينَ لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَمَا حَدَّثْنَاكَ عَنْهُمْ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا حكى معه وخاطبه بغير آله ولا لسان. ١٦٥- رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ ... رسلا: بدل مما سبقها. أَرْسَلْنَاهُمْ لِيُبَشِّرُوا الْمُطِيعِينَ بِرَحْمَةِ اللَّهِ وَيَخَوْفُوا الْعَاصِينَ لِئَلَّا مِنْ أَجْلِ أَنْ لَا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ فلا يبقى

لأحد عذر. وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا: مر معناه. ١٦٦- لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ ... أى إن لم يشهد لك هؤلاء بالنبوة فالله يشهد لك بذلك بما أنزل إليك من القرآن المعجز و شهادة الله تعالى تكفيك ولا تحتاج معها إلى شهادة أحد. أُنْزِلَ بِعِلْمِهِ أى عالما به أو الذى فيه علمه. فلا اعتبار لموقف قومك منه فى عالم التقسيم. أنه تأليف بليغ و تركيب بديع و نمط يعجز عنه كل بيان و يكل دونه كل لسان، يشهد بكونه صادرا عن عالم القدس و الربوبية، بل وَ الْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ برسالتك يا محمد. و بأن كتابك من عند الله وَ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا أى شهادته سبحانه وحده تكفى فى ثبوت المشهود به فهو خير الشاهدين. ١٦٧- إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ صَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ... أى الذين لم يؤمنوا بالإسلام، و منعوا غيرهم عنه و عن الجهاد فى سبيل نشره. قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا انحرفوا عن طريق الحق انحرفا بعيدا لأنهم إضافة إلى ضلالهم هم أضلوا غيرهم. ١٦٨- إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ ظَلَمُوا ... أى لم يصدقوا بمحمد فظلموه بتكذيبهم إياه و ظلموا أنفسهم و ظلموا غيرهم بصددهم عن الإيمان لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرَ لَهُمْ لا يعفو عن ذنوبهم بل سوف يعاقبهم وَ لَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا وَ لَا- لِيَهْدِيَهُمْ على طريق التوبة و الرجوع عن كفرهم و غيهم و هذا هو سبب عدم شمولهم بالغفران. ١٦٩- إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَيْدًا ... أى و لكن يهديهم إلى طريق جهنم جزاء كفرهم و ظلمهم وَ كَانَ ذَلِكَ أى إيصالهم إلى جهنم وعدا على الله يَسِيرًا أمرا سهلا. ١٧٠- يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ ... الخطاب لعامة الخلق. بأن قد جاءكم محمد (ص) بالدين المرضى لكم من قبله سبحانه مِنْ رَبِّكُمْ أى من عند ربكم و الجار متعلق بجاء فَأَمِنُوا أى و صدقوا به و بالحق الذى جاء به خَيْرًا لَكُمْ أى آمنوا خيرا لكم مما أنتم عليه من الكفر. وَ إِنَّ تَكْفُرُوا تنكروا الحق الذى جاء به الرسول فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ كَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا فهو مالکهما بما فيهما، و هو غنى عن إيمانكم و عنكم، و هو عارف بمناشئ جميع الأشياء و مصادرها بمقتضى خلقه لها حكيم فى تدبيره لشؤونها. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ١١٠ ١٧١- يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ ... خطاب لليهود و النصارى، أن لا- تفرطوا و لا تجاوزوا الحق فى دينكم أما النصارى فقد غلوا فى المسيح (ع) بإفراط، و اليهود غلوا فيه بتفريط و بهتوا أمه (ع) و قالوا ولد سفاحا، و الغلو: مجاوزة الحد على كل حال فهؤلاء أنكروه، و أولئك جعلوه ابن الله و ألوه و عبده. وَ لَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ بتنزيهه عن الشرك و الولد و التثليث. إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ فَعِيسَى هو ابن مريم لا ابن الله بل هو عبد من عباده أرسله إلى الناس برسالته وَ كَلِمَتُهُ أى أمره الذى هو: كن ألقاها إلى مَرْيَمَ أوجدتها و أحدثها فى رحم مريم بقدرته الكاملة. أو أن كلمته هى عبارة عن قصده سبحانه إحداث المسيح و تكوينه بإرادته، و هذه مرتبة أعلى من مرتبة التلفظ بكن. و كلامه سبحانه صفة قديمة قائمة بذاته. وَ رُوحٌ مِنْهُ أى روح مخلوقة خلقها الله فى آدم و عيسى (ع). فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَ رُسُلِهِ أى صدقوا به و بهم جميعا وَ لَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً خطاب للنصارى أى لا تجعلوا الآلهة ثلاثة: الله، و المسيح، و مريم أو لا تقولوا الله ثلاثة الأب و الابن و الروح القدس. انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ أى ائتوا بالانتهاء عن قولكم الشنيع خيرا لكم مما تقولون إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ بوحده حقيقة لا- تتجزأ و وحدانيته ذاتية لا شريك له سُبْحَانَهُ تنزيها له أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لأنه لم يلد و لم يولد لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ وَ كَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا مر معناه. ١٧٢- نَبِيٌّ يَشْتَكِفُ الْمَسِيحَ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ ... أى لن يستكبر و لن يترفع عن عبادة الله، بل العبودية له هى فخر الأنبياء و الرسل و كل عارف به تعالى حق المعرفة، و التذلل إليه فى الطاعة عز أى عز، لَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ يتكبرون و يتأنفون عن شرف العبودية لله. مَنْ يَشْتَكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ أى يمتنع عنها يَشْتَكِرْ يترفع عن ذلك سَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ يجمعهم إليه يوم القيامة ميعا لا يترك منهم أحدا ليحاسبهم و يجازيهم مطيعين كانوا أو عاصين. ١٧٣- فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَ يَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ... أى المؤمنون المصدقون بوحديته و رسله و يعملون بطاعته يعطيهم جزاء ذلك وافيا تاما بل يزيدهم على ما كان وعدهم عليها من الفضل وَ أَمَّا الَّذِينَ اسْتَكْفَرُوا وَ اسْتَكْبَرُوا مِنَ الْمُعَانِدِينَ وَ الْمُتَكَبِّرِينَ عن عبادته فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا موجعا لم يذوقوا مثله فى دار الدنيا. وَ لَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَ لَا نَصِيرًا أى لا يلاقون من يحميهم من العذاب و لا ناصر ينقذهم من غضب الله. ١٧٤- يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ ... خطاب لجميع الناس بلا استثناء أحد، ختم به جميع الآيات البينات التى سبقت لينذرهم الإنذار الأخير، إذ وصلهم من عند الله حجة واضحة و هو رسول الله (ص) وَ أُنْزِلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا أى القرآن الكريم الذى

هو النور الساطع والبرهان القاطع. وعن الصادق (ع): انه ولاية على بن أبي طالب (ع). فلا عذر لكم أيها الناس في الكفر بعد أن أنزل الله إليكم من عنده ما يكفي لأن يدلکم إلى طريق الهدى و يجنبکم مزالق الکفر والضلال. ١٧٥- فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ ... أَى صَدَقُوا رَسُولَنَا وَ صَدَّقُوا بِمَا جَاءَ فِي كِتَابِنَا وَ تَمَسَّكُوا بِإِيمَانِهِمْ وَ نَبِيِّهِمْ وَ قَرَأْنَهُمْ فَسَيَدْخُلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَ فَضْلٍ وَ الرَّحْمَةُ هِيَ عَطْفُهُ وَ لَطْفُهُ تَعَالَى وَ يُفَضِّلُ عَلَيْهِمْ بِإِحْسَانٍ زَائِدٍ عَلَى مَا يَسْتَحِقُّونَهُ وَ يَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا أَى يَدُلُّهُمْ عَلَى نَفْسِهِ بِبِرَاهِينِهِ، فَيَسْلُكُونَ بِهَدَايَتِهِ دِينَ الْإِسْلَام، الَّذِي هُوَ الطَّرِيقُ الْمُسْتَقِيمُ، وَ يَحْصَنُونَ إِسْلَامَهُمْ بِوَلَايَةِ عَلَى (ع) وَ قَدْ سَكَتَ سُبْحَانَهُ عَنْ ذِكْرِ الْكَافِرِينَ هُنَا اسْتِخْفَافًا بِهِمْ وَ لِأَنَّهُ كَرَّرَ ذِكْرَ أَنَّ مُصِيرَهُمْ إِلَى النَّارِ. إِرْشَادُ الْأَذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ١١١ ١٧٦- يَسْتَفْتُونَكَ: أَى: يَسْأَلُونَكَ يَا مُحَمَّدٌ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ وَ الْكَلَالَةُ لَغَةٌ: التَّعَبُ. وَ قَدْ تَجَيَّءَ كَلَّلَ بِمَعْنَى: أَحَاطَ. أَمَّا مَعْنَى الْكَلَالَةِ اصْطِلَاحًا فَهِيَ قَرَابَةُ الْإِنْسَانِ مَا عَدَا الْوَالِدَيْنِ وَ الْأَوْلَادَ، كَالْإِخْوَةِ وَ الْأَعْمَامِ وَ نَظَائِرِهِمْ. إِنْ امْرُؤٌ هَلَكَ أَى إِنْ مَاتَ إِنْسَانٌ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ يَعْنِي أَنَّهُ كُلٌّ وَ لَهُ أُخْتُ لِأُمِّ وَ أَبٍ، أَوْ لَأَبٍ فَقَطْ فَلَهَا نِصْفٌ مَا تَرَكَ تَمْلِكُ هَذَا النِّصْفَ إِرْثًا بِالْفَرْضِ، وَ تَرِثُ النِّصْفَ الْآخَرَ بِالرَّدِّ بِحَسَبِ مَذْهَبِنَا الشَّيْعِيِّ وَ هُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ أَى فِي صُورَةِ كَوْنِ الْمَيِّتِ هُوَ الْأُخْتُ وَ الْكَلَالَةُ مَنْحَصَرَةٌ فِي أَخِيهَا فَقَطْ. وَ تَقْسَمُ تَرَكَتُهُ تَنْصِيفًا بَيْنَ الْأَخْتَيْنِ إِذَا لَمْ يَوْجَدْ غَيْرَهُمَا لِقَوْلِهِ تَعَالَى: فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا التُّلْثَانِ مِمَّا تَرَكَ تَأْخِذَانَهُ بِالْفَرْضِ وَ تَأْخِذَانِ الْبَاقِي تَنْصِيفًا بِالرَّدِّ. وَ إِنْ كَانُوا إِخْوَةً، رِجَالًا وَ نِسَاءً فَإِذَا كَانَتِ الْكَلَالَةُ لِلْمَيِّتِ مُؤَلَّفَةٌ مِنْ رِجَالٍ وَ نِسَاءٍ فَلِلَّذَكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيْنِ أَى يُعْطَى لِلذَكَرِ سَهْمَانِ وَ لِلنِّسَاءِ سَهْمٌ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْأَحْكَامَ وَ يَظْهَرُهَا أَنَّ تَضَمُّنًا مَخَافَةً أَنْ لَا تَعْرِفُوا وَجْهَ تَقْسِيمِ الْمَوَارِيثِ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ وَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ أَى عَالِمٌ بِجَمِيعِ الْأَشْيَاءِ وَ بِكَافَةِ أُمُورِ مَعَاشِكُمْ وَ مَعَادِكُمْ

سورة المائدة و هي مدنية، و آياتها ١٢٠ آية

١- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ... الْعَقْدُ هُوَ الْإِتِّفَاقُ الَّذِي يَحْصُلُ بَيْنَ طَرَفَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ لِغَايَةٍ تَحَقُّقِ مَصَالِحِ الْمُتَعَاقِدِينَ. وَ هُوَ تَعَالَى يَقْصِدُ بِهِ هُنَا الْعِبَادَاتِ وَ الْمَعَامَلَاتِ وَ جَمِيعَ مَا يَتَعَاقَدُ عَلَيْهِ النَّاسُ وَ الْمُؤْمِنُونَ فِي مَقَاصِدِهِمْ وَ بَعْدَ مَحَاوِرَاتِهِمْ، وَ فِيمَا كَلَّفَهُمُ اللَّهُ وَ أَلْزَمَهُمْ بِهِ مِنَ الْإِيمَانِ بِهِ عَزَّ اسْمُهُ وَ بَمَلَائِكَتِهِ وَ رُسُلِهِ وَ حَلَالِهِ وَ حَرَامِهِ وَ جَمِيعِ فَرَائِضِهِ وَ سُنَنِهِ ... أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ وَ هَذَا شُرُوعُ بَيَانِ عَقُودِهِ تَعَالَى وَ أَحْكَامِهِ. وَ الْبَهِيمَةُ- لَغَةٌ- كُلُّ حَيَوَانٍ لَا يَمِيزُ لِمَا فِي صَوْتِهِ مِنَ الْإِبْهَامِ، أَوْ هِيَ كُلُّ ذَاتٍ أَرْبَعٍ. وَ الْمُرَادُ بِهَا الْإِبِلُ وَ الْبَقَرُ وَ الْغَنَمُ. إِلَّا مَا يُثَلَّى عَلَيْكُمْ أَى سِوَى مَا يَذْكَرُ لَكُمْ مِنْهُ وَ حَرَمَتُهُ فِي آيَاتٍ أُخْرَى. غَيْرَ مُحْلَى الصَّيْدِ وَ أَنْتُمْ حُرْمٌ فَهَذَا بَعْضُ مَا تَلَا عَلَيْنَا حَرَمَتُهُ. فَإِنَّهُ يَحْرُمُ عَلَى الْإِنْسَانِ كُلِّ مَا يَصْطَادُهُ فِي حَالِ الْإِحْرَامِ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ مِنْ تَحْلِيلِ الْمُحَلَّلَاتِ، وَ تَحْرِيمِ الْمُحَرَّمَاتِ، عَلَى مَا تَوَجَّهَ الْحِكْمَةُ وَ مَا تَقْتَضِيهِ الْمَصْلَحَةُ وَ لَا رَادَّ لِحُكْمِهِ. ٢- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا- تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ ... تَحَلُّوا، مِنْ أَحَلَّ: أَى تَصَرَّفَ بِالْأَمْرِ عَلَى أَنَّهُ مَبَاحٌ. وَ الشَّعَائِرُ جَمْعُ شَعِيرَةٍ، وَ هِيَ مَا كَانَ شَعَارًا وَ عِلْمًا، وَ هِيَ هُنَا مَنَاسِكُ الْمَوَاقِفِ وَ الطَّوَافِ وَ السَّعْيِ وَ الْعِمْرَةِ وَ الْمَوَاقِفِ وَ سَائِرُ أَفْعَالِ الْحُجِّ. وَ الْمُرَادُ بِالنَّهْيِ عَنِ التَّحْلِيلِ هُوَ النَّهْيُ عَنِ تَحْرِيفِهِ وَ التَّصَرُّفِ فِيهِ لِإِخْرَاجِهِ عَنْ وَجْهِهِ، فَلَا يَنْبَغِي إِحْلَالُ شَيْءٍ مِنْ فَرَائِضِ اللَّهِ، وَ لَا الشَّهْرُ الْحَرَامُ أَى الشَّهْرُ الَّذِي حَرَّمَ فِيهِ الْقِتَالُ. وَ أُرِيدَ مِنَ الشَّهْرِ الْجِنْسُ فَيَشْمَلُ النَّهْيُ مَجْمُوعَ الْأَشْهُرِ الْأَرْبَعَةِ الَّتِي حَرَّمَ فِيهَا الْقِتَالُ، ذُو الْقَعْدَةِ وَ ذُو الْحِجَّةِ وَ مُحَرَّمٌ وَ رَجَبٌ ... فَلَا تَتَعَامَلُوا حَسَبَ تَحْلِيلِكُمْ: لَا بِشَعَائِرِ اللَّهِ، وَ لَا الْأَشْهُرَ الْحَرَّمَ وَ لَا الْهَدْيَ أَى الْحَيَوَانَ الَّذِي يَهْدَى إِلَى بَيْتِ اللَّهِ مِنَ الْإِبِلِ أَوِ الْبَقَرِ أَوِ الْغَنَمِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَتَعَرَّضَ لَهُ بِسُوءٍ مَا دَامَ مَسْوُوقًا إِلَيْهِ وَ لَمْ يَصِلْ إِلَيْهِ. وَ لَا الْقَلَائِدَ أَى الشَّيْءَ الَّذِي يَقْلَدُ بِهِ عِلَامَةً عَلَى أَنَّهُ هَدْيٌ فَلَا يَتَعَرَّضُ لَهُ أَحَدٌ حَتَّى يَصِلَ سَالِمًا إِلَى مَحَلِّ ذَبْحِهِ وَ تَضَحِيَّتِهِ ... وَ لَا آمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ أَى قَاصِدِينَ إِيَّاهُ أَى فَلَا تَحَلُّوا وَ تَمْنَعُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ قَوْمًا قَاصِدِينَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ يَتَّبِعُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ أَى يَطْلُبُونَ إِحْسَانًا وَ ثَوَابًا مِنْهُ تَعَالَى وَ رِضْوَانًا وَ أَنْ يَرْضَى عَنْهُمْ. وَ إِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا يَعْنِي إِذَا حَلَلْتُمُ الْإِحْرَامَ وَ شَتَّمْتُمُ التَّصِيدَ فَاصْطَادُوا فَلَا- جَنَاحَ عَلَيْكُمْ عِنْدَ ذَلِكَ وَ لَا جَرَمَ، وَ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ أَى وَ لَا يَحْمِلَنَّكُمْ بَغْضَاءُ قَوْمٍ. أَنْ صَيَّدُوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا أَى فَلَا يَكْسِبَنَّكُمْ بَغْضَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الْاِعْتِدَاءَ عَلَيْهِمْ بِالْاِنْتِقَامِ وَ إِحْقَاقِ الضَّرَرِ بِسَبَبِ صَدِّكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَ تَعَاوَنُوا عَلَى

الْبِرِّ وَالتَّقْوَى أَى تعاضدوا على العفو و تجنب الهوى وَ لَا تَعَاوُنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَ الْعُدْوَانِ أَى لا تتساعدوا على ما فيه ذنب و اعتداء وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ يعنى أنه يجازى من يخالف قوله أعظم جزاء. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ١١٢-٣- حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَ الدَّمُ وَ لَحْمُ الْخَنَزِيرِ ... تلا سبحانه من المحرمات: البهيمة التى تموت دون ذبح و تذكية. و الدم المسفوح عند الذبح ثم حرم ما لا يقبل التذكية كالخنزير الذى يحرم أكل أى شىء منه. وَ حرم أيضا ما أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ أى ما ذكر عند ذبحه غير اسمه تعالى و الإهلال هو رفع الصوت. وَ حُرِّمَتْ الْمُنْخَنِقَةُ أى التى خنقت وَ الْمَوْقُودَةُ التى ضربت حتى ماتت وَ الْمُتَرَدِّئَةُ التى وقعت عن صخرة أو سطح أو فى بئر ثم ماتت وَ النَّطِيحَةُ التى نطحها كبش أو بهيمة مثلها فماتت من النطح. وَ مَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَ المراد به فريسة السباع من الحيوانات المفترسة، فقد نهى الله تعالى عن أكلها إلا بشرط تقع فيه الحلية إذا كانت قابلة للتذكية الشرعية التى أناطها بها. وَ كَذَلِكَ مَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ جمع نصاب. وَ هى أحجار كانت حول الكعبة يهل عليها و يذبح عندها لغير الله و الفرق بينها و بين الأصنام، أنها أحجار و الأصنام تماثيل كانت تعبد. وَ أَنْ تَشْتَقِسُوا بِالْأَزْلَامِ الْأَزْلَامِ هى جمع: زلم، و الاستقسام بالأزلام هو طلب معرفة ما يقسم له مما لا يقسم له بالأزلام. و قيل هو الميسر. ذَلِكُمْ هذه كلها فسق أى خروج عن طريق الحق و الصلاح، أو هو الذنب. الْيَوْمَ يَنْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ أى لم يعد لهم أمل أن يبطلوا دينكم فترجعوا مشركين فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَ اخْشَوْنِ أَى لا تخافوهم و خافوا معصيتي الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ أتممت ما تحتاجون إليه فى تكليفكم من الحلال و الحرام وَ أَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَ رَضِيَتْ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا أَكملت فضلى عليكم بولاية على أبى طالب (ع) وَ رَضِيَتْ لَكُمْ الْإِسْلَامَ طاعة لى. فَمَنْ اضْطُرَّ فى مَخْمَصَةٍ أى من حكم عليه الاضطرار فى مجاعة بحيث لم يجد سوى هذه المحرمات و لحفظ حياته من الهلاك غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ يعنى غير مائل أو متعمد لإثم. فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ مر معناه. ٤- يَشْتَلُونَكَ مَا ذَا أُحِلَّ لَهُمْ ... أى يسألونك يا محمد مستفهمين بعد ما مر من تحريم و تحليل اللحوم فى الآية الشريفة السابقة ف قُلْ لَهُمْ: أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَ هى جمع طيب: وَ هى ما تشتهيها النفوس و ترغب فيها الطباع وَ مَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ أَى أحل لكم أكل لحم ما تحمله لكم الكلاب التى علّمتوها حمل ما تصطادونه من الحيوانات بطريقه علّمكم الله تعالى إياها لتعتبر لحوما مذكّاه إن هى ماتت حين حملها و قبل وصولها إليكم. وَ اذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ أَى اذكروا اسم الله حين ترسلون الكلب لجلب الطريدة أو تطلقون النار لصيدها. وَ اتَّقُوا اللَّهَ أَى تجنبوا مخالفته فى هذا الموضوع. إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ مر معناه. ٥- الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ ... أراد سبحانه بكلمة: اليوم، الوقت الذى نزلت فيه الآية الشريفة و ما يتصل به إلى يوم لقائه فمنذ ذلك اليوم و إلى يوم القيامة أحلت لكم جميع ما يستطاب و طعام الذين أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَ أهل الكتاب هم اليهود و النصارى و المجوس على فرض أنهم أصحاب كتاب. و اختلف فى الطعام ما هو و ما المراد به؟ ... و عن الإمام الصادق (ع) هو مختص بالحبوب و ما لا يحتاج فيه إلى تذكية ... وَ طَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ فلا جناح عليكم أن تطعموهم و أن تتعاملوا معهم بالأطعمة و غيرها وفق ما شرع الله ... وَ كَذَلِكَ الْمُحْصِنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ أحلت لكم، العفيفات من نسائكم المؤمنات. وَ الْمُحْصِنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ هن اللواتى أسلمن من محصنات أهل الكتاب. إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ أَى إذا دفعتم ما قرّرتن لهن حتى يرضين بزواجكم، بشرط أن تكونوا مُحْصِنِينَ أَعْقَاءَ غَيْرِ مُسَافِحِينَ لا زانين بهنَّ وَ لَا مُتَحَدِّذِينَ أَخْدَانٍ وَ غير متخذين أصدقاء و صديقات يزنون بالسر. وَ مَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ أَى يجحد الإيمان و يتنكر له فَقَدْ حَبَطَ عَمَلُهُ أى ذهب سدّى لأنه فاسد وَ هُوَ فى الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ أى الهالكين لأنهم لم يجنوا ثمرة عمل عملوه و لا اكتسبوا ثواب خير فعلوه. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ١١٣-٦- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ ... أى هذه الآية الكريمة يبين الله سبحانه كيفية كل من الوضوء و التيمم و موردهما، و يعلم كيفية كل واحد منهما فعلا فعلا فيقول عز اسمه: فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَ حَدَّ غَسْلِ الوجه من قصاص الشعر إلى آخر الذقن طولاً، و ما دارت عليه الوسطى و الإبهام عرضاً فاغسلوه بإراقة الماء عليه من يديكم اليمنى و تكرير الغسل إلى أن تصل المياه إلى كل جزء منه. وَ أَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ فاغسلوها، من آخر المرافق، أى ما يرتفق عليه أى يتكأ، إلى أطراف الأصابع من دون نكس و هذا هو مذهب أهل البيت (ع)، بحيث لا يبقى جزء فى هذا الحد إلّا و قد وصله ماء الوضوء. وَ بعد

ذلك الغسل امْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ الكعب هو العظم النابت في القدم عند معقد الشراك والمعنى: امسحوا بعض رؤوسكم وبعض أرجلكم من أطراف الأصابع إلى الكعب من كل رجل. وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا بالاغتسال وهو أن تغسلوا جميع البدن استعدادا للصلاة وقبل مباشرتها. وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ: مر معناه في الآية ٤٣ من سورة النساء ما يُريدُ الله لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ أَى ما فرض الله عليكم هذه الطهارات ليوقعكم فى ضيق و تعب وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ أَى يأمركم بتلك الطهارات من أجل تنظيف أبدانكم من الأوساخ وإزالة الخبث عنها وإزالة جميع الأذى والأدران التى قد تعلق بالأيدى وتفرضها الأجسام. وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ بما ذكر لكم من التشريع فى هذه المواضع لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ تحمدون نعمه. ٧- وَأَذْكُرُوا اللَّهَ عَلَيْكُمْ ... أَى لا- تنسوا فضل الله عليكم وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ هو العهد الذى أخذه عليكم فى عالم الذر بالإيمان به و برسوله و تمت الموائقة، أَى التعاهد و التعاقد، عليه بين يدى ربكم. وقيل بأن المراد بالميثاق بيعه الرضوان وقيل: المراد بها بيعه الحديدية التى هى كسابقتها تجديد عهد له (ص) عليهم، و تشديد ميثاق على الأخذ بما أمر و العمل بما جاء به. فلا تنسوا: إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا أَى وعينا ما قلت، و نطيعك فيما تأمر و تنهى. وَ اتَّقُوا اللَّهَ مِنْ مَعْنَاهُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ أَى بما فيها من أسرار و بما يختلج فيها من أفكار. ٨- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ ... أَى اجعلوا قيامكم و انبعاثكم إلى العمل لله، يعنى خالصا له تعالى و محضا لما يرضيه. و لفظه: قَوَّامِينَ، تدل على المبالغة، فينبغى لكم أن تكونوا شديدي القيام و المسارعة للأمور التى يطلبها سبحانه منكم. شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ أَى بالعدل و لا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ أَى لا- يحملنكم بغض الكفار لكم على أَلَّا تَعْدِلُوا أَى على الجور عليهم اغدوا أَى اعملوا بالعدل فالعدل هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى لا تَقَاءَ مَا يَغْضِبُ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ وَ اتَّقُوا اللَّهَ تَقْوَى حَقِيقَةً قد طلبها سبحانه مكررا حيث إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ: مر معناه. ٩- وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ... وعد الله الذين صدقوا بالله و رسوله و عملوا الطاعات واجبات و مندوبات لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ أَى عفو و ثواب جزيل ... و الجنة. و ليعلم أن فعل: وعد، له مفعولان، أحدهما: الذين آمنوا. و الثانى: لهم مغفرة. و كلاهما منصوبان محلا. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ١١٤ ١٠- وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ... بعد ذكر وعد المؤمنين بالمغفرة و الجنة عقبه سبحانه بالوعيد للكافرين و الذين جحدوا الله و رسوله و كذبوا بدلائل الله و براهينه أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ أَى أهل نار السعير و أصحابها. فانها معدة لهم و هم فيها ما كثون لأنهم المعدون لها و هى بانتظارهم. ١١- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ يَذْكُرُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ بِنِعْمَةٍ خَاصَةٍ مِنْ بَها عليهم إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَى حاول جماعة أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ أَى أن يبطشوا بكم، و معنى بسط اليد هو مدها إلى المبطوش به. و حين أرادوا الفتك بكم رأف سبحانه بكم. فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ أَى منعها و جعلها مكفوفة منقبضة قصيرة عن أن تنالكم بسوء و المقصود محاولة قتل يهود بنى النضير لرسول الله (ص) فأخبره جبرائيل (ع) بنيتهم و أنجاه الله منهم. وَ اتَّقُوا اللَّهَ مِنْ مَعْنَاهُ. وَ عَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ لأنه كاف من توكل عليه و هو حسبه. ١٢- وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ... أَى أنه تعالى عاهد اليهود، على الوفاء منهم بما أخذ عليهم من عهد. وَ بَعَثْنَا أَى أرسلنا مِنْهُمْ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا بعدد أسباط بنى إسرائيل جعل لكل عشيرة نقيبا هو الذى يفحص عن أحوال جماعته و تكون له الرئاسة عليهم. فالنقيب هو الرئيس، و قد قيل بأن هؤلاء النقباء كانوا فى عصر موسى (ع) و كانت لهم الوزارة فى زمنه ثم كانوا أنبياء من بعده، و قيل أيضا إنهم أوصياء و لكنه قول لا يعتد به. و الله سبحانه لم يذكر شيئا يكشف عن حقيقة حالهم فالسكوت عما سكت عنه تعالى أولى. وَ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ أَعِينَكُمْ عَلَيْهِمْ وَ أَنْصِرْكُمْ. لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَ أَتَيْتُمُ الزَّكَاةَ أَى أعطيتموها وَ آمَنْتُمْ بِرُسُلِي فَصَدَقْتُمُوهُمْ. وَ عَزَّزْتُمُوهُمْ أَى احترمتموهم. وَ أَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا أَى بذلتم فى سبيل الله من أموالكم بلا منه و من غير رياء. بل خالصا لوجهه سبحانه و هذا هو القرض الحسن. لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ فَأَعْفُو عَنْ ذُنُوبِكُمْ وَ لَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ واضح المعنى فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ أَى بعد الميثاق فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ يعنى ضاع عن طريق الهداية. ١٣- فَبِمَا نَفَقْتُمْ مِنْهُ مِثْقَلُهُمْ لَعَنَّاكُمْ ... أَى ابعدنا اليهود عن رحمتنا بإخلافهم لذلك العهد الذى أخذناه منهم بأن مسخناهم و عذبناهم بصنوف العذاب. و ما زائدة وَ جَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً أَى

يابسة غليظة فلم ندخل فيها من رحمتنا لتلين، فتحجرت، ومنهم من قرأها: قسيّة، مبالغه في قساوتها و رداءتها، بحيث صاروا: يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ أَيْ يَزُورُونَ الأحكام و يغيرون الأوامر و النواهي و ما يجيء من عند الله. و هذا منتهى الذم لهم. وَ نَسُوا حَظًّا أَيْ تركوا نصيبا وافرا ممّا ذُكِّرُوا بِهِ و نهتهم أو أمرتهم به التوراة كوجوب اتباع محمد (ص) و لا- تَرَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ أَيْ لا يزال ينكشف لك- يا محمد- خيانه جماعه منهم اتخذوا الخيانه دأبا و دينا لهم. إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ لا يكونوا خائنين، بل آمنوا به (ص) و اتبعوه، و هم الذين أوصاه (ص) بالكف عنهم و رعايتهم ليشبوا على الإيمان فقال له: فَأَعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ أَيْ تجاوز عن بعض سقطاتهم، و تسامح عما يبدو منهم إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ لأنه محسن غاية الإحسان. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ١١٥ ١٤- وَ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا: إِنَّا نَصَارَى ... أَيْ: و من الذين سمّوا أنفسهم بهذا الاسم مدّعين أنهم أنصار الله و هذه الآية معطوفه على سابقتها أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ و شرطنا عليهم عهدا كما شرطنا على اليهود من قبلهم فَتَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ يعنى: غفلوا و تركوا نصيبهم الذى كان قد كتب لهم فى حال الوفاء بالعهد و اتباع محمد (ص) فَأَعْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعِدَاةَ وَ الْبُغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَيْ: أوقعنا فى قلوبهم عداوة بعضهم لبعض و كره بعضهم بعضا إلى يوم لقاء الله أو إلى يوم خروج المهدي (عج) و لا يمكن أن يزول الخلاف بين فرقهم إلا يومذاك. فطوائف النصرارى تخلو قلوبها يومئذ من العداوة و البغضاء لأن الكل يصيرون مسلمين متآخين بعد أن يظهر الله الإسلام على الدين كله بيد الحجة (عج)، و لذلك يسمى عصر خروجه (عج) بعصر القيامة الصغرى. أما يوم القيامة الكبرى و بعث الناس بعد موتهم فسيحاسب الله النصرارى الذين بقوا على الكفر و ماتوا عليه وَ سَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ أَيْ أنه تعالى يخبرهم يومئذ بما عملوا و بما فعلوا. ١٥- يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا .. يَا أَيُّهَا الْيَهُودُ وَ النَّصَارَى قَدْ بَعَثْنَا رَسُولَنَا الَّذِى وَعَدْنَاكُمْ بِهِ يُبَيِّنُ لَكُمْ يوضح لكم كثيراً مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ أَيْ صفات و أوصاف نبي آخر الزمان (ص) و كثيرا مما كنتم من معلوماتكم الموجودة فى التوراة و الإنجيل عنه وَ يَغْفُوا عَنْ كَثِيرٍ مما تخفونه قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ هُوَ هَذَا النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ وَ كِتَابٌ مُبَيَّنٌ وَاضِحٌ المعانى هو القرآن الكريم. ١٦- يَهْدِي بِهِ اللَّهُ ... أَيْ: يرشد و يدل من اتبع رضوانه أَيْ: الذى سلك السبيل المؤدية إلى رضاه سُبُلَ السَّلَامِ يعنى طرق الرضى و التسليم ... وَ يُخْرِجُهُمْ أَيْ المتبعين لرضوانه مِنَ الظُّلُمَاتِ ظلمات الجهل و الكفر إِلَى النُّورِ نور الإيمان و ضياء الحقيقة المتجليه بالإسلام. بِإِذْنِهِ أَيْ بإجازته و لطفه و توفيقه. وَ يَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ إِلَى الطريق المستقيمة و هى الإسلام حيث يصلون من خلاله إلى الجنة. ١٧- لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا ... أَكْذَبَ سَبْحَانَهُ بحرف التحقيق كفر جميع الذين قالوا: إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ لأن المسيح عليه السلام عبد مخلوق مرزوق، خلقه بقدرته، و جعله معجزة للتدليل على عظمته، و جعله نبيا فى المهد ليكون دليلا على أمره و رسولا إلى عبادته، فما هذه الجرأة منهم على الله؟ قُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّد: فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أَيْ من عنده و له قدرة تفوق قدرة الله تعالى، إِنْ أَرَادَ وَ شَاءَ أَنْ يُهْلِكَ يَمِيتَ الْمَسِيحُ ابْنَ مَرْيَمَ الذى اتخذتموه ربّا، وَ أُمُّهُ مَرْيَمُ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا يَفْنِيهِمْ بِأَسْرِهِمْ؟ ... وَ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ يملكهما مع ما فيهما من كائنات هُوَ يملك ما بينهما من شمس و كواكب و معجزات، فالمسيح و أمه (ع) سيان مع بقية الأشياء و الكائنات بالنسبة للوجود فهما مقهوران له تعالى كغيرهما، و كيف يمكن أن يكونا معبودين و قد أوجدا و يمكن أن يفنيا، و هما محتاجان للأكل و النوم و مفتقران لرحمة الله كسائر مخلوقاته؟ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ كيف يشاء و حين يشاء بلا منازع و لا حاجة لمعين وَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ لا يعجزه شئ مهما عظم فى عالم الإيجاد. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ١١٦ ١٨- وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَ النَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَ أَحِبَّاؤُهُ ... أَيْ: و ادّعى هؤلاء أنهم أبناء الله و أنه تعالى يحبهم و أنهم ليسوا كغيرهم من الناس. فَأَنْتَ يَا مُحَمَّد قُلْ لَهُمْ موبِّخا و مستهزئا فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ وَ يَزِجُ المذنب منكم فى النار مع أن الأب يشفق على ولده فلا يعاقبهم؟ فكيف إذا كان يحبهم بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ كَبَقِيَةِ الْبَشَرِ مِمَّنْ خَلَقَ لا تزيدون على الناس بقرباه و لا تتمتعون بأفضليه، كُلٌّ بِحَسَبِ وَزَرِهِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ يغفر للمؤمنين المطيعين و يعاقب الكفرة العاصين وَ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مَا بَيْنَهُمَا مِنْ مَعْنَاهُ وَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ أَيْ مرجع الموجودات جميعا علويها و سفليها يردها إليه بقدرته و يجازى كل عامل طبق عدالته. ١٩- يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ ... مِنْ مَعْنَاهُ. عَلَى فِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَيْ حين انقطاع الوحى مدة طويلة، فبعث نبينا (ص) حيث

لم يكن نبي ولا وصي يبين للناس ما اختلفوا فيه. أَنْ تَقُولُوا غدا يوم القيامة: ما جاءنا مِنْ بَشِيرٍ أَى نَبِيٍّ يَشِيرنا بِرحمة الله و يدلنا على صراطه المستقيم. وَلَا نَذِيرٍ يَخَوِّفنا مِنْ سخطه إِنْ نحن اجتَرأنا على معاصيه. فَقَدْ جاءَكُمْ بَشِيرٌ وَ نَذِيرٌ هو محمد (ص) وَ الله يذكركم بقدرته لأنه على كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ أَى مستطيع. ٢٠- وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ ... أَى: اذكروا يا محمد لهؤلاء المعاندين الذين كانوا يعصون أمر نبيهم موسى (ع) عند ما قال لهم يا قوم اذكروا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ أَى فضله إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ اختارهم لهدايتكم، يقال إِنْ عددهم بلغ ألف نبي فى مدة ألف و سبعمائة سنة كانت بين موسى و عيسى (ع). وَ جَعَلَكُمْ مُلُوكًا سلاطين كطالوت و داود و سليمان وَ آتَاكُمْ ما لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ أَى أعطاكم ما لم يعط غيركم فى عالمى زمانكم من النعم و وسائل القوة. و التى لم تشكروا الله عليها بمقدار ما اغتررتم بها و طغيتم. ٢١- يا قوم اذْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ ... أَى أن موسى (ع) قال لقومه: إِنْ الله يأمركم أن تدخلوا- بعد هذا التيه- إلى أرض بيت المقدس الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ أَى قَدَّر و كتب ذلك فى اللوح المحفوظ وَ لَا- تَزْنَدُوا عَلَى أَذْبَارِكُمْ لَا ترجعوا القهقرى منهزمين خوفاً فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ أَى فتبوءوا بالخسران فى الدنيا و الآخرة. ٢٢- قَالُوا يا موسى إِنْ فيها قَوْمًا جَبَّارِينَ ... فَأجابوا بأن فيها جماعة قوية ذات بأس شديد و كان أهلها من العمالقة وَ إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا أَى لن ندخلها ما دام هؤلاء الجبابرة فيها. فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ إِذْ لَا طَاقَةَ لَنَا بِالْكُونِ مَعَهُمْ. ٢٣- قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ ... قيل إِنْ الرجلين هما يوشع بن نون و كaleb بن يوفنا و كانا يخافان الله أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا بِالْإِيمَانِ الصَّادِقِ. اذْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ أَى فاجئوهم بدخول باب قريتهم فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ أَى منتصرون. وَ عَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ أَى سَلِّمُوا الْأَمْرَ إِلَيْهِ تَعَالَى إِنْ كُنْتُمْ مُصَدِّقِينَ بقوله و وعده. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ١١٧ ٢٤- قَالُوا يا موسى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا ما دَامُوا فِيهَا ... أَى العمالقة و تمردوا بذلك على نبيهم و لم يعابوا بمقالة الرجلين المؤمنين و امتنعوا عن دخول تلك القرية مستعملين النفى بلن. فَادْهَبْ أَنْتَ وَ رَبُّكَ الذى أوحى لك بهذا الأمر فَقاتِلَا الْعَمَالِقَةَ وَ حدكما ... إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ لَا نَشْرَكَ بِحَرْبِ مَعَكُمْ بل ننتظر نصركما و غلبتكما! ٢٥- قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَ أَخِي ... شكى موسى (ع) بثه إلى ربه بعد عصيان قومه فلم يطمئن إلى أحد سوى نفسه و أخيه هارون (ع) فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَ بَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ أَى: افصل بيننا و بين هؤلاء المنافقين الخارجين عن أمرك. ٢٦- قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً ... فقد حَرَّمَ الله سبحانه عليهم دخول الأرض المقدسة مدة أربعين سنة بسبب عصيانهم. يَتَّبِعُونَ أَى يضلون و يضيعون فى الْأَرْضِ الَّتِي هُمْ فِيهَا- و هى صحراء التيه من سيناء- فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ أَى فلا تحزن على القوم الخارجين على أوامر الله. ٢٧- وَ أَنْزَلَ عَلَيْهِمْ نَبِيًّا ابْنُ آدَمَ بِالْحَقِّ ... أَى و اقرأ عليهم يا محمد خبر ابنى آدم قاييل و هابيل بالصدق و قيل إِنْ الخطاب لموسى (ع) إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا وَ هو ما يتقرب به العبد إلى الله عَزَّ وَ جَلَّ فيبيذه فى سبيله كالضحية و غيرها فَتَقَبَّلَ أَى قبله الله تعالى و رضىه مِنْ أَحَدِهِمَا وَ لَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ بل رفضه لأن قاييل الذى قرّبه لله حاسد لم يقصد به وجه الله تعالى. قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ هذا قول من لم يتقبل الله قربانه لأخيه الذى تقبل قربانه مؤكداً ذلك باللام و النون. قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ يَرْضَى الْقُرْبَانَ و العمل و هذا قول من تقبل قربانه مِنَ الْمُتَّقِينَ الذين يخافونه و يطلبون رضاه. ٢٨- لَئِنْ بَسَّيْتُ إِلَيْكَ يَدَكَ لَتَقْتُلَنِي ... أَى إذا مددت يدك إلى لتقتلنى ما أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِي وَ قَرِئَ بِسُكُونِ الْيَاءِ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ فَإِنِّي لَا أَمْدُ يَدِي لِقَتْلِكَ يا أخى إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ وَ أَخْشَى غَضَبَهُ وَ سَخَطَهُ. ٢٩- إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَ إِثْمِكَ ... أريد أن ترجع من فعلتك هذه آثما مضاعف الإثم تحمل ذنبى و ذنبك. و كلامه هذا يدل على أنه هو أيضا قادر على قتل قاييل الذى هو أكبر منه سنا و لكنه لا يريد أن يفعل هذا. فَتَكُونُ مِنَ أَصْحَابِ النَّارِ وَ ذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ: أَى فتصير بذلك من الملازمين للنار و ذلك عقاب العاصين. ٣٠- فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ ... المعنى أن نفسه الخبيثة سهلت له قتل أخيه و جعلته طوع يديه فَاصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ فخرس دنياه و آخرته. ٣١- فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ ... فَإِنْ قاييل لما قتل أخاه و رآه ميتا وقف متحيرا لا يدرى ما يصنع؟ و ماذا يفعل ليخفى هذه الجثة عن والديه و إخوانه و عن السباع؟ و كيف يسترها و يوارئها عن الأنظار؟ فوقع نظره على طائر- هو الغراب- يَبْحَثُ أَى يحفر الأرض لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي يستر سوءه أَى جثة أخيه الميت. فتعلم طريقة دفن أخيه و قال: قَالَ يَا وَيْلَتَى أَى له الويل و الحزن أَعْجَزْتُ ما قدرت أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سُوءَ أَخِي وَ

أستر جثته وأدفنه كما دفن هذا الغراب أخاه؟ ... فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ أى على قتله أخاه حين لا ينفع الندم ... إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ١١٨ ٣٢- مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ ... يعنى من أجل قصة هابيل وقايل، فرضنا وقضينا وقدرنا على بنى إسرائيل، وغيرهم طبعاً. ولكنه خصهم بالذكر لأنهم أهل شغب وفتن واعتداءات. أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَى من غير قصاص، بحيث يقتل القاتل بمن قتله فقط. أو بغير فسادٍ فى الأرضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا أى فتن و شغب موجب للقتل كقطع الطريق والشرك فإنه يتحمل إثم كل قاتل من الناس لأنه يكون بفعله قد سهّل القتل لغيره، ومن زجر عن قتلها بما فيه حياتها فقد أحيا الناس بسلامتهم منه. وفيه أقوال أخرى. وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ أَى بالبراهين لإتمام الحجّة على بنى إسرائيل وعلى جميع الناس سيما بعد إنزال الكتب السماوية عليهم ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ أَى من بنى إسرائيل بَعْدَ ذَلِكَ الذى كتبناه عليهم من القصص الشديده فى الآخرة فى الأرضِ لَمُسْرِفُونَ أى متجاوزون عن الحق وعن حدود الشرع: المسرفون هم الذين يستحلون المحارم ويسفكون الدماء كما ورد فى المجمع عن الصادق (ع). ٣٣- إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا ... أى أن الله وضع حدا لمن يحاربون أولياء الله والمؤمنين بشهر السلاح وقطع الطرق وغيرها وهو أَنْ يُقْتَلُوا، أَوْ يُضْلَبُوا، أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ، أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ... أى فإن قتل فعليه القتل، وإن زاد عليه بأخذ المال فقط فجزاؤه مضافا إلى القتل أن يصلب للفضيحة والعبرة، وإذا أخذ المال فقط فجزاؤه أن تقطع يده ورجله من خلاف، وإن أخاف السبيل فقط بلا تجاوز إلى أحد فإنما عليه النفي من بلده إلى بلد آخر، يتوب حقيقة أو يموت أو يخرج من بلاد الإسلام. ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا أى أن ما ذكر من عقاب هو لفضيحتهم فى الدنيا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ والإبهام فى عذابهم يشير إلى شدته وعظمه. وفى هذا دلالة على بطلان قول من ذهب إلى أن إقامة الحدود تكفير للمعاصي، لأنه سبحانه بين أن لهم فى الآخرة عذابا عظيما مع أنه أقيمت عليهم الحدود، نعم قد استثنى سبحانه الذين عناهم بقوله: ٣٤- إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ ... هؤلاء هم الذين يتوبون عن أفعالهم قبل أخذهم واقتداركم عليهم. فَاعْلَمُوا أَيُّهَا النَّاسُ أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ يقبل التوبة، ويعفو عن المذنبين ويرحم عباده ... ٣٥- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ ... أى حاذروه وتجنبوا ما يغضبه وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ اطلبوا واسطة تقربكم إلى رحمته ورضاه. وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ وَحَارِبُوا الْأَعْدَاءَ لرفع كلمه الله ... لَعَلَّكُمْ أَى عساكم تَفْلِحُونَ أى تفوزون دنيا وآخرة. ٣٦- إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ ... أكد سبحانه مكررا أنه لو ملك الذين كفروا كل ما على وجه الأرض من الأموال جميعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ بحيث يصير ضعفى ما على الأرض لِيَفْتَدُوا بِهِ أى ليجعلوه فدية لأنفسهم، تقيهم مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ما تُقْبَلُ مِنْهُمْ ما قبل منهم فدية، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ موجع مهياً حاضراً لا يدفع عنهم. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ١١٩ ٣٧- يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ ... أى أن الكفار يتمنون ويرغبون فى الخروج من النار يوم القيامة وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا إلى الأبد إذ لا وسيلة لديهم توصلهم إلى ذلك. وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ دائم، مستقر. لا ينفك عنهم ولا ينفكون عنه. ٣٨- وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا ... هذه الآية تتناول حدا من الحدود التى فرضها الله على معصية معينة. فقد قال سبحانه اقطعوا يد السارق أو السارقة بكيفية محدّدة وشروط منصوصة فى السنة الشريفة. إذا ثبت جرمهما شرعا. جزاء بما كسبا عقابا موافقا لما جناه من الإثم، وَنَكَالًا مِنَ اللَّهِ أَى انتقاما منه وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ مر معناه. وأصل الحكم بقطع يد السارق مما أجمع عليه فقهاء الإسلام سواء كان السارق ذكرا أو أنثى وان اختلفوا فى بعض جزئياته وشروطه. ٣٩- فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ ... أى ندم على سرقة و ظلمه لنفسه ولغيره، وأصلح ببراءة ذمته وردّ ما سرقه إلى صاحبه قبل أن يقدر عليه الحاكم. فَإِنَّ اللَّهَ يُتُوبُ عَلَيْهِ أَى يقبل توبته. إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ مر معناه. ٤٠- أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ... على ما فى السابق، ثم يقول له: أَلَمْ تَتَّقْ - يا محمد- بأن ربك يملك السماوات والأرضين يتصرف فيهن بلا منازع يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ الْعَصَاةِ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ مِنَ التَّائِبِينَ النادمين المنيين إليه، وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ذو قوة تقهر كل شىء ولا يقوم لها شىء. ٤١- يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ ... يا محمد: لا تحزن لاستعجال من يرمى نفسه فى الكفر من هؤلاء المنافقين، ولا لتظاهروهم بإعلانه كلما سنحت لهم الفرصة إلى ذلك. فهم مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ

قُلُوبُهُمْ فَيَايَمَانِهِمْ لَمْ يَتَجَاوَزْ حُدُودَ الْقَوْلِ بِاللِّسَانِ دُونَ الْعَقِيدَةِ الْقَلِيلَةِ الصَّادِقَةِ. وَمِنْ الَّذِينَ هَادُوا أَى الْيَهُودَ الْمَعَانِدُونَ فَهَمْ سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ أَى: كَثِيرُوا الْاسْتِمَاعَ إِلَى الْكَذِبِ، يَسْتَغْرِقُونَ وَقْتَهُمْ وَطَاقَاتِهِمْ فِيهِ. سَمَاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُواكَ كَثِيرُوا الْاسْتِمَاعَ لِكَلَامِ طَائِفَةٍ أُخْرَى مِنَ الْيَهُودِ لَمْ يَحْضُرُوا إِلَيْكَ - يَا مُحَمَّد - بَغْضًا لَكَ يُحَرِّقُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعِيدِ مَوَاضِعِهِ أَى يَغَيِّرُونَ الْمَقْصُودَ بِهِ، وَ يَمِيلُونَهُ عَمَّا أَرَادَ اللَّهُ لَهُ، يَقُولُونَ أَى الْمُحَرِّفُونَ يَقُولُونَ لِلْمَنَافِقِينَ الَّذِينَ يَسْتَمْعُونَ إِلَيْهِمْ. إِنَّ أُوتِيْتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ أَى إِنْ أَفْتَاكُمْ مُحَمَّدٌ (ص) بِهَذَا الْحُكْمِ الْمُحَرِّفِ فَاقْبَلُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاخْذَرُوا وَإِنْ حُكِمَ لَكُمْ بِخِلَافِ ذَلِكَ فَكُونُوا حَذِرِينَ وَلَا تَقْبَلُوا فَتْوَاهُ. وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ أَى اخْتِبَارَهُ لِفُضِيحَتِهِ وَ خِذْلَانِهِ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أَى لَنْ تَقْدِرَ أَنْتَ وَلَا أَحَدٌ أَنْ يَنْجِيَهُ مِنَ الْفُضِيحَةِ الْمَهْلِكَةِ غَيْرَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ لِأَنَّهُمْ اخْتَارُوا تَدْنِسُهَا بِالْكَفْرِ وَالنِّفَاقِ فَأَوْكَلَهُمُ اللَّهُ إِلَى اخْتِيَارِهِمْ بَعْدَ أَنْ عَلِمَ أَنَّهُمْ لَيْسُوا أَهْلًا لِرَحْمَتِهِ كَمَا هُوَ شَأْنُهُ سُبْحَانَهُ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ. لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ بِدَفْعِ الْجَزِيَّةِ، وَ بِاجْلَانِهِمْ عَنِ الْمَدِينَةِ، وَ بِظُهُورِ الْإِسْلَامِ عَلَيْهِمْ. وَ بِكُسْرِ شَوْكَتِهِمْ وَ طَرْدِهِمْ مِنْ حَصُونِهِمْ وَ مَعَاqِلِهِمْ وَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ يَنْتَظِرُهُمْ وَ سَيُخْلَدُونَ فِيهِ إِلَى أَبَدِ الْأَبَدِ. إِرْشَادُ الْأَذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ١٢٠ ٤٢- سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ، أَكَالُونَ لِلشَّحْتِ ... كَثُرَ سُبْحَانَهُ كَوْنُهُمْ سَمَاعِينَ لِلْكَذِبِ لِيَبَيِّنَ أَنْ غَايَةَ اهْتِمَامِهِمْ كَانَتْ مُنْصَبَّةً عَلَى الْكَذِبِ وَ الْاسْتِمَاعِ الْكَثِيرِ إِلَيْهِ. وَ هُمْ إِلَى جَانِبِ ذَلِكَ كَثِيرُوا الْأَكْلِ لِلْحَرَامِ. لِأَنَّ أَكَالَ صَيْغَةً لِلْمَبَالِغَةِ. وَ قَدْ سَأَلَ الصَّادِقُ (ع) عَنِ السَّحْتِ فَقَالَ: الرِّشْيُ فِي الْحُكْمِ وَ ثَمَنُ الْمَيْتَةِ، وَ ثَمَنُ الْكَلْبِ، وَ ثَمَنُ الْخَمْرِ، وَ مَهْرُ الْبَغِيِّ، وَ أَجْرُ الْكَاهِنِ، وَ فِي رَوَايَةٍ: ثَمَنُ الْعِذْرَةِ سَحْتٌ. فَإِنْ جَاؤُكَ أَى: إِذَا أَتَاكَ هَؤُلَاءِ الْمُتَجَرِّثُونَ عَلَى اللَّهِ يَا مُحَمَّدُ لِلتَّحَاكُمِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ، أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَ لَكَ الْخِيَارُ بِالْحُكْمِ بَيْنَهُمْ، أَوْ بِالْإِعْرَاضِ عَنْهُمْ وَ عَدَمُ الْحُكْمِ بَيْنَهُمْ. وَ إِنْ تَعَرَّضَ عَنْهُمْ فَلَنْ يَصُرُّوكَ شَيْئًا لَا يُمْكِنُ أَنْ يَحْصَلَ لَكَ أَذَى مِنْ جَزَاءِ الْحُكْمِ وَلَا مِنْ جَزَاءِ عَدَمِ الْحُكْمِ. وَ إِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ أَى بِالْعَدْلِ. إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ الَّذِينَ يَعْدِلُونَ مَعَ النَّاسِ فِي قَوْلِهِمْ وَ فِعْلِهِمْ. ٤٣- وَ كَيْفَ يُحْكَمُونَكَ وَ عِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ... كَيْفَ يَتَحَاكَمُونَ عِنْدَكَ وَ هُمْ لَا يَعْتَقِدُونَ بِنُبُوتِكَ وَ غَيْرِ مُؤْمِنِينَ بِرِسَالَتِكَ، فِي حِينِ أَنْ الْحُكْمَ الَّذِي يَطْلُبُونَهُ مِنْكَ مَنْصُوصٌ فِي كِتَابِهِمُ التَّوْرَةِ الَّتِي فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ. ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ أَى يَعْرِضُونَ عَنِ الْحُكْمِ الْحَقِّ حَتَّى وَ لَوْ طَابَقَ حُكْمُ كِتَابِهِمُ السَّمَاءِ. وَ مَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ أَى لَيْسُوا بِمُصَدِّقِينَ بِمَا فِي كِتَابِهِمْ، وَ لَا بِحُكْمِكَ الْمَطَابِقِ لَهُ. ٤٤- إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَ نُورٌ ... يُوَكِّدُ سُبْحَانَهُ أَنْ فِي التَّوْرَةِ مَا يَهْدِي النَّاسَ إِلَى الْحَقِّ، وَ مَا يَنْبِيهِ لَهُمْ طَرِيقَ الرِّشَادِ، مِثْلُهَا مِثْلُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ يُحْكَمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا أَى أَنْبِيَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَ مَنْ أَسْلَمَ عَلَى أَيْدِيهِمْ وَ اهْتَدَى بِهَدَاهُمْ. لِلَّذِينَ هَادُوا أَى لِلْيَهُودِ الْمُصَدِّقِينَ بِاللَّهِ وَ أَنْبِيَائِهِ. وَ كَذَلِكَ الرِّبَابِيُّونَ أَى الرُّوحَانِيُّونَ وَ الْأَخْبَارُ الرُّؤَسَاءُ الدِّينِيُّونَ بِمَا اسْتَحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ أَى بِمَا كَانُوا مُتَعَاهِدِينَ بِحِفْظِهِ مِنَ التَّوْرَةِ الَّتِي أَنْزَلَهَا اللَّهُ وَ كَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ أَى شَاهِدِينَ عَلَى تَطْبِيقِ أَحْكَامِهِ، فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ تَخَافُوا النَّاسَ وَ اخْشَوُا خَافُوا جَانِبِي وَ لَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا أَى لَا تَبِيعُواهَا بِالثَّمَنِ الزَّهِيدِ عَنَادًا وَ جَهْلًا، وَ مَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَ بَدَّلَ حِسْبَ هَوَاهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ وَاضِحُ الْمَعْنَى. ٤٥- وَ كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ ... أَى أَلْزَمْنَا الْيَهُودَ بِمَا فِيهَا، مِنْ أَنْ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا مُحْتَرَمَةً بِغَيْرِ جَرَمٍ مُوجِبٍ لِلْقَتْلِ فَلَا بَدَّ مِنْ قَتْلِهِ وَ الْعَيْنُ إِذَا فُقِضَتْ عَدَوَانًا، تَفْدَى بِالْعَيْنِ أَى عَيْنِ الْجَانِي وَ كَذَلِكَ الْأَنْفُ بِالْأَنْفِ يَفْدَى بِالْأَنْفِ حِينَ جَدَعَهُ ظُلْمًا وَ الْأُذُنُ الَّتِي تَشْرَطُ أَوْ تَجْتَدُّ بِالْأُذُنِ يَفْعَلُ بِهَا مَا فَعَلَ بِغَيْرِهَا وَ السِّنُّ بِالسِّنِّ وَ الْجُرُوحُ إِذَا حَصَلَتْ ظُلْمًا فَهِيَ قِصَاصٌ أَى ذَاتُ قِصَاصٍ يَنْظَرُ بِشَأْنِهِ أَهْلُ الْحُكْمِ وَ يَقْدَرُونَ أَرْشَهُ أَوْ جَزَاءَهُ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ أَى عَفَا وَ تَنَازَلَ عَنْ حَقِّهِ قَرَبَهُ إِلَى اللَّهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ أَى صَدَقَهُ عَنْهُ وَ تَكْفِيرًا لِدُنُوبِهِ. وَ فِي الْكَافِي عَنْ الصَّادِقِ (ع): يَكْفُرُ عَنْهُ مِنْ ذُنُوبِهِ بِمَقْدَارِ مَا عَفَى مِنْ جَرَا حِ غَيْرِهِ. وَ مَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْقِصَاصِ أَوْ الْعَفْوِ، فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ لِأَنْفُسِهِمْ وَ لَغَيْرِهِمْ. إِرْشَادُ الْأَذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ١٢١ ٤٦- وَ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ... يَعْنِي وَ أَتْبَعْنَا عَلَى آثَارِ النَّبِيِّينَ وَ هِيَ الطَّرِيقُ الَّتِي سَلَكَهَا بَعِيسَى (ع) فَسَارَ عَلَى نَفْسِ الطَّرِيقِ الَّتِي سَلَكَهَا سَلْفُهُ، مُصَدِّقًا لِمَا بَيَّنَّ يَدِيهِ أَى مُؤِيدًا لِمَا سَبَقَهُ مِنَ التَّوْرَةِ كِتَابِ الْيَهُودِ وَ آتِيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ أَعْطَيْنَا عِيسَى كِتَابَهُ السَّمَاءِ الَّذِي فِيهِ هُدًى وَ نُورٌ كَبْقِيَةِ الْكُتُبِ السَّمَاءِيَّةِ يَهْدِي النَّاسَ إِلَى الْحَقِّ وَ يَنْبِيهِ لَهُمْ طَرِيقَ رِشَادِهِمْ وَ قَدْ جَعَلْنَا إِنْجِيلَهُ مُصَدِّقًا لِمَا بَيَّنَّ يَدِيهِ مِنَ التَّوْرَةِ كَمَا أَنَّ عِيسَى (ع) صَدَّقَهَا وَ أَثْبَتَ مَا فِيهَا مِنْ أَحْكَامٍ. وَ جَعَلَ فِيهِ هُدًى وَ مَوْعِظَةً

لِلْمُتَّقِينَ يَهْتَدِي بِهِ النَّاسُ وَ يَسْتَفِيدُونَ مِنْ مَوَاعِظِهِ وَ آيَاتِهِ وَ بَيِّنَاتِهِ. ٤٧ - وَ لِيُحْكَمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ فِيهِ ... أمر تهديدي منه تعالى لأتباع عيسى (ع) بأن لا يتجاوزوا الإنجيل في أحكامهم، وَ مَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ الْفَاسِقُ: أى الخارج عن طريق الحق و الصلاح. ٤٨- وَ أُنْزِلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا .. الخطاب لمحمد (ص) يبين له أنه أنزل عليه القرآن المجيد بدين الحق الذى لا ريب فيه، و جعله مُصَدِّقًا موافقا لما بَيَّنَّ يَدِيهِ مِنَ الْكِتَابِ أى التوراة و الإنجيل و ما سبقهما من الكتب السماوية. لأن المراد بالكتاب هنا جنسه. وَ مَهْمِنًا عَلَيْهِ أى متسلطا عليه و محتويا له. و مراقبا و محافظا، و شاهدا عليه و على أصله غير المحرف إما بالنص أو بالتفسير و التأويل و التقديم و التأخير، و قد حصل لها ذلك كلها باستثناء القرآن. فَأَحْكَمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ لَكَ فِيهِ مِنْ أَحْكَامٍ وَ لَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ أَى لا- تمل مع ميولهم الفاسدة عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ فقد أصبحت - كقرآنك - مهيمنة عليهم، لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَ مِنْهَا جَاءَ الْخِطَابُ عام للأمم طرًا، فالله عز و علا، قد جعل لكل أمة شرعة تنير لها درب حياتها و طريقة تنظم شؤون تلك الحياة. وَ لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً يعنى لو أراد لجعلكم متفقين على دين واحد، وَ لَكِنْ جَعَلَكُمْ أُمَّةً مُخْتَلِفَةً لِيَبْلُوَكُمْ يَخْتَبِرَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِنَ الشَّرَائِعِ الْمُخْتَلِفَةِ فَاسْتَبَقُوا الْخَيْرَاتِ أى بادروا- أيها المؤمنون- و سارعوا إلى مزاوله كل ما هو خير و عمل صالح إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ معادكم و حسابكم جَمِيعًا بلا استثناء أحد. عند البعث و النشور، يوم يجمعكم الله بأمره فَيُبَيِّنُكُمْ يَخْبِرُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ أى بحقيقته ما كنتم تتنازعون بشأنه من اختلاف العقائد. ٤٩- وَ أَنْ أَحْكَمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ ... قد مرّ تفسير شبهتها وَ لَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَ لَكِنْ اخِذْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ أى انتبه إلى مكرهم لتحويلك عَنْ بَعْضِ مَا أُنْزِلَ اللَّهُ إِلَيْكَ أى عن أى شيء مما أوحى به تعالى إليك من الأحكام فَإِنْ تَوَلَّوْا انصرفوا عنك فَأَعْلَمْ أَنَّما يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصَيِّرَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ يَقْنِ يَا مُحَمَّدُ أَنْ تَوَلَّيَهُمْ سَيَكُونُ سَبَبًا لِأَنْ يَضُرَّهُمْ فَيُؤْذِيَهُمْ ببعض تلك الذنوب وَ إِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ أى خارجون عن طريق الحق و الصلاح. ٥٠- أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْتَغُونَ ... أفيريدون حكم الجاهلية و يطلبونه، و كل حكم جاهلى ليس فيه صلاح و لا مصلحة لأنه مبنى على الأهواء الرعناء ... وَ مَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا أى: ليس أحسن منه تعالى حكما صالحا لمصالح الناس و لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ يَصَدِّقُونَ و يؤمنون تمام الإيمان. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ١٢٢ ٥١- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَ النَّصَارَى ... يخاطب سبحانه المؤمنين، و ينهاهم عن اتخاذ اليهود و النصارى أولياء و هى جمع مفردها: ولئى، أى من يقوم مقام الشخص فى جميع أموره عند الحاجة فاليهود و النصارى بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ فلا ينبغي للمؤمنين أَنْ يَتَوَلَّوْهُمْ وَ مَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ أى من يخلص لهم الولاء فَإِنْ حَكَمَهُ كَحُكْمِهِمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ فالله لا يتولى هداية الظالمين بل يتركهم لاختيارهم. ٥٢- فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ... و المراد بالمرض هو النفاق و المراد هنا خاصة هو عبد الله بن أبى و أضرابه ممن أظهروا نفاقهم يُسَارِعُونَ فِيهِمْ أى يجذون فى معاونه اليهود و موادتهم و يَقُولُونَ نَحْشَى أى نخاف أَنْ تُصَيِّرَنَا دَائِرَةً أى أَنْ تَحِلَّ بِنَا مَصِيبُهُ. فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ لِرَسُولِهِ (ص) ... أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ أى: أمر يكون فيه إعزاز المؤمنين و إذلال المشركين ... فَيُضَيِّحُوا يَصِيرُوا عَلَى مَا أَسْرَوْا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا أَضْمَرُوهُ مِنَ الْخَبْثِ وَ النفاق نَادِمِينَ متحسرين على الشك الذى يخامر نفوسهم فى أمر النبى (ص). ٥٣- وَ يَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا ... أى أن المؤمنين يقولون متعجبين أ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ حَلْفًا بِهْ جَهْدَ إِيمَانِهِمْ حَلْفًا مَغْلَظًا إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ؟ و واضح أن هذا الاستفهام إنكارى، أى ليس الأمر كذلك بل المنافقون مع اليهود باطنًا، و لذلك حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ أى بطلت فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ للدنيا و الآخرة. ٥٤- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ ... خطاب للمؤمنين و الارتداد هو الرجوع عن الإسلام بعد اعتناقه، فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ أَى يستبدلهم بقوم آخرين يُحِبُّهُمْ اللَّهُ وَ يُحِبُّونَهُ فلا- يخالفونه أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أى لئنى الجانب على المصدقين بالله و رسوله أَعَزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ أى أشداء عليهم، يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يعنى يقاتلون لإعزاز دينه و إعلاء كلمته و لَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ لا يعيرون سمعهم لمن يلوم قسوتهم فى الحق. ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ أَى هذا التوفيق لكونهم كذلك يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ أى يعطيه من هو أهل لذلك وَ اللَّهُ وَاسِعٌ موسع فى عطايه عَلِيمٌ عارف. ٥٥- إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا ... الخطاب للمؤمنين أى أن المتولى لأُمُوركم بنحو الحصر هو الله و رسوله و المؤمنون و هم الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ فى حال نزول الآية الكريمة بدليل لفظة: يقيمون التى هى فعل

مضارع يفيد الحال والاستقبال، و مثلها: وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ أى يتصدقون حينئذ، أى حين نزول الآية الكريمة، وَهُمْ رَاكِعُونَ أى حال الركوع للصلاة فأنحصرت الولاية بعد الله تعالى، و بعد رسوله الكريم (ص) بمن كان ساعته يفعل الصدقة و هو راكع دون غيره من سائر العالمين فى ذلك الوقت و هو بالإجماع على بن أبى طالب (ع). ٥٦- وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا ... فَإِنْ الذى يتخذ الله تعالى، و رسوله (ص) و الذين آمنوا- و هم من ذكرنا فى الآية الشريفة السابقة- أولياء يكون من حزب الله، فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ المنتصرون. ٥٧- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ... يا أيها الذين صدقوا بالله و رسوله ابتعدوا عن الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا وَ لَعِبًا أى: الذين يستهزئون و يتلاعبون بدينكم، مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ أى اليهود و النصارى و فهم أيضا الكفار عبدة الأصنام. أولياء بجميع معانى التولى فارفضوا ولايتهم كلها وَ اتَّقُوا اللَّهَ أى تجنبوا ما يغضبه و اعملوا ما يرضيه، إِنَّ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ مُصَدِّقِينَ بما جاء من عند الله. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ١٢٣ ٥٨- وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُؤًا وَ لَعِبًا ... المناداة للصلاة تكون برفع الأذان الذى يدعو إلى الصلاة. فيهزأ بصلاتكم المشركون و الكفار و يظنونها لعبا. ذَلِكَ أى هذا الاستهزاء، كاشف بَأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ لأن العقل بذاته- يهدى الى نور الحقيقة، و يجنب الإنسان ظلمة الضلالة. و من مشى فى الضلالة كشف عن أنه فاقد للعقل فيضيع بجهله. ٥٩- قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَقْتُمُونَ مِنَّا ... أى قل يا محمد لأهل الكتاب: هل ثارت نفمتكم علينا، إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ أى صدقنا به و بصفاته و مَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا مِنَ الْقُرْآنِ وَ مَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ السَّابِقِينَ؟ وَ أَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ خارجون عن المبادئ الدينية و الخلقية. ٦٠- قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ ... أى إنكم تنقمون علينا إيماننا بالله و رسله و كتبه، فهل أخبركم بأسوأ من هذا مَثْوِيَّةً وَ أجرا عِنْدَ اللَّهِ يوم القيامة؟ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ أَبَعَدَهُ مِنْ رَحْمَتِهِ وَ غَضِبَ عَلَيْهِ أى: سخط عليه وَ جَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَ الْخَنَازِيرَ حين مسخ أصحاب السبت منهم، كما عنى كفره المسيحيين إذا مسخ الكفار بمائدة المسيح خنازير. وَ عَيَّدَ الطَّاغُوتُ أى الشيطان و الجبابرة و الظلمة و أولئك شَرٌّ مَكَانًا لَأَنَّهُمْ مِنْ أَهْلِ جَهَنَّمَ وَ أَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ وَ أَكْثَرُ ضِيَاعًا عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ ... ٦١- وَ إِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا ... يتكلم عز اسمه عن منافقى اليهود، حيث كانوا يقولون لكم إذا حضروا عندكم آمنا وَ حاله كونهم قَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَ اعتنقوه وَ هُمْ قَدْ خَرَجُوا حين أتوكم به فلا يؤثر فيهم ما سمعوا منك يا محمد وَ اللَّهُ أَعْلَمُ وَ أعرف منك و من جميع الناس بما كانوا يَكْتُمُونَ من خبث طبيعتهم و سوء سريرتهم ... ٦٢- وَ تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ ... فأنتم- يا محمد- ترى أكثر اليهود يتهافون على ارتكاب الذنوب و يتراكضون إلى العُدْوَانِ أى ظلم الناس وَ أَكْلِهِمُ السُّخْتِ أى أموال الناس بغير رضاهم كالرشوة و غيرها لِبَنَسٍ ما كانوا يَعْمَلُونَ فعملهم ذاك بنس العمل. ٦٣- لَوْ لَا- يَنْهَاهُمُ الرِّبَايُونُ وَ الْأَخْبَارُ ... فهو سبحانه يحرض الربانيين أى علماء اليهود و أجبارهم على نهى اليهود و منعهم عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ تكلمهم فى كل ما فيه معصية و ذنب لَوْ عَنْ أَكْلِهِمُ السُّخْتِ وَ هو كل مال حرام، لِبَنَسٍ ما كانوا يَصْنَعُونَ كتاكيد لسوء عمل أولئك الأخبار الذين تركوا وظيفتهم و عملوا بعكسها. ٦٤- وَ قَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ... أى مقبوضة عن العطاء حيث نسبوه تعالى إلى البخل غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ، وَ لَعُنُوا بِمَا قَالُوا وَ هذا دعاء عليهم منه تعالى بالبخل و التقدير و النكد، و لذلك كانوا من أبخل خلق الله فى الدنيا و بغلها فى نار جهنم فى الآخرة و ابعدوا عن رحمة الله. بَلْ يَدَاہُ مَبْسُوطَتَانِ وَ تنبيه اليمين فى الآية الشريفة بالنسبة إليه تعالى، ليكون الإنكار أبلغ و ليدل على إثبات غاية السخاء، إذ غاية الكرم أن يعطى المرء بيديه، و حاشا الله سبحانه عن اليد و العضو و الجسم، و هو يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ طبق ما يراه لصلاح عباده، و وفق حكمته فيهم. وَ لَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَ كُفْرًا أى اعلم أن الآيات التى تنزل عليك من عند ربك، هى موجبة لمزيد طغيان اليهود و كفرهم لأنهم أهل حقد على الحق وَ قَدْ أَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَ الْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فهم لا يجتمعون على أمر واحد، و لن ترتفع العداوة بينهم إلى أبد الآبدين، كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ أى أننا لهم بالمرصاد، و فى أى حين و فى أى مكان يشعلون فيه نارا للحرب و العدوان على المسلمين فإن الله سبحانه يخدمها بمَنِّه و لطفه بالمسلمين، و يخذلهم عند عدوانهم وَ يَشْعُرُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أى يعملون و يدأبون على نشر الفساد و يجدون فى إذاعته و إشاعته، وَ اللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ بل يكرههم و يعاقبهم أشد عقاب. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ١٢٤ ٦٥- وَ لَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَ اتَّقَوْا ... فهو لاء لو صدقوا برسالة

النبي (ص) و بما جاء به من عند ربّه و أطاعوا الله و لم يعصوه لَكَفَرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ أى سترنا عنهم ذنوبهم و محوناها، و تجاوزنا عنها لأن الإسلام يجب ما قبله، و لأن الإيمان يطهرهم و يؤهلهم للمغفرة. و لَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ بعدلنا و رحمتنا. ٦٦- و لَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَ الْإِنْجِيلَ ... أى لو أنهم عملوا بهما و بما فيهما من أحكام و ما أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ من الكتب التى سبقتهم، و من كتابيهم، و من القرآن العظيم، لَمَا كَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ يعنى: لو سَمِعَ الله عليهم الرزق و لأفاضه عليهم من جميع جوانبهم مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ أى معتدلة لم تغال فى الكفر و العناد بل بحثت عن الحقيقة فوصلت إلى الإيمان. و لكن كَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَحْمِلُونَ أى أن أكثرهم قبح عملهم حيث أقاموا على الكفر و الجحود. ٦٧- يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ... خطاب للرسول (ص) بأن يخبر الناس ما أنزل إليه منه. و روى عن ابن عباس و جابر بن عبد الله و غيرهما أن الله تعالى أمر نبيه يوم غدیر خم أن ينصب علياً للناس و يخبرهم بولايته، فخاف (ص) أن يحمله الناس على محاباة ابن عمه، و خشى أن يصعب ذلك على جماعة من أصحابه. لكن إنذار ربّه عزّ اسمه خوفاً أكثر إذ قال له: وَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ فقال عزّ من قائل إن كنت ذلك كنت كأنك لم تؤدّ من الرسالة شيئاً قط و الله يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ أى يحفظك و يمنعهم عنك و يحميك. إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ أى لا يمكنهم من رسوله الكريم من جزاء ذلك البلاغ. ٦٨- قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ ... أى لستم على الطريقة الشرعية التى سنّها الله حتّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَ الْإِنْجِيلَ فالله لا يعتبركم متمسكين بشيء من أوامره إذا لم تعملوا بما فيهما من تعاليم و بجميع ما أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ من الكتب السماوية، و من البشارة بمحمد (ص) و لَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَ كُفْرًا مر معناه. فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ أى لا تتأسف عليهم و لا تحزن. ٦٩- إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ الَّذِينَ هَادُوا وَ الصَّابِئُونَ وَ النَّصَارَى ... يؤكد سبحانه أن جميع هؤلاء المذكورين مَنْ آمَنَ منهم بالله و اليوم الآخر فكان موحداً مؤمناً بالبعث و النشور للحساب و عَمِلَ صَالِحًا و هذا شرط ثالث هام، لأن الثواب يكون أجراً للعمل فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ فِي الْآخِرَةِ وَ لَا هُمْ يَحْزَنُونَ إذ تشملهم النجاة من غضب الله و تنالهم الرحمة ... و قد مرّ بيان ذلك فى سورة البقرة. و الصابئون قال عنهم الإمام الصادق (ع): سَمِيَ الصَّابِئُونَ لأنهم صباؤا- أى مالوا و ذهبوا- إلى تعطيل سنن الأنبياء و الرسل و الشرائع، و قالوا: كل ما جاؤوا به باطل فهم بلا شريعة و لا كتاب. ٧٠- لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ... أى أخذ الله تعالى عليهم عهداً- فى كتابهم- بالتوحيد و بالبشارة بمحمد (ص) و أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا لِيُطْلِعُوهُمْ عَلَى الْأَوَامِرِ وَ النَّوَاهِي الْإِلَهِيَّةِ. كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِنَا بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ أى بما لا تحبه نفوسهم الخبيثة من التكليف الإلهية، فترى فَرِيقًا كَذَّبُوا أى كذبوا بعض تلك الرسل وَ فَرِيقًا يَقْتُلُونَ يقتلون بعضهم كفراً و عناداً. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ١٢٥ ٧١- وَ حَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةً ... أى أنهم ظنوا أنه لا يصيبهم من الله بلاء اختباري و عذاب فى الدنيا و الآخرة بتكذيب رسلهم و قتلهم فَعَمُوا أصابهم العمى عن محجة الحق وَ صَيَّرُوا ضَرْبَ عَلَى سَمْعِهِمْ فلم يستمعوا إلى حجة ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ أى تجاوز عنهم لما تابوا ثُمَّ عَمُوا عن الدين وَ صَمُّوا مرة أخرى كَثِيرٌ مِنْهُمْ أى أكثرهم. وَ اللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ يرى أعمالهم و يؤاخذهم بها. و عن الصادق (ع): و حسبوا أَلَّا تكون فتنة، قال: حيث كان النبي (ص) بين أظهرهم، فعموا و صموا حتى قبض (ص) ثم تاب عليهم حيث قام أمير المؤمنين (ع) ثم عموا و صموا إلى الساعة. ٧٢- لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ... فى هذه الآية الشريفة احتج الله سبحانه على النصارى الذين كفروا بقولهم: إن الله هو عيسى ابن مريم عليهما السلام بذاته، كاليقابة و سائر القائلين بالثالوث و الاتحاد. و ذلك لأنه (ع) لم يأمرهم بذلك، بل قال: وَ قَالَ الْمَسِيحُ لَهُمْ: يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَ رَبَّكُمْ فلم يفرق بينهم و بين نفسه فى أنه عبد مربوب مثلهم، إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ أى يمنعه منها لأنها دار الموحدين و مَأْوَاهُ النَّارُ التى هى دار الكافرين و المشركين و ما لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ أى ليس لهم من أحد يخلصهم من عذاب الله. ٧٣- لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ... و هؤلاء طائفتان من النصارى يسمون بالنسطورية و الملكانية، يقولون بأن الله أحد ثلاثة يتكوّن من الثالوث، أو من الله و عيسى و مريم. و ما مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ أى ليس فى عالم الوجود إلا ذات واجب الوجود الذى يستحق العبادة و هو سبحانه متعال بذاته عن قبول الشراكة. وَ إِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ به من الشّرك لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ أى عذاب موجه شديد. ٧٤- أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَ يَسْتَغْفِرُونَهُ

... أى: ألا يتركون تلك العقائد الزائفة بلا رجعة ثم يطلبون العفو من الله عما مضى منهم؟ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ مر معناه. ٧٥- مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ ... يعنى ليس عيسى بن مريم سوى نبي مرسل قَدْ خَلَتْ أَى مُضَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ فهو (ع) من جنس الأنبياء المبعوثين قبله لهداية البشر وإرشادهم إليه سبحانه، وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ مِنْ أَعْظَمِ الْمَصْدِقِينَ بِاللَّهِ وَالْقَانَتِينَ الْعَابِدِينَ الْمُتَبَتِّلِينَ لَهُ، كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ كَبَقِيَّةِ النَّاسِ لِأَنَّهُمَا مُحْتَاجَانِ إِلَى الْأَكْلِ وَالشَّرْبِ كَبَقِيَّةِ ذَوَى الْأَجْسَامِ الْقَابِلَةِ لِلتَّغْذِيَةِ، وَهَذَا يَعْنِي بِكَنَايَةِ لَطِيفَةِ لِلْغَايَةِ أَنَّهُمَا يَحْتَاجَانِ لِتَخْلِيَةِ الْبَطْنِ مِنْ ثَقَلِ فَضَلَاتِ الطَّعَامِ وَمُضْطَرَانِ لِلتَّغَوُّطِ، وَتَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ عَلَوًا كَبِيرًا. انْظُرْ كَيْفَ تُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ أَى نَوْضَحَ لَهُمُ الْعَلَامَاتِ وَنَظْهَرَهَا، ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤَفِّكُونَ وَانْظُرْ وَتَفَكَّرْ كَيْفَ يَقُولُونَ الْإِفْكَ وَالْبَاطِلَ الْأَخْرَقَ! ٧٦- قُلْ أَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ... أى قل يا محمد لهؤلاء: كيف تقصدون عبادتكم ما لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَهُوَ عِيسَى (ع) فليس بيده أن ينزل المحن ولا- أن يهب الصحة والسعة من ذاته وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ لِأَقْوَالِكُمُ الْعَلِيمُ بما فى ضمائركم. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ١٢٦ ٧٧- قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ ... أى لا تتجاوزوا الحد الذى حدّه الله فى عقيدتكم ولا تتصلبوا وتعنتوا غَيْرَ الْحَقِّ أَى: لَا تَغْلُوا غَلًّا بَاطِلًا بِتَخَطُّى الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَلَا تَسْلُكُوا طَرِيقَ رُؤَسَائِكُمُ الَّذِينَ ضَلُّوا قَبْلَكُمْ وَقَبْلَ بَعْثِهِ مُحَمَّدٌ (ص) حَيْثُ اتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ. وَأَضَلُّوا كَثِيرًا أَى ضَيَّعُوا الْكَثِيرِينَ مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ عَلَى التَّالِثِ وَالشَّرْكَ لَمَّا بَعَثَ مُحَمَّدٌ (ص) بِالْإِسْلَامِ وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ تَاهُوا عَنِ الطَّرِيقِ السَّوِيِّ حِينَ كَذَّبُوهُ (ص) وَبَغَوْا عَلَيْهِ. ٧٨- لِعَنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ... أى: طردوا من الرحمة، وَقَدْ حَصَلَ لَعْنُهُمْ سَابِقًا عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ. فَقَدْ دَعَا دَاوُدُ عَلَيْهِمْ فَصَارُوا قَرْدَةً وَدَعَا عِيسَى (ع) عَلَيْهِمْ فَصَارُوا خَنَازِيرَ. وَكَانُوا عَلَى مَا قِيلَ خَمْسَةَ آلَافٍ رَجُلٍ لَيْسَ بَيْنَهُمْ امْرَأَةٌ وَلَا صَبِي. ذَلِكَ أَى هَذَا اللَّعْنُ كَانَ بِمَا عَصَوْا بِسَبَبِ عَصْيَانِهِمْ وَكَانُوا يَغْتَبِدُونَ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ وَيَخَالِفُونَ أَمْرَ اللَّهِ وَنَوَاهِيهِ. ٧٩- كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ ... يعنى أَنَّهُمْ كَانُوا يَفْعَلُونَ الْمُنْكَرَاتِ وَالْمَحْزَمَاتِ وَلَا يَنْهَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا لِأَنَّهُمْ لَا- يَأْمُرُونَ بِمَعْرُوفٍ وَلَا يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ. لَيْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ أَى: بَسْ شَيْءَ فَعَلَهُمْ. ٨٠- تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَقُولُونَ الَّذِينَ كَفَرُوا ... أى يجعلون الكافرين أولياء لأموالهم، و يحبونهم بغضا لك يا محمد و عداوة للحق الذى جئت به. وَلَيْسَ مَا قَدَّمْتُ لَهُمْ أَنْفُسَهُمْ أَى لَيْسَ مَا سَوَّلْتُ لَهُمْ أَنْفُسَهُمْ مِنْ هَوَاهَا الَّذِي اتَّبَعُوهُ فَأَدَى بِهِمْ إِلَى أَنْ سَخَطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَى غَضِبَ عَلَيْهِمْ غَضَبًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ فِي الْآخِرَةِ. ٨١- وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ ... أى أن الذين حكى عنهم سبحانه فى الآية السابقة من الذين يتولون الكفار والجبارين، لم يتولوهم إلا لأنهم غير مؤمنين بالله ورسوله و ما أنزل على رسوله، و لو كانوا مصدقين ما اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ فَلَا أَحْبَوهُمْ وَلَا أَخْلَصُوا لَهُمْ لِأَنَّهُمْ حُبُّ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ وَحُبُّ أَعْدَائِهِ لَا يَجْتَمِعَانِ. وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ أَى خَارِجُونَ عَنِ طَرِيقِ الْهُدَايَةِ. وَمَا ثَلَوْنَ عَنِ جَادَةِ الْإِسْلَامِ الْمُسْتَقِيمَةِ. ٨٢- لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ ... يؤكد سبحانه أن اليهود أكثر عداوة للمؤمنين، هُم وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَذَلِكَ لِتَضَاعُفِ كُفْرِهِمْ وَإِفْرَاطِهِمْ فِي الْبَغْضِ لِلْحَقِّ، وَلَشِدَّةِ حَسَدِهِمْ وَمَعَادَاتِهِمْ لِلنَّبِيِّينَ. وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَى أَنْ النَّصَارَى- بِعَكْسِ الْيَهُودِ- قَرِيبُونَ مِنَ الْإِسْتِمَاعِ إِلَى الْحَقِّ لَطَاعَتِهِمُ اللَّيْنَةَ وَسَهُولَةُ دَعْوَتِهِمْ وَسُرْعَةُ عَوْدَتِهِمْ عَنِ الْجَهْلِ إِذَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ. لِأَنَّهُمْ يَدْعُونَ لِلْحُجَّةِ وَالْمَنْطِقِ، وَقَدْ كَانَ رَهْبَانُهُمْ وَعِلْمَاؤُهُمْ يَقْصِدُونَ أَثْمَتَنَا (ع) وَيَسْأَلُونَهُمْ عَنْ كَثِيرٍ مِنَ الْمَسَائِلِ، وَرَبَّمَا اهْتَدَى بَعْضُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ بِبَرَكَاتِهِمْ (ع). ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قَسِيصِيَيْنَ أَى رُؤَسَاءَ فِي الْعَمَلِ وَرُشْدِينَ وَرُهْبَانًا عُلَمَاءَ عِبَادًا زَاهِدًا وَأَنَّهُمْ جَمِيعًا لَا يَسْتَكْبِرُونَ وَلَيْسَ عِنْدَهُمْ عِجْرَةُ الْيَهُودِ وَلَا صُلْفُهُمْ. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ١٢٧ ٨٣- وَإِذَا سَخَّعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ الرُّسُولِ ... أى إذا وعوا بكامل سمعهم ما أنزله الله من آيات القرآن وبياناته ترى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ أَى يَبْكُونَ بِدَمْعٍ غَزِيرٍ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ أَى مِنْ أَجْلِ أَنَّهُمْ تَوَضَّعُوا إِلَى مَعْرِفَةِ الْحَقِّ يَقُولُونَ مُخْتَارِينَ رَبَّنَا آمَنَّا أَى صَدَقْنَا بِرَسُولِكَ وَكِتَابِكَ الَّذِي يَشْتَمِلُ عَلَى دِينِكَ فَانْكِتَبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ أَى: سَجَلْنَا مَعَ مَنْ شَهِدُوا بِنُبُوَّتِهِ. ٨٤- وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ ... جواب لمن قال لهم من قومهم تعنيفا: لم آمنتُمْ؟ أَى: لِأَيِّ عَذْرٍ لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أَتَانَا بِهِ مُحَمَّدٌ (ص) مِنَ الْإِسْلَامِ قَوْلَهُ تَعَالَى: وَمَا، اسْتِفْهَامُ إِنْكَارِي، أَى أَنَّهَا إِنْكَارٌ لِعَدَمِ الْإِيمَانِ مَعَ وَجُودِ مُوجِبِهِ وَهُوَ يَدُلُّ عَلَى شِدَّةِ رَغْبَتِهِمْ وَمَزِيدِ مِيلِهِمْ لِلدَّخُولِ فِيهَا دَخَلَ فِيهِ

المؤمنون وَ نَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ فَإِنْ طَمَعَهُمْ يَفْسِرُ رَغْبَتَهُم الشديدة بأن يكونوا في صف صالحى العباد. ٨٥-
فَأَنَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا ... فَكُتِبَ لَهُمْ سَبْحَانَهُ ثَوَابِ خُلُوصِ نِيَّاتِهِمْ فِي تَوْحِيدِهِمْ وَ امْتِثَالِهِمْ لِأَمْرِ رَسُولِهِ، وَ مَا وَعَدَ بِهِ الصَّالِحِينَ، إِذْ أَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَدْخُلُونَهَا بِإِيمَانِهِمُ الصَّادِقِ، وَ يَكُونُونَ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَى أَبَدِ الْأَبَدِ، وَ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ مِنْ عِبَادَةِ الْمُؤَخِّدِينَ الْمُخْلِصِينَ فِي الْقَوْلِ وَ الْعَمَلِ. ٨٦- وَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ... قَدْ ذَكَرَ سَبْحَانَهُ حَالِ الْمَصْدَقِينَ فِي الْآيَاتِ السَّابِقَةِ، ثُمَّ عَقَّبَهَا بِذِكْرِ حَالِ الْمَكْذِبِينَ الَّذِينَ أَصْرَوْا عَلَى الْكُفْرِ فَقَالَ عَنْهُمْ: أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ أَيْ سَكَانِ النَّارِ الْمَوْقُودَةِ الْمُسْعَرَةِ الَّتِي أَعَدَّتْ لِلْكَافِرِينَ. ٨٧- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحَرَّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ ... أَيْ لَا تَكْفُوا أَنْفُسَكُمْ عَنِ الْمُسْتَلَذَاتِ الَّتِي جَعَلَهَا اللَّهُ حَلَالًا لَكُمْ وَ لَا تَعْتَدُوا وَ تَتَجَاوَزُوا حُدُودَ اللَّهِ مِنَ الْحَلَالِ وَ الْحَرَامِ فَتَسْتَصِيبُوا مَا شِئْتُمْ حَسَبَ تَقْدِيرَاتِكُمْ. إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ بَلْ يَكْرَهُ مِنْ يَتَعَدَّى حُدُودَ مَا أَنْزَلَهُ عَلَى عِبَادِهِ. ٨٨- وَ كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا ... أَيْ كُلُوا أَكْلًا طَاهِرًا مُسْتَلَذًا وَ اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ أَيْ اْعْمَلُوا بِأَوَامِرِهِ وَ نَوَاهِيهِ لِأَنَّكُمْ مُؤْمِنُونَ بِهِ. ٨٩- لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ ... اللَّغْوُ فِي الْإِيمَانِ هُوَ مَا يَقُولُهُ النَّاسُ كَثِيرًا فِي مُحَادَثَاتِهِمْ «بلا- و الله، و بلى و الله، و بظنّ وقوع الأمر كذلك. فالله تعالى - رحمه منه- لا يؤاخذ عباده على تلك الأيمان اللاغية التي يستعملونها في كلامهم و محادثاتهم، و يقول لهم وَ لَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الْإِيمَانَ أَيْ أَنَّهُ يَحَاسِبُكُمْ عَلَى الْإِيمَانِ الْمَقْصُودَةِ الصَّادِرَةِ عَنِ عَقْدِ الْقَلْبِ وَ النِّيَّةِ بِجَزْمِ تَامٍ. فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَيْ أَنْ تَطْعَمُوا هَؤُلَاءِ الْعَشْرَةَ الْمَسَاكِينَ مِمَّا تَأْكُلُونَهُ فِي بَيْتِكُمْ عَادَةً لَا مِنْ رَدِيئِهِ. وَ عَنِ الصَّادِقِ (ع) أَنَّ الْوَسْطَ هُوَ الْخَلُّ وَ الزَيْتُونُ، وَ أَرْفَعَهُ الْخَبِزُ وَ اللَّحْمُ. أَوْ كَسَوْتُهُمْ أَيْ إِعْطَاوَهُمُ الْبِلَاسَ الْوَسْطَ مِمَّا تَلْبَسُونَ. أَوْ تَخْرِيْرُ رَقَبَةٍ أَيْ عَتَقَ عَبْدًا أَوْ أُمَةً أَوْ مَوْلُودَ مِنْهُمَا فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَّةً يَوْمَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ أَيْ أَنْ الَّذِي لَا- يَقْدِرُ عَلَى الْإِطْعَامِ وَ لَا عَلَى الْكِسْوَةِ وَ لَا عَلَى الْعَتَقِ، يَصُومُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ. ذَلِكَ أَيْ مَا ذَكَرَهُ سَبْحَانَهُ كَفَّارَةً أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ يَعْنِي: إِذَا حَلَفْتُمْ وَ حَشْتُمْ، وَ أَحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ أَيْ لَا تَبْذُلُوا فِيهَا، كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ يُوْضِحُ مَعَالِمَ دِينِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ بِأَمَلٍ أَنْ تَحْمَدُوهُ وَ تَكُونُوا مِنَ الشَّاكِرِينَ. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ١٢٨ ٩٠- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَ الْمَيْسِرُ ... مِنْهُمَا فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ وَ الْأَنْصَابِ وَ الْأَزْلَامِ مِنْهُمَا فِي أَوَّلِ هَذِهِ السُّورَةِ الْآيَةُ الثَّانِيَةُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ فَبِئْسَ نَجْسٌ نَجَسُهُ دَنَسُهُ مُلَازِمَةٌ لِلْحَرَمَةِ كُلِّهَا. لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ أَيْ رَجَاءُ فَوْزِكُمْ دُنْيَا وَ آخِرَةً. ٩١- إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعِدَاوَةَ ... أَيْ أَنَّ الشَّيْطَانَ يَقْصِدُ إِثَارَةَ الْعِدَاوَةِ بَيْنَكُمْ وَ الْبَغْضَاءِ فِي قُلُوبِكُمْ، فِي تَعَاطِيكُمُ الْخَمْرَ وَ الْمَيْسِرَ الْمُلَازِمِينَ لِإِثَارَةِ الْعِدَاوَةِ وَ الْبَغْضَاءِ كَمَا يَعْرِفُ ذَلِكَ الشَّارِبُونَ لِلْخَمْرِ وَ اللَّاعِبُونَ لِلْقَمَارِ وَ يَصِيدُكُمْ يَمْنَعُكُمْ مِنْ شَدِيدِهَا عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ أَيْ عَنْ تَذَكُّرِهِ فِي كُلِّ حَالٍ وَ عَنِ الصَّلَاةِ يَحُولُ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَهَا بِدَافِعِ السَّيْرِ أَوْ لَانْشَغَالِكُمْ بِالْمَقَامَرَةِ، فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ أَيْ: هَلْ أَنْتُمْ تَارِكُونَ لِهَذِهِ الْمَفَاسِدِ بَعْدَ بَيَانِ مَا فِيهَا مِنَ الصَّوَارِفِ عَنِ الطَّاعَاتِ. وَ الْاسْتِفْهَامُ لِلإِنْكَارِ. ٩٢- وَ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ، وَ اخْذَرُوا ... أَيْ امْتَثِلُوا أَمْرَهُمَا، وَ خَذُوا الْحَذَرَ وَ خَافُوا وَ تَجَنَّبُوا عَصِيَانَهُمَا، فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَيْ: أَعْرَضْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّ مَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ فَاعْرِفُوا جِدًّا أَنْ رَسُولَنَا مُحَمَّدٌ (ص) لَيْسَ عَلَيْهِ إِلَّا الدَّعْوَةُ إِلَى الدِّينِ وَ تَعْرِيفُ النَّاسِ مَا يَرْضَى رَبُّ الْعَالَمِينَ. ٩٣- لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ ... يَعْنِي لَيْسَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ الصَّالِحِينَ مُؤَاخَذَةٌ أَوْ إِثْمٌ فِيمَا طَعِمُوا أَيْ: أَكَلُوا وَ شَرَبُوا، إِذَا مَا اتَّقَوْا وَ آمَنُوا أَيْ صَدَقُوا بِاللَّهِ وَ بِرَسُولِهِ وَ أَطَاعُوهُ فِيمَا أَمَرَهُمْ بِهِ وَ نَهَاهُمْ عَنْهُ وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي زَمَانِهِمْ ذَاكَ، وَ تَجَنَّبُوا الْيَوْمَ الْخَمْرَ وَ الْمَيْسِرَ وَ غَيْرَهُمَا مِنَ الْمَحْرَمَاتِ. ثُمَّ اتَّقُوا أَيْ تَجَنَّبُوا ذَلِكَ وَ آمَنُوا صَدَقُوا بِمَا نَزَلَ مِنَ التَّحْرِيمِ ثُمَّ اتَّقُوا كَرَّرَهَا سَبْحَانَهُ لِأَهْمِيَّةِ الْأَمْرِ وَ خَطَرِ حَرَمَةِ تِلْكَ الْمَفَاسِدِ وَ أَحْسَنُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ وَ تَقَبَّلُوا أَوَامِرَ رَبِّهِمْ وَ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ الَّذِينَ يَفْعَلُونَ الْخَيْرَ لِأَنْفُسِهِمْ وَ لِغَيْرِهِمْ. ٩٤- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمْ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ ... نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ الْمُبَارَكَةُ عَامَ الْحَدِيثِ وَ قَدْ خَاطَبَ سَبْحَانَهُ بِهَا الْمُؤْمِنِينَ مُؤَكِّدًا فِي قَوْلِهِ: لَيَبْلُوَنَّكُمْ أَيْ يَخْتَبِرُكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ كُنَايَةً عَنْ مَطْلُوقِ صَيْدِ الْبَرِّ فِي الْحَرَمِ حَالِ الْإِحْرَامِ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا، وَ قَلِيلًا أَوْ كَثِيرًا. تَنَالَهُ أَيْدِيكُمْ وَ رِمَاحُكُمْ تَدْلِيلًا عَلَى كَثْرَةِ الصَّيْدِ إِذَا كَانَ الْقَرِيبَ يَقْنَصُ بِالْأَيْدِي، وَ الْبَعِيدَ يُؤْخِذُ بِالرَّمْحِ. لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ أَيْ: يَعْرِفُ سَبْحَانَهُ مَنْ يَخْشَاهُ فَعَلًا وَ بَيْنَهُ وَ بَيْنَ نَفْسِهِ

فَمَنْ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ أَى تَجَاوَزَ الْحَكْمَ بَعْدَ نَزْوِلِهِ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ مَوْجَع. ٩٥- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ ... أَى: لَا تَصْطَادُوا فِي حَالِ الْإِحْرَامِ. وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا أَى عَنْ قَصْدٍ وَتَصْمِيمٍ، فَجَزَاءٌ يَفْرَضُ عَلَيْهِ جَزَاءُ فَعْلِهِ، مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَى: يَقْدَرُ الْجَزَاءُ وَيَحْكُمُ بِهِ مُسْلِمَانِ عَادِلَانِ عَارِفَانِ بِالْمِثْلِ وَالْمِثَالِ فِي الْخَلْقَةِ هَدْيًا بِالْعِزِّ وَالْمَعْنَى أَنَّهُ يَسَاقُ كَبْقِيَةِ الْهَدْيِ الَّذِي يَضْحَى، وَيَذْبَحُ فِي الْحَرَمِ وَيَتَصَدَّقُ بِهِ. أَوْ يُعْطَى كَفَّارَةً أَى صَدَقَةً. وَذَلِكَ طَعَامٌ مَسَاكِينَ أَى كَفَّرُوا بِطَعَامِ مَسَاكِينَ بِقِيَمَةِ تَسَاوَى ثَمَنِ الْهَدْيِ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ أَى مَا يَسَاوِي ذَلِكَ الطَّعَامَ صَيَامًا فَيَصُومُ مَنْ لَا يَقْدِرُ عَلَى الْإِطْعَامِ، عَنْ إِطْعَامِ كُلِّ مُسْكِينٍ يَوْمًا. لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ يَعْنِي لِيَذُوقَ سُوءَ عَاقِبَتِهِ هَتَكَ لِحْرَمِهِ الْإِحْرَامَ، عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ أَى سَامَحَ الَّذِينَ فَعَلُوا ذَلِكَ فِي الْمَاضِي، وَأَمَّا مَنْ عَادَ وَاصْطَادَ مُحَرَّمًا مَرَّةً ثَانِيَةً فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ أَى يَجَازِيهِ جَزَاءً تَعَدُّ مَقْصُودًا، وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ أَى مُنِيعُ الْجَانِبِ صَاحِبُ انْتِقَامٍ مِنَ الْعَاصِينَ. إِرْشَادُ الْأُذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ١٢٩ ٩٦- أَجَلٌ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ ... أَى أَيْحَ لَكُمْ صَيْدُ الْمَاءِ وَطَعَامُ الْبَحْرِ حَالِ إِحْرَامِكُمْ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلنَّيَّارَةِ أَى طَعَامًا تَسْتَمْتَعُونَ بِهِ وَتَلْتَذُّونَ أَنْتُمْ وَالسَّيَّارَةُ: أَى الْمَسَافِرُونَ غَيْرَ الْمُحَرَّمِينَ وَحُرْمٌ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرْمًا أَى فِي حَالِ إِحْرَامِكُمْ، وَمُدَّةُ إِحْرَامِكُمْ. وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ بِتَرْكِ جَمِيعِ مَعَاصِيهِ وَفَعْلِ جَمِيعِ مَا أَمَرَ بِهِ لِأَنَّهُ سَوْفَ يَجْمَعُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِيَحْسَبَكُمْ عَلَى أَعْمَالِكُمْ. ٩٧- جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْيَتَّى الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ ... سَمِيَتْ الْكَعْبَةُ بِهَذَا الْاسْمِ لِأَنَّهَا قَرِيبَةُ الشَّكْلِ مِنَ الْجِسْمِ الْمَكْعَبِ وَدَعَاها اللَّهُ الْبَيْتَ الْحَرَامَ لِشَرَفَتِهَا وَحُرْمَتِهَا عِنْدَهُ وَعِنْدَ كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ قِيَامًا لِلنَّاسِ: أَى يَقِيمُونَ عِنْدَهَا شَعَائِرَ دِينِهِمْ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ أَى الْأَشْهُرَ الْحَرَمَ الْأَرْبَعَةَ وَالْهُدَى وَالْقَلَائِدَ وَهُوَ مَا يَهْدِي إِلَى الْكَعْبَةِ وَيَقْلُدُ بِالْعَلَامَاتِ، وَقَدْ ذَكَرْنَا ذَلِكَ مَفْصَلًا فِي أَوَائِلِ هَذِهِ السُّورَةِ ذَلِكَ أَى كُلُّ هَذَا الْجَعْلُ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَى: لَتَعْرِفُوا أَنَّهُ تَعَالَى عَالَمٌ بِجَمِيعِ مَا كَوْنُهُ وَأَجْرَاهُ فِيهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ. ٩٨- اَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ... أَى: قَوَى الْعَذَابِ وَاعْلَمُوا أَيْضًا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ أَى كَثِيرُ التَّجَاوُزِ عَنِ السَّيِّئَاتِ وَاسِعُ الرَّحْمَةِ. ٩٩- مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ ... أَى لَيْسَ عَلَيْهِ (ص) سِوَى أَنَّهُ بَلَّغَ رِسَالَةَ رَبِّهِ لِلنَّاسِ وَبِذَلِكَ تَمَّتِ الْحُجَّةُ عَلَيْهِمْ. وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ أَى: مَا تَظْهَرُونَهُ مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَمَا تَسْرُونَهُ مِنْ ذَلِكَ. ١٠٠- قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ ... أَى أَبْلَغُهُمْ يَا مُحَمَّدُ أَنَّهُ لَا يَتَسَاوَى الْحَرَامُ وَالْحَالِلُ، وَلَا الْعَمَلُ الصَّالِحُ مَعَ الْعَمَلِ الطَّالِحِ وَلَوْ أَعْجَبَكَ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ الْمُخَاطَبُ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ بَيْنَ النَّاسِ، فَإِنَّ قَلِيلَ الطَّيِّبِ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرِ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ تَجَنَّبُوا سَخَطَهُ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ يَا ذَوِي الْعُقُولِ الْكَامِلَةِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ أَى: طَمَعًا بِأَنْ تَكُونُوا مِنَ النَّاجِحِينَ. ١٠١- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَشِئُوا عَنْ أَشْيَاءٍ ... فَيَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَا تَسْأَلُوا الرَّسُولَ عَنْ أَشْيَاءٍ مُسْكُوتٍ عَنْهَا، وَهِيَ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ أَى إِذَا بَيْنَهَا لَكُمْ وَأَوْضَحَهَا تَسْأَلُكُمْ يَعْنِي تَغْمِكُمْ وَلَا يَنْفَعُكُمْ إِظْهَارُهَا لَكُمْ. وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنْزَلُ الْقُرْآنُ كُنَايَةً عَنْ عَصْرِ الرَّسُولِ (ص) فَلَوْ سَأَلْتُمْ عَنْهَا حِينَئِذٍ تَبَدَّدَ لَكُمْ أَى تَظْهَرُ، عَفَا اللَّهُ عَنْهَا أَى تَجَاوَزَ عَمَّا سَلَفَ فَلَا تَعُودُوا إِلَيْهِ. وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ أَى: كَثِيرُ الْمَسَامَحَةِ وَتَرْكُ الْعُقُوبَةِ. يَحْلُمُ عِنْدَ الْغَضَبِ وَيرْحَمُ الْخَاطِئِينَ. ١٠٢- قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ ... أَى سَأَلُوا عَنْ تِلْكَ الْأَشْيَاءِ الْمُسْكُوتِ عَنْهَا الَّتِي هِيَ مِنْ مَخْزُونِ عِلْمِ اللَّهِ ثُمَّ إِنْ الَّذِينَ سَأَلُوهَا أَصَابَحُوا أَى صَارُوا بِهَا كَافِرِينَ مُنْكَرِينَ لَهَا بَعْدَ أَنْ بَيَّنَّتْ لَهُمْ. ١٠٣- مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِغٍ وَلَا وَصِيلَةٍ ... الْبَحِيرَةُ هِيَ النَّاقَةُ الَّتِي شَقَّتْ أُذُنَهَا. وَكَانَ مِنْ دَابِّ الْجَاهِلِيِّينَ أَنْ النَّاقَةُ إِذَا أَنْجَبَتْ خَمْسَةَ أَبْطَنَ - وَقِيلَ عَشْرَةٌ - وَكَانَ الْآخِرُ ذَكَرًا، يَشَقُّونَ أُذُنَهَا وَيَدْعُونَهَا بِحَيْثُ لَا يَنْتَفِعُ أَحَدٌ مِنْ لَبْنِهَا وَلَا رَكُوبِهَا وَلَا حَمْلَ شَيْءٍ عَلَيْهَا حَتَّى مِنْ قَبْلِ صَاحِبِهَا. أَمَّا السَّائِغَةُ فَكَانَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ يَقُولُ: إِنْ قَدِمْتَ مِنْ سَفَرٍ أَوْ رُبِحْتَ مِنْ تِجَارَةٍ فَنَاقَتِي سَائِغَةٌ وَيَتْرَكُهَا سَائِغَةً وَتَحْرِمُ مَنَافِعَهَا كَالْبَحِيرَةِ. وَالْوَصِيلَةُ هِيَ أَنَّهُ إِذَا وَلَدَتْ الشَّاةُ أَثْنَى كَانَتْ لَهُمْ، وَإِنْ وَلَدَتْ ذَكَرًا كَانَتْ لِلْإِهْمِ، وَإِنْ وَلَدَتْهُمَا مَعًا لَمْ يَذْبَحُوا الذَّكَرَ إِذْ وَصَلَتْهُ أَخْتُهُ. وَلَا حَامٍ أَى فَحْلٍ إِذَا أَنْجَبَتْ عَشْرَةَ أَبْطَنَ حَرَّمُوا ظَهْرَهُ وَقَالُوا: حَمَى ظَهْرَهُ وَتَرَكَ فَلَا يَمْنَعُ مِنْ مَاءٍ وَلَا مَرَعَى ... فَهَذِهِ كُلُّهَا أَشْيَاءٌ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَافْتَرَاؤُهُمْ هُوَ كَذِبُهُمْ بِنِسْبَةِ تَحْرِيمِ الْأُمُورِ الْمَذْكُورَةِ فِي صَدْرِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ، وَكَثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَفْكُرُوا بَلْ قَلَّدُوا بِذَلِكَ كِبَرَاءَهُمْ لِعَدَمِ تَعَقُّلِهِمْ. إِرْشَادُ الْأُذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ١٣٠ ١٠٤- وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ ... يَعْنِي أَنَّ هَؤُلَاءِ الْكَافِرَةَ الْمُفْتَرِينَ لَوْ دَعَا لِمَعْرِفَةِ مَعَالِمِ الدِّينِ

الصحيح قالوا حسبنا أى يكفيننا ما وجدنا عليه آباءنا أى ما رأينا آباءنا يفعلونه. فرد عليهم سبحانه بصيغة استفهام إنكارى تعجبنى: أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ يعنى أنهم يقلدون آباءهم حتى ولو كان آبأؤهم جهلة متوغلين فى الضلالة والغواية؟

١٠٥- يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسِكُمْ ... فالله جلت قدرته له عناية خاصة بالمؤمنين، وهو هنا يأمرهم مرشدا إياهم إلى الاهتمام بأنفسهم قبل أى أحد فى مجال هدايتها وإصلاح شأنها لَا يَضُرُّكُمْ أَى لَا يُوْذِيْكُمْ مَنْ ضَلَّ أَى ضَاعَ عَنْ الْحَقِّ إِذَا أَنْتُمْ اهْتَدَيْتُمْ وَ سَرْتُمْ فى طريق الصلاح. إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ أَى معادكم جميعاً كلكم فَيَبْتَلُوكُمْ أَى يخبركم بما كُنتُمْ تَعْمَلُونَ فى دنياكم ويجازيكم عليه إن خيرا فخير وإن شرا فشر. ١٠٦- يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ ... البين: هو الفراق، ويعنى به هنا سبحانه فراق الدنيا. والإشهاد الذى شرعه لكم إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ أَى إِذَا بَدَتْ أُمَارَاتِهِ وَ عِلَامَاتِهِ حِينَ الْوَصِيَّةِ الَّتِي لَا بَدَّ أَنْ تَوْصُوا بِهَا فليشهد على الوصية اثنان ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَى اثنان موثقان عدلان من أهل دينكم أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أَوْ أَهْلِ الذِّمَّةِ عِنْدَ الْضَرُورَةِ. إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ أَى سافرتم فى طلب الرزق فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ أَى جاء أهلكم تَحْسِبُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ صَلَاةِ الْعَصْرِ الْعَامَّةِ فَيُقْسِمَانِ يَحْلِفَانِ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ إِنْ ارْتَبْتُمْ أَى ارتاب الوارث، وظننتم عدم صدقهما وشككنم بشهادتهما، يحلفان أننا لَا نَسْتَرِي بِهِ ثَمَنًا به: أَى بتحريف شهادتنا عوضا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى أَى: وَلَوْ كَانَ مِنْ نَقِسٍ لَهُ قَرِيبًا مِنَّا وَلَا نَكُفُّ شَهَادَةَ اللَّهِ أَى وَلَا نَخْفَى الشَّهَادَةَ الَّتِي أَمَرَنَا اللَّهُ بِأَدَائِهَا إِنَّا إِذَا أَى: إِنَّا لَوْ فَعَلْنَا ذَلِكَ لَمِنَ الْأَثِمِينَ الْمَذْنِبِينَ. ١٠٧- فَإِنْ عَثَرَ عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا ... أَى فَإِنْ أَطْلَعَ مَطَّلَعَ عَلَى كَوْنِهِمَا آثِمِينَ خَائِنِينَ فى أداء شهادتهما فَأَخْرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا أَى: فشاهدان آخران يقومان مقامهما باليمين مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأُولِيَّانِ أَى مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْإِثْمُ وَ جُنِيَ عَلَيْهِمْ وَ هُمُ أَهْلُ الْمِيثِ وَ عَشِيرَتِهِ. وَ الْأُولَيَانِ: هما الْأَحْقَانِ بِالشَّهَادَةِ فَيُقْسِمَانِ يَحْلِفَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتِنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا أَى أَصْدَقُ وَ مَا اعْتَدَيْنَا مَا تَجَاوَزْنَا الْحَقَّ بِذَلِكَ، وَ لَوْ فَعَلْنَا إِنَّا إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ لَأَنْفُسَنَا وَ لَغَيْرِنَا بِجَعْلِ الْحَقِّ بَاطِلًا وَ الْبَاطِلِ حَقًّا وَ لَوْ أَدْعَاء. ١٠٨- ذَٰلِكَ أَذْنَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا ... ذَلِكَ: أَى الْحُكْمُ الْمَذْكُورُ فى الْآيَةِ السَّابِقَةِ، أَذْنَى: أَقْرَبُ إِلَى أَنْ تَكُونَ الشَّهَادَةُ عَلَىٰ وَجْهِهَا الْحَقِيقَى أَوْ يَخَافُوا يَعْنَى يَخَافُ الْمَقْسِمَانِ أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانُ فَتَصْبِحَ الْأَيْمَانُ مَطْلُوبَةٌ مِنَ الْوَرِثَةِ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ فَيَحْلِفُ الْوَرِثَةُ عَلَىٰ كَذِبِ الشَّاهِدِينَ فَيَفْتَضِحُ أَمْرُهُمَا بِظُهُورِ الْخِيَانَةِ وَ الْيَمِينِ الْكَاذِبَةِ وَ اتَّقُوا اللَّهَ وَ اسْمِعُوا قَوْلَهُ وَ مَا أَمَرَكُمْ بِهِ وَ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ الَّذِينَ يَخْرُجُونَ عَنْ أَمْرِ اللَّهِ وَ طَاعَتِهِ. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ١٣١ ١٠٩- يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ ... لفظه: يَوْمَ مَنْصُوبَةٌ عَلَى الظَّرْفِيَّةِ، وَ نَصَبُهَا بِمَا يَتَعَلَّقُ بِالظَّرْفِ وَ هُوَ: اتَّقُوا يَوْمَ، أَوْ: اذْكُرُوا يَوْمَ وَ ذَلِكَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ حَيْثُ يَجْمَعُ سُبْحَانَهُ جَمِيعَ رُسُلِهِ إِلَى الْبَشَرِ لِيَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى أَمْمِهِمْ، وَ يَسْأَلُهُمْ بِمَاذَا أَجَابْتُمْكُمْ أَمَمَكُمْ وَ كَيْفَ تَلَقَّتْ رِسَالَتِ رَبِّهَا؟ قَالُوا أَى: فَقَالَ الرُّسُلُ الْكَرَامُ لَا- عَلِمْنَا أَى: لَا- عَلِمْنَا أَحْسَنَ وَ أَوْلَى بِالدَّقَّةِ مِنْ عِلْمِكَ لِأَنَّكَ تَعْلَمُ السَّرَائِرَ وَ مَا تَخْفَى الصُّدُورَ، فَهَمْ (ص) يَعْلَمُونَ يَقِينًا وَ لَكِنْهُمْ قَدَّمُوا عِلْمَهُ الشَّامِلَ عَلَى عِلْمِهِمْ. إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ أَى أَنَّكَ تَعْلَمُ مَا فى الضَّمَائِرِ وَ نَحْنُ لَا نَعْلَمُ إِلَّا الظُّوَاهِرَ. ١١٠- إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَ عَلَىٰ وَالِدَتِكَ ... أَى إِذْ يَقُولُ اللَّهُ فى الْآخِرَةِ يَا عِيسَى اذْكُرْ مَا أَنْعَمْتُ بِهِ عَلَيْكَ وَ عَلَى أُمِّكَ وَ أَشْكُرْهُ. إِذْ أَيْدُتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ يَعْنَى جِبْرَائِيلَ (ع) تَكَلَّمَ النَّاسُ فى عِيسَى اذْكُرْ مَا أَنْعَمْتُ بِهِ عَلَيْكَ وَ عَلَى أُمِّكَ وَ أَشْكُرْهُ. إِذْ أَيْدُتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ يَعْنَى جِبْرَائِيلَ (ع) تَكَلَّمَ النَّاسُ فى الْمَهْدِ أَى تَحْكِي وَ أَنْتَ طِفْلٌ حِينَ وَلَدْتِكَ وَ كَهْلًا أَى وَقْتُ أَشَدِّ الْبُلُوغِ وَ إِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ التَّوْرَةَ وَ الْإِنْجِيلَ الْكِتَابَ: أَى الْكِتَابَةَ دُونَ أَنْ تَتَعَلَّمَهَا مِنْ أَحَدٍ، وَ الْحِكْمَةُ: أَى الْكَلَامُ الْمَحْكَمُ، وَ جَعَلْتُكَ عَارِفًا بِكُتُبِ اللَّهِ السَّمَاوِيَّةِ كَالْتَّوْرَةِ وَ الْإِنْجِيلِ الَّذِينَ تَحَاجُّ بِهِمَا الْيَهُودُ. وَ إِذْ تَخَلَّقْتَ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي، فَتَنْفَخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي أَى: حِينَ تَصَوَّرُ مِنَ الطِّينِ- التَّرَابِ الْمَجْبُولِ بِالْمَاءِ- هَيْئَةَ طَيْرٍ بِإِجَازَةِ مِنِّى، ثُمَّ تَنْفَخُ فى تِلْكَ الصُّورَةِ الَّتِي شَكَّلْتَهَا فَتَصِيرُ طَيْرًا ذَا رُوحٍ بِأَمْرِى وَ تَبْرِيءُ تَشْفَى الْأَكْمَةَ الْأَعْمَى الَّذِى وَلَدَ مِنْ أُمِّهِ كَذَلِكَ، وَ الْأَبْرَصَ أَى تَشْفِيهِ بِإِذْنِي وَ رَخِصْتِى وَ إِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي أَى تَدْعُوهُمْ فَيَقُومُونَ مِنْ قُبُورِهِمْ وَ يَخْرُجُونَ مِنْهَا إِجَابَةً لَكَ بِقُدْرَةِ اللَّهِ. وَ إِذْ كَفَفْتُ أَى مَنَعْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ فَحَجَبْتُكَ عَنِ الْيَهُودِ لَمَّا أَرَادُوا قَتْلَكَ إِذْ حِينَ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَ أَظْهَرْتَ لَهُمُ الْبَرَاهِينَ الْقَاطِعَةَ عَلَى نَبُوتِكَ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ مِنَ الْيَهُودِ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ لَيْسَ هَذَا سِوَى سِحْرِ وَاضِح. ١١١- وَ إِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى

الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمَنُوا ... فقد ألهم سبحانه الحواريين أن صدّقوا فالوحي هنا بمعنى الإلهام، ومنه: و أوحينا إلى أم موسى، أى ألهمناها و ألقينا فى قلبها. بى وَ بَرَسُولِى وَ آمَنُوا بِرَبِّيَّتِى وَ بكونه نبيا قَالُوا وَ هم الحواريون: آمَنَّا صَدَقْنَا وَ أَشْهَدُ عَلَيْنَا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ أى: مسلمون و منقادون لأمرك. ١١٢- إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ... أى خاطبه سلام الله عليه حواريوه قائلين: هَلْ يَشَاءُ تَطِيعَ رَبِّكَ أى: هل يقدر أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ أى طعاما و شرابا مهيا من عنده سبحانه على خوان. و قيل بأن ذلك كان منهم فى أوائل عهد إيمانهم و بدء ملازمتهم لعيسى (ع). قَالَ لَهُم: اتَّقُوا اللَّهَ أى خافوا من غضبه إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَ مُصَدِّقِينَ بِهِ. ١١٣- قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا ... قال الحواريون- مصرّين- إن سؤالنا لرفع الحاجة بالأكل منها لا للامتحان وَ تَطْمِئِنُّ قُلُوبُنَا أى ترتاح وَ تهدأ من هذه الناحية الحياتية. وَ نَعْلَمُ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا أى يحصل لنا العلم بأنك صادق فى رسالتك وَ نَكُونُ عَلَيْهَا أى على المائدة مِنَ الشَّاهِدِينَ الحاضرين الذين يرونها نازلة من السماء. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ١٣٢ ١١٤- قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ: اللَّهُمَّ رَبَّنَا ... فبعد ما تبينت الثبات، توجه عيسى (ع) إلى الله، فقال: اللَّهُمَّ رَبَّنَا، لأن الرب هو الربى، و هذا أعم من تربية الأبدان أو النفوس: أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ حسب طلبهم تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَ آخِرِنَا أى نجعل يوم نزولها يوم عيد، منذ يوم نزولها فى عصرنا و لأهل زماننا، و للذين يأتون من بعدنا. وَ آيَةُ مِنْكَ أى علامة معجزة دالة على قدرتك الكاملة و على صدق نبوتى وَ أَرْزُقْنَا هذه المائدة وَ أَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ و وجه كونه سبحانه خير الرازقين، هو أن رزقه سرمد أبدى لا ينقطع ما زال المرزوق موجودا. ١١٥- قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ... أى أجاب سبحانه بشاهد الحال الذى هو إنزال المائدة، ثم شرط عليهم بقوله تعالى: فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ أى: ينكر شيئا يتعلق بربوبيتى و برسالة رسولى، فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ فقد توعد الكافر بعد ذلك بعذاب شديد يكون أشد من عذاب أى أحد من الناس. ١١٦- وَ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ... أى اذكروا يا أتباع عيسى قول الله سبحانه و تعالى لعيسى (ع): أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ مِنْ أَمْتِكَ: اتَّخِذُونِي وَ أُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ؟ ... و هذا استفهام إنكارى متضمن لتوبيخ أمته ما عدا الحواريين و المؤمنين برّبهم و برسوله. لأنهم وحدهم عبدوا الله تعالى. قَالَ سُبْحَانَكَ أى تزيها و تقديسا لك يا رب إننى بما تعرفه فى ما يَكُونُ لِي أى: ما ينبغى لى أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ وَ أَدْعَى الرَبوبِيَّةَ التى لا- حق لى فيها و لا- لأحد من دونك. إِنَّ كُنْتُ قُلْتُهُ لَهُؤُلَاءِ فَقَدْ عَلِمْتُهُ وَ استوعبته معرفتك بالظواهر و البواطن، لَأَنْكَ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي تَطَّلِعُ عَلَى جَمِيعِ مَا عِنْدِي وَ لَا- أَغْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ وَ أَنَا لَا أَعْرِفُ شَيْئًا مِنْ مَعْلُومَاتِكَ. سُبْحَانَكَ يَا رَبَّ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ أى شديد المعرفة بجميع ما غاب عن خلقك و ما استأثرت به لنفسك. ١١٧- مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ ... ما أمرتهم إلّا بما أمرتنى به أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَ رَبَّكُمْ فقد أمرتهم بعبادة الله الذى هو ربى و ربهم بجميع معانى الربوبية وَ كُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا أى شاهدا و رقيبا مَا دُمْتُ فِيهِمْ أى مدة بقائى بينهم فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي أى رفعتنى وَ أخذتنى بالموافاة إليك كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ أى الناظر و المراقب لأقوالهم و أفعالهم وَ أَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ أى عالم شاهد على ظواهر الأشياء و بواطنها. ١١٨- إِنَّ تَعَذُّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ... أى إن عذبتهم فإنهم عبادك و العبد و ما فى يده لمولاه، وَ إِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ أى: و إن تسامحهم و تغفو عن سيئاتهم، فَإِنَّكَ أَنْتَ الْقَادِرُ الْقَاهِرُ الْمَنِيعُ الْجَانِبُ، الحكيم فى ثوابك و عقابك. ١١٩- قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ... و المعنى: أن هذا الذى ذكرناه من كلام عيسى (ع) سيقع فى يوم ينتفع فيه الذين صدّقوا بالله و رسله بصدقهم. و هو يوم الحساب لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ، خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا مر معناه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لقولهم الحق و عملهم الصالح. وَ رَضُوا عَنْهُ لَأَنَّهُمْ كَانُوا فِي الدُّنْيَا وَ يَحْمَدُونَهُ عَلَى السَّرَّاءِ وَ الضَّرَّاءِ، و فى الآخرة أعطاهم أجزل العطاء مما لم يكن ليخطر لهم فى بال ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ أى: ذلك هو النجاح الكبير. ١٢٠- لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مَا فِيهِنَّ ... و بهذا البلاغ نزه الله سبحانه نفسه عن قول النصارى، إذ له ملك السماوات و الأرض و ما فيهن من موجودات و قد شملت المسيح (ع) مع أنهم قالوا بألوهيته وَ هُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ مر معناه. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ١٣٣

سورة الأنعام مكية، عدد آياتها ١٦٥ آية

١- الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ... أَى الشكر لله الخالق الذى ابتدع السماوات والأرض وأنشأهما وفى ذلك رد على الدهرية. وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالتُّورَ أَى صَيَّرهما موجودين. وفى ذلك رد على الثنوية وقد جمع جل شأنه الظلمات دون النور لأن الأجرام الفضائية كثيرة ولكل جرم منها ظل، فأشار سبحانه إلى جميع تلك الظلال «الظلمات» الكثيرة للأسباب التى ذكرناها، بخلاف النور الذى له سبب واحد وهو عدم وجود الظل. ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ أى بعد هذه القدرة الكاملة لله سبحانه فإن فريقاً من الناس كفروا ومالوا عن الحق وابتعدوا عن الله سبحانه. ٢- هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ... يستفاد من لفظة: من، أنه تعالى يشير إلى بدء خلقنا، فنحن من آدم (ع) و آدم من طين ونحن كذلك بواسطته فتساوينا معه. ثُمَّ قَضَى أَجَلًا أَى حتم وقتاً معيناً. وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ وقت معلوم عنده مكتوب فى اللوح المحفوظ وقيل بأنه ما بين الموت والبعث. ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ أى تشكون فى بعثكم بعد الموت والخطاب للكفار. ٣- وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ ... أى أن المعبود فى جميع الكائنات ليس إلا الله تعالى، سواء أكان ذلك فى السماوات أم فى الأرض. يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ مَا أَخْفَيْتُمْ فى أنفسكم وما أعلتكم وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ أى ما تجنون من خير أو شر. ٤- وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ ... أى ما جاءتهم حجة من حجج الله تعالى، إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ أى منصرفين رغم ظهورها. ٥- فَكَذَّبُوا بِالحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ ... أى كذبوا بما جاءهم به النبى (ص) من الحق من ربهم، وهو القرآن. فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ يعنى أن تكذيبهم بالحق وإعراضهم عن آيات الله لن يحولا دون مجيء أخبار ما استهزءوا به من نزول العذاب عليهم فى الدنيا وفى الآخرة. ٦- أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرُونٍ ... أَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى مَا أَفْنَيْنَاهُ قَبْلَهُمْ مِنْ أَهْلِ أُمَّةٍ مَقْتَرِينَ فى وقت قرن وهو مائة سنة مَكَّنَاهُمْ فى الْأَرْضِ أى أعطيناهم ملكاً وقوة ما لَمْ نَمَكِّنْ لَكُمْ ما لم نعظكم يا أهل مكة. وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِذْرَارًا أى كَثَرْنَا نَمَطَهُمْ بِغَزَارَةٍ وَنَفِضَ عَلَيْهِمُ الْبَرَكَاتِ وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمْ أى ماؤها يصلهم مع خيارته بسهولة فنسوا ذكر الله وارتكبوا المعاصى فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ أى دمرناهم لعدم إيمانهم وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرُونًا آخَرِينَ أى خلقنا أجيالاً غيرهم وأقمناهم بدلاً عنهم. ٧- وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فى قُرْطَاسٍ: يعنى لو أننا استجبنا لطلبهم وأنزلنا عليك سور القرآن مكتوبة فى ورق، فَلَمَّسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ يعنى تحسَّسوه بأيديهم، لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا عَنَادًا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ مؤكدين أنه سحر، لقسوة قلوبهم وشدة كفرهم. ٨- وَقَالُوا لَوْ لَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ... أى: هَلَّا نزل على محمد (ص) ملك من الملائكة نعاينه ونصدقه وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقَضَى الْأَمْرَ يعنى لو نزلنا الملك كما طلبوا لقضى الأمر بهلاكهم بكفرهم على يد ذلك الملك ثُمَّ لَا يَنْظُرُونَ أى لا يمهلون. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ١٣٤ ٩- وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا ... أى لو جعلنا الرسول ملكاً يعاين ويرى ويتكلم معه لمثلناه بصورة رجل ليكون من جنسكم إذ الملك لا يرى صورته من قبلهم وَلَلْبَشِينَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ أى أن الأمر يلتبس عليهم ويطنون الملك رجلاً مثلهم، فيبقى الإشكال قائماً عندهم. ١٠- وَلَقَدْ اسْتَهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ ... ذكر سبحانه لرسوله (ص) أن الرسل من قبله قد استهزأ بهم الناس وسخروا من دعوتهم إلى الله فَحَاقَ أى أحاط بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ استهزءوا من دعوتهم ما كانوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ وهو العذاب الذى هددهم به الرسل. ١١- قُلْ سِيرُوا فى الْأَرْضِ ... أى قل لهم يا محمد: اذهبوا فى الأرض وتبعوا ما أصاب الأمم من قبلكم، ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ وتأملوا بمصائر الذين كذبوا الرسل فأهلكهم الله بالعذاب جزاء كفرهم. ١٢- قُلْ لِمَنْ مَا فى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ... أى اسأل يا محمد من يعاندك: من هو المالك لما فى السماوات والأرض؟. قُلْ لِلَّهِ أى قل أنت إنه لله الذى خلقها وهو مالك أمرها خلق. كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أى اللطف بعباده لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ قرناً بعد قرن يأخذكم ويجمعكم ليوم الحساب. لَا رَيْبَ فِيهِ لَا شَكَّ، الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَيَعُوا بِأَن ضَلُّوا فَأَهْلَكُوها فى عذاب يومئذ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ لَا يصدقون. ١٣- وَلَهُ مَا سَكَنَ فى اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ... أى لله ما هدأ فى الليل، وتحرك فى النهار. وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَظِيمُ السَّمْعُ الْعَلِيمُ العارف أشد المعرفة بكل ما يملكه. ١٤- قُلْ أَعْيَزَ اللَّهُ أَتَعِدُّ وَرَائِي ... قل يا محمد للمعاندين: لا يجوز أن أتخذ مالكا لى ومولى غير الله فاطر السماوات والأرض أى مبدعهما وموجدتهما من كتم العدم. وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ أى يرزق ولا يرزق. قُلْ إِنِّى أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ أى أمرنى ربى بذلك. وَ لَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ونهيت عن الشرك. ١٥- قُلْ إِنِّى أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ: (٢) أى قل لهؤلاء يا محمد إني

أعلم وقيل: من الخوف إن اتخذت غيره وليا عذاب يوم القيامة الشديد. ١٦ - مَنْ يُصْرِفْ عَنْهُ ... أى من لا يناله العذاب بفضل الله يَوْمَئِذٍ فى يوم القيامة فَقَدْ رَحِمَهُ أى أشفق عليه الله سبحانه وَ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ أى للعباد هو الربح و الظفر الواضح. ١٧- وَإِنْ يَمَسَّ شَيْءٌ مِنَ اللَّهِ بَصُورٌ ... فَإِنْ أَصَابَكَ - يا محمد - شىء من الضرر المادى أو المعنوى فَلَا كَاشِفَ لَهُ أى لا رافع له إِلَّا هُوَ سبحانه وَإِنْ يَمَسَّ شَيْءٌ بِخَيْرٍ أى إِنْ يَصْبِكَ بنعمته و فضل فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ أى مستطيع قادر على كل من الخير و الضرر. ١٨- وَ هُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ... أى أنه سبحانه هو القادر الذى يقهر عباده بجميع معانى القهر وَ هُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ الذى يفعل بهم ما تقتضيه الحكمة و العليم بجميع ما يليق بهم. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ١٣٥ ١٩- قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً ... يا محمد قل: أى شهادة هى أعظم عند سائر العالمين؟ ف قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ: أى قل لهم الله أعظم شاهد يشهد لى بالنبوة و الرسالة. وَ أَوْحَى إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنَ نَزَلَ بِطَرِيقَةِ الْوَحْيِ لِأَنْذِرْكُمْ بِهِ وَ مَنْ بَلَغَ و الخطاب هنا لأهل مكة و نواحيها من جزيرة العرب و لسائر من بلغه ذلك من غيرهم إلى يوم الوقت المعلوم. أ إِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى و الهزمة الأولى للاستفهام الإنكارى أى قل لهم: كيف تشهدون بذلك قُلْ يا محمد: لَا أَشْهَدُ بما تشهدون به قُلْ: إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ مَعَهُ وَ لَا شَرِيكَ وَ إِنِّى بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ أَتَبَرَأُ مِنْ جَمِيعِ أَصْنَامِكُمُ الَّتِى تَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ. ٢٠- الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ... وَ هم اليهود و النصارى الذين يعرفون توراتهم و إنجيلهم مثلما يعرفون أولادهم، و يعرفون ما فيهما من البشارة بمحمد (ص) الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُنْكَرِينَ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ لَا يَصْذَقُونَ وَ هَذَا إِخْبَارٌ بِالْغَيْبِ مِنْهُ سُبْحَانَهُ. ٢١- وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ... أى لا أحد أعظم ظلماً مِمَّنِ يَتَعَمَّدُ الْإِفْرَاءَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى. أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ كَمَنْ كَذَّبَ بِالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ وَ بِمُعْجَزَاتِ النَّبِيِّ (ص) إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ أى لا يفوزون برحمته الله و لا- ينجحون بالتوصل إلى ما هدفوا إليه من أكاذيبهم. ٢٢- وَ يَوْمَ نَخْشِرُهُمْ جَمِيعًا ... أى جميع الكفار المكذبين يجمعهم يوم القيامة للسؤال. ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا: أَيْنَ شُرَكَائُكُمْ؟ يعنى أين الهتكُم الَّتِى جعلتموها شركاء لله؟ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ وَ تَظُنُّونَ غُرُورًا أَنَّهُمْ شُرَكَاءُ لِلَّهِ. ٢٣- ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتَنْتَهُمْ ... ثم لم تكن معذرتهم الَّتِى يتوهمون التخلص بها من عذاب الله. إِلَّا أَنْ قَالُوا: وَ اللَّهُ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ فَهُمْ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ كَذِبًا لَشِدَّةِ حَيْرَتِهِمْ أَمَامَ هَذَا السُّؤَالِ الْمَفْجَأِ. ٢٤- انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ ... بنفى شركهم و بالحلف على ذلك وَ ضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ أى ضاع عنهم ما افتروا به من أوثان و كذبوا على أنفسهم بتنصيبها أرباباً من دون الله. ٢٥- وَ مِنْهُمْ مَنْ يَشْتَرِعُ إِلَيْكَ ... يعنى أن بعض هؤلاء المشركين يصغون إليك و أنت تتلو القرآن. وَ جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً جَمَعَ كَنَانٍ، وَ هُوَ مَا يَغْطِى وَ يَسْتُرُ، فَقَدْ حُجِزَتِ الْأَكِنَّةُ بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ أَنْ يَفْقَهُوهُ وَ يَفْهَمُوا مَعَانِيهِ وَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرًا أى ثقلاً- فى السمع و صمماً وَ إِنْ يَرَوْا كَلِمَةَ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوهَا بِهَا أى لا- يصدقون بها لعنادهم الشديد حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ أى يخاصمونك و يناقشونك يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ مَجَادَلَتِكَ: إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ وَ الْأَسَاطِيرُ جَمْعُ أَسْطُورَةٍ، وَ هِيَ الْخُرَافَاتُ وَ الْأَبَاطِيلُ وَ الْمَقْصُودُ بِالْإِشَارَةِ الْقُرْآنَ. ٢٦- وَ هُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَ يَنْتَابُونَ عَنْهُ ... أى أن الكفرة يمنعون غيرهم من اتباع الكتاب و الرسول، و يبتعدون عن كل واحد منهما. وَ إِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ يعنى أنهم ينهيهم هذا و منعهم ذاك لا- يهلكون إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَ مَا يَشْعُرُونَ وَ لَا يَحْسُونَ بِأَنْ ضُرَّهِمْ لَا يَتَعَدَّاهُمْ إِلَى غَيْرِهِمْ. ٢٧- وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ ... يعنى يا ليتك تراهم و قد عرضوا على جهنم فقالوا: يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ أى نرجع إلى دار الدنيا وَ لَا نُكَذِّبُ بِآيَاتِ رَبَّنَا وَ نَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أى المصدقين بالنبى (ص) من دون ريب و تكذيب. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ١٣٦ ٢٨- بَلْ يَدَّاهُمَ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ ... يعنى أنهم يوم القيامة يظهر لهم واضحاً جميع ما كتموه من كفرهم وَ لَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ أى لو أرجعناهم إلى الحياة الدنيا لرجعوا إلى كفرهم و تكذبيهم وَ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ فيما يقولون. ٢٩- وَقَالُوا: إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا ... أى: لو أعيدوا لعادوا إلى سالف قولهم المذكور. وَ مَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ وَ لَنَفُوعُ الْبَعْثِ وَ الْحِسَابِ مِنْ جَدِيدٍ. ٣٠- وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى رَبِّهِمْ ... أى أيقنوا بوجوده و وقفوا على صدق ما جاء عن عذاب الكافرين قَالَ سُبْحَانَهُ لَهُمْ تَوْبِيخًا: أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ؟ أى البعث، و الحساب، و الجزاء. قَالُوا بلى فَأَجَابُوا: نَعَمْ وَ رَبَّنَا فَحْلَفُوا يَمِينًا وَ أَقْرَأُوا بِأَنْ أَمَرَ صَارَ عَنْدهم بغاية الوضوح قَالَ سُبْحَانَهُ لَهُمْ: فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ أى بسبب كفركم و

عنادكم ذوقوا العذاب الذى كنتم تجحدون به. ٣١- قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ ... أى أن الذين كذبوا بالبعث والحساب خسروا بعدم اعتقادهم بذلك حَتَّى إِذَا جَاءَهُمُ السَّاعَةُ يُعْنَى حين مجيء الموعد و قيام الساعة بَعَثَهُ فَجَاءَهُمْ قَالُوا: يَا خَسِرَتْنَا فنادوا عند معانيتهم العذاب يا ندمنا على ما فَرَّطْنَا أى قَصِرْنَا فيها يعنى فى الحياة الدنيا. وَ هُمْ يَحْمِلُونَ أَوزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أى أنقال ذنوبهم و آثامهم ألا- سَاءَ مَا يَزِرُونَ أى بشس الحمل حملهم. ٣٢- وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ... اعتبرها جلّ و علا هكذا لمن اتخذها لعبا و لهوا و كان أكثر عمره فى المعاصى و الغرور و الباطل و للدائر المآخرة خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أى أنها بدوام نعيمها خير محض لمن يتجنبون معاصى الله. أ فلا- تَعْقِلُونَ ألا- تفكرون بذلك فتؤمنون بما وعد الله عباده الصالحين؟ ٣٣- قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لِيَحْزُنَكَ الَّذِي يَقُولُونَ ... الضمير فى قوله تعالى: إنه، هو للشأن. أى أنه سبحانه يعرف أن من طبع البشر أن ينسب إليهم الكذب و التكذيب. فلا يحزنك قولهم ساحر كذاب أو ما أشبهه. فَإِنَّهُمْ لَا- يَكْذِبُونَكَ بل يرجع تكذيبهم إلى أنفسهم و لَكِنَّ الظَّالِمِينَ بآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ عن أكثر المفسرين: إنهم لَا يَكْذِبُونَكَ بقلوبهم اعتقادا بكذبك، بل يكفرون بآيات الله عزّ و علا. ٣٤- وَلَقَدْ كَذَبْتَ رَسُولٌ مِّنْ قَبْلِكَ ... قال الله سبحانه ذلك لتسكين قلبه (ص) لأن الرّسل كَذَبُوا فَصَبَرُوا على ما كَذَبُوا فلا بدّ لك يا نبى الله من الصبر فى قبال أذى قومك أسوة بغيرك من الأنبياء الذين كَذَبُوا وَ أَوْدُوا حَتَّى أَنَاهُمْ نَصِرْنَا فكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ. وَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ أى لقضائه بإتمام وعده و نصره لرسله. وَ لَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَاِ الْمُرْسَلِينَ أى ممّا ورد عليك من أخبار الأنبياء قبلك. ٣٥- وَ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ ... أى إذا ثقل عليك انصرافهم عنك و عَمَّا جِئْتَ بِهِ فَإِنَّ اسْتِطْعْتَ أى قدرت أَنْ تَبْتَغَى نَفَقًا فِى الْأَرْضِ تطلب منفذا و مدخلا فى جوف الأرض أَوْ سُلَمًا فِى السَّمَاءِ يعنى مرقاة ترتقى عليها لتصعد بواسطتها إلى السماء فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ تَجِئُهُمْ بمعجزة، فافعل. وَ لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى بِالْجَنَّةِ إِلَى الْإِيمَانِ فَلَا- تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ أى: فلا- تجزع فى مواطن الصبر فيكون حالك حال الجاهلين. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ١٣٧ ٣٦- إِنَّمَا يَسْتَحِيبُ الَّذِينَ يَشْكُرُونَ ... قد أكد سبحانه لنبيه (ص) أنه لا يستجيب له إلا الذين يسمعون دعوته بتفهّم و تدبّر، وَ الْمُؤْتَى يَنْعُتُهُمُ اللَّهُ أى يحييهم من قبورهم فيحكم فيهم، ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ يعادون للجزاء. ٣٧- وَ قَالُوا: لَوْ لَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ ... أى واقتروا مكابرة إنزال معجزة تكون غير ما أنزله الله تعالى على رسوله من الآيات و المعجزات قُلْ يَا مُحَمَّد: إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْزِلَ آيَةً أَى مستطيع أن ينزل آية تلجئهم و تجبرهم على الإيمان كالبراء و الصاعقة و القحط و لَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا- يَعْلَمُونَ ما فى إنزالها و إن الآية إذا جاءت و لم يؤمنوا بها هلكوا. ٣٨- وَ مَا مِنْ دَابَّةٍ فِى الْأَرْضِ ... أى ليس من حيوان مخلوق على وجه الأرض وَ لَا مِنْ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ وَ قد ذكر الجناحين لأنهما مختصان بالحيوان الذى يطير فى الفضاء فجمع بهذين التعبيرين جميع المخلوقات إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ أى أنها جماعات تشبهكم فى الخلق و الإبداع، و تدل على قدرة صانعها. ما فَرَّطْنَا فِى الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ أى ما تركنا فى اللوح المحفوظ أو القرآن شيئا لم نبينه مجملا أو مفصلا ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ أى أنهم جميعا يبعثون و يجمعون للحساب. ٣٩- وَ الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا صُمٌّ وَ بُكْمٌ ... أى الذين كذبوا بالقرآن هم طرش و خرس فى الظلمات أى ظلمات الجهل و الكفر وَ مَنْ يَشَأْ اللَّهُ يُضِلَّهُ أَى يخذله و يترك هدايته وَ مَنْ يَشَأْ يُجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ يهديه و يساعده على الهدى. ٤٠- قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ ... أى: قل يا محمد لهؤلاء الكفار أرايتم أنفسكم، فيما لو نزل عليكم عذاب الله فى الدنيا أَوْ أَتَتْكُمْ السَّاعَةُ يوم القيامة، أ غَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ؟ و هذا تعجيز لهم لأنهم فى مثل تلك الحال لا يدعون إلا الله سبحانه إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فى دعواكم بأن الأصنام آلهة؟ ٤١- بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ ... أى إلى الله تضرعون دون آلهتكم المزيّفة فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ أَى يزِيل ما حلّ بكم إِنْ شَاءَ إِذَا أَرَادَ، وَ تَسْئَلُونَ مَا تُشْرِكُونَ أى تجعلون حينئذ آلهتكم وراء ظهوركم. ٤٢- وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ ... يعنى: بعثنا رسلا إلى الأمم السابقة لعهدكم فكذبتم فأخذناهم بالبأساء أى شدة الفقر و البلاء وَ الضَّرَاءِ أى المرض لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ أى لكى يبتهلوا إلى الله فيرفع عنهم البلاء. ٤٣- فَلَوْ لَا- إِذْ جَاءَهُمْ بِأَسْمَانَا تَضَرَّعُوا ... أى: أنه لما جاءهم بأسنا و عذابنا لم يتضرَّعوا وَ لَكِنَّ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ جمدت على كفرها وَ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ ما كانوا يَعْمَلُونَ زخرف لهم أعمالهم الفاسدة بوسوسته. ٤٤- فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ ... أى لمّا نسوا ما نزل بهم من البأساء و الضراء، فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ من نعمنا و عطائنا رافئة و إتماما

للجنة عليهم، حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا وَبَطَرُوا وَلَمْ يَشْكُرُوا الْمُنْعَمَ بَلْ نَسُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً أَى فَجْأَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ أَى متحيرون آيسون من رحمته تعالى. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ١٣٨ ٤٥- فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا ... أَى أهلك آخر من بقى منهم وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ عَلَى إهلاك الظالمين المعاندين، وعلى إعلاء كلمة الحق. ويستفاد من هذا أنه ينبغي الشكر لله حين ينزل عذابا يطهر به الأرض من الظالمين. ٤٦- قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ ... قل يا محمد لهؤلاء المعاندين: إنه فى حال أن الله جعلكم صمًا وعميًا وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ بِأَنْ غَطَّى عَلَيْهَا بَعْمَى الْقُلُوبِ فَصَارَتْ لَا تَعْقِلُ مَنْ إِلَهَ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ؟ أَى فهل لديكم ربّ قادر على إرجاع ما أخذ الله منكم؟ ... انْظُرْ كَيْفَ نُصَيِّرُ الْآيَاتِ أَى نبينها ونوجهها ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ يعرضون. ٤٧- قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً ... يعنى فجأة أو أنه أتاكم جَهْرَةً أَى علنا وبتقديم مقدمه هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمُونَ يعنى لا يهلك هلاك سخط إِلَّا الكافرون والظالمون. و هل هنا للاستفهام الإنكارى. ٤٨- وَمَا نُزِّلَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ ... أَى لا نبعث أنبياءنا إِلَّا مبشرين بالخير للمؤمنين وذلك بأن لهم الجنة وَمُنْذِرِينَ للكَافِرِينَ بالنار فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ أَى صدّق الرّسل وحسن حاله فَلَا- خَوْفٌ عَلَيْهِمْ من عذاب الله يوم القيامة وَلَا- هُمْ يَحْزَنُونَ لفوت الثواب وخسارة الأجر الجزيل الذى وعد الله به المؤمنين. ٤٩- وَالَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا ... أَى: جحدوها وأنكروا ما جاءهم به رسلهم يَمَسُّهُمْ الْعَذَابُ يصبهم سخط الله وعذابه بما كانوا يَفْسُقُونَ أى بسبب خروجهم على الإيمان. ٥٠- قُلْ لَا- أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ ... قل يا محمد لهؤلاء العتاة العصاة ليس عندى مقدورات الله جَلَّ وعَزَّ وجميع ما يملك. فى مذخور علمه. فَإِنْ خَزَائِنُهُ سَبَّحَانَهُ ليست كما نتصور بعقولنا القاصرة أماكن يخزن فيها الرزق والنعم وَلَا- أَعْلَمُ الْغَيْبِ أَى لَا- أعرف ما انطوى عنى من علم اختصّ الله تعالى به نفسه وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ولست ملكا من الملائكة إِنِّى أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَلكنى أسير وفق ما يردنى من أوامر الوحي قُلْ لَهُمْ: هَلْ يَشْتَوِي يَتساوى لدى العقلاء الْمَاعْمَى وَالْبَصِيرُ أَى من يعلم ومن لَا- يعلم أَفَلَا- تَتَفَكَّرُونَ أَلَا- تتأملون بفكركم لتمييزوا بين الحق والباطل؟ ٥١- وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ ... وَأَنْذِرْ بِالْقُرْآنِ الَّذِينَ يَرْجُونَ الْوَصُولَ إِلَى رَحْمَةِ رَبِّهِمْ. لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ فَقَدْ حَصَرَ الْوَلَايَةَ بِهِ سَبَّحَانَهُ ثُمَّ الشفاعة التى أوردتها بصيغته المبالغه ليهتم الناس بها. لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَى من أجل أن يخافوا العاقبة ويتوبوا إلى رَبِّهِمْ. ٥٢- وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ... أَى لا تبعد عن مجلسك المؤمنين الذين يطلبون رضى الله عند الصباح وعند المساء، يُرِيدُونَ وَجْهَهُ أَى يبتغون رضاه مخلصين له. والجمله حالیه من الفعل: يدعون. مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ أَى لست مسئولًا عن محاسبتهم وليس لك إِلَّا الأخذ بما عليه ظاهرهم وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ وليسوا مسئولين عن محاسبتك على مَا تَفْعَلُ فَتَطْرُدُهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ فَإِنَّكَ تَظْلِمُهُمْ بطردهم من حولك وهذا جواب النهى، والفعل منصوب بفاء السببيه. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ١٣٩ ٥٣- وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ ... أَى وهكذا اخترنا بعضهم ببعض فى أمور الدين وما جرى من اختبار الأغنياء بهؤلاء الفقراء الذين طلبوا إبعادهم عن مجلس النبى (ص) مع أنهم سبقوهم إلى الإيمان به واتباعه لِيَقُولُوا: أَوْ هَؤُلَاءِ مَنْ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَى ليقول الأغنياء بإنكار: أَوْ هَؤُلَاءِ الْفُقَرَاءُ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِالْتَوْفِيقِ لِلْخَيْرِ وَالْإِيمَانِ مِنْ دُونِنَا مع أننا أغنياء وهم فقراء أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ فسفه قولهم مثبتا أنه تعالى أعرف بمن وفقهم لشكره. ٥٤- وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا ... أَى إِذَا جَاءَكَ يَا مُحَمَّدُ الَّذِينَ وَصَفُوا بِالتَّصْدِيقِ بِحُجَّتِنَا وَأُظْهِرُوا تَوْبَتَهُمْ فَقُلْ لَهُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا بِأَسْ عَلَيْكُمْ إِذْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرِّحْمَةَ يعنى أوجبها على ذاته القدسيه رافه عباده وهو أرحم بهم من أنفسهم أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ أَى من ارتكب إثما عن جهل بالحكم ثُمَّ تَابَ نَدَمًا وَأَقْلَعَ عَنْ مَارَسَتِهِ، مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ يعنى تدارك الأمر بإتيان الأعمال الصالحه والتوبه والإنابة فَآَنَّهُ جَلَّ وَعَلَا غَفُورٌ رَحِيمٌ كثير المغفره والرحمه ... ٥٥- وَكَذَلِكَ نَفْصِّلُ الْآيَاتِ ... أَى: وهكذا نبين الآيات ونوضحها وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ أَى: لتوضح طريق الظالمين لأنفسهم. و لفظه سبيل: تذكّر وتوئث. ٥٦- قُلْ إِنِّى نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ ... أمر سبَّحَانَهُ نَبِيَّهِ (ص) أن يعلن رفضه لعباده ما يعبدونه ويسمونهم ربيًا من أصنامهم مِنْ دُونِ اللَّهِ يعنى غير الله تعالى. قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَ كُمْ أَى لَا أَقْلِدُكُمْ فى اتباع هوى نفوسكم الضالاه وفى ذلك ما فيه من قطع لأطماعهم فى مساومته على دينه قَدْ ضَلَلْتُ إِذَا أَى انحرفت عن

طريق الحق بإطاعتكم و ما أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ أى: و ما أصبت شيئا من الهدى. و فى الآية تعريض واضح بما هم عليه من الكفر و الضلال. ٥٧- قُلْ إِنِّى عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّى ... أى على حجة واضحة من معرفه ربى و أنتم كَذَّبْتُمْ بِهِ و أنكرتموه ما عِنْدَى ما تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ أى ليس بيدى إنزال العذاب الذى تطلبونه و تستعجلون وقوعه، إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أى أن القضاء بذلك بيد الله يَقْضُ الْحَقُّ أى يخبره و يقول به وَ هُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ أى القاضين قضاء حقا. ٥٨- قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدَى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ ... أى أن ما تطلبون تعجيله من نزول العذاب لو كان بيدى و كنت أملك أمره لَقَضَيْتُ الْأَمْرَ بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ و لفصلت النزاع بينى و بينكم فأنزلت بكم العذاب غضبا لربى و عقيدتى وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ أعرف بهم. ٥٩- وَ عِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ ... مفاتيح: جمع مفتاح يعنى مخزن فعند الله تعالى خزائن علوم الغيب التى لا- يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ لا يعرفها غيره وَ يَعْلَمُ مَا فِى الْبُرِّ وَ الْبَحْرِ من ذوات الأرواح و غيرها وَ مَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا عَرَفَ لبثها على الغصن و أمدها و سقوطها و ما قبل ذلك و بعده وَ لَا حَبَّةٌ فِى ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ أى ما من حبة تسقط فى جوف الأرض إلا يعلم بها و يعلم أين صارت و كيف سقطت وَ لَا- رَطْبٌ وَ لَا- يَابِسٌ أى جميع ما فى الكائنات لأنها إما من اللدن الأخضر أو اليابس الجاف، فليس شىء من ذلك يفوت علمه، و ما من شىء مخلوق إِلَّا فِى كِتَابٍ مُبِينٍ أى فى لوح محفوظ مسجل و هو ثابت فى علمه سبحانه، لأن علمه تعالى ذاتى لا يقيد شىء. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ١٤٠ ٦٠- وَ هُوَ الَّذِى يُتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ ... التوفى هو المجرى للملاقاة، فيكون إما بقبض الروح عند النوم بأخذ أرواحكم الواعية إليه. أو عند الموت. وَ يَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم أى يعرف ما كسبتم و علمتم بالتهار أو غيره ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ فِيهِ أى يوقظكم و ينبئكم فى النهار من نومكم لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى أى ليحين أجل موتكم. ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ أى إلى الله سبحانه معادكم ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ أى يخبركم بما كُنتُمْ تَعْمَلُونَ فى دار الدنيا. ٦١- وَ هُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ... أى الغالب لهم وَ يُزِيلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً يَبِيعُ مَلَائِكَتُهُ تَحْمِيَكُمْ و تحصى أعمالكم حتى إذا جاء أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ حَانَ حِينُهُ تَوَفَّاهُ رُسُلُنَا أى قابضو الأرواح وَ هُمْ لَا يُفَرِّطُونَ يعنى لا يسبقون الأجل المقدر و لا يتأخرون عنه. ٦٢- ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ ... أى أنهم بعد قبض أرواحهم و موتهم أعيدهوا إلى مولاهم: من يتولّى أمورهم و مالهم و هو الله عز و جل. أَلَا- لَهُ الْحُكْمُ يعنى و الحكم بمصائر الخلق محصور به سبحانه وَ هُوَ أَسْرِعُ الْحَاسِبِينَ إذ يحاسبهم كلمح البصر. ٦٣- قُلْ مَنْ يُنْجِيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ ... أى من يخلصكم من أهوالهما. تَدْعُوهُ يَتَّبِعُونَ إِلَيْهِ تَضَرُّعًا وَ خُفْيَةً: أى علانية و سرا لئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ أى خلصنا مما نحن فيه من شدة لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ لنصيرن من الحامدين لله المطيعين له. ٦٤- قُلِ اللَّهُ يُنْجِيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ... قل يا محمد للناس: إن الله تعالى هو الذى ينجى الناس من الشدائد التى تحيق بهم فى البرّ و البحر، و من كل حزن ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ أى تجعلون له شريكا بعد ظهور الحجة عليكم ما لا يقدر على الإنجاء من شىء. ٦٥- قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا ... أخبر هؤلاء يا محمد أن الله قادر على إنزال العذاب عليكم مِنْ فَوْقِكُمْ كما فعل بأصحاب الفيل أو مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أى بالزلازل و الخسف أو يَلْبِسَكُمْ شَيْعًا أى يجعلكم فرقا مختلفه الأهواء فيما بينها وَ يُذِيقُ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ و ذلك بأن يحصل النزاع و القتال فيقتل بعضكم بعضا انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ أى تأمل كيف نبين الدلائل لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ طمعا بأن يتفكروا و يعلموا الحق من الباطل. ٦٦- وَ كَذَّبَ بِهٖ قَوْمُكَ وَ هُوَ الْحَقُّ ... الخطاب للنبي (ص) فقد كَذَّبَ بالقرآن القرشيون و العرب مع أنه يدل على الحق ف قُلْ لَهُمْ: لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ أى حافظ. ٦٧- لِكُلِّ نَبِيٍّ مُسْتَقَرٌّ وَ سَوْفَ تَعْلَمُونَ: أى لكل خبر تلوته عليكم و أنذرتكم به وقت استقرار و حصول. و ستعرفون عند وقوعه عاقبه تهديدى و وعيدى. ٦٨- وَ إِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِى آيَاتِنَا ... أى إذا صادفت الكافرين يتحدثون فيما بينهم ساخرين بآياتنا ذامنين للقرآن و هازئين به فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ أى: لا- تجالسهم حَتَّى يَخُوضُوا أى يأخذوا فى حَدِيثٍ غَيْرِهِ يعنى غير الاستهزاء بالقرآن. وَ إِمَّا يُنَسِّبَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَإِذَا أَنْسَاكَ الشَّيْطَانُ نَهْنِا عَنْ مَجَالَسَةِ الْخَائِضِينَ فى آياتنا فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى: أى: فلا تجلس بعد أن تتذكر نهينا مع الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ يعنى معهم. و الخطاب للنبي (ص) و لكن مفاده موجه للأمة. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ١٤١ ٦٩- وَ مَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ ... أى ليس من واجب على المؤمنين المتجنيين ما يسخط الله، حين مجالسة الخائضين فى آيات الله، مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ لَا- تلحقهم تبعه الكافرين و لا- يحاسبون بقول غيرهم. وَ لَكِنْ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ جُلُوسُهُمْ مَعَهُمْ ذِكْرًا لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ فعليهم

تذكيرهم بالحسنى بخطاياهم لعلهم يقلعون عن الاستهزاء بآيات الله. ٧٠- وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا ... يعنى: دع يا محمد هؤلاء الذين دينهم الذى هو عبادة الأصنام لهو و لعب، لأن عبادتهم لأصنامهم لا تجر لهم نفعاً ولا تدفع عنهم ضرراً وَغَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا أى خدعهم ما فى الحياة على هذه الأرض من مغريات وقيل: إن الأمر بترك هؤلاء فى هذه الآية قد نسخته آية السيف. وَذَكَرُ بِهِ أى خَوْفَ بِالْقُرْآنِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ يعنى أن تسلم للهلكة وتعرض للعذاب بسوء ما كسبت من الإثم وتؤخذ بقبح أعمالها حين تغدو وليس لها من دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ فلا وكيل يدافع عنها ولا متوسط يشفع بها وَإِنْ تَعَدَّلْ كُلٌّ عَدْلٍ أى ولو تدفع أية فدية كانت لا يُؤْخَذُ مِنْهَا أى لا يقبل منها أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا أى حبسوا بأعمالهم الخبيثة وعقائدهم الفاسدة لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ أى ماء مغلى حار وعذاب موجه بما كانوا يكفرون أى بسبب كفرهم. ٧١- قُلْ أُنَادِعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا ... قل لهم يا محمد: أتعبد غير الله، ونسمى رباً لا يقدر على جلب النفع لنا ولا يستطيع أن يدفع عنا الضرر وَزُودُوا عَلَى أَعْقَابِنَا أى نصرف عما نحن عليه ونرجع القهقري ونترك دين الحق؟ بَعِيدٌ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ أُرْشَدْنَا إِلَى الْإِسْلَامِ، كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ أى كمن أغرته الأبالسة باتباع الهوى وقذفت به فى مهوأة سحيقة وتركته فى الأرض حيران ضالاً لا يعرف كيف يتخلص له أَصْحَابُ رِفَاقٍ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى يرشدونه إلى الحق ويدلونه على طريق الرشاد قائلين له: أثبتنا أى كن معنا، فيعرض عن دعوتهم ف قُلْ يَا مُحَمَّد: إِنَّ هُدَى اللَّهِ إِلَى دِينِ الْإِسْلَامِ هُوَ الْهُدَى والرشاد الصحيح ونحن المسلمين إنما أُمِرْنَا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ أى أوجب علينا التسليم إلى الله والانقياد إليه. والمقصود من ذكر الإسلام بالخصوص هو التنبيه على عظمتها، ولذلك عقب سبحانه بقوله: ٧٢- وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ ... عطف على قوله السابق: لنسلم أى: أدوها وأظهروا إقامتها. وَاتَّقُوا بتجنب معاصيه وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُخْشَرُونَ أى تجمعون يوم الحشر إلى الله ليجازى كل عامل بعمله. ففى الخبر: إن الناس مجزيون بأعمالهم إن خيراً فخير وإن شراً فشر. ٧٣- وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ... قد أشار سبحانه إلى ذلك ليبين عظمتها لأنه خلقهما بالحق أى على وفق الحكمة وفى غاية النظام وبقدرة غير متوفرة لسواه. وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ فالمراد بكلمة: كن، هو إرادته سبحانه، أى يريد فيكون ما يريد فبمحض إرادته يحصل المراد إيجاداً كان أو إعداماً من دون الحاجة إلى التلفظ بكلمة كن. أو لا تكن. قَوْلُهُ الْحَقُّ أى الثابت الذى تجب طاعته وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ أى له السلطنة والسطوة حين النفخ فى الصور لبعث الخلائق بعد الموت، عالم الغيب والشهادة أى العارف بما يشاهده المخلوقون وبما استتر عنهم. وَهُوَ الْحَكِيمُ فى أفعاله الخبير العالم بكل شىء. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ١٤٢

٧٤- وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزر ... أى واذكر إذ قال إبراهيم لأبيه الذى كان اسمه آزر. أَتَتَّخِذُ أَصِينًا مِمَّا آلِهَةٌ يعنى أ تجعل الأصنام أرباباً من دون الله؟ إِنِّى أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ أى ضلاله واضحه عن الصواب. وقد كان قوم إبراهيم (ع) يعبدون النجوم، ولذا رد عليهم إبراهيم (ع) بأفولها ثم استهزأ بعبادتهم لها ولأصنام إذ هم يعبدون ما لا عقل له ولا إدراك بل هى جماد محض لا تملك من أمرها شيئاً. ٧٥- وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ ... أى وبهذه الطريقة من التفهيم، نبصير إبراهيم (ع) ملكوت السماوات والأرض يعنى حقائقهما وما هما عليه فى الواقع، وَلَيَكُونَنَّ مِنَ الْمُوقِنِينَ أى المتيقنين بأن الله سبحانه هو الخالق والمالك لكل ذلك يقينا لا يمكن زواله ولا زلزلته. ٧٦- فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ ... أى أظلم وستره ظلامه رأى كوكباً، قَالَ هَذَا رَبِّى يعنى قال ذلك على سبيل المماشاء والمصانعة مع قومه ليتدرج إلى رفض ذلك بالحجة فإن الأنبياء كلهم معصومون. فَلَمَّا أَفَلَ أى غرب قال لا أَحِبُّ الْآفِلِينَ لأن الغروب لا يجوز على الإله. ٧٧- فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا ... أى شارعاً بالطلوع قال هذا رَبِّى مستنكراً أن يكون هو المعبود فَلَمَّا أَفَلَ أى غرب قال: لَيْنَ لَمْ يَهْدِنِى رَبِّى يَرِشْدَنِى إلى الحق لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ بعبادة هذه الحوادث وبهذا القول أظهر عجز نفسه واستعان بربه من أجل الوصول إلى الهدى. ٧٨- فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسُ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّى هَذَا أَكْبَرُ ... فحين نظر للشمس طالعة وقد ملأت الدنيا بنورها قال هذا ربى - منكرها ومستنكرها - هذا أكبر من الكوكب والقمر فَلَمَّا أَفَلَتْ غَابَتْ قَالَ: يَا قَوْمِ إِنِّى بَرِئٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ أتبرأ من شرككم بالله وعبادتكم لأجرام مخلوقة. ٧٩- إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهَى لِلَّذِى فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا ... إِنِّى التَفْتُ بِوَجْهَى وَأَقْبَلْتُ بِقَلْبِى إِلَى اللَّهِ الذى خلق السماوات والأرض مخلصاً مائلاً عما أنتم عليه من الوثنية وما أنا مِنَ الْمُشْرِكِينَ بالله سبحانه إذ ليس كمثلها

شئ. ٨٠- وَحَاجَّةُ قَوْمُهُ ... أى جادلوه فى التوحيد و الربوبية دفاعا عن أوثانهم قال: أ تُحَاجُّونُنِي فى الله؟ تجادلوننى بربى الواحد الأحد الخالق الرازق و فى وحدانيته، وَقَدْ هَدَانِ دَلْنِي بِفَضْلِهِ عَلَى تَوْحِيدِهِ؟ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ وَلَا أَرْهَبُ آلِهَتَكُمْ، أَنْ تَضُرَّنِي كَمَا لَا أَمَلُ أَنْ تَنْفَعَنِي لِأَنَّهُمَا جَمَادٍ لَا تَنْفَعُ وَلَا تَضُرُّ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا يَعْنِي إِلَّا إِذَا قَدَّرَ رَبِّي أَنْ يَصِيبَنِي بِذَنْبِ ارْتِكَبْتَهُ أَوْ أَنْ اخْتَارَ لِنَفْسِي الْكَفْرَ فَيَخْلِي بَيْنِي وَبَيْنَ اخْتِيَارِي الْفَاسِدَ، وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا يَعْنِي أَنْ عِلْمَ اللَّهِ تَعَالَى وَاسِعٌ: أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ أَوْ لَيْسَ فِي ذَلِكَ ذِكْرٌ لَكُمْ. ٨١- وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ ... مع أن معبوداتكم لا يتعلّق بها نفع و لا ضرر؟ وَلَا تَخَافُونَ أَنْتُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ الْقَادِرَ الْمَهْلِكُ الَّذِي هُوَ حَقِيقٌ بِالْخَوْفِ، مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ اللَّهُ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا بِرَهَانَا يَجِيزُ إِشْرَاكَكُمْ بِهِ سُبْحَانَهُ عَنْ حُجَّةٍ قَاطِعَةٍ. فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَنَا أَوْ أَنْتُمْ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ مِنْ خَوْفِ عَاقِبَةِ الْأَمْرِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَيْ تَعْقِلُونَ وَ تَدْرِكُونَ مَصَائِرَ الْأُمُورِ وَ عَوَاقِبَهَا.

إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ١٤٣ ٨٢- الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ... أى: و لم يمزجوا و لم يضمّموا ظلما إلى إيمانهم كالشرك أولئك لهم الأمن أى الأمان يوم القيامة من العقاب و هم مُهْتَدُونَ إِلَى الْحَقِّ وَقِيلَ الْجَنَّةُ. ٨٣- وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ ... و تلك: إشارة إلى ما احتجّ به إبراهيم (ع) على قومه، فتلك أدلتنا التى أعطيناها إبراهيم و أرشدناه إليها فاحتجّ بها على قومه الكافرين فأفحمهم نَزَعَ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ أَيْ: نَرَفِّقُ فِي الْعِلْمِ وَ الْإِيمَانِ مَنْ نَرِيدُ إِنْ رَبَّكَ حَكِيمٌ فِي صَنْعِهِ عَلِيمٌ بِأَحْوَالِ خَلْقِهِ.

٨٤- وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَ يَعْقُوبَ ... أى أعطينا إبراهيم إسحاق و هو ابنه من سارة و يعقوب حفيده من إسحاق كُلاًّ أَيْ كُلَّ الثَّلَاثَةِ هَدَيْنَا أَرَشَدْنَا إِلَى الْحَقِّ وَ مِثْلَهُمْ نُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ أَيْ قَبْلَ هَؤُلَاءِ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ أَيْ نَسْلِ نُوْحٍ أَوْ إِبْرَاهِيمَ (ع) دَاوُدَ وَ سُulَيْمَانَ وَ أَيُّوبَ وَ يُوسُفَ وَ مُوسَى وَ هَارُونَ وَ كُلَّهُمْ أَنْبِيَاءَ وَ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ نَنْصِبُهُمْ وَ مِثْلَهُمْ زَكَرِيَّا وَ يَحْيَى وَ عِيسَى وَ إِبْرَاهِيمَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ يَعْنِي وَ جَمِيعَهُمْ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ. ٨٥- وَ إِسْمَاعِيلَ ... أى ابن إبراهيم (ع) هو من تلك الذرية الصالحة و كذلك التيسع قيل هو ابن أخطوب و يُوسُفُ بْنُ مَتَّى وَ لُوطُ بْنُ هَارَانَ وَ كُلُّهُمْ مِنْهُمْ فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ أَيْ قَدَمْنَاهُمْ عَلَى النَّاسِ فِي زَمَانِهِمْ بِالنَّبُوءَةِ. ٨٧- وَ مِنْ آبَائِهِمْ وَ ذُرِّيَّاتِهِمْ وَ إِخْوَانِهِمْ ... يعنى أنه سبحانه فضل غير أولئك الرسل المذكورين أيضا من آبائهم و إخوانهم و ذرياتهم على أهل أزمته. وَ اجْتَبَيْنَاهُمْ أَيْ وَ اصْطَفَيْنَاهُمْ وَ هَدَيْنَاهُمْ دَلَّلْنَاهُمْ عَلَى الْحَقِّ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ طَرِيقِ الْهُدَى وَ هُوَ الْإِسْلَامُ. ٨٨- ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ ... أى أن هذه الإنعامات على النّبى إبراهيم و ذريته هى إرشاد منه سبحانه إلى الثواب المختص بالمؤمنين يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَيْ مَنْ يَرِيدُ وَ لَوْ أَشْرَكُوا وَ عَدَّوْا مَعِيَ مِنْ لَا يَمِائِلُنِي لِحَبِطِ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ أَيْ لِفَسْدِ عَمَلِهِمْ وَ بَطْلِ لَأَنَّهُمْ أَوْقَعُوهُ عَلَى غَيْرِ الْوَجْهِ الْمَطْلُوبِ. ٨٩- أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ ... المراد بالكتاب الجنس، يعنى أنه أعطى كلّ واحد ممن ذكر من الأنبياء كتابا فيه بيان أوامره و نواهيه، وَ الْحُكْمُ أَيْ الْحِكْمَةُ وَ النَّبُوءَةُ فِي زَمَانِهِ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا أَيْ إِذَا أَنْكَرَ هَذِهِ الثَّلَاثَةَ الْأَشْيَاءَ الَّتِي مَنْحَاكَ إِيَّاهَا يَا مُحَمَّدُ، هَؤُلَاءِ أَيْ الْكَافِرُ الَّذِينَ جَحَدُوا بِنُبُوَّتِهِ (ص) فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا أَيْ مَنْحَا التَّفْوِيزَ فِي الْإِيمَانِ بِهَا قَوْمًا مِنْ غَيْرِهِمْ لِيَسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ لَا يَنْكُرُونَهَا. ٩٠- أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ... و المعنى أن من ذكرناهم من الأنبياء هم الذين هداهم الله فَبِهَيْدَاهُمْ أَيْ بِطَرِيقَتِهِمْ فِي التَّصَدِيقِ وَ الصَّبْرِ أَقْبَدَهُ أَيْ اجْعَلَهَا لِنَفْسِكَ قَدْوَةً. قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِلنَّاسِ: لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا أَيْ جَعَلَا وَ أَجْرُهُ عَلَى تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ أَيْ أَنْ تَبْلِيغِي تَذْكِيرَ النَّاسِ كَافَةً. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ١٤٤ ٩١- وَ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ... الضمير فى: قدروا: عائد لليهود، أى ما عرفوه حق معرفته و ما عظموه حق عظمتهم إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ حِينَ أَنْكَرُوا بَعَثَ الرِّسْلَ وَ الْوَحْيَ. قُلْ يَا مُحَمَّدُ: مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى وَ هُوَ التَّوْرَةُ نُورًا وَ هُدًى لِلنَّاسِ؟ يَسْتَضَاءُ بِهِ فِي الدِّينِ كَمَا يَسْتَضَاءُ بِالنُّورِ فِي الدُّنْيَا وَ دَلَالَةٍ يَهْتَدُونَ بِهَا تَجْعَلُونَهُ قَرَأَيسَ جَمْعِ قَرِطَاسٍ وَ هُوَ الْوَرَقَةُ. أَيْ تَجْعَلُونَ كِتَابَكُمْ أَوْرَاقًا مَتَفَرِّقَةً تُبَدِّلُونَهَا أَيْ تَظْهَرُونَهَا وَ تَخْفُونَ كَثِيرًا مِمَّا حَوَى صِفَاتُ مُحَمَّدٍ (ص) وَ عُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَ لَا آبَاؤُكُمْ أَيْ أَنْكُمْ أَيُّهَا الْيَهُودُ تَفْعَلُونَ ذَلِكَ فِي حَالِ أَنْكُمْ - بِفَضْلِ الْقُرْآنِ - قَدْ عَرَفْتُمُ الْكَثِيرَ مِمَّا كُنْتُمْ تَجْهَلُونَهُ وَ يَجْهَلُ آبَاؤُكُمْ. قُلْ يَا مُحَمَّدُ أَنْزَلَهَا اللَّهُ تَعَالَى ثُمَّ ذَرَهُمْ دَعَاهُمْ فِي حَوْضِهِمْ بِاطْلَاهُمْ يَلْعَبُونَ وَ يَلْهَوْنَ عَابَثِينَ. ٩٢- وَ هَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ، مُبَارَكٌ ... هذا: يشير به إلى القرآن نعته بالبركة لكثرة نفعه و جليل فائدته، أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ فَهُوَ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ أَيْ يَشْهَدُ بِأَنَّهُا حَقٌّ وَ لِيُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى أَيْ: لِيُنْذِرَ وَ تَخَوَّفَ مِنَ الْعِقَابِ

أهل مكة وَمَنْ حَوْلَهَا يعنى أهل الشرق والغرب والجهات الأخرى، وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَيَصَّدَّقُونَ بِالْبَعَثِ وَالْحِسَابِ يُؤْمِنُونَ بِهِ يَصَّدَّقُونَ بهذا الكتاب وَهُمْ عَلَى صِيَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ أى أنهم يداومون على صلاتهم و يؤدونها بشروطها وأجزائها. ٩٣- وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ... أى لا أحد أظلم ممن يدعى النبوة وهو ليس بنبي افتراء على الله. أَوْ قَالَ أَوْحَى إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ، وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلَ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَ هَذَا كُلُّهُ بَيَانٌ لِحَالِ مَنْ يَدْعَى ذَلِكَ، وَقِيلَ إِنَّهَا كُلُّهَا فِي ابْنِ أَبِي سَرْحٍ، وَ هِيَ تَكَرَّرُ لَمَّا كَانَ يَقُولُهُ وَيَذِيعُهُ بَيْنَ أَتْرَابِهِ ... وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ أى: ليتك يا محمد، تنظر إلى الظالمين وهم يعالجون سكرات الموت و يذوقون شدائد المنيكرة وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ حَوْلِهِمْ بِاسِطُوطَا أَيْدِيهِمْ أى قد مدوا أيديهم لقبض أرواحهم وقالوا لهم: أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ أى أعطونا أرواحكم الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ أى عذابا تلحقون فيه الهوان والذل بما كنتم تقولون عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ، وَ كُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ فَأَنْتُمْ مُسْتَحَقُونَ لَذَلِكَ لِأَنَّكُمْ كَذَلِك. ٩٤- وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى ... يَقُولُ سُبْحَانَهُ: جِئْتُمْ إِلَيْنَا وَاحِدًا وَاحِدًا، صَفَرُ الْيَدَيْنِ مِمَّا كُنْتُمْ تَمْلِكُونَ مِنْ جَاهٍ وَ مَالٍ وَ عَشِيرَةٍ. كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أى: كما كنتم فى بدء الخليقة لا ناصر ولا معين وَ تَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ أى خلقتكم وراءكم كَلَّ مَا تَفَضَّلْنَا عَلَيْكُمْ بِهِ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ فى دار الدنيا وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَ كُمْ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ وَ الْمَرَادُ بِالشُّفَعَاءِ الْأَصْنَامُ فَإِنَّا لَا نَرَاهَا مَعَكُمْ لِتَشْفَعَ لَكُمْ، بَلْ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ أى انقطعت الصلة بينكم وبينهم. وَ ضَلَّ عَنْكُمْ أى: ضاع ما كنتم تزعمون الذى كنتم تظنون أنه شافع وشريك له سبحانه فى ربوبيته. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ١٤٥

٩٥- إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى ... يعنى شاق الحب والنوى أى الحب والبذور ليخرج منها الأشجار المثمرة بأنواعها يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ أى الحيوان من النطفة، وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ كخروج البيضة من الدجاجة. ذَلِكَمُ اللَّهُ أى فاعل ذلك كله هو الله فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ أى إلى أين تنصرفون عنه إلى غيره. ٩٦- فَالِقُ الْإِصْبَاحِ ... أى أنه تعالى مخرج عموم الصبح ومبين النور من ظلمات الليل وَ جَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا أى سكونا فيه للناس يستراح فيه وَ جَعَلَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا أى لحساب الأوقات فى النهار والليل. ذَلِكَمُ اللَّهُ أى ما ذكر تقدير العزيز العليم كان بتقدير قادر قاهر دقيق العلم بها وبغيرها. ٩٧- وَ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ... قد ذكر سبحانه النجوم لأنها أعم من القمر ولأنها كثيرة العدد، خلقت لتهتدوا بضوئها و طلوعها و مواقعها أثناء سيركم فى البر والبحر. قَدْ فَضَّلْنَا الْآيَاتِ أى بينا الحجج وأظهرناها، لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ أى يتفكرون فيتيقنون. ٩٨- وَ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ... أى أوجدكم من نفس واحدة هى نفس آدم (ع) فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ أى هناك محل تستقرون فيه ومحل نودعكم إياه. قَدْ فَضَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ أى يعلمون عن تفكير وتبصير وتدبر. ٩٩- وَ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ... الْمَرَادُ بِلَفْظِ السَّمَاءِ يَعْنِي الْفَوْقَ وَ الْعُلُوَّ، سِوَاءَ كَانَتْ السَّمَاءُ الدُّنْيَا أَوْ مَا فَوْقَهَا أَوْ مَا تَحْتَهَا، وَقِيلَ: الْمَرَادُ مِنْهُ السَّحَابُ. فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ أى فأبرزنا بواسطته جميع ما تنبت الأرض. فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا أَوْ نَبَاتًا أَخْضَرَ نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا أى يركب بعضه بعضا كالسنبلة وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ أى ونخرج من حمل النخل أعذاق الرطب قريبه المتناول وكذلك أنشأنا جنات من أعناب، وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَانَ مُشْتَبِهًا وَ غَيْرَ مُتَشَابِهٍ أى أن بعضها يماثل بعضا فى الطعم واللون والحجم، وبعضها مغاير له انظروا إلى ثمره وتأملوه تأمل اعتبار إذا أثمر حين خروج ثمره وانظروا ينعه أى نضوجه إِنَّ فى ذَلِكَمُ لآيَاتٍ ففى هذه الظواهر العجيبة معاجز وبراهين لقوم يؤمنون أى يصدقون. ١٠٠- وَ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ .. الْجِنَّ بَيَانٌ لِلشُّرَكَاءِ أَوْ بَدَلٌ مِنَ اللَّفْظَةِ، وَ الْمَرَادُ بِالْجِنَّ هُنَا الْمَلَائِكَةُ وَ قَدْ سَمَّاهُمْ تَعَالَى هَكَذَا لَخَفَائِهِمْ عَنِ الْأَنْظَارِ، ذَلِكَ أَنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا يَشْرِكُونَ بِهِ سُبْحَانَهُ وَيَعْبُدُونَ الْمَلَائِكَةَ. وَ خَلَقَهُمْ أى خلق جميعهم من عباد ظالمين ومعبودات باطلة. وَ خَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَ نَبَاتٍ أى كذبوا واصطنعوا من عندهم بنين و نبات لله تعالى إشارة إلى النصارى واليهود حيث جعلوا عزيزا والمسيح ابنى الله وإلى المشركين الذين جعلوا الملائكة بناته. بِغَيْرِ عِلْمٍ بِغَيْرِ حُجَّةٍ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ أى عز وسما عن أن يكون له ولد لأنه لم يلد ولم يولد. ١٠١- بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ... أى: هو مبدعها ومنشؤها بعلمه ابتداء لا من شىء ولا على مثال سبق. أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ فَكَيْفَ وَمِنْ أَيْنَ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ أى زوجته تصاحب الزوج عادة وَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَ هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ خلق كل ما صدق عليه الشىء المخلوق من الذرة إلى الدرة وهو عارف تمام المعرفة بها جميعها. إرشاد الأذهان إلى

تفسير القرآن، ص: ١٤٦ ١٠٢- ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ ... يعنى هذا الموصوف بما سبق هو الله خالقكم و مالككم لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لا ربَّ سواه، لأنه خالقُ كُلِّ شَيْءٍ أى: بارئُه و صانعه و واهبه الوجود فَأَعْيَدُوهُ لأنه جَلَّ و علا مستحق للعبادة وحده وَ هُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ أى حافظ و مدبر. ١٠٣- لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ، وَ هُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ... أى لا تراه العيون و لا تحيط بكنهه العقول بل هو يراها و يحيط بها. وَ هُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ أى هو الرفيق الرؤوف بعباده العليم بكل ما يصلحهم و يفسدهم. ١٠٤- قَدْ جَاءَكُمْ بِصَافِرَاتٍ مِنْ رَبِّكُمْ ... يعنى جاءكم من ربكم براهين شافية لمن تبصّر بها فَمَنْ أَبْصَرَ رَأَى الْحَقَّ وَ آمَنَ بِهِ فَلِنَفْسِهِ أى أنه ينفعه ذلك لنفسه وَ مَنْ عَمِيَ لَمْ يَرِ الْحَقَّ وَ كَفَرَ فَعَلَيْهَا يعنى يكون قد جنى على نفسه فوقع عليها و بال عماه بسوء اختياره لها وَ مَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيفٍ أى لست برفيق على أعمالكم أحصياها عليكم. ١٠٥- وَ كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ... أى على هذا الشكل من البيان نغيّر الآيات و نبذل بعضها ببعض، و نقلها من حال إلى حال لئتم البرهان القاطع على صدق ما أنزلناه وَ لِيَقُولُوا دَرَسْتَ أى اليهود أو قريش يقولون تعلّمت تصريف هذه الآيات من أهل الكتاب، وَ لِيُبَيِّنَهُ أى نوضح القرآن بلحاظ ما اشتمل عليه من آيات لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ وَ هم المؤمنون المنتفعون به. ١٠٦- اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ... أى: اسلك طريق ما نزل عليك من وحى الله لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لا ربَّ غيره وَ أَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ أى: انصرف عنهم و عن أقوالهم لا شىء فيها من الحقائق بل هم عمى عن طريق نجاتهم. ١٠٧- وَ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا ... يعنى: لو أراد الله أن يتركوا الشرك جبرا لفعل إلا- أنه لم يرد ذلك لأنه ينافى فلسفه الثواب و العقاب فلا جبر و لا تفويض بل أمر بين الأمرين. وَ مَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيفًا أى لم ننصبك عليهم مراقبا وَ مَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ و لست موكلًا بأمرهم لتجبرهم على التوحيد. ١٠٨- وَ لَا تَسْتَبِشُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ... أى لا تشتموا المشركين الذين يسمّون غير الله بالزبوية فَيَسْتَبِشُوا اللَّهَ عَدُوًّا أى اعتداء على الحق بغير علم أى عن جهل به سبحانه، كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ أى فى مثل هذه الحال أرينا كل قوم عملهم مقبولا- و حسنا بنظرهم وفقا لاختيارهم دون جبر ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ أى معادهم فَيُنَبِّئُهُمْ بِخبرهم بما كانوا يَعْمَلُونَ إذ يطلعهم على ما فعلوه. ١٠٩- وَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ... أى حلفوا به تعالى أيمانا مغلظة لئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ من الآيات التى كانوا يقترحونها عليه (ص) لِيُؤْمِنُوا بِهَا ليصدقن بها، قُلْ يَا مُحَمَّد: إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ زَالَ الْمِعْجَزَاتُ مَنْحَصِرٌ بِاللَّهِ لأنه وحده القادر عليها. وَ مَا يُشْعِرُكُمْ أى ما يدريكم و الاستفهام إنكارى أَنَّهَا أى الآيات التى يقترحونها إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ فَهَؤُلَاءِ كَذَّابُونَ مَكْذُوبُونَ. ١١٠- وَ نُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَ أَبْصَارَهُمْ ... أى نحول قلوبهم و عيونهم عن سبيل المعرفة المؤدية إلى الإيمان إلى تلك التى تؤدى إلى الشرك كما لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ المراد بأول مرة: قبل بعثه محمد (ص) و دعوتهم للإسلام، فهو سبحانه عالم بحالهم و مآلهم، و بأنهم لا يؤمنون أبدا و لا أزلا. وَ نَذَرُهُمْ فى طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ أى ندعهم مستغرقين فى تجاوزهم طريق الهداية، متحيرين متخبطين فيما هم فيه. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ١٤٧ ١١١- وَ لَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ ... كما طلبوا منك و رأوا الملائكة وَ كَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَ ذَكَرُوا لَهُمْ ما رأوه من أهوال الموت و القبر و البرزخ وَ حَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا أى: و لو جمعنا إليهم كل شىء قبائل و جماعات، ما كانوا لِيُؤْمِنُوا باختيارهم إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَ يريد إرادته جبر و إكراه على الإيمان. وَ لَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ لا يعلمون بأن الله قادر على كل ذلك. ١١٢- وَ كَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا ... أى كما أن لك أعداء يا محمد، فكذلك كنّا قد جعلنا لغيرك من الأنبياء أعداء. شَيطَانِ الْإِنْسِ وَ الْجِنِّ أى مرده هؤلاء و هؤلاء. يُوحَى بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا أى ينفث هذا لهذا قولا منمقا يموّه الحقائق على نحو الغش و الخداع وَ لَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَشِيتُهُ جبر ما فعلوه و لكفوا عن عداوتك مكرهين فَذَرَهُمْ وَ مَا يَفْتَرُونَ يعنى: اتركهم فى كذبهم على الله و على الناس. ١١٣- وَ لَتَصْغِي إِلَيْهِ أَفْنَدُهُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَ لَيَرْضَوْهُ ... أى: دع أعداءك على ما هم عليه من الافتراء و زخرف القول و ليستمع إليهم من يستمع من الذين لا- يؤمنون بالبعث و الحساب، وَ لَيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ أى ليأثموا و يكتسبوا الذنوب. ١١٤- أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغَى حَكَمًا ... أى: قل يا نبى الله لهؤلاء المعاندين: أ تريدون منى أن أطلب حكما بينى و بينكم غير الله سبحانه و تعالى؟ وَ هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَ هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْقُرْآنَ مبيّنا مبهمه ظاهرة آياته، وَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يعنى اليهود و النصارى يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْزَلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ يعرفون ذلك عن القرآن و يعرفون أنه حق، لما رأوه فى توراتهم و إنجيلهم فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ أى من

الشاكين المترددين في حقانيته و الخطاب للأمة من خلاله (ص). ١١٥- وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ... يحتمل قويا أن يكون المراد بالكلمة هو الإسلام حيث اتصف بالصدق. وقيل إن المراد بالكلمة القرآن الذي هو عدل في كل جانب من جوانبه لا مُبَدَّل لِكَلِمَاتِهِ أى لا- مغير لأحكامه. وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ مر معناه. ١١٦- وَإِنْ تُطِيعْ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْمَارِضِ يُضَيِّعْ لُؤُوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ... نهى الله سبحانه النبي (ص) عن إطاعة أكثر الناس و هم الكفار و قال له: لأنهم يضلونك عن طريق الحق و عن الدين الذي اختاره لك. إِنَّ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ أى لأنهم لا يتبعون فيما يعتقدون من شرك إلا الظن من دون برهان و حجة و إِنَّ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ أى يكذبون على الله سبحانه. ١١٧- إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ ... أى إنه سبحانه أكثر علما من كل عليم، يعرف الضالين عن طريقه و هُوَ أَعْلَمُ كذلك بِالْمُهْتَدِينَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا سَبِيلَهُ. ١١٨- فَكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ... أى: ذكر اسم الله على ذبحه، لا- مما ذكر عليه اسم غيره تعالى من الأوثان أو مما مات حتف أنفه. إِنَّ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ أى إذا كنتم مصدقين بحججه سبحانه. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ١٤٨ ١١٩- وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ... أى: ولا- مانع يمنعكم من أكل ما ذكر اسم الله تعالى عليه خصوصا و قد فصل بين لكم ما حرم عليكم أى جعله محظورا ممنوعا، إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ أى قد تلجئكم الضرورة إلى أكل ذلك الحرام من اللحم فيكون حلالا- أكله، لأذن الضرورات تبيح المحظورات و إِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لِيُضَيِّعُوا بِأَهْوَائِهِمْ أى: يحللون المحرم حسب رغباتهم بغير علم أى عن جهل بالحكم. إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ لأنه مطلع على المتجاوزين لحدود الله. ١٢٠- وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ ... يعنى: دعوا ما فيه ذنب فى ما يعلن و ما يسر، و قيل: أراد بالظاهر افعال الجوارح و بالباطن أفعال القلوب. إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْإِثْمَ أى يقترون الذنوب سيجزون يعاقبون بما كانوا يفترون بسبب ما كانوا يجنون من معاصى و آثام. ١٢١- وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ... أى عند الذبح مما حل أكل لحمه و فى هذا تصريح باشتراط الحلية بالتسمية على الذبيحة. و الحاصل أنه سبحانه و تعالى نهى عن أكل غير ما ذكر اسمه عليه و قال: وَ إِنَّهُ لَفَسَّقٌ أى أن الأكل مما لم يذكر اسمه عليه عند ذبحه حرام لأنه خروج على حكم الله و إِنَّ الشَّيَاطِينَ لِيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ أى أن الأبالسة من الإنس و الجن يوسوسون إلى أتباعهم ليجادلوكم ليحاجوكم و إِنَّ أَطْعَمُوهُمْ تَدْعُوا لِقَوْلِهِمْ بِأَكْلِ الْمَيْتَةِ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ بترك دين الله و اتباعهم. ١٢٢- أَوْ مَنْ كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ ... أى هل من كان ميتا بالكفر فأحييناه بهدايتنا له إلى الإيمان و جعلنا له نورا أى علما يمشى به فى الناس بذلك النور حيث يسير على هداية كمن مثله فى الظلمات أى لا يكون كالذى صفته فى ظلمات الكفر و الضلال ليس بخارج منها حال كونه باقيا فى جهله كذلك أى كما زين للمؤمن إيمانه زين للكافرين ما كانوا يعملون يعنى حسن لهم الشيطان عقائدهم الفاسدة. ١٢٣- وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَارًا مُجْرِمِيهَا ... أى كما جعلنا أكابر مكة فساقها، كذلك جعلنا فى كل قرية أكابر فجرتها ليُمَكِّرُوا فيها و لنعرف من يتبع الحق ممن يتبع مكرهم و لكن ما يُمَكِّرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ أى أنهم لو عقلوا لرأوا أن و بال مكرهم يحق بهم دون غيرهم و ما يَشْعُرُونَ و لا يحسون بذلك. ١٢٤- وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ ... أى إذا جاءت مكة معجزة من عند الله قالوا لن نصدق بها. و قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتى رُسُلُ اللَّهِ أى حتى ينزل علينا مثل ما نزل عليك من الوحى. اللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ أَعْرَفُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ أَيْنَ يَضَعُهَا و على من ينزلها. سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا أى سيحل بهؤلاء الأكابر و غيرهم ممن انقطع إلى الكفر صغارا عند الله أى: ذل يوم القيامة. و سينالهم أيضا عذاب شديد صعب أليم بما كانوا يُمَكِّرُونَ أى: بسبب مكرهم و عنادهم فى دار الدنيا. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ١٤٩ ١٢٥- فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ ... أى من يلفظ به بأن يريد له الهدى و يشاء يَشْرَحْ صِدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ يوسع قلبه لذلك و يفسح له فيه. و مَنْ يَرِدْ أَنْ يَضِلَّهُ يَجْعَلْ صِدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ أى: و من لا يستحق الهداية و لا يرغب فيها يجعل قلبه كثير الضيق بالأمور السماوية، و إذا أمر بالإيمان كأنما أمر بالصعود إلى السماء مع ما فيه من المشقة كَذَلِكَ أى فى مثل هذه الحالة يَجْعَلُ اللَّهُ الرَّجْسَ أى الشك على قلوب الذين لا يؤمنون لا يصدقون بالله و رسوله. ١٢٦- وَ هَذَا صِرَاطٌ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ... أى أن الإسلام و ما أنت عليه مما أمرناك به يا محمد هو طريق الله لا اعوجاج فيه. فَذُفِّلْنَا آيَاتِ أى أقمنا الحجج بينه، لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ أى للجماعة التى تريد أن تتنفع بما فيها. ١٢٧- لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ ... أى دار السلامة الدائمة

المضمونة لهم عند ربهم و هي الجنة. و هي دار الله التي أعدها للمؤمنين الصالحين. وَ هُوَ وَلِيُّهُمْ أَى المتولّى لأموالهم و الناصر لهم على أعدائهم. بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ أَى بسبب أعمالهم الصالحة فى الدنيا. ١٢٨- وَ يَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ... أَى يجمع جميع الخلق يوم القيامة جنّهم و إنسهم يا مَعْشَرَ الْجِنِّ أَى يا جماعة الجن منهم: قَدْ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ أَى رغبتم فى ازدياد عددكم و عدد من اضللتموهم من الإنس. وَ قَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ أَى الَّذِينَ أَطَاعُوهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْنِعْ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ أَى انتفع الإنس بالجنّ لأنهم زينوا لهم شهواتهم فأنسوا بذلك حين ظنّوا أن الجنّ أقدرهم على ذلك وَ بَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِى أَجَلْتْ لَنَا يَعْنِى فعلنا ذلك حتى أتى يوم القيامة قَالَ اللَّهُ النَّارُ مَثْوَاكُمْ أَى أن جهنّم مقامكم خَالِدِينَ فِيهَا مَقِيمِينَ دَائِماً إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ أَى أنه فى أفعاله حكيم و بخلقه عليم. ١٢٩- وَ كَذَلِكَ نُؤَلِّى بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضاً ... أَى نخليهم فى نار جهنّم حتى يتولّى بعضهم بعضاً. بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ أَى بسبب ما ارتكبه من الذنوب فصار سبباً لدخولهم النار. ١٣٠- مَعْشَرَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ ... هذا نداء و استفهام توبيخى منه سبحانه، يعاتب فيه الإنس و الجنّ بأنه قد أرسل إليهم رسلاً منهم قُصُوصٌ عَلَيْكُمْ آيَاتِى وَ يَنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا أَى: يحكون لكم ما أنزلته عليهم من الآيات التى تبين الأوامر و النواهى، و يخوفونكم من يوم القيامة الذى أحاسبكم فيه. أَلَا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا أَى: اعترفنا بالتقصير و العصيان. غَرَّهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا أَى غشّتهم بما فيها من زينة شهّدوا على أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ أَقْرَأُوا بِالْكَفْرِ وَ اسْتَحْقَاقَ الْعِقَابِ. ١٣١- ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ ... أَى أن الأمر كما ترى يا محمد، فالله لا يظلم و لا- يعاقب أحداً إلّا بعد إتمام الحجة بإرسال الرسل مبشرين و منذرين و حاشاه أن يهلك أحداً أو أن يهلك قرية و أهلها غَافِلُونَ أَى بغته من دون تنبيه و إنذار و عذار. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ١٥٠ ١٣٢- وَ لِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا ... أَى أن لكل واحد من المكلفين مراتب معيّنة يوم القيامة بسبب ما فعلوه فى الدنيا من الطاعات أو المعاصى. و هذه الدرجات تكون طباق عملهم و جزاء فعلهم. وَ مَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ أَى ليس ساهياً و لا ناسياً و لا لاهياً عَمَّا يَعْمَلُونَ من خير أو شر. ١٣٤- وَ رَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ ... أَى أنه تبارك و تعالى غير محتاج إلى خلقه لا تنفعه طاعتهم و لا تضره معصيتهم بل هو صاحب النعمة على خلقه مع كونه غنيا عنهم يترحم عليهم بالتكليف لنفع أنفسهم و ليجود عليهم بنعم الآخرة. و بما يعوضه من درجات فيها لا- تنال إلّا استحقاقاً بالعمل بالطاعات و التى لا تقاس بما فى دار الدنيا من نعيم زائل و لذّة موهومة، و هو سبحانه: إِنْ يَشَأْ إِذَا ارَادَ يُذْهِبْكُمْ أَى يهلككم و يفتنكم و يستغن عن وجودكم أيها الطغاة وَ يَسْتَخْلِفْ أَى يخلق من بعدكم أيها الناس ما يشاء من الخلق كما أنشأكم من ذرّيته قَوْمَ آخَرِينَ أَى قرناً بعد قرن. و أحفادا بعد آباء و أجداد. ١٣٤- إِنْ مَا تَوَعَّدُونَ لَأَتِ ... أَى ما نعدكم به من الحشر و الثواب و العقاب كائن محتوم و ما أنتم بمُعْجِزِينَ و لستم بخارجين من سلطان الله تعالى و لا من مملكته. ١٣٥- قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ ... يعنى: قل يا محمد لهؤلاء المشركين و لسائر الكفار: اعملوا غاية استطاعتكم إننى عاملٌ أنا صانع أيضاً على مكانتى و اقتدارى كما أمرت بحيث أبقي ثابتاً على دينى فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ستعرفون بعد حين مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ أَى من هو الذى يفوز بالدار الحسنى و الجنة فى يوم القيامة. إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ أَى لا يظفرون بمرادهم. و لا يخفى أن التهديد جاء بصيغة الأمر مبالغة فى الوعيد، و تسجيلاً على المأمور بأنه لا يأتى منه إلّا الشر، و هذا كقوله سبحانه: اعملوا على مكانتكم. ١٣٦- وَ جَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَ الْأَنْعَامِ نَصِيباً ... يعنى أن المشركين، بعقيدتهم الفاسدة، جعلوا لله سبحانه سهماً ممّا بثّ فى الدّنيا من المزروعات، و الأنعام. فَقَالُوا: هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَ هَذَا لِشُرَكَائِنَا أَى هذا لله و هذا لأصنامهم التى يعبدونها فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ أَى أن سهم آلتهم لا يصرف فى جهة يقصد بها وجه الله و ما كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ يعنى سهم الله يمكن أن يبدل فى جهة معبوداتهم ساء ما يحكمون أَى ساء حكمهم. ١٣٧- وَ كَذَلِكَ زَيْنٌ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَائُهُمْ ... كذلك أَى: كما زين لهم فعلهم من جعل النصيب لله و لآلتهم على الكيفية المذكورة سابقاً، قد حسن للكافرين الشياطين من سدنة أصنامهم قتل أولادهم بحجج واهية كخوف الفقر و غيره. لِيُزِدُوهُمْ أَى ليهلكوهم بالإغواء، و الردى: هو الموت و الإهلاك. وَ لِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ أَى ليشتهبهم ما كانوا عليه من دين إسماعيل (ع) وَ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ أَى: لو أراد الله غير ذلك ما فعله المشركون و لا شركاؤهم، ولكنه لا يجبر أحداً على فعل لأن

الجبر مناف للتكليف. فَذَرَهُمْ أَي دَعَاهُمْ يَا مُحَمَّدَ وَمَا يَفْتَرُونَ أَي وَكَذَبَهُمْ عَلَى اللَّهِ وَافْتَرَاهُمْ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ سِيرَتُهُ وَبَالًا- عَلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ١٥١ ١٣٨- وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ ... هذه: إشارة إلى ما جعلوا لآلهتهم من النَّصِيبِ فِي الزَّرْعِ وَالأَنْعَامِ فَهُوَ مُحْجُورٌ وَمَنْعُوعٌ الِاسْتِمْتَاعِ بِهَا سِوَاهُ فِي الرُّكُوبِ أَوْ فِي ذَبْحِهَا وَ أَكْلِ لَحْمِهَا لَا يَطْعُمُهَا أَي لَا يَأْكُلُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ إِلَّا مَنْ نَرِيدُ بَزَعِمَهُمْ أَي بِرَأْيِهِمُ الَّذِي لَا يَرْتَكِزُ إِلَى دَلِيلٍ وَأَنْعَامٌ أُخْرَى غَيْرَ مَا ذَكَرَ حَرَّمَتْ ظُهُورُهَا أَي مَنَعَ رُكُوبَهَا، وَأَنْعَامٌ أُخْرَى أَيْضًا لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا عِنْدَ النَّحْرِ أَوْ الذَّبْحِ افْتِرَاءً عَلَيْهِ أَي كَذْبًا عَلَى اللَّهِ سَيَجْزِيهِمْ سِيَاقِبُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ بِسَبَبِ كَذِبِهِمْ عَلَيْهِ. ١٣٩- وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِتُذَكَّرْنَا وَنُحَرِّمَ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ ... أَي أَنَّهُمْ قَالُوا إِنْ الْجَنِينِ إِذَا خَرَجَ حَيًّا مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ فَهُوَ خَاصٌّ بِالذَّكَورِ، وَإِنْ خَرَجَ مَيْتًا أَكَلَهُ النِّسَاءُ وَ الرِّجَالُ سَيَجْزِيهِمْ وَصِفَهُمُ اللَّهُ بِالْعِقَابِ جَزَاءً وَصَفَهُمُ الَّذِي افْتَرَوْهُ عَلَيْهِ سَبْحَانَهُ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ مَرَّعًا. ١٤٠- قَدْ خَيْرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ... أَي هَلَكَ الْجَمَاعَةُ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ: خَوْفُ الْفَقْرِ، أَوْ الْعَارِ جَهْلًا لِأَنَّهُ تَسَبَّبَ فِي اسْتِحْقَاقِهِمُ الْعِقَابَ الْأَبَدِيَّ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ مِمَّا ذَكَرْنَا مِنَ الْأَنْعَامِ الَّتِي مَنَعُوا الْإِنْتِفَاعَ بِهَا افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ كَذْبًا عَلَيْهِ قَدْ ضَلُّوا تَاهُوا عَنْ جَادَةِ الصَّوَابِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ إِلَى الْحَقِّ. ١٤١- وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ ... أَي: إِنْ اللَّهُ سَبْحَانَهُ أَوْجَدَ مِنَ الْعَدَمِ بَسَاتِينَ مَرْفُوعَاتٍ عَلَى مَا يَحْمِلُهَا مِنَ الدَّعَائِمِ كَالْعَرَائِشِ وَغَيْرِ مَعْرُوشَاتٍ كَبَقِيَةِ النَّبَاتَاتِ الْمُثْمَرَةِ الْمُلَقَّاةِ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ كَالْبَطِيخِ وَ الْخِيَارِ وَ الْقَنَاءِ وَ غَيْرِهِ مِمَّا هُوَ غَيْرُ دَاخِلٍ فِي الْأَشْجَارِ الْمَعْرُوشَةِ. وَ أَنْشَأَ كَذَلِكَ النَّخْلَ وَ الزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ يَعْنِي مُخْتَلِفَةً أَلْوَانُهُ وَ طَعُومُهُ وَ رَوَائِحُهُ وَ الزَّيْتُونَ وَ الزَّيْتُونَ وَ الرُّمَانَ مُتَشَابِهًا وَ غَيْرَ مُتَشَابِهٍ خَلَقَهُ كَذَلِكَ مُخْتَلِفًا بِأَشْكَالِهِ وَ أَلْوَانِهِ وَ أَحْجَامِهِ وَ مُتَشَابِهًا فِيهَا كُلُّوْا أَيُّهَا الْعِبَادُ مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ قَبْلَ النَّضْجِ وَ بَعْدَهُ وَ آتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ أَي تَصَدَّقُوا بِشَيْءٍ مِنْهُ غَيْرَ الزَّكَاةِ حِينَ جَنِيهِ. فَفِي الْكَافِي وَ الْعِيَاشِيِّ عَنِ الصَّادِقِ (ع): فِي الزَّرْعِ حَقَّانِ: حَقٌّ تَأْخُذُ بِهِ وَ حَقٌّ تَعْطِيهِ، أَمَّا الَّذِي تَأْخُذُ بِهِ فَالْعَشْرُ وَ نِصْفُ الْعَشْرِ، وَ أَمَّا الَّذِي تَعْطِيهِ فَقَوْلُهُ عَزَّ وَ جَلَّ: وَ آتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ، فَالضَّغْثُ تَعْطِيهِ ثُمَّ الضَّغْثُ، وَ الضَّغْثُ هُوَ الْكَفُّ مِنَ الثَّمَرِ إِذَا خَرَصَ. وَلَا تُشِيرُفُوا أَي لَا تَبْذُرُوا فِي التَّصَدَّقِ. إِنَّهُ تَعَالَى لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ أَي يَكْرَهُ الْمُبْذِرِينَ. وَ فِي الْكَافِي وَ الْعِيَاشِيِّ أَنَّ الْإِمَامَ الرِّضَا (ع) سَأَلَ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ فَقَالَ: كَانَ أَبِي يَقُولُ: مِنَ الْإِسْرَافِ فِي الْحَصَادِ الْجَذَازُ، أَنْ يَتَصَدَّقَ الرَّجُلُ بِكَفِيهِ جَمِيعًا. وَ كَانَ أَبِي إِذَا حَضَرَ شَيْئًا مِنْ هَذَا فَرَأَى أَحَدًا مِنْ غُلَمَانِهِ يَتَصَدَّقُ بِكَفِيهِ صَاحِبَهُ: اعْطِ يَدَ وَاحِدَةٍ الْقَبْضَةِ بَعْدَ الْقَبْضَةِ ... إلخ.

١٤٢- وَمِنَ الْأَنْعَامِ حُمُولُهُ وَفَرَشُهُ ... أَي أَنَّهُ سَبْحَانَهُ خَلَقَ مِنَ الْأَنْعَامِ مَا يَسْتَعْمَلُ فِي حَمْلِ الْأَثْقَالِ وَ يَسْتَفَادُ مِنْهُ فِي نَسِجِ الْفُرَشِ مِنْ صُوفِهِ وَ وَبَرِهِ. وَ قِيلَ: الْفَرَضُ الْغَنَمُ. كُلُّوْا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ مِنْهَا مِنْ لَحْمٍ وَ لَبَنٍ وَ لَا- تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ مَرَّعًا فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ١٥٢ ١٤٣- ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ: مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَ مِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ ... الزَّوْجُ مَا مَعَهُ آخَرُ مِنْ جِنْسِهِ. مِنَ الْغَنَمِ، وَ الْمَعْزِ، اثْنَيْنِ: أَي الْأَهْلِيَّ وَ الْوَحْشِيَّ وَ ثَمَانِيَةَ: بَدَلُ مِنْ: حُمُولُهُ وَ فَرَشُهُ، وَ لِذَلِكَ جَاءَتْ مَنْصُوبَةً. قُلْ الذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْإِنثَيْنِ أَي حَرَّمَ اللَّهُ ذَكَرَ الضَّأْنِ وَ الْمَعْزِ أَمِ الْإِنثَى مِنْ كُلِّ مِنْهُمَا؟ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْإِنثَيْنِ مِنْ كُلِّ الْجَنْسَيْنِ حَرَّمَهُ. تَبَيَّنَ خَبَرُونِي بِعِلْمٍ أَي عَنْ أَمْرٍ مُتَيَقِّنٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِي مَا ادَّعَيْتُمْ بِهِ مِنَ التَّحْرِيمِ. ١٤٤- وَ مِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَ مِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ ... هَذَا تَبَيَّنَ لَبَقِيَةِ الْأَزْوَاجِ الثَّمَانِيَةِ وَ الْإِبِلِ مِنْهَا الْعَرَابُ وَ مِنْهَا الْبَخَاتِي وَ هِيَ الْإِبِلُ الْخَرَّاسَانِيَّةُ وَ الْبَقَرُ مِنْهَا الْأَهْلَى وَ مِنْهُ الْوَحْشَى قُلْ الذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْإِنثَيْنِ، أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْإِنثَيْنِ مَرَّ تَفْسِيرُهَا أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ أَي: أَ كُنْتُمْ حَاضِرِينَ إِذْ وَصَّاهُ اللَّهُ بِهَذَا أَي أَمَرَكُم بِهَذَا التَّحْرِيمِ الَّذِي وَصَفْتُمُوهُ وَ لَا دَلِيلَ وَ لَا طَرِيقَ لَكُمْ إِلَى مَعْرِفَتِهِ إِلَّا الْمَشَاهِدَةُ، وَ لَا مَشَاهِدَةً، فَمَنْ أَيْنَ قَلْتُمْ بِهَذَا التَّحْرِيمِ؟ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا؟ أَي: هَلْ أَحَدٌ أَظْلَمُ مِمَّنْ يَكْذِبُ عَلَى اللَّهِ صِرَاحًا؟ وَ الْمُرَادُ بِهِ كِبَرَاؤُهُمُ الَّذِينَ سَنَوْا ذَلِكَ وَ أَقْرَوْهُ، فَبَحَرُوا الْبَحَائِرَ وَ سَيَّوُوا السَّوَابِ. لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ بِقَصْدِ إِضْلَالِ النَّاسِ عَنْ غَيْرِ مَعْرِفَةٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ إِلَى الثَّوَابِ وَ الْجَنَّةِ لِأَنَّهُمْ مُسْتَحَقُّونَ لِلْعِقَابِ الدَّائِمِ بِكُفْرِهِمْ. ١٤٥- قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا ... أَي طَعَامًا مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ أَي أَكَلَ يَطْعُمُهُ يَأْكُلُهُ. إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَي حَيَوَانًا مَأْكُولَ اللَّحْمِ مَاتَ دُونَ تَذْكِيَةٍ أَوْ دَمًا مَشْفُوعًا أَي مُصْبُوبًا كَالدَّمِ الَّذِي يَتَدَفَّقُ مِنَ الْعُرُوقِ دُونَ مَا يَكُونُ مَمْتَرَجًا بِاللَّحْمِ عَادَةً. أَوْ لَحْمٌ خَزِيرٍ فَإِنَّهُ رَجَسٌ نَجَسٌ حَرَامٌ أَوْ فِسْقًا أَهْلٌ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ أَي مَا ذَبَحَ دُونَ تَذْكِيَةٍ وَ لَمْ

يذكر اسم الله عليه خلافاً لأمره تعالى وهذه الآية تدل على أنه لا تحريم فى المأكَل إلَّا بالوحي فَمَنْ اضْطُرَّ الْجَاهُ الاضطرار إلى أكل محرَّم من اللحوم من غير طلب لذَّة غَيْرِ باغٍ أى عن غير بغى ولا عادٍ وغير تعدٍّ على حدود الله فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ يعفو عن مثل هذه الأمور الاضطرارية ولا يؤاخذ العباد لشدة رحمته بهم. ١٤٦- وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ ... الَّذِينَ هَادُوا هم اليهود وقد حَرَّمَ الله عليهم زمن موسى كل حيوان تنتهى قوائمه بظفر أو مخلب من الدواب كالسباع والطيور وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا أى الشحم الرقيق الذى يغشى الكرش وشحوم الأمعاء وغيرها إلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أى اشتملت عليه الظهور مع اللحم الذى تحمله أو الحوايا أى ما اشتملت عليه الأمعاء، وهو جمع حوىة أو مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ كَشَحْمِ الْإِلَیَّةِ المختلط بالعصعص وهو عظم الذنب ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ أى بسبب ظلمهم- أى اليهود- حرّمهم من أكل تلك الأشياء، وَإِنَّا لَصَادِقُونَ فيما نقول من أخبار و وعد وعيد. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ١٥٣ ١٤٧- فَإِنَّ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ ... فَإِنَّ كَذَّبُوكَ يا محمد فيما تقول فقل إن الله لا- يعجل عليكم بالعقوبة لسعة رحمته و أمهلکم فلا- تغتروا لإمهاله، فإنه يمهّل ولا يمهّل. ولا يَزِدُّ بِأَسْئَةٍ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ فَإِنَّ عَذَابَهُ الشَّدِيدَ لا يرجعه أحد عن المكذبين لو وقع. ١٤٨- سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ ... أى أن المشركين سيتعللون بالأعذار الواهية ويقولون لو أراد الله ما كنّا مشركين به نحن ولا آباؤنا ولا حرّمنا شيئاً مما ذكر كَذَلِكَ أى كما كَذَّبُوا شهادة الحجج العقلية والنقلية كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وافترؤا على الله تعالى مثل افتراءهم هذا، وأنكروا براهين الرسل والأنبياء (ع) حيث قلّم المتأخرون المتقدمين بمقاتلتهم الكفرية وصرّحوا بأنهم على دين آبائهم وأنهم مقتفون آثارهم حتّى ذاقوا بِأَسْنَانِهِمْ نالوا عذابنا قُلْ يا محمد هلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ أى حجة معلومة فَتَخْرِجُوهُ لَنَا أى تبدوه لنا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ أى: إنكم تسيرون بحسب التخمين والوهم وهما لا يغيان عن الحق شيئاً وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ أى تكذبون عليه تعالى. ١٤٩- قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ ... أى له وحده سبحانه البينة التى تبلغ قطع عذر المحجوج المعاند، فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ أى لو أراد إرادة إلجاء إلى الإيمان لتمكّن من ذلك بمجرد المشيئة ولكن لم يشأ ذلك لأنه منافٍ للتكليف. وفى الأمالى عن الصادق (ع) أنه سئل عن قول الله تعالى: وَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ؟ فقال: إن الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة: عبدى أ كنت عالماً؟ فإن قال نعم، قال له: أ فلا عملت ما علمت؟ وإن كان جاهلاً قال له: أ فلا تعلمت حتى تعمل، فيخصمه، فذلك الحجة البالغة. ١٥٠- قُلْ هَلْمْ شُهَدَاءُ كُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا ... أى قل: أحضروا شهداءكم الذين يشهدون بصحة ما تزعمون من أنه سبحانه حرّم ما ذكر من ادعاءات المشركين المتقدمة فتابعتموهم فيه. فَإِنْ شَهِدُوا وأقروا بما ادّعوه فلا تَشْهَدُ مَعَهُمْ أى فلا تؤيدهم فى شهادتهم ولا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أى ولا- تسلك طريقتهم السائرة فى تكذيب حججنا وفق رغباتهم الشيطانية ولا تَتَّبِعْ أَيْضاً الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ممن يجحدون البعث والنشور وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ أى يجعلون له نظيراً. ١٥١- قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ... أى أقرأ ما منع ربكم عليكم: أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً فأوجب توحيده سبحانه وبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَأَنْ تَحْسِنُوا إِلَيْهِمَا، وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ أى خوف الفقر، نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ فالرزق يشمل الوالد والمولود وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ أى المعاصى والقبائح مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ أى ما بان منها وما استتر وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ النفس التى حرم قتلها هى المسلم والمعاهد واستثنى ما يجب فيه إقامة الحد بالحق كالقصاص وغيره. ذَلِكَ إشارة إلى موارد جواز القتل و حرّمته وَصَّاكُمْ بِهِ لَتَحْفَظُوهُ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ يعنى لكى تفهموا ما أوصاكم به ولتعملوا وفق حلاله وحرامه. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ١٥٤ ١٥٢ ١٥٢- وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ... حرّم سبحانه التصرف فى مال اليتيم إلا بأحسن وجوه التصرف التى تحفظه وتنميه عينا كما يحفظ الإنسان ما يملكه من ماله ويعمل على تنميته. حتّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ أى حتى يبلغ كامل العقل رشيداً. وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ أى أتموها بالعدل بدون بخس لا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا أى أنه تعالى لم يطلب من العبد إلَّا الحد الذى يطيقه. ومن المؤكد أن مراعاة العدل الواقعى فى إيفاء حقه تعالى أو أى حق متعسره، فلم يطلب إلَّا ما هو فى وسع الإنسان وهو سبحانه يعفو عما سواه. وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى أى قولوا الحق وإن كان على ذى قرابة لكم وَبِعْهَدِ اللَّهِ أَوْفُوا أى بما عهد إليكم ممّا أوجبه عليكم فأدّوه كاملاً- ذَلِكَ وَصَّاكُمْ بِهِ

لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ أى لأجل أن تتعظوا بما وصاكم به ولا تنسوا وصية الله سبحانه. ١٥٣- وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ... أى أن طريقه الذى أشار إليه سبحانه هو الطريق العدل المؤدى إلى ما فيه الرشاد دون التواء فَاتَّبِعُوهُ أى فاسلكوه وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ أى لا تسلكوا طرق الكفر والشبهات فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ يعنى: فتوزع و تأخذ بكم و تصرفكم عن طريق الحق المستقيم ذَلِكُمْ وَصَاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ أى وصاكم بذلك لتجنبوا التيه فى الضلال و التفرق عن الحق. ١٥٤- ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ ... عطف سبحانه ب. ثم، للتراخى فى الإخبار أو للتفاوت فى الرتبة، كأنه قيل: ذلكم وصاكم به قديما و حديثا. ليبين حالة لليهود و هى عصيانهم يوم آتى موسى (ع) التوراة تماما أى كاملا على الذى أَحْسَنَ وَ تَفَصَّلَ يَلَّا لِكُلِّ شَيْءٍ أى بيانا لكل ما يحتاج إليه فى الدين وَ هُدًى وَ رَحْمَةً أى و دلالة على الدين الحق و نعمته لَعَلَّهُمْ يَلْقَاءُ رَبَّهُمْ يُؤْمِنُونَ أى ليصدقوا بجزاء ربهم يوم القيامة. و هو هنا يقصد اليهود المشركين الذين خصهم بكتابهم ليؤمنوا و يصدقوا بلفائه يوم البعث و الجزاء. ١٥٥- وَ هَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ ... يعنى القرآن الذى أوحى به سبحانه من السماء إلى محمد (ص) و جعله كثير الخير فَاتَّبِعُوهُ أى اعملوا بما فيه وَ اتَّقُوا وَ احذروا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ بأمل أن تنالكم الرحمة باتباعه. ١٥٦- أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابَ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا ... يعنى أننا أنزلنا القرآن لتعملوا به و لنقطع احتجاجكم أيها الكافرون أن تقولوا: أنزل الكتاب من السماء على طائفتين: هما اليهود و النصارى. و دعا هؤلاء و أولئك للإيمان. وَ إِن كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ أى عن مدارستهم و تلاوة ما نزل عليهم لَغَافِلِينَ لا ندرى ما هى. و لأننا لا نعرف مثلها، و اللام جاءت هنا للتأكيد بعد: و إن التى تعنى: و إنما كُنَّا. ١٥٧- أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ ... أو تقولوا أيها الكافرون لو كان لنا كتاب لكننا أسرع إلى الهدى من اليهود و النصارى إذ لا تنقصنا الفصاحة و الفهم فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ أى حجة واضحة أنزلها الله سبحانه لكم وَ هُدًى لِمَنْ اتَّبَعَهَا وَ رَحْمَةً لِمَنْ تَأْمَلُ فِيهَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ أى: هل أظلم لنفسه من الذى كَذَّبَ ببراهين ربه وَ صَدَفَ عَنْهَا أى أعرضَ سَتَجَزَى نِعَاقِبَ الَّذِينَ يَصِيدُونَ يَعْرِضُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ بما كانوا يَصِيدُونَ أى بسبب إغراضهم. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ١٥٥ ١٥٨- هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ ... هذا استفهام إنكارى يعنى: ما ينتظر كفار مكة إلا مجيء الملائكة إليهم إِمَّا لِلوفاة و إِمَّا للعذاب أَوْ يَأْتِي رَبُّكَ أى أمر ربك أَوْ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ بعض ما وعدهم به من الأحوال و العذاب. يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ و يزول التكليف عندها. لا يَنْفَعُ لا يفيد نفساً أحداً من الناس إيمانها تصديقها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ لانسداد باب التوبة عندئذ و ارتفاع قلم التكليف أَوْ كَسَيْتُ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا أى ربحت أجرا لتصديقها قُلْ يا محمد انْظُرُوا اصبروا حتى يحلّ ذلك بكم إِنَّا مُنْتَظِرُونَ متربصون له. ١٥٩- إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ ... أى آمنوا ببعض ما أمروا به و كفروا بالبعض الآخر وَ كَانُوا شَرِيعًا أى فرقا متنازعة لَسَتْ مِنْهُمْ فى شَيْءٍ أى ما أنت المسؤول عن تفرقهم إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ أى حسابهم إليه ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بما كَانُوا يَفْعَلُونَ أى يخبرهم بكل ما عملوه حين محاسبتهم يوم القيامة. ١٦٠- مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ مَثَالٍ ... أى: من فعل الخير يكتب الله له عشر حسنات تفضلاً وَ مَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ أى اقترف ذنبا كبيرا أو صغيرا فلا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا أى لا يجازى إلا بمقدارها عدلا منه. وَ هُمْ لَا يُظْلَمُونَ أى لا. ينقص الثواب و يزيد العقاب. ١٦١- قُلْ إِنِّى هِدَانِى رَبِّى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ... أى اقطع يا محمد نزاع القول مع القوم الكافرين و قل: إني هدانى ربى: أى قل يا محمد: أرشدنى ربى إلى الطريق الذى لا أعوجاج فيه دِينًا قِيمًا أى ثابتا دائما مِلَّةً إِبْرَاهِيمَ أى طريقه إِبْرَاهِيمَ (ع) حَنِيفًا مائلا عن الكفر إلى الإسلام وَ مَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ نفى سبحانه شرك إبراهيم (ع). ١٦٢- قُلْ إِن صِلَاتِي وَ نُسُكِي ... أى دعائى و عبادتى و قربانى وَ مَحْيَاى وَ مَمَاتِي أى حياتى و موتى لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ أى ذلك كله خالص لوجهه سبحانه. ١٦٣- لَا شَرِيكَ لَهُ، وَ بِذَلِكَ أُمِرْتُ ... أى لا أشرك معه غيره أحدا فى عبادتى و قد أمرنى لأعترف بما ذكر فى صدر الآيه، وَ أَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ لأن إسلامه (ص) يتقدم إسلام أمته. ١٦٤- قُلْ أَعِزَّ اللَّهُ أَبْغَى رَبًّا ... يعنى أنه (ص) لا يطلب غير الله سبحانه إلها و الاستفهام إنكارى وَ هُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ أى أن كل ما سواه مربوب لا يصلح للربوبية، وَ لَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا أى أن كل نفس تتحمل تبعه عملها وَ لَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى أى لا تحمل نفس آثمة إثم نفس أخرى، ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ أى معادكم يوم القيامة إلى خالقكم فَيُنَبِّئُكُمْ أى يخبركم بما كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ أى بما كنتم فى دار الدنيا تفترون فيه بتميز الحق من

الباطل. ١٦٥- وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ ... الله سبحانه هو الذى جعل الناس يخلف بعضهم بعضا وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ جعلكم متفاوتين فى المراتب لِيُبْلِغُكُمْ لِيُخْتَبِرَكُمْ فى ما آتَاكُمْ أى ليعلم أ تشكرون نعمه أم تكفرون بها؟ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ أى سريع العذاب الشديد لمن كفر وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ لمن شكره. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ١٥٦

سورة الأعراف مكية، عدد آياتها ٢٠٦ آية

١- المص ... قد مرّ تفسيره عند كلامنا على الحروف المقطعة سابقا. ٢- كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ ... أى هذا الذى أوحيناه إليك هو كتاب أنزلناه عليك بواسطة الملائكة و بأمر منا. فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ أى فلا يضيّقْ صدرك بما فيه من الأوامر والنواهي الكثيرة التى تخاف من أن لا تقوم بتبليغها حق القيام. لِيُنْذِرَ بِهِ أى لتخوف بالقرآن متوعدا من يخالف أوامر الله ونواهي. وَ ذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ أى موعظة لهم. ٣- اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ... الخطاب لسائر المكلفين، فقل يا محمد لهم: تصرّفوا بما فى المنزل إليكم من الله أمرا ونهيا. وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ أى لا تقلّدوا أولياء تتولّونهم و تطيعونهم فى معصية الله، قليلا ما تَذَكَّرُونَ أى قليلا تذكركم و كونكم متّعظين بما فيه. و المقصود به الأمر أى: تذكروا كثيرا كلّ ما أوجه الله تعالى عليكم. ٤- وَ كَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا ... كم: لفظه توضع للتكثير والمعنى: أهلكنا كثيرا من أهل القرى بالإبادة والعذاب. فَجَاءَهَا بِأَسْنِئَةٍ أى حين حلّ فيها عذابنا بيّاتاً فى الليل أَوْ هُمْ قَائِلُونَ يعنى وقت القيلولة و هى منتصف النهار. ٥- فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بِأَسْنِئَةٍ ... أى لم يكن دعاء من أهلكناهم عقوبة على كفرهم حين نزول عذابنا بهم إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ يعنى لم يقع منهم سوى الاعتراف بظلمهم لأنفسهم، عند معانيه العذاب. ٦- فَلَنَسِئَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ ... قد أقسم الله سبحانه أنه سيسأل المكلفين الذين أرسلت إليهم الرسل عن الطاعة و لنَسْئَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ الَّذِينَ بَعَثْنَاهُمْ عَنِ التَّبْلِيغِ. ٧- فَلَنَقْصُصَنَّ عَلَيْهِمْ ... أى لنخبرنهم بأعمالهم بعلم أى بمعرفة تامة بأعمالهم ليدركوا أنها كانت محفوظة فى كتاب كل منهم. وَ مَا كُنَّا غَائِبِينَ عَنْ شَيْءٍ مِنْ أَعْمَالِهِمْ وَ لَا أَعْمَالِ الرُّسُلِ. ٨- وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ ... أى يوم القيامة يكون وزن الأعمال وزنا حقا. فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ أى رجحت حسناته على سيئاته. فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ أى الفاتزون بالثواب. ٩- وَ مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ ... فتثقل كفه سيئاتهم فإنهم يخسرون باستحقاقهم لعذاب الأبد بما كانوا بآياتنا يظلمون أى بسبب جحودهم بحججنا. ١٠- وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ ... التمكين هو إعطاء ما يصح به الفعل مع رفع المنع، فقد مكناكم فى الأرض على هذا الأساس من إعطائكم جميع ذلك وَ جَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ فقد وفرنا لكم فى الأرض ما تعيشون به من أنواع النعم قليلا ما تَشْكُرُونَ أى أنكم مع كل هذه النعم قلّ شكركم. ١١- وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ أى أنا بدأنا خلق آدم ثم صورناه، فابتداء خلقه (ع) من التراب عقبته الصورة التى صار عليها. ثُمَّ بَعْدَ هَاتَيْنِ الْمَرَحَلَتَيْنِ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ بعد الفراغ من خلقه و تصويره نحن نخبركم بأمرنا للملائكة بالسجود لآدم فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ قد مرّ تفسير ذلك فى سورة البقرة. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ١٥٧ ١٢- قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ... يعنى قال الله تعالى: ما منعك من السجود يا إبليس حين أمرتك بالسجود لآدم. قَالَ إِبْلِيسُ: أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَ خَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ أى أنا خير من آدم لأنك أوجدته من تراب، و أنا مخلوق من نار، و النار تقوى على الطين. ١٣- قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا ... أى قال الله عزّ و جلّ لإبليس: انزل من السماء أو من الجنة أو مما أنت عليه من الدرجة الرفيعة فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ عَنْ أَمْرِ اللَّهِ، فيها أى الجنة أو ما ذكرناه فأخْرُجْ يا إبليس مما أنت فيه أو عليه إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ يعنى الأذلاء بالمعصية. ١٤- قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ ... قال إبليس: أمهلنى إلى يوم بعث الناس من قبورهم. ١٥- قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ... أى قال الله له: إنك من المؤخرين إلى ذلك اليوم. ١٦- قَالَ ... أى قال إبليس بعد إجابته طلبه فيما أَعْوَيْنِي أى اعتبرتنى غاويا ضالا. لَأَقْعُدَنَّ أَيْ لَأَجْلِسَنَّ لَهُمْ لِأَبْنَاءِ آدَمَ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ أى على طريق الحق الذى تسنه لأصدهم عنه ١٧- ثُمَّ لَا تَنِيَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَ مِنْ خَلْفِهِمْ وَ عَنْ أَيْمَانِهِمْ وَ عَنْ شَمَائِلِهِمْ أى لأحضرنهم فى دنياهم و لأسدنّ عليهم الطرق مزينا لهم الدّنيا و ما يضمن سوء العاقبة لهم فى الآخرة. وَ لَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ أى أن الأكثر منهم يكونون كافرين بأنعم الله بتزيين إبليس

لهم المعاصي. ١٨- قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْهُورًا ... قَالَ سُبْحَانَهُ لِإِبْلِيسَ: اخرج من الجنة معابا بعصيانك مدفوعا بهوان و مطرودا بذل لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَى: من أطاعك من بنى آدم لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ يعنى سأملاً جهنم منك و من ذرّيتك و ممن أطاعك من بنى آدم مجموعين فى جهنم. ١٩- وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ... أمر سبحانه آدم (ع) بسكنى الجنة و الإقامة فيها مع زوجته حواء (ع) فَكَلَا- مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا أَى من أى مكان أردتما، وَلَا- تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ أَى لا- تَأْكُلَا- منها فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ أَى الباخسين نفوسهم أعظم الثواب. ٢٠- ٢١- فَوَسَّسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ يَعْنِي أَنَّهُ أَلْقَى فِي قَلْبَيْهِمَا الْمَعْنَى بِصَوْتِ خَفَى، لِيُثْبِتَ لَهُمَا أَى ليظهر لهما. ما وورى يعنى: ستر عنهما مِنْ سَوَاتِبِهِمَا أَى عوراتهما. وَقَالَ لَهُمَا: مَا نَهَاكُمَا مَنَعَكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ الْأَكْلِ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَى تتغيّر صورتكما و تصير إلى صورة الملائكة أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ أَى لا تفنى حياتكما وَقَاسَمَهُمَا أَى حلف بالله إِنِّي لَكُمَا لِمَنِ النَّاصِحِينَ أَى المخلصين فى النصيحة. ٢٢- فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ ... أَى غَرَّهَمَا بِبَيْمِينِهِ فَأَوْقَعَهُمَا فِي الْمَكْرُوهِ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ أَى تناولا شيئاً قليلاً منها بَدَتْ لَهُمَا سَوَاتِبُهُمَا يَعْنِي ظَهَرَتْ لَهُمَا عوراتهما وَطَفِيفًا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ أَى أخذَا يجعلان ورقة فوق ورقه على جسديهما ليستترا. وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا خَاطِبُهُمَا: أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ أَلَمْ أَمْنَعَكُمَا وَ أَقْلَ لَكُمَا وَ أَخْبَرَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ مبین: أَى ظاهر العداوة. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ١٥٨ ٢٣- قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا ... يعنى أن آدم و حواء (ع) قَالَا- ربنا إنا بخسنا أنفسنا الثواب، بتركنا ما نديننا إليه. وَ إِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا أَى تستر علينا ذنوبنا وَ تَرْحَمْنَا تَفْضُلَ عَلَيْنَا بنعمتك لتعويض ما فوتناه لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ أَى من جملة الذين يخسرون فضلك. ٢٤- قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ، وَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَ مَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ... مر تفسير هذه الآية الشريفة فى سورة البقرة. ٢٥- قَالَ فِيهَا تَحْيُوتُ وَ فِيهَا تَمُوتُونَ وَ مِنْهَا تُخْرَجُونَ ... أَى قال الله سبحانه: فى الأرض تقضون حياتكم الدنيا، و فيها أيضا تنتهى حياتكم، و منها تبعثون يوم القيامة. ٢٦- يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوَاتِبَكُمْ ... هذا خطاب لجميع المكلفين من البشر أنه سبحانه أعطاهم لباساً يغطى عوراتهم. و كل ما يعطى الله العباد فهو منزل عليهم أَى مخلوق لهم وَ رِيشًا يَعْنِي أَثَاثًا مِمَّا تَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ. وَ لِبَاسُ التَّقْوَى أَى العمل الصالح. ذَلِكَ خَيْرٌ يَعْنِي لباس التقوى هو خير من جميع ما يلبسه الإنسان. ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ يَعْنِي جميع ما خلقه و أنزله من حججه الدالة على توحيده لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ أَى لكى يتفكروا و يؤمنوا. ٢٧- يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ ... أَى لا يضلنكم بصرفكم عن الحق كما أخرج أبويكم مِنَ الْجَنَّةِ أَى كما كان سببا بإخراجهما منها بِإِغْوَاةٍ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا أَى يلقي عنهما بوسوسته لباس الجنة الذى لا مثيل له لِئَرِيَهُمَا سَوَاتِبَهُمَا لتفتضح أمامهما عوراتهما إِنَّهُ أَى الشيطان يراكم هُوَ وَ قَبِيلُهُ أَى نسله و قيل قبيله يعنى جنوده و أتباعه من الجن و الشياطين. مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ بَنُو آدَمَ لَا يَرَوْنَهُمْ لِأَن أَجْسَامَهُمْ شَفَافَةٌ لَا تَتَلَبَّسُ بِمَادَةٍ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَى قضينا بذلك و حكمنا به لأنهم ينصر بعضهم بعضا على الباطل. ٢٨- وَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً ... يعنى إذا عملوا جرماً كبيراً مستهجنًا- ثم نهوا عنه- قَالُوا وَ حَرِّدْنَا عَلَيْهِمَا آبَاءَنَا وَ هِيَ حِجَّةٌ وَاهِيَةٌ وَ اللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا يَقُولُونَ ذَلِكَ افْتَرَاهُ عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ قُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ فَقَدْ أَنْكَرَ صَدُورَ ذَلِكَ عَنْهُ سُبْحَانَهُ، أَوْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ يَعْنِي أَوْ تَكْذِبُونَ عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ؟. ٢٩- قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ ... قل يا محمد: أمر ربى بالعدل و الاستقامة و جميع الطاعات و أَنْ أَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ أَى أخلصوا وجوهكم لله فى الطاعة عند تأديته كل صلاة. وَ ادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ أمر سبحانه بالدعاء و الابتغال إليه على وجه الإخلاص من دون شوب رياء فى إخلاصكم له الدين. كَمَا يَدْعَاكُمْ تَعُودُونَ أَى كما خلقكم أولاء فسيعيدكم بعد الموت للجزاء. ٣٠- فَرِيقًا هَدَى وَ فَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ ... أَى جماعة حكم الله لهم بالاهتداء لقبولهم الهدى و إرادته. و جماعة وجب عليهم الضلال لأنهم لم يقبلوا الهدى و لا أرادوه إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَى أنه سبحانه لم يبدأهم بعقوبة إِلَّا بعد استحقاقها على عصيانهم للخالق و إطاعتهم لأوليائهم من الشياطين وَ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ أَى يظنون مع ذلك كله أنهم على حق. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ١٥٩ ٣١- يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ... يعنى خذوا ثيابكم التى تزيّنون بها للصلاة فى الجمعات و الأعياد. و قيل: عند كل صلاة. وَ كُلُوا وَ اشْرَبُوا مِمَّا رَزَقَكُمْ، وَ لَا تُشْرِكُوا أَى لا تبذروا و تتجاوزوا الحلال إلى

الحرام. إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ يَعْنِي أَنَّهُ يَبْغِضُهُمْ. ٣٢- قُلْ ... أَيُّ قُلُوبٍ لَا يَعْلَمُ أَنَّ مُحَمَّدًا لَهْوَ لَاءِ الَّذِينَ يَحْرَمُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بَعْضَ الْأُمُورِ فِي بَعْضِ الْأُمُكْنَةِ أَوْ الْأَزْمَنَةِ يَمْتَنِعُونَ عَنْ أَكْلِ السَّمَنِ وَالْأَلْبَانِ فِي الْإِحْرَامِ، قُلْ لَهُمْ: مَنْ حَرَّمَ مَنَعَ زِينَةَ اللَّهِ مِنَ الثِّيَابِ الَّتِي يَتَرَبَّنُ بِهَا النَّاسُ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَأَبَاحَهَا لَهُمْ هِيَ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ أَيُّ مَا لَدَّ وَحَسَنَ طَعْمُهُ قُلْ لِلنَّاسِ: هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَيُّ أَنَّ الزَّيْنَةَ وَالطَّيِّبَاتِ مُحَلَّلَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي حُدُودِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ، يَشَارِكُونَ الْكَفَّارَ فِيهَا فِي الدُّنْيَا، وَهِيَ فِي الْآخِرَةِ خَالِصَةٌ لَا يَحَاسِبُونَ عَلَيْهَا، لَهُمْ دُونَ الْكَفَّارِ. كَذَلِكَ أَيُّ بِحَسَبِ مَا ذَكَرْنَا نَفْصُلُ الْآيَاتِ نَشْرَحُ الْحَجَجَ وَالْدَّلَالَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ يَعْرِفُونَ الْحَقَّ فِي الْأُمُورِ. ٣٣- قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ... مِنْ مَعْنَاهُ. وَكَذَلِكَ حَرَّمَ الْإِثْمَ الَّذِي قِيلَ إِنَّهُ الْخَمْرُ هُنَا. وَحَرَّمَ الْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ أَيُّ الظُّلْمَ وَالْفَسَادَ بِدُونِ مُوجِبٍ لَهُ. وَحَرَّمَ أَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ تَعْبُدُوا مَعَهُ غَيْرَهُ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا يَعْنِي مَا لَمْ يَقُمْ عَلَيْهِ حُجَّةٌ وَبِرَهَانًا، وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ أَيُّ أَنْ تَكْذِبُوا عَلَيْهِ. ٣٤- وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ... أَيُّ لِكُلِّ جَمَاعَةٍ مُوَعِدٌ لِأَهْلَاكِهِمْ فِي الدُّنْيَا بَعْدَ إِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ عَنْ طَرِيقِ الرِّسْلِ. فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ أَيُّ حَانَ وَقْتُ نَهَائِهِمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً لَا يَتَأَخَّرُونَ وَلَا يَسْتَفْتِدُونَ أَيُّ لَا يَتَقَدَّمُونَ سَاعَةً عَلَى ذَلِكَ الْوَقْتِ. ٣٥- يَا بَنِي آدَمَ ... خُطَابٌ لِسَائِرِ الْمُكَلَّفِينَ مِنَ الْبَشَرِ، إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ أَيُّ إِنْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ أَنْبَاءٌ مِنْكُمْ أَيُّ مِنْ جَنْسِكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي أَيُّ يَخْبِرُونَكُمْ بِدَلَالَاتِي وَحُجَجِي فَمَنْ اتَّقَى تَجَنَّبَ انْكَارَ الرِّسْلِ وَأَصْلَحَ عَمَلَهُ فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ فِي الدُّنْيَا وَلَا هُمْ يَخْزَنُونَ فِي الْآخِرَةِ. ٣٦- وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا ... أَيُّ الَّذِينَ لَمْ يَصْدُقُوا حُجَجَنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أَيُّ رَأَوْا أَنْفُسَهُمْ أَكْبَرَ مِنْ أَنْ يَصَدِّقُوا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ الَّذِينَ يَكُونُونَ مَلَازِمِينَ لَهَا هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ بِاقُونَ أَبَدًا. ٣٧- فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ... أَيُّ لَا أَحَدٌ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَافْتَرَى عَلَيْهِ وَهُوَ إِخْبَارٌ بِصُورَةِ الْاسْتِفْهَامِ فَكَانَ أَبْلَغُ. فَلَيْسَ أَظْلَمُ مِنَ الْمَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ أَوْ مِمَّنْ كَذَبَ بِآيَاتِهِ أَيُّ أَنْكَرَ حُجَجَةَ الدَّالَّةِ عَلَى تَوْحِيدِهِ وَصَدَّقَ رُسُلَهُ أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَعْنِي بِهِمُ الْمَكْذِبِينَ الْمَفْتَرِينَ يَصِلُ إِلَيْهِمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْعَذَابِ. حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ رُسُلُنَا يَعْنِي مُلْكُ الْمَوْتِ وَأَعْوَانُهُ يَتَوَفَّوْنَهُمْ أَيُّ يَقْبِضُونَ أَرْوَاحَهُمْ أَوْ لَحْشَرَهُمْ إِلَى النَّارِ قَالُوا أَيُّ الْمَلَائِكَةِ تَوِيخًا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَيُّ مَا سَمَّيْتُمُوهُ رَبًّا كَالْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ. قَالُوا أَيُّ الْكَفَّارِ: ضَلُّوا عَنَّا يَعْنِي ذَهَبُوا وَلَمْ يَهْتَدُوا إِلَيْنَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ أَيُّ أَقْرَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكَفْرِ بِهَذِهِ الشَّهَادَةِ. إِرْشَادُ الْأَذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ١٦٠- ٣٨- قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ ... أَيُّ قَالَ اللَّهُ لَهُؤَلَاءِ: ادْخُلُوا فِي صَفِّ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ الَّتِي قَدْ مَضَتْ وَطَوَّاهَا الْهَلَاكُ وَخَلَا مِنْهَا مَكَانُهَا، مِنَ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ مُحْشُورِينَ فِي النَّارِ أُمَّةٌ بَعْدَ أُمَّةٍ لِكُفْرِهِمْ مِثْلَكُمْ. وَفِي الْآيَةِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ مِنَ الْجَنِّ أُمَّةً يَمُوتُونَ بِأَجَالٍ خَاصَّةٍ قَبْلَ انْتِهَاءِ أَمَدِ الدُّنْيَا عَلَى خِلَافِ إِبْلِيسَ الْبَاقِي إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ. كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ النَّارَ لَعَنَتْ أُخْتَهَا أَيُّ الْأُمَّةِ الَّتِي سَبَقَتْهَا إِلَى الْكَفْرِ. حَتَّى إِذَا آذَرَكُوا أَيُّ تَدَارَكُوا يَعْنِي أَدْرَكَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، الْآخِقُونَ السَّابِقِينَ، وَبِلِحْوَكَ أَخْرَاهُمْ لِأَوْلَاهُمْ فِيهَا أَيُّ النَّارِ جَمِيعًا كُلَّهُمْ. قَالَتْ أَخْرَاهُمْ لِأَوْلَاهُمْ أَيُّ قَالَتْ الْآخِرَةُ دَخُولًا إِلَى النَّارِ وَهُمْ الْأَتْبَاعُ، لِأَوْلَاهُمْ دَخُولًا وَهُمْ السَّادَةُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا أَيُّ ضَيَّعُونَا عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ فَآتَيْهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ أَيُّ عَذَبَهُمْ عَذَابًا مُضَاعَفًا قَالَ اللَّهُ لِكُلِّ ضَعْفٍ أَيُّ لِلتَّابِعِ وَالْمَتَّبِعِ مُضَاعَفٌ وَلِكِنْ لَا تَعْلَمُونَ مَا لِكُلِّ فَرِيقٍ مِنْكُمْ مِنَ الْعَذَابِ جِزَاءً ضَلَالَتِكُمْ وَإِضْلَالِكُمْ. ٣٩- وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأَخْرَاهُمْ ... يَعْنِي قَالَ الْمَتَّبِعُونَ لِلتَّابِعِينَ: فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ أَيُّ لَسْتُمْ أَفْضَلُ مِنَّا، فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ مِنَ الْكَفْرِ بِسُوءِ اخْتِيَارِكُمْ فِي اتِّبَاعِنَا. ٤٠- إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا ... مِنْ مَعْنَاهُ لَا تَفْتَحْ لَهُمْ أَبْوَابَ السَّمَاءِ يَعْنِي لَا تَفْتَحْ لِقَبُولِ أَرْوَاحِهِمْ عِنْدَ الْمَوْتِ، بَلْ تَرُدَّ إِلَى سَجِينٍ كَمَا رُدَّتْ أَعْمَالُهُمْ الْقَبِيحَةُ مِنْ قَبْلِ. وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلْبِغَ الْجَمَلُ فِي سَيِّئِهِمُ الْخِيَاطُ يَعْنِي لَا يَصِيرُونَ إِلَى الْجَنَّةِ إِلَّا حِينَ يَدْخُلُ الْبَعِيرُ فِي ثَقْبِ الْإِبْرَةِ، كُنَايَةٌ عَنْ اسْتِحَالَةِ دَخُولِهِمْ إِلَيْهَا. وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ أَيُّ وَبِهَذَا الشَّكْلِ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ الَّذِينَ يَكْذِبُونَ بِآيَاتِنَا ... ٤١- لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ ... أَيُّ أَنَّهُمْ يَكُونُ لَهُمْ فِي جَهَنَّمَ فِرَاشٌ وَجَهَنَّمَ: اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ نَارِ الْآخِرَةِ الَّتِي بِهَا التَّعْذِيبُ، وَقَدْ قِيلَ: إِنَّهُ مَأْخُوذٌ مِنْ قَوْلِهِمْ: بئسَ جَهَنَّمَ، أَيُّ بَعِيدَةُ الْقَعْرِ، وَقِيلَ: فَارْسِي مَعْرَبٌ. وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ أَيُّ أَغْطِيَهُ مِنْ فَوْقِهِمْ تَغْشِيهِمْ وَهَذِهِ كُنَايَةٌ عَنْ أَنَّ النَّارَ تَحِيطُ بِهِمْ مِنَ الْأَعْلَى وَالْأَسْفَلِ. وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِالْكَفْرِ وَالشُّرْكِ. ٤٢- وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ... وَالْمُصَدِّقُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ الَّذِينَ عَمِلُوا أَعْمَالًا مُرْضِيَةً عِنْدَ

الله لا- نَكَلَّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا يعني لا- نكلف أحدا إلّا بما يقدر عليه من الطاعات. و هو مسوق للتخفيف و تقوية الرجاء في قلوب المؤمنين أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ مقيمون فيها دائما. ٤٣- وَ نَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ ... يعني: أخرجنا ما في قلوبهم من حقد تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ أى تجرى مياه أنهار الجنة تحت منازلهم وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا أَى دَلَّنَا عَلَى الإيمان و العمل الصالح الذى أوصلنا إلى النعيم وَ مَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لِهَذَا النعيم لَوْ لَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ أَى لولا توفيقه لنا إلى الهدى و فيه إشارة إلى اختصاص الهداية به تعالى فليس إلى الإنسان من الأمر شىء. لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ رَبَّنَا بِالْحَقِّ اعتراف منهم بصدق الرسالات السماوية و بصدق المرسلين وَ نُودُوا أَى ناداهم مناد من جهته سبحانه: أَنْ تَلَكُمُ الْجَنَّةُ أَى هذه الجنة، أُورِثْتُمُوهَا أُعْطِيَتْموها كالإرث و صارت لكم. بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ أَى جزاء عملكم الصالح مع الإيمان. و هذا يدل على أن الجنة لا تورث إلا بعمل الطاعات بعد أن كانت مبدولة للمؤمن و الكافر جميعا غير أن الكافر زال عنها بشركه و معاصيه فتركها فبقيت للمؤمن فهو الوارث لها بعمله. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ١٦١ ٤٤- وَ نادى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ النَّارِ ... هذه حكاية حال ما يكون عليه الأمر بعد الحساب، يعني: سينادى أهل الجنة أهل النار، أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا مِنَ الثَّوَابِ الجزيل و كما جاء عن الرّسل فى الكتب حَقًّا أَى صدقا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا من العقاب على الكفر و العناد صدقا قَالُوا نَعَمْ يعني وجدنا جهنّم التى وعدنا العقاب بها صدقا فَأَذِنَ نادى مُؤَذِّنٌ مناد قيل بأنه مالك خازن النار. بَيْنَهُمْ بَحِثْ يسمع الفريقان: أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ يعني غضب الله على الكافرين. ٤٥- الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ... أَى الَّذِينَ ظَلَمُوا أنفسهم بإعراضهم عن الحق و غيرهم بمنعهم عن اتباعه. وَ هُمْ يَغْوُونَهَا عِوَجًا أَى يريدون السبيل غير مستقيمة فيعظمون و يعبدون غير الله سبحانه. وَ هُمْ بِالْآخِرَةِ أَى بالبعث و الحساب كَاِفِرُونَ منكرون جاحدون. ٤٦- وَ بَيْنَهُمَا حِجَابٌ ... أَى حاجز بين أهل النار و أهل الجنة وَ عَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ الْأَعْرَافِ: هو السور الذى يضرب بين الجنة و النار. و اختلف فى أولئك الرجال الذين يقفون على الأعراف: فقليل هم قوم تساوت حسناتهم و سيئاتهم فجعلوا هناك لا هم مع أهل الجنة و لا هم مع أهل النار. و عن الحسن أنهم قوم جعلهم الله على تعريف أهل الجنة و النار يميزون بعضهم من بعض. و قيل هم ملائكة من خزنة الجنة و خزنة النار، و قيل غير ذلك. يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ أَى بعلاماتهم الخاصة بهم. وَ نَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ قيل إن مذنبى كل أمة هم الذين يلقون السلام من على الأعراف الواقفين دونه على أصحاب الجنة ممن يعرفونهم من أفراد أمتهم. لَمْ يَدْخُلُوهَا وَ هُمْ يَطْمَعُونَ أَى المذنبون لم يدخلوا الجنة و لكنهم يطمعون أن يكونوا من الداخلين إليها بشفاعته النبى و الإمام (ع). ٤٧- وَ إِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْفَاءً أَصْحَابُ النَّارِ ... أَى إذا تحوّلت أبصار الذين على الأعراف نحو أهل النار و رأوا ما هم عليه من عذاب قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ أَى لا تجعلنا معهم. ٤٨- وَ نادى ... يعني أنّه سينادى يوم القيامة أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ هم المنادون مِمَّنْ ذَكَرْنَاهُمْ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ جماعة يعرفونهم بعلاماتهم الخاصة بهم قَالُوا لَهُمْ: مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ الْمَالِ وَ حِطَامِ الدُّنْيَا وَ مَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ يعني ما أغنى عنكم استكباركم عن الإيمان. ٤٩- أ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ ... يعني أ هؤلاء المؤمنين، هم الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ حلفتُمْ لا- يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ أَى أنه لا يصيبهم بخير أو لطف؟ لقد كذبتُمْ. و يا أيها المؤمنون: اذْخُلُوا الْجَنَّةَ جزاء إيمانكم لا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَ لَا أَنْتُمْ تَخْزُونَ بل بتمام السرور و الأمن و أتم الكرامة من الله سبحانه. ٥٠- وَ نادى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ... يعني: سينادى أصحاب النار أصحاب الجنة يوم القيامة، بَذَلْ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَى صَبَوْه نحونا أَوْ أَفِيضُوا كَذَلِكَ عَلَيْنَا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ أَى مما أعطاكم من طيبات الجنة قَالُوا يعني قال أهل الجنة إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا أَى منعهما منعاً باتاً، عَلَى الْكَافِرِينَ لكفرهم. ٥١- الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَ لَعِبًا ... يعني جعلوا دينهم الذى أمرهم الله به، أداةً للتندر و اللعب و اللهو، وَ غَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا يعني غشهم مظهرها و لذاتها فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هذا أى ندعهم فى جهنم و عذابها كما تركوا العمل الصالح للقاء هذا اليوم وَ مَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ و لجحودهم و كفرهم بحججنا و دلالاتنا. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ١٦٢ ٥٢- وَ لَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ ... أَى قد أتيناهم بالقرآن الذى بينا ما جاء فيه و نحن عالمون به حقيقة هُدًى وَ رَحْمَةً أَى دلالة ترشد إلى الحق و تنجى من الضلال لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ يصدقون به، و ينتفعون بتصديقهم. ٥٣- هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ ... هل ينتظرون إلّا عاقبة الجزاء

على مخالفته. يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ أَيُّ مَا وَعَدُوا بِهِ مِنَ الْبَعْثِ وَالْحِسَابِ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ وَهُمْ الَّذِينَ تَرَكُوا الْعَمَلَ بِهِ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَتَّقُوا صَدَقَهُ، قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَيَعْتَرِفُونَ بِصَدَقِ الرِّسَالَاتِ وَالرُّسُلِ حَيْثُ لَا يَنْفَعُهُمْ ذَلِكَ. فَهَلْ لَنَا مِنْ شَفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَيُّ هَلْ مِنْ وَسَائِلَ رَحْمَةٍ وَاسْتِرْحَامٍ فَتَقْدِمُهَا بَيْنَ يَدَيِ اعْتِرَافِنَا مِنْ جَدِيدٍ فَنَعْمَلُ عَلَى إِزَالَةِ الْعِقَابِ عَنَّا؟ أَوْ نُرَدُّ يَعْنِي أَمْ هَلْ نُرَدُّ إِلَى الدُّنْيَا، فَتَعْمَلُ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَيُّ أَنَّهُمْ يَتَرَكُونَ الْكُفْرَ وَالْمَعَاصِيَ، وَيَعْمَلُونَ بِمَا يَرْضَى اللَّهُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ أَيُّ أَهْلَكُوا أَنْفُسَهُمْ بِوَقُوعِهِمْ فِي الْعَذَابِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ أَيُّ لَمْ يَجِدُوا الْأَصْنَامَ الَّتِي كَانُوا يَقُولُونَ: إِنَّهَا آلِهَةٌ تَشْفَعُ لَنَا. ٥٤- إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ... أَيُّ أَنْ مَالِكُكُمْ وَمُحَدِّثُكُمْ هُوَ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِمَا فِيهِنَّ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَقَدْ مَرَّ تَفْسِيرُهُ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ. يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارَ أَيُّ يَلْبَسُ اللَّيْلُ النَّهَارَ، وَيَلْبَسُ النَّهَارُ اللَّيْلَ، فَهَذَا يَتَعَقَّبَانِ يَطْلُبُهُ حَيْثُ أَيُّ يَتَّبَعُهُ سَرِيعًا فَيَدْرِكُهُ. وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مَسِيرَاتُ بِأَمْرِهِ أَيُّ أَنَّ هَذِهِ الْمَخْلُوقَاتِ الْعَظِيمَةِ الْمُدْهَشَةِ مِثْلَهُ لِقُدْرَتِهِ، تَجْرِي فِي مَجَارِيهَا بِتَدْيِيرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ أَيُّ لَا أَحَدٌ يَسْتَطِيعُ الْخَلْقَ غَيْرُهُ، وَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَأْمُرَ فِي خَلْقِهِ غَيْرُهُ تَبَارَكَ اللَّهُ يَعْنِي تَعَالَى عَنْ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ وَقِيلَ: تَعَالَى بِدَوَامِ الْبَرَكَةِ رَبُّ الْعَالَمِينَ مَالِكُهُمُ وَالْمُتَصَرِّفُ بِأَمْرِهِمْ. ٥٥- ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ... أَيُّ ادْعُوا خَالِقَكُمْ تَخَشُّعًا لَهُ وَابْتِهَالًا وَسِرًّا، إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ أَيُّ لَا يُحِبُّهُمْ فِي الدُّعَاءِ أَنْ يَكُونُوا مُتَجَاوِزِينَ حُدُودَهُمْ. ٥٦- وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ... تَحْمِلُ هَذِهِ الْآيَةُ الشَّرِيفَةَ النَّهْيَ عَنِ الْعَمَلِ بِالْمَعَاصِي فِي الْأَرْضِ وَفُسَادِ أُمُورِ عِبَادِهِ، بَعْدَ أَنْ أَصْلَحَهَا اللَّهُ بِالنَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ. وَادْعُوهُ خَوْفًا مِنْ عِقَابِهِ وَطَمَعًا فِي ثَوَابِهِ. إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ أَيُّ أَنَّ لَطْفَهُ وَثَوَابَهُ قَرِيبٌ مِنْ مُطِيعِي أَوَامِرِهِ الَّذِينَ أَحْسَنُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ وَإِلَى غَيْرِهِمْ. ٥٧- وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ... يَرْسِلُ الرِّيَّاحَ مَبَشِّرَاتٍ، أَيُّ تَنْبِئُ بِالْمَطَرِ وَتَأْتِي قَبِيلَ نَزُولِ الْغَيْثِ. حَتَّى إِذَا أَقْلَّتْ سَحَابًا أَيُّ حَمَلَتْ الْغَيْمَ الْجَارِي تَقَالًا بِالماءِ سُفْنًا لِبَلَدٍ مَيِّتٍ أَيُّ دَفَعَنَاهُ لِبَلَدٍ جَفَّتْ أَرْضُهُ وَعَطِشَتْ زُرُوعُهُ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ أَيُّ أَنْزَلْنَاهُ بِالْبَلَدِ، فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَيُّ بِالماءِ الْمَنْزِلَ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ أَيُّ مِنَ الثَّمَرَاتِ عَامَةً كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى أَيُّ مِثْلَ إِخْرَاجِ النَّبَاتِ وَالثَّمَرَاتِ، نَخْرِجُ الْمَوْتَى وَنَحْيِي الْأَجْسَادَ بَعْدَ الْفَنَاءِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ يَعْنِي كَيْ تَعْتَبَرُوا بَعْدَ تَفَكُّيرِكُمْ بِهَذِهِ الْآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَأَنَّهُ لَا يَعْبُزُهُ بَعَثُكُمْ بَعْدَ الْمَوْتِ. إِرْشَادُ الْأَذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ١٦٣

٥٨- وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ ... أَيُّ أَنَّ الْأَرْضَ الصَّالِحَةَ الْخَصْبَةَ يَخْرِجُ نَبَاتَهَا بِأَمْرِ اللَّهِ نَامِيًا زَاكِيًا. وَالَّذِي خَبَثَ مِنَ الْأَرْضِ وَكَانَ تَرَابُهَا خَبِيثًا كَالسَّيِّبِ وَغَيْرِهَا لَا يَخْرِجُ لَا يَنْبِتُ نَبَاتَهَا إِلَّا نَكِدًا أَيُّ عَسْرًا ضَعِيفًا جَافًا لَيْسَ فِيهِ نَضْرَةٌ وَلَا يَنْتَفِعُ بِهِ. كَذَلِكَ أَيُّ عَلَى هَذَا الشَّكْلِ مِنَ الْخَصْبِ وَالْجَدْبِ، نُصَيِّرُ الْآيَاتِ نَجْرِي هَذِهِ الدَّلَالَاتِ وَنَأْتِي بِهَا وَنُرْسِلُهَا وَفَقْدَ نِظَامٍ حَكِيمٍ. لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ أَيُّ لِلنَّاسِ الَّذِينَ يَحْمَدُونَ اللَّهَ عَلَى نِعَمِهِ. فَمَا أَعْظَمَ هَذَا الْمِثْلَ عَلَى مَا أَجْرَاهُ اللَّهُ مِنَ الْعَادَاتِ وَطِبَائِعِ الْأَشْيَاءِ، إِذْ لَوْ أَرَادَ وَشَاءَ لِأَخْرَجَ مِنَ الْأَرْضِ النُّكْدَةَ أَكْثَرَ مِمَّا يَخْرِجُ مِنَ الْأَرْضِ الطَّيِّبَةِ وَلَا مَكْنَةَ ذَلِكَ، وَلَكِنَّهُ لَفَتَ نَظَرَ الْعَارِفِينَ إِلَى ضَرُورَةِ طَلَبِ الْخَيْرِ مِنْ مِظَانِهِ. ٥٩- لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ ... حَقًّا نَقُولُ: أَرْسَلْنَا نُوحًا نَبِيًّا إِلَى قَوْمِهِ. فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ فَقَدْ دَعَا قَوْمَهُ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ ثُمَّ خَوَّفَهُمْ مِنَ الْمَخَالَفَةِ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ وَلَعَلَّهُ نَوَّهَ بِيَوْمِ الطُّوفَانِ خَاصَّةً وَبِیَوْمِ الْقِيَامَةِ عَامَةً. ٦٠- قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ... الْمَلَأُ هُمُ الْجَمَاعَةُ مِنَ الرِّجَالِ خَاصَّةً. فَقَدْ قَالَ جَمَاعَةُ نُوحٍ لِنُوحٍ (ع): نَحْنُ عَلَى يَقِينٍ أَنْتَ فِي ذَهَابٍ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ ظَاهِرًا. ٦١- قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ ... أَجَابَهُمْ (ع) بِأَنَّنِي لَسْتُ عَادِلًا عَنْ الْحَقِّ إِلَى غَيْرِهِ، وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ بَلْ أَنَا نَبِيٌّ مَرْسَلٌ مِنَ اللَّهِ الَّذِي يَمْلِكُ كُلَّ شَيْءٍ. ٦٢- أَتَلْعَمُكَ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ ... أَوْصَلَ مَا أَمَرَنِي بِأَدَائِهِ إِلَيْكُمْ مَعَ تَمَامِ الْإِخْلَاصِ وَالنَّصِيحَةِ وَأَنَا أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ يَعْنِي مِنْ صِفَاتِهِ وَرَبُوبِيَّتِهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ أَيُّ مَا لَا تَعْرِفُونَ. ٦٣- أَوْ عَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ ... فَنُوحَ (ع) يَنْكُرُ عَلَى قَوْمِهِ عَجَبُهُمْ مِنْ أَنْ تَنْزِلَ إِلَيْهِمْ رِسَالَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ عَلَى رَجُلٍ أَيُّ عَلَى بَشَرٍ، مِنْكُمْ مِثْلُكُمْ تَعْرِفُونَهُ مِنْذُ وَلَدٍ وَكَيْفَ نَشَأَ، لِيُنْذِرَكُمْ أَيُّ يَخَوْفُكُمْ الْعِقَابَ وَلِيَتَّقُوا تَتَجَنَّبُوا الشَّرْكَ وَتَتَرَكُوا الْمَعَاصِيَ، وَلَعَلَّكُمْ تُزَحِّمُونَ أَيُّ: بِرَجَاءِ أَنْ يَرْحَمَكُمْ. ٦٤- فَكَذَّبُوهُ فَانْتَبِهْنَا وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ ... أَيُّ أَنَّ قَوْمَ نُوحٍ لَمْ يُؤْمِنُوا بِمَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ، فَخَلَّصْنَا نُوحًا وَالَّذِينَ حَمَلَهُمْ مَعَهُ فِي السَّفِينَةِ مِنَ الْغَرَقِ وَاعْرِفْنَا بِمِيَاهِ الطُّوفَانِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَضَلُّوا عَنْ دَلَالَتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ أَيُّ عَمَى الْقُلُوبُ عَنْ

الحق. يقال: رجل عم إن كان أعمى القلب، ورجل أعمى فى البصر، ولذلك قال زهير: ولكنى عن علم ما فى غد عم. ٦٥- وإلى عادٍ أخاهم هوداً أى وأرسلنا إلى قوم عاد أخاهم هودا. قال لهم: يا قوم اعْبُدُوا اللَّهَ لأنه إلهكم وخالقكم ما لكم من إله غيرُهُ فهو خالق الكون وما فيه أَفَلَا تَتَّقُونَ استفهام أراد به التقرير، أَفَلَا تتجنبون غضب الله بأن تؤمنوا به. ٦٦- قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ ... قد مرّ تفسير الملائة وقولهم. وقد قال هؤلاء لهود (ع): إِنَّا لَنَرَاكَ يَا هود فى سَفَاهَةٍ أى جهالة وخفه عقل وَإِنَّا لَنُظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ أى أنهم كَذَّبُوهُ بنحو اليقين. ٦٧- قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بى سَفَاهَةٌ ... أى أننى لست جاهلا ولا مجنونا وَلَكِنِّى رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ بل أنا نَبِىٌّ مبعوث من قبل الله لهدايتكم. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ١٦٤ ٦٨- أَبْلَغُكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّى ... فأنا جئت أعزفكم أحكام الله وشريعته بأمر منه سبحانه وقد عبر عن الرسالة بالجمع لأنها تحمل كثيرا من الفروض والواجبات، والأوامر والنواهي، والوعد والوعيد، وغير ذلك. وَأَنَا لَكُمْ ناصِحٌ فى ما أدعوكم إليه أَمِينٌ يعنى مأمون على الرسالة، لا أكذب فيها ولا أبدل. ٦٩- أَوْ عَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ...: مر معناه. وَأَذْكُرُوا أى عَدُوا من نعم الله عليكم إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ فأصبحتم سكان الأرض من بعد ما أهلكهم وجمع خليفه وهو من يقوم مقام غيره ويصبح بدلا عنه فى التدبير، وهذه نعمة ظاهرة إِذْ أهلكهم بمعاصيهم وأقامكم مقامهم. وَزَادَكُمْ فى الْخَلْقِ بَصِيطَةً أى طولا وقوة كما عن ابن عباس. فَادْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ يعنى نعم الله. لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ يعنى لتفوزوا فى الآخرة وثوابها. ٧٠- قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ ... أى: يا هود أتيتنا بهذه الدعوة وأن نعبد الله وَنَذَرَ نترك ما كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا مِنَ الْأَوْثَانِ والأصنام؟ ورفضوا دعوته إلى التوحيد الخالص فَأَتَيْنَا أى جئنا بما تَعَدُّنَا بأن تدعو ربك فينزل علينا ما تنذر به من العذاب إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ يعنى إِنْ كُنْتَ صادقا أنك رسول الله. ٧١- قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ ... أى أجاب هود قومه قائلا: قد حلّ بكم عذاب وسخط وهو واقع لا محالة. والرجس هو العذاب، والغضب هو السخط. أَتُجَادِلُونِنِى فى أَشْيَاءٍ سَمِيتُمُوهَا أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ يعنى أخاصموننى فى أصنام صنعتموها بأيديكم وبأيدى آبائكم ووضعتم لها أسماء افتراء على الله سبحانه ووصفتموها بأشياء ما نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ أى دون حجة على ألوهيتها ولا برهان على صدق ما تدعونه لها، وصفتتموها بأن جعلتم بعضها للمطر وبعضها للخير وبعضها للشر وهكذا، كل ذلك من نسج أوهامكم فَأَنْتَظِرُوا ما وعدتكم به من العذاب النازل بكم بلا أدنى ريب. إِنِّى مَعَكُمْ مِنَ الْمُنتَظِرِينَ له ولنزوله. ٧٢- فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا ... يعنى خلصنا هودا والمؤمنين معه عند نزول العذاب بأن أوحينا إليه أن يخرج هو والمؤمنون من بينهم وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أى استأصلنا المكذبين بحججنا. وهذا التعبير: وقطعنا دابر ... يدل على أنه سبحانه لم يترك لهم ذرية من بعدهم ولا نسلا. وَما كانوا مُؤْمِنِينَ أى لم يكونوا ليؤمنوا أبدا بنا ولا برسولنا ولا برسالتنا. ٧٣- وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ ما لكم من إله غيرُهُ ...: مر معناه. قَدْ جَاءَكُمْ أَتاكم على يدي نَبِيٍّ مِنْ رَبِّكُمْ أى حجة قاطعة على صدقي هذه ناقةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ الناقة أنثى الجمل وقد أشار صالح (ع) إلى ناقة خاصة بعينها خرجت بناء على طلب قومه من صخرة ملساء تمخضت كما تتمخض الحبلى ثم انفلقت عن الناقة وقوم صالح ينظرون لتكون معجزة سماوية كما طلبوها. وبنفس المواصفات التى تمنوا أن تكون عليها فَذَرُوهَا يعنى اتركوها تَأْكُلْ فى أَرْضِ اللَّهِ يعنى ترعى فى الأرض وَلا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ لا تؤذوها فَيَأْخُذْكُمْ فيصيبكم عذابٌ أَلِيمٌ موجه. وكان الله سبحانه قد فرض لهذه الناقة شرب يوم تشرب فيه ماءهم بكامله وتسقيهم بدله اللبن، ولهم شرب يوم خاص بهم. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ١٦٥ ٧٤- وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عادٍ ... أى لا تنسوا نعمة الله عليكم بأن أورثكم الأرض بعد قوم عاد الجابرة، بعد أن أهلكهم نتيجة كفرهم وعنادهم وَبَوَّأَكُمْ فى الْأَرْضِ أى أسكنكم فيها تَتَخَذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا أى تشيّدون فى أرضها المنبسطة القصور وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا قِيلَ إِنَّهُمْ لطول أعمارهم كانت تنفى البيوت التى يبنونها، ولذلك كانوا ينحتون بيوتا فى الجبال لأنها تدوم أكثر، وتكون أدفا فى الشتاء، وأبرد فى الصيف فَادْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ أى اذكروا نعمه وَلا تَعْتَوْا فى الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ أى لا تكثرُوا الفساد. ٧٥- قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ ... أى أن جماعة المتكبرين من قوم صالح جحدوا ما جاءهم به من الآيات والبيّنات، وقالوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا أى للذين كانوا بنظرهم ضعفاء مساكين، لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أى للمسلمين مع

صالح (ع) أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُّرْسَلٌ مِنْ رَبِّي وَتَشْهَدُونَ بِذَلِكَ وَتُؤْمِنُونَ بِهِ فَعَلَا؟ قَالُوا أَيْ الْمُؤْمِنُونَ: إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ فَأَكْدُوا تصديقهم بدعوته. ٧٦- قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَتُم بِهِ كَافِرُونَ ... أَيْ نَحْنُ كَافِرُونَ بِمَا صَدَقْتُمْ بِهِ، أَيْ بِصَالِح وَرِسَالَتِهِ. ٧٧- فَعَقَرُوا النَّاقَةَ ... العقر لغةً هو قطع عرقوب البعير. وَ قَدْ سَمَوْا النَّحْرَ عَقْرًا لِأَنَّ النَّاحِرَ يَعْقِرُ الْبَعِيرَ أَوَّلًا ثُمَّ يَنْحَرُهُ. فَقَدْ قَتَلُوا النَّاقَةَ وَ عَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ تَكْبَرُوا عَلَى مَا أَمَرَهُمْ بِهِ وَ تَجَاوَزُوا الْحَدَّ فِي الْكُفْرِ وَالْعِصْيَانِ وَالْفُسَادِ وَقَالُوا بَعْدًا: يَا صَالِحُ إِنَّا نَبَأُ مَا تَعِدُنَا أَيْ جَنَّا بِالْعَذَابِ الْمَوْعُودِ حَيْثُ قُلْتَ: وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ ... إلخ وَ هَا نَحْنُ قَتَلْنَا النَّاقَةَ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الْمُرْسَلِينَ يَعْنِي إِنْ كُنْتُمْ نَبِيًّا كَمَا تَدْعَى. ٧٨- فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصَابَهُمْ جَثَمٌ ... فَقَدْ أَخَذَتْهُمُ الزَّلْزَلَةُ أَوِ الصَّيْحَةُ، أَوْ هُمَا مَعًا فَضَارُوا فِي بِلَدِهِمْ كَالرَّمَادِ الْجَاثِمِ فَالْصَاعِقَةُ قَدْ أَحْرَقَتْهُمْ. وَ قَدْ وَصَفَ سُبْحَانَهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ مَا أَصَابَهُمْ بِأَخْصَرِ بَيَانٍ. ٧٩- فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي ... أَيْ انصرفت صالِح عنهم بعد كفرهم وقال لهم قد أوصلت إليكم ما حملني ربي من الأمانة وَ نَصَحْتُ لَكُمْ أَيْ أَخْلَصْتُ لَكُمْ فِي الْأَدَاءِ وَ لَكِنْ يَعْنِي وَ لَكِنِّكُمْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ بِدَلِيلِ عَدَمِ قَبُولِكُمْ لِلدَّعْوَةِ. وَ قَدْ وَرَدَ فِي الْخَبَرِ أَنَّ صَالِحًا (ع) كَانَ عَمْرُهُ عِنْدَ مَا بَعَثَ سِتُّ عَشْرَةَ سَنَةً، وَ لَبِثَ فِيهِمْ حَتَّى بَلَغَ مِائَةً وَ عَشْرِينَ سَنَةً لَا يَجِيبُونَهُ إِلَى خَيْرٍ. وَ أَخِيرًا خَيْرُهُمْ بَيْنَ أَنْ يَسْأَلَ آلَهُتَهُمْ فَإِنْ أَجَابُوهُ خَرَجَ عَنْهُمْ، أَوْ يَسْأَلُوهُ هُمْ مَعْجَزَةً فَيَسْتَجِيبُ اللَّهُ لِدَعَائِهِ فَتَحْصِلُ فَيُؤْمِنُوا، وَ قَدْ اخْتَارُوا الثَّانِي فَطَلَبُوا النَّاقَةَ فَبَقُوا عَلَى كُفْرِهِمْ فَانْتَقَمَ اللَّهُ مِنْهُمْ. ٨٠- وَ لُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ ... أَيْ كَيْفَ تَفْعَلُونَ الْفِعْلَ الْقَبِيحَ وَ هُوَ إِيْتَانُ الرِّجَالِ بِأَدْبَارِهِمْ، مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ يَعْنِي مَا فَعَلَهَا قَبْلَكُمْ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ. ٨١- إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ ... الْإِسْتِفْهَامُ إِنْكَارِي: يَعْنِي: أَتَأْتُونَ الرِّجَالَ فِي أَدْبَارِهِمْ وَ تَشْتَهَوْنَهُمْ وَ تَتْرَكُونَ إِيْتَانِ النِّسَاءِ اللَّاتِي خَلَقَهُنَّ اللَّهُ لِهَذِهِ الْغَايَةِ. بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُشْرِقُونَ فَأَنْتُمْ بِذَلِكَ مُتَجَاوِزُونَ لِلْحَدِّ الَّذِي شَرَعَهُ اللَّهُ تَعَالَى. إِرْشَادُ الْأَذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ١٦٦ ٨٢- وَ مَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ... يَعْنِي حِينَ أَنْكَرَ لُوطُ (ع) عَلَى قَوْمِهِ فَعَلَهُمُ الشَّنِيعَ وَ بَيَّنَّ لَهُمْ إِسْرَافَهُمْ فِي الظُّلْمِ لَارْتِكَابِهِمُ الْقَبِيحَ، لَمْ يَجِيبُوا عَلَى كَلَامِهِ وَ لَا- حَفَلُوا بِمَنْطِقِهِ، بَلْ مَا كَانَ مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا: أَخْرِجُوهُمْ أَيْ اطْرُدُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ بِلَدَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ أَيْ يَأْنِفُونَ مِنْ ارْتِكَابِ الْمُنْكَرِ. وَ يَتَحَرَّجُونَ مِنْ تَدْنِيسِ أَنْفُسِهِمْ بِإِيْتَانِ الرِّجَالِ فِي أَدْبَارِهِمْ. وَ يَلَاظِحُ أَنَّهُمْ قَدْ مَدَحُوا لُوطًا وَ أَهْلَ بَيْتِهِ مِنْ حَيْثُ أَرَادُوا ذِمَّهُمْ فَقَدْ نَعَتُوهُمْ بِالتَّطَهَّرِ وَ نَزَّهُوهُمْ عَنْ فِعْلِ الْقَبِيحِ. ٨٣- فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ ... يَعْنِي لُوطًا خَلَّصَهُ اللَّهُ مِنَ الْهَلَاكِ، وَ خَلَّصَ عَائِلَتَهُ، مَا عَدَا زَوْجَتَهُ الَّتِي كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ أَيْ مِنَ الْمَاضِينَ الَّذِينَ تَخَلَّفُوا مَعَ قَوْمِ لُوطٍ وَ لَهَا الْهَلَاكِ بِالْعَذَابِ لِأَنَّهَا كَانَتْ عَلَى دِينِهِمْ وَ كَانَ هَوَاهَا مَعَهُمْ لَا مَعَ زَوْجِهَا النَّبِيِّ. ٨٤- وَ أَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا ... أَيْ أَنْزَلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ بَعْدَ أَنْ خَسَفَ بِهِمْ مَدَائِنَهُمْ. فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ أَيْ انْظُرْ بَعِينَ عَقْلَكَ كَيْفَ تَكُونُ نَهَايَةُ الْمَجْرِمِينَ. وَ قِيلَ: كَانَ لُوطُ (ع) بَنَ تَارَخَ ابْنِ أَخِي إِبْرَاهِيمَ (ع) وَ قِيلَ: ابْنُ خَالَتِهِ وَ أَنَّ سَارَةَ امْرَأَةَ إِبْرَاهِيمَ هِيَ أُخْتُهُ وَ قَدْ بَقِيَ فِي قَوْمِهِ ثَلَاثِينَ سَنَةً يَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ وَ يَنْهَاهُمْ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَ الْمُنْكَرِ. ٨٥- وَ إِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ... أَيْ وَ بَعَثْنَا إِلَى مَدْيَنَ النَّبِيَّ شُعَيْبًا. وَ مَدْيَنُ اسْمُ الْمَدِينَةِ أَوِ الْقَبِيلَةِ. قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ مَرِّ تَفْسِيرِهِ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَ الْمِيزَانَ أَيْ أَتَمُّوهُمَا، وَ لَا- تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ أَيْ لَا- تَنْقُصُوا مِنْ حَقِّهِمْ شَيْئًا، وَ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَارْتِكَابِ الْمَعَاصِي وَ اسْتِحْلَالِ الْمَحْرَمَاتِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا يَعْنِي بَعْدَ أَنْ أَصْلَحَهَا اللَّهُ بَبْعَةِ الْأَنْبِيَاءِ وَ أَنْزَلَ الشَّرَائِعَ ذَلِكُمْ الشَّيْءَ الَّذِي أَمَرْتُمْ بِهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ أَيْ أَحْسَنَ لَكُمْ وَ أَعُودَ عَلَيْكُمْ إِذَا كُنْتُمْ مُصَدِّقِينَ بِاللَّهِ سُبْحَانَهُ. ٨٦- وَ لَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ ... يَعْنِي لَا تَجْلِسُوا فِي كُلِّ طَرِيقٍ تَوْدِي إِلَى مَنْزِلِ شُعَيْبٍ أَيْ تَهْدُونَ قَاصِدَهَا بِالْقَتْلِ إِنْ هُوَ آمَنَ بِشُعَيْبٍ وَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ يَعْنِي تَمْنَعُونَ النَّاسَ مِنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَ التَّصَدِيقِ بِرِسُولِهِ وَ تَبْغُونَهَا عَوَجًا أَيْ تَرِيدُونَ السَّبِيلَ عَوَجًا غَيْرَ مُسْتَقِيمَةٍ. وَ اذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ أَيْ زَادَ عِدَدَكُمْ بِالتَّوَالِدِ. وَ قِيلَ مَعْنَاهُ. جَعَلَكُمْ أَغْنِيَاءَ بَعْدَ فَقْرٍ، أَوْ ذَوِي قُوَّةٍ بَعْدَ ضَعْفٍ. وَ أَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ فَتَأَمَّلُوا وَ فَكَّرُوا كَيْفَ كَانَتْ نَهَايَةُ أَمْرِ قَوْمِ عَادَ وَ ثَمُودَ وَ لُوطَ وَ غَيْرِهِمْ مِمَّنْ كَذَبَ فَحَلَّ بِهِ الْعَذَابُ. ٨٧- وَ إِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَ طَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا ... أَيْ: وَ إِنْ صَدَقَتْ جَمَاعَةٌ مِنْكُمْ بِمَا جِئْتُ بِهِ وَ جَمَاعَةٌ كَفَرَتْ بِهِ فَاصْبِرُوا أَيُّهَا الْمَكْذُبُونَ وَ أَيُّهَا الْمَصْذُقُونَ، وَ تَرِثُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَ يَجْزِيَ كُلَّ فَرِيقٍ بِمَا يَسْتَحِقُّهُ عَلَى فِعْلِهِ، فِي الدُّنْيَا قَبْلَ الْآخِرَةِ، فَلَا تَذْهَبْ

بكم المذاهب لتفرق الناس عنى لأن العاقبة للمؤمنين وَاللَّهُ هُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ إذ لا يجوز عليه أن يجور فى حكم لأنه العدل المطلق.

إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ١٦٧ ٨٨- قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ ... أى قال الذين جعلوا أنفسهم فى منزلة لا يستحقونها تكبرا، لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أى لنطردنك من بلدتنا مع جميع المؤمنين بك و كان هؤلاء الكفار قد ظنوا أن شعيبا كان على عقيدتهم قبل أن يكون رسول الله و لذلك شملوه بقولهم: لتعودنَّ فى ملتنا، أى إلى عبادة الأصنام. أَوْ لَتَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا إِلَّا إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَى طَرِيقَتِنَا الَّتِي كُنَّا عَلَيْهَا مِنَ الشَّرْكِ. و الملة هى الديانة التى يعمل بمقتضاها فئة كبيرة من الناس، قَالَ شُعَيْبُ لَهُمْ: أَوْ لَوْ كُنَّا كَارِهِينَ يَعْنِي حَتَّى وَ لَوْ فِي حَالٍ إِكْرَاهِنَا عَلَى كَلِمَتِكُمْ الَّتِي نَعْرِفُ بِطِلَانِهَا؟ ٨٩- قَدْ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ ... أى أننا نكون قد كذبنا على الله، و نسبنا إليه ما لم يقل به، إذا رجعنا إلى شرككم. بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا أى بعد أن خَلَّصَنَا سَبْحَانَهُ مِنْهَا و أقام لنا الدلائل على بطلانها، وَ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا وَ لَا يَجُوزُ الْارْتِدَادُ مِنَ الْإِسْلَامِ إِلَى مِلَّةِ الْكُفْرِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا إِلَّا إِذَا أَرَادَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ ذَلِكَ وَ هُوَ لَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَ سِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أى: أحاط علم ربنا بكل شىء على الله تَوَكَّلْنَا أى فَوَضَّنا أَمْرَنَا إِلَيْهِ رَبَّنَا افْتِخَ بَيْنَنَا وَ بَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ أى اكشف مع أيننا الحق: معنا، أو مع قومنا. وَ أَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ أى خير الفاصلين فى الأمور. ٩٠- وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ ... أى قال هؤلاء الكفرة المعاندون لئِنْ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا مَشِيتُمْ مَعَهُ فِي طَرِيقَتِهِ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَاسِرُونَ تكونون من المغبونين الذين أضاعوا رأس مالهم فى الحياة. ٩١- فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ... مر معناه. ٩٢- الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا ... أى أن الذين استكبروا و وقفوا فى وجه دعوة شعيب (ع) كأنهم لم يكونوا قد أقاموا فى تلك البلاد و لم يعيشوا فيها مستغنين بها عما سواها. الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَرَّرَ الْعِبَارَةَ سَبْحَانَهُ تَأْكِيدًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ دُونَ مَنْ صَدَّقَهُ مِنْ خَسِرَ رَأْسَالَهُ. ٩٣- فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَ نَصَحْتُ لَكُمْ ... مر معناه فَكَيْفَ آسَى يَعْنِي لَا أَحْزَنُ عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ مَكْذِبِينَ بِاللَّهِ وَ بِرِسَالَتِي ٩٤- وَ مَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا ... أى لم نرسل نبيا فى بلدة ما، إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا سَكَانَهَا بِالْبَاسِ وَالضَّرَاءِ أى بالشدة و ما يضرهم فى أنفسهم و أموالهم إذا هم كَذَّبُوهُ لَعَلَّهُمْ يَضُرُّعُونَ لِيَدْعُوا اللَّهَ فَيَنْجِيَهُمْ. ٩٥- ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ ... يعنى محونا السيئة بعد التوبة و وضعنا مكانها حسنة فالتبديل: هو وضع أحد الشيين مكان الآخر حَتَّى عَفَوْا يَعْنِي اعْرَضُوا عَنِ الشُّكْرِ. وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَاءُ وَالسَّرَاءُ أى صار أحدهم يقول لغيره: ابق على ما أنت عليه فقد ابتلى من كان قبلنا بالشدة و الراحة و ما غيروا فَأَخَذْنَا هُمْ بَغْتَةً يَعْنِي فَجَاءَهُمْ بَغْتَةً لِيَعْتَبِرَ بِهِمْ غَيْرَهُمْ وَ الْبَغْتَةُ: هى الأخذ فجاءه و دون مقدمته تنذر بما قد يحصل. وَ هُمْ لَا يَشْعُرُونَ أى لا يحسبون ما ينزل بهم من عذاب إِلَّا بَعْدَ حُلُولِهِ. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ١٦٨ ٩٦- وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى ... أى: لو حصل أن أهل القرى التى أهلكناها بسبب جحود أهلها و عنادهم آمَنُوا صَدَّقُوا رِسَالَاتِنَا السَّامِيَةَ وَ اتَّقَوْا الْمَعَاصِي وَ عَمِلُوا بِالطَّاعَاتِ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ لِرِزْقَانِهِمْ خَيْرَاتٍ كَثِيرَةٍ وَ لَكِنْ كَذَّبُوا رِسَالَنَا وَ كَفَرُوا فَأَخَذْنَا هُمْ بِالْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ أى بسبب ما كانوا يعملونه من المعاصى و وجوه الكفر. ٩٧- أَفَأَمِنْ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ... أى: هل آمن الجاحدون لك يا محمد أن يحل بهم عذابنا بياتاً وَ هُمْ نَائِمُونَ ليلا و هم فى فراشهم. ٩٨- أَوْ أَمِنْ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ... أى هل هم فى أمن من أن يجيئهم عذابنا ضَحَى وقت ارتفاع الشمس فى صدر النهار وَ هُمْ يَلْعَبُونَ أى أثناء لهوهم و ممارسة ما لا ينفعهم فى دنياهم و لا فى آخرتهم. ٩٩- أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ ... سؤال توبيخى، يعنى هل آمنوا بعد هذا كله عذاب الله ينزل بهم بَغْتَةً. فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ وَ أَخَذَهُ عَلَى غَرَّةٍ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ الَّذِينَ لَمْ يَعْمَلُوا لِآخِرَتِهِمْ فَبَاؤُوا بِالْخُسْرَانِ. ١٠٠- أَوْ لَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرْتُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا ... استفهام تقريرى أى: ألم يبين الله تعالى للناس الذين يسكنون الأرض بعد الأمم الماضية التى أخذناها بالبأساء و الضراء حين الجحود و الطغيان أَنْ لَوْ نَشَاءُ إِذَا أَرَدْنَا أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ رَمِينَاهُمْ بِعَذَابٍ عَقَاباً لذنوبهم و قوله: أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ ... فى موضع رفع على أنه فاعل ليهدى، و التقدير: أو لم يهد لهم مشيئتنا ... وَ نَطْبُخُ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَرَّ تَفْسِيرِ الْخَتَمِ عَلَى الْقُلُوبِ فى سورة البقرة فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ لَا يَعُونَ الْوَعظَ وَ لَا يَهْتَمُّونَ بِالْوَعِيدِ. ١٠١- تِلْكَ الْقُرَى ... المذكورة نُقِصُ عَلَيْكَ نَحْكِي لَكَ يَا مُحَمَّدُ مَفْصِلًا مِنْ أَنْبَائِهَا أى أخبارها لتتفكر بها و لتنذر قومك فيعتبروا وَ لَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ أى الدلالات الواضحة فَمَا

كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ أَى لَمْ نَهْلِكْهُمْ إِلَّا بَعْدَ عَلَمْنَا أَنَّهُمْ لَنْ يُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ حَتَّى وَلَوْ أَمْتَدَّ بِهِمُ الزَّمَنُ بَلْ سَيَسْتَمِرُّونَ عَلَى كُفْرِهِمْ وَ عِنَادِهِمْ وَ قَدْ عَرَفْنَا ذَلِكَ مِنْهُمْ قَبْلَ إِهْلَاكِهِمْ، وَ قَدْ جَعَلَ الْأَخْفَشُ كَلِمَةً فَمَا هُنَا مُصْدَرِيَّةٌ. كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ أَى إِنْ اللَّهُ سَبَحَانَهُ شَبَّهَ الْكُفْرَ بِالْصَّدِّ لِأَنَّهُ يَذْهَبُ عَنِ الْقُلُوبِ بِنُورِ الْإِسْلَامِ كَمَا يَذْهَبُ الصَّدَأُ بِبَرِيقِ السَّيْفِ وَ صَفَاءِ الْمَرْآةِ ... وَ هَذَا هُوَ الطَّبَعُ عَلَى الْقُلُوبِ. ١٠٢- وَ مَا وَجَدْنَا لَأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ ... أَى لَمْ نَرِ لَأَكْثَرَ مِنْ أَهْلِكَانَاهُمْ مِنْ وَفَاءٍ بِعَهْدِ عَهْدَانِهِ إِلَيْهِمْ. وَ إِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لِفَاسِقِينَ الْمَعْنَى: إِنَّا وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ يَنْقُضُونَ الْعَهْدَ وَ لَا يَفُونَ بِهِ. ١٠٣- ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا ... وَ الْمَعْنَى أَنَّا بَعْدَ الْأَمْرِ الَّتِي أَهْلِكَانَاهَا، أَوْ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ ذَكَرْنَاهُمْ، أَرْسَلْنَا، مُوسَى بِمُعْجَزَاتٍ مَنَّا وَ حَجَّجَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَ مَلَائِهِ: أَى إِلَى مَلِكِ مِصْرَ وَ أَشْرَافِ قَوْمِهِ فَظَلَّمُوا بِهَا أَى ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِجُحُودِهِمْ لَهَا. فَانْظُرْ يَا مُحَمَّدُ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ يَعْنِي كَيْفَ كَانَ مَالُ أَمْرِهِمْ بِالْهَلَاكِ. ١٠٤- وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ... الْخُطَابُ مُوجَّهٌ إِلَى فِرْعَوْنَ وَ مَلَائِهِ جَمِيعًا قَالَ لَهُمْ: إِنِّي نَبِيٌّ مَرْسَلٌ إِلَيْكُمْ مِنْ قَبْلِ اللَّهِ تَعَالَى. إِرْشَادُ الْأَذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ١٦٩ ١٠٥- حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ... أَى وَاجِبٌ عَلَى قَوْلِ الْحَقِّ وَ أَنْ أَكُونَ أَنَا قَائِلُهُ وَ الْقَائِمُ بِهِ وَ لَا يَرْضَى إِلَّا مِثْلِي نَاطِقًا بِهِ. قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَى بِمُعْجَزَةٍ تَبَيَّنَ صَدَقَتِي بِأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ فَأَرْسَلْتُ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَى أَطْلَقْتُ سَرَاخَهُمْ مِنَ السَّيْحَةِ لِيَعُودُوا إِلَى الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ. ١٠٦- قَالَ إِنْ كُنْتُ جِئْتُ بِآيَةٍ فَآتَ بِهَا ... أَى: قَالَ فِرْعَوْنُ لِمُوسَى: إِنْ كَانَتْ لَدَيْكَ حِجَّةٌ عَلَى مَدْعَاكِ فَآتَ بِهَا إِنْ كُنْتُ مِنَ الصَّادِقِينَ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْنَا. ١٠٧- فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ... أَى: فَرَمَى عَصَاهُ مِنْ يَدِهِ فَانْقَلَبَتْ حَيَّةً عَظِيمَةً ظَاهِرَةً لِلنَّاسِ لَا مَجَالَ لِلشَّكِّ فِيهَا. ١٠٨- وَ نَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّازِلِينَ ... أَى وَ أَدْخَلَ يَدَهُ فِي جَيْبِهِ أَوْ تَحْتَ إِبْطِهِ وَ أَخْرَجَهَا فَإِذَا لَوْنُهَا أَيْضُ يَنْبُرٍ وَ يَشَعُّ حَتَّى يَغْلِبَ شِعَاعُ الشَّمْسِ. ١٠٩- قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ... أَى قَالَ جَمَاعَةُ فِرْعَوْنَ إِنْ مُوسَى، سَاحِرٌ مَاهِرٌ عَالِمٌ بِالسَّحْرِ. ١١٠- يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ؟ ... أَى يَرْغَبُ فِي اسْتِمَالَةِ قُلُوبِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَ أَنْ يَتَّقَوْا بِهِمْ وَ يُخْرِجَكُمْ مِنْ بِلَدِكُمْ، فَبِمَاذَا تَشُورُونَ. ١١١- قَالُوا أَرْجِهْ وَ أَخَاهُ ... فَقَدْ قَالَ الْقَوْمُ لِفِرْعَوْنَ: أَخْرَهُ وَ أَخَاهُ هَارُونَ وَ أَتْرَكَ الْحُكْمَ عَلَيْهِمَا، وَ أَرْسَلَ ابْعَثْ رِسَالًا إِلَى الْمَدَائِنِ الْبَلَدَانِ الَّتِي حَوْلَكَ حَاشَتَيْنِ جَمَاعَةً يَجْمَعُونَ لَكَ السَّيْحَةَ. ١١٢- يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ... أَى يَجِيئُوكَ بِالسَّيْحَةِ الْمَهْرَةِ لِيَعَارِضُوا مُوسَى وَ يَنْظُرُوهُ بِسَحْرِهِمْ. ١١٣- وَ جَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ ... فَحَضَرَ هَؤُلَاءِ السَّحَرَةُ عِنْدَ فِرْعَوْنَ وَ قِيلَ: كَانُوا اثْنَيْنِ وَ سَبْعِينَ سَاحِرًا. وَ قِيلَ غَيْرَ ذَلِكَ. قَالُوا إِنْ لَنَا لَأَجْرًا؟ أَى عَوْضًا وَ أَجْرُهُ نَقْبُضُهَا عَلَى عَمَلِنَا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ إِذَا انْتَصَرْنَا بِسَحْرِنَا عَلَى مُوسَى؟ ... ١١٤- قَالَ نَعَمْ وَ إِنَّكُمْ لِمَنْ الْمُفْرَبِينَ ... أَى: أَجَلٌ، إِنِّي أُعْطِيكُمْ أَجْرًا عَلَى ذَلِكَ، وَ إِنِّي أَقْرَبُ مِنْزِلَتِكُمْ مِنِّي وَ تَكُونُوا مِنْ حَاشِيَتِي. ١١٥- قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ ... الَّذِينَ قَالُوا هُمُ السَّحَرَةُ لِمُوسَى: إِمَّا أَنْ تَرْمِيَ عَصَاكَ أَوَّلًا، أَى قَبْلَنَا وَ إِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُتْلَقِينَ أَوْ أَنْ نَرْسَلَ بِالسَّحْرِ مَا مَعَنَا مِنْ عَصَى وَ حِبَالٍ وَ غَيْرِهَا قَبْلَكَ. ١١٦- قَالَ أَلْقُوا، فَلَمَّا أَلْقَوْا سَاحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ ... أَى قَالَ مُوسَى (ع) لِلْسَّحَرَةِ: أَلْقُوا أَنْتُمْ أَوَّلًا- مَا فِي أَيْدِيكُمْ فَأَلْقُوا وَ سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ بِاحْتِيَالِهِمْ فِي تَحْرِيكِ الْعَصَى وَ الْحِبَالِ بِمَا جَعَلُوا فِيهَا مِنَ الزَّبَقِ الَّذِي تَمُدُّ بِحَرَارَةِ الشَّمْسِ فَحَرَّكَهَا، وَ اسْتَرْهَبُوهُمْ أَى أَخَافُوهُمْ وَ جَاؤُ بِسَاحِرٍ عَظِيمٍ وَصَفَهُ سَبْحَانَهُ وَ تَعَالَى بِالْعَظَمَةِ لِاتِّقَانِ حِيلَتِهِمْ فِيهِ. ١١٧- وَ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ... أَى أَلْهَمْنَا مُوسَى بِمَا يَشَبُّهُ الْوَحْيَ وَ هُوَ أَنْ اطْرَحْ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ يَعْنِي فَأَلْقَاهَا فَصَارَتْ ثُعْبَانًا عَظِيمًا يَبْتَلَعُ مَا كَذَّبُوا بِهِ عَلَى النَّاسِ. ١١٨- فَوَقَّعَ الْحَقُّ وَ بَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ... أَى ظَهَرَ الْحَقُّ: وَ هُوَ أَمْرُ مُوسَى (ع) وَ صَحَّةُ نَبَوِّهِ وَ صَدَقُ مُعْجَزَتِهِ وَ صَارَ لَا غِيَا كُلَّ مَا عَمِلُوهُ مِنْ تَمْوِيهِ وَ سَحْرِ. ١١٩- فَغَلَبُوا هُنَالِكَ وَ انْقَلَبُوا صَاغِرِينَ ... أَى وَقَعَتْ عَلَى فِرْعَوْنَ وَ قَوْمِهِ الْغَلْبَةُ وَ انْصَرَفُوا أَذْلَةً خَاسِئِينَ. ١٢٠- وَ أَلْقَى السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ... أَى أَنْ السَّحَرَةَ لَمَّا رَأَوْا الْحَقَّ وَ أَيقَنُوا بِصَدَقِ مُعْجَزَةِ مُوسَى (ع) لَمْ يَتِمَّا لِكُوا أَنْ وَقَعُوا سَاجِدِينَ كَتَعْبِيرٍ عَنْ شُكْرِهِمْ لِلَّهِ عَلَى هِدَايَتِهِمْ لِكُونَ هَذِهِ الْمُعْجَزَةُ مِنْ عِنْدِهِ سَبْحَانَهُ. إِرْشَادُ الْأَذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ١٧٠ ١٢١- قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ... أَى صَدَّقْنَا بِوُجُودِ الرَّبِّ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ وَ مَا بَيْنَهُمَا وَ مَا فِيهِمَا ١٢٢- رَبِّ مُوسَى وَ هَارُونَ ... أَى الرَّبِّ الَّذِي دَعَا إِلَيْهِ هَذَانِ النَّبِيَّانِ مُوسَى وَ هَارُونَ، وَ قَدْ خَصَّوهُمَا بِالذِّكْرِ مَعَ أَنَّهُمَا تَشْمَلُهُمَا لَفْظَةً: الْعَالَمِينَ لِأَنَّهُمَا هُمَا الدَّاعِيَانِ لِلْإِيمَانِ بِهِ، وَ قَدْ شَرَفُوهُمَا بِذِكْرِهِمْ لَهُمَا تَفْضِيلًا لَهُمَا عَنْ سَائِرِ مَنْ عَدَاهُمَا مِنَ الْمَوْجُودِينَ

فى زمانهما. وقيل فى المجمع: إنهم فسروا سجودهم بأن قالوا لرب العالمين، لئلا يتوهم أحد أنهم سجدوا لفرعون، ثم قالوا رب موسى و هارون لأن فرعون كان يدعى أنه رب العالمين فأزالوا بذلك كل وهم. ١٢٣- قال فرعون آمَنْتُمْ بِهِ ... قال فرعون مهّداً: أقرتم له بالصدق قبل أن آذن لكم يعنى قبل أن أسمح لكم إن هذا لمكّر مكرّمؤه أى خدعة صنعتوها، فى المدينة فى عاصمته ملكى لتخرجوا منها أهلها لتطردوهم منها بسحرهم فسوف تعلمون أيها السحرة كيف تكون نهايتكم عندي. ١٢٤- لأقطعن أيديكم وأزجلكم من خلاف ... يعنى أنه يقطع من واحد يده اليمنى و رجله اليسرى، و يقطع من الثانى يده اليسرى و رجله اليمنى، و هكذا، ثم لأصليكنكم أجمعين أى أصليكنم بعدها واحداً واحداً. ١٢٥- قالوا إنا إلى ربنا منقلبون ... أى أن السحرة أجابوا فرعون: إنا راجعون إلى ربنا. ١٢٦- وما تنقم منا إلا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا ... أى: لم تأخذ علينا شيئاً تكرهه إلا إيماننا بربنا و تصديقنا بآياته التى جاءنا بها رسوله. ربنا أفرغ علينا صبراً و توفنا مسلمين أى أنزل علينا الصبر على هذه الشدة و صبه علينا صبا لتتحمل بطش فرعون و تلقنا بعد الموت مسلمين، ثابتى الإيمان. ١٢٧- وقال الملأ من قوم فرعون أ تدر موسى ... بعد أن هدأت سورة فرعون قال له عليه قومه: أ تترك موسى وقومه الذين أسلموا معه ليفسدوا فى الأرض أى ليظهروا مخالفتك و يولبوا الناس عليك و يذرك يدعك و ألهمتك أى ما تعبد أنت من الأصنام؟ قال فرعون: سيقتل أبناءهم الذين يمكن أن يشدوا أزرهم فى الحروب و نسيتحى نساءهم بنقى بناتهم و نساءهم للخدمة إذلالاً لهم. و إنا فوقهم قاهرون أى متمكنون من إخضاعهم ... ١٢٨- قال موسى لقومهم استعينوا بالله و اصبروا ... أى قال موسى لبنى إسرائيل الذين نزل بهم بطش فرعون: اجعلوا الله عوناً لكم على فرعون و اصبروا على هذا البلاء و على إيمانكم. إن الأرض لله فهو مالك لها يورثها من يشاء من عباده أى ينقلها إليكم بعد إهلاك فرعون نقل الموارث. و العاقبة للمتقين و الفوز لمن اتقى و رضى بقسمة الله سبحانه. ١٢٩- قالوا أودينا من قبل أن تأتينا ... القائلون هم بنو إسرائيل لموسى بأنهم حلت بهم أذية فرعون و عذابه قبل أن يجيئهم بالرسالة و من بعد ما جئنا بها مؤخرًا، قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم أى: أوجب الله سبحانه على نفسه إهلاك عدوكم. و يشيخلفكم فى الأرض أى يجعلكم خلفاء بعدهم و يملككم ما يملكونه فينظر كيف تعملون أى يرى منكم فعلكم من الشكر أو الكفر حين تصيرون ورثة الأرض. ١٣٠- ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ... أى عاقبنا آل فرعون بالقحط و الجذب بعد طغيانهم و آل الرجل خاصته. و نقص من الثمرات فلم تثمر أشجارهم لعلهم يذكرون أى بأمل أن يتفكروا و يعودوا إلى الحق. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ١٧١ ١٣١- فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه ... أى أن بنى إسرائيل كانوا إذا جاءتهم النعمة قالوا إننا أهل لذلك لأن النعمة و السلامة و التوفيق، تأتينا نتيجة حذاقتنا و شطارتنا فهم إذن لا يعلمون أن ذلك كله من الله سبحانه. و إن نصبتهم سيئته تحل بهم بليّة يطيروا بموسى و من معه يعنى: يتشاءمون بموسى و أتباعه. و يعتقدون بأنهم هم سبب بؤسهم و ما نزل بهم من شر ألا إنما طائرهم عند الله أى أن التشاؤم الذى ابتلوا به هو نذير لهم من عند الله. فلو كانوا يعقلون للجأوا إلى الله و طلبوا منه الخير و السلامة. و لفظه طائر، مشتقة من الطير، و طائر الإنسان عمله و منه قوله تعالى: «و كل إنسان أزمنا طائره فى عنقه»، و قد أخذ من أن العرب كانوا يزجرون الطير فتشاءم بالطائر الذى يأتى من جهة الشمال دون الذى يأتى من جهة اليمن و لكن أكثرهم لا يعلمون لا يعرفون حقيقة ذلك لثوبوا و يتوبوا. ١٣٢- وقالوا مهّمّا تأتينا به من آية ... أى: قال آل فرعون لموسى (ع): إن آية معجزة تجيئنا بها، لتشحرنا بها و تموه علينا بها لتصرفنا عن دين فرعون فما نحن لك بمؤمنين فلن نصدقك. ١٣٣- فأرسلنا عليهم الطوفان ... الطوفان: هو الماء الخارج عن العادة و المدمر و قد اختلف المفسرون فى الطوفان الذى أصاب آل فرعون، فقيل هو الطاعون، أو الموت الذريع، أو الجدرى، و الجراد المعروف و القمل الذى قيل إنه صغار الجراد أو الجراد الذى ليس له أجنحة، كما قيل إنه البراغيث و أشباهها، و الضفادع أيضاً و الدّم آيات مفصلات أى معاجز ظاهرة فاستكبروا أى فتكبروا عن الإيمان و كانوا قوماً مجرمين أى كافرين و عاصين. ١٣٤- ولما وقع عليهم الرجز ... الرجز: العذاب، يعنى أنه حين حلّ بهم العذاب مما نزل بهم من الطوفان و غيره مما ذكرناه فى الآيات السابقات قالوا: يا موسى ادع لنا ربك أى اطلب منه بما عهد عندك أى بعهد النبوة التى منحك إياها. لئن كشفنا عن الرجز أى دفعته عنا لنؤمننّ لك لنصدقنّ أنك رسول الله و لترسلنّ معك بنى إسرائيل نطلقهم و نجعل أمرهم إليك.

١٣٥- فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجَرَ إِلَى أَجَلٍ لَهُمْ بِالْعُودِ ... يعنى: حينما رفعنا العذاب عنهم إلى وقت مقدّر هم واصلون إليه لا محالة إذا هم يَنْكُثُونَ فإذا بهم ينقضون العهد. ١٣٦- فَاتَّقَمْنَا مِنْهُمْ ... أى جزيناهم بسوء عملهم فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ أى البحر بِأَنَّهُمْ بسبب أنهم كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا لم يصدّقوها وَ كَانُوا عَنْهَا عن دلائلنا غافلين معرضين. ١٣٧- وَ أَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُشْتَضِعُونَ ... أى بنى إسرائيل مكنهم فى الأرض بعد إهلاك آل فرعون مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَ مَغَارِبَهَا يعنى الأرض الواقعة فى جهتي الشرق والغرب. وقيل شرق بلاد الشام و غربها. الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا بِالْخَصْبِ وَ كَثَرَهُ الْمِيَاهُ وَ تَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسَيْنِ يعنى: و بذلك أنجز الله سبحانه وعده الحسن على بَنِي إِسْرَائِيلَ وَ أتم النعمة على أتباع موسى. بِمَا صَبَرُوا أى بسبب صبرهم على ما ابتلاهم به من ظلم فرعون وَ دَمَرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ أى أهلكنا ما كان يعملهُ فِرْعَوْنُ وَ قَوْمُهُ من القصور و المساكن الفخمة، وَ خَرَبْنَا مَا كَانُوا يَغْرِشُونَ أى ما كانوا يغرسونه و بينونه. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ١٧٢ ١٣٨- وَ جَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ ... أى قطعنا بهم نهر النيل من خلال الطرق اليابسة التي يسرها الله لهم بلطفه وسط مياه النيل حتى عبروا بحيث صاروا خلفه ثم أغرق آل فرعون فيه حين حاولوا عبده للحاق بموسى و قومه فَأَتَوْا أى مَرَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ أى يلتفون من حول أصنامهم قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ أى اصنع لنا نصبا نعبده كما لهؤلاء و القائلون هم جهلة بنى إسرائيل دون مؤمنهم. قَالَ لَهُمْ موسى إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ أى لا تعرفون عظمه ربكم. و بسبب ذلك قلتما قلتما ما قلتما. ١٣٩- إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبِعُونَ مَا هُم فِيهِ ... أى إن هؤلاء المقيمين على عبادة الأصنام من دون الله، مدمر ما هم فيه من عبادة و شرك و باطل ما كَانُوا يَعْمَلُونَ أى أن عملهم باطل لا يجلب لهم نفعاً ولا يدفع عنهم ضرراً. ١٤٠- قَالَ أَغَيَّرَ اللَّهُ أَبْنِيَكُمْ إِلَهًا ... أى أن موسى (ع) تابع و قال: هل ألتمس لكم معبودا غير الله تعالى وَ هُوَ سبحانه فَضَلَّكُمْ خَصِيصًا بالفضائل و آثركم عَلَى الْعَالَمِينَ يعنى الناس من أهل زمانكم. ١٤١- وَ إِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ ... أى أنه تعالى قال لبنى إسرائيل: اذكروا يوم خلّصناكم من قوم فرعون الذين كانوا يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ أى ينزلون بكم أشدّ العذاب و أسوأه يَقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ أى يكثرون القتل فيهم وَ يَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ يَقْبِضُونَهُنَّ لِلْخِدْمَةِ وَ فِي ذَلِكَمُ أى فى الذى فعلناه من نجاتكم بعد هذا البلاء و الإذلال و التنكيل بلاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ أى ابتلاء عظيم. و قيل نعمة من ربكم عليكم. ١٤٢- وَ وَعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَ أَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ ... أى جعلنا لموسى موعدا نزل عليه فيه التوراة و جعلنا اللقاء بعد أربعين ليلة. فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً المِيقَاتُ هو الوقت المقدّر لعمل يعمل فيه، و قد ذكر سبحانه لفظ الأربعين لثلاثين يثوبهم بأنه أتم الثلاثين بعشر حتى صارت ثلاثين. وَ قَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ حين خرج إلى المِيقَاتِ اخْلُفْنِي يعنى كن خليفتي فى قَوْمِي من بنى إسرائيل وَ أَصْلِحْ فى حكمك بينهم و ما قد يفسد من أمورهم وَ لَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ أى لا تسلك طريقة أهل الفساد و المعاصى و المعنى بالخطاب قومه من باب إياك أعنى ... ١٤٣- وَ لَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا ... أى حين حضر موسى (ع) إلى المكان المَعِيْن فى الوقت المقرّر. وَ كَلَّمَهُ رَبُّهُ سبحانه من غير سفير و لا- وحى. كما كان يكلم الأنبياء على ألسنة الملائكة قَالَ مُوسَى: رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ يعنى: أرنى نفسك. قَالَ اللَّهُ لَنْ تَرَانِي لا ترانى أبدا لأنه سبحانه ليس جسما ليرى. وَ لَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي أمره سبحانه بالنظر إلى الجبل و علّق رؤيته على استقرار ذلك الجبل فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ أى حين ظهر أمر ربّه للجبل و ما فيه و من فيه، و بدت مظاهر عظمتة جَعَلَهُ دَكًّا أى مستويا بالأرض كأنه ساخ و اندكّ، و قال ابن عباس: ظهر نور ربه للجبل فاندكّ وَ خَرَّ مُوسَى صَيْعِقًا أى وقع مغشياً عليه، و مات السبعون الذين كانوا معه كلّهم. فَلَمَّا أَفَاقَ حين انتبه من غشيته قَالَ سُبْحَانَكَ تُنْزِلُهَا لَكَ عَمَّا لَا- يليق بك، تَبْتُ إِلَيْكَ أَقْلَعْتُ عَنْ أَنْ أَسْأَلَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ. وَ أَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ المصدقين. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ١٧٣ ١٤٤- قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ ... أى: قال الله لموسى: إني اخترتك و فضلتك على الناس برسالاتي من دون كلام و بَكَلَامِي من غير رسالته و هو ما سمعته عند طلب الرؤية. فَخُذْ يَا مُوسَى مَا آتَيْتُكَ أى ما أعطيتك من التوراة و اعمل بما أمرتك به وَ كُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ الحامدين لى على نعمتى. ١٤٥- وَ كَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَحِ ... يعنى سجّلنا لموسى (ع) فى الألواح و هى التوراة التى نزلت من السماء مسجلة على ألواح زمرد طولها عشرة أذرع، مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أى من كل ما يحتاج إليه فى أمر الدين مَوْعِظَةً بيان لبعض الكل وَ تَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ مما يتعلق بأوامر الله تعالى و نواهيه و حلاله و حرامه و غيرها. فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ

أى باجتهاد وعزيمة وأمر قومك يأخذوا بأحسَنِهَا أى احمل قومك على أخذ أحسن ما فيها من فرائض الله سبحانه ونوافله. سَأَرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ التى هى جهنم. ١٤٦- سَأُضِرُّ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ... أى سأحول نظر المتكبرين فى الأرض عن دلائلى التى تثبت النبوة وتهدى إلى الحق كفرا وعنادا فظهر لهم بحيث لا ينتفعون بها كغيرهم من المؤمنين. وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا أى إذا رأوا أية دلالة تدل على وحدانية الله سبحانه وصدق النبى الذى جاء بها، لا يصدقون بها. وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا والرشد هو الهدى الذى لا يسلكون الطريق المؤدية إليه مع وضوحه لهم وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَىِّ أى طريق الضلال يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا طريقا لهم ذلك إشارة إلى اتباعهم طريق الغى بأنهم كَذَبُوا بِآيَاتِنَا أى بدلائلنا وبمعجزات رسلنا وكانوا عنها غافلين لا يتفكرون بها ولا ينتبهون إلى أهميتها. ١٤٧- وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ ... يعنى يوم القيامة حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ يعنى بطلت لأنهم أوقعوها على غير وجهها. هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ أى ليس يجزون إلّا بعملهم السيئ. ١٤٨- وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ خُلَيقِهِمْ عِجْلًا جَسَداً لَهُ خَوَارٍ ... اتخذ تعطى معنى الاختيار، وهؤلاء الذين عاد سبحانه إلى ذكر قصتهم من بنى إسرائيل المقصود بهم السامري ومن مشى على طريقته. جعلوا بعد مضى موسى إلى الميقات لتلقى الألواح، مما تحلوا به من الذهب صورة و تمثالا لولد البقرة مجسدا له صوت ولا روح فيه. أَلَمْ يَرَوْا يَلْحَظُوا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ أى لا يخاطبهم ولا يهديهم سبيلا لا يرشدهم إلى طريق الهدى أى أنه جماد لا ينفع ولا يضر فكيف يصلح أن يكون إلها ومعبودا؟ اتَّخَذُوهُ برغم ذلك معبودا وكانوا ظالمين لأنفسهم لأنهم كفروا بالله. ١٤٩- وَلَمَّا سَقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا ... أى لما ظهر خسراهم ورأوا ضلالهم عن الحق بتأليه العجل قالوا لئن لم يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا أى إذا لم يرأف بنا ويقبل توبتنا لنكونن نصيرن من الخاسرين الذين يستحقون العقاب على فعلهم القبيح. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ١٧٤ ١٥٠- وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا ... أى: حين عاد موسى من ميقات ربه ورأى قومه يعبدون العجل، تلقاهم حزينا من تصرفهم. قَالَ بَشَرًا خَلَفْتُمُونِي أى ساء فعلكم الذى فعلتموه بعدى أَعْجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ؟ أى استعجلتم عبادة العجل قبل أن يأتى أمر ربكم، أو استعجلتم وعد الله؟ وَالْقَى الْأُلُوحَ أى رمى الألواح وأخذ برأس أخيه هارون يَجُرُّهُ إِلَيْهِ أى أمسك به وجذبه إليه كما يفعل الإنسان حين يغضب فيقبض على لحيته ويشدها، أو يعض شفته، أو يضرب يدا بيد وقيل غير ذلك. قَالَ هَارُونَ ابْنَ أُمِّ أَيْ: يا أخى من أُمى. وإنما قالها استعطافا إذ كان أخاه لأبيه وأمه. إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوا عَقُونِي أى نظروا إلى نظر مستضعف بينهم وكادوا أوشكوا يفتُلُونِي لشدة إنكارى لعملهم فلا تُشْمِتْ بِي الْأَعْدَاءُ أى لا تسرهم بإهانتى ولا تَجْعَلْنِي تعتبرنى مع الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ الذين عبدوا العجل. ١٥١- قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخْوِي ... أى: قال موسى (ع) ذلك على نحو الخشوع لله ولا يدل على أن أحدهما ارتكب ذنبا لأن الأنبياء معصومون. وَأَدْخَلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ واضح المعنى. ١٥٢- إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ ... فى الجملة حذف أى: اتخذوه معبودا من دون الله سَيَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ يعنى: سيلحق بهم سخط من الله وذلة أى هوان فى الحياة الدنيا وذلك بأخذ الجزية منهم، أو بما أمروا به من قتل أنفسهم، وكذلك أى مثل هذا التهديد والغضب نجزي الْمُفْتَرِينَ الكاذبين على الله، لأنهم قد عبدوا العجل ودعوه إلها. ١٥٣- وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا ... أى فعلوا المعاصى وأقلعوا عنها وعادوا إلى حظيرة الإيمان بعد التوبة منها إِنَّ رَبَّكَ يَا مُحَمَّدٌ مِنْ بَعْدِهَا أى بعد التوبة لَعَفُورٌ متجاوز عن ذنوبهم رَحِيمٌ رؤف بهم. ١٥٤- وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ ... أى حين هدأ غضبه لأن قومه تابوا بعد اتخاذهم العجل أَخَذَ الْأُلُوحَ التى سجلت فيها التوراة وفى نُشِخَتِهَا يعنى فيما سجل فيها هُدىً بيان إلى ما يحتاج إليه من أمور الدين وَرَحْمَةً أى نعمة ومنفعة لِلَّذِينَ هُمْ لِزُبَّهِمْ يَرْهَبُونَ أى يخافون ربهم فيطيعونه فيما ورد فيها من أوامر ونواهي. ١٥٥- وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا ... أى: انتقى موسى من قومه سبعين رجلا ليحضروا تكليم الله له وإعطائه التوراة فيكونوا شهداء له عند بنى إسرائيل فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ أى الرعدة فكادت تنقطع أوصالهم من شدتها قَالَ: رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ أى أفيتهم، إذا أردت والقائل هو موسى مِنْ قَبْلِ أَيْ قَبْلَ هَذَا الْمَوْقِفِ، وَإِيَّايَ وإهلاكى معهم. أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا هو استفهام إنكارى معناه أنك لا تفعل ذلك بنا بسبب فعل سفهاء القوم من عبادة العجل إِنَّ هِيَ إِلَّا فَتَنَّاكَ أى ليست الرجفة إلا ابتلاءك ومحتتك تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ

تَشَاءُ أَى تَصِيبُ بِهَا مِنْ تَرِيدَ وَ تَنْجِى مِنْهَا مِنْ تَشَاءُ. أَنْتَ وَلَيْتِنَا أَى الْأَوَّلَى بِنَا، وَ نَاصِرْنَا فَاعْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَ ارْحَمْنَا وَ أَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ خَيْرَ الْمُتَجَاوِزِينَ عَنِ الذُّنُوبِ. إِرْشَادُ الْأَذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ١٧٥ ١٥٦- وَ اكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً ... أَى نِعْمَةً فِي الدُّنْيَا هَذَا مِنْ بَقِيَّةِ دَعَاءِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ اكْتُبْ لَنَا فِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً أَيْضًا تَثْبِيْنًا عَلَيْهَا بِالْجَنَّةِ وَ الرِّضْوَانِ. إِنَّا هَذَا إِلَيْكَ أَى وَ رَجَعْنَا بِتَوْبَتِنَا إِلَيْكَ قَالَ اللَّهُ عَزَّابِي أُصِيبُ بِهِ مِنْ أَشَاءِ أَى الذِّى يَعَصِينِى وَ يَسْتَحِقُّ الْعَذَابَ. وَ قَدْ عَلِقَ الْعَذَابَ بِمَشِيئَتِهِ سَبْحَانَهُ لَجَوَازِ غَفْرَانِهِ وَ رَحْمَتِي وَ سَعَتْ كُلُّ شَيْءٍ فَقَدْ مَنَحْتَهَا فِي الدُّنْيَا لِلطَّاعِ وَ الْعَاصِى، وَ لَكِنَّا يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِلْمُؤْمِنِينَ خَاصَةً. فَسَأَلْتُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَى سَأَوْجِبُهَا لِمَنْ يَجْتَنِبُونَ الشَّرْكَ وَ الْمَعَاصِى وَ يَعْمَلُونَ بِالطَّاعَاتِ وَ الْقُرْبَاتِ وَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ يَخْرُجُونَ زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ وَ الَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ أَى يَصْدُقُونَ بَيِّنَاتِنَا. ١٥٧- الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ ... أَى أَنْ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ هُمْ الْمُؤْمِنُونَ بِمُحَمَّدٍ (ص) الذِّى لَا يَقْرَأُ وَ لَا يَكْتُبُ الْمُتَّبِعُونَ مَا شَرَعَ مِنَ الدِّينِ. وَ رَوَى عَنِ الْإِمَامِ الْبَاقِرِ (ع) أَنَّهُ نَسَبَهُ إِلَى أُمِّ الْقُرَى الَّتِى هِىَ مَكَّةُ، فَلَا يَكُونُ النَّاسُ مُؤْمِنِينَ بَعْدَ بَعَثَتِهِ (ص) إِذَا هُمْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ لِأَنَّهُ: الَّذِى يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَ الْإِنْجِيلِ بِنِعْمَتِهِ وَ صِفَتِهِ وَ نَبُوَّتِهِ، يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ أَى يَأْمُرُهُمْ بِالْحَقِّ وَ يَنْهَاهُمْ عَنِ الْبَاطِلِ وَ يُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ الْمُسْتَلْذَاتِ الْحَسَنَةَ وَ يُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ أَى الْقَبَائِحَ الَّتِى تَمَجِّجُهَا النَّفُوسُ. وَ يَضْعُ عَنْهُمْ إِضْرَهُمْ أَى يَخَفِّفُ عَنْهُمْ الثَّقْلَ الذِّى كَانَ عَلَيْهِمْ مِنْ جَرَاءِ التَّكْلِيفِ بِالْأَحْكَامِ وَ الْأَغْلَالِ الَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ أَى يَعْفِيهِمْ مِنَ الْعُيُوبِ الَّتِى فِي ذَمَّتِهِمْ. فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ صَدَّقُوا بِهَذَا النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ وَ عَزَّزُوهُ أَى وَقَّوْهُ وَ نَصَّرُوهُ عَلَى أَعْدَائِهِ وَ اتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِى أُنْزِلَ مَعَهُ أَى الْقُرْآنَ فَهُوَ نُورُ الْقُلُوبِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ النَّاجُونَ مِنَ الْعِقَابِ الْفَائِزُونَ بِالثَّوَابِ. وَ قَدْ رَوَى عَنْهُ (ص) أَنَّهُ سَأَلَ أَصْحَابَهُ: أَى الْخَلْقِ أَعْجَبُ إِيْمَانًا؟ فَقَالُوا: الْمَلَائِكَةُ، فَقَالَ: الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهِمْ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ! قَالُوا: فَالنَّبِيُّونَ، قَالَ: النَّبِيُّونَ يُوْحَى إِلَيْهِمْ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ! فَقَالُوا: نَحْنُ يَا نَبِىَّ اللَّهِ، قَالَ: أَنَا فَيْكُمْ فَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ! إِنَّهُمْ قَوْمٌ يَكُونُونَ بَعْدَكُمْ يَجِدُونَ كِتَابًا فِي وَرَقٍ فَيُؤْمِنُونَ بِهِ، فَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ عَزَّ وَ جَلَّ: «وَ اتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِى أُنْزِلَ مَعَهُ». قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّى رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ... أَى قُلْ يَا مُحَمَّدَ لَجَمِيعِ النَّاسِ مِنْ عَرَبٍ وَ عَجَمٍ: قَدْ أَرْسَلَنِى اللَّهُ إِلَيْكُمْ كَافَّةً. الَّذِى لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ فَهُوَ مَالِكُهُمَا وَ الْمُتَصَرِّفُ بِهِمَا وَ بِمَا فِيهِمَا مِنْ غَيْرِ مَنَازِعٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَا مَعْبُودَ سِوَاهُ، وَ لَا شَرِيكَ لَهُ يُحْيِى الْأَمْوَاتَ وَ يُمِيتُ الْأَحْيَاءَ فَآمَنُوا صَدَّقُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ النَّبِىِّ الْأُمِّيَّ أَى مُحَمَّدَ (ص) فَإِنَّهُ الَّذِى يُؤْمِنُ بِاللَّهِ أَى يَصْدَقُ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْمُرَكُمْ بِالْإِيْمَانِ بِهِ وَ كَلِمَاتِهِ أَى يُؤْمِنُ بِكَلِمَاتِ رَبِّهِ مِنَ الْقُرْآنِ وَ الْوَحْىِ وَ الْكُتُبِ السَّابِقَةِ وَ اتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ بِأَمَلٍ أَنْ تَهْتَدُوا إِلَى الرِّشَادِ وَ الْجَنَّةِ. ١٥٩- وَ مِنْ قَوْمٍ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْتَدُونَ بِالْحَقِّ ... أَى جَعَلْنَا مِنْهُمْ جَمَاعَةً يَدْعُونَ إِلَى الْحَقِّ وَ بِهِ يَغْدِلُونَ أَى بِالْحَقِّ يَعْدِلُونَ فِي أَحْكَامِهِمْ. إِرْشَادُ الْأَذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ١٧٦ ١٦٠- وَ قَطَعْنَاهُمْ اثْنَتَى عَشْرَةَ أَسْبَاطًا ... أَى فَرَقْنَا بَنَى إِسْرَائِيلَ اثْنَتَى عَشْرَةَ فِرْقَةً. يَعْنِى أَوْلَادَ يَعْقُوبَ فَهَذَا عَدَدُهُمْ وَ الْأَسْبَاطُ مُفْرَدُهَا سِبْطٌ، وَ هُوَ الْفِرْقَةُ وَ لِذَلِكَ أَنْتَ اثْنَتَى عَشْرَةَ وَ حَذَفَ الْمِمِيزَ يَعْنِى: قَطَعْنَاهُمْ اثْنَتَى عَشْرَةَ فِرْقَةً وَ جَعَلْنَاهُمْ أَسْبَاطًا. وَ كَانَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ الْأَسْبَاطِ نَسْلٌ فَصَارَ نَسْلُهُ فِرْقَةً مِنْ فِرْقِهِمْ وَ قَدْ كَانُوا: أُمَمًا كُلُّ أُمَّةٍ مِنْهُمْ تَرْجِعُ إِلَى رَئِيسِهَا فِي شُؤْنِهَا لِيَخْفَ الْعَبءُ عَنِ مُوسَى (ع). فَلَا يَقَعُ بَيْنَهُمْ تَنَافَرٌ وَ تَبَاغُضٌ وَ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ طَلَبُوا مِنْهُ أَنْ يَسْقِيَهُمْ وَ قَدْ مَرَّ تَفْسِيرُ ذَلِكَ إِلَى آخِرِهِ عِنْدَ تَفْسِيرِ الْآيَتَيْنِ (٥٧) وَ (٦٠) مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ حَيْثُ قُلْنَا إِنَّ مُوسَى (ع) عِنْدَ مَا ضَرَبَ بِعَصَاهُ الصَّخْرَةَ انْفَجَرَ مِنْهَا الْمَاءُ مِنْ اثْنَتَى عَشْرَ ثَقْبًا لِكُلِّ سِبْطٍ مِنْهُمْ شَرْبٌ خَاصٌ بِهِ مِنْ ثَقْبٍ عَرَفَ أَنَّهُ لَهُ. ١٦١- وَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ ... إلخ ... مَرَّ تَفْسِيرُهَا فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ. وَ قَدْ قُلْنَا هُنَاكَ: أَنَّ الْقَرْيَةَ هِىَ الَّتِى كَانَتْ فِي الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ، أَمَرُوا بِدُخُولِهَا وَ قَتَالِ أَهْلِهَا مِنَ الْعَمَالِقَةِ وَ إِخْرَاجِهِمْ مِنْهَا، فَتَمَرَّدُوا عَنِ الْأَمْرِ، وَ رَدُّوا عَلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَابْتَلَوْا بِالنِّيبَةِ، وَ الْقِصَّةُ مَذْكُورَةٌ فِي سُورَةِ هُودٍ: آيَةُ ٢٠- ٢٢. ١٦٢- فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِى قِيلَ لَهُمْ ... إِلَى آخِرِ الْآيَةِ الشَّرِيفَةِ، مَرَّ تَفْسِيرُهَا، مَثَلُهَا فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ. ١٦٣- وَ سَأَلْنَاهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ ... وَ اسْأَلْنَاهُمْ يَا مُحَمَّدُ عَنْ سُكَّانِ أَيْلَةِ الْوَاقِعَةِ عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ تَقْرِيبًا لَهُمْ وَ قِيلَ: إِنَّ الْقَرْيَةَ كَانَتْ مَدِينَةً، وَ قِيلَ هِىَ طَبْرِيقَةُ، إِذْ يَغْدُونَ فِي السَّبْتِ أَى حَيْثُ كَانُوا يَتَجَاوِزُونَ حُدُودَ مَا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حَيَاتُهُمْ يَوْمَ سَعَتِهِمْ شُرْعًا أَى كَانَتْ تَجِىءُ ظَاهِرَةً عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ مُشْرِعَةً أَذْنَابُهَا رَافِعَةً رُؤُوسُهَا فِي الْيَوْمِ الذِّى يَحْرَمُ صَيْدُهَا عَلَيْهِمْ وَ هُوَ السَّبْتُ وَ الْحَيَاتَانِ: جَمْعُ حَوْتٍ، وَ هُوَ

السمكة الكبيرة، و موضع: إذ، نصب على معنى: سلهم عن وقت كذا. و مثلها: إذ، في إِذْ تَأْتِيهِمْ و الحاصل: إن الحيتان كانت تأتيهم في زمن يحرم صيدها عليهم ابتلاء لهم و اختبارا. وَ يَوْمَ لَا يَسْتَيْتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ بل تختفى في عرض البحر. و لذلك كانوا يحتالون في صيدها فاتخذوا حياضا فكانوا يسوقون الحيتان إليها يوم السبت و لا يمكنها الخروج منها فيأخذونها يوم الأحد كما عن ابن عباس. كَذَلِكَ أَى بِمَثَل ذَلِكَ الاختبار نَبَلُوهُمْ نَحْتَبِرُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ يَفْسُقُهُمْ و عصيانهم أمر الله تعالى. و قد ابتلاه الله سبحانه بالحيتان في وقت يحرم صيدها عليهم لشيوع الفسق بينهم، فبعثهم الحرص على صيدها على مخالفته أمر الله سبحانه، و لم تمنعهم تقوى عن التعدي، و لذلك قال: كَذَلِكَ نَبَلُوهُمْ، أَى نَمْتَحِنُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ. و قد ورد في بعض الروايات أن أحبارهم لم ينهوهم عن ذلك و علماءهم لم يمنعوهم، و قيل: إن الشيطان أوحى إلى طائفة منهم: إنما نهيتهم عن أكلها يوم السبت و لم تنهوا عن صيدها فاصطادوها يوم السبت و أكلوها فيما سوى ذلك من الأيام. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ١٧٧ ١٦٤- و إِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ ... أَى أسألهم يا محمد إذ قالت جماعة من بنى إسرائيل، إذ كانوا يومئذ ثلاث فرق: واحدة معتدية بصيد الحيتان، و ثانية ساكتة لا تحرك ساكنا، و ثالثة واعظة فقال الساكتون للواعظين: لِمَ تَعِظُونَ أَى لماذا تخوفون قوماً جماعة معتدية الله مُهْلِكُهُمْ أَى مدمرهم أو مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً فِي الْآخِرَةِ لَأَنَّهُمْ عَصَاءُ؟ قَالُوا أَى أجاب الواعظون مَعَذَرَةً إِلَى رَبِّكُمْ أَى وعظنا لهم قياما بما فرضه الله علينا من النهى عن المنكر و لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ و عسى أن يرجعوا عن غيهم و يتجنبوا غضب الله. ١٦٥- فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ ... أَى حين ترك أهل أيلة موعظة الواعظين. أُنْجَيْنَا خَلَصْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ الشُّؤْءِ أَى عن المعصية و أَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِعَذَابٍ يُبَيِّنُ أَى شديد سيئ بما كَانُوا يَفْسُقُونَ مَر تَفْسِيرُهُ. ١٦٦- فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ ... أَى فحين تكبروا عن سماع الحق و أبوا أن يرجعوا عن غيهم قُلْنَا لَهُمْ: كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ جعلناهم قرده مردولين ثم أهلكهم الله بعد ثلاثة أيام. ١٦٧- و إِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ ... أَى اذكر يا محمد يوم قدر ربك لِيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ لِيُرْسِلَنَّ عَلَى الْيَهُودِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ مَنْ يَسْؤُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ أَى من يذيقهم العذاب الشديد إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ يحاسب من يستحق ذلك بسرعة و إِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ لِمَنْ يَتُوبُ وَ يَنْتَبِإُ إِلَى رَبِّهِ. ١٦٨- وَ قَطَعْنَا هَمَّ فِي الْأَرْضِ أَمَّا ... يعنى قَسَمْنَاهُمْ - ببغيمهم - و وزعناهم في الأرض فرقا مختلفة، مِنْهُمْ الصَّالِحُونَ الْخَيْرُونَ وَ مِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ أَى فى مرتبة أدنى من مرتبة الصلاح وَ بَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَ السَّيِّئَاتِ أَى و اختبارناهم بالنعم و النقم لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ أَى ينيون إليه سبحانه. ١٦٩- فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ ... أَى جاء من بعد أولئك الأسلاف أخلاف قاموا مقامهم بوراثه التوراة. يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَذْنَى أَى عرض ما فى الدنيا من متاع و مغريات زائلة فكانوا يرتشون و يحكمون بالباطل، وَ يَقُولُونَ: سَيُعَذِّبُنَا أَى يعنى عن ذنوبنا. و إِنْ يَأْتِيهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ أَى إذا جاءهم عرض زائل كذاك يَأْخُذُوهُ بِلَا امْتِنَاعٍ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَى: ألم يرتبطوا بالعهد الذى فى التوراة أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ أَى أَنْ لَا يكذبوا عليه فى ما أنزل على رسوله موسى (ع) وَ دَرَسُوا مَا فِيهِ يَعْنَى قَرَأُوا مَا فى التوراة وَ الدَّارُ الْآخِرَةُ أَى مَا أَعَدَّ اللَّهُ لِلْمُؤْمِنِينَ مِنْ نَعِيمِ الْآخِرَةِ الْبَاقِي خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَى خير للذين يجتنبون المعاصى أَفَلَا تَعْقِلُونَ؟ أَى تتدبرون. ١٧٠- وَ الَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ ... أَى يتمسكون بالتوراة فلا- يحرفونه و لا يكتمون منه شيئا و يحملون غيرهم على التمسك به. وَ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَ قد ذكرها سبحانه دون غيرها لأهميتها. إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُضِلِّينَ لَا نُضِيعُ جَزَاءَ عَمَلِهِمُ الْخَيْرِ. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ١٧٨ ١٧١- وَ إِذْ تَنْفَخْنَا الْجِبِلَّ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ ... و اذكر يا محمد يوم اقتلع الله الجبل و رفعه فوق بنى إسرائيل فجعله كأنه غمامة أو سقف يظلمهم وَ ظَنُّوا حَسَبُوا مَوَاقِينَ أَنَّهُ وَقَعَ بِهِمْ أَى عليهم: خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ اذْهَبُوا بِمَا فى أيديكم من أحكام التوراة بجد و صدق عزيمته وَ اذْكُرُوا مَا فِيهِ وَ لَا- تنسوا المواثيق و العهود المأخوذة عليكم للعمل بما فيه لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ لَكى تتجنبوا ما يغضب ربكم. ١٧٢- وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنَى آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ... أَى اذكر يا محمد لهؤلاء إذ أخذ ربك من أصلاب بنى آدم نسلهم إلى يوم القيامة. فما من أحد منهم إلا استقل من غيره و تميز منه فاجتمعوا هنالك جميعا و هم فرادى فأراهم ذواتهم المتعلقة بربهم وَ أَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ جَعَلَهُمْ شُهَدَاءَ عَلَى ذَوَاتِهِمْ فَقَالَ لَهُمْ: أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ أَى أما أنا إلهكم و هو خطاب حقيقى لا بيان حال و تكليم إلهى لهم، فإنهم يفهمون مما يشاهدون أن الله يريد به منهم الاعتراف و إعطاء الموثق. و كذلك الكلام

فى قوله: قالوا بلى شهدنا. قالوا: بلى أجابوا: نعم شهدنا بذلك على أنفسنا بأنك ربنا وخالقنا. أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَى لثلا تقولوا إذا واجهتم العذاب إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا الْوَاقِعِ غَافِلِينَ أَى لم ننتبه إليه لنعمل له. ١٧٣- أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ ... أَى لثلا يقول بعضكم قد أشرك بك آبؤنا يا رب حين بلغوا سن الرشد وَ كُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ وَ كُنَّا خَلْفًا لَهُمْ صَغَارًا لَا نَعْقِلُ أَفَقَّهَلْ كُنَّا بِمَا فَعَلَ الْمُتَّبِلُونَ أَى هل توردنا الهلاك بفعلهم المبني على الباطل؟. ١٧٤- وَ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ: أَى كما أوضحنا لكم هذه الآيات كذلك نبينها لسائر عبادنا ليتمكّنوا من الاستدلال بكل واحدة منها على ألوهيتها وقيل: تفصيل الآيات تفريق بعضها وتمييزه من بعض ليتبين بذلك مدلول كل منها ولا- تختلط وجوه دلالتها. وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ أَى يعودون عن الباطل إلى الحق. ١٧٥- وَ أَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا ... أَى: و اقرأ عليهم- يا محمد- قصة الرجل الذى أعطيناه حججنا فأنسلخ منها معنى خرج من المعرفة بها إلى الجهل فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ أَى تبعه و لحق به فأضله فكان مِنَ الْغَاوِينَ الضالين أو الخائبين. ١٧٦- وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا ... يعنى: لو أردنا لرفعنا منزلته فى الإيمان و المعرفة بتلك الحجج وَ لَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ أَى ركن إلى الدنيا و اطمأن لها وَ أَتَّبَعَ هَوَاهُ انقاد له فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحِمَلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ، أَوْ تَتَرَكَّهُ يَلْهَثُ أَى أن صفته كصفة الكلب الذى يخرج لسانه و يلهث إن طردته و إن تركته. ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يعنى أن هذه هى صفة المكذبين ببرايتنا و حججنا. فَاقْصُصِ الْقَصَصَ أَى فاحك لهم أخبار الماضين لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ فعسى أن يتدبروا حالهم و يعتبروا. ١٧٧- سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ... أَى بسئ مثلاً، مثل الفئة التى تكذب بآياتنا، و قبح حالهم وَ أَنْفُسُهُمْ كَانُوا يَظْلُمُونَ إذ حرموها ثواب الإيمان و أوردوها العذاب. ١٧٨- مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِى ... أَى من يهده الله تعالى إلى الحق و نيل الثواب فهو المهتدى للإيمان و الخير وَ مَنْ يَضِلْ أَى و من يضلله الله سبحانه عن طريق الجنة عقاباً له على كفره و فسقه فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ لأنهم خسروا الجنة و نعيمها و استحقوا العقاب. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ١٧٩

١٧٩- وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ ... أَى: خلقنا كثيرين من الجنّ و الإنس يكون مصيرهم إلى جهنم بسبب كفرهم بسوء اختيارهم لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا أَى لا يعقلون و لا يفكرون بحجج الله وَ لَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا لا يرون طريق الرشد وَ لَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا قول الأنبياء و لا وعظ المرشدين إلى الهدى، أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ أَى: هؤلاء حيث كان هذا حالهم هم كالحيوانات التى لا تفقه قولاً و لا تسمع وعظاً بَلْ هُمْ أَضَلُّ مِنَ الْبَهَائِمِ لأنها قد تنزجر و هم لا ينزجرون، و قد تسمع أمر صاحبها و هم لا يسمعون. أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ عن حجج الله تعالى و عن الاعتبار بتدبرها. ١٨٠- وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ... الأسماء الحسنة المعانى و الدلالة كالرحمن و الرحيم و الرزاق و القدير و غيرها فَادْعُوهُ بِهَا يا أيها المؤمنون و قولوا: يا رحمن يا رحيم ارحمنا و هكذا وَ ذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ أَى دعوا الذين ينكرون هذه الأسماء و يعدلون بها عما هى عليه فيسمّون بها أصنامهم، سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ فى الآخرة. ١٨١- وَ مِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَ بِهٍ يَعْدِلُونَ ... أَى: و من جملة من خلقنا جماعة يدعون الناس إلى الحق و يرشدونهم إلى الإيمان و يحكمون بالعدل و روى أن المقصود أمة خاتم النبيين (ص). ١٨٢- وَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ... أَى كفروا بالقرآن و الرسالة و المعجزات سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَغْلَمُونَ و الاستدراج هو الأخذ قليلاً- قليلاً- و درجة بعد درجة، فهو لاء سيستدرجهم إلى الهلكة و الخسران حتى يقفوا فى العذاب بغيته. ١٨٣- وَ أَُمْلِى لَهُمْ إِنْ كَيْدِى مَتِينٌ ... أَى: و أستأنهم، و لا أستعجل بأخذهم فَإِنْ عَذَابِى مُنِيعٌ لَا- يدفعه دافع لو وقع. ١٨٤- أَوْ لَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ ... يعنى: أ و لم يفكر هؤلاء الكفار المكذّبون بمحمد (ص) إنه ليس بمجنون إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ أَى أنه أرسل مخوفاً للناس من عذاب الله ليتقوه، و دالاً على ما يؤدى إلى الأمن منه فيسلكون طريقه. ١٨٥- أَوْ لَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ ... يعنى: ألم يتفكروا فى عجب خلق السموات و الأرض فيعترفوا بأن لها خالقاً حكيماً وَ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ أَى: و لم ينظروا بعين البصيرة إلى أصناف خلقه و عظيم قدرته فيستدلوا بذلك على توحيده و إثبات وجوده وَ أَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجْلُهُمْ و لم يتفكروا فى أنه قد يكون قد اقترب أجل موتهم و فاتهم فيدعوهم ذلك لأن يحتاطوا لأنفسهم فَبَأَى حَيْثُ بَعْدَهُ بعد القرآن يُؤْمِنُونَ مع ما فى القرآن الكريم من معجز. ١٨٦- مَنْ يَضِلْ اللَّهُ فَلَآ هَادِيَ لَهُ ... قد مرّ تفسيره فيما مضى وَ يَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ أَى و نتركهم متحيرين فى ضلالتهم. ١٨٧-

يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ ... أى: يستفهمون منك يا محمد عن القيامة أَيَّانَ مُرْسَاهَا متى موعدها الثابت؟ قُلْ يا محمد: إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي أى علم وقت حدوثها عند الله سبحانه لا- يُجْلِيهَا لَوْفَتِهَا إِلَّا هُوَ أى لا- يظهرها إلا- الله لأن علمها من مختصاته سبحانه. ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ أى ثقل علمها على أهلها لأن الذى يخفى عليه سر شىء يكون ثقيلًا عليه. لا تَأْتِيَكُمْ إِلَّا بَعْتُهُ أى فجاءه يَسْأَلُونَكَ كَذَاتِكَ حَفِيٌّ عَنْهَا أى كأنك عالم بها. قُلْ يا محمد: إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ أى علمها محصور به وقد كرر سبحانه هذا القول لوصله بقوله: وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لا- يَعْلَمُونَ وقت حدوثها مع جميع ما يحدث أثناءها و بعدها. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ١٨٠

١٨٨- قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَ لا ضَرًّا ... أى: قل يا محمد لجميع الناس: إننى لا أملك جلب نفع و لا دفع ضرر إلا ما شاء الله سوى ما أراد الله وَ لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسِيَتْكَتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ أى لو كنت أعلم الغيب لكنت اختار الأفضل دائماً فى عمل الدنيا و عمل الآخرة، وَ مَا مَسْنَى السُّوءِ مَا أَصَابَنِي الْفَقْرُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مَخْوفٌ بِالْعَذَابِ وَ بَشِيرٌ مَبْشَرٌ بِالثَّوَابِ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ لجماعه يصدقوننى فيما أقول. ١٨٩- هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ... أى أن الله تعالى خلقكم يا بنى آدم من نفس آدم وَ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا أى خلق حواء من تلك النفس، لِيَسْكُنَ زَوْجَهَا إِلَيْهَا وَ يَأْنَسَ بِهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا أى حين و وطأها حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا وَ هُوَ الْمَاءُ الَّذِي اسْتَقَرَّ فِي رَحِمِهَا وَ كَانَ حَمْلُهُ خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ أى استمرت على الخفة بحركتها و قيامها و قعودها فَلَمَّا أَثْقَلَتْ أى: حين أحسَّت بثقل الحمل حين صار جنينا دَعَا اللَّهَ رَبَّهُمَا يعنى سألاه لئِنْ آتَيْتَنَا إِذَا أُعْطِينَا صَالِحًا وَلَدًا مَعَايَ سَلِيمًا سَوِيًّا، وَ قِيلَ ذَكَرًا لَنَكُونَنَّ لِنَصِيرَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ الْحَامِدِينَ لَكَ الْمُعْتَرِفِينَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيْنَا. ١٩٠- فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ ... أى فلما أعطاهما الله ولدا صالحا كما طلبا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا وَ قد اختلف المفسرون فى من يعود الضمير الموجود فى: جعللا. فقليل إنه يرجع إلى النسل الصالح المعافى فى خلقه و بدنه لا فى دينه، و إنما ثناه سبحانه لأن: حواء (ع) كانت تلد فى كل بطن ذكرا و أنثى، و هذا يعنى أن ذلك الذكر و تلك الأنثى جعللا لله شركاء فيما أعطاهما من النعمة، فأضافا تلك النعمة إلى من اتخذوهم آلهة من دون الله فتعالى الله عَمَّا يُشْرِكُونَ أى: فسما و تقدس الله سبحانه عن شركهم. ١٩١- أَيْ يُشْرِكُونَ مَا لا يَخْلُقُ شَيْئًا وَ هُمْ يُخْلَقُونَ ... أى: كيف يشركون مع الله الخالق القادر غيره ممَّا لا يستطيع أن يخلق شيئا، بل هم- أى من أشركوهم معه- مخلوقون له سبحانه. ١٩٢- وَ لا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَ لا أَنْفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ ... أى: أن المشركين يعبدون أصناما لا تقدر على نصر عابديها، و لا نصر أنفسهم إن حلَّ بها ضيق. ١٩٣- وَ إِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لا يَتَّبِعُوكُمْ ... أى و إن تدعوا هؤلاء المشركين إلى الحق لا يسمعوا دعوتكم سَوَاءَ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ أى أن دعاءكم لهم و سكوتكم عن دعوتهم للإيمان سواء لأنهم مصرّون على الكفر. ١٩٤- إِنْ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ ... أى الأصنام التى تسمونها آلهة هى مخلوقه مثلكم فادعُوهم أى اطلبوا منهم حاجاتكم و هذا تعجيز لهم فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ أى فليجيبوا طلباتكم إذا قدرُوا عليها. إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ بأنها تنفع و تضر. ١٩٥- أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا ... لمصالحكم أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أى أَلَهُمْ أَيْدٍ يَدْفَعُونَ بها عنكم أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا لا، ليس لهم هذه الأعضاء و لا تلك الحواس، و الناس أفضل منهم. قُلْ يا محمد: ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ أى ادعوا هذه الأوثان التى تشركونها فى أموالكم و أضحياتكم و ندوركم ثُمَّ كِيدُوا و استعملوا ما عندكم من تدبير مجتمعين فَلَا تُنْظَرُونَ أى لا تؤخرونى، فإن ربى و معبودى ينصرنى و هم لن يستطيعوا نصركم. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ١٨١ ١٩٦- إِنْ وَلَّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابَ ... يقول للمشركين الذين دفعتم حجته: إن حافظى و ناصرى عليكم، هو الله الذى أنزل على هذا القرآن، وَ هُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ أى الله يتولى أمور المطيعين المتقين له. ١٩٧- وَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ ... أى الأصنام التى تسمونها آلهة لا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَ لا أَنْفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ لا يقدرُونَ على معاونتكم و لا يدفعون عنكم ضَرًّا لأنهم عاجزون عن نصر أنفسهم و فاقد الشىء لا يعطيه. ١٩٨- وَ إِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لا يَسْمَعُوا ... أى إذا دعوتهم هذه الأصنام التى تعبدونها إلى الرشد و المنافع لا تسمع و لا تعي وَ تَرَاهُمْ يُنْظَرُونَ إِلَيْكَ أى مفتوحة أعينهم نحوكم كما نحتوها وَ هُمْ لا يُبْصِرُونَ أى لا يرون الحجة و لا يدركون شيئا مما حولهم. و قيل: إن الكلام على مشركى العرب. ١٩٩- خُذِ الْعَفْوَ وَ أْمُرْ بِالْعُرْفِ ... أى: خذ يا محمد ما عفا و ما فضل من أموال الناس للنفقة و أمر بكل ما هو حسن بنظر العقل وَ أَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ أى اتركهم بعد

قيام الحجة عليهم و بعد أن تياس من قبولهم لها. ٢٠٠- وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ... نزغ الشيطان هو إفساده و وسوسته. فإذا أصابك يا محمد شيء من ذلك و أصابك نخسة في القلب عند الغضب فأسأل الله أن يجيرك منه إِنَّهُ سَيَجْعَلُ عَلَيْكَ مَرَّعًا. ٢٠١- إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ ... أى أن الذين تجنبوا معاصي الله، إذا عرض لهم وسواس من الشيطان تَذَكَّرُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ مُبْتَلَوْنَ رَأَوْنَ طَرِيقَ الرُّشْدِ فَيُطْرَحُونَ تِلْكَ الْوَسَاسُ. ٢٠٢- وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ... أى أن إخوان المشركين من شياطين الجن و شياطين الإنس، يشجعونهم على الضلال ثُمَّ لَا يُفَصِّرُونَ أَى لَا يكف الشياطين عن الإغواء و لا الضالون عن الغواية. ٢٠٣- وَإِذَا لَمْ تَأْتِيَهُمْ بَآيَةٌ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا ... أى إذا ابطأت عنهم بالمعجزة أو البينة فإنهم يقولون هلا جئتنا بها دون انتظار نزول الوحي عليك قُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّد: إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ مِنْ رَبِّي أَى لَا أَجِءُ بِالْآيَاتِ مِنْ قَبْلِ نَفْسِي، و إنما اتبع وحي الله منزل الآيات و أمره لى هذا بَصَائِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ أَى هذا القرآن الكريم هو دلائل واضحة من الله تبصرون به أمور دينكم وَ هُدًى وَ رَحْمَةٌ أَى دلالة إلى الحق و نعمة في الدنيا و الآخرة لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ أى للذين يصدقون بالله و رسوله. ٢٠٤- وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَ أَنْصِتُوا ... هذا أمر من الله تعالى للناس بالاستماع و الإنصات إلى القرآن عند تلاوته و قد اختلف المفسرون في الوقت الذى أمروا بالإنصات فيه، فقليل إنه في الصلاة خاصة خلف الإمام و قيل غير ذلك لَعَلَّكُمْ تُزَحْمُونَ أى بأمل أن تصيبكم الرحمة لاعتباركم بمواعظ. ٢٠٥- وَ أَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ ... الخطاب هنا للنبي (ص) و المراد به عام و قيل إن المقصود به هو مستمع تلاوة القرآن يذكر ربه في نفسه بالكلام الخفى من التسييح و التكبير و التحميد و التهليل. تَصَرُّعًا وَ خِيفَةً يعنى بدعاء و خشوع و خوف من الله وَ دُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ أى ارفع صوتك قليلا ليكون وسطا بين الإخفات و الجهر البالغ بِالْعُدُوِّ وَ الْأَصَالِ أى بالغدوات و بالعشيات وَ لَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ عَمَّا أَمَرْتُكَ بِهِ مِنَ الذِّكْرِ وَ الدُّعَاءِ. ٢٠٦- إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ ... أى إن الملائكة المقربين مع عظمه خلقهم و سمو شأنهم يعبدون الله خاضعين له وَ يَسْتَبْجُونَهُ يعنى ينزهونه عَمَّا لَا يليق بعظمته وَ لَهُ يَسْجُدُونَ أى يخضعون أو يصلون. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ١٨٢

سورة الأنفال مدنية، عدد آياتها ٧٥ آية

١- يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ ... أى يسألك بعض أصحابك يا محمد عن الأنفال و الأنفال جمع نفل و هو الزيادة على الشيء، و لذلك يطلق النافلة و النفل على التطوع لزيادته على الفريضة، كما تطلق الأنفال على ما يسمى فينا أيضا و هى الأشياء من الأموال التى لا مالك لها من الناس كرؤوس الجبال و بطون الأودية و الديار الخربة و القرى التى باد أهلها و تركه من لا وارث له و غير ذلك، كأنها زيادة على ما ملكه الناس فلم يملكها أحد فهى لله و رسوله- و هى هنا الغنائم التى غنمتها يوم بدر و يطلبون تقسيمها و قيل يسألون عن حكمها فقط. قُلْ يَا مُحَمَّد: الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَ الرَّسُولِ فهى لهما دون غيرهما فَاتَّقُوا اللَّهَ خَافُوهُ وَ لَا تَطْلُبُوا مَا لَيْسَ لَكُمْ. وَ أَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ أى أصلحوا ما وقع بينكم من الخصومة و النزاع، وَ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ رَسُولَهُ أى ارضوا بما أمرتم به فى الأنفال و الغنائم و غيرها إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ إِذَا كُنْتُمْ مُصَدِّقِينَ بِمَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ (ص) عن الله. ٢- إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَ جِلَّتْ قُلُوبُهُمْ ... إن المؤمنين تفرغ قلوبهم عند ذكر الله تعظيما له و خوفا من عقابه وَ إِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا أى إذا قرئت عليهم آيات القرآن زادتهم بصيرة و معرفه فيزداد تصديقهم وَ عَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ أى يفوضون إليه أمورهم. ٣- الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ... قد مر تفسيرها فى أول سورة البقرة. و هذه الصفات الخمس التى اختارها الله للمؤمنين هنا من بين جميع صفاتهم هى على نوعين، فالثلاث الأولى منها هى من أعمال القلوب، و الأخيرتان من أعمال الجوارح. ٤- أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ... يعنى أن المدين تكون صفتهم بحسب ما ذكر فى الآيتين السابقتين، هم المستحقون لهذا الاسم على الحقيقة لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ أى فى الجنة يرتقون إليها بأعمالهم الصالحة. وَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ لذنوبهم وَ رِزْقٌ كَرِيمٌ كبير دائم لا- ينفد. ٥- كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ ... أى كما أخرجك ربك من بيتك أى المدينة بواسطة الوحي، نزح الله الأنفال من أيديهم و أثبتها لله و رسوله. وَ إِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَى

طائفة منهم لكارهون غير راغبين في ذلك الخروج للمشقة التي يتحملونها، وهم ٦- يُجَادِلُونَكُمْ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ أَى يَنَاقِشُونَكُمْ فيما نددتهم إليه من القتال بعد ما عرفوا صدقك. كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ أَى كَانَ هَؤُلَاءِ الْمُجَادِلِينَ كَانُوا بِمَنْزِلَةٍ مِنْ يَسَاقُ إِلَى الْمَوْتِ وَهُوَ يَرَاهُ بَعِينِهِ. ٧- وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ ... أَى اذْكَرُوا إِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ أَنَّ الْعِيرَ الَّتِي تَحْمِلُ تِجَارَةَ قَرِيشٍ أَوْ النْفِيرَ الَّذِي هُوَ جَيْشُ الْمُشْرِكِينَ الَّذِي خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ لِلدِّفَاعِ عَنْهَا تَكُونُ لَكُمْ. وَتَوَدُّونَ تَحْبُونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَهَ تَكُونُ لَكُمْ أَى الْعِيرَ الَّتِي لَا- تَكْلِفُهُمْ حَرْبًا وَتَعْبًا كَانُوا يَرْغَبُونَ بِهَا. وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحَقِّقَ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ يَرِيدُ أَنْ يَظْهَرَ الْحَقُّ بِأَمْرِهِ إِيَّاكُمْ بِالْقِتَالِ لِيُظْفِرَكُمْ عَلَى الْأَعْدَاءِ ذَوَى الشُّوْكَهَ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ يَعْنِي يَسْتَأْصِلُهُمْ. ٨- لِيُحَقِّقَ الْحَقَّ وَيُطِيلَ الْبَاطِلَ ... أَى لِيُظْهِرَ الْإِسْلَامَ وَيُذْهَبَ الْكُفْرُ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ أَى بِرَغْمِ كَرِهِ الْكَافِرِينَ لِذَلِكَ. إِرْشَادُ الْأَذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ١٨٣ ٩- إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ، فَاسْتَجَابَ لَكُمْ ... أَى: وَاذْكُرُوا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ إِذْ كُنْتُمْ تَسْتَجِيرُونَ بِرَبِّكُمْ وَتَطْلُبُونَ مِنْهُ الْغُوثَ قَبْلَ بَدْءِ الْقِتَالِ فِي بَدْرِ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ دَعَاءَكُمْ أَنَّنِي مُمِيتُكُمْ أَى مَرَسَلُكُمْ مَدَدًا بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُزِدِّينَ أَى مُتَبِعِينَ أَلْفًا آخَرَ. وَقِيلَ بَلْ هُمْ أَلْفٌ وَاحِدٌ كَانُوا مُتَبِعِينَ. ١٠- وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ... يَعْنِي أَنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ مَا جَعَلَ ذَلِكَ الْإِمْدَادَ إِلَّا بَشَارَةً لَكُمْ بِالنَّصْرِ وَ لِتَطْمَئِنَّ قُلُوبَكُمْ وَتَسْكُنَ وَمَا النَّصِيرُ إِلَّا مَنْ عِنْدَ اللَّهِ أَى لَمْ يَكُنِ النَّصْرُ فِي الْوَاقِعِ مِنْ قِتَالِكُمْ وَلَا مِنْ قِتَالِ الْمَلَائِكَةِ، وَإِنَّمَا هُوَ مِنْ قَبْلِ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ مَرْمَعَاهُ. ١١- إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسُ أَمَنَةً مِنْهُ ... قَدْ مَرَّ تَفْسِيرُ هَذِهِ الْعِبَارَةِ عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا عِنْدَ الْآيَةِ ١٥٤ مِنْ آلِ عِمْرَانَ. وَيُنَزَّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءٌ أَى مَطَرًا لِيُطَهَّرَكُمْ بِهِ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ سَبَقَهُمُ الْكَفَارُ إِلَى الْمَاءِ، وَأَصْبَحُوا مُحَدَّثِينَ وَمَجْنِبِينَ وَيُذْهِبُ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ أَى وَسْوَستِهِ. وَقِيلَ إِنَّهُ وَسْوَسَ لَهُمْ بِأَنَّهُ لَا طَاقَةَ لَهُمْ بِالْأَعْدَاءِ وَلِيُزِيلَ عَنْ قُلُوبِكُمْ لِيَشَدَّ عَلَيْهَا وَيُشْجِعَكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ أَى لِيَجْعَلَ أَقْدَامَكُمْ ثَابِتَةً لَا تَرْتَوِي فِي الْحَرْبِ، وَقِيلَ إِنَّ الْمَطَرَ جَعَلَ الْأَرْضَ صَلْبَةً تَحْتَ أَقْدَامِهِمْ بَعْدَ أَنْ كَانَتْ رَمْلِيَّةً غَيْرَ صَالِحَةٍ لِلسَّيْرِ عَلَيْهَا فِي وَقْتِ سَبَبِ تَوَحُّلِ الْأَرْضِ الَّتِي أَقَامَ عَلَيْهَا الْمُشْرِكُونَ فَأَرَبَكْتَ تَحْرِكُهُمْ. ١٢- إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنَّنِي مَعَكُمْ ... الْوَحْيُ هُنَا إِلْقَاءُ فِي الْقَلْبِ يَدْرِكُهُ وَتَقْوَى بِهِ النَّفْسُ. فَقَدْ أَلْقَى سَبَّحَانَهُ فِي رُوحِ الْمَلَائِكَةِ: أَنَّنِي مَعِينُكُمْ فَتَبَتُّوا الَّذِينَ آمَنُوا قَوَّوْهُمْ بِالْبَشَارَةِ بِالنَّصْرِ. سَيَأْتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبُ الرُّعْبُ هُوَ الْخَوْفُ الشَّدِيدُ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَغْنَاقِ أَى اضْرِبُوا الرُّؤُوسَ وَالْجَمَاجِمَ الَّتِي تَحْمِلُهَا أَغْنَاقُ الْكَافِرِينَ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ أَوْ أَيُّهَا الْمَلَائِكَةُ. وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ الْبَنَانُ الْأَصَابِعُ فَاضْرِبُوهَا لِتَخْتَلَّ السِّيُوفُ فِي أَيْدِيهِمْ. ١٣- لِيَكُنَّ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ... أَى ذَلِكَ الْعَذَابُ الَّذِي كَتَبْتَهُ عَلَيْهِمْ كَانَ بِسَبَبِ أَنَّهُمْ خَالَفُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَحَارَبُوهُمَا مَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَخَالِفُ أَوْامِرَهُمَا وَيَعْصِيهِمَا إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ يَهْلِكُ الْعَصَاةُ فِي الدُّنْيَا، وَيَخْلُدُهُمْ فِي النَّارِ فِي الْآخِرَةِ. ١٤- ذَلِكَمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ ... أَى هَذَا الَّذِي أَعَدَدْتَهُ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَافِرُونَ مِنَ الْقَتْلِ وَالْإِهْلَاكِ فِي الدُّنْيَا فَذُوقُوهُ فِي الْعَاجِلَةِ، وَإِنْ لَكُمْ فِي الْآجِلَةِ عَذَابُ النَّارِ. ١٥- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفُوا ... هَذَا خُطَابٌ لِلْمُؤْمِنِينَ أَنْ إِذَا التَّقِيْتُمْ مَعَ الْكَافِرِ فِي الْحَرْبِ وَجْهًا لَوْجَهُ وَهُمْ يَدْنُونَ مِنْكُمْ قَلِيلًا قَلِيلًا فَلَا تُؤَلُّوهُمْ الْأَذْبَارَ أَى فَلَا- تَنْهَزُوا أَمَامَهُمْ بَحِثْ تَجْعَلُونَ ظُهُورَكُمْ مِمَّا يَلِيهِمْ. ١٦- وَمَنْ يُؤْلِهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبرُهُ ... أَى وَمَنْ يَدِيرُ لَهُمْ ظَهْرَهُ مِنْهُمْ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَى: إِلَّا مُغْتَرِبًا مَوْقِفَهُ مِنْ حَالِ اسْتِعْدَادٍ إِلَى حَالِ أَفْضَلٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِتْنَةٍ أَى مُنْضِمًّا إِلَى جَمَاعَةٍ مِنْ حَزْبِهِ لِيَسْتَعِينَ بِهِمْ وَيَعِينَهُمْ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ أَى اسْتَحَقَّ غَضَبَ اللَّهِ وَمَا أَوَاهُ جَهَنَّمُ أَى مَرْجِعُهُ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ وَ سَاءَ مَصِيرُهُ ذَاكَ. إِرْشَادُ الْأَذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ١٨٤ ١٧- فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ ... فَقَدْ نَفَى الْقَتْلَ عَنِ الْمُسْلِمِينَ مَعَ أَنَّهُ كَانَ يَرَى أَنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ فَعَلُوهُ بِحَسَبِ الظَّاهِرِ، وَنَسَبَهُ إِلَى نَفْسِهِ جَلٍّ وَعَلَا وَ لَيْسَ بِفَعْلٍ لَهُ لِأَنَّ أَفْعَالَهُ سَبَّحَانَهُ كَانَتْ كَالسَّبَبِ الْمُؤَدَّى لِفَعْلِ الْمُسْلِمِينَ إِذْ أَقْدَرَهُمْ عَلَيْهِ وَأَعَانَهُمْ وَشَجَّعَهُمْ وَأَلْقَى الرُّعْبَ فِي قُلُوبِ أَعْدَائِهِمْ. وَقَدْ قَالَ لَنَبِيِّهِ (ص): وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى فَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُهُ أَنَّ جِبْرَائِيلَ (ع) قَالَ لِلنَّبِيِّ (ص): خُذْ قَبْضَةً مِنْ تَرَابِ فَارْمَهُمْ بِهَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) لَمَّا التَقَى الْجَمْعَانِ لَعَلِّي: أَعْطَنِي قَبْضَةً مِنْ حَصَى الْوَادِي، فَنَاولَهُ كَفًّا مِنْ حَصَى عَلَيْهِ تَرَابٌ، فَرَمَى بِهِ فِي وَجْهِ الْقَوْمِ وَقَالَ: شَاهَتِ الْوُجُوهَ، فَلَمْ يَبْقَ مُشْرِكٌ إِلَّا دَخَلَ فِي عَيْنِهِ وَفَمِهِ وَ مَنْخَرِيهِ مِنْهَا شَيْءٌ، ثُمَّ رَدَفَهُمُ الْمُؤْمِنُونَ يَقْتُلُونَهُمْ وَيَأْسِرُونَهُمْ. وَلِيُثْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءٌ حَسِينًا أَى لِيَنْعَمَ بِذَلِكَ

على المؤمنين نعمه حسنة. إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ مر معناه. ١٨- ذَلِكَ ... إشارة إلى بلاء المؤمنين وَ أَنَّ اللَّهَ مُوهِنٌ كَثِيرٌ الْكَافِرِينَ أى مضعف مكرهم. ١٩- إِنْ تَشَيْتُمْ تَفْتَحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ ... إِنْ تَطْلُبُوا النَّصْرَ- أيها المشركون- لإحدى الفئتين فقد جاءكم نصر محمد (ص) وأصحابه. وَ إِنْ تَنْتَهُوا أى تتركوا الكفر و تمتنعوا من قتال الرسول و المؤمنين فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ، وَ إِنْ تَعُودُوا إلى قتال المسلمين نَعِدْ إِلَى نَصْرِهِمْ عَلَيْكُمْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِتْنَتُكُمْ شَيْئًا أى لا تدفع عنكم جماعتكم شيئا من القتل وَ لَوْ كَثُرَتْ جماعتكم وَ أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ يحفظهم و ينصرهم. ٢٠- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ لَا- تَوَلَّوْا عَنْهُ ... أى: و لا- تنصرفوا عنه و تعرضوا وَ أَنْتُمْ تَشِيعُونَ تصغون إلى دعائه (ص) و أمره و نهيه لكم. ٢١- وَ لَا- تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَ هُمْ لَا- يَسْمَعُونَ ... فلا تكونوا أيها المؤمنون أمثال هؤلاء المنافقين الذين يسمعون بآذانهم و لا تعي قلوبهم. ٢٢- إِنْ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ... أى: أن الصم البكم أسوأ من دب على وجه الأرض من المخلوقات إنسانا و حيوانا. ذلك أنهم لا ينتفعون بما يسمعون من الحجج و البراهين، و لا- يتبعون الحق و لا- يقرّون به. ٢٣- وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ ... أى لو علم فيهم قبولا- للهدى و الإذعان للحق لجعلهم يسمعون و يعون وَ لَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَ هُمْ مُعْرِضُونَ أى لو فعل ذلك لأعرضوا عن القول. ٢٤- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ ... أى أجيبوهما فيما يأمران به، و إجابتهما هى طاعتهما فيما يدعوان إليه من اتباع الحق. إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ أى إذا ندبكم لما فيه حياتكم و سعادتكم من الجهاد أو الإيمان أو القرآن أو الجنة و اَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ أى يحجز بين الإنسان و بين الانتفاع بقلبه بالموت فلا يقدر على استدراك ما فاته من الطاعات. وَ أَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ أى تجمعون إليه. ٢٥- وَ اتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ... أى احذروا من بلاء قد يصيبكم جميعا حين يصيب الذين ظلموا أنفسهم و لا يختص بالظالمين دون غيرهم إذا حلّ و وقع. و قيل بأن الفتنة هنا العذاب و إن الله أمر المؤمنين أن يتجنبوا المنكر لئلا يعمهم العذاب. وَ اَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ عقابه قوى ثقيل على من لم يتجنب المعاصى. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ١٨٥ ٢٦- وَ اذْكُرُوا ... أى لا تسهوا أيها المهاجرون إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ عِدَّةٌ كُمْ فى ابتداء الدعوة مُسْتَضْعَفُونَ بنظر أعدائكم يرون أمركم هينا فالاستضعاف: عدّ الشئ ضعيفا بتوهين أمره. فى الأرض أى فى مكة تَخَافُونَ تخشون أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ يستلبكم المشركون و التخطف و الخطف و الاختطاف: أخذ الشئ بسرعة انتزاع. فَأَوَّاكُمْ أى جعل الله لكم مأوى بالمدينة وَ أَيْدِكُمْ بِنَصْرِهِ قَوَّاهُمْ من الأيد: و هو القوة وَ زَرَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أى أعطاكم النعم الهنيئة اللذيذة، و قيل الغنائم لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ لكى تشكروا لله. ٢٧- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحُونُوا اللَّهَ وَ الرَّسُولَ وَ تَحُونُوا أَمَانَتَكُمْ ... المعنى لا تنقصوا ما أوجب الله عليكم من طاعته و طاعة رسوله و لا تمنعوا حقا أوجب الله تأديته وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أى تعرفون ما فى الخيانة من الذم و القبح و العقاب. قال الراغب: الخيانة و النفاق واحد، إلّا أن الخيانة تقال اعتبارا بالعهد و الأمانة، و النفاق يقال اعتبارا بالدين، ثم يتداخلان، فالخيانة مخالفة الحق بنقض العهد فى السر، و نقيض الخيانة: الأمانة، يقال: خنت فلانا و خنت أمانة فلان. ٢٨- وَ اَعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ... أى و اعرفوا يقينا أن أموالكم و أولادكم بليّة عليكم اختبركم الله سبحانه بها وَ اَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ أى ثواب كثير لمن أطاعه و قدّم ذلك على ماله و أولاده. ٢٩- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا ... هذا خطاب للمؤمنين يفيد بأنهم إذا تجنبوا معاصى الله سبحانه و أدّوا فرائضه و ائتمروا بأوامره و انتهوا عن نواهيه فسوف يجعل الله لهم فُرْقَانًا نورا فى قلوبكم يجعلكم تفرّقون به بين الحق و الباطل وَ يَكْفُرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ يمحوها وَ يَغْفِرْ لَكُمْ يعفو عن ذنوبكم وَ اللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ أى صاحب الإنعام الكبير على خلقه. ٣٠- وَ إِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا ... أى اذكر يا محمد إِذْ يَسْتَعْمِلُ الْكَفَّارَ مَعَكَ احتيالهم و مكائدهم و ذلك لِيُثْبِتُوكَ أى ليربطوك بالوفاق أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ من مكة إلى أطراف البلاد وَ يَمْكُرُونَ هذا المكر وَ يَمْكُرُ اللَّهُ أى يدبر جزاء عملهم السيئ معك. وَ اللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ لأن مكره حقّ يأتى جزاء على مكر باطل. قال الراغب: المكر: صرف الغير عما يقصده بحيلة، و ذلك ضربان: ضرب محمود، و ذلك أن يتحرى به فعل جميل و على ذلك قال الله: و الله خير الماكرين. و مذموم و هو أن يتحرى به فعل قبيح قال: و لا يحق المكر السيئ إلا بأهله ... ٣١- وَ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا ... أى إذا قرئت على هؤلاء الكفار آياتنا التى فى القرآن قالوا قد أدركناه بآذاننا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا

أى لو أردنا لأنشأنا مثل هذه الآيات. إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ أى أن القرآن أحاديث الماضين تتلوها علينا. ٣٢- وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ ... واذكر يا محمد قول هؤلاء الكفار: اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا الذى جاء به محمد هو الحق مِنْ عِنْدِكَ و ليس ما نحن عليه فَاَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابَةً مِنَ السَّمَاءِ كالذى فعلته بقوم لوط و أصحاب الفيل أو ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ أى شديد الألم. ٣٣- وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ... والمعنى أنه تعالى لم يكن ليعذب كفار مكة عذاب استئصال ما زال النبی (ص) مقيما بينهم لأنه رحمه للعالمين وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبُهُمْ وَهُمْ يَشْتَغِبُونَ أى أنه لا يعذبهم بعد خروجك من بينهم وفيهم مؤمنون يستغفرون. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ١٨٦ ٣٤- وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ .. أى و لم لا- يعذبهم الله و الاستفهام هنا بمعنى الإنكار أو التعجب. و المراد بالعذاب: العذاب بالقتل أو ما هو الأعم منه على ما يفيد السياق باتصال الآية بالآية التالية. وَهُمْ يَصُدُّونَ أى يمنعون و الجملة حال من ضمير: يعذبهم. عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَوْلِيَاءَهُ الْحَقِيقِينَ؟ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ أى المشركون ما كانوا أولياء المسجد الحرام و هو حال عن ضمير: يصدون. إِنَّ أَوْلِيَاءَهُ أى ليس أولياؤه بالحق إِلَّا الْمُتَّقُونَ الذين يخافون سخط الله. وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ يجهلون حقيقة هذه الولاية و المسجد الحرام. ٣٥- وَمَا كَانَ صِلَاؤُهُمْ عِنْدَ النَّبِيِّ إِلَّا مُكَاءٌ وَتَصْدِيَةٌ ... المكاء: الصفير، أما التصديّة: فهى التصفيق و ضرب اليد على اليد، فصلاة المشركين كانت صفيرا و تصفيقا يفعلونها و هم يطوفون حول بيت الله الحرام عراء، فَذُوقُوا الْعَذَابَ عَذَابَ الْقَتْلِ و عذاب الآخرة بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ بسبب كفركم. و فى هذا بيان إنجاز العذاب الموعد لهم بقرينة التفریع بالفاء. ٣٦- إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ... يصرفونها فى بدر و غيرها لِيَصُدُّوا أى يمنعوا الناس عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ عن طريق الحق و دين الله فَسَيُنفِقُونَهَا سَيَصْرِفُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً أى: لا ينتفعون بصرفها و يتحسرون عليها لأنها لا تحقق لهم الهدف المطلوب لهم ثُمَّ يُغْلَبُونَ فى الحرب أمام المسلمين وَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ أى يجمعون فيها. و يكون ما يأتون به فى الدنيا من التجمع على الشر و الخروج إلى محاربة الله و رسوله بحذاء خروجهم محشورين إلى جهنم يوم القيامة. ٣٧- لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ... أى يفعل الله ذلك ليميز نفقة المؤمنين من نفقة الكافرين و الخباثة و الطيب معيان متقابلان و يَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ من نفقاتهم التى تحدت عنها فَيَرْكُمُهُ أى يكدسه فالركم: جمع الشئ فوق الشئ، و منه: سحاب مركوم: أى مجتمع الأجزاء بعضها إلى بعض و مجموعها، و تراكم الأشياء: تراكب بعضها بعضا. جَمِيعاً كُلَّهُ فى الآخرة فَيَجْعَلُهُ فى جَهَنَّمَ فيعاقبهم به، أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ لأنهم اشتروا بأموالهم عذاب الجحيم. ٣٨- قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ ... قل يا محمد لهؤلاء الكافرين: إِنْ يَتُوبُوا عَمَّا يَفْعَلُونَ مِنَ الشَّرِّ و الحرب تغفر لهم ما مضى من ذنوبهم و إِنْ يَعُودُوا إِلَى حَرْبِكَ و شركهم فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ أى فقد سبق ما قضى الله سبحانه به من نصر المؤمنين على الكافرين. و قد أمر النبی (ص) أن يبلغهم ذلك و فى معناه تطميع و تخويف، و حقيقته دعوة إلى ترك القتال و الفتنة ليغفر الله لهم بذلك ما تقدم من قتلهم و إيدائهم للمؤمنين، فإن لم ينتهوا عما نهوا عنه فقد مضت سنة الله فى الأولين منهم بالإهلاك و الإبادة و خسران السعى. ٣٩- وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ... أمر بمقاتلة الكافرين حتى لا يبقى شرك و يَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ أى ليجتمع أهل الإيمان و أهل الكفر على الدين الحق فَإِنْ أَنْتَهُوا عَنِ الْكُفْرِ فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ و سيجازيهم بأعمالهم مجازاة البصير بها. ٤٠- وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ ... أى إذا انصرفوا عن طاعة الله، فاعلموا أيها المؤمنون أن الله هو ناصركم نِعَمَ الْمُؤَلَى هو وَ نِعَمَ النَّصِيرِ لأنه ينصر المؤمنين على أعدائهم و يعينهم على طاعته. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ١٨٧ ٤١- وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ ... أى و اعرفوا جيدا أيها المسلمون أنه مهما كسبتم من أموال أهل الحرب من الكفار قال الراغب: و الغنم: بالضم فالسكون، إصابته و الظفر به، ثم استعمل فى كل مظفور به من جهة العدى و غيرهم، قال: و اعلموا أنما غنمتم من شئ، فكلوا مما غنمتم حلالا- طيبا، و المغنم، ما يغنم، و جمعه مغنم، قال: فعند الله مغنم كثيرة. فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَ لِلرَّسُولِ وَ لِذِي الْقُرْبَى وَ الْيَتَامَى وَ الْمَسَاكِينِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ أى فاعلموا أن لله خمسه. و الخمس يفرز جزءا منه من خمسة أجزاء و يقسم حسب نص الآية الشريفة، و قد ذهب أصحابنا إلى تقسيمه على ستة أسهم: سهم لله، و سهم للرسول، و سهم لذوى القربى من آل محمد، فتصير ثلاثة أسهم خاصة بالإمام القائم مقام رسول الله (ص) و سهم ليتامى آل محمد (ص) و سهم لمساكينهم، و سهم لأبناء

www.noorfatemah.org

عذاب النار في الآخرة. ٥١- ذَلِكَ ... أى ذلك الضرب والعقاب حين الموت وفي الآخرة، صرتم مستحقين له بما قَدَمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ بما فعلتم باختياركم وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ يعاقبهم على قدر استحقاقهم. ٥٢- كَذَابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ... الدأب هو العادة والطريقة والحال، أى أن حال الكفار الذين تكلم عنهم، كحال آل فرعون ومن سبقهم في تكذيب الرسل كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ جحدوا حججه فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ أى فعاقبهم بِذُنُوبِهِمْ بعضيائهم إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ قَادِرٌ لا يستطيع أحد منع عقابه لو وقع شَدِيدُ الْعِقَابِ لمن استحقه. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ١٨٩ ٥٣- ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً ... أى ذلك الذى ذكره سبحانه من أخذ الكفار وعقابهم، يدل على أنه جلّ وعلا عن تغيير نعمة أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ أى بسطها لهم حَتَّى يُعَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ أى يتحولوا عما هم عليه. وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ مر معناه. ٥٤- كَذَابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ... أى أن عادة هؤلاء الكفار وطريقتهم كعادة آل فرعون ومن سبقهم من المنافقين الذين كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ أى بحججه فَأَهْلَكْنَاهُمْ استأصلناهم بسبب ذنوبهم معاصيهم وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ فِي الْبَحْرِ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ أى أن جميع من أهلكناهم على هذا الشكل كانوا ظالمين لأنفسهم فاستحقوا الإهلاك. ٥٥- إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا ... بين سبحانه أن شر من يدب على الأرض ويتحرك هم الذين كفروا به و برسله وبآياته، فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ لَا يَصَدِّقُونَ به ولا برسله و كتبه. ٥٦- الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنْهُمْ ثُمَّ يَقْضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ ... أى من جملة الكفار هؤلاء الذين عاهدتهم- وهم يهود بنى قريظة ثم يخونون العهد كلما عاهدتهم وكان (ص) قد كرر معاودتهم و كرروا الخيانه. وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ لَا يَتَجَنَّبُونَ نقض العهود ولا يخافون عذاب الله. ٥٧- فَإِذَا تَقَفَّيْتُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ ... أى إذا ظفرت بهم وانتصرت عليهم فشتتهم بما توقعه بهم من القتل مَنْ خَلَفَهُمْ من يمشى على خطاهم بنقض عهودك حتى يخافوا لَعَلَّهُمْ يَدَّكُرُونَ كى يروعوا ويمتنعوا عن خيانه. ٥٨- وَإِذَا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً ... أى إذا خفت يا محمد من خيانه قوم بينك وبينهم عهد فَاذْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ أى فانقض العهد معهم كما نقضوه ودع ما شرطت لهم لتكون وإياهم مستويين فى نقض العهد. إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ أى يكره ناكثي العهود. ٥٩- وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ... لا تظنن يا محمد أن أعداءك من الكافرين قد أصبحوا خارج قبضة يدك وسبقوا أمر الله بل إنه سبحانه وتعالى سيطفرك بهم وينصرك عليهم. ٦٠- وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ... أى وأعدوا للمشركين ما قدرتم عليه مما تتقوون به من مقاتلين ومن آلات للحرب. وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ أى اقتنوا الخيل و اربطوها و هيئوها للغزو تُرْهِبُونَ تَخَوُّفُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ أى مشركى مكة و كفار العرب وَ آخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ يعنى و ترهبون أعداء و كفارا غيرهم من المنافقين الذين لا تَعْلَمُونَهُمْ أى لا تعرفونهم لأنهم بين ظهرائكم اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ يعرفهم لأنه مطلع على ما فى ضمائرهم، وَمَا تَنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أى ما تبدلونه فى طاعته و جهاد أعدائه يُؤَفِّ إِلَيْكُمْ تعطون ثوابه كافيا وَأَنْتُمْ لَا تَظْلُمُونَ لا تنقصون شيئا. ٦١- وَإِنْ جَاءَحُوا لِلْسَّلَامِ فَأَجْزَحْ لَهَا ... الخطاب للنبي (ص) أى إذا مالوا إلى ترك القتال فمل أنت إليه وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَوْضَ أَمْرِكَ إِلَيْهِ ف إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ مر معناه. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ١٩٠ ٦٢- وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ ... أى إذا أراد الذين يطلبون منك الصلح أن يقصدوا بطلبهم تفريق أصحابك حتى يأخذوكم على حين غرة و يقاتلونكم وأنتم على غير استعداد، فَإِنَّ اللَّهَ يَتَوَلَّى كَفَايَتَكُمْ أمرهم، هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِنَصْرِهِ وَ بِالْمُؤْمِنِينَ أى قواك على الظفر من أعدائك بالمؤمنين. ٦٣- وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ... أى قرب و جمع قلوبهم على هدف واحد، لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ أى لو بذلت كل وسيلة ممكنة لما قدرت على إزاله ما بينهم من ضغائن وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ أى جمعهم على الإيمان إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ مر معناه. ٦٤- يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ... خطاب للنبي (ص) أى أن الله حسبك و حسب من وافقك من المؤمنين على الجهاد أى أنه تعالى يكتفيكم و يقيكم شرور الكافرين و الكلام مسوق للتحريض على القتال على ما يفيد: السياق و القرائن الخارجية، فَإِنْ تَأَثَّرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي كَفَايَتِهِمْ له (ص) إنما هو بالقتال على ما يتبادر إلى الذهن. ٦٥- يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ ... التحريض: هو الحثّ و الحُضُّ. أى رغبهم فى الجهاد إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ على الحرب و القتال يَغْلِبُوا مَائَتِينَ مِنْ أَعْدَائِكُمْ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا يقهروهم بسبب بَأْتِهِمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ أى لا يدركون أمر الله و لا تستوعبه

أَفْهَمَهُمْ. وَ الْفَقْهَ: أَبْلَغَ وَ أَغْزَرَ مِنَ الْفَهْمِ. وَ فَقْدَانِ الْفَقْهَ فِي الْكُفَّارِ، وَ بِالْمُقَابَلَةِ ثُبُوتُهُ فِي الْمُؤْمِنِينَ هُوَ الَّذِي أَوْجِبَ أَنْ يَعْدَلَ الْوَاحِدَ مِنْ الْعَشْرِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَكْثَرَ مِنَ الْعَشْرَةِ مِنَ الْمَائَتِينَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا حَتَّى يَغْلِبَ الْعَشْرُونَ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمَائَتِينَ مِنْ أَوْلَئِكَ عَلَى مَا بَنَى عَلَيْهِ الْحُكْمَ فِي الْآيَةِ، لِأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّمَا يَقْدُمُونَ فِيمَا يَقْدُمُونَ عَنْ إِيْمَانٍ بِاللَّهِ وَ هُوَ الْقُوَّةُ الَّتِي لَا يُمْكِنُ لِقُوَّةَ أَنْ تَقِفَ فِي وَجْهَهَا. ٦٦-
الْمَنْ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ ... الْآنَ: يَعْنِي فِي هَذَا الْوَقْتُ. وَ الْمَعْنَى: أَنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ لَمَّا عَلِمَ أَنَّ الْأَمْرَ يَشَقُّ عَلَيْكُمْ، خَفَّفَ عَنْكُمْ الْحُكْمَ فِي الْجِهَادِ مِنْ وَجُوبِ ثَبَاتِ الْوَاحِدِ لِلْعَشْرَةِ مِنَ الْكُفَّارِ إِلَى وَجُوبِ ثَبَاتِ الْوَاحِدِ لِلْإِثْنَيْنِ فَقَطْ مِنَ الْكُفَّارِ وَ عَلِمَ أَنَّ فَيْكُمْ ضَعْفًا فِي الْعَزِيمَةِ وَ التَّبَصُّرِ فَإِنَّ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ عَلَى الْجِهَادِ وَ الْقِتَالِ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ مِنْ أَعْدَائِهِمْ وَ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِنْ الْأَعْدَاءِ أَلْفَيْنِ، بِإِذْنِ اللَّهِ أَيْ بِأَمْرِهِ وَ عِلْمِهِ. وَ اللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ أَيْ أَنَّ مَعُونَةَ اللَّهِ مَرْصُودَةٌ لِلثَّابِتِينَ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ. ٦٧- مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَشِيرَى ... أَيْ لَيْسَ لِأَيِّ نَبِيٍّ حَقٌّ فِي أَنْ يَتَّخِذَ أُسْرَى مِنْ مُحَارِبَتِهِ الْمَشْرُكِينَ لِيَفْدِيَهُمْ ذَوُوهُمْ أَوْ لِيَمُنَّ هُوَ عَلَيْهِمْ حَتَّى يُثَخِّنَ فِي الْأَرْضِ أَيْ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَبَالِغَ فِي قَتْلِ الْمَشْرُكِينَ وَ قَهْرِهِمْ، تُرِيدُونَ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، عَرَضَ الدُّنْيَا وَ هُوَ مَالُهَا وَ مَا يَعْرِضُ فِيهَا مِمَّا هُوَ زَائِلٌ وَ اللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ أَيْ يَرِيدُ لَكُمْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ وَ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ مَرَّعًا. ٦٨- لَوْ لَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ ... أَيْ: لَوْ لَا حُكْمٌ أَوْ قَضَاءٌ سَبَقَ مِنْهُ سَبَّحَانَهُ قِيلَ: هُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: «مَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَ أَنْتَ فِيهِمْ» وَ قِيلَ غَيْرَ ذَلِكَ. لَمَسَّكُمْ لِأَصَابِكُمْ. فِيمَا بِسَبَبِ مَا أَخَذْتُمْ مِنَ الْأُسْرِ. عَذَابٌ عَظِيمٌ أَيْ شَدِيدٌ. ٦٩- فَكُلُّوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا ... أَيْ أُيِّحَ لَكُمْ أَكْلُ مَا أَخَذْتُمُوهُ غَنِيمَةً مِنْ أَمْوَالِ الْأَعْدَاءِ الَّذِينَ قَاتَلْتُمْكُمْ وَ اتَّقُوا اللَّهَ بَتَجَنَّبِ الْمَعَاصِيَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ مَرَّعًا. إِرْشَادُ الْأُذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ١٩١ ٧٠- يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَشِيرَى ... هَذَا خُطَابٌ لِلنَّبِيِّ (ص) بِأَنْ يَقُولَ لِأُسْرَى بَدْرٍ: إِنَّ يَعْْلَمَ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا أَيْ لَوْ عَلِمَ أَنَّ عِنْدَكُمْ صِلَاحًا وَ رَغْبَةً فِي الْإِيْمَانِ يُؤْتِكُمْ خَيْرًا أَيْ أَفْضَلَ مِمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ مِنَ الْفِدَاءِ وَ يَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ مَرَّعًا. ٧١- وَ إِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ ... أَيْ إِذَا أَرَادَ الْأُسْرَى الَّذِينَ أَطْلَقْتَهُمْ يَا مُحَمَّدُ، أَنْ يَخُونُوا الْعَهْدَ مَعَكُمْ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ، بِالتَّعْدَى عَلَى سَنَنِ مَنْ قَبْلَ بَشَرِكُمْ وَ بِخُرُوجِهِمْ لِقِتَالِكُمْ فِي بَدْرٍ مَعَ الْمَشْرُكِينَ، فَأَمَّا مَنْ مِنْهُمْ أَيْ فَأَمَّا مَنْ كَانَ جِهَادُهُمْ بِأَمْوَالِهِمْ الَّتِي بَذَلُوهَا وَ أَنْفُسِهِمْ الَّتِي أَرْخَصُوهَا فِي ظَهْرِهِمْ وَ مَا يَبْتَغُونَ حَكِيمٌ فِي فِعْلِهِ. ٧٢- إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ هَاجَرُوا وَ جَاهَدُوا ... فَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ بِكُلِّ مَا يَجِبُ الْإِيْمَانُ بِهِ، وَ هَاجَرُوا مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَ قَاتَلُوا الْعَدُوَّ وَ تَحَمَّلُوا الْمَشَاقَّ، وَ كَانَ جِهَادُهُمْ بِأَمْوَالِهِمْ الَّتِي بَذَلُوهَا وَ أَنْفُسِهِمْ الَّتِي أَرْخَصُوهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فِي طَرِيقِ طَاعَتِهِ وَ كَذَلِكَ الَّذِينَ آوَوْا أَيْ اسْكَنُوا الرِّسُولَ (ص) وَ الْمُهَاجِرِينَ إِلَيْهِمْ بِالْمَدِينَةِ فِي بُيُوتِهِمْ، وَ هُمُ الْأَنْصَارُ وَ نَصَرُوا الرِّسُولَ (ص) وَ الْمُهَاجِرِينَ مَعَهُ عَلَى أَعْدَائِهِمْ، فَ أَوْلَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ أَيْ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِنَصْرِهِ بَعْضٌ وَ إِنْ لَمْ تَرْبِطْهُمْ قَرَابَةُ نَسَبٍ وَ قِيلَ بِالتَّوَارِثِ وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ لَمْ يَهَاجِرُوا مَعَكُمْ إِلَى الْمَدِينَةِ مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يَهَاجِرُوا أَيْ لَيْسَ لَكُمْ مِنْ مِيرَاثِهِمْ شَيْءٌ حَتَّى يَهَاجِرُوا إِلَيْكُمْ، فَإِنَّ الْمِيرَاثَ كَانَ مُنْقَطِعًا فِي ذَلِكَ الْوَقْتُ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَ غَيْرِهِمْ. وَ إِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ طَلَبُوا مُسَاعَدَتَكُمْ عَلَى حَرْبِ الْكُفَّارِ فَاعْلَيْكُمْ فَيَجِبُ عَلَيْكُمْ النَّصْرُ لَهُمْ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ يَعْنِي انصَرَوْهُمْ فِي الدِّينِ، إِلَّا إِذَا اسْتَعَانُوا بِكُمْ عَلَى قَوْمٍ مِنَ الْمَشْرُكِينَ يَرْبِطُكُمْ بِهِمْ عَهْدٌ أَوْ أَمَانٌ يَجِبُ فِيهِ الْوَفَاءُ بِهِ فَلَا تَنْصَرُوهُمْ عَلَيْهِمْ لِأَنَّ ذَلِكَ نَقْضٌ لِلْعَهْدِ وَ هُوَ مُحَرَّمٌ وَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ أَعْمَالُكُمْ. ٧٣- وَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِبَعْضِهِمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ... أَيْ أَنَّ الْكَافِرِينَ بَعْضُهُمْ نَاصِرٌ بَعْضٍ، وَ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِمِيرَاثِ بَعْضٍ، إِلَّا تَفْعَلُوهُ أَيْ إِلَّا تَفْعَلُوا مَا أَمَرْتُمْ بِهِ فِي الْآيَتَيْنِ السَّابِقَتَيْنِ تَكُنْ فِتْنَةً فِي الْأَرْضِ وَ فُسَادٌ كَبِيرٌ أَيْ: يَحْصُلُ بَلَاءٌ وَ مُحَنَةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ لَمْ يَهَاجِرُوا خَاصَّةً، فَقَدْ يَمِيلُوا إِلَى الضَّلَالِ. وَ الْفُسَادُ الْكَبِيرُ: هُوَ ضَعْفُ الْإِيْمَانِ، أَوْ الْحُرُوبُ وَ سَفْكَ الدِّمَاءِ. ٧٤- وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ هَاجَرُوا وَ جَاهَدُوا ... أَيْ الَّذِينَ صَدَّقُوا رَسُولَ اللَّهِ (ص) بِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَ أَيقِنُوا بِوُجُودِ اللَّهِ وَ وَحْدَانِيَّتِهِ، وَ تَرَكَوا دِيَارَهُمْ فَرَارًا بِدِينِهِمْ وَ حَارَبُوا مَعَهُ (ص) أَوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا هُمُ الْمَصْدُقُونَ فِعْلًا، قَوْلًا وَ عَمَلًا، لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ رِزْقٌ كَرِيمٌ أَيْ تَجَاوَزَ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ، وَ رَزَقَ وَاسِعًا لَا يَنْغُصُهُ شَيْءٌ، وَ قِيلَ هُوَ طَعَامُ الْجَنَّةِ. ٧٥- وَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ ... أَيْ الَّذِينَ آمَنُوا بَعْدَ فَتْحِ مَكَّةَ، وَ هَاجَرُوا إِلَى النَّبِيِّ (ص) بَعْدَ هَجْرَتِكُمْ الْأُولَى وَ جَاهَدُوا مَعَكُمْ فَقَاتَلُوا الْكُفَّارَ وَ الْمَشْرُكِينَ بِجَانِبِكُمْ فَأَوْلَئِكَ مِنْكُمْ فَهُمْ مِنْ جَمَلَتِكُمْ إِيْمَانًا وَ هَجْرَةً وَ جِهَادًا وَ حُكْمًا فِي الْمَوَالَاةِ وَ الْمِيرَاثِ وَ النَّصْرَةِ وَ أَوْلُوا الْأَرْحَامَ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ أَيْ أَنَّ أَهْلَ الْقَرَابَةِ

بعضهم أحق بميراث بعضهم من غيرهم. وهذا ينسخ التوارث السابق بالمعاقدة والهجرة و سائر الأسباب كالمؤاخاة وغيرها، في كتاب الله أى فى اللوح المحفوظ، أو كما فضّل فى القرآن لأبواب الإرث. إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ مر معناه. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ١٩٢

سورة التوبة مدنية، و عدد آياتها ١٢٩ آية

١- بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ... ختم سبحانه سورة الأنفال بوجوب البراءة من المشركين، ثم افتتح هذه السورة بأنه و رسوله بريئان منهم. و البراءة انقطاع العصمة، فيا محمد و يا أيها المسلمون، تبرأوا ممن بينكم و بينهم عهود منهم فالله قد حرّم إعطاءهم العهود و الوفاء لهم بها. ٢- فَسَيَحْضُوا فِي الْمَارِضِ ... أى سيروا فيها بأمان أيها المشركون أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ فإذا انقضت و أصررتهم على الشرك فلا أمان بعدها و اَعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ أى لا تفوتونه و أَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ أى مبعدهم و مهينهم. و قد أجمع المفسرون على أنه لما نزلت سورة براءة بعث (ص) أبا بكر ليلبغها إلى الناس فى الحج فلما كان فى ذى الحليفة نزل جبرائيل (ع) عليه (ص) و قال له: يا محمد لا يبلغ عنك إلا أنت أو رجل منك، فبعث (ص) عليا (ع) خلف أبى بكر فأخذها منه و قرأها على على الناس. و عندها قال أبو بكر: هل نزل فى شىء؟ فأخبره (ص) خبر جبرائيل (ع) ٣- وَ أَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ ... أى و إعلام للناس من الله و رسوله فى نداء يوجهه إليهم يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ يوم عرفه و الحج الأصغر ما ليس فيه وقوف بعرفة و هو العمرة. و قيل يوم النحر هو يوم الحج الأكبر. أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ أى نازع عصمة عهودهم، و كذلك رَسُولُهُ بَرِيءٌ مِنْهُمْ أيضا. فَإِنْ تَبَيَّنَ أيها المشركون عن الشرك فى هذه المدة فَهَوْ خَيْرٌ لَكُمْ من بقائكم على شرككم و إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أى انصرفتم عن الإيمان فَاَعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ لا تفوتونه فى الدنيا وَ بَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ أى أخبرهم يا محمد بأن لهم عذابا موجعا فى الدنيا و الآخرة. ٤- إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُواكُمْ ... استثنى سبحانه من البراءة من كان بيده عهد من النبى (ص) و لم ينقضه و لم تنقض مدته و لم يسقطوا من شروط عهدهم شيئا و لَمْ يَظْهَرُوا أى لم يعاونوا عَلَيْكُمْ أيها المؤمنون أحداً من أعدائكم. فَأَتِمُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ أى إلى انقضاء وقت عهودهم إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ المتجبنين نقض العهود التى يعطونها. ٥- فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ ... قيل: إذا انقضت الأشهر الحرم المعروفة و هى رجب و ذو القعدة و ذو الحجة و المحرم و قيل قصد بها الأشهر التى عنتها الآية الشريفة فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ وَ ضَعُوا السِّيفَ فِيهِمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ فى أى مكان من الحلّ و الحرم و فى الأشهر الحرم وغيرها. وَ خُذُوهُمْ بِالْعَنَفِ وَ الْقَتْلِ وَ اخْصِرُوهُمْ أى احبسوهم و استرقوهم و امنعوهم دخول مكة و التصرف فى سائر بلاد الإسلام وَ اقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ أى ارصدوهم فى كل طريق فَإِنْ تَابُوا أى رجعوا عن الكفر وَ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَ آتَوْا الزَّكَاةَ أى رضوا و قبلوا بذلك و عملوه فَخَلَّوْا سَبِيلَهُمْ أطلقوهم يتصرفون كأحدكم فى البلاد المسلمة إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ مر معناه. ٦- وَ إِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ ... أى إذا طلب منك يا محمد أحد من المشركين أمانا من القتل فَأَجِرْهُ فَأَمْنُهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ فيصلغى لدعوتك و يتدبر آيات القرآن ثُمَّ أَلْبِغْهُ مَأْمَنَهُ أى أوصله إلى حيث يأمن عند قومه إذا هو لم يسلم بعد ذلك و لا تغدر به ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ يعنى أن هذا الأمان منحاهم إياه بسبب أنهم قوم لا يفقهون دلائل الإيمان. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ١٩٣ ٧- كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَ عِنْدَ رَسُولِهِ ... أى كيف يكون لهم عهد محترم و هم أهل نقض و نكث للعهود؟ و الاستفهام للإنكار. إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَلَهُمْ عَهْدٌ لَأَنَّهُمْ لَمْ يَخُونَكُمْ و لا أضمرُوا الغدر بك. فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ أى فما ثبتوا لكم على العهد فاثبتوا لهم و ذلك أن الاستقامة لمن استقام و السلم لمن يسالم من لوازم التقوى و لذلك علل قوله ذلك بقوله: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ الذين يتجنبون نكث العهود. ٨- كَيْفَ وَ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا و لا ذِمَّةً ... أى كيف يكون لهم عهد، و كيف لا تقتلونهم و هم- لو غلبوكم- لا يراعون فيكم عهدا و لا قرابة و هى الإل. قال الراغب: الإل: كل حالة ظاهرة من عهد حلف، و قرابة تثل: تلمع فلا يمكن إنكاره ... و ألّ الفرس: أسرع، حقيقته لمع، و ذلك استعارة فى باب الإسراع، نحو برق و طار. يُزْضَوْنَكُمْ

بِأَفْوَاهِهِمْ أَى يَتَكَلَّمُونَ كَلَامَ الْمُحِبِّينَ وَ هُوَ الْكَلَامُ الْمَدْلَسُ وَ الْقَوْلُ الْمَزُوقُ الْمُنَمَّقُ. لَتَرْضَوْا عَنْهُمْ وَ تَأْبَى قُلُوبُهُمْ تَرْفُضُ كُل شَيْءٍ إِلَّا عِدَاوَتَكُمْ وَ أَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ مَمْعُونُونَ فِي الشَّرْكِ وَ الْعِنَادِ. وَ فِيهِ بَيَانٌ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ نَاقِضُونَ لِلْعَهْدِ وَ الْمِيثَاقِ بِالْفِعْلِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْتَظِرُوا ظُهُورَهُمْ جَمِيعًا عَلَيْكُمْ، فَالْآيَةُ تَوْضِيحُ حَالِ أَحَادِهِمْ وَ جَمِيعِهِمْ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ فَاسِقُونَ بِنَقْضِ الْعَهْدِ. ٩- اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ ... أَى: أَعْرَضُوا عَنْ دِينِ اللَّهِ وَ حُجَّجِهِ وَ مَنَعُوا النَّاسَ مِنَ الْإِيمَانِ رَاضِينَ بِحَطَامِ الدُّنْيَا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ أَى بِئْسَ الْحُكْمُ حُكْمُهُمْ ذَاكَ. ١٠- لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَ لَا ذِمَّةً ... مَرَّ تَفْسِيرُهُ. وَ أُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ أَى الْمُتَجَاوِزُونَ الْحَدَّ فِي كُفْرِهِمْ. ١١- فَإِنْ تَابُوا وَ أَقَامُوا الصَّلَاةَ ... أَى إِذَا أَقْلَعُوا عَمَّا هُمْ فِيهِ مِنَ الشَّرْكِ وَ نَكَثَ الْعَهْدَ، وَ أَسْلَمُوا بِإِقَامَةِ الصَّلَاةِ وَ اتَّوَّأَ الزَّكَاةَ أَذَوْهَا فَهِيَ إِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ عَامِلُوهُمْ مَعَامِلَةَ إِخْوَانِكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَ إِقَامَةِ الصَّلَاةِ وَ إِيْتَاءِ الزَّكَاةِ قَرِينُهُ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِالتَّوْبَةِ الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَ بَيَاتِهِ، وَ ذَلِكَ لِأَنَّ هَذِينَ الْأُمُورَ مِنْ أَظْهَرِ مَظَاهِرِ عِبَادَةِ اللَّهِ وَ أَقْوَى أَرْكَانِ الْمَجْتَمَعِ الدِّينِيِّ، وَ يُؤْدِي الْأَوَّلُ إِقَامَةَ الصَّلَاةِ كَمَا يُؤْدِي الثَّانِي إِيْتَاءَ الزَّكَاةِ، وَ عِنْدَئِذٍ فَقَدْ يَحْصُلُ التَّسَاوَى بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ سَائِرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْحَقُوقِ الَّتِي يَعْتَبَرُهَا الْإِسْلَامُ فِي الْمَجْتَمَعِ الْإِسْلَامِيِّ، لَهُمْ مَا لِلْمُسْلِمِينَ وَ عَلَيْهِمْ مَا عَلَى الْمُسْلِمِينَ. وَ نَحْنُ نَفْصِلُ الْآيَاتِ نَبِيَّهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ذَلِكَ وَ يَتَفَهَّمُونَهُ لَا لِلْمُعَانِدِينَ وَ الْجَهْلَةِ. ١٢- وَ إِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ ... أَى إِذَا نَقَضُوا عَهْدَهُمْ مِنْ بَعْدِ أَنْ عَقَدُوهُ مَعَكُمْ وَ طَعَنُوا فِي دِينِكُمْ أَى قَدَحُوا فِيهِ فَقَاتِلُوا أَيْمَنَهُ الْكُفْرَ أَى رُؤْسَاءَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ أَى لَا يَحْفَظُونَ عَهْدَهُمْ وَ قَسَمَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ أَى قَاتِلُوهُمْ لَكِي يَمْتَنَعُوا عَنِ الْكُفْرِ. ١٣- أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ ... أَى هَلَّا تَقَاتِلُونَ نَاكِثِي الْأَيْمَانِ وَ هُمُ الْيَهُودُ وَ هُمُومًا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ مِنَ الْمَدِينَةِ وَ هُمْ يَدُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بِنَقْضِ الْعَهْدِ وَ بِالْقِتَالِ أَوْ تَخْشَوْنَهُمْ أَى أَتَخَافُونَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ أَجْدَرُ بِالْخَوْفِ مِنْ عِقَابِهِ بِتَرْكِ أَمْرِهِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ أَى إِذَا كُنْتُمْ مُصَدِّقِينَ بِهِ وَ ثَوَابِهِ وَ عِقَابِهِ. وَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ وَ مَا بَعْدَهَا تَحْرِيزٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ تَهْيِيجٌ لَهُمْ عَلَى قِتَالِ الْمُشْرِكِينَ بَيَانٌ مَا أَجْرَمُوا بِهِ فِي جَنْبِ اللَّهِ، وَ خَانُوا بِهِ الْحَقَّ وَ أَهْلَهُ، وَ تَعَدَّدَ خَطَايَاهُمْ وَ صَوَّرَ طُغْيَانَهُمْ مِنْ نَكَثِ الْأَيْمَانِ وَ الْهَمِّ بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَ الْبَدْءِ بِالْقِتَالِ أَوَّلَ مَرَّةٍ. إِرْشَادُ الْأَذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ١٩٤ ١٤- قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمْ ... هَذَا أَمْرٌ مِنْهُ سَبْحَانَهُ لِلْمُؤْمِنِينَ بِقِتَالِ الْمُشْرِكِينَ الْمُوْدَى إِلَى قَتْلِهِمْ وَ أَسْرِهِمْ وَ إِنَّمَا أَعَادَ الْأَمْرَ بِالْقِتَالِ لِأَنَّهُ صَارَ مِنْ جِهَةٍ مَا تَقَدَّمَ مِنَ التَّحْرِيزِ وَ التَّحْضِيضِ أَوْقَعَ فِي الْقَبُولِ فَإِنَّ الْأَمْرَ كَانَ ابْتِدَائِيًّا غَيْرَ مُسَبَّوقٍ. بِتَمْهِيدٍ وَ تَوْطِئَةٍ، بِخِلَافِ الْأَمْرِ الثَّانِي الْوَاردِ بَعْدَ اشْتِدَادِ الْإِسْتِعْدَادِ وَ كِمَالِ التَّهْيِئَةِ مِنَ الْمَأْمُورِينَ. وَ يُخْزِرُهُمْ أَى يَذْلَهُمْ وَ يَنْصُرُكُمْ عَلَيْهِمْ يَعْنِي: يَعِينُكُمْ عَلَيْهِمْ وَ يَشْفِ ضُيُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ أَى يَذْهَبُ الْغَيْظُ الْمُسْتَكَنَّ فِي صُدُورِ بَعْضِ الْمُؤْمِنِينَ كِبْنَى خِزَاعِهِ الَّذِينَ بَيَّتَ عَلَيْهِمْ بَنُو بَكْرٍ وَ بَاغَتْوَهُمْ لِأَنَّهُمْ كَانُوا حُلَفَاءَ النَّبِيِّ (ص). ١٥- وَ يُذْهِبُ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ... أَى يَزِيلُ مَا كَانَ فِيهَا مِنَ الْكَدَرِ وَ الْحُزَنِ وَ هَذَا أَيْضًا يَأْتِي فِي نَفْسِ سِيَاقِ التَّحْضِيضِ عَلَى الْقِتَالِ، لَمَّا فِيهِ مِنْ إِحْدَاثِ الْجَرَأَةِ لَدَى الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْمَوَاجَهَةِ وَ يَنْشِطُهُمْ وَ يَصْفَى إِرَادَتَهُمْ. وَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ أَى يَقْبَلُ التَّوْبَةَ مِمَّنْ يَتُوبُ مِنْهُمْ رَحْمَةً مِنْهُ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ مَرَّعًا. ١٦- أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَ لَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَلُوا مِنْكُمْ ... أَى: أَظَنَنْتُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ أَنْ تَهْمَلُوا فَلَا تَكْلَفُونَ بِالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ لَمَّا يَظْهَرُ مَا عَلَّمَ اللَّهُ مِنْ امْتِلَاحِهِ أَمْرَهُ وَ قَاتَلُوا الْكُفَّارَ مِنْكُمْ. وَ لَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ لَا رَسُولِهِ وَ لَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً أَى: وَ لَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ لَمْ يَتَّخِذُوا سِوَاهُ وَ سِوَى رَسُولِهِ وَ سِوَى الْمُؤْمِنِينَ أَوْلِيَاءَ وَ بَطَانَةً. قَالَ الرَّاعِبُ: الْوَلِيجَةُ: كُلُّ مَا يَتَّخِذُهُ الْإِنْسَانُ مَعْتَمِدًا عَلَيْهِ وَ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهِ. وَ اللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ عَارِفٌ بِأَعْمَالِكُمْ وَ يَجَازِيكُمْ عَلَيْهَا. ١٧- مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ ... أَى لَا يَنْبَغِي لِمَنْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ تَعَالَى أَنْ يَشْرَفَ عَلَى عِمَارَةِ مَسَاجِدِهِ وَ أَمْكَنَةِ عِبَادَتِهِ بِدُخُولِهَا وَ قِيلَ بِنَائِهَا وَ اسْتِصْلَاحُ مَا خَرِبَ مِنْهَا. شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكَفْرِ يَعْنِي حَالُ كُونِهِمْ يَعْتَرِفُونَ بِكُفْرِهِمْ بِاللَّهِ. أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ أَى بَطَلَتْ لِأَنَّهُا وَقَعَتْ عَلَى خِلَافِ الْحَقِّ فَهِيَ لَا يَسْتَحِقُونَ ثَوَابًا عَلَيْهَا. وَ فِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ أَى مُقِيمُونَ إِلَى الْأَبَدِ. ١٨- إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ ... أَى لَا يَعْمُرُ الْمَسَاجِدَ بِالْمَعْنَى الَّتِي ذَكَرْنَاهُ فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ إِلَّا الْمُوَحَّدُ الْمُصَدِّقُ بِاللَّهِ وَ الْقِيَامَةُ وَ أَقَامَ الصَّلَاةَ وَ آتَى الزَّكَاةَ بِحُدُودِهِمَا وَ أَصُولَهُمَا وَ لَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ وَ لَمْ يَخَفْ غَيْرَهُ أَحَدًا مِنَ الْخَلْقِ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُتَهْتِدِينَ وَ الْمَعْنَى: أَنَّ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَهُوَ مِنَ الْمُهْتَدِينَ إِلَى الْجَنَّةِ وَ رِضْوَانِ اللَّهِ. ١٩- أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَ عِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ... هُوَ اسْتِفْهَامٌ إِنْكَارِيٌّ مَعْنَاهُ: لَا تَجْعَلُوا أَهْلَ سِقَايَةِ الْحَاجِّ

و أهل عماره المساجد في الفضل و المرتبة عند الله كمن آمن بالله و اليوم الآخر أى صدق بهما. و جاهد في سبيل الله بمقاتله الكفار لإعلاء كلمه الحق لا يشتمون عند الله أى لا يتساوون في الثواب و الفضل و الله لا يهدي إلى طريق الحق القوم الظالمين كما يهدي العارف به المطيع له. ٢٠- الذين آمنوا و هاجروا و جاهدوا في سبيل الله بأموالهم و أنفسهم ... أى أن الذين صدقوا بالله و رسوله و هجروا أوطانهم فارين بدينهم إلى الله و تحملوا المشاق في مقارعة الكفر بإنفاق أموالهم و ببدل أنفسهم للشهادة، فهؤلاء أعظم درجته عند الله ممن سواهم من المؤمنين الذين لم يفعلوا ذلك كله و أولئك هم الفائزون الظافرون بما يريدون من ثواب الله و رضوانه. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ١٩٥ ٢١- يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَ رِضْوَانٍ ... أى: يزف إليهم الله البشري على السنة رسله بما يظهر سرورهم من عطفه و جزيل رضاه و يبشرهم أيضا بجنات لهم فيها نعيم مُقيم دائم لا ينقضى. ٢٢- خالدين فيها أبداً إن الله عنده أجر عظيم ... أى: باقين فيها إلى الأبد مع النعيم الدائم لأن أجر العمل من عند الله كثير لا يمكن تقديره. و قد نزلت هذه الآيات الثلاث في علي (ع) و العباس بن عبد المطلب، و طلحة بن شبيب. عند ما افتخر العباس بسقاية الحاج، و شبيب بعمارة المسجد الحرام فقال علي (ع) لهما: لقد أوتيت على صغرى ما لم تؤتيا ... ضربت خرطوميكما بالسيف حتى آمنتما بالله و رسوله. فنزل جبرئيل (ع) بهذه الآيات على رسول الله (ص). ٢٣- يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَ إِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ ... نهى من الله لجماعة المؤمنين عن موالاة الكافرين في أمور الدين حتى و إن كانوا الأقربين لهم بالنسب، و أما في أمور الدنيا فلا بأس بمجالستهم و معاشرتهم. و مَنْ يَتَوَلَّهِمْ مِنْكُمْ وَ يَطْلَعُهُمْ عَلَى أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ لِيَكِيدُوا لَهُمْ وَ يَتْرَكَ طَاعَةَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ أنفسهم إذ وضعوا الموالاة في غير موضعها. ٢٤- قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَ أَبْنَاؤُكُمْ وَ إِخْوَانُكُمْ ... أى قل يا محمد للمسلمين الذين تخلفوا عن الهجرة إلى دار الإسلام: إن كان والدوكم أو من ولدتموهم أو إخوانكم في النسب و أزواجكم اللواتي عقدتم عليهن عقد النكاح و عَشِيرَتُكُمْ أى أقاربكم و أموال اقترفتوها اكتسبتموها و جمعتموها و تجارة تحشون كسادها أى تخافون أن لا تباع إذا اشتغلتم بطاعة الله و مساكين تزفونها و بيوت يعجبكم الإقامة فيها، أحب إليكم من الله و رسوله و جهاد في سبيله أى أثر عندكم من الله و النبي و جهاد الكافرين فتربصوا انتظروا حتى يأتي الله بأمره يعنى بحكمه فيكم بسبب اختياركم هذه الأشياء. و الله لا يهدي القوم الفاسقين مَر تفسيره. ٢٥- لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ... الخطاب للمؤمنين و اللام في: لقد، لام القسم، أقسم سبحانه بأنه نصرهم على أعدائهم و أعانهم عليهم في كثير من المواضع التي قيل بأنها كانت ثمانين موضعا رغم ضعفهم و قلل عددهم و عددهم، و يوم حُتَيْنِ أى: في يوم وقعه حنين إذ أعجبكم كثرتكم أى تهتم بها عجا و سرتكم فلم تغن عنكم شيئا أى لم تدفع عنكم الكثرة سوء الهزيمة. و ضاقت عليكم الأرض بما رحبت أى انسدت آفاقها في وجوهكم رغم سعتها. ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ أى ولّيتم أدباركم للعدو هاربين. ٢٦- ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِ رَحْمَةً الَّتِي تَسْكُنُ النُّفُوسَ عَلَى رَسُولِهِ وَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حِينَ رَجَعُوا إِلَى الْأَعْدَاءِ فَقَاتَلُوهُمْ وَ قِيلَ: عَلَى الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ ثَبَتُوا مَعَ النَّبِيِّ (ص) وَ هُم عَلَى (ع) و العباس و نفر من بنى هاشم. و أنزل الله جنوداً من الملائكة لم تروها لم تشاهدوها و عذب الذين كفروا بالقتل و الأسر و سلب الأموال و ذلك جزاء الكافرين أى أن العذاب جزاء الكافرين على كفرهم. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ١٩٦ ٢٧- ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ أَى يعفو و التوبة من الله سبحانه، هى الرجوع على عبده بالعبادة و التوفيق أولاً، ثم بالعفو و المغفرة ثانياً، و من العبد الرجوع إلى ربه بالندامة و الاستغفار، و لا يتوب الله على من لا يتوب إليه. و الوجه في التعبير بالاستقبال في قوله: ثُمَّ يَتُوبُ ... الإشارة إلى انفتاح باب التوبة دائماً، و جريان العناية و فيضان العفو و المغفرة الإلهية مستمرا، لا أنها أمر محدود غير جار كبعض الأمور الأخرى. مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ الذى حصل على مَنْ يَشَاءُ يريد و الله غفورٌ رحيمٌ مر معناه. ٢٨- يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ... خطاب منه سبحانه للمؤمنين كافة بأن المشركين أنجاس أرجاس فلا يقربوا المسجد الحرام فامنعوهم من دخول بيت الله الحرام بعد عامهم هذا أى بعد سنتهم هذه و إلى الأبد و كانت سنة تسع للهجرة و هى السنة التي أذن فيها علي (ع) بالبراءة، و منع طواف البيت عريانا، و حج المشركين البيت. و إن خِفْتُمْ عَيْلَةً أَى حاجة أو فقرا، و ذلك بسبب انقطاعهم عن الحج و ما يترتب عليه من تعطل أسواقكم و ذهاب تجارتكم فسوف يُغْنِيَكُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إن شاء و هذه بشاره بأن أهل الآفاق ستحمل الميرة إليكم و

تأتيكم النعم من كل صوب برحمة الله ونعمته إن أراد سبحانه أن يغنيكم. إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ مر معناه. وفيما بشرهم به، وعد حسن منه سبحانه فيه تطيب نفوس أهل مكة ومن كان له تجارة هناك بالموسم، وكان حاضر العالم الإسلامي يبشرهم يومئذ بمضمون هذا الوعد، حيث كانت كلمة الإسلام تملو، وكلمة الكفر تخبو وتحد بل تخسر، ويدخل الناس في دين الله أفواجا. ٢٩- قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ... أَى جاهدوا من الكفار من لا يعتقد بتوحيد الله ولا بالقيامة. وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ أَى لَا يمتنعون عما منعه الله ورسوله ولا يعترفون بالإسلام مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كاليهود والنصارى حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ يدفعوها للمسلمين عَنْ يَدٍ أَى نقدا من يد ليد من غير نائب ينوب عنهم بالدفع، وَهُمْ صَاغِرُونَ أَى أذلة مقهورون وهم يساقون إلى محل دفع الجزية. ٣٠- وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ ... كان جماعة من اليهود يقولون إن عزيرا هو ابن الله شركا به، تعالى ولما رأوه من إملاء عزير للتوراة من ظهر قلبه بعد أن علمه إياها جبرئيل (ع). وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ كما قال اليهود عن عزير شركا بالله ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ أَى أنهم ابتدعوا ذلك و اخترعوه بلا حجة ولا برهان يُضَاهَوْنَ يعنى يشابهون به قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَى عبدة الأوثان مِنْ قَبْلُ أَى مِمَّن سَبَقَهُمْ. قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَى لعنهم، أَنَّى يُؤْفَكُونَ أَى كيف يمنعون فى الكذب. والإفك:- كما يقول الراغب- كل مصروف عن وجهه الذى يحق أن يكون عليه، فمعنى يؤفكون: يصرفون فى اعتقادهم عن الحق إلى الباطل. ٣١- اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ... أَى اتخذ أهل الكتاب علماءهم وعبادهم أربابا من دون الله وَالْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ أَى اتَّخَذُوهُمُ إِلَهًا وَمَا أَمَرُوا عَنْ طَرِيقِ رَسُلِهِمْ إِلَّا لِيُعْبَدُوا إِلَهًا وَاحِدًا أَى معبودا لا شريك له لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ أَى لا تحق العبادة لسواه سُبْحَانَهُ تنزيها له عَمَّا يُشْرِكُونَ أَى عن شركهم وعملا لا يليق به. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ١٩٧ ٣٢- يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ ... الإطفاء هو إذهاب أى نور بالنفخ بالأفواه والمقصود بنور الله هنا الإسلام والقرآن وهذا التعبير يحمل السخرية بالمشركين وتصغير شأنهم لأن الفم يؤثر نفخه بالأنوار الضئيلة، وأين هو من إطفاء نور الله و ساطع براهينه، و واضحات حججه؟ وَ يَأْبَى اللَّهُ أَى يمنع إِلَّا أَنْ يَتَّعِزَّ نُورُهُ لِيُظْهِرَ دِينَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ أَى على كره منهم. ٣٣- هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ ... أَى أنه تعالى هو الذى بعث رسوله محمدا (ص) بالدلائل والبيّنات والإسلام لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ أَى ليعلى الإسلام على جميع الأديان بالحجة والغلبة وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ أَى على كره منهم. ٣٤- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ ... خطاب منه سبحانه يدل به المؤمنين على أن أكثر الرهبان والأخبار لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ أَى بطريقة محرمة كالرشا على الأحكام وَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ يمنعون غيرهم عن الإسلام وقد خص بالذكر من مفسد عدم تدنّ الأخبار والرهبان بدين الحق ما هو العمدة فى إفساد المجتمع البشرى الصالح وهو أكلهم أموال الناس بالباطل مع ما يستتبع ذلك من إفساد الناس ودفعهم إلى التجرؤ على نهب الأموال وسرقتها لتتكسد فى يد قلة قليلة فى المجتمع يقابلها كثرة ساحقة ترزح تحت نير العوز والفقر، إضافه إلى صدهم عن سبيل الله ومنعهم الناس عن أن يسلكوه بما قدروا عليه من طرق ظاهرة وخفية، ومن وجوه التهيب والترغيب. وَالَّذِينَ يَكْتَنُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَى يجمعونها ويكدسونها ولا يؤدون زكاتها فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ أَى أنذرهم بعذاب موجع. ٣٥- يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ ... يعنى حين يوقد على الذهب والفضة المكتنزة فى نار جهنم حتى تصير جمرا فتكوى بها أى بالكوز المدخرة المحمأة جباههم وَجُتُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ جميعها تكوى بها، وهى معظم البدن، هذا ما كُنْتُمْ لَأَنْفُسِكُمْ أَى هذا جزاء ما جمعتم من المال الذى لم تؤدوا حقوق الله منه فذوقوا ما كُنْتُمْ تَكْتَنُونَ أَى فذوقوا العذاب بسبب ما كنتم تجمعون. والآية ناظرة إلى الكنز الذى يلازمه الامتناع عن إنفاق حقوق الله فيه، لا بمعنى الزكاة الواجبة فقط، بل بمعنى أشمل وأعم، بحيث يدخل فيه كل ما به قوام المجتمع الصالح واستقامته البنية الاجتماعية واستمراريتها. ٣٦- إِنَّ عَذَابَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ ... يعنى أن عدد الشهور فى كل سنة كاملة هو اثنا عشر شهرا فى تقدير الله سبحانه وحكمه فى اللوح المحفوظ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَى يوم أجرى الشمس والقمر وسيرهما بطريقة تتولد منها الشهور والأيام، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ثَلَاثَةٌ سَرْدٌ هى: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، و واحد فرد هو رجب. كما ذكرنا سابقا. ومعنى كونها حرما أنها يحرم فيها انتهاك المحارم أكثر من غيرها. ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ أَى:

الدين الواضح الأحكام. فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَى فِي الشُّهُورِ الْمَذْكُورَةِ لَا تَظْلِمُوا أَنْفُسَكُمْ بِالتَّعَدَّى عَلَى أَوَامِرِ اللَّهِ تَعَالَى وَنَوَاهِيهِ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً أَى قَاتِلُوهُمْ جَمِيعًا وَبِكُلِّ قَوَاكِمِ كَمَا يَقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً أَى جَمِيعَهُمْ. وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ حَالًا عَنِ الْمُشْرِكِينَ أَيْضًا. وَ الْجُمْلَةُ أَمْرٌ بِقِتَالِهِمْ دُونَ مَرَاعَاةِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ يَتَوَلَّى أُمُورَهُمْ وَيَنْصُرُهُمْ عَلَى أَعْدَائِهِمْ. إِرْشَادُ الْأَذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ١٩٨ ٣٧- إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ... النَّسِيءُ هُوَ التَّأْخِيرُ، فَتَأْخِيرُ الْأَشْهُرِ الْحَرَمِ عَنْ مَوَاقِيتِهَا الَّتِي رَتَّبَهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَيْهَا هُوَ زِيَادَةٌ فِي كُفْرِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ يَفْعَلُونَ ذَلِكَ. وَ قَدْ كَانُوا يَفْعَلُونَهُ لِأَنَّهُمْ كَانُوا أَهْلَ غَزْوٍ وَ غَارَاتٍ، وَ كَانُوا يَتَضَايِقُونَ مِنْ بَقَاءِ ثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ مُتَوَالِيَةٍ دُونَ غَزْوٍ فَيَلْجَأُونَ إِلَى تَأْخِيرِ تَحْرِيمِ الْمُحَرَّمِ إِلَى صَفَرٍ فَيَحَرِّمُونَهُ بِدَلِّ الْمُحَرَّمِ وَ يَسْتَحِلُّونَ الْغَزْوَ فِي الْمُحَرَّمِ. يُضِلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَى يُضَيِّعُونَ بِهَذَا النَّسِيءِ عَنْ حَقِيقَةِ الْأَشْهُرِ الْحَرَمِ فَيَحِلُّونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ يُحِلُّونَهُ عَامًّا وَ يُحَرِّمُونَهُ عَامًّا أَى يَجْعَلُونَ الشَّهْرَ الْحَرَامَ حَلَالًا- وَ بِالْعَكْسِ قَائِلِينَ شَهْرٌ بِشَهْرٍ لِيُؤَاظِمُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيَحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَهُمْ إِذَا أَحَلُّوا شَهْرًا حَرَامًا، حَرَّمُوا مَكَانَهُ شَهْرًا حَلَالًا، لِيُؤَاظِمُوا بِذَلِكَ عِدَّةَ الشُّهُورِ. زَيْنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ فَقَدْ حَسَّنَ ذَلِكَ لَهُمْ إِمَّا مِنْ جِهَةِ هَوَاهِمَ، وَ إِمَّا مِنْ قَبْلِ الشَّيْطَانِ وَ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ فَسَرَّنَاهُ سَابِقًا. ٣٨- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا... أَى: إِذَا دَعَاكُمُ الرَّسُولُ لِلْخُرُوجِ إِلَى الْحَرْبِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَى جِهَادِ الْكُفَّارِ وَ الْمُشْرِكِينَ أَتَأْتَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَى تَتَأَلَّفْتُمْ وَ مَلْتُمْ إِلَى السَّكِينَةِ وَ أَخْلَدْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَ رَضِيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ أَى هَلْ آثَرْتُمْ نَعِيمَ الدُّنْيَا الزَّائِلِ عَلَى نَعِيمِ الْآخِرَةِ الدَّائِمِ؟ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لَيْسَ نَعِيمُهَا الَّذِي يَبْلَى بِالْقِيَاسِ فِي مَتَاعِ الْآخِرَةِ الدَّائِمِ الْخَالِدِ إِلَّا قَلِيلٌ زَهِيدٌ. ٣٩- إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا... أَى: إِنْ لَمْ تَخْرُجُوا إِلَى قِتَالِ عَدُوِّكُمْ حِينَ دَعَاكُمُ النَّبِيُّ (ص) وَ قَعَدْتُمْ عَنْهُ يَعَذِّبْكُمْ اللَّهُ عَذَابًا مُوجَعًا فِي الْآخِرَةِ وَ يَسْتَبْدِلْ بِكُمْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ لَا يَتَقَاعِدُونَ عَنِ الْجِهَادِ وَ لَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا أَى وَ لَا تَلْحَقُوا بِقَعُودِكُمْ ضَرَرًا بِهِ سُبْحَانَهُ لِأَنَّهُ غَنَى بِنَفْسِهِ وَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ مَرَّعًا. ٤٠- إِلَّا تَنْصِرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ... أَى إِنْ لَمْ تَسَاعِدُوا النَّبِيَّ عَلَى قِتَالِ عَدُوِّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَخْذِلُهُ بَلْ يَتَوَلَّى نَصْرَهُ دَائِمًا. إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَكَّةَ وَ كَانَ ثَانِيَّ اثْنَيْنِ أَى أَحَدَ اثْنَيْنِ هُوَ أَبُو بَكْرٍ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ وَحَدَهُمَا، وَ الْغَارُ هُوَ غَارُ ثَوْرٍ الْوَاقِعُ فِي جَبَلِ بَمَكَةَ إِذْ كَانَ يَقُولُ النَّبِيُّ (ص) لِصَاحِبِهِ أَبِي بَكْرٍ لَا تَحْزَنْ يَعْنِي: لَا تَخَفْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا أَى مُطَّلِعٌ عَلَى مَا نَحْنُ فِيهِ وَ هُوَ يَحْفَظُنَا. فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ أَى عَلَى مُحَمَّدٍ (ص) إِذْ أَلْقَى الْأَطْمَثَانِ فِي قَلْبِهِ وَ أَيْدِيَهُ يَعْنِي قُوَاهُ بِجُنُودٍ تَنْصُرُهُ لَمْ تَرَوْهَا هِيَ مَلَائِكَةُ كَانَتْ تَضْرِبُ وَجُوهَ أَعْدَائِهِ وَ أَبْصَارَهُمْ حَتَّى لَا يَرَوْهُ، وَ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ الضَّمِيرُ فِي عَلَيْهِ رَاجِعًا لِأَبِي بَكْرٍ لِأَنَّ الضَّمَائِرَ قَبْلَ هَذَا وَ بَعْدَهُ تَعُودُ إِلَى النَّبِيِّ (ص) بَلَا خِلَافٍ فَلَا يَعْقِلُ أَنْ يَعُودَ ضَمِيرٌ وَاحِدٌ مِنْ بَيْنِهِمَا عَلَى أَبِي بَكْرٍ دُونَ التَّنْوِيهِ بِاسْمِهِ أَوْ بِمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ وَ جَعَلَ اللَّهُ كَلِمَةً الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى فَاحْبُطْ تَأْمِرُهُمْ وَ كَلِمَةً اللَّهُ هِيَ الْعُلْيَا أَى الْمُرْتَفَعَةُ الْمُنْتَصِرَةُ دَائِمًا وَ أَبَدًا وَ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ مَرَّعًا. إِرْشَادُ الْأَذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ١٩٩ ٤١- أَنْفِرُوا خِفَافًا وَ ثِقَالًا وَ جَاهِدُوا... يَعْنِي اخْرُجُوا- أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ- لِلْجِهَادِ نَشَاطًا وَ غَيْرَ نَشَاطٍ. وَ قِيلَ: أَغْنِيَاءَ وَ فَقَرَاءَ، أَوْ اخْرُجُوا خِفَافًا عَلَيْكُمْ الْجِهَادُ أَمْ شَقٌّ وَ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ ابْذُلُوا الْأَمْوَالَ وَ ضَحُّوا بِالنَّفُوسِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لِإِعْلَاءِ كَلِمَةِ الْحَقِّ ذَلِكَمُ الْجِهَادُ وَ الْبَذْلُ خَيْرٌ لَكُمْ مِنَ الثَّقَالِ وَ تَرْكِ الْجِهَادِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَى إِذَا أَدْرَكْتُمْ أَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَ عَزَّ صَادِقٌ فِيمَا وَعَدَ وَ أَوْعَدَ. ٤٢- لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا... أَى أَنَّهُمْ لَوْ دَعَوْتَهُمْ- يَا مُحَمِّدُ- إِلَى عَرَضٍ: غَنِيمَةٍ يَكْسِبُونَهَا قَرِيبَةً التَّنَاضُلِ حَاضِرَةً وَ سَفَرًا قَاصِدًا قَصِيرًا هِنَا لَاتَّبَعُوكَ أَى مَضُوا مَعَكَ وَ لَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ أَى صَعِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسَافَةُ وَ سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوْ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ أَى لَوْ قَدَرْنَا لَرَأَفَقْنَاكُمْ، يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ يَخْسِرُونَهَا بِمَا أَضْمَرُوا حِينَ أَقْسَمُوا الْإِيمَانَ الْكَاذِبَةَ وَ اعْتَذَرُوا بِالْبَاطِلِ وَ اللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ غَيْرُ صَادِقِينَ فِي اعْتِذَارِهِمْ وَ فِي أَيْمَانِهِمْ. ٤٣- عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ... أَى جَاوَزَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْكَ يَا مُحَمَّدُ إِذْ أَذْنَتْ لِبَعْضِهِمْ بِالتَّخَلُّفِ عَنِ الْجِهَادِ. حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَ تَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ يَعْنِي حَتَّى تَعْرِفَ مَنْ هُوَ مُعَذَّرٌ فِي تَخَلُّفِهِ مِمَّنْ هُوَ غَيْرُ مُعَذَّرٍ. وَ قَدْ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِنْ رَسُولُ اللَّهِ (ص) لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ الْمُنَافِقِينَ يَوْمَئِذٍ، وَ لَكِنَّهُ قِيلَ إِنَّهُ خَيْرُهُمْ بَيْنَ النَّفَرِ وَ الْقُعُودِ وَ تَوَعَّدَ الْقَاعِدِينَ، فَمَعْنَى الْآيَةِ أَنَّهُ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يُلْزَمَ الْجَمِيعُ بِالْخُرُوجِ حَتَّى إِذَا تَخَلَّفَ أَحَدٌ ظَهَرَ نِفَاقُهُ. ٤٤- لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ... أَى أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ حَقًّا لَا يَطْلُبُونَ مِنْكَ الْإِذْنَ لِإِعْفَائِهِمْ مِنَ الْخُرُوجِ لِلْجِهَادِ لِأَنَّهُمْ مُصَدِّقُونَ بِاللَّهِ وَ بِكَ وَ بِالْبَعْثِ وَ الْحِسَابِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ بَلْ يَعْتَبِرُونَ أَنَّكَ لَا تَدْعُوهُمْ إِلَّا

إلى الخير وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ يعرف المؤمنين الذين يجتنبون ما يسخطه و يفعلون ما يرضيه. ٤٥- إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ... أى: إنما يطلب الإذن منك بالتأخر عن الزحف القوم الَّذِينَ لَا- يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ أى لا- يصدقون بوجوده ولا- اليوم الآخر يوم البعث وَ ارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ يعنى شكّت فاضطربت فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ أى يروحون و يجيئون و لا يجزمون بأمر. ٤٦- وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ ... أى لو كان فى نيّة هؤلاء المنافقين الخروج لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً و العدة هى الأبهة أى لكان عليهم أن يعدوا السلاح و المركب لتظهر عليهم علائم من يريد الجهاد وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ أى مقت خروجهم للحرب لمعرفته بنفاقهم فَتَبَطَّحَهُمْ أى قلّل عزائمهم لما علمه من فساد طويّاتهم وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ أى ابقوا مع النساء و الصبيان الذين يقعدون عن الجهاد لعجزهم عنه. ٤٧- لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا ... الخبال هنا هو الفساد و الاضطراب فى الرأى، و معناه أنهم إذا خرجوا معكم فى الغزو لا يزيدونكم إلّا سوء رأى و فساد تصرف و لَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ و الايضاع هو الإسراع، أى أنهم كانوا يسرعون بينكم بالافساد و يسعون بالتفريق يَبْعَثُونَكُمُ الْفِتْنَةَ أى فيرمونكم باختلاف الكلمة و يخوفونكم من أعدائكم و فيكم سَمَاعُونَ لَهُمْ أى و بينكم ضعفاء العقيدة من المسلمين الذين يصغون لأقوالهم وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ أى عارف بهؤلاء المنافقين. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٢٠٠ ٤٨- لَقَدْ ابْتِغَوْا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ ... أى أنهم أرادوا الشرّ بك يا محمّد و رغبوا فى اختلاف المسلمين مِنْ قَبْلُ أى فى وقعة أحد، يوم انصرف ابن أبى بمن معه و خذل النبىّ (ص) أو عنى ما أرادوا من الفتك بالنبىّ (ص) فى غزوة تبوك وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ يعنى استعملوا الحيل و الخدع ليوهنوا أمرك حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ أى جاء ظفرك الذى وعدك الله تعالى به وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ يعنى غلب الإسلام الكفر وَهُمْ كَارِهُونَ فى حال كرههم لظهوره و انتصاره. ٤٩- وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَئِذْ لِي وَلَا تُفْتِنِّي ... أى: و من المنافقين من يقول لك يا محمد: ائذن لى فى عدم الخروج للجهاد و لا تفتنى بالإغراء و غنيمّة النساء و الأموال. أَلَا فِي الْفِتْنَةِ أَى العصيان و الضلال عن الدين سَقَطُوا أى وقعوا بمخالفتهم أمرك وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ أى أنها يوم القيامة ستكون محيطّة بهم من جميع الجهات فلا يجدون عنها مصرفا. ٥٠- إِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ... يعنى يا محمد إن هؤلاء المنافقين إذا نالتك نعمة من ربك نصر أو فتح أو غنيمّة يصيبهم الحزن و إِنْ تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ أى إذا نزلت بك نكبة يَقُولُوا فى أنفسهم قَدْ أَخَذْنَا أَمْرًا مِنْ قَبْلُ أى احتطنا و أخذنا حذرنا سابقا لما حدث، وَ يَتَوَلَّوْا يَنْصَرِفُونَ إِلَى بَيْوتِهِمْ وَهُمْ فَرِحُونَ مستأنسون بما أصاب المسلمين و نجوا هم منه. ٥١- قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا ... أى: قل يا محمد لهؤلاء المنافقين: إِنْ كُلُّ مَا يَصِيبُنَا مِنْ نَصْرٍ أَوْ شَهَادَةٍ أَوْ آفَةٍ فَهُوَ مِمَّا قَدَّرَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ، فى سابق علمه و أثبتة فى اللوح المحفوظ، فالله هو مَوْلَانَا أى ولى أمرنا و مالكنّا و على الله وحده فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ أى فليسلموا الأمر لحكمته و تدبيره. ٥٢- قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِخْدَى الْحُسْنَىٰ بَيْنَ ... أى: قل يا محمد لهؤلاء الكفرة: هل تنتظرون لنا إلّا واحدة من التعمتين العظيمتين: إمّا النصر أو الشهادة وَ نَحْنُ نَتَرَبَّصُ أى نتوقع بكم لا- محالة أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ يَحُلُّ بكم فيهلككم مِنْ عِنْدِهِ نازلا من السماء أَوْ بِأَيِّدِنَا بَأْنْ يَنْصَرِنَا عليكم فنقتلكم فَتَرَبَّصُوا أى انتظروا. إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبَّصُونَ ننتظر لأنفسنا النصر أو الشهادة، و ننتظر لكم ذلّ البقاء أو القتل و خزي الآخرة. ٥٣- قُلْ أَتَفْقَهُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا ... أى قل يا محمد لهؤلاء: أنفقوا طائعين أو مكرهين ف لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ أى لا يرضى إنفاقكم لأنه ليس لوجه الله. إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ أى خارجين عن طاعة الله و لا يتقبل الله إلّا من المؤمنين. ٥٤- وَ مَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ ... أى لا- يمنع من قبول نفقات المنافقين التى يبذلونها فى الزحف و الغزو إلّا بسبب أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَ بَرَسُولِهِ أى أنكروا وجود الله كما أنكروا بعث النبىّ (ص) و لا- يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إلّا وَهُمْ كُسَالَى أى لا يجيئون بها إلّا متثاقلين فلا يؤدونها على الوجه المطلوب و لا يُنْفِقُونَ يبذلون الأموال إلّا وَهُمْ كَارِهُونَ أى و هم مرغمون. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٢٠١ ٥٥- فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَ لَا- أَوْلَادُهُمْ ... هذا الخطاب للنبىّ (ص) و لكنّه موجه لسائر المؤمنين، يعنى: أيها السامع لا ينبغي لك أن تعجب بحسن ما تراه من كثرة أموال المنافقين و كثرة أولادهم إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا بأمهم بالإنفاق فى الزكاة و الغزو فيدفعون كارهين و يتحملون مشقة فى الدنيا و لا يرجون منها ثوابا فى الآخرة. وَ تَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ تَهْلِكُ بالموت. وَهُمْ كَافِرُونَ باقون على حالتهم من الكفر. ٥٦- وَ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لِنَفْسِهِمْ لِمَنْكُم وَ مَا هُمْ مِنْكُمْ ... أى يقسم المنافقون الأيمان أنهم أمثالكم لا- يفرقون عنكم. وَ مَا هُمْ مِنْكُمْ أى و

ليسوا مثلكم مؤمنين بالله ولا برسوله وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ أَى قوم يصيبهم انزعاج النفس من توقع الضرر من القتل أو أخذ الأموال منهم أو الأسر إن هم لم يظهروا الإسلام. ٥٧- لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مَدْخَلًا ... أى يتمنى هؤلاء المنافقون أن يجدوا موضعا يتحصنون فيه، أو مغارات: جمع مغارة، وهى الثقب الغائر فى الجبل، أو مدخلا: والمدخل المسلك الذى يدخل فيه الإنسان أو غيره ليتوارى به عن العيون لَوْلَوْ إِيَّاهُ أى انصرفوا إليه وَهُمْ يَجْمَعُونَ يسرعون فى الذهاب إلى ما يخلصهم منكم. ٥٨- وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمُزُكَ فِى الصَّدَقَاتِ ... اللّٰمِز هو العيب، يعنى أن من المنافقين من يعيبك- يا محمّد- ويطعن عليك فى أمر الصدقات و توزيع الغنائم نزلت يوم حنين فى ابن أبى ذى الخويصرة رأس الخوارج فيما بعد. فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا أى إذا منحوا من الصدقات رَضُوا اعترفوا بعدل التقسيم وَ إِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا و حرموا لعدم استحقاقهم إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ أى يغضبون و ينقمون ثم يعيرون التقسيم. ٥٩- وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَ رُسُولُهُ ... أى: لو أن المنافقين الذين عابوا توزيع الصدقات قنعوا بما أعطاهم الله و رسوله منها وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ يعنى: يكفينا الله سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَ رُسُولُهُ أى سيعطينا الله من إنعامه، و يعطينا رسوله من تفضله إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ أى متوجهون إليه بكلّيتنا، و قيل: راغبون فى ثوابه و صرف عذابه. ٦٠- إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَ الْمَسَاكِينِ ... هذه الآية الكريمة تبين وجوه صرف زكاة الأموال. فهى تعطى للفقراء و المساكين، و الفرق بين الفقير و المسكين دقيق لا يكاد يعرف و إن كانوا قد قالوا: إن الفقير هو المتعفف الذى لا يسأل، و المسكين هو الذى يسأل. و قيل غير ذلك وَ لَ الْعَالَمِينَ عَلَيْهَا أى السّعاة الذين يجبون الزكاة وَ الْمُؤَلَّفَةُ قُلُوبُهُمُ الذين كان النبى (ص) يعطيهم من الزكاة ليتألف قلوبهم و يرغبهم فى عدل الإسلام، و ليستعين بهم على قتال العدو. وَ تصرف أيضا فى الرقاب أى فى فكها من الرق وَ فى الْغَارِمِينَ أى الذين ركبتهم الديون فى غير معصية و لا إسراف، وَ فى سَبِيلِ اللَّهِ يعنى البذل للجهاد، و عندنا تدخل فيه مصالح المسلمين من بناء مساجد و عقد جسور و غيرها وَ ابْنِ السَّبِيلِ المسافر الذى انقطع فى بلاد الغربة يعطى منها و لو كان غنيا فى بلده. فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ أى واجبا مقدرا. وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ مر معناه. ٦١- وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ ... أى: و من المنافقين جماعة يقولون أو يفعلون ما يجلب للنبي الأذى وَ يَقُولُونَ هُوَ أَذُنٌ يعنى أنه يدير أذنه و يصغى إلى كل ما يقال. فلهؤلاء قُلْ يا محمد: هُوَ أَذُنٌ خَيْرٌ يَجْلِبُ لِلنَّبِيِّ الْأَذْيَةُ وَ يَقُولُونَ هُوَ أَذُنٌ يعنى أنه يدير أذنه و يصغى إلى كل ما يقال. فلهؤلاء قُلْ يا محمد: هُوَ أَذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ أى يستمع إلى ما فيه خيركم كالوحي و غيره، يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ يُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ فكونه أذنا لا يضر طالما هو يؤمن بالله و يصدق المؤمنين فيما يقولونه له دون قول المنافقين، وَ هُوَ كَذَلِكَ رَحْمَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ لَأَنَّهُمْ لَمْ يَنَالُوا الْإِيمَانَ إِلَّا بِهَدَايَتِهِ وَ الَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ (ص) و يزعمونه فى قول أو فعل لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ موجه فى الآخرة و الدنيا أيضا. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٢٠٢ ٦٢- يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُزِيذُوكُمْ ... أى يقسمون لكم الأيمان أيها المؤمنون بأن ما يبلغكم عنهم من قول أو فعل هو باطل و تكون أيمانهم من أجل إرضائكم وَ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ أى أن الله و رسوله بالحقيقة هما أحق منكم بأن يرضوهما و يطلبوا منهما قبول اعتذارهم، إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ مصدقين بالله و رسوله. ٦٣- أَلَمْ يَعْلَمُوا ... هذا توبيخ للمنافقين و استهزاء بهم و تقريع لهم. أى: هلا علم هؤلاء أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ يعنى يتجاوز حدود الله التى حملها للمكلفين، و يتجاوز أوامر النبى (ص) فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا باقيا إلى الأبد وَ ذَلِكَ هُوَ الْخَزْيُ الْعَظِيمُ الذل الكبير و الإبعاد من الرحمة. ٦٤- يَخِذْرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنْزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ ... أى يحترز المنافقون و يخشون نزول سورة من الوحي تُبَيِّنُهُمْ بما فى قلوبهم تخبرهم و تكشف ما يضمرون من نفاق و كيد للرسول و دعوته قُلْ لهؤلاء يا محمد: اسْتَهْزُوا أى اسخروا، إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَخِذْرُونَ أى مظهر ما تخافونه و حيا لرسوله (ص) ليبين له نفاقكم و كيدكم. ٦٥- وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ ... أى إذا استفهمتهم عما بدر منهم من استهزاء و كيد، فإنهم سيقولون لك: كُنَّا نَخُوضُ نتبادل الحديث و نخوض فيه خوض الركب فى الطريق وَ نَلْعَبُ أى لا نتكلم جدا. قُلْ يا محمد: أ بِاللَّهِ وَ آيَاتِهِ أى فى الله و فى بيناته وَ رَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ تسخرون؟. ٦٦- لَا تَعْتَذِرُوا، قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ... أى لا تبدوا الأعذار الكاذبة، فقد مرقتم من الدين بعد أن كنتم قد أظهرتم الإيمان إِنْ نَعَفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ أى إن نتجاوز عن فريق تاب منكم نُعَذِّبُ طَائِفَةً مِنَ الَّذِينَ يَصْرُونَ عَلَى النِّفَاقِ بسبب أنهم كانوا مجرمين قد أجزموا بأقوالهم و أفعالهم. أما الطائفتان اللتان تحدثت عنهما هذه الآية فقليل أنهم كانوا ثلاثة فمنهم

اثنان هذيا بالنفاق المحكى عنه، و الثالث ضحك من هذيانهما. ثم تاب هذا الثالث الذى هو مخشى بن حمير فعفا الله تعالى عنه. ٦٧-
 الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ ... بعد أن حكى سبحانه عن المنافقين و عما قالوا و ما فعلوا، ذكر المنافقات و قال: إنهم بعض
 من بعض فى اجتماع الكلمة على النفاق و الكيد و مقت الله لهم يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ أى بالمعاصى و الكفر و يَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ عن كل
 ما هو حسن قد أمر الله به. و يَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ أى يمسكونها عن الجهاد نَسُوا اللَّهَ أى لم يشغل الله شيئا من وعيهم بدليل ترك جميع
 طاعاته فَنَسِيَ اللَّهُ أى تركهم فى النار و منع رحمته عنهم فكانوا بحكم المنسيين. إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ أى أن المنافقين و
 المنافقات- لأن اللفظ يشمل الطرفين- هم الخارجون على أوامر الله و نواهيه. ٦٨- وَعِدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ
 ... هؤلاء الذين تظاهروا بالإسلام و مارسوا النفاق، من الرجال و النساء، و معهم الكفار أيضا، وعدهم الله النار فى الآخرة. خالدين فيها
 باقين دائما هِيَ حَسِيَّتُهُمْ يعنى: هى كافيته لهم و لائقه بذنوبهم و لَعَنَهُمُ اللَّهُ أبعدهم من رحمته و لَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ دائم لا يزول. إرشاد
 الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٢٠٣-٦٩- كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً ... قد نقل سبحانه الحديث من الإخبار إلى الخطاب
 و كَالَّذِينَ فى موضع نصب لفعل محذوف، و التقدير: وعدكم الله على الكفر به كما وعد الذين من قبلكم و قد فعلوا مثل فعلكم، و
 كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً و أَكْثَرَ أَمْوَالًا و أَوْلَادًا أقوى منكم جسديا و ماديا و عددا و عدة فَاسْتَمْتَعُوا بِخِلَافِهِمْ أى طلبوا المتعة و رغد العيش
 و أخذوا نصيبهم من الملذات العاجلة ثم أهلكناهم رغم قوتهم و مالهم و بنيتهم فَاسْتَمْتَعْتُمْ مثلهم بِخِلَافِكُمْ بحظكم من الدنيا كما
 اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخِلَافِهِمْ أى أنكم فعلتم مثل فعلهم مع أنكم أضعف منهم و خُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أى تمرغتم فى الكفر و
 استهزأتم بالمؤمنين كما فعلوا أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فى الدُّنْيَا و الآخرة أى أن أولئك الكفار و المنافقين بطلت أعمالهم و خسرت
 صفقتهم عاجلا- و آجلا إذ لا ثواب لأعمالهم لكفرهم و لأنها ليس فيها طاعة لله. و أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ لأنهم خسروا أنفسهم فى
 الآخرة بعد أن لفظتهم دنياهم ... ٧٠- أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ... أى ألم يصل إلى هؤلاء المنافقين خبر المنافقين الذين وصفهم
 و كانوا سابقين لهم ك قوم نوح و عاد و ثمود، و قوم إبراهيم و أصحاب مدين و المؤمنين و المؤمنات فاهلك قوم نوح بالغرق، و عادا بالريح
 الصرصر، و ثمود بالرجفة، و قوم إبراهيم بسلب النعمة و ظلم النمرود، و أصحاب مدين بعذاب يوم الظلمة، و المؤمنات بالمؤتفكات: أى القرى
 الثلاث التى كان يسكنها قوم لوط هلك بالخسف. أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ أى جاءهم بالحجج و الدلائل و المعجزات فما كان الله
 لِيُظْلِمَهُمْ أى لم يظلمهم حين أهلكتهم و لَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ فهم ظلموا أنفسهم بكفرهم لما كذبوا رسلهم. ٧١- و الْمُؤْمِنُونَ و
 الْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ... قابل سبحانه فى هذه الآية النقيض بالنقيض فقال: إن المؤمنين و المؤمنات بعضهم ولى بعض فى
 النصرة و الموالاة و سائر مظاهر الحياة، شأنهم شأن النفس الواحدة، يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ أى بجميع ما أمر الله به و يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ أى
 يمنع بعضهم بعضا عما نهى الله عن فعله و يَتَّقُونَ الصَّلَاةَ و يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ حسب أوامره سبحانه و يداومون على فعل الطاعات جميعها،
 و يُطِيعُونَ اللَّهَ و رِسُولَهُ و أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ تنالهم رحمته فى الآخرة إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ مر معناه. ٧٢- وَعِدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ و
 الْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ ... هؤلاء الذين مرت صفاتهم فى الآية السابقة، وعدهم الله فى الآخرة جنات النعيم التى تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أى
 تسيل أنهارها مناسبة تحت أشجارها الوارفة الظلال، خالدين فيها مقيمين دائما و أعد لهم فيها مَسَاكِينَ طَيِّبَةً تحلو فيها الحياة و تطيب
 لأنها مَبْتِئَةٌ من الياقوت و الزبرجد و اللآلى و هم لا يرون فيها همًا و لا غمًا، و هى معدة لهم فى جَنَّاتٍ عِدْنٍ قد تكون وسط الجنة أو
 أعلاها قرب منازل الأنبياء (ص) و الأولياء (ع) و رِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ أى أن الرضا الذى ينالونه من ربهم سبحانه هو أكبر من ذلك
 كله ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ هو النجاح الكبير. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٢٠٤-٧٣- يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ
 ... خطاب لرسول الله (ص) بأن يأخذ الكفار بالسيف و القتل و المنافقين بالوعظ و التخويف و إقامة الحدود و اغْلُظْ عَلَيْهِمْ أى شدّد
 اللهجة و لا تشفق عليهم، و مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمَ مسكنهم و بَشَسَ الْمَصْرِيَّةُ أى ساء ذلك المرجع و ذلك المسكن. ٧٤- يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا
 ... هؤلاء المنافقون يقسمون بالله- كاذبين قطعاً- أنهم ما قالوا الكلام الذى نقل عنهم من نفاقهم و لقد قالوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ بالحقيقة لأن
 الله تعالى أقسم على ذلك باللام و حقه بقدره. و كلمة الكفر هى جحدهم بنعم ربهم و طعنهم فى الدين و كفروا بعد إسلامهم أى بعد

إظهارهم الإسلام أظهروا ما كانوا يبتغون من الكفر وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ يَعْنِي أَنَّ النعمة التي عَمَّتْهم بفضل محمد (ص) قد أبطرتهم و فعلوا ضد واجب شكرها، فقابلوا الإحسان بالكفران فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ أَى إِذَا عَادَ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ إِلَى الْحَقِّ تَكُونُ تَوْبَتُهُمْ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ بَقَائِهِمْ عَلَى النِّفَاقِ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا أَى يَعْزُبُوا عَنْ الْحَقِّ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا مَوْجِعًا فِي الدُّنْيَا بِمَا يَصِيبُهُمْ مِنْ وِيَلَاتٍ وَسُوءِ سَمْعِهِ وَالْآخِرَةُ نَارُ جَهَنَّمَ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَى فِي مَا حَوْلَهُمْ مِنَ النَّاسِ مِنْ وَلِيٍّ صَاحِبٍ وَلَا نَصِيرٍ يَعْنِيهِمْ عَلَى مَا هُمْ فِيهِ مِنْ وِيَلَاتٍ وَيُدْفَعُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ. ٧٥- وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَأْتِيَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ... أَى مِنَ الْمُنَافِقِينَ مَنْ قَالَ عَلَى عَهْدِ اللَّهِ إِنْ رَزَقْنِي لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ أَى لَنَتَصَدَّقَنَّ عَلَى الْفُقَرَاءِ وَنَحْسَنَ إِلَى الْمَسَاكِينِ ٧٦- فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ أَى فَلَمَّا رَزَقَهُمْ كَمَا تَمَنَّاوْا شَحَّتْ نَفُوسُهُمْ بِالْوَفَاءِ بِعَهْدِ اللَّهِ وَنَمَعُوا حَقَّ اللَّهِ الْوَاجِبَ وَتَوَلَّوْا أَنْصَرَفُوا وَهُمْ مُعْرِضُونَ عَمَّا أَمَرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ وَنَمَعُوا بِوَفَاءِ بَعْدِهِمُ الْكَاذِبِ. وَهَذِهِ آيَاتُ نَزَلَتْ فِي ثَعْلَبَةَ بْنِ حَاطِبٍ، وَهُوَ مِنَ الْأَنْصَارِ. ٧٧- فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ ... أَى أَنْ بَخِلَهُمْ بِالصَّدَقَةِ وَامْتَنَاعَهُمْ عَنْ دَفْعِ حَقِّ اللَّهِ أَوْرَثَهُمُ النِّفَاقَ الَّذِي يُلَازِمُهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ حَيْثُ يَتْلَقُونَ اللَّهَ بِهِ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ أَى بِسَبَبِ نَكْثِهِمْ لِلْعَهْدِ وَإِخْلَافِهِمْ لِلْوَعْدِ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ أَى بِسَبَبِ كَذِبِهِمْ فِي دَارِ الدُّنْيَا. ٧٨- أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ ... يَعْنِي: أَمَا يَعْرِفُ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ الْمَعَاهدُونَ النَّاسِ أَنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ يَعْلَمُ مَا يَخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ وَمَا يَتَنَاجَوْنَ بِهِ بَيْنَهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ وَالْعَلَّامُ هُوَ الْكَثِيرُ الْعِلْمُ الشَّدِيدُ الْإِطْلَاعُ، وَالْغُيُوبُ مَفْرُودًا: غَيْبٌ، وَهُوَ كُلُّ مَا غَابَ عَنِ الْإِحْسَاسِ وَلَمْ تَسْتَطِعِ الْحَوَاسِ أَنْ تَنْفِذَ إِلَيْهِ وَتَعْرِفَهُ، فَاللَّهُ عَزَّ اسْمُهُ وَحْدَهُ يَعْلَمُ الْغَيْبَ. ٧٩- الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ ... اللَّمَزُ هُوَ الْعَيْبُ، وَهَذِهِ صِفَةُ ثَانِيَةٍ لِلْمُنَافِقِينَ بِأَنَّهُمْ يَعْيُونَ الْمُتَبَرِّعِينَ بِالصَّدَقَةِ الْمُؤْمِنِينَ بِوُجُوبِهَا وَيَعْيُونَ مَعَهُمُ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ أَى الْمُتَصَدِّقِينَ بِالْقَلِيلِ لِأَنَّهُمْ لَا يَمْلِكُونَ إِلَّا الْقَلِيلَ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ يَسْتَهْزِئُونَ بِصَدَقَاتِهِمْ، فَأُولَئِكَ الْمُنَافِقُونَ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ يَعْنِي جَازَاهُمْ جَزَاءَ سَخَرِيَّتِهِمْ وَلَهُمْ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ مَوْجِعٌ. إِرْشَادُ الْأَذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ٢٠٥ ٨٠- اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ... يَبْدُو أَنْ صِيغَةُ الْفِعْلِ صِيغَةُ أَمْرٍ، وَهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ مَبَالِغَةٌ فِي الْإِيَّاسِ مِنَ الْمَغْفِرَةِ وَالرَّحْمَةِ، فَالِاسْتِغْفَارُ لَهُمْ وَتَرْكُ الْاسْتِغْفَارِ لَهُمْ سَيِّئَانِ. إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ أَى: فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ الْبَتَّةَ. أَمَا ذِكْرُ السَّبْعِينَ مَرَّةً فَهُوَ لِلْمَبَالِغَةِ لَا لِعَدَدِ الَّذِي يُوْجِبُ الْمَغْفِرَةَ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَلَمْ يَصَدِّقُوا بِوُجُودِ اللَّهِ، وَلَا بِدَعْوَةِ رَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ مَرَّةً تَفْسِيرُهُ سَابِقًا. ٨١- فَرَحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعِدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ ... الْمُخَلَّفُونَ: وَيَعْنِي بِهِمْ سَبْحَانَهُ الَّذِينَ تَرَكَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ (ص) يَوْمَ خُرُوجِهِ إِلَى تَبُوكَ إِذْ اسْتَأْذَنُوهُ فِي التَّخَلُّفِ فَلَمْ يَخْرُجْهُمْ مَعَهُ لِأَنَّهُمْ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ، فَفَرَحَ هَؤُلَاءِ بِبَقَاؤِهِمْ عَنْ نَصْرَتِهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَيَبْذُلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لِلْمُسْلِمِينَ صَدَّا لَهُمْ عَنِ الْغَزْوِ مَعَهُ (ص): لَا تَتَفَرَّوْا فِي الْحَرِّ أَى لَا تَخْرُجُوا مَعَ الْجَيْشِ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ الْحَارَّةِ قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ نَارُ جَهَنَّمَ الَّتِي وَجِبَتْ لَهُمْ بِبَقَاؤِهِمْ عَنْ الْجِهَادِ أَشَدُّ حَرًّا مِنَ الْحَرِّ الَّذِي يَتَعَلَّلُونَ بِهِ، وَهِيَ أَوْلَى بِأَنْ يَتَّقَوْهَا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ أَى: لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ أَوَامِرَ اللَّهِ وَنَوَاهِيهِ. ٨٢- فَلْيُضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا ... هُوَ أَمْرٌ يَحْمِلُ التَّهْدِيدَ أَى فَلْيَسْتَهْزِئُوا وَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا فِي حَيَاتِهِمُ الدُّنْيَا، وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا فِي الْآخِرَةِ لِأَنَّ الْيَوْمَ فِيهَا مَقْدَارُهُ خَمْسُونَ أَلْفَ سَنَةٍ، فَذَلِكَ جَزَاءُ لَهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ أَى بِمَا احْتَطَبُوا مِنَ الْمَعَاصِي وَالْكَفْرِ وَالتَّخَلُّفِ عَنِ الْجِهَادِ بِغَيْرِ عَذْرِ. ٨٣- فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ ... أَى: يَا مُحَمَّدُ إِنْ رَدَّكَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ غَزْوِكَ هَذَا إِلَى طَائِفَةٍ جَمَاعَةٍ مِنْهُمْ مِنْ أُولَئِكَ الْمُتَخَلِّفِينَ عَنْ نَفَرِكَ فَاسْتَأْذِنُوكَ وَطَلَبُوا مِنْكَ الْإِذْنَ لِلْخُرُوجِ مَعَكَ إِلَى غَزْوَةٍ أُخْرَى فَقُلْ لَهُمْ: لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا لَنْ أَسْمَحَ لَكُمْ بِمِرَافِقَتِي وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا فِي حَرْبٍ مِنْ حُرُوبِي الَّتِي أُجَاهِدُ بِهَا الْكُفَّارَ إِذْ إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ عَنِ الْجِهَادِ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَى فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ يَعْنِي ابْقُوا مَعَ الْمُتَأَخِّرِينَ عَنِ الْجِهَادِ، الَّذِينَ قِيلَ إِنَّهُمْ النِّسَاءُ وَالصِّبْيَانِ، وَقِيلَ هُمْ الْمُعْتَذِرُونَ. ٨٤- وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا ... هُوَ أَمْرٌ يَنْهَاهُ بِهِ عَنِ الصَّلَاةِ عَلَى أَى وَاحِدٍ مَاتَ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ وَكَانَ مِنْ عَادَتِهِ (ص) ذَلِكَ وَ لَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ أَى لَا تَقِفْ عَلَى قَبْرِهِ كَمَا هِيَ عَادَتُكَ لِتَدْعُوهُ بِالْمَغْفِرَةِ، حَيْثُ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ أَنْكَرُوهُمَا وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ خَارِجُونَ عَلَى حُكْمِ اللَّهِ. ٨٥- وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ ... مَرَّةً هَذِهِ آيَةٌ عِنْدَ تَفْسِيرِ الْآيَةِ ٥٥ مِنْ هَذِهِ السُّورَةِ

فراجع. ٨٦- وَإِذَا أَنْزَلْتُ سُورَةً أَنْ آمِنُوا بِهَا لِلَّهِ ... أى إذا أنزلت سورة من القرآن تدعو إلى التصديق به سبحانه وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ

يعنى: كونوا معه فى جهاد عدوه اشتدَّتْكُمْ أُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ أى طلب الإذن منك فى التخلف أصحاب المال والقدرة من المنافقين وَ

قَالُوا لَكَ دَرْنَا دَعَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ نبقى مع المتأخرين عن الجهاد. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٢٠٦ ٨٧- رَضُوا بِأَنْ

يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ ... الخوالف هم النساء والصبيان والمرضى سموا بذلك لتخلفهم عن الجهاد. فالمنافقون قنعوا بأن يكونوا معهم،

وَ طَبَعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَر تَفْسِيرُهُ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ لَا يَعْلَمُونَ. ٨٨- لَكِنَّ الرُّسُولَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ ... انتقل سبحانه إلى الثناء على رسوله

(ص) وعلى الذين صدقوه واتبعوه فقال: إِنَّ هَؤُلَاءِ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ إِذْ أَنْفَقُوهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَجَاهِدُوا بَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ

قِتَالِ الْكُفَّارِ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ الْكَثِيرَةُ فِي جَنَّةِ النَّعِيمِ - وعلى ما يقتضيه الجمع المحلى بالألف واللام- فَإِنْ لَهُمْ جَمِيعُ الْخَيْرَاتِ،

مِنَ الْحَيَاةِ الطَّيِّبَةِ وَنُورِ الْهُدَى وَالشَّهَادَةِ، وَ سَائِرُ مَا يَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ الناجحون. الفائزون بالسعادة.

٨٩- أَعِدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَاتٍ ... أعد: هيا وقد مر معنى الآية فى الآية ٧٢ من هذه السورة فراجع. ٩٠- وَجَاءَ الْمُعَذِّبُونَ مِنَ الْأَغْرَابِ ...

المعذِّرون: جمع معذِّر سواء كان له عذر أو لم يكن، معذِّر أى: مقصِّر، وهو الذى يريك أنه معذور ولا عذر له. والمعنى أنه جاء

هؤلاء المعتذرون إليه (ص) لِيُؤْذَنَ لَهُمْ فى عدم الخروج إلى الجهاد وَقَعِدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ فِيمَا كَانُوا يَبْطِنُونَهُ مِنَ النِّفَاقِ

سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ والفريقان من الذين كفروا، أى الذين اعتذروا كاذبين، والذين قعدوا ولم يعتذروا سيحل

بهم عذاب موجه. ٩١- لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى ... أى ليس على الذين لا قوة لهم لعجزهم أو زمانتهم على الخروج

للجهاد، ولا على أصحاب العلل التى تحول دون المشاركة فى الجهاد، وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ بسبب فقرهم حَرَجٌ ضِيقٌ

وجناح فى تخلفهم أو أن الحكم بالوجوب الذى وضع كان حكما حرجيا وكذا ما يستتبعه الحكم من الذم والعقاب على تقدير

المخالفة. إِذَا نَصَبُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ بِإِخْلَاصِ الْعَمَلِ وَالطَّاعَةِ فَرَفَعَ الْحَرَجَ عَنْ هَؤُلَاءِ وَهُوَ الذَّمُّ وَالْعِقَابُ مُقِيدٌ بِمَا إِذَا نَصَحُوا اللَّهَ وَ

رَسُولَهُ وَخَلَصُوا مِنَ الْغَشِّ وَالْخِيَانَةِ وَلَمْ يَجْرُوا فِي قَعُودِهِمْ عَلَى مَا يَجْرَى عَلَيْهِ الْمُنَافِقُونَ الْمُتَخَلِّفُونَ مِنْ تَقْلِيلِ الْأُمُورِ وَإِفْسَادِ الْقُلُوبِ

فِي الْمَجْتَمَعِ الْإِسْلَامِيِّ، وَإِنَّمَا يَجْرَى عَلَيْهِمْ مَا يَجْرَى عَلَيْهِمْ مِنْ ذَمٍّ وَعِقَابٍ. مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ أى ليس من طريق لَذَمٍّ مِنْ

فعل الحسن وقعد عن الجهاد وإذا كان لا يملك غير ذلك، وقيل هو عام فى سائر وجوه الإحسان وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ مر معناه. ٩٢- وَ

لَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ ... يعنى أنه ليس من حرج أيضا على الذين يجيئونك سائلين منك مركبا تحملهم عليه ليخرجوا

إلى الجهاد مَعَكَ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ أى ليس لدى مركب تركبونه، فَتَوَلَّوْا أَنْصَرَفُوا مِنْ عِنْدِكَ وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ

حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ أى تسيل بالدمع لأجل الحزن الذى يصيبهم من جراء عدم مشاركتهم إِيَّاكَ فى الجهاد. ٩٣- إِنَّمَا السَّبِيلُ

عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ ... أى أن الطريق مشرعه إلى ذمٍّ وتقريع، أولئك الذين يطلبون الإذن منك بالعودة وَهُمْ أَغْنَاءُ مَتَمَكِّنُونَ مِنْ

مشاركتك فى المال والنفس وقد رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ مَر تَفْسِيرُهُ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ مَر تَفْسِيرُهُ أيضا.

إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٢٠٧ ٩٤- يَغْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ ... ما زال الكلام عن المعتذرين للنبي (ص) و

للمؤمنين جميعا عن عدم الخروج معه إلى غزوة تبوك اعتذارا باطلا بعد رجوعه (ص) والمؤمنين إلى المدينة قُلْ يَا مُحَمَّدُ لَهُؤُلَاءِ لَا

تَعْتَذِرُوا لَنْ تُؤْمِنَ لَكُمْ أى لن نصدقكم فى قولكم على ما تعتذرون به إِذْ قَدْ تَبَيَّنَا أَخْبَرْنَا اللَّهَ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَعَرَفْنَا حَقِيقَةَ أَمْرِكُمْ مِمَّا

يظهر به كذبكم ونفاقكم فيما تعتذرون به وَ سَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ أَى سَيَطَّلِعُ هُوَ سُبْحَانَهُ وَرَسُولُهُ (ص) على أعمالكم وهل

أنكم تتوبون عن نفاقكم أم تداومون عليه، ثُمَّ تُرَدُّونَ أى ترجعون يوم القيامة إلى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الذى يعلم ما غاب منكم وما

حضر فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ بعملكم حسنه وقيحه فيجازيكم عليه. ٩٥- سَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ ... أى

سيقسم المتخلفون عن النصرة ليعتذروا إليكم أيها المؤمنون حين ترجعون إليهم لِيُتْرَضُوا عَنْهُمْ أى لتصرفوا عن جريمتهم وتوبخهم

فلا- تتعرضوا لهم بالتقريع والعتاب وما يستتبعهما فَأَعْرَضُوا عَنْهُمْ أَنْصَرَفُوا عَنْهُمْ انصرفوا رد وتكذيب إِنَّهُمْ رَجِسٌ نَجِسٌ يَجِبُ أَنْ

تجتنبوه وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ مَقَرُّهُمْ الدائم جزاء بما كانوا يَكْسِبُونَ مِنَ الْمَعَاصِي. ٩٦- يَخْلِفُونَ لَكُمْ لِيَتْرَضُوا عَنْهُمْ ... أى طلبا لرضاكم عنهم

إضافه إلى أنه كان للتوصل به إلى صرفكم عن تقيعهم و ذمهم و توبيخهم كما مر فإن تَرْضَوْا عَنْهُمْ تصفحوا عنهم لجهلكم بحالهم فإن الله لا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ الذين يخرجون عن طاعة الله لعلمه بحالهم و لذا فلن ينفعهم رضاكم. لأنكم إن رضيت عنهم فإنكم تكونون قد رضيتهم عن لم يرض الله عنه، أى رضيتهم بخلاف رضى الله و لا ينبغي لمؤمن أن يرضى عما يسخط ربه. ٩٧- الأعراب أَشَدُّ كُفْرًا وَ نِفَاقًا ... أى الأعراب الذين كانوا حول المدينة، و إنما كانوا أشد كفرا من الحضرة لأنهم قساة جفاء فهم أبعد عن سماع الدعوة بسبب بعدهم عن مجالس العلم و التوعية و هم أَجْدَرُ أى أحرى أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ أى أن يقوموا بفرائض الله تعالى و ما شرع على يد رسوله (ص) من حلال و حرام، و اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ مر معناه. ٩٨- وَ مِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا ... يعنى أن من منافق هؤلاء الأعراب من يعتبر أن النفقات التى يصرفها فى سبيل الجهاد ضريبة لحقت به و هم لا يرجون ثوابا عليها قال فى المجمع: المغرم و الغرم هو نزول نائبة بالمال من غير خيانه و أصله لزوم الأمر يقال: حرب غرام، أى لازم، و الغريم يقال لكل واحد من المتدينين للزوم أحدهما الآخر وَ يَتَرَبَّصُّ يَنْتَظِرُ بِكُمْ الدَّوَائِرُ أى حوادث الزمان و صروفه كالموت و القتل و غيرهما. عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ دعاء عليهم بالبلاء بعد العافية و بسوء العاقبة و اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ مر معناه. ٩٩- وَ مِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ ... أى و من هؤلاء الأعراب من يصدق بالله و رسوله و يوم الجزاء وَ يَتَّخِذُ يَحْدُ مَا يُنْفِقُ يَبْذُلُ فى الجهاد قُرْبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ أعمال طاعة تقربه من مرضاه الله، وَ صِلَاوَاتِ الرَّسُولِ وَ يَتَغَى بها دعاء الرسول له بالخير و البركة أَلَا إِنَّهَا قُرْبَى لَهُمْ أى أن نفقتهم و صلوات الرسول تقربهم من ثواب الله لأنهم قصدوا بها وجهه سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ أى أنه سيرحمهم و يدخلهم الجنة. إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ مر معناه. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٢٠٨ ١٠٠- وَ السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَ الْأَنْصَارِ ... بعد ذكر المنافقين و الكفار ذكر سبحانه السابقين إلى الإيمان و الجهاد ممن هاجروا من مكة أو ممن آووا و نصرروا النبى و أصحابه فى المدينة، فقال: هؤلاء و هؤلاء و معهم الَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ أى تابعوهم على عمل الخير و الدخول فى الدين و سلخوا منهاجهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قبل أعمالهم وَ رَضُوا عَنْهُ لكثرة ما أجزل لهم من الثواب وَ أَعِدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ مر تفسيرها مكررا. ١٠١- وَ مِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ ... يعنى: و من جملة من هم حول مدينتكم أعراب يسكنون البادية مُنَافِقُونَ يظهرون لكم الإيمان و يطنون الكفر، كمزينة و أسلم و غفار و أشجع، وَ بَعْضُ مِنَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ نَفْسُهُا مُنَافِقَةٌ كَذَلِكَ مَرَدُّوهُ عَلَى النَّفَاقِ أى مرنوا عليه و تجزأوا لا تَعْلَمُهُمْ يَا مُحَمَّدُ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ نعرفهم سَيُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ أى مرة فى الدنيا بالفضيحة كالذين أخرجهم رسول الله (ص) من المسجد و أخزاهم، و كالذين يصيبهم القتل و السبى و الجوع و غير ذلك، و مرة بعذاب القبر ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ ينالونه يوم القيامة. ١٠٢- وَ آخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ ... أى و من أولئك الأعراب قوم آخرون تابوا من ذنوبهم و أقروا بها، و كانوا قَدْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَ آخَرَ سَيِّئًا فَأَحْسَنُوا مَرَّةً وَ أَسَاؤُوا مَرَّةً عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ معناه: لعل توبتهم تقبل، و قيل: إن عَسَى من الله تعالى واجبة، يعنى أنه أخذ على نفسه المغفرة لهم، و لكنه استعمل عَسَى ليكونوا بين الخوف و الرجاء و لئلا يتكلوا على العفو و يتخلوا عن التوبة و العمل الصالح. إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ مر تفسيره. ١٠٣- خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ ... الخطاب للنبى (ص)، يأمره الله عز و جل بأخذ الصدقة و زكاة الأموال ممن ذكرهم فى الآية السابقة، تطهيرا لهم و تنسبهم إلى الزكاة بها و تكفيرا عن ذنوبهم. وَ تَزَكِّيهِمْ بِهَا تنظفهم من دنس الذنوب. وَ صَلَّ عَلَيْهِمْ أى ادع لهم بقبول الصدقة كما هى عادتك، إِنَّ صِلَاتَكَ يَا مُحَمَّدُ سَكَنٌ لَهُمْ أى أن دعاءك لهم تسكن به نفوسهم و قيل: رحمه لهم و اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ مر معناه. ١٠٤- أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ ... هذا استفهام منه سبحانه يعنى به أنه ينبغي أن يعلم، بل يجب أن يعرف أن الله يقبل التوبة الصادرة عن عباده و فى هذا ما فيه من الترغيب بالمسارعة إلى التوبة. وَ يَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ التى يقدمونها فيقبلها و يضمن الجزاء لهم عليها هُوَ لِيَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ النَّوَّابُ الرَّحِيمُ جملة مر تفسيرها. ١٠٥- وَقُلْ اْعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَ رَسُولُهُ ... أى: قل يا محمد للمكلفين من الناس: اعملوا ما أمركم الله تعالى به و اعلموا أنه مجازيكم على أفعالكم لأنه يرى عملكم هو و يراه رسوله (ص). وَ الْمُؤْمِنُونَ قِلٌ إِنْ عَمِلْتُمْ يَرَاهُ أَيْضًا الشَّهَدَاءُ أَوْ أَرَادَ بِهِمُ الْمَلَائِكَةُ الْحَفَظَةُ كَاتِبِي الْأَعْمَالِ، و لكن أصحابنا رَوَوْا أَنَّ أَعْمَالَ الْأُمَّةِ تُعْرَضُ عَلَى النَّبِيِّ (ص) فى كُلِّ اثْنَيْنِ وَ

خميس فيعرفها، وكذلك تعرض على أئمة الهدى (عليهم السلام). وهم المعتبون بهذا القول. وَ سَتَرْدُونَ ترجعون إلى عالم الغيبِ وَ الشَّهَادَةِ وَ هو الله تعالى الذى يعلم السرّ وَ ما غاب عن الآخرين فَيَبْشُرُكُمْ يخبركم بما كُنتُمْ تَعْمَلُونَ فيثيبكم عليه أو يجازيكم. ١٠٦- وَ آخِرُونَ مُرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ أى أن هناك آخرين من العباد مؤخرون وَ موقوفون لما يأتى من أوامر الله بشأنهم قبل أن يصار بهم إلى الجنة أو إلى النار، ف إما يُعَذَّبُهُمْ فيدخلهم النار باستحقاقهم لها وَ إما يُتُوبُ عَلَيْهِمْ فيتجاوز عن ذنوبهم التى تابوا عنها و يدخلهم الجنة. وَ هذا يعنى أن فريقا من العصاة يكون أمرهم إليه سبحانه إن شاء عذبهم وَ إن شاء عفا عنهم لأن قبول التوبة بحد ذاته تفضل من الله وَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ حَكِيمٌ مر معناه. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٢٠٩ ١٠٧- وَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضَرَارًا وَ كُفْرًا ... أى وَ من المنافقين الذين تكلمنا عنهم قوم بنوا مسجدا ضارارا: طلبا للضرر، وَ كفرا: طلبا لإقامة الكفر فيه وَ الاجتماع للطعن على رسول الله (ص) وَ تَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ أى بقصد تفريقهم عنك وَ لبث الشقاق بينهم وَ إِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ أى أرصدوا ذلك المسجد لأعدائك كأبى عامر المترهب الذى حسدك وَ حَزَبَ عَلَيْكَ وَ ذهب إلى قيصر الروم ليأتى بجنده لمحاربتك وَ لِيَحْلِفَنَّ إِنَّهُمْ وَ اللَّهُ لِيَقْسِمَنَّ الْإِيمَانَ قَائِلِينَ: إِنْ أَرَدْنَا يَعْنِي: مَا أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى إِلَّا الْفِعْلَةَ الْحَسَنَى الْجَيِّدَةَ كالتوسع على الضعفاء من المسلمين، وَ اللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ وَ كفاهم خزيا أن يشهد الله تعالى بكذبهم وَ نفاقهم. ١٠٨- لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ... أى: يا محمد: لَا تَقُمْ للصلاة فى ذلك المسجد أبدا. لَمْسَجِدُ أى: وَ الله إن مسجدا أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى أى قام أساس بنيانه على طاعته الله وَ اجتناب معاصيه مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ منذ وضع أساسه أَحَقُّ أَجْدَرُ أَنْ تَقُومَ فِيهِ وَ هو أولى أن تقيم الصلاة فيه. قيل إنه مسجد قباء فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا أى يحبون أن يصلوا متطهرين من الخبائث كالطهارة بالماء من البول وَ الغائط وَ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ أى المتطهرين. ١٠٩- أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَ رِضْوَانٍ خَيْرٌ ... إلى آخر الآية ... استفهام إنكارى بينا تفسيره فيما مضى، فقد شبه الله تعالى بنيانهم لهذا المسجد الممقوت، بمن بنى بيتا على جانب نهر قد يجرفه الماء وَ لا يثبت أمام فيضانه وَ كذلك بناؤهم هذا سينهار بهم فى نار جهنم. وَ هذا يعنى أنه لا- يستوى عمل المتقين وَ عمل العاصين ... ١١٠- لَا- يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِى بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ ... أى سيبقى البناء الذى بنوه حسرة أو شكّا فى قلوبهم فى إظهارهم للإسلام وَ ثباتهم على النفاق، إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ أى: إِلَّا أَنْ يَمُوتُوا فينقطع الشكّ وَ الحسرة من نفوسهم وَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ حَكِيمٌ مر معناه. ١١١- إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَ أَمْوَالَهُمْ ... الا- اشتراء لا- يجوز عليه سبحانه لأن المشتري يشتري ما لا- يملك، وَ هو جلّ وَ عَزَّ مالِكُ السماوات وَ الأرضين. وَ لكنه لما ضمن الثواب على نفسه لقاء الإيمان وَ القيام بالطاعات، عَبرَ عن ذلك بالا- اشتراء مجازا. فهو هنا يرغّب المؤمنين بالجهاد لأنه يشتري- بالمعنى الذى ذكرناه- نفوسهم التى يبذلونها فى سبيل إعلاء كلمته، وَ أموالهم التى ينفقونها ابتغاء مرضاته بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ أى اشترى ذلك بالجنة فجعلها ثمنا لأنفسهم وَ مالهم. يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَأَوْضَحَ السَّبَبَ الذى من أجله اشترى أنفسهم وَ أموالهم فيقتلون أعداءهم الكافرين وَ يُقْتَلُونَ أحيانا وَ يكونون شهداء وَ عِدًّا عَلَيْهِمْ أى: وعدهم الله تعالى وعدا حَقًّا لا شكّ فيه فى التَّوْرَةِ وَ الْإِنْجِيلِ وَ الْقُرْآنِ أى فى الكتب السماوية المقدسة، وَ مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ وَ هل هناك من يفى بالعهد غير الله سبحانه. فَاسْتَبَشِرُوا أيها المؤمنون خذوا البشارة بِنَيْعِكُمُ الَّذِى بَايَعْتُمْ بِهِ فَافْرَحُوا ببيع الزائل بالباقي، وَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ أى النجاح الكبير. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٢١٠ ١١٢- التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ ... هذه كلها صفات للمؤمنين الذين اشترى سبحانه منهم أنفسهم وَ أموالهم، وَ هم الذين يعبدونه وحده وَ لا يشركون به شيئا، وَ يحمدونه على كل حال فى السراء وَ الضراء، وَ السائحون: أى الصائمون. وَ قيل هم المترددون فى الأرض المتأملون بعجائب صنعه، أَو الذين يضربون فى الأرض لطلب العلم، وَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ أى المقيمون للصلاة بأركانها، وَ الَّامُّونَ بِالْمَعْرُوفِ الهادون غيرهم إلى فعل أوامر الله. وَ النََّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ المانعون الناس عما نهى الله تعالى عنه وَ الْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ القائمون بطاعته حسبما حدّد فى أوامره وَ نواهيه وَ الواجبات، وَ بَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ أى: يا محمد انقل هذه البشارة للمصدقين بالله وَ بك، وَ خاصة لمن جمعوا هذه الصفات وَ أخبرهم بالثواب الجزيل وَ الأجر العظيم. ١١٣- مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ ... أى: ليس للنبي (ص) وَ لا للمؤمنين أن يطلبوا المغفرة من الله تعالى للمشركين. وَ لَوْ كَانُوا أى: وَ لو كان المشركون أولى قُرْبَى من

أقرب الناس إليهم كأن كانوا آباءهم أو أبناءهم أو غيرهم مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ أى من بعد أن اتضح لهم كونهم من أهل النار. ١١٤- وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ ... بعد النهى عن الاستغفار للمشركين البتة، ذكر سبحانه أن استغفار إبراهيم (ع) لأبيه، لم يكن إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ أى: لم يصدر إِلَّا بسبب موعدة وعدها إياه وذلك قوله: سأستغفر لك ربى ... وقيل إنه كان يستغفر له بشرط الإيمان. فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ مَصْرٌّ عَلَى الْكُفْرِ: ترك الدعاء له إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ أى: إنه كثير الدعاء والبكاء صبور على الأذى صفوح عن زلات غيره. ١١٥- وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ ... أى أن الله سبحانه لا يحكم بضلال قوم بعد ما هداهم حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ أى حتى يوضح لهم ما ينبغي أن يفعلوه وأن يجتنبوه فإن عصوا حكم بضاللتهم إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ لا يشد شئ عن علمه. ١١٦- إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ... مر معناه. يُحْيِي الْجُمَادِ وَيُمِيتُ الْحَيَّ متى شاء بقدرته، وَمَا لَكُمْ أَيْهَا النَّاسُ مِنْ دُونِ اللَّهِ غَيْرِهِ مِنْ وَلِيٍّ يَتَوَلَّى أموركم ويحفظكم وَلَا نَصْرَ يَنْصُرُكُمْ ويدفع عنكم العذاب والسخط من الله. ١١٧- لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ... اللام فى لَقَدْ هى لام القسم، وهذا يعنى أنه تبارك وتعالى قبل توبة المهاجرين والأنصار، وذكر على رأسهم النبى (ص) مفتاحا للكلام وتزيينا له وتحسينا للكلام عنها ولكون النبى (ص) سبب كل خير أصابوه الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وخرجوا معه إلى غزوة تبوك فى سَاعَةِ الْعُسْرَةِ أى حين الصعوبات التى عانوها فقد كان العشرة من المسلمين يخرجون على بعير يعتقونه بينهم وكان طعامهم من الشعير المسوس والتمر المدود. مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِنْهُمْ أى بعد أن كاد ينحرف ميل كثيرين منهم عن الجهاد، وراودتهم نفوسهم بالانصراف ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ من بعد ذلك الزيف الذى كاد أن يقع فى قلوبهم إِنَّهُ سبحانه بِهِمْ رَوْفٌ رَحِيمٌ قد عطف عليهم وتداركهم برحمته. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٢١١

١١٨- وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا ... أى أنه تعالى تاب أيضا على الثلاثة الذين تأخروا عن مرافقة النبى (ص) فى حرب تبوك، وهم: كعب بن مالك و مرارة بن الربيع و هلال بن أمية الذين تخلفوا عن الزحف لا- عن نفاق بل عن توان، ثم ندموا و جاؤوا إلى النبى (ص) بعد رجوعه ليعتذروا فلم يكلمهم و هجرهم و أمر المسلمين بهجرهم، فهجروهم، حتى الصبيان، فجاءت نساؤهم إلى النبى (ص) فقلن: يا رسول الله نعتزلهم؟ فقال: لا- ولكن لا يقربوك. فضاعت عليهم المدينة فخرجوا إلى رؤوس الجبال و كان ذووهم يأتونهم بالطعام و لا- يكلمونهم، و لمّا رأوا هذه الحال تهاجروا فيما بينهم و تفرّقوا و لم يجتمع منهم اثنان حتى مضى خمسون يوما كانوا أثناءها يتضرعون إلى الله و يبتهلون فقبل الله توبتهم و أنزل فيهم هذه الآية ... حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ أى ضاقت عليهم مع سعتها. وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ لَشِدَّةِ الْغَمِّ التى غمر صدورهم وَظَنُّوا أى اعتقدوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ أَي لَا عَاصِمَ مِنْهُ إِلَّا إِلَهُهُ بصدق التوبة ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا يعنى سهّل لهم طريق التوبة ليعودوا إلى حالتهم الأولى إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ الكثير القبول للتوبة من عباده الرحيم بهم. ١١٩- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ ... خطاب منه سبحانه للمؤمنين يشرفهم به إذ يخاطبهم أمرا بإياهم باجتناب معاصيه و اتباع أوامره بالطاعات. وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ أى اقتدوا بالصادقين الذين لا يكذبون فى قول و لا فعل. و روى الكلبي عن ابن عباس: كونوا مع الصادقين: مع على و أصحابه، و عن الباقر (ع): مع آل محمد (ص). وقيل غير ذلك. ١٢٠- مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ ... أى ليس لأهل المدينة و من يحيط بهم مِنَ الْأَغْرَابِ سَكَّانِ الْبَادِيَةِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ أَي عن الغزو معه إلى تبوك، أو غيرها بغير عذر مشروع وَلَا يَزْعُبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ و ليس لهم، و لا لأحد أن يطلب نفع نفسه دون نفس رسول الله (ص) ذَلِكَ أى ذلك النهى عن التخلف بأنهم لَا يُصَيِّهُمُ ظَمَأٌ عَطَشٌ وَلَا نَصَبٌ تَعِبٌ بَدْنِيٌّ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أى مجاعته و هم فى طريق طاعته سبحانه وَلَا يَطَّوُّنَ مَوْطِنًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ يعنى: و لا يضعون أقدامهم فى موضع ليجلبوا الغيظ للكفار حين مهاجمتهم و لا- يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا أى: و لا يصيبون أعدائهم أمرا من القتل و السبى و الكسب، إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِلَّا اعتبره الله تعالى طاعة مقرّبة إِنَّ اللَّهَ لَا يُضَيِّعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ أى لا ينقص العاملين شيئا من عملهم الحسن الذى يستحقون به المدح و الثواب. ١٢١- وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً ... أى أن المجاهدين مع النبى (ص) لا يقدمون من نفقة فى الجهاد صغيرة أو كبيرة وَلَا يَقْطَعُونَ وادِيًا أى: لا يتجاوزونه فى حال زحفهم إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ أَجْرُ ذَلِكَ و ثوابه لِيُجْزِيَهُمُ اللَّهُ بِأَجْرِهِمْ بقدر استحقاقهم بل أَحْسَنَ

ما كانوا يَعْمَلُونَ لأنه تعالى متفضل كريم يجعل الثواب دائما أحسن من العمل. ١٢٢- وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً ... كان رسول الله (ص) إذا خرج في غزو لا يتخلف عنه إلا المنافقون و المعذرون، ففضح الله تعالى المنافقين في تلك الغزوات، فصار المسلمون ينفرون جميعا كلما أمر رسول الله (ص) بالسرايا و يتركون رسول الله (ص) وحده، فأنزل سبحانه أن ليس للمؤمنين أن يخرجوا إلى الجهاد بأجمعهم و يتركوا النبي (ص) وحيدا. و قيل نزلت في النفر للتفقه في الدين فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ التفقه في الدين هو طلب الفقه أى العلم به. وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ أَيْ لِيُخَوِّفُوهُمْ إِذَا عَادُوا و ليعلموهم القرآن و السنّة لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ أى عسى أن يخافوا سخط الله فلا يعملون بخلاف ما أمر؟. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٢١٢

١٢٣- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ ... أى قاتلوا من بجوارحكم من الكفار الأقرب فالأقرب بالنسب أو الدار و الجوار و قد كان ابن عباس يقول: أمروا بقتال عدوهم الأدنى فالأدنى وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً أى شدّة و قسوة وَاغْلُمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ أى هو يعينهم و ينصرهم. ١٢٤- وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ ... أى: أن المنافقين الذين ذكرناهم لك، إذا أنزلت عليك سورة من القرآن فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ فَبَعْضُهُمْ يَقُولُ لِمَنْ يَلِيهِ عَلَى سَبِيلِ الْإِنكَارِ: أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ السُّورَةُ إِيمَانًا أَيْ تصديقا؟ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فزَادَتْهُمْ إِيمَانًا أى زادت إيمان المؤمنين يقينا و وجه زيادة الإيمان هنا أن المؤمنين كانوا يصدقون ما سبق نزوله من آيات فكلما نزلت آية جديدة صدّقوا بها و انضم تصديقهم اللاحق إلى ما سبق منه. وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ أى يتناقلون البشارة و تتهلّل وجوههم فرحا بنزول ما ينزل من الوحي. ١٢٥- وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ... أى المنافقين الذين مرضت قلوبهم بالشكوك فزادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ يعنى كفرا و دنسا، إلى جانب نفاقهم و ريائهم و زيادة رجس و كفر المنافقين عينا كزيادة إيمان المؤمنين مع استبدال التصديق هناك بالإنكار هنا. وَآمَنُوا وَهُمْ كَافِرُونَ أى على حالة الكفر. ١٢٦- أَوْ لَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ... أى: أولا- يعلم المنافقون المذكورون أنهم يمتحنون في كل سنة دفعة أو دفعتين بالأمراض و الآلام التى هى نذير بالموت؟ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ أى لا يرجعون عن كفرهم و لَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ و لا يتذكرون نعم الله عليهم و وجوب شكرها. ١٢٧- وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ ... أى أنهم كلما نزل وحي نظر بعضهم إلى بعض تبادلوها فى حضرة النبي (ص) النظرات الدالة على كره ما يسمعون و على أنهم يحذرون أن ينكشف نفاقهم لأحد هل يراكم من أحد؟ أى هل لاحظ هذه العلامة الفارقة فيكم أحد من المحدثين بالنبي (ص)؟ ثُمَّ انْصَرَفُوا قَامُوا و خرجوا من المجلس، صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ عَنْ ذَلِكَ و عن كل ما ينتفع به المؤمنون، و قيل: هو دعاء عليهم بأنهم قوم لا يفقهون أى لا يفهمون مراد الله بخطابه للناس. ١٢٨- لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ... المقصود بالرسول محمد (ص) و المعنى: أنه جاءكم رسول من جنسكم من البشر ثم من العرب ثم من بنى إسماعيل فهو منكم أيها البشر و منكم أيها العرب و منكم يا بنى إسماعيل عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ أى صعب عليه ما يلحقكم من الضرر بترك الإسلام، حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ أى حريص على الكافر أن يؤمن لتشمله رحمة الله و ينجو من عذابه بِالْمُؤْمِنِينَ رَوْفٌ رَحِيمٌ تشملهم رحمته و رأفته التى هى أشد من الرحمة ... ١٢٩- فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ ... أى يا محمد: إذا اعرض هؤلاء عمّا تدعوهم إليه من الإقرار بوحدانيّة الله و بصدق نبوتك، فقل حَسْبِيَ اللَّهُ: أى هو كافى، لا إله إلا هو و ما من ربّ سواه يستحق العبوديّة عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ فوضت إليه أمورى وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ و ربّ كل شىء فعلا، و لكنه ذكر العرش بالخصوص هنا تفخيما لشأنه عَزَّ و علا، لأن العرش كناية عن الملك و السلطان فى السماوات و الأرضين. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٢١٣

سورة يونس مكية، عدد آياتها ١٠٩ آية

١- الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ: قد تكلمنا عن معانى الحروف المعجمة الواقعة فى أول السور، فيما مضى. تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ أى هذه السور و التى كل واحدة منها عبارة عن مجموعة آيات هى من ذلك الكتاب الذى ربما كان اللوح المحفوظ الذى سمّاه حكيما لأنه ينطق بالحكمة و يؤدى إلى الصواب فى العلم و المعرفة. ٢- أَمْ كَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ ... هو

استفهام إنكارى، يعنى: هل كان وحينا المنزل على رجل من الناس وقيل بأن المقصود بهم أهل مكة - مدعاة لتعجبهم؟ أن أنذر الناس خوفهم بالعذاب وبشّر الذين آمنوا عرفتهم الخبر السار المفرح وهو أن لهم قدام صدق عند ربهم أن لهم أجرا حسنا ومنزلة سامية عند الله بما قدموا من صالح الأعمال. قال الكافرون المنكرون: إن هذا لساخر مبین أى أن النبى (ص) يأتى بسحر يخفى الحقيقة بالحيلة، و يظهرها على غير وجهها، حتى يتوهم الناس أنه يأتى بالمعجز. وقد قالوا ذلك لعجزهم عن أن يأتوا بمثل القرآن ليعارضوه به. ٣- إن ربكم الله الذى خلق السماوات والأرض ... أى أن خالقكم ومدبر شؤونكم الذى يجب عليكم عبادته هو الله الذى أنشأ السماوات والأرض أيضا، بما فيهما من التنظيم وعجائب الصنع فى سنته أيام لا تزيد ولا تنقص مع أن قدرته تسع خلقهما دفعة واحدة، ثم استوى على العرش فسرنا ذلك فى سورة الأعراف، يُدَبِّرُ الْأُمُورَ يَقْدِرُهُ عَلَى الْوَجْهِ الْأَكْمَلِ مَا مِنْ شَيْءٍ أَيْ لَيْسَ مِنْ مَتَوَسِّطٍ بِالشَّفَاعَةِ لِأَحَدٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ أَيْ بَعْدَ أَمْرِهِ وَالتَّرْخِصِ لَهُ بِذَلِكَ. ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ أَيْ أَنَّ الْمَوْصُوفَ بِتِلْكَ الصِّفَاتِ هُوَ إِلَهُكُمْ الْمُسْتَحَقُّ لِلْعِبَادَةِ فَاعْبُدُوهُ وَحْدَهُ وَلَا تَشْرِكُوا مَعَهُ شَيْئًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ يعنى: هَلَّا تَتَفَكَّرُونَ فِيمَا يُخْبِرُكُمْ بِهِ؟ ٤- إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ... أى: إلى الله مرجعكم الذى هو إمام معادكم وإمام موضع رجوعكم يوم حشركم جميعا فى صعيد واحد وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا أَيْ: أَنَّهُ سَبْحَانَهُ وَعَدَ بِذَلِكَ عِبَادَهُ وَعَدَا صَادَقًا. إِنَّهُ جَلَّ وَعَلَا يَبْدَأُ الْخَلْقَ يَنْشِئُهُ ابْتِدَاءً وَعَلَى غَيْرِ مِثَالٍ ثُمَّ يُعِيدُهُ بَعْدَ مَوْتِهِ لِيُجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَيْ لِيُعْطِيَهُمْ ثَوَابَ أَعْمَالِهِمُ الْحَسَنَةِ بِالْقِسْطِ أَيْ الْعَدْلِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ مَاءً حَارًّا غَايَةُ الْحَرَارَةِ مِنْ شِدَّةِ نَارِ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ مَوْجِعٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ أَيْ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ وَجَزَاءَ لَهُمْ عَلَيْهِ. ٥- هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً ... أَيْ أَنَّ هَذَا الْمَتَوَحِّدَ فِي الرُّبُوبِيَّةِ وَالْخَلْقِ وَالتَّدْبِيرِ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً بِالنَّهَارِ وَالْقَمَرَ نُورًا بِاللَّيْلِ وَالضِّيَاءُ أُبْلَغَ فِي دَفْعِ الظُّلْمَةِ مِنَ النُّورِ. وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ أَمْكَنَهُ يَنْتَقِلُ مِنْ وَاحِدٍ مِنْهَا إِلَى الْآخِرِ لَتَعْلَمُوا أَيْ لَتَعْرِفُوا بِالْقَمَرِ وَمَنَازِلَهُ عَدَدَ السَّنِينَ وَالْحِسَابُ أَيْ أَوَّلُ كُلِّ شَهْرٍ وَآخِرُهُ، وَتَمَامُ كُلِّ سَنَةٍ وَانْقِضَاءُهَا. مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ الْخَلْقَ الْعَجِيبَ إِلَّا بِالْحَقِّ إِلَّا شَاهِدًا بِحَقِّ الرُّبُوبِيَّةِ وَبِحَقِّ كَوْنِهِ آيَةً دَالَّةً عَلَى الْوَحْدَانِيَّةِ، وَاللَّهُ يُفَضِّلُ الْآيَاتِ يَشْرَحُهَا وَيُوضِحُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ يَعُونَهَا وَيَعطونها حَظَّهَا مِنَ الْفَهْمِ وَالتَّدْبِيرِ فِي عَظَمَتِهَا. ٦- إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ... أَيْ: فِي اخْتِلَافِ تَعَاقُبِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ عَلَى مَا تَقْتَضِيهِ الْحِكْمَةُ فِي الْآفَاقِ وَفَعْلُهُ فِي السَّمَاوَاتِ عَلَى مَا تَقْتَضِيهِ الْحِكْمَةُ مِنَ النُّجُومِ وَالْكَوَاكِبِ وَالْمَجَرَاتِ ثَابِتَهَا وَتَحْرُكَهَا وَفَعْلُهُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ مِنَ الْحَيَوَانِ وَالْجَمَادِ وَالنَّبَاتِ وَجَمِيعِ النِّعَمِ الْآخَرِ لآيَاتٍ بَرَاهِينَ وَدَلَالَاتٍ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ وَحِكْمَتِهِ صَنَعَهُ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ لَجْمَاعَةٍ يَجْتَنِبُونَ الْمَعَاصِيَ وَيَخَافُونَ الْعِقَابَ. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٢١٤ ٧- إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ... أَيْ: إِنَّ الْمُنْكَرِينَ لِلْبَعْثِ الْكَافِرِينَ بِالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا أَيْ قَنَعُوا بِهَا فَلَا يَعْمَلُونَ إِلَّا لَهَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا يَعْنِي سَكَنُوا إِلَيْهَا وَرَكَتْ قُلُوبُهُمْ لِمَتْعَتِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ أَيْ الَّذِينَ هُمْ فِي غَفْلَةٍ عَنْ حُجَّتِنَا وَدَلَالَتِنَا. ٨- أُولَئِكَ مَاوَاهُمُ النَّارُ ... أَيْ مَقَرُّهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ جَزَاءَ مَعَاصِيهِمْ. ٩- إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ... أَيْ الَّذِينَ صَدَّقُوا بِهِ وَبِرَسُولِهِ ثُمَّ أَضَافُوا إِلَى ذَلِكَ التَّصَدِيقِ عَمَلَ الطَّاعَاتِ وَالْخَيْرِ. يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ يَدْلُهُمْ إِلَى الطَّرِيقِ الْمُؤَدِيَةِ إِلَى الْجَنَّةِ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ أَيْ مِنْ تَحْتِ قُصُورِهِمْ فِي الْجَنَّةِ وَمِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَهُمْ يَتَنَعَّمُونَ غَدَا. ١٠- دَعَاؤُهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ ... أَيْ أَنَّ دُعَاءَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْجَنَّةِ وَكُلِّ عَمَلِهِمْ لَا يَتَعَدَّى أَكْثَرَ مِنْ قَوْلِهِمْ: سُبْحَانَكَ يَا اللَّهُ لَا عَلَى وَجْهِ الْعِبَادَةِ إِذْ لَا تَكْلِيفَ فِي الْجَنَّةِ وَإِنَّمَا التَّنَادَا بِالتَّسْبِيحِ وَتَحِيَّتِهِمْ فِيهَا سَلَامٌ تَحِيَّةُ التَّكْرَمَةِ، أَيْ مِنَ اللَّهِ لَهُمْ فِي الْجَنَّةِ هِيَ: سَلَامٌ، وَقِيلَ هَذِهِ تَحِيَّةُ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ. وَقِيلَ تَحِيَّةُ الْمَلَائِكَةِ لَهُمْ. وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ الدُّعَاءُ الْآخِرُ عِنْدَهُمْ: أَنَّ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ فَهَذَا آخِرُ كُلِّ كَلَامٍ لَهُمْ، لَا أَنَّهُ آخِرُ كَلِمَةٍ يَقُولُونَهَا وَلَا يَتَكَلَّمُونَ بَعْدَهَا بِشَيْءٍ. ١١- وَلَوْ يُعْجَلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ ... أَيْ لَوْ أَنَّ اللَّهَ سَبَحَانَهُ يَعَجِّلُ فِي اسْتِجَابَةِ دُعَاءِ النَّاسِ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَوْ غَيْرِهِمْ بِالشَّرِّ، وَأَهْلُهُمْ حِينَ يَتَضَجَّرُونَ مِنْ شَيْءٍ وَيَقُولُونَ: أَمَاتَ اللَّهُ فُلَانًا، وَلَعَنَ اللَّهُ أَبَا فُلَانٍ، وَلَا بَارَكَ اللَّهُ فِي رِزْقِ فُلَانٍ وَلَا فِي عَمْرِهِ اسْتَعْجَلَهُمُ بِالْخَيْرِ يَعْنِي كَمَا يَعَجِّلُ لَهُمْ إِجَابَةَ أَدْعِيَتِهِمْ فِي طَلَبِ الْخَيْرِ إِذَا اسْتَعَجَلُوهُ لِقُضَايِ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ أَيْ لِأَهْلِكِهِمْ وَفَرَّغَ مِنْ تَدْمِيرِهِمْ فَتَذَرُ نَدَى الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا الَّذِينَ لَا يَصْدَقُونَ بِالْبَعْثِ، فِي طُعْيَانِهِمْ يَغْمَهُونَ أَيْ يَتَحَيَّرُونَ فِي كُفْرِهِمْ. ١٢- وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا ... أَيْ إِذَا

أصابه البلاء أو المحنة في الدنيا، ابتهل إلينا و تضرع لجنبه و هو مضطجع أو قاعداً أو جالسا أو قائماً أو واقفا، فلما كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ أَى عندنا أزلنا عنه ذلك الضرر الذى أصابه مرَّ استمرَّ على حاله الأولى فى إعراضه عن شكرنا كأنَّ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ كَأَنَّهُ مَا دَعَانَا لكشف ضرره الذى أصابه كذلك زَيْنَ لِلْمُشْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ أَى على هذا الشكل زَيْنَ للمشركين عملهم هذا من قبل أنفسهم أو من قبل الشيطان، أو بعضهم من قبل بعض، فمَنَحُوا العافية بعد البلاء و لم يشكروا مانحها. ١٣- وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا... القرون: جمع قرن، و هو أهل كل عصر من العصور، و قد سَمَوْا بذلك لمقارنته بعضهم ببعض. فالله تعالى قد أهلك أهل جميع العصور التى سبقتكم بأنواع العذاب لأنها عصت أوامر ربها و أشركت به. و جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ أَى أتاهم أنبياءهم بالدلالات الواضحة و المعجزات و مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا أَى: و فى معلومنا السابق ما كانوا ليؤمنوا لو أبقيناهم، كذلك نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ أَى، و بمثل ذلك نعاقب المشركين مستقبلاً فهلكتهم إذا علمنا أنهم لا يؤمنون بعد قيام الحجة عليهم. ١٤- ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ... الخطاب لأمية محمد (ص) فقد جعل المسلمين يخلفون الأمم التى أهلكها الله بظلمها، و أسكنهم الأرض من بعدها، لِنَنْظُرَ كَيْفَ يَعْمَلُونَ أَى لنرى عملكم و هل تقتدون بتلك الأمم فى الكفر أم تصلحون. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٢١٥-١٥- و إِذَا تَتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ... الضمير فى عَلَيْهِمْ يعود لمشركى قريش فقد نزلت فى خمسة منهم اجتمعوا و قالوا للنبي (ص): انت بقرآن ليس فيه ترك عبادة الأصنام أو بدله. فهو لاء و أضرابهم إذا قرئت عليهم آياتنا الواضحة قال الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا من أمثال هؤلاء الكافرين بالبعث و الحساب: انت جىء بِقُرْآنٍ غَيْرِ هذا الذى تتلوه علينا أو بدله فاجعله على خلاف ما هو عليه من عيب الأصنام و ترك عبادتها، قُلْ يا محمد لهؤلاء المعاندين: مَا يَكُونُ لِي أَى ليس لى حقَّ أَنْ أَبْدَلَهُ أُغْيَرَهُ مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِي أَى من جهة نفسى، إِنْ أَتَّبَعِ إِلَّا مَا يُوْحَى إِلَيَّ أَى: مَا أَتَّبَعِ إِلَّا الْوَحْيَ كَمَا يَنْزِلُ إِنِّي أَخَافُ أَخْشَى إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي فِى اتِّبَاعِ غَيْرِهِ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ عَذَابُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ. ١٦- قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ... قُلْ يا محمد لهؤلاء: لَوْ شَاءَ اللَّهُ أَرَادَ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ مَا قَرَأْتَ آيَاتِ هَذَا الْقُرْآنَ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ أَى: و لا أعلمكم الله به فَقَدْ لَبِثْتُ أَقَمْتُ فِيكُمْ بَيْنَكُمْ عُمَرًا مِنْ قَبْلِهِ أَى مدة طويلة قبل نزول القرآن على فما ادَّعَيْتَ رسالته و لا- تلوت وحيًا حتى أكرمنى الله برسالته و قرأته أَفَلَا تَعْقِلُونَ أَلَا تَتَفَكَّرُونَ بعقولكم. ١٧- فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا... أَى ليس أحد أظلم ممن اخترع الكذب على الله و افتراه عليه. أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ رَفَضَهَا إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ أَى لا ينجح المشركون. ١٨- وَ يَعْجِدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ... أَى أن الكفار يعبدون غير الله و هو الأصنام مع أنها لا تضرهم إذا تركوا عبادتها، و لا هى تنفعهم إن عكفوا عليها وَ يَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ أَى يدعون أنه سبحانه أذن لهم بعبادتها و سيسفَعها بهم يوم القيامة. قُلْ لهم يا محمد: أَتُتَّبَتُونَ تخبرون الله بما لا يعلم بشىء لا يعرفه من عبادتكم للأصنام أو بما لا يعرفه ممَّا فى السَّمَاوَاتِ وَلَا- فى الْأَرْضِ فهو خالقهما و المحيط علمه بما فيهما. سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ تنزه الله و سماه عن أن يستحق غيره العبادة. ١٩- وَ مَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا... قيل: إن الناس كانوا أمة واحدة من حيث الفطرة على الإسلام و التسليم لله بالوحدانية منذ كانوا، ثم اختلفوا فى الأديان و اعتناق العقائد. وَ لَوْ لَا- كَلِمَةً سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ هِىَ أَنَّهُ لَا يَعَاجِلُ الْعَصَاةَ بِالْعِقَابِ إِذْ سَبَقَتْ رَحْمَتُهُ غَضَبَهُ فَلَوْ لَا- ذَلِكَ لَقَضَى أَى فصل بَيْنَهُمْ وَ حَكَمَ لَهُمْ أَوْ عَلَيْهِمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ وَ ذَلِكَ بِأَن يَهْلِكَ الْكَفَارُ وَ يَنْجَى الْمُؤْمِنِينَ. ٢٠- وَ يَقُولُونَ لَوْ لَا- أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ... يعنى هؤلاء الكفار يقولون: هَلُمَّا أَنْزِلْ عَلَى مُحَمَّدٍ آيَةً مِنْ رَبِّهِ تَلْزِمُ الْخَلْقَ بِتَصَدِيقِهِ إلزاماً فلا يلزمهم بعدها نظر و لا استدلال. فَقُلْ يا محمد لهؤلاء المتعنتين: إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ وَحْدَهُ يَعْلَمُ الْغَيْبَ وَ مَا فى الْأُمُورِ مِنَ الْمَصَالِحِ قَبْلَ كَوْنِهَا وَ بَعْدَ كَوْنِهَا، وَ يَعْلَمُ مَا فى إِنْزَالِهِ إِصْلَاحٌ فَيَنْزِلُهُ، كَمَا أَنَّهُ يَعْلَمُ مَا لَيْسَ فى إِنْزَالِهِ إِصْلَاحٌ فَلَا يَنْزِلُهُ. فَانْتَظِرُوا مَا يَصِيْبُكُمْ مِنْ عِقَابِهِ فى الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ. إِنِّى مَعَكُمْ مِنَ الْمُنتَظِرِينَ وَ قَدْ وَعَدْنِى النَّصْرَ عَلَيْكُمْ وَ أَنَا أُنْتَظِرُ إِعْزَازَ الدِّينِ وَ إِذْلالَكُمْ. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٢١٦-٢١- وَ إِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ... أَى إذا أصبنا الكفار- لا الناس جميعاً- برحمة مَّا، تشملهم من بعد أن يكونوا قد أصيبوا ببلاء. إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فى آيَاتِنَا يعنى: فإذا هم يحتالون لإنكار آياتنا استهزاء و تكديبا قُلْ لهم يا محمد: اللَّهُ أَشَرُّ مَكْرًا يعنى هو سبحانه أقدر جزاء على المكر و ذلك بإنزال العقاب بهم بأسرع من مكرهم إِنَّ رُسُلَنَا أَى

الملائكة الحفظة يَكْتُبُونَ يسجلون ما تَمْكُرُونَ ما تدبرون من حيل و سوء تصرف. ٢٢- هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ ... أى أنه تعالى هو الذى يَمَكِّنُكم من المسير فى هذا و ذاك بما خلق لكم من آلات السير فى كل منهما بما يناسبه حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ أى لحين كونكم فى السِّفْنِ وَ جَرَيْنَ بِهِمْ أى و مشت السفن و براكيها جارية كجرى الماء. بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ أى لينة وَ فَرَحُوا بِهَا أى سرّوا بتلك الريح لأنها تساعدهم فى السير نحو هدفهم، جاءَها رِيحٌ عاصِفٌ أى ضربت السفينة ريح عصف عليها بهبوبها المخيف، وَ جاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ أى اضطرب البحر و جاء الركاب الموج المتلاطم من جميع الجهات وَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ واعتقدوا أن الموج طَوْقَهُمْ و أيقنوا بالغرق ف دَعَا اللَّهَ ابتهلوا إليه مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ أى فعلوا ذلك على وجه الإخلاص فى العقيدة و لم يذكروا وثنا و لا صنما لعلمهم بأنه لا ينفع و لا يغنى شيئا، لَيْسَ أَنْجِيَّتَنَا يَا رَبَّنَا مِنْ هَذِهِ الْوَرُطَةِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ أى لنصيرن فى جملة من يشكر ك على نعمتك و فضلك. ٢٣- فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَنْبُغُونَ فى الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ... أى: فَلَمَّا خَلَّصَ اللَّهُ تعالى ركاب السفينة من كارثة الغرق التى أوشكت أن تحلّ بهم، إذا هم يعملون بالمعاصى فى الأرض و ينشرون الظلم و الفساد يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بُغِيْتُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا أى أن بغيكُم فيما بينكم إنما تأتونه لحبكم الحياة العاجلة ثُمَّ إِنَّمَا مَزَجْنَاهُمْ مِنْكُمْ فِي الْآخِرَةِ إِنَّمَا فَتَنَّاكُمْ فَنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ بعملكم فى الدنيا لأننا سَجَلْنَاهُ عَلَيْكُمْ. ٢٤- إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أُنْزِلَتْهُ ... لَمَّا رَغِبَ سَبْحَانَهُ فى الآخرة وَ زَهَّدَ فى الدنيا فى الآيات السابقة، أتبع ذلك بصفه هذه و تلك، فشبه سرعه الفناء فى الحياة الدنيا بالماء الذى أنزله مِنَ السَّمَاءِ مطرا مجتمعا ما لبث أن تَوَزَّعَ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ لَأَن الْمَطَرَ يَتَخَلَّلُ النَّبَاتَ و يمتزج به و يغذيه و يدخل فى تركيبه و يصير جزءا فيه جميعه مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ مِنْ حُبِّهِ وَ فَوَاكِهِ وَ خَضَارِهِ وَ الْأَنْعَامُ كَالْعُشْبِ الْمَخْتَلَفِ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا أى بهجتها و حسنها وَ أَرِيتْ تَرِيتْ و ترخرفت فى عيون الناظرين إليها وَ ظَنَّ أَهْلُهَا أى أيقن مالكوها أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا مستطيعون أن ينتفعوا بها على الدوام أَنَاهَا أَمَرْنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا جَاءَهَا قَضَاؤُنَا الَّذِي حَتَمْنَا لَهُ لِتَلْفَافِهَا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا أى صيرناها محصودة نقتلعها من الأرض يابسَةً جَافَةً كَأَنَّ لَمْ تَعْنِ بِالْأَمْسِ أى كأنها لم تكن قائمة غناء زاهية فى أمسها كَذَلِكَ نَفْصُلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ و بمثل ذلك المثل نَبِّئِ حُجَجَنَا للمعتبرين. ٢٥- وَ اللَّهُ يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ ... قيل إن السلام هو الله تعالى، و دار السلام هى الجنة التى أعدّها للمطيعين، و قيل إن دار السلام هى التى يسلم فيها المؤمنون من الآفات. وَ يَهْدَى مَنْ يَشَاءُ بِوَسْطِهِ رُسُلَهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ إِلَى طريق الصلاح الموصلة إلى الدين الحق بنصب الأدلة للمكلفين، و قيل يهدى عباده الصالحين إلى طريق الجنة. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٢١٧ ٢٦- لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْخَيْرَ وَ زِيَادَةٌ ... الكلام متصل بين الآيه و سابقتها، أى قد أعد سبحانه فى دار السلام للمحسنين مِمَّنْ أَطَاعُوا اللَّهَ فى الدنيا جزاء حسنهم، مع زيادة من منازل اللذات و النعيم تفضلا منه. وَ لَا يَزُهْقُ وَجُوهُهُمْ قَتْرًا وَ لَا ذِلَّةٌ أى لا يلحق وجوههم سواد أو غبرة و لا هوان أولئك أى الذين أحسنوا أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ مضى تفسيره. ٢٧- وَ الَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ ... أى: ارتكبوا المعاصى جزاء سيئته بِمِثْلِهَا فهم يجزون بحسب ما يستحقون على أعمالهم دون زيادة، وَ تَرَهَّقُوهُمْ ذِلَّةٌ أى يلحقهم هو ان لَأَن فى العقاب إذلالا- لهم. مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ أى ليس لهم مانع يمنع عنهم عقاب الله كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وَجُوهُهُمْ قِطْعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أى كأن وجوههم غطيت بظلمة الليل لسوادها من شدة خوفهم و ذلهم أولئك المسيئون أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ مر معناه. ٢٨- وَ يَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ... والمعنى: أننا يوم نجتمعهم من كل حذب و صوب إلى موقف القيامة ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مع الله غيره فى عبادتهم و أموالهم. مَكَانَكُمْ أى الزموا مكانكم، أَنتُمْ وَ شُرَكَائُكُمْ و معكم شركاؤكم من الأوثان و الأصنام فى المحشر كما كنتم فى الدنيا فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ أى ميزنا و فَرَقْنَا بَيْنَهُمْ لسؤال هؤلاء و حدهم، و سؤال أولئك بمفردهم، وَ قَالَ شُرَكَائُهُمْ لَهُمْ: مَا كُنْتُمْ إِيانَا تَعْبُدُونَ إِذْ يَنْطِقُهمُ اللَّهُ سبْحَانَهُ بقدرته فيقولون لعبدتهم من المشركين: لم نشعر بأنكم كنتم تعبدوننا. ٢٩- فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَ بَيْنَكُمْ ... أى كفى به عز اسمه فاصلا للحكم بالحق بيننا و بينكم أيها الذين أشركتم بعبادتنا مع الله إِنَّ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لِغَافِلِينَ مضى تفسيره. ٣٠- هُنَالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مِمَّا أَسْلَفَتْ ... أى حينئذ، و فى ذلك المكان تجزب و تختبر حاصل ما قدّمته من حسنات و سيئات وَ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ أَرْجَعُوا بِالْبَعْثِ وَ الْقِيَامَةِ إِلَى رَبِّهِمْ وَ مَوْلَاهُمْ الْحَقُّ وليهم الحقيقى الذى لا يزول و لا يحول

www.noorfatemah.org

لرسوله (ص) يعنى: إذا كذبتك قومك و داوموا على معاندتك فقل لهم: لى عملى و ما يجزى على من نفع أو ضرر، و لكم عملكم و جزاؤه الذى يترتب عليه أنتم بريئون مما أعمل لن يصيبكم شىء من نتيجة عملى و أنا برىء مما تعملون أى و أنا أتبرأ إلى الله من سوء عملكم و وزره. ٤٢- وَ مِنْهُمْ مَنْ يَشْتَرِ بِمَعُونَةِ إِلَيْكَ ... أى و من هؤلاء الكفار من يطلب سماع ما تتلوه و ما تدعو إليه بدافع معاندتك أفأنت تشجع الضم أى هل تقدر يا محمد أن توصل صوتك إلى من فقد حاسة السمع و لو كانوا لا يعقلون أى: حتى و لو كانوا فى غاية الجهل؟. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٢١٩ ٤٣- وَ مِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ ... أى و من هؤلاء الكفار من ينظر إلى أقوالك و أفعالك نظراً لا عبرة فيه أفأنت أى هل أنت يا محمد تهذى تدل العنى على طريقهم و ترشدهم إليه و لو كانوا لا يثبتون أى لا ينظرون المعالم التى تدلهم عليها؟ و الاستفهام فى كلتا الآيتين إنكارى. ٤٤- إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الشَّيْثِينَ ... أى أنه يوفيهم جزاء أعمالهم غير منقوص لأنه منزّه عن الظلم و لكن الناس أنفسهم يظلمون أى و لكن العباد العاصين يظلمون أنفسهم بأنفسهم حين ينصرفون عن دعوته سبحانه اتباعاً لأهوائهم. ٤٥- وَ يَوْمَ يَحْشُرُهُمْ ... أى حين يجمع سبحانه هؤلاء الكفار يوم القيامة كأن لم يلبثوا كأنهم لم يبقوا قبل البعث فى الدنيا، أى أنهم استقلوا مكثهم فى الدنيا إذ هو فى جنب مكث الآخرة كساعة ليس إلا إلا ساعة من الزمن كجزء من النهار الذى هو من الفجر إلى أول الليل. يتعارفون بينهم يتعرف بعضهم إلى بعض إذا خرجوا من قبورهم، و يعرف بعضهم خطأ بعض و كفره، قد خسر الذين كذبوا بقاء الله أى قد ظهر خسراهم بقاء الجزاء على سوء عملهم و ما كانوا مهتدين للحق فى دار الدنيا. ٤٦- وَ إِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ ... أى: فإما أن نريك يا محمد- فى حياتك- بعض ما نعد هؤلاء الكفار، أو نتوفيك أو نأخذك من بينهم بالوفاة قبل نزول ما وعدناهم به فى الدنيا من العقوبة بالقتل و غيره فإلينا مرجعهم معادهم ثم الله شهيد على ما يفعلون أى أنه تعالى ناظر عالم بما يقومون به و سيوفيهم جزاء عملهم. ٤٧- وَ لِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ ... أى و لكل جماعة مجتمعة على طريقه واحدة نبى أرسلناه إليها و حملناه ما ينبغى لها فعله و تركه، فإذا جاء رسولهم أى إذا بعث إليهم و بلغهم. فصدق البعث و كذبه الآخر. قضى بينهم أى حكم بنجاة المصدقين، و إهلاك المكذبين، بالقسط أى العدل و هم لا يظلمون أى لا يلحق جور على المكذبين، و لا ينقص من ثواب المطيعين. ٤٨- وَ يَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ ... و الوعد يكون للخير، و الوعد للشر. و المعنى أن الكفار يقولون إنكاراً و تكديباً: متى يقع هذا الوعد للمطيعين بالفوز بالجنة؟ إن كنتم صادقين فى القول الذى تقولونه أيها الرسل. ٤٩- قُلْ لَا أَفْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ... قل يا محمد لهؤلاء المشركين المكذبين: أنا لا أقدر على جلب نفع لنفسي و لا على دفع ضرر عنها فكيف أملكه لغيري؟ إلا ما شاء الله إلا ما أراد لكل أمة أجل أى لكل أمة وقت محدد أجله لتعذيبها على تكذيب رسوله إذا جاء أجلهم حان وقت مواعدهم فلا يستأخرون يملكون طلب تأخير ساعة لنزول العذاب عن ذلك الموعد، و لا يستقدّمون يملكون طلب تقديم مثلها للوصول إلى الثواب. ٥٠- قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا ... أى: قل يا محمد للمشركين: هل دريتم أنه إن جاءكم عذاب الله الذى وعد به الكافرين ليلاً و أنتم باتون أو نهاراً و أنتم مستيقظون ما ذا يستعجل منه المجرمون أى ما هو الشىء المطموع به الذى يطلب العصاة تعجيله لنفعهم؟. ٥١- أَلَمْ تَرَ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنَّا بِهِ ... و معناه: أحيان وقع عليكم العذاب فى وقته المعين صدقتم بالله أو بالقرآن أو بالعذاب. الآن أفى هذا الوقت الذى لا يفيد فيه الندم، تؤمنون؟ و قد كنتم به تستعجلون و كنتم قبل وقوعه تطلبون استعجاله. ٥٢- ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ ... أى بعد وقوع العذاب يوم القيامة يقال لمن ظلموا أنفسهم: ذوقوا العذاب الدائم الذى لا يخفف و لا تنقضى مدته، هل تجزؤون إلا بما كنتم تكسبون أى هل نالكم إلا جزاء ما ارتكبتم من المعاصى؟. ٥٣- وَ يَسْتَبْشِرُونَكَ أَحَقُّ هُوَ ... أى يطلبون منك يا محمد أن تخبرهم أحق هو: ما جئت به من الرسالة و القرآن و الشريعة، أو ما وعدتنا به من البعث و العذاب، ف قل مجيباً إياهم: إى و ربى: نعم و حق الله إنه لحق لا شك فيه و ما أنتم بمعجزين أى لستم بفائتين له. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٢٢٠ ٥٤- وَ لَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِى الْمَأْزِئِ ... أى: لو كانت كل نفس أشركت بال ٥٤ له، تملك جميع ما فى الأرض لأفادت به لفدت نفسها به يوم القيامة من العذاب و أسروا الندامة لما رأوا العذاب أى و أخفوا ندامتهم حين شاهدوا العقاب الذى ينتظرهم و قضى بينهم بالقسط أى حكم بالعدل و هم لا يظلمون لا يصيبهم ظلم مما يفعل بهم بسبب

جنايتهم على أنفسهم. ٥٥- أَلَا- إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ... المعنى: اعلموا أن الله تعالى يملك السماوات والأرض وله حق التصرف بهنّ و بمن فيهنّ ولا يقدر أحد على الاعتراض عليه إن أراد أن ينزل عذابه على مستحقّيه أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ بِإِزَالِ عِقَابِهِ بِالْكَافِرِينَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ أى لم يعرفوا صحة ذلك الوعد لجهلهم المطبق بالله تعالى. ٥٦- هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ: أى أنه سبحانه يرّد الناس أحياء بعد موتهم، ويميتهم بعد أن جعلهم أحياء، وإليه تردّون أيها الناس فيجازيكم على أعمالكم. ٥٧- يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ... هذا خطاب لجميع الناس يتبهم فيه إلى أنه قد جاءكم من الله موعظة تخوّفكم من جاءكم مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ... هذا خطاب لجميع الناس يتبهم فيه إلى أنه قد جاءكم من الله موعظة تخوّفكم من المعصية والعقاب وترغبكم بالطاعة والثواب، وهى القرآن. وهى شفاء لما فى الصدور برء للنفوس تعافيا مما فيها من الجهل. وهى هُدى إلى طريق الحق وَرَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ أى نعمة لمن أخذ بها وانتفع بما فيها. ٥٨- قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ ... أى: قل يا محمد للناس: بإفضال الله ونعمته فبذلك أى بفضل الله ونعمته فليفرحوا فليسرّوا، فذلك هو خير مما يجمعون من حطام الدنيا، لأن ما فى الدنيا يزول وهذا باق. ٥٩- قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ ... قل يا محمد لكفار مكة: هل نظرتم إلى ما أعطاكم الله من رزق وجعله حلالاً لكم فجعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَاماً وَحَلَالاً أى فجعلتم من عند أنفسكم بعضه حلالاً وبعضه حراماً كتحريم السائبة والبحيرة وغيرهما قُلْ أَلَلَّهُ أَذُنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ أى تكذبون. ومعناه: لم يأذن لكم بشيء من ذلك، وأنتم تكذبون عليه فيما حلّلتكم وحَرَّمْتُمْ. ٦٠- وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ... يعنى: أى شيء يظن الذين يكذبون على الله وماذا يعتقدون أنه يصيبهم بسبب كذبهم عليه إلا- العذاب الشديد إِنَّ اللَّهَ لَمَدُّو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ بما منّ عليهم من النعم والأفضال وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَشْكُرُونَ لا يحمدونه على أفضاله ونعمه بل يجحدونها. ٦١- وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ ... ومعناه: أنك يا محمد ما تكون فى حال من أحوالك وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ أى: وما تقرأ من الله من الكتاب الذى ينزله عليك منجماً، بل وَلَا تَعْمَلُونَ أَيُّهَا النَّاسُ جميعاً مِنْ عَمَلٍ كَانُوا مَا كَانَ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً مُشَاهِدِينَ لَكُمْ وَنَازِلِينَ إِلَيْكُمْ إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ إِذْ تَخْضَعُونَ فِيهِ وَمَا يَغْزُبُ عَنْ رَبِّكَ أى: وما يغيب عن رؤيته وعلمه مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ أى أصغر وزن ممكن فى الأرض وَلَا فِى السَّمَاءِ مِنْ أَعْمَالٍ سَاكِينِهِمَا وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ أى: ولا أصغر من الذرّة وَلَا أَكْبَرَ مِنْهَا إِلَّا كَانَ ذَلِكَ مَسْجُلاً فِى كِتَابٍ مُبِينٍ فى كتاب بينه الله تعالى وهو اللوح المحفوظ. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٢٢١ ٦٢- أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ... ألا: للتنبيه، افتتح بها للدلالة على أهمية المطلب، والله سبحانه يذكر فى هذه الآية والآيتين بعدها أولياءه ويعرفهم ويصف آثار ولايتهم وما يختصون به من خصائص، والمعنى: أى أن المطيعين لله لا خوف عليهم من العقاب يوم القيامة وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ أى ولا يصيبهم الهم والحزن. كل ذلك لأنهم حصلوا الدرجة العليا من الإيمان الذى يتكامل به معنى العبودية لله والمملوكية له، بحيث لا يرى العبد معها أن لنفسه شيئاً من الأمر حتى يخاف فوته أو يحزن لفقده. ٦٣- الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ... أى الذين صدّقوا بالله وبرسوله وبدينه، وتجنّبوا معاصيه. ٦٤- هُمْ الْبَشَرُ فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ... أى أن المؤمنين المتقين لهم بشاره من الله تعالى بالخير. قيل إنها بشارته لهم فى القرآن فى ما ذكره عن المؤمنين المتقين، وقيل هى بشاره الملائكة (عليهم السلام) لهم عند موتهم، وقيل غير ذلك لهم البشرى الْمَآخِرَةِ حيث تبشرهم الملائكة بِالْجَنَّةِ عند خروجهم من القبور تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ أى لا خلف ولا تغيير لما وعد سبحانه من الثواب، لكّ أى الذى سبق ذكره من البشارة فى الحياة وبعد الممات وَالْفَوْزُ الْعَظِيمُ هو النجاح الكبير. ٦٥- وَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ ... أى لا ينبغي أن يجلب قولهم لك الحزن والغم لأنه مؤذ. إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً وَاللَّهُ الذى استأثر لنفسه بالعزة كلّها يمنع أذاهم عنك بقدرته هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ مر معناه. ٦٦- أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِى السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِى الْأَرْضِ ... أى أنه سبحانه مالك كل عاقل فيهما وغير العاقل تابع للعاقل. وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ أى أنهم على لا شيء فى شركهم، إذ ما يعبدون ليسوا شركاء لله فى الحقيقة. إِنَّ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ فليسوا على يقين من ربوبيته تلك الأصنام ولكن عملهم تقليد للآباء وَإِنَّ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ فما هم إِلَّا كاذبين بهذا الزعم. ٦٧- هُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ ... أى أن ذلك المالك للسماوات والأرضين ومن فيهن هو خالق الليل الذى تهدأون فيه وترتاحون من تعب النهار والنهار

مُبْتَصِرًا أَى جَعَلَهُ مُضِيئًا تَبْصِرُونَ فِيهِ وَ تَهْتَدُونَ إِلَى مَا تَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ الْحُجَجَ وَ الْبَيِّنَاتِ سَمَاعَ فَهْمٍ وَ تَدَبُّرٍ. ٦٨- قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ... الْمَقْصُودُ بِالْقَائِلِينَ النَّصَارَى وَ قَرِيشَ الَّتِي قَالَتْ بِأَنَّ الْمَلَائِكَةَ بَنَاتُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ أَى: تَنْزِيهَا لَهُ عَنِ ذَلِكَ وَ تَقْدِيسًا هُوَ الْغُنْيَى لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ عَنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ إِنَّ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَى: مَا عِنْدَكُمْ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ حُجَّةٌ مُقْنَعَةٌ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ حَقِيقَتَهُ افْتِرَاءً وَ تَخْتَلِقُونَ عَلَيْهِ. ٦٩- قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ ... أَى: قُلْ يَا مُحَمَّدٌ لِلْمُتَوَلِّينَ عَلَى اللَّهِ الْمَفْتَرِينَ عَلَيْهِ الْكَذِبَ بِاتِّخَاذِ الْوَلَدِ وَ غَيْرِهِ: إِنَّهُمْ لَا يُفْلِحُونَ لَا يَفُوزُونَ بِنَصْرِ أَوْ ثَوَابٍ. ٧٠- مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ... يَعْنِي أَنَّهُمْ قَدَّرَ لَهُمْ مَتَاعٌ يَنْعَمُونَ فِيهِ قَلِيلًا بِمَتَاعِ الْحَيَاةِ، ثُمَّ تَنْقُضِي أَيَّامَهُ ثُمَّ إِلَى حُكْمِنَا مُصِيرَهُمْ ثُمَّ نَذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ عَذَابِ النَّارِ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ يَعْنِي: بِكُفْرِهِمْ. إِرْشَادُ الْأَذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ٢٢٢ ٧١- وَ أَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ ... أَى اقْرَأْ عَلَيْهِمْ يَا مُحَمَّدُ خَبَرَ نُوحٍ إِذْ حِينَ قَالَ لِقَوْمِهِ الَّذِينَ أَرْسَلْنَاهُ إِلَيْهِمْ: يَا قَوْمِ إِنَّ كَانَ كَبِيرَ أَى شَقٍّ وَ عَظَمَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي إِقَامَتِي بَيْنَكُمْ وَ تَذَكِيرِي أَى تَنْبِيْهِ وَ وَعْظِي إِيَّاكُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ بَيِّنَاتِهِ وَ حُجَجِهِ الدَّالَّةِ عَلَى صِدْقِ التَّوْحِيدِ وَ مَا إِلَيْهِ، وَ عَلَى بَطْلَانِ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ أَى أَكُلُ أُمُورِي إِلَيْهِ لِيَكْفِينِي شَرَّكُمْ، فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَ شَرُّكُمْ أَى: اتَّفَقُوا فِيمَا بَيْنَكُمْ عَلَى أَمْرٍ وَاحِدٍ أَنْتُمْ وَ شُرَكَاءُكُمْ مِنْ طَرْدِي أَوْ قَتْلِي ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً أَى لَا تَغْتَمُوا مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ وَ لَا تَحْزَنُوا وَ اكْشِفُوا عِدَاءَكُمْ ثُمَّ أَقْضُوا إِلَيَّ أَى نَفِّذُوا مَا اتَّفَقْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ طَرْدِي أَوْ قَتْلِي وَ لَا تُنْظِرُونِ: وَ لَا تَمْهَلُونِي. ٧٢- فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ ... أَى إِذَا انْصَرَفْتُمْ عَنْ دَعْوَتِي وَ لَمْ تَقْبَلُوا قَوْلِي إِنْ أَجَرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ يَعْنِي: مَا أَجْرِي إِلَّا- عَلَى رَبِّي الَّذِي قَمَتَ بِأَدَاءِ رِسَالَتِهِ وَ أَمْرُتُ مِنْهُ عَزَّ اسْمُهُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الْمُسْتَسْلِمِينَ لِأَمْرِهِ بِطَاعَتِهِ. ٧٣- فَكَذَّبُوهُ فَجَعَلْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ ... أَى لَمْ يَقْبَلُوا قَوْلَهُ وَ اعْتَبَرُوهُ كَاذِبًا فِي ادِّعَاءِ النُّبُوَّةِ فَخَلَّصْنَاهُ، هُوَ وَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ مَعَهُ وَ أَمْرَانَهُ أَنْ يَرْكَبَ فِي الْفُلِّكَ أَى السَّفِينَةِ الَّتِي أَلْهَمْنَاهُ صَنْعَهَا وَ جَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ يَعْنِي قَدَّرْنَا أَنْ يَخْلِفُوا قَوْمَ نُوحٍ بَعْدَ هَلَاكِهِمْ بِالْغَرَقِ وَ أَعْرَفْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أَى غَمَرْنَا الْأَرْضَ بِالْمَاءِ حَتَّى مَاتَ جَمِيعُ أَهْلِهَا فَانْظُرْ أَيُّهَا الْمَسْتَمِعُ لِقَوْلِنَا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُتَذَكِّرِينَ كَيْفَ كَانَتْ نَهَايَةُ مَنْ خَوَّفْنَاهُ مِنْ آيَاتِنَا فَلَمْ يَرْتَدِعْ. ٧٤- ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ ... أَى أَنَّهُ سَبَّحَانَهُ أَرْسَلَ بَعْدَ نُوحٍ (ع) أَنْبِيَاءً، يَعْنِي بِهِمْ إِبْرَاهِيمَ وَ هُودًا وَ صَالِحًا وَ لُوطًا وَ شُعَيْبًا، كُلٌّ وَاحِدٌ مِنْهُمْ إِلَى جَمَاعَتِهِ الَّتِي كَانَ فِيهَا فَجَاؤُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ بِالْبِرَاهِينِ وَ الْحُجَجِ الْوَاضِحَةِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى صِدْقِهِمْ فَمَا كَانُوا فَمَا كَانَ أَقْوَامُهُمْ لِيُؤْمِنُوا بِصِدْقِهِمْ بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ أَى بِمَا رَفَضَهُ أَسْلَافُهُمْ وَ كَذَّبُوهُ. كَذَلِكَ كَهَذَا الَّذِي أَصِيبَ بِهِ قَوْمُ نُوحٍ نَطْبَعٌ عَلَى قُلُوبِ الْمُتَعَبِّدِينَ أَى نَجْعَلُ فِي قُلُوبِهِمْ عَلَامَةً دَالَّةً عَلَى كُفْرِهِمْ تَكُونُ مَدْعَاً لَدَمِهِمْ. ٧٥- ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى وَ هَارُونَ ... ثُمَّ أَرْسَلْنَا مِنْ بَعْدِ الرُّسُلِ أَوِ الْأُمَمِ مُوسَى وَ هَارُونَ نَبِيَّيْنِ رَسُولَيْنِ. إِلَى فِرْعَوْنَ وَ مَلَائِكِهِ وَ رُؤَسَاءِ قَوْمِهِ، بِآيَاتِنَا بِمُعْجَزَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا تَعَالَوْا عَنِ الْإِنْقِيَادِ لَهَا وَ الْإِيمَانِ بِهَا. وَ كَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ أَى كَانُوا عَصَاءَ مُسْتَحْقِّينَ لِلْعِقَابِ. ٧٦- فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا ... أَى: وَ حِينَ جَاءَ فِرْعَوْنَ وَ قَوْمَهُ الْحَقُّ الظَّاهِرُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى، وَ هُوَ مَا أَتَى بِهِ مُوسَى مِنَ الْآيَاتِ وَ الْمُعْجَزَاتِ قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ أَى أَنَّهُ سِحْرٌ وَاضِحٌ. ٧٧- قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ ... يَعْنِي أَنْ مُوسَى قَالَ لِلْمُنْكَرِينَ لآيَاتِ رَبِّهِ أَسِحْرٌ هَذَا؟ هَلْ هَذَا الَّذِي جِئْتُمْ بِهِ سِحْرٌ. مَعَ أَنَّهُ حَقٌّ وَ السِّحْرُ بَاطِلٌ؟ وَ لَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ مَعَ أَنَّهُ لَا يَظْفَرُ أَهْلُ السِّحْرِ بِحُجَّةٍ وَ لَا يَنْجِحُونَ. ٧٨- قَالُوا أَلْجِئْنَا لَتَلْفِئْتِنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ... أَى قَالَ فِرْعَوْنَ وَ قَوْمَهُ لِمُوسَى: هَلْ أَتَيْنَا لَتَصْرِفَنَا عَنِ الْعَقِيدَةِ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا آبَاؤُنَا وَ تَكُونُ لَكُمْ الْكِبْرِيَاءُ أَى: تَصِيرُ لَكَ وَ لِهَارُونَ السُّلْطَانُ عَلَيْنَا، فِي الْأَرْضِ فِي مِصْرٍ وَ مَا نَحْنُ لَكُمْ بِمُؤْمِنِينَ أَى لِسْنَا بِمُصَدِّقِينَ مَا تَدَّعِيَانِهِ. إِرْشَادُ الْأَذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ٢٢٣ ٧٩- وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتَنْتَوْنِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ: أَى أَنْ فِرْعَوْنَ حِينَ أَعْجَزَتْهُ آيَاتُ مُوسَى وَ لَمْ يَسْتَطِعْ دَفْعَهَا بِغَيْرِ ادِّعَاءِ كَوْنِهَا سِحْرًا، قَالَ لِقَوْمِهِ: جِئْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ مُتَقَنَّ لِلْسِّحْرِ عَارِفٍ بِجَمِيعِ نَوَاحِيهِ. ٨٠- فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَى ... فَعِنْدَ مَا أَتَى السَّحَرَةُ، الَّذِينَ اسْتَدْعَاهُمْ فِرْعَوْنَ فَقَالَ لَهُمْ مُوسَى (ع): أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ أَى اطْرَحُوا مَا تَرِيدُونَ طَرَحَهُ مِنْ سِحْرِكُمْ. وَ قِيلَ مَعْنَاهُ: أَفْعَلُوا مَا أَنْتُمْ فَاعِلُونَ مِنَ السِّحْرِ. ٨١- فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السَّحَرُ ... أَى حِينَ أَلْقَوْا حَبَالَهُمْ وَ عَصِيَّهُمْ قَالَ مُوسَى لَهُمْ: هَذَا الَّذِي جِئْتُمْ بِهِ هُوَ السِّحْرُ. إِنَّ اللَّهَ سَيُعِطِّلُهُ أَى سَيُظْهِرُ عَمَلَكُمْ بِاطِلَا إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِلُّ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ أَى أَنَّهُ سَبَّحَانَهُ لَا يَجْعَلُ عَمَلٌ مِنْ قَصْدِ الْإِفْسَادِ فِي الدِّينِ نَاجِحًا، لِأَنَّهُ يَرِيدُ أَنْ يَظْهَرَ الْحَقُّ مِنَ الْبَاطِلِ.

٨٢- وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ: أى يظهر الله الحق ويظهر أهله ويدحض الباطل وأهله بما سبق من حكمه فى اللوح المحفوظ بذلك رغم أنوف الكافرين. ٨٣- فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ ... الذرية هى الجماعة من نسل القبيلة. المعنى أنه لم يصدق بآيات موسى (ع) إلّا فئة من جيل الشباب والشابات من قوم فرعون، وقيل من بنى إسرائيل: قوم موسى (ع)، وقيل بعض يسير من قوم فرعون فيهم امرأة فرعون ومؤمن آل فرعون والسحرة وبعض من بنى إسرائيل على خوف من فرعون أن يفتك بهم ويقتلهم، وخوف من ملأئهم أى: أشرافهم ورؤسائهم أن يفتنهم أى: يصرفهم فرعون عن عقيدتهم بما يمتحنهم به من عظيم البلاء والعذاب وإن فرعون لعال فى الأرض أى متكبر طاغ وإنه لمن المشرفين المجاوزين الحد فى الكفر والطغيان. ٨٤- وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ ... أى قال موسى (ع) للذين آمنوا به يا جماعتي إن كنتم صدقتم بالله وبنوتى فعليه توكّلوا أسندوا إليه أموركم إن كنتم مسلمين له على الحقيقة. ٨٥- فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا ... يعنى: أجاب المؤمنون بالله وبدعوة موسى قائلين: توكّلنا على الله ووكّلنا أمورنا إليه ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين أى: نسألك يا الله أن لا تجعلنا محلّ الابتلاء بكيد فرعون ولا- تظهره علينا، لئلا يفتن بنا الكفار ويظنوا أن لو كنّا على الحق ما ظفر بنا فرعون وقومه. ٨٦- وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ: معناها: خلّصنا يا رب بلطفك بنا، من فرعون وقومه المقيمين على الكفر. ٨٧- وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ ... أى أمرناهما بواسطة الوحي أن تبوءا أى اتخذا لقومكما للذين آمنوا بكما بمصر بيوتا يأوون إليها واجعلوا بيوتكم قبلة أى اجعلوها أماكن للصلاة. وأقيموا الصلاة أى: واطبوا على أداؤها وبشر المؤمنين بالجنة. ٨٨- وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ ... أى: خاطب موسى ربه قائلا: إنك أعطيت فرعون وقومه المتكبرين زينة من الحلّى والثياب، أو من الصحة والوسامة وطول القامة وأموالاً فى الحياة الدنيا فظفروا بذلك على من سواهم، ربنا ليضربنّاهم عن سبيلك أى أن ذلك يجعل عاقبتهم الإضلال عن طريق معرفتك، وإن كان سبحانه قد أعطاهم كل ذلك لمجرد الإنعام مع تعزّيه عن وجوه البطر والاستفساد ربنا اطمس على أموالهم أى غيرها عن جھتها إلى جهة لا ينتفع بها. قيل بأن أموالهم صارت كالحجارة. واشدّد على قلوبهم أى اطبع على قلوبهم وثبتهم على المقام ببلدهم بعد إتلاف أموالهم ليكون ذلك أشدّ عليهم، فلا يؤمنوا حتّى يروا العذاب الأليم أى لا يؤمنون إيمان مختار مطلقاً، وإذا رأوا العذاب الأليم لا يؤمنون إلّا إيمان إلجاء. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٢٢٤ ٨٩- قَالَ قَدْ أُجِيبْتُ دَعْوَتُكُمْ ... أى: قال الله سبحانه وتعالى لموسى و هارون حين دعا موسى وأمن هارون على دعائه على قوم فرعون: قد استجبت لكم دعوتكما فاشيتمكما أى اثبتا على دعوة الناس للإيمان، ولا تتبعان لا تسلكا سبيل طريق الذين لا يعلمون الذين لا يؤمنون بالله ولا يعرفونه. ٩٠- وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ ... أى: عبرنا بهم البحر بين مصر وفلسطين سالمين فأتبعهم فرعون وجنوده خرجوا فى أثرهم بغياً وعياداً أى من أجل البغى عليهم والظلم لهم. حتّى إذا أدركه الغرق أى وصل إلى فرعون وأيقن بالهلاك قال آمنت صدقت أنه لا إله إلا الذى آمنت صدقت به بنوا إسرائيل وأنا من المسلمين أى المستسلمين وهو إيمان لا ينتفع به. ٩١- آَلآنَ ... والمعنى: أفى هذا الوقت يا فرعون تؤمن فى وقت لا ينفعك إيمانك؟ وقد عصيت قبل بترك الإيمان فى الوقت الذى كان ينفعك فيه لو كنت آمنت قبل الآن وكنت من المفسدين بما نشرت من الفساد بقتل الناس وتذبيح الأطفال ودعاء الربوبية؟ ٩٢- فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِيَدِنَا ... أى: فى هذا الوقت نخرج جسدك فنلقيه على نجوة من الأرض: أى تلمه مرتفعة عما حولها ليراک الناس، فقد قيل إن بعض بنى إسرائيل قالوا: إن فرعون أعظم شأنًا من أن يغرق مثل سائر قومه، لتكون لمن خلّفك آية أى موعظة بالغى فى النكال لمن يأتى بعدك وإن كثيراً من الناس عن آياتنا لغافلون أى أنهم ساهون عن التفكير بدلالاتنا. ٩٣- وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ... يقول تعالى إنه بعد إنعامه على بنى إسرائيل بالنجاة أسكنهم مَبُوءاً صدق: مكانا محمودا وهو الشام وبيت المقدس ورزقناهم من الطيبات أنعمنا عليهم بحلال الرزق اللذيذ الكثير فما اختلفوا حتّى جاءهم العلم أى لم يختلفوا بشأن محمد (ص) إلّا بعد أن جاء القرآن، إن ربك يقضى بينهم يوم القيامة يحكم فيما بينهم يوم القضاء الأ- كبر فيما كانوا فيه يختلفون فى الأمور التى تنازعوا بشأنها. ٩٤- فَإِنْ كُنْتَ فى شك ممّا أنزلنا إليك ... هو خطاب للأمة من خلال النبى (ص) والمعنى: فإن كنتم فى شك فاسألوا ... والدليل عليه قوله فى آخر السورة: يا أيها الناس إن كنتم فى شك من دىنى فلا

أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ، الآية ... فاعلم أن نبيه (ص) ليس في شك ... وقيل أيضا: فَإِنْ كُنْتَ أَيُّهَا السَّامِعُ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّنَا إِلَيْكَ فَسَلِّ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ كَالْأَحْبَارِ وَكَعْبِدَ اللَّهُ بِنِ سَلَامٍ وَ تَمِيمِ الدَّارِمِي وَ غَيْرِهِمْ مِمَّنْ يَعْرِفُونَ نَعُوتَ النَّبِيِّ (ص) وَ صِفَاتِهِ فِي كِتَابِهِمُ الَّتِي بَشَّرَتْ بِهِ قَبْلَ مُحَمَّدٍ (ص) وَ الْقُرْآنَ. لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ أَى الْقُرْآنَ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ الشَّاكِينَ. ٩٥- وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِ اللَّهِ ... أَى: لَا تَكُونَنَّ مِنْ جَمَلِهِ مَنْ يَجْحَدُ بآيَاتِهِ سُبْحَانَهُ وَ لَا يَصَدِّقُهَا فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ أَى أَنْكَ إِنْ كَذَبْتَ بآيَاتِ اللَّهِ كُنْتَ مِنَ الْخَاسِرِينَ لِتَوْفِيقِ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا وَ رِضْوَانِهِ فِي الْآخِرَةِ. ٩٦- إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ: أَى أَنَّ الَّذِينَ لَا يَصَدِّقُونَ بِاللَّهِ وَ بِرَسُولِهِ مَعَ الْقُدْرَةِ عَلَى الْإِيمَانِ بِذَلِكَ وَ جَبَّ لَهُمْ سَخَطُ اللَّهِ تَعَالَى. ٩٧- وَلَوْ جَاءَهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ: هِيَ تَتِمَّةٌ لِلآيَةِ السَّابِقَةِ: يَعْنِي أَنَّ الْمُتَقَاعَسِينَ عَنِ الْإِيمَانِ الرَّاغِبِينَ عَنْهُ لَوْ أَتَتْهُمْ آيَةٌ مُعْجِزَةٌ دَالَّةٌ عَلَى وَجُودِ اللَّهِ وَ صَحَّةِ النَّبُوَّةِ، فَإِنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يَقَعُوا فِي الْعَذَابِ الْمَوْجِعِ فَيُؤْمِنُونَ إِيْمَانًا إِلْجَاءً فَلَا يَنْفَعُهُمْ. إِرْشَادُ الْأَذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ٢٢٥ ٩٨- فَلَوْ لَا- كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ ... الْمَعْنَى: فَهَلَّا كَانَ أَهْلُ كُلِّ قَرْيَةٍ آمَنُوا فِي الْوَقْتِ الَّذِي يَنْفَعُهُمْ فِيهِ إِيْمَانُهُمْ؟ فَفَعَّلَهَا إِيْمَانُهَا بِأَنَّ ارْتِفَاعَ عَنْهَا عَذَابَ اللَّهِ، وَ لَمْ تَوْجَلْ إِيْمَانُهَا حَتَّى وَقَعَ الْعَذَابُ إِذْ لَنْ يَنْفَعَهَا حِينَئِذٍ إِلَّا قَوْمٌ يُؤْنَسُ مُسْتَشْيَا قَوْمِ يُونُسَ الَّذِينَ لَمَّا آمَنُوا عِنْدَ نَزُولِ الْعَذَابِ وَ قَرَبِهِ مِنْهُمْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا أَى صَرْفَنَاهُ عَنْهُمْ وَ نَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَارِهِ وَ مَتَّعْنَاهُمْ تَرْكَاهُمْ يَرْتَعُونَ فِي نَعْمَانَا إِلَى حِينٍ أَى: إِلَى انْقِضَاءِ آجَالِهِمْ. ٩٩- وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَمَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ ... لَوْ شَاءَ: أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى الْإِيمَانَ لَكَانَ وَ لَصَدَّقَ أَهْلُ الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا يَا مُحَمَّدُ وَ لَكِنْ لَا يَنْفَعُ الْإِيمَانُ بِالْإِكْرَاهِ أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ تَجْبِرُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ أَى لَا يَنْبَغِي أَنْ تَرِيدَ إِكْرَاهَهُمْ عَلَى الْإِيمَانِ مَعَ أَنَّكَ غَيْرُ قَادِرٍ عَلَى ذَلِكَ إِضَافَةً إِلَى عَدَمِ جِدْوَاهُ. ١٠٠- وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ ... أَى لَيْسَ مَيَسُورًا لِأَحَدٍ أَنْ يُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى، بِأَنْ يُطْلَقَ ذَلِكَ لَهُ وَ يُمْكِنَ مِنْهُ بِمَا خَلَقَ لَهُ مِنَ الْفَهْمِ وَ الْعَقْلِ قَلِيلٌ إِنْ الْإِذْنَ هُنَا هُوَ الْعِلْمُ، يَعْنِي أَنَّهُ لَا يُؤْمِنُ أَحَدٌ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرَّجْسَ: الْعَذَابَ، عَلَى الَّذِينَ لَا- يَعْقِلُونَ أَى مِنْ لَا يَتَدَبَّرُونَ. ١٠١- قُلْ أَنْظِرُوا مَا ذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ ... قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِمَنْ يَسْأَلُكَ عَنِ الْآيَاتِ وَ الْمَعَاجِزِ فَلْيَتَدَبَّرِ الدَّلَائِلَ وَ الْعَجَائِبَ فِي مَخْلُوقَاتِ اللَّهِ تَعَالَى كَمَجَارِي الشَّمْسِ وَ الْقَمَرِ وَ النُّجُومِ وَ الْبَحَارِ وَ الْيَابِسَةِ وَ حَرَكَهَ الْأَرْضِ وَ جَمِيعَ مَا فِي الْكَوْنِ مِنْ جَمَادَاتٍ وَ أَحْيَاءٍ وَ لَكِنْ مَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَ النَّذِيرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ أَى لَا تَفِيدُ الدَّلَائِلَ وَ الْبَرَاهِينَ وَ لَا أَقْوَالَ الرُّسُلِ الْمَخُوفَةَ عِنْدَ قَوْمٍ لَا يَنْظُرُونَ فِي الْآيَاتِ الَّتِي حَوْلَهُمْ نَظَرَ تَفْهَمٍ وَ تَعَقُّلٍ. ١٠٢- فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ ... أَى فَهَلْ يَنْتَظِرُ الَّذِينَ تَأْمُرُهُمُ بِالْإِيمَانِ فَيَأْبُونَ التَّصَدِيقَ بِأَدْلَتِكَ وَ مُعْجَزَاتِكَ، إِلَّا أَنْ يَصِيبَهُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ الَّذِينَ مَضَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ، فِي أَيَّامِ نَزُولِ الْعَذَابِ عَلَيْهِمْ كَأَيَّامِ عَادَ وَ ثَمُودَ وَ قَوْمِ نُوحَ وَ غَيْرِهِمْ. قُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ: فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَنَظِّرِينَ فَتَوَقَّعُوا الْعَذَابَ الَّذِي وَعَدَ اللَّهُ بِهِ الْكَافِرِينَ، وَ أَنَا أَنْتَظِرُهُ مَعَكُمْ فِي جَمَلَةٍ مِنْ يَنْتَظِرُهُ. ١٠٣- ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَ الَّذِينَ آمَنُوا ... أَى نَخْلُصُ الْأَنْبِيَاءَ الَّذِينَ بَعَثْنَاهُمْ وَ جَمِيعَ مَنْ آمَنُوا مَعَهُمْ حِينَ حُلُولِ الْعَذَابِ وَ حَالِ وَقْعِهِ، كَذَلِكَ أَى مِثْلَ نَجَاةٍ مِنْ مَضَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ نُنَجِّي مِنْ بَقَى، حَقًّا عَلَيْنَا فِي قَضَائِنَا، نُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ نَخْلُصُهُمْ مِنَ عَذَابِ الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ. ١٠٤- قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ ... قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِلنَّاسِ: أَى الْكُفَّارِ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنْ دِينِي وَ هَلْ هُوَ حَقٌّ فَأَنَا فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ تَقْدِسُونَ وَ تَصَلُّونَ لَهُ مِنَ الْأَصْنَامِ مِنْ دُونِ اللَّهِ بِدَلَا عَنْ عِبَادَتِهِ تَعَالَى وَ لَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ أَى يَقْدِرُ عَلَى إِمَاتَتِكُمْ وَ أَمْرَتُ مِنْ قَبْلِ رَبِّي أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الْمَصْدَقِينَ بِتَوْحِيدِهِ وَ إِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لَهُ. ١٠٥- وَ أَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ... هَذِهِ الْآيَةُ الشَّرِيفَةُ مُعْطَوْفَةٌ عَلَى سَابِقَتِهَا، فَكَأَنَّهُ قَالَ وَ قِيلَ لِي: أَقِمَّ وَجْهَكَ أَى تَوَجَّهْ لِلدِّينِ وَ اسْتَقِمْ فِيهِ وَ أَقْبَلْ بِوَجْهِكَ عَلَى مَا كَلَّفْتُ بِهِ مِنَ الْقِيَامِ بِأَعْيَابِ الرِّسَالَةِ حَنِيفًا أَى: مُسْتَقِيمًا. وَ لَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَى: وَ لَا تَعْبُدْ أَحَدًا غَيْرَ اللَّهِ أَوْ مَعَهُ. ١٠٦- وَ لَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ ... أَى لَا تَذْكُرْ غَيْرَ اللَّهِ مُعْبُودًا مِمَّا لَا يَنْفَعُكَ إِنْ أَطَعْتَهُ وَ لَا- يَضُرُّكَ إِنْ أَنْتَ عَصَيْتَهُ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ أَى: إِذَا عَمِلْتَ بِخِلَافِ مَا أَمَرْتُ بِهِ، تَكُونُ ظَالِمًا لِنَفْسِكَ، بِتَسْبِيبِ الْعِقَابِ لَهَا، وَ الْخُطَابِ لِلخَلْقِ مِنْ خِلَالِهِ (ص). إِرْشَادُ الْأَذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ٢٢٦ ١٠٧- وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ ... أَى إِذَا أَصَابَكَ مِنَ اللَّهِ سُوءٌ أَوْ شِدَّةٌ أَوْ مَرَضٌ أَوْ غَيْرُ ذَلِكَ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ أَى: لَا مَزِيلَ لَهُ غَيْرُهُ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى لِأَنَّهُ وَحْدَهُ قَادِرٌ

على ذلك وَاِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ مِنْ نِعْمَةٍ أَوْ مِنْ صَحَّةٍ أَوْ أَمْنٍ أَوْ غَيْرِهِ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ أَى فَلَا أَحَدٌ يَمْنَعُ ذَلِكَ الْخَيْرَ عَنْكَ يُصِيبُ بِهِ أَى بِالْخَيْرِ مَنْ يَشَاءُ يَرِيدُ مِنْ عِبَادِهِ فَيُعْطِي الْوَاحِدَ مِنْهُمْ مَا تَقْتَضِيهِ الْحِكْمَةُ وَمَا تَدْعُو إِلَيْهِ الْمَصْلَحَةُ وَهُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ الْمُتَجَاوِزُ عَنْ ذُنُوبِ عِبَادِهِ الرُّؤُوفُ بِهِمْ. ١٠٨- قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ ... أَى: أعلن يا محمد بين الناس أن قد أتاكم القرآن ودين الإسلام من عند الله وقيل المراد بالحق النبي (ص). فَمَنْ اهْتَدَى نَظَرَ وَتَأَمَّلَ فَعَرَفَ أَنَّ الدِّينَ الْإِسْلَامِيَّ حَقٌّ وَصَوَابٌ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ أَى تَعُودُ عَلَيْهِ مَنَفَعُهُ هِدَايَتُهُ وَإِيمَانُهُ، وَمَنْ ضَلَّ عَدَلَ عَنْ ذَلِكَ وَكَفَرَ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا يَكُونُ وَبَالَ ضَلَالِهِ عَلَى نَفْسِهِ، وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ يَعْنِي أَنَّ لَيْسَ مُحَمَّدًا (ص) عَلَى النَّاسِ بِحَفِظٍ يَدْفَعُ عَنْهُمْ الْهَلَكَ. ١٠٩- وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ ... هُوَ خُطَابُ لِنَبِيِّهِ الْكَرِيمِ أَنَّ سِرَّ بِحَسَبِ مَا يَنْزِلُ عَلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ بِالْوَحْيِ وَاصْبِرْ عَلَى تَكْذِيبِ الْكَافِرِينَ وَأَذَاهُمْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ يَقْضَى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ بِظُهُورِ دِينِهِ وَنَصْرِكَ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ لِأَنَّهُ الْحَاكِمُ بِالْعَدْلِ وَالْحَقِّ.

سورة هود مكية، عدد آياتها ١٢٣ آية

١- الر ... مَرَّ تَفْسِيرُ هَذِهِ الرُّمُوزِ فِي أَوَّلِ الْبَقْرَةِ، كِتَابُ يَعْنِي الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ أَى أَثَبَّتْ دَسْتُورًا لَا يَنْسَخُ أَبَدَ الدَّهْرِ ثُمَّ فَصَّلَتْ بَيَانَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ وَسَائِرَ الْأَحْكَامِ وَقَدْ قِيلَ فِي أَحْكَمَتْ ثُمَّ فَصَّلَتْ أَقْوَالٌ أُخْرَى. مِنْ لَدُنْ مَنْ عِنْدَ حَكِيمٍ فِي جَمِيعِ تَدَايِيرِهِ وَأَحْكَامِهِ خَيْرٌ عِلْمٍ بِأَحْوَالِ خَلْقِهِ وَبِمَصَالِحِهِمْ. ٢- أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ... أَى أَحْكَمَ آيَاتِ هَذَا الْكِتَابِ وَفَصَّلَهَا وَأَنْزَلَهُ عَلَى رَسُولِهِ لِيَأْمُرَكُمْ أَنْ لَا تَعْبُدُوا غَيْرَهُ. وَلِيَقُولَ لَكُمْ: إِنِّي لَكُمْ أَنَا رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ، وَأَنَا مِنْهُ نَذِيرٌ يَخُوفُكُمْ الْبَقَاءَ عَلَى الْكُفْرِ وَالْعِصْيَانِ وَبَشِيرٌ يَبْشُرُ الْمُطِيعِينَ بِالْجَنَّةِ وَجَزِيلِ الثَّوَابِ. ٣- وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ... أَى جِئْتُ لَأْمُرَكُمْ أَنْ تَطْلُبُوا الْمَغْفِرَةَ مِنَ اللَّهِ بِالتَّوْبَةِ النَّصُوحِ. فَمَتَى اسْتَغْفَرْتُمُوهُ يُمَتِّعْكُمْ يَمْنَحُكُمْ اللَّهُ الْمَتْعَةَ بِنِعْمَةٍ مَتَاعًا حَسَنًا بِرَغَدٍ وَدَعَا إِلَى أَحْزَلٍ مُسَمَّى إِلَى وَقْتٍ قَدَّرَهُ لَكُمْ يَعْقِبُهُ الْمَوْتُ وَيُؤْتِ يَعْطِي كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ كُلَّ صَاحِبٍ إِفْضَالٍ عَلَى غَيْرِهِ بِالْمَالِ أَوْ بِسَوَاهِ، ثَوَابٌ مَا عَمِلَ. وَإِنْ تَوَلَّوْا أَى إِنْ تَعَرَّضُوا عَمَّا أَمَرْتُمْ بِهِ فَإِنِّي أَخْشَى عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ أَى كَبِيرِ شَأْنِهِ، وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ. ٤- إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ: يَعْنِي أَنَّ مَعَادَكُمْ وَمَصِيرَكُمْ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِلَى حُكْمِ اللَّهِ وَهُوَ الْقَادِرُ عَلَى إِحْيَائِكُمْ وَبَعْثِكُمْ لِلثَّوَابِ وَالْجَزَاءِ فَتَجْتَنِبُوا مَعَاصِيهِ. ٥- أَلَا إِنَّهُمْ يَنْتَوُونَ ضَيْدُورَهُمْ ... وَالْمَعْنَى: انْتَبِهْ أَيُّهَا السَّامِعُ إِلَى أَنَّ الْمُنَافِقِينَ يَطُوونَ صُدُورَهُمْ عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ غُلٍّ وَكَفَرٍ حَتَّى لَا يَسْمَعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ آيَاتٍ وَبَيِّنَاتٍ. لَيْسَ تَخَفُوا مِنْهُ لِيَطْلُبُوا الْخِفَاءَ وَالتَّسْتَرَّ مُخْتَبِينَ مِنَ اللَّهِ أَوِ النَّبِيِّ عَلَى قَوْلٍ أَلَا حِينَ يَسْتَعْشُونَ نِيَابَهُمْ أَى حِينَ يَتَغَطُّونَ بِشِيَابِهِمْ عَنْ تَأْمُرِهِمْ بِشَأْنِ النَّبِيِّ (ص) يَغْلَمُ اللَّهُ مَا يُسْرُونَ مَا يَقُولُونَهُ فِي السَّرِّ وَمَا يُغْلِنُونَ وَمَا يَقُولُونَهُ عَلَنًا لِأَنَّهُ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ، إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ يَعْلَمُ وَسَاوِسَ الصُّدُورِ وَمَا تَكُنُّهُ الْقُلُوبُ وَتَتَحَدَّثُ بِهِ النُّفُوسُ. إِرْشَادُ الْأَذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ٢٢٧-٦ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ ... أَى لَيْسَ مِنْ حَى يَمْشِي عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا فَهُوَ سَبْحَانَهُ مُتَكَفِّلٌ لَهَا بِالرِّزْقِ الْخَاصِّ بِهَا وَيَعْلَمُ مَسَاقَرَهَا وَيَعْرِفُ مَكَانَ قَرَارِهَا فِيمَا بَيْنَ الْأَصْلَابِ وَالْأَرْحَامِ وَفِيمَا بَعْدَ ذَلِكَ وَمُسَيِّدُودَهَا حَيْثُ تَمُوتُ وَتَبْعُثُ مِنْهُ كُلُّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ أَى كُلُّ هَذِهِ التَّفْصِيلَاتِ بِشَأْنِ كُلِّ مَخْلُوقٍ وَكَائِنٍ، مَكْتُوبٌ وَمُسَجَّلٌ فِي كِتَابٍ ظَاهِرٍ هُوَ اللَّوْحُ الْمَحْفُوظُ. ٧- وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ... أَى أَنَّ اللَّهَ هُوَ مَنْشِئُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَخَالِقُهُنَّ بِقُدْرَتِهِ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَهَذَا إِخْبَارٌ مِنْهُ سَبْحَانَهُ بِإِنشَائِهِمَا فِي هَذِهِ الْمُدَّةِ مَعَ أَنَّهُ يَقْدِرُ عَلَى إِجَادِهِمَا بِمِثْلِ لَمَحِ الْبَصَرِ، وَلَكِنَّهُ أَجْرَى ذَلِكَ مَجْرَى الْحِكْمَةِ فِي التَّرْتِيبِ وَالتَّدْبِيرِ. وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ أَى كَانَ مَكَانَ مَنْطَلَقِ سُلْطَانِهِ وَقُدْرَتِهِ عَلَى الْمَاءِ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى وَجُودِ الْمَاءِ وَالْعَرْشِ قَبْلَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كَمَا تُشِيرُ آيَاتٌ كَثِيرَةٌ. لِيُثْبِتَ لَكُمْ لِيُخَبِّرَكُمْ أَنَّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا أَى أَنَّهُ سَبْحَانَهُ خَلَقَ وَدَبَّرَ لِيُظْهِرَ إِحْسَانَ الْمُحْسَنِ، لِأَنَّهُ تَعَالَى عَنْ أَنْ يُجَازَى النَّاسُ بِحَسَبِ مَعْلُومِهِ وَمِنْ غَيْرِ اخْتِبَارٍ وَابْتِلَاءٍ وَلِئِنْ أَى: وَاللَّهُ إِذَا قُلْتُ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ: إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مَعَادُونَ أَحْيَاءَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لِلْحِسَابِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُ الْكَافِرُونَ مُؤَكَّدًا: إِنَّ هَذَا مَا هَذَا الْقَوْلُ إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ أَى لَيْسَ سِوَى تَمْوِيهِ ظَاهِرٍ لَمَّا لَا حَقِيقَةَ لَهُ فِي الْوَقَائِعِ. ٨- وَلِئِنْ أَخْرَجْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ ... أَى: إِذَا أَجْلْنَا عَذَابَ الْهَلَكَ عَنْ هَؤُلَاءِ الْكَفَّارِ إِلَى أُمَّةٍ مَغْدُودَةٍ أَى

إلى أجل و حين محسوب لَيَقُولَنَّ أَى من المؤكّد قولهم على وجه الاستهزاء: ما يَحْسِبُهُ أَى ما يمنع ذلك العذاب عَنَّا إِنْ كَانَ حَقًّا؟ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ إِنَّهُ حين يحييهم لَيْسَ مَضْرُوفًا عَنْهُمْ يكون من غير الممكن تحويله عنهم وَ حَاقَ بِهِمْ نَزْلُ بِهِمْ ما كانوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ أَى العذاب الذى كانوا يسخرون منه. ٩- وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ... أَى: إذا رحمنا الإنسان و أنزلنا عليه النعم ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ أَى سلبنا تلك الرحمة منه إِنَّهُ أَى الإنسان لَيُؤْسُ قَنُوطَ كَفُورٍ لَأَن من عادته الكفر بنعمة ربّه. ١٠- وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَاءٍ مَسَتْهُ ... أَى إذا أعطينا الإنسان نعمة جزيلة بعد بلاء شديد أصابه لَيَقُولَنَّ يقول بكل تأكيد: ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي أَى راح ما يسوؤنى من الآلام و الفقر و غيرهما ناسيا الله سبحانه و وجوب شكره إِنَّهُ لَقَلَّمَهُ تَفَكَّرَهُ بشكر المنعم حين زوال الضرّ لَفَرَحٍ مسرور فخورّ بتيه فخرا بين الناس لما أصابه من فضل و هو غير شاكر لذهاب الضرّ و مجيء العافية. ١١- إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ... استثنى سبحانه ممن جحدّه الَّذِينَ صَبَرُوا قابلوا الضرّ بالصبر و النعمة بالشكر وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فعلوا الطاعات و داوموا عليها أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ أَجْرٌ كَبِيرٌ ثواب عظيم هو الجنّة بعد التجاوز عن ذنوبهم. ١٢- فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ ما يُوحى إِلَيْكَ ... أَى عساك يا محمد عند ما تتلو القرآن على مسمع من الكفار تترك بعض ما فيه من التشنيع على آلهتهم دفعا لأذاهم وَ ضَائِقٌ بِهِ صِدْرُكَ أَى تبدو متضايقا من تكذيبهم أو من اقتراحاتهم عليك أَنْ يَقُولُوا أَى مخافة أَنْ يَقُولُوا لَوْ لَا- أُنْزِلَ عَلَيْهِ كُتْرٌ يَأْتِيهِمْ لو نزل عليه كنز من المال أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ يَصْدَقُهُ و يشهد له إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ أَى منذر مخوف من عذاب الله وَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ أَى أنه حفيظ على كل شىء يقدر على النفع و دفع الضرر. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٢٢٨ ١٣- أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ... أَى: أ يقولون افترى هذا القرآن و اخترعه من عنده و نسبة إلى الله، ف قُلْ يا محمد لهم: فَاتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ أَى: جيئوا بعشر سور تضاهيه نظما و بلاغة و إعجازا تكون مكذوبة على الله مثل هذا القرآن الذى ترعمون افتراءه و كذبه عليه، و قد نزل بلغتكم العربيه و أنتم فصحاء. وَ اذْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ و اطلبوا معونه من قدرتم عليه ليعينوكم على معارضته مِنْ دُونِ اللَّهِ أَى ما سوى الله إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فى زعمكم إني افتريته. ١٤- فَالَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ ... أَى إذا لم يجب الكفار على هذا التحدى فَاعْلَمُوا يَقْنُوا أيها المسلمون أَنَّمَا أُنْزِلَ هذا القرآن بِعِلْمِ اللَّهِ وَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ و لم يفتر عليه. و قيل بل الخطاب للكفار: أَى إذا لم يستجب لكم من تدعونه لمشاركتكم فى معارضة القرآن فاعلموا أن القرآن معجز من عند الله. فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ يعنى منقادون للحجة بعد قيامها عليكم و مسلمون بأن القرآن حقّ نزل من عند الله؟. ١٥- مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَ زِينَتَهَا ... و المعنى: أن الذين يرغبون فى الحياة الدنيا و حسن بهجتها من غير أن يحسبوا حسابا للآخرة نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فيها أَى نعطيهم جزاء أعمالهم تامة، وَ هُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ أَى لا يلحقهم النقص بشىء منه. ١٦- أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ ... أَى أن الذين يريدون الدنيا و زينتها فقط، ليس لهم فى الآخرة إِلَّا النَّارُ التى يدخلونها بكفرهم وَ حَبِطَ سَقَطَ لَأَنَّهُ جَاءَ عَلَى خِلافِ الوجه المطلوب ما صَيَّعُوا عملوا فيها فى الدنيا وَ باطلٌ ذاهب سدى ما كانوا يَعْمَلُونَ من عمل لم يقصدوا به الله عزّ و جل. ١٧- أَفَمَنْ كَانَ عَلَى يَتِيئِهِ مِنْ رَبِّهِ ... استفهام تقريرى: أَى هل من كان على برهان من الله. و البينة هى القرآن أو نبوة محمد (ص) وَ يَتَّبِعُوهُ يتبعه شاهدٌ مِنْهُ أَى من يشهد بصحته و قيل الشاهد هو جبرائيل (ع) و قيل هو محمد (ص). وَ مِنْ قَبْلِهِ أَى من قبل القرآن كِتَابُ مُوسَى وَ هُوَ التَّوْرَةُ إماماً دليلاً يُؤْتَمُّ به فى أمور الدين و أحكامه وَ رَحْمَةً نعمة و لطفاً منه سبحانه على عباده، أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ أَى أُولَئِكَ الَّذِينَ هم على بينة من ربهم يؤمنون بمحمد (ص) أو بالقرآن. وَ مَنْ يَكْفُرْ بِهِ يجحد بمحمد و بالقرآن مِنَ الْأَحْزَابِ وَ هم المشركون عامة و أصحاب الأديان فَالْتَّارُ مَوْعِدُهُ أَى هو موعود بها بحيث تكون مقرّه و مصيره. فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ أَى: لا تكن فى شك من ربك و مما أنزله أيها النبى، بل أيها الإنسان السامع، إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ الذى لا شك فيه من الله سواء أ كان المقصود القرآن أم النبى (ص) وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ لا يصدقون. ١٨- وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ... هذا استفهام إنكارى يعنى أنه ليس أظلم ممن يكذب على الله، أُولَئِكَ الْمَفْتَرُونَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ أَى يوقفون يوم القيامة بحيث يراهم الناس و يسألون عن افتراءاتهم، وَ يَقُولُ الْأَشْهَادُ من الملائكة و قيل: هم الأنبياء، و قيل: هم الأئمة هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَى كذبوا على رسل ربهم و أضافوا إلى رسالاتهم ما لم يقله أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ أَى البعد عن رحمة الله للذين ظلموا أنفسهم بافترائهم. ١٩- الَّذِينَ يَصِفُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ... الجملة

صفة للظالمين الذين لعنهم الله تعالى في الآية السابقة، أى: أولئك المفترون الملعونون هم الذين يصرفون الناس عن دين الله و يَبْغُونَهَا عِوَجًا أى يريدون لسييل الله زيغا و ميلا- عن الصواب و هُمْ بِالْآخِرَةِ أى بالقيامة و الحساب هُمْ كَافِرُونَ جاحدون. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٢٢٩ ٢٠- أولئك لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ ... أى أولئك الكفار الملعونين سابقا ليسوا بفائتين الله إذا حاولوا هربا فى الأرض إذا أراد إهلاكهم و ما كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ أى ليس لهم من ينصرهم و يحميهم من بطش الله فى الدنيا و الآخرة. يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مضاعفته ليست زيادة و العياذ بالله عما يستحقون و قد علل المفسرون هذه المضاعفة بأنه لا يقتصر لهم على عذاب الكفر، بل يعاقبون على سائر معاصيهم مجموعة، ما كانوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ و ما كانوا يُبْصِرُونَ أى بما كانوا يستطيعون السمع فلا يسمعون، و بما كانوا يقدرّون على الإبصار فلا يبصرون لعنادهم و كفرهم. ٢١- أولئك الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ ... أى أهلكوها بما استحقوا من عقاب فكان ذلك بمثابة الخسران إذ ليس بعد ذلك عوض و ضَلَّ عَنْهُمْ ما كانوا يَفْتَرُونَ فسرناه سابقا. ٢٢- لا جَزَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ: قيل: بأن هذا التعبير: لا جرم، يستعمل فى أمر لا يرتاب فيه، و عليه فيكون المعنى: لا شك أن هؤلاء الكفار هم أخسر الناس فى الآخرة. ٢٣- إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ... بعد الكلام عن الكافرين و عن عذابهم الأخرى عقبه سبحانه بالكلام عن المؤمنين أى الذين صدّقوا بالله و رسوله و قاموا بطاعات ربهم التى رَغِبَ بها و أَحَبُّوا إلى رَبِّهِمْ أى أنابوا إليه و خشعوا أولئك الموصوفون أصحابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ مَرَّ تفسيره. ٢٤- مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى و الْأَصَّمِ ... يضرب سبحانه هنا مثلا للمؤمنين و الكافرين، أى أن فريق الكافرين كالأعمى الذى لا يبصر و الأصم الذى لا يسمع و لا يعى، و فريق المؤمنين كالبصير و السميع الحاد البصر و القوى السمع هل يَسْتَوِيَانِ أى هل يتساوى السامع المبصر مع الأعمى الأصم مثلا فى مقام التمثيل و التشبيه؟ لا و كذلك لا يتساوى المؤمن و الكافر أَفَلَا تَذَكَّرُونَ يعنى: ألا تتفكرون بذلك لتجدوا الفرق بينهما؟ ٢٥- وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ ... أى: قد بعثنا رسولنا نوحا إلى عشيرته فقال لهم: إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ فسرناه سابقا. ٢٦- أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ... أى أن توحّدوا الله و تعبدوه و لا تعبدوا غيره إِنِّي أَخَافُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ أى عذابه مؤلم موجه. ٢٧- فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ ... أى فأجابه رؤوس الكفر و الضلال من قومه قائلين: ما نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا يعنى أنك إنسان مثلنا زعما منهم بأن الرسول ينبغى أن يكون من غير جنس المرسل إليهم، و ما نَرَاكَ اتَّبَعَكَ أى صدّقك و تابعك على أمرك إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا أَنْ يَنْفِلُوا و لم يَتَّبِعَكَ الْأَشْرَافُ و الرؤساء بِإِذْنِ الرَّأْيِ أى دون أن يتدبّروا قولك، أو أنهم أظهروا لك ذلك و هم يبطنون مخالفتك و ما نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ أى ليس لك و لمن تبع مقاتلتك من إفضال علينا لا مادي و لا معنوي. بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ أى نحسبكم غير صادقين فيما أنتم عليه. ٢٨- قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ ... أى قال نوح (ع): يا قوم ما رأيكم إن كانت دعوتى مبتيّة على بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي برهان من ربى يصدّق نبوتى و آتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ أى أعطانى نعمة جزيلة من عنده هى النبوة فَعَمِيَتْ عَلَيْكُمْ أى خفيت عليكم لقله تدبّر كم فيها أُنْزِلَ مُكْمُوهَا و أَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ أى: أنكرهكم عليها و نلجئكم إلى الإيمان إلجاء؟ و هذا غير مقدور لى. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٢٣٠ ٢٩- وَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ... قال نوح (ع) لقومه: إننى لا أطلب منكم مالا كأجر على دعوتى لكم إلى الله فتمتنعوا عن إجابتى خوفا من دفعه. إِنْ أَجَرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ لَيْسَ ثَوَابِي فِي تَحْمِلِ أَعْبَاءِ الدَّعْوَةِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وحده و ما أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا لست بمبعدهم عنى إِنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ أى سيقفون بين يديه يوم الحساب و يشكون إليه من طردهم و لَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ أى لا تعرفون الحق، فإن الناس يتفاضلون بالدين لا بالدنيا و بهذا المقياس فهؤلاء الفقراء أفضل منكم فلما ذا أطردهم. ٣٠- وَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ ... أى من يجيرنى من عذاب الله إِنْ طَرَدْتُهُمْ أبعدهم عنى و خاصمونى عند الله يوم القيامة. أَفَلَا تَذَكَّرُونَ أى: أفلا تفكرون فتدركوا حقيقة ما أقول. ٣١- وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ ... أى لا أتعالى و أرفع نفسى فوق قدرها فأدعى إننى أملك خزائن الله و أتصرف فيها كيفما أشاء و لَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَا أَدْعِيهِ حَتَّى أَطَّلِعَ عَلَى مَكْنُونَاتِ صُدُورِكُمْ و مَالِ أُمُورِكُمْ و لَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ أى أننى لست من غير البشر لأخبركم بما ينزل من السماء من عند نفسى، و لَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ أى لا أقول لمن تحقرونهم من المؤمنين لَنْ يُؤَيَّتَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا أى لن يعطيهم فى مستقبل حياتهم خيرا و ثوابا على ما يعملون اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي

أَنْفُسِهِمْ لَأَنَّهُ مُطَّلِعٌ عَلَى مَا فِي الْقُلُوبِ إِنِّي إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ لَهُمْ، لَوْ طَرَدْتَهُمْ تَكْذِيبًا لَظَاهَرَ إِيْمَانَهُمْ مَعَ إِيْنِي لَا أَعْلَمُ غَيْرَهُ. ٣٢- قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا ... أَيُّ أَنْ قَوْمِ نُوحٍ (ع) قَالُوا لَهُ قَدْ حَاجَجْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَزِدْتَ فِي الْحِجَاجِ فَأَتَيْنَا بِمَا تَعِدُنَا جُنَا بِالْعَذَابِ الَّذِي وَعَدْتَنَا بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ بِقَوْلِكَ أَنْ رَبِّكَ يَعَذِّبُنَا بِكُفْرِنَا. ٣٣- قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ ... أَيُّ: قَالَ نُوحٌ: إِنْ الْعَذَابَ رَهْنٌ بِإِرَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى، فَإِنْ شَاءَ قَدَّمَهُ وَإِنْ شَاءَ أَخَّرَهُ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ أَيُّ لَا تَفْلَتُونَ مِنْ قَبْضَتِهِ. ٣٤- وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي ... أَيُّ لَا يَفِيدُكُمْ مَا أَقْدَمَهُ إِلَيْكُمْ مِنَ النَّصِيحِ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ إِذَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَحْرِمَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُعَاقِبَكُمْ عَلَى الْكُفْرِ. هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ فَاللَّهُ تَعَالَى هُوَ خَالِقُكُمْ وَمَالِكُكُمْ وَإِلَى حُكْمِهِ يَصِيرُ أَمْرُكُمْ. ٣٥- أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ... أَيُّ أَنْكَ يَا مُحَمَّدُ حِينَ تَرَوِي قِصَّةَ نُوحٍ (ع) مَعَ قَوْمِهِ لِكُفَارِ مَكَّةَ: هَلْ يَقُولُونَ افْتَرَيْتَ هَذَا النَّبَأَ مِنْ عِنْدِكَ؟ قُلْ لِهَؤُلَاءِ الْمَكَابِرِينَ: إِنْ افْتَرَيْتُهُ إِذَا كُنْتَ قَدْ كَذَبْتَهُ وَجِئْتُ بِهِ مِنْ عِنْدِ نَفْسِي فَعَلَيَّْ إِجْرَامِي فَأَنَا أَتَحْمِلُ عِقَابَهُ جَرْمِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ وَأَنَا لَا أَتَحْمِلُ وَزَرَ إِجْرَامِكُمْ. ٣٦- وَأَوْحَى إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ ... أَيُّ أَعْلَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ لَنْ يَصْدَقَكَ فِي دَعْوَتِكَ أَحَدٌ مِنْ قَوْمِكَ فِي الْمُسْتَقْبَلِ، فَلَا تَبْتَئِسْ فَلَا تَعْتَمِ بِسَبَبِ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ مِنَ الْعِنَادِ وَالْمَعَاصِي. ٣٧- وَاصْبِرْ لِفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا ... أَيُّ أَعْمَلِ السَّفِينَةَ الَّتِي قَدَرْنَا أَنْ تَرْكِبَهَا أَنْتَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ بِكَ بِمَرَأَى مِنَّا وَعَلَى مَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنْ صِفَتِهَا وَتَجْهِيْزِهَا. وَلَا- تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُعْرِضُونَ أَيُّ لَا تَسْأَلُنِي الْعَفْوَ عَنِ الْكَافِرِينَ مِنْ قَوْمِكَ فَإِنَّهُمْ سَيُهْلَكُونَ بِالطُّوفَانِ. إِرْشَادُ الْأَذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ٢٣١ ٣٨- وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ ... أَيُّ وَشَرَعَ نُوحٌ (ع) بِصِنَاعَةِ السَّفِينَةِ كَمَا أَمَرَ اللَّهُ وَكَانَ كُلُّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ أَيُّ كُلَّمَا اجْتَاَزَ بِهِ جَمَاعَةٌ مِنْ رُؤَسَاءِ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ اسْتَهْزَؤْا بِهِ: قَالَ إِنْ تَسَخَّرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسَخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسَخَّرُونَ أَيُّ كَانَ نُوحٌ يَقُولُ لَهُمْ: إِنَّا نَسْتَهْزِئُ بِكُمْ كَمَا اسْتَهْزَأْتُمْ بَنَا وَنَنْظُرُ إِلَيْكُمْ نَظْرَنَا إِلَى الْجَاهِلِينَ. ٣٩- فَسَوْفَ نَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ ... أَيُّ سَتَعْرِفُونَ أَيُّهَا السَّخَاوُونَ الْمَكَابِرُونَ مِنْ مِمَّا يَحِلُّ بِهِ الْعَذَابُ الَّذِي يَفْضَحُهُ وَيَهِينُهُ فِي الدُّنْيَا وَيَحِلُّ عَلَيْهِ يَنْزِلُ بِهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ دَائِمٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. ٤٠- حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا ... لَفْظُهُ حَتَّى مُتَعَلِّقَةٌ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: وَاصْبِرْ لِفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا. أَيُّ اسْتَمَرَّ الْعَمَلُ وَالْحَوَارِ حَتَّى حُلَّ قَضَاءُ اللَّهِ بِإِنزَالِ الْعَذَابِ عَلَى قَوْمِ نُوحٍ (ع) وَفَارَ التَّنَوُّرُ أَيُّ ارْتَفَعَ الْمَاءُ فِيهِ بِشِدَّةٍ وَخَرَجَ مَنَدْفَعًا. قُلْنَا أَيُّ قَالَ اللَّهُ لِنُوحٍ: اخْمِلْ فِيهَا خُذْ مَعَكَ فِي السَّفِينَةِ مِنْ كُلِّ مِنْ كُلِّ جِنْسٍ مِنَ الْحَيَوَانِ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ذَكَرًا وَأُنْثَى، وَاحْمِلْ أَهْلَكَ أَيُّ أَفْرَادَ عَائِلَتِكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ أَيُّ مِنْ سَبَقَ أَنْ وَعَدْنَاهُ بِالْهَلَاكِ وَهُمَا امْرَأَتُهُ وَاعْلَاهُ وَابْنَاهَا كَنْعَانَ وَاحْمِلْ أَيْضًا مَنْ آمَنَ بِكَ وَصَدَّقَكَ مِنْ غَيْرِ أَهْلِكَ، وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ فَقِيلَ لَهُمْ ثَمَانُونَ، وَقِيلَ أَقَلُّ مِنْ ذَلِكَ. ٤١- وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا ... أَيُّ قَالَ نُوحٌ لِلْمُؤْمِنِينَ مَعَهُ: ارْكَبُوا فِي السَّفِينَةِ بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا أَيُّ قَائِلِينَ أَوْ مَتَبَرِّكِينَ بِاسْمِ اللَّهِ وَقَتَ جَرِيَانِهَا وَقَتَ رِسْوَاهَا إِنْ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ أَيُّ أَنْ ذَكَرَهُ سَبْحَانَهُ طَاعَةً وَالطَّاعَةَ تَجْلِبُ الْمَغْفِرَةُ وَالرَّحْمَةُ. ٤٢- وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ ... يَعْنِي أَنَّ السَّفِينَةَ كَانَتْ تَسِيرُ بِنُوحٍ (ع) وَبِمَنْ مَعَهُ وَسَطَ أَمْوَاجِ كَالْجِبَالِ فِي عَظَمَتِهَا وَارْتِفَاعِهَا. وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَغْرَلٍ خَاطِبٍ وَلَدَهُ كَنْعَانَ وَكَانَ فِي قِطْعَةٍ مِنَ الْأَرْضِ غَيْرِ الَّتِي كَانَ نُوحٌ فِيهَا. يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا اصْعَدْ فِي السَّفِينَةِ وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ لَتَسْلَمَ مِنَ الْغَرَقِ. ٤٣- قَالَ سَاوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ... أَيُّ قَالَ ابْنُ نُوحٍ سَادَخَلَ إِلَى مَأْوَى فِي أَعْلَى الْجَبَلِ يَحْمِينِي مِنَ الْغَرَقِ قَالَ نُوحٌ: لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ لَا مَانِعَ وَلَا دَافِعَ فِي هَذَا الْيَوْمِ: يَوْمَ نَزُولِ الْعَذَابِ إِلَّا مَنْ رَجَمَ سِوَى مَنْ شَمَلَهُ لُطْفُ اللَّهِ وَحَالٌ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَصَلَ الْمَوْجَ بَيْنَ نُوحٍ وَابْنِهِ فَكَانَ أَيُّ فَصَارَ ابْنُ نُوحٍ مِنَ الْمُغْرَقِينَ الَّذِينَ غَرِمَهُمُ الْمَاءُ. ٤٤- وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ ... أَيُّ جَاءَ الْأَمْرُ مِنَ اللَّهِ أَنْ يَأْتِيَهَا الْأَرْضُ اشْرَبِي الْمَاءَ الَّذِي غَمَرَكَ حَتَّى يَجِفَّ أَدِيمُكَ وَيَا سَمَاءُ أَقْلَعِي أَيُّ امْسَكِي عَنِ الْمَطَرِ وَغِيْضِ الْمَاءِ أَيُّ انْسَرِبِي فِي بَاطِنِ الْأَرْضِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ تَمَّ أَمْرُ إِهْلَاكِ الْكَافِرِ وَنَجَاةِ نُوحٍ وَالمُؤْمِنِينَ بِهِ وَاسْتَوَتْ اسْتَقَرَّتِ السَّفِينَةُ عَلَى الْجُودِيِّ وَهُوَ جَبَلٌ مَعْرُوفٌ وَقِيلَ بَعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ أَيُّ قَالَ الْمَلَائِكَةُ أَوْ نُوحٌ (ع) وَجَمَاعَتُهُ النَّاجُونَ: أَبْعِدِ اللَّهُ الظَّالِمِينَ مِنْ رَحْمَتِهِ. ٤٥- وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ ... أَيُّ دَعَاهُ دَعَاءَ تَعْظِيمٍ وَابْتِهَالٍ قَائِلًا: رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي أَيُّ: اللَّهُمَّ خَالِقِي ابْنِي مِنْ عَائِلَتِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ فَقَدْ وَعَدْتَنِي بِحَمْلِ أَهْلِي مَعِي، وَوَعْدَكَ لَا- خَلْفَ فِيهِ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ حَكِيمٌ فِي فِعْلِكَ وَتَدْبِيرِكَ. إِرْشَادُ الْأَذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ٢٣٢ ٤٦٤٦- قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ... أَيُّ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ: إِنْ ابْنُكَ لَيْسَ

من أهلك الذين قضيت بنجاتهم. وقيل إن المراد أنه ليس على دينك. إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ أى أنه ذو عمل غير صالح. فَلَا تَسْئَلْنِ لَا تطلب منى معرفته ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ما لا تعرفه إِنِّي أَعْطُكَ أَدْعُوكَ بالحسنى أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ أى لئلا تكون منهم. ٤٧- قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَشْكَكَ ... أى قال نوح أستجير بك يا رب من أن أسألك ما لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ ما لم أعرف أنه صواب وَإِلَّا أى: وإن لم تَغْفِرْ لِي تتجاوز عما صدر عني وَتَرْحَمْنِي و يشملني لطفك و رحمتك أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ يكون نصيبى الخسران. ٤٨- قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ ... هذا من تمام كلامه سبحانه عن إرساء السفينة بعد هدوء الطوفان، حيث أمر نوح أن اهبط: انزل من السفينة بِسَلَامٍ مِنَّا سالما، وقيل بتحيته من الله وَبَرَكَاتٍ وَنِعَمَ كَثِيرَاتٍ عَلَيْكَ وَ عَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ أى عليك و على جماعة المؤمنين الذين معك فى السفينة، وَأُمَمٌ يَكُونُونَ مِنْ نَسْلِهِمْ سَيُؤْتِيَهُمْ سَنَنَعُمْ عَلَيْهِمْ بما يرتعون به فى الدنيا وَيَكْفُرُونَ ثُمَّ يَسْأَلُهُمْ يَصِيبُهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ موجع غاية الوجع. ٤٩- تَلَمَّكَ ... أى تلك الأخبار التى سردناها لك من قصة نوح هى مِنْ أَنْبَاءِ أَخْبَارِ الْغَيْبِ الذى يغيب علمه عن الناس نُوحِيهَا إِلَيْكَ ننزلها عليك و حيا من السماء ما كُنْتَ تَعْلَمُهَا لم تكن عارفا بها أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا قَبْلَ هَذَا الْقُرْآنِ المنزل بها فَاصْبِرْ عَلَى أذى قومك إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ أى الآخرة المحموده تكون للمؤمنين المتجبيين ما يسخط الله تعالى. ٥٠- وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ... عاد سبحانه يقص ما جرى على الأنبياء من أمهم فقال لمحمد (ص): و أرسلنا إلى قوم عاد أخاهم هودا. و قد عني سبحانه أن هودا من قومه بالنسب لا بالدين. و قد قَالَ يَا قَوْمِ اغْبُدُوا لِلَّهِ أى و خِدُوهُ و أطيعوه مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ لَيْسَ لَكُمْ رَبٌّ خَالِقُ رَازِقٍ سِوَاهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ يعنى: ما أنتم إِلَّا كاذبون فى قولكم بِالْوَهْيَةِ الْأَصْنَامِ. ٥١- يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ... أى: يا جماعتي لا أطلب منكم أجره على دعائكم إلى الحق إِنْ أَجْرِي لَيْسَ جَزَائِي إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي الذى خلقنى و كَلَّفَنِي بِذَلِكَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ عَنِ مَا أَلْبَغْتُمْ إِيَّاهُ؟ ٥٢- وَ يَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ... أى اطلبوا مغفرة خالقكم ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ أعلنوا امتناعكم عن المعاصى و ندمكم على ما سبق منكم يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا أى ينزل المطر عليكم من السماء متتابعا منهمرا وَ يَزِدُّكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ أى أطيعوه يغثكم و يزد فى مالكم و أولادكم، وَ لَا تَتَوَلَّوْا لَا تَنْصَرَفُوا عَنْ دَعْوَتِي مُجْرِمِينَ مُشْرِكِينَ. ٥٣- قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ ... يعنى أن قوم هود حين دعاهم إلى الله لم يصدقوا أنه رسول و قالوا ما جئنا بمعجزة تثبت صدقك و مَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا و لَسْنَا نَدْعُ عِبَادَةَ الْأَصْنَامِ عَنْ قَوْلِكَ صَدُورًا فى ذلك عن قولك الذى لم نصدقه. و مَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ أى لَسْنَا بِمُصَدِّقِينَ لَكَ. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٢٣٣ ٥٤- إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ ... أى لا- نقول إِلَّا أَنَّهُ قَدْ أَصَابَكَ سُوءٌ مِنْ بَعْضِ أَرْبَابِنَا فَجَنَّتْ قَالَ هُودٌ لِقَوْمِهِ: إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ أى أبعده شهيدا وَ أَشْهَدُوا أَنْتُمْ أَيْضًا أَنِّي بَرِيءٌ مَتَبَرِّئُ مُتَنَصِّلٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ. ٥٥- مِنْ دُونِهِ فَكَيْدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظَرُونَ: يعنى أن هودا بعد أن تبرأ من آلهتهم تحداهم و سخر من زعمهم أن آلهتهم عاقبته فقال: احْتَالُوا و امْكُرُوا مَا وَسَعَكُمْ الْمَكْرَ لِلْحَاقِ الْمَكْرُوهِ بِي، ثُمَّ لَا تَمْهَلُونِي. ٥٦- إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَ رَبُّكُمْ ... أى: إني فوّضت أمري إلى الله خالقى و خالقكم مَا مِنْ دَابَّةٍ لَيْسَ مِنْ كَائِنٍ يَسْعَى عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا الناصية هى مؤخر الرقبه و أعلاها، فَاللَّهُ تَعَالَى مَالِكُ الرِّقَابِ إِنْ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ أى هو على عدل فى حكمه و قضائه مع ملكه للنواصى، و تديره للخلق. ٥٧- فَإِنْ تَوَلَّوْا ... أى: إن تنصرفوا عن دعوتى فَإِنِّي فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ أَوْصَلْتُ إِلَيْكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ مَا بَعَثْتُ لِأَنْقَلَهُ إِلَيْكُمْ عَنْ رَبِّي، وَ يَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ يَأْتُونَ بَعْدَكُمْ وَ يَسْتَبْدِلُكُمْ بِهِمْ وَ لَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا لَا تَقْدِرُونَ عَلَى ضَرِّهِ إِذَا فَعَلَ بِكُمْ ذَلِكَ وَ لَا إِذَا تَوَلَّيْتُمْ إِنْ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيزٌ يحرسنى و يحرس كل شىء عن التلف و الهلاك. ٥٨- وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا ... أى لَمَّا حَانَ وَقْتُ قَضَائِنَا بِإِهْلَاكِ عَادٍ خَلَصْنَا هُودًا وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَ مَنْ صَدَّقُوا بِهِ، بِرَحْمَةٍ مِنَّا أى بنعمه مِنَّا خَصَصْنَاهُمْ بِهَا وَ نَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ مِنْ عَذَابٍ عَظِيمٍ وَ هُوَ عَذَابُ الْآخِرَةِ. ٥٩- وَ تَلَمَّكَ عَادٌ جَحِدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ ... أى تَلَمَّكَ الْقَبِيلَةُ التى هى عاد كفروا بالمعجزات التى أراهم إياها رَبُّهُمْ لِلدَّلَالَةِ عَلَى صِحَّةِ نَبْوَةِ هُودٍ وَ عَصَوْا رُسُلَهُ أى تَمَرَّدُوا عَلَى رَسُولِهِ، وَ إِنَّمَا جَمَعَ لَفْظُهُ «رُسُلًا» لِأَنَّهُ مِنْ كَذَبِ رَسُولٍ فَقَدْ كَذَّبَ سَائِرَ الرُّسُلِ. وَ اتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ غَنِيْدٍ أى تابع قوم عاد رؤساءهم الجبارين المتكبرين المعاندين لنبىه. ٦٠- وَ اتَّبَعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً ... أى: إهلاكم عاد لحقت بهم لعنة فى هذه الدنيا، هى إبعادهم من رحمة الله وَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَوْمَ الْبَعْثِ وَ النُّشُورِ يَبْعَدُونَ

أيضا من رحمه الله ألا إن عاداً كفروا ربهم أي جحدوا بربهم، ألا بعيداً لعاد قوم هود أي إبعادا لهم من رحمه الله. ٦١- وإلى ثمود أخاهم صالحاً ... أي: و أرسلنا صالحا إلى قبيلة ثمود. قال صالح يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيرهُ فسِرناهُ سابقاً هو أنشأكم من الأرض يعني ابتداء خلقكم من الأرض لأن آدم من تراب واستعمركم فيها أي صيركم عمّاراً لها تعملون فيها بحسب حاجاتكم وقيل: أطال أعماركم إذ كانت أعمارهم تتراوح بين ثلاثمائة و ألف سنة فاستغفروهُ ثم توبوا إليه مر معناه. إن ربي قريب مجيب أي برحمته لمن عبده مجيب لمن دعاه. ٦٢- قالوا يا صالح قد كنت فينا مزجراً قتل هذا ... أي قالت قبيلة ثمود: يا صالح كنت محلّ رجائنا لكل خير قبل دعوتك هذه، أ تتهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا استفهام إنكار عليه لمنعه إياهم من تقليد آبائهم بعبادة الأصنام وإنا لفي شك ريب ممّا تدعوننا نتدبنا إليه من الدين مريب باعث على الشك مثير للتهمة. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٢٣٤ ٦٣- قال يا قوم أ رأيتم إن كنت على بينة ... قد مرّ تفسير هذه الآية وقد وردت هنا على لسان صالح (ع). وآتاني منه رحمته أي منحني نعمه النبوة فمن ينصّرني من الله إن عصيته أي من يمنع عني عذابه في حال معصيتي له. فما تريدونني غير تحسير أي أنني إن أجبتكم إلى ما تريدونه مني أخسر كثيراً. وعن ابن عباس: ما تريدونني إلّا بصيرة في خسارتكم. ٦٤- و يا قوم هذه ناقة الله لكم آية ... أي هذه الناقة التي جعلها الله سبحانه معجزة لي حين أخرجها من بطن الصخرة و أنتم تشاهدون خروجها بحسب الصفات التي طلبتموها و هي حامل تشرب الماء جميعه في يوم و تنفرد به فلا ترده معها دابة غيرها، و تدعه لهم يوماً آخر. فذرّوها دعوها تأكل في أرض الله ترعى العشب و النبات ولا تمسوها بسوء لا تصيبوها بمكروه فيأخذكم ينالكم إن فعلتم بها شيئاً عذاب قريب أي عاجل. ٦٤- فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ... العقر هو النحر عقرها أحمر ثمود الذي ضربت به العرب المثل في الشؤم، فقال لهم صالح: تنعموا في بلادكم ثلاثة أيام يحل بعدها بكم العذاب. و قيل إنه لما عقرت الناقة صعد فصيلها الجبل و رغا ثلاث مرات فقال صالح: لكل رغوهُ أجل يوم، فاصفرت ألوانهم في اليوم الأول و احمرت في الغد، ثم اسودت في اليوم الثالث، فهو قوله تعالى: ذَلِكَ وَعِدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ أي وعد صدق لا كذب فيه. ٦٥- فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا ... مرّ تفسير مثلها، و من خزى يومئذ أي من العيب و الفضيحة التي حلت بهم في يوم نزول العذاب عليهم إن ربك هو القوي العزيز القادر على ما يشاء الذي لا يمتنع عليه شيء. ٦٦- وَ أَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ ... أي: أما تتهم الصيحة التي قيل إن الله سبحانه أمر جبرائيل (ع) بها، فصاح صيحة ماتوا منها فأصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جاثمين أي صاروا ميتين في منازلهم قاعدين على ركبهم. ٦٧- كَذَانُ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا ... أي كأنهم لم يظهر لهم أثر في منازلهم العالية لا جثثاتهم بالهلاك. ألا إن ثمود كفروا ربهم، ألا بعيداً لثمود مرّ تفسير مثله بالنسبة لعاد. ٦٨- وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى ... انتقل سبحانه لقصة أبي الأنبياء إبراهيم الخليل (ع) فذكر أن رسله من الملائكة قد جاءته بالشارة بإسحاق (ع) و قيل بإسماعيل (ع) من هاجر، و أنه يكون نبياً. قالوا سلاماً أي نسلم عليك سلاماً و نحييك، قال إبراهيم (ع) جواباً لهم سلاماً فما لبث أن جاء بعجل حنيد أي: فما أبطأ أن جاءهم بعجل مشوى. ٧٠- فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ ... أي فلما رأى أيدي الملائكة لا تمس العجل نكرهم أي أنكرهم وأوجس منهم خيفة أضمر منهم خوفاً. قالوا له: لا تخف لا تفزع يا إبراهيم إنا أرسلنا إلى قوم لوط أي بعثنا إليهم بالهلاك. ٧١- وَ أَمْرُأَتُهُ قَائِمَةٌ ... هي امرأة إبراهيم (ع): سارة بنت هاران و قيل كان واقفة على خدمة الأضياف فصَحَّتْ قِيلَ تَبَسَّمت فرحاً لأنها كانت تشمّر من غفلة قوم لوط و تنصح إبراهيم بضم لوط إليه خوف نزول العذاب. و قيل: ضحكت بمعنى حاضت. فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَ مِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ أي بنين. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٢٣٥ ٧٢- قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَ أَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ ... أي قالت سارة: يا ويلتي أو يا ويلى، و هي كلمة حرب تقال عند ورود الأمر العظيم الذي يصعب على الإنسان حمله. فقد تعجبت سارة على كل حال كيف تحمل و تلد و هي شيخه و زوجها شيخ و قد طعنا في السن؟ فكيف ألد و أنا عجوز و هذا بعلّى شيخاً و هذا زوجى كما ترونه شيخ متقدم في عمره. إن هذا الذي بشرتموني به لشيء عجيب غير مألوف عادة. ٧٣- قَالُوا أَ تَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ... أي قال الملائكة لسارة حين رأوا استهجانها: أ تستغربين أمر الله تعالى أن تلد العجوز بعد كبرها و كبر زوجها؟ رَحِمْتُ اللَّهَ وَ بَرَكَاتُهُ أي لطفه و كثير خيراته النامية عليكم أهل البيت أي: يا أهل بيت النبوة. إنه حميدٌ مجيدٌ أي أن الله هو المحمود على جميع فعّاله، الكريم المعطى قبل

الاستحقاق. ٧٤- فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ ... أى: حين زال الفزع عن إبراهيم (ع) مما دخله من أمر الرسل وحين جاءته البشرى بالولد الجديد، أخذ يجادلنا أى يسائل رسل الله فى قوم لوط و بشأن إنزال العذاب عليهم. ٧٥- إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ: فسّرنا معناها فى سورة التوبة. ٧٦- يا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا ... أى قالت الملائكة له: انصرف عن الجدل فى هذا الموضوع إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ أى قضى الأمر بنزول العذاب و إِنَّهُمْ أى قوم لوط آتِيَهُمْ نازل عليهم عَذَابٌ غَيْرٌ مَزْدُودٍ غير مدفوع. ٧٧- وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئَاءَ بِهِمْ ... أى حين خرج الملائكة من عند إبراهيم و جاؤوا لوطا فى صورة الآدميين ساءه مجيئهم لأنه خاف عليهم من قومه و ضاق بهم ذُرْعاً أى انقبض قلبه لمجيئهم و قَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصَيْتُ صَعْبَ كَثِيرٍ الشَّرِّ مَخِيف. ٧٨- وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ ... أى أسرعوا يتدافعون و يسوق بعضهم بعضا نحو بيت لوط و مِنْ قَبْلُ أى قبل مجيئهم هذا و مجيء الملائكة (عليهم السلام) إلى بيته و ضيافته. كانوا قوم لوط يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أى يفعلون الفواحش و يطلبون الذكور، و لذلك قَالَ لُوطُ: يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ أى لما أرادوا فعل القبيح و جاهره به عرض عليهم نكاح بناته لأنهن أحل، لهم من الذكور. فَاتَّقُوا اللَّهَ احذروا غضبه و تجنّبوا عقابه و لَا تُخْزُونِ فى ضَيْفِي أى لا تلحقوا بى الخزى و العيب و العار بالهجوم على أضيافى، أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ما فيكم رجل يتمتع برشد و عقل فينهى عن هذا المنكر. ٧٩- قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ ... أى حين دعاهم إلى النكاح الحلال المباح و عرض عليهم بناته، قالوا: ما لنا فى بناتك مِنْ حَقٍّ أى ليس لنا بهن حاجة، و إِنَّكَ لَتَعْلَمُ ما نريدُ تعرف مرادنا المنحصر فى طلب الذكور دون الإناث. ٨٠- قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةٌ ... قال: يا ليت لو كان لى قدرة على منعكم أو جماعة يساعدونى على ردعكم عن أضيافى أو آوى إلى رُكْنٍ شَدِيدٍ أو أدخل فى عشيرة و شيعة لى تنصرنى عليكم. ٨١- قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ ... أى قال الملائكة بعد ذلك الجدل: يا لوط إننا مرسلون من الله تعالى لإهلاكهم لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ لَا يَنَالُونَكَ بِأَذَى فَاسْرِ بِأَهْلِكَ أى: سر ليلا بعائلتك و اترك القرية. بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ أى فى ظلمته، و قيل بعد مضى جزء منه و قيل فى نصفه و لَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ أى و لا ينظر نحو القرية- وراءكم- أحد منكم تعبدا لله بالطاعة إِلَّا أَمْرًا تَكُنْ نَسْتَشْنَى خروجها معك لأنها على دين قومها. إِنَّهُ مُصِتَبِهَا ما أصابهم أى سيحل بها من العذاب ما يحلّ بهم إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ وقت إهلاكهم أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ أى أنه غير بعيد. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٢٣٦ ٨٢- فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا ... أى: فحين نزل أمرنا بإيقاع الهلاك، جَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا قلبناها، أعنى القرية التى كانت تعمل الخبائث، و أَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً أى أنزلنا على أهل القرية حجارة من السماء تغليظا لعقوبتهم. مِنْ سَجِيلٍ أى من طين الأرض الشديد الصلابة و قيل: كما فى المجمع: السَّجِيلُ: بمعنى السَّجِين و هو النار. و قال الراغب: هو حجر و طين مختلط، و أصله فيما قيل فارسي معرّب. يشير إلى أن أصله: سنك كل، و قيل إنه: مأخوذ من السجل بمعنى الكتاب، كأنها كتب فيها ما فيها من عمل الهلاك، و قيل: مأخوذ من أسجلت بمعنى أرسلت. مَنصُودٍ مرتّب الحروف و الصقل. ٨٣- مُسَوِّمَةٌ ... أى معلمة موسومة معدة للعذاب عِنْدَ رَبِّكَ أى فى علمه و ما هِىَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِنَعِيدٍ أى: و ليست تلك الحجارة بعيدة عن إصابة الظالمين من أمتك يا محمد و غيرهم. و هى مسوقة للتهديد. و قد ورد فى تفسير القمى بإسناده عن أبى بصير عن أبى عبد الله (ع) فى قوله تعالى: و أَمْطَرْنَا ... إلخ قال: ما من عبد يخرج من الدنيا يستحل عمل لوط إلا رماه الله جندله من تلك الحجارة تكون منيته فيه، و لكن الخلق لا يرونه. ٨٤- وَ إِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ... يعنى: و أرسلنا إلى أهل مدينة مدين شعيبا. و مدين هو ابن إبراهيم قال يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ فَسَرِنَاهُ قَرِيبًا وَ لَا تَنْفُصُوا الْمِكْيَالَ وَ الْمِيزَانَ أى لا تنقصوا من حقوق الناس بالتطيف عند الكيل و الوزن إِنِّى أَرَأَيْتُمْ بِخَيْرٍ أى فى خصب و رخص أسعار. وَ إِنِّى أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ أى: أخشى عليكم عذابا لا يفلت منه أحد. ٨٥- وَ يَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَ الْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ... أى أدوا حقوق الناس عند الكيل أو الوزن بالعدل و لَا تَبْخُسُوا أى لا تنقصوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ أَمْوَالَهُمْ و سلعهم وَ لَا تَغْتَوُوا فِى الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ أى لا تسعوا فى الفساد و تنشروه فى الأرض. ٨٦- بَقِيَتْ لِلَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ... أى ما يبقى لكم من رزق الله الحلال، و ممّا أنعم عليكم من فضله هو خير من نقص الميزان و بخس المكيال فداء الأمانة و توفية الحقوق من شروط الإيمان و ما أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيفٍ أى و لست كفيلا بحفظكم و لا بحفظ نعم الله عليكم. ٨٧- قَالُوا يَا

شُعَيْبُ أَصِيْلَاتُكَ تَأْمُرُكَ ... فقال له قومه استهزاء: هل صلاتك التي تدعى أنها تأمر بالخير و تنهى عن الشر هي التي أمرتك أَنْ تَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ؟ و دينك يأمر بأن نترك نحن دين آبائنا و يقيّد حرّيتنا في التصرف في أموالنا. إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ اللطيف بمعاملة قومك. ٨٨- قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي ... فسّرنا هذا التعبير فيما مضى و رَزَقْنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا أَي أنه مع النبوة موسع على في الرزق و كان شعيب كثير المال. و مَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ أَي لن أدخل في شيء أنهاكم عن فعله و أنا أول العاملين بما أمركم به إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ أَي أريد إصلاح أموركم الدنيوية و الأخروية، بحسب قدرتي عليها و مَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ أَي لست موفقا في الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر إِلَّا بعنايته من الله، عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ و إِلَيْهِ أُنِيبُ يعنى: أفض أمرى إلى ربي. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٢٣٧ ٨٩- وَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي ... أَي يا أهل عشيرتي إِنْ خلافي و نزاعي لا يمنع أَنْ يُصَيِّبَكُمْ يحلّ عليكم العذاب العاجل مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ إِذْ هَلَكُوا بِالْغَرَقِ أَوْ قَوْمَ هُودٍ إِذْ هَلَكُوا بِالرِّيحِ الْعَقِيمِ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ الْهَالِكِينَ بِالْجَفَّةِ و مَا قَوْمٌ لَوْطٍ مِنْكُمْ بَبْعِدٍ أَي أنهم أقرب ما يكون إليكم في الزمان و المكان فَاتَّعَظُوا بِهِمْ. و قيل: كانت الفاصلة الزمانية بين القومين أقل من ثلاثة قرون، و قد كان لوط معاصرا لإبراهيم (ع)، و شعيب معاصرا لموسى (ع). و قيل: أريد به نفى البعد المكاني و الإشارة إلى أن بلادهم الخبرة قريبة منكم لقرب مدين من سدوم و هو بالأرض المقدسة. ٩٠- وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ... مر معناه إِنْ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ فهو لطيف بعباده شفيق عليهم محبّ لهم و مرید لمنافعهم. ٩١- قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ ... أَي قال قوم شعيب له: لسنا نفهم أكثر ما تقول من وعظك و إرشادك و نحن نسمعه و لا نعيه. و إِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا هزيل البدن ضعيف القوة. و لَوْ لَا- رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ أَي لولا عشيرتك و أقاربك لقتلناك رميا بالحجارة و قيل: إِنْ الرهط من الثلاثة إلى السبعة أو العشرة، و على ذلك نفى قولهم: رهطك، إشارة إلى قتلهم و هوان أمرهم. و مَا أَنْتَ عَلَيْنَا بَعِزٌّ و لست ممتنعا ممّا بقوة تحميك. ٩٢- قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ ... قال شعيب لقومه: أَعْزُّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ أَي عالم بجميع أعمالكم لا يفوته شيء منها. و في الآية طعن في رأيهم بالسفه كما طعنوا في الآية السابقة في رأيه بالهوان. ٩٣- وَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ ... أَي: اعملوا بحسب الحالة التي أنتم عليها من الكفر يعنى ابقوا إِنِّي عاملٌ بما أمرني به رَبِّي، سَوْفَ تَعْلَمُونَ ستعرفون مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ و مَنْ هُوَ كَاذِبٌ يَفْضَحُهُ و يهينه و سيتضح لكم الصادق من الكاذب ممّا. و اِرْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ انتظروا ما أعدكم به من عذاب ربّي و أنا انتظر ذلك معكم. و قد استبطن هذا القول تهديدا شديدا من شعيب، فإنه يشعر بأنه على وثوق مما يقول لا يأخذه قلق و لا اضطراب من كفرهم به و تمردهم عن دعوته فليعملوا على ما لهم من القوة و التمكن فلهم عملهم و له عمله، فسوف يفاجئهم عذاب مخز يعلمون عند ذلك من هو الذي سوف يأخذه العذاب، هم أو هو؟ ٩٤- وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا إِلَى آخِرِ الْآيَةِ ... مضى تفسيرها بالنسبة للرسل السابقين صلوات الله عليهم. ٩٥- كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا إِلَى آخِرِ الْآيَةِ ... فسّرناها سابقا. ٩٦- وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا ... أَي بعثناه بحججنا المؤيدة لرسالته و نبوته و سُلْطَانٍ مُبِينٍ أَي بحجة ظاهرة ناصرة له و مقوية لأمره. ٩٧- إِلَى فِرْعَوْنَ وَ مَلَأْنَاهُ أَي و أشراف قومه فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ أَخَذُوا بِهِ، و تركوا أمر الله و مَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ أَي ليس ذا رشد و لا يهدي إلى الخير. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٢٣٨ ٩٨- يَتَقَدَّمُ قَوْمَهُ يَمْشِي أُمَامَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَوْمَ الْحِسَابِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ أَي أدخلهم جهنم و بَنَسَ الْوَرْدَ الْمَوْرُودُ أَي ساء و بؤس ذلك المكان الذي وروده كما يرد العطاش إلى الماء. ٩٩- وَ أَتَّبَعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ... مر معناه بَنَسَ الرَّفْدُ الْمَرْفُودُ أَي ساء ذلك العطاء المعطى لهم و هو اللعنة بعد اللعنة. ١٠٠- ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ ... أَي ذلك النبأ الذي أخبرناك به يا محمد، هو من أخبار البلدان للأمم السالفة مِنْهَا قَائِمٌ أَي معمر و حَصِيدٌ مندرس و خراب. ١٠١- وَا مَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ... أَي ما جرنا عليهم ياهلاكهم، و لكنهم ألحقوا الظلم بأنفسهم بكفرهم فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمْ أَي لم تفدهم الأصنام التي عبدوها بدفع الشر عنهم، الَّتِي كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ و لم تنفعهم لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ حين نزل عذابه عليهم و مَا زَادُوهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ غَيْرَ تَنْبِيٍّ سِوَى التَّخْسِيرِ.

١٠٢- وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى ... أى على هذا الشكل العنيف الذى ذكرناه يكون إهلاك ربك لأهل القرى الجائرة حين يأخذ أهلها بكفرهم وبنوبهم وهى ظالمة أى وأهلها ظالمون. إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ أى أن تأديب الله للظالم بالهلاك موجع شديد الإيلاج. ١٠٣- إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً ... أى أن فيما قصصناه عليك يا محمد من إهلاك تلك الأقوام على وجه العقوبة على كفرهم، لدلاله و عبرة لمن خاف عذاب الآخرة: لمن خشى و حذر من العقاب فى يوم القيامة، ذَلِكَ يَوْمٌ أى يوم القيامة مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ محشور فيه الأولون والآخرون للحساب وَ ذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ يراه الخلائق جميعهم و يشهدونه من الجن والإنس والملائكة. ١٠٤- وَ مَا تُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّغْدُودٍ ... أى: و ما تؤخر يوم القيامة إلا لوقت قد عيناه و حتمنا وقوعه فيه. ١٠٥- يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ ... أى: حين يجىء يوم القيامة ترى الخلائق فيه صامتين ذاهلين لا يتكلم أحد إلا برخصة من الله. فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ أى الناس يصيرون قسمين: الأشقياء المستحقون للعقاب، و السعداء الفائزون بنعيم الله و رضوانه. ١٠٦- فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ ... أى أن الذين صنفوا أشقياء باستحقاقهم العذاب جزاء على أعمالهم القبيحة يكونون فى النار لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَ شَهيقٌ الزفير إخراج النفس بقوة، و الشهيق إدخاله بقوة و هما من أصوات كل محزون و مكروب. ١٠٧- خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَ الْأَرْضُ ... أى باقين فيها معذبين بنوبهم ما دامت السماوات و أرض الآخرة المبدلتين و هو كناية عن الدوام و الاستمرار إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ وَ قِيلَ فى معنى هذا الاستثناء: إنه استثناء فى الزيادة من العذاب لأهل النار، و الزيادة من النعيم لأهل الجنة بتقدير: إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ من الزيادة على هذا المقدار و قيل غير ذلك. إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ لا ينازعه أحد فى ملكه و لا فى حكمه العدل. ١٠٨- وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ ... أى أن الذين نالهم السعادة برضوان الله لطاعاتهم و بعدهم عن المعاصى، فيكونون فى الجنة خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَ الْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ مر معناه و تعليله. عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُودٍ أى غير مقطوع. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٢٣٩ ١٠٩- فَلَا تَكُ فِى مَرِيئَةٍ مِّمَّا يَعِيشُ هُوَ ... أى فلا تشك بعد ظهور الدلالات على بطلان ما يعبد هؤلاء المشركون من دون الله، و على أن مصيرهم إلى النار ما يَعِيشُونَ إِلَّا كَمَا يَحْيَىٰ آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ أى على جهة تقليد آبائهم وَ إِنَّا لَمُؤَفَّقُهُمْ لِمَعْطَاهُمْ نَصَبِيَّهُمْ أى حظهم من العقاب غَيْرَ مَقْصُوفٍ بمقدار ما يستحقون و لا نقصه أبدا. ١١٠- وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ ... أى أعطى الله موسى التوراة فَاخْتَلَفَ فِيهِ أى اختلف قومه فى صحة نزوله عليه، وَ لَوْ لَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ وَ هِىَ تأخير الجزاء على المعاصى للآخرة لعلمه بالمصلحة لَقَضَىٰ بَيْنَهُمْ فَصْلَ الْأَمْرِ بنجاة المؤمنين و هلاك الكافرين وَ إِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٌ أى أن الكافرين فى شك شديد من صدق وعد الله تعالى بالبعث. ١١١- وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لِيُؤْفَقَهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالُهُمْ ... أى: و إن كلًّا من الفريقين: المصدقين، و المكذبين، ليعطيهم ربك جزاء أعمالهم و افياء دون نقص إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ أى عالم بأعمالهم لا تخفى عليه خافية. ١١٢- فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَ مَنْ تَابَ مَعَكَ ... أى داوم يا محمد على تبشيرك و إنذارك و امض لما أمرت به أنت و من عاد عن الشرك و آمن بك وَ لَا تَطْغَوْا يَعْنِى لا تتجاوزوا ما أمر الله زيادة أو نقصانا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ يرى ما أنتم عليه و يرى عملكم و لا يخفى عليه شىء من ذلك. ١١٣- وَ لَا تَرْتَوُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا ... أى: و لا تطمئنوا و تميلوا إلى المشركين فى شىء من دينكم عن ابن عباس، و لا تدهنوا الظلمة عن السدى و كثيرين غيره. الركون المنهى عنه هو الدخول معهم و الرضا بفعلهم و مخالطتهم و موالاتهم، و هو- كما عن أئمة الهدى عليهم السلام- المودة و النصيحة و الطاعة. فلا تفعلوا ذلك فَمَسَّكُمْ النَّارُ أى فيصيبكم عذابها و مَا لَكُمْ حِينٌ وَ فى كل حين مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءٍ مِنْ أَنْصَارٍ غيره يدفعون عنكم عذاب النار ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ على أعدائكم فى الدنيا و لا تنصرون فى الآخرة. ١١٤- وَ أَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَ زُلْفَا مِنْ اللَّيْلِ ... أى أد الصلاة تامة الأجزاء و الشرائط فى طرفي النهار اللذين هما الفجر و المغرب، و زلفا من الليل: هى هنا الأوقات المتقاربة، فى أول ساعات الليل كصلاة العشاء الآخرة، و لم يذكر صلاتي الظهر و العصر هنا لذكرهما إجمالا فى مورد آخر و لظهور أمرهما إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ قِيلَ أن الصلوات الخمس تكفر ما بينها من الذنوب. و قيل فى المعنى أيضا: إن الدوام على فعل الحسنات يدعو إلى ترك السيئات فكأنه يذهب بها. ذَلِكَ ذِكْرٌ لِلَّذِينَ أَرَادُوا أَنْ يَنْتَهِوا عَنْ ذُنُوبِهِمْ وَ لَمْ يَنْتَهِوا عَنْهَا مِنْ إِذْهَابِ الْحَسَنَاتِ لِلْسَيِّئَاتِ هُوَ عِبْرَةٌ وَ مَوْعِظَةٌ لِمَنْ تَذَكَّرَ وَ تَفَكَّرَ. ١١٥- وَ اصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ: أى اصبر على القيام بالصلاة و جميع الواجبات و على أذى قومك

و كل ما تلاقيه من مشقات في طريق القيام بدعوتك و إن ربك يحفظ لك أجرك و ثوابك لأنه لا يهمل مكافأة أى محسن. ١١٦-
 فَلَوْ لَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ ... مفهوم هذه الصيغة هو النفي، و معناها: كان يجب أن
 يكون قوم هذه صفتهم بعد أن أنعم الله تعالى عليهم بالعقل و هداهم بالرسل و أقام عليهم الحجج. و لا يخفى أن في ذلك توبيخا
 لمن سلك طريق الأولين من بث الفساد الذى كان عليه قوم عاد و ثمود و فرعون و غيرهم، و تعجبا من حال من يكون كذلك مع
 معرفته بهلاكهم. فكيف لم تكن من جملتهم بقية من جماعة يأمرن بالمعروف و ينهون عن المنكر، و كيف اجتمعوا على الكفر حتى
 أهلكهم الله بالاستئصال إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ أى: سوى عدد قليل منهم نهوا عن الفساد، كالأنبياء و الصالحين من أتباعهم الذين
 جنبناهم العذاب و خلصناهم منه بقدرتنا. وَ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ أَى انصرف الكافرون و المشركون للنعم التى كانوا فيها و
 اشتغلوا بها عن الإيمان و الطاعة. وَ كَانُوا مُجْرِمِينَ مصرين على جرم الكفر و ظلم أنفسهم. ١١٧- وَ مَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى ... قيل
 إن معناها: و ما كان ربك ليهلك القرى بظلم و أهلها مُضِلُّوْنَ بظلم منه لهم، و إنما يهلكهم بظلمهم لأنفسهم ... و قيل إنه لا
 يؤاخذهم بظلم واحد منهم مع أن أكثرهم مصلحون، و لكن إذا عم الفساد و ظلم الأكثرين عذبهم. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن،
 ص: ٢٤٠ ١١٨- وَ لَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ... أى لو أراد الله أن يكون الناس على ملّة واحدة و دين واحد بحيث
 يكونون مؤمنين مطيعين لفعل. و لكنه حينئذ يلجئهم إلى الإيمان إلجاء و لكنه سبحانه لم يفعله لأن فيه إبطالا لحكمة التكليف و فلسفة
 الثواب و العقاب لا يزالون مُخْتَلِفِينَ متفرقين فى الدين بين يهودى و نصرانى و مجوسى و غيره. ١١٩- إِلَّا مَنِ رَحِمَ رَبُّكَ ... أى من
 المؤمنين فإنهم يجتمعون على الحق و لا يختلفون و لَئِذَاكَ خَلَقَهُمْ أَى و للرحمة خلقهم. وَ تَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ أَى كمل وحيه و وعده و
 وعيده لعباده، لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ لأركسّهم فيها لكفرهم. ١٢٠- وَ كُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ ... أى و كل
 هذه القصص نرويها لك من أخبار الأنبياء ما نثبت به فؤادك ما نقوى قلبك به و نشته على الإيمان لتطيب نفسك و جاءك فى هذه
 الْحَقُّ و أوصلنا إليك الحق فى هذه الأنباء و مَوْعِظَةٌ تَزَجُّ النَّاسَ عَنِ الْمَعَاصِي و ترغبهم بالطاعات و ذَكَرَى لِلْمُؤْمِنِينَ تذكّرهم الآخرة
 و ما فيها. ١٢١- وَ قُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ... أى: قل يا محمد للكافرين بقولك: اَعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ أَى افعلوا ما أنتم عليه من فعل، إِنَّا
 نحن عَامِلُونَ ما أمرنا به ربنا. ١٢٢- وَ أَنْتَظِرُوا إِنَّا مُتَنَبِّهُونَ ... أى: توقعوا حصول ما وعدكم به ربكم من العقاب على كفركم، و نحن
 متوقعون الوصول إلى ما وعدنا ربنا من الثواب على الإيمان. ١٢٣- وَ لِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ ... أى أنه تعالى عالم ما غاب فى
 السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ و لا يخفى عليه شىء فيهما، وَ إِلَيْهِ إِلَى الله وحده يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فله الحكم الفصل يوم القيامة فَأَعْيِدْهُ وَ تَوَكَّلْ
 عَلَيْهِ فإنه أهل للعبادة و تفويض الأمور إليه و هو على هذه الحال من العظمة و ما رَبُّكَ بِغَافِلٍ بِسَاءَ عَمَّا تَعْمَلُونَ عن كل ما تفعلونه.

سورة يوسف مكية، عدد آياتها ١١١ آية

١- الر ... قد سبق تفسيرها فى أول سورة البقرة. تِلْكَ إِشَارَةٌ إِلَى الْآيَاتِ الَّتِي سَيَأْتِي ذِكْرُهَا فِيهَا بَعْدَ، أَوْ إِشَارَةٌ إِلَى سُورَةِ يُوسُفَ، أَوْ
 هِيَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ أَى آيَاتِ الْقُرْآنِ الظاهر أمره فى الإعجاز مع ظهور مانعيه للمتدبر فيها. ٢- إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ
 تَعْقِلُونَ: أَى إِنَّا أَنْزَلْنَا هَذَا الْكِتَابَ الَّذِي هُوَ الْقُرْآنُ وَفْقَ مَجَارَى كَلَامِ الْعَرَبِ فِي مَخَاطِبَاتِهِمْ لَتَفْهَمُوا مَعَانِيَهُ وَ تَعْلَمُوا أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ. ٣-
 نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ... يخبر الله سبحانه نبيه (ص) أنه يبين له أحسن البيان و أتمه و أوضحه. ثم إما أن يكون المراد
 بالقصص كل قصص القرآن أو خصوص قصة يوسف (ع). بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ أَى بوحينا إليك هذا القرآن و إِن كُنْتَ مِنْ
 قَبْلِهِ أَى مِنْ قَبْلِ نَزُولِ الْقُرْآنِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ يعنى غافلا عن قصة يوسف (ع) و ما فيها من تفصيلات و حكم. ٤- إِذْ قَالَ يُوسُفُ: لَأَبِيهِ يَا
 أَبَتِ ... أى: اذكر يا محمد قول يوسف (ع) لأبيه يعقوب و كان أحبّ اخوته الأحد عشر إليه يا أبت. إِنِّي رَأَيْتُ أَى فِي مَنَامِي، و اللفظة
 مِنَ الرُّؤْيَا لا مِنَ الرُّؤْيَةِ بقرينه قول أبيه (ع): لا تقصص رؤياك، و قوله هو (ع): هذا تأويل رؤياي من قبل. و بحديث الملك للنفس و
 حديث الملك صادق، أما الكاذبة فتكون من حديث الشيطان و الشيطان كاذب. فقد قال: رأيت فى منامى أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَ الشَّمْسَ

وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لى ساجدين فالقمر - على ما قيل - يرمز إلى أمه راحيل أو خالته لأن أمه كانت قد ماتت و الشمس ترمز إلى أبيه أو العكس و الأحد عشر كوكبا ترمز إلى إخوته الذين هم بهذه العدة و قد روى أنه رآها نزلت من السماء فسجدت له و قوله: لى ساجدين، أى لأجلى و لأجل ما رأوا من عناية الله و توفيقه كان سجودهم لله تعالى، و ما ينبغي السجود لغيره. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٢٤١-٥- قال يا بُنَيَّ لا- تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ ... أى قال له أبوه: لا تحك هذا الذى رأيته فى منامك لإخوتك فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا يعنى مخافة أن يدبروا لك مكيدة بالتأكد لأنهم حاسدون لك إِنَّ الشَّيْطَانَ الْوَسْوَاسَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ واضح العداوة. ٦- وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَّبُّكَ ... أى يختارك ربك و يستخلصك و يُعَلِّمُكَ يفهمك مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ التعبير عن الرؤيا بشكل صادق وَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ يكمل فضله عَلَيْكَ أنت بالنبوة و السلطنة على خزائن مصر وَ عَلَى آلِ يَعْقُوبَ أى أهل بيته الأقربين بأن يجعل منهم أنبياء و ملوكا كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ أى جديك إذ يقال للجد أبا و هما إِبْرَاهِيمَ و إِسْحَاقَ فعلى إبراهيم أنعم الله سبحانه بالخلقة و الرسالة و النجاة من نار النمرود، و على إسحاق من النبوة و بإخراج الأسباط من صلبه إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ بكل شىء حَكِيمٌ بفعله و تقديره و فعله طبق المصلحة و الحكمة البالغة. ٧- لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلْمُتَلَكِّينَ: أى كان فى قصة يوسف مع إخوته دلائل على قدره الله و جميل صنعه و عبر عجيبه لمن يستفسر من الناس عن خبرهم. ٨- إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا ... فقد قال إخوة يوسف فيما بينهم: إن يوسف و أخاه لأبويه - و هو بنيامين مقربان من أبينا يعقوب أكثر منا، فهو يؤثرهما علينا وَ نَحْنُ عُصْبَةٌ أى، و الحال: نحن جماعة متكاتفون أقوياء. إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ أى أنه غاب عنه كوننا أنفع له و أحرى بالتفضيل. أو أنه بعيد عن طريق الصواب. ٩- اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا ... أى اقتلوه أو القوه فى أرض مجهولة بعيدة عن العمران ليضيع يَحُلُّ لَكُمْ وَجْهَ أَبِيكُمْ أى يخلص لكم رضاه و حبه وَ تَكُونُوا تَصِيرُوا مِنْ بَعْدِهِ بعد القضاء على يوسف قتلا أو تضييعا قَوْمًا صَالِحِينَ تائبين من فعلتكم. ١٠- قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لا- تَقْتُلُوا يُوسُفَ ... قيل إنه يهودا و قيل هو لاوى. و قيل: بل هو روبين فقد قال هذا لا تقتلوا يوسف أى نهاهم عن قتله وَ الْقُوَّةُ فِي غِيَابِ الْجُبِّ أى ارموه فى قعر البئر الذى يغيبه عن الأنظار يَلْتَفِطُهُ أى يأخذه بَعْضُ السَّيَّارَةِ يعنى يجده بعض المسافرين و يأخذونه إِنَّ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ أى إذا كنتم عازمين على التفرقة بينه و بين أبيه. ١١- قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لا- تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ ... أى أن أبناء يعقوب (ع) جاؤوا أباهم و قالوا: لماذا لا- تثق بنا و لا تعتمد علينا فى أمر من أمور أختنا يوسف. وَ إِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ وَ نحن لا- نغشه و نحب له الخير. ١٢- أَرْسَلْنَاهُ مَعَنَا غَدًا يَزُوجُ وَ يَلْعَبُ ... أى ابعته معنا من الغد إلى الصحراء يذهب و يجىء و يلهو و ينشط وَ إِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ أى نحن ليوسف حارسون، نحوطه بالعناية لئلا يصله مكروه. ١٣- قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ ... أى أن أباه قال لإخوته إنه ليغمى إذا أخذتموه معكم وَ أَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ أى أخشى أن يفترسه ذئب ضار وَ أَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ أى حال كونكم ساهين عنه، منشغلين ببعض شئونكم. ١٤- قَالُوا لَنْ أَكُلَهُ الذِّئْبُ وَ نَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ: فردوا على أبيهم بأنه لا يتأتى للذئب أن يأكله من بينهم و هم جماعة كثيرون متعاضدون و إن فعلها الذئب فهم إذن ضعفاء عاجزون. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٢٤٢-١٥- فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَ أَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَابِ الْجُبِّ ... أى فلما أخذوا يوسف معهم و اتفقوا جميعا على إلقائه فى قعر البئر وَ حِينِذَ أَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أى ألهمناه و أفهمناه و حيا أعطاه الله النبوة، لَنَبَيِّنَنَّهُمْ تَخْبِرُهُمْ يَقِينًا بِأَمْرِهِمْ هذا أى بقبیح فعلهم بك وَ هُمْ لَا يَشْعُرُونَ دون أن يحسوا إنك يوسف. ١٦- وَ جَاؤُا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ: أى رجع إخوة يوسف آخر النهار أو ليلا إلى أبيهم يعقوب متظاهرين بالحزن ليلبس الأمر عليه و يظنهم صادقين. ١٧- قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ ... أى قال إخوة يوسف لأبيهم: رحنا نتسابق و نعدو لننظر أيُّنا أسبق لغيره. وَ تَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا أى أبقيناه عند أغراضنا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَ مَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا أى لست بمصدق قولنا لسوء ظنك بنا. وَ لَوْ كُنَّا صَادِقِينَ جواب لو محذوف أى و لو كنا صادقين ما صدقتنا. ١٨- وَ جَاؤُا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ... أى أنهم افتضحوا أمام أبيهم الذى عرف كذب روايتهم و أن الدم الذى على القميص ليس دم يوسف بل هو مزور، ف قال لبنيه ساعتئذ و هم وقوف بين يديه: بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً أى زينت و هونت عندكم أنفسكم أمرا فصنعتموه و هو - يقينا - غير ما قلتم فَصَبْرٌ جَمِيلٌ أى أن صبرى، هو صبر لا شكوى فيه إلّا إلى ربى، وَ اللَّهُ هُوَ وَحْدَهُ الْمُشْتَعَانُ الذى يعيننى على

تَحْمَلُ مَا تَصِفُونَ من التزوير و تضييع الأثر. و في بعض التفاسير ذكر أنه (ع) قال: و الله ما عهدت كاليوم ذئبا أحلم من هذا!! أكل ابني و لم يمزق قميصه!! ١٩- وَ جَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوُهُ ... أى: بعد حصول ما كان من أمر إلقاء يوسف في البئر، جاء رفقة سائرون في سفر فزلوا قريبا من البئر فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ يعنى بعثوا واحدا يطلب الماء و يستقى لهم. و الوارد في القافلة هو من يتقدم الرفقة إلى الماء يستقى فَأَدْلَى دَلْوُهُ أى أنزل الدلو- الذى يغترف به الماء من البئر، فتعلق به يوسف (ع) قَالَ يَا بُشْرَى أى قال الوارد يا قوم البشارة البشارة هذا غلامٌ يعنى ولد دون العاشرة. و انتشل يوسف من قعر البئر. وَ أَسْرَوْهُ بِضَاعَةً أى أن هؤلاء الذين التقطوا يوسف أخفوا أمره عن رفاقهم من التجار مخافة أن يطلبوا منهم الشركة معهم فيه فقالوا هذا بضاعة استؤمنا عليها لنبيعها لأصحابها و الله عليهم عارف خبير بما يَعْمَلُونَ من العثور عليه، إلى إنقاذه، إلى إخفائه عن الآخرين، إلى الاتفاق على بيعه في مصر. و قيل: بما يعمل إخوة يوسف. ٢٠- وَ شَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ، دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ ... أى باعوه بثمان قليل بدليل قوله تعالى: دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ، و قيل البخس هو ناقص البركة، و قيل: الحرام لأن ثمن الحر حرام. وَ كَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ أى أن البائعين زهدوا به و استخفوا بقدره، و قيل بأن الذين زهدوا فيه هم الذين اشتروه لأنهم وجدوا فيه علامة الأحرار و سيماء العظمة و السيادة و أخلاق أهل البر، و قيل غير ذلك. ٢١- وَ قَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِأَمْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ ... قصة يوسف (ع) لا تقتضى أزيد من وقوع بيع و شراء واحد، و هو بيع السيارة له من عزيز مصر الذى كان على خزائنها و كان اسمه قطفير. و على كل حال، فإن عزيز مصر الذى اشتراه من السيارة قال لزوجه: اجعليه عندك كريم المقام محفوظ المنزل و أحسنى تربيته و تعهده، عسى أن يُنْفَعَنَا أى يقوم بمهماتنا و إصلاح أمورنا، فيفيدنا فى أملاكنا و ضياعنا و عقارنا، أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا يعنى نتبناه. لأن عزيز مصر المذكور كان عقيما و لم يرزق ولدا. وَ كَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ أى أنعمنا عليه بأن أنجبناه من المهالك، و منحناه عنايتنا و تأييدنا فجعلناه سلطانا و أعطيناه سطوة فى مصر ليقم العدل فيها، وَ لِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ أى نلقنه تعبير المنامات و تفسير الأحلام، وَ اللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ أى لا يمنع من مشيئته شىء، و قيل غالب على أمر يوسف يحفظه و يرزقه و يملكه و ينعم عليه بالنبوة. وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ أى يجهلون تقديره و تدبيره. ٢٢- وَ لَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ... أى حين بلغ يوسف (ع) السن التى يكون معها فى منتهى القوة و الإدراك و قيل بأنه سن الأربعين آتَيْنَاهُ أَعْطَيْنَاهُ حُكْمًا يقضى به بين الناس، أو حكمه يتمتع بها وَ عِلْمًا بوجوه المصالح و بفقهِ الدِّين و تعبير الرؤيا و غيرها و قد كان عزيز مصر يرجع الناس إليه للفصل فى نزاعاتهم. وَ كَذَلِكَ أى على هذا الشكل من الإنعام نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ نكافئهم. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٢٤٣ ٢٣- وَ رَاودَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ ... المرادة طلب أمر باللين لعمل به و المعنى: طالبت المرأة يوسف الذى كان فى بيتها و هى زليخا عن نفسه أى أن يواقعها. و هذا يعنى أن المرأة التى هو فى بيتها، حاولت معه. وَ غَلَقَتْ الْأَبْوَابَ أى أفلتها. و روى أنها كانت سبع حجر- غرف- بين كل منها أبواب تفتحها على بعضها، وَ قَالَتْ هَيْتَ لَكَ هَيْتَ: اسم فعل معناه هلم أو أقبل. و قرئت: هَيْتَ لَكَ. و معناه: قد أعددت نفسى لك قال معاذ الله أى أنه يعوذ بالله ليعصمه من أن يجيبها إلى رغبته، إِنَّهُ رَبِّى أَحْسَنَ مَثْوَاى و الضمير فى: إنه، يحتمل فيه و جهان: إرجاعه إلى الله لأنه جاء بعد قوله: معاذ الله فهو أقرب ما يصلح الإرجاع إليه، أو إرجاعه إلى عزيز مصر. و الإحسان فى المثلوى أى الإقامة و حسن المعاملة. إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ أى لا ينجح و لا يصيب الرشد و الخير من تعدى على الحرمات و ظلم نفسه و غيره. ٢٤- وَ لَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَ هَمَّ بِهَا ... التفسير اللفظى يعنى أنها مالت إليه و قصدته باهتمام، و مال إليها و قصدتها بمثل ذلك و لكن ميله معلق على قوله سبحانه: لَوْ لَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ أى أنه كان يمكن أن يكون منه ذلك لولا رؤيته برهان ربه جل و علا. و حيث لم يحصل المعلق عليه، لم يحصل المعلق أيضا. فالنتيجة أنه ما حصل له (ع) ميل و لا قصد سوء معها، و قيل: و لقد همت بالفاحشة و هم يوسف بضربها و دفعها عن نفسه. و برهان ربه الذى رآه على ما فى روايه الإمام على بن الحسين (ع) هو أن زليخا- فى حالة الجذب و الاجتذاب- قامت إلى صنمها فألقت عليه ثوبا يغطيه. فقال لها يوسف: ما هذا؟ فقالت: أستحي من الصنم أن يرانا. فقال لها يوسف: أ تستحين ممن لا يبصر و لا يفقه و لا أستحي ممن خلق الإنسان، و علّمه البيان، و يبصر الغيب و العيان؟ كَذَلِكَ أى مثل هذا كان الحال و كانت النتيجة لِنُضِيرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَ الْفُحْشَاءَ أى أريناه البرهان لنذهب عنه الخيانة و ركوب الفاحشة إِنَّهُ مِنْ

عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ أَى الَّذِينَ أَخْلَصُوا أَنْفُسَهُمْ لِلَّهِ وَ طَاعَتِهِ. ٢٥- وَاسْتَبَقَا الْبَابَ، وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ ... أَى تسابقا نحو الباب، يوسف بقصد الفرار منها و زليخا بقصد منعه و الإمساك به فتعلقت بقميصه فشقته طولا من الخلف. فالقَدُّ هو الشق طولا. وَ أَلْفَا سَيْدَهَا لَدَى الْبَابِ أَى وجدا زوجها يبدو فجأة عند الباب الذى كان يوسف قد قصده ليهرب من خلاله. و التعبير عن زوجها بلفظ سيدها إشارة إلى أنه مالك لأمرها. قَالَتْ: مَا جِزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا؟ مَا هُوَ عِقَابُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ خِيَانَةً- و أهل الرجل زوجته و عياله- ثم عَيَّنَتْ نوع الجزاء هذا فقالت: إِلَّا أَنْ يُسَيِّجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ أَى أن يحبس أو أن ينال الإيذاء و التعذيب الشديد أَى الضرب الموجع بالسِّياط محاولة بذلك تبرئته ساحتها و اتهام يوسف. ٢٦- قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي ... أَى: قال يوسف (ع) تنزيها لنفسه و دفعا لاتهمها إياه: هِيَ حاولت هذا الأمر و طلبت منى السوء و رغبت فى فامتنعت. وَ شَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا أَى أَدَّى أَحَدُ أَقْرَبَائِهَا- قيل أنه ابن عمها و قيل غير ذلك- شهادة هِيَ أَنَّهُ: إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَ هُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ أَى إذا كان ثوبه قد شقَّ من الامام فإن الدلالة تقوم على أنه قصدها فدفعته عن نفسها. ٢٧- وَ إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ ... أَى إذا كان ثوبه مشقوقا من الخلف فَكَذَبَتْ فى ادِّعَائِهَا عَلَيْهِ وَ هُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ فى قوله. إذ من الواضح أَنَّ شَقَّهُ من الخلف يعنى أَنَّهُ فَرَّ مِنْهَا فَجَذَبَتْهُ بِثُوبِهِ فَانْشَقَّ لَمَّا تَعَلَّقَتْ بِهِ. ٢٨- فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ ... أَى فَلَمَّا نَظَرَ الشَّاهِدَ وَ رَأَى أَنَّ الْقَمِيصَ مَشْقُوقٌ مِنْ جِهَةِ الْفَقَا قَالَ: إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ أَى من عملكنَّ و حيلتنَّ قاصدا نوع النساء، إِنْ كَيْدُكُنَّ عَظِيمٌ فَإِنْ كِيدَهُنَّ يَلْقَى بِالنَّفْسِ وَ يُؤَثِّرُ عَلَى الْقَلْبِ. و ربما كان القائل عزيز مصر، أو الرجل الذى كان معه. ٢٩- يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا ... أَى أن العزيز قال: يا يوسف: انصرف بكليتك عن هذا الحادث و اكتبه و أنت يا زليخا: اسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ أَى توبى منه و أقلعى تماما إِنَّكَ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ أَى مرتكبى الأخطاء و الذنوب. و عبر بلفظ: الخاطئين باعتبار الغلبة أَى من القوم الخاطئين. ٣٠- وَ قَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ ... أَى تحدَّثت النساء فى مصر فى مجالسهنَّ قائلات: امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ أَى أنها تحاول بمملوكها أن يفجر بها و أَنَّهُ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا يعنى أحبته حيا تملكها و أصاب شغاف قلبها إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٢٤٤ إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ أَى منحرفه عن طريق الحق، تائهة عن الرشد. ٣١- فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ ... أَى حين نقل لها ما تقوله نساء المدينة عنها و عرفت ما يخفيه من قصد و هو تمكينها لهن من رؤية يوسف لما سمعته عن حسنه أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ أَى دَعَتْهُنَّ إِلَى بَيْتِهَا وَ أَغْنَدَتْ لَهُنَّ مَتَكًّا أَى هَيَأَتْ لَهُنَّ مَا يَتَكُنَّ عَلَيْهِ لِلرَّاحِلَةِ التَّامَةِ وَ آتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا أَى أعطت كل امرأة سكينًا لتقشر الفاكهة التى أعيدتها لهن. وَ قَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيْهِنَّ يعنى أمرت يوسف بالظهور أمامهن. فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ أَى عَظَّمْنَهُ وَ بهتن من جماله ففقدن الوعى وَ قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ جرحن أيديهن بدل قطع الفاكهة و هنَّ ذاهلات مشدوهات من حسن يوسف وَ قُلْنَ: حَاشَ لِلَّهِ أَى حاشاه سبحانه، يعنى أنه تعالى منزّه عن العجز أن يخلق مثل يوسف و على هذه الصورة من الحسن و الجمال ... ما هذا بَشَرًا أَى ليس يوسف من سنخ النَّاسِ المعروفين فى الخلق و لم يعهد فى البشر هذا الحسن إنَّ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ أَى ملك يزيد على الملائكة بأنه كريم الطبع فكأنهنَّ بالغن فى وصفه بالحسن كالمملك و زدن على ذلك بأنه كريم لأنه لم يلتفت إليهنَّ مع أنهنَّ كنَّ من أجمل نساء عصرهن. ٣٢- قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنِنِي فِيهِ ... قالت لهنَّ امرأة العزيز: هذا هو الفتى الذى تعذلتنى على مرادوته عن نفسه و التصدّى له. وَ لَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَ طَلَبَتْ مِنْهُ مَجَامِعَتِي فَاسْتَعْصَمَ أَى امتنع و عاذ بالله ليعصمه عن هذه الزلة. وَ لَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ بِهِ مِنْ مَضَاجِعَتِي، مقسمة لَيْسَ يَجَنُّ أَى يحبس مؤكداً وَ لَيَكُونَا يَعْنِي: ليصيرنَّ مِنَ الصَّاغِرِينَ الْأَذْلَاءِ. ٣٣- قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ... يروى بأن جميع النسوة اللاتى دعتهنَّ امرأة العزيز إلى مجلسها و بعد أن دهشن بحسن يوسف و افتتن به راودنه عن نفسه كل واحدة على انفراد و بشتى الأساليب و الحيل و مع ذلك فإن يوسف (ع) بقى على تمتعه معها و معهن و استعصامه بالله منهن، و توجه إلى الله بهذا الدعاء: يَا رَبِّ إِنْ السِّجْنَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ دَعْوَةِ هَؤُلَاءِ النِّسَاءِ لِي إِلَى الْفَحْشَاءِ، فَأَنَا أَفْضَلُ الْحَبْسِ عَلَى أَنْ أَمَارِسَ الْفُجُورَ إِذْ أَخْلَوُا وَ أَتَفَرَّغَ لِعِبَادَتِكَ وَ إِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَى: و إن لم تصرف عني و تحوّل احتيالهن بلطفك أَصَبُ إِلَيْهِنَّ أَمِيلُ إِلَيْهِنَّ بهوى وَ أَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ أَى غير العارفين بأوامرك و نواهيك أو المستحقين للذم بالجهل. ٣٤- فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ... أَى أن يوسف (ع) دعا ربّه فاستجاب له دعاءه و حوّل عنه مكرهنَّ و حيلهنَّ إِنَّهُ سَبْحَانَهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

معناه. ٣٥- ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ ... أى: ظهر لهم - أى للنسوة مع زليخا و زوجها و أعوانها بعد الشواهد الدالة على براءته، و هى الآيات المعجزات التى ظهرت لتبرئته. لَيْسَ جُنَّتْهُ حَتَّى حِينٍ أى ظهر لهم أنه لا بد من حبسه إلى أمد محدود و ظرف مناسب بحيث ينسى حديث المرأة معه و ينقطع الخوض فيه و التعليق عليه، و بحيث يبدو لأعين الناس أنه هو المأخوذ بالذنب ... ٣٦- وَ دَخَلَ مَعَهُ السَّجْنَ فَتَيَانٍ ... انتقل سبحانه إلى بيان أحوال يوسف فى السجن فأخبر بأنه قد سجن مع يوسف (ع) اثنان فى ريعان الشباب أحدهما ساقى الملك و ثانيهما طبّاحه، و قد اتّهما أنهما كانا بصدد دسّ السمّ للملك فأمر بحبسهما قالَ أَخَذَهُمَا أَى وَاحِدٍ مِنَ الْفَتَيَيْنِ إِنِّى أَرَانِى أَرَانِى أَى رَأَيْتَ نَفْسِى فِي الْمَنَامِ أَعْصِرُ خَمْرًا يَعْنِى يَعْصِرُ عَنَّا وَ قَدْ سَمَّاهُ خَمْرًا بِعِلَاقَةِ الْأَوَّلِ وَ قَالَ الْآخِرُ أَى الْفَتَى الثَّانِى إِنِّى أَرَانِى رَأَيْتَ نَفْسِى فِي الْمَنَامِ أَحْيَيْتُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ يَعْنِى كَأَنَّ فَوْقَ رَأْسِهِ طَبَقًا فِيهِ خَبْزٌ تَأْكُلُ مِنْهُ الطُّيُورُ. ثُمَّ قَالَ لَهُ: بَشِّرْنَا أَخْبَرْنَا بِتَأْوِيلِهِ أَى عَبَّرْنَا لَنَا عَمَّا قَصَصْنَاهُ عَلَيْكَ وَ مَا يُؤُولُ إِلَيْهِ أَمْرُهُ. إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْصِينَ أَى تَوْثُرُ الْإِحْسَانِ إِلَى النَّاسِ قَالَا لَهُ ذَلِكَ لِأَنَّهُ كَانَ جَمِيلَ الْمَعَامَلَةِ مَعَ الْمَسَاجِينَ حَسَنَ الْمَعَاشِرَةِ لَهُمْ. ٣٧- قَالَ لَا- يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ تُزْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ ... أى قال لرفيقى السجن: لَا يَجِيئُكُمَا طَعَامٌ يَقْرَرُ لَكُمَا إِلَّا أَخْبَرْتُكُمَا عَنْهُ كَيْفًا وَ كَمَا قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا أَى قَبْلَ رُؤْيَاهُ وَ وَصُولِهِ إِلَيْكُمَا. وَ قَدْ أَرَادَ بِذَلِكَ (ع) تَهْيِئَةَ ذَهْنِهِمَا لِقَبُولِ دَعْوَتِهِ لَهُمَا إِلَى اللَّهِ إِذَا كَانَا مُشْرِكِينَ. ذَلِكَمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّى أَى أَنَّ هَذِهِ الْمَوْهَبَةُ عَلَى الْإِخْبَارِ بِالْغَيْبِ هِىَ مِنَ الْإِلْهَامِ وَ الْوَحَى الَّذِى مَنَحَنِى إِيَّاهُ خَالِقِى إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا إِرْشَادَ الْأَذْهَانَ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ٢٤٥ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ أَى تَخَلَّيْتُ عَنْ مَذْهَبِ الْكَافِرِينَ الَّذِينَ لَا يَصَدِّقُونَ بَوْجُودَ اللَّهِ وَ لِذَلِكَ خَصَّنى اللَّهُ بِلُطْفِهِ وَ الَّذِينَ هُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ أَى عِبْدَةُ الْأَصْنَامِ وَ الْأَوْثَانِ. ٣٨- وَ اتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِى إِبْرَاهِيمَ وَ إِسْحَاقَ وَ يَعْقُوبَ ... أى: لحقت بشريعة آبائى الذين هم أنبياء الله و رسله للناس، و أنا على نهجهم القويم نعبد الله وحده و ما كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فَنَعْبُدُ مَعَهُ غَيْرَهُ مِنَ الْأَصْنَامِ أَوْ غَيْرِهَا ذَلِكَ أَى مَا أَشْرَتِ إِلَيْهِ مِنَ التَّوْحِيدِ وَ التَّوْفِيقِ لَنَا مَعَاشِرَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَ نِعْمَةِ الَّتِى أَنْعَمَهَا عَلَيْنَا وَ عَلَى النَّاسِ أَى بِإِرْسَالِنَا لِهَدَايَتِهِمْ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ مِنَ الْكَافِرِينَ بِنِعْمِ رَبِّهِمْ وَ الْمُشْرِكِينَ مَعَهُ غَيْرِهِ لَا يَشْكُرُونَ رَبَّهُمْ أَى لَا يَحْمَدُونَهُ وَ لَا يَعْتَرِفُونَ بِفَضْلِهِ وَ نِعْمَتِهِ. ٣٩- يَا صَاحِبِ السَّجَنِ ... أى نادى يوسف السائلين قائلاً يا ملازمى السجن و نزيليهِ أَرْبَابُ أَى آلِهَةٌ مُتَفَرِّقُونَ مُخْتَلِفُونَ مِنْ حَجَرٍ وَ خَشَبٍ وَ غَيْرِهِمَا لَا تَضُرُّ وَ لَا تَنْفَعُ وَ لَا تَعْقِلُ وَ لَا تَبْصُرُ وَ لَا تَسْمَعُ خَيْرٌ لِعِبَادِهَا أَمَّ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ أَى الرَّبُّ الْفَرْدُ الصَّمَدُ الَّذِى يَسْمَعُ وَ يَرِى وَ مَالِكٌ لِكُلِّ شَيْءٍ فِي الْوُجُودِ وَ بِيَدِهِ النِّفْعُ وَ الضَّرُّ وَ الْمَوْتُ وَ الْحَيَاةُ. ٤٠- مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَ آبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ... أى أَنَّ الْآلِهَةَ الَّتِى تَحْصِرُونَ عِبَادَتَكُمْ بِهَا وَ أَطْلَقْتُمْ عَلَيْهَا أَسْمَاءَ تَعْنِى الْأَرْبَابَ وَ الْآلِهَةَ مَا هِىَ إِلَّا أَسْمَاءُ فَارِغَةٌ بِلَا مَسْمِيَّاتٍ دَعَوْتُمُوهَا كَذَلِكَ أَنْتُمْ وَ آبَاؤُكُمْ لَمْ يَنْزِلْ لِلَّهِ مِنْ حُجَّةٍ تَسْوِغُ عِبَادَتَهَا وَ لَا هِىَ تَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ. إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ الَّذِى يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَ يَحْكُمُ مَا يَرِيدُ، وَ قَدْ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ أَمْرَ بَعَادَتِهِ وَحْدَهُ وَ نَهَى عَنِ الشَّرْكِ بِهِ. ذَلِكَ أَى مَا أَشَارَ إِلَيْهِ، هُوَ الدِّينُ الْقَيِّمُ أَى طَرِيقَةُ الْعِبَادَةِ ذَاتِ الْقِيَمَةِ الْعَظِيمَةِ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ بَلْ يَجْهَلُونَ هَذِهِ الْحَقِيقَةَ وَ يَضِلُّونَ عَنْهَا. ٤١- يَا صَاحِبِ السَّجَنِ ... أى يا رفيقى الحبس أَمَّا أَحَدُكُمَا وَ هُوَ سَاقِى الْمَلِكِ وَ صَاحِبُ شَرَابِهِ فَيَسْقِى رَبَّهُ خَمْرًا أَى يَقْدِمُهُ لِسَيِّدِهِ يَشْرِبُهُ وَ هَذِهِ بَشَارَةٌ لَهُ بِنَجَاتِهِ وَ أَمَّا الْآخَرُ أَى صَاحِبُ رُؤْيَا الْخَبْزِ فَيَضِئُ لَبَّ فَنَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ أَى يَحْكُمُ بِالْإِعْدَامِ صَلْبًا فَتَتَغَذَّى الطُّيُورُ الْجَارِحَةُ مِنْ لَحْمِهِ وَ رَأْسُهُ أَثْنَاءَ بَقَائِهِ مَصْلُوبًا قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ أَى انْتَهَى تَعْبِيرُ رُؤْيَاكُمَا وَ مَا سَأَلْتُمَا عَنْهُ. ٤٢- وَ قَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا ... ظَنَّ هُنَا بِمَعْنَى: عِلْمٌ فَقَدْ قَالَ لِلَّذِى تَأَكَّدَ نَجَاتِهِ: اذْكُرْنِى عِنْدَ رَبِّكَ أَى ائْتِ عَلَى ذِكْرِى عِنْدَ سَيِّدِكَ وَ أَنِّى حَبَسْتُ ظُلْمًا فَأَنْسَأُ الشَّيْطَانَ ذِكْرَ رَبِّهِ أَى أَنْسَى الشَّيْطَانَ يَوْسُفَ ذَكَرَ اللَّهُ فِي تِلْكَ الْحَالِ حَتَّى اسْتَغَاثَ بِمَخْلُوقٍ فَالْتَمَسَ مِنَ السَّاقِى أَنْ يَذْكُرَهُ عِنْدَ سَيِّدِهِ فَلِذَلِكَ لَبِثَ فِي السَّجَنِ بَضْعَ سَنِينَ رَوَى أَنَّهُ بَقِيَ سَبْعَ سَنِينَ بَعْدَ خَمْسِ سَنِينَ سَبَقَتْهَا لِأَنَّ الْعَرَبَ تَطْلُقُ لَفْظَ الْبَضْعِ عَلَى السَّبْعِ. وَ قَالُوا: بَلِ الضَّمِيرُ فِي أَنْسَاهُ، يَرْجِعُ إِلَى السَّاقِى الَّذِى سَهَا عَنْ ذِكْرِ يَوْسُفَ وَ نَسِيَهُ سَبْعَ سَنِينَ. ٤٣- وَ قَالَ الْمَلِكُ إِنِّى أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سَوِيَّاتٍ ... أى قَالَ (الزَّيَّانَ) مَلِكُ مِصْرَ: إِنِّى رَأَيْتُ فِيمَا يَرِى النَّائِمُ أَنَّ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سَمَانٍ. يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ أَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ عِجَافٌ أَى هَزِيلَاتٌ ضَعِيفَاتٌ. وَ قَدْ رَأَى أَنَّ الضَّعِيفَاتِ ابْتَلَعَتِ السَّمَانَ وَ رَأَيْتُ أَيْضًا سَبْعَ سُتْبَلَاتٍ خُضِرٍ وَ آخَرَ يَابِسَاتٍ أَى هَذِهِ كَانَتْ جَافَةً، وَ تِلْكَ كَانَتْ خَضِرًا يَانِعَةً.

يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّ يَا أَيُّهَا الْعَلِيَّةُ مِنَ النَّاسِ أَفْتُونِي يَعْنِي أَعْطُونِي الْفَتَا وَالْحَكْمَ فِي تَعْبِيرِ رُءْيَايَ مَا رَأَيْتُهُ فِي مَنَامِي إِنَّ كُنْتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ أَيُّ إِنْ كُنْتُمْ عَالَمِينَ بِتَفْسِيرِهَا وَتَأْوِيلِهَا. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٢٤٦ ٤٤- قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ ... أَيُّ مَجْمُوعَةٌ مَنَامَاتٍ مَخْتَلَطَةٌ لَا يَتَمَيَّزُ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ. وَقَدْ شَبَّهُوا أَحْلَامَ الْمَلِكِ بِالْأَضْغَاثِ لِاخْتِلَاطِهَا وَتَعَسَّرِ تَمْيِيزِهَا، وَقِيلَ الْمَعْنَى: أَبَاطِيلُ أَحْلَامٍ. وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ الَّتِي هِيَ عَلَى هَذَا الشَّكْلِ الْمَخْتَلَطِ بِعَالَمِينَ وَلَسْنَا بِمَعْبُرِينَ لِلْأَبَاطِيلِ أَيُّهَا الْمَلِكُ. ٤٥- وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ ... أَيُّ قَالَ لِلنَّاسِ، ذَلِكَ السَّاقِي الَّذِي نَجَا مِنَ السَّجْنِ وَخَلَصَ مِنَ الْمَوْتِ، مِنْ ذِيكَ السَّيِّئِينَ، وَتَذَكَّرَ بَعْدَ مَدَّةٍ طَوِيلَةٍ مَا أَوْصَاهُ بِهِ يُوسُفُ مِنْ قَوْلِهِ إِذْ كَرِنِي عِنْدَ رَبِّكَ أَنَا أُبَيِّنُكُمْ أَخْبِرْكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ أَيُّ ابْعَثُونِي إِلَى مَنْ يَعْلَمُ بِتَأْوِيلِ الرُّؤْيَا ... ٤٦- يُوسُفُ أَيُّهَا الصَّدِّيقُ ... أَيُّ أَرْسَلَ السَّاقِي إِلَى السَّجْنِ وَخَاطَبَ يُوسُفَ (ع) قَائِلًا: يَا يُوسُفُ أَيُّهَا الْكَثِيرُ الصَّدَقِ فِيمَا تَخْبِرُ بِهِ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سَيَمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ عِجَافٍ وَ سَبْعِ سُيُوفَاتٍ خُضِرٍ وَ آخَرَ يَابِسَاتٍ أَيُّ دَلَّنِي عَلَى تَفْسِيرِ ذَلِكَ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ يَعْنِي: عَسَى أَنْ أَعُودَ إِلَى الْمَلِكِ وَحَاشِيَتِهِ وَ مَنْ فِي مَجْلِسِهِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ يَعْرِفُونَ تَأْوِيلَهُ الْحَقِيقِي، وَيَعْرِفُونَ فَضْلَكَ وَ مَكَانَتَكَ وَ مَكَانَكَ فِي السَّجْنِ فَيُطْلَقُوكَ. ٤٧- قَالَ: تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَبَّابًا ... أَيُّ أَجَابَهُ يُوسُفُ: إِنَّكُمْ تَزْرَعُونَ كِدَابَكُمْ وَ عَادَتَكُمْ سَبْعَ سِنِينَ مُتَوَالِيَةٍ يَصَادُفُهَا الْخُصْبُ وَ النَّمَاءُ فَمَا حَصَيْدُكُمْ أَيُّ جَنَيْتُمْ مِنْ تِلْكَ الزَّرْعِ فَذَرُّوهُ فِي سُيُوفِهِ أَتَرْكُوهُ فِي قَشِهِ كَمَا تَحْصُدُونَهُ مِنْ دُونِ ذَرَى وَ لَا دُوسٍ. إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ أَيُّ مَا يَلْزَمُكُمْ لِلْأَكْلِ فِي كُلِّ سَنَةٍ فَدُوسُوهُ وَ اسْتَخْرِجُوا حَبَّهُ مِنْ قَشِهِ ... ٤٨- ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعُ شِدَادٍ ... أَيُّ أَنَّهُ يَجِيئُكُمْ بَعْدَ السَّنَاتِ السَّبْعِ الْمَخْصَبَةِ، سَبْعَ سَنَاتٍ مُجْدِبَةٍ لَا زَرْعَ فِيهَا وَ لَا ضَرْعَ، وَ هَذِهِ السَّنَاتُ الْقَوَاحِطُ يَأْكُلُونَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ أَيُّ تَأْكُلُونَ فِيهِنَّ مَا ادَّخَرْتُمْ لَهُنَّ وَ خَبَأْتُمُوهُ مِنَ الْمَوَاسِمِ الْمَاضِيَةِ. إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُخَصِّتُونَ أَيُّ تَحْفَظُونَهُ لِلْبَذْرِ وَ الزَّرْعَةِ. ٤٩- ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ ... أَيُّ بَعْدَ ذَلِكَ الْجَدْبُ الَّذِي يَسْتَمِرُّ سَبْعَ سِنِينَ، يَجِيءُ عَامُ بَرَكَهٍ وَ خُصْبٍ يُمْطَرُ فِيهِ النَّاسُ لِأَنَّ الْغَيْثَ هُوَ الْمَطَرُ وَ قِيلَ مِنَ الْغُوثِ أَيُّ يَنْقُذُونَ مِنَ الْجَدْبِ. وَ فِيهِ يَعْصِرُونَ أَيُّ يَسْتَخْرِجُونَ الْخَيْرَ مِمَّا يَعَصِرُ كَالزَّيْتُونَ وَ الْعِنَبَ وَ التَّمْرَ وَ غَيْرَهَا. ٥٠- وَقَالَ الْمَلِكُ اثْنُونِي بِهِ ... أَيُّ جِئُونِي بِهِ حَتَّى أَسْمَعَ مِنْهُ وَ ذَلِكَ بَعْدَ رَجُوعِ السَّاقِي وَ إِخْبَارِهِ بِتَأْوِيلِ يُوسُفَ لِرُؤْيَاهُ. فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ أَيُّ لَمَّا أَتَى رَسُولَ الْمَلِكِ إِلَى يُوسُفَ يَسْتَدْعِيهِ إِلَيْهِ. ف قَالَ يُوسُفَ لِلرَّسُولِ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ أَيُّ إِلَى سَيِّدِكَ فَسْأَلْهُ وَ اسْتَفْهِمْ مِنْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ أَيُّ مَا حَالُ تِلْكَ النِّسَاءِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَ جَرَحْنَهَا بِالسَّكَاكِينِ حِينَ خَرَجَ عَلَيْهِنَّ يُوسُفَ بِأَمْرٍ مِنْ امْرَأَةِ الْعَزِيزِ. إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ أَيُّ ٥١- قَالَ مَا خَطْبُكِ إِذْ رَاوَدْتَنِّي يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ ... هَذَا يَعْنِي أَنَّ الرَّسُولَ أَبْلَغَ الْمَلِكَ قَوْلَ يُوسُفَ، فَجَمَعَ الْمَلِكُ النِّسَاءَ وَ سَأَلَهُنَّ: مَا شَأْنُكِ حِينَ دَعَوْتَنِّي يُوسُفَ إِلَى أَنْفُسِكُنَّ قُلْنَ لِلْمَلِكِ: حَاشَ لِلَّهِ هَذِهِ كَلِمَةُ تَزْيِيزٍ أَيُّ نَزْهَنَ يُوسُفَ مِمَّا اتَّهَمَ بِهِ فَقُلْنَ مَعَاذَ اللَّهِ مِمَّا نَسَبَ إِلَيْهِ وَ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ أَيُّ مَا عَرَفْنَا لَهُ ذَنْبًا وَ لَا خِيَانَةً. قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ زَلِيخَا نَفْسَهَا الْآنَ حَصِيحَ الْحَقِّ أَيُّ ظَهَرَ وَ ثَبَتَ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَ اعْتَرَفَ بِذَلِكَ وَ إِنَّهُ لِمِنْ الصَّادِقِينَ فِي قَوْلِهِ السَّابِقِ لِلْعَزِيزِ هِيَ رَاوَدْتَنِي عَنْ نَفْسِي ... ٥٢- ذَلِكَ لِيُعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخْنُهُ بِالْغَيْبِ ... هَذَا مِنْ كَلَامِ يُوسُفَ أَيُّ ذَلِكَ الَّذِي فَعَلْتَهُ مِنْ رَدِّ رَسُولِ الْمَلِكِ إِلَيْهِ بِشَأْنِ النِّسْوَةِ كَانَ لِيَعْرِفَ الْمَلِكُ أَوِ الْعَزِيزُ أَنِّي أَحْفَظُ غَيْبَتَهُ، وَ أَنِّي أَمِينٌ فِي الْغَيْبِ وَ الْحُضُورِ وَ أَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ أَيُّ لَا يَهْدِيهِمْ بِكَيْدِهِمْ وَ لَا يَجْعَلُهُمْ نَافِذًا وَ لَا يَسُدُّهُمْ فِيهِ. وَقِيلَ إِنْ هَذَا مِنْ كَلَامِ امْرَأَةِ الْعَزِيزِ. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٢٤٧ ٥٣- وَ مَا أُبْرِيئُ نَفْسِي ... هَذَا مِنْ كَلَامِ يُوسُفَ (ع) أَيُّ لَا أَنْزِهَا وَ لَا أَزْكِيهَا عَلَى سَبِيلِ الْعَجَبِ بِالنَّفْسِ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ أَيُّ كَثِيرَةٌ الْمِيلُ إِلَى الشَّهَوَاتِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي أَيُّ إِلَّا- النَّفْسُ الَّتِي تَنَالُهَا رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى وَ عَنَآيَتُهُ فَلَا- تَأْمُرُ بِالسُّوءِ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ يَتَجَاوَزُ عَنِ الذُّنُوبِ بَعْدَ التَّوْبَةِ وَ يَرْحَمُ الْعِبَادَ. وَقِيلَ إِنْ هَذَا الْكَلَامُ هُوَ لَزَلِيخَا. ٥٤- وَقَالَ الْمَلِكُ اثْنُونِي بِهِ اسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي ... أَيُّ احْضَرُوا يُوسُفَ إِلَيَّ أَجْعَلْهُ خَالِصًا لِنَفْسِي يَعَاوَنِي فِي تَدْبِيرِ مَمْلَكَتِي وَ يَشِيرُ عَلَيَّ فِي أُمُورِي. فَلَمَّا كَلَّمَهُ أَيُّ كَلَّمَ يُوسُفَ الْمَلِكُ- أَوِ الْعَكْسُ- قَالَ لَهُ الْمَلِكُ: إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَيُّ أَنَّكَ مِنْذُ الْيَوْمِ صَرْتَ عِنْدَنَا ذَا مَكَانَةٍ وَ شَأْنٍ وَ قَدْ مَكَّنْتُكَ فِي حَكْمِي نَافِذَ الْكَلِمَةِ أَمِينٌ ثَقَّةٌ مُؤْتَمَنٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ. ٥٥- قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ ... أَيُّ قَالَ يُوسُفَ لِلْمَلِكِ: اجْعَلْنِي حَفِظًا وَ وَالِيَا عَلَى خَزَائِنِ أَرْضِكَ لِأَقُومَ بِتَدْبِيرِهَا إِنِّي حَفِيزٌ شَدِيدٌ الْمَحَافَظَةِ عَلَيْهَا، فَلَا تَقَعُ فِيهَا خِيَانَةٌ عَلِيمٌ بِكَيْفِيَةِ التَّصَرُّفِ فِيهَا، وَ بِوُجُوهِ الْمَصَالِحِ كُلِّهَا وَ قِيلَ فِي مَعْنَى عَلِيمٍ

غير ذلك. ٥٦- وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ ... أى وبهذا الشكل الجليل أقدرا يوسف و أرسينا منزلته فى أرض مصر يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ أى يَتَّخِذُ مِنْهَا مَنْزِلًا يقيم فيه أينما يريد، و يتصرف فيها على ما يهوى نُصَتِيْبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ أى نَشمَلُ مَنْ نريد بنعمتنا وَلَا نُضَيِّعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ لأننا نحفظ لهم إحسانهم و نثيبهم عليه فى الدنيا و الآخرة. ٥٧- وَلَمَّا جُزِيَ الْأَخْرَةُ خَيْرٌ ... يعنى و ثواب الآخرة خير من ثواب الدنيا لخلوصه عن الأكدار و الأقدار لِلَّذِينَ آمَنُوا وَ كَانُوا يَتَّقُونَ أى الذين صدقوا به و عملوا صالحا و تجبوا ما نهى عنه و ما يغضبه. ٥٨- وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ ... حين أصاب الجذب الناس و آل يعقوب فيهم- و كانوا بأرض فلسطين- توجهوا بمن فيهم إخوة يوسف بأمر من أبيهم إلى مصر ليمتاروا منها كغيرهم، أى ليجلبوا الطعام منها إلى أرضهم سكان فلسطين- و حين صار الجذب، و دخلوا على يوسف (ع) فَعَرَفَهُمْ مع طول العهد وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ أى لم يعرفوه. ٥٩- وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ قَالَ أَتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ ... أى حينما أعد لهم الميرة المطلوبة و أكرمهم و هيا لهم ما يحتاجون إليه فى سفرهم قال لهم جيئوني بأخ لكم مِنْ أَيْبِكُمْ أى ليس من أمكم بل من أم ثانية و كان يقصد أخاه لأمه و أبيه و اسمه بنيامين أَلَا تَرَوْنَ أَنِّى أَوْفَى الْكَئِيلِ أعطيه كاملا بلا نقص وَ أَنَا خَيْرُ الْمُتَرَلِّينَ يعنى خير المضيفين. ٦٠- فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ ... أى إذا لم تحضروه لى معكم فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي فلا أعطيك طعاما أكيله لكم وَلَا تَقْرُبُونِ وَلَا تَقْرُبُوا دِيَارِي. ٦١- قَالُوا سَتَرَاوِدَ عَنْهُ أَبَاهُ وَ إِنَّا لَفَاعِلُونَ: أى أجابوه: بأنا سنطلبه من أبيه ليرسله معنا و إِنَّا لفاعلون أيها العزيز ما أمرتنا به. ٦٢- وَقَالَ لِفَتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ ... يعنى أنه قال لغلماينه: ضعوا بضاعه إختوتى التى جاؤوا بها داخل أسباب سفرهم لتبقى لهم إِمَّا تفضلا عليهم و رحمة بهم و لئلا يأخذ الثمن منهم و هم فى ضيق و عسر، و إِمَّا خوفا من أن لا- يكون عند أبيه ما يرجعون به، و إِمَّا لغير ذلك. لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ أى عسى أن يعرفوها حين يعودون إلى أهلهم و وطنهم. و فى هذا إشارة إلى أن يوسف لم يرد لإخوته أن يطلعوا على أنه رد عليهم بضاعتهم التى كانوا قد حملوها معهم إلى مصر للمقايضة لئلا يقعوا فى الخجل و الحرج. لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ أى ليكون فى رد البضاعة تشجيعا لهم على الرجوع إليه مصطحبين أخاه بنيامين. ٦٣- فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا ... أى حين عادوا إلى وطنهم و اجتمعوا بأبيهم قالوا له: يا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَئِيلُ أخبروه أن الامتياز الآتى ممنوع عليهم بعد هذه المرة، و أبلغوه قول يوسف أن لا كيل لهم إِلَّا إِذَا أَحْضَرُوا أَخَاهُم الصَّغِيرَ معهم و قالوا: فَأَرْسَلْ مَعَنَا أَخَانَا لِنَفَى بِالْوَعْدِ، و حينئذ نَكْتِيلُ أى نحصل على كيل ما نريده من الطعام، وَ إِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ نحرس أخانا من المكاره. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٢٤٨ ٦٤- قَالَ هَلْ آمَنْتُمْ عَلَيَّ؟ ... الاستفهام للإنكار، أى لا آمنكم عليه و لا أثق بقولكم. و هل أثق بكم و أستأمنكم على بنيامين إِلَّا كَمَا آمَنْتُمْ عَلَى أَخِيهِ يَوْسُفَ مِنْ قَبْلُ حين ضمنت سلامته و وددتم راحته ثم لم تفوا بعهدكم و أضعتموه أو أهلكتموه. فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَ هُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ أى فحفظ الله خير من حفظكم و هو يرحم ضعفى و شيتى و يرده على. ٦٥- وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ ... أى حين فتحو أكياسهم و جواليقهم التى حملوها من مصر، رأوا أن بضاعتهم التى حملوها معهم إلى مصر ثمننا للحبوب التى اشتروها قد أعيدت إليهم، قَالُوا: يا أَبَانَا مَا نَبْغِي أى ماذا نريد؟ هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا فهل نطلب أكثر من هذا الإحسان من الملك الذى أوفى لنا الكيل ورد الثمن فإذا أذنت لنا فى الرجوع مع أخينا نربح وَ نَمِيرُ أَهْلَنَا أى نجلب الطعام لعيالنا و أولادنا وَ نَحْفَظُ أَخَانَا نحرسه حتى نرده إليك وَ نَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ أى نربح زيادة حمل جمل آخر هو جمل أخينا، وَ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ أى سهل إعطاؤه على الملك، ٦٦- قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ ... أى أننى لما رأيت منكم من الغدر بيوسف، فأنا لن أرسل أخاه معكم إِلَّا بعد أن تعطوني عهدا وثيقا بإشهاد الله سبحانه و بالحلف عليه لَتَأْتِنَنِي بِهِ أى لترجعته سالما إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ أى إِلَّا فى حال هلاككم أو: إِلَّا أَنْ يَحَالَ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَهُ بحيث لا تقدرن على إرجاعه فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ يعنى أبرموا له عهدهم و حلفهم. قَالَ يَعْقُوبُ اللَّهُ تَعَالَى شَهِدْ عَلَى ذَلِكَ، و هو على ما نُقُولُ فيما بيننا وَ كَيْلُ أى مفوض و معتمد و كاف. ٦٧- وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَ ادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ ... أى قال يعقوب (ع) لبنيه: لا تدخلوا مصر مجتمعين بل توزعوا على أبواب متعددة و ادخلوا متفرقين و قيل: كان لمصر أربعة أبواب، و قيل فى وجه أمر يعقوب لأولاده بذلك هو أنه خاف عليهم العين لأنهم كانوا ذوى جمال و هيئه مع كثرة عددهم و قوة أجسامهم، و قيل غير ذلك. وَ مَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ مَتَبَهَا إِيَاهُمْ أَنْ

تحذيره لهم من باب الحيطه عليهم و لكن الحذر لا يرد قضاء الله لو قضى بإصابتكم بالعين. إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ فَهُوَ الْقَاضِي الْمَقْدَرُ
 الْفَعَالُ لِمَا يَشَاءُ وَالْحَاكِمُ بِمَا يَرِيدُ، عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ أَيْ فَوَضْتُ أَمْرِي إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ فَيَكُونُ كُلُّ الْمُتَوَكِّلِينَ أَيْ فليفوضوا
 أمورهم إليه. ٦٨- وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ ... أَيْ حِينَ دَخَلُوهُمْ إِلَى مِصْرَ مِنْ عِدَّةِ أَبْوَابِ طَبَقٍ مَا وَصَّاهُمْ بِهِ يَعْقُوبُ مَا كَانَ
 أَيْ يَعْقُوبُ يُعْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ أَيْ لَمْ يَكُنْ لِيُدْفَعْ عَنْهُمْ مِنْ شَيْءٍ قَدَّرَهُ اللَّهُ تَعَالَى لَهُمْ بِوَصِيَّتِهِ بَلْ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مِنْهُ إِلَّا حَاجَةً
 فِي نَفْسٍ يَعْقُوبَ قَضَاهَا يَعْنِي أَنَّ فِي نَفْسِهِ شَيْئًا أَخْفَاهُ عَنْهُمْ وَقَدْ كَانَ يَقْصِدُ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ الْإِشْفَاقَ عَلَيْهِمْ وَالرَّحْمَةَ بِهِمْ لَمَّا أَصَابَهُ
 مِنْ اضْطِرَابٍ حِينَ مَغَادِرَتِهِمُ الْبَلَدَ فَيُظَاهَرُهَا قَضَى حَاجَةً لَهُ فِي نَفْسِهِ وَسَكَنَ هَيْجَانُ عَاطِفَتِهِ وَإِنَّهُ أَيْ يَعْقُوبَ لَدُوْ عِلْمٍ يَقِينٍ لَمَّا عَلَّمْنَاهُ
 وَفَهَّمْنَاهُ بِتَعْلِيمِنَا إِيَّاهُ بِطَرِيقِ الْوَحْيِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ لَا يَعْرِفُونَ مِثْلَ هَذِهِ الْأَسْرَارِ وَالْحُكْمِ الَّتِي نَعْلَمُهَا رُسُلَنَا. ٦٩- وَلَمَّا
 دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ ... أَيْ حِينَ دَخَلَ إِخْوَةُ يُوسُفَ عَلَيْهِ ضَمَّ إِلَيْهِ بَنِيَامِينَ أَخَاهُ لِأَبُوهِ وَ أَنْزَلَهُ عِنْدَهُ قَالَ يُوسُفُ لِأَخِيهِ:
 إِنِّي أَنَا أَخُوكَ يُوسُفَ الَّذِي يَذْكُرُهُ أَبُوكَ كَثِيرًا وَ تَتَحَدَّثُونَ عَنْهُ مَلِيًّا فَلَا تَبْتَئِسْ أَيْ: لَا تَحْزَنْ وَلَا تَغْنَمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ أَيْ مَا كَانَ
 يَفْعَلُهُ إِخْوَتُكَ سَالِفًا مَعْنَى: إِرْشَادِ الْأَذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ٢٤٩ ٧٠- فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ ... أَيْ لَمَّا هَيَّأَ لَهُمْ مِيرَتَهُمْ وَمَتَاعَهُمْ،
 جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ أَيْ وَضَعَ الْوِعَاءَ الَّذِي يَكَالُ بِهِ فِي حِمْلِ بَعِيرِ أَخِيهِ بَنِيَامِينَ. وَ كَانَ الْمِكْيَالُ مِنْ ذَهَبٍ مَرْصُوعًا بِالْجَوَاهِرِ
 الثَّمِينَةِ، وَقِيلَ إِنَّهُ قَبْلَ اسْتِعْمَالِهِ لِلْكَيْلِ كَانَ يَشْرَبُ بِهِ وَ لَذَا أُطْلِقَ عَلَيْهِ اسْمُ: السَّقَايَةِ بِهَذَا الْإِعْتِبَارِ. ثُمَّ أَدْنَى مُؤَدَّنٌ أَيْ نَادَى مُنَادٍ مِنْ خَدَمِ
 الْمَلِكِ أَتَيْتُهَا الْغَيْرُ أَيْ يَا أَصْحَابَ الْإِبِلِ: إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ وَ هَذَا التَّأَكِيدُ لَكُمْهُمْ سَارِقِينَ يَأْنِ وَ بِاللَّامِ عِلَّةُ الْإِمَامِ الصَّادِقِ (ع) بِقَوْلِهِ: مَا
 سَرَقُوا، وَ مَا كَذَبَ يُوسُفَ. فَإِنَّمَا عَنِ سَرَقَةِ يُوسُفَ مِنْ أَبِيهِ (ع) ... ٧١- قَالُوا، وَ أَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ، مَاذَا تَفْقِدُونَ؟ ... عِنْدَ سَمَاعِ النَّدَاءِ، وَقَفَ
 إِخْوَةُ يُوسُفَ وَ قَالُوا لِلْمَنَادِي وَ لَمَنْ تَبِعَهُ عِنْدَ سَمَاعِ نِدَائِهِ: أَيْ شَيْءَ ضَاعَ مِنْكُمْ حَتَّى أَتَهَمْتُمُونَا بِالسَّرْقَةِ؟. ٧٢- قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ
 ... أَيْ أَجَابَ غُلَامَانِ الْمَلِكِ: قَدْ افْتَقَدْنَا صَاعَ الْمَلِكِ الَّذِي نَكْتَالُ بِهِ. وَ قَالَ الْمَنَادِي مِنْ بَابِ الْإِغْرَاءِ وَ لِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلٌ بَعِيرٍ مَكَافَأَهُ لَهُ
 عَلَى إِرْجَاعِهِ وَ أَنَا بِهِ زَعِيمٌ أَيْ كَفِيلٌ ضَامِنٌ. ٧٣- قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ ... أَيْ قَالَ إِخْوَةُ يُوسُفَ لِلْمُؤَدَّنِ وَ مِنْ
 مَعَهُ مِنْ عَمَالِ الْمَلِكِ: نَحْلِفُ لَكُمْ بِاللَّهِ أَنَّنَا مَا جِئْنَا لِنُرْتَكِبَ مِثْلَ هَذَا الْجُرْمِ الشَّائِنِ وَ لَا لِنُرْتَكِبَ فُسَادًا فِي هَذِهِ الْبَقْعَةِ مِنَ الْأَرْضِ وَ أَنْتُمْ
 تَعْلَمُونَ حَسَنَ سِيرَتِنَا وَ أَمَانَتِنَا مَعَكُمْ فِي سَفَرَتِنَا السَّابِقَةِ وَ فِي هَذِهِ السَّفَرَةِ. وَ مَا كُنَّا سَارِقِينَ أَيْ وَ لَسْنَا بِسَارِقِينَ لَمَّا افْتَقَدْتُمْ. ٧٤- قَالُوا
 فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ؟ أَيْ أَنْ جَمَاعَةُ الْمَلِكِ قَالُوا لِإِخْوَةِ يُوسُفَ: فَمَا جَزَاءُ السَّارِقِ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ فِي قَوْلِكُمْ مَا كُنَّا سَارِقِينَ وَ
 انْكَشَفَتِ السَّرْقَةُ؟ ٧٥- قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وَجَدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ ... أَجَابَ إِخْوَةُ يُوسُفَ أَنْ جَزَاءُ السَّارِقِ فِي شَرْعِهِ يَعْقُوبُ النَّبِيُّ (ع)
 هُوَ نَفْسُ السَّارِقِ الَّذِي يَوْجَدُ الصَّاعَ الْمَسْرُوقَ فِي مَتَاعِهِ بِحَيْثُ يَحُلُّ اسْتِرْقَاقَهُ. كَذَلِكَ تَجْزَى الظَّالِمِينَ نَعَاقِبُ السَّارِقِينَ بِاسْتِرْقَاقِهِمْ. ٧٦-
 فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ... أَيْ أَنْ يُوسُفَ (ع) بَدَأَ بِتَفْتِيشِ مَتَاعِ وَ أَحْمَالِ إِخْوَتِهِ قَبْلَ أَنْ يَفْتِشَ عَنِ الصُّوَاعِ فِي مَتَاعِ أَخِيهِ بَنِيَامِينَ
 لِإِبْعَادِ التَّهْمَةِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ أَيْ أَخْرَجَ السَّقَايَةَ مِنْ مَتَاعِ بَنِيَامِينَ وَقِيلَ إِنَّهُ لَمَّا وَجَدَهَا مَعَ بَنِيَامِينَ أَقْبَلَ عَلَيْهِ إِخْوَتُهُ يَقُولُونَ:
 فَضَحْتَنَا وَ سَوَّدْتَ وَجُوهَنَا! مَتَى أَخَذْتَ هَذَا الصَّاعَ؟ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ أَيْ عَلَى هَذَا الشَّكْلِ دَبَّرْنَا مَكِيدَةَ لَطِيفَةِ لِيُوسُفَ، فَإِنْ هَذَا
 الْعَمَلُ مِنْهُ كَانَ يَأْذَنُ اللَّهُ وَ بُوْحَى مِنْهُ لِنَبْدَأَ مَرَحِلَةَ التَّفْرِيجِ عَنْ يَعْقُوبَ (ع). مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ أَيْ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَحِقَّ
 لِيُوسُفَ أَنْ يَسْتَبْقَى أَخَاهُ عِنْدَهُ فِي شَرْعِ مَلِكِ مِصْرَ لِأَنَّ السَّارِقَ فِي شَرْعِهِ كَانَتْ عَقُوبَتُهُ الْجُلْدُ وَ تَغْرِيمُهُ ضَعْفُ الْمَسْرُوقِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ
 اللَّهُ إِلَهًا فِي حَالِ أَنْ اللَّهُ تَعَالَى يَرِيدُ الْقَضَاءَ فِي هَذِهِ الْوَاقِعَةِ بِشَكْلِ يَحْوِلُ يُوسُفَ أَخَذَ أَخِيهِ لِمَصْلَحَتِهِ اقْتَضَتْ ذَلِكَ فِي الْمَقَامِ. نَزَّهَ
 دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَأَ نَزَعَ مِنْ نَزِيدٍ بِالْعِلْمِ وَ الْحِكْمَةِ وَ التَّائِيْدِ وَ النُّبُوَّةِ وَ غَيْرِهَا كَمَا فَعَلْنَا بِيُوسُفَ نِسْبَةً إِلَى إِخْوَتِهِ وَ فَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ
 أَيْ أَنْ فَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ أَعْلَمُ مِنْهُ إِلَى أَنْ يَصِلَ الْأَمْرُ إِلَى اللَّهِ الْعَالَمِ الَّذِي لَيْسَ فَوْقَهُ عَالَمٌ. ٧٧- قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ
 ... أَيْ قَالَ إِخْوَةُ يُوسُفَ لَهُ بَعْدَ اسْتِخْرَاجِهِ لِلصُّوَاعِ مِنْ رَحْلِ بَنِيَامِينَ: إِنْ يَسْرِقُ بَنِيَامِينَ فَقَدْ سَبَقَ أَنْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ يَعْنُونَ يُوسُفَ نَفْسَهُ فِي
 صُغْرِهِ عِنْدَ مَا كَانَتْ تَحْتَضِنُهُ عَمَّتُهُ وَ تَحَبُّهُ حَبًّا شَدِيدًا بِحَيْثُ لَا تَقْوَى عَلَى فِرَاقِهِ، وَ عِنْدَ مَا أَرَادَ أَبُوهُ يَعْقُوبُ أَنْ يَسْتَرْدَهُ مِنْهَا احْتَالَتْ بِأَنْ
 شَدَّتْ عَلَى وَسْطِ يُوسُفَ مَنْطِقَةَ إِسْحَاقَ (ع) الَّتِي كَانَ أَوْلَادُهُ يَتَوَارَثُونَهَا بِالْكَبَرِ وَ كَانَتْ عَمَّتُهُ الْأَكْبَرُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ بَيْنَهُمْ، وَ ادَّعَتْ

بأنه سرقها لتستطيع بتلك الحيلة أن تستبقه عندها و كان الحكم أن يسترق السارق سنه و هكذا كان. فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبَيِّدْهَا لَهُمْ أَى سَمِعَ مَقَالَتَهُمْ وَ احتفظ بتأثيرها فى نفسه و لم يظهر لهم شيئا و قال فى نفسه: أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا أَى أسوأ منزلة فيما فعلتم بأخيك فى سركتم له من أبيه، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ أَى أنه تعالى أعلم منكم بأن يوسف لم يسرق و كذا أخوه. ٧٨- قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا ... إِنْهُمْ رَقُوا فِي قَوْلِهِمْ فَخَاطَبُوا الْمَلِكَ بِاسْتِعْطَافٍ وَ قالوا: إِنْ أَبَا بَنِيَامِينَ شَيْخٌ طَاعِنٌ فِي السِّنِّ أَوْ كَبِيرٌ فِي الْقَدْرِ فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ أَى خذ من شئت منا عوضا عنه إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ إِنْ فعلت و أخذت البديل عنه من بيننا. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٢٥٠ ٧٩- قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَحَدْنَا مَتَاعَنَا عَنْدَهُ ... أَجَابَ يُوسُفَ (ع): أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ آخُذَ الْبَرِيءَ بِالْمَذْنَبِ وَ لَنْ نَأْخُذَ إِلَّا الَّذِي وَجَدْنَا الصَّاعَ عَنْدَهُ، وَ إِنْ فعلنا غير ذلك إِنَّا إِذَا لَطَالُمُونَ حَتَّى فِي شَرِّكُمْ. ٨٠- فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا ... أَى حينما يئس إخوة يوسف من إجابته يوسف لطبيهم و أخذ البديل عن بنيامين، تسَلَّلُوا وَ انفرادوا جانباً يتهايمسون و يتشاورون فيما بينهم. قَالَ كَبِيرُهُمْ سَنَا أَوْ عَلِمَا وَ هُوَ كَمَا عَنِ الْإِمَامِ الصَّادِقِ (ع): يَهُودَا. وَ قِيلَ: غَيْرُهُ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ هَلْ نَسِيتُمْ عَهْدَ اللَّهِ الَّذِي قَطَعْتُمُوهُ لِأَبِيكُمْ؟ وَ مِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ ثُمَّ أَلَمْ تَذْكُرُوا أَنْكُمْ. قد تهاونتم قبل ذلك بأمر يوسف و أضعتموه هدرًا؟ فَلَنْ أُبْرِحَ الْأَرْضَ أَى لن أفارق أرض مصر حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَسْمَحَ لِي أَبِي بِالرَّجُوعِ أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي أَوْ يَقْضِيَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ لِي بِمَا يَكُونُ لَنَا عِذْرًا عِنْدَ أَبِيْنَا. وَ هُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ وَ قَضَاؤُهُ خَيْرُ قَضَاءٍ. ٨١- ارْجِعُوا إِلَى أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ ... أَمْرُهُمْ قَائِلًا: عودوا إلى أبيكم و قولوا له أن ابنك سرق فى الظاهر و ما شهدنا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا أَى لم نقل إِلَّا ما قد رأينا، و لم نشهد إِلَّا بحسب ما ظهر من واقع الأمر و ما كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ أَى ما كُنَّا مَطْلَعِينَ عَلَى مَا خَفِيَ عَنَّا مِنْ مَلَابَسَاتٍ قَبْلَ سُؤَالِنَا لَكَ بِخُرُوجِ بَنِيَامِينَ مَعَنَا وَ لَا بَعْدَهُ. ٨٢- وَ سَيَلَّ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا .. وَ قُولُوا لَوَالِدِنَا: يَا أَبَانَا اسْأَلْ أَهْلَ الْبَلَدَةِ الَّتِي كُنَّا فِيهَا فِي مِصْرَ أَوْ الْمَرَادُ أَنْ يَسْأَلَ بَعْضُ أَهْلِ مِصْرَ مِنَ الَّذِينَ صَارُوا إِلَى النَّاحِيَةِ الَّتِي فِيهَا أَبُوهُمْ وَ الْغَيْرِ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا أَى وَ اسْأَلْ أَصْحَابَ الْقَافِلَةِ الَّتِي كُنَّا مَعَهَا مِنْ أَهَالِي كِنْعَانَ الَّذِينَ هُمْ مِنْ جِيرَانِهِ وَ إِنَّا لَصَادِقُونَ فِيمَا نَخْبِرُكَ بِهِ. ٨٣- قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا ... أَى أَنْ يَعْقُوبَ (ع) قَالَ: لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا تَقُولُونَ، بَلْ زَيْنَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا أَرَدْتُمُوهُ وَ سَهَّلْتُمْ لَكُمْ فَرَّرْتُمُوهُ وَ اجْتَمَعْتُمْ عَلَيْهِ لَتَنْفِذُوهُ فِي ابْنِي بَنِيَامِينَ كَمَا صَنَعْتُمْ بِأَخِيهِ يُوسُفَ مِنْ قَبْلُ. فَصَبِّرْ جَمِيلٌ أَى أَنْ صَبِرَ صَبْرًا جَمِيلًا. عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا أَى بِيُوسُفَ وَ أَخِيهِ وَ أُخِيهِمَا الَّذِي تَخَلَّفَ فِي مِصْرَ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ مَر مَعْنَاهُ. ٨٤- وَ تَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسِيفَى عَلَى يُوسُفَ ... أَى وَ انصرف يعقوب بوجهه عن أولاده حزينا و قال: أَى وَ احزنى على يوسف. وَ ابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ أَى ذهب سوادهما من كثرة البكاء حزنا فَهُوَ كَظِيمٌ أَى مَمْتَلِئٌ بِالْغَيْظِ وَ لَكِنَّهُ لَا يَظْهَرُهُ. ٨٥- قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتُنَا تَذْكُرُ يُوسُفَ ... الَّذِينَ قَالُوا لِيَعْقُوبَ ذَلِكَ هُمْ أَوْلَادُهُ أَوْ النَّاسُ إِشْفَاقًا: لَا زِلْتَ تَذْكُرُهُ وَ لَا تَنْفَكُ عَنِ التَّحَدُّثِ بِهِ مَعَ طَوِيلِ الْمَدَّةِ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا، أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ أَى حَتَّى تَمْرُضَ بِفَسَادِ جِسْمِكَ وَ عَقْلِكَ أَوْ تَمُوتَ. ٨٦- أَلْ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَ حُزْنِي إِلَى اللَّهِ ... أَى قَالَ يَعْقُوبُ جَوَابًا لِهَوْلَاءِ: إِنِّي أَشْكُو هُمَى - وَ قِيلَ الْبَثُّ هُوَ الْحَاجَةُ - إِلَى اللَّهِ لَا إِلَيْكُمْ أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ أَى وَ اعلم من رحمة الله و قدرته على كشف همى و سد حاجتى ما تجهلون. وَ قِيلَ: أَى أَعْلَمُ مِنْ أَمْرِ يُوسُفَ وَ أَخِيهِ بُوْحَى اللَّهِ مَا لَا- تَعْلَمُونَهُ. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٢٥١ ٨٧- يَا بَنِيَّ ادْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَ أَخِيهِ ... يَسْتَشْعِرُ مِنْ قَوْلِ يَعْقُوبَ السَّابِقِ وَ أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ وَ مِنْ قَوْلِهِ هُنَا فَتَحَسَّسُوا وَ يَسْتَفَادُ مِنْ بَعْضِ الرِّوَايَاتِ أَنَّهُ قَدْ أَلْهِمَ أَنْ ابْنِيهِ حَيَانَ وَ لِذَا أَمَرَ أَبْنَاءَهُ بِالرَّجُوعِ إِلَى مِصْرَ لِيَتَفَحَّصُوا عَنْ يُوسُفَ وَ أَخِيهِ قَائِلًا- لَهُمْ: وَ لَا- تَيَاسُّوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ أَى لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَتِهِ تَعَالَى وَ قِيلَ: إِنَّهُ لَمَّا أَخْبَرَهُ أَوْلَادُهُ بِسِيرَةِ الْمَلِكِ قَالَ لَعَلَّهُ يُوسُفَ لِأَنَّ شِمَائِلَهُ شِمَائِلُ الْأَنْبِيَاءِ، وَ بِنَاءَ عَلَى ذَلِكَ قَالَ اطْلُبُوهُ وَ أَخَاهُ، وَ اسْتَقْصُوا الْأَمْرَ فَإِنَّهُ قَدْ أَلْقَى فِي رَوْعِي أَنَّ الَّذِي احْتَبَسَ بَنِيَامِينَ بِمَكِيدَةِ إِخْفَاءِ الصَّاعِ فِي رَحْلِهِ لَا بَدَّ أَنْ يَكُونَ يُوسُفَ أَوْ ذَا عِلَاقَةٍ بِهِ لِأَنَّهُ افْتَعَلَ هَذِهِ الْقِصَّةَ مَعَ أَخِيهِ يُوسُفَ مِنْ أُمِّهِ دُونَ سَائِرِ إِخْوَتِهِ. إِنَّهُ لَا يَتَيَاسُّ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ أَى أَنَّ الْمُؤْمِنَ دَائِمًا مِنَ اللَّهِ عَلَى خَيْرٍ يَرْجُوهُ فِي الْبَلَاءِ وَ الضَّرَاءِ وَ يَشْكُرُهُ فِي الرِّخَاءِ وَ الْكَافِرُ لَيْسَ كَذَلِكَ. ٨٨- فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَ أَهْلُنَا الضُّرُّ ... أَى فَلَمَّا وَصَلَ إِخْوَةُ يُوسُفَ إِلَى مِصْرَ وَ دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا لَهُ: يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ - وَ هُوَ لَقِبَ لِحَاكِمِ مِصْرَ - أَى الْمَنِيعِ الْجَانِبِ: قَدْ

أصابنا وأصاب أهلنا سوء الحال والشدة وَجِئْنَا بِبِضَاعِيهِ سِلْعَ لِلْبَيْعِ مُرْجَاهُ أَى قَلِيلُهُ الْإِعْتِبَارُ لَا تَقْبَلُ إِلَّا مَعَ النَقِصَةِ فَأَوْفَ لَنَا الْكِيلَ بَأْنِ
تعطينا حاجة عيالنا الكثيرة كما عودتنا فيما مضى وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا أَى سَامَحْنَا بِمَا بَيْنَ الثَّمَنِ وَالثَّمَنِ مِنَ الْفَرْقِ وَقِيلَ تَصَدَّقْ عَلَيْنَا
بِإِطْلَاقِ سِرَاحِ أَخِينَا رَحْمَةً بِأَبِيهِ وَبَنَانِ إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ أَى يُثِيهِمْ عَلَى إِحْسَانِهِمْ. ٨٩- قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ يُوْسُفَ وَ أَخِيهِ؟
... يعنى هل عرفتم أهمية فعلكم مع يوسف و كيدكم له و ما فعلتم بأخيه بنيامين لأمه و أبيه عند ما فرقتم بينه و بينه لتذلوله و تستفردوه
و تقسوا عليه إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ! حيث كنتم جاهلين مرتبته و قيمته و قيل: إِذْ أَنْتُمْ صَبِيَّانَ أَوْ شَبَابَ يَتَمَلَّكُكُمْ طِيْشُ الصَّبَا أَوْ الشَّبَابِ. ٩٠-
قَالُوا أَيْنَكَ لَأَنْتَ يُوْسُفُ؟ ... و هذا استفهام تقريرى. و قرئ بغير استفهام على الإيجاب مع التأكيد الذى يدل على أنهم عرفوه بلا
شبهة- إِنَّكَ لَأَنْتَ يُوْسُفُ- و بناء على استفهامهم أَوْ تَأْكِيْدُهُمْ قَالَ (ع) مَقْرَرًا قَوْلَهُمْ قَالَ أَنَا يُوْسُفُ وَ هَذَا أَخِي كَمَا تَرَوْنَ قَدْ مَنَّ اللَّهُ
عَلَيْنَا أَنْعَمَ وَ تَفَضَّلَ وَ زَادَنَا فَضْلًا بِالْإِجْتِمَاعِ مَعَ السَّلَامَةِ وَ الْكِرَامَةِ إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ وَيَصْبِرْ عَلَى الْبَلَايَا وَ عَنِ الْمَعَاصِي فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ
أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ وَ فِى خَتَامِ هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ تَنْبِيْهُ لِنَكْتَهُ دَقِيقَةٍ حَيْثُ وَضَعَ الْأَسْمَ الظَّاهِرَ مَقَامَ الضَّمِيرِ لِيَدُلَّ أَنَّ الْمُحْسِنَ مِنْ جَمْعٍ بَيْنَ
التَّقْوَى وَ الصَّبْرِ ... ٩١- قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ أَثْرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا ... أَى أَقْسَمَ إِخْوَةُ يُوْسُفَ بِاللَّهِ أَنَّهُ فَضَّلَهُ عَلَيْهِمْ وَ اخْتَارَهُ مِنْهُمْ بِحَسَنِ الْخَلْقِ وَ
الْخَلْقِ وَ الْمَدَارَةِ وَ الْعَدْلِ مَعَهُمْ رَغْمَ أَنَّهُمْ عَامِلُوهُ بِقِسَاوَةِ فِبَادِلِهِمْ بِاللُّطْفِ وَ كَرِيمِ الضِّيَافَةِ وَ إِيفَاءِ الْكِيلِ، فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ كَمَا اعْتَرَفُوا لَهُ
بِالتَّفَضُّلِ عَلَيْهِمْ قَائِلِينَ: وَ إِنَّا كُنَّا لَخَاطِئِينَ أَى آثَمِينَ بِمَا صَنَعْنَا بِكَ وَ بِمَا فَعَلْنَا مَعَكَ مِنَ الْقَبَائِحِ بِجَهْلَانَا وَ بِسُوءِ سَرِيرَتِنَا. ٩٢- قَالَ لَا
تَثْرِيْبَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ ... أَى لَا تَوِيْخَ وَ لَا تَعْيِيْرَ وَ لَا خَوْفَ عَلَيْكُمْ فِى هَذَا الْوَقْتِ مِنْ جَزَاءِ مَا فَعَلْتُمْ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ فَأَنَا اسْتَغْفِرُ اللَّهَ لَكُمْ وَ
هُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ فِى تَجَاوُزِهِ عَنْ ذُنُوبِكُمْ أَوْ بِمَا فَعَلَهُ بِي مِنْ حَسَنِ صَنِيعِهِ وَ تَكْرَمَتِهِ. ٩٣- أَذْهَبُوا بِقَمِيصَتِي هَذَا فَالْقُوْهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي
... أَى قَالَ يُوْسُفَ لِإِخْوَتِهِ بَعْدَ أَنْ تَمَّ التَّعَارُفُ بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَهُ وَ عَاتَبَهُمْ وَ سَامَحَهُمْ وَ اسْتَغْفَرَ لَهُمْ ذَنْبَهُمْ أَذْهَبُوا بِقَمِيصَتِي هَذَا فَالْقُوْهُ أَى
ضَعُوْهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرَةً أَى يَعُوْدُ حَدِيدَ النَّظَرِ سَلِيمَ الْعَيْنِينَ وَ هَذَا الْقَمِيصُ- عَلَى مَا فِى بَعْضِ الرِّوَايَاتِ- هُوَ الَّذِى أَلْبَسَهُ اللَّهُ
إِبْرَاهِيمَ بِوَسْطَةِ جِبْرَائِيلَ يَوْمَ أَلْقَاهُ نَمْرُودَ فِى النَّارِ فَجَعَلَهَا بَرْدًا وَ سَلَامًا ثُمَّ أَلْبَسَتْهُ جِبْرَائِيلَ يُوْسُفَ يَوْمَ أَلْقَاهُ إِخْوَتَهُ فِى الْبُئْرِ فَصَارَ عَلَيْهِ
الْبُرِّ سَلَامًا. وَ أَتَوْنِيْ بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ أَى أَحْضَرُوْهُمْ جَمِيعًا. وَ قَالَ يُوْسُفَ (ع) إِنَّمَا يَذْهَبُ بِقَمِيصَتِي هَذَا إِلَى أَبِي مِنْ ذَهَبٍ بِقَمِيصَتِي
الْمَلَطَّخِ بِالْدَّمِ يَوْمَ فَارَقْتُ أَبِي. فَقَالَ يَهُودَا: أَنَا ذَهَبْتُ بِهِ يَوْمَئِذٍ وَ أَخْبَرْتَهُ بِقِصَّةِ الذَّنْبِ. قَالَ يُوْسُفَ (ع): أَذْهَبُ بِهِذَا وَ أَخْبِرُهُ أَنِّى حَى
فَأَخْرَجَهُ كَمَا أَحْزَنَتْهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ. ٩٤- وَ لَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوْهُمْ ... فَصَلَّتْ أَى عِنْدَ مَا انْفَصَلَتْ قَافِلَةُ أَبْنَاءِ يَعْقُوبَ عَنْ مِصْرَ وَ فَارَقَتْهَا مِنْ
عِنْدِ يُوْسُفَ مُتَجَهَّةً نَحْوَ أَرْضِ كِنْعَانَ. قَالَ أَبُوْهُمْ أَى يَعْقُوبَ (ع) قَالَ لِلْحَاضِرِينَ فِى مَجْلِسِهِ إِنِّى لَأَجِدُ رِيْحَ يُوْسُفَ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ
(ع): وَجَدَ يَعْقُوبَ رِيْحَ قَمِيصِ يُوْسُفَ وَ هُوَ بِفِلَسْطِينَ مِنْ مَسِيرَةِ عَشْرِ لَيَالٍ. قَائِلًا لَهُمْ: لَوْ لَا أَنَّ تُفَنِّدُونِ أَى لَوْ لَا أَنَّ إِرْشَادَ الْأَذْهَانَ إِلَى
تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ٢٥٢ تَسْفَهُونِى أَوْ تَكْذِبُونِى. ٩٥- قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ: أَى أَنَّ الْحَاضِرِينَ أَجَابُوْهُ: نَقَسَمَ بِاللَّهِ إِنَّكَ
كَمَا كُنْتَ قَبْلَ فِرَاقِ يُوْسُفَ مَفْرَطًا فِى حُبِّهِ وَ إِيْثَارِهِ، مُبْتَعِدًا عَنِ الصَّوَابِ فِى أَمْرِهِ، وَ كَانُوا يَعْتَقِدُونَ مَوْتَ يُوْسُفَ مِنْذُ سَنِينَ بَعِيدَةٍ. ٩٦-
فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ ... أَى لَمَّا وَصَلَ يَهُودَا حَامِلَ الْبَشَارَةِ بِحَيَاةِ يُوْسُفَ إِلَى يَعْقُوبَ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ أَى طَرَحَ الْقَمِيصَ عَلَى وَجْهِ أَبِيهِ
يَعْقُوبَ فَارْتَدَّتْ أَى عَادَ بَصِيرَةً سَلِيمَ النَّظَرِ صَحِيحَ الْعَيْنِينَ وَ عَادَتْ إِلَيْهِ جَمِيعُ قَوَاهِ يَعْقُوبَ لِلْحَاضِرِينَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ أَمَا أَخْبَرْتُكُمْ إِنِّى
أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ مِنْ حَيَاةِ يُوْسُفَ وَ عَدَمِ الْيَأْسِ مِنْ رُوحِ اللَّهِ عَزَّ اسْمُهُ وَ إِنَّهُ سَيَجْمَعُ بَيْنَنَا وَ بَيْنَهُ تَصْدِيقًا لِرُؤْيَاةِ وَ كُنْتُمْ تَجْهَلُونَ
ذَلِكَ. ٩٧- قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ أَى: آثَمِينَ فِيمَا فَعَلْنَا وَ الَّذِينَ قَالُوا ذَلِكَ هُمُ أَخُوْهُ يُوْسُفَ. ٩٨- قَالَ سَوْفَ
أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّى ... قَدْ وَعَدَهُمُ بِالْإِسْتِغْفَارِ وَ لَمْ يَظْهَرْ مِنَ الْآيَةِ الشَّرِيفَةِ أَنَّهُ عَفَا عَنْهُمْ وَ اسْتَغْفَرَ لَهُمْ حَالًا، إِذْ رَوَى أَنَّهُ أَخَّرَ الْإِسْتِغْفَارَ إِلَى
السَّيْحَرِ مِنْ لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ، كَمَا رَوَى أَنَّهُ أَجْلَهُ لِسَحَرِ لَيْلَتِهِ تِلْكَ. إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَاضِحَ الْمَعْنَى وَ قَدْ مَرَّ. وَ قَدْ رَوَى أَنَّ يَعْقُوبَ (ع)
بَقِيَ نِيْفًا وَ عَشْرِينَ سَنَةً يَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لَذَنْبِ أَوْلَادِهِ حَتَّى غَفَرَ لَهُمْ. ٩٩- فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوْسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ ... أَى لَمَّا وَصَلَ يَعْقُوبَ وَ
مِنْ مَعَهُ إِلَى مِصْرَ وَ دَخَلُوا عَلَى يُوْسُفَ فِى دَارِ مَلِكِهِ ضَمَّ يُوْسُفَ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَ أَنْزَلَهُمَا عِنْدَهُ. وَ قَدْ ذَكَرَ أَكْثَرَ الْمَفْسِّرِينَ أَنَّ أُمَّ يُوْسُفَ
كَانَتْ قَدْ مَاتَتْ وَ أَنَّ مِنْ كَانَتْ مَعَ يَعْقُوبَ هِىَ زَوْجَةُ أَبِيهِ أَى خَالَتُهُ فَسَمَّى الْخَالََةَ أُمًا كَمَا سَمَّى فِى الْقُرْآنِ الْعَمَّ أَبَا. وَ قَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ

إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِينَ أَيُّ فِي حَالِ كَوْنِكُمْ فِي أَمْنٍ مِنْ خَوْفِ الْقَحْطِ وَالْمَشَقَّةِ وَجَمِيعِ أَصْنَافِ الْمَكَارِهِ. وَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ تَعْلِيْقَ دُخُولِهِمْ مِصْرَ عَلَى الْمَشِيئَةِ لِأَنَّ النَّاسَ كَانُوا يَخَافُونَ مِنْ دُخُولِ مِصْرَ بِغَيْرِ إِجَازَةِ الْفِرَاعْنَةِ. وَقِيلَ إِنَّهُمْ لَمَّا دَخَلُوا مِصْرَ كَانُوا ثَلَاثًا وَسَبْعِينَ نَسْمَةً. وَأَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ - وَهُمْ أَبْنَاءُ يَعْقُوبَ وَ ذُرَارِيهِمْ - قَدْ خَرَجُوا مَعَ مُوسَى (ع) وَهُمْ سِتْمِائَةُ أَلْفٌ وَخَمْسَمِائَةُ وَبَضْعٌ وَسَبْعُونَ رَجُلًا، وَ مِائَتَا أَلْفَ امْرَأَةٍ وَ طِفْلٍ. وَ كَانَ فِرْعَوْنُ فِي عَهْدِ مُوسَى مِنْ أَوْلَادِ الرِّيَّانِ فِرْعَوْنَ مِصْرَ فِي أَيَّامِ يُوسُفَ. ١٠٠- وَ رَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ ... أَيُّ فَرَعَ يُوسُفَ أَبَاهُ وَ خَالَتَهُ عَلَى سَرِيرِ الْمَلِكِ. وَ ذَلِكَ بَعْدَ أَنْ دَخَلَ الْجَنَاحَ الْخَاصَّ بِهِ وَ أَذْهَنَ وَ تَطَيَّبَ وَ اكْتَحَلَ وَ لَبَسَ ثِيَابَ الْعِزِّ بَعْدَ أَنْ كَانَ لَا يَتَطَيَّبُ وَ لَا يَكْتَحِلُ مَدَّةَ فِرَاقِ أَبِيهِ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَى هَذِهِ الْهَيْئَةِ الْفَتَانَةِ وَ قَرَّبَ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَ خَرُّوا لَهُ سُجَّدًا أَيُّ سَجَدُوا شُكْرًا لِلَّهِ مِنْ أَجْلِ مَا أَعْطَاهُ مِنْ نِعَمٍ وَ قَالَ يُوسُفَ (ع): يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ أَيُّ هَذَا تَفْسِيرُ الْحَلْمِ الَّذِي رَأَيْتَهُ فِي مَنَامِي مِنْ قَبْلِ أَيُّ مِنْذُ زَمَنٍ بَعِيدٍ حَيْثُ قَصَصْتَ ذَلِكَ عَلَيْكُمْ قَدْ جَعَلَهَا أَيُّ الرُّؤْيَا رَبِّي حَقًّا يَعْنِي صَدَقًا. وَقِيلَ إِنَّهُ كَانَ بَيْنَ رُؤْيَاهُ وَ بَيْنَ تَأْوِيلِهَا أَرْبَعُونَ سَنَةً، وَقِيلَ ثَمَانُونَ. وَقَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ تَعَالَى رَبِّي أَيُّ لَطْفَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ بَعْدَ تِلْكَ الْفَرِيئَةِ، وَ جَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ أَنْتُمْ كَانُوا مِنْ أَصْحَابِ الْمَوَاشِي يَرْتَحِلُونَ فِي طَلَبِ الْكَلَالِ وَ الْمَرَاعَى لِمَوَاشِيهِمْ - جَاءَ بِكُمْ إِلَى هَذَا الْمَلِكِ بَعْدَ الْبَدَاوَةِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَّغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَ بَيْنَ إِخْوَتِي أَيُّ بَعْدَ أَنْ أَفْسَدَ الشَّيْطَانُ بَيْنَهُمْ وَ تَحَرَّشَ بِهِمْ فَأَوْقَعَهُمْ فِي الْحَسَدِ فَارْتَكَبُوا مَا ارْتَكَبُوهُ. إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ أَيُّ يَدْبِرُ أُمُورَهُمْ عَلَى مَا يَرِيدُ وَ قَدْ شَاءَ بِلُطْفِهِ أَنْ يَجْمَعَ شَمْلَنَا وَ أَلْفَ بَيْنَنَا بَعْدَ تِلْكَ الْوَحْشَةِ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ مَرَّ مَعْنَاهُ. ١٠١- رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ ... أَيُّ أَنْ يُوسُفَ فِي مَنَاجَاتِهِ مَعَ اللَّهِ، قَالَ رَبِّ قَدْ أَعْطَيْتَنِي مَلِكَ مِصْرَ بَعْدَ أَنْ أَعْطَيْتَنِي النُّبُوَّةَ وَ قَدْ قِيلَ: بَأَنَّ مِنْ هُنَا هِيَ لِلتَّبْعِيضِ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ الْمَلِكُ كُلُّهُ بَلْ كَانَ لَهُ شَيْءٌ مِنْهُ فَعَنِ الْإِمَامِ الْبَاقِرِ (ع): إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَبْعَثْ أَنْبِيَاءَ مَلُوكًا إِلَّا أَرْبَعَةً ... إِلَى أَنْ قَالَ: وَ أَمَّا يُوسُفَ فَقَدْ مَلَكَ مِصْرَ وَ بَرَارِيهَا وَ لَمْ يَتَجَاوَزْهَا إِلَى غَيْرِهَا ... وَ عَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَأَفْهَمْتَنِي مَا يُؤْدِي بِي إِلَى مَعْرِفَةِ مَا لَا يَعْرِفُهُ غَيْرِي، وَقِيلَ تَأْوِيلُ الْأَحَادِيثِ أَيُّ تَأْوِيلُ الرُّؤْيَا. فَاطَرُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ أَيُّ مَبْدَعُهُمَا وَ خَالِقُهُمَا مِنْ الْعَدَمِ أَنْتَ وَلَيْتِي فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ أَيُّ مَتَوَلَّى أُمْرِي وَ نَاصِرِي فِي مَعَاشِي وَ مَعَادِي تَوَفَّنِي مُسْلِمًا أَيُّ اقْبِضْنِي إِلَيْكَ عَلَى الْإِيمَانِ بِكَ وَ التَّسْلِيمِ إِلَيْكَ وَ الْأَحْقَنِ بِالصَّالِحِينَ وَ اجْعَلْنِي مَعَ صَالِحِي عِبَادِكَ الَّذِينَ ارْتَضَيْتَهُمْ. ١٠٢- ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ... أَيُّ أَنْ بَيَّانَ قِصَّةِ يُوسُفَ الَّتِي قَصَصْنَاهَا مِنْ جَمَلَةِ الْأَخْبَارِ الْغَيْبِيَّةِ الَّتِي نَزَّلَهَا إِلَيْكَ يَا مُحَمَّدٌ بِوَسْطَةِ الْمَلَائِكَةِ وَ مَا إِرْشَادِ الْأُذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ٢٥٣ كُنْتُ لَمَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ أَيُّ وَ لَمْ تَكُنْ عِنْدَ أَوْلَادِ يَعْقُوبَ إِذْ اتَّفَقُوا عَلَى إِلْقَاءِ يُوسُفَ فِي الْبُئْرِ وَ هُمْ يَمْكُرُونَ أَيُّ يَحْتَالُونَ فِي أَمْرِ يُوسُفَ. وَقِيلَ بَأَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: وَ مَا كُنْتُ لَمَدَيْهِمْ إِلَى آخِرِ آيَةِ تَنْدِيدِ بَعْلَمَاءِ الْيَهُودِ الَّذِينَ كَانُوا قَدْ سَأَلُوا النَّبِيَّ (ص) عَنْ قِصَّةِ يُوسُفَ وَ طَمَعُ فِي إِيْمَانِهِمْ بَعْدَ سَمَاعِهَا وَ لَكِنْهُمْ أَصْرُوا عَلَى الْكُفْرِ. ١٠٣- وَ مَا أَكْثَرَ النَّاسَ وَ لَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ... أَيُّ وَ لَيْسَ أَكْثَرَ النَّاسَ بِمُصَدِّقِينَ وَ لَوْ اجْتَهَدْتَ فِي دَعْوَتِهِمْ إِلَى الْإِيمَانِ. ١٠٤- وَ مَا تَسْتَلْهُمُ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرِ ... لَسْتَ تَطْلُبُ مِنْهُمْ يَا مُحَمَّدُ أَجْرَهُ دُنْيَوِيَّةً مَادِيَّةً إِنَّهُ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ أَيُّ هَذَا الَّذِي نَزَّلَهُ عَلَيْكَ، مَا هُوَ إِلَّا مَوْعِظَةٌ وَ تَذَكِيرٌ. لِلْعَالَمِينَ لِسَائِرِ النَّاسِ. ١٠٥- وَ كَأَيُّنَ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ ... أَيُّ كَمْ مِنْ حُجَّةٍ وَ بَرْهَانٍ فِيهِمَا تَدُلُّ عَلَى وَجُودِ اللَّهِ وَ وَحْدَانِيَّتِهِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا تَعْتَرِضُهُمْ وَ تَقَعُ تَحْتَ أَبْصَارِهِمْ وَ هُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ مُنْصَرِفُونَ عَنِ التَّفَكُّرِ وَ التَّدَبُّرِ فِيهَا. ١٠٦- وَ مَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ ... فَالْأَكْثَرُ مِنْهُمْ لَا يَصَدِّقُ بِالْدَّعْوَةِ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ إِلَّا وَ هُمْ مُشْرِكُونَ وَ الشِّرْكَ هُنَا شِرْكُ طَاعَةِ وَ لَيْسَ شِرْكُ عِبَادَةٍ، إِذْ إِنَّهُمْ يَعْمَلُونَ بِالْمَعَاصِي إِطَاعَةً لِلشَّيْطَانِ فَهُمْ يَعْبُدُونَ اللَّهَ وَ يَطِيعُونَ سِوَاهُ. ١٠٧- أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ ... يَعْنِي هَلْ أَمِنُوا جَانِبَ النِّقْمَةِ وَ أَنْ تَجِيَّهُمْ عِقَابُهُ تَعَمُّ الْجَمِيعَ فَلَا تَخْلِي أَحَدًا، وَ تَكُونُ نَوْعًا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ كَالْخَسْفِ وَ الزَّمِي بِالْحِجَارَةِ مِنَ السَّمَاءِ وَ كَالرِّيحِ الصَّرْصَرِ وَ عَذَابِ يَوْمِ الظَّلَّةِ وَ غَيْرِهَا. أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَمْ أَمِنُوا أَنْ تَقُومَ الْقِيَامَةُ فَجَاءَ وَ هُمْ لَا يَشْعُرُونَ أَيُّ وَ هُمْ غَافِلُونَ عَنْ قِيَامِهَا بَيْنَ يَدَيِ رَبِّ الْأَرْبَابِ. فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: تَهْجُمُ الصَّيْحَةُ بِهِمْ وَ هُمْ فِي الْأَسْوَاقِ. ١٠٨- قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي، أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ ... قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْكُفْرَةِ وَ لَغَيْرِهِمْ: هَذِهِ طَرِيقِي الْوَاضِحَةُ، وَ أَنَا أَدْعُو النَّاسَ إِلَى الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَ عَدْلِهِ وَ تَوْحِيدِهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَيُّ بِمَعْرِفَةٍ تَامَةٍ وَ حُجَّةٍ قَاطِعَةٍ لَا تَقْلِيدًا. أَنَا وَ مَنْ اتَّبَعَنِي أَيُّ ادْعُوهُمْ أَنَا وَ يَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ كَذَلِكَ مِنْ صَدَقَ بِي وَ سُبْحَانَ اللَّهِ تَزْيِيلُهَا لَهُ وَ تَقْدِيسُهَا وَ مَا أَنَا لَسْتُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ يَعْبُدُونَ

غيره معه. ١٠٩- وما أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا ... أى إن كنت رجلاً مرسلًا من قبلنا ولم تكن ملكًا كما طلب المعاندون، فإننا لم نرسل قبلك إِلَّا رجالا وقد كنا نُوحِي إِلَيْهِمْ نَزَلَ عَلَيْهِمُ الْوَحْيُ عَلَى يَدِ رَسُولِنَا الْأَمِينِ جِبْرَائِيلَ (ع) وَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أى من أهل المدن لا- من سكان البوادي. وقد قيل بأنه سبحانه لم يرسل نبيا قط من أهل البادية ولا من الجن ولا من النساء أَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ أى أما جال وتقل هؤلاء المشركون المعاندون فى الأرض فَيَنْظُرُوا وَيَرَوْا بَعِينَ عَقْلَهُمْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أى كيف كانت نهاية من سبقهم من معاندى الرسل ومكايديهم وكيف أن الله أهلكهم فاعتبروا بمصيرهم ويتعظوا؟ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ مِنْ دَارِ الدُّنْيَا لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَا يَغْضَبُ اللَّهَ وَتَجَنَّبُوهُ، وَعَمِلُوا بِأَمْرِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ أى أفلا تفهمون أيها الناس ما يقال لكم فتستبصروا. ١١٠- حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا ... يعنى لا تهتم يا محمد بمن لا يؤمن، فليس عليك من حسابهم من شىء حتى إذا بلغوا حالة يأس الرسل عن إيمانهم وتيقن أولئك الرسل أن أقوامهم كذبوهم على نحو العموم بحيث لم يعودوا يرجون إيمان ولو واحد منهم جاءهم نَصِيرُنَا أى ورد عليهم خبر صدق ما بعثناهم به حين أُنذِرُوا النَّاسَ وَخَوْفُهُمُ النِّقْمَةَ، فَحَلَّتِ النِّقْمَةُ بِالْمُكَذِّبِينَ فَنَجَّى مَنْ نَشَاءُ أى خلص من الهلاك ونجا من العذاب من نريد من المؤمنين وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا أى لا يقف فى وجه بلاتنا والبؤس الذى ننزله مع نَقْمَتِنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ أى المشركين. ١١١- لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولَى الْأَلْبَابِ ... أى لقد كان فى قصص يوسف و إخوته موعظة و بصيرة من الجهل لذوى العقول الكاملة ما كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى أى أن القرآن ما كان خبرا مكذوبا وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيَّنَّ يَدَايِهِ بَلْ كَانَ تَصْدِيقًا وَتأييدا لما سبقه من الكتب السماوية كالتوراة والإنجيل وغيرهما. وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ أى بيانا لكل ما يحتاج الإنسان إليه فى أمور دينه ودنياه وَهُدًى لِدَلِيلٍ وَرَحْمَةً لَطِيفًا وَنِعْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ لجماعه يصدقون بما جاء فيه. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٢٥٤

سورة الرعد مدنية، عدد آياتها ٢٣ آية

١- المر ... قد سبق الكلام فى تفسير: الم و نظائره فى أول سورة البقرة. تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ أى هذه السورة هى آيات القرآن ليست بمفتريات وَالَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ أى وهذا القرآن الذى أنزل إليك من الله وحيا قدسياً، هو الْحَقُّ الثَّابِتُ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا- يُؤْمِنُونَ جَلَّهْمُ يَكُونُونَ مُعَانِدِينَ فَلَا يَصْدَقُونَ لَا بكونه من عند الله ولا بحقانيته مع وضوح آياته و بيناته. ٢- اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ... فى الآية احتمالان: الأول: نفى وجود عمد للسموات المرفوعة أصلا و عليه يكون المعنى انه سبحانه رفع السموات من غير عمد و أنتم ترونها كذلك. و الثانى: إثبات العمد للسموات المرفوعة و لكنها غير مرئية و عليه يكون المعنى انه رفع السموات بعمد غير مرئية لكم و هذه العمد هى قدرة الله تعالى. ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ أى استولى عليه بقدرته و سلطانه وَ سَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ أى ذللهما لمنافع خلقه، كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أى كل واحد منهما يجرى إلى وقت معين يتم فيه أدواره، و الله تعالى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ أى أمور ملكه و ملكوته فى الأرض و السموات يُفْصِّلُ الْآيَاتِ أى ينزلها و يبينها تفصيلا، أو المراد إتيانها آية بعد آية فصلا فصلا، لَعَلَّكُمْ يَلْقَاءُ رَبَّكُمْ تَوْفَئُونَ أى لكى تصدقوا بالبعث و الحساب. ٣- وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ ... و المراد بمد الأرض دحوها و بسطها طولا و عرضا لمنافع خلقه وَ جَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَ أَنْهَارًا أى جبالا ثوابت و شق فيها أنهارا تجري فيها المياه. وَ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ أى صنفين مختلفين: أسود و أبيض، و حلوا و حامضا، و صيفيا و شتوياً .. يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ أى تغطى ظلمة الليل ضوء النهار إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ أى فيما ذكر دلائل واضحة على وحدانية الله و قدرته لقوم يتدبرونها. ٤- وَ فِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ ... أى أقسام متلاصقة متقاربة و هى مع ذلك مختلفة من حيث السهولة و الحزونة، و منها السبخة و الصالحة للزرع و غير الصالحة. وَ جَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَ زُرْعٌ وَ نَخِيلٌ صِنْوَانٌ جَمْعُ صِنَوٍ أو النخلات من أصل واحد، وَ غَيْرُ صِنْوَانٍ أى النخلات من أصول شتى. يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ مِنَ الْأَنْهَارِ أو من السماء وَ نُفِضَ لُبَّهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ فى الأثر و الثمر و القدر و الشكل و اللون و الطعم و غيرها. إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ أى فيما ذكرناه دلالات واضحة على وحدانية الله و قدرته

لقوم يتدبرونها ويفهمونها. ٥- وَإِنْ تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ ... يعنى يا محمد، إن تعجب و تستغرب إنكار الكفرة البعث مع إقرارهم بإبداع الخلق أول مرة فاستغرباك فى محله لأن قولهم عجيب فعلاً أ إذا كُنَّا تُرَاباً أ إِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ مقول قولهم العجيب أى أنعاد كما كنا من جديد بعد أن صرنا إلى تراب، و وجه العجب فى إنكارهم عدم تعقلهم ان خلقهم الأول الذى أقروا به هو أصعب و أكمل من الثانى لأنه إنشاء و هذا ترميم أولئك الذين كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أى الذين أنكروا البعث هم الذين جحدوا بقدرة الله و أولئك الأغلال فى أعناقهم ستوضع قيود النار فى رقابهم يوم القيامة و أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون باقون إلى أبد الأبد. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٢٥٥ ٦- وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلِ الْحَسَنَةِ ... و ذلك بأنهم سألوا رسول الله (ص) أن يأتيهم بالعذاب استهزاء منهم بقوله. و المعنى: يستعجلك يا محمد هؤلاء المشركون بالعذاب قبل الرحمة و قد خلت من قبلهم المثلاث أى مضت قبلهم عقوبات أمثالهم من المكذبين للرسل كالحسيف و المسخ و الرجفة و غيرها و إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ أى هو متجاوز عنهم بالرغم من الحالة التى هم عليها من المعاصى و الآثام و إِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ للمستحق و هذه الآية تضمنت مبدأ الترغيب و الترهيب و الخوف و الرجاء. ٧- وَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ ... أى اقترحوا على النبى (ص) معجزة كعصا موسى و إحياء الموتى و نحوهما من المعاجز التى صدرت عن الأنبياء قبله (ص). فالله تعالى لم يعتن بما سأله لاستلزامه العبث و يؤدى إلى ما لا نهاية بل قال إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ، وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ أى إنما أنت مخوف من العقاب و مرشد لكل قوم إلى الحق و الخير و ليس بيدك إنزال الآيات و المعجزات. ٨- اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى ... أى أنه سبحانه يعلم حمل المرأة ذكراً كان أو أنثى أو سقطاً لأنه يعلم ماذا خلق، و ما تغيض الأرحام أى و يعلم ما تنقص فضع المولود أو تسقطه قبل تمام مدته و ما تزداد من حيث المدّة و الخلقة و غيرها و كُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ أى بقدر محدد على وفق الحكمة. ٩- عَالِمُ الْغَيْبِ وَ الشَّهَادَةِ ... أى عارف بما غاب عن حس العباد و بما يشاهدونه و عالم السر و العلانية و الموجود و المعدوم. الكبير فى قدرته و علمه المتعال فى شأنه و عظمته و المنزه عما يقوله المشركون فى ذاته و صفاته و أفعاله. ١٠- سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَ مَنْ جَهَرَ بِهِ ... أى يستوى فى علمه من أخفى شيئاً فى نفسه و من أعلنه، و مَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ أى طالب للخفاء فيه و سارِبٌ بِالنَّهَارِ أى ذاهب فى سره متبع طريقه علناً. ١١- لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ... أى أنه سبحانه جعل للإنسان ملائكة يتعاقبون فى حفظه ليلاً و نهاراً أمامه و ورائه و من جميع جهاته بأمر الله سبحانه إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ مِنْ عَافِيَةٍ أَوْ نَعْمَةٍ حَتَّى يُعَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ مِنْ الطَّاعَةِ بِالْمَعْصِيَةِ أَوْ العكس. و إذا أراد الله بقوم سوءاً أى عذاباً و بلاء فلا مردّ له أى لا مدفع له و ما لهم للناس جميعاً مِنْ دُونِهِ مِنْ وَّالٍ مالِك يقدر أن يلى أمورهم و يستطيع أن يردّ السوء عنهم و يتولى مصالحهم. ١٢- هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفاً ... أى أنه سبحانه يرسل البرق نذيراً لمن كان يخاف ضرر المطر و الغيث و لذلك قال تعالى: وَ طَمَعاً فى نزول المطر لمن كان ينتظره أو يرغب فيه لزرعه و ماشيته و نفسه. و يُنْشِئُ السَّحَابَ الثَّقَالَ أى و يخترع و يخلق الغيوم المثقلة بالماء و يرفعها من الأرض إلى طبقات الجو العليا. ١٣- وَ يُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ ... تسبيح الرعد دلالة على تنزيه الله و وجوب حمده فكأنه هو المسبح و روى أن النبى (ص) سئل عن الرعد فقال: ملكٌ موكل بالسحاب معه، و عليه فالمعنى: أن الملك الموكل بالسحاب ينزه الله و يحمده و هو يزر السحاب و هو الذى يُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَ الصَّوَاعِقُ: جمع صاعقة، و هى النار التى تسقط من السماء أثناء الرعد الشديد و البرق الخاطف، و كلّ عذاب مهلك يقال له الصاعقة. وَ هُمْ يُجَادِلُونَ فى الله أى هؤلاء الجهلة يحاجون و يخاصمون فى قدرة الله مع ما يشاهدونه من الآيات وَ هُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ قَوَى الكيد، شديد القدرة و العذاب للمجادلين بالباطل. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٢٥٦ ١٤- لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ ... اختلفوا فى معنى دعوة الحق، و أنسب ما يقال فى المقام أن المراد بالحق كلمة الإخلاص التى هى قول: لا إله إلا الله، أو أن يقال: الحق هنا نقيض الباطل، وَ الَّذِينَ يَدْعُونَ أى و الذين يدعونهم المشركون من الأوثان لحاجاتهم مِنْ دُونِهِ سِوَاهُ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ لَا- تستجيب أصنامهم لهم أديعتهم و لا- توصل إليهم شيئاً يطلبونه. إِلَّا كَبَاسِطٍ كَفَيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيُثْبَغَ فَاهُ وَ هُوَ بِإِلَغِهِ أى كالعطشان الذى يبسط كفيه إلى الماء عن بعد ليتناوله و يروى به عطشه و لكن ذلك الماء لا يبلغ فاه لبعده المسافة فكذلك ما كان يعبد

المشركون من الأوثان لا يصل نفعها إليهم ولا يستجيبون لدعائهم لأنهم لا يسمعون ولا يبصرون ولا يعقلون وما دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ لا يصادف محل إجابة ليكون في طريقه المستقيم للإجابة. ١٥- وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ... أى أن كل من فى السماوات والأرض شأنه السجود لعظمته سبحانه ويجب عليه السجود. ويسمى لهذا بالسجود الشأنى، وهو بهذا المعنى عام والمراد به عام. أو أن المراد بالسجود الخضوع والاعتراف بالعبودية، وهو بهذا المعنى أيضا عام لأن كل من فى السماوات والأرض معترفون ومقرّون بالعبودية، طوعاً وكرهاً أى باختياره، وقهراً، وكذلك يكون شأن المخلوق لخالقه، وكذلك تسجد ظلالهم بِالْغَدُوِّ وَالْأَصَالِ والغدوة هى البكرة أو بين طلوع الفجر و شروق الشمس، والآصال: جمع أصيل، وهو هنا الوقت الواقع بين العصر والمغرب. وقيل إن كل ظل يسجد لله تعالى ولو كان ذو الظل لا يسجد، أو إذا سجد، سجد لغيره تعالى. وقيل: أريد بالظل الجسد لأنه ظل الروح. ١٦- قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ... أى يا محمد أسأل هؤلاء الكفرة: من رب السماوات والأرض وخالقهما ومتولى أمرهما؟ قُلِ اللَّهُ أَى أَجِبِهِمْ بذلك إذ لا جواب غيره قُلْ: أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا؟ الهمزة للإنكار، أى: فكيف اتخذتم غيره يتولى شؤونكم مع أن الأصنام التى اتخذتموها لا تملك نفعاً ولا ضراً.. قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَى الكافر والمؤمن أم هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَى الكفر والإيمان؟. والحاصل أنه لا يستوى من يعيش فى ظلمة الكفر والشرك ولا يبصر شيئاً، مع من هو فى نور الإيمان و حقيقة اليقين أم جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ إِلَى آخِرِهَا. الهمزة فيها للإنكار. وحاصل الآية الكريمة أنهم ما اتخذوا لله شركاء مثله تعالى فى القدرة والخلق حتى يشبه الأمر على الناس، ولا بين مخلوقين له ولشركائه، حتى يتشابه ما خلقه وما خلقته أصنامهم، بل أمر الخلق وفعله هو من مختصات الله سبحانه ولا يقدر عليه أحد غيره وهو الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ المتوحد فى الربوبية، الغالب على كل شىء القاهر لكل جبار عنيد. ١٧- أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ... أى مطراً فسالت منه أَوْدِيَةً جمع واد وهو المنخفض بين الجبلين الذى تجرى فيه المياه بقدرها أى بقدر اتساع المجارى و ضيقها، أو على حسب المصلحة فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا أى أن السيل جرف معه ما استعلى على وجهه من ذلك الأبيض المتنفخ فقابع وأوساخاً. وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ أى مثلما يعلو الزبد على وجه الماء حين جريانه الشديد، يعلو على صفحته ما يوقد عليه النار عند تذيويه كأنواع الفلزات من حديد وذهب وفضة، لطلب زينه أو لأى انتفاع آخر كالأوانى وغيرها. فَإِنَّ الْحَاصِلَ مِنْ تِلْكَ الْمَعَادِنِ عِنْدَ تَذْوِيهَا يكون على سطحه زبد كزبد السيل وهو خبث المعادن وغشها كذلك يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ أى كذلك يشبه الإيمان والكفر بالبصير والأعمى، والنور والظلمة، فالحق والإيمان شبههما بالماء الصافى النافع للخلق المستقر فى الأودية للارتفاع، وشبه الباطل والكفر بالزبد الذاهب الذى لا ينتفع به أبداً. ١٨- لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ الْحُسْنَى ... أى للذين سمعوا دعوة ربهم وآمنوا بها وأجابوا داعيه، لهم الحسنى وهى الجنة والَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ مَا أَطَاعُوهُ وَلَا أَجَابُوا دَعْوَتَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يَضَاعَفُ لَهُمْ أَيْضًا مَعَهُ وَمِثْلُهُ مَعَهُ لَأَفْتَدُوا بِهِ ثُمَّ جَعَلُوا ذَلِكَ كُلَّهُ فِدْيَةً عَنْ أَنْفُسِهِمْ مِنَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لا يقبل منهم، أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ أى أسوأ وأتعسه. وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ أى مصيرهم إلى جهنم وبئس ما مهدوا لأنفسهم نار جهنم فراشا موطاً لنومهم. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٢٥٧ ١٩- أَفَمَنْ يَعْلَمُ ... كَمَنْ هُوَ أَعْمَى ... أى ليس من يعرف أن ما أنزل إليك من القرآن حق، كالذى هو أعمى القلب والبصيرة. إنما يتفكر فيه ويستدل أولو العقول. وهذه الآية الكريمة تحت على طلب العلم للوصول إلى المعرفة الحقّة، لأنه إذا كان حال الجاهل كحال الأعمى وحال العالم كحال البصير، وأمكن لهذا الأعمى أن يصير بصيراً فما الذى يقعه عن طلب العلم الذى يخرج من حال العمى إلى حال الإبصار. ٢٠- الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ ... أى بما عقدوه على أنفسهم لله سبحانه ولا- يَنْقُضُونَ أى لا ينكثون الميثاق وهو ما أوثقوا نفوسهم به فيما بينهم وبينه تعالى أو بينهم وبين العباد. وهذا تعميم بعد تخصيص، لأن الميثاق أعم، والعهد هو العقد بين العبد والخالق أو بين المخلوق والمخلوق، وينبغى القيام بشروطه غير منقوصة. ٢١- وَالَّذِينَ يَصِّلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ... هم أيضاً- عطفوا على من سبق- يقومون بأوامر الله تعالى ونواهيه. وعن الصادق عليه السلام: نزلت فى رحم آل محمد، وقد تكون فى قرابتك. وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ أى هو له و

قيل: هو أن يحسب عليهم السيئات ولا يحسب لهم الحسنات. ٢٢- وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ ... أى صبروا على طاعته وعن معصيته وعلى بلائه طلبا لرضاه وَيَذَرُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أى يدفعون بالطاعة المعصية، وبالعمل الصالح العمل القبيح، وَأُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ عاقبتها الحسنه وهى الجنة. ٢٣- جَنَّاتٌ عِدْنُ يَدْخُلُونَهَا ... وهذه الآية إلى آخر الآية التالية وقوله: بما صبرتم، بيان لعقبي الدار. وقد روى أنها نزلت فى الأئمة (ع) وشيعتهم الذين صبروا. ٢٤- سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ ... أى يسلمون عليهم ويحيونهم بسبب صبرهم فى الدنيا. وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ من أبواب الجنة يقولون سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ إلخ ... ٢٥- وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ ... أى يدعون ما أوثقوا به أنفسهم من الإقرار والقبول. وقد روى أنها فى ولاية أمير المؤمنين (ع). وهذه الآية المباركة على طرف نقيض مع الآية السابقة. فالذين ينقضون ذلك العهد وَيُفْسِدُونَ فى الْأَرْضِ بتهييج الفتن والحروب والظلم أولئك لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ أى عذاب يوم القيامة ومصيره السيئ. ٢٦- اللَّهُ يَبْشُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ ... أى: يوسع الرزق: وَيَقْدِرُ: يضيقه بحسب المصلحة وَفَرَحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فى الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ أى أن الدنيا فى جنب الآخرة متاع زائل. ٢٧- وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ ... أى يطلبون معجزة كعصا موسى وناقته صالح، فقل لهم يا محمد: إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ أى يخذله بسوء فعله ويحرمه عنايته لعدم اعتداده بالآيات المنزلة. وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ أى رجع عن الفساد إلى الطاعة والحق. ٢٨- الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ ... أى الذين صدّقوا بالله ورسوله وتأنس قلوبهم بذكر الله وتسكن إليه وقيل: الذكر هو محمد (ص) أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ تسكن وتأنس. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٢٥٨ ٢٩- الَّذِينَ آمَنُوا ... طُوبَى لَهُمْ ... أى الذين صدّقوا بالله ورسوله وعملوا ما وجب عليهم من الطاعات. لهم طوبى: قيل هى شجرة فى الجنة أصلها فى داره (ص) وقد روى عن الصادق (ع) قوله: وليس من مؤمن إلّا وفى داره غصن منها لا يخطر على قلبه شهوة شىء إلّا آتاه به ذلك الغصن، ولو أن راكبا مجداً سار فى ظلها مائه عام ما خرج منه، ولو طار من أسفلها غراب ما بلغ أعلاها حتى يسقط هرما، ألا ففى ذلك فارغوا. وقيل طوبى: مصدر من الطيب وقيل هى مؤنث أطيب. وَحُسْنُ مَآبٍ أى المآل الحسن. ٣٠- كَذَلِكَ ... أى: كما أرسلنا الرّسل قبلك أَرْسَلْنَاكَ فى أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ كثيرة. لَتَلْتَلَوْا أى لتقرأ عليهم الذى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وهو القرآن. وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّى لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابٍ يعنى: إليه توبتى ومآبى ورجوعى. ٣١- وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أى زعزعت عن مقارّها وأزيلت عن مواضعها بقرآءة القرآن عليها أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أى تشققت وتصدّعت أَوْ كَلَّمَ بِهِ الْمَوْتَى بعد إحيائهم بقرآءته عليهم، فيسمعون ويحيون. وجواب لو: محذوف، والتقدير: لكان هذا القرآن. أو: لما آمنوا لفرط عنادهم بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعاً أى له تعالى القدرة الكاملة على كلّ شىء بما فى ذلك إنزال الكتاب الذى تترتب عليه تلك الآثار. ولكن المصلحة اقتضت عدم الإنزال لأنه أعلم بما يفعل أَلَمْ يَتَّسِ الْوَالِدِينَ آمَنُوا: أَلَمْ يعلموا أن هؤلاء المطالبين بالآية قد تصيهم بما صَنَعُوا قَارِعَةً من الكفر وسوء الأفعال؟ والقارعة هى المصيبة العظيمة التى تفرعهم أَوْ تَحُلُّ قَرِيباً مِنْ دَارِهِمْ أى القارعة. فيفزعون من أن يصل إليهم شرها، ٣٢- وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْ ... فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا: الإملاء أن يترك الإنسان ويمهل ملاة من الزمان فى أمن ودعه حتى يطول الأمل ثم يؤخذ بغته، وهكذا فعلت مع الذين كفروا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ بالعذاب وأهلكتهم. فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ للمعاندین للرسول. وهذه الآية تسليّة للرسول (ص) وعيد للمستهزئين به والمقترحين عليه الآيات ٣٣- أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ ... أى رقيب وحفيظ يسمع قولها ويراقب فعالها. قُلْ سَمُّوهُمْ: لا اسم من يستحقون به الإلهية لأن الأصنام أحجار لا تعقل أَمْ تَتَّبِعُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ تَعْرِفُونَهُ بِشَىءٍ لا يعرفه ممّا فى الْأَرْضِ من مخلوقاته أَمْ يَظَاهِرُ مِنَ الْقَوْلِ إِذْ تَسْمُونَ معبوداتكم من الأوثان شركاء له من غير حقيقة واعتبار كأن الله تعالى لا يعلم حقيقة المسمى الذى تدعون. وقد بَلَّ رُزُقٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا لهم مَكْرَهُمْ كيدهم وَصُدُّوا ضَاعُوا عَنِ السَّبِيلِ الطريق الحق، ومن كان هذا شأنه فما له من هادٍ يدلّه على الصواب. ٣٤- لَهُمْ عَذَابٌ فى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ... بالقتل والسبى وأخذ الأموال، ولَعَذَابُ الْآخِرَةِ سيكون عليهم أَشَقُّ أى: أشدّ لدوامه وخلودهم فيه. ويؤمّنذ ليس لهم وما لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ أى دافع يدفع عنهم ويقيهم سخطه وغضبه. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٢٥٩ ٣٥- مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ... أى صفتها، وهى مقرّ المؤمنين، أنها تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا من تحت

قصورها الأَنْهَارُ بين بساطتها أَكْلُهَا ثمرها دائِمٌ باقٍ لا ينفد وَظِلُّهَا كذلك لا تنسخه شمس ف تِلْكَ الْجَنَّةُ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا الْمُتَّقِينَ أَى مآلهم الأخير وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ التى لا يقضى عليهم فيها فيموتوا، ولا يخفف عنهم عذابها. ٣٦- وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ ... و هم المؤمنون بك يا محمد، و الكتاب هو القرآن، يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنَ الْقُرْآنِ و قيل المراد بهؤلاء أيضا من آمن من اليهود و النصرى و ذلك لموافقته لكتابهم. و مِنَ الْأَخْزَابِ أَى الذين تحزَّبوا عليك بالعداوة من المشركين و كفره أهل الكتاب مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ و هو ما خالف أحكامهم و شريعتهم. فقل لهؤلاء إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَ لَا أُشْرِكَ بِهِ وَ لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَغَيِّرَ شَيْئًا مِنْ عِنْدِي إِلَيْهِ أَدْعُوا لآلِ إِلَى غَيْرِهِ وَ إِلَيْهِ مِيَابِ رَجوعى و رجوع الخلق أجمعين. ٣٧- وَ كَذَلِكَ أُنْزِلْنَاهُ ... أَى كما أنزلنا على الأنبياء السابقين كتباً بلسان قومهم، أنزلنا القرآن حُكْمًا عَرَبِيًّا أَى شريعته و أحكاما بلغة العرب من قومك، وَلَئِنْ أَتَيْتَ أَهْوَاءَهُمْ أَى سلكت طريقتهم و سرت بحسب رغباتهم بَعِيدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ نَاصِرٍ وَ لَا وَاقٍ دَافِعٍ يَرُدُّ عَنْكَ غَضَبَهُ وَ يَحْفَظُكَ مِنْ عِقَابِهِ. ٣٨- وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَ جَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا ... عَيرَ بَعْضَ الْمُشْرِكِينَ نَبِيَّنَا (ص) بأنه كثير الأزواج مهتم بالنساء، فنزلت هذه الكريمة تبين أن الرسل من قبله قد كانت لهم نسوة و أزواج كسليمان و داود و غيرهما وَ مَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ أَى معجزة إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ بِرخصته و بمشيئته لِكُلِّ أَحَدٍ كِتَابٌ أَى أن العذاب و غيره من الأمور التى ستنزل بهم، كُلُّهَا لَهَا مَوَاقِيتٌ مَقْدَرَةٌ مَعِيْنَةٌ فِى اللُّوحِ الْمُحْفُوظِ، بل كُلِّ عَذَابٍ، وَ كُلِّ أَمْرٍ يَنْزِلُ فِى وَقْتِهِ وَ عَلَى حَسَبِ الْمَصَالِحِ التى قَدَّرَهَا اللَّهُ تَعَالَى، وَ هِىَ كَأَجَالِ الْمَوْتِ وَ الْحَيَاةِ وَ كَقَوْلِهِ: «مَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ». ٣٩- يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَ يُثَبِّتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ: فهو ينسخ ما يشاء و يبقى ما يريد فى كُلِّ عَصْرٍ وَ كُلِّ زَمَانٍ بحسب ما تقضى مصالح العباد. و هذا رد على طعن الكفار عليه (ص) بأنه لو كان صادقاً لما نسخ الأحكام التى ادعى تشريعها قبلاً و أم الكتاب: اللوح المحفوظ. ٤٠- وَ إِنَّمَا تُرْيِيكَ بَعْضَ الَّذِى نَعِدُهُمْ ... و قد نريك يا محمد بعينك و أنت على قيد الحياة بعض ما هددناهم به من القتل و الإذلال أَوْ نَتَوَفِّيَنَّكَ أَوْ نَقْبُضَكَ إِلَيْنَا وَ نَوَقِّعُ بِهِمْ مَا وَعَدْنَا، فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَ زَيْدُكَ تَبْلِيغُ الْأَحْكَامِ إِلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِنَا وَ عَلَيْنَا الْحِسَابُ أَى السُّؤَالُ وَ الْحَاسِبَةُ وَ الْمَجَازَاةُ. ٤١- أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِى الْأَرْضَ نَنْقُضُهَا ... أَى: أ فلا ينظر هؤلاء الكفار أننا نعد إلى الأرض فيأتيها أمرنا بنقصها مِنْ أَطْرَافِهَا أَى جوانبها و ما حولها بالفتح على المسلمين و بأخذ أقسام منها من أيدي الكافرين و المشركين و قيل إن معناه: أَوْ لَمْ يَرَوْا إِلَى مَا يَحْدُثُ فِى الدُّنْيَا مِنَ الْخَرَابِ بَعْدَ الْعِمَارِ، وَ الْمَوْتِ بَعْدَ الْحَيَاةِ، وَ النِّقْصَانِ بَعْدَ الزِّيَادَةِ؟. وَ اللَّهُ يَحْكُمُ بِنِقْصَانِ الْأَرْضِ وَ ازديادها بما ذكر لا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ لا رَادَّ لِحُكْمِهِ وَ لَا حَكْمَ بَعْدَ حَكْمِهِ وَ هُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ لِلْعِبَادِ. ٤٢- وَ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ... أَى قد كاد الذين من قبل قومك لأنبيائهم كيدا كثيرا فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا وَ عَلَيْهِ مَجَازَاةُ الْمَاكِرِينَ، وَ هُوَ يَأْخُذُهُمْ بِسُوءِ تَصَرُّفِهِمْ يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَ لَا يَفُوتُهُ عِلْمُ شَيْءٍ وَ لَا يَشْغَلُهُ شَيْءٌ عَنْ شَيْءٍ وَ سَيَعْلَمُ سَيَعْرِفُ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارُ الْمُعَانِدُونَ لَكَ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ الْعَاقِبَةُ الْحَسَنَةُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٢٦٠

٤٣- وَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسَتْ مُرْسِلًا ... أَى أنهم ينكرون رسالتك من عند الله و نبوتك، ف قُلْ لَهُمْ: كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا شَهِيدًا عَالِمًا بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ يَفْصِلُ فِى هَذَا الْأَمْرِ وَ فِى غَيْرِهِ وَ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ وَ مَنْ يَمْلِكُ الْأَحْكَامَ وَ يَفْصِلُ فِى الْأُمُورِ. و قد سأل رجل عليا (ع) عن أفضل منقبة له فقرأ هذه الآية، و ذلك أنه سئل النبی (ص) عن هذه الآية فقال: ذاك أخى على بن أبى طالب كما سئل الإمام (ع) عن الذى عنده علم الكتاب أعلم أم الذى عنده علم من الكتاب؟ فقال: ما كان الذى عنده علم من الكتاب عند الذى عنده علم الكتاب إِلَّا بِقَدْرِ مَا تَأْخُذُ الْبَعُوضَةُ بِجَنَاحِهَا مِنْ مَاءِ الْبَحْرِ.

سورة إبراهيم مكية، عدد آياتها ٥٢ آية

١- الر، ... قد مرّ التعليق على الحروف التى تقع فى مفتتح السور فى أول سورة البقرة، كِتَابٌ أُنْزِلْنَا إِلَيْكَ وَ حَيَا مِنْ عِنْدِنَا لِنُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ لِنُخْرِجَهُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْكُفْرِ وَ الضَّلَالِ الذى هم فيه إلى نور الإيمان بِإِذْنِ رَبِّهِمْ أَى بتوفيقه و تسهيله إلى صراطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ أَى طريق الله المنيع الجانب اللائق بالحمد. ٢- اللَّهُ الَّذِى لَهُ مَا فِى السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِى الْأَرْضِ ... الله الذى يملك ما فى

السموات وما فى الأرض و يتصرّف به كيف يشاء وَ وِيلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ تهديد لهم بالعذاب العظيم يوم القيامة، و وعيد بالويل الذى يقال إنه واد فى قعر جهنم. ٣- الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ ... فالكافرون هم الذين يختارون المقام فى هذه الدنيا و الانغماس فى مغرياتها، و يفضّلون ذلك على العمل للآخرة، وَ يَصُدُّونَ يَمْنَعُونَ غيرهم عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ عن الطريق الموصلة إلى مرضاء الله وَ يَتَعَوَّنَهَا عَوَجًا أى و يريدون طريق الحق معوجة ذات لفّ و زيغ فينحرفون بالناس إليها عن الحق أولئك المنحرفون فى ضلالٍ بعيدٍ فى ضياعٍ عظيم عن الحق. ٤- وَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ ... أى أن كل رسول نزل بكتاب بلغه قومه الذين تولّد منهم و نشأ بينهم و بعث إليهم لِيُبَيِّنَ لَهُمْ أى ليوضح لهم ما أرسل به فيفهموا قوله بلغتهم الدارجة بينهم لتتمّ الحجة عليهم. فَضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ أى يفضل من يشاء الضلال بسوء سريره و يهدى من يريد بتيسير الهداية له كيلا يكون الإيمان إلجاء. وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ مر تفسيره. ٥- وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا ... أى بعثناه بدلائلنا و معجزاتنا و أمرناه أَنْ أَخْرِجَ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ فاهدهم إلى الإيمان و أنقذهم من الجهل و الكفر وَ ذَكَّرَهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ أى أنذرهم بوقائعه و آياته التى حلت بالأمم التى سبقتهم إِنَّ فِي ذَلِكَ التذكير لآياتٍ دلائل و براهين لِكُلِّ صَبَّارٍ صَبُورٍ على بلائه شَكُورٍ لنعمائه عَزَّ وَ جَلَّ. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٢٦١ ٦- وَ إِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ... أى اذكر إذ قال موسى ذلك لقومه فدعاهم لشكر ربهم إذ حيث أَنْجَاكُمْ خَلَّصَكُمْ اللَّهُ تعالى مِنْ ظِلْمِ آلِ فِرْعَوْنَ حيث كانوا يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ أى يذيقونكم أتعس أنواع العذاب فيستعبدونكم و يكلفونكم بالأعمال الشاقة. وَ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ عند ولائهم لثلاث يخرج منهم النبى الموعود وَ يَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ يستبقونهنّ للخدمة، وَ فى ذَلِكُمْ العمل الشنيع و الشاق بلاءٌ مصيبة عظيمة مِنْ رَبِّكُمْ قدّره عليكم عَظِيمٌ حملة. ٧- وَ إِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ ... أى و اذكر إذ أعلم ربكم و الأذان هو الاعلام لَأَزِيدَنَّكُمْ لَأُعْطِيَنَّكُمْ زيادة منها وَ لَئِنْ كَفَرْتُمْ ... ان أنكرتم نسبة نعمتى إلى. و قد عبر عن عدم الشكر بالكفر لأن كفران النعمة و عدم عرفان الجميل أمر منكر، و ذلك أن الكافر هو منكر لله، فهذا كفر و ذاك كفر سواء بسواء، إذ إن من لا يعرف آلاء الله و ينكر فضله أشد كفرا ممن لا يعرفه مطلقا، و عن الصادق (ع) فى تفسير وجوه الكفر: الوجه الثالث من الكفر: كفر النعم، و استدل (ع) بهذه الآية الكريمة عليه. و عنه (ع): ما أنعم الله على عبد بنعمة صغرت أو كبرت فقال: الحمد لله، إلّا أدى شكرها. ٨- وَقَالَ مُوسَى إِنَّ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ... أى قال موسى لقومه: إن تجحدوا نعم الله أنتم و سائر أهل الأرض فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ أى مستغن عن شكركم محمود فى أفعاله كما هو محمود بذاته. ٩- أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُؤُا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ... يعنى: ألم تسمعوا بأخبار من سبقكم من الأمم التى كفرت بأنعم ربّها و أشركت به كقوم نُوحَ وَ عَادٍ وَ ثَمُودَ المعروفى الحال و المآل وَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ قد كفروا مثلهم و أصابهم ما أصابهم من الهلاك و الدمار لا- يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ أى: لا يعرفهم غيره سبحانه لكثرة عددهم جاء تَهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ الدلائل الساطعة فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فى أفواههم أى كتموا أفواه رسلهم بأيديهم حتى يمنعهم من تبليغ رسالاتهم و منعهم عن الكلام و ترويح الدعوة. و قيل: عَصُوا أَنَامِلَهُمْ من شدة الغيظ و الحنق على رسلهم وَ قَالُوا لَهُمْ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ نَنكِرُ رِسَالَاتِكُمْ وَ إِنَّا لَفِي شَكٍّ ريبٌ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ وَ تَدْعُونَ أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، مُرِيبٌ مشكوك فيه. ١٠- قَالَتْ رُسُلُهُمْ أِىُّ اللَّهِ شَكُّ ... أى أجاب الرسل أقوامهم عند تكذيبهم لهم: متعجبين فاطر السموات و الأرض و خالقهما و موجدتهما من العدم بقدرته، يَدْعُوَكُمْ للإيمان به لِيُغْفِرَ لَكُمْ يتجاوز عن ذنوبكم، وَ هُوَ يُؤَخِّرُكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى أى إلى وقت عينه سبحانه و جعله منتهى أعماركم قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا أى: أجابهم أقوامهم ما أنتم إلّا أناس مَنّا تَريدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا تمنعونا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا تحولونا عنه فَأَتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ أى بحجة واضحة تبين صحة دعواتكم. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٢٦٢ ١١- قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ ... أى أجابوا أقوامهم بأننا بشر مثلكم حقًا وَ لَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ بِتَفَضُّلٍ عَلَى مَنْ يَشَاءُ يريد من عباده الذين يرتضيهم و يختارهم رسلا دون بقية الخلق و يجعل فيهم خصائص ليست فى بنى جنسهم وَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ و ليس بيدنا إتيان المعجزة و البرهان، إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ بمشيئته فهو الذى يختص كل رسول بآية معينة من عنده و يجعلها من جملة براهينه. وَ عَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ المصدّقون به و برسله يفوضون أمورهم إليه. ١٢- وَ مَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ ... يعنى: أى عذر لنا فى أن لا نتوكّل

عليه سبحانه؟ و من التوكل الشكر عند العطاء و الصبر عند البلاء و الرضا فى سائر الأحوال وَ قَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا دَلَّنَا عَلَى طَرِيقِ الْخَيْرِ الَّذِى وَصَلَنَا إِلَيْهِ فِى إِيْمَانِنَا وَ حَمَلْنَا الرِّسَالَةَ وَ لَنْصَبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا فَتَحْتَمِلْ فِى سَبِيلِهِ تَعَالَى كُلُّ أذى يصدر منكم وَ عَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ الَّذِينَ يَفُوضُونَ أَمْرَهُمْ إِلَيْهِ. ١٣- وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا ... أَى لَنطردنكم من بلادنا أَوْ لَتَعُودَنَّ لَتَرْجِعَنَّ فِى مِلَّتِنَا مَتَّبِعِينَ دِينَنَا وَ عِبَادَاتِنَا لِلْأَصْنَامِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ أَوْحَى سُبْحَانَهُ لِرُسُلِهِ وَ أَنْبِيَائِهِ لَنَهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ سَنَبِيدُ الظَّالِمِينَ لَكُمْ. ١٤- وَ لَنَسِيكَنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ... هَذَا وَعْدٌ وَ بَشَارَةٌ مِنْهُ سُبْحَانَهُ بِنَصْرِ رُسُلِهِ بِأَن يَدْمِرَ الْكَافِرِينَ وَ يَسْكُنَ الْأَنْبِيَاءُ وَ الْمُؤْمِنِينَ بِهِمْ أَرْضَهُمْ وَ دِيَارَهُمْ بَعْدَ إِهْلَاكِهِمْ ذَلِكَ هَذَا الْوَعْدُ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى خَافَ مِنَ الْوَقُوفِ بَيْنَ يَدَى الْحِسَابِ، وَ خَافَ وَ عِيدِ أَى عِقَابِى. ١٥- وَ اسْتَفْتَحُوا: أَى أَن الرُّسُلَ طَلَبُوا الْفَتْحَ وَ النَّصْرَ مِنْهُ تَعَالَى فَأَعْطَاهُمْ ذَلِكَ وَ خَابَ خَسِرَ كُلُّ جَبَّارٍ ظَالِمٍ لَهُمْ، شَدِيدُ الظُّلْمِ عِنْدِ مَكَابِرِ مُعَانِدِ اللَّهِ وَ رُسُلِهِ. ١٦- مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ: أَى جَهَنَّمَ بَيْنَ يَدَى ذَلِكَ الْجَبَّارِ الْعَنِيدِ الَّذِى وَقَفَ فِى وَجْهِ دَعْوَةِ الرُّسُولِ وَ وَرَاءَ هُنَا ضِدَّ أَمَامٍ، وَ لَكِنَهَا بِمَعْنَى أَمَامٍ حَيْثُ سِيلَاقِى هَذَا الْمُعَانِدِ عَمَّا قَرِيبَ عَذَابِ جَهَنَّمَ. وَ يَشْقَى يَكُونُ شِرَابُهُ فِيهَا مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ هُوَ الدَّمُ الْقَذَرُ وَ الْقَيْحُ الَّذِى يَخْرُجُ فِى النَّارِ مِنْ فُرُوجِ الزَّوَانِى. ١٧- يَتَجَرَّعُهُ، وَ لَا يَكَادُ يُسِيغُهُ ... أَى يَتَكَلَّفُ شَرْبُهُ فَيَشْرَبُهُ مَغْصُوبًا جَرَعَهُ جَرَعَهُ وَ نَفْسُهُ لَا- تَقْبَلُهُ لِحَرَارَتِهِ وَ نَتْنِهِ وَ لَكِنَّهُ مَكْرَهُ عَلَيْهِ وَ يَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَ مَا هُوَ بِمَيِّتٍ أَى تَحَلَّى بِهِ مَوْجِبَاتِ الْمَوْتِ فِى كُلِّ لَحْظَةٍ يَقْضِيهَا فِى النَّارِ مِنْ كُلِّ مَوْضِعٍ مِنْ جَسَدِهِ وَ لَكِنَّهُ لَا- يَمُوتُ مَوْتًا يَسْتَرِيحُ بَعْدَهُ وَ يَخْلُصُ مِنَ الْعَذَابِ، فَهُوَ لَا يَزَالُ يَمُوتُ وَ يَحْيَا، وَ يَنْضَجُ جِلْدُهُ وَ يَتَبَدَّلُ. وَ رَوَى أَن رُوحَهُ سَتَبْقَى فِى تَرْقُوتِهِ فَلَا هِىَ تَعُودُ إِلَى جِسْمِهِ فَيَرْتَاحُ وَ لَا هِىَ تَخْرُجُ مِنْهُ فَتَخْفُفُ آلامُهُ. وَ مِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ أَى مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْكَافِرِ الْخُلُودُ فِى النَّارِ. أَوْ مِنْ بَعْدِ كُلِّ عَذَابٍ يَذُوقُهُ عَذَابٌ آخَرُ أَشَدَّ مِنْهُ. ١٨- مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ ... قَرِيبٌ سُبْحَانَهُ لِأُذْهَانِ السَّامِعِينَ جَزَاءَ عَمَلِ الْكَافِرِ بِهِ، وَ أَنَّهُ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ مِثْلَ الرَّمَادِ الَّذِى يَنْتِجُ مِنْ حَرِيقِ النَّارِ يَعْصِفُ بِهِ الْهَوَاءُ الشَّدِيدُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ شَدِيدِ الرِّيحِ وَ الْهَبُوبِ. لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ أَى لَا يَنْتَفِعُونَ بِأَعْمَالِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ لَا يَجِدُونَ ثَوَابًا ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ أَى أَن عَمَلَهُمْ ذَلِكَ هُوَ الْذَهَابُ الْبَعِيدُ عَنِ الْحَقِّ. إِرْشَادُ الْأُذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ٢٦٣ ١٩- أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ بِالْحَقِّ ... خُطَابٌ لِلرُّسُولِ (ص) وَ مِنْ خِلَالِهِ لِكُلِّ الْخَلْقِ بِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ خَالِقُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ بِالْحِكْمَةِ وَ الْغَرَضُ الصَّحِيحُ وَ لَمْ يَخْلُقْهَا عَبَثًا إِنْ يَشَاءُ أَى إِذَا أَرَادَ يُذْهِبُكُمْ يَهْلِكُكُمْ وَ يَدْمُرُكُمْ وَ يَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ غَيْرِكُمْ: ٢٠- وَ مَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ: أَى: لَيْسَ إِهْلَاكُكُمْ وَ خَلْقُ غَيْرِكُمْ بِمُتَعَدِّرٍ عَلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَ لَا بِمُتَعَسِّرٍ عَلَيْهِ. إِذْ هُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ فَلَا يَعْجِزُهُ شَيْءٌ. ٢١- وَ بَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا ... أَى أَحْضَرُوا بَيْنَ يَدَى اللَّهِ تَعَالَى جَمِيعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِلْحِسَابِ وَ الْجَزَاءِ، وَ قَدْ أَتَى بِلَفْظِ الْمَاضِى وَ هُوَ يَقْصِدُ الْمُسْتَقْبَلَ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: وَ نَفْخُ فِى الصُّورِ، مَعَ أَنَّهُ سَيَنْفَخُ فِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. وَ ذَاكَ بِسَبَبِ تَحَقُّقِ وَقْعِهِ وَ تَأْكِيدِ حَصُولِهِ فَكَأَنَّهُ شَيْءٌ مَضَى إِذْ سَبَقَ فِيهِ الْقَضَاءُ وَ صَارَ بِحُكْمِ الْكَائِنِ. فَقَالَ الضُّعَفَاءُ وَ هُمْ مِمَّنْ لَا رَأْيَ لَهُ مِنْ ضَعْفَاءِ الْعُقُولِ وَ الْأَدْنِيَاءِ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا تَكْبَرُوا عَنِ الْإِيْمَانِ بِاللَّهِ وَ بِرُسُولِهِ وَ هُمْ قَادَتُهُمْ فِى الدُّنْيَا وَ فِى خُطْبَةِ الْغَدِيرِ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (ع): أَفْتَدِرُونَ الْاسْتِكْبَارَ مَا هُوَ؟ هُوَ تَرْكُ الطَّاعَةِ لِمَنْ أَمَرُوا بِطَاعَتِهِ، وَ التَّرَفُّعُ عَمَّنْ نَدَبُوا إِلَى مُتَابَعَتِهِ. فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنَوْنَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ أَى هَلْ أَنْتُمْ دَافِعُونَ عَنَّا شَيْئًا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ. قَالُوا لَهُمْ مُجِيبِينَ: لَوْ هَدَانَا اللَّهُ دَلَّنَا إِلَى طَرِيقِ الْخَلَاصِ مِنَ الْعِقَابِ لَهَدَيْنَاكُمْ دَلَّلْنَاكُمْ عَلَى الْهُدَى، سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَمْ جَزَعْنَا أَمْ صَبَرْنَا فَلَا- الْجَزَعُ يَفِيدُنَا وَلَا- الصَّبْرُ يَنْجِينَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ فَلَيْسَ لَنَا مِنْ مَفَرٍّ وَ لَا مَهْرَبٍ مِنَ الْعَذَابِ. ٢٢- وَ قَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ ... أَى قَالَ إِبْلِيسُ حِينَ فَرَّغَ مِنَ الْحِسَابِ وَ دَخَلَ أَهْلَ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وَ أَهْلَ النَّارِ النَّارَ. إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ بِالْجَنَّةِ وَ وَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَ غَشَشْتُكُمْ وَ أَغْرَيْتُكُمْ بِالْكَفْرِ وَ مَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ أَى لَمْ أَجْبِرْكُمْ عَلَى الْعَمَلِ بِغَشَى إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ وَ سَوَّيْتُ إِلَيْكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي وَ أَطَعْتُمْ وَ سَوَّيْتُ فَلَا تَلُومُونِى وَ تَحْمِلُونِى مَسْئُولِيهِ ضَلَالِكُمْ، وَ لُومُوا أَنْفُسَكُمْ وَ اجْعَلُوا لَوْمَكُمُ كُلَّهُ لَأَنْفُسِكُمْ لِأَنَّكُمْ اتَّبَعْتُمْ هَوَاكُم مَا أَنَا بِمُضْرِحِكُمْ أَى لَسْتُ بِمُغِيثِكُمْ وَ مَا أَنْتُمْ بِمُضْرِحِي فَلَا تَفِيدُونِنِى وَ لَا أَفِيدُكُمْ فِى هَذَا الْيَوْمِ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ أَى جَحَدْتُ الْيَوْمَ إِشْرَاكَكُمْ إِنِّى أَيْىَ مَعَ اللَّهِ فِى الدُّنْيَا، إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ قِيلَ: أَنَّهُ مِنْ تَمَتُّهِ كَلَامِ الشَّيْطَانِ وَ قِيلَ أَنَّهُ كَلَامُ مُبْتَدَأٍ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى. ٢٣- وَ أَدْخَلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ ... إلخ أَى بَعْدَ الْفَرَاغِ مِنَ الْحِسَابِ

أدخل الله تعالى المؤمنين إلى الجنان و كتب لهم الخلود فيها بمشيئته و كرمه تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ مر معناه فى سورة يونس. ٢٤- أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا ... أى: ألم تنظر أيها الإنسان كيف مثل الله شبيها مثل بأن كَلِمَةً طَيِّبَةً هِى الدَّعْوَةُ إِلَى التَّوْحِيدِ أَوْ كُلِّ مَا دَعَا إِلَى الْحَقِّ تَكُونُ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَى شَجَرَةٍ نَامِيَةٍ زَاكِيَةٍ قِيلَ هِى النَّخْلَةُ وَقِيلَ غَيْرَ ذَلِكَ أَصْلُهَا ثَابِتٌ مَتْنٌ ضَارِبٌ فِي الْأَرْضِ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ مَرْتَفِعٌ فِي الْجَوِّ. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٢٤٦ ٢٥- تَوْتَى أَكْلُهَا كُلَّ حِينٍ يَأْذِنُ رَبُّهَا ... أى أن هذه الشجرة تجود بشمارها لآكليها فى كل وقت بمشيئته خالقها وبأمره وَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ يَبَيِّنُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ فيتدبرونها و يتفكرون فيها. ٢٦- وَ مَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ... الكلمة الخبيثة هِى كُلُّ قَوْلٍ بَاطِلٍ يَدْعُو إِلَى الضَّلَالِ وَالْفَسَادِ، وَ هِى كَالشَّجَرَةِ الْخَبِيثَةِ الَّتِي لَا يَقْبَلُ الطَّيْعُ ثَمَرَهَا لِمَرَاتِهِ كَشَجَرَةِ الْحَنْظَلِ اجْتَنَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ اقْتَلَعَتْ وَ اسْتَوْصَلَتْ مِنَ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ لَيْسَ لَهَا فِيهَا مِنْ ثَبَاتٍ. ٢٧- يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا ... أى أنه سبحانه يسد المؤمنين عن حجة و برهان و يؤيدهم فيثبت إيمانهم بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ الَّذِي هُوَ كَلِمَةُ التَّوْحِيدِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا طِيلُهُ حَيَاتُهُمْ وَ فِي الْآخِرَةِ يَثْبُتُهُمْ أَيْضًا فِيرْجِعُ مَوَازِينُهُمْ وَ لَا تَرَلْ أَفْئِدَتُهُمْ وَ يُضِلُّ اللَّهُ الطَّالِبِينَ يَحْرِمُهُمْ عَنَائِيهِ وَ يَخْلِي بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ اخْتِيَارِهِمْ وَ يَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَ لَا يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ غَيْرُهُ. ٢٨- أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَدْعُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا ... أى: ألم تنظر يا محمد إلى الكافرين بنعمة الله الذين قابلوا فضله بالكفر به و بنعمته، وَ أَحْلَوْا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبُورِ أَى أَنْزَلُوهُمْ دَارَ الْهَلَاكِ. ٢٩- جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَ بئس القرار: هذا تفسير لدار البوار أى هِى النَّارُ الَّتِي يَحْتَرِقُونَ بِلَهَبِهَا، وَ هِى الْمَقَرُّ الْبَيْسُ الَّذِي يَنْزِلُ فِيهِ الْكَفَّارُ. ٣٠- وَ جَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ ... أى جعلوا له سبحانه أمثالا و أشباها من أصنامهم أشركوها معه بِالزُّبُوبَةِ ابْتِغَاءً لِضَلَالِ النَّاسِ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَ الْإِيمَانِ بِهِ، فَ قُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ: تَمَتَّعُوا أَقْضُوا حَيَاتَكُمْ لَا هِنَ مَتَمَتِّعِينَ بِرَغَدِ الْعَيْشِ فِي الدُّنْيَا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ مَرْجِعَكُمْ إِلَى النَّارِ وَ الْكَوْنِ فِيهَا أَبَدًا. ٣١- قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا ... أى قل يا محمد للمؤمنين بى المصدقين قولك أن يُقِيمُوا الصَّلَاةَ يُؤَدُّوْهَا وَ يَدَاوِمُوا عَلَى إِقَامَتِهَا وَ يُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ أَى يَدْفَعُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فِي وَجْهِ الْخَيْرِ مِنَ الْوَاجِبِ وَ الْمُنْدُوبِ سِرًّا خَفِيَةً عَنِ النَّاسِ وَ عَلَانِيَةً عَلَى رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ يَجِىءُ لَا يَبِيعُ فِيهِ أَى لَا يَبْتَاعُ الْمُقْصِرُ مَا يَتَدَارَكُ بِهِ تَقْصِيرُهُ، وَ لَا خِلَالٌ وَ لَا صَدَاقَةٌ نَافِعَةٌ. ٣٢- اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ ... أى أنشأهما من غير شئ و أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً أَى مَطَرًا فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ أَى أَخْرَجَ بِذَلِكَ الْمَاءِ أَرْزَاقَكُمْ مِمَّا تَعِيشُونَ بِهِ مِنَ الْمَطْعُومِ وَ الْمَلْبُوسِ. وَ سَخَّرَ لَكُمْ الْفُلُوكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ فَجَعَلَ الْسُفْنَ مَسَاحَةً لَكُمْ تَمْشَى فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِ اللَّهِ بِوَسْطَةِ الرِّيحِ الَّتِي أَنْشَأَهَا سُبْحَانَهُ. وَ سَخَّرَ لَكُمْ الْأَنْهَارَ الَّتِي تَجْرَى بِالْمِيَاهِ الَّتِي يَنْزِلُهَا مِنَ السَّمَاءِ. ٣٣- وَ سَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ ... أى ذلَّلها لِمَنَافِعِكُمْ فَضَوْءُ الْقَمَرِ لَيْلًا وَضَوْءُ الشَّمْسِ نَهَارًا دَائِبَيْنِ أَى مُسْتَمَرِّينِ مُجَدِّدَيْنِ يَجْرِيَانِ لِمَا فِيهِ صَلَاحٌ حَيَاةِ الْإِنْسَانِ وَ الْحَيَوَانَ وَ النَّبَاتِ وَ سَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ أَى جَعَلَهُمَا مُتَعَاكِبَيْنِ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ مِنْ أَجْلِ الْعَمَلِ فِي النَّهَارِ، وَ الرَّاحَةِ فِي اللَّيْلِ. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٢٦٥ ٣٤- وَ آتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ... أى أعطاكم من فضله كُلِّ مَا سَأَلْتُمْ مِمَّا فِيهِ صَلَاحٌ دِينِكُمْ وَ دُنْيَاكُمْ. وَ إِنَّ تَعْبُدُوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا- تُحْصُوْهَا أَى: لَا- تَطِيقُوا حَصْرَهَا وَ لَا- تَبْلُغُوا مَعْرِفَةَ أَنْوَاعِهَا وَ أَفْرَادِهَا. إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ وَ الظُّلُومُ كَثِيرٌ الظُّلْمُ لِنَفْسِهِ وَ الْكَفَّارُ كَثِيرٌ الْكَفْرَانُ لِنَعْمِ رَبِّهِ. وَقِيلَ غَيْرَ ذَلِكَ. ٣٥- وَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ ... أى اذكر يا محمد قول إبراهيم داعيا رَبَّهُ رَبًّا أَجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا أَى مَكَّةَ الْمُكْرَمَةَ وَ مَا حَوْلَهَا وَ قَدْ مَرَّ مَعْنَاهُ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ وَ اجْنُبْنِي أَى جَنِّبْنِي وَ بَنِيَّ وَ أَوْلَادِي أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ وَ نَشْرَكَ بِكَ. ٣٦- رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّوا كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ ... أى أن الأصنام صرن سببا لِإِضْلَالِ الْكَثِيرِينَ مِنَ النَّاسِ. فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي أَى فَمَنْ كَانَ عَلَى طَرِيقَتِي وَ اتَّبَعَ سِيرَتِي فَإِنَّهُ بَعْضِي لِشِدَّةِ اخْتِصَاصِهِ بِي. وَ مَنْ عَصَانِي أَى لَمْ يَطْعُنِي وَ يَتَّبِعْ مِلَّتِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ سَاطِرُ مَعَاصِيهِمْ عَلَيْهِمْ كَثِيرُ الرَّحْمَةِ لَهُمْ. ٣٧- رَبَّنَا إِنِّي أَسِيءْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي ... أى آوَيْتُ بَعْضَ أَوْلَادِي وَ هُوَ إِسْمَاعِيلُ (ع) وَ كَانَتْ مَعَهُ أُمُّهُ هَاجِرُ وَ عَنْ الْبَاقِرِ (ع): نَحْنُ هُمْ، وَ نَحْنُ بَقِيَّةُ تِلْكَ الذَّرِّيَّةِ، وَ كَانَتْ دَعْوَةُ إِبْرَاهِيمَ لَنَا. وَ لِذَلِكَ قَالَ النَّبِيُّ (ص): انا دعوة إبراهيم، بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ وَ هِى وَادِى مَكَّةَ الْقَاحِلَةُ الْمَجْدُبَةُ فَلَا مَاءَ فِيهَا وَ لَا نَبَاتٍ. عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ أَى الْكَعْبَةِ الْمَشْرُفَةِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِهَانَتَهَا فِي كُلِّ الْأَوْقَاتِ وَ الْأَحْوَالِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ أَى أَسْكَنْتَهُمْ بِهَذَا الْوَادِى لِيَدَاوِمُوا عَلَى إِقَامَةِ الصَّلَاةِ بِشُرُوطِهَا وَ قِيُودِهَا وَ كَامِلِ أَجْزَائِهَا فَاجْعَلْ أَفْتِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ أَى تَحَنُّ وَ تَمِيلُ إِلَيْهِمْ وَ إِلَى ذَلِكَ الْمَوْضِعِ فَيَكُونُ بِذَلِكَ

أنس لذريته (ع) بمن يرد عليهم و بما يدر أرزاقهم و أَرْزُقُهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ أى ليشكروا نعمك. ٣٨- رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ ... هذا الكلام يرتبط بما سبقه لبيان أنه (ع) حين طلب من ربه ما طلب، اعتذر بأننا و إن طلبنا منك حوائجنا فليس ذلك من باب أنك لم تكن عالما بها بل أنت تعلم ما فى ضمير الإنسان و ما توسوس به نفسه و لكننا ندعوك إظهارا لعبوديتك و افتقارا لرحمتك الواسعة و استعجالا لنيل ما عندك، و ما يخفى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ. هو إخبار منه سبحانه بذلك ابتداء و ليس من تنمئة كلام إبراهيم (ع). ٣٩- الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي ... أى أعطاني على نحو الهبة عَلَى الْكَبِيرِ كبر سنّه إسماعيل ابنه من هاجر و له (ع) تسع و تسعون سنّه و إِسْحَاقَ و له مائة و اثنتا عشرة سنّه، إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ قابله و مجيبه. ٤٠- رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ، وَمِنْ ذُرِّيَّتِي ... دعا الله تعالى بأن يكون هو و بعض ذريته من المؤمنين المقيمي الصلوة و لم يدع لجميعهم لإعلام الله السابق بأنه سيكون فيهم كفار رَبَّنَا وَ تَقَبَّلْ دُعَاءِ أى استجبه. ٤١- رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ... أى تجاوز عني و عنهما و عنهم يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ أى يوم يقوم الخلق للحساب. ٤٢- وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهُ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ... أى: اطمئن بالا يا محمد، وَلَا تَظُنَّنَّ أَنَّ اللَّهَ غَيْرَ مُنْتَبِهٍ لِمَا يَفْعَلُهُ الْكَافِرُونَ وَلَا سَاءَ عَنْ عِقَابِهِمْ. إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ يُؤَخِّرُ عَذَابَهُمْ و الانتقام لك منهم لِيَوْمَ تَشْخِصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ أى ليوم تفتتح فيه العيون واسعة دون أن تطرف و هو يوم القيامة. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٢٦٦

٤٣- مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُؤُسِهِمْ لَا يَزِيدُ الْإِيْهِمْ ظَرْفُهُمْ ... أى أنك سوف تراهم مقبلين بسرعة و انقياد إلى دعوة الداعي رافعين رؤوسهم نحو السماء فزعا بحيث لا يرى الواحد مكان قدميه من شدة رفع الرأس و لا يطبقون أجفانهم و لا يغمضون أعينهم و أَفْنَدَتْهُمْ هَوَاءٌ أى أن قلوبهم خاوية فهم لا يدركون شيئا لفرط الدهشة و الفزع. ٤٤- وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ ... أى: خوفهم يوم الموت أو يوم القيامة من العذاب الذى ينتظرهم فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ و غيرهم: رَبَّنَا أَخْرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَ تَتَّبِعِ الرُّسُلَ أى أمهلنا إلى وقت قصير نقبل دعوتك فنطيع رسلك فيما يدعوننا إليه. أَوْ لَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلِ أَلَمْ تَحْلِفُوا فِي دَارِ الدُّنْيَا مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ أَنْكُمْ خَالِدُونَ فِيهَا. ٤٥- وَ سَيَكُنْكُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَ تَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ ... أى قل يا محمد للمعاندين موبخا لهم لقد سكنتم ديار من كذب الرسل من قبلكم فأهلكهم الله و عرفت ما نزل بهم من عاجل العذاب. وَ ضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ لتفهموا و تتدبروا، فاعتبروا. ٤٦- وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ ... أى قد جهدوا فى كيدهم لإبطال أمر الرسل و تثبيت الباطل وَ عِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ مكتوب عنده و هو يجازيهم عليه وَ إِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَرُولٍ مِنْهُ الْجِبَالُ أى أن مكرهم كان من العظمة بحيث تزول منه الجبال، و ينبغي لها أن تزول من ذلك الكيد الكبير و هو مبالغة فى شدة مكرهم. ٤٧- فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخَلِّفًا وَعْدِهِ رُسُلُهُ ... فلا تظنن يا محمد أن الله يخلف أنبياءه ما يعدهم من نصرهم و إهلاك أعدائهم إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ فهو منيع الجانب شديد النعمة. ٤٨- يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَ السَّمَاوَاتُ ... أى السماوات أيضا تبدل و قيل فى معناها قولين: أولهما: أنها تبدل صورة نفس الأرض و هيئتها. و ثانيهما: أن الأرض تبدل و تنشأ أرض غيرها، و السماوات كذلك تستبدل بسواها. وَ بَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ أى ظهرُوا بين يدي الله الواحد الغالب من قبورهم للحساب و الجزاء. ٤٩- وَ تَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ: أى فى ذلك اليوم العصيب ترى الكفار مقيدين بالأغلال قرنت أيديهم بها إلى أعناقهم. ٥٠- سِيرَابِلُهُمْ مِنْ قَطْرَانٍ: أى قمصانهم و لباسهم من القطران الذى يطلى به الجمل الأجرب ليكتوى جربه بحدته و حرارته، و هو سريع الالتهاب شديد الحرارة أسود اللون منتن الرائحة، تطلى به جلود أهل النار لتصبح سريعة الالتهاب شديده، وَ تَغْشَى وَجُوهَهُمُ النَّارُ إذ لا قطران عليها. ٥١- لَيَجْزَى اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ ... أى ليعاقب كل نفس مجرمه بما اكتسبته من ذنوب و آثام إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ مَرَّ تَفْسِيرِهِ. ٥٢- هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ ... أى أن هذا القرآن، أو هذه السورة، أو هذا التهديد و الوصف الذى قدّمناه، هو. إعلام للخلق و لِيُنْذَرُوا بِهِ و ليكونوا مخوفين به و لِيَعْلَمُوا يعرفوا بالدلائل و البراهين أَنَّ مَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ رَبٌّ خَالِقُ فَرْدٍ وَ لِيَذْكُرَ يَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ ذُوو العقول. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٢٦٧

١- الر، تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ: أى: هذا الذى ننزله عليك هو آيات القرآن الواضح البين. ٢- رُبِمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ: يعنى أن الكفرة إذا عاينوا حال المسلمين من التّصر فى الدنيا، أو الفوز بالجنة فى الآخرة، يحتمل أن يتمنوا الإسلام. ٣- ذَرُّهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ ... أى: دعهم- يا محمّد- يأكلوا كما تأكل الأنعام فى الدّنيا، مكتفين بلذّة الأكل وغيره و تشغلهم آمالهم الكاذبة عن الحقّ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ خسران طريقتهم حين يحلّ بهم العذاب. ٤- وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ ... يعنى أننا لم نهلك أهل قرية فى السابق إلّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ أى أجل مقدّر مكتوب لا بدّ أن تبلغه. ٥- مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ ... أى: لم تكن أمة من الأمم الماضية لتهلك قبل أجلها المحدد لها ولا لتأخر عنه بل تهلك حين تستوفى ذلك الأجل. ٦- وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ... أى وقال المشركون لمحمد (ص): يا أيها الذى يزعم أن الله أنزل عليه القرآن أنت مجنون فى دعواك تلك وفى توهمك انا نؤمن بك. ٧- لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ: هلا جئنا بالملائكة من السماء ليشهدوا بصدق نبوتك ودعوتك. ٨- مَا نُنْزِلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ ... أى لا نرسل الملائكة من السماء إلى الأرض إلا بالموت عند حلول الأجل وما كانوا إذا مُنْظَرِينَ يعنى أن الكافرين ما كانوا حين نزولهم مهملين بل تقبض أرواحهم على الفور. ٩- إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ: أى أنّه سبحانه هو منزل القرآن على نبيّنا (ص) وهو حافظه على مدى الأزمان من الهجر والمحرابة والتحريف. ١٠- وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شَيْعِ الْأَوَّلِينَ: الشّيع: الفرق، أى بعثنا قبلك يا محمد رسلا إلى جميع فرق الأمم السابقة على أمّتك هذه. ١١- وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤْنَ: يعنى لست وحدك الرسول الذى استهزأ به قومه، بل جميع الرسل قبلك قد استهزأ بهم أقوامهم. ١٢- كَذَلِكَ نَسِلكَ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ: أى كما سلطنا دعوة الرسل السابقين فى قلوب أممهم المخالفة لهم، كذلك سلطنا القرآن فى قلوب المجرمين من قومك. فهم: ١٣- لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ: أى لا يصدّقون بالقرآن ماضين على طريقته من تقديمهم فى تكذيب الرسل وعدم الإيمان بما حملوه معهم من كتب من عند الله. ١٤- وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِنَ السَّمَاءِ ... أى لو أننا فتحنا على هؤلاء المقترحين أحد أبواب السماء ليصعدوا إليها فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ أى يصعدون طيلة يومهم ليروا عجائب قدرتنا وغرائبها وبدائعها: إذا: ١٥- لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا ... يعنى ومع ذلك لقالوا من فرط عنادهم: سدّت أبصارنا عن الحقيقة وغطيت بلّ نحن قَوْمٌ مَسْحُورُونَ قد سحرنا محمّد والذى نراه غير حقيقى. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٢٦٨ ١٦- وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا ... أى خلقنا منازل للشمس والقمر، وَزَيْنَاهَا لِلنَّاطِرِينَ أى جعلنا السماء مزخرفة بالكواكب والنجوم التى يتأملها الناظر إليها فيدعن لقدرة الله وحكمته. ١٧- وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ: أى حرسنا السماء من كل شيطان مقذوف بالشهب. ١٨- إِلَّا مِنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ شَهَابٌ مُبِينٌ: أى إلا من حاول أخذ ما يسمع من السماء خفية من هؤلاء الشياطين فلقحته شعله نار ظاهرة لأهل الأرض. ١٩- وَالْأَرْضُ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ ... أى والأرض بسطناها طولا وعرضا ووضعنا فيها الرواسخ من الجبال وَأَثْبَتْنَا فِيهَا أَنْشَاءَ نَبَاتٍ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ مقدّر بميزان ومعلوم فى نوعيته وجميع خواصه. ٢٠- وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسِيْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ: أى وأوجدنا فى الأرض ما تعيشون به من زروع ونبات أنتم ومن لستم بمكلفين برزقه من العبيد والدواب وغيرها. ٢١- وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ ... أى: ليس من شىء ينزل من السماء أو يكون فى الأرض إلّا ونحن مالكوه والقادرون عليه وخزائنه سبحانه مقدوراته وما نُزِّلُهُ أى الشىء الذى حكى سبحانه عنه لا- ينزله من خزائن علمه فى السماء إلى الأرض إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ أى بمقدار ما تقتضيه الحكمة والمصلحة. ٢٢- وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ لَوَاقِحَ ... أى أجرينا الرياح ملقحة للسحاب حاملة للمطر أو ملقحة للنبات حاملة لطلعها المذكور والمؤنث من نبات إلى نبات فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مطرا فَأَسْقَيْنَا كُنُوهَ أى جعلناه لشربكم وشرب حيواناتكم ونباتاتكم وما أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ نفى سبحانه عنهم ما أثبتته لنفسه. فهو خالق الماء، وهو القادر على إنزاله، وخزائن الماء عنده، وهم لا يستطيعون خزن ما يكفيهم منه، وإن هم خزنوه تحوّل إلى ماء آسن. ٢٣- وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ: أى أنه سبحانه خالق الموت والحياة ولا يقدر على الإحياء والاماتة غيره وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ لأنه تعالى يرث الأرض ومن عليها وهو الحى الباقي بعد فناء كل شىء. ٢٤- وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ ... أى علمنا الماضين منكم وعرفنا حالهم وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ أى

الباقين، أو عرفنا الأولين والآخرين. ٢٥- وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ: أى أنه سبحانه أيها السامع يحشر جميع الناس إليه فيجمعهم فى صعيد يوم القيامة و يحاسبهم بحسب أعمالهم و بحسب علمه بهم و هو حكيم فى تدبيره خبير بما يستحقون. ٢٦- وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ: أى خلقنا آدم من طين يابس إذا نقر صلصل و صوت. و الحمأ: الطين المتغير الذى تبدو له رائحة لطول بقاءه و المسنون المصبوب المصور المفرغ فى صورة ٢٧- وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ: أى من قبل خلق آدم، و الجان قيل إنه إبليس، و قيل هو أب الجن و سَمَى جَانًا لتواريه عن أعين الناس كما يسمّى الجنين جنينا لهذا السبب. مِنْ نَارِ السَّمُومِ أى شديد الحر النافذ فى المسام. ٢٨- وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّى خَالِقٌ بَشَرًا ... أى اذكر يا محمد، يوم قال الله للملائكة انى موجد إنسانا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ و هو الذى مرّ تفسيره. ٢٩- فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي ... أى إذا أتممت خلقته و أجريت الروح فيه، إذ هو معنى النفخ و قد أضاف سبحانه روح آدم إلى نفسه تكريما. ٣٠- فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ: أى امتثلوا أمر ربهم عزّ و علا. ٣١- إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ: رفض السجود و استكبر عنه فاستثناه الله تعالى. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٢٦٩ ٣٢- قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ: أى قال الله تعالى ذلك القول لإبليس موبخا: ما منعك أن تسجد؟ ٣٣- قَالَ لَمْ أَكُنْ لَأَسْجُدَ لِبَشَرٍ ... إلخ أى: ما كان ينبغى لى أن أسجد لجسم مادى كثيف أوجدته من التراب و أنا أشرف أصلا منه لأنى مخلوق روحانى. ٣٤- قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ: أى: اخرج من الجنة فانك ملعون مطرود من الكرامة. أو مرجوم. و قيل الضمير فى منها يرجع إلى السماء. ٣٥- وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ: أى مع طردك من منزلتك هذه فإنك مبعد عن رحمة الله إلى يوم القيامة. ٣٦- قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِى إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ: أى قال إبليس: ربّ امهلنى إلى يوم البعث. ٣٧ و ٣٨- قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ: أى انك من المؤخرين الممهلين إلى ما قبل يوم القيامة. و هو آخر يوم من أيام التكليف و هو النفخة الأولى فى الصور. فموت إبليس - كما عن الصادق (ع) - بين النفخة الأولى والثانية، و فسّر فى بعض الروايات يوم يبعث فيه القائم عجل الله فرجه. و قيل: بأن المراد يوم الوقت المعلوم هو يوم يذبّه رسول الله (ص) على الصخرة التى فى بيت المقدس فى عهد الرجعة على رأى البعض و هم قليل جدا. ٣٩ و ٤٠- قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنى ... أى قال إبليس: بسبب إغوائك إياى يا رب و الإغواء هو الإضلال، و الإضلال لا- تجوز نسبته إلى الله تعالى فيحمل على أن إبليس اعتقد الجبر كما هو مذهب الأشاعرة. و قيل إن الإغواء هنا بمعنى التخييب، أى بما خيبتنى من رحمتك و طردتنى من نعمتك لَأَزِيَنَّ لَهُمْ فى الْأَرْضِ أى: لأحسِنَنَّ للناس فعل القبائح و المعاصى، و لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ أى لأزيننّ لهم الباطل فأضلهم جميعا إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ أى ما عدا المخلصين لك فى العبودية. ٤١- قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ: أى قال الله سبحانه: إن هذا الصراط الذى أضعه صراط حق لا عوج فيه و هو: ٤٢- إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ... أى عبادى الذين يعبدوننى و لا يشركون بى شيئا لن تكون مسلطا عليهم و لن تقدر على إغوائهم، إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ و سمع لوسوستك و تزيينك مِنَ الْغَاوِينَ الضَّالِّينَ. ٤٣ و ٤٤- وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ: أى أن النار تكون مكان ملتقى إبليس و أتباعه جميعا. لها سَبْعَةُ أَبْوَابٍ أى أطباق أو ادراك بعضها فوق بعض لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ من أتباعك جُزْءٌ مَقْسُومٌ أى نصيب مفرز مفروض. ٤٥ و ٤٦- إِنَّ الْمُتَّقِينَ فى جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ... أى أن المتجنيين لعقاب الله بترك معاصيه فى بساتين ذات العيون و الأنهار من الماء و الخمر و اللبن و العسل و غيرها اذْخُلُوهَا على إرادة القول: ادخلوا الجنة بِسَلامٍ آمِنِينَ سالمين لا تخافون فيها محذورا قط. ٤٧- وَ نَزَعْنَا مَا فى صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ ... أى: أزلنا من قلوبهم كلّ عداوة و كلّ حقد إخواناً متآخين كأنهم أبناء أب واحد فيصفو لذلك عيشهم على سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ يجلسون على أرائك بعضهم يواجه بعضا. ٤٨ و ٤٩ و ٥٠- لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ ... أى لا يصيبهم فى الجنة تعب و ما هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ فهم مخلصون فيها. ٥١- وَ تَبَيَّنَ عَنْ ضَيْفٍ إِبْرَاهِيمَ: عطف على قوله تعالى: نبى عبادى، أى و أخبرهم عن قصة ضيوف إبراهيم. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٢٧٠ ٥٢- إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ ... أى الملائكة إذ دخلوا عليه (ع) فى صورة الأضياف و لذا سماهم الله ضيفا فَقَالُوا سَلاماً أى نسلم عليك سَلاماً قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ أى خائفون، و كان قد ظنهم لصوصا. ٥٣- قَالُوا لَا تَوْجَلْ ... أى لا تخف منا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ أى ولد ذكر عليم يعلم عند بلوغه علما كثيرا. ٥٤- قَالَ أَبَشِّرْهُنِى عَلَى أَنْ مَسَّنِىَ

الْكَبِيرُ ... أى على حاله أصابتنى الشيوخه فَبِمَ تُبَشِّرُونَ أى أ بأمر الله حتى أصدق أم من عند أنفسكم. ٥٥- قَالُوا بَشْرُنَاكَ بِالْحَقِّ أى قال الملائكة لإبراهيم (ع): حملنا إليك هذه البشارة بأمر الله الذى هو حق لا شك فيه فَلَا تُكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ اليائسين. ٥٦- قَالَ وَمَنْ يَفْقَهُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ: أى أجاب إبراهيم (ع) رسل ربّه بأنه لا يئأس من رحمة الله تعالى إِلَّا الجاهلون لقدرته التائهون عن طريقه. ٥٧ و ٥٨- قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ: أى ما هو شأنكم بعد هذه البشارة يا رسل ربّي قَالُوا مجيبين: إِنَّا أُرْسِلْنَا بَعَثْنَا مِنْ قَبْلِ رَبِّنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ إِلَى جَمَاعَةٍ كَافِرِينَ مَذْنِبِينَ وَ هُمْ قَوْمُ لُوطَ. ٥٩ و ٦٠- إِلَّا آلَ لُوطَ ... فاستنوا آل لوط و قالوا: إِنَّا لَمُتَّجُوهُمْ مَخْلَصُوهُمْ مِنَ الْهَلَاكِ أَجْمَعِينَ، إِلَّا امْرَأَتَهُ اسْتَسْتَوَا مِنَ النَّجَاءِ امْرَأَةُ لُوطَ فَإِنَّهَا عَلَى دِيدَن قَوْمِهَا وَ قَدْ قَدَرْنَا أى قضينا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ أى من الهالكين الذاهبين فى الهلاك. ٦١ و ٦٢- فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطَ الْمُرْسَلُونَ ... أى فلما حضر رسل الله من الملائكة إلى القرية التى فيها لوط و أهل بيته و دخلوا عليه قَالَ لُوطَ لَهُمْ: إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّكَرَّرُونَ أى غير معروفين من قبلى. ٦٣ و ٦٤- قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ يَمْثُرُونَ ... فأجابوه قائلين: لا تخف منا و إنما أتيناك بما يسرك و هو العذاب الذى كان قومك يشكون فيه وَ أَتَيْنَاكَ جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ بِالْأَمْرِ الْحَقِّ، وَ هُوَ الْعَذَابُ وَ إِنَّا لَصَادِقُونَ فيما نخبرك به. ٦٥- فَاسْرِ بِأَهْلِكَ ... أى سر بأهلك ليلا، بِقَطْعِ مِنَ اللَّيْلِ أى بجزء منه وَ اتَّبِعْ أَذْبَارَهُمْ أى سر خلف عائلتك لتعلم حالهم فلا يتخلف منهم أحد وَ لَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ أى وَ لَا يَنْظُرْ أَحَدٌ مِنْكُمْ جَمِيعًا إِلَى مَا وَرَاءَهُ مِمَّا خَلَفَ فِي الْمَدِينَةِ وَ امْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ سَيَرُوا إِلَى النَّاحِيَةِ التى نأمركم بها. ٦٦- وَ قَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ ... أى أوحينا إلى لوط أمرا محتوما قد وقع القضاء به، وَ هُوَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ، أى أن آخر من يبقى منهم مَقْطُوعٌ مُسْتَأْصِلٌ مهلك مُضَيِّحِينَ حين يدرهم الصباح. ٦٧- وَ جَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ: أى حضر أهل مدينه سدوم التى كان لوط (ع) فيها يَبَشِّرُ بعضهم بعضا بالأضياف الذين نزلوا عليه طمعا بالفجور بهم. ٦٨ و ٦٩- قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ ... أى قال لوط لقومه إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَلْحَقُوا بِي الْعَارَ بِقَصْدِكُمُ السَّيِّئِ بِهِمْ وَ اتَّقُوا اللَّهَ احذروا غضبه وَ لَا تُخْزُونِ لَا تَجْعَلُونِي مَسْرِيًا بِالْعَارِ مِنْ جَزَاءِ فَعَلْتُمْ الْقَبِيحَةَ. ٧٠- قَالُوا أَوْ لَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ: أى قال للوط قومه: ألم نهك أن تجير أحدا أو تضيفه؟ إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٢٧١ ٧١- قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي: المراد بناته من الصَّيْلِبِ، أو أراد نساء القوم، لأن كل نبي بمنزلة الأب لأُمَّتِهِ إِنَّ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ تريدون قضاء الوطر فترؤجوهنّ بالحلال. ٧٢- لَعَمْرُكَ: أى و حياتك يا محمّد، إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ أى فى ضلالتهم يتحيرون فكيف يسمعون النصّح و يقبلون الهداية؟. ٧٣- فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ: أى فعمتهم صيحة جبرائيل الهائلة مُشْرِقِينَ حين شروق الشمس. ٧٤- فَجَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا: صارت منقلبه بهم رأسا على عقب وَ امْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَرَّ مَعْنَاهُ فى سورة هود. ٧٥ و ٧٦- إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ: أى ان فى قصة قوم لوط و عقابهم الشديد عبرة لمن اعتبر من المتفرسين الذين ينظرون إلى الأشياء بتعمق و إِنَّهَا لَبَسِيلٌ مُّقِيمٌ أى أن هذه المدن بما ظهر فيها من آثار نعمة الله سبحانه لموجوده فى طريق ثابت يسلكه الناس أثناء أسفارهم و يرونها. ٧٧- إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ: أى أن فى قصة قوم لوط لعبرة للمصدقين بالله و رسله إذ هم الذين ينتفعون بها دون غيرهم. ٧٨ و ٧٩- وَ إِنَّ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ ... أصحاب الأيكة هم أصحاب الأشجار الملتفة أرسل إليهم و إلى أهل مدين أيضا النبي شعيبا (ع) فكذبه أصحاب الأيكة هؤلاء كما كذبه أهل مدين فكانوا ظالمين بذلك فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ أَحَلَلْنَا بِهِمْ نَقْمَتَنَا فَأَهْلَكْنَاهُمْ. و كان هلاك أصحاب الأيكة بالظلة و هى الحر الشديد المحرق و أما أهل مدين فأهلكوا بالصيحة. وَ إِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ يعنى سدوم و الأيكة، فهما آيتان موجودتان بطريق واضح يتبع و يهتدى به للساكنين. ٨٠- وَ لَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ: أى ثمود كذبوا صالحا. و فى تكذيبه تكذيب لجميع الرسل. و الحجر واد كان يسكنه القوم بين المدينة و الشام فسَمَوْا باسمه. ٨١- وَ أَتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا ... أى آتينا أصحاب الحجر الحجج و البراهين الدالة على صدق المرسلين. و منها الناقة. فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ أى لم يقبلوها و لم يتفكروا فيها. ٨٢- وَ كَانُوا يَنْجِيُونَ مِنَ الْجِبَالِ يَبُوتًا: أى يحفرون فى الجبال مساكن لهم آمِنِينَ مطمئنين من عدم خرابها و سقوطها عليهم و من العذاب الذى أوعدهم الرّسل به فيما لو كفروا. ٨٣- فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ: أى أهلكتهم صيحة جبرائيل مُضَيِّحِينَ وقت الصباح. ٨٤- فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ... أى ما نفع و دفع عنهم ما كانوا يحصّلون من البيوت المحصنة و ازدياد الأموال. ٨٥- وَ مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَ

الْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ... أى ما خلقناهما و ما بينهما خلقا عبثا بل لما اقتضته الحكمة وَإِنَّ السَّاعَةَ لَأَتِيَةٌ أَى سَاعَةُ الْجَزَاءِ فِي دَارِ
الانتقام سوف تحل فيجازى كل بعمله فَاصْرِفْ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ أى فأعرض يا محمد عن مجازاة المشركين و عن مجاببتهم و اعف
عنهم عفوا جميلا. ٨٦- إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ ... للأشياء كلها و بيده أمرك و أمرهم و هو الْعَلِيمُ بحالك و حالهم و ما فيه صلاحكم.
٨٧- وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي: المثنى: جمع مثنى، و قيل المثنى هى القرآن أو آياته. و قيل هى سورة الحمد سميت بذلك
كما قيل لأنها نزلت مرتين. و قيل السبع المثنى الطوال من أول القرآن سميت مثنى لأنه ثنى فيها الاخبار و العبر. وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ
تقديره: و آتيناك القرآن العظيم. ٨٨- لَا- تَمِدَّنْ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ: أى لا تنظر نظر طمع و رغبة و تعظيم إلى ما
جعلناه متعة زائلة لأصناف من المشركين فإن ما ينعمون به هم و أهلهم مستحقرون فى جانب ما آتيناك من الإسلام و القرآن و لا
تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ إِذَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ و لم يشكروا نعمه و ما يصيرون إليه من العذاب و اخفض جناحك لِلْمُؤْمِنِينَ تواضع لمن معك من
المؤمنين. ٨٩- وَقُلْ إِنِّى أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ: أى قل للكفار مخوفا أنا المنذر لكم بعقاب الله إن كفرتم و المظهر صدق دعوى بالحجج
و البراهين. ٩٠ و ٩١- كَمَا أَنزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ... أى نحن أنزلنا عليك هذا القرآن كما أنزلنا على المقتسمين: و هم اليهود و
النصارى. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٢٧٢ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ أى صيروه أجزاء و أقساما و أعضاء كأعضاء الجزور
فآمنوا ببعضه و كفروا بالآخر. و قد روى عن الصادقين (ع) فى معنى هاتين الآيتين فقالا: إن كفار قريش كان بعضهم يقول: إن سورة
البقرة لى، و آخر منهم يقول: إن سورة النحل لى و الباقي لكم، و هكذا كان كل واحد يختار سورة استهزاء و يتقسمون القرآن بهذه
الكيفية فسماهم الله: المقتسمين و وصفهم بالذين جعلوا القرآن عضين أى قطعاً قطعاً. ٩٢ و ٩٣- قَوْ رَبِّكَ لَنَنْسِفَنَّ لَهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا
كَانُوا يَعْمَلُونَ: أى و حق ربك يا محمد: لنسألن هؤلاء الكفار توبيخاً لهم: لم عصيتم و ما هى حجتكم فيما فعلتم فلا يكون لديهم
جواب فيفتضحون بكفرهم. ٩٤ و ٩٥- فَاصْرِفْ بِمَا تُؤْمَرُ وَ اعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ... أى اجهر بتبليغ الأوامر و النواهي التى حملتها من
ربك غير خائف و لا مبال بالمشركين إِنَّا كَفَيْنَاكَ مَعْنَاكَ و حفظناك من الْمُشْتَهَرِّينَ بإهلاكمهم. ٩٦- الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا
آخَرَ ... أى اتخذوا معه إلها يعبدونه فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ سيعرفون بطشه حين يذوقون عذابه. ٩٧ الى ٩٩- وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ
بِمَا يَقُولُونَ: أى نحن نعرف يقينا انك يا محمد يضيق قلبك و يعتصر ألماً بما يقوله قومك من تكذيبك و الاستهزاء بك فَسَبِّحْ
بِحَمْدِ رَبِّكَ نَزْهَةً عن كل ما لا يليق به و احمده و ذلك بقولك سبحان الله و بحمده. وَ كُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ اسجد لعظمته و فوض
أمورك إليه وَ اعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ أى ما دمت حياً، فاليقين هنا الموت.

سورة النحل مكية، عدد آياتها ١٢٨ آية

١- أَنى أَمُرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلْهُ ... أى قرب أمر الله بعقابكم أيها المشركون فلا تطلبوا الإعجال به. و العقاب إما بقيام القيامة أو العذاب
الدينى. و قيل معناه أن أمر الله أى احكامه و فرائضه قد بلغ. سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ أى تنزيها لله عما لا يليق به و بصفاته و
عن أن يكون له شريك فى عبادته. ٢- يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ ... أى ينزلهم بما يحيى القلوب الميتة بالجهل مِنْ أَمْرِ يَارَادَتِهِ و بما
ينزل من الوحي و القرآن. و قيل إن المراد بالروح هو جبرائيل على مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ مِمَّنْ يَخْتَصِمُ بِهِم بِالرَّسَالَةِ أَنْ أَنْذَرُوا أَعْلَمُوا الْخَلْقَ
و تَبْهَوهُمْ بِأَنَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا لَا رَبَّ سِوَاى وَلَا مَعْبُودَ غَيْرِ فَاتَّقُوا تَجَنَّبُوا مَخَالَفَتِي. ٣- خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ بِالْحَقِّ ... أى
أوجدهما ليستدل بهما على معرفته و يتوصل بالنظر فيهما إلى العلم بكمال قدرته و حكمته تَعَالَى سَمَا عَمَّا يُشْرِكُونَ معه غيره فى
الألوهية. ٤- خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ ... أى ابتدعه و أوجده من ماء ضعيف مهين فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ فإذا بهذا الإنسان الضعيف الذى
تعهد صانعه و أنشأه، مجادل له منازع فيه، ينكر ربوبيته و يلحد بأسمائه و قدرته بشكل واضح. ٥- وَالْأَنْعَامَ ... أى الأصناف الثمانية
خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دَفْعٌ أى ما تستدفنون به من البرد من الألبسة و لكم أيضا فيها منافع من نسل و درّ و ركوب و منها تَأْكُلُونَ من اللحوم
و الألبان. ٦- وَ لَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ ... أى زينة حِينَ تُرِيحُونَ أى زمان تردونها إلى مرايحها بالعشى وَ حِينَ تَسْرِحُونَ فى الوقت الذى

ترسلونها إلى مرعاها بالغداة. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٢٧٣-٧ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ ... أى تنقلون عليها أحمالكم من بلد إلى بلد بعيد لَمْ تَكُونُوا بِالْغِيَةِ واصلين إليه إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِلَّا بالتعب الشديد إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَوْفٌ رَحِيمٌ أى ذو رأفة بكم ورحمة. حيث أنعم بها و غيرها عليكم. ٨- وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ ... هذه الحيوانات كلها خلقها سبحانه، لفائدتكم لِتَرْكَبُوهَا فى أسفاركم و تنقلوا عليها أَثْقَالَكُمْ وَ جعلها زِينَةً لَكُمْ تنباهون فى اقتنائها وَ يَخْلُقُ بعدها ما لا تَعْلَمُونَ ما لا تعرفونه من المراكب التى تستحدث من بعدكم. و قد عنى سبحانه مراكب اليوم من المخترعات و المصنوعات الحديثة البرية و البحرية و الجوية و ما قد يوجد فيما بعد، عدا المركبات الفضائية التى غزيت بها كواكب عديدة بعيدة، و هذه كلها بإفاضته سبحانه و هدايته و توفيقه. ٩- وَ عَلَى اللَّهِ قَضْدُ السَّبِيلِ ... أى و عليه هداية الطريق المستقيم الموصل إلى الحق وَ مِنْهَا جَائِزٌ أى و من هذه السبل ما هو مائل عن الاستقامة معوج، وَ لَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ أى أرشدكم على طريق الإلجاء، و لكنه ينافى التكليف. ١٠- هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ ... لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَ مِنْهُ شَجَرٌ: أى منه لشربكم و منه لشرب الشجر و النبات و سقيه فيه تُسِيمُونَ أى ترعون مواشيكم. ١١- يُنَبِّئُ لَكُمْ بِهِ الزَّوَجَ وَالزَّيْتُونَ ... إلخ. أن ينبت لكم الله بذلك المطر كل هذه الأشياء المذكورة لانتفاعكم و ما يتغذى به الحيوان من النبات و ذكر ما ينفع للإنسان ممّا يتغذى به، و هو على قسمين: حيوانى و قد ذكر فى خلق الأنعام، و نباتى و هو الحبوب و الفواكه، و من الزرع كالحنطة و الشعير و الأرز و نحوها و الزيتون كذلك إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ أى دلالة و حجة لأولئك الذين يستدلون بها على عظمه خالقها و كمال قدرته و حكمته. ١٢- وَ سَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ ... وَ النَّجْمُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ و المعنى: أنه أعدّها لمنافعكم حال كونها مسخرة لحكمه و تديره تعالى و منافع الليل و النهار كثيرة، فالليل وقت للاستراحة و الطمأنينة، بينما النهار للحركة و السعى و العمل. و كذلك منافع الشمس و القمر أكثر من أن تحصى و منها إنضاج الفواكه و إدراك الزرع و معرفة حساب الشهور و السنين و غيرها. إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ أى أن فيما عدده من مخلوقاته حججا و أدلة و براهين لأرباب العقول الذين هم أهل التدبّر و الاعتبار. ١٣- وَ مَا ذَرَأَ لَكُمْ ... أى خلق فى الأرض من حيوان و نبات و معادن و مطاعم و مشارب مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ أى أشكاله و أصنافه هى أيضا متأثرة و المؤثر غيرها و هو الله الواحد القهار إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَكَّرُونَ أى أن فيما ذكر مما ذرأ حجة و برهانا للذين يتفكرون فى الأدلة فيتعظون بها. ١٤- وَ هُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ ... أى أن الله تعالى بقدرته ذلل البحر و هيأه لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا أى لتصطادوا منه لأكلكم لحما جديدا ذا طراوة. وَ تَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا أى لتغوصوا فيه و تخرجوا منه ما تترين به نساؤكم لكم من اللؤلؤ و المرجان. و إنما صحت نسبة اللبس إلى الرجال مع أن التى تلبس الحليّة المرأة فلأنها إنما تترين للرجل، و يحتمل أن الحليّة إنما هى مما يترين به الرجال أيضا. وَ تَرَى الْفُلْكَ مَوَاحِرَ فِيهِ أى جوارى تشق الماء بصدرها وَ لَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ تطلبوا من سعه رزقه بركوبه للتجارة وَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ الله على نعمه المذكورة بعد معرفتها. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٢٧٤-١٥ وَ أَلْقَى فِي الْمَآرِضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ ... أى خلق على الأرض جبلا- رفيعة كبيرة ثابتة لئلا تتحرك و تضطرب، وَ أَنْهَارًا أى و جعل فيها أنهارا. وَ سُبُلًا أى جعل فى الأرض طرقا عديدة من موضع إلى موضع لتسهيل تحصيل المقاصد و المنافع. و قيل: المراد طرق معرفة الله. لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ أى لكى تهتدوا إلى مقاصدكم أو إلى توحيد الله تعالى. ١٦- وَ عِلَامَاتٍ: هى معالم الطرق و ما يستدل به المارة من جبل و سهل. وَ بِالْنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ فى الليالى كالمسافرين فى البرّ و البحر. و قيل إن المراد به الثريا و الفرقدان و الجدّى و بنات نعش. ١٧- أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا- يَخْلُقُ ... الاستفهام إنكارى، يعنى أفمن يوجد كل هذه الأشياء المذكورة هو فى استحقاق العبادة و الربوبية كالأصنام التى لا تخلق شيئا و لا تضر و لا تنفع حتى يسوى بينه و بينها فى العبادة؟ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ أى تتبّهون و تلتفتون فتعرفوا فساد ذلك. ١٨- وَ إِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ... أى لا تقدروا على ضبطها و إحصائها و لذا لا تطيقون القيام بشكرها إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ يتجاوز عن تقصيركم فى أداء شكرها رَحِيمٌ يرحمكم بمزيد النعمة و توفيرها. ١٩- وَ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ ... أى ما تخفون من العقائد الحقّة و الباطلة، أو المراد أعَمّ منها و ما تُعْلِنُونَ من الأعمال الحسنّة و السيئة، أو الأعَمّ منها و من العقائد. ٢٠- وَ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ... إلخ. أى الآلهة التى تعبدونها من الأصنام التى لا تقدر على خلق شيء لأنها بنفسها منحوتة من الحجر و الخشب و غيرها. ٢١- أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ ... أى الأصنام، أكد

كونها أمواتا بقوله غير أحياء لنفى الحياة عنها على الإطلاق. وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ لا يعلم العبد وقت بعثهم، أو لا يعلم المعبودون وقت بعثهم وبعث عبدتهم. ٢٢- إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ ... إلخ. لا يقدر غيره على خلق أصول النعم مما يستحق به العبادة فاثبتوا على عبادته والكافرون قلوبهم مملوءة كفرا وهم مستكبرون عن العبادة وعن الإذعان للحق. ٢٣- لَا- جَزَمَ أَنَّ اللَّهَ يَغْلِبُ ... الجرم: الكسب. أى: لا محالة. ٢٤- وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ: إلخ. الخطاب لمشركى قريش والجواب منهم، قالوا بأباطيل الأولين أى هذا المنزل فى زعم المسلمين هو عندنا أحاديث الأقدمين الكاذبة الخرافية. ٢٥- لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً ... إلخ. للام للعاقبة، والمعنى كانت عاقبة أمرهم حين فعلوا ذلك أن يحملوا أوزار كفرهم تامة يوم القيامة مع بعض أوزار الذين يضلونهم لأنهم شاركوهم فى إثم ضلالهم إذ دعوهم إليه فاتبعوهم بغير علم أى جاهلين ألا- ساء ما يزرؤن أى بس ما يحملونه من أوزار الضلالة وبال إضلالهم. ٢٦- قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ... أى قد فعل الخدع والحيل الذين كانوا قبل مشركى قريش بأنبيائهم إيذاء لهم فَأَتَى اللَّهَ بُنْيَانُهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ أى فجاءهم أمر الله وعذابه فاقتلع أساس أبنيتهم المتقنة فخرّ عليهم السقف من فوقهم فسقط السقف وانهدم عليهم البنيان وهم تحته. وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ أى جاءهم عذاب الاستئصال حين كونهم فارغى البال مرفقين لا يترقبون العذاب ولا يتوقعونه. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٢٧٥ ٢٧- ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ ... وفى يوم القيامة يعبد الله تعالى عن رحمته كل من دعوا أنفسهم آلهة ويقول لعبدتهم أين شركائى الذين كنتم تشاقون فيهم؟ أين هم الذين ألهموهم وعبدتموهم وجعلتموهم شركاء لى، وكنتم تخاصمون المؤمنين وتعادونهم من أجلهم؟ قَالَ الَّذِينَ أوتُوا الْعِلْمَ أى أجاب الأنبياء أو الأوصياء والعلماء الذين كانوا يدعون البشر إلى الدين والحق، قالوا: إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ أى قد باءوا بغضب الله وطردها من رحمته وأصبحوا محل لعنته. ٢٨- الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ... هم الكافرون المذكورون فى الآية السابقة، تتوفاهم: تلقاهم ملائكة العذاب ظالمة أنفسهم بأن عرضوها للعذاب والخلد فيه بكفرهم، فَأَلْقُوا السَّلَامَ أى استسلموا عند الموت ما كنّا نعمل من سوء أى اعتذروا كما يعتذر الأطفال الضعفاء بغير المعقول. لأنهم جحدوا ما كانوا عليه من الشرك والكفر وأنكروا عصيانهم فى الدنيا، فأجابهم الملائكة بلى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ بلى كنتم تعملون السوء، ومسجل عليكم ما عملتموه. ٢٩- فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ ... أى ادخلوا من أبوابها وقد ذكر الأبواب لأن كل باب معد لصنف من المجرمين، فلجوها خالدين فيها مؤبدين فيها فَلَيْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ أى: لساء مقام المتكبرين عن التوحيد والعبودية. ٣٠- وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ ... أى: ثم يسأل الذين تجنبوا الشرك. ماذا قال ربكم قالوا أنزل الله القرآن الذى كله هدى وخير بخلاف الجاحدين الذين قالوا: أساطير الأولين، لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فى هذه الدنيا عقيدة وعمالا- حَسَنَةً إِيَّاهُمْ من الله وَلِمَادَارُ الْمَآخِزِ الْمَعْدَةِ لَهُمْ فى الجنة خَيْرٌ مما هم فيه فى دار الدنيا وَلِنَعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ دارهم فى الآخرة. ٣١- جَنَّاتٍ عِدْنٍ يَدْخُلُونَهَا ... جزاء عملهم الصالح، وقصورها تجرى من تحتها الأنهار تسير بين حدائقها الغناء، لَهُمْ لِلْمُتَّقِينَ فى الجنة فيها ما يشاؤون كل ما يريدون كذلِكَ كمثل هذا الثواب الجزيل يُجْزَى اللَّهُ يثيب الله تعالى الْمُتَّقِينَ العاملين بأوامره ونواهي. ٣٢- الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ ... فهم المتوفون طاهرى النفوس من دنس الشرك، أنقياء القلوب من شوائب الظلم والملائكة يقولون لهم عند توفيتهم سَلَامٌ عَلَيْكُمْ تحية لكم من عند الله تعالى، أو من أنفسهم لأنهم يكونون ملائكة رحمته، اذْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ أى بعد البعث والنشور. ٣٣- لَنْ يَنْظُرُوا ... أى هل ينتظر الذين لا يؤمنون بالآخرة فى آخر حياتهم لَأَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ ملائكة العذاب لقبض أرواحهم وَيَأْتِي أَمْرُ رَبِّكَ يعنى قضاؤه عليهم بالموت، أو عذابه الذين يخبرون به، ذَلِكْ أى مثل ذلك الفعل من الشرك والتكذيب عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ عمل الأولون من المشركين، مَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ وحاشاه أن يظلم أحدا. بل ظلموا أنفسهم هم بالمعاصى التى استحقوا بها الهلاك. ٣٤- فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا ... أى وقع عليهم سوء عملهم وحاق بهم أحاط بهم جزاء ما كانوا به يَشْتَهَرُونَ من العذاب. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٢٧٦ ٣٥- وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا ... أى هؤلاء الذين مرّت صفة حالهم ومآلهم فى الآية السابقة وقالوا: لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبْدْنَا مِنْ دُونِهِ، مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ فُلُو أَرَادَ اللَّهُ إِرَادَةَ إِلْجَاءِ مَا عَبْدْنَا غَيْرَهُ، نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ بل نحرم ما حرم فانسبوا قبائح أفعالهم إليه سبحانه وتعالى عن

ذلك علوا كبيرا. كذلك مثل فعلهم هذا فَعِلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَهَدَى عَلَى الرُّسُلِ مِنْ وَاجِبِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ الاعلام الواضح الذى يكشف عن الحق؟ وعلى الناس بعد ذلك أن يختاروا لأنفسهم. ٣٦- وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاَ ... أى أرسلنا لكل جماعة من الناس نبيا يرشدكم قائلا لهم أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ دُونَ غَيْرِهِ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ مَرَّ تَفْسِيرِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ لَأَنَّهُمْ أَهْلُ لِلْهُدَايَةِ فَأَمَنُوا وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ اعْتَبَرُوا ضَالِّينَ حَقًّا لَتَكْذِيبِهِمْ رَسُلَ رَبِّهِمْ فَسَيُرْؤُا أَمْشُوا فِي الْأَرْضِ فِيمَا هُوَ لَكُمْ فَانظُرُوا بِأَعْيُنِكُمْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ لِلرُّسُلِ إِذْ دَمَرْنَاهُمْ، وَ آثَارَ تَدْمِيرِهِمْ بَاقِيَةً. ٣٧- إِنْ تَخَرَضَ عَلَى هُدَاهُمْ ... أى: إن كنت مهتما يا محمد بأن يؤمنوا بك فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ أَى أَنْ اللَّهَ لَا يَمْنَحُ الْهُدَايَةَ لِمَنْ لَيْسَ مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَهْدِيَ وَ مَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ مُسَاعِدِينَ يَنْصُرُونَهُمْ وَيَخْلُصُونَهُمْ مِنَ الْعَذَابِ. ٣٨- وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ... أى أنهم حلفوا وبالغوا فى الحلف واجتهدوا وهذه الآية عطف على قوله تعالى: وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا ... إلخ. إيدانا بأنهم أنكروا التوحيد والبعث. لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ لَا يَعِيدُ اللَّهُ الْأَجْسَامَ بَعْدَ فَنَائِهَا إِلَى حَيَاةٍ ثَانِيَةٍ. بَلَى يَبْعَثُ اللَّهُ الْأَمْوَاتَ، وَقَدْ وَعَدَ بِذَلِكَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا لَا بَاطِلَ فِيهِ وَلَا خَلْفَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ مَرَّ تَفْسِيرِهِ. ٣٩- لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلَفُونَ فِيهِ ... أى: يبينهم ليظهر لهم ما يختلفون فيه من أمر البعث والحشر وَلِيَعْلَمَ يَعْرِفَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَأَنكَرُوا ذَلِكَ، أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ فِي أَيْمَانِهِمْ وَ فِي عَقِيدَتِهِمْ وَعَمَلِهِمْ. ٤٠- إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ ... إلخ. أورد سبحانه هذا القول للتقريب إلى الأذهان إذ أنه تعالى لا يحتاج إلى لفظ كُنْ حتى يكون ما يريد، فلو أراد شيئا لكان لمجرد إرادته، والبعث والنشور لا يتوقفان إلا على أمره الذى إذا شاء يريده فَيَكُونُ يَصِيرُ حَسْبَ إِرَادَتِهِ عَزَّ وَ عَلَا حَالًا. ٤١- وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ ... أى الذين فارقوا أهلهم فرارا بدينهم فى سبيل الله وابتغاء مرضاته واتباعا لرسوله إلى حيث يأمنون على أنفسهم ودينهم. مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا بَعْدَ أَنْ ظَلَمَهُمُ الْمُشْرِكُونَ فِي مَكَّةَ وَ عَذَّبُوهُمْ وَ بَخَسُوهُمْ حَقَّهُمْ لَايْمَانَهُمْ بِاللَّهِ وَ كَفَرَهُمْ بِالْأَصْنَامِ لَتُبَوَّئَتْهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً أَى لَنَسَكَّنَتْهُمْ فِيهَا مَسَاكِينَ يَعِيشُونَ فِيهَا عَيْشَةً حَسَنَةً، وَلَنُبَدِّلَنَّهُمْ بِأَوْطَانِهِمْ أَوْطَانًا أَحْسَنَ مِنْهَا، قِيلَ: هِيَ مَدِينَةُ الرَّسُولِ (ص) فَإِنَّهَا طَبِيعَةٌ حَسَنَةٌ مَبَارَكَةٌ. وَ لَأَجْزُ الْآخِرَةِ الثَّوَابِ وَ الْجَنَّةِ أَكْبَرُ أَوْسَعُ وَ أَجْمَلُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ لَوْ عَرَفَهَا هَؤُلَاءِ الْمُهَاجِرُونَ لَرَأَوْا مَا أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ فِي الْجَنَّةِ فَازِدَادَ سُرُورِهِمْ وَ حَرَصَهُمْ عَلَى التَّمَسُّكِ بِالَّذِينَ. ٤٢- الَّذِينَ صَبَرُوا ... إلخ. أى صبروا على مفارقة الأوطان و أذى الكفار و هم يَفُوضُونَ أَمْرَهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ. وَقَوْلُهُ: الَّذِينَ صَبَرُوا، خَبَرٌ لِمَبْتَدِئِ مَحْذُوفٍ تَقْدِيرُهُ: الْمُهَاجِرُونَ الَّذِينَ ... إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٢٧٧ ٤٣- وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ ... أى جرت سنتنا و عادتنا على أن نرسل من جنس البشر لا من الملائكة، أَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَ إِنْ اعْتَبَرْتُمُوهُ أَمْرًا غَرِيبًا فَسَيُفْهِمُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إلخ. والمراد به- والله أعلم- أخبار اليهود والنصارى و رهبانهم الذين كانت قريش تعتقد بأقوالهم. ٤٤- بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ ... متعلق بأرسلنا، أى أرسلناهم بالبراهين والمعجزات والكتب وَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ أَى الْقُرْآنَ لِيُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ مِنَ الْأَحْكَامِ وَ الدَّلَائِلِ وَ الشَّرَائِعِ وَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ أَى يَتَأَمَّلُونَ فِيهِ فَيَعْلَمُوا أَنَّهُ الْحَقُّ. ٤٥- أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ ... استفهام إنكارى ومعناه أى شىء أَمِنَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ الَّذِينَ دَبَّرُوا التَّدَابِيرَ السَّيِّئَةَ فِي تَوْهِينِ أَمْرِ النَّبِيِّ (ص)، وَ إِطْفَاءِ نَوْرِ الدِّينِ وَ إِبْذَاءِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْ يُخَسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ كَمَا خَسَفَ بِقَارُونَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ أَى بَغْتَةً كَمَا فَعَلَ بِقَوْمِ لُوطَ. ٤٦- أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلُبِهِمْ أَى يَحِلُّ بِهِمُ الْعَذَابُ فِي ذَهَابِهِمْ وَ مَجِيئِهِمْ لِلتَّجَارَةِ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ أَى فليسوا بفاتنين. ٤٧- أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ ... أى حال كونهم خائفين مترقبين العذاب فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرُؤُفٌ رَحِيمٌ حَيْثُ أَمْهَلَهُمْ وَ لَا يَعَاجِلُهُمُ بِالْعِقَابِ لِيَتُوبُوا وَ يَرْجِعُوا. ٤٨- أَوْ لَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ: أى أولم ينظروا إلى أشياء خلقها الله لها ظلال من شجر و جبل و بناء و نحوها من الأجسام يَتَفَيَّؤُوا ظِلَالَهُ يَتِمَّائِلُ ظِلُّهُ عَنِ الْيَمِينِ وَ الشَّمَائِلِ مِنْ مَوْضِعٍ إِلَى مَوْضِعٍ حَسْبَ حَرَكَةِ ذِي الظِّلِّ أَوْ الشَّمْسِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَ هُمْ دَاخِرُونَ أَى مُسْتَسْلِمِينَ لِلَّهِ مُنْقَادِينَ مُسَخَّرِينَ. ٤٩- وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ ... أى ينقاد و يخضع لأمره و إرادته تعالى جميع من فيهما سواء كان الانقياد إراديا أو تكليفيا مِنْ دَابَّةٍ بَيَّانٍ لِلْمُوصُولِينَ حَيْثُ إِنَّ الدَّبَّ عِبَارَةٌ عَنِ الْحَرَكَةِ الْجِسْمَانِيَّةِ سَوَاءَ كَانَتْ فِي الْأَرْضِ أَمْ فِي السَّمَاءِ، وَ الْمَلَائِكَةُ إِمَّا عَطْفَ الْخَاصِّ عَلَى الْعَامِّ أَوْ بَيَّانَ لِمَا فِي السَّمَاءِ بِنَاءً عَلَى كَوْنِ الدَّابَّةِ بَيَّانًا لِمَا فِي الْأَرْضِ خَاصَّةً. وَ هُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ يَتَوَاضِعُونَ لَهُ. ٥٠- يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ: أى عذاب ربهم أن يجيء و ينزل

عليهم من فوق رؤوسهم وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ من العبادة والذكر، وتدبير الأمور، وإنزال العذاب، وإمطار المطر وغير ذلك. ٥١- وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ: هذا تأكيد يؤذن بمنافاة الاثنيتية للإلهية أى لا تعبدوا مع الله أحدا لأنه لا يستحق العبادة غيره. إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ أيضا أكد تنبيها على لزوم الوحدة الإلهية، فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ فخافوني دون غيرى. ٥٢- وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا: أى وله الطاعة واجبة على الدوام وقيل: معنى الواصب الدائم، وقيل واصبا: أى خالصا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ أى أ تخشون غيره تعالى مع أن غيره لا يضر ولا ينفع. ٥٣- وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ... التعم كالصيحة والسبعة ودفع المضار كلها منه تعالى وهو ولي نعمكم ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْتَرُّونَ أى متى لحقكم ضرر وبلاء تتضرعون إليه سبحانه بالدعاء وترفعون أصواتكم للاستغاثة به تعالى. ٥٤- ثُمَّ إِذَا كُشِفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ ... أى بعد أن يكشف سوء الذى يحيق بكم استجابة لدعائكم إِذَا فَرِيقٌ جَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْكُمْ بَرَبَهُمْ يُشْرِكُونَ به ويعزون كشف الضرر لغيره سبحانه. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٢٧٨ ٥٥- لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ ... أى كأنهم قصدوا بشرهم كفران نعمه كشف الضرر وإنكار كونها منه تعالى جحدا أو جهلا فَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ أمر تهديد وعيد. ٥٦- وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ ... أى لأصنامهم التى لا علم لها ولا حس ولا شعور لأنها مجرد جماد لا يضر ولا ينفع. نَصِيحًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ من الزرع والأنعام، تَاللَّهِ لَتَسْتَلْنَ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ أى عن أنها آلهة وأهل لأن يتقرب إليها، وقد أقسم سبحانه على ذلك. ٥٧- وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ ... فقريش قالت: إن الملائكة بنات الله سُبْحَانَهُ تنزيه له تعالى عما قالوه ويمكن أن تكون واردة مورد التعجب وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ أى البنين. ٥٨- وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَى ... إلخ. أى إذا أخبر بالأنثى صارت صورته متغيرة إلى السواد من الحزن ومن الحياء من الناس وَهُوَ كَظِيمٌ ممتلئ غيظا وحقا من أنه رزق بنتا. ٥٩- يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ ... إلخ. أى يختفى من قومه وأهل بلده مخافة العار من الأنثى التى رزقها أَيْمُسِكُهُ عَلَى هُونٍ أى يتركه على ذل وهوان أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أى يئده ويدفنه فى التراب كما كانت عادة بنى تميم وبنى مضر فى الجاهلية. ألا ساء ما يَحْكُمُونَ أى بشس حكمهم هذا جعلهم أولادا لربهم المنتزه عن الأولاد. وقيل معناه ساء ما يحكمونه من قتل البنات وعدم مساواتهن للبنين ولعل الجارية خير من الغلام. وروى عن ابن عباس: لو أطاع إله الناس لما كان الناس، لأنه ليس أحد إلا ويحب أن يولد له ولد ذكر، فلو كان الجميع ذكورا لما كان لهم أولاد فيفنى النوع الانساني وينقرض. ٦٠- لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ ... أى الصفة القبيحة كسواد الوجه حين بشر بالأنثى، والحزن والجهل، وقتل البنات خشية الإملاق، والذل وغير ذلك وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الصِّفَةُ الْحَسَنَةُ من وجوب وجوده الذاتى، والغنى المطلق، والجود العام وغير ذلك وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ مر معناه. ٦١- وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ ... إلخ. أى بكفرهم ومعاصيهم ما تَرَكَ عَلَيْهَا أى على وجه الأرض مِنْ دَابَّةٍ إلخ. ممن يستحق ذلك لأن البلية إذا جاءت عمت ولكن يمهلهم إلى وقت معلوم عنده هو يوم القيامة. ٦٢- وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ ... أى ما لا يحبون لأنفسهم من البنات والشركاء وغيرهم وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكُذْبَ ومع ذلك تقول ألسنتهم الكاذبة أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى أى عند الله لهم المثوبة أو الجنة. لا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ هذا رد لما كانوا يعتقدونه بزعمهم الفاسد وإثبات لصدده وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ أى مقدّمون إلى النار، وقيل: معذبون. ٦٣- تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَرَيْنَ لَهُمْ الشَّيْطَانُ: أى فأصروا على قبائح أعمالهم وكفروا بالمرسلين فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ إلخ. أى الشيطان ناصرهم ولا ناصر لهم غيره فى الدنيا ومصاحبهم فى الآخرة. ٦٤- وَمَا أُنْزِلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ ... خطاب للنبي (ص) أننا ما أنزلنا عليك القرآن إِلَّا لِنُبَيِّنَ لَهُمْ لتوضح للكافرين والمشركين كُلِّ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وتجعلهم على بينة من الأوامر. فهو لهذه الغاية وهو كذلك هُدى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ مر تفسيره مثله مكررا. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٢٧٩ ٦٥- وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ... هو سبحانه منزل المطر من السماء على الكيفية التى سبق بيانها فيما مضى من تفسير أمثال هذه الآية الكريمة فَأَخْيَا بِهِ بِالماء الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا بعد جفافها وموت ما فيها من نباتات إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً حُجَّةً ودليلا لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ لمن يسمع ويعى معنى المثل. ٦٦- وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً ... أى هى معبر يعبر بها من الجهل إلى العلم واعتبار وعظة نُشِيقُكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ تذكير الضمير هنا باعتبار اللفظ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا الفرث هو الروث من ذوى الحوافر والمراد باللبن الخالص خلوصه من لون الدم ورائحة الروث مع اتصاله واقتراعه بهما لأنه بينهما

www.noorfatemah.org

الأَرْض ... أى جميع المعلومات الغيبية والأسرار والمكونات السماوية والأرضية تختص به تعالى، وما أَمُرُ السَّاعَةِ الْقِيَامَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصِيرِ كارتداد الطرف أو هُوَ أَقْرَبُ من ذلك وهذا مبالغة في ضرب المثل إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ لا يعجزه شئ. ٧٨- وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ ... بالولادة، وأنتم عندها لا تَعْلَمُونَ شَيْئاً بل تجهلون أنفسكم وَجَعَلَ بعد ذلك لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ أى رَكَّبَ فيكم الحواس السليمة حتى تعرفوا جزئيات الأشياء بمشاعرهم وتتعلوها بقلوبكم لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ أى لكي تحمدوا الله على هذه النعم الجزيلة. ٧٩- أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ ... ألا ينظر الناس إلى الطيور مُسَخَّرَاتٍ أى مذلات خاضعات فى جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ مَا بَيْنَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ ولذا كانت محتاجة إلى الإمساك، وليس الممسك إِلَّا هو تعالى وَإِلَّا فَإِنَّ كُلَّ جِسْمٍ ثَقِيلٍ بحسب طبعه يقتضى السقوط إلى الأسفل بلا ممسك من فوقه وبلا دعامة من تحته إِنَّ فِي ذَلِكَ أى فى طيران الطيور المسخرات فى الجو على خلاف طباعها لآيات علامات على ممسكها والمسخر لها لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ لأنهم الذين ينتفعون بذلك. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٢٨١ ٨٠- وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا ... فقد جعل الله لكم مساكن وبيوتاً تتخذونها فى الحجر والمدر وغير ذلك مما تقيمون فيه آوين إلى الراحة وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ أى بيوتاً من نوع آخر خفيفة الحمل وهى قباب الأدم والخيم المتخذة من الجلود أو الوبر أو الصوف أو الشعر، تنقلونها حين سفرهم وحين مكثهم وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أى ممّا تأخذونه من جلود الأنعام حين جزّ صوفه وقصّ شعره، جعل لكم أثاثاً فراشا وأكسية ومَتَاعاً أدوات تمتعون و تنتفعون بها إلى حين إلى وقت الموت أو وقت فنائها. ٨١- وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا ... أى من الشجر والبيوت وكل ما يستظل به مطلقاً، وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا جمع كَنٍّ وهو ما يستكنّ به ويستتر كالكهوف والبيوت المنحوتة فى الجبال، وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ مفردها: سربال وهو القميص من القطن أو الكتان أو الصوف وغيره، وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمُ بَأْسَكُمْ أى دروعاً وجواشن وكل ما يلبس للوقاية فى الحرب كَذَلِكَ أى كما أنعم عليكم بهذه الأشياء وبما سبق ذكرها يُنِمُّ نِعْمَتُهُ عَلَيْكُمْ كاملة لَعَلَّكُمْ تنظرون فى جميع تلك النعم وتُسَلِّمُونَ فتؤمنون وتوحدون وتصدقون بأنه المنعم. ٨٢- فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ: أى إذا انصرفوا عن قولك ولم يأبهوا لوعدك وعيدك، فلا تبتئس لأنك رسول مبلغ موضح فقط. ٨٣- يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا ... يعنى ولايه على (ع) ثم يجحدونها وَكَثَرَهُمُ الْكَافِرُونَ بها المنكرون لها. ٨٤- وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ... أى نبيها وإمامها القائم مقامه يشهد لهم وعليهم بالإيمان والكفر ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا فى الاعتذار حيث لا عذر لهم وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ وَلَا هم يسترضون بحيث يقال لهم اعملوا عملاً يرضى الله به عنكم فإن الآخرة ليست بدار عمل. ٨٥- وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ ... أى حين يشاهد المشركون النار يوم القيامة يثقل عليهم فلا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ العذاب وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ أى يمهلون. ٨٦- وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ ... أى الذين جعلوهم شركاء الله فى عبادتهم إياهم من الأصنام والشیاطين. وقيل سَمَاهُمْ شركاء لأنهم جعلوا لهم نصيباً من الزرع والأنعام، قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا إِنْ لَمْ نَدْعُهُمْ فَنَكُفِّرْ بَعْدَهُمْ وَنَحْمِلْ عَلَيْهِمْ نَفْلَ الْإِثْمِ فَالْقَوْلُ إِلَيْهِمْ الْقَوْلُ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ أى أنطق الله الأصنام فقالت الأصنام: إنكم لكاذبون فيما أسندتم إلينا من أننا أمرناكم بأن تعبّدونا. ٨٧- وَالْقَوْلُ إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَامُ ... أى استسلم المشركون لحكمه وانقادوا يوم القيامة لأمره، وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ أى ضاع و بطل عنهم ما كانوا يقولونه افتراء من أن الأصنام شركاء الله فى العبادة أو أنهم ينصرونهم ويشفعون لهم. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٢٨٢ ٨٨- الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ: أى منعوا عن الإسلام وحملوا الناس على الكفر زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ أما أصل العذاب، فلکفرهم، وأما الزيادة فللصِّدِّ لأنهم مفسدون. ٩- وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ... أى من الأئمة وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ أى على قومك وأمتك، وإنما أفرده بالذكر تكريماً وتشريفاً له. وقيل: إن الأئمة شهداء على الناس، ونبينا صلوات الله وسلامه عليه شهيد على الأئمة، والأنبياء يكونون شهداء على أممهم. وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ أى القرآن تَبَيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ أى بياناً بليغاً لكل أمر ومشكل ممّا يحتاج الخلق إليه فى أمر دينهم إما بالتنصيص عليه تفصيلاً أو إجمالاً، أو بالإحالة إلى ما يوجب العلم، من بيان نبى أو من يقوم مقامه من الأوصياء، أو إجماع الأئمة، فيكون حكم الجميع مستفاداً

من القرآن. وَهُدًى وَرَحْمَةً أَى الْقُرْآن دَالٌّ عَلَى الرَّشْدِ وَ النِّعْمَةِ وَ بُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ أَى بشاره لهم بالثواب الدائم. ٩٠- إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَ الْإِحْسَانِ ... أَى الْإِنصَافِ التَّامَّ وَ إِيْتَاءِ ذِي الْقُرْبَى لَعَلَّ الْمَرَادُ بِهِ صَلَهِ الرَّحْمِ وَ يَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَ الْمُنْكَرِ أَى مَا جَاوَزَ حُدُودَ اللَّهِ وَ الْبُغْيِ أَى التَّطَاوُلَ عَلَى النَّاسِ بِغَيْرِ حَقٍّ، أَوِ الْكِبَرِ وَ رَوَى بِأَنَّ الْفَحْشَاءَ وَ الْمُنْكَرَ وَ الْبُغْيَ، فَلَانَ وَ فَلَانَ وَ فَلَانَ، وَ قِيلَ: لَوْ لَمْ يَكُنْ فِي الْقُرْآنِ إِلَّا هَذِهِ الْآيَةُ لَصَدَقَ عَلَيْهِ أَنَّهُ تَبَيَّنَ لِكُلِّ شَيْءٍ يَعْظُكُمُ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ أَى يَعْظُكُمْ بِمَا تَضَمَّنَتْ هَذِهِ الْآيَةُ مِنْ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ لِكَى تَتَفَكَّرُوا وَ تَرْجِعُوا إِلَى الْحَقِّ. ٩١- وَ أَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ... إلخ. أَى مَا يَجِبُ الْوَفَاءُ بِهِ أَوِ الْبَيْعَةُ لِلرَّسُولِ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا أَى بَعْدَ الْحَلْفِ وَ التَّوْثِيقِ بِاسْمِ اللَّهِ تَعَالَى إِذْ جَعَلْتُمُوهُ عَلَيْكُمْ كَيْفِيًّا أَى شَهِيدًا بِالْوَفَاءِ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ مِنَ النَّقْضِ أَوِ الْوَفَاءِ. ٩٢- وَ لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَقَضَتْ غَزْلَهُمَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ... أَى كَالْمَرْأَةِ الَّتِي أَفْسَدَتْ مَا غَزَلَتْهُ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَحْكَمَتْهُ أَنْكَاثًا هُوَ مَا يَنْكُثُ فَتْلَهُ أَى يَحُلُّ نَسْجَهُ، جَمْعُ: نَكَثَ بِالْكَسْرِ. تَتَخَذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا أَى خِيَانَةً وَ خَدِيعَةً. أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ أَى لِأَنَّ تَكُونَ جَمَاعَةً هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ أَى أَكْثَرُ مِنْ أُخْرَى. أَى لَا- تَنْقُضُوا الْعَهْدَ بِسَبَبِ أَنْ تَكُونَ جَمَاعَةً وَ هُمْ كَفَرَةٌ قَرِيشَ أَزِيدَ عَدَدًا وَ أَوْفَرَ مَالًا مِنْ جَمَاعَةِ الْمُؤْمِنِينَ. إِنَّمَا يَتْلُوكُمْ اللَّهُ بِهِ أَى يَخْتَبِرُكُمْ بِكَوْنِكُمْ أَرْبَى لِيَنْظُرَ وَفَاءَ كَمْ بَعْدَهُ أَوْ تَفْتَخِرُونَ بِكَثْرَةِ قَرِيشَ وَ ثَرَوَتِهِمْ وَ قَلَّةِ الْمُؤْمِنِينَ وَ فَقَرِهِمْ وَ لِيَسَيِّرَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إلخ. أَى وَ لِيُفْصِلَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ تَخْتَلِفُونَ فِي صَحْتِهِ فَيَعْرِفُ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ. ٩٣- وَ لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ... أَى لَوْ اقْتَضَتْ الْحَكْمَةُ أَنْ يَجْعَلَكُمْ أُمَّةً إِسْلَامِيَّةً لَكَانَ قَادِرًا، وَ الْمَرَادُ الْمَشِيئَةُ الْإِلْجَائِيَّةُ وَ لَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ أَى يَخْذُلُ مَنْ يَشَاءُ مِنَ الَّذِينَ رَأَوْا الْآيَاتِ الْوَاضِحَةَ وَ مَعَ ذَلِكَ جَحَدُوا وَ اخْتَارُوا الْكُفْرَ وَ الضَّلَالَةَ بِسُوءِ اخْتِيَارِهِمْ وَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ بِلُطْفِهِ وَ كَرَمِهِ مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِهِ فَيُوقِّعُهُ وَ يُؤَيِّدُهُ لِتَحْصِيلِ الْهَدَايَةِ وَ اخْتِيَارِهَا مِنْ دُونِ إِلْجَاءٍ إِلَى هَذَا أَوْ ذَاكَ. وَ لَنَسْأَلَنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ سُؤَالَ مَجَازَةٍ وَ تَقْرِيعٍ وَ الْعَلْبَةِ بِالْحُجَّةِ. إِرْشَادُ الْأَذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ٢٨٣ ٩٤- وَ لَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ ... كَزَرَ تَأْكِيدًا. وَ التَّصْرِيحُ بِالنَّهْيِ مَبَالِغَةٌ فِي النَّهْيِ عَنْهُ شَدِيدًا. فَتَرَلَّ قَدَمٌ عَنْ مَحَبَّةِ الْإِسْلَامِ وَ الْمَرَادُ بِالْقَدَمِ: الْأَقْدَامُ وَ التَّوْحِيدُ وَ التَّنْكِيرُ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ زَلَلَ قَدَمَ وَاحِدٍ عَظِيمٍ عِنْدَهُ تَعَالَى فَكَيْفَ بِأَقْدَامٍ كَثِيرَةٍ. وَ هُوَ مِثْلُ لَمَنْ وَقَعَ عَلَى بَلَاءٍ بَعْدَ عَافِيَةٍ. بَعْدَ ثُبُوتِهَا اسْتِقْرَارُهَا عَلَيْهَا وَ تَذَوُّقُهَا الشُّوَاءَ أَى الْعَذَابَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِامْتِنَاعِكُمْ وَ مَنَعِكُمْ عَنِ الْوَفَاءِ، أَوْ بِصَدِّكُمْ عَنْهُ لِكَى يَقْتَدِيَ بِسُلُوكِكُمْ. وَ لَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ فِي الْآخِرَةِ. وَ هَذَا تَهْدِيدٌ عَظِيمٌ لضعفاء النفوس من المسلمين الذين أرادوا نكث عهدهم مع النبي (ص) لوعده قريش إياهم لو فعلوا ذلك بالمنافع الوافية و العطاءات الكثيرة. ٩٥- وَ لَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ أَى وَ لَا تَسْتَبْدِلُوا عَهْدَ اللَّهِ وَ بَيْعَهُ رَسُولَهُ ثَمَنًا قَلِيلًا بَعْرَضٍ قَلِيلٍ مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الثَّوَابِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ مِنْ عَرْضِ الدُّنْيَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ تَدْرِكُونَ وَ تَفْهَمُونَ. ٩٦- مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ ... مَا تَمْلِكُونَهُ مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا يَنْقُضِي وَ يَفْنَى وَ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الثَّوَابِ وَ الْأَجْرِ عَلَى الْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ وَ غَيْرِهِ. بَاقٍ لَا يَنْقُطُ وَ لَا يَنْفَدُ. وَ هَذَا عَلَّةٌ لَكُونَ مَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ، لِأَنَّ الْقَلِيلَ الَّذِي يَبْقَى خَيْرٌ مِنَ الْكَثِيرِ الَّذِي يَفْنَى، فَكَيْفَ بِالْكَثِيرِ الَّذِي يَبْقَى فِي مَقَابِلَةِ الْقَلِيلِ الَّذِي يَفْنَى. وَ لَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا ... إلخ. أَى لِنَكافئن الذين صبروا على الطاعات و ثبتوا على العهود ثوابهم بأحسن من عملهم ذاك. ٩٧- مَنْ عَمِلَ صَالِحًا ... حَيَاةً طَيِّبَةً إلخ. أَى يَعِيشُ عِيشًا طَيِّبًا. فَذُو الْعَمَلِ الصَّالِحِ لَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ذَكَرْنَا أَوْ أَنْشَى. وَ رَوَى عَنْهُ (ص) أَنَّ الْمَقْصُودَ بِالْحَيَاةِ الطَّيِّبَةِ: الْقَنَاعَةُ وَ الرِّضَا بِمَا قَسَمَ اللَّهُ. ٩٨- فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ... أَى إِذَا أَرَدْتَ قِرَاءَتَهُ يَا مُحَمَّدُ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ شَرِّ الشَّيْطَانِ الْمَطْرُودِ الْمَرْجُومِ الْمَلْعُونِ وَ وَسُوسَتِهِ لَتَسْلَمَ فِي التَّلَاوَةِ مِنَ الزَّلَلِ، وَ فِي التَّأْوِيلِ مِنَ الْخَطْلِ. وَ الْاسْتِعَاذَةُ عِنْدَ التَّلَاوَةِ مُسْتَحَبَّةٌ بِلَا خِلَافٍ فِي الصَّلَاةِ وَ خَارِجَهَا، وَ كَيْفِيَّتُهَا: أَعُوذُ بِاللَّهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، عَلَى مَا عَنْ سَدِيرٍ عَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَرَأْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ (ص) هَكَذَا: أَعُوذُ بِاللَّهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، فَقَالَ (ص): يَا ابْنَ أُمِّ عَبْدِ اللَّهِ، قُلْ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، هَكَذَا أَقْرَأْنِيهِ جِبْرَائِيلُ عَنِ الْقَلَمِ عَنِ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ. وَ لَفْظُ الْقُرْآنِ مُوَافِقٌ لِرَوَايَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ هَذِهِ. ٩٩- إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا ... أَى أَنَّ الشَّيْطَانَ اللَّعِينُ لَيْسَ لَهُ تَسَلُّطٌ وَ لَا حُكْمٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَ عَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ يَفُوضُونَ أُمُورَهُمْ إِلَيْهِ. ١٠٠- إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ ... أَى إِنَّمَا تَسْلُطُهُ وَ قُدْرَتُهُ عَلَى الَّذِينَ يَطِيعُونَهُ وَ يَتَّبِعُونَ إِغْوَاءَهُ، وَ الَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ أَى بِسَبَبِهِ يَشْرِكُونَ، أَوْ بِاللَّهِ يَشْرِكُونَ. ١٠١- وَإِذَا يَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ ... أَى أَتَيْنَا بِآيَةٍ نَاسِخَةٍ بِدَلَالَةٍ عَنِ الْمَنْسُوخَةِ لِمَصَالِحِ

العباد وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ أَي بِمَصَالِحِ الْعِبَادِ حَسَبِ الْأَزْمَانِ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ أَي قَالَ الْمُشْرِكُونَ لِلرَّسُولِ (ص) إِنَّمَا أَنْتَ كَاذِبٌ عَلَى اللَّهِ فِيمَا تَقُولُ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ فَوَائِدُ النِّسْخِ وَحِكْمَةُ الْأَحْكَامِ. ١٠٢- قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ ... أَي أَنْزَلَ النَّاسِخَ جِبْرَائِيلُ (ع) بِالْأَمْرِ الصَّحِيحِ الثَّابِتِ وَالْقُدُسِ بَضْمُ الدَّالِ أَوْ بِسُكُونِهَا بِمَعْنَى الطَّهْرِ. لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا ... إلخ. وَاللَّهُ يَنْزِلُ الْوَحْيَ لِتَثْبِيتِ الْمُؤْمِنِينَ وَلِيَهْدِيَهُمْ وَيُبَشِّرَهُمْ. إِرْشَادُ الْأُذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ٢٨٤ ١٠٣- وَلَقَدْ عَلِمُوا أَنَّهُمْ يَقُولُونَ ... إلخ. أَي يُضَيِّفُونَ إِلَيْهِ التَّعْلِيمَ عَلَى يَدِ أَعْجَمِيٍّ أَي غَيْرِ فَصِيحٍ وَفِي تَفْسِيرِ الْقَمِيِّ، لِسَانُ الَّذِي يَلْحَدُونَ إِلَيْهِ هُوَ لِسَانُ أَبِي فَكِيهَةَ مَوْلَى ابْنِ الْحَضَرَمِيِّ كَانَ أَعْجَمِيَّ اللِّسَانِ وَكَانَ قَدْ اتَّبَعَ النَّبِيَّ (ص) وَآمَنَ بِهِ وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَقِيلَ: إِنَّهُ كَانَ رُومِيًّا، فَقَالَتْ قَرِيشٌ: هَذَا وَاللَّهِ يَعْلَمُ أَحْمَدُ، عَلَّمَهُ بِلِسَانِهِ. وَهَذَا لِسَانُ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ أَي فَصِيحٍ ذُو بَيَانٍ. ١٠٤- إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ... يَعْنِي بِهِمُ الْكُفْرَةُ وَالْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَمْ يَقْتَنِعُوا بِدَلَالِ اللَّهِ وَبِرَاهِينِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ لِأَنَّهُمْ لَيْسُوا مُسْتَحَقِّينَ لِعَنَاتِهِ وَرَحْمَتِهِ بِسَبَبِ عِنَادِهِمُ الشَّدِيدِ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَجِيعٌ. ١٠٥- إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ... أَي أَنْكُمْ أَيُّهَا الْمُتَهَمُونَ رَسُولَنَا (ص) بِالْإِفْتِرَاءِ عَلَيْنَا، أَنْتُمْ أَهْلُ الْإِفْتِرَاءِ وَالْكَذِبِ لِأَنَّكُمْ لَا تَصَدِّقُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ أَهْلُ الْكَذِبِ وَالْإِفْتِرَاءِ. ١٠٦- مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ ... أَي مَنْ ارْتَدَّ عَنِ الْإِسْلَامِ فَهُوَ فِي مَعْرِضِ غَضَبِ اللَّهِ وَسَخَطِهِ، إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ أَي إِلَّا إِذَا نَطَقَ بِكَلِمَةِ الْكُفْرِ عَلَى وَجْهِ التَّقْيَةِ مَكْرَهَا وَقَلْبُهُ ثَابِتٌ عَلَى الْإِيمَانِ سَاكِنٌ إِلَيْهِ. وَقَدْ نَزَلَتْ فِي عِمَارِ بْنِ يَاسِرٍ. وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ أَي وَلَكِنْ مَنْ اتَّسَعَ قَلْبُهُ لِلْكَفْرِ وَطَابَتْ نَفْسُهُ بِهِ فَلَهُ الْعَذَابُ الشَّدِيدُ فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ. وَقَدْ أَكْرَهَ جَمَاعَةٌ عَلَى الْإِرْتِدَادِ فِي بَدْءِ الدَّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، مِنْهُمْ عِمَارُ بْنُ يَاسِرٍ وَأَبُوهُ، فَقُتِلَ عَتَاةُ قَرِيشٍ أَبُويهِ لِإِصْرَارِهِمَا عَلَى التَّوْحِيدِ، وَأَعْطَاهُمْ عِمَارُ بِلِسَانِهِ مَا أَرَادُوا مَكْرَهَا، فَقَالَ قَوْمٌ: كَفَرَ عِمَارٌ، فَقَالَ (ص): كَلَّا، إِنَّهُ مَلَأَ إِيمَانًا مِنْ قُرْنِهِ إِلَى قَدَمِهِ، وَاخْتَلَطَ الْإِيمَانُ بِلَحْمِهِ وَدَمِهِ، فَاتَاهُ عِمَارُ يَبْكِي، فَمَسَحَ (ص) عَيْنَيْهِ بِيَدِهِ الشَّرِيفَةِ وَقَالَ لَهُ: إِنْ عَادُوا لَكَ فَعَدْ لَهُمْ. فَنَزَلَتِ الْآيَةُ الشَّرِيفَةُ ١٠٧- ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحْبَبُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ... أَي آثَرُوهَا عَلَى الْآخِرَةِ إلخ: وَغَزَّتْهُمْ زَهْرَتُهَا وَبَهَجَتْهَا لِكُفْرِهِمْ بِالْآخِرَةِ، فَحَرَمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى هِدَايَتَهُ وَعَنَاتِهِ. ١٠٨- أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ ... خَتَمَ عَلَيْهَا حَتَّى لَا يَدْرِكُوا قَوْلَ الْحَقِّ وَاسْمِعِهِمْ كَيْلًا يَسْمَعُوا كَلَامَ الْحَقِّ وَأَبْصَارِهِمْ إلخ. لَثَلَا يَشَاهِدُوا الْآيَاتِ الدَّالَّةَ عَلَى الْحَقِّ فَامْتَنَعُوا عَلَى الْاعْتِرَافِ بِالْحَقِّ بَتَاتًا وَضَيَّعُوا أَعْمَارَهُمْ بِصَرْفِهَا فِي مَا يَفْضِي إِلَى الْعَذَابِ الدَّائِمِ بِغَفْلَتِهِمْ عَنِ سُوءِ الْمَصِيرِ. ١٠٩- لَا جَزَمَ أَنََّّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ: مَرَّ تَفْسِيرُهَا. ١١٠- ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا ... أَي وَكَذَلِكَ الَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ مَكَّةَ هَرَبًا مِنْ جُورِ عَتَاةِ قَرِيشٍ مِنْ بَعِيدٍ مَا فُتِنُوا أَي بَعْدَ أَنْ عَذَّبُوا وَاخْتَبَرُوا كَعَمَارَ وَغَيْرِهِ. ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا عَلَى الْآلَامِ وَالْمَشَقَّاتِ الَّتِي لَاقَوْهَا مِنَ الْكُفَرِ إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعِيدٍ مِنْ بَعْدِهَا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ الْعَذَابِ وَتِلْكَ الْمَشَقَّاتُ لَعَفُورٌ مُتَجَاوِزٌ عَمَّا فَعَلُوا مِنْ قَبْلِ وَهُوَ خَيْرٌ إِنْ الْأَوَّلَى وَالثَّانِيَةُ جَمِيعًا. وَنَظِيرُهُ كَثِيرٌ فِي الْقُرْآنِ. رَحِيمٌ رُؤُفٌ بِهِمْ. إِرْشَادُ الْأُذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ٢٨٥ ١١١- يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا ... أَي تَحَاجُّ عَنْ ذَاتِهَا وَتُدَافِعُ عَنْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذْ لَا يَهْمُهَا غَيْرُهَا لَشِدَّةِ أَهْوَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَتَسْعَى لِلْخَلَاصِ بِكُلِّ وَسِيلَةٍ. وَلَكِنَّهَا تُؤَفِّي كُلَّ نَفْسٍ تَعْطَى يَوْمَئِذٍ اسْتِحْقَاقَ مَا عَمِلَتْ أَي جَزَاءَ عَمَلِهَا إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٍ وَإِنْ شَرًّا فَشَرٍّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ وَلَا يَظْلَمُ رَبُّكَ أَحَدًا. ١١٢- وَصَرَّبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً ... أَي وَيُعْطَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِلنَّاسِ مَثَلًا مُحْسُوسًا مَلْمُوسًا رَأَوْهُ قَدْ أَصَابَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْأَمْرِ. وَهُوَ أَنَّ قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مِنَ الْمَخَافِ السَّمَاوِيَّةِ وَالْأَرْضِيَّةِ، هَادئةً الْبَالِ يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَعْدًا أَي وَاسِعًا هَنِيئًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ مِنْ جَمِيعِ النُّوَاحِي فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمَ اللَّهُ بِطَرْتِ وَلَمْ تَشْكُرْ نِعْمَ اللَّهِ فَادَّاهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ فَابْتَلَاهَا اللَّهُ بِالْحَاجَةِ وَالْمَجَاعَةِ بِمَا بِسَبَبِ مَا كَانُوا أَهْلُهَا يَصْنَعُونَ مِنَ الْمَعَاصِي وَالْعِنَادِ وَالْكَفْرِ بِأَنْعَمَ اللَّهُ. وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ الْقَرْيَةَ هِيَ مَكَّةُ الْمَكْرَمَةُ، وَقَدْ ابْتَلَى اللَّهُ أَهْلَهَا بِالْقَحْطِ سَعِ سَنِينَ وَهُوَ الْجُوعُ، وَابْتَلَاهُمْ بِالْخَوْفِ مِنَ النَّبِيِّ (ص) وَمِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَدْ تَرَكْتَ قَرِيشَ تِجَارَتِهَا مَعَ الشَّامِ خَوْفًا مِنْ سَطْوَةِ الْمُسْلِمِينَ وَهَيْبَتِهِمْ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَغَيِّرُونَ عَلَى قَوَافِلِهِمْ وَيَأْخُذُونَ أَمْوَالَهُمْ وَيَأْسِرُونَهُمْ بَعْدَ الْهَجْرَةِ، وَبَعْدَ أَنْ دَعَا عَلَيْهِمُ النَّبِيُّ (ص) بِقَوْلِهِ: اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطَأَتَكَ عَلَى مُضِرٍّ وَاجْعَلْ عَلَيْهِمْ سَنِينَ كَسَنَى يُوسُفَ. وَقِيلَ غَيْرَ ذَلِكَ. ١١٣- وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ ... يَعْنِي أَهْلَ مَكَّةَ الَّذِينَ بَعَثَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِمْ رَسُولًا هُوَ مِنْهُمْ فِي الصِّمِيمِ، وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ جَحَدُوا

نبوته فجزيناهم بعذاب القحط والجوع والخوف وَهُمْ ظَالِمُونَ له ولأنفسهم. ولا يخفى أن إرسال رسول منهم عرقا ولغة هو من من الله تعالى عليهم و كان ينبغي لهم أن يؤمنوا به ويشكروا الله سبحانه على ذلك. ١١٤- فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا ... أى: كلوا ذلك أكلا- هنيئا مباحا لكم مطهرا من الرجس والنجس وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ احمده عليها إِنَّ كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ إى اعتقدتم وحدانيته وربوبيته و عبدتموه دون غيره. ١١٥- إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ ... وَ مَا أَهْلٌ لِّغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ... مر تفسير هذه الآية فى سورة البقرة رقم (١٧٣). ١١٦- وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمْ ... أى لا تحللوا ولا تحرموا بمجرد قول تنطق به ألسنتكم من غير حجة ولا برهان وقوله تعالى هذا حلالٌ وهذا حرامٌ بيان لقوله تعالى: الْكَذِبُ الَّذِي هُوَ مَفْعُولٌ لقوله وَلَا تَقُولُوا أى لا تحللوا ما حرمه الله ولا تحرموا ما حلله الله، و من فعل ذلك لا يفلح فى الآخرة. ١١٧- مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: ما يحصلون بالافتراء هو متاع زائل ثم يتعقبه عذاب موجه خالدين فيه يوم القيامة. ١١٨- وَ عَلَى الَّذِينَ هَادُوا ... إلخ. صاروا يهودا أى أننا حرمنا على اليهود ما قصصناه عليك سابقا فى سورة الأنعام من غير أن نطلبهم، ولكنهم هم كانوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ بما يتعدون على حدود ما أنزلنا على رسولنا إليهم من الأحكام. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٢٨٦- ١١٩- ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ... إلخ. أى أن من يعمل سيئه عن جهل ثم يتوب إلى الله توبه نصوحا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا أى بعد التوبة لَغَفُورٌ رَحِيمٌ مر معناه. ١٢٠- إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً ... وذلك أنه كان على دين لم يكن عليه أحد غيره، فكأنه أمة واحدة. قَانِتًا لِلَّهِ طَبِيعًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ مسلما موحدا. و عن الكاظم (ع): لقد كانت الدنيا، و ما فيها إلا واحد يعبد الله، و لو كان معه غيره إذن لأضافه إليه حيث يقول: إن إبراهيم كان أمة ... الآية ، ثم إن الله سبحانه آنسه بإسماعيل وإسحاق فصاروا ثلاثة، فإبراهيم (ع) كان وحده المسلم المطيع لله، و كان أيضا: ١٢١- شَاكِرًا لِأَنْعَامِهِ ... حامدا ربّه على أفضاله، و قد اجتنابه اختاره وَ هَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ لدينه الحنيف الذى لا عوج فيه. ١٢٢- وَ آتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ... إلخ. أى حبه إلى جميع الناس و رزقه خيرا كثيرا و عمرا طويلا و ذرية طيبة، و هو فى الآخرة من جملة الصالحين فى علو الرتبة و شرف المنزلة. ١٢٣- ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ أى: أوحينا إليك يا محمد أن تتبع شريعة إبراهيم (ع). حَنِيفًا مسلما موحدا. وَ مَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ لم يشرك بالله طرفه عين أبدا. ١٢٤- إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ ... إلخ. أى حصرنا عيد اليهود يوم السبت و ضيقناه عليهم بأن فرضنا تعظيمه و حرمة عليهم لاختلافهم فيما أمرهم به نبيهم موسى و لم يسمعوا قوله. و قد قيل إن الله أمر موسى (ع) أن يدعو بنى إسرائيل إلى ترك الأعمال يوم الجمعة و أن لا يشتغلوا فيه للدنيا بل يتفرغوا لعبادة الله فقط و أن يجعلوه يوم عيدهم، فاختلفوا فيه. فقبل بعضهم و رفض البعض الآخر، و من هؤلاء من اختار السبت، و منهم من اختار الأحد. و إِنَّ رَبَّكَ لِيُحْكُمَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إلخ. و يظهر اختلافهم و تحكّمهم فى الأمور التى ليست من شأنهم. ١٢٥- ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ: أى نادهم إلى الإسلام بِالْحُكْمِ بِالْحُجَّةِ التى تثبت الحق و تزيل الشبهة وَ الْمَوْعِظَةُ الْحَسَنَةُ أى المقالة و الخطاب المقنع و القصص النافعة، وَ جَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ناظرهم بالقرآن و بأحسن ما عندك من الحجج المزيحة للشبهة إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ أى عن دينه وَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ أى من عندهم قابلية الهدى. ١٢٦- وَ إِنِّ عَاقِبَتُكُمْ فَعَاقِبَتُهُمْ بِمَثَلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ ... أى إذا قاصصتم أحدا تعدى عليكم- أيها المسلمون- فليكن قصاصكم له مثل تعديه عليكم دون تجاوز لحدود ما رسم الله تعالى لكم فى تشريع العقوبة وَ لَئِنْ صَبَرْتُمْ عَلَى التَّعْدَى لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ صبركم، خير و أبقى لكم لما فيه من عظيم الأجر. ١٢٧- وَ اصْبِرْ وَ مَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ... الخطاب للنبي (ص) أن اصبر على ما تلقاه من أذى أعدائك و ما صبرك إلا بتوفيق الله تعالى و تثبته لك وَ لَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ أى على أصحابك و ما أصابهم من القتل و المثلة، وَ لَا تَكُ فِي ضَيْقٍ انقباض صدر و حزن مِمَّا يَمْكُرُونَ من كيد الكفار. ١٢٨- إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا ... فهو ناصرهم على أعدائهم وَ الَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ لأنفسهم و لغيرهم. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٢٨٧

سورة الإسراء مكية، عدد آياتها ١١١ آية

١- سُبْحَانَ الَّذِي أَى أَبْرَأَ اللَّهُ وَ أَنْزَهَهُ مِنْ كُلِّ سُوءٍ. أُشِيرى سار به فى الليل بِعَبْدِهِ وَ هُوَ مُحَمَّدٌ (ص) وَ هَذَا التَّعْبِيرُ: بعبده، فى هذا

المقام، يستنتج منه أن هذه الصفة وهى العبودية لله من أسمى الأوصاف و أرفعها، و لو كان أعلى و أفضل منها كان لا بد من ذكره لأهمية المورد، و هو كذلك حسب استقصاء الآيات و الأخبار و لذا نرى أنه مهما ابتلى نبي من الأنبياء ببلاء كان ذلك لنقص فى عبوديته، فأراد سبحانه أن يكمله بذلك البلاء ليلاً ظرف للإسراء، و فائدته- مع أن الإسراء لا يكون إلا بالليل- هى تقليل مدّة الإسراء و أنه أسرى به فى بعض الليل مسيرة أربعين ليلة. مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الْمَسْجِدَ الْحَرَامِ هُنا يمكن أن يكون مكة، و مكة و الحرم كلها مسجد كما قيل. و قيل الإسراء كان من نفس المسجد إلى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى أى بيت المقدس. الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ أى جعلنا البركة فيما حوله، بجعله مقرّ الأنبياء و باحتفائه بالأشجار و الأنهار و غير ذلك من الخيرات لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا أى العجائب و الأسرار السّماوية و الأرضية و ما بينهما. إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ مر معناه. ٢- وَ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ ... إلخ. يعنى التوراة التى جعلها سبحانه دليلاً و هادياً لبنى إسرائيل إلى الحق أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا أى: وكيلاً و معتمداً فى أموركم غيرى. و أفراد الوكيل باعتبار أنه فى معنى الجمع، لأدنى صيغة فعيل يكون لفظها مفرداً و لكن معناها على الجمع، كقوله تعالى: و حسن أولئك رفيقا. ٣- ذُرِّيَّتَهُ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ... أى: يا بنى إسرائيل اذكروا جدكم الأعلى و هو نوح الذى انجياه من الطوفان و من معه و أنتم ذريته. إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا فاقْتَدُوا بِهِ و لئن شكرتم لأزيدنكم. ٤- وَ قَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ ... أى أخبرنا أو أوحينا إليهم، فى التوراة. لَتَفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ و المراد بالفساد هنا بقرينة التحديد هو القتل أى: حقاً لا شكّ فيه أن أخلافكم سيفسدون فى البلاد مَرَّتَيْنِ أُولَئِكَ قَتَلُوا شُعَيْبًا نَبِيًّا، و ثانيهما قتل زكريا وَ لَتَعْلُنَّ عُلُوقُهُ كَبِيرًا بالاستكبار عن طاعة الله و ظلم الناس ظلماً عظيماً. ٥- فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا ... أى عقاب المرّة الأولى بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أى سُلْطَنًا عليكم جماعةً من مخلوقينا للانتقام لمن قتلوه من النّبيين و المظلومين فى دار الدّنيا حسماً لمادّة الفساد، أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ أى شوكة و قوة فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ أى طافوا و تردّدوا يطلبونكم وسط دوركم ليقتلوكم. وَ كَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا أى حتما لا ريب فيه. ٦- ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ ... أى الدولة و الغلبة عَلَيْهِمْ أى على المهاجمين و المبعوثين لكم وَ أَمَدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَ بَيْنَ وَ جَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا أى و أكثرنا لكم أموالكم و أولادكم و جعلناكم أكثر عدداً و أنصاراً من أعدائكم. ٧- إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَ إِنْ أَسَاءْتُمْ فَلَهَا ... يعنى: كل من يعمل عملاً فهو يرجع إلى نفسه من خير أو شر، فله الثواب و عليه العقاب. فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ إلخ. و المعنى أنه إذا جاء وعد عقوبة الإفساد الثانى بعثنا على وجه التخليّة جمعا من عبادنا عليكم ليجعلوا على وجوهكم آثار الإساءة، وَ لِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ أى بيت المقدس فيخربوه وَ يُسَبِّحُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا أى يهلكوا كل شىء استولوا عليه. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٢٨٨-٨ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ ... أى بعد المرّة الثانية، إن تبتّم و إن عُدْتُمْ إلى الإفساد مرّة أخرى عُدْنَا مرّة ثالثة إلى عقوبتكم، وَ جَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا أى فصارت جهنّم لهم سجناً و محبسا فى الآخرة بعد أن عادوا إلى إفسادهم بتكذيبهم رسول الله (ص). ٩- إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ... تأكيد لكون القرآن متصفاً بالهداية و الإرشاد للطريقة التى هى أقوم الطرق و أشدها استقامة. و عن الإمام الصادق (ع): يهدى إلى الإمام، مستدلاً بهذه الآية. و قيل: معناه أنه يرشد إلى الكلمة التى هى أعدل و أقوم الكلمات و هى كلمة التوحيد. وَ يُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ إلخ. بالفوز العظيم، و بالأجر الكثير. ١٠- وَ أَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ... أى الكافرين بالبعث و النشور و الحساب أَعْتَدْنَا لَهُمْ هَيْئًا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا شديداً موجعا فى نار جهنم. ١١- وَ يَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ ... قيل فى معناه أقوال أحدها أن الإنسان ربما يدعو فى حال الزجر و الغضب على نفسه و أهله و ماله بما لا يحب أن يستجاب له فيه، كما يدعو لنفسه بالخير. فلو أجاب الله دعاءه لأهلكه، لكنه لا يستجيب بفضله و رحمته. وَ كَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا يعجل بالدعاء فى الشر عجلته بالدعاء فى الخير من دون نظر فى عاقبته. ١٢- وَ جَعَلْنَا اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ آيَتَيْنِ ... أى علامتين دالّتين على قدرتنا و علمنا فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ أى القمر، طمسنا نورها وَ جَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ أى الشمس مُبْصِرَةً مضيئة و كُلَّ شَيْءٍ فَضْلَنَا تَفْصِيلاً بَيِّنًا تبيناً. ١٣- ١٤- وَ كُلَّ إِنْسَانٍ ... الإنسان أعَمّ من الذكر و الأنثى، و هو مشتق من الانس، أو من النسيان، حذفت الياء تخفيفاً. أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فى عُقْبِهِ أى أن عمله ملازم له لزوم القلادة للعنق فلا يفارقه. و إنما عبر عن العمل بالطائر إما من الطيرة، حيث جرت عادة العرب على أن يتشاءموا أو يتفاءلوا بالطائر عند إرساله و مروره يساراً أو يميناً. أو لأنه يقال ليوم القيامة و من أسمائه يوم تطاير الكتب،

التي تكون أعمال البشر مكتوبة فيها، حيث تنزل على رؤوس البشر في ذلك اليوم كالطيور المنتشرة في الجو قبل وقوعها في أيدي أصحابها إما بأيمانهم أو بشمائلهم. وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا أى عند المحاسبة يرى صحيفته مفتوحة عليه ليقراها فيقال اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً أى اقرأه فى نفسك حتى تعلم ما فيه من أعمالك فتكون أنت محاسباً لنفسك. ١٥- مَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدَى لِنَفْسِهِ ... فإنه ينفعها بذلك دون غيرها من النفوس وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا إِذْ يَكُونُ سَوْءَ ضَلَالَةٍ خَاصًا بِنَفْسِهِ أيضاً دون غيرها وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى فكل نفس تحمل وزر أخطائها وذنوبها ولا يحمل عنها أحد شيئاً ولا يعاقب أحد بذنوب غيره. وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا يَبَيِّنُ الْحَجَجَ وَيَمْهَدُ الشَّرَائِعَ وَيَهْدِي النَّاسَ فَتَلْزِمُهُمُ الْحُجَّةُ. ١٦- وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً ... أى إذا أردنا تدمير قرية بسبب معاصي أهلها وكفرهم أمرنا مَُتْرِفِيهَا أَغْنِيَاءَهَا الْمُتَنَعِّمِينَ فِيهَا. وقرئ: أمرنا بالتشديد وفَسِّرَ بالتكبير والتسليط. أمرناهم بالطاغوت فَفَسَّيْنَاهَا فِيهَا فَجَرُوا وَارْتَكَبُوا الْمَعَاصِيَ فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ أى فوجب عليها الوعيد فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا أَهْلَكْنَاهَا إِهْلَاكًا. ١٧- وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ ... أى كثيراً ما دمرنا من الأمم بعد تدمير قوم نوح بالطوفان، وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا أى: كفى ربك سبحانه أن يكون عالماً بذنوب عباده بصيراً بما هم عليه من طاعة أو عصيان. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٢٨٩ ١٨- مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ... أى من أراد الدنيا أعطيناها جزاء عمله فى الدنيا ما نريده من بسط أو تقدير لمن نريد إعطائه وقد علق سبحانه ذلك بمشيئته لأنه لا يجد كل متمن ما تمناه ولا كل أحد جميع ما يهواه فالأمور كلها مرهونة بالمشيئة الإلهية ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ أَى لَيْسَ لَهُ فِى الْآخِرَةِ إِلَّا جَهَنَّمَ يَصْطَلَاهَا أَى يَحْتَرِقُ بِنَارِهَا مَذْمُومًا مَلُومًا مَذْخُورًا مطروداً من رحمة الله. ١٩- وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ ... من رغب فى الدار الآخرة وعمل لها عملها الصالح بشرط أن يكون مؤمناً مصداقاً فَأُولَئِكَ الْعَامِلُونَ الْمُؤْمِنُونَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا محموداً مثاباً من الله سبحانه. ٢٠- كُلًّا نُمِدُّ هُوْلَاءِ وَهَؤْلَاءِ ... أى أن كل واحد من الطائفتين: طالب الدنيا و طالب الآخرة، نعطيهِ على مقتضى المصلحة من عطاء ربك رزقه و فضله و ما كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ممنوعاً و محبوساً عن الكافر لكفره، و لا عن الفاسق لفسقه، فكيف بالمؤمنين؟ ٢١- انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ... أى تأمل كيف تفاوتت درجاتهم فى دار الدنيا، و لَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ أَعْظَمُ تفاوتاً فى المراتب و أَكْبَرُ تَفْضِيلًا من درجات الدنيا و هى مستحقة على قدر الأعمال. ٢٢- لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ... أى لا تشرك بالله و تعبد معه غيره فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَحْذُورًا أى فتكون- لو فعلت ذلك- مذموماً على لسان العقلاء و لا ناصر لك فى الدنيا و الآخرة. ٢٣- وَقَضَى رَبُّكَ ... أى: أمر ربك و حكم أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ عبادته وحده و عدم عبادة غيره و بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا أى و قضى بالإحسان إلى الوالدين إِمَّا يَتْلَعَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا أى إذا عاشا عندك أيها الولد حتى يكبرا فى السن فيصيرا بمنزلة الطفل الذى يحتاج إلى متعهد أو بلغ أحدهما ذلك فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفَّ قَالَ الصَّادِقُ (ع): لو علم الله لفظه أوجز فى عقوب الوالدين من أف لآتى بها. و لَا تَنْهَرُهُمَا أى لا تزجرهما و لا تخاصمهما فى شىء. و قُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا خاطبهما بقول جميل لطيف بعيد عن القبح و الغلظة. ٢٤- وَ اخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ ... إلخ. أى تذلل لهما و تواضع من فرط رحمتك بهما. و بعد ما أوصى فيهما بما ذكر أمر تعالى بالدعاء لهما و هذا يدل على غاية لطفه و تمام عنايته بهما. فهما شريكان له تعالى فى تربية الأولاد و المحافظة عليهم حتى يبلغوا رشدهم و يستغنوا عن الحافظ و المربي فى كثير من أمورهم. ٢٥- رَبُّكُمْ أَعْلَمُ ... فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غُفُورًا أى التَّوَّابِينَ الرَّاجِعِينَ عن ذنوبهم فإنه متجاوز عن ذنوبهم بفضلِهِ. ٢٦- وَآتَ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ ... المراد بحق القربات هو صلة الرَّحِمِ بِالْمَالِ و النفس. و عن أهل البيت (ع) أن المراد به ذوو قرابة الرسول، و قيل: نزلت فى فاطمة (ع) و المراد بالحق هو فدية. و الْمَسْكِينِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ أى أعطى المسكين حقه الذى أوجبه الله له و هو الزكاة و غيرها و آتِ الْمُجْتَازَ الْمَنْقُوعَ عن بلاده و لا مال عنده ليعود إليه حقه أيضاً و لَا تُيَذَّرُ تَيْذِيرًا أى لا تصرف المال فيما لا ينبغى و لا تنفقه. ٢٧- إِنَّ الْمُبْدِرِينَ ... أى أن المسرفين كانوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ لأنهم من أتباعهم و على سنتهم فى الإسراف، و كَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا أى شديد الكفر. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٢٩٠ ٢٨- وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمْ ... إلخ. أى: إن تعرض عن هؤلاء الذين أمرتك بإيتاء حقوقهم حياءً لأنك لا تجد ما تعطيتهم تنتظر الفضل و السعة من الله بشكل يمكنك معه صلتهم. فَقُلْ لَهُمْ

قَوْلًا مَيْسُورًا فَلَا تَعْرِضْ بَلْ لَهِمْ قَوْلًا لِّئِنَّا وَعَدْنَاهُمْ وَعَدًا جَمِيلًا أَوْ ادْعُ لَهُم بِالْيَسْرِ. ٢٩- وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ ... أَى لَا تَقْبِضُهَا عَنِ الْإِنْفَاقِ كُلِّ الْقَبْضِ، فَتَكُونَ بِمَنْزِلَةٍ مِنْ يَدِهِ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِهِ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ الْإِعْطَاءِ وَ الْبَذْلِ. وَلَا تَبْسُطُهَا كُلَّ الْبَسْطِ أَى لَا تَعْطِ جَمِيعَ مَا عِنْدَكَ فَتَكُونَ بِمَنْزِلَةٍ مِنْ بَسْطِ يَدِهِ حَتَّى لَا يَسْتَقِرَّ فِيهَا شَيْءٌ. فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْشُورًا تَلُومُ نَفْسَكَ وَ يَلُومُكَ النَّاسُ وَ مُنْقَطِعًا بِكَ لَيْسَ عِنْدَكَ شَيْءٌ. ٣٠- إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَ يَقْدِرُ ... أَى يَوْسَعُ مَرَّةً وَ يَضِيقُ أُخْرَى حَسَبَ مَا تَقْتَضِيهِ الْمَصْلَحَةُ. إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا يَعْلَمُ مَصَالِحَهُمْ وَ مَا يَنْبَغِي لَهُمْ. ٣١- وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمْلَاقٍ ... إلخ. كَانَ الْعَرَبُ فِي عَصْرِ الْجَاهِلِيَّةِ يَقْتُلُونَ بَنَاتِهِمْ مَخَافَةَ الْفَقْرِ وَ الْجُوعِ فَنَهَوْا عَنْهُ، وَ نَبَهُوا إِلَى أَنِ اللَّهُ سُبْحَانَهُ يَرْزُقُهُمْ جَمِيعًا فَإِنَّا نَرْزُقُهُمْ وَ إِيَّاكُمْ، وَ إِنْ قَتَلْتُمْ لَهُمْ كَانَ خَطَأً كَبِيرًا أَى ذَنْبًا عَظِيمًا. ٣٢- وَلَا تَقْرُبُوا الزَّوْنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَ سَاءَ سَبِيلًا ... أَى أَنِ الزَّوْنَىٰ مَعْصِيَةٌ كَبِيرَةٌ قَبِيحَةٌ غَايَةُ الْقَبِيحِ وَ بُسِّ الطَّرِيقِ هُوَ لِأَنَّهُ يُوْدِي إِلَى قَطْعِ الْأَنْسَابِ وَ اخْتِلَاطِهَا وَ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمَفَاسِدِ. ٣٣- وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ ... نَهَى عَنِ الْقَتْلِ الَّذِي حَرَّمَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَ جَعَلَ عِقَابَهُ النَّارَ إِلَّا إِذَا كَانَ الْقَتْلُ بِالْحَقِّ أَى بِأَحَدِ الْمَجُوزَاتِ الشَّرْعِيَّةِ وَ مَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا بِغَيْرِ حَدِّ شَرْعِيٍّ ثَابِتٌ فَقَدْ جَعَلْنَا لَوَلِيِّهِ الْمَفُوضَ بِالْمَطَالِبَةِ بِحَقِّهِ سُلْطَانًا سُلْطَةً وَ حَقًّا بِأَن يَقْتُلَ قَاتِلَهُ بِهِ جَزَاءَ لَهُ، فَلَا يُشْرِفُ فِي الْقَتْلِ لَا يَقْتُلُ غَيْرَ الْغَرِيمِ وَ لَا يَمْتَلِ بِهِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا بِإِعْطَائِهِ حَدَّ الْقَوْدِ فَلْيَقِفْ فِي الْحُدُودِ عِنْدَ حَدِّهِ. ٣٤- وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ... أَى لَا تَمْسُوهُ وَ لَا تَنْفَقُوا مِنْهُ شَيْئًا إِلَّا بِالطَّرِيقَةِ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ لِحِفْظِ مَالِ الْيَتِيمِ وَ تَمْثِيرِهِ وَ تَنْمِيتِهِ حَتَّى يَبْلُغَ الْيَتِيمَ أَشَدُّهُ أَى غَايَةُ قُوَّتِهِ بِبُلُوغِهِ وَ رَشْدِهِ وَ أَوْفُوا بِالْعَهْدِ فِي الْوَصِيَّةِ بِمَالِ الْيَتِيمِ وَ غَيْرِهَا. وَ قِيلَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ وَ نَهَى عَنْهُ فَهُوَ مِنَ الْعَهْدِ وَ إِنْ لَمْ يَجِبْ ابْتِدَاءً، إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا عَنِ الْمَعَاهدِ بِهِ إِذَا كَانَ نَاكِثًا يَعْقَبُ، أَوْ وَاثِيًا يَجْزَى بِهِ. ٣٥- وَ أَوْفُوا الْكَيْلَ ... لَا تَبْخَسُوا فِيهِ وَ اكْمَلُوهُ وَ زِنُوا بِالْقَيْسِ طَاسِ الْمُسْتَقِيمِ أَى بِمِيزَانِ الْعَدْلِ السَّوِيِّ .. ذَلِكَ خَيْرٌ وَ أَحْسَنُ تَأْوِيلًا أَى مَالًا وَ عَاقِبَةً. ٣٦- وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ... أَى لَا تَقُلْ سَمِعْتُ وَ لَمْ تَسْمَعْ، وَ لَا رَأَيْتُ وَ لَمْ تَر، وَ لَا عَلِمْتُ وَ لَمْ تَعْلَمْ. وَ قِيلَ: إِنْ الْمُرَادُ بِهِ النَّهْيُ عَنِ شَهَادَةِ الزُّورِ. إِنَّ السَّمْعَ وَ الْبَصَرَ وَ الْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا أَى أَنَّ السَّمْعَ يَسْأَلُ عَمَّا سَمِعَ وَ الْبَصَرَ عَمَّا رَأَى وَ الْقَلْبَ عَمَّا عَزَمَ عَلَيْهِ. ٣٧- وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ... أَى بِطَرَا وَ فَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ أَى لَنْ تَشَقَّهَا بِكَبْرِكَ حَتَّى تَبْلُغَ آخِرَهَا وَ لَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا بِتَطَاوُلِكَ وَ طَوْلَ قَدِّكَ. ٣٨- كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ ... أَى كُلُّ الْخِصَالِ الْمَذْكُورَةِ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ كَانَ مَعْصِيَتُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا أَى مَبْغُوضًا مُحَرَّمًا. إِرْشَادُ الْأَذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ٢٩١ ٣٩- ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ أَى هَذِهِ الْوَصَايَا الْكَرِيمَةُ هِيَ مِمَّا أَنْزَلَهُ إِلَيْكَ رَبُّكَ وَحْيًا مِنَ الْحِكْمَةِ وَ الصَّوَابِ وَ الرُّشْدِ، وَ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ أَى لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ، فَإِنْ فَعَلْتَ ذَلِكَ فَتَلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا تَلُومُ نَفْسَكَ وَ يَلُومُكَ الْمَلَائِكَةُ وَ جَمِيعُ أَهْلِ الْإِيمَانِ، وَ تَكُونُ مَذْخُورًا مَبْعُودًا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ مَطْرُودًا مِنْهَا. ٤٠- أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ ... يَعْنِي هَلِ اخْتَصَّكُمْ بِالصِّبْيَانِ وَ جَعَلَهُمْ لَكُمْ عَطَاءً صَافِيًا وَ اتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا وَ جَعَلَ لِنَفْسِهِ بَنَاتٍ هُمُ الْمَلَائِكَةُ بِزَعْمِ الْمُشْرِكِينَ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الْمُفْتَرُونَ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا كَبِيرًا فِي الْإِثْمِ وَ الْعُقُوبَةِ. ٤١- وَ لَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ ... أَى بَيَّنَّا الدَّلَائِلَ وَ فَصَّلْنَا الْأَمْثَالَ لِيَذْكُرُوا لِيَتَفَكَّرُوا وَ يَعْلَمُوا الْحَقَّ. وَ مَا كَانَ تَصْرِيفُ الْأَمْثَالِ لَهُؤُلَاءِ الْكَافِرِينَ يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا أَى فَرَارًا عَنِ الْحَقِّ. ٤٢- قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ ... أَى لَوْ كَانَ مَعَهُ سُبْحَانَهُ شَرِيكَ كَمَا يَقُولُونَ افْتَرَاءً إِذَا لَمَّا بَتَّعُوا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا أَى أَنَّ الشُّرَكَاءَ كَانُوا حِينَئِذٍ يَطْلُبُونَ طَرِيقًا إِلَى الصُّعُودِ إِلَىٰ صَاحِبِ الْمَلِكِ لِمَنَازَعَتِهِ مَلِكُهُ أَوْ أَنَّهُمْ يَسْعَوْنَ لِلتَّقَرُّبِ إِلَيْهِ. ٤٣- سُبْحَانَهُ: أَى تَنْزِيهِهَا لَهُ وَ تَقْدِيسُهَا لِذَاتِهِ وَ تَعَالَىٰ سَمَا وَ ارْتَفَعَ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا بَحِثْ لَا- يَنَالُ وَ لَوْ بِخَطَرَاتِ الظُّنُونِ. ٤٤- تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَ الْأَرْضُ وَ مَنْ فِيهِنَّ ... أَى تَقْدَسُهُ وَ تَنْزَهُهُ هِيَ وَ مَنْ فِيهَا بِطَرَقِ التَّسْبِيحِ الَّتِي أَلْهَمَهَا سُبْحَانَهُ لِكُلِّ كَائِنٍ مِنَ الْمَوْجُودَاتِ وَ مَعْنَى التَّسْبِيحِ هُنَا الدَّلَالَةُ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ وَ عَدْلِهِ وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ أَى لَيْسَ شَيْءٌ مِنَ الْمَوْجُودَاتِ إِلَّا- يَسْبِيحُ بِحَمْدِ اللَّهِ مِنْ جِهَةِ خَلْقِهِ لِمَكَانِ حَدُوثِهِ وَ حَاجَتِهِ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ. وَ لَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ أَى لَا- تَعْلَمُونَ تَسْبِيحَهَا حَيْثُ لَا- تَتَفَكَّرُونَ فَتَعْلَمُوا طَرِيقَ دَلَالَتِهَا عَلَى التَّوْحِيدِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا يَمْهَلُكُمْ فَلَا يَعَاجِلُكُمْ بِعُقُوبَتِهِ غَفُورًا لِمَنْ تَابَ بَعْدَ الْإِيمَانِ. ٤٥- وَ إِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ ... أَى إِذَا تَلَوْتَهُ يَا مُحَمَّدُ جَعَلْنَا أَوْجَدْنَا يَتَنَبَّكَ وَ يَتَنَبَّ الدِّينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ الْكَافِرِينَ بِهَا حِجَابًا مَسْتُورًا أَى سَتْرًا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَيَمْرُونَ فَلَا يَرُونَكَ. ٤٦- وَ جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً ... إلخ. مَر تَفْسِيرُهُ فِي

سورة الأنعام. و الأكثه جمع كَثَّ بمعنى الغطاء و الوقر الصمم و ثقل السمع و إِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ أى إذا ذكرت الله يا محمد بالتوحيد و أبطلت مقولة الشرك وَلَوْأَ عَلَى أَذْبَارِهِمْ نُفُوراً أى يرجعون مدبرين نافرين. ٤٧- نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ ... إلخ. أى نحن ندرى لأى سبب هم يستمعون القرآن، إنما يستمعون للغو و الاستهزاء به و إِذْ هُمْ نَجْوَى حين كونهم متناجين يتهامون فيما بينهم إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إلخ. يمكن أن تكون هذه الجملة بيانا للنجوى، أى يتناجون حين خروجهم من عندك بأن يقولوا: هؤلاء الذين آمنوا بمحمد إنما يتبعون رجلا مجنوناً لأنه سحر فجن. ٤٨- أَنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ ... أى مثلوك بالساحر و الشاعر و الكاهن و المجنون فَضَلُوا بِذَلِكَ عن الحق فلا- يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا لا يقدرُونَ على أن يجدوا حيلة إلى تكذيبك إلا طريق البهت و الافتراء. ٤٩- وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا ... أى قال الكفار المنكرون للبعث: أ إذا صرنا تراباً أو غباراً و عظاماً بالية و نحن بهذه الحالة و نعود و نحن بهذه الكيفية أ إِنَّا لَمَجْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا أى: أنبعث خلقاً متجدداً كما خلقنا أول مرة. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٢٩٢ ٥٠- قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ... أى كونوا إن استطعتم حجارة فى القوة أو حديدا فى الشدة و اجهدوا عندئذ الا تعادوا و هذا الأمر تعجزى. ٥١- أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ ... أى من كل شىء له وقع و أهميته عندكم فإنكم لن تعجزوا الله و عن الباقر (ع)، الخلق الذى يكبر فى صدوركم: الموت، و المقصود المبالغة، أى لو صرتم بأبدانكم نفس الموت فالله تعالى يعيدها و ينشرها فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا بعد الفناء و يرجعنا أحياء، قُلْ يا محمد لهم: يعيدكم الذى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ و هو الله تعالى، فَسَيُخْفِضُونَ إِلَيْكَ رُؤُسَهُمْ أى يحزكونها متعجبين مستهزئين. و النغص: هو تحريك الرأس ارتفاعاً و انخفاضاً. وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ الْبَعثُ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا حيث إن كل ما هو آت قريب. ٥٢- يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ ... أى يدعوكم الله من قبوركم على لسان إسرافيل عند النفخة الثانية فتجيبون بِحَمْدِهِ حامدين له أو مطاوعين لبعثه مطاوعة الحامد له. وَ تَظُنُّونَ إِن لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا أى إذا رأيتم طول ذلك اليوم تعلمون أن مكثكم فى الدنيا فى غاية القلة و ذلك لسرعة انقلاب الدنيا إلى الآخرة. و قيل بأن المخاطبين بقوله: يوم يدعوكم ... هم المؤمنون لأنهم هم الذين يستجيبون لدعوة ربهم و يحمدونه على نعمه و يرون قصر مدة لبثهم فى البرزخ لأنهم كانوا منعمين فيه فلم يشعروا بطول المدة. ٥٣- وَقُلْ لِعِبَادِي ... أى المؤمنين منهم يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ أى يقولوا للمشركين الكلمة التى هى أحسن و أليّن فى مقام الإرشاد و إلقاء الحجة عليهم إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ أى يفسد بينهم بسبب الغلظة فتشتد النفرة إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ ... إلخ عداوته كانت قديمة مع الإنسان. ٥٤- رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ... أى هو سبحانه أعرف بكم و أدرى بمصالحكم إِنَّ يَشَأْ يُزْجِمَكُم بِفَضْلِهِ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ بعدله. فيكون الخوف منه و الرجاء إليه. وَ مَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا مَوْكُولًا إِلَيْكَ أَمْرُهُمْ بحيث تجبرهم على الإيمان، و ما عليك إِلَّا البلاغ. ٥٥- وَ رَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ ... إلخ أى يخص كلماً منهم بما يليق به من النبوة و الولاية و غيرهما من المناصب و العناوين. و يفضل بعض النبيين على بعض للجهات المعنوية التى لا يعلمها إلا هو سبحانه. و عن الصادق (ع): سادة النبين و المرسلين خمسة، و هم أولو العزم من الرسل و عليهم دارت الرحى: نوح، و إبراهيم، و موسى، و عيسى، و محمد (ص). ٥٦- قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ ... أى زعمتم أنهم آلهة مِنْ دُونِ اللَّهِ، فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ لَا يقدرُونَ على دفع شىء كالمرض و القحط و لَا تَخَوِّعُهُمْ صَرْفًا لَهُ عَنْكُمْ إِلَى غيركم. ٥٧- أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ ... أى ينادونهم آلهة و هم يَتَّبِعُونَ يطلبون إلى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ فهؤلاء الآلهة يطلبون إلى الله القربة أَيُّهُمْ أَقْرَبُ من هو أقرب منهم إلى الله تعالى، فالمحتاج كيف يصير للمحتاجين إليها وَ يَزُجُّونَ رَحْمَتَهُ وَ يَخَافُونَ عَذَابَهُ كباقي العباد فكيف تزعمونهم آلهة؟ ... كَانَ مَحْذُورًا ينبغى بأن يحذروا و يخاف منه. ٥٨- وَ إِن مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا ... إلخ بإماتة أهلها كما عن الصادق (ع). أَوْ مُعَذِّبُوهَا إلخ بقتل و قحط و غيرهما. كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا أى كان ذلك الحكم فى اللوح المحفوظ مكتوباً. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٢٩٣ ٥٩- وَ مَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ ... إلخ أى لم نستجب للمقترحات من المشركين كقولهم اجعل الصيفا ذهاباً و نحو ذلك لأننا لو استجبنا لهم و أرسلنا الآيات المقترحة فلم يؤمنوا لاستحقاق المعاجلة بالعقوبة كما حصل بالنسبة للأمم السالفة، حيث اقترحوا مثلها فاستجب لهم فكفروا بها فأخذهم العذاب وَ آتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ هذه بيان لقوله كَذَّبَ بها الأولون مُبَصِّرَةً بَيْنَهُ فَظَلَمُوا بِهَا أنفسهم بسبب عقربها. وَ مَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ

إِلَّا تَخَوِّفًا أَى لَا نَظْهَرَ الْآيَاتِ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ إِلَّا زَجَرَ لِلنَّاسِ وَ عَظْمَةً لِيَخَافُوا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ. ٦٠- وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ ... أَى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ حَكَمْتَهُ وَقَدَرْتَهُ مُحِيطَةً بِالنَّاسِ، فَهَمَّ فِي قَبْضَتِهِ وَ تَحْتَ قُدْرَتِهِ. وَ لَعَلَّهَا نَزَلَتْ لِتَشْجِيعِ النَّبِيِّ الْأَكْرَمِ (ص) بِأَنَّهُمْ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى أَنْ يَمْنَعُوهُ مِنْ إِنْفَازِ أَمْرِ الرِّسَالَةِ وَ تَبْلِيغِهَا وَ إِظْهَارِ الْإِسْلَامِ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ. كَمَا قَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: وَ اللَّهُ يَعَصْمُكَ مِنَ النَّاسِ. وَ مَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ أَى عَيْنَانَا لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ أَوْ فِي الْمَنَامِ إِذْ رَأَى بَنَى أُمِّيَّةً يَنْزُونَ عَلَى مَنْبَرِهِ نَزْوِ الْقِرْدَةِ فَاغْتَمَّ بِهِ. إِلَّا فَتْنَةً لِلنَّاسِ أَى امْتِحَانًا لَهُمْ وَ الشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ عَطَفَ عَلَى الرُّؤْيَا، وَ هِيَ بَنُو أُمِّيَّةٍ وَ نَحْوُفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا أَى نَرَهَبُهُمْ بِمَا نَقَصَ عَلَيْهِمْ مِنْ أَخْبَارِ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ فَمَا يَزِيدُهُمْ ذَلِكَ إِلَّا عِتْوَا عَظِيمًا مُتَجَاوِزًا عَنْ الْحَدِّ. وَ قِيلَ: الْمَرَادُ بِالرُّؤْيَا، أَنَّهُ (ص) رَأَى فِي الْمَنَامِ مَصَارِعَ الْكَفَّارِ فِي وَقْعِهِ بَدْرٍ وَ كَانَ يَقُولُ حِينَ وَرَدَ بَدْرًا، وَ اللَّهُ لَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَصَارِعِ الْقَوْمِ وَ هِيَ عَلَى الْأَرْضِ وَ يَقُولُ: هَذَا مَصْرَعُ فَلَانٍ وَ هَذَا مَصْرَعُ فَلَانٍ ... إلخ. ٦١- وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ ... إلخ مَرَّ تَفْسِيرُهَا سَابِقًا وَ طِينًا مَنْصُوبًا بِنَزْعِ الْخَافِضِ، أَى: مِنْ طِينٍ. ٦٢- قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ ... إلخ أَى: أَخْبَرَنِي عَنْ هَذَا، الَّذِي فَضَّلْتَهُ عَلَيَّ، بِالْأَمْرِ بِتَعْظِيمِهِ، لَمْ فَضَّلْتَهُ عَلَيَّ؟ لِأَخْتِنِكَ ذُرِّيَّتَهُ إلخ أَى لِأَقُودَنَّهُمْ مِنْ أَحْنَاكِهِمْ بِالْإِغْوَاءِ وَ لِأَجْرَنَّهُمْ بِحَبَائِلِي إِلَى الْمَعْصِيَةِ إِلَّا مِنْ اصْطِفَيْتَهُ مِنْهُمْ. ٦٣- قَالَ أَذْهَبَ ... إلخ: هَذَا الْأَمْرُ أَمْرُ إِهَانَةٍ وَ إِبْعَادٍ، يَعْنِي طَرْدَهُ تَعَالَى عَنْ مَقَامِ قُرْبِهِ وَ رَحْمَتِهِ عَلَى وَجْهِ التَّهْدِيدِ وَ الْوَعِيدِ بِنَارِ جَهَنَّمَ لَهُ وَ لِمَنْ اسْتَجَابَ لِلْإِغْوَاءِ وَ إِغْرَائِهِ مِنَ النَّاسِ. جَزَاءً مُؤَفَّرًا أَى تَامًّا غَيْرَ مُنْقُوصٍ. ٦٤- وَ اسْتَفْزِرْ ... أَى اسْتَخَفَّ وَ اسْتَنْزَلَ بِسَهْوَةٍ مَنِ اسْتَطَعَتْ مِنْهُمْ بِصُورَتِكَ أَى بِدَعْوَتِكَ إِيَّاهُمْ إِلَى الْفُسَادِ. وَ أَجْلَبَ عَلَيْهِمْ إلخ أَى صَحَّ عَلَى وَلَدِ آدَمَ بِخَشُونَةٍ وَ انْزِعَاجٍ بِفِرْسَانِكَ وَ رَاجَلَيْكَ حَتَّى تَسْتَأْصِلَهُمْ وَ شَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ الْمَكْتَسَبَةِ مِنَ الْحَرَامِ وَ الْأَوْلَادِ الْمُتَوَلِّدِينَ مِنَ الزَّنا وَ عَذُّهُمْ بِالْأُمُورِ الْبَاطِلَةِ وَ مَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا أَى تَزْيِينِ الْخَطِيئَةِ بِمَا يُوْهَمُ أَنَّهُ صَوَابٌ. ٦٥- إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ: أَى الْمُؤْمِنِينَ الْمَخْلَصِينَ فَهَؤُلَاءِ لَا تَقْدِرُ أَنْ تَغْوِيَهُمْ حَيْثُ إِنَّهُمْ لَا يَغْتَرُونَ بِكَ وَ لَا- يَسْمَعُونَ قَوْلَكَ وَ لَا يَطِيعُونَكَ فَلَا تَفَازُ لَكَ عَلَيْهِمْ، وَ كَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا حَافِظًا مِنَ الشَّرِّكَ لِمَنْ التَّجَأَ إِلَيْهِ. ٦٦- رَبُّكُمُ الَّذِي يُرْجِي لَكُمْ الْفَلَكَ ... إلخ: أَى يَجْرِئُهَا بِالْأَرْيَاحِ الَّتِي تَجْرِي السُّفُنُ بِهَا أَوْ أَنَّهَا تَسَاعِدُ الْفَلَكَ فِي جَرِيهَا لَوْ كَانَ الْجَرَى بِأَسْبَابٍ أُخَرَ وَ ذَلِكَ لِتَطْلُبُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ مَا فِيهِ صَلَاحُ دِينِكُمْ وَ دُنْيَاكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا حَيْثُ أَنْعَمَ عَلَيْكُمْ بِهَذِهِ النِّعَمِ. إِرْشَادُ الْأَذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ٢٩٤ ٦٧- وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ... أَى خَوْفُ الْغُرُقِ بِسُكُونِ الرِّيحِ وَ احْتِبَاسِ السُّفُنِ أَوْ بِاضْطِرَابِ الْأَمْوَاجِ وَ غَيْرِهِ مِنْ أَهْوَالِ الْبَحْرِ وَ طُولِ مَدَّةِ وَصُولِ الرِّكْبَانِ إِلَى الْمَقْصِدِ. ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ أَى غَابَ عَنْ خَوَاطِرِكُمْ كُلِّ مَنْ تَعْبُدُونَهُ مِنْ آلِهَتِكُمْ إِلَّا إِيَّاهُ إِلَهًا اللَّهُ إِذْ لَا- كَاشِفَ لِلضَّرِّ سِوَاهُ. فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ مِنَ الْغُرُقِ وَ أَوْصَلَكُمْ إِلَى خَارِجِ الْبَحْرِ أَعْرَضْتُمْ عَنْهُ تَعَالَى وَ رَجَعْتُمْ إِلَى جُحُودِكُمْ بِنِعْمِهِ وَ كَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا كَثِيرَ الْكُفْرَانِ. وَ هَذَا بِمَنْزِلَةِ التَّعْلِيلِ لِلْإِعْرَاضِ. ٦٨- أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يُخَسِّفَ بِكُمْ ... إلخ: أَى أَنْ الَّذِي يَقْدِرُ أَنْ يَغْرُقَكُمْ فِي الْمَاءِ إِذَا كُنْتُمْ فِيهِ هُوَ الْقَادِرُ أَنْ يَهْلِكَكُمْ بِأَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ طَرَفَ الْبَرِّ حَيْثُ أَنْتُمْ عَلَى الْيَابِسَةِ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا مِنَ الرِّيحِ الشَّدِيدِ الْمُحْمَلَةِ بِالْحَصَى. ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا حَافِظًا مِنْ ذَلِكَ. ٦٩- أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى ... أَى فِي الْبَحْرِ مَرَّةً أُخْرَى وَ ذَلِكَ بِتَقْوِيَةِ دَوَاعِي الْعُودَةِ فِيهِ مَرَّةً أُخْرَى لِتَرْكِبُوهُ. فَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا أَى كَاسِرًا شَدِيدًا يَكْسِرُ الْفَلَكَ فَتَغْرُقُونَ تَبِيعًا مُطَالِبًا يَتْبَعُنَا بِثَأْرِكُمْ أَوْ دَافِعًا عَنْكُمْ حَيْثُ إِنَّا نَفْعَلُ مَا نَشَاءُ. ٧٠- وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ... بِالْعَقْلِ وَ النُّطْقِ وَ اعْتِدَالِ الْخَلْقِ وَ تَسْخِيرِ الْأَشْيَاءِ لَهُ وَ غَيْرِ ذَلِكَ وَ حَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ أَى عَلَى الدَّوَابِّ وَ السِّفَنِ. بَلْ فِي الْجَوْ أَيْضًا حَيْثُ بَلَغَتِ الْمَرَائِبُ الْجَوِيَّةُ فِي هَذَا الْعَصْرِ حَدًّا عَظِيمًا مِنَ التَّطَوُّرِ. وَ زَرَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَى الْأَشْيَاءِ الطَّيِّبَةِ وَ اللَّذَائِدِ. وَ فَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا وَ الْمَرَادُ هُوَ التَّفْضِيلُ بِفَنُونِ النِّعَمِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَ أَقْسَامِ الْمَلَاذِ وَ مِمَّا لَمْ يَجْعَلْهُ لَشَيْءٍ مِنَ الْحَيَوَانِ. وَ ذَلِكَ كِتْسَخِيرِ الْكَائِنَاتِ لِبَنِي آدَمَ وَ كَالثَّوَابِ عَلَى الْعَمَلِ، فَإِنَّ الْمَرَادَ بِالتَّفْضِيلِ هُوَ التَّفْضِيلُ الْبَدْوِي. ٧١- يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ ... أَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ نُنَادِي كُلَّ قَوْمٍ بِمَنْ كَانُوا قَدْ ائْتَمَرُوا بِهِ فِي دَارِ الدُّنْيَا مِنْ نَبِيٍّ أَوْ وَصِيٍّ نَبِيٍّ أَوْ شَقِيٍّ. وَ قِيلَ بِإِمامِهِمْ الَّذِي بَيْنَ أَظْهَرِهِمْ وَ هُوَ قَائِمُ أَهْلِ زَمَانِهِ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِبَيِّنَةٍ فَأُولَئِكَ يَقْرَأُونَ كِتَابَهُمْ وَ لَا يُظْلَمُونَ قَتِيلًا فِيَفْرَحُونَ وَ يَسْرُونَ بِقِرَاءَتِهِمْ لَمَّا فِي الْكِتَابِ مِنَ الْأَعْمَالِ الْحَسَنَةِ وَ لَا يَنْقُصُونَ مِنْ حَقِّهِمْ مَقْدَارًا مَا فِي شَقِّ النَّوَاءِ مِنَ الْمَفْتُولِ الَّذِي فِيهِ كَالْخِيطِ بَيْنَ شَحْمِ الثَّمَرَةِ وَ بَزْرِهَا. ٧٢- وَ مَنْ كَانَ فِي هَذِهِ

أَعْمَى ... إلخ أى أن من كان فى الدنيا أعمى عن آيات الله ضالاً عن الحق منحرفاً عن الدين فهو فى الآخرة أشد ضلالاً و انحرافاً و تحيراً و ذهاباً عن طريق الجنة أو عن الحجة إذا سئل و أعمى الأولى اسم و أعمى الثانية فعل من العمى. ٧٣- وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ ... كلمة إن مخففة، أى الشأن قاربوا أن يستزلوك و يصرفوك عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ من الأحكام و القرآن لَتَفْتَرِي عَلَيْنَا غَيْرَهُ أى لتتخترع علينا غير ما أوحينا إليك، و عندئذ يتخذونك خليلاً صاحباً. ٧٤- وَلَوْ لَا- أَنْ تَبْتَئَاكَ ... أى ثبتنا قلبك على الحق و الرشد بالعصمة لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنْ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً تَطْمِئِنُّ إِلَى قَوْلِهِمْ بعض الاطمئنان. ٧٥- إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ ... إلخ. أى: لعذِّبناك عذاباً مضاعفاً فى الحياة و كذا بعد الممات، ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصْرًا أى ناصرنا ينصرك. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٢٩٥

٧٦- وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ ... إن مخففة، أى قارب أهل مكة أن يزعموك بمعادتهم مِنَ الْبَارِضِ أَرْضِ مَكَّةَ ليخرجوك و لو أخرجوك منها لَا يَلْبِثُونَ خِلَافَكَ بعدك إِلَّا قَلِيلاً أى زماناً يسيراً. ٧٧- سُبْحَنَهُ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا ... أى جرت عادتنا على أن نهلك من الأمم الَّذِينَ فعلوا بأنبيائهم مثل ما فعلوا بك من الاستخفاف و الإهانة و الإزعاج مقدّمه للإخراج. وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا أى تبديلاً. فلن يقدر أحد على أن يقلب سنّة الله و يبطلها فى هذا المورد أو فى غيره. ٧٨- أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ ... أى عند زوالها أو وقت الزوال و هو وقت الظهرين بناء على أن اللام بمعنى الوقت. إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ أى ظلامه و هو وقت العشاءين. وَقُرْآنَ الْفَجْرِ أى صلاة الصبح، و تسميتها قرآناً لتضمنها له، كتسميته الشيء باسم جزئه إِنْ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا يشهده ملائكة الليل و النهار و يكتبان فى ديوانهما. ٧٩- وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ ... الخطاب للنبي (ص) لكنه يستفاد من الأخبار و الإجماع أن نافله الليل ليست منحصرة به. نعم اختلفوا فى أنها واجبة عليه أم لا؟ و (الهجود) من الأضداد يطلق على النوم و السهر، و المعنى: يا محمد أترك النوم فى بعض الليل للصلاة المشتملة على القرآن و هى النافلة. نافله لك أى فريضة زائدة على الفرائض بناء على وجوبها عليه (ص) أو فضيلة لك تخصّصك زائدة على فضائلك، و أمّتك بناء على عدم الوجوب. عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا أى يوصلك درجة يمدحك بها جميع الخلائق منه، و المراد بالمقام المحمود لعله هو الشفاعة أو إعطاؤه لواء الحمد. ٨٠- وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي ... أى فيما حمّلتني من الرسالة، أى فى مكة، أو عند البعث، أو فى جميع ما أرسلتني به مُدْخِلٌ صِدْقٍ يعنى إدخالاً مرضياً و أَخْرِجْنِي من أعباء الرسالة بأدائها، أو من مكة، أو عند البعث مُخْرَجٌ صِدْقٍ إخراجاً لا أرى فيه مكروهاً و اجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصْرِيًّا أى قوة و عزاً تنصرنى بهما على أعدائك. ٨١- وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ... إلخ. أى: جاء الإسلام و اضمحل الشرك و الكفر. ٨٢- وَتَنْزِيلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ... أى أن فى آيات القرآن و معانيه شفاء للأرواح من الأمراض الروحية كالعقائد الفاسدة و الأخلاق الذميمة، و فى ألفاظه شفاء للأبدان، و ببركة تلاوته نور للقلوب و جلاء للأبصار و البصائر. و قد روى عن النبي (ص): من لم يستشف بالقرآن فلا شفاه الله. و أمّا كونه رحمة للمؤمنين فلا أنهم المعتقدون به فينتفعون به دون غيرهم و لَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا أعنى الظالمين الذين لم يقبلوا كونه من عند الله فهم يخسرون الشفاء و الرحمة و الثواب و يستحقون العقاب. ٨٣- وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ ... بالصحة و السعة فى الرزق و الكثرة فى الولد أَعْرَضَ عن ذكرنا و نأى بعد بجانبيه أى بشخصه مستكبراً يرى نفسه مستغنياً عَنَّا و إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ آيساً يَأْساً شديداً من رحمة ربه. ٨٤- قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ ... أى على طبيعته و عادته التى يعتادها و يتخلّق بها فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا أوضح طريقاً و أصوب ديناً. ٨٥- وَيسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي: أى يسألك يا محمد كفار قريش أو اليهود عن الروح ما هو؟ فقل لهم إن الروح من فعل ربي و خلقه و ما أوتيتهم مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً أى فوق كلّ ذى علم عليم. ٨٦- وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ: أى القرآن لو ذهبنا به و محوناه من المصاحف و الصِّدُور ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا أى من يتوكّل علينا باسترداده و إرجاعه. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٢٩٦ ٨٧- إِلَّا رَحْمَةً مِنِّي رَبِّكَ أى إلا- أن يرحمك ربّك فيردّه إليك محفوظاً. إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا عظيماً حيث اختارك للنبوّة و خصّصك بالقرآن و أبقاه. و عن ابن عباس: حيث جعلك سيد ولد آدم و ختم بك النبيين و أعطاك المقام المحمود. ٨٨- قُلْ لَّيْنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ: أى فى الفصاحة و البلاغة و حسن النظم و جامعية المعانى لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ مع أن فيهم الفصحاء و البلغاء، و ظهيراً

معينا و هذا ردّ لقولهم: لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا. ٨٩- وَلَقَدْ صَرَّفْنَا ... إلخ. أى: يَبَيِّنَا مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لِيَعْتَبِرُوا مِنْ تَرْهِينِنَا وَ تَرْغِينِنَا فَلَمْ يَقْبَلُوا وَ لَمْ يَزِدْهُمْ إِلَّا كُفُورًا أَى جُحُودًا وَ إنكارا للحق. ٩٠- وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ ... أى قال المكابرون من الجبابرة لَنْ نَصَدِّقَكَ حَتَّى تَأْتِيَ بِأُمُورٍ سَتُهُ هِى: حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا فَتَجْرَى لَنَا الْمَاءُ فِي بَطَاحٍ مَكَّةَ فَتَسْتَقِي وَ تَزْرَعُ. وَ نَسْتَغْنَى عَنِ النَّاسِ. ٩١- أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَ عِنَبٍ ... أى أَنْ تَجْعَلَ لِنَفْسِكَ جَنَّةً وَارِفَةً الْأَشْجَارُ كَثِيرَةً الشَّارِ فَتَفْجُرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا وَ تَجْعَلَ الْمِيَاهَ تَنْدَقُ فِي أَنْحَائِهَا عَلَى نَحْوِ الْإِعْجَازِ. ٩٢- أَوْ تُسَيِّقُ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا ... أى تَوَقِّعُهَا عَلَيْنَا قِطْعًا تَرْكِبُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ عَلَى مَا أَوْعَدْتَنَا وَ هَدَدْتَنَا. وَ كَسَفٍ: جَمْعُ كَسَفٍ، كَقَطْعٍ: جَمْعُ قَطْعٍ، لَفْظًا وَ مَعْنَى. أَوْ تَأْتِي بِاللَّهِ وَ الْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا أَى كَفِيلًا وَ مَعْنَاهُ أَنْ تَأْتِيَ بِكُلِّ وَاحِدٍ حَتَّى يَكُونَ ضَامِنًا لَنَا بِصَدَقِ مَا تَقُولُ. ٩٣- أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرَفٍ ... أى مِنْ ذَهَبٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ تَصْعَدُ إِلَيْهَا بِمِعْجَزَةٍ وَ نَحْنُ نَنْظُرُ إِلَيْكَ وَ نَرَى صَعُودَكَ. وَلَنْ نُؤْمِنَ لِزُجَيْيِكَ أَى وَ لَوْ فَعَلْتَ ذَلِكَ فَلَنْ نَصَدِّقَكَ حَتَّى تُنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ وَ نَطْلُعَ عَلَيْهِ. قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي تَزَّهَ وَ تَقَدَّسَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا يَعْنِي إِظْهَارَ الْآيَاتِ الْمَقْتَرَحَةِ لَيْسَ بِإِرَادَتِي، وَ أَنَا رَسُولُ إِلَيْكُمْ وَ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ. وَ تِلْكَ الْآيَاتُ الْمَقْتَرَحَةُ هِيَ أُمُورٌ تَحْتَ قُدْرَتِهِ تَعَالَى إِنْ شَاءَ أَنْزِلَهَا وَ إِنْ شَاءَ لَمْ يَنْزِلْهَا. ٩٤- وَ مَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا: أَى مَا صَرَفَ الْمُشْرِكِينَ عَنِ التَّصَدِيقِ بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ، إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى أَى الْحُجْجُ الظَّاهِرَةُ الْوَاضِحَةُ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا دَخَلَتْ عَلَيْهِمُ الشُّبُهَةُ فِي أَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا وَ لَا بَدَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ الرَّسُولُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، كَمَا دَخَلَتْ عَلَيْهِمُ الشُّبُهَةُ فِي أَنْ عِبَادَتَهُمْ لَا تَصْلَحُ لِلَّهِ فَتُوجَّهُوا بِهَا إِلَى الْأَصْنَامِ فَعَظَمُوا اللَّهَ بِجَهْلِهِمْ بِمَا لَيْسَ فِيهِ تَعْظِيمٌ وَ عَبَدُوا بِمَا فِيهِ الْمَعْصِيَةُ. فَنَعُودُ بِاللَّهِ مِنَ الْجَاهِلِ الْمُتَنَسِّكِ. ٩٥- قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ ... أى يَا مُحَمَّدُ قُلْ جَوَابًا لَهُمْ: إِنْ أَهْلُ الْأَرْضِ لَوْ كَانُوا مَلَائِكَةً يَمْشُونَ مُطْمَئِنَّينَ قَاطِنِينَ مُتَوَطِّئِينَ فِيهَا لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا لَكَانَ مِنَ الْإِزَامِ أَنْ يَكُونَ رَسُولُهُمْ مِنَ الْمَلَائِكَةِ لِأَنَّ ذَلِكَ مُشْرُوطًا بِنَوْعٍ مِنَ التَّنَاسُبِ وَ التَّجَانُّسِ بَيْنَ الْمُرْسَلِ وَ الْمُرْسَلِ إِلَيْهِمْ. لِأَنَّ الْجِنْسَ إِلَى الْجِنْسِ أَمِيلٌ فَيُمْكِنُهُمْ إِدْرَاكُهُ وَ التَّلَقُّى مِنْهُ. وَ أَمَّا إِرسَالُ الْمَلَكِ إِلَى النَّبِيِّ (ص) فَلْتُمْكِنَهُ مِنْ ذَلِكَ لِقُوَّةِ نَفْسِهِ. ٩٦- قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ ... مَر تَفْسِيرُهُ فِي الْآيَةِ (٤٣) مِنْ سُورَةِ الرِّعْدِ. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٢٩٧ ٩٧- وَ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ... أى مِنْ وَفْقِهِ اللَّهُ وَ كَانَ أَهْلًا لِلْهُدَايَةِ وَ مَنْ يُضِلُّ لَأَنَّهُ لَيْسَ أَهْلًا لِلْهُدَى فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ يَتَوَلَّوْنَ الدِّفَاعَ عَنْهُمْ وَ نَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُقْمًا وَ بُكْمًا أَى يَسْحَبُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى النَّارِ مَبَالِغَةً فِي إِهَانَتِهِمْ، عَمِيًا وَ بُكْمًا وَ صَمًّا لَا يَبْصُرُونَ مَا تَتَلَذَّذُ بِهِ أَعْيُنُهُمْ وَ لَا يَسْمَعُونَ مَا تَتَلَذَّذُ بِهِ مَسَامِعُهُمْ وَ لَا يَنْطِقُونَ بِمَا يَنْفَعُهُمْ. وَ قَدْ سَأَلَ النَّبِيُّ (ص): كَيْفَ يَحْشُرُ الْكَفَّارَ عَلَى وُجُوهِهِمْ؟ فَقَالَ (ص): إِنْ الَّذِي أَمْشَاهُمْ عَلَى رِجْلَيْنِ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَمْشِيَهُمْ عَلَى وُجُوهِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. مَاؤَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ أَى سَكَنَ لَهْبُهَا زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا أَى لَهْبًا وَ اشْتَعَالًا بِهِمْ بِإِعَادَتِهِمْ بَعْدَ إِفْنَائِهِمْ. وَ هَذَا مِنْ بَابِ قَوْلِهِ تَعَالَى: كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ. ٩٨- ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا ... إلخ أَى أَنْ إِدْخَالَ النَّارِ وَ ازْدِيَادِ السَّعِيرِ كُلَّمَا خَبَتْ اسْتَحْقَقَهُ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ بِالْبَرَاهِينِ وَ الْحُجْجِ الْإِلَهِيَّةِ. وَ بِسَبَبِ إِنْكَارِهِمُ لِلْمَعَادِ وَ تَعْجِبُهُمْ مِنْ إِمْكَانِ عَوْدَةِ أَجْسَادِهِمْ بَعْدَ فَنَائِهَا. ٩٩- أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ ... إلخ أَى أَنَّ الْقَادِرَ عَلَى الْأَعْظَمِ كَخَلْقِ السَّيَاحَاتِ وَ الْأَرْضِ قَادِرٌ عَلَى الْأَدُونِ وَ لَيْسَتْ الْإِعَادَةُ أَصْعَبُ عَلَيْهِ تَعَالَى مِنَ الْإِبْتِدَاءِ. وَ الْمُرَادُ بِالْمِثْلِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: مِثْلُهُمْ إِمَّا هُوَ الْإِعَادَةُ مِثْلُ الْأَوَّلِ، أَوْ الْمُرَادُ بِالْمِثْلِ: النَّفْسُ، وَ يَعْتَبَرُ أَهْلُ الْعَرَبِيَّةِ عَنِ النَّفْسِ بِالْمِثْلِ. وَ جَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ مَدَّةٌ مَعِينَةٌ لَا شَكَّ فِيهَا وَ هُوَ الْمَوْتُ أَوْ الْبَعْثُ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا أَى اِمْتَنَعُوا عَنْ كُلِّ شَيْءٍ مِمَّا نَزَّلْنَاهُ إِلَّا الْكُفْرَ وَ الْجَحْدَ بِالْحَقِّ مَعَ وَضُوحِهِ. ١٠٠- قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ ... إلخ أَى يَا مُحَمَّدُ قُلْ لَهُؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ لَوْ أَنَّ خَزَائِنَ أَرْزَاقِ الْعِبَادِ كَانَتْ تَحْتَ سُلْطَتِكُمْ إِذَا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ لَبَخَلْتُمْ وَ اِمْتَنَعْتُمْ مِنْ أَنْ تَنْفَقُوا وَ تَعْطُوا النَّاسَ خَوْفًا مِنَ النِّفَادِ بِالْإِنْفَاقِ وَ ذَلِكَ لِعَدَمِ التَّوَكُّلِ وَ عَدَمِ التَّصَدِيقِ بِمَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ فِي كِتَابِهِ مِنْ قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: وَ فِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَ مَا تَوْعَدُونَ. وَ كَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا أَى بَخِيلًا طَبْعًا. وَ هَذَا الذِّيلُ تَأْكِيدٌ لِمَا فِي صَدْرِ الْآيَةِ وَ تَثْبِيتٌ لِمَا تَشْتَمِلُ عَلَيْهِ مِنْ كَوْنِهِمْ مُمْسِكِينَ، وَ بَيَانٌ لِعِلَّةِ الْحُكْمِ بِكَوْنِهِمْ أَشْحَهُ عَلَى الْخَيْرِ. ١٠١- وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ... عَنِ الصَّادِقِ (ع): هِيَ الْجِرَادُ وَ الْقُمَّلُ وَ الضَّفَادِعُ وَ الدَّمُ وَ الطُّوفَانُ وَ الْبَحْرُ وَ الْحَجَرُ وَ الْعَصَا وَ يَدُهُ الْبَيْضَاءُ فَسُئِلَ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَمَّا جَرَى

بين موسى و فرعون، أو عن الآيات. إِذْ جَاءَهُمْ عَمَّا جَرَى بَيْنَ مُوسَى وَ فِرْعَوْنَ، أَوْ عَنِ الْآيَاتِ. إِذْ جَاءَهُمْ مُوسَى (ع). فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ: إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا أَيْ أُعْطِيتَ عِلْمَ السَّحَرِ. ١٠٢- قَالَ لَقَدْ عَلِمْتُ مَا أُنْزِلَ هَؤُلَاءِ ... أَيْ قَالَ مُوسَى لِفِرْعَوْنَ: لَقَدْ تَقِنْتُ أَنَّهُ مَا أُنْزِلَ هَذِهِ الْآيَاتُ عَلَى إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَيْ خَالِقَهُمَا، بَصَائِرُ دَلَائِلَ تَبْصِرُونَ بِهَا طَرِيقَ الْحَقِّ فِيمَا لَوْ تَدَبَّرْتُمُوهَا وَلَكِنْ أَنْتَ لَمَّا كُنْتَ مُعَانِدًا أَوْ جَاهِدًا فَأُظْهِرْتُكَ مَثْبُورًا أَيْ مَهْلِكًا أَوْ تَبْصِرُونَ بِهَا طَرِيقَ الْحَقِّ فِيمَا لَوْ تَدَبَّرْتُمُوهَا وَلَكِنْ أَنْتَ لَمَّا كُنْتَ مُعَانِدًا أَوْ جَاهِدًا فَأُظْهِرْتُكَ مَثْبُورًا أَيْ مَهْلِكًا أَوْ مُلْعُونًا. ١٠٣- فَأَرَادَ أَنْ يَنْتَفِزَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ ... أَيْ يَزْعِجُ مُوسَى وَ قَوْمَهُ بِالْغَيْبِ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ أَوْ بِالْقَتْلِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَ مَنْ مَعَهُ جَمِيعًا أَيْ أَغْرَقْنَاهُ مَعَ قَوْمِهِ وَ لَمْ نَسْتَنْ أَحَدًا. ١٠٤- وَ قُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ ... أَيْ أَرْضَ مِصْرَ الَّتِي أَرَادَ فِرْعَوْنُ أَنْ يَبْعِدَكُمْ عَنْهَا فَإِذَا جَاءَ وَغْدُ الْآخِرَةِ قِيَامَ السَّاعَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا أَيْ جَمِيعًا أَوْ مُخْتَلَطِينَ أَنْتُمْ وَ هُمْ لِلْحُكْمِ وَ الْجَزَاءِ. إِرْشَادُ الْأَذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ٢٩٨ ١٠٥- وَ بِالْحَقِّ أَزْلُنَا ... أَيْ مَا أَرَدْنَا مِنْ إِنْزَالِ الْقُرْآنِ إِلَّا تَرْكِيزَ الْحَقِّ وَ بِالْحَقِّ نَزَلَ أَيْ مَا نَزَلَ إِلَّا بِالْدَّعْوَةِ إِلَى الْحَقِّ، وَ لَسْتُ إِلَّا مُبَشِّرًا لِلْمُطِيعِ بِالثَّوَابِ وَ نَذِيرًا لِلْعَاصِي بِالْعِقَابِ. ١٠٦- وَ قُرْآنًا ... أَيْ أَنْزَلْنَا قُرْآنًا. فَرَفْنَاهُ أَيْ فَصَلْنَاهُ وَ جَعَلْنَاهُ قِطْعًا مُتَمَازِيَةً مِنْ حَيْثُ الْإِنْزَالِ، نَجُومًا فِي نَحْوِ ثَيْفٍ وَ عَشْرِينَ سَنَةً أَوْ فَرَقْنَاهُ مِنْ حَيْثُ بَيَانِ الْحَقِّ وَ الْبَاطِلِ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ أَيْ إِمْهَالٍ لِنَنْظُرَ بِمَعْنَى آيَةٍ وَ آيَةٍ، وَ سُورَةٍ وَ سُورَةٍ كَيْ يَسْهَلَ فَهْمُهُ وَ حِفْظُهُ وَ لِنَتَفَكَّرُوا فِيهِ، وَ نَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا حَسَبَ الْمُقْتَضِيَّاتِ. ١٠٧- قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا ... أَيْ قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ: سَوَاءَ آمَنْتُمْ بِالْقُرْآنِ أَمْ لَا، إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَوْ مِمَّنْ أَعْطُوا عِلْمَ التَّوْرَةِ قَبْلَ نَزُولِ الْقُرْآنِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَقْرَأُ عَلَيْهِمْ يَخْرُونَ لِلْأَذْقَانِ سِجْدًا أَيْ يَسْقُطُونَ عَلَى وَجُوهِهِمْ تَذَلُّلاً وَ خُشُوعًا لِلَّهِ تَعَالَى. ١٠٨- وَ يَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبَّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبَّنَا لَمَفْعُولًا: أَيْ نَنْزِهِ تَعَالَى عَنْ خُلْفِ الْوَعْدِ. إِنْ وَعَدَ رَبَّنَا كَانَتْ لَا مُحَالَةً. ١٠٩- وَ يَخْرُونَ لِلْأَذْقَانِ ... وَ يَزِيدُهُمْ خُشُوعًا: أَيْ أَنَّهُمْ يَسْجُدُونَ عِنْدَ سَمَاعِ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَ يَزِيدُهُمْ ذَلِكَ خُضُوعًا وَ تَذَلُّلاً لِازْدِيَادِ عِلْمِهِمْ بِهِ وَ يَقِينُهُمْ بِصِدْقِ مَا جَاءَ فِيهِ. وَ قَدْ خَصَّ الذَّقْنَ لِأَنَّ مِنْ سَجْدِ كَانَ أَقْرَبَ شَيْءٍ مِنْهُ إِلَى الْأَرْضِ ذَقْنُهُ، وَ تَسْمَى هَذِهِ السَّجْدَةُ بِسَجْدَةِ الْعُلَمَاءِ لِاخْتِصَاصِهَا بِهِمْ عَلَى مَا يَتَرَاءَى مِنْ ظَاهِرِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ. ١١٠- قُلْ اذْعُوا لِلَّهِ أَوْ اذْعُوا لِلرَّحْمَنِ ... لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ الشَّرِيفَةُ قَالَ الْمُشْرِكُونَ عِنْدَ مَا سَمِعُوا النَّبِيَّ (ص) يَتْلُوهَا: يَقُولُ: يَا اللَّهُ يَا رَحْمَانَ؟ نَهَانَا أَنْ نَعْبُدَ إِلَهَيْنِ وَ هُوَ يَدْعُو إِلَهَيْنِ؟ إِذْ أَيْ مَا تَدْعُوا إِلَهُ مِنْ هَذَيْنِ الْأَسْمَيْنِ الْأَقْدَسَيْنِ تَكُونُوا قَدْ دَعَوْتُمُ اللَّهَ الْوَاحِدَ وَ لَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَ لَا تُخَافُ بِهَا، وَ اتَّبَعَ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا أَيْ اسْلُوكَ طَرِيقًا وَسَطًا بَيْنَ الْجَهْرِ وَ الْإِخْفَاتِ فِي صَلَاتِكَ. ١١١- وَ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ... إلخ. أَيْ أَحْمَدُ اللَّهَ عَزَّ اسْمَهُ، وَ نَزَّهَهُ عَنِ الْوَلَدِ وَ الشَّرِيكِ، وَ وَحْدَهُ وَ عَظَمَهُ عَنْ كُلِّ مَا لَا يَلِيقُ بِالْوَهَيْتَةِ. وَ قَدْ رَوَى أَنَّ رَجُلًا قَالَ عِنْدَ الصَّادِقِ (ع): اللَّهُ أَكْبَرُ، فَسَأَلَ (ع): مِنْ أَيْ شَيْءٍ؟ قَالَ: مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، فَقَالَ (ع): حَدَّدْتَهُ، فَقَالَ الرَّجُلُ: كَيْفَ أَقُولُ؟ قَالَ: قُلِ اللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ أَنْ يُوصَفَ.

سورة الكهف مكية، عدد آياتها ١١٠ آية

١- الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ ... تَعْلِيمٌ لِلخَلْقِ بِأَنْ يَقُولُوا: كُلُّ الْحَمْدِ وَ الشُّكْرِ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ (ص) الْقُرْآنَ وَ لَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا أَيْ لَمْ يَجْعَلْ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ اخْتِلَالَ- فِي أَلْفَاظِهِ، وَ لَا تَنَاقُضًا فِي مَعَانِيهِ. ٢ وَ ٣ وَ ٤- قِيمًا ... أَيْ سَوَاءً عَلَى حَدِّ الْإِعْتِدَالِ، لَا إِفْرَاطَ فِيهِ وَ لَا تَفْرِيطَ. وَ قَدْ نَصَبْتَ قِيمًا بِفِعْلِ مَحْذُوفٍ تَقْدِيرُهُ: جَعَلَهُ. وَ وَرَدَ فِي كِتَابِ (تَأْوِيلَاتِ الْكَاشِي) أَنَّ الضَّمِيرَ فِي لِلَّهِ رَاجِعٌ إِلَى الْعَبْدِ، فَالْعُوجُ صِفَةٌ مُنْفِيَةٌ عَنْهُ (ص)، وَ كَذَلِكَ قِيمًا صِفَةٌ لَهُ (ص) لِيُنْذَرَ يَحْذَرُ الْكَافِرِينَ بِأَسَاسٍ شَدِيدًا قُوَّةً وَ بَطْشًا وَ عَذَابًا يَأْتِيهِمْ مِنْ لَدُنْهِ مِنْ قَبْلِهِ تَعَالَى حِينَ يَقْضَى بِإِهْلَاكِهِمْ لِعِنَادِهِمْ وَ شِدَّةِ كُفْرِهِمْ، وَ لِيُشِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِخَبَرِهِمُ الْخَبَرَ السَّارَّ بِنَجَاتِهِمْ وَ فَوْزِهِمْ فِي الدُّنْيَا وَ بَأَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ثَوَابًا جَمِيلًا جَزِيلًا فِي الْآخِرَةِ مَا كَثُرَ فِيهِ أَبَدًا مُقِيمِينَ فِي النِّعَمِ بِاسْتِمْرَارٍ وَ يُنْذَرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا الْمُشْرِكِينَ مِنَ الْيَهُودِ وَ النَّصَارَى الَّذِينَ قَالُوا بِأَنَّ عِزِيرًا وَ الْمَسِيحَ ابْنَانِ لِلَّهِ. إِرْشَادُ الْأَذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ٢٩٩

٥- مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ ... إلخ أَيْ لَيْسَ لَهُؤُلَاءِ الْقَائِلِينَ بِهَذَا الْقَوْلِ الشَّنِيعِ مَعْرِفَةٌ وَ حُجَّةٌ وَ كَذَلِكَ آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلِهِمْ. ٦- فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسِكَ: أَيْ قَاتِلٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ أَيْ آثَارِ قَوْمِكَ الَّذِينَ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ تَمَرَّدًا مِنْهُمْ عَلَى رَبِّهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ

أَسِفًا مُتَعَلِّقٌ بِبَاخِعِ نَفْسِكَ. آسَفًا: أى حزنًا مفرطًا وهذا الحديث أى القرآن. ٧- إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ ... أى من زخارفها زِينَةً لَهَا أى ما يصلح لأن يكون زينة لها ولأهلها لِنُبَلِّغُهُمْ لِنُخَبِّرَهُمْ أَتَيْتُهُمْ أَحْسَنَ عَمَلًا أى بعمله لآخرته وزهده بالدنيا. ٨- وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صِدْعًا جُرْزًا: أى أرضًا يابسًا لا نبات فيها. ٩- أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ ... أى بل ظننت أن أصحاب الكهف، وهم فتية هربوا بدينهم من ملكهم المشرك دقيانوس إلى مغارة وسيعه فى الجبل الذى كان حوالى تلك القرية وَالرَّقِيمِ هم الثفر الثلاثة الذين دخلوا فى الغار لا فرارا بل لرفع التعب والاستراحة، فانقطع حجر عظيم من الجبل ووقع على باب الغار فانسد عليهم، وقصيتهم معروفة كقصية أصحاب الكهف. وقيل معانى أخر للرقيم كانوا من آياتنا عَجَبًا أى ما كان عجبًا، فإن خلق السموات والأرض وما فيهن من العجائب والأسرار أعجب. ١٠- إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ ... أى التجأوا إلى الغار لما ذكر آنفا فقالوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً أى الأمن والفرج مما نزل بنا وَهَيَّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا أَعْطَانَا أَمْنًا مِنَ السَّيْطَانِ وَسَبَّبَ لَنَا طَرِيقًا نَهْتَدِي بِهِ فى أمر ديننا. ١١- فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ ... أى ألقينا على آذانهم ستارًا من النعاس والنوم المانع عن نفوذ الأصوات إليها يمنع السماع، فى الكهف سِتْنِينَ عِدَدًا أى ذوات عدد كثير. ١٢- ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنُغْلِمَ أَى الْحَرْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ... أى أيقظناهم ونبهناهم من نومتهم لنعرف أى الفريقين اللذين اختلفا فى أمر أصحاب الكهف. من المؤمنين والكافرين من قوم أصحاب الكهف عدّ وضبط مدة لبثهم، وعلم ذلك. ١٣- نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ ... أى نتلو عليك يا محمد خبرهم بالصدق إِنَّهُمْ فَتْيَةٌ شَابٌ، آمَنُوا بِرَبِّهِمْ بَيَانٌ لِلْفِتْيَةِ. وَزِدْنَاهُمْ هُدًى بصيرة فى الدين. ١٤- وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ ... أى قويناها بالألطف فأظهروا الحق ردًا على دقيانوس، إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْخِ فَهَرَوْا عَرْشَ دَقْيَانُوسَ لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا قَوْلًا ذَا بَعْدٍ عَنِ الْحَقِّ مَفْرَطًا فى الظلم إن دعونا إليها غيره تعالى. ١٥- هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً ... أى قالوا فيما بينهم: إن قومنا أشركوا بالله تعالى وجعلوا غيره آلهة من الأصنام يتعبدون لها لَوْ لَا يَأْتُونَ لِيَتِهَمَ يَجِئُونَ عَلَيْهِمْ عَلَى آلِهَتِهِمْ وَمَعْبُودَاتِهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ أى بحجة ظاهرة فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا تعجب من افتراء قولهم الكذب على الله جلّ وعلا- إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٣٠٠-١٦- وَإِذْ عِزَّتْ لُتْمُوهُمْ ... إلخ. هذا قول بعض أصحاب الكهف لبعض، أى لما أعرضتم عنهم وعن عملهم من الشرك فَأَوُوا إِلَى الْكَهْفِ أى التجأوا إليه واجعلوه مأواكم يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ يَسِطُ لَكُمْ بعض نعمه فى الدنيا والآخرة. وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا أى يسهل لكم ما تنتفعون به وتصلحون به أمركم. ١٧- وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ ... أى لو كنت عندهم ونظرت إلى الشمس حين طلوعها لرأيت أنها تَتَرَاوَرُّ عَنْ كَهْفِهِمْ أى تميل عنه ذات اليمين إلى جهة يمين الكهف وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرَّبُ هُمْ ذَاتَ الشَّمَالِ أى حين غروبها تجاوزهم لجهة الشمال من الكهف، فلا تدخل كهفهم ولا تصيبهم. حتى لا تبلى أجسادهم وثيابهم، بل بمقدار تعدل هواء الكهف وتنقيه من الرطوبات والعفونات المتولدة عن الأبخرة الأرضية والأنفسية والجوية فى بعض فصول السنة، وقيل: إن الكهف واقع فى الجهة الجنوبية من جبال الروم. وَهُمْ فى فَجْوَةٍ مِنْهُ أى فى فضاء متسع من الكهف ذَلِكْ أى المذكور من آيات الله من دلائل قدرته مَنْ يَهْدِ اللَّهُ بِالْتَوْفِيقِ وَالْإِعَانَةِ فَهُوَ الْمُهْتَدِ كأصحاب الكهف وَمَنْ يُضِلِّ كدقيانوس وأصحابه فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا أى من يلى أمره ويرشده إلى الحق. ١٨- وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاطًا ... إلخ. أى لو رأيتهم لحسبتهم منتبهين وهم نائمون فى الحقيقة. وقيل لأنهم مفتحة عيونهم يتنفسون كأنهم يريدون أن يتكلموا ولا يتكلمون. وقيل إنهم ينقلبون كما ينقلب اليقظان. وَكَلْبُهُمْ بِاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ أى فناء الغار من جهة الداخل. وقيل كان ذلك كلب صيدهم. لَوْ أَطْلَعَتْ عَلَيْهِمْ ... إلخ أى لو أشرفت عليهم فى كهفهم وهم على ما هم عليه من هيئة لأعرضت عنهم لاستيحاشك الموضع ولملى قلبك خوفًا لأن الله منعهم بالرعب لئلا يصل إليهم أحد. قال ابن عباس وأكثر المفسرين: إن هؤلاء الفتية هربوا من ملكهم ليلا- فمروا براع معه كلب فتبعهم على دينهم ومعه كلبه فطردوه، فخاطبهم الكلب: ما تريدون منى فأنا أحب أولياء الله فدعوني حتى أحرسكم، فذهب معهم إلى الغار فنام عند عتبة الكهف وناموا هم فى فضائه. ١٩- وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ ... أى كما أنمناهم بقدرتنا كذلك أيقظناهم لِيَسْأَلُوا بَيْنَهُمْ عَنْ مَدَّةِ لَبْثِهِمْ ... يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ظَنَّا مِنْ هَذَا الْقَائِلِ مِنْهُمْ. فلما رأوا تغيير أحوالهم من طول أظفارهم وشعورهم صار الأمر ملتبسًا عليهم. قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ رَدُّوا عِلْمَ مَدَّةِ لَبْثِهِمْ إِلَيْهِ تَعَالَى فَابْتَغُوا

www.noorfatemah.org

خاصية، أو ما هو المذاب من المعدنيات كالنحاس. يَشْوِي الْوُجُوهَ يَنْضِجُهَا حَرَهُ إِذَا ادْنَى مِنْهَا بُسِسَ الشَّرَابُ أَى الْمَهْل. وَ سَاءَتْ مُرْتَفَقًا أَى مَتَكًا. و الارتفاق: هو نصب المرفق تحت الخد، و ذكره للمقابلة و المشاكلة بقوله: و بسست مرتفقا، و إلا أين المخدّة و المتكأ لأهل النار. ٣٠- إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ... أَحْسَنَ عَمَلًا: أَى لَا نَتْرَكَ أَعْمَالَهُمْ تَذْهَبُ ضِيَاعًا، بَلْ نَجَازِيهِمْ وَ نُوَفِّيهِمْ مِنْ غَيْرِ بَخْسٍ. وَ تَدُلُّ الْآيَةُ عَلَى أَنَّ الْعَمَلَ شَرْطٌ فِي تَحْصِيلِ هَذِهِ الْمُثُوبَاتِ إِذْ إِنْ الْعَطْفُ يَدُلُّ عَلَى الْمَغَايِرَةِ، وَ الْإِيمَانُ الْمَجْرَدُ عَنِ الْعَمَلِ مُقْتَضٍ لَا أَنَّهُ عَلَهُ لَهَا. ٣١- أُولَئِكَ لَهُمْ ... أَى لِلَّذِينَ ذَكَرْنَاهُمْ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٌ عِدْنٌ أَى جَنَّاتُ إِقَامَةٍ لَأَنَّهُمْ يَبْقَوْنَ فِيهَا بِقَاءَ اللَّهِ دَائِمًا. وَ قِيلَ عِدْنٌ هُوَ بَطْنَانِ الْجَنَّةِ أَى وَسْطُهَا تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ اللَّأْنَهَارُ إِمَّا بِاعْتِبَارِ أَنَّهُمْ عَلَى غَرْفٍ فِي الْجَنَّةِ أَوْ لِأَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ تَجْرَى فِي أَخَادِيدٍ وَ أَقْنِيَةٍ مُرْتَبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَ تَحْتَ الْغَرْفِ وَ الْقُصُورِ يُحَلَّوْنَ فِيهَا إِنْخٍ أَى يُجْعَلُ لَهُمْ فِيهَا حَلِيٌّ مِنْ أَسَاوِرٍ مِنْ ذَهَبٍ وَ يَلْبَسُونَ ثِيَابًا خَضْرَاءَ وَ هِيَ أَبْهَى الْأَلْوَانِ مِنْ سُندُسٍ أَى مَا رَقَّ مِنَ الدِّيَابِجِ وَ اسْتَبْرَقٍ أَى مَا غُلِظَ مِنْهُ عَلَى الْأَرَائِكِ جَمْعُ أَرِيكَةٍ وَ هِيَ السَّرِيرُ نَعْمُ الثَّوَابِ أَى الْجَنَّةِ وَ نَعِيمُهَا وَ حَسِبْتَ مُرْتَفَقًا أَى السَّرِيرَ مِنْ حَيْثُ الْإِتِّكَاءُ عَلَيْهَا وَ الْإِرْتِيَاخُ بِهَا فِي تِلْكَ الْجَنَّاتِ. ٣٢- وَ اضْرَبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ: أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهِ (ص) بِضَرْبِ مَثَلٍ لِلْكَفَرَةِ وَ يَرِيدُ اللَّهُ بِالرَّجُلَيْنِ ابْنِي مَلِكٍ كَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ تُوْفِي وَ تَرَكَ ابْنَيْنِ وَ مَالًا جَزِيلًا- فَأَخَذَ أَحَدَهُمَا حَقَّهُ مِنْهُ وَ هُوَ الْمُؤْمِنُ مِنْهُمَا فَتَقَرَّبَ بِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَ تَصَدَّقَ بِهِ، وَ أَخَذَ الْآخَرُ وَ هُوَ الْكَافِرُ حَقَّهُ فَتَمَلَّكَ بِهِ ضِيَاعًا، مِنْهَا هَاتَانِ الْجَنَّتَانِ اللَّتَانِ ذَكَرَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى وَ مِنْهَا دَارُ بَنِي بَالْفِ دِينَارٍ وَ تَرْوَجُ بِأَمْرَاءَ بَالْفِ دِينَارٍ ثُمَّ اشْتَرَى خَدَمًا بِأَلْفِ دِينَارٍ، فَوَصَفَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ الْبِسْتَانَيْنِ بِصِفَاتٍ مِنْهَا كَوْنُهُمَا جَنَّتَيْنِ بَظِلِّ الْأَشْجَارِ. وَ الصِّفَةُ الثَّانِيَةُ قَوْلُهُ سَبْحَانَهُ: وَ حَقَّقْنَا هُمَا بِنَخْلٍ أَى جَعَلْنَا النَّخْلَ مُحِيطًا بِالْجَنَّتَيْنِ، إِلَى آخِرِ الْأَوْصَافِ الْمَذْكُورَةِ. ٣٣- كَلَّمَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا ... أَى أَعْطَتْ ثَمَرَهَا وَ لَمْ تَظَلِّمْ لَمْ تَنْقُصْ مِنْهُ شَيْئًا مِنَ الثَّمَرِ الْمَعْهُودِ، وَ فَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا أَى شَقَقْنَا وَسْطَهُمَا نَهْرًا لِيَسْقِيَهُمَا. ٣٤- وَ كَانَ لَهُ ثَمَرٌ ... أَى كَانَ لِلْكَافِرِ أَثْمَارٌ مِنْ أَمْوَالٍ مَثْمُرَةٍ غَيْرِ ثَمَرِ الْكَرَمِ وَ النَّخْلِ، وَ اخْتِصَاصُهُمَا بِالذِّكْرِ لَغَالِيَتَهُمَا وَ إِلَّا فَالْتَنكِيرُ لِلتَّعْمِيمِ. فَقَالَ لِصَاحِبِهِ أَى لِأَخِيهِ الْمُؤْمِنِ وَ هُوَ يُحَاوِرُهُ أَى يُجَادِلُهُ وَ يَفْتَخِرُ عَلَيْهِ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَ أَعَزُّ نَفَرًا أَى أَقْوَى رَهْطًا وَ خَدَمًا وَ أَوْلَادًا وَ أَعْوَانًا. إِرْشَادُ الْأَذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ٣٠٣-٣٥- وَ دَخَلَ جَنَّتَهُ ... أَى أَدْخَلَ أَخَاهُ الْمُؤْمِنَ مَعَهُ فِي الْبِسْتَانَيْنِ يَطُوفُ بِهِ فِيهِمَا وَ يَفَاخِرُهُ بِهِمَا وَ يَعْيِرُهُ عَلَى إِتْلَافِ أَمْوَالِهِ فِي سَبِيلِ رَبِّهِ وَ إِفْرَادِ الْجَنَّةِ هُنَا، إِمَّا لِأَنَّهُمَا بِحُكْمِ الْوَاحِدَةِ لِتَوَاصُلِهِمَا، أَوْ لِإِرَادَةِ الْجِنْسِ، أَوْ لِأَنَّهُ أَدْخَلَهُ فِي وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا فَقَطْ دُونَ الْآخَرِ لِأَنَّهُمَا كَانَتَا مُؤَثَّرَةً فِي نَفْسِهِ أَكْثَرَ مِنْ أَخْتِهَا لَطَرَاوَتِهَا وَ بَهْجَتِهَا وَ نَضَارَتِهَا وَ سَعَتِهَا .. إِنْخٍ، كَمَا هُوَ الظَّاهِرُ مِنْ إِضَافَتِهَا إِلَى نَفْسِهِ. وَ هُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ أَى ضَارٌّ لَهَا بِعَجْبِهِ وَ كَفَرِهِ. قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا أَى لَا أَحْسِبُ أَنْ تَفْنَى هَذِهِ الْجَنَّةُ. ٣٦- وَ مَا أَظُنُّ السَّاعِيَةَ قَائِمَةً: أَى مَا أَظُنُّ أَنَّ الْقِيَامَةَ آتِيَةٌ وَ لَئِنْ رُدِدَتْ إِلَى رَبِّي بِالْبَعْثِ كَمَا تَزْعُمُ أَيُّهَا الْأَخُ لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا أَى وَ اللَّهُ لَتَكُونَنَّ عَاقِبَةُ أَمْرِي وَ مَرْجَعِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ خَيْرًا مِنْ دُنْيَايَ. وَ إِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ لِتَوْهَمِهِ أَوْ لِأَنَّهُ كَانَ مُعْتَقِدًا بِأَنَّ اسْتِحْقَاقَهُ الذَّاتِي مُقْتَضٍ لَكُونِهِ مُورَدًا لِأَطْلَافِهِ تَعَالَى فِي الدُّنْيَا، وَ إِذَا كَانَتْ هَذِهِ هِيَ الْعِلَّةُ فَهِيَ بَاقِيَةٌ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ. ٣٧- قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ ... أَى كَفَرْتُ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ... لِأَنَّ النَّطْفَةَ أَصْلُ خَلْقِ الْإِنْسَانِ هِيَ مِنَ الْغِذَاءِ الَّذِي يَنْبَغُ أَنْ يَنْبَغُ مِنَ تَرَابِ الْأَرْضِ وَ الْمَقْصُودُ بِصَاحِبِهِ أَخُوهُ الْمُؤْمِنُ عِنْدَ جَوَابِهِ لَهُ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ أَى مَا هُوَ الْمَادَّةُ الْقَرِيبَةُ ثُمَّ سَوَاكَ رَجُلًا جَعَلَكَ إِنْسَانًا مُسْتَقِيمًا مُسْتَوَى الْخَلْقَةِ. ٣٨- لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي ... يَعْنِي: أَنَا أَقُولُ هُوَ اللَّهُ الَّذِي رَبَّنِي بَعْدَ مَا أَوْجَدَنِي وَ لَا أَشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا لَا أَبْعَدُ غَيْرَهُ مَعَهُ. ٣٩ وَ ٤٠- وَ لَوْ لَا إِذْ دَخَلْتُ ... إِنْخٍ أَى هَلَّا قُلْتُ حِينَ دَخَلْتُ جَنَّتَكَ كَلِمَةَ الْمَشِيئَةِ، أَى مَا شَاءَ اللَّهُ إِنْخٍ إِنْ تَرَنَّا أَنَا أَقَلُّ مِنْكَ مَالًا وَ وَلَدًا أَى وَ إِنْ كُنْتُ تَرَانِي فَقِيرًا لَا مَالَ عِنْدِي وَ لَا أَوْلَادَ فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ أَى فَأَرْجُو أَنْ يَرْزُقَنِي رَبِّي مَا هُوَ أَحْسَنُ مِنْ جَنَّتِكَ فِي الْآخِرَةِ، كَمَا أَخْشَى أَنْ تَخْرِبَ جَنَّتَكَ وَ يُرْسِلَ اللَّهُ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ أَى يَبْعَثَ عَلَيْهَا لِكُفْرِكَ عَذَابًا أَوْ شَرًّا أَوْ بَلَاءً مِنَ السَّمَاءِ كَالصَّاعِقَةِ وَ نَحْوِهَا فَتُضَيِّحُ صَيِّعِدًا زَلْفًا أَى أَرْضًا مَلْسَاءَ لَا تَثْبِتُ عَلَيْهَا قَدَمٌ. وَ قِيلَ أَرْضًا مُحْتَرَقَةً. ٤١- أَوْ يُضَيِّحُ مَأْوَهَا غَوْرًا ... أَى ذَاهِبًا فِي الْأَرْضِ فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا أَى لَنْ تَجِدَ حِيلَةً تَرُدُّهُ بِهَا. ٤٢- وَ أَحِيطَ بِشَمْرِهِ ... أَى أَهْلَكَ أَمْوَالَهُ وَ مَخْبِيَاتِهِ. فَأُضَيِّحُ يُقْلَبُ كَفَيْهِ إِنْخٍ أَى يُضْرَبُ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْآخَرِ كُنَايَةً عَنِ التَّنْدِمِ وَ التَّحْشِيرِ وَ هِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُزُوشِهَا أَى أَنَّ الْأَبْنِيَةَ سَاقِطَةً عَنْ دَعَائِمِ كَرُومِهَا وَ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أَشْرِكْ كَأَنَّهُ تَذَكَّرَ نَصَحَ أَخِيهِ وَ وَعْظَهُ لَهُ وَ تَبَّهَ إِلَى أَنَّ هَذَا الْعَذَابَ

من ناحيته شرهه. ٤٣- وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِتْنَةً ... إلخ أى جماعة تعينه على مصيبته وما كان مُنتَصِرَةً أى ممتنعاً بقوته عن انتقام الله منه. ٤٤- هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ ... أى يوم القيامة. أو فى حال تنازع المؤمن والكافر والولاية بفتح الواو: هى النصره، و بكسرهما السيلطان و الملك. خَيْرٌ عُقْبًا أى أحسن عاقبه. ٤٥- وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ... أى اجعل يا محمد لقومك و للناس مثلاً هو هذه الحياة التى يعيشونها فى الدنيا فإنها كماء أُنْزِلَتْ مِنَ السَّمَاءِ كالمطر الذى انحدر من السماء فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَمَا وَضَجَ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا أى يابساً تَذْرُوهُ الرِّيحُ تنسفه و تطيره بهبوبها. وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا أى قادراً على الإنشاء و الإفناء. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٣٠٤- ٤٦- الْمَالُ وَ الْبُنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ... المال و البنون ممّا يترّين به فى الحياة و لا ينتفع بهما فى الآخرة. وَلَكِنَّ الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ مِنْ أَعْمَالِ الْخَيْرِ وَ الطاعات خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَ خَيْرٌ أَمَلًا أى أفضل ثواباً و أصدق أملاً من سائر زينة الدنيا. و قيل إن الباقيات الصالحات هى الولايه، و قيل هى التسيّحات الأربع و قيل الولد الصالح و الكتاب النافع و غيرها. ٤٧- وَ يَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ ... أى نقلعها قلعا من أماكنها يوم القيامة وَ تَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً ظاهرة من تحت الجبال ليس عليها ما يسترها وَ حَشَرْنَاهُمْ جمعناهم إلى الموقف فَلَمْ نَغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا أى لم تترك أحداً إلا حشرناه. ٤٨- عُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ ... أى وقفوا للحساب بين يديه سبحانه فاصفوفين، قَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أى أحضرناكم على الحالة التى أوجدناكم فيها حين خلقكم عراة ليس معكم من الأموال و الأولاد شىء لَنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا أى: أيها المنكرون للبعث ليس الأمر كما تزعمون من أننا لن نجعل لكم وقتاً للبعث و الحساب. ٤٩- وَ وَضِعَ الْكِتَابُ أى جنسه من صحائف الأعمال لبنى آدم فى الأيمان و الشكائل فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ إلخ أى خائفين مما فيه من الذنوب وَ يَقُولُونَ: يَا وَيْلَتَنَا هذه لفظه يقولها الإنسان إذا وقع فى شدّة و همّ فيدعو على نفسه بالويل ما لهذا الْكِتَابِ أى شىء لهذا الكتاب لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَ لَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا أى لا يترك الصغيرة و لا الكبيرة من السيئات و الذنوب إلا عدّها و اثبتها و فى هذا التعبير دلالة على مدى إحاطة علمه سبحانه وَ وَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا مكتوباً فى صحيفة العمل وَ لَا يَظْلُمُ رَبُّكَ أَحَدًا لا ينقص من ثواب أحد و لا يزيد فى عقاب مسيء. ٥٠- وَ إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ ... إلخ لقد مر تفسيره فيما تقدم فى سورة البقرة و ذكر هذه القصّة تقريراً للتشريع على أهل الكبر من المنكرين للبعث و غيرهم من العصاة بأن ذلك من سنن إبليس و قيل: كرهه تعالى فى مواضع لكونه مقدّمه للأمور المقصود بيانها فى تلك الحال، و هكذا كل تكرار فى القرآن. أولياء أى محبوبين بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا بِئْسَ بدل الظالمين بدلا عن الله تعالى من الشيطان و ذريته. ٥١- مَا أَشْهَدُكُمْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ ... إلخ أى الشيطان و ذريته ما أحضرتهم حين خلق السماوات و الأرض اعتضادا بهم وَ مَا كُنْتُ مُمْخِذًا الْمُضْتَلِينَ عَصُدًا أى عوناً. ٥٢- وَ يَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ ... إلخ يقول الله تعالى يوم القيامة لعبدة الأصنام نادوا شركائى الذين زعمتم فى الدنيا أنهم كذلك فلينصرونكم دونى. و إضافة الشركاء إليه تعالى على زعمهم إنما هو من باب التوبيخ لهم و الاستهزاء بهم. فَدَعَوْهُمْ فَنادوهم للإعانة فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ فلم يلبثوا النداء وَ جَعَلْنَا بَيْنَهُمْ أى بين الكفار و آلهتهم مَوْبِقًا حاجزا بين الكفار و معبوديهم. من الملائكة و المسيح و عزيز، فندخل الكفرة فى النار بينما ندخل هذين المعبودين الجنة، كما فسّر الموبق بالمهلك، و هو على ما قيل: دار فى الجحيم ينزلها العبد و آلهتهم حيث يشتركون فى العذاب. ٥٣- وَ رَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا ... أى أيقنوا الدّخول فيها مَضِرِّفًا أى موضع فرار. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٣٠٥- ٥٤- وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ ... أى بيّنا فيه مفصلاً مِنْ كُلِّ مَثَلٍ أى من كل شىء يحتاجون إليه من قصص الأمم الماضية للعبرة، و من دلائل القدرة الكاملة تقوية للبصيرة. و قد مر تفسيره فى سورة بنى إسرائيل جَدَلًا أى خصومه. ٥٥- وَ مَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا ... إلخ أى لم يحجزهم عن الإيمان و طلب المغفرة بعد مجيء الدلالة غير طلب ما جرت العادة الإلهيّة عليه من إهلاك الظلمة الماضين فى الدنيا، و العذاب عذاب الآخرة قُبُلًا أى عياناً. ٥٦- وَ مَا نُزِّلُ الْمُرْسَلِينَ ... إلخ أى لم نبعث الأنبياء إلا ليرغبوا الناس بالثواب و ليخوفوهم من العقاب وَ يُجَادِلِ الَّذِينَ كَفَرُوا أى يخاصم الكفار أهل الحقّ دفاعاً عن مذهبهم بِالْبَاطِلِ من إنكار إرسال البشر كقولهم للأنبياء: ما أنتم إلا بشر مثلنا و لو شاء الله لأنزل ملائكة، و من اقتراحهم الآيات بعد ظهور المعجزات، و من نسب ما جاء به الأنبياء إلى السحر و الشعر و الكهانة لِيُدْحِضُوا بِهِ أى ليزيلوا بالجدال الحقّ القرآن أو الدّين القويم وَ اتَّخَذُوا آيَاتِي يعنى

دلائل وجودى وقدرتى. وَمَا أَنْذَرُوا مِنْ ذِكْرِ الْقِيَامَةِ وَعَذَابِهَا، هُزُؤًا سَخِرِيهٗ. ٥٧- وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ... إلخ أى ليس أظلم من الإنسان الذى ترشده إلى الحق فيعرض عنه إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَى أَغْطِيَهُ أَنْ يَفْقَهُوهُ كراهه أن يفهموا القرآن، وَفِي آذَانِهِمْ وَقُرْأَ إلخ صمما و ثقلا، كناية عن غباوة قلوبهم و مسامعهم عن قبوله، فهم لا يهتدون أبدا. ٥٨ و ٥٩- وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ ... إلخ واضح المعنى، و هو لا يؤاخذ الناس بذنوبهم و لا يعجل لهم العذاب فى الدنيا بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ مَوْثَلًا ملجأ. و القرى عاد و ثمود و أمثالهم لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا أَى لِإِهْلَاكِهِمْ وقتا معلوما لا يستأخرون عنه و لا يستقدمون. و ورد فى تفسير القمى: لما سأل اليهود النبى (ص) عن قصة أصحاب الكهف و أخبرهم بها، قالوا له (ص): أخبرنا عن العالم الذى أمر الله موسى أن يتبعه و ما قصته فأنزل الله تعالى قوله: ٦٠- وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ ... أَى يوشع بن نون سَمَى فتى لأنه كان حديث السنّ أو لأنه كان يتبعه و يخدمه، لا أُبْرُحْ أى لا أزال أسير حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَى ملتقى بحرى فارس و بحر الروم و هو المكان الذى وعد فيه موسى بلقاء الخضر (عليهما السلام) أَوْ أَمْضَى حُقُبًا أسير زمنا طويلا الحقب ثمانون سنة. ٦١- فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا ... أَى ملتقى البحرين، وَ نَسِيَا حَوْتَهُمَا أى تركاه ذهولا عنه فَاتَّخَذَ أى سلك الحوت سَبِيلَهُ فِى الْبَحْرِ سِرًّا بارزا و قيل: مستترا. و قيل: إن موسى و فتاه لما بلغا ذلك الموضع جلسا ليستريحا فنام موسى من شدة التعب و عناء السفر، و اشتغل يوشع بالوضوء من ذلك الماء و كانت ماء الحياة فوقعت قطرة منه على ذلك الحوت المشوى أَوِ الْمَمْلُوح فَدَبَّتْ فِيهِ الْحَيَاة فَاتَّخَذَ الْحَوْتَ سَبِيلَهُ ... إلخ. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٣٠٦-٦٢- فَلَمَّا جَاوَزَا ... آتَيْنَا غَدَاءَنَا ... إلخ أى لَمَّا انصرفا و قطعنا مسافة قال موسى ليوشع: أعطنا ما نتغذى. و الغداء: طعام الغداة كما أن العشاء طعام العشى. وَ نَصَبًا عناء. ٦٣- قَالَ أَرَأَيْتَ ... أَى: أَو تدرى إِذْ أَوْثِنَا إِلَى الصَّخْرَةِ إِذْ اسْتَرَحْنَا إِلَيْهَا فَإِنِّي نَسِيتُ الْحَوْتَ عِنْدَهَا وَ قَدْ وَ مَّا أَنْسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ إلخ فسهوت عنه، وَ اتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِى الْبَحْرِ عَجَبًا أَى سار الحوت فى البحر و كان بحيث يتعجب منه لأنه كان ميتا فصار حيا. ٦٤- قَالَ ... أَى قال موسى ليوشع (ع) ذَلِكَ أَى فَقْدَانِ الْحَوْتَ مَا كُنَّا نَبْغِ هُوَ الَّذِى نَطْلُبُهُ حَيْثُ إِنَّهُ عَلَامَةٌ لِمَنْ نُرِيدُهُ وَ نَطْلُبُهُ، فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا فرجعا فى الطريق الذى جاء منه على آثار أقدامهما قَصَصَا رجوعا من حيث جاء. ٦٥- فَوَجَدَا عَبْدًا ... آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا ... أَى النبوة، أَوِ الْوَلَايَةِ، أَوِ الْوَحْيِ. وَ عَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا أَى من علم الغيب الذى لم يكتب فى الألواح. ٦٦- قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ ... أَى هل تسمح لى بمصاحبتك و المضى معك لأجل أن تعلمنى مِمَّا عَلَّمْتَ رُسُلًا بعض ما أفاضه الله تعالى عليك من الهداية؟ و قيل: بأن موسى (ع) لما رآه قال له: السلام عليك، فأجابه: السلام عليك يا عالم بنى إسرائيل، ثم وثب فأخذ عصاه بيده، فقال له موسى (ع): إني قد أمرت أن أتبعك على ... إلخ. ٦٧ و ٦٨- قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسِيَّطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا: أجابه الخضر (ع) قائلا: إنك يثقل عليك الصبر بمرافقتى لأننى و كُلتُ بأمر لا تطيقه، و و كُلتُ بعلم لا أطيعه و كَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا أَى كيف يتأتى لك الصبر على أشياء قد تقع أمامك و لا تعرف وجه الحكمة فيها. أَوِ تَسْكُتُ عما يحدث أمامك و أنت لا تعرف السر فى حدوثه؟ ٦٩- قَالَ سَيَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا ... قال موسى (ع): سترى أننى أصبر بمشيئة الله و لا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا وَ سَأُطِيعُكَ وَ أُمْتَلِ أَوَامِرَكَ أَثناء مصاحبتى لك. ٧٠- قَالَ فَإِنْ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ ... أجابه الخضر (ع): إذا أردت مصاحبتى فلا تسأل عن شىء ترانى أفعله أَثناء صحبتنا حَتَّى أُخْبِرَكَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا أَى حتى أبتدئك بتفسيره. ٧١- فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِى السَّفِينَةِ ... فمضيا معا حتى ركبنا سفينة ف خَرَقَهَا أَى ثقبها الخضر قال موسى (ع): أ خَرَقْتُهَا لِتُغْرِقَ أَهْلُهَا لِتُعْزِزَ رَكِبَهَا لِلْغُرُقِ فِى الْبَحْرِ؟ لَقَدْ جِئْتُ شَيْئًا إِمْرًا أَى فعلت شيئا عظيما أَوِ مَنْكَرًا. ٧٢ و ٧٣- قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسِيَّطِيعَ ... إلخ قال الخضر مجيبا موسى (ع): أَلَمْ أَقُلْ لَكَ سَلَفًا: إنك لا تقدر على الصبر أَثناء متابعتى لأنك لا تعرف وجه الحكمة فى أفعالى؟ قال موسى (ع): لا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ آمل العفو عَمَّا نَسِيتُهُ من شرط متابعتك و لا- تُزْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عَسْرًا أَى لا- تعاملنى بما لا- أطيق فى مرافقتك، و فى اعتراضى عليك و استباقى للحوادث. ٧٤- فَانْطَلَقَا، حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ ... ثم نزلا إلى البر و مشيا فصادفا فى طريقهما فتى فقتله الخضر، ف قَالَ مُوسَى (ع): أَ قَتَلْتُ نَفْسًا زَكِيَّةً نَفْسًا طَاهِرَةً مِنَ الذُّنُوبِ بِغَيْرِ نَفْسٍ بَدُونَ أَنْ تَسْتَحِقَّ الْقَتْلَ بِقُودٍ وَ شَبَّهَ لَقَدْ جِئْتُ شَيْئًا نُكْرًا فعلت فعلا منكرا بقتل هذا الغلام من دون سبب. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٣٠٧ و ٧٥- قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ

لَنْ تَشِيَّطَ طَيْعَ ... إلخ مَرَّ تَفْسِيرُهَا، فَ قَالَ مُوسَى (ع): إِنَّ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي إِذَا اسْتَفْهَمْتَ مِنْكَ عَنْ شَيْءٍ تَفْعَلُهُ مِنَ الْآنَ وَ صَاعِدَا فَلَا تَرَاكُنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا أَيْ أَنْكَ مَعْذُورٌ مِنْ جَانِبِي. لِأَنِّي أَنَا الَّذِي لَمْ أَلْتَزِمْ بِشَرِّطِ مَصَاحِبَتِكَ. ٧٧- فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ ... فَتَابَعَا سِيرَهُمَا إِلَى أَنْ دَخَلَا قَرْيَةً، وَ كَانَ مِنْ عَادَةِ أَهْلِهَا أَنْ يَسُدُّوا بَابَهَا عِنْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ. فَلَا يَفْتَحُوهُ لِأَحَدٍ إِلَّا عِنْدَ طُلُوعِهَا، وَ كَلِمَا اجْتَهِدُوا وَ طَلَبُوا فَتَحَ الْبَابَ لَهُمْ لَمْ يَجِبْهُمُ أَحَدٌ. اسْتَطَعَا أَهْلُهَا أَيْ طَلَبَا الطَّعَامَ مِنْ أَهْلِهَا. فَأَبَوْا أَنْ يُضَيَّفُوهُمَا فَبَقِيََا دُونَ أَكْلِ خَارِجِ سُورِ الْقَرْيَةِ إِلَى أَنْ أَصْبَحَ الصَّبَاحُ فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ أَيْ رَأَى فِي ضَاحِيَةِ الْقَرْيَةِ حَائِطًا مَشْرِفًا عَلَى الْإِنْهَارِ فَأَقَامَهُ بَنَاهُ الْخَضِرُ وَ سَاعَدَهُ مُوسَى وَ لَكِنَّهُ قَالَ لَهُ: لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا أَجْرًا نَشْتَرِي بِهَا طَعَامًا نَقَاتَ بِهِ. ٧٨- قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَ بَيْنِكَ ... أَيْ أَنْ قَوْلِكَ: لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا، صَارَ سَبَبًا لِلْفِرَاقِ بَيْنَنَا وَ قَدْ ذَكَرَ الْفِرَاقَ ثَمَّ كَرَّرَ ذِكْرَ الْبَيْنِ لِيُؤَكِّدَ عَدَمَ مَصَاحِبَتِهِ بَعْدَهَا. سَأَلْتُكَ سَأَخْبِرُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَشِيَّطْ عَلَيْهِ صَبْرًا أَيْ بِحِكْمَةِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي لَمْ تَقْدِرْ عَلَى السَّكُوتِ عَلَيْهَا حَتَّى تَعْرِفَ وَجْهَ الْحِكْمَةِ فِيهَا. وَ التَّأْوِيلُ: هُوَ صَرْفُ الْكَلَامِ عَنْ مَعْنَاهِ الظَّاهِرِ إِلَى مَعْنَى أَخْفَى مِنْهُ، وَ هُوَ مَا خُذَ مِنْ آلٍ إِذَا رَجَعَ، وَ يُقَالُ: تَأَوَّلَ فُلَانٌ الْآيَةَ، أَيْ نَظَرَ إِلَى مَا يُؤَوِّلُ إِلَيْهِ مَعْنَاهَا. ٧٩- أَمَّا السَّيْفِيَّةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينٍ ... إلخ أَمَّا السَّيْفِيَّةُ الَّتِي خَرَقَتْهَا فَإِنَّهَا مَلِكٌ لِبَعْضِ الْفُقَرَاءِ مِنَ الْبَحَارَةِ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا قَصِدْتُ أَنْ أَجْعَلَ فِيهَا عِيًّا لِتَصِيرَ غَيْرَ صَالِحَةٍ لِلِاسْتِعْمَالِ. وَ كَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ ظَالِمٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَضْبًا مِنْ أَصْحَابِهَا لِيَسْخَرَهَا فِي مَصَالِحِهِ الشَّخْصِيَّةِ. فَأَنْقَذْتُهَا بِهَذَا الْعَمَلِ مِنَ الْمَصَادِرَةِ. ٨٠ وَ ٨١- وَ أَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ ... أَيْ الْفَتَى الَّذِي قَتَلْتَهُ هُوَ ابْنُ لِمُؤْمِنَيْنِ مَرْضِيَّيْنِ وَ هُوَ مَكْتُوبٌ فِي جَبِينِهِ أَنَّهُ كَافِرٌ، فَخَشَيْنَا أَيْ خَفْنَا أَنْ يُزَيِّقَهُمَا يَثْقُلَ كَاهِلِي أَبَوَيْهِ طُغْيَانًا وَ كُفْرًا ظَلَمًا وَ جُحُودًا فَأَرَدْنَا رَغْبًا بِقَتْلِهِ أَنْ يُبْدِلَهُمَا رُبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً أَنْ يَرْزُقَهُمَا غَيْرَهُ وَلَدًا خَيْرًا مِنْهُ طَاهِرًا وَ صِلَاحًا وَ أَقْرَبَ رُحْمًا أَيْ أَشَدَّ عَطْفًا عَلَيْهِمَا وَ رَحْمَةً بِهِمَا. وَ عَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ سَبَّحَانَهُ أَبْدَلَهُمَا جَارِيَةً فَوَلَدَتْ لَهُمَا سَبْعِينَ نَبِيًّا. ٨٢- وَ أَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ ... وَ أَمَّا الْحَائِطُ الَّذِي بَنَاهُ فِي الْمَدِينَةِ تَبَرَعًا فَهُوَ لَوْلَدَيْنِ فَقَدَا أَبَوَيْهِمَا وَ كَانَ تَحْتَهُ أَيْ تَحْتَ الْجِدَارِ كَثْرُ لَهُمَا مَالٍ مَدْفُونٍ لَهُمَا. وَ قِيلَ لَمْ يَكُنْ مَالًا بَلْ صَحْفٌ عِلْمٌ وَ كَانَ مَكْتُوبًا فِيهَا: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا، مِنْ أَيْسَ لَمْ يَضْحَكْ سَنَّهُ، وَ مِنْ أَيْقَنَ بِالْمَوْتِ لَمْ يَفْرَحْ قَلْبُهُ، وَ مِنْ أَيْقَنَ بِالْقَدَرِ لَمْ يَخْشَ إِلَّا-اللَّهُ. وَ كَانَ أَبَوُهُمَا صَالِحًا مُؤْمِنًا بِاللَّهِ طَبِيعًا لَهُ، فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يُبْلِغَا أَشَدَّهُمَا أَيْ أَنْ يَكْبُرَا وَ يَصْبَحَا رَاشِدَيْنِ وَ يَشِيَّخَرَجَا كَثْرُهُمَا يَكْشِفَانِهِ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لَطْفًا مِنْهُ بِهِمَا وَ مَا فَعَلْتَهُ عَنْ أَمْرِي أُنْنِي مَا قَمْتُ بِنَاءَ الْجِدَارِ مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِي، بَلْ أَمَرَنِي بِذَلِكَ رَبِّي. ذَلِكَ تَأْوِيلُ تَفْسِيرِ مَا لَمْ تَشْطَعْ عَلَيْهِ صَبْرًا هِيَ: تَسْتَطِيعُ. ٨٣- وَ يَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقُرَيْنَيْنِ ... أَيْ يَسْأَلُكَ يَا مُحَمَّدُ كِفَارَ الْمَدِينَةِ وَ يَهُودَهَا عَنْ خَبَرِ ذِي الْقُرَيْنَيْنِ قُلْ لَهُمْ: سَأْتَلُوا أَقْرَأَ عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا أَيْ خَبْرًا. إِرْشَادُ الْأَذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ٣٠٨-٨٤- إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ ... أَيْ جَعَلْنَا لَهُ فِيهَا سُلْطَانًا حَتَّى اسْتَوْلَى عَلَيْهَا وَ آتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا أَيْ أَعْطَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ طَرِيقَةً تَوْصِلُهُ إِلَى مَا يَرِيدُ. ٨٥ وَ ٨٦- فَاتَّبَعَ سَبَبًا: أَيْ فَاتَّخَذَ طَرِيقًا وَ سَلَكَهُ حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ أَيْ وَصَلَ إِلَى الْمَحَلِّ الَّذِي يَتَرَاءَى لَهُ فِيهِ غُرُوبُهَا مِنْ سَطْحِ الْأَرْضِ. وَجَدَهَا تَعْرُبُ فِي عَيْنِ حِمَّةٍ أَيْ وَجَدَ الشَّمْسَ تَغِيبُ عَنْ نَظَرِيهِ فِي عَيْنِ كَثِيرَةِ الطَّيْنِ الْأَسْوَدِ الْمُنْتَنِ. وَ وَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا أَيْ فِي تِلْكَ الْبَقْعَةِ مِنَ الْأَرْضِ وَجَدَ أَنَا سَا كَفَرَةً قُلْنَا يَا ذَا الْقُرَيْنَيْنِ مَوْحِينَ لَهُ وَ مَلْهُمِينَ: إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ بِقَتْلِهِمْ إِنْ أَصْرُوا عَلَى الْكُفْرِ وَ إِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا أَوْ أَنْ تَسْلُكَ فِيهِمْ طَرِيقَةَ الْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ بِهَدَايَتِهِمْ إِلَى الْإِيمَانِ. ٨٧ وَ ٨٨- قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ ... أَيْ قَالَ ذُو الْقُرَيْنَيْنِ فِي نَفْسِهِ: إِنِّي سَادَعُوهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ فَإِنْ أَصْرُوا عَلَى الْكُفْرِ فَقَدْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ، فَنَعَذِّبُ الْمَصْرَ بِالْقَتْلِ أَوْ بِالْأَسْرِ فِي دَارِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَرُدُّ إِلَى رَبِّهِ بَعْدَ الْمَوْتِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا تُكْرَأُ أَيْ مُنْكَرًا غَيْرَ مَعْهُودٍ أَيْ فِي النَّارِ وَ أَمَّا مَنْ آمَنَ وَ عَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءٌ الْحُسْنَى مِنْ مَعْنَاهُ. وَ سَيَقُولُ لَهُ مَنْ أَمَرْنَا بِسِرِّهِ أَيْ سَنَامِرُهُ بِمَا يَسْهَلُ عَلَيْهِ الْقِيَامُ بِهِ مِنَ التَّكَالِيفِ. ٨٩ وَ ٩٠- ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا: أَيْ أَخَذَ طَرِيقًا آخَرَ وَ سَلَكَهُ حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ أَيْ وَصَلَ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي تَطْلُعُ الشَّمْسُ عَلَيْهِ أَوَّلًا مِنَ الْمَعْمُورِ وَحَدَّهَا تَطْلُعُ تَشْرِقُ عَلَى قَوْمٍ جَمَاعَةً لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِرًّا أَيْ أَنَّهُمْ عَرَاهُ لَا يَتَّقُونَ أَشْعَثَهَا بِأَيِّ لِبَاسٍ، وَ لَيْسَ فِي أَرْضِهِمْ أَيْ جَبَلٌ أَوْ شَجَرٌ أَوْ بِنَاءٌ لِأَنَّهَا أَرْضٌ رَخْوَةٌ. ٩١- كَذَلِكَ وَ قَدْ أَحْطَيْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا: أَيْ عَلِمْنَا بِمَا كَانَ لَدَى ذِي الْقُرَيْنَيْنِ مِنْ جُنْدٍ كَثِيرٍ، وَ عِدَّةٍ عَدِيدَةٍ، وَ عِلْمٍ غَزِيرٍ وَ سِيَاسَةٍ وَ تَدْبِيرٍ. ٩٢ وَ ٩٣- ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا: ثَمَّ تَابَعَ سِيرَهُ حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ

السَّدَّيْنِ أَيْ وَصَلَ إِلَى مَا بَيْنَ جَبَلَيْنِ فَاجْتَازَهُمَا فَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا وَرَاءَهُمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا أَيْ اخْتَصَوْا بَلْغَةً لَا يَكَادُونَ يَعْرِفُونَ غَيْرَهَا. ٩٤- قَالُوا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ ... أَيْ أَنَّهُمْ كَلَّمُوهُ رَأْسًا. إِنَّ يَأْجُوجَ وَ مَأْجُوجَ وَ هُمَا قَبِيلَتَانِ مِنْ وَلَدِ يَافَثَ بْنِ نُوحٍ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ بِالْقَتْلِ وَ النَّهْبِ وَ الْإِتْلَافِ، فَقَدْ قِيلَ إِنَّهُمْ كَانُوا يَأْكُلُونَ كُلَّ مَا يَدْبُ عَلَى الْأَرْضِ حَتَّى النَّاسَ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا مَبْلَغًا مِنَ الْمَالِ. عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَ بَيْنَهُمْ سَدًّا أَيْ مِنْ أَجْلِ أَنْ تَجْعَلَ فَاصِلًا مَا بَيْنَنَا وَ بَيْنَهُمْ يَحْجِزُهُمْ عَنَّا كَالسُّورِ وَ غَيْرِهِ. ٩٥- قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ ... أَيْ أَنَّهُ أَجَابَهُمْ قَائِلًا: إِنْ مَا مَلَكْنِي إِيَّاهُ رَبِّي، وَ أَقْدَرَنِي عَلَيْهِ مِنَ الْمَالِ وَ السُّلْطَانِ خَيْرٌ مِمَّا تَبَدَّلُونَ لِي مِنَ مَالِكُمْ فَأَعِثُونِي بِقُوَّةٍ فَسَاعِدُونِي بِقُوَّةِ الرِّجَالِ أَوْ هُمْ مَعَ الْآلَاتِ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَهُمْ رَدْمًا أَيْ حَاجِزًا حَصِينًا مَتْرَاكِبَةً طَبَقَاتِهِ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ. ٩٦- وَ ٩٧- آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ ... أَعْطُونِي قِطْعَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ أَيْ سَوَّى بَيْنَ جَانِبِي الْجَبَلَيْنِ بِمَا جَعَلَ بَيْنَهُمَا مِنْ رَدَمِ الْحِجَارَةِ وَ الْأُتْرَبَةِ وَ قِطْعَ الْحَدِيدِ قَالَ ذُو الْقُرْنَيْنِ: انْفُخُوا بِالْمِنَافِخِ الَّتِي صَنَعَهَا لِهَذِهِ الْغَايَةِ مِنْ أَجْلِ إِشْعَالِ النَّارِ وَ إِضْرَامِهَا فِي مُخْتَلَفِ أَجْزَاءِ الرَّدَمِ، فَنفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا أَيْ صَيَّرَ الْحَدِيدَ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا أَعْطُونِي النِّحَاسَ الَّذِي أَعْدَدْتَهُ لِأَفْرَغَهُ عَلَى الْحَدِيدِ الْمَلْتَهَبِ فَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ أَيْ مَا قَدَرُوا عَلَى تَجَاوُزِهِ وَ الصُّعُودِ عَلَيْهِ وَ مَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا وَ لَا قَدَرُوا عَلَى ثَقْبِهِ وَ تَدْمِيرِهِ لَصَلَابَتِهِ وَ ثَخَنِهِ. إِرْشَادُ الْأَذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ٣٠٩-٩٨ قَالَ هَذَا رَحِمَةً مِنْ رَبِّي ... أَيْ قَالَ ذُو الْقُرْنَيْنِ: هَذَا السَّدُّ نِعْمَةٌ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ لِعِبَادِهِ أَنْعَمَ بِهَا عَلَيْهِمْ فِي دَفْعِ شَرِّ يَأْجُوجَ وَ مَأْجُوجَ عَنْهُمْ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ فَإِذَا اقْتَرَبَ مَجِيءُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ وَ هُوَ خُرُوجُ يَأْجُوجَ وَ مَأْجُوجَ قَبِيلِ ذَلِكَ، فَحِينَئِذٍ يَجْعَلُهُ رَبِّي مَدَكُوكَا حَتَّى يَسْوِيَهُ بِوَجْهِ الْأَرْضِ. وَ كَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا أَيْ أَنَّهُ كَانَتْ قِطْعًا. ٩٩- وَ تَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ... أَيْ خَلَيْنَا يَأْجُوجَ وَ مَأْجُوجَ يَوْمَ خُرُوجِهِمْ مِنَ السَّدِّ يَنْدَفِعُونَ بِكَثْرَةِ مُخْتَطِطِينَ حَالَهُمْ حَالِ الْمِيَاهِ الْكَثِيرَةِ الَّتِي تَضْطَرِبُ أُمُوجُهَا وَ تَتَلَاظِمُ فِي جَرِيَانِهَا وَ انْدِفَاعِهَا. وَ نَفَخَ فِي الصُّورِ وَ قَدْ اخْتَلَفَ فِي شَكْلِ ذَلِكَ الصُّورِ فَقِيلَ هُوَ قَرْنٌ يَنْفُخُ فِيهِ إِسْرَافِيلُ (ع) ثَلَاثَ نَفَخَاتٍ: الْأُولَى نَفَخَةُ الْفَزَعِ! وَ الثَّانِيَةُ النَّفَخَةُ الَّتِي يَصْعَقُ مِنْهَا مِنَ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ بِهَا يَمُوتُونَ، وَ الثَّالِثَةُ نَفَخَةُ الْقِيَامِ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ. فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا أَيْ حَشَرْنَاهُمْ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ لِلْحِسَابِ. ١٠٠ وَ ١٠١- وَ عَرَّضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا: أَيْ أَبْرَزْنَاهَا لَهُمْ حَتَّى شَاهَدُوهَا قَبْلَ دُخُولِهَا، فَهُمْ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي أَيْ الَّذِينَ غَفَلُوا عَنِ الْإِعْتِبَارِ وَ التَّفَكُّرِ بِقُدْرَتِي الْمَوْجِبِ لِلذِّكْرِ وَ اعْرَضُوا عَنِ الْإِعْتِبَارِ بِآيَاتِي فَصَارُوا بِمَنْزِلَةٍ مِنْ يَكُونُ عَلَى عَيْنِهِ غِطَاءٌ يَمْنَعُهُ عَنِ الْإِدْرَاكِ وَ كَانُوا مَعَ ذَلِكَ الْعَمَى لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا أَيْ يَعْرِضُونَ عَنِ اسْتِمَاعِ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى. ١٠٢- أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي ... أَيْ: هَلْ ظَنُّوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي الَّذِينَ خَلَقْتَهُمْ وَ دَانُوا بِرَبوبيَّتِي: مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ آلِهَةٍ وَ مَعْبُودَاتٍ لَهُمْ. وَ أَنْ ذَلِكَ يَنْجِيهِمْ مِنْ عَذَابِي؟ إِنَّا أَعْتَدْنَا هِيَئًا جَهَنَّمَ بِعَذَابِهَا الشَّدِيدِ لِلْكَافِرِينَ نُزْلًا أَيْ مَأْوَى وَ مَنَازِلًا. ١٠٣- قُلْ هَلْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا مَا يَأْمُرُكُمْ أَعْمَالًا: أَيْ قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِلنَّاسِ: أَمْ تَرِيدُونَ أَنْ نَخْبِرَكُمْ بِأَشَدِّ النَّاسِ خُسْرَانًا فِي الْعَمَلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ ١٠٤- الَّذِينَ ضَلَّ سَبِيلُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ... إِلَخْ أَيْ ضَاعَ عَمَلُهُمْ وَ كَذَّبَهُمْ لِكُفْرِهِمْ فَلَمْ يَأْجِرْهُمْ اللَّهُ عَلَيْهِ وَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُحْسِنُونَ وَ أَنْ أَعْمَالَهُمْ طَاعَةٌ وَ قَرَبَةٌ. ١٠٥- أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَ لِقَائِهِ ... أَيْ جَحَدُوا دَلَالَاتِ رَبِّهِمْ مِنَ الْقُرْآنِ وَ غَيْرِهِ، وَ أَنْكَرُوا الْبَعْثَ وَ الْقِيَامَةَ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ أَيْ بَطَلَتْ بِكُفْرِهِمْ لِأَنَّهُمْ أَوْقَعُوهَا عَلَى خِلَافِ مَا أَمَرَ اللَّهُ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًّا أَيْ لَا نَرْفَعُ لَهُمْ مِيزَانًا تَوَازَنُ بِهِ أَعْمَالُهُمْ إِذْ لَيْسَ لَهُمْ أَعْمَالٌ بَعْدَ الْحَبُوطِ، أَوْ أَنْ الْمَعْنَى: لَا نَجْعَلُ لَهُمْ مَقْدَارًا وَ لَا اعْتِبَارًا. ١٠٦- ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمَ ... هِيَ تَفْسِيرٌ لِسَابِقَتِهَا بِمَعْنَى أَنْ عَدَمَ اعْتِبَارِ عَمَلِهِمْ ذَا أَهْمِيَّةٍ جَعَلَ جَزَاءَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَ اتَّخَذُوا آيَاتِي وَ رُسُلِي هُزُوءًا بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ وَ اتَّخَذَهُمْ دَلَالِي عَلَى وَحْدَانِيَّتِي وَ رُسُلِي مَوْضِعَ هُزْءٍ وَ سَخَرِيَّةٍ. ١٠٧ وَ ١٠٨- إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ... أَيْ أَنْ الْمَصْدَقِينَ بِهِ وَ بَرْسَلَهُ وَ آيَاتِهِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزْلًا فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَهِيَ مِثْوَاهُ الَّذِي يَخْلُدُونَ فِيهِ وَ يَتَنَعَّمُونَ. وَ الْفِرْدَوْسُ أَعْلَى دَرَجَاتِ الْجَنَّةِ. خَالِدِينَ فِيهَا يَعِيشُونَ أَبَدًا. لَا يَتَفَوَّنَ عَنْهَا حَوْلًا لَا يَطْلُبُونَ تَحْوِيلًا عَنْهَا إِلَى غَيْرِهَا. ١٠٩- قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي ... قُلْ يَا مُحَمَّدُ، لَوْ كَانَ الْبَحْرُ حَبْرًا أَوْ مِدَادًا تَكْتَبُ بِهَا كَلِمَاتُ رَبِّي وَ يَسْجَلُ بِهِ عِلْمُهُ لَنَفِدَ الْبَحْرُ أَنْتَهَى قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَ تَنْتَهِيَ آيَاتُهُ وَ عِلْمُهُ وَ لَوْ جِئْنَا لِهَذَا الْبَحْرِ بِمِثْلِهِ مِدَادًا عَوْنَا يَرْفِدُهُ وَ لَوْ كَانَ مِثْلَهُ حِجْمًا. ١١٠- قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ ... أَيْ: قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِلنَّاسِ: أَنَا مَخْلُوقٌ لِلَّهِ تَعَالَى كَمَا أَنْتُمْ

مخلوقون له، لا- فضل لى عليكم إلا- بالوحى والنبوۀ أنما إلهكم إله واحد لا رب سواه ولا شريك له فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ أَى يطمع فى الحصول على جزاء ربه والوقوف بين يديه يوم القيامة لنيل ثوابه. فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا أَى خالصا لله ولا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أحدًا أَى لا يقصد بعمله الرياء الذى يسمّى بالشرك الخفى الذى يكون فى الأعمال. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٣١٠

سورة مريم مكية، و عدد آياتها ٩٨ آية

١- كهيعص: لقد مر معنا الكلام حول هذه الحروف المقطعة فى أوائل السور فلا نعيد. ٢- ذَكَرْ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا: أَى هذا خبر رحمة ربك لزكريا عبده ويعنى بالرحمة إجابته إياه حين دعاه وسأله الولد. و وصفه له بالعبودية كاشف عن سمو مقامه و علو رتبته، كما فعل من نبينا (ص) حيث وصفه بذلك الوصف الشريف فى سورة الإسراء. ٣- إِذْ نَادَى رَبُّهُ نِذَاءً خَفِيًّا: أَى حين دعا ربه دعاء ستره عن الآخرين. و يستشَم من هذه الآية الكريمة استحباب الدعاء إخفاتا و لعل وجهه أن ذلك يكون أبعد عن الرياء و أقرب إلى الاجابة، كما أن هناك فرقا بين موارد الدعاء ولا سيما فيما يدعوه لنفسه أو لغيره أو يدعى له به من قبل الغير. و يلاحظ أن دعاء زكريا (ع) كان دعاء شيخ طاعن فى السن و امرأته عاقر و قد يستهزئ به الناس إذا دعا ربه طالبا الذرية بشكل علنى مسموع و لذا أخفت فى دعائه ذاك. ٤- قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّى ... أَى ضعف العظم منى وَ اشْتَغَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا أَى عمه البياض و تالأ فى الشيب و لَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا أَى بدعائى إيتاك فيما مضى من أيام عمرى لم أكن مخيبا محروما. ٥ و ٦- وَإِنِّى خِفْتُ الْمَوَالِىَ مِنْ وَرَائِى ... أَى إنى خفت أن يرثنى بنو عمومى و هم من شرار الخلق بعد موتى إذا- وارث لى غيرهم. وَ كَانَتْ امْرَأَتِى عَاقِرًا أَى أنها لا تلد أبدا فَهَبْ لِى مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا أَى ارزقنى ولدا ذكرا يكون أولى بميراثى يرثنى وَ يَرِثْ مِنْ آلِ يَغُوبُ أَى يرث النبوۀ منى و منهم و ما هو دونها و أعم منها وَ اجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا مرضيا عندك و عند الناس جميعا. ٧- يَا زَكَرِيَّا ... ها هنا حذف تقديره: فاستجبنا دعاءه و أوحينا إليه: إِنَّا نُبَشِّرُكَ نخبرك بالخبر السار بْغلام ولد ذكر اسمُهُ يَحْيَى كما قَدَرْنَا و لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا أَى لم نخلق قبله أحدا سَمِى بهذا الاسم. و روى أن الحسين (ع) عند ما خرج إلى كربلاء كان لم يهبط واديا ولا نزل منزلا إلا ذكر يحيى بن زكريا قائلا من هوان الدنيا على الله أن رأس يحيى بن زكريا أهدى إلى بغي من بغايا بنى إسرائيل. ٨- قَالَ رَبِّ أَنِّى يَكُونُ لِى غُلَامٌ ... أَى قال زكريا (ع) ذلك فى مقام التعجب لا من حيث إنكار قدرة الله تعالى و المعنى كيف يكون لى ولد وَ كَانَتْ امْرَأَتِى زَوْجِى عَاقِرًا لا تلد أصلا، وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا أَى وصلت إلى سن العجز. و العتو كبر السن. ٩- قَالَ كَذَلِكَ ... أَى قال الله تعالى له، أو الملك: الأمر على ما أخبرت من هبة الولد على الكبر و من المرأة العاقر قال رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْئٍ سَهْلٍ يَسِيرٍ وَقَدْ خَلَقْتِكَ مِنْ قَبْلُ و لَمْ تَكُ شَيْئًا أَى أنشأتك من العدم و لم تكن موجودا قبل خلقك. فإزاله عقر زوجتك، و إرجاع قوتك أهون بنظر الاعتبار من بدو الإنشاء. ١٠- قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِى آيَةً ... أَى علامه أستدل بها أمام الناس على وقت كونه قال الله سبحانه آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا يعنى أنك تبقى ثلاث ليال غير قادر على مكالمه الناس و مخاطبتهم من غير علّة فى جسدك. ١١- فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ ... أَى أنه بعد سماع هذا القول ظهر على الناس و ترك مصلاه فأوحى إِلَيْهِمْ يعنى أومى إليهم و أشار. أَنْ سَبَّحُوا أَى نزهوا الله و اذكروه و صلّوا له بُكْرَةً صَبَاحًا وَ عَشِيًّا مساء. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ١٢٣١١- يا يحيى ... انتقل سبحانه إلى خطاب يحيى و طوى ذكر الفترة الطويلة التى مضت، فقال تعالى له: خُذِ الْكِتَابَ أَى التوراة بِقُوَّةٍ بعزيمة و قم بما فيها من أوامر و نواه وَ آتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا أَى أعطيناه الحكمة و العقل و الرشد و هو فى زمن طفولته. ١٣- وَ حَنَانًا مِنْ لَدُنَّا: أَى رحمة منا به و تعطفنا عليه آتيناه الحكم صبيّا وَ زَكَاةً أَى تزكية له من الخبائث و الأدناس وَ كَانَ تَقِيًّا متجنبًا للخطايا لم يهَمّ بسيئه. ١٤- وَ بَرًّا بِوَالِدَيْهِ : أَى أنه كان حافظا لحق أبويه تمام الحفظ و لم يكن جَبَّارًا متكبرا عَصِيًّا عاصيا لربه. ١٥- وَ سَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ ... إلخ أَى تحية مباركة له من ربه و أمان منذ ولادته إلى يوم القيامة. ١٦ و ١٧- وَ اذْكُرْ فِى الْكِتَابِ مَرْيَمَ ... بعد قصة زكريا و يحيى (عليهما السلام) المعجزة، شرع سبحانه فى بيان قصة عيسى و مريم (عليهما السلام) التى هى أكبر إعجازا فى عالم الخلق و القدرة. اذْكُرْ فِى الْكِتَابِ الْقُرْآنِ مَرْيَمَ أَى قصتها إذ انْتَبَذَتْ

حيث اعتزلت من أهلها فابتعدت عن ذويها و اتخذت مكاناً شرقياً إذ أقامت في مسجد القدس و لم تزل تشتغل بالتبتل و العبادة، و قيل شرقى منازل أهلها فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَاباً جعلت بينها و بينهم ستراً فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَبَعَثْنَا لَهَا جِبْرَائِيلَ (ع) فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا أى تصوّر بصورة آدمى تامّ الخلق. ١٨- قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ : فمریم (ع) لَمَّا رأت جبرائیل (ع) فى ذلك المكان قالت: اعتصمت بالله منك إن كُنْتُ تَقِيًّا مطيعاً لله متجنباً لما يغضبه ... ١٩- قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ ... أى أنا مرسل إليك من الله تعالى لِأَهْبَ لَكَ غُلَامًا زَكِيًّا لَأَمْنَحَكَ من الله ولدا ذكرا طاهرا من الأذناس. ٢٠ و ٢١- قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ ... كيف يكون لى ولد، و لَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ و الحال أننى لم يلمسنى إنسان على نحو الزوجية و لَمْ أَكُ بَغِيًّا أى و لم أن زانية قَالَ جِبْرَائِيلُ كَذَلِكَ أى الأمر كما تقولين و لكن قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّئْ أى خلق الولد بلا زوج هو عليه فى غاية السهولة و لِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ أى علامة لهم و برهانا على كمال قدرتنا وَ رَحْمَةً مِنَّا على العباد يهتدون به وَ كَانَ أى إحداث الولد منك، بلا أب كان أمراً مُقْضِيًّا مقدراً من عنده تعالى و محتوما و محكوما به. ٢٢- فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا: أى حملت بعيسى (ع) و اعتزلت به بعيدا عن الناس حياء من أهلها و غيرهم و كانت مدة حملته تسع ساعات. ٢٣ و ٢٤- فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ ... أى ألجأها وجع الولادة إلى جذع النخلة لتستتر به و تعتمد عليه عند الوضع. قَالَتْ: مَرِيَمُ (ع) عند المخاض: يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا الأمر الذى ابتليت به، وَ كُنْتُ نَسِيًّا مُنْسِيًّا أى شيئا حقيرا لا يذكر ولا يعاب به. و على كل حال، قال ابن عباس: فسمع جبرائيل (ع) كلامها فنأداها من تحتها قيل: المنادى كان جبرائيل و كان أسفل منها تحت أكمة أو أن المنادى كان عيسى (ع) أَلَّا تَخْزَنِي أى لا تغتمى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا أى جعل تحت قدميك جدول ماء عذب تشربين منه و تتطهرين. ٢٥- وَ هَزَى إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ ... أى حركيها و اجذبها إلى نفسك. تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رُطْبًا حَبِيًّا أى تنزل عليك رطب التمر اللينة السهلة الاجتناء. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٣١٢ ٢٦- فَكُلِي وَ اشْرَبِي وَ قَرِي عَيْنًا ... أى : كلى من الرطب، و اشربي من ماء السرى، و كونى مهتأة مرتاحة البال بهذا المولود المبارك، و لتكن دمعته السرور باردة فى عينيك فإِذَا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا أى: إذا ما رأيت آدميا- كائنا من كان- إن استنطقك و سألك عن ولدك هذا فقولى له: إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا أى صمتا و المعنى أوجبت على نفسى لله أن لا أتكلم مع أى إنسان. ٢٧ و ٢٨- فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ ... يعنى أنها بعد أن ولدته لفته فى خرقة و حملته و عادت إلى قومها قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا أتيت بمنكر عظيم لأنك جئت بولد من غير زوج يكون أباً له ... يَا أُخْتَ هَارُونَ أى يا من تنسب إلى هذا النسب الشريف، و قد نقل أن هارون كان أخاها من أبيها، و أنه كان قد اشتهر بالزهد و الصلاح و حسن السيرة و كثرة العبادة فى عصره. ما كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ أى ما كان يفعل السيئات و المنكرات و ما كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا زانية تبغى الرجال. ٢٩- فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ... فأومأت إلى عيسى (ع) بأن كلموه و اسألوه عن أمرى قَالُوا: كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا أى كيف نخاطب طفلا رضيعا فى الحجر. ٣٠- قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِي الْكِتَابَ وَ جَعَلَنِي نَبِيًّا: قَدْ إقْراره بالعبودية أولا ليطل قول من يدعى له الربوبية. و المعنى: إني عبد الله سيؤتىنى الكتاب و سيجعلنى نبيا. و قيل المراد بالكتاب الإنجيل. و قيل التوراة و أنه سبحانه علّمه إياها. ٣١- وَ جَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ ... أى خلقنى الله تعالى نفاعا للناس معلما للخير فى أى مكان أكون وَ أَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ أَمْرُنِي بِهَا وَ الزَّكَاةِ أَوْذِيهَا. ما دُمْتُ حَيًّا أى ما بقيت على وجه الأرض. ٣٢- وَ بَرًّا بِوَالِدَتِي، وَ لَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا: أى جعلنى باراً بها حسن المعاملة لها و لم يجعلنى متجبرا متكبرا و لا من الأشقياء. ٣٣- وَ السَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ ... إلخ و قد مرّ تفسيرها. فى الآية (١٥) من هذه السورة. ٣٤- ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ: أى ذاك الذى قال إني عبد الله هو عيسى (ع) نقول فيه قول الحق الذى يشكك فيه اليهود و النصارى و يتخاصمون. ٣٥ و ٣٦- ما كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ ... أى ما يصلح لله و لا يستقيم أن يتخذ ولدا فهو منزّه عن ذلك و هو رد على النصارى و اليهود معا. إذا قضى الله أمراً و إِنْ حَتَمَهُ فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ أى أنه حين يريد أمراً هو قادر على إحداثه و إيجاده على الوجه الذى أراده بمجرد الأمر بكونه. و إِنْ اللَّهُ رَبِّي وَ رَبُّكُمْ فَأَعِذُّوهُ هذا صراطٌ مُسْتَقِيمٌ هذا من قول عيسى (ع) و قد مرّ تفسير مثلها. ٣٧- فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ ... أى اختلف اليهود و النصارى فى عيسى فمنهم من قال هو الله و منهم من قال هو ابن الله و قال بعضهم هو ثالث ثلاثة و المؤمنون قالوا هو

عبد الله قَوْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هِيَ كَلِمَةٌ وَعِيدٌ مَعْنَاهَا شِدَّةُ الْعَذَابِ لِلَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ فِي قَوْلِهِمْ بِالْمَسِيحِ مِنْ مَّشْهَدٍ يَوْمٍ عَظِيمٍ أَى مِنْ حُضُورِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الِذِى يَكُونُ عَظِيمًا عَلَيْهِمْ بِأَهْوَالِهِ. ٣٨- أَشِيعُ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا ... هَاتَانِ الْكَلِمَتَانِ لِلتَّعَجُّبِ وَالْمَعْنَى: مَا أَسْمَعُهُمْ وَمَا أَبْصَرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَإِنْ كَانُوا فِي الدُّنْيَا صَمًا وَبُكْمًا عَنِ الْحَقِّ. إِرْشَادُ الْأَذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ٣١٣ ٣٩- وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَشِيرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ ... يَعْنَى: حَذَّرَهُمْ يَا مُحَمَّدٌ مِنْ يَوْمٍ يَتَحَسَّرُ فِيهِ الْمَسِيءُ عَلَى إِسَاءَتِهِ، وَالْمُحْسَنُ عَلَى قَلَّةٍ إِحْسَانُهُ إِذْ فَرَّغَ مِنَ الْأَمْرِ وَأَدْخَلَ قَوْمَ الْجَنَّةِ وَقَوْمَ النَّارِ وَوَجَدَ كُلَّ إِنْسَانٍ جَزَاءَ عَمَلِهِ. وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ أَى أَنَّهُمْ كَانُوا فِي دَارِ الدُّنْيَا غَافِلِينَ عَنْ هَذَا وَلَا يَصَدِّقُونَ بِهِ. ٤٠- إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا ... أَى نَفْنَى سَكَانَهَا فَنَرِثَهَا وَمَنْ عَلَيْهَا مِنَ الْعُقَلَاءِ إِذْ بَعْدَ افْتَانَتِهَا لَهُمْ لَا يَبْقَى فِيهَا مَالِكٌ غَيْرُنَا وَإِلَيْنَا إِلَى اللَّهِ يُزْجَعُونَ يَرُدُّونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ النَّفْخَةِ الثَّانِيَةِ فِي الصُّورِ. ٤١- وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا: أَى بَعْدَ ذِكْرِ زَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أَذْكُرُ يَا مُحَمَّدُ لَهُؤُلَاءِ الْقَوْمَ حَالِ إِبْرَاهِيمَ (ع) الِذِى كَانَ صَادِقًا مُبَالِغًا فِي الصَّدَقِ فِيمَا يَخْبِرُ عَنِ اللَّهِ وَكَانَ عَلِيًّا رَفِيعَ الشَّأْنِ بِرِسَالَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ. ٤٢- إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ ... أَى أَذْكُرُ حِينَ قَالَ لِأَبِيهِ: كَيْفَ تَعْبُدُ شَيْئًا لَا يَسْمَعُكَ إِذَا دَعَاكَ، وَلَا يَرَاكَ إِذَا وَقَفْتَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا أَى لَا يَكْفِيكَ لَا فِي دَفْعِ ضَرٍّ وَلَا فِي جَلْبِ نَفْعٍ. ٤٣- يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ ... أَى قَدْ آتَانِي اللَّهُ مِنَ الْمَعْرِفَةِ بِهِ مَا لَمْ يَجُتِكَ فَاتَّبِعْنِي كُنْ عَلَى طَرِيقَتِي أَهْدِيكَ صِرَاطًا سَوِيًّا أَرْشِدُكَ إِلَى طَرِيقِ قَوِيمٍ لَا- عُوجَ فِيهِ. ٤٤- يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ ... كَرَّرَ مُخَاطَبَتَهُ بِلُطْفٍ عَجِيبٍ أَى أَنَّهُ عَنْ عِبَادَةِ الشَّيْطَانِ بِإِطَاعَتِهِ فِي وَسْوَستِهِ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا كَثِيرَ الْعَصِيَانِ. ٤٥- يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ ... أَى إِنِّي أَخْشَى عَلَيْكَ مِنْ أَنْ يَصِيبَكَ عَذَابٌ مُؤَلِّمٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّبِّ الرُّؤُوفِ بِالنَّاسِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا مُوَالِيًا لِلشَّيْطَانِ مُوَكَّولًا إِلَيْهِ وَلَنْ يَغْنَى عَنْكَ مِنَ الْعَذَابِ مِنْ شَيْءٍ. ٤٦- قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ ... أَى قَالَ آزَرَ لِإِبْرَاهِيمَ بَعْدَ دَعْوَتِهِ لَهُ إِلَى الْإِيمَانِ، أَمْ مَعْرُضٌ أَنْتَ عَنْ عِبَادَةِ آلِهَتِي وَهِيَ الْأَصْنَامُ. لَكِنَّ لَمْ تَنْتَهُ لَمْ تَدَعْ هَذَا الْأَمْرَ لَأَرْجُمَنَّكَ لِأَقْتُلَنَّكَ رَجْمًا بِالْحِجَارَةِ حَتَّى تَمُوتَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا أَى فَارَقْنِي زَمَانًا طَوِيلًا. ٤٧- قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي ... أَى لَنْ يَصِيبَكَ مِنْهُ مَكْرُوهٌ ثُمَّ اسْتَغْفَرَهُ وَوَعَدَهُ بِالْإِعْدَاءِ لَهُ بِالمَغْفَرَةِ، لَعَلَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يُوَفِّقُهُ لِلْإِيمَانِ وَالتَّوْبَةِ وَالرَّجُوعِ عَنِ الْكُفْرِ وَقَالَ لَهُ إِنَّهُ أَى اللَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا أَى مُبَالِغًا فِي الْبِرِّ بِي وَالْعُطْفِ وَالرَّحْمَةِ. ٤٨- وَاعْتَرَلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ... وَإِنِّي مُنْصَرِفٌ وَمُتَبَعِدٌ عَنْكُمْ وَعَمَّا أَنْتُمْ فِيهِ مِنْ عِبَادَةِ غَيْرِ اللَّهِ مِنَ الْأَصْنَامِ، وَأَدْعُوا رَبِّي فَأَعْبُدْهُ وَأَطْلُبْ مِنْهُ وَحْدَهُ حَاجَاتِي عَسَى أَى آمَلُ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا سَوْفَ لَا أَكُونَ خَائِبًا بِدُعَائِهِ كَمَا خَبْتُمْ بِدُعَائِكُمُ الْأَصْنَامَ. ٤٩- فَلَمَّا اعْتَرَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ... أَى حِينَ تَنْحَى عَنْهُمْ وَعَنْ أَصْنَامِهِمْ، وَفَارَقَهُمْ مِنْ أَرْضِ بَابِلَ إِلَى بِلَادِ الشَّامِ وَتَزَوَّجَ فِيهَا بِسَارَةَ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ رِزْقًا هَازِلًا وَلَدَيْنِ هَازِلًا وَكُلًّا مِنْهُمَا جَعَلْنَا نَبِيًّا رَسُولًا مِنَ اللَّهِ لِقَوْمِهِ فِي زَمَانِهِ. ٥٠- وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا ... أَى أَعْطَيْنَاهُمْ ثَلَاثَتَهُمْ سِوَى الْأَوْلَادِ الْبَرَّةِ، نَعَمَ الدِّينَ وَالدُّنْيَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا أَى جَعَلْنَا لَهُمْ ثَنَاءً جَمِيلًا حَسَنًا، وَرَوَى أَنْ الْمَقْصُودُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: مِنْ رَحْمَتِنَا هُوَ مُحَمَّدٌ (ص) الِذِى هُوَ مِنْ نَسْلِ إِسْمَاعِيلَ. وَالْمَقْصُودُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: عَلِيًّا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ (ع). ٥١- وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا ... بَعْدَ الْكَلَامِ عَنْ عَطَايَاهُ الْجَلِيلَةِ لِإِبْرَاهِيمَ وَبَنِيهِ (عليهم السَّلَام) شَرَعَ بِقِصَّةِ مُوسَى بِإِيجَازٍ أَى: يَا مُحَمَّدُ بَيْنَ لِقَوْمِكَ خَيْرٌ مُوسَى (ع) الِذِى أَخْلَصَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مِنْ كُلِّ سُوءٍ وَاخْتَصَّ جَمِيعَ أَحْوَالِهِ بِنَفْسِهِ تَعَالَى. وَقِيلَ: مُخْلَصًا: مُوَحَّدًا أَخْلَصَ عِبَادَتَهُ مِنَ الشَّرْكِ. وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا أَرْسَلَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ وَكَانَ رَفِيعَ الشَّأْنِ. إِرْشَادُ الْأَذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ٣١٤ ٥٢- وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ ... أَى مِنْ نَاحِيَةِ جَبَلِ هِنَاكَ مَعْرُوفٍ بِالطُّورِ وَكَانَ حِينَ مَنَادَاهُ اللَّهُ لَهُ عَلَى يَمِينِهِ. وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا أَى جَعَلْنَاهُ قَرِيبًا مِنَّا تَقْرِيبَ كَرَامَةٍ وَتَشْرِيفٍ وَمُنَاجِيَا كَلِيمًا. ٥٣- وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا: أَى مَنَحْنَاهُ بِأَنْ رَحِمْنَاهُ وَجَعَلْنَاهُ أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا يُؤَاوِرُهُ وَيَشُدُّ عِصْدَهُ إِجَابَةً لِدَعْوَتِهِ. ٥٤- وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ ... أَى أَذْكُرُ يَا مُحَمَّدُ لِقَوْمِكَ خَيْرٌ إِسْمَاعِيلُ فِي الْقُرْآنِ. إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ بَحِيثَ إِذَا وَعَدَ بِشَيْءٍ وَفِي بِهِ وَلَمْ يَخْلَفْ أَبَدًا حَتَّى صَارَ مَشْهُورًا بِذَلِكَ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا مَر تَفْسِيرِهِ. ٥٥- وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ ... إِنْ كَانَ الْمُرَادُ بِالصَّلَاةِ وَ

الزكاة المفروضتين، فالمراد بالأهل هنا هو الأُمّة والقوم، وإن حمل على الصلاة والزكاة المندوبتين، فالمراد هم أهله خاصّة. وكان عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا فِي جميع أقواله وأفعاله لأنها كانت كلها طاعات ليس فيها قبائح. ٥٦ و ٥٧ و ٥٨- وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ... مر تفسير مثله. وإدريس هو جد أبي نوح (ع) ودعى بإدريس لكثرة دراسته. وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا أَيْ مَكَانًا عَالِيًا وَقِيلَ إِنَّهُ رَفَعَ إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةَ أَوِ السَّادِسَةَ. أُولَئِكَ مِنْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُمُ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ إِنْخِ بِالنَّبُوَّةِ وَ الثَّوَابِ الْعَظِيمِ وَ بِسَائِرِ النِّعَمِ الدِّينِيَّةِ وَ الدُّنْيَوِيَّةِ. وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَ اجْتَبَيْنَا أَيْ اخْتَرْنَا. إِذَا تُتْلَى إِنْ تَقَرَأَ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ أَيْ آيَاتِهِ الْمُنَزَّلَةُ الَّتِي تَتَضَمَّنُ الْوَعْدَ وَ الْوَعْدَ خَرُّوا سُجَّدًا انكَبُوا عَلَى الْأَرْضِ سَاجِدِينَ خُضُوعًا وَ خَشْيَةً وَ بُكْيًا جَمَعَ بَاكٍ، أَيْ حَالِ كَوْنِهِمَا بَاكِينَ. ٥٩ و ٦٠- فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ ... أَيْ فَعَقِبَهُمْ مِنْ بَعدِهِمْ عَقِبٌ سَوْءٌ. أَضَاعُوا الصَّلَاةَ بِتَرْكِهَا أَوْ تَأخِيرِهَا عَنْ وَقْتِهَا وَ اتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَعَلُوا مَا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ مِمَّا تَشْتَهِيهِ أَنْفُسُهُمُ الْأَمَارَةَ بِالسُّوءِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا سَيَنَالُونَ الشَّرَّ وَ جَزَاءَ الضَّلَالِ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِلَّا مَنْ تَابَ نَدِمَ عَلَى مَا سَلَفَ وَ آمَنَ فِي مُسْتَقْبَلِ عَمْرِهِ وَ عَمِلَ صَالِحًا فَقَامَ بِالْوِاجِبَاتِ وَ الْمُنْدُوبَاتِ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بَعْدَ التَّوْبَةِ وَ الْإِيمَانِ وَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ وَ لَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا لَا يَنْقُصُونَ مِنْ حَقِّهِمْ شَيْئًا. ٦١ و ٦٢- جَنَّاتٍ عِدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ ... فَالْمُتَابِعُونَ يَدْخُلُونَ جَنَّاتٍ عِدْنٍ الَّتِي وَعَدَ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِالْغَيْبِ أَيْ بِوَعْدِهِ وَ أَمْرُهُ غَائِبٌ عَنْهُمْ غَيْرَ مُشَاهَدٍ مِنْ قَبْلِهِمْ، إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مِائِيًّا أَيْ أَمْرًا وَقَعَ آتِيًا لَا مُحَالَةً. لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا مِنَ الْجِنَّاتِ لَغَوًّا فَضُولًا كَلَامًا. إِلَّا سَلَامًا تَسْلِيمًا وَ تَحِيَّاتٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ عَلَيْهِمْ، وَ مِنْ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ، وَ لَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا يَكُونُ مَوْفُورًا حَاضِرًا بِلَا تَعَبٍ وَ لَا جَهْدٍ بُكْرَةً وَ عَشِيًّا أَيْ فِي أَوْقَاتِ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ وَ الْمَوَاعِيدِ الْمَرْغُوبِ فِيهَا. ٦٣- تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا: أَيْ هَذِهِ الْجَنَّةُ الَّتِي وَعَدْنَا بِهَا الْمُؤْمِنِينَ وَ الْعَامِلِينَ الْمُنِيِّينَ إِلَيْنَا، هِيَ الَّتِي نُورِثُهَا لِلْأَتَقِيَاءِ مِنْ عِبَادِنَا، أَيْ لِلَّذِينَ تَجَنَّبُوا غَضَبَنَا وَ عَمِلُوا بِأَمْرِنَا. ٦٤- وَ مَا نَنْتَزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ... هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ حِكَايَةُ قَوْلِ جِبْرَائِيلَ (ع) فِي جَوَابِ النَّبِيِّ (ص) عِنْدَ مَا أَبْطَأَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ مَرَّةً فَسَأَلَهُ: مَا مَنَعَكَ أَنْ تَرُورِنَا؟ فَأُجَابَ: وَ مَا نَنْتَزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا يَبَيِّنُ أَيْدِيَنَا وَ مَا خَلَفْنَا وَ مَا يَبَيِّنُ ذَلِكَ أَيْ أَنْ لَهُ مُسْتَقْبَلٌ أَمْرِنَا، وَ مَا مَضَى مِنْهُ، وَ حَاضِرُهُ، وَ جَمِيعُ ذَلِكَ بِيَدِهِ تَعَالَى، وَ مَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا أَيْ أَنْ عَدِمَ أَمْرُ رَبِّكَ لِي بِالْأَنْزُولِ مَا كَانَ نَاشِئًا عَنْ نَسْيَانِهِ لَكَ إِذْ هُوَ مُمْتَنِعٌ فِي حَقِّهِ تَعَالَى. إِرْشَادُ الْأَذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ٣١٥ ٦٥- رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مَا بَيْنَهُمَا ... أَيْ فَالَّذِي نَعْتَنَاهُ لَكَ بِأَنَّهُ لَا- يَنْسَى هُوَ رَبُّ هَذِهِ الْكَائِنَاتِ كُلِّهَا بِمَا فِيهَا وَ مَا بَيْنَهَا. فَأَعْيِدْهُ وَ اصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ فَقَمِ بِمَا أَوْجِبَ عَلَيْكَ مِنَ الْعِبَادِيَّةِ لَهُ بِصَبْرٍ وَ رِضَى، هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَجِيًّا أَيْ مِثْلًا وَ شَبِيهًا. وَقِيلَ: هَلْ تَعْلَمُ أَحَدًا يَسْتَحِقُّ أَنْ يَسْمَى إِلَهِيًا غَيْرَهُ. ٦٦ و ٦٧- وَ يَقُولُ الْإِنْسَانُ إِذَا مَا مِثُّ لَسَوْفَ أُخْرَجَ حَيًّا ... نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ عِنْدَ مَا قَالَ أَبِي بَنْ خَلْفٍ أَوْ غَيْرُهُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ بَعْدَ أَنْ أَخَذَ عِظَامًا بِأَلِيهِ فَفَتَّهَا بِيَدِهِ: أَيْ زَعَمَ مُحَمَّدٌ أَنَّنَا نَبْعَثُ بَعْدَ مَا نَمُوتُ؟ أَوْ لَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا؟ أَفَلَا يَتَفَكَّرُ بِأَنَّنَا أَوْجَدْنَاهُ أَوَّلًا مِنْ الْعَدَمِ الْمُحْضَرِّ؟ أَوَّلًا- يَقْدِرُ الْخَالِقُ مِنَ الْعَدَمِ، أَنْ يَعِيدَ مَا كَانَ أَوْجَدَهُ وَ أَحْيَاهُ، ثُمَّ أَمَاتَهُ وَ أَفْنَاهُ؟ ٦٨ و ٦٩- فَوَ رَبِّكَ لَنَنْخُسِرَنَّهُمْ وَ الشَّيَاطِينَ ... وَ حَقَّ إِلَهُكَ يَا مُحَمَّدُ، لَنَجْمَعَنَّهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ قَرَنَائِهِمْ مِنَ الشَّيَاطِينِ ثُمَّ لَنَخْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا أَيْ لَنَأْتِيَنَّهُمْ بِهَمٍّ وَ لَنَجْعَلَنَّهُمْ جَائِينَ عَلَى رُكْبِهِمْ حَوْلَ نَارِ جَهَنَّمَ، ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شَيْعَةٍ لِنَأْخُذَ عَنْوَةً مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِمَّنْ اتَّبَعُوا مَبْدَأَ مَا، الضَّالِّينَ الْمُضِلِّينَ فَنَجْعَلُهُمْ فِي جَهَنَّمَ وَ نَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِيتًا نَعْرِفُ مِنْ كَانَ مِنْهُمْ عَصِيًّا مُعَانِدًا لِلرَّحْمَنِ. ٧٠- ثُمَّ لَنَحْنُ أَغْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أُولَى بِهَا صِدِّيقًا: وَ نَحْنُ أَيْضًا أَعْرَفُ بِالْمُسْتَحْقِّينَ مِنْهُمْ لِلْإِحْرَاقِ بِالنَّارِ. ٧١- وَ إِنِّ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ... أَيْ وَ مَا مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا وَارِدُ جَهَنَّمَ وَ الْوُرُودُ عَلَى الشَّيْءِ هُوَ الْوُصُولُ إِلَيْهِ وَ الْإِشْرَافُ عَلَيْهِ لَا الدُّخُولُ فِيهِ. كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا أَيْ أَوْجَبَهُ اللَّهُ عَلَى نَفْسِهِ وَ صَارَ أَمْرًا مُحْتُومًا. ٧٢- ثُمَّ تُنْجَى الَّذِينَ اتَّقَوْا ... فَسَنَخْلُصُ الْمُتَّقِينَ لِلشَّرِكِ وَ الَّذِينَ صَدَّقُوا مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ وَ نَذَرُ الظَّالِمِينَ وَ نَدَعُ الْكَافِرَ وَ الْمُشْرِكِينَ فِيهَا جِثِيًّا أَيْ فِي جَهَنَّمَ مَكْبُكِينَ جَمَاعَاتٍ بَارِكِينَ عَلَى رُكْبِهِمْ. ٧٣- وَ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ ... أَيْ إِذَا تَقَرَأَ عَلَى الْكَافِرِينَ آيَاتُنَا الْمُنَزَّلَةُ فِي الْقُرْآنِ ظَاهِرَاتُ الْإِعْجَازِ وَ الدَّلَالَةِ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا خَاطِبُوهُمْ مَسْتَهْزِئِينَ قَائِلِينَ: أَيْ الْفَرِيقَيْنِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِهَا وَ الْجَاهِلِينَ بِهَا لَهَا خَيْرٌ مَقَامًا خَيْرَ مَنْزِلًا وَ مَكَانًا وَ أَحْسَنَ نَدِيًّا أَعْلَى وَ أَجْمَلَ مَجْلَسًا. ٧٤- وَ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ ... أَيْ كَثِيرًا مَا أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرُونٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَانًا جِيلٍ وَ أَمِيَّةٌ أَحْسَنُ مِنْهُمْ مَتَاعًا وَ فَرشًا وَ رَعِيًّا مَنْظَرًا. ٧٥ و ٧٦- قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرُونٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَانًا جِيلٍ وَ أَمِيَّةٌ أَحْسَنُ مِنْهُمْ مَتَاعًا وَ فَرشًا وَ رَعِيًّا مَنْظَرًا. ٧٥ و ٧٦- قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ

الرَّحْمَنُ مَدًّا ... أى قل يا محمد: من رضى بأن يكون ضالًّا كافرا بالإسلام فليمدد له الله بطول العمر و التمتع بالعيش استدراجا له إلى أن يجيء أجله، حتّى إذا رَأَوْا ما يُوعَدُونَ من غلبة المسلمين إمّا الْعَذَابَ بِقتلهم أو أسرهم بأيدي المسلمين فى دار الدّنيا و إمّا السَّاعَةَ التى تأتِيهم بيوم القيامة فَسَيَعْلَمُونَ يعرفون عند كلا الحالين مَنْ هُوَ شَرُّ مَكَانًا فى الحياة أو بعد الممات و أَضْعَفُ جُنْدًا و أَقْلُ ناصرا و معينا. و يَزِيدُ الله الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى على يديه (ص) و الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ أى الأعمال الحسنه التى تبقى عائدتها إلى القيامة خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا أَجْرًا وَ خَيْرٌ مَرَدًّا أى مرجعا و نفعا عائدا منها و هى خير لأن ما عداها من النعم يفنى و يزول. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٣١٦ ٧٧- أفرأيت الذى كَفَرَ بِآيَاتِنَا ... هذا إخبار بقصه الكافر العاص بن وائل حين طالبه الخباب بن الارت بدين كان له عليه و قال أى العاص. أستم تزعمون البعث بعد الموت؟ قال: نعم. فقال مستهزئا: أحلف بالله أننى يوم القيامة لأعطين مالا و ولداً فأعطيك هناك بأزيد ممّا تطلبنى هنا إذا بعثنا. ٧٨ و ٧٩- أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا: و معناه: أعلم الغيب حتى يعرف أنه لو بعث رزق مالا و ولدا، أم هل بيده عهدا من الله تعالى بذلك؟ كَلَّا هذه كلمه ردع و تنبيه إلى أنه مخطئ فيما تصوّره لنفسه، سَيَكْتُبُ نَسْجَلٍ عَلَيْهِ ما يَقُولُ من الخطل و نَعْتِدُ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا و نطيل زمن عذابه فنخلده فيه تخليدا. ٨٠- وَ نَرِثُهُ ما يَقُولُ: أى أننا نرث قوله من بعد أن نهلكه، و يَأْتِينَا يجيء إلينا يوم القيامة فزدا وحده لا يصحبه مال و لا ولد و لا ناصر. ٨١- وَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا: أى جعل هؤلاء الكافرون لأنفسهم أربابا من دون الله تعالى و ادعوا أن هذه الأرباب تقرّبهم من الله زلفى، و هى تعزّمهم و تكرّمهم بين يديه سبحانه. ٨٢- كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا: لا، فإنهم يوم القيامة سينكرون أنهم كانوا يعبدون تلك الأصنام و تكون هى ضدهم لأنها تتبرأ من شركهم بالله. ٨٣- أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ ... أى: ألا ترى يا محمد كيف بعثنا الشياطين و خلينا بينها و بين الكافرين فوسوست إليهم و دعتهم إلى الضلال و هى تَوَزُّهُمْ أَرَا تَحْتَهُم على المعاصى بالتسويلات و الإغراءات؟ ٨٤- فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَذَابًا: لا تستعجل يا محمد بهلاكهم لتستريح من شرورهم، فإنهم لم يبق لهم إلّا أنفاس معدوده و نحن نحصيها عليهم إحصاء و نأخذهم بأعمالهم الشريره المعدوده عليهم أيضا. ٨٥ و ٨٦- يَوْمَ نَخْشِرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ ... يعنى يوم القيامة حين يجمع الله المؤمنين به فى دار كرامته و محلّ قدسه. و فدا أى جماعة و افدين واردين. وَ نَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ نَحْنُهُمْ على السير إليها كما تساق البهائم و ندفعهم إلى النار دفعا و يأتونها ورّداً واردين إليها عطاشا كالإبل التى ترد الماء. ٨٧- لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا: أى: يومئذ لا تكون الشفاعة ملك أحد إلّا من وعده الرحمن بذلك و عهد إليه أن يأذن بشفاعته، كالأنبياء و الأوصياء. ٨٨- وَ قَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا: هذه حكاية قول اليهود و النصرارى و مشركى العرب أيضا. ٨٩ و ٩٠ و ٩١ و ٩٢- لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ... أى أنكم أيها المدعون لله ولدا قد أتيتم بشىء منكر شنيع، تكادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ أى لو تشققت السماوات لشىء عظيم لكانت تشققت لهذه الفريه و تَشَقَّقُ تَتَفَطَّرُ أيضا الأرض منها و تَحْزِرُ الْجِبَالُ هَذَا تنهدم و تتساقط فى السفوح و ينقلب أعلاها على أسفلها. أن دَعَا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا حيث جعلوه كائنا ذا أولاد. و ما يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا و لا يليق بحضرته و قدسه و تعاليه عن الشبيه و المثل، أن يكون له ولد لا بكيفية التجانس، و لا بالتبني، لأنه إمّا أنه مستلزم للمحال أو للتجسيم الذى هو محال أيضا. ٩٣ و ٩٤ و ٩٥- إِنْ كُلُّ مَنْ فى السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ... فَإِنْ كُلُّ كَائِنٍ عَاقِلٍ فى السَّمَاوَاتِ أو فى الأرض هو عبد داخر لله عزّ و جلّ، و يأتى يوم القيامة خاضعا لربوبيته مدعنا لحكمه لقد أحصاهم و عَدَّهُمْ عَدًّا حسبهم و عرف عددهم بأشخاصهم و أفعالهم و أقوالهم بل و أنفاسهم و أعيانهم واحدا واحدا. و كُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا أى كل واحد منهم يجيئه يوم القيامة بمفرده لا مال له و لا ولد و لا عشيره و لا ينفعه إلا عمله. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٣١٧ ٩٦- إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ... مر معناه سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ يَحْدِثُ لَهُمْ رَبِّهِمْ وُدًّا محبة فى القلوب، قلوب بعضهم البعض مضافا إلى مودّته لهم المترجمة بالرحمة. ٩٧- فَإِنَّمَا يَسْرُنَا بِلِسَانِكَ لِنُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ ... أى: إنّما سهّلنا عليك هذا القرآن بأن جعلناه بلغتك و لغة قومك لتسهل عليهم معرفه ما فيه فتتم الحجة عليهم، فتفرح المؤمنون بتبشيرهم بما وعدهم الله تعالى من الأجر و الثواب وَ تُنذِرُ بِهِ قَوْمًا لُدًّا و لتحذر الأعداء الشديدي العداء لك و لدعوتك. ٩٨- وَ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ ... مرّ تفسير

مثلاً. هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ هَلْ تَشْعُرُ بِوُجُودِ أَحَدٍ مِنْهُمْ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْرَأً أَيَّ صَوْتًا خَفِيفًا وَ نَأْمَةً؟

سورة طه مكية، عدد آياتها ١٣٥ آية

١- طه: قد سبق تأويل الحروف المقطعة في أوائل السور. ٢- ما أُنزِلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى أَيَّ لَمْ نُوحِ بِهِ إِلَيْكَ لِأَجْلِ أَنْ تَتَعَبَ نَفْسَكَ وَ تَجْعَلَهَا فِي الْعُسْرِ. ٣- إِلَّا تَذَكَّرَ لِمَنْ يَخْشَى أَيَّ لَكُنَّا أُنزَلْنَا الْقُرْآنَ عَلَيْكَ لِلْوَعظِ لِمَنْ يَتَّعِظُ، وَ يَخْشَى اللَّهَ. ٤- تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَ السَّمَاوَاتِ الْعُلَى أَيَّ: أُنزَلْنَا عَلَيْكَ لِهَذِهِ الْغَايَةِ تَنْزِيلًا مِنْ خَالِقِ السَّمَاوَاتِ الرَّفِيعَةِ وَ خَالِقِ الْأَرْضِ وَ مَنْشِئِ الْكَائِنَاتِ. ٥- الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى أَيَّ: هُوَ الرَّحْمَنُ، خَالِقُ ذَلِكَ، وَ هُوَ الَّذِي اسْتَوْلَى عَلَى الْعَرْشِ وَ عَلَى جَمِيعِ الْمُمْكِنَاتِ مِنَ الذَّرَّةِ وَ مَا دُونَهَا، وَ الذَّرَّةُ وَ مَا فَوْقَهَا. ٦- لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ وَ مَا بَيْنَهُمَا ... لَهُ كُلُّ ذَلِكَ وَ مَا تَحْتَ الثَّرَى الثَّرَى: هُوَ التُّرَابُ النَّدَى، فَلِلَّهِ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِينَ، وَ مَا فِيهِنَّ وَ مَا بَيْنَهُنَّ وَ مَا وَارَى الثَّرَى مِنْ مَعَادِنٍ وَ كُنُوزٍ وَ مَا أَشْبَهَ ذَلِكَ. ٧- وَ إِنْ تَجَهَّزْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَغْلُمُ السَّرَّ وَ أَخْفَى وَ الْمَعْنَى أَنَّكَ إِنْ رَفَعْتَ صَوْتَكَ بِذِكْرِ اللَّهِ، أَوْ إِذَا أَخَفَّتْهُ وَ ذَكَرْتَ بِمَا دُونَ الْجَهْرِ فَإِنَّهُ تَعَالَى يَعْلَمُ وَ يَسْمَعُ السَّرَّ وَ يَعْلَمُ مَا هُوَ أَخْفَى مِنَ السَّرِّ كَالَّذِي تَوَسَّسَ بِهِ النَّفْسُ مِنْ حَدِيثِهَا الْخَفِيِّ. ٨- اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ذَاكَ هُوَ اللَّهُ لَا مَعْبُودَ يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ غَيْرَهُ وَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الدَّالَّةُ عَلَى تَوْحِيدِهِ وَ أَنْعَامِهِ وَ عَلَى الْمَعَانِي الْحُسْنَى بِأَيَّهَا دَعَوْتُهُ جَازٍ. ٩ وَ ١٠- وَ هِيلَ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى إِذْ رَأَى نَارًا ... أَيَّ هَلْ بَلَغَكَ يَا مُحَمَّدُ قِصَّةَ رَسُولِنَا مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ حِينَمَا خَرَجَ مِنْ مَدِينٍ مُتَجَهًّا إِلَى مِصْرَ وَ ضَلَّ الطَّرِيقَ فَرَأَى نَارًا مُضِيئَةً مِنْ بَعِيدٍ فَقَالَ لِأَهْلِهِ أَيَّ لَزُوجَتِهِ وَ مِنْ عِمْرَانَ حِينَمَا خَرَجَ مِنْ مَدِينٍ مُتَجَهًّا إِلَى مِصْرَ وَ ضَلَّ الطَّرِيقَ فَرَأَى نَارًا مُضِيئَةً مِنْ بَعِيدٍ فَقَالَ لِأَهْلِهِ أَيَّ لَزُوجَتِهِ وَ مِنْ مَعَهَا امْكُثُوا أَقِيمُوا مَكَانَكُمْ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا أَيَّ أَبْصَرْتُ نَارًا لَعَلِّي مَتَمْنِيَا أَنْ آتِيَكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَيَّ بِشَعْلَةٍ مِنَ النَّارِ تَتَدَفَّقُونَ بِهَا أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى أَوْ لَعَلِّي أَصَادِفُ هُنَاكَ هَادِيَا يَدُلُّنِي عَلَى الطَّرِيقِ. ١١ وَ ١٢- فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا رَبُّكَ ... فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي ظَنَّ فِيهِ نَارًا دَعَى بِاسْمِهِ: يَا مُوسَى، إِنِّي أَنَا رَبُّكَ وَ خَالِقُكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ أَيَّ انْزِعْ نَعْلَيْكَ، وَ امْشِ حَافِيًا، إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى أَيَّ فِي الْوَادِي الْمَطْهَرِ الْمُبَارَكِ الْمُسَمَّى بِطُوًى، وَ قِيلَ طُوًى: أَيَّ الْمُبَارَكِ مَرَّتَيْنِ. إِرْشَادُ الْأَذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ٣١٨ ١٣- وَ أَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى أَيَّ قَدْ انْتَجَبْتَكَ لِلنَّبُوَّةِ وَ الرِّسَالَةِ، فَاصْبِرْ بِكُلِّ وَعِيكَ لِمَا يَنْزِلُ عَلَيْكَ مِنْ كَلَامِي. ١٤- إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا ... إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ، وَ هَذَا فَيْضٌ مِنْ نُورِي، لَا إِلَهَ غَيْرِي وَ لَا مَعْبُودَ سِوَايَ فَاعْبُدْنِي وَ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي فَاجْعَلْ عِبَادَتَكَ خَالِصَةً لِي، وَ صَلِّ وَ اذْكُرْنِي فِي صَلَاتِكَ وَ عِبَادَتِكَ وَ حُدًى. ١٥- إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا ... أَيَّ إِنْ الْقِيَامَةُ مُتَيَقَّنَةُ الْوُقُوعِ لَا مُحَالَةَ، وَ أَنَا أُرِيدُ إِخْفَاءَهَا عَنْ عِبَادِي لِئَلَّا تَأْتِيَهُمْ إِلَّا بَغْتَةً وَ ذَلِكَ رَحْمَةً بِهِمْ وَ لَتُخَوِّفُهُمْ فَيَحْذَرُوا مِنْهَا وَ يَهَيِّئُوا أَنْفُسَهُمْ لَهَا. لَتُخْزِي كُلَّ نَفْسٍ بِمَا تَشْتَعِي أَيَّ لَتُثَابُ أَوْ تَعَاقِبُ بِحَسَبِ عَمَلِهَا. ١٦- فَلَا يَصِيدَنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا ... أَيَّ لَا يَمْنَعُكَ عَنِ الْإِيمَانِ بِمَا ذَكَرْنَا لَكَ مِنَ التَّوْحِيدِ، وَ الْعِبَادِيَّةِ، وَ إِقَامَةِ الصَّلَاةِ، وَ التَّصَدِيقِ بِالسَّاعَةِ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا الَّذِي يَكْفُرُ بِهَا وَ اتَّبَعَ هَوَاهُ سَارَ مَعَ هَوَى نَفْسِهِ فِي طَرِيقِ الضَّلَالِ فَتَرَدَّى فَتَهْلِكُ. ١٧- وَ مَا تِلْكَ بِبَيْمِينِكَ يَا مُوسَى ... سَأَلَهُ عَمَّا فِي يَدِهِ الْيَمْنَى مِنَ الْعَصَا تَنْبِيْهَا لَهُ إِلَيْهَا لِيُثَبِّتَ فِيهَا تَمْهِيدًا لِحَصُولِ الْمَعْجَزَةِ. ١٨- قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا ... الْمُرَادُ مِنْ ذَلِكَ السُّؤَالِ وَ هَذَا الْجَوَابُ بِهِذِهِ الْأُمُورِ الْوَاضِحَةُ إِضَافَةٌ إِلَى مَا تَقَدَّمَ إِطَالَةُ الْحَدِيثِ مَعَ الْحَبِيبِ بِعِبَارَاتٍ وَ أَلْفَاظٍ مُخْتَارَةٍ غَايَةُ الْاِخْتِيَارِ. فَهَلِ الْعَصَا لَأَكْثَرَ مِنَ الْاعْتِمَادِ عَلَيْهَا عِنْدَ التَّعَبِ؟ ... وَ أَهْشُ بِهَا عَلَى غَنَمِي أَيَّ أَضْرَبُ بِهَا الْأَشْجَارَ لِتَتَنَاقَرَّ أَوْرَاقُهَا عَلَى الْأَغْنَامِ فَتَرْعَاهَا؟ وَ لِي فِيهَا مَآرِبٌ أُخْرَى أَيَّ قَضَاءَ حَاجَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ مِنْ صَدِّ الْعَدُوِّ وَ الْوَحْشِ الضَّارِّ وَ التَّهْوِيلِ فِي كُلِّ مَنَاسِبَةٍ؟. ١٩ وَ ٢٠- قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى ... أَيَّ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ: ارْمِهَا مِنْ يَدِكَ وَ اطْرَحْهَا عَلَى الْأَرْضِ فَالْقَاهَا مُوسَى: رَمَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَشْعِي أَفْعَى مَدْهَشَةً تَنْسَرِبُ عَلَى الْأَرْضِ. ٢١- قَالَ خُذْهَا وَ لَا تَخَفْ ... قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِمُوسَى: خُذْهَا وَ لَا تَأْخُذْكَ الرَّهْبَةُ مِنْهَا سَيُنْعِيذُهَا نَرْجِعُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى حَالَتَهَا الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهَا مِنَ الْهَيْئَةِ وَ الْخَاصِيَّةِ. ٢٢- وَ اضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ ... أَيَّ أَدْخَلَ يَدَكَ تَحْتَ إِبْطِكَ، تَخْرُجُ يَدُكَ بِضِيَاءٍ مُشْرِقَةٍ لَهَا نُورٌ قَوِيٌّ يَضِيءُ بِاللَّيْلِ وَ النَّهَارِ كَضَوْءِ الشَّمْسِ وَ الْقَمَرِ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ مِنْ غَيْرِ مَرَضٍ أَوْ عِلَّةٍ كَالْبَرَصِ. آيَةٌ

أُخْرَى أَيْ فَزِيدَكَ حُجَّةً وَ دَلَالَةً ثَانِيَةً. ٢٣- لِنُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى أَيْ لِنَنْظُرَ إِلَى دَلَالَتِنَا وَمَعَاجِزِنَا الْعَظِيمَةِ الَّتِي يَعْجِزُ الْخَلْقُ عَنِ الْإِتْيَانِ بِمَا يَشْبِهُهَا. ٢٤- أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ثُمَّ أَمَرَهُ سَبْحَانَهُ بِأَنْ يَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ مَلِكِ مِصْرَ الْمَتَرَبِّبِ عَلَى النَّاسِ الَّذِي تَكْبَرُ وَ تَجَبَّرُ فِي كُفْرِهِ. ٢٥ وَ ٢٦ وَ ٢٧ وَ ٢٨- قَالَ: رَبِّ اشْرَحْ لِي صِدْرِي ... أَيْ أَمِنْ عَلَى بَسْعَةِ الصَّدْرِ لِأَصْبِرَ عَلَى عِنَادِ فِرْعَوْنَ وَ مَقَاوِمِهِ كُفْرِهِ. وَ يَسِّرْ لِي أَمْرِي سَهْلًا لِي أَمُرَ تَبْلِيغَ رِسَالَتِكَ وَ أَعْنِي عِنْدَ الدُّخُولِ عَلَى فِرْعَوْنَ لِدَعَائِهِ إِلَى أَمْرِ تَبْلِيغِ رِسَالَتِكَ وَ أَعْنِي عِنْدَ الدُّخُولِ عَلَى فِرْعَوْنَ لِدَعَائِهِ إِلَى الْإِيمَانِ. وَ اخْلُبْ عَقْدَةً مِنْ لِسَانِي أَيْ أَطْلُقْ لِسَانِي مِنْ عَقَالِهِ وَ اجْعَلْهُ فَصِيحًا بَلِيغًا فِي الْأَدَاءِ. يَقْفَهُوا قَوْلِي يَتَفَهَّمُونَهُ حِينَ أَبْلَغُهُمْ رِسَالَتَكَ وَ يَكُونُ أَوْقَعُ فِي نَفْسِهِمْ إِذَا كَانَ وَاضِحًا فَصِيحًا. ٢٩ وَ ٣٠ وَ ٣١ وَ ٣٢- وَ اجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي، هَارُونَ أَخِي: أَيْ صَيِّرْ لِي أَخِي هَارُونَ وَزِيرًا لِي فِي التَّكْلِيفِ يَعْنِينِي فِي هَذِهِ الْمَهْمَةِ وَ هُوَ مِنَ الْمُؤَاوِزَةِ: أَيْ الْمُسَاعَدَةِ. اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي قُوَّةَ أَمْرِي وَ شَدِّ عَضْدِي وَ أَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي اجْعَلْهُ شَرِيكًا لِي فِي أَمْرِ الدَّعْوَةِ. ٣٣ وَ ٣٤ وَ ٣٥- كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا وَ نَذْكُرَكَ كَثِيرًا ... أَيْ: كَيْ نَقْدِّسَكَ وَ نَنْزَهَكَ وَ نَذْكُرَ آلَاءَكَ وَ نَعْمَاءَكَ عَلَيْنَا إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا عَالِمًا بِأَحْوَالِنَا وَ أُمُورِنَا وَ احْتِيَاجِنَا فِي أَدَاءِ رِسَالَتِنَا إِلَى مَا سَأَلْتَكَ إِيَّاهُ. ٣٦- قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى ... أَيْ: قَالَ اللَّهُ لِمُوسَى: قَدْ أَجَبْتَ دَعْوَتَكَ وَ قَضَيْتَ حَاجَتَكَ. ٣٧- وَ لَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى ... أَيْ أَنْ نَعْمَتَنَا جَارِيَةً عَلَيْكَ قَدِيمًا وَ حَدِيثًا وَ قَدْ عَدَّدَهَا بِقَوْلِهِ: مَرَّةً أُخْرَى قَبْلَ هَذِهِ النِّعْمَةِ الَّتِي أَوْلَيْنَاكَ إِيَّاهُ، وَ ذَلِكَ. إِرْشَادُ الْأَذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ٣٨ ٣١٩ وَ ٣٩- إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى يَوْمَ أَهْمَنَّا مَا كَانَ فِيهِ نَجَاتُكَ حِينَ وَلَدْتِكَ فَخَلَصْنَاكَ مِنَ الْقَتْلِ أَنْ أَقْدِفِيهِ فِي التَّابُوتِ ضَعِيهِ بِلَا تَبَاطُؤٍ فِي الصَّنَدُوقِ الْمُسْتَطِيلِ الْمَصْنُوعِ مِنْ سَعَفِ النَّخْلِ، فَاقْدِفِيهِ أَيْ التَّابُوتَ بَيْنَ يَدَيْهِ فِي الْيَمِّ فِي الْبَحْرِ. فَلْيَلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ أَيْ أَنْ مَوْجَ الْبَحْرِ يَقْذِفُ ذَلِكَ التَّابُوتَ عَلَى الشَّاطِئِ فَلَا يَغْرُقُ وَ لَا يَصِيبُهُ مَكْرُوهٌ. يَأْخُذُهُ عَدُوٌّ لِي وَ عَدُوٌّ لَهُ أَيْ فِرْعَوْنَ حَيْثُ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَ رَسَلِهِ وَ عَدُوًّا لِمُوسَى خَاصَّةً لِمَعْرِفَتِهِ بِأَنْ زَوَالَ مَلِكِهِ إِنَّمَا يَكُونُ عَلَى يَدَيْهِ. وَ أَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي أَيْ جَعَلْتُ فِي جَمِيعِ الْقُلُوبِ مَحَبَّةً لَكَ بِحَيْثُ يَحْبُوكَ كُلُّ مَنْ يَرَاكَ حَتَّى أَنْ امْرَأَةً عَدُوَّكَ آسِيَهُ، وَ عَدُوَّكَ فِرْعَوْنَ، قَدْ أَحْبَبَاكَ وَ تَبَنَّاكَ وَ رَبَّيَاكَ فِي حَجْرِهِمَا وَ لَضَمَّعَ عَلَى عَيْنِي أَيْ لَتَرَبَّى وَ أَنَا رَاعِيكَ وَ حَافِظُكَ. ٤٠- إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ ... وَ ذَلِكَ حِينَ كَانَتْ شَقِيقَتُكَ تَسْتَقْصِي أَخْبَارَكَ فَارْتَهَمَ يَطْلُبُونَ لَكَ مَرْضِعَةً فَتَقُولُ لَهُمْ: هَلْ أُرْسِدُكُمْ إِلَى مَرْضِعَةٍ وَ أَهْلَ بَيْتٍ يَهْتَمُّونَ بِهِ وَ يَتَعَهَّدُونَ رَاحَتَهُ وَ حِفْظَهُ؟ بَعْدَ أَنْ رَفَضَ ثَدْيَ أَيْهِ مَرْضِعَةٍ غَيْرِهَا فَزَجَّعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَ لَا- تَخْزَنَ فِرْدَدْنَاكَ سَالِمًا مَحْفُوظًا إِلَى أُمِّكَ إِقْرَارًا لِعَيْنِهَا وَ إِثْلَاجًا لَصَدْرِهَا، وَ لَثَلًا تَحْزَنَ لِفِرَاقِكَ وَ قَتَلَتْ نَفْسًا وَ هُوَ الْقَبْطِيُّ الْكَافِرُ فَتَجَنَّبْنَاكَ مِنَ الْعَمِّ خَلَصْنَاكَ مِنَ الْقَتْلِ وَ غَمِّهِ وَ أَمَّاكَ مِنَ الْخَوْفِ وَ فَتَنَّاكَ فَتُونًا أَيْ اخْتَبَرْنَاكَ اخْتِبَارَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ وَ أَوْقَعْنَاكَ فِي الْفِتَنِ حَتَّى خَلَصْتَ لِلْإِسْطِفَاءِ بِالرَّسَالَةِ. فَلَبِثْتَ سِتِّينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ أَيْ بَقِيتَ عَشْرَ سِنِينَ فِي بَلَدِهِ مَدْيَنَ رَاعِيًا لِشُعَيْبٍ ثُمَّ جِئْتَ حَضْرَتَ الْآلِ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى أَيْ فِي زَمَانٍ مَقْدَرٍ أَنْ تَتَلَقَّى فِيهِ الْوَحْيَ وَ تَكُونُ نَبِيًّا. ٤١ وَ ٤٢- وَ اضْطَرَّعْتُكَ لِنَفْسِي، أَذْهَبَ أَنْتَ وَ أَخُوكَ ... أَيْ اخْتَرْتِكَ لِرِسَالَتِي وَ وَحْيِي فَامْضِ لِلأَمْرِ أَنْتَ وَ أَخُوكَ هَارُونَ بِآيَاتِي مُعْجَزَاتِي التَّسْعِ وَ لَا- تَبَيَّا أَيْ لَا تَفْتَرَا وَ تَضَعِفَا فِي ذِكْرِي تَبْلِيغَ رِسَالَتِي وَ الدَّعْوَةِ إِلَى. ٤٣ وَ ٤٤- أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ ... تَقْدِمُ هَذَا الْأَمْرَ الْإِلَهِيَّ وَ كَانَ هُنَاكَ خَاصَا بِمُوسَى وَ هُنَا أَشْرَكَ فِيهِ هَارُونَ. إِنَّهُ طَغَى تَكْبَرُ وَ تَجَبَّرُ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا أَيْ ارْفَقَا بِهِ فِي الدَّعْوَةِ وَ لَا تَغْلَظَا لَهُ. وَ قِيلَ: قَوْلَا لَا يَحْبَهُ وَ لَا يَكْرَهُهُ، بِحَيْثُ يَظُنُّ أَنَّهُ يُؤَثِّرُ فِيهِ، لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى الْمَرَادَ بَيَانِ الْغَرَضِ مِنْ بَعَثْتُهُمَا وَ هُوَ أَنْ يَتَذَكَّرَ فِرْعَوْنَ مَا أَغْفَلَ عَنْهُ مِنْ رَبوبيَّةِ اللَّهِ وَ عِبُودِيَّةِ نَفْسِهِ وَ يَخْشَى الْعِقَابَ وَ الْوَعِيدَ. وَ قِيلَ: بِأَنَّ التَّعْبِيرَ بِلَعْلٍ هُنَا الْمَقْصُودُ فِيهِ: ادْعُوهُ عَلَى الرَّجَاءِ وَ الطَّمَعِ لَا عَلَى الْيَأْسِ مِنْ فَلَاحِهِ فَالرَّسَلُ إِنَّمَا يَبْعَثُونَ وَ هُمْ يَرْجُونَ وَ يَطْمَعُونَ أَنْ يَقْبَلَ مِنْهُمْ. ٤٥- قَالَا- رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا ... أَيْ نَخْشَى أَنْ يَعْجَلَ عَلَيْنَا فَيَأْخُذَنَا وَ يَعَاقِبَنَا فَلَا نَقْدِرُ عَلَى إِتِمَامِ الدَّعْوَةِ وَ إِظْهَارِ الْمَعْجِزَةِ. أَوْ أَنْ يَطْغَى يَتَكَبَّرُ وَ يَتَجَبَّرُ. ٤٦- قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمْ أَشِيعُ وَ أَرَى لَا يَنْبَغِي أَنْ تَخَافَا فِرْعَوْنَ، وَ أَنَا مَعَكُمْ أَتَوَلَّى حِفْظُكُمْ مِنْ بَطْشِهِ اسْمَعْ مَا تَقُولَانِ وَ مَا يَقُولُ فَالْهَمُّكُمَا الْجَوَابُ السَّيِّدُ وَ أَرَى مَا يَحْدُثُ بَيْنَكُمَا وَ بَيْنَهُ. فَلَنْ يَصِلَ كَيْدُهُ إِلَيْكُمْ. ٤٧- فَأَتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ ... فَاذْهَبَا إِلَيْهِ، وَ قَوْلَا لَهُ: إِنَّا مَرْسَلَانِ مِنْ قَبْلِ خَالِقِكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ دَعِهِمْ مِنْ أَسْرِهِمْ وَ اتْرَكِهِمْ لَنَا لَنَرْحَلَ بِهِمْ عَنْ بِلَادِكَ وَ لَا تُعَذِّبُهُمْ بِالْأَعْمَالِ الشَّاقَّةِ وَ قَتْلِ الرِّجَالِ وَ اسْتِعْبَادِ النِّسَاءِ، قَدْ جِئْنَاكَ

بِآيَةٍ أَتَيْنَاكَ بِمَعْجَزَةٍ دَالَّةٍ عَلَى صِدْقِ رِسَالَتِنَا هِيَ مِنْ رَبِّكَ إِذْ لَا يَسْتَطِيعُ الْبَشَرُ أَنْ يَصْنَعَ مِثْلَهَا، وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى أَى أَنْ مِنْ آمَنَ سَلَّمَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ. ٤٨- إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى: أَى فَقُولَا لِفِرْعَوْنَ إِنَّ رَبَّنَا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنْ نَقُولَ لَكَ: إِنَّ مِنْ رَفْضِ دَعْوَةِ رَبِّهِ بِتَكْذِيبِ رِسَالِهِ فَإِنَّ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ يَقَعُ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ انتقاماً لدينه. ٤٩- قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى: أَى قَالَ فِرْعَوْنَ فِي مَقَامِ الْجَوَابِ مِنْ رَبِّكَ وَرَبِّ أَخِيكَ يَا مُوسَى؟ وَخَصَّ مُوسَى (ع) وَحْدَهُ بِالنَّدَاءِ لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي دَعَاهُ، وَهَارُونَ (ع) إِنَّمَا هُوَ وَزِيرُهُ وَتَابِعُهُ. ٥٠- قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى قَالَ مُوسَى: رَبَّنَا هُوَ الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ صُورَتَهُ الَّتِي قَدَّرَهَا لَهُ ثُمَّ هَدَاهُ إِلَى مَأْكَلِهِ وَمَشْرَبِهِ وَمَنْكَحِهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ. بَلْ يَشْمَلُ جَوَابَ مُوسَى كُلَّ مَخْلُوقَاتِ الْكَوْنِ مِنَ الْحَيَوَانِ وَالنَّبَاتِ وَالْجَمَادِ. ٥١- قَالَ فَمَا بِالْقُرُونِ الْأُولَى: أَى قَالَ فِرْعَوْنَ: مَا حَالُ الْأُمَمِ السَّابِقَةِ مِنْ حَيْثُ الْعِبَادَةُ، إِذْ عَبَدْتَ غَيْرَ مَا تَدْعُوَانِ إِلَيْهِ. إِرْشَادُ الْأَذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ٣٢٠ ٥٢- قَالَ عَلِمْتُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ ... أَجَابَ مُوسَى (ع) أَمْرَهُمْ وَعَلِمَهُمْ عِنْدَ رَبِّي، وَقَدْ سَجَّلَ عَلَيْهِمْ كُلَّ مَا عَمِلُوهُ فِي اللُّوحِ الْمَحْفُوظِ إِذْ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى فَلِلْأَشْيَاءِ الْمَثْبُتَةِ فِي ذَلِكَ الْكِتَابِ كُلِّهَا نَصَبَ عَيْنِ رَبِّي وَهِيَ لَا تَذْهَبُ عَنْ عِلْمِهِ وَلَا يَنْسَاهَا بَلْ سَوْفَ يُجَازِيهِمْ. ٥٣- الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا ... أَى فَرَّاشًا مُمَهَّدًا لِإِقَامَتِكُمْ وَسَيْلَكُمْ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا جَعَلَ لَكُمْ فِيهَا طَرِيقًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً أَى الْمَطَرَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى فَكَانَ مِنْ أَثَرِ الْمَاءِ أَنْ خَرَجَ نَبَاتُ الْأَرْضِ بِقُدْرَةِ اللَّهِ عَلَى اخْتِلَافِ أَشْكَالِهِ وَأَلْوَانِهِ وَأَنْوَاعِهِ، لِأَنَّهُ جَعَلَ مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ. وَشَتَّى جَمْعُ شَتَّى، كَمَرْضَى جَمْعُ مَرِيضٍ. ٥٤- كُلُوا وَارْزُقُوا أَنْعَامَكُمْ ... أَى كُلُوا مِمَّا أَنْبَتَ لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَارْزُقُوا مَوَاشِيَكُمْ مِنْهُ. وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ إِشَارَةٌ إِلَى أَقْسَامِ النَّبَاتَاتِ، فَمِنْهَا مَا يَصْلَحُ لَطَعَامِ الْإِنْسَانِ، وَمِنْهَا مَا يَصْلَحُ لَغَيْرِهِ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ، وَقَدْ خَاطَبَ الْإِنْسَانَ أَوَّلًا بِاعْتِبَارِ أَنَّ كُلَّ مَا فِي الْأَرْضِ مُسَخَّرٌ لَهُ مِنْ نَبَاتٍ وَجَمَادٍ وَحَيَوَانٍ. إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لَأُولِي النُّهَى أَى: إِنَّ فِيهَا ذِكْرًا لَكُمْ لَعِبْرًا وَأَدْلَةً لَذَوِي الْعُقُولِ. وَالنُّهَى: جَمْعُ نَهْيَةٍ، سَمَّى بِهَا الْعَقْلَ لِنَهْيِهِ عَنِ الْقَبِيحِ، وَعَنِ الْإِمَامِ الْبَاقِرِ (ع) أَنَّهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ (ص): إِنَّ خِيَارَكُمْ أُولُو النُّهَى، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: وَمَنْ أُولُو النُّهَى؟ قَالَ: أُولُو الْأَخْلَاقِ الْحَسَنَةِ وَالْأَحْلَامِ الرَّزِينَةِ، وَصَلَةُ الْأَرْحَامِ، وَالْبِرُّ بِالْأُمَهَاتِ وَالْآبَاءِ، وَالتَّعَاهُدُونَ لِلْفُقَرَاءِ وَالْجِيرَانِ وَالْيَتَامَى وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ، وَيَفْشُونَ السَّلَامَ فِي الْعَالَمِ، وَيَصَلُّونَ وَالنَّاسَ نِيَامًا. ٥٥- مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى أَى مِنَ التُّرَابِ أَنْشَأْنَاكُمْ، وَفِي ذَلِكَ التُّرَابِ نَعِيدُكُمْ عِنْدَ الْمَوْتِ فَتُدْفَنُونَ فِي الْأَرْضِ وَتَنْحَلُّ أَجْسَادُكُمْ إِلَى تُّرَابٍ وَمِنْ ذَلِكَ التُّرَابِ نَخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى، فَتُحْشَرُكُمْ لِلْحِسَابِ بِتَأْلِيفِ أَجْزَائِكُمُ التَّرَابِيَّةِ وَرَدِّ الْأَرْوَاحِ إِلَيْهَا لِتُعَدَّوْا أَحْيَاءً كَمَا كُنْتُمْ. ٥٦- وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى أَى عَرَفْنَا فِرْعَوْنَ مُعَاجِزَنَا التَّسْعَ الَّتِي بَعَثْنَا بِهَا مُوسَى لِتَكُونَ دَالَّةً عَلَى نُبُوَّتِهِ وَصِدْقِ رِسَالَتِهِ، فَكَذَّبَ بِهَا عِنَادًا وَاسْتِكْبَارًا وَامْتِنَعَ عَنْ قَبُولِهَا. ٥٧- قَالَ أَجِئْتَنَا لِنُخْرِجَنا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى: أَى قَالَ فِرْعَوْنَ: إِنَّكَ لَسَاحِرٌ، وَهَلْ جِئْتَنَا بِهَذَا السِّحْرِ لِنُخْرِجَنا مِنْ مِصْرٍ. ٥٨- فَلَنَأُيِّنَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ ... أَكَّدَ بِأَنَّهُ سَيَجِيئُهُ بِسِحْرِ مِثْلِ سِحْرِه فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا فَاضْرِبْ مَوْعِدًا مَعَيْنًا يَكُونُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ، نَحْنُ وَأَنْتَ أَثْنَاءَهُ لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ فَلَا يَتَأَخَّرُ أَحَدُنَا عَنْهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ وَاخْتَرْ لَهُ مَكَانًا سَوًى مَعَيْنًا مَسْتَوًى مَسَافَةً وَبَعْدًا فِيمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ. ٥٩- قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ ... أَى قَالَ مُوسَى: الْمَوْعِدُ بَيْنَنَا يَوْمَ الْعِيدِ الَّذِي جَعَلْتُمُوهُ لَكُمْ فِي كُلِّ عَامٍ تَتَرَيْنُونَهُ فِيهِ وَتَتَرَيْنُونُ أَسْوَاقَكُمْ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضَحًى أَى أَنَّهُمْ يَجْتَمِعُونَ بَعْدَ شُرُوقِ الشَّمْسِ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ فَيَنْظُرُونَ فِي أَمْرِي وَأَمْرِكُمْ. ٦٠- فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى أَى فَارَقَ مُوسَى مِنَ الْمَجْلِسِ عَلَى هَذَا الْمَوْعِدِ فَجَمَعَ السِّحْرَ مِنْ أَطْرَافِ مَمْلَكَتِهِ ثُمَّ جَاءَ مَعَهُمْ فِي الْمَوْعِدِ الْمَضْرُوبِ. ٦١- قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيَلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ... أَى قَالَ مُوسَى ذَلِكَ الْقَوْلَ لِلْسِّحْرِ الَّذِينَ أَحْضَرَهُمْ فِرْعَوْنُ الْوَيْلَ وَالْعَذَابَ لَكُمْ، لَا تَكْذِبُوا عَلَى اللَّهِ فَتَنْسِبُوا مَعْجَزَاتِي إِلَى السِّحْرِ وَسِحْرِكُمْ إِلَى الْحَقِّ. فَتَسْحَرُكُمْ بِعَذَابٍ فِيهِلِكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ خَابَ خَسِرَ مَنْ افْتَرَى فَنَسَبَ الْبَاطِلَ إِلَى اللَّهِ. ٦٢- فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى أَى فَتَشَاوَرُوا فِيمَا سَمِعُوهُ مِنْ حَدِيثِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ وَفِيمَا تَوَعَّدَهُمْ بِهِ مُوسَى مِنْ عَذَابِ اللَّهِ فِيمَا لَوْ كَذَبُوا عَلَيْهِ وَأَخْفَوْا تَشَاوَرَهُمْ عَنْ فِرْعَوْنَ وَغَيْرِهِ. ٦٣- قَالُوا إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ ... إلخ. أَى: ثُمَّ قَالَ فِرْعَوْنَ وَجُنُودُهُ لِلْسِّحْرِ إِنَّ مُوسَى وَهَارُونَ لَيْسَا سَوًى سَاحِرِينَ يَرِيدَانِ أَنْ يَكِيدَا بِكُمْ لِيُخْرِجَاكُمْ مِنْ مِصْرٍ. وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى أَى بِدِينِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ نِظَامِ الْأَشْرَافِ وَالْعَبِيدِ وَاسْتِخْدَامِ بَنِي إِسْرَائِيلَ. وَ

قيل بأن الذين قالوا ذلك هم السحرة. ٦٤- فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ اتُّبِعُوا صَبًا... أى هَيِّئُوا مَكْرَكُمْ للقاء موسى و هارون ثم تقدّموا مصطفين منظمين وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى من كان فعله غالباً متفقاً. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٣٢١ ٦٥- قَالُوا يا موسى إِمَّا أَنْ تُلْقَى ... إلخ. أى خيروهم بين أن يبتدءوا هم بعرض ما هينوه أو يبتدئ هو. ٦٦- قَالَ يَلِ الْكُفَّاءِ ... أى أمرهم باللقاء ما معهم على مشهد من الناس ليكون معجزه أظهر عند ما تبتلع عصاه ما افكوا فألقوا فإذا جبالهم وعصيتهم ما كانوا قد أعدوه من حبال و عصي، كان يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ شَبَهَتْ لِمُوسَى مِنْ شِدَّةِ مَا كَانَ عَنْدهُمْ مِنَ الْبِرَاعَةِ فِي السِّحْرِ أَنَّهَا تَشْتَعِلُ وَتَتَحَرَّكُ وَتَعْدُو عَلَى الْأَرْضِ كَالْأَفَاعِي الْهَائِجَةِ لَأَنَّهُمْ جَعَلُوا دَاخِلَهَا الزَّبَقَ فَتَمَدَّدَ بِحَرَارَةِ الشَّمْسِ فَحَرَّكَ الْحَبَالَ وَالْعَصَى تِلْكَ. وقيل بأن الذى خيل إليه ذلك هو فرعون. ٦٧- فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى أى وجد فى قلبه خوفاً من أن يلتبس الأمر على الناس فيتوهموا المساواة بين فعله و فعلهم فلا يتبعونه. ٦٨- قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى أى ألهمناه أن لا يخاف عدم التصديق بآياته لأنه هو المتفوق عليهم بالنهاية. ٦٩- وَأَلْقَى مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفَ مَا صَبَّحُوا ... أى: ارم العصا التى فى يمينك يا موسى تبتلع ما صنعوا من السحر و التخيل بقدره الله تعالى. وقيل: لما ألقى موسى عصاه صارت حيّة طافت حول الصفوف حتى رآها الناس كلهم ثم قصدت الحبال و العصى فابتلعتها جميعها على كثرتها مع أن السحرة كانوا أربعمائه نفر و كان مع كل واحد مائة عصا و حبل، و فى بعض التفاسير أنهم كانوا ثلاثين ألفاً، وقيل: سبعين، لأن السحر كان منتشراً فى ذلك العصر. إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ أَيْ مَكْرٍ وَاحْتِيَالٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى أَيْ لَا يَنْجَحُ وَلَا يَفُوزُ عَلَى مَنْ خَاصَمَهُ فِي سِحْرِهِ بِالْحَقِّ أَيْنَ كَانَ وَحَيْثُ أَقْبَلَ. ٧٠- فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا... أى فخر السحرة ساجدين تعظيماً لما رأوه قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى وَأَعْلَنُوا تَصْدِيقَهُمْ بِوُجُودِ اللَّهِ الَّذِي يَدْعُو إِلَيْهِ مُوسَى وَهَارُونَ. وإنما فعلوا ذلك لأنهم قد تحققوا و أذعنوا بأن ما أتى به موسى (ع) إن هو إلا أمر سماوى و أنه فوق القوانين المألوفة بل خارق للنواميس الطبيعية و ليس من السحر الذى كانوا يعملونه و يعلمونه فى شىء. ٧١- قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ... أى قال فرعون مستنكراً فعلهم: صدقتم موسى قبل أن يطلب إعلانكم بتصديقه و قيل: يرجع الضمير فى آذن إلى فرعون، أى آمتم بموسى قبل إذنى إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمْ أَيْ أَسْتَادُكُمْ وَأَنْتُمْ تَلَامِيذُهُ الَّذِي عَلَّمَكُمْ السَّحَرَ فَأَتَقْتُمُوهُ فَلَا قُطْعَانَ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافِ أَيْ لِقِطْعَانِ مِنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ يَدَهُ الْيَمْنَى مَعَ رِجْلِهِ الْيُسْرَى أَوْ الْعَكْسَ وَالْأَصْلُ لَبَنُكُمْ فِى حُذُوعِ النَّخْلِ أَيْ عَلَى جَذُوعِ النَّخْلِ وَتَعْلَمَنَّ أَيْنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى وَسْتَرُونَ مِنْ مَنَّا الْقَوَى عَلَى تَعْذِيبِ الْآخِرِ وَالْقُدْرَةَ عَلَيْهِ وَمِنَ الْأَدُومِ أَنَا أَوْ رَبِّ مُوسَى الَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ. ٧٢ و ٧٣- قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ... أى لن نقدّمك على ما تحقق لدينا من المعجزات الواضحات التى جاء بها موسى، وَالَّذِي فَطَرَنَا أَيْ وَلَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى الَّذِي فَطَرْنَا. وقيل: أى و حتى الذى فطرنا. فَمَاقُصٌ مَا أَنْتَ قَاضٍ أَيْ فَاحْكُم بِالْحُكْمِ الَّذِي تَشَاوَهُ لَنَا إِنَّمَا تَقْضِى هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَحُكْمُكَ مَاضٍ فِى هَذِهِ الدُّنْيَا الزَّائِلَةِ إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيُغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السَّحْرِ صَدَقْنَا بِرَبَّنَا الْقَاهِرَ لِيَتَجَاوَزَ عَنْ ذُنُوبِنَا الْمَاضِيَةِ مِنَ الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي، وَ عَنْ حَمْلِكَ إِنَّا عَلَى تَعَاطَى السَّحْرِ لِلْوَقُوفِ بِوَجْهِ آيَاتِ اللَّهِ تَعَالَى وَ إِبْطَالِهَا. وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَيْ خَيْرِ ثَوَابٍ لِلْمَطِيعِ، وَأَبْقَى عِقَابًا لِلْعَاصِي. ٧٤ و ٧٥ و ٧٦- إِنَّهُ مِنْ زِيَارَتِ رَبِّهِ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ... أى أن من يموت على كفره و آثامه دون توبة منها، فإن نار جهنم معدة له بعذابها الأبدى لَا يَمُوتُ فِيهَا فَيُخَلَّصُ مِنَ الْعَذَابِ وَلَا يَحْيَى حَيَاةً هَانَتْهُ بَلْ كُلُّهَا عِقَابٌ. وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا مِنْ يَجِئُهُ مُصَدِّقًا بِهِ وَبِرَسُولِهِ قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ قَامَ بِالطَّاعَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى لَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ أَسْمَى الدَّرَجَاتِ وَأَعْلَاهَا فِى الْخُلْدِ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ مَرَّ تَفْسِيرِهَا مَكْرَرًا، خَالِدِينَ فِيهَا إِلَى أَبَدِ الْأَبَدِ وَ ذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى وَ هَذَا هُوَ ثَوَابٌ مَنْ تَطَهَّرَ مِنَ الْأَدْنَسِ فِى هَذِهِ الدَّارِ الْفَانِيَةِ. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٣٢٢ ٧٧ و ٧٨ و ٧٩- وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي... أى بعد ما رأى فرعون و قومه جميع الآيات التى جاء بها موسى و ظلّوا مصرين على عنادهم و كفرهم أوحينا إلى موسى أن اخرج من مصر ليلاً مع المؤمنين برسالتك من عبادى فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى الْبَحْرِ يَبَسًا أَيْ: اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَإِنَّهُ يَنْفَلِقُ إِلَى قَسَمَيْنِ وَ تَظْهَرُ الْيَابِسَةُ تَحْتَ الْمَاءِ فَيَمْشَى النَّاسُ بَيْنَ فِلْتَقَتَيْ الْبَحْرِ بِإِذْنِ اللَّهِ، لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى أَيْ آمِنًا مِنْ أَنْ يَدْرِكَكُمْ فِرْعَوْنُ، وَ مُؤْمِنًا مِنَ الْغَرَقِ. فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَبَنُوهُ، فَغَشَّيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشَّيَهُمْ أَيْ لَحِقَ بِهِمْ فِرْعَوْنُ مَعَ جُنُودِهِ وَأَصَابَهُمْ مِنْهُ

ما أصابهم من الغرق في مائه. وَ هَكَذَا أَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ أَى صَرَفَهُمْ عَنِ الْحَقِّ وَ مَا هَدَى وَ مَا هَدَاهُمْ إِلَى طَرِيقِ النِّجَاةِ. ٨٠- يا بَنِي إِسْرَائِيلَ ... ثُمَّ أَخَذَ سَبْحَانَهُ يَبِينُ نِعْمَهُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ وَ يَذْكُرُهُمْ بِهَا فَمِنْ النِّعَمِ الَّتِي ذَكَرَهَا قَوْلُهُ سَبْحَانَهُ: قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ خَلَصْنَاكُمْ مِنْ عِيدُوكُمْ فِرْعَوْنَ وَ حَزْبِهِ وَاعْبَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْمَأْمُونِ أَى ضَرَبْنَا بِكُمْ بِرُسُولِنَا مُوسَى أَنْ نَنْزِلَ عَلَيْهِ كِتَابًا فِيهِ تَبْيَانُ كُلِّ مَا تَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ، وَ كَانَ الْمَوْعِدُ عِنْدَ الطَّرَفِ الْأَيْمَنِ مِنْ جَبَلِ الطُّورِ. وَ نَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَ السَّلْوَى يَعْنِي فِي التِّيهِ حَيْثُ لَمْ يَكُنْ لَدَيْكُمْ غِذَاءٌ وَ لَا مَوْنَةٌ وَ قَدْ مَرَّ تَفْسِيرُهُ فِي الْآيَةِ رَقْم (٥٧) مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ. ٨١- كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ... الْأَمْرُ هُنَا لِلإِبَاحَةِ لِأَنَّهُ فِي مَقَامِ رَفْعِ الْحُظَرِ، وَ لَا- تَطْعَمُوا فِيهِ أَى فَلَا- تَتَعَدُوا فِيهِ فَتَأْكُلُوهُ عَلَى الْوَجْهِ الْمُحَرَّمِ. أَوْ لَا- تَتَنَاوَلُوا مِنَ الْحَلَالِ لِتُسْتَعِينُوا بِهِ عَلَى الْمَعْصِيَةِ. فَيَحِلُّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي أَى يَجِبُ عِقَابِي وَ مَنْ يَخْلُطِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى أَى: هَلَكَ. وَ قِيلَ: وَقَعَ فِي الْهَوَايَةِ، وَ هِيَ وَادٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، أَشَدَّ حَرَارَةً مِنْهَا. ٨٢- وَ إِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى أَى أَنَّى أَتَجَاوَزُ عَنْ ذُنُوبِ النَّاسِ الَّذِي لَا- يَعُودُ إِلَيْهَا، وَ لِلْمُؤْمِنِ بِي وَ الْعَامِلِ بِأَمْرِي وَ نَوَاهِي، وَ الْمَهْتَدِي إِلَى وَلايَةِ أَهْلِ الْبَيْتِ (ع). ٨٣- وَ مَا أَعْجَلَك عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى أَى: لَمْ تَقْدَمْتَ عَنْ قَوْمِكَ وَ جِئْنَا وَحْدَكَ مَعَ أَنْ الْمَقْرَرُ أَنْ تَوَافِيَ إِلَى الْمَوْعِدِ مَعَهُمْ؟ ٨٤- قَالَ هُمْ أَوَّلَاءِ عَلَى أَثَرِي ... أَى هَؤُلَاءِ قَوْمِي آتُونَ مِنْ وَرَائِي وَ سَيَدْرُكُونَنِي قَرِيبًا وَ عَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى أَى أَنْ مَسَارِعَتِي كَانَتْ مَبَادِرَةً لِمِثَالِ أَمْرِكَ وَ أَزْدَادِ رِضَى إِلَى رِضَاكَ. ٨٥- قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ ... أَى قَالَ اللَّهُ لِمُوسَى: إِنَّا قَدْ اِمْتَحَنَّا قَوْمَكَ وَ شَدَدْنَا عَلَيْهِمُ التَّكْلِيفَ مِنْ بَعْدِ انْطِلَاقِكَ إِلَيْنَا وَ أَضَلَّاهُمُ السَّامِرِيُّ أَى دَعَاهُمْ إِلَى الضَّلَالِ فَأَطَاعُوهُ. ٨٦- فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضَبَانَ أَسِفًا ... أَى بَعْدَ مَا اسْتَوْفَى الْأَرْبَعِينَ يَوْمًا، وَ بَعْدَ أَنْ نَزَلَتْ التَّوْرَةُ عَلَيْهِ، عَادَ مُوسَى شَدِيدَ الْغَضَبِ مُتَلَهِّفًا حَزِينًا لِمَا فَعَلُوهُ وَ حِينَ وَصَلَ إِلَيْهِمْ قَالَ يَا قَوْمُ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَلَمْ يَضْرِبْ رَبُّكُمْ مَوْعِدًا يَنْزِلُ فِيهِ التَّوْرَةُ عَلَيْكُمْ لِتَعْلَمُوا مَا فِيهَا وَ تَعْمَلُوا بِهِ؟ أَ فَطَالَ عَلَيْكُمْ الْعَهْدُ هَلْ طَالَتْ إِقَامَتِي وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ مَقْدَارَهَا أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي أَمْ قَصَدْتُمْ أَنْ تَبْوَؤُوا بِغَضَبِ اللَّهِ وَ سَخَطِهِ فَتَأْخُرْتُمْ عَنْ مُتَابَعَتِي وَ اللَّحَاقِ بِي إِلَى جَبَلِ الطُّورِ؟ ٨٧- قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلَكِنَا ... فَأُجَابَهُ الَّذِينَ لَمْ يَعْبُدُوا الْعِجْلَ: مَا تَأْخُرْنَا عَنْكَ وَ عَنِ الْمَوْعِدِ مَعَكَ بِاخْتِيَارِنَا وَ لَكِنَّا حُمِلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ بَلْ حَمَلْنَا أَثْقَالًا مِنْ حُلِيِّ الْقَبْطِ الَّتِي كُنَّا اسْتَعْرَنَاهَا مِنْهُمْ يَوْمَ عِيدِنَا وَ بَقِيتُ مَعْنَا، أَوْ هِيَ زِينَةُ الْقَبْطِ الَّتِي قَذَفَهَا الْبَحْرُ مَعَ الْقَبْطِ فَأَخَذُوهَا فَقَذَفْنَاهَا أَلْقَيْنَاهَا فِي النَّارِ بِتَسْوِيلِ السَّامِرِيِّ، فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ أَى وَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ شَيْئًا فِي النَّارِ كَمَا أَلْقَيْنَا نَحْنُ الزَّيْنَةُ فِيهَا. إِرْشَادُ الْأَذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ٣٢٣- ٨٨- فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورًا ... فَصَنَعَ لَهُمُ السَّامِرِيُّ مِنَ الزَّيْنَةِ الذَّائِبَةِ تِمثالَ عَجَلٍ لَهُ صَوْتُ خَشْنٍ كَانَ يَحْصُلُ بِسَبَبِ دُخُولِ الرِّيحِ فِيهِ مِنْ طَرَفٍ وَ خُرُوجِهَا مِنْ آخَرٍ. فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَ إِلَهُ مُوسَى أَى قَالَ السَّامِرِيُّ وَ مَنْ تَبِعَهُ مِنَ الْأَرَاذِلِ: هَذَا الْعَجَلُ مَعْبُودُكُمْ وَ مَعْبُودُ مُوسَى. فَتَسَيَّ قِيلَ إِنَّهُ مِنَ السَّامِرِيِّ أَى قَالَ لَهُمُ السَّامِرِيُّ: إِنَّ هَذَا إِلَهُ مُوسَى وَ نَسِيَهُ وَ ذَهَبَ يَلْتَمِسُهُ عِنْدَ الطُّورِ. وَ قِيلَ: أَنَّهُ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى عَنِ السَّامِرِيِّ أَى: تَرَكَ السَّامِرِيُّ مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِيمَانِ الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ بِهِ مُوسَى إِلَى عِبَادَةِ الْعَجَلِ. ٨٩- أَ فَلَا- يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا ... أَى: كَيْفَ لَا- يَتَذَكَّرُونَ أَنَّ هَذَا الْعَجَلَ الَّذِي اتَّخَذُوهُ إِلَهًا لَا يَسْتَطِيعُ رَدَّ جَوَابِهِمْ إِذَا هُمْ سَأَلُوهُ وَ لَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَ لَا نَفْعًا وَ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَضَرَّهُمْ أَوْ أَنْ يَنْفَعَهُمْ وَ مَا كَانَتْ هَذِهِ صِفَاتُهُ فَكَيْفَ يَكُونُ إِلَهًا. ٩٠- وَ لَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ ... أَى قَبْلَ أَنْ يَرْجِعَ مُوسَى مِنَ الْمِيقَاتِ: يَا قَوْمُ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ أَى اِمْتَحَنْتُمْ بِهَذَا الْعَجَلِ فَاعْلَمُوا إِلَهُكُمْ وَ اعْبُدُوهُ وَ لَا تَعْبُدُوا الْعَجَلَ فَقَدْ غَشَّكُمْ السَّامِرِيُّ، وَ إِنَّ رَبَّكُمْ الرَّحْمَنُ وَ إِلَهُكُمْ اللَّهُ الَّذِي يَرْحَمُ الْعِبَادَ وَ يَخْلُقُهُمْ وَ يَرْزُقُهُمْ فَاتَّبِعُونِي فِيمَا أَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ. وَ أَطِيعُوا أَمْرِي فِي عِبَادَةِ اللَّهِ وَ لَا تَطِيعُوا أَمْرَ السَّامِرِيِّ فِي عِبَادَةِ الْعَجَلِ. ٩١- قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ .. أَجَابُوا: لَنْ نَنْفَكَ عَنْ عِبَادَتِهِ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى أَى حَتَّى يَعُودَ لِنَنْظُرَ أَيْعْبُدُهُ أَمْ لَا- ٩٢ وَ ٩٣- قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ... إلخ. أَى أَى شَيْءٍ مَنَعَكَ يَا هَارُونُ مِنْ مُتَابَعَتِي مَعَ مَنْ ثَبَتَ عَلَى الْإِيمَانِ وَ قَدْ رَأَيْتَهُمْ انْحَرَفُوا عَنِ الدِّينِ إِلَى عِبَادَةِ الْعَجَلِ؟ أَ فَعَصَيْتَ أَمْرِي؟ يَعْنِي: هَلْ خَالَفْتَنِي فِيمَا أَمَرْتُكَ بِهِ؟ ٩٤- أَلَا يَا بَنُيْ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَ لَا بِرَأْسِي ... أَى قَالَ هَارُونُ: أَى يَا أَخِي مِنْ أَبِي وَ أُمِّي، لَا تَقْبِضْ عَلَى لِحْيَتِي وَ لَا تَجْذِبْ شَعْرَ رَأْسِي فَإِنِّي لَمْ أَتْرَكَ مُتَابَعَتَكَ عَصِيَانًا لِأَمْرِكَ نِيَّ خَيْثِيَّتْ خَفْتُ أَنْ تَقُولَ بَعْدَ مَجِيئِكَ إِلَيْنَا: قَتَّ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِالْزَّعِاقِ مَعَهُمْ أَوْ بِالْقِتَالِ لَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي وَ لَمْ تَنْتَظِرْ أَمْرِي فِيهِمْ. ٩٥ وَ ٩٦- قَالَ فَمَا

خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ؟ ... أى قال موسى للسامري: ما شأنك و ما دعاك إلى ما صنعت قال بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَنْصُرُوا بِهِ أُرَيْتَ مَا لَمْ يَرَوْا، أى أنه رأى أثر حافر فرس جبرائيل (ع) على الأرض فأخذ حفنة تراب من مكانه فَفَقَبَضْتُ فَفَبَضْتُ مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ أى رسول الله، و هى تراب الحياة فَفَبَضْتُهَا قَذَفْتُهَا فِي النَّارِ مع المعادن الذائبة من زينة القوم وَ كَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي وَ هَذَا هُوَ الَّذِي زَيَّنَتْهُ لِي نَفْسِي الأمانة بالسوء. ٩٧- قَالَ فَادْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ ... أى قال موسى للسامري: انصرف من وجهي و ان لك أن تقول ما دمت حيا: لا أَمْسَ و لا أَمْسَ لَكَ و لولدك أيضا. و قيل معناه: إن موسى أمر الناس ألا يخالطوه و لا يجالسوه و لا يؤاكلوه. و إِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ أى أن لك يوم القيامة وقتا تتلقى فيه عذاب الآخرة الأشد و لن تجد خلفا في ذلك الوعد وَ أَنْظِرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا أى انظر إلى الرب المزيف الذى صنعتته و كنت لا تزال ملازما له لَنَحْرَفَنَّ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا أى لنحرقه بالنار ثم بعدها نذريه فى البحر. ٩٨- إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ... أى يا بنى إسرائيل: إن إلهكم الذى خلقكم، هو الله الذى لا إله غيره، و هو الذى يستحق العبادة وَ سِعَ كُلُّ شَيْءٍ عِلْمًا أى أحاط علمه سبحانه بكل شىء. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٣٢٤ ٩٩ و ١٠٠ و ١٠١- كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءٍ مَا قَدْ سَبَقَ ... أى: على هذا الشكل نخبرك يا محمد أخبار الأمم الماضية وَ قَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا وَ هُوَ الْقُرْآنُ الذى يحتوى على كل أمور الدين مما يحتاج إليه مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ وَ انصرف إلى غيره فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا أى حملا ثقيلا من الإثم خَالِدِينَ فِيهِ أى فى عذاب ذلك الوزر وَ سَاءَ قَبْحَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا أى: ساء هذا الوزر حملا حملوه و احتملوا إثمهم يوم القيامة. ١٠٢ و ١٠٣- يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ ... أى و ذلك- يعنى يوم القيامة- و قد مر تفسيره. وَ نَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ أى المشركين نجمهم أحياء يَوْمَئِذٍ فى ذلك اليوم زُرْقًا مَسْوَدَّةً و جوههم يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ أى يتسارون فيما بينهم. إِنَّ لِبَشَرٍ إِلَّا عَشْرًا أى لم تقوا أمواتا أكثر من عشر ليال. ١٠٤- نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ... أى أن الله سبحانه و تعالى أعلم بما يتسارون به إِذْ يَقُولُ أَفْمَثَلُهُمْ طَرِيقَةُ أى أحسنهم قولا و عقلا. إِنَّ لِبَشَرٍ مَا بَقِيتُمْ فى رقبتكم إِلَّا يَوْمًا سوى يوم واحد. ١٠٥ و ١٠٦ و ١٠٧- وَ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ ... حكى أن كفار قريش سألو النبي عن الجبال و ما يصيها يوم القيامة على ثقلها و صلابتها فنزلت هذه الآية. فَقُلْ يَا مُحَمَّدُ لَهُمْ: يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا أى يدكها ربى تعالى دكا و يصيرها كالرمال الناعمة و يأمر الريح فتفرقها على سطح الأرض فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا فَيَدْعُهَا أَرْضًا مَبْسُوطَةً كَبْقِيَةِ السَّهْلِ، ف لا ترى فيها عِوَجًا وَ لَا أَمْتًا فلا تنظر فيها التواء من انخفاض أو ارتفاع. ١٠٨- يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ ... أى يوم القيامة يلحقون بداعى الله الذى يدعوهم للمحشر، و هو إسرئيل لا عِوَجَ لَهُ أى ليس لأحد أن ينحرف عما يشير به من خط السير. و قيل: لا يعدل هو عن أحد بل يحشر الجميع. وَ خَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ أى سكنت لمهابة البارئ تعالى و عظمت فلا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا أى فلا تسمع فى ذلك الجمع إلا صوتا خفيا لا يكاد يسمع. و قيل الهمس هو صوت وقع الأقدام. ١٠٩- يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَ رَضِيَ لَهُ قَوْلًا ... أى فى ذلك اليوم لا تقبل شفاعته أحد فى أحد إلا شفاعته من أذن الله له فى أن يشفع و رضى قوله فيها من الأنبياء و الأولياء و الصديقين و الشهداء. ١١٠- يَلْعَلُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ مَا خَلْفَهُمْ ... أى يعرف سبحانه جميع أحوالهم مما كان فى حياتهم و ما يكون بعد مماتهم أى ما تقدم و ما تأخر. وَ لَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا أى يعرف سبحانه جميع أحوالهم مما كان فى حياتهم و ما يكون بعد مماتهم أى ما تقدم و ما تأخر. وَ لَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا أى لا يحيط علمهم بمعلوماته و لا بذاته سبحانه. ١١١- وَ عَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ... أى خضعت وجوه المخلوقات لله الذى لم يمت و لا يموت خضوع العانى الأسير فى يد من قهره وَ قَدْ خَابَ خَسِرَ ثَوَابَ اللَّهِ وَ رَحْمَتِهِ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا أى من كان زاده للآخرة الشراك و المعاصى. ١١٢- وَ مَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَ هُوَ مُؤْمِنٌ ... أما الذى عمل شيئا من الطاعات و هو مصدق بجميع ما جاء عن ربه على لسان رسله فلا يخاف ظُلْمًا وَ لَا هَضْمًا فلا يحذر أن يظلم بزيادة سيئاته، و لا ينتقص حقه بإنقاص حسناته. ١١٣- وَ كَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ... أى: و هكذا أنزلنا هذا الكتاب قرآنا باللغة العربية وَ صَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ وَ كَرَّرْنَا فِيهِ آيَاتِ التَّهْدِيدِ بالعذاب لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ بأمل أن يتجنبوا المعاصى و يعملوا بالطاعات أَوْ يُحْدِثُ أى يجعل هذا القرآن لَهُمْ ذِكْرًا عَظِيمًا تذكّرهم بما أصاب الأمم الماضية فجعلهم يتعظون و يعتبرون. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٣٢٥ ١١٤- فَتَعَالَى اللَّهُ ... أى ارتفع و سما بذاته و بصفاته عن مماثلة المخلوقات و مشابقتها،

لأنه المَلِكُ الْحَقُّ الذى يحق له الملك و هو النافذ التصرف فيهم و فى ملكوته بأجمعه، و لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ أَى -لا- تتعجل قراءته قبل أن يفرغ جبرائيل من تلاوته عليك و إبلاغه إياك، و قُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا أَى استزد من الله علما إلى علمك فيما يوحى إليك. ١١٥- و لَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ ... أَى أمرنا آدم بعهد منا أن لا يأكل من الشجرة التى نهيناه عن الأكل منها من قبل زمانك يا محمد. فَنَسِيَ ما أمر به من الكف عنه و لَمْ يَجِدْ لَهُ عَزْمًا أَى ثباتا و تصلبا فى الالتزام بما أمر به. ١١٦- و إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى مَرَّ تفسيره. ١١٧- فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَ لَزَوْجَكَ ... حَواء. فَلَا يُخْرِجُكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى فَلَا تطيعاه فيكون سببا لخروجكما من الجنة فتقع يا آدم فى عناء الكد للإنفاق على نفسك و زوجتك. ١١٨ و ١١٩- إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَ لَا- تَعْرِى ... أَى نوكد لك أنك إذا أطعت الأمر أن تبقى فى الجنة فلا تشكو جوعا فيها و لا عريا. وَ أَنْتَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا لَا- تعطش وَ لَا- تَصْحَى لا يصيبك حر الشمس لأن ظلها ظليل أى دائم بلا شمس و لا غيرها مما يسبب الحرارة. ١٢٠- فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ ... أى فهمس له الشيطان الخبيث قائلا: يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد أ تريد أن أرشدك إلى الشجرة التى من أكل منها خلد فلا يموت أبدا؟ وَ هل أدلك أيضا على مُلْكٍ لا يَبْلَى لا يفنى. ١٢١- فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا ... فأكل آدم و حواء من الشجرة بإغراء إبليس فظهرت لهما عوراتهما و طِفْفا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ و أخذوا يقطعان ورقا من شجر الجنة و يلصقانه بجسديهما ليتسترا وَ عَصَى آدَمُ رَبَّهُ خَالَفَ أَمْرَ رَبِّهِ و ان كانت المخالفة هنا بمعنى ارتكاب خلاف الأولى. فَغَوَى فَضَلَّ وَ خَابَ مِنْ ثَوَابِ اللَّهِ. ١٢٢- ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ: أى اختاره للرسالة فَتَابَ عَلَيْهِ وَ هَدَى أَى قبل توبته و هداه إلى ذكره. ١٢٣- قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا ... أى: انزلا يا آدم و يا حواء من دار كرامتى إلى دار التعب و البلاء بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِنَّ الْعَدَاوَةَ بَيْنَ إِبْلِيسَ مِنْ جَهَّةٍ، وَ آدَمَ وَ حَواءَ مِنْ جَهَّةٍ ثَانِيَةٍ فَأَمَّا يَا تَيْنَكُم مِّنِّي هُدًى أَى إن جاءكم هدى منى على يد رسول فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَ لَا يَشْقَى أَى لا يضل فى الدنيا و لا يشقى فى الآخرة. ١٢٤- وَ مَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ... و من انصرف عن كتابى: القرآن، أَوْ مَا يَذْكُر بى مِنْ دَلَائِلَ فَإِنَّ لَهُ ضَيْقًا فى معيشته و عناء و تعبًا وَ نَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى قال: يعنى أعمى البصر ١٢٥- قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَ قَدْ كُنْتُ بَصِيرًا أَى كيف رددتنى إلى الحياة يوم القيامة أعمى و قد كنت فى الدنيا مبصرا. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٣٢٦ ١٢٦- قَالَ اللَّهُ كَذَلِكَ أَى مثل ذلك فعلنا بك، لَأَنَّكَ أَتَيْتَ آيَاتِنَا فَتَسَيَّيْتَهَا جَاءَتْكَ دَلَائِلُنَا وَ بَرَاهِينُنَا فتركتها وَ كَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى أَى تترك فى النار، وَ تعتبر كأنك منسى. ١٢٧- وَ كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَ لَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ ... أَى و بمثل هذا الجزاء نجزي من فرط و لم يصدق بدلائلنا وَ لَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ مِنْ عَذَابِ الدُّنْيَا وَ أَبْقَى أَدْوَم. ١٢٨- أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ ... أَى أفلم ينكشف لهم طريق الهدى إلى ما يبين لهم كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ كَمْ أَفْنَيْنَا بِالْعَذَابِ كثيرا من الأمم الماضيه المكذبه للرسول يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ فى مساكن الذين دمرناهم بالعذاب إِنَّ فِي ذَلِكَ أَى فى إهلاكنا لتلك الأمم لآيَاتٍ دَلَالَاتٍ لَأُولَى النُّهَى لَدَوَى الْعُقُولِ. ١٢٩- وَ لَوْ لَا كَلِمَةُ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ ... أَى: و لو لا الوعد الذى أخذه ربك على نفسه أن لا يعذب الأمة المرحومه بوجودك يا محمد، لَكَانَ الْعَذَابُ لِرِزَامًا لازما لهم فى الحال وَ أَجَلٌ مُسَمًّى معطوف على كلمة: لولا، أَى لولا الكلمة و لولا الأجل المضروب من عذابهم فى الآخرة لعجلناه لهم. ١٣٠- فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَ سَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ... أَى اصبر على تكذيبهم إياك و اشتغل بتزيه ربك و تقدسه قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَ قَبْلَ غُرُوبِهَا، وَ مِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَ اطَّرَافَ النَّهَارِ صلاة الفجر و صلاة العصر و من ساعات الليل أى نافله الليل. و قيل: يريد المغرب و العشاء. و المقصود بأطراف النهار صلاة الظهر لَعَلَّكَ تَرْضَى أَى بأمل أن ترضى بما يعطيك ربك فى الدارين. ١٣١- وَ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ ... نهى الله تعالى نبيه (ص) عن التطلع إلى ما استمتع به القوم الكافرون من نعم الدنيا. و مد العينين هنا كناية عن الأسف، أَى لا تأسف على ما يفوتك ممَّا ينالونه من حظ الدنيا، زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا أَى زينتها و بهجتها، لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ لِنَخْتَبِرَهُمْ وَ نَعَذِّبَهُمْ بِسَبَبِهِ فى الآخرة وَ رِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَ أَبْقَى وَ مَا أَعْطَاكَ رَبُّكَ مِنْ نِعَمٍ هِيَ أَدْوَمَ لَكَ. ١٣٢- وَ أَمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ ... أَى و أمر يا محمد أهل بيتك خاصة و أهل دينك عامة بالصلاة وَ اصْطَبِرْ عَلَيْهَا أَى حافظ عليها، و قيل معناه: داوم على الأمر بها لا تَسْلُكْ رِزْقًا لَا نَكْفِكَ بطلب الرزق نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَ نَمُنَّ عَلَيْكَ وَ الْعَاقِبَةُ الْآخِرَةُ الْمَحْمُودَةُ لِلتَّقْوَى

يعنى لأهل التقوى والطاعة. ١٣٣- وَقَالُوا لَوْ لَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ ... أى نتمنى عليه أن يأتينا بمعجزة من المعاجز التى نقترحها عليه أو لَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةٌ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى أى: أو لم يأتهم فى القرآن بيان ما فى الكتب السابقة من أنباء الأمم التى أهلكناها لما اقترحت الآيات فاستجبنا لها ومع ذلك كفرت بها. ١٣٤- وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ ... يعنى أننا لو أنزلنا على قريش عذابا يهلكهم ويفنيهم مِنْ قَبْلِهِ قبل بعث محمد ونزول القرآن لَقَالُوا لَنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ: لَوْ لَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَتَنْبِغَ آيَاتِكَ هَلَّا بَعَثْتَ إِلَيْنَا نَبِيًّا مِنْ قَبْلِ أَنْ نَنْزِلَ وَ نَخْزَى أى قبل أن يلحقنا الهوان والذل والخزى فى الدار الآخرة. ١٣٥- قُلْ كُلُّ مُتَرَبِّصٍ، فَتَرَبَّصُوا ... أى قل لهم يا محمد قطعاً للجدال: كُلُّ مَنْ مَنَّا مَنْتَظِرٌ عَاقِبَةُ أَمْرِهِ فَانْتَظِرُوا أَنْتُمْ فَسَيَتَعَلَّمُونَ مَنْ أَضْحَابُ الصَّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنْ اهْتَدَى وَ سَتَعْرِفُونَ مَنْ كَانَ عَلَى الطَّرِيقَةِ الْمُسْتَقِيمَةِ وَمَنْ اتَّبَعَ طَرِيقَ الْهَدْيِ. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٣٢٧

سورة الأنبياء مكية، عدد آياتها ١١٢ آية

١- أَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ: أى: قربت ساعة القيامة للحساب. وإنما وصفت بالقرب لأن من أشرط الساعة بعثه رسول الله (ص) إذ قال: بعثت أنا والساعة كهاتين، ثم جمع بين السبابة والوسطى، ولذا صار خاتم الأنبياء وقال سبحانه: إنهم يرونه بعيداً ونراه قريباً. ووجه آخر لوصفها بالقرب هو أن كل آت قريب وأن ما بقى من عمر الدنيا أقل مما ذهب. وعن أمير المؤمنين (ع): فإن الدنيا قد ولت حذاء- أى تصرمت خفيفه سريعة- ولم يبق منها إلا صبابه كصبابه الإناء ... وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ سَاهُونَ عَنْهَا. مُعْرِضُونَ عَنِ الْإِيمَانِ بِالسَّاعَةِ وَالتَّفَكُّرِ فِيهَا. ٢ و ٣- مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ ... أى ما يجيئهم هذا القرآن الجديد عليهم، المبتدأ التلاوة سورة بعد سورة. إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ اسْتَمَعُوا تِلَاوَتَهُ مُسْتَهْزِئِينَ به لفرط إعراضهم عنه. لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ حال كونها غافلة عن تدبره وَاسْرُؤُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا يعنى المشركين تناجوا فيما بينهم فقالوا: هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ أَيْ أَنْ مُحَمَّدًا لَيْسَ بِمَلِكٍ وَلَيْسَ بِرَسُولٍ، وَمَا يَأْتِي بِهِ سِحْرٌ أَفَتَقْبَلُونَهُ وَ أَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ترون أنه بشر أو ساحر؟ ٤- قَالَ رَبِّى يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ... أى قال محمد (ص): ربي الذى فطرني يعلم السر وأخفى فى السماء والأرض وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ مر معناه. ٥- بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ ... أى قالوا عن الوحي إنه رؤيا مختلطة رآها فى المنام ليست بقبالة للتعبير بل افتراء بل هو قول كاذب تخرصه محمد بل هو شاعرٌ وقالوا أيضاً إن محمداً شاعرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ فليجئ بمعجزة دالة على صدق نبوته كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ كَمَا بَعَثُوا بِالْمَعَاجِزِ كَعَصَا مُوسَى وَغَيْرِهَا. ٦- مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَوْمِهِ أَهْلُكُنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ؟: أى أن كل قرية دمّرناها وأهلكنا أهلها، أتها آيات منّا فلم تؤمن بها ولذلك أنزلنا عليها عذابنا. أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ إِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ؟ والاستفهام إنكارى، أى: لن يؤمنوا. ٧- وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ ... أى لم نرسل ملائكة، وكل رسلنا رجال أنزلنا عليهم الوحي بأوامرنا ونواهيها فَسَيَتَلَوُوا عَنْ ذَلِكَ أَيُّهَا الْمَعَانِدُونَ أَهْلُ الذِّكْرِ هُمُ الْعُلَمَاءُ الْيَهُودُ وَ النَّصَارَى إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ لَا تَعْرِفُونَ حَقِيقَةَ الرِّسَالَةِ. ٨- وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ ... أى أن الرسل ما جعلناهم ملائكة، بل كانوا رجالاً يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ. والآية تضمنت نفى ما اعتقدوه من أن الرسالة من خواص الملائكة إذ كانوا يقولون: ما لهذا النبى يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق، يعيرونه بذلك، فالرسل كذلك رجال يأكلون ويشربون ويحيون ويموتون كبقية الناس. وما كانوا خالدين باقين فى دار الدنيا. بل يموتون كما تموتون. ٩- ثُمَّ صَدَقْنَاهُمْ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ ... أى أن عاقبة الرسل والمؤمنين بهم، كانت أننا وفينا لهم بما وعدناهم به فأنجيناهم من القتل والعذاب وَأَهْلَكْنَا الْمُشْرِكِينَ أَفِينَا الْمُتَجَاوِزِينَ لِلْحَدِّ فَيَكْفُرُهُمْ وَمَعَاصِيَهُمْ. ١٠- لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَاباً فِيهِ ذِكْرُكُمْ ... الخطاب لقريش، والكتاب هو القرآن الذى فيه عزكم ان تمسكنم به أَفَلَا تَعْقِلُونَ أَفَلَا- تملكون عقولاً لتؤمنوا به؟. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٣٢٨ ١١- وَكَمْ قَصِيدَةٍ مِنْ قَوْمِهِ كَانَتْ ظَالِمَةً ... أى: كثيرا ما أهلكنا القرية التى كان أهلها يظلمون أنفسهم بالكفر. وقيل: المقصود بها قرية خاصة هى حضورا من أعمال اليمن عدت على نبيها فقتلتها وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ عَاشُوا مَكَانَهُمْ وَفِي بَيُوتِهِمْ وَأَرْضِهِمْ. ١٢ و ١٣- فَلَمَّا أَحْسَسُوا بِأَسْنَانِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ ... أى لما شعروا بقرب نزول عذابنا عليهم، أخذوا يفرون مسرعين خوفاً من بطشه وجبروته، لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا لَا تَهْرَبُوا مسرعين، وعودوا

إلى ما أترفتُم فيه و مَسَاكِكُمْ إلى النعم التي كنتم تتقلبون في رغدها و إلى بيوتكم لَعَلَّكُمْ تُسْئَلُونَ عن أعمالكم أو أن الناس يسألونكم شيئا من دنياكم. ١٤- قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ: أى نادوا بالويل و الشبور و اعترفوا بأنهم كانوا ظالمين لنبئهم الذى قتلوه، و لأنفسهم بكفرهم. ١٥- فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ ... أى ما داموا يردّون تلك الدعوى من الويل و التحسر حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيداً إلى أن سَوَيْنَاهُم كالزراع المحصود الملقى على الأرض خَامِدِينَ موتى مطفيين كما تطفأ النار. ١٦ و ١٧- وَ مَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَ الْأَرْضَ وَ مَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ... لَاهِينَ عَابَثِينَ فى إيجادهما و إيجاد ما فيهما من مخلوقات، و ما كانت أعمالنا إلا بالحق و وفق الحكمة لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهَوًا لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا فَلَوْ شِئْنَا أَنْ نَلْهُو بِشَيْءٍ مِمَّا يَلْهَى الْإِنْسَانَ لَجَعَلْنَاهُ مِمَّا هُوَ عِنْدَنَا فى السماء دون أن نأخذه من الأرض. إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ فى حال فعلنا ذلك. ١٨- بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ ... أى نرمي الباطل بالحق و نضربه به فيذهبه. فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ مضمحل معدوم و لَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ يعنى أن لكم العذاب الشديد أيها الكفار من وصف الله تعالى بما لا يجوز نسبته إليه. ١٩ و ٢٠- وَ لَهُ مَنْ فى السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ ... أى أنه سبحانه كيف يكون كما وصفتم و هو يملك جميع ما فى السماوات و جميع ما فى الأرض، و مَنْ عِنْدَهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ الْعِظَامُ الشَّدَادُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ بل يخضعون لعظمته و يسبحون بحمده و يقدسون له و لَا يَسْتَحْسِرُونَ أى لا يملون من تسبيحه و تنزيهه يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ قال: أنفاسهم تسبح .. لا يتبعون و لا يضعفون. ٢١- أَمْ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنشِئُونَ؟ الاستفهام للجحد أى لم يتخذوا آلهة من الأرض يحيون الموتى فهذه الآلهة التي اتخذوها ما هى إلا منحوتات عاجزة لا تسمع و لا تفعل و جمادات لا حياة فيها و فاقد الشيء لا يعطيه. ٢٢- لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ... أى: لو كان فى السماوات و الأرض، آلهة سوى الله لتمكّن من التصرف لفسدت السماوات و الأرض، و هذا دليل التمانع الذى ذكره المتكلمون على مسألة التوحيد و استحالة الشريك للبارى سبحانه فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ أى تنزه رب العرش العظيم الذى هو مصدر التدابير و منشأ المقادير، عَمَّا يصفونه به من اتّخاذ الشريك و صاحبه و الولد. ٢٣- لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَ هُمْ يُسْئَلُونَ: أى لا يسأله أحد عن فعل يفعل لأنه لا يفعل إلّا عين الحكمة، بل العباد يسألون عن أفعالهم لأنهم يصيبون و يخطئون. ٢٤- أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً ... مر معناه قُلْ لهم يا محمد: هاتوا بُرْهَانَكُمْ أعطوا دليلكم على صحة ما تقولون من أن مع الله آلهة أخرى، هذا ذِكْرٌ مَنْ مَعِيَ أى هذا القرآن الذى فيه عظة أمتى و فيه كل ما تحتاج إليه فى معاشها و معادها و فيه ذِكْرٌ مَنْ قَبْلِي أى أخبار كتب سائر الأمم السابقة، و ليس فيه و لا فيها أن مع الله إلها آخر، بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ لَا يعرفونه فَهُمْ مُّعْرِضُونَ منصرفون عنه إلى الباطل الذى هو الشرك. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٣٢٩ ٢٥- وَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ ... أى ما من رسول أرسلنا من قبلك إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ نزل عليه الوحي بالتوحيد و الدعوة إليه، و بعبادتي دون شرك. ٢٦ و ٢٧- وَ قَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ... و هم خزاعة قبيلة خزاعة الذين قالوا: إن الملائكة بنات الله، و اليهود الذين قالوا: عزيز ابن الله، و النصارى الذين قالوا: المسيح ابن الله. سُبْحَانَ اللَّهِ تنزيها له عن ذلك، بَلْ عِبَادٌ يَقْرُونَ له بِالرَّبُوبِيَّةِ مُكْرَمُونَ أكرمهم الله و اصطفاهم لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ أى لا يتكلمون إلّا بما يأمرهم به ربهم. وَ هُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ و كذلك لا يعملون إلّا بما يأمرهم بعمله. ٢٨- يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ مَا خَلْفَهُمْ ... أى أنه سبحانه يدري ما الذى مضى من عملهم و الذى هو آت و لَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى و لا يطلبون الشفاعة إِلَّا عَمَّنْ ارْتَضَى اللَّهُ دينه وَ هُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ من مهابة الله مُشْفِقُونَ خائفون. ٢٩- وَ مِنْ يَقُولُ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِثْنِ دُونِهِ ... أى: و من يدع الألوهية من المخلوقين من دون الله فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ فَإِنْ عَذَابُ جَهَنَّمَ يكونان جزاء قوله هذا كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ أى بمثل هذا الجزاء نعاقب المشركين و الكافرين. ٣٠- أَوْ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ ... ألم ينظر الكافرون إلى خلق السماوات و الأرض و أنهما كانتا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا أى كانت السماء رتقا لا تمطر و كانت الأرض رتقا لا تنبت ففتقنا السماء بالمطر و الأرض بالنبات. وَ جَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أى جعلنا حياة كل حيوان من الماء لأنه مخلوق من النطفة التى هى ماء، أَفَلَا يُؤْمِنُونَ أَلَا يصدقون بعد رؤية الآيات المذكورة الدالة على وجود الصانع الحكيم. ٣١- وَ جَعَلْنَا فى الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ ... أى خلقنا فى الأرض الجبال الثابتة، حتى لا تضطرب الأرض بالناس و تهتز وَ جَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا أى فى الأرض جعلنا طرقا واسعة لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ أى ليستدلوا بها

على بلادهم و مواطنهم و مقاصدهم. ٣٢- وَ جَعَلْنَا السَّمَاءَ سَافًا مَحْفُوظًا ... أى جعلنا السماء كالسقف للكائنات بمجموعها، محفوظا عن الوقوع بقدرتنا، أو عن الشياطين يحفظها بالشهب وَ هُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ أى و الناس منصرفون عن التفكير بما فيها من آيات و دلالات. ٣٣- وَ هُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ ... كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ أى يجرون أو يدورون كل واحد منها فى فلكه المخصص له. ٣٤- وَ مَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ ... و معناها أننا لم نخلق قبلك يا محمد بشرا خالدا يعيش إلى الأبد و لا يموت. أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ يعنى هل إذا مت أنت يكون مشركو مكة خالدين فى الدنيا من بعدك؟ ٣٥- كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ... أى كل من قدم من باب مدينة العدم إلى ساحه عالم الوجود، فلا بد له أن يشرب شربته من كأس الفناء، وَ تَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَ الْخَيْرِ فِتْنَةً أى نختبركم بالمنح و المحن ابتلاء لكم. وَ إِنَّا تُرْجِعُونَ تَعْدُونَ لِلثَّوَابِ أو الانتقام. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٣٣٠ ٣٦- وَ إِذَا رَأَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَخَذُوا مِنْكَ إِلَّا هُزُوءًا ... أى حين يشاهدك الكافرون لا يذكرونك فيما بينهم إلا بالسخرية، أ هَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ؟ يعيب عبادتها و تأليهها وَ هُمْ يَذْكُرُ الرَّحْمَنَ هُمْ كَافِرُونَ يَقُولُونَ ذَلِكَ فى حال أنهم هم كافرون بالرحمان، وَ هُمْ أُولَى بِأَنْ يَسْتَهْزَأَ بِهِمْ. ٣٧- خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ... روى عن عطاء أن نصر بن الحارث كان يستعجل من النبى العذاب استهزاء، فأراد سبحانه أن ينهيه عن استعجاله العذاب لطفا منه بعباده. و قيل: المراد بالإنسان آدم (ع) لأنه لم يخلقه من نطفة ثم من علقه ثم من مضغه كما هو المعهود فى خلق الإنسان و إنما أنشأه إنشاء. و قيل: المراد بالإنسان نوعه. أى أنه فطر الإنسان على حب العجلة فى أموره. سَأُرِيكُمْ آيَاتِي أى سأجعلكم أيها البشر تنظرون إلى آياتي الدالة على وحدانيتي و على صدق محمد (ص) فيما يعدكم به من العذاب فى الدنيا و الآخرة فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ فلا تطلبوا منى تعجيل نعماتي. ٣٨- وَ يَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ: أى يسألون عنه على وجه الاستبعاد و الإنكار، و يقولون: فى أى وقت يجيء العذاب الموعود إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فيما تقولون؟ ٣٩- لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُونُ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَ لَا عَنْ ظُهُورِهِمْ أى: لو أن الكفار يعلمون الوقت الذى لا يستطيعون أن يدفعوا فيه النار عن وجوههم و ظهورهم حين تحرقها، لأنها تحيط بهم من كل الجهات وَ لَا- هُمْ يُنْصَرُّونَ يعانون على دفعها. ٤٠- يَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ ... أى أن النار تأتيتهم بعذابها الموعود فجاء فتوقعهم فى الحيرة فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا فَيَعْجِزُونَ عن دفعها وَ لَا هُمْ يُنْظَرُونَ فلا يمهلون ساعتئذ. ٤١- وَلَقَدْ اسْتَهْزَى بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ ... هذا تسلية للنبى (ص) فهو تعالى يخبره بأن الأمم السابقة قد سخرت من رسلها كما سخر منك قومك. فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ أحاط بهم جزاء استهزائهم بأقوالهم و أفعالهم. ٤٢- قُلْ مَنْ يَكْلُوكُمْ بِاللَّيْلِ وَ النَّهَارِ ... أى: يا محمد اسألهم من الحافظ لهم ليلا و نهارا مِنَ الرَّحْمَنِ؟ أى من بأس الله و عذابه و الاستفهام إنكارى أى لا حافظ لكم. بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ يعنى أنهم من فرط جحودهم لا يخطر الله ببالهم و لا يتذكرون أنه الحافظ لهم. ٤٣- أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا ... أى هل لهم أرباب غيرنا تقدر أن تمنع عذابنا عنهم. لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصِيرَ أَنْفُسِهِمْ لا يقدر أن يدفعوا عن ذاتهم فكيف ينصرون غيرهم؟ وَ لَا هُمْ مَنَّا يُصِيبُونَ أى و لا الكفار يجأرون لأن المجير صاحب المجار. ٤٤- يَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَ آبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ ... أى أمهلنا هؤلاء القوم الذين كذبوا برسلمهم كما أمهلنا آباءهم من قبل و لم نعاجلهم بالعقوبة حتى طالت أعمارهم فغرهم ذلك أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَا نَأْتِي الْمَأْرُضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أى: أفلم ير هؤلاء الكفار أن الأرض يأتيها أمرنا فننقصها بتخريبها و بموت أهلها. و قيل: بموت العلماء. أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ؟ فإنه سبحانه ينكر غلبتهم، فليسوا هم الغالبين بل نحن الغالبون. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٣٣١ ٤٥- قُلْ إِنَّمَا أُنْذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ ... قل يا محمد لهؤلاء الكفرة إننى إنما أخوفكم بما نزل على من ربى و حيا من عنده. فليس التهديد و الوعيد من عندى. وَ لَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنْذَرُونَ وَ لَا يَسْمَعُ الْإِنذار من كان به ثقل فى السمع أو عاهة تمنعه من السماع. ٤٦- وَلَكِنَّ مَسْئَلَهُمْ نَفْحَةً مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ ... أى إذا لامستهم لفحة من العذاب الذى أعدّه لهم ربك لَيَقُولُنَّ: يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ أى يدعون بالويل و الشور معترفين بكفرهم. ٤٧- وَ نَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ... أى أننا يوم القيامة نزل الأعمال بموازين العدل. فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَ إِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا فَلَظَمَ فى ذلك اليوم لأحد حتى و لو أن الإنسان أحسن بمِثْقَالِ حَبَّةِ الْخَرْدَلِ لَجِئْنَا لَهُ بِأَجْرِ إِحْسَانِهِ، وَ كَفَى بِنَا حَاسِبِينَ أى حافظين عالمين. و عن الإمام السجّاد (ع): عباد الله، إن أهل الشرك لا ينصب

لهم موازين ولا ينشر لهم دواوين، وإنما يحشرون إلى جهنم زمرا، وإنما نصب الموازين ونشر الدواوين لأهل الإسلام فاتقوا الله عباد الله. ٤٨- وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ ... أى: أعطيناهما الكتاب الذى يفرق بين الحق والباطل، وهو التوراة، وضيء نورا يهتدى به أتباعهما إلى الحق وَ ذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ أى عظة ونصحا للذين يعملون به ويتعظون. ٤٩- الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ ... أى الذين يحذرون الله حاله كونه غائبا عن جميع حواسهم، وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ خائفون من القيامة وأهوالها. ٥٠- وَهَذَا ذِكْرُ مُبَارَكٍ أَنْزَلْنَاهُ ... أى: وهذا القرآن أنزلناه من عندنا لتذكيركم وعظكم وهو ثابت ودائم نفعه فَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ هذا استفهام توبيخ أى فلم أنتم تجحدونه وترفضونه؟ ٥١- وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ ... أى أعطيناها الحجاج والبراهين التى توصله إلى الرشد من معرفة الله وتوحيده. والرشد هو ما فيه صلاح دينه ودنياه وقيل: الرشد هو النبوة والخلة، وقيل: هو الاهتداء والاستقامة على طريق الحق. مِنْ قَبْلُ أى من قبل بلوغه، أو من قبل موسى وهارون ومن قبلك يا محمد، وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ أى عارفين بأنه أهل لما أعطيناها من الرشد. ٥٢ و ٥٣ و ٥٤- إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ ... أى سأل أباه- هو عمه أو جدّه لأمه- وسأل قومه عن تلك الصور الممثلة التى هى مجسمات جامدة لا- روح فيها ولا حياة وهى الأصنام التى أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ أى مقيمون على عبادتها قالوا وَحِذْنَا آبَاءَنَا قَبْلَنَا لَهَا عَابِدِينَ يُوَدُّونَ الْعِبَادَةَ لَهَا ونحن على دين آبائنا قال إبراهيم لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ أى أنكم جميعا تائهون عن الحق ضائعون عن الهدى. ٥٥ و ٥٦- قَالُوا أَجِئْنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِينَ ...: سألوه هل أنت جاد فى قولك أم أنت لا-عب هازل فيه؟ قال لهم: بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أى بل إلهكم إله السموات والأرض الَّذِي فَطَرَهُنَّ سَوَّاهُنَّ عَلَى مَا هُنَّ عَلَيْهِ مِنْ نِظَامِ الْفِطْرَةِ وَالْخَلْقِ. وَأَنَا عَلَى ذِكْكُمْ أى على ما ذكرته لكم مِنَ الشَّاهِدِينَ الْمُحَقِّقِينَ الْمُشْتَبِينَ لَهُ. ٥٧- وَتَالَلَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعِيدًا أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ...: أى: والله لأحلن بها الكيد ولأدبرن طريقة تكسيرها تديرا خفيا عنكم يسوؤكم بعد أن تنطلقوا منصرفين. وقيل إنه كان لهم فى كل سنة عيد يجتمعون فيه، وكانوا إذا رجعوا منه دخلوا على الأصنام وسجدوا لها، وقد قالوا يومئذ: ألا- تخرج معنا، فخرج معهم ماشيا إلى أن كان فى بعض الطريق اشتكى من ألم فى رجله وتخلف عنهم. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٣٣٢ ٥٨- فَجَعَلْنَاهُمْ جُرَادًا لِلْإِنْسَانِ أَكْبَرًا لَهُمْ ... أى: فكسّرهم قطعاً قطعاً وترك أكبر الأصنام، ذاك الذى كان فى نظرهم عظيمها. لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ عسى أن يرجعوا إليه باعتباره الرئيس، ثم يسألونه عن شأن بقية الأصنام المحطمة فيستبصرون. ٥٩ و ٦٠- قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا ... إلخ. أى الذى صنع هذا الصنيع بأربابنا فإنه ظالم لنفسه لأنه سيقتل وظالم لنا ولأصنامنا. وقيل: من للاستفهام وليست موصولة. قَالُوا فيما بينهم: سَمِعْنَا فَتَى شَابَا فِتْيَا يَذْكُرُهُمْ بِالسُّوءِ وَيَعِيبُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ يدعى إبراهيم. ٦١- قَالُوا فَاسْتَأْذِنُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ ...: أى: جيئوا به على رأى من الناس لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ أى بما قاله فيكون ذلك حجة عليه. ٦٢ و ٦٣- قَالُوا أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ...: هل أنت الذى كسّر أصنامنا قال إبراهيم بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا أى صنع هذا التكسير كبير الأصنام فَشِئْلُوهُمْ اسألوا هذه الأصنام المحطمة إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ إذا كانوا يتكلمون. وقد علق إبراهيم (ع) فعلة بالأصنام على نطق عظيمها فى نظرهم والذى كان قد أبقي عليه وبذلك أعجزهم وبكتهم لأن الجمادات لا تنطق ولا تجيب، ومن كان هذا شأنه بحيث لا يسمع خطابا ولا يعقل ولا يحير جوابا بل لا يقدر على شىء فكيف يجوز أن يكون ربا ويحتل هذه المرتبة من الألوهية؟ بل كيف يجوز للإنسان أشرف المخلوقات أن يخضع له ويتذل أما فى حال ادّعائهم أن الأصنام تنطق وتجيب فسوف يفضحهم واقعها ويكذبهم حالها حين يسألونها فلا ترد، ولهذا لم يجدوا بدا من الاعتراف بالحقيقة إضافة إلى ضلالهم وقله عقلهم. ٦٤- فَزَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ: أى: فعادوا إلى التعقل والتدبر فى أنفسهم، فكانوا كأنهم يقول بعضهم لبعض: إنكم أنتم الظالمون لأنفسكم بعبادة هذه الأحجار. ٦٥- ثُمَّ نَكِسُوا عَلَى رُؤُسِهِمْ ... أى تحيروا و علموا أن أصنامهم لا تنطق فاعترفوا بما هو حجة عليهم لَقَدْ عَلِمْتَ عرفت أن ما هؤلاء يَنْطِقُونَ أن الأصنام لا تتكلم. ٦٦ و ٦٧- قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ؟ ... قال لم تعبدون أحجارا لا تجلب لكم نفعاً ولا تدفع عنكم ضرراً؟ أَفَ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أى: تبا لكم ولها، وقبحا لصنيعكم الذى لا يركز على معقول فى عبادة غير الله أَفَلَا تَعْقِلُونَ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ما أنتم عليه من الضلال؟ ٦٨- قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ

إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ: أى قال بعضهم لبعض: احرقوا إبراهيم بالنار دفاعاً عن آلهتكم إن كنتم تريدون تعظيمها ونصرتها. ٦٩- قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ: أى جعل الله تعالى النار كذلك برداً لا يضره، و سلاماً عليه، فلم تحرق منه إلّا وثاقه. ٧٠- وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ أى رغبوا فى كيد إبراهيم وقته، فانقلب عليهم مكرهم وخسرت صفقتهم. ٧١- وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا ... أى وخلصناه من كيد النمرود والهلاك بناره وكذلك نجينا لوطاً- ابن أخيه- الذى آمن به إلى الأرض التى باركنا فيها للعالمين وهى أرض الشام، وصفها سبحانه بالبركة لأنها أرض خصب وسعة وقيل المراد بالأرض المباركة بيت المقدس. ٧٢- وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ... أى أعطينا لإبراهيم ولده إسحاق حين طلب الولد ثم رزقه يعقوب نافلة أى زيادة من غير ابتداء دعاء منه (ع). وقيل: إنما كان يعقوب نافلة لأنه ابن إسحاق والعرب يقولون لولد الولد نافلة. وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ وجعلنا كل واحد منهم صالحاً للنبوّة من عبادنا المؤمنين. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٣٣٣ ٧٣- وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً ... أى قادة و سادة يَهْدُونَ يدلّون الناس إلى طريق الهدى بِأَمْرِنَا لهم بذلك لأنهم رسلنا إلى الناس. وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ أى أن يفعلوا الخيرات ويأمرؤا الناس بفعلها وإقام الصلاة تأديتها والمحافظة عليها، وَإِتْيَاءَ الزَّكَاةِ إعطاءها وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ لا يشركون بنا طرفه عين. وعن الصادق (ع) أن الأئمة فى كتاب الله عز وجل إمامان، قال تعالى: وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لا بأمر الناس، يقدمون ما أمر به الله قبل أمرهم، وحكم الله قبل حكمهم. وقال: وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ، يقدمون أمرهم على أمر الله، وحكمهم قبل حكم الله، يأخذون بأهوائهم خلاف ما فى كتاب الله، نعوذ بالله من ذلك. ٧٤- وَلُوطًا آتَيْنَاهُ ... ولوطاً أعطيناه حكماً وظيفة الفصل بين الناس، أو نبوّة، أو حكمه وعلماً معرفه بما يحتاج إلى العلم به وَنَجَّيْنَاهُ خَلَصْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْفَحْشَاءَ أى بلدة سدوم والقرى التى كانت تجاورها فإن أهلها كانوا ينكحون الرجال وكانوا قطاع طرق. بخلاء إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوَاءٍ فَاسِقِينَ فهم قوم كانوا يعملون السوء وكانوا خارجين عن طاعة الله. حيث كانوا يشهدون الزور ويتعاطون اللواط والسحاق والربا واللصوصية والكذب وغير ذلك من القبائح. ٧٥- وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ: أى شملناه بنعمتنا وفضلنا وهو من الأنبياء. وقيل: أى فعلنا به ذلك لأنه من عبادنا الذين يعملون الطاعات والقربات. ٧٦- وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِنْ قَبْلُ ... أى واذكر نوحاً حيث دعانا للحكم بينه وبين قومه الكافرين من قبل إبراهيم ولوط فَاسْتَجَبْنَا لَهُ أَجَبْنَاهُ لما طلب فَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ سَلَّمْنَاهُ هو ومن آمن به من أهله وغيرهم مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ الذى هو الغرق. ٧٧- وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ... أى جعلناه منصوراً عليهم بعد أن سخرؤا به وكذبوا بدلائلنا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوَاءٍ أَهْلَ شَرٍّ فَأَغْرَقْنَاهُمْ بماء الطوفان أَجْمَعِينَ بكاملهم. فلم ينج منهم أحد إلا المؤمنون الذين حملهم نوح (ع) معه فى فلكه. ٧٨- وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَخُكِّمَانِ فِي الْحَرْبِ ... أى واذكر القصة التى حدثت لداود وابنه سليمان حين حكما فى الزرع إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ أى رعاة قطع من الغنم وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ أى حاضرين. ٧٩- فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ... أى علمناه الحكمة فى ذلك، وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا أى كل واحد من داود وسليمان (ع)، أعطيناه الحكمة والعلم بأمور الدين والدنيا وَسَيَّخَرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ أى كلّفناها أن تسبح معه كما يسبح وتقّس كما يقّس. وَكُنَّا فَاعِلِينَ أى كنّا نحن فاعلين ذلك بقدرتنا. ٨٠- وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ ... أى علمنا داود صناعة الدروع لأجلكم حتى تنتفعوا به فى الحروب لِتُخَصِّصَ نَكُمُ تَحْمِيَكُمْ، مِنْ بَأْسِكُمْ أى من وقع السلاح وتأثيره فيكم. وقيل: من حربكم، فَهَوَّلُ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ... أى: هل أنتم حامدون لله على هذه النعمة؟ وهذا أمر فى صورة الاستفهام يعنى: اشكروا الله على هذه النعمة. ٨١- وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ ... أى: وسخرنا لسليمان الهواء المتحرك بقوة شديدة الهبوب تسير حسب رأيه و مبتغاه إلى الأرض التى باركنا فيها أى بيت المقدس أو بلاد الشام، أو كليهما. وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ أى أن ذلك كان يتم بعلمنا بما تقتضيه الحكمة والمصلحة. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٣٣٤ ٨٢- وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ ... أى: وسخرنا له جماعة من الشياطين يغوصون فى البحار ويستخرجون له نفائسها وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ من بناء المدن والقصور إلخ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ أى محافظين عليهم من أن يزيغوا عن أمره أو أن يفسدوا ما عملوا لرسوله. ٨٣- وَآيُوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ ... أى: اذكر يا محمد أيوب حين دعا ربه لما طال أمد المحنة عليه أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ والضّر بالضم يختص بما يصيب النفس من

أمراض أى نالنى المرض و أصابنى الجهد و أنت يا الله أرَحِّمِ الرَّاحِمِينَ لا أحد أرحم منك. ٨٤- فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ ... إلخ. أى سمعناه دعاءه و استجبنا لطلبه، و أزلنا الضر عنه و أمرنا بشفائه و معافاته من المرض و الآلام و آتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَ مِثْلَهُمْ مَعَهُمْ أى أعطيناه أهله و أرجعناهم له و كانوا قد أهلكوا و ثروته قد زالت، كل ذلك فعلناه له نعمة منا عليه و موعظة للناس ليعرفوا نتيجة الصبر على البلاء. ٨٥- وَ إِسْمَاعِيلَ وَ إِدْرِيسَ وَ ذَا الْكُفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ: أى و اذكر هؤلاء الرسل الذين كانوا صابرين على مشاق التكليف و على الشدائد و المصائب التى ابتلوا بها. ٨٦- وَ أَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِّنَ الصَّالِحِينَ: أى اخترناهم للنبوّة التى هى من أعظم الرحمة للعبد الصالح، و فعلنا ذلك بهم لأنهم من عبادنا الصالحين. ٨٧ و ٨٨- وَ ذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا ... اذكر يا محمد ذا النُّون: و هو صاحب الحوت، يونس بن متى (ع) الذى خرج من قومه قبل أن يأذن الله بذلك غضبانا عليهم لما رأى من عصيانهم و تماديهم فى الكفر فَظَنَّ حسب أن لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ أَنَا لَا نَضِيقُ عَلَيْهِ بما قضيناه من حبسه ببطن الحوت. فَنادى فى الظُّلُمَاتِ دعا و استغاث فى ظلمات: الليل، و بطن الحوت، و غمر الماء، أن لا إله إلا أنت لا رب سواك و لا معبود غيرك سُبْحَانَكَ تنزيها لك يا الله عن كل ما لا يليق بك إني كنت من الظالمين أى: كنت من الظالمين لأنفسهم حين تركت فعل الأولى حيث خرجت من قومي قبل صدور الإذن من عندك فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَ نَجَّيْنَاهُ مِنَ الْعَمِّ خَلَّصْنَاهُ مِنَ الضيق الذى حاق به أثناء حبسه فى بطن الحوت وَ كَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ أى إذا دعونا لرفع الشدة عنهم. ٨٩- وَ زَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ ... أى و اذكر يا محمد زكريا (ع) حين نادى داعيا الله رَبَّ لا تَذَرْنِي فَرْدًا أى لا تتركني أبتربلا- عقب و أنت خير الوارثين هذا ثناء منه على الله بأنه الحى الباقي بعد فناء الأشياء. ٩٠- فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَ وَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَ أَضْمَلْنَا لَهُ زَوْجَهُ ... أى سمعنا دعاءه، و أعطيناه ابنا اسمه يحيى (ع) و أعدنا لزوجه بعض شبابها لأنها كانت شيخه و كانت لا تحيض فحاضت، و قيل كانت عقيما فجعلناها ولودا. إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فى الْخَيْرَاتِ أى من ذكرنا كانوا يبادرون إلى أفعال الخير و يسبقون إليها غيرهم، وَ يَدْعُونَنَا رَغَبًا وَ رَهَبًا رَاغِبِينَ فى الطاعة محبين لها و خائفين من المعصية، وَ كَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ متواضعين. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٣٣٥ ٩١- وَ الَّتِي أَحْصَيْتُ فَرْجَهَا ... أى مريم ابنة عمران (ع) و المعنى: اذكر يا محمد مريم التى حفظت فرجها و عفت فالإحصان: كناية عن غاية العفة و الصون و كمال العصمة لأنها (ع) ما رآها أحد لأنها كانت منذ نعومة أظفارها قابضة فى المحراب تتبتل و تتهجد و تصلى لربها سبحانه فلم تبرز فى مناسبة من مناسبات قومها. فَفَخَنَّا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا أى أجرينا فيها روح المسيح (ع) كما يجرى الهواء بالنفخ. وَ جَعَلْنَاهَا وَابْنَةً لِّلْعَالَمِينَ و هى و ابنها (ع) معجزة خارقه للعادة و العرف لأنها جاءت به من دون أب. ٩٢- إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ... أى إن ملّة الإسلام ملّتكم حال كونها مجتمعة غير متفرقة و أنا ربُّكم خالقكم فَاعْبُدُونِ لا تشرکوا بى شيئا. ٩٣- وَ تَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاغِبُونَ: أى تفرقوا فى الدين، و التقطع بمنزلة التقطيع و ان كلّا ممن اجتمع أو افترق يرجع إلى حكمنا يوم القيامة. ٩٤- فَمَنْ يَعْمَلْ مِّنَ الصَّالِحَاتِ ... أى فمن يفعل ما أمرناه به من الطاعات و القربات وَ هُوَ مُؤْمِنٌ مُّصَدِّقٌ بِنَا وَ بَرَسْنَا فَلَا تُكْفَرَانِ لِسَعْيِهِ فلا تضيع لسعيه و لا جحود لعمله و إِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ أى و نحن نسجل له ذلك بواسطة ملائكتنا لنوقيه ثوابه. ٩٥- وَ حَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ: حرام هنا معناها: ممتنع رجوعهم إلى الدنيا أو إلى التوبة بعد إهلاكهم. و على هذين التفسيرين تكون لا مزيدة، و قيل عدم رجوعهم للجزاء ممتنع بل رجوعهم واجب للمجازاة. ٩٦- حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَ مَآجُوجُ ... هما قبيلتان من الناس، أى: حتى إذا فتح السد الذى يحيط بموطنهما. وَ هُم مِّنْ كُلِّ خِدْبٍ يَنْسِلُونَ وَ الحذب: التلّة من الأرض، أى يأتون مسرعين من كل ناحية و كل صوب يترابك بعضهم فوق بعض. و قيل: بأن ما تضمنته هذه الآية الشريفة هو من علائم قرب الفرج بخروج الإمام الحجة صاحب العصر و الزمان (ع) لأنه يسبق يوم القيامة، فيكون فتح سد يأجوج و مأجوج من علامات ظهوره (ع). ٩٧- وَ اقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ ... أى دنا الموعد الصدق و هو قيام الساعة فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارَ الَّذِينَ كَفَرُوا يعنى: فإذا القصة أن أبصار الكافرين تنظر و لا تكاد تطرف من شدة أهوال ذلك اليوم يا وَيْلَنَا فإنهم يدعون بالويل و الشبور فَذُكِّنَا فى غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا أى و يقولون: كنّا فى دار الدنيا ساهين عن هذا اليوم و تلك الأهوال بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ لأنفسنا بعبادة غير الله تعالى و تكذيب رسله. ٩٨- إِنَّكُمْ وَ مَا تَعْبُدُونَ مِّنْ دُونِ اللَّهِ ... أى أنتم و الأصنام حَصَبٌ جَهَنَّمَ يعنى حطبها و وقودها أَنْتُمْ لَهَا وَاِرِدُونَ

دخلون إليها. ٩٩- لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُّوهَا ... أَى لَوْ كَانَ مَا عِبَدْتُمُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ تَعَالَى أَرْبَابًا مَا دَخَلُوا جَهَنَّمَ وَكُلٌّ مِنَ الْعِبَادَةِ وَالْمَعْبُودِينَ فِيهَا فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ بِاقْوَانٍ إِلَى أَبَدِ الْأَبَدِ. ١٠٠- لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ: أَى لِلْكَفَّارِ فِي جَهَنَّمَ صَوْتُ كَصَوْتِ الْحِمَارِ وَهُوَ شَدِيدُ تَنَفُّسِهِمْ فِي النَّارِ عِنْدَ إِحْرَاقِهَا لَهُمْ وَلَا يَسْمَعُونَ فِيهَا مَا يَسْرَهُمْ. وَقِيلَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ قَالَ ابْنُ الزَّبْعَرِيِّ: قَدْ عَبدَ عَزِيرٌ وَعِيسَى وَالْمَلَائِكَةُ فَهَمَّ فِي النَّارِ. فَقَالَ (ص): إِنَّمَا عَبَدُوا الشَّيَاطِينَ الَّتِي أَمَرْتَهُمْ بِذَلِكَ، ثُمَّ نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ١٠١- إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى ... أَى مِنْ سَبَقَ لَهُ الْوَعْدُ بِالْجَنَّةِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ وَالْمُؤْمِنِينَ الصَّالِحِينَ. وَقِيلَ: الْحُسْنَى هِيَ السَّعَادَةُ. أُولَئِكَ عَنْهَا عَنْ جَهَنَّمَ مُبْعَدُونَ فِي مَكَانٍ بَعِيدٍ أَمِينٍ مِنْ أَنْ يَرَوْهَا. إِرْشَادُ الْأُذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ٣٣٦ ١٠٢- لَا يَسْمَعُونَ حَسِيرَةً ... لَا يَسْمَعُونَ صَوْتَ النَّارِ وَلَا زَفِيرَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ أَى هُمْ بِاقْوَانٍ مَنْعَمِينَ فِي كُلِّ مَا أَحَبَّتْ أَنْفُسُهُمْ. وَفِي كُلِّ مَا تَرَعِبَ فِيهِ إِلَى الْأَبَدِ. ١٠٣- لَا يَخْرُجُهُمُ الْفَرْعُ الْأَكْبَرُ ... لَا يَهْمُهُمْ هَوْلُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ الْأَعْظَمِ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ تَسْتَقْبِلُهُمْ قَائِلَةً: هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعِدُونَ هَذَا يَوْمُ النِّعَمِ الْمَقِيمِ الَّذِي وَعَدْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ فِي الدُّنْيَا. ١٠٤- يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجْلِ لِلْكِتَابِ ... أَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَطْوِي السَّمَاءَ بِقُدْرَتِنَا كَمَا تَطْوِي أَوْرَاقَ الْكِتَابِ كَمَا يَدُّنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ فَنَرْجِعُ الْخَلْقَ كَمَا بَدَأْنَاهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا نَقْلَتَهُ رَسَلْنَا لِلْعَالَمِينَ إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ إِنَّا صَانِعُونَ لَذَلِكَ كَمَا وَعَدْنَاكُمْ. لِأَنَّ قُدْرَتَنَا عَلَى الْخَلْقِ مِنَ الْعَدَمِ كَقُدْرَتِنَا عَلَى إِرْجَاعِ السَّمَاوَاتِ إِلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ قَبْلَ خَلْقِهَا فَقَدْ نَحَوَّلْنَاهَا دَخَانًا، ثُمَّ نَبَعَثَ الْخَلْقَ لِلْحَيَاةِ كَمَا بَدَأْنَاهُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ. ١٠٥ و ١٠٦- وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ ... أَى قَدْ أَنْزَلْنَا مَا قَضَيْنَاهُ مِنْ مَشِئَتِنَا، وَاثْبَتْنَاهُ فِي زُبُورِ دَاوُدَ (ع) مِنْ بَعْدِ إِثْبَاتِهِ فِي التَّوْرَةِ. وَقِيلَ: الزَّبُورُ كَتَبَ الْأَنْبِيَاءُ وَالذِّكْرُ اللُّوحُ الْمَحْفُوظُ. أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِي الصَّالِحُونَ يَمْلِكُهَا بَعْدَ انْقِضَاءِ الْأُمَمِ أَصْحَابُ الْإِمَامِ الْمَهْدِيِّ (عج) وَيَكُونُ ذَلِكَ فِي آخِرِ الزَّمَانِ. وَقَدْ رَوَى عَنِ النَّبِيِّ (ص): لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا يَوْمٌ وَاحِدٌ لَطَوَّلَ اللَّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ حَتَّى يَبِيعَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا بَعْدَ مَا مَلَأَتْ ظُلْمًا وَجَوْرًا. إِنَّ فِي هَذَا الَّذِي كَتَبْنَاهُ فِي اللُّوحِ الْمَحْفُوظِ وَفِي كِتَابِنَا الَّذِي أَنْزَلْنَا عَلَى رَسَلِنَا، لَبَلَاغًا وَإِعْلَامًا بَلَّغْنَاهُ لِقَوْمٍ عَابِدِينَ لَنَا بِإِخْلَاصٍ. ١٠٧- وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ: أَى لَمْ نَرْسَلْكَ يَا مُحَمَّدُ إِلَّا نِعْمَةً مِنَّا لِجَمِيعِ النَّاسِ. تَسَبَّبَ لَهُمُ السَّعَادَةُ الَّتِي أَعَدَدْنَاهَا لَهُمْ فِي دَارِ النِّعَمِ فِي الْآخِرَةِ مِنْ جِهَةٍ، وَتَسَبَّبَ لَهُمُ السَّعَادَةُ فِي مَعَاشِهِمْ فِي دَارِ الدُّنْيَا مِنْ خِلَالِ مَا حَمَلْتَهُ لَهُمْ مِنْ نِظَامِ حَيَاةٍ يَضْبِطُ سُلُوكَهُمْ وَيَتَعَالَى بِهِمْ فِي دَرَجَاتِ الْكَمَالِ الْإِنْسَانِيِّ. وَوَجْهٌ كَوْنُهُ (ص) رَحْمَةٌ لِلْكَافِرِينَ فَلَأَنَّ وَجْهَهُ الشَّرِيفَ رَفَعَ عَنْهُمْ الْخُسْفَ وَالْمَسْخَ وَالْعَذَابَ وَالِاسْتِنْصَالَ وَهُوَ مَا كَانَ يَنْزِلُ بِالْأُمَمِ السَّابِقَةِ عِنْدَ كُفْرِهَا بِرِسَالَاتِ اللَّهِ. ١٠٨ و ١٠٩- قُلْ إِنَّمَا يُؤْحِي إِلَيَّ ... الْخ ... مَرَّ تَفْسِيرُ هَذِهِ الْآيَةِ فِي آخِرِ سُورَةِ الْكَهْفِ. فَإِنْ تَوَلَّوْا إِذَا أَعْرَضُوا وَلَمْ يَسْلَمُوا فَقُلْ لَهُمْ آذَنْتُكُمْ أَعْلَمْتُكُمْ مَا أَمَرْتُ بِهِ عَلَى سَوَاءٍ مَسْتَوِينَ فِي ذَلِكَ وَلَمْ أَخْصِ بِإِعْلَامِي أَحَدًا دُونَ أَحَدٍ، وَإِنْ أَدْرَى أَى وَلَا أَعْلَمُ أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدُ مَا تُوعِدُونَ يَعْنِي أَجَلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ. ١١٠ و ١١١- إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ: أَى أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ السَّرَّ وَالْعَلَانِيَةَ وَإِنْ أَدْرَى وَلَا أَعْلَمُ لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ يَحْتَمِلُ أَنَّهُ اخْتِبَارٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ فَتَرْتَمِعُونَ بِهَا وَتَخْلَعُونَهَا عِنْدَ الْمَوْتِ كَمَا يَخْلَعُ الْمَتَاعُ الْبَالِي. ١١٢- قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ ... قُلْ يَا مُحَمَّدُ رَبِّ احْكُمْ بِمَا هُوَ عَدْلٌ مِنَ الْإِنْتِقَامِ مِنَ الظُّلْمَةِ، وَقُلْ رَبَّنَا الرَّحْمَنُ الْمُشْتَعَانُ أَى الَّذِي يُطْلَبُ مِنْهُ الْمَعُونَةُ لِلصَّبْرِ عَلَى مَا تَصِفُونَ مِنْ شُرُوكِكُمْ وَكَذِبِكُمْ عَلَى اللَّهِ. إِرْشَادُ الْأُذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ٣٣٧

سورة الحج مدنية، عدد آياتها ٧٨ آية

١- يَا أَيُّهَا النَّاسُ ... افْتَتَحَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ هَذِهِ السُّورَةَ الْمُبَارَكَةَ بِتَوْجِيهِ الْخُطَابِ لِلنَّاسِ عَامَةً مِنْ مُؤْمِنٍ وَكَافِرٍ وَذَكَرٍ وَأُنْثَى، وَحَاضِرٍ وَغَائِبٍ، وَمَوْجُودٍ بِالْفِعْلِ وَنَحْوِ سَيُوجَدُ مِنْهُمْ وَذَلِكَ بِجَعْلِ بَعْضِهِمْ مِنَ الْحَاضِرِينَ وَصَلَهُ إِلَى خُطَابِ الْكُلِّ لِاتِّحَادِ الْجَمِيعِ بِالنُّوعِ. رَأْفَةٌ بِهِمْ وَرَحْمَةٌ، فَأَنْذَرَهُمْ قَائِلًا: اتَّقُوا رَبَّكُمْ تَجَنَّبُوا مَخَالَفَتَهُ الْمَوْصَلَةَ لِعَذَابِهِ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ أَى زَلْزَلَةُ الْأَرْضِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَمْرٌ هَائِلٌ لَا يَتَحَمَّلُ. وَالزَّلْزَلَةُ وَالزَّلْزَالُ شِدَّةُ الْحَرَكَةِ عَلَى الْحَالِ الْهَائِلَةِ، وَكَأَنَّهُ مَأْخُوذٌ بِالِاشْتِقَاقِ الْكَبِيرِ مِنْ: زَلَّ، بِمَعْنَى زَلَقَ تَكَرَّرَ لِلْمَبَالِغَةِ، وَالإِشَارَةُ إِلَى تَكَرُّرِ الزَّلْزَلَةِ، وَهُوَ شَائِعٌ فِي نِظَائِرِهِ مِثْلُ: ذَبَّ وَذَبَذَبَ، وَدَمَّ وَدَمَدَمَ، وَكَبَّ وَكَبَكَ وَرَفَّ وَرَفَرَفَ وَغَيْرَهَا. ٢- يَوْمَ

تَرَوْنَهَا ... ذلك يوم القيامة بأهواله التي تَذْهَلُ تغفل وتلهي كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ عن رضيعها وتسهو وتضع كُلُّ ذاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا أى كل امرأة حبل، تسقط جنينها من الفزع والحمل بالفتح الثقل المحمول فى البطن كالولد فى البطن، وبالكسر الثقل المحمول فى الظاهر كحمل بعير- كما قال الراغب الأصبهاني- وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى من شدة الخوف وما هُمْ بِسُكَارَى من الشراب وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ والذى أحدث كل ذلك الذعر هو شدة عذاب الله فى ذلك اليوم. ٣- وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ... نزلت هذه الآية الكريمة فى النضر بن الحارث الذى كان ينكر البعث والحساب ويجادل فى ذلك عن جهل وهى تشمله وتشم كل واحد من الناس يناقش فى الأمور التى يجهلها بلا برهان. وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ أى يقلد ويطيع كل متمرد على حرمات الله. ٤- كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ ... أى سَجَل فى اللوح المحفوظ، أو فى علمه تعالى، أَنَّ مَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا فَهُوَ يَضِلُّهُ يغيوه وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ويدله على الطريق الموصلة لعذاب جهنم. ٥- يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبُعْثِ ... أى فى شك من النشور للمحشر فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ فنحن أوجدناكم من التراب بالأصل يعنى خلقه آدم (ع) ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ أى ثم خلقنا أولاد آدم من ماء قليل صاف يقذفه الذكر فى رحم الأنثى ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ قطعته من الدم جامدة ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ لحم كأنه ممضوغ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ أى تامه الخلقة وغير تامه. لِنُبَيِّنَ لَكُمْ لنوضح لكم بهذه الانتقالات والتبدلات على سبيل التدرج، قدرتنا وحكمتنا، وَنَقُرُّ فِي الْآرْحَامِ ما نَشَاءُ نبكى فى أرحام الأمهات ما نريد من الأجنه إلى أَجَلٍ مُّسَمًّى إلى زمان معين هو وقت وضعه. ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا أى نخرج كل واحد منكم طفلا من بطن أمه. ثُمَّ نَرِيكُمْ شَيْئًا فَنُشِئًا لِنَبْلُغُ أَشَدَّكُمْ لتصلوا إلى كمال قوتكم فى العقل والجسد. وقيل الأشد هو وقت البلوغ. وَمِنْكُمْ مَن يَتَوَفَّى يموت قبل بلوغ الأشد وَمِنْكُمْ مَن يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ أى إلى أسوأ العمر وأهونه عند أهله، وهى حال الهرم والخرف. لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا أى إلى وقت لا يستفيد فيه علما بل ينسى ما كان عالما به. وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً أى ميتة يابسة فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَإِذَا أَطْرَنَاها بالماء تحركت بالنبات وَرَبَتْ نمت وانتفحت وَانْتَبَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ من كل صنف من الزرع ذى رونق حسن. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٣٣٨ و ٧- ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ ... أى ذلك المذكور من أحوال الإنسان والأرض، كان بسبب أنه تعالى هو الثابت فى ذاته الذى يستحق العبادة وحده وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى يعيدهم بقدرته الكاملة. وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ مر معناه. وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أى وليعلموا أن القيامة جائية لا ريب فيها بدون شك وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ يحييهم ويعيدهم كما كانوا. ٨ و ٩- وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ... مر معناه قبل قليل. وَلَا هُدًى أى بلا حجة ولا دلالة. وَلَا كِتَابٍ مُّبِينٍ أى: ذى نور يهتدى به: أى ليس لديه حجة نقلية ولا عقلية. ثَانِي عَطْفِهِ لاويا عنقه متكبرا. لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ليصرف الناس عن الدين له فى الدنيا خِزْيٌ ذل وهو ان بالقتل وغيره. وَنَذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ أى النار التى تحرقهم. ١٠- ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ يَدَاكُمْ ... أى نقول له: بؤت بذلك الخزي والعذاب بما كسبت يداك أيها الكافر بنا. وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ يجرى العبد على قدر استحقاقهم دون زيادة أو نقصان. ١١- وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ ... أى أن بعض الناس يعبدون الله عبادة من يقف على طرف جبل أو غيره يكاد يقع عنه لأقل دفع أو أزمة. وقيل يعبد بلسانه دون قلبه، فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ أى إذا أصابه عافية أو مال أو رزق استقر على عبادة الله وَإِنْ أَصَابَتْهُ فَتْنَةٌ لَحِقَ بِهِ اخْتِبَارٌ وامتحان بمرض أو جذب أو نقصان مال انقلب على وجهه رجع عن دينه إلى وجهه الذى أتى منه، أى الكفر، خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ أى خسر الدنيا بفراقه جماعة المسلمين والآخرة بنفاقه وحبوط عمله. ذَلِكَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ الواضح العظيم. ١٢- يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ ما لا يضرُّهُ وما لا ينفعُهُ ... أى يتخذ معبودا من دون الله كالوثن الذى لا يضره إن لم يعبد ولا ينفعه إن هو عبده. ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ذلك الحال الموصوف من شأنه الكفر والضياح البعيد عن الحق. ١٣- يَدْعُوا لِمَن ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ ... هو يدعو معبودا غير الله توجب عبادته الضرر لأنها تؤدي إلى عذاب الدارين فضرر الصنم الذى يعبد أقرب له من نفعه لأنه لا يملك نفعا ولا يقدر عليه. لِبَسِّ الْمَوْلَى وَلِبَسِّ الْعَبْدِ أى ساء هذا الناصر وقبح هذا الصاحب المعاشر. ١٤- إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ... إلخ مر معناه. إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ يصنع ما يشاء بأهل طاعته من الكرامة وبأعدائه وأهل معصيته من الإهانة. ١٥- مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَن لَّنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ ... أى من شك

أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَنْصُرْ رَسُولَهُ بِإِعْلَاءِ كَلِمَتِهِ وَإِظْهَارِ دِينِهِ فِي الدُّنْيَا وَإِعْلَاءِ دَرَجَتِهِ وَالْإِنْتِقَامِ مِمَّنْ كَذَّبَهُ فِي الْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ أَيْ فَلْيَطْلُبْ وَسِيلَهُ يَصِلُ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ لِيَمْنَعَ نَصْرَ اللَّهِ نَبِيَّهُ فَلْيَنْظُرْ أَيْ فَلْيَتَفَكَّرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ أَيْ هَلْ يَذْهَبُ كَيْدُهُ وَغِيظُهُ مِنْ نَصْرِ اللَّهِ لِرَسُولِهِ؟ وَالْإِسْتِفْهَامُ إِنكَارِيٌّ أَيْ فَلَئِنْ يَذْهَبَ صَنْعُهُ ذَلِكَ، بَغِيظُهُ فَإِنَّ اللَّهَ نَاصِرُ رَسُولِهِ. إِرْشَادُ الْأَذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ٣٣٩ ١٦- وَكَذَلِكَ أَتَرْتَأُ... أَيْ كَمَا أَتَرْتَأُ تِلْكَ الْآيَاتِ الْمَذْكُورَةَ أَنْزَلْنَا الْقُرْآنَ بِتَمَامِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ حُجَجًا وَاضِحَاتٍ فِي الْعَقْدَةِ وَالْأَحْكَامِ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ يَوْفَقُ لِلْهَدْيِ مِنْ يَشَاءُ. وَالْجُمْلَةُ خَبَرٌ لِمَبْتَدَأٍ مَحْذُوفٍ، أَيْ وَالْأَمْرُ أَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ وَأَمَّا مَنْ لَا يُرِيدُ أَنْ يَهْدِيهِ فَلَا هَادِيَ لَهُ، فَمَجْرَدُ كَوْنِ الْآيَاتِ بَيِّنَاتٍ لَا يَكْفِي فِي هِدَايَةِ مَنْ سَمِعَهَا أَوْ تَأَمَّلَ فِيهَا مَا لَمْ يَرِدِ اللَّهُ هِدَايَتَهُ. ١٧- إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا... أَيْ أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ بِمُحَمَّدٍ وَكَذَلِكَ الْيَهُودَ مِمَّنْ آمَنَ بِمُوسَى وَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الرُّسُلِ الْوَاقِفُونَ فِيهِ وَكِتَابُهُمُ التَّوْرَةُ وَقَدْ أَحْرَقَهَا بَخْتِ نَصِيرٍ مَلِكِ بَابِلَ حِينَمَا اسْتَوْلَى عَلَيْهِمْ فِي أَوَاسِطِ الْقُرْنِ السَّابِعِ قَبْلَ الْمَسِيحِ ثُمَّ أَعَادَ كِتَابَتَهَا لَهُمْ عِزْرَا الْكَاهِنُ فِي أَوَائِلِ الْقُرْنِ السَّادِسِ قَبْلَ الْمَسِيحِ حِينَمَا فَتَحَ كُورَشُ مَلِكُ الْفَرَسِ بَابِلَ وَتَخَلَّصَ بَنُو إِسْرَائِيلَ مِنَ الْأَسْرِ وَرَجَعُوا إِلَى الْأَرْضِ الْمَقْدُسَةِ. وَالصَّابِئِينَ الَّذِينَ يَعْبُدُونَ الْكُوكَبَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ الَّذِينَ يَعْبُدُونَ النَّارَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا هُمْ عِبَادَةُ الْأَصْنَامِ إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِإِظْهَارِ الْحَقِّ مِنْهُمْ وَ الْمُبْطِلِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ فَهُوَ مُرَاقِبٌ لَهُمْ مُطَّلِعٌ عَلَى جَمِيعِ أَحْوَالِهِمْ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَ كُلِّ مَا يَصْدُرُ عَنْ مَخْلُوقَاتِهِ. ١٨- أَلَمْ تَرَ... أَيْ أَلَمْ تَعْلَمْ... أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ أَيْ مِنَ الْعُقَلَاءِ. وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ إلخ أَيْ يَسْجُدُ لَهُ جَمِيعُ هَذِهِ الْمَخْلُوقَاتِ سَجُودَ خُضُوعٍ وَانْقِيَادٍ لِمَا يُرِيدُ مِنْهَا. وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَعْنِي الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَسْجُدُونَ لِلَّهِ. وَكَثِيرٌ حَقٌّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ أَيْ مِنَ النَّاسِ بِكُفْرِهِ لِإِبَائِهِ الْإِنْقِيَادَ وَالسَّجُودَ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ أَيْ مَنْ يَحْتَقِرُهُ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرَمٍ لَا يَكْرُمُهُ أَحَدٌ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ مِنَ الْإِنْعَامِ وَالْإِنْتِقَامِ بِالْفَرِيقَيْنِ. ١٩- هَذَانِ خَصْمَانِ... أَيْ جَمْعَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْكُفَّارِ مِنْ أَهْلِ الْمَلَلِ الْخَمْسِ الْمَذْكُورَةِ يَعْنِي: الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ وَالْمَجُوسَ وَالْمُشْرِكِينَ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ أَيْ الْمُؤْمِنُونَ عَلَى حِدَةٍ، وَ الْكُفَّارُ بِأَجْمَعِهِمْ عَلَى حِدَةٍ، تَجَادَلُوا فِي دِينِ رَبِّهِمْ وَفِي أَحْقِيَّةِ كُلِّ مِنْهُمَا بَرَضَا اللَّهُ وَرِضْوَانَهُ. فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ أَيْ فَضِّلَ لَهُمْ أَلْبَسَهُ نَارِيَّةً عَلَى قَدَرِ جَثْثِهِمُ الْخَبِيثَةِ. وَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ الْخَدْرِيُّ: ثِيَابٌ مِنْ نَحَاسٍ أَذِيبُ بِالنَّارِ يَلْبَسُونَهَا. يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُسِهِمُ الْحَمِيمُ أَيْ الْمَاءُ الْمَغْلَى. ٢٠- يُصَيَّرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ: أَيْ يَذَابُ بِذَلِكَ الْحَمِيمِ أَحْشَاؤُهُمْ وَأَمْعَاؤُهُمْ وَالْجُلُودُ كَمَا يَذَابُ بِهِ جُلُودُهُمْ. ٢١- وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ: أَيْ سَيَاطُ أَوْ أَعْمَدَةٌ مِنْ حَدِيدٍ تُضْرَبُ بِهَا رُؤُوسُهُمْ. ٢٢- كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا: أَيْ قَارَبُوا الْخُرُوجَ مِنْ جَهَنَّمَ مِنْ غَمٍّ أَيْ أَلَمٍ الْعَذَابِ أُعِيدُوا فِيهَا ضَرْبًا بِتِلْكَ الْأَعْمَدَةِ وَالسَّيَاطِ وَذُوقُوا إِحْقَارًا: ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ أَيْ النَّارِ الْمَحْرَقَةِ. ٢٣- إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا... إلخ. أَيْ يَدْخُلُ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ وَبِرِسْلَةِ الْجَنَّةِ الْوَارِفَةِ الظَّلَالِ الْجَارِيَةِ الْمِيَاهِ يُحَلِّوْنَ فِيهَا يَلْبَسُونَ فِي الْجَنَّةِ حُلِيًّا مِنْ أَسَاوِرَ وَهِيَ مَا يَلْبَسُ فِي الْيَدِ. وَالْأَسَاوِرُ: جَمْعُ أَسُورَةٍ وَهِيَ جَمْعُ سَوَارٍ. مِنْ ذَهَبٍ وَلَوْثًا أَيْ وَ مِنْ لَوْلُؤٍ. وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ يَلْبَسُونَ فِي الْجَنَّةِ الدِّيَابِجَ الْخَالِصَ حَيْثُ لَبَسَهُ عَلَيْهِمْ فِي الدُّنْيَا. إِرْشَادُ الْأَذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ٣٤٠ ٢٤- وَهَدُّوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ: أَيْ أُرْشِدُوا فِي الْجَنَّةِ إِلَى كَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ وَالتَّوْحِيدِ أَوْ قَوْلِ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، أَوْ الْقُرْآنِ أَوْ إِلَى التَّحِيَّاتِ الْحَسَنَةِ الَّتِي يَحْيِي بِهَا بَعْضُهُمْ بَعْضًا نَفْسُهُمْ وَهَدُّوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ أَيْ دِينِ اللَّهِ الْمَحْمُودِ، أَوْ طَرِيقِ الْمَحَلِّ الْمَحْمُودِ وَهُوَ الْجَنَّةُ. ٢٥- إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصِيدُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ... أَيْ يَمْنَعُونَ النَّاسَ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ وَ عَطْفِ الْمَضَارِعِ عَلَى الْمَاضِي لِلدَّلَالَةِ عَلَى الْإِسْتِمْرَارِ، فَالْمَعْنَى أَنَّهُمْ مُسْتَمِرُّونَ عَلَى الصَّدِّ كَانُوا وَلَا- يَزَالُونَ مَانِعِينَ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ. وَالْمَسْجِدُ الْحَرَامُ أَيْ وَيَصْدُونَ عَنْ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ أَيْ الْمُقِيمُ فِي مَكَّةَ وَالْغَرِيبُ مُسَاوِيَانِ فِي الْقِبْلَةِ أَوْ فِي السَّكْنَى أَوْ فِي الْأَمْنِ مِنَ الْقَتْلِ وَالْأَسْرِ. وَمَنْ يُرِذْ فِيهِ بِالْحَادِ بَطْلَمٌ أَيْ: مَنْ يَقْصِدُ أَمْرًا فِيهِ مَلَابَسًا لِلْعَدُولِ عَنِ الْقَصْدِ أَيْ عَنِ الْحَقِّ إِلَى الْبَاطِلِ، وَ مَلَابَسًا لِلظُّلْمِ قِيلَ هُوَ الشَّرْكُ وَ عِبَادَةُ غَيْرِ اللَّهِ فِيهِ، وَقِيلَ كُلُّ شَيْءٍ نَهَى عَنْهُ نُذِقُهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ أَيْ نَعَذِّبُهُ عَذَابًا وَجِيعًا. ٢٦- وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ... أَيْ أَذْكَرَ يَا مُحَمَّدُ حَيْثُ أَحْلَلْنَا إِبْرَاهِيمَ (ع) أَوْ هَدَيْنَاهُ إِلَى مَكَانِ الْبَيْتِ حَتَّى يَعْمُرَهُ وَبَيْنَهُ أَنْ لَا تُشْرَكَ بِى شَيْئًا أَيْ أَوْحَيْنَا إِلَيْهِ بِأَنْ لَا- يَعْبُدَ غَيْرِي وَ طَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ أَيْ طَهَّرَهُ أَنْتَ وَابْنُكَ إِسْمَاعِيلُ مِنْ أَنْ

يدنسه الشرك، وقد مر تفسيره في سورة البقرة. ٢٧- وَ أَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ ... أى ناد فيهم وأعلمهم بوجوب الحج يأتوك رجالاً أى مشاءً وعلى كل ضامرٍ أى يأتوك ركباناً على نوق ضامرة مهزولة يأتين من كل فج عميق أى طريق بعيد. ٢٨- لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ ... أى ليحضرُوا فوائدهم الدنيوية وهى التجارات والأخروية كتعلم أحكام دينهم ونيلم عفو الله ورضوانه. وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ قيل هى العشر الأواخر من ذى الحجة وقيل هى أيام التشريق الثلاثة ويوم النحر. واختلف أيضاً فى هذا الذكر، قيل هو التلبية حين الإحرام وبعده والتكبير وغيرهما من الأذكار، وقيل هى التسمية على ما يذبح أو ينحر ويؤيد هذا المعنى الأخير قوله: عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ أى على ذبح ونحر ما رزقهم من الإبل والبقر والغنم. فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ الأمر بالأكل لنقض ما هو المرسوم عند المشركين من عدم أكل الذبيحة التى كانوا يذبحونها باسم آلهتهم، وأمرهم بأن يطعموا منها الفقراء والمساكين. والبايس أفقر من الفقير. ٢٩- ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ ... أى ليزيلوا وسخهم بتقليم الأظفار وقص الشوارب وحلق الرأس إلخ وَ لِيُوفُوا نُذُورَهُمْ أى ما نذروا من البر والطاعات وَلِيُطَوِّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ أى القديم لأنه أول بيت وضع، أو الكريم أو الحر. ٣٠- ذَلِكَ ... خبر للمبتدأ المحذوف، أى الأمر ذلك يعنى هكذا أمر الحج والمناسك وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَاتِ اللَّهِ أى أحكامه وما لا يحل هتكه فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ أى تعظيمها خير له ثواباً وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَامُ أى الثلاثة إلّا ما يُتْلَى عَلَيْكُمْ تحريمه فى قوله تعالى: حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ الْآيَةُ ٣ من المائدة فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ مِنْ، بَيِّنَاتِهِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ أى الكذب أو شهادة الزور أو الغناء إلخ. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٣٤١ ٣١- حُنْفَاءَ لِلَّهِ ... أى موحدين له غَيْرِ مُشْرِكِينَ أى مسلمين مخلصين لله لا يشركون فى تلبية الحج به أحداً. وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ، فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ أى فقد أهلك نفسه هلاك من سقط منها فَتَحَطُّهُ الطَّيْرُ أى تأخذه بسرعة أو تهوى به الرِّيحُ فى مَكَانٍ سَاحِقٍ أى تسقطه من مكان مرتفع إلى موضع عميق جدا. ٣٢- ذَلِكَ ... أى الأمر ذلك الذى ذكرنا وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ أى معالم دينه ومناهجه، قيل هى كل مناسك الحج. وقيل هى البدن إذا أشعرت بشق سنامها من الجانب الأيمن فَإِنَّهَا أى تعظيمها مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ناشئ من تقوى قلوبهم. ٣٣- لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعٌ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ... أى لكم أيها الناس فى الشعائر التى هى البدن منافع من شرب ألبانها وركوب ظهورها إلخ إلى أن يسمى هدفاً وذلك بوصولها إلى الكعبة أو منى. ثُمَّ مَحَلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ أى محل نحر الهدايا هو الكعبة فى العمرة المفردة ومنى فى الحج، وعندها تنقطع الاستفادة منها. ٣٤- وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْبَئاً ... أى لكل أهل دين جعلنا قرباناً أو ما يتعبد به ويتقرب به إليه تعالى، لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ الثلاثة أى عند ذبحها فَبِالْهُكْمِ إِلَهٌ وَاحِدٌ أى معبودكم لا شريك له فَلَهُ أَسْلِمُوا أى انقادوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ أى المطمئنين به تعالى والمتواضعين له. ٣٥- الَّذِينَ إِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ... أى خافت من هيئته وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ أى من المصائب وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ فى أوقاتها وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ فى الطاعات الواجب والندب. ٣٦- وَالْبُذْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ ... إلخ البُذْن جمع بدنه وهى الناقة أو البقرة المسمنة. جعلنا البدن لكم من أعلام ديننا وعلائم مناسك الحج وفى سوقها إلى البيت وتقليدها عبادة لله. لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ نفع ديني ودنيوي فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا أى عند نحرها صَوَافٍ أى حال كونها قائمة مقيدة فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا أى سقطت على الأرض بعد خروج تمام الروح منها فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ القانع الذى يقنع بما يعطى، والمعتَر الذى يعترض بسؤال أو بدونه. كَذَلِكَ أى الأمر كما وصفنا سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ ذَلَّلْنَاهَا لَكُمْ بخلاف السباع الممتنعة لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ نعمنا. ٣٧- لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤها ... أى لن تصعد إليه اللحوم ولا الدماء وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ أى يصعد إليه من هو من لازم عملكم هذا وهو التقوى كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ تقدم ذكره، لِيُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ أى أرشدكم لمعالم دينه ومناسك حجه. وقيل المراد بالتكبير هو ما يكون فى أيام التشريق: الله أكبر على ما هدانا. وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ أى الموحدين. ٣٨- إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا ... يدفع غائلة المشركين عنهم بأن يمنعهم عنهم وينصرهم عليهم. إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ وهم الذين خانوا الله بجعلهم شريكاً له و جحدوا نعمه. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٣٤٢ ٣٩- أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا ... إلخ أى رخص للمؤمنين أن يقتاتلوا المشركين بسبب مظلوميتهم من قبل المشركين وينصرهم الله عليهم. والقراءة الشائعة يُقَاتَلُونَ بفتح التاء مبنياً للمفعول، والباء فى

بأنَّهُمْ ظَلَمُوا لِلْسَّبِيَّةِ وفيه تعليل الإذن في القتال، وأما ما هو الظلم فتفسيره قوله: ٤٠- الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ ... إلخ. يعني ما كان موجب لإخراجهم من مكة بعد أن اضطروا بسبب الإيذاء سوى التوحيد الملازم للإقرار بالربوبية. وفيه إشارة إلى أن المشركين انحرفوا في فهمهم وألحدوا عن الحق إلى حيث جعلوا قول القائل: ربنا الله، وهو كلمة الحق، يبيح لهم أن يخرجوه من داره. و توصيف الذين آمنوا بهذا الوصف- كونهم مخرجين من ديارهم- وهو وصف بعضهم وهم المهاجرون، من باب توصيف الكل بوصف البعض بعناية الاتحاد والائتلاف فإن المؤمنين إخوة وهم يد واحدة على من سواهم. وَلَوْ لَا دَفَعَ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ أَى بنصر المؤمنين على الكفار لَهَدَمَتْ صَوَامِعُ جَمْع صومعه وهي معبد الرهبان وَيَبِيعُ جَمْع يبعه وهي معابد النصارى وَصَلَوَاتُ أَى معابد اليهود وَمَسَاجِدُ وهي معابد المسلمين يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا صفة للأربع أو للمساجد فقط، إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَلَى النَّصْرِ عَزِيزٌ لَا يَغْلِبُ. وفي الآية إشارة إلى أن القتال في الإسلام من فروع هذه السنة الفطرية الجارية وهي دفع الناس بعضهم بعضا عن شؤون حياتهم، وإذا نسب إلى الله كل ذلك دفعه الناس بعضهم ببعض حفظا لدينه عن الضياع. ٤١- الَّذِينَ إِنْ مَكَانَهُمْ فِي الْأَرْضِ ... إلخ بدل مَنْ يَنْصُرُهُ أو وصف للذين أخرجوا. ومعنى التمكن في الأرض هو إعطاء السلطان والقدرة عليها وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ أَى تصير إليه بلا منازع. ٤٢ إلى ٤٤- وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ ... إلخ وإن يكذبك قومك يا محمد فقد كذبت كل أمه من هذه الأمم نبيا وهذه الآيات الكريكات تسلياً للنبي (ص). وَكَذَّبَ مُوسَى تَغْيِير النظم وإيراد الفعل مجهولا للإشارة بأن المكذبين لموسى ما كانوا من قومه وأن المكذبين له هم القبطيون. فَآمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ أَى أمهلتهم فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ أَى إنكارى عليهم بالانتقام منهم في الدنيا والآخرة. ٤٥- فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا ... أَى خاليه من أهلها ساقطة حيطانها على سقوفها وَبُئِرَ مُعْطَلَةٌ أَى متروكة بموت أهلها وقيل: الإمام الصامت. وَقَصُرَ مَشِيدٌ أَى رفيع مجصص تداعى الخراب بهلاك أهله. وقيل: هو الإمام الناطق. ٤٦- أَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ؟ ... هذا حث لهم على أن يسافروا ليروا مصارع المهلكين فيعتبروا بعد ما يدركوا أن الذي وقع بهم إنما وقع لشركهم بالله وإعراضهم عن آياته واستكبارهم على الحق بتكذيب الرسل، فيردعه كل ذلك عن أن يحذو حذوهم ويسلك طريقهم. فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَى ما يجب أن يعقل أو آذانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا أَى ما يجب أن يسمع فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ أَى أن العيون لا- تعمى لأنه ليس في مشاعرهم خلل ولا عيب، ولكن تعمى البصائر عن مشاهدة العبر فالعمى الحقيقي هو عمى القلب. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٣٤٣ ٤٧- وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ ... الموعود به، ولا يخفى أن استعجالهم كان استهزاء برسول الله (ص) وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَالْحَالُ أَنَّهُ تَعَالَى يَمْتَنِعُ الْخَلْفُ فِي وَعْدِهِ بِإِنْزَالِ الْعَذَابِ. قيل: يعني يوم بدر. وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ أَى يوما من أيام العذاب في الآخرة كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ مِمَّا تحسبون في الدنيا. وتضمن هذا حكما بتساوي اليوم الواحد والألف سنة عند الله تعالى، فلا يستقل هذا ولا يستكثر ذاك حتى يتأثر من قصر اليوم الواحد وطول الألف سنة، فليس يخاف الفوت حتى يعجل لهم العذاب، بل هو حليم ذو أناء يمهلهم حتى يستكملوا دركات شقائهم ثم يأخذهم فيما قَدَّرَ لَهُمْ مِنْ أَجَلٍ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ وَلِذَلِكَ عَقِبَ الْكَلَامِ بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ٤٨- وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا ... أَى كم من قرية أمهلتها كما أمهلتهم الآن وَهِيَ ظَالِمَةٌ مُسْتَحَقَّةٌ لِلْعِقَابِ بِكُفْرِهَا ثُمَّ أَخَذْتُهَا أَهْلَكْتُهَا وَإِلَى الْمَصِيرِ مرجع الجميع. وفيه بيان وجه عدم تعجيله العذاب لأنه لما كان مصير كل شيء إليه فلا يخاف الفوت حتى يأخذ الظالمين بعجل. ٤٩- قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ... قل يا محمد للناس أنا مخوف لكم من عذاب الله إن كفرتم به وعصيته. ٥٠- فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ ... لطاعتهم الله سبحانه. وَرِزْقٌ كَرِيمٌ وهو نعيم الجنة. ٥١- وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ ... أَى الذين بذلوا طاقتهم في إبطال دلائلنا وحججنا. أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ هم أهل النار الملازمون لأسفل دركات جهنم. ٥٢- وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ ... أَى لم نرسل قبلك يا محمد رسولا ولا نبيا إِلَّا إِذَا تَمَنَّى تَلا ما أوحينا به إليه من تمنى الكتاب: أَى قرأه وتلاه. أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ أَدخَلَ فِي تَلَاوَتِهِ ما يوهم أنه من جملة الوحي والإلقاء في الأمانة: المداخله فيها بما يخرجها عن صفائها ويفسد أمرها. فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ أَى يزيله ويبطله بظهور حججه ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ يثبتها و يقرها كما نزلت من عنده. وَ

اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ مر معناه. ٥٣- لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ... أى ليصير إلقاء الشيطان امتحانا واختبارا لمرضى القلوب و مزعزعى العقيدة و الفاسية قلوبهم المتحجرة التى لا يلجها ذكر الله و إِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ لفى خلاف بعيد عن الحق. ٥٤- وَلَيَعْلَمَنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ ... أى ليعرف الذين منحوا المعرفة بتوحيد الله و بمنهج الحق و طريق الصواب، أن هذا القرآن حق من ربك يا محمد لا يجوز عليه التبديل و التحريف. فَيُؤْمِنُوا بِهِ يَصْدَقُوا بِهِ فَتُحْبَتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ تخشع و تطمئن للقرآن أو لله. و إِنَّ اللَّهَ لَهَادٍ لِلَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ أى طريق واضح لا عوج فيه و هو الإسلام. ٥٥- وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ ... أى فى شك من القرآن حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً إِلَى أَنْ يَجِىءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ عَقِيمٍ أو يجيئهم عذاب يوم القيامة الذى يسمي عقيما لأنه لا مثيل له فى الشدة. أو لأنه لا يخلف يوما بعده. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٣٤٤ ٥٦ و ٥٧- الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ... ففى يوم القيامة لا يملك أحد سواه شيئا لأن الحكم من فروع الملك فإذا لم يكن لأحد يومئذ نصيب فى الملك لم يكن له نصيب فى الحكم. و يومها يفصل بين المؤمنين و الكافرين فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ يَتَنَعَّمُونَ بِعَطَايَاهِ السَّيِّئَةِ خَالِدِينَ فِيهَا وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِنَا وَبِالرُّسُلِ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أَنْكَرُوا دَلَانًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ عذاب يهانون فيه و يحترقون. ٥٨ و ٥٩- وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا ... أى الذين فارقوا أوطانهم ثم قتلوا فى الجهاد أو ماتوا فى ديار هجرتهم أو فى الطريق و إنما قيد الهجرة بكونها فى سبيل الله، لأن المثوبة إنما تترتب على صالح العمل، و إنما يكون العمل صالحا عند الله بخلوص النية فيه و كونه فى سبيله لا فى سبيل غيره من مال أو جاه أو غيرهما من المقاصد الدنيوية، و بذلك يقيد أيضا قوله: ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا: أى قتلوا فى سبيل الله أو ماتوا و قد اغتربوا فى سبيله. لِيَرْزُقَهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسِينًا وَ هُوَ الْجَنَّةُ وَ إِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ بل لا رازق سواه بالحقيقة لأنه هو مسبب الأسباب للحصول على رزقه لِيَدْخُلْنَهُمْ مُدْخِلًا يُرْضَوْنَهُ ليدخلهم الجنة التى يرضونها و يحبونها و إِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ عليم بأحوال الكفار و غيرهم و يمهل الكافر و يلفظ بالمؤمن. ٦٠- ذَلِكَ ... أى أمر الله ذلك الذى ذكرنا و مَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ أى جازى من ظلمه بمثل ما ظلمه به و إنما سميت المجازاة عقابا لأنها تأتى بعد الفعل. ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ أى عاوده الظالم بالظلم لِيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ يعنى المظلوم الذى بغى عليه إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ للمنتصر. و فيه إحياء بأن العقاب و إيصال المكروه إلى الناس مبغوض فى نظام الحياة، غير أن الله سبحانه يحو ما فيه من المبعوضة و يستر على أثره السيئ إذا كان عقابا من مظلوم لظالمه الباغى عليه بمثل ما بغى عليه، فيجيز له ذلك و لا يمنعه بالتحريم و الحظر. ٦١- ذَلِكَ ... أى المذكور من النصير الإلهي للمظلوم على الباغى بِأَنَّ اللَّهَ أى بسبب أنه تعالى قادر على أَنْ يُوَلِّجَ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ أى يدخل كلا منهما فى الآخر بنقصان زمان كل واحد و زيادته على الآخر وَ أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ مر معناه. ٦٢- ذَلِكَ ... أى اتصافه بكمال القدرة و العلم بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ بسبب أنه تعالى هو الثابت فى نفسه و الواجب بذاته لذاته وَ أَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَٰهًا هُوَ الْبَاطِلُ أى ما يعبدونه من الأصنام هو زائل و زاهق وَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ فهو فى ذاته أعلى ممن سواه و فى سلطانه أكبر مما عداه. فعَلَوَهُ تعالى بحيث يعلو و لا يعلى عليه و كبره سبحانه بحيث لا يصغر لشيء بالهوان و المذلة من فروع كونه حقا أى ثابتا لا يعرضه زوال و موجودا لا يمسه عدم. ٦٣ و ٦٤- أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ ... هذه الشريفة و الآيات الثلاث بعدها جرت فى بيان قدرته الكاملة و حكمته التامة فهو جَلَّتْ قدرته أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ فُصَارَتْ الْأَرْضُ مُخَضَّرَةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ بالأعشاب و النباتات و الأشجار، لَهُ وَ هُوَ مَالِكٌ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ وَ إِنَّ اللَّهَ وَ هُوَ الْغَنِيُّ عن خلقه الْحَمِيدُ المحمود فى كل شأنه. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٣٤٥ ٦٥ و ٦٦- أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَ الْفُلْكَ تَجْرَى فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَ يَمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ ... أى آخر الآيات الثلاث فتدمرها رأفة منه بعباده و لطفها بهم، كما أنه تعالى هو المحيى المميت المعيد بعد الموت، و هذه الحياة ثم الموت ثم الحياة من النعم الإلهية العظيم احتم بها الامتنان، و سياق الماضى فى أَحْيَاكُمْ يدل على أن المراد به الحياة الدنيا، و أهمية المعاد بالذكر تستدعى أن يكون المراد من قوله: ثُمَّ يُحْيِيكُمْ، الحياة الآخرة يوم البعث دون الحياة البرزخية. و لكن الإنسان لَكُفُورٌ جحود بهذه النعم التى منحه الله سبحانه إياها. ٦٧- لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا نَسِيكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ... أى قَرَرْنَا لكل قرن ممن مضى شريعته

هم عاملون بها. فالمنسك : مصدر ميمي بمعنى النسك و هو العبادة، و ليس اسم مكان كما احتمله بعضهم. و المراد بكل أمة هي الأمة بعد الأمة من الأمم الماضين حتى تنتهي إلى هذه الأمة دون الأمم المختلفة الموجودة في زمانه (ص) كالعرب و العجم و الروم لوحدة الشريعة و عموم النبوة. فَلَا يُنَازِعُكَ فِي الْأَمْرِ فَلَا يَجُوزُ لَهُمْ أَنْ يَجَادُلُوكَ فِي أَمْرِ الدِّينِ وَأَحْكَامِهِ لِأَنَّ اللَّهَ وَحْدَهُ يَمْلِكُ حَقَّ التَّشْرِيعِ، رَفَعَا وَوَضَعَا وَادَّعَى إِلَى رَبِّكَ أَى إِلَى تَوْحِيدِهِ وَ دِينِهِ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ أَى أَنْتَ عَلَى دِينٍ وَاضِحٍ لَا- عَوجَ فِيهِ وَ لَا خَلَلَ. وَ وَصَفَ الْهُدَى بِالْإِسْتِقَامَةِ مِنَ الْمَجَازِ الْعَقْلِيِّ. ٦٨- وَ إِنْ جَادَلُوكَ ... أَى إِذَا نَاقَشُوكَ فِي أَى حَكَمٍ مِنْ أَحْكَامِ الدِّينِ فَقُلْ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ فَهُوَ يَعْرِفُ حَالَكُمْ وَ يَجَازِيكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ. وَ فِيهِ تَهْيِيدٌ وَ تَوَطُّئٌ إِلَى إِرْجَاعِهِمْ إِلَى حَكَمِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَ لِذَلِكَ قَالَ: ٦٩- اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ... إلخ أَى هُوَ سُبْحَانَهُ يَفْعَلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا اخْتَلَفْتُمْ بِهِ مِنْ أَمْرِ الدِّينِ. ٧٠- أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ ... إلخ هذه الكريمة تسليمه للنبي لأنه يعرف أن الله علمه محيط بعجائب العلويات و غرائب السفليات و ليس شىء يخفى عليه، إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابِ أَى الْعِلْمِ بِجَمِيعِ الْأَشْيَاءِ مُثَبَّتٌ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ. إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ أَى إِثْبَاتُهُ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ أَمْرٌ سَهْلٌ لَا يَحْتَاجُ إِلَى مَعَالِجَةٍ بِأَدَوَاتٍ كِتَابِيَّةٍ بَلْ يَتِمُّ بِقَوْلِهِ كُنْ. ٧١- وَ يُعْجِزُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ... إلخ. أَى يَخْضَعُونَ لِلْأَصْنَامِ وَ نَحْوِهَا مِنْ غَيْرِ عِلْمٍ ضَرُورَى بِجَوَازِ عِبَادَتِهِمْ وَ لَا اسْتِدْلَالٍ عَقْلِيٍّ، وَ لَا نَقْلِيٍّ بَلْ عَنْ جَهْلِ وَ تَقْلِيدٍ وَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ أَى لَيْسَ لِلْمُشْرِكِينَ مِنْ يَدْفَعُ الْعَذَابَ عَنْهُمْ لَا فِي الدُّنْيَا وَ لَا فِي الْآخِرَةِ. ٧٢- وَ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ ... أَى إِذَا قُرِئَتْ عَلَيْهِمْ حُجُجُنَا وَاضِحَاتُ الدَّلَالَةِ عَلَى دَعَاؤِ رُسُلِنَا وَ أَنْبِيَائِنَا تَرَى فِي وَجْهِ الْكَافِرِينَ الْمُنْكَرَ الْإِنْكَارِ أَى أَثَرَهُ مِنَ الْعَبُوسِ وَ الْإِشْمِزَازِ يَكَادُونَ يَشِطُّونَ أَى يَبْطِشُونَ وَ السُّطُوءُ: كَمَا عَنْ الطَّبْرَسِيِّ: إظهار الحال الهائلة للإخافة. بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ أَى مِنْ غَيْظِكُمْ عَلَى التَّالِينَ لآيَاتِنَا النَّارِ أَى هُوَ النَّارِ. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٣٤٦ ٧٣- يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ ... أَى سَمَاعٌ تَدَبَّرَ وَ تَفَكَّرَ وَ الْمَثَلُ هُوَ الْوَصْفُ الَّذِي يُمَثِّلُ الشَّيْءَ فِي حَالِهِ سَوَاءٌ كَانَ وَصْفًا مُحَقَّقًا وَاقِعًا أَوْ مَقْدَرًا مُتَخَيَّلًا كَالْأَمْثَالِ الْمُشْتَمِلَةِ عَلَى تَحَاوُرِ الْحَيَوَانَاتِ أَوْ الْجَمَادَاتِ أَوْ غَيْرِهَا. إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَى إِنْ الْأَصْنَامَ الَّتِي تَعْبُدُونَهَا لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَ لَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ أَى لَيْسُوا بِقَادِرِينَ عَلَى خَلْقِ ذَبَابٍ مَعَ صِغَرِ حُجْمِهِ وَ حَقَارَتِهِ وَ إِنْ تَعَاوَنُوا جَمِيعًا عَلَى ذَلِكَ. وَ إِنْ يَشَاءُ رَبُّهُمْ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفِيدُونَ مِنْهُ أَى لَوْ سَلَبَ الذُّبَابُ مِمَّا عَلَى آلِهَتِهِمْ الَّتِي يَعْبُدُونَهَا مِنَ الطَّيِّبِ وَ الْعَسَلِ الَّذِي كَانُوا يَلْطَخُونَهَا بِهِ لَا تَسْتَطِيعُ تِلْكَ الْأَلْهَةُ اسْتِرْجَاعَهُ مِنْهُ. ضَعْفُ الطَّالِبِ وَ الْمَطْلُوبُ أَى الذُّبَابُ وَ الْأَصْنَامُ. وَ فِي هَذِهِ الْجُمْلَةِ بَيَانُ غَايَةِ ضَعْفِهِمْ، فَإِنَّهُمْ أَضْعَفُ مِنْ أَضْعَفٍ مَا يَسْتَضَعِفُهُ النَّاسُ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ الَّتِي فِيهَا شَيْءٌ مِنَ الشُّعُورِ وَ الْقُدْرَةِ. ٧٤- مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ... أَى مَا عَرَفُوهُ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ وَ مَا نَزَّلُوهُ الْمَنْزِلَةَ الَّتِي يَسْتَحِقُّهَا وَ مَا عَامَلُوهُ بِمَا يَلِيْقُ بِهِ حَيْثُ جَعَلُوا الْأَصْنَامَ شُرَكَاءَ لَهُ وَ فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى عَدَمِ التَّرَامِهِمْ بِرَبوبيته و إِعْرَاضِهِمْ عَنْ عِبَادَتِهِ. إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ أَى قَادِرٌ وَ غَالِبٌ وَ لَيْسَ شَيْءٌ يَغْلِبُهُ. ٧٥ وَ ٧٦- اللَّهُ يَضِيغُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَ مِنَ النَّاسِ ... فَهُوَ وَحْدَهُ سُبْحَانَهُ يَخْتَارُ مِنْ بَيْنِ مَلَائِكَتِهِ رُسُلًا يَحْمِلُونَ الْوَحْيَ إِلَى مَنْ يَخْتَارُهُمْ مِنْ بَيْنِ النَّاسِ رُسُلًا لِلْبَشَرِ، وَ هُوَ إِنْ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ مَرَّعًا. يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ مَا خَلْفَهُمْ مَا فَعَلُوهُ سَابِقًا وَ مَا سَيَفْعَلُونَهُ آتِيًا وَ إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ تَعُودُ الْأُمُورُ كُلُّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَحْكُمُ فِيهَا وَ يَجَازِي عَلَيْهَا. ٧٧- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ... إلخ. خُطَابٌ مِنْهُ تَعَالَى لِلْمُؤْمِنِينَ اعْتِنَاءٌ بِهِمْ لِيَرْكَعُوا لَهُ وَ يَسْجُدُوا إِجْلَالًا- لِعَظَمَتِهِ، وَ لِيَعْبُدُوا خَالِقَهُمْ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَكُونُوا مِنَ النَّاجِحِينَ الْفَائِزِينَ بِمَرْضَاتِهِ. ٧٨- وَ جَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ... قِيلَ: حَقَّ الْجِهَادِ أَنْ يَكُونَ بَنِيَّةً صَادِقَةً خَالِصَةً لِلَّهِ تَعَالَى عَنِ الرِّيَاءِ وَ السَّمْعَةِ وَ غَيْرِهِمَا فِي أَى جِهَةٍ مِنْ جِهَاتِ الْجِهَادِ لِلْعَدُوِّ كَانَ أَوْ لِلنَّفْسِ وَ هَذَا نَضِيرٌ تَقْوَى اللَّهِ حَقَّ تَقَاتِهِ. هُوَ اجْتِبَاؤُكُمْ اخْتَارَكُمْ وَ مَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ أَى أَنَّهُ تَعَالَى لَمْ يَضِيقْ عَلَيْكُمْ أَمْرَ الدِّينِ وَ لَمْ يَكْلِفْكُمْ مَا لَا تَطِيقُونَهُ. وَ هَذَا امْتِنَانٌ مِنْهُ تَعَالَى عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، بِأَنَّهُمْ مَا كَانُوا لِيَنَالُوا سَعَادَةَ الدِّينِ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ وَ بِحَوْلِهِمْ غَيْرَ أَنَّ اللَّهَ مَنْ عَلَيْهِمْ فَوْقَهُمْ لَدِينَهُ وَ رَفَعَ عَنْهُمْ كُلَّ حَرَجٍ فِيهِ فَهُوَ دِينُ السَّمَاةِ وَ الْيَسْرِ. مَلَأَ أَيْبَكُمْ إِبْرَاهِيمَ أَى دِينَهُ لِأَنَّ مَلَأَ إِبْرَاهِيمَ دَاخِلَهُ فِي مَلَأَ مُحَمَّدٍ (ص) وَ إِنَّمَا سَمَّاهُ أَبَا الْجَمِيعِ لِأَنَّ حُرْمَتَهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ كَحُرْمَةِ الْوَالِدِ عَلَى الْوَلَدِ فَالْغَالِبُ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ أَوْلَادُهُ هُوَ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلِ أَى إِبْرَاهِيمَ (ع) إِشَارَةٌ لِدَعَائِهِ (ع) (و مِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةٌ مُسْلِمَةٌ) قَبْلَ نَزُولِ الْقُرْآنِ وَ فِي هَذَا وَ فِي هَذَا الْقُرْآنِ خَاصَّةً. لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ: لِيَكُونَ مُحَمَّدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ بِطَاعَتِكُمْ أَوْ بِعَصْيَانِكُمْ وَ تَكُونُوا بِشَهَادَتِهِ

(ص) لكم بالإيمان والطاعة أيها المسلمون شهداء على الناس إلتخ بتبليغ رسلكم إليهم فحافظوا على صلاتكم وأدوا زكاتكم وَاغْتَصِمُوا بِاللَّهِ تَمَسَّكُوا بِدِينِهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ ناصركم ومتولى أموركم، و هو فَنِعَمَ الْمَوْلَى لِمَن تَوَلَّاهُ وَ نِعَمَ النَّصِيرِ لِمَن اسْتَنْصَرَهُ بلوغ الفوز في الدارين. و الحمد لله وحده. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٣٤٧

سورة المؤمنون مكية، عدد آياتها ١١٨ آية

١- قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ... الفلاح هو الظفر بالمطلوب و النجاة من المرهوب أى فازوا بما طلبوا. و الفلاح - كما عن الراغب - ضربان: دنيوى و أخروى، فالدنيوى الظفر بالسعادات التى تطيب بها الحياة الدنيا و هو البقاء و الغنى و العز. و الأخروى أربعة أشياء: بقاء بلا فناء، و غنى بلا فقر، و عز بلا ذل، و علم بلا جهل، و لذلك قيل: لا عيش إلا عيش الآخرة. ٢- الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ... أى خاضعون متذللون متوجهون بقلوبهم و عقولهم و أجسادهم إليه وحده. ٣- وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ... اللغو كل قول أو فعل ساقط لا فائدة مرجوة منه و حقه أن يلغى و يدخل فيه الغناء و الملاهى، فالمؤمنون منصرفون عن كل ذلك. ٤ و ٥ و ٦- وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ... أى مؤدون بشرائطها. وَالَّذِينَ هُمْ لِقُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ يَحْفَظُونَ أنفسهم من تعاطى الزنا و المحرمات الجنسية و لا يأتون سوى أزواجهم أو ما مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ أى الإماء التى يملكونها بالحلال، فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مُلْمِينَ لا يؤاخذون فى ذلك لأنه مما أحله الله تعالى لهم. ٧- فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ ... و من قصد غير من ذكر من النكاح المحلل فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ أى المتجاوزون لحدود الله. ٨- وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ... أى حافظون لأمانات الله و أمانات العباد وافون بعهودهم و عقودهم و مواعيقهم مع الله و مع الناس. ٩- وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ... بإقامتها مع المحافظة على أوقاتها و حدودها المعينة. ١٠ و ١١- أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ الَّذِينَ ... إلخ. أى أن الموصوفين فى الآيات السابقة الذين أفلحوا فى أعمالهم يفوزون بإرث الفردوس التى هى أعلى مراتب الجنة. و ما ذكر من أوصاف للمؤمنين هنا- عند التأمل فيها- هى ملازمة لكون وصف الإيمان ليس معنى جامدا و إنما هو حى فعال متحرك يترتب عليه آثاره المطلوبة منه ليرتب عليه الغرض المطلوب و هو الفلاح. إذ أن هذه الأوصاف كلها إنما هى أوصاف عملية تتداخل و تتفاعل لتنتج فى الخارج شخصية إيجابية على الصعيدين الفردى و الاجتماعى. و أما وراثته المؤمنين للفردوس فقد ورد فى بعض الأخبار أن لكل إنسان منزلا فى الجنة و منزلا فى النار، فإذا مات و دخل النار ورث أهل الجنة منزله. ١٢- وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ ... أى هذا النوع من الحيوان أو المراد آدم مِنْ سِلَالَةٍ مِنْ طِينٍ أى صفوة سلّت من الطين. و قيل: إن المراد بالطين آدم (ع) لأنه كان فى بدء أمره طينا. ١٣- ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُفُفَةً ... أى جعلنا الإنسان قطرة من الماء الصافى يقذفه الرجل من صلبه فى قرار مَكِينٍ أى فى مستقر حصين و هو الرحم. ١٤ و ١٥ و ١٦- ثُمَّ خَلَقْنَا النَّفْثَةَ عَاقَةً ... أى قطعة دم جامد، و مُضْغَةً قِطْعَةً لَحْمٍ كَأَنَّهُ مِمَّضَغٍ فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا جعلناها صلبة قوية فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا أى من بقايا المضغ، أو لحما جديدا. ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ أى نفخنا فيه من روحنا فصار إنسانا كاملا فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ أى تعالى الله و دام خير و ثبت و تقدس. ١٧- وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ ... أى سبع سموات، جميع طريقته، لأنها طرق الملائكة على ما قيل. و ما كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ أى المخلوقات جميعا لم نكن غافلين أى تاركين تدبيرهم. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٣٤٨ ١٨- وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ ... أى بمقدار يوافق المصلحة، و يقتضيه التدبير التام الإلهى لا يزيد قطرة على ما قَدَّرَ و لا ينقص. فَأَسْبَكْنَاهُ فِي الْأَرْضِ أى أثبتناه فيها مددا للنباتات و الآبار و إِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لِقَادِرُونَ أى إذهابه و إفنائه. و لو فعلناه لهلك جميع الحيوانات و لفنيت النباتات. ١٩- فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِنْ نَجِيلٍ وَ أَعْنَابٍ ... أى أوجدنا بهذا الماء بساتين مما ذكرنا لمنافعكم أيها الناس لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ إلخ أى فى الجنت الفواكه الكثيرة من أصناف مختلفة تتفكهون بها و تأكلون. ٢٠- وَ شَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ ... أى و أنشأنا لكم بذلك المطر شجر الزيتون، و سينا اسم المكان الذى فيه جبل الطور. تَبَّتْ بِالذُّهْنِ وَ صَبَغَ لِلْكَالِينَ أى تنبت تلك الشجرة المباركة بالشىء الجامع بين كونه دهنا يدهن و سرج به و يوقد منه و كونه صبغا أى أداما، فإن به يصنع الخبز أى يغمس فيه و يؤكل. و إنما خص شجرة الزيتون لعظيم منافعها و عجيب أمرها.

وقد ورد في الخبر، عنه (ص): الزيت شجرة مباركة فائتموا منه وادهنوا. ٢١- وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً ... أى فيها دلالة تستدلون بها على قدرة الله نُسَيْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا مِنَ الْأَلْبَانِ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ مِنْ ظَهْرِهَا وَاصْوَافِهَا وَشَعُورِهَا وَأَوْبَارِهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ مِنْ لَحْمِهَا وَأَوْلَادُهَا. ٢٢- عَلَيْهَا ... أى على بعضها أى الإبل عَلَى الْفُلُكِ تُحْمَلُونَ أى الإبل والسفن تحملكم فى البر والبحر. ٢٣- وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا ... إلخ. أى من المرسلين فى الأمم الماضية هو نوح، فدعا قومه إلى عبادة الله وإلى توحيدهِ وخوفهِم بقوله أَفَلَا تَتَّقُونَ أَفَلَا تَخَافُونَ أَنْ يَهْلِكَكُمْ اللَّهُ بِكَفْرِكُمْ بِهِ. ٢٤- فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ ... قال الجماعة الكافرون من قومه ما هذا إشارة إلى نوح (ع) إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ هُوَ إِنْسَانٌ مِثْلَكُمْ يُرِيدُ أَنْ يُفَضِّلَ عَلَيْكُمْ يَرِيدُ أَنْ يَتْرَأْسَ عَلَيْكُمْ وَيُؤِيدَ ذَلِكَ أَنَّهُ يَدْعُوَكُمْ إِلَى اتِّبَاعِهِ وَطَاعَتِهِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَرْسِلَ رَسُولًا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مِنْ عِنْدِهِ يَلْعَنُونَ النَّاسَ رِسَالَتَهُ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا بِمِثْلِ مَا يَدْعُونَا إِلَيْهِ نُوْحٌ مِنَ التَّوْحِيدِ فِي آيَاتِنَا الْأُولَى فِيمَنْ سَبَقْنَا مِنَ الْأُمَمِ. ٢٥- إِنَّهُ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ ... ما نوح إلا- رجل اعتراه جنون فقال ما قال. ويحتمل أن المراد بالجنّة: مفرد الجن، أى حل به من الجن من يتكلم على لسانه لأنه يدعى ما لا يقبله العقل السليم ويقول ما لا يقوله إلا مصاب فى عقله. فَتَرَبَّصُوا بِهِ انتظروا به حَتَّى حِينَ إِلَى وَقْتٍ مَا، فيفوق من جنونه أو يموت. ٢٦ و ٢٧- قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَبْتُ ... بعد هذا العناد الشديد من قومه، دعا نوح ربه أن ينصره على قومه بسبب تكذيبهم إياه فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِ وَحْيًا مِنْ عِنْدِنَا أَنْ اضْيَعِ الْفُلُكَ بِأَعْيُنِنَا ابدأ بصناعة السفينة مقدّمة لإهلاك قومك بمنظر و مرأى منا وَوَحَيْنَا بتعليمنا كيف تصنع فإذا جاء أمرنا بنزول العذاب وَفَارَ التَّنُورُ أى أن العلامة بينى وبينك بزمان نزول العذاب هو فوران الماء ونبعه من التنور. فإذا رأيت الماء يفور منه فاشرك فيها أى فادخل فيها مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى. وَأَهْلَكَ إِلَّا ... إلخ مر تفسيره فى سورة هود وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا أى تأكيد بالدعاء بإنجائهم إِنَّهُمْ مُعْرِقُونَ أى هالكون. اد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٣٤٩ ٢٨ و ٢٩- فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلِكِ ... يعنى إذا صعدت و من حملت إلى السفينة، واستقرت على ظهرها فقل داعيا: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ الحمد لله الذى خلصنا من القوم الذين ظلمونا بسخريتهم وظلموا أنفسهم بكفرهم. وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنزَلًا مُبَارَكًا إِنْ كُنْتُ بِذَلِكَ مِنْ نَزْلِكَ. وقيل المنزل المبارك هو السفينة لأنها سبب النجاة، وقيل المكان المبارك بالمياه والشجر وكثرة النعم. وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ لأنه لا أحد غيره يقدر على أن يحفظ أحدا أنزله منزلا من جميع الآفات. ٣٠- إِنَّ فِي ذَلِكَ ... أى فى إغراق قوم نوح ونجاته وأهله، إلما من سبق عليه القول بإهلاكه ونجاة المؤمنين به لآيات دلالات لأهل العبرة وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ أى: وإن كنا لمختبرين قوم نوح بإرساله إليهم ومتعبدين لعبادتنا المؤمنين بالاستدلال بتلك الآيات على قدرتنا. ٣١- ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ ... أى أوجدنا بعد إهلاك قوم نوح قوما آخرين قوما غيرهم وهم عاد وثمود، وقيل هم عاد فقط. ٣٢- فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ ... أى بعثنا رسولا منهم: بشرا، هو هود يأمرهم أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ ... واضح المعنى وقد مر. ٣٣ و ٣٤- وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا ... إلخ قال الكافرون من قومه من منكرى البعث وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكُنَّا قَدْ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِمْ فِي حَيَاتِهِمْ. ما هذا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلَكُمْ مر تفسيره يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ مِنَ الطَّعَامِ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ وَلَا يَمْتَاظِعُ عَنْكُمْ بِشَيْءٍ وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ فِيمَا يَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَاسِرُونَ لَا تَصِيْبُونَ رِبْحًا بِذَلِكَ. ٣٥ و ٣٦- أَعْبُدْكُمْ أَنْتُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا ... أى هذا الذى يدعى النبوة يقول لكم أنكم تعدون بعد أن تموتوا وتصيروا ترابا وعظاما باليه أَنْتُمْ مُخْرَجُونَ تَبْعُونَ أَحْيَاءَ مِنْ قُبُورِكُمْ فِي دَارِ الْحَيَاةِ؟ ... هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ أى: بعدا بعدا لما يقوله و من المحال فيما يعدكم ليوم البعث. ٣٧- إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا ... إلخ أى ما هى إِلَّا هذه الحياة التى يموت قوم منا فيها ويحيا آخرون وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ وَلَسْنَا بِمُعَادِينَ بَعْدَ الْمَوْتِ. ٣٨- إِنَّهُ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى ... إلخ أى ليس هود سوى رجل اختلق كذبا على الله وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ وَلَسْنَا بِمُصَدِّقِينَ مَا اخْتَلَفَهُ. ٣٩ و ٤٠- قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَبْتُ ... مر تفسيرها قريبا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ مَجِيبًا دَعَاءَهُ: عَمَّا قَلِيلٍ بَعْدَ فِتْرَةٍ بَسِيطَةٍ لِيُصِيبَ نَادِمِينَ لِيَصِيرَ نَادِمِينَ عَلَى تَكْذِيبِكَ. ٤١- فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ ... صاح بهم جبرائيل صيحة واحدة هائلة أهلكتهم جميعا بِالْحَقِّ بِالْحُكْمِ الْعَدْلِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَأَنَّهُمْ كَانُوا مُسْتَحَقِّينَ لَهَا. فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً غُثَاءً: اليابس الهامد من نبات الأرض. أى جعلناهم هلكى كالغناء. فَبَعِيداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ أى بعدوا بعدا من رحمة الله.

٤٢- ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ ... مَرَّ تَفْسِيرُهَا وَهِيَ تَعْنَى قَوْمَ صَالِحٍ وَ لُوطٍ وَ شَعِيبٍ وَ غَيْرِهِمْ. إِرْشَادُ الْأَذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ٣٥٠ ٤٣- مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلُهَا وَ مَا يَسْتَأْخِرُونَ أَى لَا يَسْبِقُ وَقْتُ هَلَاكِهَا الْأَجَلُ الْمَعِينُ لَهُ وَ لَا يَتَأَخَّرُ عَنْهُ. ٤٤- ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا ... أَى مُتَتَالِيَةً وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ، كُلُّ مَا جَاءَ أُمَّةٌ رُسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَلَمْ يَصْدَقُوا قَوْلَهُ فَأَتَيْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا أَى أَهْلَكْنَا بَعْضَهُمْ إِثْرَ بَعْضٍ. وَ جَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ الْخِخِ فَمَا أَبْقَيْنَا مِنْهُمْ أَثْرًا إِلَّا حَدِيثَ النَّاسِ عَنْهُمْ. ٤٥- ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَ أَخَاهُ هَارُونَ ... أَى بَعَثْنَاهُمَا بِآيَاتِنَا بِمَعْجَزَاتِنَا التَّسَعِ الْمَشْهُورَاتِ وَ سُلْطَانٍ مُبِينٍ أَى حُجَّةٍ وَاضِحَةٍ مُلْزِمَةٍ لِلْخَصْمِ. ٤٦- إِلَى فِرْعَوْنَ وَ مَلَأْنَاهُ ... الْمَلَأْنَا أَشْرَافَ الْقَوْمِ وَ عَلِيَّتِهِمْ فَاسْتَكْبَرُوا وَ تَجَبَّرُوا عَنِ الْإِيمَانِ وَ كَانُوا قَوْمًا عَالِينَ أَى أَرْبَابَ عُلُوٍّ وَ قَهْرٍ وَ اسْتِيلَاءٍ. ٤٧- فَقَالُوا أَ نُوْمُنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا ... فَقَالَ آلُ فِرْعَوْنَ مِثْلَمَا قَالَ مِنْ سَبْقِهِمْ: هَلْ نُوْمِنُ لِلنَّاسِينَ مِثْلَنَا وَ لَيْسَا مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَ قَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ أَى يَطِيعُونَا طَاعَةَ الْعَبْدِ لِمَوْلَاهُ وَ يَقْصِدُونَ بَنِي إِسْرَائِيلَ. ٤٨- فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ ... أَى أَنْ فِرْعَوْنَ وَ قَوْمَهُ لَمْ يَصْدَقُوا مُوسَى وَ هَارُونَ فَكَانُوا مِمَّنْ قَضَيْنَا عَلَيْهِمُ بِالْغُرُقِ. ٤٩- وَ لَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ... أَى: قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَى مُوسَى التَّوْرَةَ لِكَيْ يَهْتَدُوا بِهَا إِلَى الْحَقِّ. ٥٠- وَ جَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَ أُمَّهُ آيَةً ... أَى جَعَلْنَاهُمَا مَعْجَزَةً أَظْهَرْنَاهَا لِلنَّاسِ بِقُدْرَتِنَا وَ آوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ أَسْكَنْتَاهُمَا فِي أَرْضٍ مُرْتَفَعَةٍ هِيَ بَيْتُ الْمَقْدَسِ، أَوْ هِيَ دِمَشْقُ أَوْ مَصْرُ ذَاتِ قَرَارٍ وَ مَعِينٍ أَى مُسْتَوِيَةٍ يَسْتَقَرُّ عَلَيْهَا وَ الْمُرَادُ بِالْمَعِينِ هُوَ الْمَاءُ الْجَارِي الصَّافِي. ٥١- يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوَا مِنَ الطَّيِّبَاتِ ... أَى الْمُسْتَلَذَّاتِ الْمُبَاحَاتِ وَ اَعْمَلُوا صَالِحًا أَى الْإِتْيَانِ بِالْخَيْرِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ الْعَمَلِ بِأَوَامِرِهِ وَ تَرْكِ نَوَاهِيهِ. ٥٢- وَ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ... أَى دِينُكُمْ دِينٌ وَاحِدٌ وَ شَرِيعَةٌ وَاحِدَةٌ وَ مُتَوَحَّدَةٌ عَلَى التَّوْحِيدِ وَ أَنَا رَبُّكُمْ أَى خَالِقُكُمْ لَيْسَ لَكُمْ رَبٌّ سِوَايَ فَلَا تَتَفَرَّقُوا عَنْ عِبَادَتِي فَاتَّقُونِ فَلِذَلِكَ فَخَافُونِي. ٥٣- فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا ... أَى أَنَّهُمْ مَعَ تِلْكَ الْوَصَايَا بِوَحْدَةِ الْكَلِمَةِ فِي أَمْرِ الدِّينِ فَإِنَّهُمْ جَعَلُوا دِينَهُمْ أَدْيَانًا مُخْتَلَفَةً وَ طَوَائِفَ مُتَنَازِعَةً، وَ زِيرًا: أَى قِطْعًا قِطْعًا، كُلُّ حِزْبٍ كُلِّ فَرِيقٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ مُسْرُورُونَ بِمَا اتَّخَذُوهُ دِينًا لَأَنْفُسِهِمْ. ٥٤- فَذَرْنَهُمْ فِي غَمَرَاتِهِمْ حَتَّى حِينٍ ... أَى أَتْرَكْهُمْ يَا مُحَمَّدُ فِي جَهْلِهِمْ إِلَى وَقْتِ الْمَوْتِ أَوْ الْعَذَابِ بَعْدَ حَشْرِهِمْ. ٥٥ وَ ٥٦- أَيْ خَسِرُوا أَيْ خَسِرُوا أَيْ خَسِرُوا أَيْ خَسِرُوا ... الْخِخِ أَى أَيْظُنْ هَؤُلَاءِ الْكَفَّارُ أَنَّ مَا نَعْطِيهِمْ وَ نَزِيدُهُمْ فِي أَمْوَالِهِمْ وَ أَوْلَادِهِمْ إِنَّمَا نَعْطِيهِمْ ثَوَابًا وَ مَجَازَاةً لَهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ وَ لِرِضَائِنَا عَنْهُمْ كَلَّا لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا يَظُنُّونَ بَلْ هُوَ اسْتِدْرَاجٌ لَهُمْ وَ إِمْلَاءٌ وَ ابْتِلَاءٌ. بَلْ لَا يَشْعُرُونَ أَى بَلْ هُمْ أَشْبَاهُ الْبَهَائِمِ لَا شُعُورَ لَهُمْ حَتَّى يَتَفَكَّرُوا فِي ذَلِكَ أَهْوَا اسْتِدْرَاجٍ أَمْ مَسَارَعَةٍ فِي الْخَيْرَاتِ. ٥٧ وَ ٥٨- إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ ... أَى مِنْ خَوْفِ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ أَى حَذَرُونَ. وَ الَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ. ٥٩- وَ الَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ... أَى يُوَحِّدُونَهُ وَ لَا يَجْعَلُونَ لَهُ شَرِيكَ ... إِرْشَادُ الْأَذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ٣٥١ ٦٠- وَ الَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا ... أَى يَعْطُونَ مَا أَعْطَاهُ مِنَ الصَّدَقَاتِ الْوَاجِبَةِ وَ الْمُنْدُوبَةِ أَوْ أَعْمَالِ الْبِرِّ كُلِّهَا وَ قُلُوبُهُمْ وَجَلَّةٌ خَائِفَةٌ أَنْ لَا يَقْبَلَ مِنْهُمْ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ أَى لِأَنْ مَرْجِعَهُمْ إِلَيْهِ فَهُوَ يَعْلَمُ مَا يَخْفَى عَنْهُمْ مِمَّا قَدْ قَصَرُوا فِيهِ أَوْ لَمْ يَقْبَلْ مِنْهُمْ. ٦١- أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ ... أَى يَرِغِبُونَ فِي الطَّاعَاتِ أَشَدَّ الرِّغْبَةِ فَيَبَادِرُونَ بِهَا. وَ هُمْ لَهَا سَابِقُونَ أَى وَ هُمْ لِأَجْلِ تِلْكَ الْخَيْرَاتِ سَابِقُونَ إِلَى الْجَنَّةِ. ٦٢- وَ لَا تُكَلِّفْ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ... يَعْنِي لَا نَلْزِمُهَا إِلَّا بِمَا هُوَ دُونَ طَاقَتِهَا مِنَ التَّكْلِيفِ. وَ لَدَيْنَا كِتَابٌ أَى صَحِيفَةُ الْأَعْمَالِ أَوْ اللُّوحُ الْمُحْفُوظُ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ يَبَيِّنُ الْحَقَّ وَ يَشْهَدُ بِالصِّدْقِ فِيمَا كَتَبَ فِيهِ مِنْ أَعْمَالِ الْعِبَادِ وَ هُمْ لَا يُظْلَمُونَ بِنَقْصَانِ الثَّوَابِ أَوْ بِازْدِيَادِ الْعِقَابِ عَلَى مِقْدَارِ اسْتِحْقَاقِهِمْ. ٦٣- بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمَرَةٍ مِنْ هَذَا ... وَ الْمَعْنَى أَنْ قُلُوبَ الْكَفَّارِ فِي غَفْلَةٍ شَدِيدَةٍ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ الْمَشْتَمِلِ عَلَى الْوَعْدِ وَ الْوَعِيدِ وَ هُوَ الْقُرْآنُ. وَ لَهُمْ أَعْمَالٌ سَيِّئَةٌ خَبِيثَةٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ أَى سِوَا مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الشَّرِكِ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ مُعْتَادُونَ عَلَى فِعْلِهَا. ٦٤- حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ ... أَى إِلَى أَنْ نَأْخُذَ مُتَنَعِّمِيهِمْ بِالْعِزَابِ فِي الْآخِرَةِ أَوْ الْقَتْلِ بِيَدٍ أَوْ الْجُوعِ إِذَا هُمْ يَجَارُونَ أَى يَسْتَغِيثُونَ. ٦٥- لَا تَجَارُوا الْيَوْمَ ... أَى لَا تَسْتَغِيثُوا هَذَا الْيَوْمَ وَ هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ إِنَّكُمْ مِنْهَا لَا تَنْصَرُّونَ أَى قِيلَ لَهُمْ: لَا تَمْنَعُونَ مِنْهُ أَوْ لَا يَأْتِيَكُمْ نَصْرٌ مِنْ نَاحِيَتِنَا. ٦٦- قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ ... أَى تَقْرَأُ فَكُنْتُمْ عَلَى أَغْقَابِكُمْ تَنْكِصُونَ أَى تَعْرِضُونَ وَ تَرْجِعُونَ الْقَهْقَرَى مَكْذِبِينَ. ٦٧- مُسِيءَتِكُمْ بِرَبِّهِ بِه ... أَى بِالْقُرْآنِ أَنْ تَقْبَلُوهُ سَامِرًا تَهْجُرُونَ أَى تَتَحَدَّثُونَ فِي اللَّيْلِ بِالطَّعْنِ فِي الْقُرْآنِ وَ بِالرَّسُولِ (ص). ٦٨- أَ فَلَمْ يَذَّبَرُوا الْقَوْلَ ... أَى الْقُرْآنَ، فَيَعْرِفُوا مَا فِيهِ مِنَ الدَّلَالَاتِ وَ الْعِبَرِ وَ يَعْلَمُوا أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ. أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمْ الْأَوَّلِينَ اسْتِفْهَامٌ إِنْكَارِيٌّ، أَى جَاءَهُمْ رَسُولٌ وَ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ كَمَا جَاءَ

أسلافهم من الأمم الماضية، فلست بدعا من الرسل و ليسوا بدعا من الأمم. ٦٩- أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ ... أَى الْآلَا يَعْرِفُونَهُ بِالصِّدْقِ وَ الْأَمَانَةِ وَ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَ كَمَالِ الْعِلْمِ مَعَ عَدَمِ التَّعَلُّمِ، وَ بِشَرَفِ النَّسَبِ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ وَ هَذَا الِاسْتِفْهَامُ كَمَا فِي السَّابِقِ لِلْإِنْكَارِ أَى بَلْ عَرَفُوا جَمِيعَ ذَلِكَ فَلَا وَجْهَ لِلْإِنْكَارِ لَهُ (ص). ٧٠- أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ ... أَى أَنَّهُ مَجْنُونٌ، فَلَا يَعْتَنُونَ بِقَوْلِهِ بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ أَى بِدِينِ الْحَقِّ الْمُسْتَقِيمِ وَ هُوَ الْإِسْلَامُ وَ أَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ حَيْثُ لَمْ يُوَافِقْ أَهْوَاءَهُمْ. ٧١- وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ ... الْحَقُّ هُوَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ. وَ الْمَعْنَى: لَوْ جَعَلَ اللَّهُ لِنَفْسِهِ شَرِيكَاً كَمَا يَهُودُونَ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَ الْأَرْضُ وَ مَنْ فِيهِنَّ وَ هَذِهِ الشَّرِيفَةُ تَفِيدُ مَا يَسْتَفَادُ مِنْ قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا، وَ وَجْهُ الْفَسَادِ هُوَ التَّمَانَعُ وَ التَّرَاحُمُ. بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ أَى بِكِتَابٍ فِيهِ وَ عَظَمُهُمْ وَ عَزَمَهُمْ لِأَنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ بِلُغَتِهِمْ وَ الرُّسُولُ مِنْهُمْ. فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ أَى تَارِكُونَ لَهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ. ٧٢- أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجاً ... أَى هَلْ تَسْأَلُهُمْ يَا مُحَمَّدُ عَلَى مَا جِئْتَهُمْ بِهِ أَجْراً. فَخَرَّاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ أَى فَرَزَقَ رَبُّكَ فِي الدُّنْيَا خَيْرٌ مِنْ خَرْجِهِمْ. وَ كَذَلِكَ ثَوَابُهُ الْآخِرُ. وَ هُوَ خَيْرُ الرَّاغِبِينَ أَى أَفْضَلُ مَنْ أُعْطِيَ. ٧٣- وَ إِنَّكَ لَتَيَدْعُوهُمْ ... إِلَخْ أَى إِلَى دِينِ الْإِسْلَامِ الَّذِي لَا عِوَجَ فِيهِ. ٧٤- وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصَّراطِ لَنَالِكِبُونَ ... أَى عَادِلُونَ عَنْ جَادَةِ الْهَدْيِ مَتَمِيلُونَ إِلَى تِيهِ الضَّلَالَةِ فَإِنَّ الْإِيمَانَ بِالْآخِرَةِ مِنْ أَقْوَى الْبَوَاعِثِ عَلَى طَلَبِ الْحَقِّ وَ سَلُوكِ طَرِيقِهِ. إِرْشَادُ الْأَذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ٣٥٢ ٧٥- وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَ كَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ ... أَى لَوْ رَفَعْنَا عَنْهُمْ الْقَحْطَ الَّذِي أَصَابَهُمْ بِمَكَّةَ سَعِ سَنِينَ لَلَّجُوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ أَى لَدَاوَمُوا عَلَى ضَلَالَتِهِمْ وَ إِفْرَاطِهِمْ فِي كُفْرِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ. وَ اللَّجَاجُ: التَّمَادَى وَ الْعِنَادُ فِي تَعَاطِي الْفِعْلِ الْمَزْجُورِ عَنْهُ وَ الْعَمَلِ: التَّرَدُّدُ فِي الْأَمْرِ مِنَ الْحَيْرَةِ. ٧٦- وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ ... أَى الْقَتْلِ يَوْمَ بَدْرٍ وَ قِيلَ: الْجَدْبُ الَّذِي ابْتَلَى بِهِ أَهْلَ مَكَّةَ. وَ قَدْ وَرَدَ فِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ أَنَّ أَبَا سَفْيَانَ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ (ص) فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ: أَنْشُدْكَ اللَّهَ وَ الرَّحِمَ فَقَدْ أَكَلْنَا الْعُلْهَزَّ يَعْنِي الْوَبْرَ بِالْدَمِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ: وَ لَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ ... فَمَا اسْتَيْكَنُوا لِرَبِّهِمْ وَ مَا يَنْتَضِرُّونَ أَى فَمَا انْقَادُوا لِلَّهِ وَ مَا يَرْغَبُونَ إِلَيْهِ بِالْإِذْنِ. ٧٧- حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَاباً ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ ... أَى نَوْعاً آخَرَ مِنَ الْعَذَابِ، يَعْنِي الْجُوعَ فَإِنَّهُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَ الْأَسْرِ. أَوِ الْمَرَادُ هُوَ فَتْحُ مَكَّةَ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ أَى مُتَحَيِّرُونَ أَوْ آيِسُونَ. ٧٨- وَ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمْ السَّمْعَ وَ الْأَبْصَارَ وَ الْأَفْئِدَةَ ... أَى خَلَقَ لَكُمْ هَذِهِ الْحَوَاسَّ مِنْ لَا شَيْءٍ، وَ خَصَّيْهَا بِالذِّكْرِ لِأَنَّهَا وَسَائِلُ الْمَعْرِفَةِ إِذْ أَنَّ الْإِنْسَانَ يَنْظُرُ وَ يَسْمَعُ وَ يَتَفَكَّرُ فَيَعْلَمُ. وَ الْأَفْئِدَةُ جَمْعُ فُؤَادٍ وَ هُوَ الْقَلْبُ. قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ أَى لَا تَشْكُرُونَ وَ لَوْ شَكَرْنَا قَلِيلًا. ٧٩- وَ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ ... أَى أَوْجَدَكُمْ فِيهَا وَ إِلَيْهِ تُخْشَرُونَ أَى إِلَيْهِ تَبْعُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِيَجَازِيَكُمْ. ٨٠- وَ هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَ يُمِيتُ وَ لَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَ النَّهَارِ ... أَى اخْتِلَافُهُمَا بِالْإِزْدِيَادِ وَ الْإِنْقِصَافِ فَذَلِكَ يَخْتَصُّ بِهِ تَعَالَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ أَى لَمْ لَا تَتَفَكَّرُونَ فَتَعْلَمُوا أَنَّ لَذَلِكَ صَانِعاً حَكِيماً قَادِراً. ٨١- بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ ... أَى قَلِمَ كَفَّارِ مَكَّةَ آبَاءَهُمُ السَّابِقِينَ فِي مَقَالَتِهِمُ الْفَاسِدَةَ الَّتِي هِيَ: ٨٢- قَالُوا أَ إِذَا مِتْنَا وَ كُنَّا تُرَاباً وَ عِظَاماً ... هَلْ إِذَا مِتْنَا وَ صَرْنَا تُرَاباً وَ فَنُتِ أَجْسَادُنَا أِنَّا لَمَبْعُوثُونَ إِلَى الْحَيَاةِ مَرَّةً أُخْرَى. وَ هَذَا الْكَلَامُ مِنْهُمْ مَبْنَى عَلَى الْإِسْتِبْعَادِ لِحَصُولِ الْبَعْثِ وَ الْمَعَادِ. ٨٣- لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَ آبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ ... أَى أَنَّ مَسْأَلَةَ الْوَعْدِ بِالْبَعْثِ وَ النُّشُورِ أَمْرٌ سَمِعْنَاهُ وَ سَمِعَهُ آبَاؤُنَا مِنْ سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلَكَ يَا مُحَمَّدُ إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ هَذِهِ أَكَاذِيبُ سَطَرِهَا السَّابِقُونَ مِنْ عِنْدِهِمْ، وَ هِيَ مِمَّا لَا حَقِيقَةَ لَهُ. إِذْ إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ مِنْ قَدِيمِ الدَّهْرِ لَا يَزَالُونَ يَعْدُونَنَا وَ يَخُوفُونَنَا بِقِيَامِ السَّاعَةِ وَ لَوْ كَانَ حَقّاً غَيْرَ خَرَافِي لَوْ قَع. ٨٤ وَ ٨٥- قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَ مَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ... إِلَخْ أَى قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ لِمَنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَ مَلَكُهَا وَ مَنْ فِيهَا مِنَ الْعُقَلَاءِ سَيَجْبِيكَ بِأَنَّ كُلَّ ذَلِكَ لِلَّهِ فَقُلْ لَهُمْ عِنْدُنَا: أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ فَتَعْلَمُونَ أَنَّ مَنْ قَدَرَ عَلَى ذَلِكَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَعِيدَكُمْ أَحْيَاءَ بَعْدَ الْمَوْتِ فَلَمْ تَنْكُرُوا الْبَعْثَ؟ ٨٦ إِلَى ٨٧- قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ ... إِلَخْ أَى اسْأَلُهُمْ يَا مُحَمَّدُ عَنْ مَدَبْرِ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَ الْعَرْشِ وَ خَالِقِهِمَا فَلَا بَدَّ لَهُمْ مِنَ الْإِعْتِرَافِ وَ الْقَوْلِ بِأَنَّهُ هُوَ اللَّهُ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ أَى فَلَمْ لَا تَخَافُونَهُ وَ تَنْكُرُونَ الْمَعَادَ مَعَ أَنَّ بَدْءَ الْخَلْقِ لَيْسَ بِأَهْوَنَ مِنْ إِعَادَتِهِ. ٨٨ وَ ٨٩- قُلْ مَنْ يَدِّهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ ... الْمَلَكُوتُ هُنَا هِيَ الْخَزَائِنُ أَى مِنْ بِيَدِ قُدْرَتِهِ خَزَائِنُ الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ وَ هُوَ يُجِيرُ أَى يُؤَمِّنُ مِنْ عَذَابِهِ مَنْ شَاءَ وَ لَا يُجَارُ عَلَيْهِ أَى لَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يُؤَمِّنَ أَحَدًا مِنْ عَذَابِهِ تَعَالَى إِلَّا بِمَشِئَتِهِ ... إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ إِلَخْ تَدْرِكُونَ وَ لَنْ تَقُولُوا إِلَّا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَمْلِكُهُ فَأَنَّى تُشِيرُونَ فَكَيْفَ يَتَلَبَّسَ عَلَيْكُمْ الْحَقُّ فَتُخِيلُونَهُ بِاطْلَالٍ؟. إِرْشَادُ الْأَذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ٣٥٣ ٩٠- بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِالْحَقِّ وَ إِنَّهُمْ

لَكَادِبُونَ ... أى نحن جئناهم بالحق و بينا لهم الحق ولكنهم أصروا على كذبهم و باطلهم. ٩١- مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ ... أى لم يتبن أحدًا، لا- المسيح و لا- عزيز و لا- الملائكة إذ كون ولد له ممتنع فى حقه سبحانه لأنه الواجب الوجود لذاته. و ما كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ لتقدسه عَمَّن يساهمه فى الألوهية إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ مفادها، مفاد قوله: لو كَانَ فِيهِمَا آلَهِ إِلَّا اللَّهُ لفسدتا. و قد تقدّم شرحها. و لَعَلَّا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ أى و لطلب بعضهم قهر بعض و مغالته كما هو شأن الملوك سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ من نسبة اتخاذ الولد إليه و الشريك له تعالى. ٩٢- عَالِمُ الْغَيْبِ وَ الشَّهَادَةِ ... أى عالم بما غاب و بما حضر فتعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ أى تنزه عن إشراكهم فى علمه و قدرته و ألوهيته. ٩٣ و ٩٤- قُلْ رَبِّ إِنَّمَا تُرِيدُنِي مَا يُوعَدُونَ ... أى إن كَانَ و لا بدّ من أن تُريني ما تعدّهم من العذاب رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ فلا تعذبني معهم. ٩٥- وَ إِنَّا عَلَى أَنْ نُرِيكَ مَا نَعِدُّهُمْ لِقَادِرُونَ ... أى نحن قادرون على أن نريك العقوبة التى وعدنا أن نعاقبهم بها، لكن التأخير لمصلحته و حكمه اقتضته. ٩٦- ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ ... أى ادفع بالإغضاء و الصّفح عن إساءة المسمى. نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ أى بما يصفونك به من السحر و الشعر و الجنون. أو ما يصفوننا مما لا يليق بساحه قدسنا من الشريك و الولد. ٩٧ و ٩٨- وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ ... أى قل على وجه الابتهاال رب أعتصم بك. مِنَ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ أى من وساوسهم و أَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ أى يقاربونى فى شيء من الأحوال. ٩٩ و ١٠٠- حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ ... كلمه حَتَّى متعلقه ب يَصِفُونَ أى أن الكفار يبقون على سوء ما هم عليه حتى يجيء إليهم الموت فيقول أحدهم رَبِّ ارْجِعُونِ مخاطبا الملائكة أو مستغيثا بالله لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا أى عملا صالحا فيما تَرَكْتُ من الطاعات كَلَّا كلمه ردع عن طلب الرجعه، أى لا سبيل إلى إرجاعك. إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا أى هو مجرّد لفظ لا حقيقه تترتب عليه قاله لفرط تحسره. وَ مِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ و من بين أيديهم حاجز بين الموت و البعث من القبور فى القيامة. ١٠١- فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ ... أى فإذا نفخ إسرافيل فى القرن المعدّ إيدانا بيوم البعث فلا تنفعهم الأنساب بالتعاطف و التراحم فى ذلك اليوم. وَ لَا يَسْأَلُونَ أى يومئذ لا يسأل أحد أحدا عن حاله و مجارى أموره كما كان الحال بينهم فى الدنيا و ذلك من فرط الحيره و استيلاء الدهشه. ١٠٢ و ١٠٣ و ١٠٤- فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ... أى من رجحت موزونات أعماله الحسنه المبيته على عقائده الصحيحه، فهو من الفائزين وَ مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ لخلوها من العمل الصالح أو لرجحان السيئات فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ غبنوها بإبطال أوقاتهم و أعمارهم فى الدنيا فلم ينتفعوا بها فى جَهَنَّمَ خَالِدُونَ باقون فى عذابها دائما تَلْفَحُ وُجُوهُهُمْ النَّارُ وَ هُمْ فِيهَا كَالِحُونَ أى تحرقها أشد حرق بلهبها و هم عابسون. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٣٥٤ ١٠٥- أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ... أى ألم تكن تقرأ عليكم آياتي فى القرآن أو حججى على أيدي أنبيائكم فكنتم بها تجحدون؟ ١٠٦- قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَ كُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ... و المعنى: استعلت علينا سيئاتنا التى أوجبت لنا الشقاوه و كنا قوما ذاهبين عن الحق. ١٠٧- رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ... أى يقولون: ربنا أخرجنا من النار فإن رجعنا إلى الكفر و المعاصي نكون ظالمين لأنفسنا. و قيل هذا آخر كلام يتكلم به أهل النار. ١٠٨ و ١٠٩ و ١١٠- قَالَ اخْسَوْا فِيهَا وَ لَا تُكَلِّمُوا ... أى اسكتوا ممقوتين خائبين مخيبين. إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي الْمُؤْمِنِينَ بى يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا صَدَقْنَا بكلماتك فَاغْفِرْ لَنَا تجاوز عن ذنوبنا وَ ارْحَمْنَا وَ أَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ أَرَأَيْتَ بِنَا فَإِنَّكَ أَحْرَمٌ مِنْ كُلِّ رَحِيمٍ. و كان هذا دعاؤهم فى الدنيا فَاتَّخَذُوا ثَمُومَهُمْ جعلتم هؤلاء المؤمنين سحرًا هزأتم بهم حَتَّى أَنْسَوُكُمْ ذِكْرِي و قد نسب الإنساء إلى المؤمنين و إن لم يفعلوا لأنهم كانوا السبب فى ذلك، فمن فرط اشتغالكم بالاستهزاء بهم نسيتم ذكرى و كذبتهم بهذا اليوم. وَ كُنتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ استهزاء بهم. إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْخَ بَصَرَهُمْ عَلَى أَذْيَتِكُمْ لَهُمْ أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ الظافرون بالجنة يوم القيامة. ١١٢ و ١١٣- قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْمَرْصِ عِدَدَ سِتِّينَ ... السائل هو الله تعالى، أو الملك المأمور بالسؤال للكفار فى يوم البعث. كم بقيتم فى قبوركم أو فيها و فى حياتكم الدنيا و هذا سؤال توبيخ و استهزاء لمنكرى البعث و الحساب. قَالُوا بِفِشَلٍ وَ خِيَةِ: لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ لأنهم كانوا ينكرون الآخرة و انحصر اللبث فى الدنيا فاستقبلوا حياتهم فى الدنيا أو فيها و فى القبور لطول مكثهم فى النار. فَسِئِلِ الْعَادِينَ يعنون الحفظة الذين يحصون أعمال العباد. ١١٤- قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ... هذا القول منه تعالى تصديق و توبيخ لهم فى كون مكثهم فى الدنيا يسير

بالإضافة إلى طول مكثهم في عذاب جهنم. لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ نَسْبَهُ الدُّنْيَا كُلُّهَا فِي جَنْبِ الْآخِرَةِ وَخُلُودَكُمْ فِي النَّارِ. ١١٥- أ فَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا ... أَي هَل ظَنَنْتُمْ أَيُّهَا الْجَاهِدُونَ لِلْبُعْث أَنَّا خَلَقْنَاكُمْ لَا لِحُكْمَةٍ بَلْ لِلَّهِ وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ لِمَجَازَةِ الْأَعْمَالِ؟ ١١٦- فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ ... إِلَخ أَي الذِي يَحِقُّ لَهُ الْمَلِكُ تَسَامَى عَمَّا يَصِفُهُ بِهِ الْجَاهِلُونَ مِنَ الشَّرِيكَ وَالْوَلَدِ، إِذْ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ. رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ أَي خَالِقِ السَّيْرِيرِ الْأَعْظَمِ. ١١٧- وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ ... أَي لَا حُجَّةَ لَهُ فِيمَا يَدَّعِيهِ لِأَنَّ الْبَاطِلَ لَا بُرْهَانَ لَهُ، فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِلَخ أَي فَإِنْ مَعْرِفَةُ مَقْدَارِ مَا يَسْتَحِقُّهُ مِنَ الْعَذَابِ مُخْتَصَّةٌ بِاللَّهِ، إِنَّهُ لَا يَظْفَرُ الْجَاهِدُونَ لِلْبُعْثَ بِخَيْرِ. ١١٨- وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ ... إِلَخ وَقُلْ يَا مُحَمَّدُ رَبِّ اغْفِرِ الذُّنُوبَ وَأَنْعَمْ عَلَى خَلْقِكَ وَأَنْتَ أَفْضَلُ الْمُنْعَمِينَ وَأَوْسَعُهُمْ رَحْمَةً. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٣٥٥

سورة النور مدنية، عدد آياتها ٦٤ آية

١- سُورَةٌ ... أَي هَذِهِ قِطْعَةٌ مِنَ الْقُرْآنِ أَنْزَلْنَاهَا مِنْ عَالَمِ الْقُدُسِ إِلَيْكَ وَفَرَضْنَاهَا أَوْجِبْنَا الْعَمَلَ بِأَحْكَامِهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَاضِحَاتٍ الدَّلَالَةَ عَلَى وَحْدَانِيَّتِنَا أَوْ الْحُدُودِ وَالْأَحْكَامِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ أَي لِكِي تَتَفَكَّرُوا فَتَعْلَمُوا بِمَا فِيهَا فَتَعْمَلُوا. ٢- الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي ... أَي مِنْ زَنْتِ مِنَ النِّسَاءِ وَزَنِ مِنَ الرِّجَالِ. فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةً جَلْدَةً هَذَا حُكْمُ الْأَعْزَبِ غَيْرِ الْمُحْصَنِ أَمَّا الْمُحْصَنُ فَحَدُّهُ الرِّجْمُ بِالْحِجَارَةِ. وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ أَي رَحْمَةٌ فِي حُكْمِهِ فَتَعْطَلُونَ حَدَّهُ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَي أَنَّ الْإِيمَانَ يَقْتَضِي الْحَدَّ فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَالْاجْتِهَادَ فِي إِقَامَةِ أَحْكَامِهِ. وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَي وَلِيَحْضُرْ حِينَ إِقَامَةِ حَدِّ الْجِلْدِ عَلَى الزَّانِيَةِ وَالزَّانِي الْمُحْصَنِينَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَهُمْ ثَلَاثَةٌ فِصَاعِدًا. ٣- الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً ... إِلَخ مَعْنَاهَا أَنَّ الزَّانِيَ لَا يَرْغَبُ فِيهِ الصِّلَاحُ غَالِبًا وَإِنَّمَا يَرْغَبُ الْإِنْسَانُ بِمُشَاكَلِهِ وَمِثَالِهِ. وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَي صَرَفَتِ الرِّغْبَةَ بِالزَّانِيَةِ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ. وَالتَّحْرِيمُ هُنَا تَزْيِيهِ، فَقَدْ نَزَّهَهُمُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَنِ إِيْتَانِ الزَّانِيَةِ. ٤- وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ... أَي يَقْذِفُونَ الْعَفَائِفَ بِالزَّانِيَةِ، ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ إِلَخْ عَدُولُ يَشْهَدُونَ عَلَى صَحَّةِ مَا رَمَوْهُنَّ بِهِ مِنَ الزَّانِيَةِ فَعَقُوبَتُهُمُ الْجِلْدُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ ثَمَانُونَ جَلْدَةً. وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا أَي فِي شَيْءٍ قَبْلَ الْجِلْدِ وَبَعْدَهُ أَبَدًا مَا لَمْ يَتَبَّ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ بِفِعْلِ هَذِهِ الْكَبِيرَةِ. ٥- إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ ... أَي عَنِ الْقَذْفِ بَأَن يَكْذِبُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَصْلَحُوا إِلَخْ عَمَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ لَهُمْ. ٦- وَالَّذِينَ يَزْمُونَ أَرْوَاجَهُمْ ... أَي يَقْذِفُونَ أَرْوَاجَهُمْ بِالزَّانِيَةِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ وَالْمَعْنَى: أَنَّ الَّذِينَ يَنْسُبُونَ الزَّانِيَةَ إِلَى زَوْجَاتِهِمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ أَرْبَعَةُ شُهَدَاءَ يَشْهَدُونَ لَهُمْ بِصَحَّةِ قَوْلِهِمْ فَلَا بَدَّ لَهُمْ أَنْ يَشْهَدُوا بِاللَّهِ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ. ٧- وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ... أَي وَالشَّهَادَةُ الْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ فِي شَهَادَتِهِ عَلَيْهَا. وَعِنْدُنَا يَدْرَأُ عَنْهُ حَدُّ الْقَذْفِ وَيُفَرَّقُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ زَوْجَتِهِ مِنْ دُونِ طَلَاقٍ وَتَعْتُدُ. ثُمَّ إِنَّهَا إِنْ كَانَتْ تَرِيدُ أَنْ تَدْفَعَ الْحَدَّ عَنْ نَفْسِهَا قَدْ بَيَّنَّه سُبْحَانَهُ بِقَوْلِهِ: ٨- وَيَذَرُوا عَنْهَا الْعَذَابَ ... أَي يَدْفَعُ عَنْهَا الرِّجْمَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ تَقُولُ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى: أَشْهَدُ بِاللَّهِ إِلَخ. ٩- وَالْخَامِسَةُ ... أَي تَشْهَدُ شَهَادَةً خَامِسَةً أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا أَي عَذَابُهُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ فِيمَا رَمَانِي بِهِ مِنَ الزَّانِيَةِ. ثُمَّ يَفَرَّقُ الْحَاكِمُ بَيْنَهُمَا وَلَا تَحِلُّ لَهُ أَبَدًا. ١٠- وَلَوْ لَا فَضَّلُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ ... أَي بِالنَّهْيِ عَنِ الزَّانِيَةِ وَالْفَوَاحِشِ، وَإِقَامَةِ الْحُدُودِ وَرَحْمَتِهِ مِنْ يَرْجِعُ عَنِ الْمَعَاصِي مِنْكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ حَكِيمٌ فِيمَا يَحْكُمُ. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٣٥٦- ١١- إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ ... أَي بِالْكَذْبِ الْعَظِيمِ غَضِبْنَا مِنْكُمْ أَي جَمَاعَةً لَا تَحْسِبُهُ شَرًّا لَكُمْ لَا تَنْظُرُوا ذَلِكَ الْإِفْكَ أَمَّا سَيِّئًا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لَا كِتَابَكُمْ بِهِ الثَّوَابُ الْعَظِيمُ وَظُهُورُ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ فِي بَرَاءَةِ سَاحَتِكُمْ وَتَشْدِيدِ الْوَعِيدِ فِي مَنْ تَكَلَّمَ بِهَذَا الْأَمْرِ لِكُلِّ امْرَأٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ أَي جَزَاءُ مَا اكْتَسَبَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَا خَاضَ فِيهِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ أَي تَحَمَّلَ مَعْظَمَهُ مِنْ الْخَائِضِينَ وَهُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي قَيْسٍ فَإِنَّهُ بَدَأَ بِهِ وَأَذَاعَهُ بَيْنَ النَّاسِ عِدَاوَةً لِرَسُولِ اللَّهِ عِنْدَ مَا أَشَاعَ عَنْ إِحْدَى زَوْجَاتِ النَّبِيِّ (ص) بِالْفَاحِشَةِ. لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ فِي الْآخِرَةِ أَوْ فِي الدُّنْيَا مِنْ جِلْدِهِ وَوَهْنِهِ وَرَدَّ شَهَادَتَهُ. ١٢- لَوْ لَا إِذِ سَمِعْتُمُوهُ ... إِلَخ. أَي هَلَّا

حينما سمعتم أيها المؤمنون بالإفك والكلام الباطل أنكرتم ذلك؟ و كان الواجب على المؤمنين إذ سمعوا قول القاذف أن يكذبوه و أن لا يسرعوا إلى التهمة بل يشتغلون بحسن الذكر لمن عرفوا طهارته و لم يظنوا به إلا خيرا لأنه كأنفسهم. ١٣- لَوْ لَا جَاؤُ عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ ... يعني هؤلاء الأفكَة إذا كانوا صادقين في قولهم لماذا لا يجيئون على مدعاهم بيّنتهم، بأربعة شهداء؟ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ وَلَنْ يَأْتُوا بِهِمْ أَبَدًا فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ أى فلا بد من أن يجرى عليهم حد القذف لأنهم كاذبون في حكم الله. ١٤- وَ لَوْ لَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ... إلخ أى لو لا فضل الله عليكم فى الدنيا بأنواع النعم التى من جملتها الإمهال للتوبة، و رحمته فى الآخرة بالعفو و المغفرة لَمَسَّكُمْ أَصَابِكُمْ فيما أَفَضْتُمْ فِيهِ أى خضتم فيه عذاب عَظِيمٌ دائم. ١٥- إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ ... أى ينقله بعضكم عن بعض وَ تَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ تحكون الخبر بلا حجة و من غير برهان وَ تَحْسِبُونَهُ هَيِّنًا أى سهلا لا إثم فيه وَ هُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ فى الإثم لأنه كذب و افتراء. ١٦- وَ لَوْ لَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ ... أى هلا قلتم حينما سمعتم قول الإفك ما يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بهذا لا يصح لنا حكايته و ذكره لحرمة ذلك شَيْعَانِكَ تنزيها لك يا رب هذا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ أى الذى قالوه زور عظيم وزره. ١٧- يَعْظُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ ... أى ينهاكم الله أو يحرم عليكم العود لمثله من الإفك أَيْدَاً طول أعماركم إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ مصدقين بالله و رسوله. ١٨- وَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ ... الدالة على الشرائع و محاسن الآداب كى تتعظوا و تتأدبوا وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ مر معناه. ١٩- إِنْ الَّذِينَ يُجِبُونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ ... أى يفشو و يظهر الزنا و القبايح فى الَّذِينَ آمَنُوا بأن ينسبوا إليهم و يقذفوهم بها لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فى الدنيا بإقامه الحد ورد شهادتهم وَ الْآخِرَةُ بِالنَّارِ. وَ اللَّهُ يَعْلَمُ الضَّمَامِ وَ الْمَصَالِحِ وَ الْمَفَاسِدِ وَ أَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ذلك. ٢٠- وَ لَوْ لَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ وَ أَنَّ اللَّهَ رَوْفٌ رَحِيمٌ ... أى لو لا فضله و رحمته لعاجلكم بالعقوبة أو ما زكى أحد منكم و قد مر تفسير شبيعتها قبل آيات. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٣٥٧ ٢١- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوبَ الشَّيْطَانِ ... أى لا تتبعوا آثاره و مسالكة مما يؤدى إلى موالاته. و قيل خطواته وساوسه. وَ مَنْ يَتَّبِعْ خُطُوبَ الشَّيْطَانِ يَطِيعْهُ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ تَابِعِيهِ بِالْفَحْشَاءِ وَ الْمُنْكَرِ الْفَحْشَاءِ هو ما أفرط فى قبحه، و المنكر ما أنكره الشرع و العقل. وَ لَوْ لَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ ما زكى مِنْكُمْ أى ما طهر أحد منكم من دنس الذنوب وَ لَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ أى يطهر بلطفه من هو أهل لذلك وَ اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ مر معناه. ٢٢- وَ لَا يَأْتَلِ ... أى لا يحلف من الإيلاء أو لا يقصير من ألى يألو أولوا الفضل مِنْكُمْ بالحسب و النسب وَ السَّعْيِ فى المال أَنْ يُؤْتُوا قَالِ الَّذِينَ يَفْسِرُونَ الْإِتْلَاءَ بمعنى الحلف: إِنْ كَلِمَةُ لَا- هُنَا مَحذُوفَةٌ أى: لَا- يَحْلِفُونَ أَنْ لَا- يُؤْتُوا، لِأَنْ لَا تَحْذَفَ فى اليمين كثيرا. و إن قلنا بأن الإيتلاء من ألى يألو أى التقصير يكون المعنى: لَا يَقْصِرُوا بِإِيتَاءِ إِنْخ. أُولَى الْقُرْبَى وَ الْمَسَاكِينِ وَ الْمُهَاجِرِينَ فى سَبِيلِ اللَّهِ قِيلَ: نَزَلَتْ فى جماعته من الصَّحَابَةِ حَلَفُوا أَلَّا يَتَصَدَّقُوا عَلَى مَنْ تَكَلَّمَ بِشَيْءٍ مِنَ الْإِفْكِ وَ لَا- يَوَاسُوهُمْ وَ يُعْفُوا وَ يُصْفَحُوا أمرهم الله أن يعفو عما صدر عن الآفكين الآثمين و ليصرفوا أنفسهم عن الانتقام منهم. أ- لَا- تُحِبُّونَ أَنْ يُغْفَرََ اللَّهُ لَكُمْ أى إذا فعلتم كان غفران الله و رحمته شاملين لكم وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ مر معناه. ٢٣- إِنْ الَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ: أى يقذفون العفاف الغافلات عن الفواحش التى نسبت إليهن الْمُؤْمِنَاتِ بالله و رسوله لُعِنُوا فى الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ وَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ أى أبعادوا من رحمة الله فى الدارين. و قيل عذبوا فى الدنيا برد شهادتهم و فى الآخرة بالنار. ٢٤- يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ ... إلخ بإنطاق الله هذه الجوارح ليعترفوا بما صدر عنها من الأقوال و الأفعال. ٢٥- يَوْمَئِذٍ يُؤْفِكُهُمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ ... أى يوم القيامة يتمم الله لهم جزاءهم المستحق وَ يَعْلَمُونَ علما وجدانيا أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ أى هو الثابت بذاته الظاهر بألوهيته يبين لهم حقائق الأمور. ٢٦- الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ ... أى أن النسوة الخبيثات للرجال الخبيثاء و أن النسوة الطاهرات للرجال الطاهرين و هكذا العكس بحكم انجذاب الطبع إلى ما يناسبه أُولَئِكَ مَبْرُؤُونَ مِمَّا يَقُولُونَ أى أن الطيبين و الطيبات مبرأون مما يقال فيهم من الإفك دليل ظاهره على أن المعنى الثانى هو المراد من الآية و قيل: إِنْ الْإِشَارَةُ رَاجِعَةٌ إِلَى النَّبِيِّ (ص) و صفوان و عائشة، أى أنهم مبرأون مما قيل. لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ رِزْقٌ كَرِيمٌ أى رزق لا- نقص فيه و لا تعب لأنه كثير دائم. ٢٧- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ: أى لا ينبغي لكم الدخول فى بيوت يسكنها غيركم حَتَّى تَشَاءَ تَأْنِسُوا أى تستأذنوا، وَ تَسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا بِالتَّحِيَّةِ الإسلامية كقوله السَّلام عليكم. ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ أى الاستئذان و التسليم خير لكم من أن تدخلوا بغتة لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ أى تذكرون

مواعظ الله لتتأدبوا بآدابه. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٣٥٨ ٢٨- فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا ... يَأْذَنُ لَكُمْ فَلَا تَدْخُلُوهَا لِأَنَّهُ رُبَّمَا كَانَ فِيهَا مَا لَا يَجُوزُ أَنْ تَطَّلَعُوا عَلَيْهِ حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ أَى حَتَّى يَأْذَنَ لَكُمْ رَبُّ الْبَيْتِ فِي ذَلِكَ. وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ أَى إِنْ طَلَبَ مِنْكُمْ الْإِنصِرَافُ فَانصَرَفُوا بِلَا إِحْلَاحٍ مِنْكُمْ بِالدَّخُولِ فَهُوَ أَطْهَرُ لَكُمْ وَأَقْرَبُ إِلَى أَنْ تُصِيرُوا أَزْكَيَاءَ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ لَا- يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِكُمْ فَيَجَازِيكُمْ بِهَا. ٢٩- لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ ... كَالرِّبْطِ وَالْحَوَانِيتِ فَيَجُوزُ لَكُمْ الدَّخُولُ فِيهَا بِغَيْرِ اسْتِئْذَانٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ أَى لِلِاسْتِمْتَاعِ بِهَا كَالْتَحْفِظِ مِنَ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ إلخ. وَرُبَّمَا قِيلَ:- كَمَا فِي تَفْسِيرِ الْمِيزَانِ- إِنْ الْمَرَادُ بِالْمَتَاعِ الْمَعْنَى الْأَسْمَى، وَهُوَ الْأَثَاثُ وَالْأَشْيَاءُ الْمَوْضُوعَةُ لِلْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ كَمَا فِي بُيُوتِ التَّجَارَةِ وَالْحَوَانِيتِ، فَإِنَّهَا مَأْذُونَةٌ فِي دَخُولِهَا إِذَا عَامًا، وَلَا يَخْلُو مِنْ بَعْدِ لِقَاصُورِ اللَّفْظِ. وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْذَوْنَ وَمَا تَكْتُمُونَ أَى مُطْلَعٌ عَلَى سِرِّكُمْ وَجَهْرِكُمْ وَنَوَايَاكُمْ. ٣٠- قُلْ لِلَّهِ وَمَنِينَ يَعْصُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ... عَمَّا يَكُونُ مُحَرَّمًا عَلَيْهِمُ النَّظَرُ إِلَيْهِ فَإِنْ النَّظَرُ بِرِيدِ الزَّنا. وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ يَسْتَرُوهَا مِنَ النَّظَرِ الْمُحَرَّمِ وَقِيلَ: عَمَّنْ لَا- يَحِلُّ لَهُمْ وَعَنِ الْفَوَاحِشِ. ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ أَى أَطْهَرُ وَأَنْفَعُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ أَى بِمَا يَصْدُرُ عَنْ أَبْصَارِهِمْ وَفُرُوجِهِمْ وَجَمِيعِ جَوَارِحِهِمْ. ٣١- وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ ... إلخ أَمْرُ النِّسَاءِ بِمَا أَمَرَ بِهِ الرِّجَالُ مِنْ غَضِّ الْبَصَرِ وَحِفْظِ الْفَرْجِ. فَلَا يَجُوزُ لَهُنَّ النَّظَرُ إِلَى مَا لَا يَجُوزُ النَّظَرُ إِلَيْهِ وَيَجِبُ عَلَيْهِنَّ سِتْرُ الْعَوْرَةِ عَنِ الْأَجْنَبِيِّ وَالْأَجْنَبِيَّةِ. وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ أَى لَا يَظْهَرْنَ مَوَاضِعَ الزَّيْنَةِ لِغَيْرِ الْمُحَرَّمِ وَمَنْ هُوَ فِي حَكْمِهِ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا قِيلَ: الزَّيْنَةُ الظَّاهِرَةُ الْكُحْلُ وَالْخَاتَمُ، وَقِيلَ: هِيَ الثِّيَابُ. وَقِيلَ: الْوَجْهَ وَالْكَفَّانَ. وَلَا يُضَرِّبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ الْخُمُرُ جَمْعُ خُمَارٍ وَهُوَ الَّذِي تَسْتُرُ الْمَرْأَةُ بِهِ رَأْسَهَا وَرَقَبَتَهَا. أَمْرُهُنَّ سَبْحَانَهُ بِإِلْقَاءِ خُمُرِهِنَّ عَلَى صُدُورِهِنَّ تَغْطِيَهُنَّ لِنَحْوَرِهِنَّ. وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ الْإِبْدَاءُ: هُوَ الْإِظْهَارُ، وَالْمَرَادُ بِزِينَتِهِنَّ: مَوَاضِعَ الزَّيْنَةِ. كَرَّرَهُ مُقَدِّمَةُ لَبَّانٍ مِنْ يَحِلُّ لَهُ الْإِبْدَاءُ وَمَنْ لَا يَحِلُّ، وَمَنْ يَحِلُّ لَهُمُ الَّذِينَ اسْتِثْنَاهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ إِلَّا لِلْعَوْلَتِهِنَّ أَى أَزْوَاجِهِنَّ إِلَى قَوْلِهِ: أَوْ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا الْآيَةُ، وَالْمَرَادُ بِقَوْلِهِ أَوْ نِسَائِهِنَّ يَعْنِي الْمُؤْمِنَاتِ فَلَا يَتَجَرَّدْنَ لِلْكَافِرَاتِ، وَقِيلَ إِنْ الْأُمَّةُ إِذَا كَانَتْ مَمْلُوكَةً لَا بِأَسْ أَنْ تَتَجَرَّدَ السَّيِّدَةُ الْمَالِكَةُ لَهَا عِنْدَهَا وَلَوْ كَانَتْ كَافِرَةً لِقَوْلِهِ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّابِعِينَ غَيْرَ أَوْلَى الْأَرْبَةِ وَالْمَرَادُ بِالتَّابِعِينَ هُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ النَّاسَ وَيدخلون معهم البيوت لفضل طعام أو ما يحتاجون إليه، ولا حاجة لهم إلى النساء لهرم أو بله أو جنون أو أمثالهم أَوْ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ أَى أَنَّ الطِّفْلَ إِذَا كَانَ بِحَيْثُ لَمْ يَعْرِفِ الْعَوْرَةَ وَلَمْ يَمَيِّزْهَا لِقَلَمِهِ سَنَةً وَعَدَمِ بُلُوغِهِ حَدَّ الْوُطْءِ فَلَا بِأَسْ بِتَجَرَّدِ الْمَرْأَةِ عِنْدَهُ. وَلَا يُضَرِّبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ إلخ عَلَى الْأَرْضِ حِينَ الْمَشْيِ لِتُبَيِّنَ خُلُقَالَهَا أَوْ تَسْمَعَ قَعْقَعَتَهُ. وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ أَى تَفُوزُونَ بِسَعَادَةِ الدَّارَيْنِ. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٣٥٩ ٣٢- وَانكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ ... إلخ أَيَامَى جَمْعُ أَيِّمٍ وَهُوَ الْأَعْزَبُ أَى زَوْجُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ مِنْ لَا زَوْجَ لَهُ مِنْ أَحْرَارِ رِجَالِكُمْ وَنِسَائِكُمْ. وَزَوْجُوا أَيْضًا الْمُؤْمِنِينَ الْمُسْتَوْرِينَ مِنْ عِبِيدِكُمْ وَالْمُؤْمِنَاتِ الْمُسْتَوْرَاتِ مِنْ إِمَائِكُمْ. إِنْ يَكُونُوا فَقَرَاءَ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إلخ أَى إِنْ لَمْ يَكُنْ لَدَيْهِمْ سَعَةٌ مَالِيَّةٌ لِلزَّوْجِ فَإِنَّ اللَّهَ يَوْسَعُ عَلَيْهِمْ لَوْ تَزَوَّجُوا فَإِنَّهُ سَبْحَانَهُ وَاسِعٌ كَرِيمٌ. ٣٣- وَلَيْسَ تَعْفِفَ ... أَى لَا بَدَّ مِنَ الْجَهْدِ فِي تَحْصِيلِ الْعَفَةِ وَقَمْعِ الشَّهْوَةِ الَّذِينَ لَا- يَجِدُونَ نِكَاحًا أَى لَا يَجِدُ السَّبِيلَ إِلَى أَنْ يَتَزَوَّجَ مِنَ الْمَهْرِ وَالنَّفَقَةِ حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ أَى مِنْ إِحْسَانِهِ وَكَرَمِهِ. وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الْكِتَابَ أَى يَطْلُبُونَ الْمَكَاتِبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ أَى مِنْ مَمَالِكِكُمْ عِبْدًا كَانَ أَوْ أُمَةً فَأُجِيبُوهُمْ إِلَى مَا رَغَبُوا إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا أَى قُدْرَةً عَلَى اِكْتِسَابِ مَالِ الْمَكَاتِبَةِ. وَقِيلَ رَشْدًا. وَقِيلَ دِينًا وَمَالًا. وَآتَوْهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ أَمْرٌ لِلْسَّادَةِ بِإِعْطَائِهِمْ شَيْئًا مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَمِثْلَهُ حَطَّ شَيْءٌ مِنْ مَالِ الْمَكَاتِبَةِ. وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ أَى إِمَائِكُمْ، وَالْبِغَاءُ هُوَ الزَّنا إِنْ أَرَدْنَا تَحْصِينَ تَعْفَفًا لِيَتَّبِعُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا عِلَّةً لِلْإِكْرَاهِ، أَى مِنْ كَسْبِهِمْ أَوْ بَيْعِ أَوْلَادِهِمْ. وَمَنْ يُكْرِهُهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ لِلْمَكْرَهَاتِ لَا- لِلْمَكْرَهِينَ لِأَنَّ الْوُزَرَ عَلَيْهِمْ. ٣٤- وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ ... أَى ظَاهِرَاتٍ فِي الْأَحْكَامِ وَالْحُدُودِ وَمِثْلًا إلخ خَبَرًا مِنْ أَخْبَارِ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، لَتَعْتَبِرُوا بِهَا وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ أَى زَجَرًا لَهُمْ عَنِ الْمَعَاصِي. ٣٥- اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ... أَى أَنَّهُ سَبْحَانَهُ الْهَادِي أَهْلَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَى مَا فِيهِ صَلَاحُهُمْ فِي الدَّارَيْنِ. مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَائِهِ أَى كَوْنِهِ فِي الْحَائِطِ فِيهَا مِصْبَاحٌ سَرَاجُ الْمِصْبَاحِ فِي زُجَاجَةٍ فِي قَنْدِيلٍ زُجَاجَةٍ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ تَضِيءُ كَأَنَّهَا الزَّهْرَةُ فِي لَمْعَانِهَا يُوقَدُ مِنْ

شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ كَثِيرَةُ الْمَنَافِعِ زَيْتُونَةٍ بَدَلٌ مِنَ الشَّجَرَةِ. لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ أَيْ لَا يَفِيءُ عَلَيْهَا ظِلُّ شَرْقٍ وَلَا غَرْبٍ بَلْ هِيَ فِي مَكَانٍ تَكُونُ فِيهِ ضَاحِيَةً لِلشَّمْسِ بِاسْتِمْرَارٍ وَبِذَلِكَ يَكُونُ زَيْتُهَا أَصْفَى وَأَنْفَع. يَكَادُ زَيْتُهَا يُفَضَّىءُ وَلَوْ لَمْ تَمَسَّهُ نَارٌ أَيْ قَبْلَ أَنْ تَمَسَّهُ النَّارُ لِفَرَطِ صَفَائِهِ وَكَثِيرِ لَطَافَتِهِ نُورٌ عَلَى نُورٍ مُتَضَاعَفٍ صَفَاؤُهُ حَيْثُ انْضَمَّ إِلَى نُورِ الْمَصْبَاحِ وَلِمَعَانِ الزَّجَاجَةِ الَّتِي وَضَعَ فِيهَا صَفَاءَ الزَّيْتِ أَيْضًا. يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ يَرْشِدُهُ إِلَى هِدَاةٍ وَيَبَيِّنُ لَهُ الضَّلَالَةَ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ تَقْرِيْبًا لِلْمَعْقُولَاتِ إِلَى الْمَحْسُوسَاتِ لِلْأَفْهَامِ، وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ مَرْمَعًا. ٣٦- فِي بُيُوتٍ ... الْجَارِ مُتَعَلِّقٌ بِمَا قَبْلَهُ وَهُوَ الْمَشْكَاءُ أَيْ هَذِهِ الْمَشْكَاءُ فِي بُيُوتِ هَذِهِ صَفَتِهَا وَهِيَ الْمَسَاجِدُ وَقِيلَ هِيَ بُيُوتُ الْأَنْبِيَاءِ أَوْ بُيُوتُ النَّبِيِّ (ص) أَيْ أَنَّ اللَّهَ أَنْ تَرْفَعَ إِلَيْهِ بِتَعْظِيمِهَا مِنْ تِلَاوَةِ كِتَابِهِ فِيهَا، أَوْ ذِكْرُ أَسْمَائِهِ الْحَسَنَى فِيهَا، أَوْ تَطْهِيرِهَا. يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا أَيْ يَصَلِّيُ لَهُ فِيهَا بِالْعُدُوِّ وَالْأَصَالِ أَيْ بِالْغَدَايَا وَهِيَ بِكُورِ النَّهَارِ وَالْعَشَايَا وَهِيَ أَوَاخِرُهَا. وَقَدْ يَمْتَدُّ ذَلِكَ إِلَى الْعَتَمَةِ. إِرْشَادُ الْأَذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ٣٦٠ ٣٧- رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ ... أَيْ يَسْبَحُ لَهُ فِيهَا رِجَالٌ لَا تَشْغَلُهُمْ تِجَارَةٌ وَلَا يَبِيعُ لَا شِرَاءَ وَلَا يَبِيعُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ إِلَخَ أَيْ إِقَامَةَ الصَّلَاةِ وَدَفْعَ الزَّكَاةِ الْمَفْرُوضَةِ إِلَى مُسْتَحِقِّيهَا يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ أَيْ تَضْطَرِبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ مِنَ الْهَوْلِ أَوْ تَتَغَيَّرُ أَحْوَالُهَا فَتَتَيَقَّنُ الْقُلُوبُ بَعْدَ الشَّكِّ وَتَبْصُرُ الْأَبْصَارُ بَعْدَ الْعَمَى وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ. ٣٨- لِيُجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا ... أَيْ يَعْطِيهِمْ أَحْسَنَ جَزَائِهِمْ وَيَزِيدُهُمْ عَلَى ذَلِكَ مِنْ فَضْلِهِ أَشْيَاءَ لَمْ يَعْطِهِمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ يَزُوقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ أَيْ بِلاَ اسْتِحْقَاقٍ عَلَى عَمَلٍ بَلْ تَفَضُّلاً مِنْهُ سَبْحَانَهُ. ٣٩- وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ ... أَيْ الَّتِي يَعْمَلُونَهَا وَيَعْتَقِدُونَ أَنَّهَا طَاعَاتُ كَشْعَاعٍ بِأَرْضٍ بَيَاضٍ مُسْتَوِيَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً يَظُنُّهُ الْعَطْشَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا حَتَّى إِذَا انْتَهَى إِلَيْهِ لَمْ يَجِدْ مِمَّا حَسَبَ وَقَدَّرَ شَيْئًا أَرْضًا لَا مَاءَ فِيهَا. وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ عِنْدَ جَزَائِهِ مَحَاسِبًا إِيَّاهُ فَوْقَهُ حِسَابُهُ أَعْطَاهُ جَزَاءَ عَمَلِهِ تَمَامًا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ لَا يَمْنَعُهُ حِسَابُ بَعْضٍ عَنْ مَحَاسِبِ الْآخَرِ. ٤٠- أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرِ لُجِّيٍّ ... أَيْ أَنَّ أَعْمَالَهُمْ فِي خَلْقِهَا عَنْ نُورِ الْحَقِّ مِثْلُ ظُلُمَاتٍ فِي بَحْرِ عَمِيقٍ يَعْشَاءُ مَوْجٌ إِلَخَ أَيْ مِنْ فَوْقِ الْمَوْجِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ مِنْ فَوْقِ الْمَوْجِ الثَّانِي سَحَابٌ حَجَبَ نُورَ الْكَوَاكِبِ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ، إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكُنْ يَرَاهَا أَيْ الظُّلُمَاتُ الْمُتَرَاكِمَةُ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَلَاظِظَ يَدَهُ فَأَخْرَجَهَا إِلَى مُقَابِلِ عَيْنِهِ لَمْ يَقَارِبْ أَنْ يَرَاهَا لَشِدَّةِ الظُّلْمَةِ وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا مِنْ لَمْ يَقْدِرْ لَهُ الْهُدَايَةُ فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ وَهُوَ فِي ظُلْمَةِ الْبَاطِلِ دَائِمًا. ٤١- أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ ... إِلَخَ أَيْ يَنْزِعُهُ عَمَّا لَا يَلِيقُ بِهِ أَهْلُ السَّمَاوَاتِ مِنَ الرُّوحَانِيِّينَ وَأَهْلُ الْأَرْضِ مِنَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ وَالطَّيْرِ صَافَاتٍ أَيْ بِاسْطِطَاتٍ أَجْنَحَتَهُنَّ وَوَاقِفَاتٍ فِي الْجَوِّ. كُلُّ قَدَمٍ عَلِمَ صِلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ إِلَخَ مَعْنَاهُ أَنَّ جَمِيعَ ذَلِكَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ، وَقَدْ عِلِمُوا صَلَوَاتِ أَنْفُسِهِمْ وَتَسْبِيحِهِمْ، وَهُمْ يُؤَدُّونَهَا فِي وَقْتِهَا، أَوْ أَنَّهُ سَبْحَانَهُ قَدْ عَلِمَ ذَلِكَ كُلَّهُ مِنَ الْجَمِيعِ وَهُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا. ٤٢- وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ... أَيْ عَلَى الْحَقِيقَةِ لَا يَشَارِكُهُ فِيهِ أَحَدٌ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ أَيْ الْمَرْجِعُ. ٤٣- أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ... أَيْ يَسُوقُهُ بَرْقٍ إِلَى حَيْثُ يَرِيدُ ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ بَعْضَهَا إِلَى بَعْضٍ فَتَصِيرُ قِطْعَةً وَاحِدَةً ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا مُتَرَاكِمًا وَمُتَرَاكِبًا بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ فَتَرَى الْوُذُقَ يُخْرَجُ مِنْ خِلَالِهِ تَرَى الْمَطَرَ يَخْرُجُ مِنْ فُتُوهِ وَفَرْجِهِ، وَيُنْزَلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ أَيْ يَنْزِلُ مِنَ السَّحَابِ مِمَّا تَحْمِلُهُ مِنَ الْجِبَالِ الْمُتَكُونَةِ مِنَ الْبَرَدِ وَهُوَ قِطْعُ الثَّلَاجِ. فَيَصِيرُ بِهِ بِالْبَرَدِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ يَرِيدُ وَيَضْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَدْفَعُهُ عَنْهُ يَكَادُ سَيْنَا بَرْقُهُ أَيْ ضَوْءُ بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ أَبْصَارَ النَّاظِرِينَ إِلَيْهِ مِنْ فَرَطِ الْإِضَاءَةِ. إِرْشَادُ الْأَذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ٣٦١ ٤٤- يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ... أَيْ يَصَيِّرُهُمَا بِذَهَابٍ وَاحِدٍ وَمَجِيئٍ آخَرَ مُتَعَاقِبِينَ وَهَذَا بَيَانٌ آخَرٌ لِرُجُوعِ الْأَمْرِ إِلَى مَشِيئَةِ تَعَالَى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ أَيْ عِبْرَةٌ وَدَلَالَةٌ لِدَوَى الْعُقُولِ وَالْبَصَائِرِ. ٤٥- وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ ... أَيْ كُلَّ حَيْوَانٍ يَدْبُ عَلَى الْأَرْضِ مِنْ مَاءٍ قَلِيلٍ مِنَ الْمَاءِ الْمُتَعَارِفِ لِأَنَّهُ أَصْلُ الْخَلْقِ. وَقِيلَ الْمُرَادُ بِهِ النُّطْفَةُ. فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي إِلَخَ الْآيَةِ مِنْ آثَارِ الْعَالَمِ السُّفْلِيِّ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ وَغَيْرِهَا عَلَى وَجُودِ الصَّانِعِ وَتَوْحِيدِهِ وَحُكْمَتِهِ وَقُدْرَتِهِ التَّامَةِ وَلَمْ يَذْكُرْ مَا يَمْشِي عَلَى أَكْثَرِ مِنْ أَرْبَعٍ لِأَنَّهُ كَالَّذِي يَمْشِي عَلَى الْأَرْبَعِ لِلرَّائِي وَالْعِبْرَةُ تَكْفِي بِذِكْرِ الْأَرْبَعِ لِحَصُولِ الْغَرَضِ بِهَذَا الْمَقْدَارِ. يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِلَخَ أَيْ يَنْشِئُ مَا يَرِيدُ لِأَنَّهُ الْقَادِرُ الْمَطْلُوقُ مِنَ حَيْوَانِ وَغَيْرِهِ. ٤٦- لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ ... أَيْ دَلَالَاتٍ وَاضِحَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ بِالتَّوْفِيقِ لِلنَّظَرِ فِيهَا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ لِلطَّرِيقِ الْمَوْصِلِ إِلَى الْجَنَّةِ، وَهُوَ الْإِيمَانُ. ٤٧- وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ... أَيْ صَدَّقْنَا بِهِمَا وَأَطَعْنَاهُمَا فِيمَا حُكِمَ بِهِ ثُمَّ يَتَوَلَّى

فَرِيقٌ مِنْهُمْ أَى يعرض فريق منهم عن إطاعتها مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ بعد قولهم آمنا بالله وبالرسول وما أولئك بالمؤمنين أى الذين يقولون آمنا بهما ثم يعرضون عن حكمهما. وهذا بيان حال بعض المنافقين حيث أظهروا الإيمان والطاعة أولا ثم تولوا ثانيا. ٤٨- وإذا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ... أى إذا انتدبوا لحكم الله وحكم رسوله لِيُحْكَمْ بَيْنَهُمْ أى الرسول إذا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ يمتنعون عن الاستجابة. ويشهد سياق الآية أن الآيات إنما نزلت فى بعض المنافقين حيث دعوا إلى حكم النبى (ص) فى منازعة وقعت بينه وبين غيره فأبى الرجوع إليه (ص). ٤٩- وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ... أى إلى النبى (ص) إن علموا أن الحكم فى صالحهم، وأنهم أصحاب حق. ٥٠- أَفَى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ... أى شك فى نبوتك أو نفاق، أم اذتابوا أم رأوا منكم ما أوقعهم فى ريبه من أمرك فلم يعودوا يثقون بقولك. أم يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ أى أن يجور الله عليهم والرسول بظلمهم فى الحكم يَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ لأنفسهم ولغيرهم من خصومهم. ٥١- إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ ... إلخ أى أن قول المصدقين بالله ورسوله إذا دعوا إليهما ليحكم فيما بينهم هو: سمعنا قول النبى وأطعنا أمره وقبلناه وأنفذناه ولو كان على خلاف رغبتنا. وأولئك هم الفائزون بالثواب والرضوان. ٥٢- وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ... فيما أمراه به ونهياه عنه. وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقِهِ أى ويخف عقابه ويتق غضبه بإطاعته تلك فأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ الرابحون لرضوانه وجنته. ٥٣- وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ... المنافقون حلفوا بالله حلفا غليظا وشديدا. لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ بالخروج فى غزواتك لَيَخْرُجْنَ معك قُلْ لا تُقَسِّمُوا يا محمد قل لهؤلاء المنافقين: لا تحلفوا طاعةً مَعْرُوفَةً أى: المطلوب منكم هى الإطاعة الحسنة للنبى (ص) الصادقة لا الإطاعة النفاقية. إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ هو عالم بسر أئركم وأعمالكم. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٣٦٢ ٥٤- قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ... أى قل لهم ذلك يا محمد وتصدير الكلام بقل: إشارة إلى أن الطاعة جميعا لله وقد أكده بقوله: وأطيعوا الرسول، دون أن يقول: وأطيعونى، لأن إطاعة الرسول بما هو إطاعة الرسول طاعة المرسل وبذلك تتم الحجة، ولذلك عقب الكلام بقوله: فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنْ عَرَضُوا عَنْ الطاعة لله ولك فَإِنَّمَا عَلَيْهِ عَلَى الرَسُولِ مَا حُمِّلَ مِنْ أَدَاءِ الرِّسَالَةِ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ مِنَ التَّابِعَةِ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا إلى الحق والجنة وما عَلَى الرَسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ وقد بلغ، فإن قبلتم فلکم وإلّا فعليكم. ٥٥- وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ ... أى ليجعلنهم خلفاء بعد نبىكم متصرفين فيها وهذه الآية وعد جميل للمؤمنين العاملين الصالحات أنه سبحانه سيجعل لهم مجتمعا صالحا يخص بهم فيستخلفهم فى الأرض ويمكن لهم دينهم كما استخلف الذين مِنْ قَبْلِهِمْ أى بنى إسرائيل بدل الجبارة أو المراد بهم بشكل عام المؤمنون من أمم الأنبياء السابقين الذين أهلك الله الكافرين والفاسقين منهم ونجى الخالص من مؤمنهم كقوم نوح وهود وصالح وشعيب إلخ. وَلَيَمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ أى الإسلام وَلَيَبْدُلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا إلخ أى وليصيرنهم بعد خوفهم من المشركين بمكة آمنين بقوة الإسلام لا يخافون غيرى وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ ارتد أو كفر بهذه النعم فأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ الخارجون إلى أقبح الكفر. ٥٦- وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ... إلخ واضح المعنى لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ أى لترحموا جزاء على ذلك. ٥٧- لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ ... أى: لا- تظنن أن هؤلاء الكافرين فائتين سابقين قدرة الله ومآواهم النار ولَبَسَ الْمَصِيرُ ففى مقرهم وإليها مرجعهم وبس المقر والمرجع. ٥٨- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيْسَ بِأَذْنُكُمْ ... إلخ أى ليطلب الإذن فى الدخول عليكم المملوكون من الرجال والنساء والصبيان الذين بلغوا الحلم والذين لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ من الأحرار الذين يميزون بين العورة وغيرها ثلاث مَرَّاتٍ أى فى الأوقات الثلاثة التى بَيْنَهَا اللَّهُ تعالى لنبته (ص) وهى: مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ لأنه وقت القيام من المضاجع وتبديل لبس الليل بلبس النهار وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهْرِ أى للقبولة وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ لأنه وقت يأوى الرجل إلى امرأته ويخلو بها ثلاث عَوْرَاتٍ لَكُمْ أى الأوقات الثلاثة وإنما سميت هذه الأوقات عورات لأن الإنسان فى هذه الأوقات غالبا ما يضع ثيابه وجلبابه فتبدو عورته. لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَ هُنَّ أى بعد هذه الأوقات فى ترك الاستئذان طَوَافُونَ عَلَيْكُمْ ظاهر هذه الجملة أن المماليك يطوفون على الموالى، ولكن، قوله سبحانه بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ إلخ يدل على أن الفريقين كل واحد يحتاج إلى الآخرة ويطوف الموالى أيضا على العبيد لاستدعاء الضرورة ذلك، ورفع الحرج والمشقة. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٣٦٣ ٥٩- وَإِذَا بَلَغَ

الْأَطْفَالُ مِنْكُمْ الْحُلُمُ فَلَيْسَ تَأْذِنُوا ... أى أطفالكم أيها الأحرار يجب أن يستأذنوا ثلاث مرات فى الأوقات الثلاثة المذكورة كما استأذنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أى الذين بلغوا قبلهم من الأحرار كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ أى يوضح الدلالات على الأحكام وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ مر معناه. ٦٠- وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ ... أى المسنات والقواعد: جمع قاعدة، وهى المرأة التى قعدت عن النكاح فلا ترجوه كما سوف يذكر. اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا وصف توضيحي، أى اللاتى لا يرغبن فى الأزواج ولا طمع لهن فى الشؤون الجنسية، لكبرهن. وقيل: هن اللواتى يئسن من المحيض فالوصف احترازي. فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَى ذَنْبٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ وَلَعَلَّ الْمَرَادَ بَعْضَ ثِيَابِهِنَّ كَالْخِمَارِ أَوْ الْجِلْبَابِ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ أَى غير قاصدات بوضع ثيابهن إظهار زينتهن ومحاسنهن. والتبرج: - كما فى المجمع - إظهار المرأة من محاسنها ما يجب عليها ستره، وأصله الظهور، ومنه البرج: البناء العالى لظهوره. وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ أَى لَا يَضَعْنَ الثِّيَابَ مطلقاً وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ مر معناه. ٦١- لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ ... إلخ كان أهل المدينة قبل إسلامهم معتزلين الأعمى والأعرج والمريض ولا يأكلون معهم فى مجامعهم ومجتمعاتهم، وهؤلاء الأصناف هم أيضا كانوا لا يأكلون معهم ويقولون: لعلمهم يتأذون إذا أكلنا معهم. فلما قدم النبى (ص) سألوهم عن ذلك فأنزل الله عز وجل: لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَى جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ إِنْ خَرَجْتُمْ مِنْ بَيْتِكُمْ أَوْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ وَقَدْ تَضَمَّنَتْ هَذِهِ الْآيَةُ الْإِذْنَ بِالْأَكْلِ مِنْ بُيُوتِ الْمَذْكُورِينَ وَلَكِنْ لَا بَدَ مِنْ تَقْيِيدِهِ بِمَقْدَارِ الْحَاجَةِ مِنْ غَيْرِ إِسْرَافٍ أَوْ إِفْسَادٍ. أَوْ مَا مَلَكَتُمْ مَفَاتِحَهُ جَمْعُ مِفْتَاحٍ وَهُوَ مَا يَفْتَحُ بِهِ، أَى وَكَلَّمْتُمْ بِحِفْظِهِ أَوْ بُيُوتِ مَمَالِكِكُمْ. أَوْ صَدِيقِكُمْ إِذَا عَلِمَ أَنَّ نَفْسَهُ تَطِيبُ بِذَلِكَ. لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ إِنْ خَرَجْتُمْ عَنْ الصِّيَادَةِ (ع) قَالَ: يَأْذَنُ وَبِغَيْرِ إِذْنِ مُجْتَمِعِينَ وَ مُتَفَرِّقِينَ. وَ الْأَشْتَاتَاتُ: جَمْعُ شَتٍ وَهُوَ مُصْدَرٌ بِمَعْنَى التَّفَرُّقِ، اسْتَعْمَلَ بِمَعْنَى التَّفَرُّقِ مَبَالِغَةً ثُمَّ جَمْعٌ، أَوْ صِفَةٌ: بِمَعْنَى التَّفَرُّقِ. وَ الْآيَةُ عَامَةٌ وَ إِنْ كَانَ نَزُولُهَا لِسَبَبٍ خَاصٍّ كَمَا رَوَى. فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَى عَلَى أَهْلِهَا الَّذِينَ هُمْ مِنْكُمْ تَحِيَّةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُشْرُوعَةٌ مِنْ لَدُنْهِ مُبَارَكَةٌ لِأَنَّهَا يَرْجَى بِهَا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى زِيَادَةَ الْخَيْرِ طَيِّبَةً أَى طِيبَ الرِّزْقِ وَ طِيبَ النَّفْسِ بِالتَّوَّاسُلِ وَ الثَّوَابِ. وَ قَدْ فُرِعَ هَذَا وَهُوَ مَا يَتَعَلَّقُ بِأَدَبِ الدَّخُولِ لِلْبُيُوتِ بَعْدَ مَا ذَكَرَ الْبُيُوتَ نَفْسَهَا وَ حَكْمَ دُخُولِهَا. كَذَلِكَ أَى كَمَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى بَيْنَ السَّلَامِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ يَظْهَرُ لَكُمْ وَ يَنْزِلُ آيَاتُ أَحْكَامِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ مَعَالِمَ دِينِكُمْ وَ مَصَالِحَهَا فَتَعْلَمُوا بِهَا. وَ قَدْ تَضَمَّنَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ الْمُبَارَكَةُ مَا يُؤَكِّدُ نَظْرَةَ الْإِسْلَامِ الْاجْتِمَاعِيَّةَ وَ حَرَصَهُ عَلَى ضَرُورَةِ بَثِّ رُوحِ الْأَلْفَةِ وَ التَّسَامُحِ بَيْنَ أَفْرَادِ الْمَجْتَمَعِ الْعَابِدِ سِوَاهُ كَانَتْ بَيْنَهُمْ قَرَابَةٌ رَحِيمَةً أَوْ لَا، وَ فِي ذَلِكَ مَا فِيهِ مِنْ شِدِّ الرُّوَابِطِ وَ تَقْوِيَةِ اللَّحْمَةِ وَ تَقْرِيبِ الْقُلُوبِ وَ تَأْلِيفِهَا، بِحَيْثُ يَصْبِحُ الْمَجْتَمَعُ كَعَائِلَةٍ كَبِيرَةٍ وَاحِدَةٍ تَتَصَرَّفُ بِعَفْوِيَّةٍ وَ مِنْ دُونِ تَصَنُّعٍ وَ نِفَاقٍ. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٣٦٤ ٦٢- إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ ... أَى الْكَامِلُونَ فِي الْإِيمَانِ هُمُ الَّذِينَ صَدَّقُوا بِهَمَا حَقِيقَةِ التَّصَدِيقِ وَ أَيقَنُوا بِتَوْحِيدِهِ تَعَالَى، وَ أَطْمَأْنَنَتْ نَفُوسُهُمْ وَ تَعَلَّقَتْ قُلُوبُهُمْ بِرَسُولِهِ (ص)، وَ لِذَلِكَ عَقَّبَهُ بِقَوْلِهِ: وَ إِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ أَى مَعَ الرَّسُولِ عَلَى عَمَلٍ يَقْتَضِي الْإِجْمَاعَ عَلَيْهِ بَعْدَ التَّدَبُّرِ فِي جَمِيعِ أَطْرَافِهِ وَ التَّشَاوُرِ وَ الْعَزْمِ عَلَيْهِ. لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ أَى لَمْ يَنْصَرَفُوا وَ يَتَفَرَّقُوا قَبْلَ الْبَتِّ فِي ذَلِكَ الْأَمْرِ حَتَّى يَسْتَأْذِنُوا الرَّسُولَ (ص) فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ لِمَا هُمْ فَأَذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ هَذَا تَفْوِيزٌ لِلْأَمْرِ إِلَيْهِ (ص) وَ تَخْيِيرٌ لَهُ فِي أَنْ يَأْذَنَ لِمَنْ يَشَاءُ وَ يَمْنَعُ الْإِذْنَ عَمَنْ يَشَاءُ حَسَبَ مَا تَقْتَضِيهِ الْمَصْلَحَةُ الْعُلْيَا لِلْإِسْلَامِ. وَ اسْتَغْفِرَ لَهُمُ اللَّهُ أَى أَطْلَبَ لَهُمُ الْمَغْفِرَةَ مِنَ اللَّهِ لَخُرُوجِهِمْ ذَاكَ بَعْدَ الْاسْتِئْذَانِ وَ ذَلِكَ تَطْيِيبًا لِنَفُوسِهِمْ وَ رَحْمَةً بِهِمْ. إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ مر معناه. ٦٣- لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ... أَى لَا تَسْمُوهُ بِاسْمِهِ عِنْدَ نِدَائِهِ كَمَا تَدْعُونَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا. وَ قُولُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَ قِيلَ: إِنْ الْمَرَادُ بِدُعَاءِ الرَّسُولِ (ص) هُوَ دُعَاؤُهُ النَّاسَ إِلَى أَمْرٍ مِنَ الْأُمُورِ، كَدُعَاؤِهِ لَهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ وَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَ دُعَاؤِهِمْ لِيُشَاوِرَهُمْ فِي أَمْرِ جَامِعٍ، وَ دُعَاؤُهُمْ إِلَى الصَّلَاةِ جَامِعَةٍ، وَ أَمْرُهُ بِشَيْءٍ مِنْ أَمْرِ دُنْيَاهُمْ أَوْ آخِرَتِهِمْ فَكُلُّ ذَلِكَ دُعَاءٌ وَ دَعْوَةٌ مِنْهُ (ص) وَ يَشْهَدُ بِهَذَا الْمَعْنَى قَوْلُهُ فِي ذِيلِ الْآيَةِ: قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ أَى يَخْرُجُونَ عَنِ الْجَمَاعَةِ بِخَفِيَّةٍ لَوْ أَدَا هِيَ حَالٌ عَنْ ضَمِيرٍ يَتَسَلَّلُونَ، أَى هُمْ يَلُودُ أَحَدَهُمْ بِمَنْ يُؤْذَنُ لَهُ وَ يَسْتَرُ نَفْسَهُ بِهِ عِنْدَ الْخُرُوجِ فَلَا يَعْبَأُونَ بِدُعَاءِ الرَّسُولِ وَ لَا يَعْتَنُونَ بِهِ. يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ يَعْصُونَ أَمْرَهُ وَ الضَّمِيرُ يَرْجِعُ إِلَى النَّبِيِّ (ص). فَتَنَّهُ أَى بَلِيَّةٌ

فِي الدُّنْيَا وَعَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الْآخِرَةِ. ٦٤- أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ ... إلخ أى اعلموا أن له تعالى ما فى السموات والأرض ملكا خاصا به ما أنتم عليه أى حقيقة حالكم وهذا من لوازم ملكيته الخاصة للكون وما فيه و من فيه و أنتم منه. من النفاق أو الإخلاص بما عملوا من خير و شر و الباقي مرّ تفسيره.

سورة الفرقان مكية، عدد آياتها ٧٧ آية

١- تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ ... أى كثرت بركاته سبحانه وتقدس وهو الذى نزل القرآن على محمد (ص)، لِيَكُونَ الْعَبْدُ أَوْ الْفَرْقَانِ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا لِلْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَ كُلِّ أَصْنَافِ الْخَلْقِ الْعَاقِلِ مِنْدِرًا وَمَخَوِّفًا مِنَ الْعَذَابِ. ٢- ... وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ ... أى كما زعم الوثنية و الثنوية و الملك بكسر الميم، أعم من الملك بضمها، و الملك هو المتصرف بالأمر و النهى فى الجمهور و ذلك يختص بسياسة الناطقين و لهذا يقال: ملك الناس و لا يقال: ملك الأشياء، و الملك بالضم ضبط الشئ المتصرف فيه بالحكم، و الملك بالكسر كالجنس للملك، فكل ملك بالضم ملك بالكسر و ليس العكس. فَصَدَّرَهُ تَقْدِيرًا أَيْ فَهَيَّاهُ لِمَا يَصْلَحُ لَهُ فِي الدِّينِ وَ الدُّنْيَا، أَوْ قَدَّرَ لَهُ أَجَلًا مَسْمُومًا. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٣٦٥- وَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً ... أى أنه مع قدرته هذه و ملكه هذا قد جعل الكافرون لأنفسهم أربابا غيره سبحانه لا تملك شيئا و لا تقدر على شئ، تلك هى أصنامهم و أوثانهم، لا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ لَأَنْهُمْ عَاجِزُونَ عَنْ ذَلِكَ، فَاللَّهُ تَعَالَى وَحْدَهُ هُوَ الْخَالِقُ الْبَارِئُ، وَ هُمْ أَيْضًا وَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَ لَا نَفْعًا فَلَا يَجْلِبُونَ لَهَا خَيْرًا وَ لَا يَدْفَعُونَ عَنْهَا شَرًّا وَ بِذَلِكَ لَمْ يَكُنْ لِهَذِهِ الْأَصْنَامِ الَّتِي عِبَدُوهَا مِنَ الْأَلُوهِيَةِ شَيْءٌ إِلَّا اسْمٌ سَمَوْهَا بِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَتَحَقَّقَ مِنْ حَقِيقَتِهَا بِشَيْءٍ كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ النَّجْمِ: إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَ آبَاؤُكُمْ ... وَ لَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَ لَا حَيَاةً وَ لَا نَشُورًا فَلَيْسَ بِيَدِهِمْ شَيْءٌ بَلْ هُمْ رَاضِعُونَ لِمَشِيئَةِ اللَّهِ سَبْحَانَهُ. ٤- وَ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ ... إلخ. أى قالوا: ليس القرآن غير كذب قد ألفه محمد و أعانته عليه قَوْمٌ آخَرُونَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِمَّا فِي كِتَابِهِمْ. فَقَدْ جَاؤُا أَيْ فَعَلُوا ظُلْمًا تَجَاوَزَا عَنْ حُدُودِ الشَّرْعِ وَ زُورًا بَهْتَانًا. ٥- وَ قَالُوا أَأَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ... أى ما سطره المتقدمون اكْتَتَبَهَا كَتَبَهَا بِنَفْسِهِ أَوْ بِوَسْطِهِ غَيْرِهِ فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ تَقْرَأُ عَلَيْهِ فَلِإِمْلَاءٍ: إلقاء الكلام إلى المخاطب بلفظه ليحفظه و يعيه، أو إلى الكاتب ليكتبه، و المراد به فى الآية المعنى الأول على ما يعطيه سياق الكلام، إذ ظاهره تحقق الاكتتاب دفعة و الاملاء تدريجا على نحو الاستمرار. بُكْرَةً وَ أَصَيْلًا أَيْ طَرَفَى النَّهَارِ لِيَحْفَظَهَا. وَ قِيلَ: هُوَ كُنْيَاهُ عَنْ الْوَقْتِ بَعْدَ الْوَقْتِ. ٦- قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ ... إلخ. أى يعلم الغيب فى السموات و الأرض إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا وَ لِذَا لَا يَعَاجِلُكُمْ بِالْعُقُوبَةِ. ٧- وَ قَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ ... أى الزاعم أنه رسول، على نحو التهكم و الاستهزاء منهم بدعواه. يَأْكُلُ الطَّعَامَ كَمَا نَأْكُلُ وَ يَمْشِي فِي الْمَأْشَوَاقِ لَطَلَبِ الْمَعَاشِ كَمَا نَمْشِي لَهُ، وَ الْاسْتِفْهَامُ لِلتَّعَجُّبِ. وَ كَأَنَّهُمْ كَانُوا مُقْتَنِعِينَ بِأَنَّ الرِّسَالَةَ لَا تَجَامِعُ أَكْلَ الطَّعَامِ وَ الْمَشْيَ فِي الْأَسْوَاقِ، لَا كِتْسَابِ الْمَعَاشِ فَإِنَّهَا اتِّصَالُ غَيْبِي لَا يَجَامِعُ التَّعْلُقَاتِ الْمَادِيَّةَ. لَوْ لَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ إلخ. يصدق فى دعواه. ٨- أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ ... أى يقذف إليه من السماء مال كثير يستغنى به عن طلب المعاش. أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ أَيْ بَسْتَانٌ يَأْكُلُ مِنْهَا مِنْ مَحْصُولِهَا وَ قَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا أَيْ مَا تَتَّبِعُونَ إِلَّا مِنْ سِحْرِ فَعَلَبَ عَلَى عَقْلِهِ. ٩- انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ ... أى انظر يا محمد كيف قالوا فيك الأقوال النادرة و ماثلوك بالمسحور، فَضَلُّوا عَنْ الطَّرِيقِ الْمَوْصِلَةِ إِلَى الْحَقِّ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا إِلَى الْقَدَحِ فِي نَبْوَتِكَ أَوْ إِلَى الْهُدَى. ١٠- تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ ... أى تقدس الذى إن أراد جعل لك خيرا من ذلك مما قالوا فيك جَنَاتٍ تَجْرِي إلخ. الآية بيان لقوله خيرا من ذلك و يجعل لك قُصُورًا مَسَاكِنَ رَفِيعَةً وَ مَنَازِلَ عَالِيَةً. ١١- بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ ... أى أنكروا البعث و هذا هو سبب تكذيبهم لك لا ما زعموه من أنك تأكل الطعام و تمشي فى الأسواق بل كان هذا منهم كلاما صوريا أرادوا به التغطية على السبب الأصلي لتكذيبهم لك و هو إنكارهم المعاد و البعث. وَ قَدْ هَيَّأْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِهِ سَعِيرًا نَارًا شَدِيدَةً الْاسْتِعَارَ. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٣٦٦- إِذَا رَأَوْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ الْقَمَى قَالَ: مِنْ مَسِيرَةِ سَنَةٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا أَيْ غَلِيَانًا مِنْهَا، وَ مِنْ أَهْلِهَا وَ الْغَيْظُ - كَمَا فِي الْمَفْرَدَاتِ - أَشَدُّ الْغَضَبِ ... وَ التَّغَيُّظُ: هُوَ إِظْهَارُ الْغَيْظِ، وَ قَدْ يَكُونُ ذَلِكَ مَعَ صَوْتٍ مَسْمُوعٍ كَمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: سَمِعُوا

وَزَفِيرًا أَى صَوْتًا خَاصًا مِنْ جَوْفِهِمْ. لِأَنَّ الزَّفِيرَ هُوَ تَرْدَدُ النَّفْسِ حَتَّى تَنْتَفِخَ الضُّلُوعُ مِنْهُ ثُمَّ قَذَفَهُ إِلَى الْخَارِجِ. وَالْآيَةُ تَمَثَّلُ حَالُ النَّارِ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِمْ إِذَا بَرَزُوا لَهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ أَنَّهَا تَشْتَدُّ إِذَا أَشْرَفُوا عَلَيْهَا كَالْأَسَدِ يَزَارُ إِذَا رَأَى فَرِيْسَتَهُ. ١٣ وَ ١٤- وَ إِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا ... أَى يَرْمُونَ بِهِمْ فِي أَمْكَنَةٍ ضَيِّقَةٍ مِنْهَا مُقَرَّرَيْنِ مُقَيَّدَيْنِ بِالْأَغْلَالِ دَعَوْا هُنَالِكَ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ الضَّيِّقِ تُبُورًا أَى هَلَاكًا وَ ادْعُوا تُبُورًا كَثِيرًا لِأَنَّ عَذَابَكُمْ أَنْوَاعٌ كَثِيرَةٌ وَ فِي كُلِّ نَوْعٍ تَمُوتُونَ وَ تَهْلِكُونَ ثُمَّ تَعُودُونَ وَ تَحْيَوْنَ. ١٥- قُلْ أَ ذَلِكُمْ ... أَى الْمَذْكُورُ مِنَ الْوَعِيدِ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ أَضْيَفُ إِلَيْهِ تَنْبِيْهَا عَلَى الْخُلُودِ فِيهَا لِلْمُؤْمِنِينَ جَزَاءٌ عَلَى إِيْمَانِهِمْ. وَ السُّؤَالُ سُؤَالٌ عَنْ أَمْرِ بَدِيْهِ لَا- يَتَوَقَّفُ فِي جَوَابِهِ عَاقِلٌ، وَ هُوَ دَائِرٌ فِي الْمَنَاطَرَةِ وَ الْمَخَاصِمِ يَرُدُّ الْخَصْمَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ أَحَدُهُمَا بَدِيْهِ الصَّحَّةُ وَ الْآخَرُ بَدِيْهِ الْبَطْلَانِ فَيَكْلِفُ أَنْ يَخْتَارَ بَيْنَ أَحَدِهِمَا فَإِنْ اخْتَارَ الْحَقَّ فَقَدْ اعْتَرَفَ بِمَا كَانَ يَنْكَرُهُ وَ إِنْ اخْتَارَ الْبَاطِلَ افْتَضَحَ. ١٦- لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَاؤُنَ خَالِدِينَ كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُومًا: أَى كَانَ مَا يَشَاءُ الْمُؤْمِنُونَ مُوعَدًا وَاجِبًا عَلَيْهِ تَعَالَى إِنْجَازُهُ بِحَيْثُ لَهُمْ حَقُّ الْمَطَالِبَةِ بِذَلِكَ. ١٧- وَ يَوْمَ يَخْشَرُهُمْ وَ مَا يَعْجِدُونَ ... إلخ. أَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَجْمَعُهُمْ مَعَ مَعْبُودَاتِهِمْ (فَيَقُولُ)- أَى يَسْأَلُ اللَّهُ- الْمَعْبُودِينَ أَ أَنتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ أَى سَبِيلَ الْهُدَى وَ الْجَنَّةِ. ١٨- قَالُوا سُبْحَانَكَ ... أَى قَالَ الْمَعْبُودُونَ: تَقَدَّسْتَ وَ تَنَزَّهْتَ عَنِ الشَّرِيكِ وَ قَدْ بَدَأُوا بِالتَّسْبِيْحِ عَلَى مَا هُوَ الْجَارِي مِنْ أَدَبِ الْعِبَادِيَّةِ فِي مَوَارِدٍ يَذْكُرُ فِيهَا شَرِيكَ أَهْلِ الشَّرِكِ أَوْ مَا يُوْهِمُ ذَلِكَ بُوْجَهَ مِنَ الْوُجُوْهِ. مَا كَانَ يَنْبَغِيْ لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ أَى لَيْسَ لَنَا أَنْ نُوَالِيَ أَعْدَاءَكَ فَحَنَنْ نَقْرَبُكَ وَ اتَّخِذْنَاكَ وَلِيًّا وَ مَعْبُودًا لِأَنْفُسِنَا. وَ لَكِنْ مَتَّعْنَاهُمْ وَ آبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ أَى لَمَّا أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ بِأَنْوَاعِ النِّعَمِ تَرَكَوْا ذِكْرَكَ أَوْ كِتَابَكَ وَ التَّدَبُّرَ فِيهِ وَ بِالنَّتِيْجَةِ وَ كَانُوا قَوْمًا بُورًا أَى هَالِكِينَ. ١٩- فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ ... أَى: فَقَدْ كَذَّبَكُمْ الْمَعْبُودُونَ بِمَا تَقُولُونَ مِنْ قَوْلِكُمْ إِنَّهُمْ آلَهُ وَ هَؤُلَاءِ أَضَلُّوْنَا فَمَا تَشْتَطِّعُونَ صَرْفًا أَى لَا يَقْدِرُ الْمَعْبُودُونَ عَلَى صَرْفِ الْعَذَابِ عَنْكُمْ وَ لَا نَصْرًا لَكُمْ بِدَفْعِ الْعَذَابِ وَ التَّرْدِيدِ بَيْنَ الصَّرْفِ وَ النَّصْرِ بِاعْتِبَارِ اسْتِقْلَالِ الْمَعْبُودِينَ فِي دَفْعِ الْعَذَابِ عَنْهُمْ وَ هُوَ الصَّرْفُ، وَ عَدَمُ اسْتِقْلَالِهِمْ بِأَنْ يَكُونُوا جُزْءَ السَّبَبِ وَ هُوَ النَّصْرُ. وَ مَنْ يَطْلُمُ مِنْكُمْ نَفْسَهُ بِالشَّرِكِ وَ الْمَعَاصِي نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا وَ هُوَ النَّارُ. ٢٠- وَ مَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ... إلخ. هَذِهِ الشَّرِيفَةُ جَوَابٌ وَرَدٌّ لِقَوْلِهِمْ: مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَ يَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ؟ وَ جَعَلْنَا بَعْضَ كُفْرِ أَهْلِ النَّاسِ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَى ابْتِلَاءً أَوْ تَصْبِيرًا أَى لِيُظْهَرَ أَنْتُمْ تَصْبِرُونَ عَلَى الْبَلَاءِ أَوْ لَا، وَ كَانَ رَبُّكَ بِصَعِيرًا بِمَنْ يَصْبِرُ وَ بَغِيرِهِ. إِرْشَادُ الْأَذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ٣٦٧ ٢١- وَقَالَ الَّذِينَ لَا- يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ... أَى الْآيِسِينَ مِنَ الْوُصُولِ إِلَى رَحْمَتِنَا وَ خَيْرِنَا لِكُفْرِهِمْ بِالْبَعْثِ، لَوْ لَا أَنْزَلْ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةَ أَى هَلَّا أَنْزَلُوا فَيُخْبِرُونَ بِصَدَقِ مُحَمَّدٍ أَوْ نَرَى رَبَّنَا فَيَأْمُرُنَا بِاتِّبَاعِ مُحَمَّدٍ لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ عَدَوْا أَنْفُسَهُمْ ذَاتَ كِبَرِيَاءٍ وَ سِيَادَةٍ حَيْثُ تَوَقَّعُوا نَزُولَ الْمَلَائِكَةِ عَلَيْهِمْ أَوْ رُؤْيَاهُ الرَّبِّ وَ عَنَوْا عُنُوتًا كَبِيرًا طَغَوْا طَغْيَانًا كَبِيرًا بِالْغَايَةِ. ٢٢- يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ ... أَى عِنْدَ الْمَوْتِ أَوْ فِي الْقِيَامَةِ. لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ أَى لَا خَبْرَ مَفْرَحٍ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ لِلْمُجْرِمِينَ لِلَّذِينَ ارْتَكَبُوا الْآثَامَ وَ يَقُولُونَ حَجْرًا مَحْجُورًا أَى يَقُولُ الْمَجْرُمُونَ عِنْدَ لِقَاءِ الْمَلَائِكَةِ هَذِهِ الْكَلِمَةُ اسْتِعَاذَةٌ مِنْهُمْ زَاعِمِينَ أَنَّهَا تَفِيدُهُمْ كَمَا كَانُوا يَقُولُونَهَا فِي الدُّنْيَا عِنْدَ لِقَاءِ عَدُوٍّ وَ نَحْوِهِ مِمَّا كَانُوا يَخَافُونَهُ. ٢٣- وَ قَدْ مَنَّا إِلَى مَا عَمِلُوا ... أَى عَمَدُنَا إِلَى أَعْمَالِ الْكَفَّارِ فِي الدُّنْيَا مِمَّا رَجَوْا بِهِ النِّفْعَ وَ طَلَبُوا بِهِ الثَّوَابَ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَثُورًا وَ الْهَبَاءُ هُوَ الْغُبَارُ يَدْخُلُ الْكُوَّةَ مِنْ شِعَاعِ الشَّمْسِ أَوْ مَا تَسْفِيهِ الرِّيَّاحُ وَ تَذَرُوهُ مِنْ نَاعِمِ التُّرَابِ. وَ الْحَاصِلُ تَذَهَبُ أَعْمَالُهُمْ بِاطْلَا وَ لَا نَقِيمُ لَهَا وَزَنًا. ٢٤- أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا ... أَى مَكَانًا يَسْتَقِرُّ فِيهِ وَ أَحْسَنُ مَقِيلًا مَوْضِعَ الْإِسْتِرَاحَةِ فِي الظُّهَيْرَةِ، أَوْ النَّوْمِ فِيهَا. ٢٥- وَ يَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ ... أَى يَرُونَ يَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ عَنِ الْغَمَامِ وَ تُزَلُّ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا مِنْ عِنْدِهِ سُبْحَانَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ بِأَيْدِيهِمْ صَحَائِفُ أَعْمَالِ الْعِبَادِ. ٢٦- الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ ... أَى الْمَلِكُ ثَابِتٌ لَهُ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ يَزُولُ مَلِكٌ سَائِرُ الْمُلُوكِ. وَ كَانَ يَوْمًا أَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا أَى شَدِيدَ الْأَهْوَالِ بِمَخَافِهِ. ٢٧- وَ يَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ ... نَدْمًا وَ تَحْسِيرًا، وَ الْمُرَادُ بِهِ كُلُّ ظَالِمٍ نَادِمٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا أَى طَرِيقًا إِلَى الْهُدَى. ٢٨- يَا وَيْلَتَى ... أَى يَا هَلَكْتِي فَهَذَا وَقْتُكَ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فَلَانًا خَلِيلًا الْمُرَادُ بِفُلَانٍ هُوَ مَنْ أَضَلَّهُ وَ الْخَلِيلُ الصَّاحِبُ وَ الصَّدِيقُ. ٢٩- لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ ... إلخ. أَى صَرَفَنِي عَنِ الْقُرْآنِ وَ الْإِيْمَانِ وَ كَانَ الشَّيْطَانُ أَى الْخَلِيلُ الْمُضِلُّ أَوْ إِبْلِيسُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا أَى يَسْلُمُهُ إِلَى الْهَلَاكِ ثُمَّ يَتْرَكُهُ. ٣٠- وَقَالَ الرَّسُولُ ... هَذَا الْقُرْآنُ مَهْجُورًا ... أَى جَعَلُوهُ مَتْرُوكًا وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ لَا

يسمعونه ولا يتدبرون آياته. ٣١- وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ ... إلخ. أى كما جعلنا لك أعداء من قومك كذلك جعلنا لكل نبيّ عدوّاً من المجرمين فصبروا على ما لقوه منهم حتى نصروا، فكذلك لا بدّ لك من الصبر حتى يأتيك النصر من عنده فحسبك بالله هادياً إلى الحق وناصراً لأوليائه على أعدائه. ٣٢- وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ... أى دفعه واحده كما أنزل التوراة والإنجيل والزبور. وكذلك أى أنزلناه متفرقاً لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ لِنَقْوَىٰ بِتَفْرِيقِهِ قَلْبَكَ عَلَىٰ حِفْظِهِ وَفَهْمِهِ وَرَتْلَانَهُ تَوْتِيلاً أَيْ نَزْلَانَهُ شَيْئاً بعد شيء أو بيناه تبييناً. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٣٦٨ ٣٣- وَلَا يَأْتُوكَ بِمَثَلٍ ... أى لا يأتيك المشركون بمثل يضربونه لك فى مخاصمتك وقيل: المثل: هو الوصف، أى لا يأتونك بوصف فيك أو فى غيرك حادوا فيه عن الحق أو أسأوا تفسيره إلا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ أَيْ بِالْقُرْآنِ الَّذِي يَدْحُضُهُ وَ عَلَى الْقَوْلِ الْآخَرِ: إلا جئناك بما هو الحق فيه أو ما هو أحسن الوجوه فى تفسيره فإن ما أتوا به إما باطل محض فالحق يدفعه، أو حق محزف عن موضعه فالتفسير الأحسن يردّه إلى مستواه ويقومه. وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا أَحْسَنَ بياناً وكشفاً ممّا أتوا به من المثل. ٣٤- الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ... إلخ. أى يسبحون على وجوههم إلى النار وهم كفار مكة وهم شر منزلاً واصل طريقاً من المؤمنين. ٣٥ و ٣٦- وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ ... إلخ. أى التوراة. عرّف نبيه محمداً بما نزل على من سبقه من الأنبياء من أممهم من تكذيبهم إياهم، إشارة إلى أنه لست يا محمد بأول من أرسلت فكذبت، و آتيناك الآيات فرددت، فإن موسى قد آتينا التوراة وقوينا عضده بأخيه، ومع ذلك فقد ردّه قومه وكذبوه فنصرناه وأهلكنا عدوّه فرعون إهلاكاً. ٣٧- وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ ... أى اذكر يا محمد قصة قوم نوح حين كذبوا الرسل أى نوحاً ومن قبله أغرقناهم بالطوفان وجعلنا إهلاكهم آيةً أى عبرة للناس وأعتدنا هياتاً لهم سوى ما حلّ بهم فى الدنيا عذاباً أليماً فى الآخرة. ٣٨- وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرِّسِّ ... وأهلكنا هؤلاء. والرّسّ بئر ألقوا فيها نبيهم فسمّوا بها. وكانوا - كما قيل - قوماً بعد ثمود وكانوا نازلين على تلك البئر. وقروناً بين ذلك كثيرًا أى أهلكنا أهل أعصار كثيرين بين نوح أو عاد وأصحاب الرس. ٣٩- وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ ... أى بينا لهم القصص العجيبة فلم يعتبروا وأصروا على تكذيبهم للأنبياء فأهلكوا وكُلًّا تَبَرْنَا تَبِيرًا دمرناهم تدميراً. ٤٠- وَلَقَدْ أَنزَلْنَا ... أى أن قريشاً مروا مرارا فى أسفارهم إلى الشام على القَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرُ السَّوءِ عن الباقر (ع): هى سدوم قرية قوم لوط، أمطر الله عليهم حجارة من سجيل وقد مرّ ذكرها فيما سبق. أَلَمْ يَكُونُوا يَرُوءُهَا فِي مَرُورِهِمْ فَيَتَعَزَّوْنَ وَالاستفهام توبيخى، إذ أنهم كانوا يرونها بأعينهم. بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا أَيْ أَنَّهُمْ لَا يَتَوَقَّعُونَ بَعْثًا وَلَا يَتَرَقَّبُونَ حَسَابًا فَلذَلِكَ لَمْ يَتَبَرَّوْا مَعَهُمْ وَأَوْهَا. ٤١- وَإِذَا رَأَوْكَ إِذَا يَتَّخِذُونَكَ ... أى ما يتخذونك إلا هُزُوءاً مهزوءاً به قائلين: أ هَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا أَيْ بَعَثَ إِلَيْنَا رَسُولًا؟ ٤٢- إِنْ كَادَ لَيُضِلَّنَا عَنْ آلِهَتِنَا ... أى أنه أراد أن يصرفنا عن عبادة آلِهَتِنَا بدعوته أو قارب أن يصرفنا عن آلِهَتِنَا مضلاً لنا لَوْ لَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا لَوْ لَا ثَبُوتُنَا عَلَيْهَا وَ تَمَسُّكُنَا بِعِبَادَتِهَا وَ سَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرُوءْنَ الْعَذَابَ الَّذِي سَيَحِلُّ بِهِمْ فِي الْآخِرَةِ مَنْ أَضَلَّ سَبِيلًا أَيْ أَخْطَأَ طَرِيقًا أَهْمَ أَمْ أَنْتَ. وفى هذا توعّد وتهديد منه سبحانه لهم وتنبية على أنهم فى غفلة مما سيستقبلهم من معابنة العذاب واليقين حينئذ بالغى والضلال. ٤٣- أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ ... أى أخبرنا عن الذى أطاع هواه فى دينه. أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا فَلَسْتَ وَكِيلًا عَلَيْهِ فَدَعِهِ وَ شَأْنَهُ وَلَا يَضُرُّكَ ضَلَالُهُ. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٣٦٩ ٤٤- أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ ... أى سماع تفهّم أو يَعْقِلُونَ يتدبرون ما تأتى به من الحجج، إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ مَا هُمْ إِلَّا مِثْلُ الْبَهَائِمِ فى عدم تفهّم وتدبر حججك بل هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا مِنَ الْأَنْعَامِ لِأَنَّ الْأَنْعَامَ أَلْهَمَتْ مَنَافِعَهَا وَمَضَارَهَا فَهِيَ لَا تَفْعَلُ مَا يَضُرُّهَا بِخِلَافِهِمْ هُمْ إِذْ مَكُنُوا مِنَ الْمَعْرِفَةِ فَلَمْ يَنْتَفِعُوا. ٤٥ و ٤٦- أَلَمْ تَرِ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ ... أى أَلَمْ تَنْظُرْ إِلَىٰ صَنْعِهِ سَبْحَانَهُ كَيْفَ بَسَطَ ظِلَالُ الْأَشْيَاءِ مِنَ الْفَجْرِ إِلَىٰ طُلُوعِ الشَّمْسِ. فالظل نسخته الشمس وهو بالغداة. وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا أَيْ ثَابِتًا مَقِيمًا، ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ تَدُلُّ الشَّمْسُ عَلَى الظِّلِّ بِمَعْنَى أَنَّهُ لَوْ لَا الشَّمْسُ لَمَا عَرَفَ الظِّلَّ. وقيل لا- يعرف وجوده ولا يتفاوت طولُه وقصره إلا بطلوعها وحركتها. ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا أَيْ أَرْزَلْنَا الظِّلَّ بِإِقْبَاعِ الشَّمْسِ مَوْقِعَهُ .. قَبْضًا يَسِيرًا قَلِيلًا قَلِيلًا أَيْ لَا دَفْعَةً. ٤٧- وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا ... أى ساتراً بظلامه كاللباس، وَالنَّوْمَ سُبَاتًا رَاحَةً لِلْأَبْدَانِ بِقَطْعِ الْأَعْمَالِ وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا فَلَمَّا كَانَ النَّوْمُ بِمَنْزِلَةِ الْمَوْتِ عَبَّرَ بِذَلِكَ وَنَسَبَ النَّشُورَ إِلَى النَّهَارِ. أى جعل النهار ذا نشور ينتشر فيه

الناس للمعاش وغيره من حوائجهم التي لا تحصل في غير النهار إلّا بتعب كثير. ٤٨- وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا ... إلخ. أى مبشرات قدام المطر. وقد مر في سورة الأعراف. وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا أى الطاهر فى نفسه المطهر لغيره. ٤٩- لِنُخَبِّئَ بِهِ بَلَدَةً مَّيْتًا ... هو محيى البلاد به بالنباتات والتعم الأخرى وأراد بالبلدة المكان. وَنُشِيقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا أى ولنسقى من ذلك الماء أنعاما جمية وأناسا كثيرين. ٥٠- وَلَقَدْ صَيَّرْناه بَيْنَهُمْ ... أى فرقنا المطر بين الناس فى البلدان والأوقات المختلفة لِيَذْكُرُوا لِيَتَفَكَّرُوا كمال القدرة فيعرفوا ربهم فيعبده، ويشكروه. فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا جحودا لنعمه سبحانه وإنكارا لقدرة. ٥١- وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ... إلخ. أى نبييا يخوف أهلها ولكننا لم نفعل وكنت أنت وحدك المبعوث للعالمين. ٥٢- فَلَا تُطْعِ الْكَافِرِينَ ... فيما يدعونك إليه من المداينة والاستجابة لأهوائهم بل خالفهم. وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا أى لا بد لك من الاجتهاد فى مخالفتهم وإزاحة باطلهم بالقرآن. ٥٣- وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ ... أى خلأهما وأرسلهما فى مجاريهما متجاورين متلاصقين بحيث لا يتمازجان، هذا عَذْبٌ فُرَاتٌ أى أحدهما طيب شديد الطيب وهذا مِلْحٌ أجاج شديد الملوحة وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا حَاجِزًا بقدرته تعالى يمنعهما من الاختلاط وَحِجْرًا مَحْجُورًا أى جعل بينهما حدا محدودا. ٥٤- وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا ... أى الماء الذى خمر به طينة آدم (ع)، أو المراد النطفة فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا أى قسمين: ذوى نسب ذكورا، لأن نسبة النسب تتحقق به وذوات صهر إناثا يصاهر بهن فتوجد المصاهرة وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا عَلَى أَى شَىْءٍ أَرَادَ. ٥٥- وَيَعْبُدُونَ مِنْ ... وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا ... أى معينا للشيطان على معصية الله لأنه يتابعه بكل ما يأمر به. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٣٧٠ ٥٦- وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ... أى بعثناك بشيرا للمؤمنين بالثبوتة ومنذرا للكافرين بالعقوبة. وليس لك وراء ذلك من الأمر شىء فلا عليك إن كانوا معاندين لربهم مظاهرين لعدوه عليه فليسوا بمعجزين لله وما يمكنون إلا بأنفسهم. ٥٧- قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ... على تبليغ الرِّسَالَةِ أو على القرآن بما أن قراءته عليهم ما هى إلا تبليغ للرسالة. إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا يعنى أجرى هو إطاعة المطيعين و إيمان المؤمنين وتقربهم بأعمالهم إليه تعالى. والاستثناء منقطع فى معنى المتصل، فإنه فى معنى: إِلَّا أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا من شاء ذلك. وقد علق اتخاذ السبيل على مشيئتهم للدلالة على حريتهم الكاملة من قبله (ص). ٥٨- وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ ... فى دفع المضار و جلب المنافع فإنه الحقيق لأن يتوكل عليه حيث إنه الباقي وغيره الفانى، وَ سَيَبِّحُ بِحَمْدِهِ أى احمده منزها له عما لا يليق به من صفات وَ كَفَىٰ بِهِ بَذُنُوبٍ عِبَادِهِ خَبِيرًا أى كفى الله معرفه بذنوب عباده فيحاسبهم ويجازيهم عليها. ٥٩- الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ... أى أوجدهما من العدم مع وَ مَا بَيْنَهُمَا من المخلوقين من الملائكة والكواكب وغيرها من الموجودات فى سِتَّةِ أَيَّامٍ مر تفسيره فى سورة الأعراف. ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ أى استولى أمره عليه وهو أعظم المخلوقات، أو استولى على الملك. الرَّحْمَنُ فَشَلَّ بِهِ خَبِيرًا أى عَمَّا ذَكَرَ من الخلق والاستواء فاسأل عارفا بهما وهو الله، أو جبرائيل يخبرك به وقيل محمد (ص). ٦٠- وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ ... أى قيل للمشركين لأنهم ما كانوا يطلقونه عليه تعالى قالوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَى شَىْءٍ وَ أَى شَخْصٍ هُوَ، أُنْشِئْ جَدُّ لِمَا تَأْمُرُنَا أى للذى تأمرنا بالسجود له، ولو لم نعرفه ولم نعتقد به، أو لأمرك لنا فقط. وَ زَادَهُمْ نُفُورًا أى الأمر بالسجود للرحمان زاد الكفرة تباعدا عن الإيمان. ٦١- تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ ... أى كثير الخير والبركة ذاك الذى جعل بقدرته الكاملة فى السماء بُرُوجًا أى الاثنى عشر المعروفة وهى منازل الكواكب السبعة السيارة. وَ جَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا أى الشمس. ٦٢- وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خُلْفَةً ... أى يخلف أحدهما الآخر بأن يقوم مقامه لمن أراد أَنْ يَذْكُرَ أى يتفكر ويستدل بذلك على أَنَّ لَهُمَا مَدَبْرًا ومصرفا أو أراد شُكُورًا أى أن يشكر نعمه ربّه عليه فيها. ٦٣- وَ عِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ... أى بالسكينة والوقار والطاعة غير أشربين ولا مرحين ولا متكبرين ولا مفسدين، وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا إذا خاطبهم الجهله والحمقى بما يثقل عليهم أو بما يكرهونه قالوا فى جوابهم سلاما، أى سدادا من القول. ٦٤- وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ... أى فى الصلوة. ٦٥- وَالَّذِينَ يَقُولُونَ ... إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ... أى لازما دائما لا ينفك عن أهلها. ٦٦- إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ... أى بئس المقر والمقام جهنم. ٦٧- وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا ... أى لم يجاوزوا الحد فى النفقة ولم يضيقوا فيها، أو لم ينفقوا فى المعاصى ولم

يمنعوا الحقوق وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً أَى وسطاً بين الإقتار والإسراف. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٣٧١ ٦٨- وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ... يَلْقَى أَثَاماً... أَى يرى ويلقى جزاء إثمهم وقيل: أثاماً واد فى جهنم. و حيث إن أصول الشرك والوثنية لا تجيز دعاءه تعالى و عبادته أصلاً ولا وحده ولا مع أوثانهم وإنما توجب دعاء أوثانهم آلهتهم و عبادتها ليقربوهم إلى الله زلفى و يشفعوا لهم عنده، كان لا بد من أن يكون بدعائهم مع الله إلهها آخر إما التلويح إلى أنه تعالى إله مدعو بالفطرة على كل حال فدعاء غيره دعاء لإله آخر معه و إن لم يذكر الله، أو أنه سبحانه ثابت فى نفسه سواء دعى غيره أم لا، فالمراد بدعاء غيره دعاء إله آخر مع وجوده، و بتعبير آخر: تعديه إلى غيره. ٦٩- يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ... وَيُخْلَدُ فِيهِ مُهَانًا... أَى يعذب بأنواع العذاب فى الآخرة و يقيم فيه أبداً فى غاية التحقير. ٧٠- إِلَّا مَنْ تَابَ... يُدْخِلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ... أَى إلا من تاب من ذنبه و آمن بربه و عمل عملاً صالحاً فيما بينه و بين الله فهو له يمحو السيئة عنه و يثبت له بدلها حسنة. و قد أخذ فى المستثنى التوبة و الإيمان و العمل الصالح، أما التوبة و هى الرجوع عن المعصية و أقل مراتبها الندم، فلو لم يتحقق لم ينزع العبد عن المعصية و لم يزل مقيماً عليها، و أما إتيان العمل الصالح فهو مما تستقر به التوبة و تكون نصوحاً. ٧١- وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا... أَى يرجع إلى الله بذلك مرجعاً مرضياً دافعاً للعقاب جالباً للثواب. ٧٢- وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ... أَى لا يحضرون محاضر الباطل، أو لا يقيمون شهادة الكذب. و إِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ أَصْل اللغو هو الفعل أو القول الذى لا فائدة فيه، مَرُّوا كراماً أَى معرضين عنه مكرمين أنفسهم عن الخوض فيه معهم. ٧٣- وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ... أَى القرآن أو الوعظ لَمْ يَخْرُوا عَلَيْهَا ضِعْمًا وَعُمِيَانًا أَى لم يكبوا عليها غير منتفعين بها كالصم و العميان، بل يكون عليها و أعين لها متبصرين ما فيها. ٧٤- وَالَّذِينَ يَقُولُونَ... قُرْءًا أَعْيُنَ... بَأَن نَرَاهُمْ مَوْفَقِينَ مَطِيعِينَ لَكَ، و قَرَّتْ عَيْنُهُ تَقَرَّتْ: سَرَتْ. و قيل: أصله من القَرَّ أى البرد، فَقَرَّتْ عَيْنُهُ، قيل: معناه بردت فصَحَّت. و قيل: بل لأن للسرور دمعاً باردة قارة و الحزن دمعاً حارة و لذلك يقال لمن يدعى عليه: اسخن الله عينه. و قيل: هو من القرار، و المعنى: أعطاه الله ما يسكن به عينه فلا- تطمح إلى غيره. و أَجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا أَى اجعلنا ممن يقتدى بنا المتقون. و قيل: اجعلنا نقتدى بمن قبلنا من المتقين فيقتدى المتقون بنا من بعدنا. ٧٥ و ٧٦- أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ... أَى أعلى منازل أهل الجنة بما صَبَرُوا أَى بسبب صبرهم على الطاعات و عن المعاصى و لكن لا يمكن إغفال الصبر عند النوائب و الشدائد تسليماً لأمر الله سبحانه. وَيَلْقَوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا أَى يعطون فى الجنة، كل قول يسرّ و لك بشاره لهم بعظيم الثواب. ٧٧- قُلْ مَا يَعْجُبُكُمْ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ... أَى ما يصنع بكم، أو لا يكثر بكم، لو لا تضرعكم إليه إذا مسكم الضر أو أصابكم السوء فَقَدْ كَذَّبْتُمْ بما أخبرتكم به حيث خالفتموه فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا أَى لازماً لكم جزاء تكذيبكم فى الآخرة. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٣٧٢

سورة الشعراء مكية، عدد آياتها ٢٢٧ آية

١- طسم... قد مر معنى الحروف المقطعة التى وقعت فى أوائل السور. ٢- تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ... تلك الآيات التى وعدتم بها هى آيات القرآن الذى يبين الحق من الباطل أو البين إعجازه. ٣- لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ... أَى أشفق على نفسك يا محمد من أن تهلكها لأن قومك لا يؤمنون بل يقيمون على الكفر. ٤- إِنْ نَشَأْ نُزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةٌ... أَى علامة تضطرهم إلى الإيمان فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ إِلَخ. فصارت أعناقهم لها خاشعة منقادة. ٥ و ٦- وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ... أَى القرآن مِنَ الرَّحْمَنِ مُخْبِتٌ بوحى إلى نبيه (ص) مجدّد تنزيله. إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ لا يتدبرون فيه مصرّين على كفرهم فَقَدْ كَذَّبُوا بِالآيَاتِ الْقُرْآنِيَةِ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبُؤًا مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ أَى عمّا قريب يعلمون بأى شىء استهزؤا إذا مسهم العذاب يوم القيامة. ٧- أَوْ لَمْ يَرَوْا إِلَى السَّارِضِ... أَى أو لم ينظروا إلى عجائبها نظر تدبّر و تفكر كَمْ أَنْبَأْنَا فِيهَا مِنْ بَعْدِ مَوَاتِهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ مِنْ كُلِّ صَنَفٍ مِمَّا هُوَ كَثِيرٌ النفع. ٨- إِنْ فِي ذَلِكَ... أَى إن فى الآيات، أو فى هذا الإنبات لآية أَى برهاناً و حجة على وحدانيتنا و كمال قدرتنا و ما كان أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ أَى لا يصدّون بذلك عناداً و تقليداً لأسلافهم. ٩- وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ... أَى أنه الغالب القادر على الانتقام من الفسقة الكفرة الرّجيم

بالعباد حيث أمهلهم. ١٠ و ١١- وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى ... أى أذكر يا محمد الوقت الذى نادى فيه ربك رسوله موسى فقال يا موسى أَنْ أَنْتِ الْقَوْمُ الظَّالِمِينَ بالكفر و تعذيب بنى إسرائيل و هم فرعون و قومه. أ-لا- يَتَّقُونَ أى أما آن لهم أن يتجنبوا عقاب الله بالعمل بطاعته و ترك معصيته. ١٢ و ١٣ و ١٤- قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ ... إلخ. أى أخاف أن يكذبونى بالرسالة وَ يَضَعِيْقُ صَدْرِي من تكذيبهم لى، وَ لَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي أى لا ينبعث بالكلام للعقده التى كانت فيه منذ طفولة موسى. فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ لِيَعَاوَنِي كما يقال إذا نزلت بنا نازله فمرسل إليك، أى لتعيننا، وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ تَبِعَهُ ذَنْبٌ، و هو القود. و المراد من الذنب قتل القبطى، فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ أى يقتلونى قبل أداء الرسالة. ١٥- قَالَ كَلَّا ... أى لا يكون كذلك، و لن يقتلوكم فاذهبَا بِآيَاتِنَا أى أنت و هارون بدلأئنا و معجزاتنا إِنَّا مَعَكُمْ يعنى موسى و هارون و خصمهما فرعون مُسْتَمِعُونَ أى سامعون ما يجرى بينكم. ١٦ و ١٧- أَتَيْنَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ... أى نحن مبعوثان من عند الله مريبك و خالقك مع جميع العوالم لندعوك إلى توحيده و ترك الشرك. أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ خَلَّهُمْ يذهبوا معنا إلى الشام و أطلقهم من الاستعباد. ١٨ و ١٩- قَالَ أَلَمْ نَرْبُكَ فِينَا وَلِيداً ... أى قال فرعون لموسى: ألم تكن عندنا حبيبا صغيرا فربيناك وَ لَبِثْتَ بَقِيَّتَ فِينَا بَيْنَا مِنْ عُمْرِكَ سِنِينَ أى سنين كثيرة و هى ثمانى عشره سنه و قيل أكثر. وَ فَعَلْتَ فَعَلْتَكِ الَّتِي فَعَلْتَ يعنى قتل القبطى. وَ أَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ بنعمتى عليك. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٣٧٣-٢٠ قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا ... أى قال موسى: فعلتها حين فعلت و أَنَا مِنَ الضَّالِّينَ أى و أنا من الجاهلين بأن فعلى يؤدى إلى القتل إذ كان غرضى تخليص الإسرائيلى فقط. ٢١- فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ ... فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْماً ... أى نبوة يتبعها الحكمة، و هى معرفه التوراه. أو المراد بالحكم هو العلم، وَ جَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ أى نبيا من الأنبياء. ٢٢- وَ تِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ ... إلخ. قيل إنه إنكار للمنه أصلا فكأنه قال: أو تلك نعمة تمنها على بأن ربيتنى فى حرك مع أنك استعبدت قومي بنى إسرائيل؟ ٢٣- قَالَ فِرْعَوْنُ وَ مَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ... أى من أى جنس ربكم الذى تدعونى إلى عبادته؟ ٢٤- قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ ... أى مبدعهما و منشئهما و ما بينهما من الحيوان و النبات و الجماد إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ إِذَا كُنْتُمْ تَصَدِّقُونَ بأن هذه الأمور محدثه و ليست من فعلكم أنتم. ٢٥- قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أ-لا- تَسْتَمِعُونَ؟ ... أى قال فرعون لوزرائه و أعوانه: ألا تسمعون مقاله موسى و تفهمون ما يقوله. ٢٦- قَالَ رَبُّكُمْ وَ رَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ... فأجاب موسى ثانيا برفق تأكيدا للحجه مقررًا أن الله تعالى هو ربكم و رب آبائكم السابقين لا فرعون. ٢٧- قَالَ إِنْ رَسُولُكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ... أى قال فرعون مخاطبا من حوله، مستهزئا: إن رسولكم بزعمه مجنون لأننى أسأله عن ماهية رب العالمين الذى ادعاه فيجيبنى عن غير ما سألته. ٢٨- قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَ الْمَغْرِبِ وَ مَا بَيْنَهُمَا ... أى قال موسى: إن ربى هو الرب الذى يجرى التيارات من مشارقها إلى مغاربها على نظام مستقيم إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ إِنْ كَانَ لَكُمْ عَقْلٌ تَدَّبَّرْ وَ تَفَكَّرْ فيما أقول. ٢٩- قَالَ لَئِنْ اتَّخَذْتُ إِلَهًا غَيْرِي ... أى قال فرعون مهددا موسى: لئن عبت غيرى لأجعلنك من المسجونين أى من المحبوسين. قيل بأنه كان يسجن فى هوه سحيقه فلا يخرج السجين منها حتى يموت. ٣٠- قَالَ أَوْ لَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ ... أى استجنى و لو أتيتك بشىء ظاهر يدل على صدق دعواى، يعنى المعجزة. ٣١- قَالَ فَهَاتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ... أى هات ما ادعيت به إن كنت صادقا فى دعواك. ٣٢- فَهَاتِ لِي عَصَاةً فَإِذَا هِيَ تَلُجِبُ الْجِبَالَ غَيْرِي ... أى ظهرت ثعبانته على فرعون و جميع جلسائه لا أنه كان شيئا شبيه الثعبان. ٣٣- وَ نَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّازِرِينَ ... أى أخرج يده من جيبه فأنارت الوادى من شدته بياضها من غير برص أو علمه أخرى و بدت كذلك لكل ناظر إليها. ٣٤ و ٣٥- قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ... أى متفوق فيه يريد أن يخرجكم مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ أى من مصركم بسبب سحره. فَمَاذَا تَأْمُرُونَ فَمَا تَشِيرُونَ على. ٣٦ و ٣٧- قَالُوا أَرْجِهْ وَ أَخَاهُ ... أى أخر أمرهما وَ ابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ وَ أَرْسِلْ إِلَى أَنْحَاءِ مَمْلَكَتِكَ جميع خدمك يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَابٍ عَلِيمٍ يجمعون السحرة الحاذقين فى صنعهم. ٣٨- فَجِئَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ... أى لوقت معين و قد مر فى سورة طه. ٣٩- وَ قِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ ... أى قال للناس بعض خدمه بأمره بادروا إلى هذا الاجتماع. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٣٧٤-٤٠- لَعَلْنَا نَتَّبِعَ السَّحَرَةَ ... فى دينهم إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ لموسى و أخيه. ٤١- فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا ... أى حين اجتمعوا سألوا فرعون قائلين أ إِنْ لَنَا لَأَجْرٌ هَلْ تَعْطِينَا أَجْرَهُ وَ جَزَاءَ عَلَى عَمَلِنَا، إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ إِنْ انتصرنا بسحرنا على ما جاء به موسى؟

٤٢- قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ... أى: نعم أمتحكم أجرا كثيرا، و مضافا إلى ذلك ألتزم لكم بالقربى عندى إن غلبتم. ٤٣- قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ... أى قال موسى للسحرة: هاتوا ما عندكم من سحر و أظهروا للناس غايه ما تصنعون من الشعوذه.

٤٤- فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ ... أى رموا ما كان معهم من حبال و عصى و قالوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْعَالِيُونَ أَكْدُوا مَعْتَقَدَهُمْ بِالْحَلْفِ و لام التأكيد و هذا الحلف من قسم عهد الجاهلية. ٤٥- فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ ... أى تبتلع ما يَأْكُفُونَ أى ما يقبلونه عن وجهه الطبيعي بتمويههم. ٤٦- فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ... أى خروا ساجدين. ٤٧ و ٤٨- قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ... إلخ. أى صدقنا بمن دعانا إليه موسى و هارون و قالا إنه رب العالمين. فاستهزأ بهما فرعون. ٤٩- قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَلِيلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ ... أى قال فرعون مهددا السحرة: صدقتم به بلا إذن منى إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السَّحَرَ أى أنه رئيسكم الذى تعلمتم منه علم السحر فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ فيما بعد و بال أمركم لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافِ الْآيَةِ و المراد بالخلاف: أقطع من كل شق طرفا، أى اليد اليمنى و الرجل اليسرى، أو بالعكس و لَأَصِيبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ أعلقكم على الأخشاب بعد قتلكم. ٥٠- قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ... أى لا يضرنا ذلك فافعل بنا ما شئت فاننا بعدها إلى نعيم ربنا و ثوابه راجعون. ٥١- إِنَّا نَطْمَعُ ... أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ... أى لأننا كنا أول المؤمنين فى زماننا أو من قوم فرعون و رعاياه. ٥٢- وَ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى ... فبعد سنين أقامها بينهم يدعوهم بالآيات إلى الحق فلم يجيبوه أوحى الله تعالى إليه أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي أى اخرج من مصر أنت و من آمن بك ليلا- إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ أى أن فرعون و جنوده يتعقبونكم. ٥٣- فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ... أى بعث الجنود و الخدم ليحشروا إليه الناس و يجمعوا الجيش ليقبضوا على موسى و قومه. ٥٤- إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ... أى أن موسى و من معه عصبه قليلة. ٥٥- وَ إِنَّهُمْ لَنَا لِعَاطُفُونَ ... أى لفاعلون ما يغظنا إما بمخالفتهم فى الدين أو لخروجهم من مصر بدون رضا من فرعون. ٥٦- وَ إِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ ... أى شاكون فى السلاح و معدون للقتال، أو خائفون من شرمهم. ٥٧ و ٥٨- فَأَخْرَجْنَاهُمْ ... أى آل فرعون مِنْ جَنَاتٍ وَ عُيُونٍ أى من بساتين و عيون جارية فيها. وَ كُنُوزِ أَمْوَالٍ مُخْبَأَةٍ وَ خَزَائِنِ وَ مَقَامِ كَرِيمٍ أى منازل حسنة و مجالس بهيئة. ٥٩- كَذَلِكَ ... أى أمرهم كما وصفناه وَ أَوْزَنَّاها بَنِي إِسْرَائِيلَ ذَلِكَ أَنْ اللَّهَ رَدَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَى مِصْرَ بعد ما أغرق فرعون و قومه، و أعطاهم جميع ما كان لفرعون و قومه من الأموال و المساكن. ٦٠- فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ ... يعنى قوم فرعون أدركوا موسى و أصحابه حين أشرقت الشمس. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٣٧٥ ٦١- فَلَمَّا تَرَاءَا الْجَمْعَانِ ... أى تقابلا قال قوم موسى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ أى لحق بنا قوم فرعون و لا طاقة لنا بهم. ٦٢- قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ... أى قال موسى ثقة بنصر الله: لن يدركونا ان معى الله بنصره سيرشدنى إلى سبيل النجاء كما وعدنى. ٦٣- فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ ... أى نهر النيل فَانْفَلَقَ أى ضربه فانشق فكان كُلُّ فِرْقٍ كَالطُّودِ الْعَظِيمِ أى كل قطعه فرقت عن أخرى كالجبل الشامخ و قام الماء عن يمين الطريق و يساره. ٦٤ و ٦٥ و ٦٦- وَ أَرْزَقْنَا ثُمَّ ... أى قربنا هناك، فى المكان الذى انشق من البحر الْآخِرِينَ هم فرعون و قومه و جنوده حتى سلكوا جميعا مسلك بنى إسرائيل وَ أَنْجَيْنَا مُوسَى إِلَى قَوْلِهِ- ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ. أى خلصنا بنى إسرائيل من الغرق و أغرقنا فرعون و جنوده فى النيل. ٦٧ و ٦٨- إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً ... أى فى فلق البحر و إنجاء بنى إسرائيل و إغراق آل فرعون لدلالة واضحة على قدره الله و وحدانيته وَ مَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ أى و مع هذا البرهان القاطع ما آمن أكثرهم. وَ إِنَّ رَبَّكَ يَا مُحَمَّدَ لَهُوَ الْعَزِيزُ فى سلطانه الرَّحِيمُ بعباده. ٦٩ و ٧٠- وَ اتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ... أى اقرأ يا محمد على مشركى العرب خبر إبراهيم، إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ أَى لَعَنَهُ آزر، و المراد بالقوم أهل بابل: مَا تَعْبُدُونَ الاستفهام إنكارى، أى أن ما تعبدونه لا يستحق العبادة. ٧١- قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَنْظِلُّ لَهَا عَاكِفِينَ ... أى ثابتين على الصلاة لها. ٧٢ و ٧٣- قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ... إلخ. أى هل يستجيبون لدعائكم إذا دعوتموهم أو ينفعونكم إن عبدتموهم أو يضرّون إن تركتم عبادتهم؟ ٧٤- قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا ... إلخ. أعرضوا عن جواب سؤاله و تمسكوا بالتقليد لآبائهم فى عبادتها. من ٧٥ إلى ٧٩- قَالَ ... فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي ... أى قال إبراهيم لهم: ما تعبدون أنتم و آباؤكم خصم لى. إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ استثناء من جميع المعبودين ثم أنه (ع) أخذ فى بيان أوصاف ربه إتماما للحجة على خصمائه حيث إن تلك الأوصاف لا توجد إلّا فيه تعالى فمنها الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ أى أوجدنى من العدم و هو يرشدنى إلى المنافع الدنيوية و الأخروية.

يُطْعَمُنِي وَيَسْقِينِي أَي يَرْزُقُنِي مَا اتَّغَذَى بِهِ مِنْ طَعَامٍ وَشَرَابٍ. ٨٠- وَإِذَا مَرَضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِي ... أَي يَفْعَلُ مَا يَصَحُّ بِهِ بَدَنِي. ٨١- وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِي ... أَي يَمِيتُنِي بَعْدَ أَنْ كُنْتُ حَيًّا وَيَحْيِينِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَعْدَ أَنْ أَكُونَ مَيِّتًا. وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي هِيَ نَقْمَةٌ قَدْ لَا يِقَاسُ الْمَوْتُ بِهَا بِالْأَوَّلِيَّةِ وَقَوْلُهُ ثُمَّ يُحْيِينِي أَي فِي الْآخِرَةِ. ٨٢- وَالَّذِي أَطْعَمَ أَنْ يَغْفِرَ لِي ... إلخ. أَي يَسْتُرُ عَلَيَّ ذَنْبِي وَيَتَجَاوَزُ عَنْهُ يَوْمَ الْحِسَابِ. ٨٣- رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا ... أَي كَمَالًا فِي الْعَمَلِ وَالْعِلْمِ وَقِيلَ: النُّبُوَّةُ. وَالْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ أَي بِمَنْ قَبْلِي مِنَ النَّبِيِّينَ فِي الدَّرَجَةِ. وَقِيلَ: ارْزُقْنِي كَمَالَ الْقُوَّةِ الْعَمَلِيَّةِ لِأَنْتَظِمَ فِي عِدَادِ الصَّالِحِينَ الْكَامِلِينَ. إِرْشَادُ الْأَذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ٣٧٦ ٨٤- وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ... يَعْنِي اللَّهُمَّ اجْعَلْ لِي جَاهًا وَحَسَنَ صِيَةٍ فِي الَّذِينَ يَعْقُبُونَنِي مِنَ الْأُمَمِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. ٨٥- وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ... أَي مِمَّنْ يَعْطَاهَا فِي الْآخِرَةِ. ٨٦- وَاعْفُ عَنِّي لِأَنِّي كَانُ مِنَ الضَّالِّينَ ... بِالْهُدَايَةِ وَالْإِيمَانِ لِأَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُنْحَرِفِينَ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ وَالْغَافِلِينَ عَنْ سَبِيلِ الصَّوَابِ. ٨٧ إِلَى ٨٩- وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُنْعَثُونَ ... أَي لَا تَهْنِ وَلَا تَفْضَحْنِي بِأَمْرِ صَدَرَ عَنِّي يَوْمَ الْقِيَامَةِ. وَلَمْ يَكُنْ لَكَ رِضَا فِيهِ. وَهَذَا مِنْ إِبْرَاهِيمَ وَغَيْرِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ إِنَّمَا يَصْدُرُ عَلَى سَبِيلِ الْخُضُوعِ وَالانْقِطَاعِ إِلَى اللَّهِ لَمَّا ثَبَتَ فِي مَحَلِّهِ مِنْ عَدَمِ جَوَازِ وَقُوعِ الْقَبِيحِ أَوْ الْمَعْصِيَةِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمَعْصُومِينَ (ع) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ... مِنَ الشُّرَكَاءِ وَمَنْ حَبَّ الدُّنْيَا. ٩٠- وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ... أَي قَرَّبَتْ لَهُمْ لِيَدْخُلُوهَا. ٩١- وَبُرْزَتِ الْجَحِيمُ ... أَي كُشِفَتْ وَظَهَرَتْ لِلْغَاوِينَ ... أَي الضَّالِّينَ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ. ٩٢ إِلَى ٩٥- وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ... أَي الْأَصْنَامَ الَّتِي تَزْعُمُونَ أَنَّهَا شَفَعَاؤُكُمْ هَلْ يَنْصُرُوكُمْ بِدَفْعِ الْعَذَابِ عَنْكُمْ أَوْ يُنْقِصُونَ أَي بِدَفْعِهِ عَنْ أَنْفُسِهِمْ؟ فَكَبَّكُوا فِيهَا طَرَحُوا فِيهَا وَيَقْصِدُ الْأَصْنَامَ، هُمْ وَالْغَاوُونَ أَي عَبْدَتَهَا وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ أَي أَتْبَاعُهُ وَذُرِّيَّتُهُ جَمِيعًا. ٩٦ إِلَى ٩٨- قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ... أَي أَنَّ الْعَبْدَةَ وَهُمْ فِي النَّارِ يَخَاصِمُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا يَقُولُونَ تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ يَعْنِي إِنَّا كُنَّا فِي ضَلَالٍ وَاضِحٍ إِذْ نُسَوِّيْكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ حَيْثُ جَعَلْنَاكُمْ مَسَاوِينَ فِي الْعِبَادَةِ وَالْخُضُوعِ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ. ٩٩- وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ ... يَعْنِي الْمَشْرِكِينَ الَّذِينَ اقْتَدَى بِهِمْ هَؤُلَاءِ فَاتَّبَعُوهُمْ عَلَى شُرْكَهِمْ. ١٠٠ وَ ١٠١- فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ ... يَشْفَعُونَ لَنَا وَيَسْأَلُونَ فِي أَمْرِنَا وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ أَي لَا حَبِيبَ ذُو شَفَقَةٍ وَرَحْمَةٍ يَهْتَمُّ بِأَمْرِنَا. ١٠٢- فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ... أَي لَيْتَ لَنَا رَجْعَةً إِلَى الدُّنْيَا فَنَكُونُ مِنَ الْمَصْدِقِينَ. ١٠٣ وَ ١٠٤- إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ ... أَي أَنَّ فِي ذَلِكَ الْمَقْصُودِ لِحُجَّةً وَدَلَالَةً لِمَنْ اعْتَبَرَ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ أَكْثَرُ قَوْمٍ إِبْرَاهِيمَ مُؤْمِنِينَ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ مِنْ مَعْنَاهُ. ١٠٥ إِلَى ١١٠- كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ... نُوحٌ أَخُوهُمْ نَسَبًا فَإِنَّهُ (ع) كَانَ مِنْهُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ مَشْهُودٌ لَهُ بِالْأَمَانَةِ فِيهِمْ. قَدْ قَالَ لِقَوْمِهِ: إِنِّي رَسُولُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا تَجَنَّبُوا غَضَبَهُ بِطَاعَتِهِ وَأَطِيعُونِي فِيمَا أَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ لِأَنِّي رَسُولُ أَمِينٍ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ لَا أَطْلُبُ مِنْكُمْ عَلَى أَدَاءِ رِسَالَتِي أَجْرًا إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ أَي لَيْسَ جَزَائِي وَثَوَابِي إِلَّا عَلَى خَالِقِ الْخَلَائِقِ. فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِي لِأَنِّي لَا أَسْأَلُكُمْ أَجْرًا فَتَخَافُونَ تَلْفَ أَمْوَالِكُمْ بِهِ. ١١١- قَالُوا أَتُؤْمِنُ لَكَ ... أَي أَنْصَدِّقُكُمْ فِيمَا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ الْفُقَرَاءُ وَسَفَلَةُ النَّاسِ فَلَوْ اتَّبَعْنَاكَ لَصَرْنَا مِثْلَهُمْ. إِرْشَادُ الْأَذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ٣٧٧ ١١٢- قَالَ وَمَا عَلَّمَنِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ... أَي وَ أَيْ عِلْمَ لِي بِأَعْمَالِهِمْ وَصَنَائِعِهِمْ وَلَمْ أَكَلِّفْ ذَلِكَ. وَقِيلَ: لَا- أَعْلَمُ إِنْ كَانَ إِيْمَانُهُمْ عَنْ بَصِيرَةٍ أَوْ طَمَعًا فِي مَالٍ أَوْ جَاهٍ، فَأَنَا أَعْمَلُ النَّاسَ بِحَسَبِ ظَاهِرِهِمْ وَقَدْ دَعَوْتَهُمْ فَاسْتَجَابُوا لِي. ١١٣- إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي ... أَي لَيْسَ حِسَابُ بَوَاطِنِ الْأُمُورِ عَلَيْنَا بَلْ هُوَ أَمْرٌ رَاجِعٌ إِلَى رَبِّي فَإِنَّهُ الْمَطْلَعُ عَلَى الْبَوَاطِنِ وَالْمَرَادُ بِقَوْلِهِ: رَبِّي، أَي رَبِّ الْعَالَمِينَ فَإِنَّهُ الَّذِي كَانَ يَخْتَصُّ نُوحًا بِالْدَّعْوَةِ إِلَيْهِ مِنْ بَيْنِهِمْ لَوْ تَشْعُرُونَ لَوْ تَدْرُونَ أَوْ لَوْ كَانَ لَكُمْ شُعُورٌ لَمَا قُلْتُمْ مَا قُلْتُمْ. ١١٤ وَ ١١٥- وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ... أَي بِالَّذِي يَرُدُّ إِيْمَانَ الَّذِينَ تَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ الْأَرْذَلُونَ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ... لِأَنِّي لَسْتُ إِلَّا نَذِيرًا مَخُوفًا مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ دَاعِيًا إِلَى طَاعَتِهِ مَبِينًا لَهَا. ١١٦- قَالُوا لَنْ لَمْ تَنْتَ يَا نُوحُ ... عَمَّا تَقُولُ وَعَنْ دَعْوَةِ النَّاسِ إِلَى عِبَادَةِ رَبِّكَ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ مِنَ الْمَضْرُوبِينَ بِالْحِجَارَةِ أَوْ مِنَ الْمَشْتُومِينَ. ١١٧ وَ ١١٨- قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ... أَرَادَ أَنَّهُ إِنَّمَا يَدْعُو عَلَيْهِمْ لِتَكْذِيبِهِمْ بِالْحَقِّ لَا لِإِيْذَانِهِمْ لَهُ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ أَي فَاحْكُمْ بَيْنَنَا فَتَحًا حَكَمًا وَ قَضَاءً بِالْعَذَابِ بِقَرِينَةِ قَوْلِهِ: وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَي مِنَ الْعَذَابِ. ١١٩ وَ ١٢٠- فَأَنْجِنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِّكَ الْمَشْحُونِ ... أَي خَلَصْنَاهُمْ بِوَسْطَةِ السَّفِينَةِ الْمَمْلُوءَةِ مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ كَمَا ذَكَرَهُ فِي سُورَةِ هُودٍ. أَوْ الْمَجْهُوزَةِ. الَّتِي قَدْ فَرَّغَ مِنْهَا وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا

دفعها، كما ورد في رواية أبي الجارود عن الباقر (ع). ثُمَّ أَغْرَفْنَا بَعْدُ أَى بعد إنجائه مع المؤمنين به (ع) الْبَاقِينَ الَّذِينَ لم يركبوا السفينة معه. ١٢١ و ١٢٢- إِنَّ فِي ذَلِكْ ... الْعَزِيزُ ... إلخ. مر معناه. ١٢٣- كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ ... أَى قَبِيلَهُ عَاد. ١٢٤ إلى ١٢٧- إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ ... كَانَ هُودٌ أَخَاهُمْ فِي النِّسْبِ تصدير القصص بقوله أَلَا تَتَّقُونَ ... اللَّهُ بِاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ إِلَى قَوْلِهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ مر معناه. ١٢٨- أَتَنْتُونُ بِكُلِّ رِيحٍ آيَةً تَعْبَثُونَ أَى بكل مكان مرتفع كرؤوس الجبال أو نحوها، علامة للمارة على مقدار المسافة، أو لمعرفة البلاد. وقيل بأنهم كانوا يبنون بكل مكان مرتفع برجاً يجلسون به و يسخرون من الناس و يؤذون من يمر بهم من المؤمنين. ١٢٩- وَتَتَخَذُونَ مَصَانِعَ ... حياضاً كباراً يجمع فيها ماء المطر، أو المراد منها الحصون المشيدة و القصور العالية للسكنى لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ أَى ترجون الخلود فيها. و لولا- رجاء الخلود ما عملتموها. ١٣٠- وَإِذَا بَطَشْتُمْ ... أَى ضربتم بسوط أو بسيف بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ مستعلين بالضرب أو القتل بلا رأفة ولا رحمة بل بظلم و غشم. و التجبر فى صفة الله سبحانه مدح و فى صفة غيره ذم. ١٣١ إلى ١٣٥- فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا ... تَجَبَّوْا غَضَبَهُ وَ أَطِيعُوا أَمْرِي، الَّذِي أَمَرْتُكُمْ بِأَنْعَامٍ وَ بَيْنَ الْخ. فأعطاكم سبحانه الأولاد و النعم و الأنعام و الخيرات و بساتين و مياها غزيرة و غير ذلك من النعم التى يجب عليكم أن تشكروه بوضع نعمه فى موضعها من غير إسراف و لا استكبار فإن كفران النعمة يستتبع السخط و العذاب. إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ إِنْ كَذَبْتُمُونِي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ... هو يوم القيامة. فى الآخرة. ١٣٦- قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَضْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ ... أَى أن وعظك لنا أو عدمه سواء عندنا، فلا- تتعب نفسك فى الدعوة. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٣٧٨ ١٣٧- إِنَّ هَذَا أَى ما هذا الذى تدعونا إليه و تحذرنا منه و يمكن أن تكون الإشارة بهذا إلى ما هم فيه من الشرك و عبادة الأوثان من دون الله اقتداء بآبائهم الأولين كقولهم: وجدنا آباءنا كذلك يفعلون. إِلَّا خُلِقَ الْمَأْوَلِينَ إِلَّا مِمَّا جَرَتْ بِهِ عَادَةُ السَّابِقِينَ عَلَيْكَ. من أهل الأساطير و الخرافات. و احتمال بعض المفسرين أن يكون المراد: ما خلقنا هذا إلا خلق الأولين نحيا كما حيوا و نموت كما ماتوا و لا بعث و لا حساب و لا عقاب. ١٣٨- وَ مَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ... لا فى الدنيا و لا بعد الموت. ١٣٩ و ١٤٠- فَكَذَّبُوهُ ... فَكَذَّبُوا رَسُولَهُمْ هُوداً فَأَهْلَكْنَاهُمْ إلخ. بريح صرصر شديدة ثم أخذ سبحانه فى بيان شرح قوم صالح (ع) و هم ثمود و كيفية فعل صالح و قوله معهم فى الآيات ١٤١، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥ إلى أن يقول سبحانه: ١٤٦ إلى ١٤٨- أَ تَتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا ... أَى أ تطمعون أن تتركوا و تبقوا فى النعم الدنيوية و الظاهر أن الاستفهام إنكارى، و ما موصولة. و هاهنا إشارة إلى المكان الحاضر القريب و هو أرض ثمود آمينين من زوالها و هو حال من نائب فاعل تُتْرَكُونَ. فى جَنَاتٍ إلخ. أَى بساتين و عيون جارية فيها. وَ نَحْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ أَى ثمرها لطيف نضيج لين. ١٤٩ إلى ١٥٢- وَ تَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً ... أَى تنقرون فى الصخر بيوتا فارحين حاذقين أو نشيطين بنحتها. وقيل: الفره: الأشهر، و عليه تكون الآية مسوقة للإنكار، أَى لا يمكن أن يتم لكم كل ذلك و أنتم مطلقوا العنان لا تسألون عما تفعلون آمنون من أية مؤاخذه إلهية. فَاتَّقُوا اللَّهَ احذروا غضبه وَ أَطِيعُوا وَ لَا تَطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ يعنى الرؤساء منهم قد عقروا الناقة لأنهم يتعدون حد المعقول و الخطاب هنا للتابعين دون الرؤساء المتبوعين لأن هؤلاء قد يشس من إيمانهم و اتباعهم للحق. الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَ لَا يُصْلِحُونَ يعيشون فيها فساداً و يرتكبون المعاصى. ١٥٣ و ١٥٤- قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ... أَى من الذين سحرنا كثيراً حتى أنهم لا يعقلون. ما أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا لا مزية لك علينا حتى تكون أنت رسولا إلينا من عند الله كما ترعّم. فَأَتِ بِآيَةٍ أَى بمعجزة تثبت دعواك إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ فيها. ١٥٥- قَالَ هَذِهِ نَاقَةُ لَهَا شَرْبٌ ... بعد ما أخرجها الله من الصخرة بدعائه كما اقترحوها قال: هذه الناقة لها شَرْبٌ ... أَى شراب يوم تشرب فيه ماء كم جميعاً و لكم شَرْبٌ يَوْمَ مَعْلُومٍ و لكم نصيب من الماء يوماً بعد يومها. ١٥٦- وَ لَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ ... لا بضرب و لا عقر و لا منع ماء، و إن فعلتم فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ يَوْمَ عَظِيمٍ توصيف اليوم بالعظمة لعظم ما يحل فيه من العذاب. ١٥٧- فَعَقَرُوهَا فَاصْبَحُوا نَادِمِينَ ... مر معناه و ما بعده فى سورة الأعراف. و قد قلنا هناك بأن نسبة العقر إلى الجميع مع أنه لم يعقرها إلا بعضهم لرضاهم بفعله. و فى نهج البلاغة: أيها الناس، إنما يجمع الناس الرضى و السخط، و إنما عقر ناقة ثمود رجل واحد فعمهم الله بالعذاب لما عمّوه بالرضا، فقال سبحانه: فعقروها فأصبحوا نادمين. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٣٧٩ ١٦٠ إلى ١٦٥- كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ... أَ تَأْتُونَ الذُّكْرَانَ ... إلخ. أَى اخترتم الذكران من

الناس و تركتم أزواجكم اللاتي خلقهنَّ الله لكم؟. والاستفهام إنكارى توبيخى، و الذكران جمع ذكر مقابل الأنثى، و إتيانهم كناية عن فعل اللواط معهم و قد كان شاع فيما بينهم. و العالمين: جمع عالم و هو الجماعة من الناس. و قوله: من العالمين، يمكن أن يكون متصلا بضمير الفاعل فى تَأْتُونَ و المراد: أ تَأْتُونَ أَنْتُمْ من بين العالمين هذا العمل الشنيع فيكون فى معنى قوله فى سورة العنكبوت: ما سبقكم بها من أحد من العالمين. و يمكن أن يكون متصلا بقوله: الذُّكْرَانِ و المعنى على هذا: أ تنكحون من بين العالمين على كثرتهم و اشتغالهم على النساء، الرجال فقط؟! ١٦٦- يَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ... أى متجاوزون عن حدود أحكام الله. أو خارجون عن الحد الذى خطته لكم الفطرة و الخلقة فهو فى معنى قوله: أ إنكم لتأتون الرجال و تقطعون السبيل ... ١٦٧- قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا لُوطُ ... أى لئن لم ترجع عن مقاتلتك لتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ المبعدين و المنفيين. ١٦٨- قَالَ إِنِّى لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ ... أى المبغضين الكارهين. ١٦٩ إلى ١٧١- رَبِّ نَجِّنِي وَ أَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ... أى سلمنى من وباله إِلَّا عَجُوزًا هى امرأه لوط فى الغابرين أى كانت باقية فى البلد مع الذين لم يؤمنوا فأهلكك معهم لرضاها بفعلهم و إعانتها لهم عليه. ١٧٢ إلى ١٧٥- ثُمَّ دَمَرْنَا ... أى أهلكنا الآخرين من قوم لوط وَ أَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا كان من الحجارة لأنه مطر عذاب، و هو السَّجِيل الذى مر ذكره فى أكثر من موضع. فسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذِرِينَ أى بش و شؤم مطر الكافرين مطرهم. و ما بعد مر تفسيره. ١٧٦- كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ... هذه هى القصة السابقة التى أخبر فيها سبحانه عن أصحاب الأيكة الذين بعث إليهم شعيبا (ع) و ما كانوا من قومه و كان شعيب أخا مدين، و قد أرسل إليهم و إلى أصحاب الأيكة، و أصل الأيكة هو الشجر الملتف، و مدين يسكنها قوم بعث إليهم شعيب. ١٧٧ إلى ١٨٠- إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ ... إلخ. و قد مر معناه لأنه محكى فى دعوة كل نبي مرت قصته إلى قوله رَبِّ الْعَالَمِينَ. و يفهم من الآية أن شعيبا كان غريبا عنهم أجنبيا منهم و لذلك قال: إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ و لم يقل أخوهم شعيب كما قال فيما يتعلق بهود و صالح و لوط حيث عبر هناك بأخوهم. ١٨١ إلى ١٨٣- أَوْفُوا الْكَيْلَ وَ لَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ... أى أتموه و لا تكونوا من المنقصين منه فى حقوق الناس بالتطيف، وَ زِنُوا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ أى الميزان العدل. وَ لَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ لَا تَنْقُصُوا شَيْئًا مِنْ حَقِّهِمْ. وَ لَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ وَ لَا تَسْعُوا فِي الْأَرْضِ مِبَالِغِينَ فى الفساد من الكفر و المعاصى. و العثى و العيث: الإفساد، فقوله: مفسدين: حال مؤكد، و قد تقدم فى قصة شعيب من سورة هود. و لا- إشكال فى أن للتطيف و البخس فى المكاييل و الموازين دخالة عظمى فى إفساد المجتمع الإنسانى و إشاعة الانحلال الخلقى فيه و كذلك الاختلال الاجتماعى من حيث التوازن بين طبقاته. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٣٨٠ ١٨٤- وَ اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى خَلَقَكُمْ ... أى أوجدكم بعد العدم وَ الْجِبِلَّةَ الْأُولِينَ ... أى الخليفة ممن سبقكم. و هم الذين خلقهم الله و قرر فى طبائعهم تقبيح الفساد و الاعتراف بشؤمه. ١٨٥ إلى ١٨٨- قَالُوا ... إلخ. مر معناه. وَ إِنِ ظَنَنْتَكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ أى و إنا نظنك كاذبا من جملة الكاذبين. فَاسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ أى قطعا من السماء إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ فى دعاوك. و الأمر مبنى على التعجيز و الاستهزاء. قَالَ شُعَيْبٌ رَبِّى أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ بكفركم. ١٨٩ إلى ١٩١- فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ ... إلخ. أى أصابهم حر شديد سبعة أيام و حبس عنهم الريح ثم غشيتهم سحابة فلما خرجوا إليها طلبا للبرد و هربا من الحر أمطرت عليهم نارا فأحرقتهم إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ و سَمَى هذا العذاب بعذاب يوم الظلة بهذا الاعتبار. و الظلة هى السحابة التى أظلتهم. و قد تقدمت قصتهم فى سورة هود أيضا. إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ ... مفسر إلى آخره. ١٩٢ و ١٩٣- وَ إِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ... أى القرآن المشتمل على هذه القصص و غيرها مرسل من عند الله، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْمَأمِينُ أى جبرائيل (ع). ملك الوحي بدليل قوله تعالى فى سورة البقرة مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ و قد سماه فى سورة النحل / ١٠٢ بروح القدس. ١٩٤- عَلَى قَلْبِكَ يَا مُحَمَّدٌ لَتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ أى لتخوف به الناس و تنذرهم بآيات الله ليفهموا ما فيه. ١٩٥ و ١٩٦- بَلِّسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ... أى بين المعنى و واضح، وَ إِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأُولِينَ أى ذكر القرآن أو معناه فى كتب الأنبياء المتقدمين. ١٩٧- أَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ ... أى علامة لقريش على صحة القرآن و نبوة محمد (ص) أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أى يعرفوه بنعته المذكور فى كتبهم حيث كان من آمن من علماء اليهود يخبرونهم بذلك. ١٩٨ و ١٩٩- وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ... أى لو نزلنا القرآن على رجل من غير العرب فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ أى فتلاه على العرب لم يؤمنوا به

و أنفوا من اتباعه لكننا لم نفعل هذا بل نزلناه بلسان العرب على أفصح رجل من أشرف بيت ليتدبروا فيه و ليكون ادعى إلى تصديقه.

٢٠٠- كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ... أى كما أنزلناه ببلغه عربيه فصيحته، كذلك أدخلنا معانيه و إعجازه فى قلوبهم، و أفهمناهم معانيه و هم مع ذلك. ٢٠١ إلى ٢٠٣- لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ... فهؤلاء المجرمون لا يصدقون به حتى يسيروا مع العذاب الموحج الذى وعدناهم به و جهها لوجه فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً أَى يَجِئُهُمْ فجاءه و هم لا- يَشْعُرُونَ أَى لا- يحسون بوقوعه و عندئذ يقولون: هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ أَى مؤخرون لنصدق بالله و رسوله. ٢٠٤- أَفَعَذَابُنَا يَسْتَعْجِلُونَ ... هذا توبيخ لهم بتهمهم. أى كيف يستعجله من إذا أنزل به سأل النظرة؟ ٢٠٥ إلى ٢٠٦- أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ... أى أخبرنا عن حالهم، لو أمهلناهم سنين و جعلناهم يتلذذون فيها بالدنيا ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ أتاهاهم عذابنا الذى وعدناهم به. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٣٨١ ٢٠٧- مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ أَى لم يغن عنهم تمتعهم المتطاوّل فى دفع العذاب أو تخفيفه. ٢٠٨ و ٢٠٩- وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ ... أى لأهل القرية أنبياء منصوبون من قبل الله تعالى لإنذارهم إلزاما للحجّة، و بعد تكذيبهم لأنبيائهم نهلكهم ذكّرى و ما كنّا ظالمين أَى للتذكير نرسل لهم الأنبياء ليتعظوا و نحن لسنا من الظالمين بإهلاكهم بعد ذلك. ٢١٠ إلى ٢١٣- وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ... أى ما جاءت الشياطين بالقرآن كما كان يزعم المشركون. و ما يَبْغَى لَهُمْ أَى لا يَتيسّر للشياطين ذلك و ما يَسْتَطِيعُونَ لا يقدرّون عليه لأن الله تعالى يحرس المعجزة عن أن يمؤه بها المبطل. إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمْعُزُولُونَ أَى لمطرودون عن استماع كلام الملائكة و ممنوعون عن استماع القرآن من السماء بالشهب. فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا الْخ. الخطاب للنبي (ص) و لكن المقصود به الأُمّة و إنما أفرده بالخطاب ليعلم أن العظيم الشأن إذا أوعد فكيف حال من دونه. ٢١٤- وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ... أى رهطك الأدين. ٢١٥- وَ اخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ: أى عاشرهم بالملاطفة و لين الجانب و حسن الأخلاق و التواضع. ٢١٦- فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ... فإذا امتنع أقاربك أو قريش عن طاعتك فيما أمرتهم به و دعوتهم إليه فتراهم منهم و من عملهم. ٢١٧- وَ تَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ... أى يا محمد لا بدّ و أن يكون توكلك علىّ و أنا القادر على قهر أعدائه الرحيم بأوليائه. ٢١٨ إلى ٢٢٠- الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ... أى توكل على الذى يراك حين تقوم من مجلسك أو فراشك للتهجد أو للصلاة فى أوقاتها، وَ تَقَلِّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ ... أى و يرى تصرفك فى المصلين بالقيام و الركوع و السجود و القعود حين تؤمهم أو مطلقا و لو منفردا إِنَّهُ أَى رَبُّكَ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ مَر تفسيره. ٢٢١ و ٢٢٢- هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ... أى هل أخبركم على من تنزل الشياطين تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ أَى كذاب مرتكب للذنب و هم الكهنة أو رؤساء الكفار بينما تنزل عليك يا محمد الملائكة. ٢٢٣- يُلْقُونَ السَّمْعَ وَ أَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ ... أى الأفاكون يلقون سمعهم إلى الشياطين فيتلقون منهم مع أن أكثر الشياطين كاذبون فيما يلقونه إلى الأفاكين. و قيل الضمير فى وَ أَكْثَرُهُمْ ... يرجع إلى الأفاكين. ٢٢٤ إلى ٢٢٦- وَ الشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ... ثم إنه تعالى لما أبطل زعم المشركين أن القرآن من قبيل ما يلقى به الشياطين على كهنتهم، فأخذ فى إبطال قولهم أن محمدا شاعر بأن الشعراء هم الذين يتبعهم الضالون المضلون فذمهم بمصاحبيهم و متابعيهم، و المقصود شعراء الباطل أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ أَى أنهم فى كل مذهب يذهبون غير مباليين بما نطقوا به من الباطل مدحا أو ذما. وَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ إِذْ يَعْظُونَ النَّاسَ وَ لَا يَتَعَذَّلُونَ عَنْ الْمُنْكَرِ وَ لَا يَنْتَهُونَ وَ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ لَا يَعْمَلُونَهُ وَ اسْتَشْنَى مِنْ هَذَا الذَّمِّ لِلشُّعْرَاءِ الَّذِينَ آمَنُوا صَدَقُوا بِدَعْوَةِ النَّبِيِّ (ص) وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الْأَعْمَالِ، وَ تَعَدَّى عَلَيْهِمُ الْكَافِرُونَ بِذَمِّهِمْ ف وَ اتَّصَرُّوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا فَقَالُوا الشُّعْرَاءُ انْتَصَرُوا لَأَنْفُسِهِمْ، وَ سَيَعْلَمُ الظَّالِمُونَ كَيْفَ يَنْتَقِمُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْهُمْ حِينَما يَنْقَلِبُونَ يَعُودُونَ إِلَيْهِ يَوْمَ الْحَشْرِ وَ الْحِسَابِ. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٣٨٢

سورة النمل مكية، عدد آياتها ٩٣ آية

١- طس- تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَ كِتَابٍ مُبِينٍ ... مَر بيان طس و غيرها من الحروف المقطعات و الرموز، تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ إشارة إلى آى السورة وَ كِتَابٍ مُبِينٍ أَى مبين للحق من الباطل. و القرآن اسم للكتاب باعتباره مقروءا، و المبين من الإبانة بمعنى الإظهار. ٢ و ٣-

هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ... هدى للمصدقين من الضلالة إلى الحق، و بشرى لهم بالثواب و الجنة. الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ يُؤَدُّونَهَا فِي أَوْقَاتِهَا وَبِحُدُودِهَا الْمَشْرُوعَةِ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ بِتَمَامِهَا وَكَمَالِهَا، وَ إِنَّمَا خَصَّ الصَّلَاةَ وَ الزَّكَاةَ بِالذِّكْرِ مِنْ بَيْنِ كُلِّ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ هُنَا لِكُونَ كُلُّ مِنْهُمَا رَكْنًا فِي بَابِهِ فَالصَّلَاةُ فِيمَا يَرْجِعُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَ الزَّكَاةُ فِيمَا يَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ، وَ بِنَحْوِ آخِرِ فَالصَّلَاةُ مِنْ أَعْمَالِ الْبَدَنِ وَ الزَّكَاةُ مِنْ أَعْمَالِ الْمَالِ. وَ هُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ لَا يَشْكُونَ فِيهَا. ٤- إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيْنًا لَهُمْ أَعْمَالُهُمْ ... تزيين الأعمال يكون إما بتخليه الشيطان حتى يزينها لهم و إما بجعلها مشتتة لطباعهم محبوبة لأنفسهم فهم يعمهون ... أى متحيرون فيها ضلوا الطريق. ٥- أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ ... أى العذاب فى الدنيا كالقتل أو الأسر و الفدية و هُم فى الآخرة هُم الْأَخْسَرُونَ فإنهم أشد الناس خسرانا لفوات المثوبة و استحقاق العقوبة فى جهنم. ٦- وَإِنَّكَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ ... أى لتلقنه و تعطاه مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ فى أمره عَلِيمٍ ذى علم، بمصالح خلقه. ٧- إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ ... أى اذكر يا محمد قصّة موسى حين قال لامرأته، و هى بنت شعيب إِنِّى آتَيْتُ نَارًا ... أبصرت سَيِّئَتِكُمْ مِنْهَا بَخِيرٌ أى خبر عن الطريق لأنهم ضلوا، أَوْ آتَيْكُمْ بِشَهَابٍ قَبَسٍ أى بشعلة مضيئة لعلكم تَصِيرُ طُلُوقَ لِكى تستدفعوها بها. ٨- فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ ... أى لما قرب منها خوطب أَنْ بُورِكَ مَنْ فى النَّارِ أى فى مكان النار و هم الملائكة و مَنْ حَوْلَهَا أى موسى أو الملائكة أو كليهما. وَ سُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ تزييها له. ٩- يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ... أى أن الذى يكلمك هو الله الذى لا يقهر المحكم لتدبيره. ١٠- وَ أَلْقِ عَصَاكَ ... ارم عصاك فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ تَتَحَرَّكُ كَأَنَّهُا جَانٌّ كَالجَنِّ السَّرِيعِ الْحَرَكَةِ وَ لَى مُدْبِرًا كَرَّ رَاجِعًا، إِلَى الْوَرَاءِ وَ لَمْ يُعَقِّبْ لَمْ يَرْجِعْ يَا مُوسَى لَا- تَخَفْ مِنْ تِلْكَ الْحَيَّةِ إِنِّى لَا يَخَافُ لَمَدَى الْمُرْسِلُونَ لِأَنِّى مَعَهُمْ أَسْمَعُ وَ أَرَى. ١١- إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ يَدَّلْ حَبِينًا بَعِيدَ سُوءٍ ... إلخ. أى رجع بعد ظلم نفسه إلى التوبة و الإنابة و العمل الصالح بعد العمل السيئ فالله غفور لمن تاب رحيم بمن أناب. ١٢- وَ أَدْخَلَ يَدَكَ فى جَنِيكَ تَخْرُجُ يَبِضَاءً ... إلخ. هذه آية أخرى زوده الله بها و قد مر بيانها. فى تِسْعِ آيَاتٍ أى مع تِسْعِ آيَاتٍ أُخْرَى أَنْتَ مَرْسَلٌ بِهَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَ قَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ أى خارجين عن طاعة الله إلى أقبح وجوه الكفر. ١٣- فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً ... إلخ. من أبصر الطريق أى استبان أى حججنا ظاهرة واضحة قالوا هذا سحر بين. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٣٨٣-١٤ وَ جَحَدُوا بِهَا ... إلخ. أى أنكروها و كذبوا بها بالسنتهم مع أنهم يتقنوا أنها من عند الله. ظلموا لأنفسهم و علوا ترفعوا عن الإيمان فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ فى الأرض من الغرق فى الدنيا و الحرق فى الآخرة. ١٥- وَ لَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَ سُلَيْمَانَ عِلْمًا ... أى علما بالقضاء بين الخلق و بكلام الطير و الدواب و قَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ أى اختارنا من بينهم بَأَن جَعَلْنَا أَنْبِيَاءَ وَ مُلُوكًا، وَ بِالْمَعَاجِزِ وَ الْإِنَّةِ الْحَدِيدِ وَ تَسْخِيرِ الشَّيَاطِينِ وَ الْجَنِّ وَ الْإِنْسِ. ١٦- وَ وَرَثَ سُلَيْمَانَ دَاوُدَ ... أى ورث الملك و النبوة بَأَن قَامَ مَقَامَهُ دُونِ سَائِرِ بَنِيهِ وَ هُمْ تِسْعَةُ عَشَرَ. وَ قَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَّمْنَا مِنْطِقَ الطَّيْرِ الْقَمَى عَنِ الصَّادِقِ (ع): أعطى سليمان بن داود مع علمه معرفة المنطق بكل لسان و معرفه اللغات و منطق الطير و البهائم و السباع. وَ أَوْتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنْ شَاءَ اللَّهُ. أى أعطينا من كل شىء يعطى الأنبياء و الملوك أو من كل شىء يمكن أن يطلبه طالب لحاجته إليه و انتفاعه به، و هذا هو فضل الله البين الظاهر. ١٧- وَ حَشَرْنَا لِسُلَيْمَانَ ... إلخ. أى جمع له فهم يُوزَعُونَ يحسبون و يمنعون من التفرق حين الحركة. ١٨- حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى ... إلخ. أى فسار سليمان و جنوده حتى إذا أشرفوا على واد قيل إنه بالطائف أو الشام كثير النمل قالت نملة قيل إنها رئيسة النمل لأخواتها اذْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ قَرَاكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ إِنْ يَدْهَسْكُمْ سُلَيْمَانُ وَ جُنُودُهُ دُونَ أَنْ يَحْشَوْا بِوُجُودِكُمْ. ١٩- فَتَبَسَّمْ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا ... أى تجاوز حد التبسم إلى حد الضحك تعجبًا من حذرهما و تحذيرها جنده. وَ قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِى أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ أى ألهمنى و ذكرنى شكر نعمتك الَّتِى أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَ عَلَى وَالِدَيَّ أَمَا النعمة الَّتِى أعطاه الله تعالى له فهى نعمة النبوة و الملك و هذا ما كان لأبيه (ع) إضافته إلى إلاته الحديد له و أما ما أنعم به على والدته فهى تزويجها من نبيه (ع) وَ أَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ ... عطف على أَنْ أَشْكُرَ وَ أَدْخَلْنِى بِرَحْمَتِكَ فى عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ أى أثبت اسمى مع أسمائهم و قيل إنهم إبراهيم و إسماعيل و إسحاق و من بعدهم من النبيين. ٢٠- وَ تَفَقَّدَ الطَّيْرَ ... أى طلب الطير الذى لم يكن فى مكانه و كانت الطير إذا جلس على عرشه تظله بأجنحتها من أشعة الشمس. فَقَالَ مَا لِى لَا أَرَى الْهُدْهَدَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ. أى ما بال الهدهد لا أراه هل تأخر عصيانا أم لعذر. ٢١- لَأَعَذَّبَنَّ

عَذَاباً شَدِيداً ... أى بتنف ريشه و تشميسه أو حبسه مع ضده فى قفص واحد أو لَذْبَحَهُ ليعتبر به أبناء جنسه أو لِيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ بحجة تبين عذره أو يبين عذره بها. ٢٢- فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ ... أى فلم يلبث سليمان إلا زمانا يسيرا حتى جاء الهدهد. فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ أى خاطب الهدهد سليمان قائلا له: اطلعت على ما لم تطلع عليه وَ جِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ سبأ اسم للحى أو هو أبوه: سبأ بن يشجب بن يعرب، أى بخبر متيقن لا ريب فيه. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٣٨٤ ٢٣- إِنِّى وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ ... يعنى بلقيس بنت شراحيل بن مالك بن ريان كان ملكا فى اليمن و تمام نواحيها وَ أُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أى أعطيت كل شىء من الأموال و ما يحتاج إليه الملوك من زينة و أسباب. وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ سرير أعظم من سريرك و كان مقدمه من ذهب مرصع بالياقوت. ٢٤ إلى ٢٦- وَخِذْهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ ... أى رأيتهم يعبدون الشمس مِنْ دُونِ اللَّهِ و لا يعبدون الله عز و جل وَ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ خَلَّى سُبْحَانَهُ بَيْنَ الشَّيْطَانِ وَ بَيْنَهُمْ فَحَسَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ عِبَادَةَ الشَّمْسِ فَصَدَّهُمْ عَنْ السَّبِيلِ عَنِ طَرِيقِ الْحَقِّ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ إِلَى الْعِبَادَةِ الْحَقِيقَةِ وَ إِطَاعَةِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ أَى لا بد و أن يسجدوا لله سبحانه، و هى بمعنى (هلا) التحضيضيه. و قيل بأنها من كلام الهدهد الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ أى يظهر ما استتر و خفى سماويا كان أو أرضيا وَ يَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ تَسْتَرُونَ وَ مَا تُعْلِنُونَ تَشْهَرُونَهُ وَ تَبْدُونَهُ، فهو الله الخالق القادر لا- إِلَهَ إِلَّا هُوَ لا معبود سواه رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ رَبِّ كَرْسِيهِ التى وسعت كل شىء. ٢٧- قَالَ سَتَنُنْظُرُ أَ صِدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ... قال سليمان (ع) للهدهد: ستأمل لنعرف إذا كنت صادقا فى قولك أم كاذبا. ٢٨- أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقَاهُ إِلَيْهِمْ ... أى احمل رسالتى هذه و ألقها إلى الجماعة الذين دينهم كما ذكرت. ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ أى تنح عنهم بحيث ترى و تسمع فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ فاستمع مناقشتهم و رأيهم و ما يقول بعضهم لبعض. ٢٩- قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّى أُلْقِىَ إِلَى كِتَابِ كَرِيمٍ ... أى قالت لأشراف قومها جاءنى كتاب مختوم جدير بالاحترام. ٣٠- إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ ... أى الكتاب من سليمان وَ إِنَّهُ ... أى المكتوب بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. ٣١- أَلَّا تَعْلَمُوا عَلَى وَ أَتُونِى مُسْلِمِينَ ... أى لا- تترفعوا و لا تتكبروا عَلَى وَ أَتُونِى منقادين طائعين لأمرى و قيل: مؤمنين بالله. ٣٢- قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِى ... إلخ. أى استشارت سراة قومها و طلبت منهم الفتيا فى أمر إسلامهم و تسليمهم لسليمان و عدمه ما كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ ... لا أمضى أمرا إلّا بحضوركم و مشاورتكم. ٣٣- قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةٍ ... أى ذوو عدد و عدة و قدرة. وَ أُولُوا بِأَسِّ شَدِيدٍ أى قوة فى الحرب و شجاعه عظيمه وَ الْأَمْرُ إِلَيْكَ أى الأمر مفوض إليك. فَانْظُرْى مَاذَا تَأْمُرِينَ مِنَ الْحَرْبِ أَوْ الصَّلَاحِ. ٣٤- قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ ... إلخ. أى قالت الملكة: إن فى دخول الملوك البلد مفسد كثيرة منها إفساد نفس البلدة بنهب الأموال و تخريب الديار، و منها إذلال الأعزّة و الأشراف بالإهانة و الأسر و القتل، و منها هتك الأعراض و النوايس. ٣٥- وَ إِنِّى مُرْسَلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ ... فى المرحلة الأولى، نحن فى مقام الصلح، و لسنا من أهل الحرب فأنا باعته إليهم بهديّة أولاً فَنَاطِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ أى منتظرة حتى يجيئنا الخبر عن حاله و كفيّة عمله و قوله مع المبعوثين فنعمل على حسب تكليفنا بعد ذلك. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٣٨٥ ٣٦- فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَ تُمِدُّونَنِ بِمَالٍ ... أى فلما جاء الرسول سليمان قال (ع): أ تساعدوننى و تزودوننى بمال و هذا استفهام إنكار فما آتَانِى اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ ما أعطانى رَبِّى مِنَ النُّبُوَّةِ وَ الْمُلْكِ وَ الْحِكْمَةِ خَيْرٌ مِمَّا أعطاكم مِنَ الدُّنْيَا وَ أَمْوَالِهَا بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ نعم أنتم تفرحون بهدايا بعضكم لبعض حبا لزيادة المال، إشارة إلى عدم اعتباره و اعتناؤه بأموال الدنيا. ٣٧- ارْجِعْ إِلَيْهِمْ ... أيها الرسول ارجع إلى بلقيس و ملئها بما جئت من الهدية فَلَنَأْتِيَنَّاهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا أى لا طاقة و لا قدرة لهم على دفعها وَ لَنَخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا نَخْرَجَهُمْ مِنْ سَبَأٍ وَ الْمُلْكِ فِيهَا أَذَلَّهُ بِذَهَابِ عَزِّهِمْ وَ هُمْ صَاغِرُونَ ذَلِيلُونَ بِأَسْرِ وَ إِهَانِهِ. ٣٨- قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ ... أخبر جبرائيل سليمان أنها خرجت من اليمن مقبلة إليك فقال سليمان لأشراف عسكره أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ وَ تَقْيِيدَ إِيَّانِى الْعَرْشِ بِقَبْلِ إِسْلَامِهِمْ لَأَنْ بَعْدَهُ لَا يَجُوزُ التَّصَرُّفُ فِيهِ إِلَّا بِإِذْنِهَا. ٣٩- قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ ... أى مارد قوى أَنَا آتِيكَ بِه قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ أى من مجلس حكومتك. وَ إِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ أى على حملة لقادر و على الجواهر المركوزة فيه و على ذهبه و فضته أمين لست بخائن. ٤٠- قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ ... أى الكتاب السّماوى الذى فيه الاسم الأعظم قيل هو آصف بن برخيا أَنَا آتِيكَ بِه قَبْلَ أَنْ يَزِيدَكَ إِلَيْكَ طَرْفُكَ أى أنا

أتيتك بعرشها قبل أن يبلغ طرفك مداه و يرجع إليك. وقيل: حتى يترد إليك طرفك بعد مدة إلى السماء. فَلَمَّا رَأَاهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ ... أى حاصلًا حاضرًا بين يديه قَالَ شُكْرًا هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي أَى تَمَكَّنِي وَ اقْتَدَارِي عَلَى عَرْشِ بَلْقِيسَ فِي هَذَا الزَّمَانِ الْيَسِيرِ مِنْ مَسِيرَةِ شَهْرَيْنِ مِنْ إِحْسَانِ رَبِّي عَلَى بِلَا- استحقاق لى لِيُثْلُوْنِي لِيُخْبِرْنِي أ أَشْكُرُ نِعْمَتَهُ أَمْ أَكْفُرُ أَقْصِرُ فِي أَدَاءِ وَاجِبَاتِهِ وَ فِي شُكْرِ نِعْمِهِ وَ مَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ لِأَنَّهُ بِهِ يَسْتَجْلِبُ دَوَامَ النِّعْمَةِ وَ مَزِيدَهَا رَبِّي غَنِيٌّ عَنْ شُكْرِ الشَّاكِرِينَ كَرِيمٌ بِالْإِنْعَامِ عَلَيْهِمْ شَاكِرُهُمْ وَ كَاْفِرُهُمْ. ٤١- قَالَ نَكُرُّوْا لَهَا عَرْشَهَا ... إلخ. أى غَيَّرُوا هَيْئَتَهَا اخْتِيَارًا لِعَقْلِهَا لَنَرَى فِيهَا إِذَا كَانَتْ تَعْرِفُهُ بَعْدَ هَذَا التَّغْيِيرِ أَمْ لَا. ٤٢- فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَ هَكَذَا عَرْشُكَ؟ ... أى عَرْشُكَ مِثْلَ هَذَا الْعَرْشِ. قَالَتْ كَذَّابَةٌ هُوَ أَى لَمْ تَقُلْ هُوَ هُوَ لَاحْتِمَالٍ أَنْ يَكُونَ مِثْلَهُ حَيْثُ إِنَّهُ كَانَ فِي نَظَرِهَا بَعِيدًا عَادَةً لِبَعْدِ الطَّرِيقِ وَ تَشْدِيدِ الْحِرَاسَةِ عَلَيْهِ وَ لَكِنِّهَا لَمْ تَنْفِ لِأَنَّهَا وَجَدَتْهُ يَشْبَهُ سَرِيرَهَا وَ هَذَا كَاشَفَ عَنْ رَجْحَانِ عَقْلِهَا. وَ أَوْتَيْنَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا هَذَا مِنْ تَتَمُّعِ كَلَامِ بَلْقِيسَ أَى وَ أَعْطَيْنَا الْعِلْمَ بِصَحَّةِ نُبُوَّةِ سُلَيْمَانَ مِنْ قَبْلِ هَذِهِ الْآيَةِ فِي الْعَرْشِ. وَ كُنَّا مُسْتَلِيمِينَ طَائِعِينَ لَكَ قَبْلَ مَجِيئِنَا إِلَيْكَ. وَ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مِنْ كَلَامِ سُلَيْمَانَ، يَعْنِي: وَ أَوْتَيْنَا الْعِلْمَ بِإِسْلَامِهَا وَ مَجِيئِهَا طَائِعَةً قَبْلَ مَجِيئِهَا. ٤٣- وَ صَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ ... إلخ. أى مَنَعَتْهَا عِبَادَةُ الشَّمْسِ عَنْ عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ هَذِهِ الْجُمْلَةُ فِي مَوْرَدِ التَّعْلِيلِ، أَى نَشُوْهَا بَيْنَ أَظْهَرِ الْكُفَّارِ وَ فِي بِلَادِهِمْ صَارَ مُوجِبًا وَ سَبَابًا لِأَنْ تَعْبُدَ الشَّمْسَ وَ الْإِنْصِرَافَ عَنْ عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى. ٤٤- يَلْ لَهَا اذْخُلِي الصَّرْحَ ... أى الْقَصْرَ، أَوْ كُلِّ بِنَاءٍ عَالٍ لَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً مَاءٍ عَظِيمًا. كَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا لِتَخُوضَهُ أَلْ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرِ أَى قَالَ سُلَيْمَانُ إِنْ مَا تَظَنِّيهِ مَاءٌ بِنَاءٍ مَمْلُوسٍ مِنَ الزَّجَاجِ. أَلْتِ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي بِالْكَفْرِ الَّذِي كُنْتُ عَلَيْهِ أَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَى أَسْلَمْتُ بِمُصَاحَبَةِ سُلَيْمَانَ وَ إِمْدَادِهِ وَ تَسْبِيحِهِ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. إِرْشَادُ الْأَذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ٣٨٦ ٤٥- وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ ... أَى إِلَى قَبِيلَةِ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَخَاهُمْ فِي النَّسَبِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ أَى لِأَنْ يَقُولَ لَهُمْ: اعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ أَى لَمَّا أَمَرَهُمْ بِالتَّوْحِيدِ صَارُوا فَرِيقَيْنِ: مُصَدِّقٌ لَهُ وَ مُكَذِّبٌ، ثُمَّ تَنَازَعُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ. وَ تَوْصِيفُ التَّشْيِيعِ بِالْجَمْعِ، يَعْنِي قَوْلُهُ فَرِيقَانِ بِقَوْلِهِ يَخْتَصِمُونَ لَكُنْ لَكُنِ الْمَرَادُ بِالْفَرِيقَيْنِ مَجْمُوعُ الْقَبِيلَةِ وَ الْقَوْمِ. وَ فَإِذَا فَجَائِيَّةٌ. ٤٦- قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ ... أَى بِالْعَذَابِ بِقَوْلِكُمْ أَتِنَا بِمَا تَعْدُنَا قَبْلَ الْخَيْرِ قَبْلَ الثَّوَابِ وَ الرَّحْمَةِ لَوْ لَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ إلخ. هَلَّا تَتُوبُونَ إِلَيْهِ تَعَالَى قَبْلَ نَزُولِهِ بِأَمَلٍ أَنْ يَرْحَمَكُمُ اللَّهُ؟. وَ يَظْهَرُ مِنْهُ أَنَّ صَالِحًا (ع) إِنَّمَا وَبَّخَهُمْ بِقَوْلِهِ هَذَا بَعْدَ مَا عَقَرُوا النَّاقَةَ وَ قَالُوا لَهُ: يَا صَالِحُ أَتِنَا بِمَا تَعْدُنَا ... إلخ. ٤٧- قَالُوا أَطِيعْنَا بِكَ وَ بِمَنْ مَعَكَ ... أَى تَشَامُنَا بِكُمْ إِذْ تَتَابَعْتَ عَلَيْنَا الشَّدَائِدَ وَ وَقَعَ بَيْنَنَا الْإِفْتِرَاقُ مِنْذُ أَظْهَرْتُمْ دِينَكُمْ قَالَ طَائِرُكُمْ سَبَبَ شُؤْمِكُمْ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ قَدْرُهُ بِكَفَرِكُمْ يَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ تَخْتَبِرُونَ بِالزَّخَاءِ وَ الشَّدَةِ لِيَعْلَمَ حَالَكُمْ. ٤٨- وَ كَانَ فِي الْمَدِينَةِ تَشْيِعُهُ رَهْطٌ ... إلخ. أَى تَسْعَةُ رِجَالٍ مِنْ أَشْرَافِ الْقَوْمِ وَ أَكْبَرِهِمْ مِنَ الْأَشْرَارِ. وَ قِيلَ: الرَّهْطُ: الْعَصَابَةُ إِلَى الْأَرْبَعِينَ وَ الْمَرَادُ بِالْمَدِينَةِ هِيَ الْمَدِينَةُ الَّتِي كَانَ بِهَا صَالِحٌ وَ تَسْمَى بِالْحَجَرِ. ٤٩- قَالُوا ... أَى فِيمَا بَيْنَهُمْ تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ أَى تَحَالَفُوا بِاللَّهِ لِنَبِيِّنَا وَ أَهْلِهِ أَى لِنَقْتُلَهُ وَ أَهْلَهُ لَيْلًا- ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لَوْلِيَّ دَمُهُ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ مَا كُنَّا حَاضِرِينَ حِينَ قَتَلَهُمْ وَ إِنَّا لَصَادِقُونَ أَى نَحْلِفُ عَلَى صِدْقِنَا فِي إِنْكَارِنَا قَتْلَهُمْ. ٥٠ وَ ٥١- وَ مَكْرُوهًا مَكْرًا وَ مَكْرُنًا مَكْرًا ... أَى جَازَيْنَاهُمْ عَلَى مَكْرِهِمُ السَّيِّئِ بِتَعْجِيلِ عِقَابِهِمْ وَ هُمْ لَا يَشْعُرُونَ بِمَكْرِنَا وَ أَنْ فَوْقَ مَكْرِهِمْ مَكْرًا. فَانْظُرْ ... إلخ. أَى كَانَتْ نَتِيجَةُ إِفْسَادِهِمْ وَ تَدْبِيرِهِمُ السَّيِّئِ أَنَّا دَمَرْنَاهُمْ أَى التَّسْعَةُ الَّذِينَ هُمْ أَشَقَى الْقَوْمِ وَ أَقْدَمُوا عَلَى عَقْرِ النَّاقَةِ وَ قَوْمُهُمْ أَجْمَعِينَ يَعْنِي الْبَاقِينَ الَّذِينَ كَانُوا رَاضِينَ بِعَمَلِ التَّسْعَةِ. وَ كَانَ تَدْمِيرُهُمْ بِصِيحَةِ جِبْرَائِيلَ، أَوْ صَوْتِ الرِّعْدِ أَوْ الزَّلْزَلَةِ. ٥٢ وَ ٥٣- فَتِلْكَ بَيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ ... أَى خَالِيَةٌ أَوْ سَاقِطَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا بِمَا ظَلَمُوا بِسَبَبِ ظُلْمِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ أَى فِي تَدْمِيرِ الظُّلْمَةِ وَ تَعْذِيبِهِمْ عَلَامَةً لِأَهْلِ الْإِدْرَاكِ وَ الْمَعْرِفَةِ فَيَتَعَذَّبُونَ بِهَا وَ يَعْتَبِرُونَ وَ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَ كَانُوا يَتَّقُونَ أَى يَتَّقُونَ الْكُفْرَ وَ الْمَعَاصِيَ وَ الشَّرْكَ فَخَصَّوْا بِالنَّجَاةِ لِذَلِكَ. وَ فِيهِ بَشَارَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ، إِذِ التَّقْوَى كَالْمَجْنَى لِلْإِيمَانِ وَ قَدْ قَالَ تَعَالَى: وَ الْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ. كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: وَ الْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى. ٥٤- وَ لَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَ تَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ ... الْمَرَادُ بِالْفَاحِشَةِ هُنَا هُوَ إِيْتَانُ الذَّكَرَانِ وَ الْاسْتِفْهَامُ لِلْإِنْكَارِ. وَ أَنْتُمْ تَبْصُرُونَ أَى حَالِ كَوْنِكُمْ تَرَوْنَ قَبْحَهَا وَ شَنَاعَتَهَا. ٥٥- أَيْنَكُمُ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ ... إلخ. الْاسْتِفْهَامُ إِنْكَارِيٌّ أَيْضًا، وَ هُوَ فِي مَقَامِ التَّعَجُّبِ وَ الْكَرْهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ... أَى سَفَهَاءُ أَوْ تَجْهَلُونَ عَاقِبَتَهَا الْوُخِيمَةَ أَوْ قَبْحَهَا. أَوْ أَنْكُمْ مُسْتَمِرُونَ عَلَى الْجَهْلِ لَا فَائِدَةَ مِنْ تَوْبِيخِكُمْ وَ الْإِنْكَارِ عَلَيْكُمْ

فلستم بمرتدين. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٣٨٧ ٥٦- فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ... إلخ. لما أفحموا عن الجواب أمر أمراء القوم قائلين أخرجوا آل لوط، فأمرُوا بتفسير لوط و من آمن به إِنَّهُمْ أَنْاسٌ يَنْطَهُرُونَ أى يتبرءون و يتنزهون عن أعمالنا و يستكرونها. و الكلام وارد مورد السخرية و الاستهزاء و يحتمل أنه يبرز مرادهم الجدى لأنهم كانوا حقيقة كما قيل عنهم. ٥٧- فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ ... أى خلصناهم قبل التفسير و المراد بأهله أهل بيته لقوله تعالى فى سورة الذاريات فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَرْنَا مِنَ الْغَابِرِينَ حكما عليها كونها من الباقيين فى العذاب. ٥٨- وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا ... إلخ. كان مطرا من الحجارة نزل على قوم لوط الذين أنذرهم لوط و أعلمهم بموقع المخافة ليتقوها فعصوا. ٥٩- قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ... أى يا لوط قل الحمد لله على إهلاك الكفرة و سَلامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ أَصْطَفَى اخْتَارَهُمْ حَجَجَا عَلَى خَلْقِهِ. و قيل: بأن المأمور بأن يحمد الله و يسلم على المصطفين من عباده هو رسول الله (ص) و ليس لوطا (ع) آله خَيْرٌ لِمَنْ يَعْبُدُهُ أَمَّا يُشْرِكُونَ أى ما يعبد أهل مكّة من الأصنام؟ ٦٠- أَمْنَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ ... إلخ. أى بل من خلق السماوات و الأرض خير فإن الله تعالى بين أنه الذى اختصّ بخلق السماوات و الأرض و يجعل السماء مخزنا للماء و الأرض مقرا للنبات و الأشجار و ما يتحصل منهما من الحقائق ذوات البهجة المونقة و لا يقدر على هذا الإنبات إلا الله، و لذا فهو المختص بالعبادة، و الخضوع له. أَلِلَّهِ مَعَ اللَّهِ أى هل يتصور أن يكون مع هذا الذى بتلك القدرة و العظمة كفاء و شريك له يسمى بالإله؟ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعِدُلُونَ أى يعرضون عن الحق الظاهر و هو التوحيد، إلى الباطل الظاهر و هو الشرك. ٦١- أَمْنَ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا ... إلخ. بل من جعل الأرض هكذا بأن دحاها و سواها مستقرا للمخلوقات و جعل بين مساربها أنهارا تجري بالمياه التى هى حياة لتلك المخلوقات من حيوان و نبات. وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ أى الجبال لأن تثبتها و ثلثا تميد و تتزلزل وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ الْعَذْبَ و المالح حاجزا أى برزخا لئلا يختلطا فيفسدان بالاتصال. أَلِلَّهِ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ لَعَدَمِ تَدَبُّرِهِمْ وَ تَفَكُّرِهِمْ فَيُشْرِكُونَ. ٦٢- أَمْنَ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ ... إلخ. أى بل من يجيب المكروب المجهود فيكشف كربته و يستجيب دعاءه و إنما أخذ وصف الاضطراب ليتحقق بذلك من الداعى حقيقة الدعاء و المسألة إذ ما لم يقع الإنسان فى مضيقه الاضطراب و كان فى مندوحة من المطلوب لم يتمحض منه الطلب. وَ يَكْشِفُ الشُّوْءَ أى يدفع عن عباده كل ما يسوؤهم وَ يَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ بتوارثكم سكنائها و التصرف فيها أَلِلَّهِ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ أى تتعظون اتعاضا قليلا. ٦٣- أَمْنَ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتٍ ... إلخ. أما هدايته فى البرارى فبعلامات أرضيه، و أما فى البحار فبالنجوم و الكواكب و قد يكون المقصود بالظلمات مدلهما طرقيهما. بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أى بشاره قدام المطر أَلِلَّهِ مَعَ اللَّهِ أى لا إله إلا الله وحده تعالى الله عما يُشْرِكُونَ أى تنزه و تقدس. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٣٨٨ ٦٤- أَمْنَ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ... أى بل من يوجد المخلوقات من العدم و بعد الإيجاد يفنيهم ثم يعيدهم بالبعث، و قيل: المراد ببداية الخلق ثم إعادته إيجاد الواحد من نوعه ثم إهلاكه و إيجاد نظيره بعده، و بالجملة: إيجاد المثل بعد المثل فلا يرد أن المشركين منكرون للمعاد فكيف يحتج عليهم به؟ وَ مَنْ يَزِفُّكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ أى بأسباب سماويه كالمطر و أرضيه كالنبات و الثمرات أَلِلَّهِ مَعَ اللَّهِ يفعل شيئا مما ذكر قل هاتوا براهانكم حجتكم إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فى دعواكم من أن لله شريكا. ٦٥- قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ ... أى من الملائكة و الثقلين لا يعلم الغيب إلا الله وَ مَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ أى ما يحس أهل السموات و الأرض متى يحشرون. و هذا برهان آخر على بطلان ألوهية آلهتهم و هو عدم علمهم بالغيب و عدم شعورهم بالساعة. و المقصود بآلهتهم هنا الملائكة و الجن و قديسو البشر. ٦٦- بَلْ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ ... أى تتابع منهم العلم و تلاحق حتى كمل علمهم فى الآخرة بما أخبروا به فى الدنيا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ أى من الآخرة فى الدنيا عيمان القلوب، جهلة. ٦٧ و ٦٨- وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا ... أَلِإِذَا كُنَّا تُرَابًا وَ آبَاؤُنَا إلخ. أى آباؤنا كانوا ترابا هل نحن و آباؤنا مخرجون من الأجداث إلى الحياة من جديد إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ أى أكاذيب السابقين الذين كانوا قبل محمد (ص). ٦٩- قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ... إلخ. أى مرهم يا محمد بالسير الآفاقي حتى ينظروا فى مساكن أهل الشرك و دورهم كيف سقطت على عروشها و لم يكن فيها أحد كديار الحجر و الأحقاف و المؤتفكات، و يتفكروا كيف أهلكهم الله. و فيه إنذار و تخويف لهم على إنكارهم وعد الأنبياء بالبعث، و لا إشكال فى أن فى النظر

في العواقب كفاية للمعتبرين من أولى الأبصار. ٧٠- وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ... أى على تكذيبهم وإعراضهم ولا- تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ لَا تَضِيقْ صَدْرَكَ بِالْحَرْجِ مِمَّا يَدْبُرُونَ لَكَ مِنْ مَكَائِدَ فَإِنَّ اللَّهَ حَافِظُكَ مِنْهُمْ. ٧١- وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ ... إلخ. أى متى تحققه إن كنت صادقاً فى قولك؟ ٧٢- قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدْفَ لَكُمْ ... أى سيلحقكم بعض الذى تَشْتَعِجُلُونَ قسم مما تطلبون معجلاً فى الدنيا وهو عذاب يوم بدر أو القحط والغلاء إلخ. ٧٣- وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ ... إلخ. أى أنه تعالى متفضل على عباده حتى الكفرة منهم ومنه تأخير عقوبتهم لعلهم ينتبهون فيتوبون إلى ربهم وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا- يَشْكُرُونَ فضله وحق نعمته عليهم. ٧٤ و ٧٥- وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ ... أى ما تخفيه من الحقد والحسد والمكر وما يُعْلِنُونَ من التكذيب وإظهار العداوة فيجازيهم بهما وَمِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ فما من شئ من الأمور الخفية من حوادث الدهر ونوازلها وإلّا وهو مكتوب ومبين فى اللوح المحفوظ. ٧٦ و ٧٧- إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ ... إلخ. أى يبين لهم ما يختلفون فيه من جهلهم كأمر عزيز وقصة مريم وعيسى وأحوال المعاد وغيرها. وهو دلاله على الحق ونعمة للمصدقين بالله ورسله. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٣٨٩ ٧٨- إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ ... أى بين من آمن من بنى إسرائيل ومن كفر منهم بِحُكْمِهِ بما يقتضى به عدله وَهُوَ الْعَزِيزُ فَلَا- يَغْلِبُ الْعَلِيمُ بالقضاء بالحق. ٧٩- فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ... يا محمد إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ أى الواضح الظاهر، والحق أولى بالتوكل من المبطل. ٨٠ و ٨١- إِنَّكَ لَا تُشِيعُ الْمَوْتَى ... التعبير عن الكفرة بالموتى لأنهم مثلهم لعدم انتفاعهم بما يقرأ عليهم، ومن هذا القبيل قوله تعالى وَلَا تُشِيعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ إِذَا أَعْرَضُوا عَنِ الْاسْتِمَاعِ وَجَعَلُوا دُعَاةَ الدَّاعِي وِرَاءَهُمْ، وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ فى الدين، بالآيات الدالة على الهدى إِذَا أَعْرَضُوا عَنْهَا كما لا يمكنك أن تهدي الأعمى إلى قصد الطريق إِنَّ تُشِيعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ أى ما يسمع إلا من يطلب الحق بالنظر فى آياتنا فهم منقادون مستسلمون. أى مخلصون بالتوحيد. ٨٢- وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ ... أى قرب وقوع المقول وهو ما وعدوه من البعث والعذاب أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ تخرج بين الصفا والمروة فتخبر المؤمن بأنه مؤمن والكافر بأنه كافر وعند ذلك يرتفع التكليف ولا تقبل التوبة أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ بالقرآن أو بخروجها. ٨٣- وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ ... أى فى الرجعة عند قيام الحجة فوجاً جماعة ممن يُكَذِّبُ بآياتنا وهم رؤسائهم وقادتهم والمراد بآياتنا إما القرآن أو الأئمة فَهُمْ يُوزَعُونَ يحبس أولهم على آخرهم ليجتمعوا ويتلاحقوا. ٨٤- حَتَّى إِذَا جَاءَ ... أى إلى الموقف قَالَ أَكْذَبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا؟ قال الله تعالى لهم مقررًا: هل كذبتهم بالقرآن أو بالمعاجز التى صدرت على أيدي الأنبياء والرسل؟ ولم تطلبوا معرفتها ولم يحصل لكم العلم الكامل بها؟ أَمَّا ذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ أم أى شئ كنتم تعملونه إذا لم تكذبوا بها؟ ٨٥- وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ ... أى حل بهم العذاب الموعود بما ظلموا بسبب ظلمهم بالتكذيب بآيات الله فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ بعذر من الأعذار لعدمه ولشغلهم بالنار. ٨٦- أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ ... أى خلقناه لِيَسْكُنُوا فِيهِ يستريحوا فيه بالنوم والدعة والنهار مُبْصَرًّا لطلب المعيشة إِنَّ فِي ذَلِكَ فى خلق الليل والنهار متعاقبين لآيات دلالات لهم على التوحيد والنبوة والبعث والنشور، ولكن لمن يعتبرون فيصدقون بقدره الله. ٨٧- وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ ... الصور شئ يشبه القرن، أو هو قرن يشبه البوق كما عن النبى (ص). وقيل إن الصور جمع صورة، والمراد هو: يوم ينفخ فى صور الخلائق ليعود إلى الأجساد. فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ أى ماتوا لشدة الفزع إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وهم جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل. وحمله العرش. وَكُلُّ أَوْتِهِ دَاخِرِينَ أى كل من أميت ثم أحىي يأتى الله فى المحشر صاغراً ذليلاً، وذلك بعد النفخة الثالثة. ٨٨- وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً ... أى ثابتة واقفة فى مقرها وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ فى السرعة، ضَمُّعُ اللَّهِ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ أى صنع الله ذلك صنعا وخلقها خلقاً على وجه الإحكام والإتقان. إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ عالم بظواهر الأفعال وبواطنها فيجازيكم بها وعليها. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٣٩٠ ٨٩ و ٩٠- مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا ... أى من جاء يوم القيامة بكلمة التوحيد والإيمان فله من ذلك الخير فى ذلك اليوم. وقيل فله أفضل منها وَهُمْ مِنْ فَرْعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ وقرئ بالإضافة. ومن المحتمل قويا أن هذه الجملة مفسرة للخير أى فلهم أنهم لا- يفرع الناس لأنهم فى الجنة وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وَجُوهُهُمْ فى النَّارِ أى من جاء يوم القيامة بالمعصية الكثيرة وهى

الكفر فهؤلاء ألقوا في النار على وجوههم. هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ فيقال لهم: إن هذا جزاء أعمالكم التي فعلتموها و ليس بظلم. ٩١- إِنَّمَا أُوتِيتُ أَنْ أُعْبِدَ ... أى قل يا محمد: أنا مأمور من عند ربى أن أعبده و هو رَبِّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ يعنى مكّة، الَّذِي حَرَّمَهَا مِنْ كُلِّ مَا يَسْتَلْزِمُ هَتْكَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ خَلَقَا وَ مَلَكَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ أى من المنقادين. ٩٢- وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ فَمَنْ اهْتَدَى بإجابته لى فى ذلك فَإِنَّمَا إِلَٰهُ، لِعُودِ نَفْعِهِ إِلَيْهِ وَمَنْ ضَلَّ بَتَرَكَ الْإِجَابَةَ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ أى فما على إلا الإنذار و البلاغ. ٩٣- وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ... على نعمة النبوة و منافعها لى و للخلق سِيرِيكُمْ آيَاتِهِ الْقَاهِرَةُ فى الدنيا و الآخرة فَتَعْرِفُونَهَا وَ تَصَدَّقُونَهَا وَ مَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ يمهلكم لوقته المحدد.

سورة القصص مكية، عدد آياتها ٨٨

١- طسم ... معناه كسائر الفواتح من السور و قد تقدّم فلا نعيده. ٢- تِلْكَ ... إشارة إلى الآيات الموعود بها، أو آيات هذه السورة أن تكون الآيات المذكورة فى هذه السورة آياتِ الْكِتَابِ الْمُبِينِ أى المبين الرشد من الغي. ٣- تَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَ فِرْعَوْنَ ... أى نبين لك بأمرنا جبرائيل نقل بعض قصص موسى و فرعون بِالْحَقِّ بِالْصِّدْقِ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ متعلق ب تَتْلُوا أى لمن نعلم بأنهم يصدقون و يعتقدون به. ٤- إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا- فى الْأَرْضِ وَ جَعَلَ أَهْلَهَا شَيْعًا ... أى انه بغى و تجبر فى أرض مصر و جعل أهلها فرقا، أذلّ بعضهم بالاستعباد كطائفة بنى إسرائيل، و أعزّ الآخرين بإعطائهم المناصب الرفيعة كالقبطيين. يَسْتَضِعُّ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أى بنى إسرائيل يُدَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَ يَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إلخ. أى يقتل الأبناء منهم و يخلى النساء و البنات و يستخدمهنّ لحرمة و النساء القبطيين و لذا فهو من المفسدين بالقتل و ارتكاب الآثام. ٥- وَ نُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ ... أى نتفضل على الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فى الْأَرْضِ بخلاصهم من بأسه فى المال. وَ نَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً مُقَدِّمِينَ فى الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ وَ نَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ لملك فرعون و قومه. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٣٩١-٦- وَ نُمَكِّنْ لَهُمْ فى الْأَرْضِ نَقْوِيَهُمْ وَ نَسَلَطُهُمْ على أرض مصر و نعطيهم مكانا يملكونه و يستقرون فيه. و عن الخليل: إن المكان مفعول من الكون، و لكثرتة فى الكلام أجرى مجرى فعال فقليل: تمكن و تمسكن نحو تمزول. وَ نُرِي فِرْعَوْنَ وَ هَامَانَ وَ جُنُودَهُمَا مِنْهُمْ ما كانوا يَحْذَرُونَ أى من بنى إسرائيل ما كانوا يخافون من ذهاب ملكهم و هلاكهم على يد مولود منهم. فقد تعلقّت الإرادة الإلهية بأن تنجى بنى إسرائيل ما كانوا يخافون من ذهاب ملكهم و هلاكهم على يد مولود منهم. فقد تعلقّت الإرادة الإلهية بأن تنجى بنى إسرائيل من آل فرعون و تحوّل ثقل النعمة من هؤلاء الأقوياء العتاة إلى بنى إسرائيل الأذلاء المستضعفين و تبدل من الأسباب ما كان على بنى إسرائيل لهم و ما كان لآل فرعون عليهم و الله يحكم لا- معقب لحكمه. ٧- وَ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى ... أى ألهمناها أَنْ أَرْضِعْ بِهِ ما أمكنك إخفاء أمره فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ بِأَنْ أَحْسَسْتَ بِأَشْهَارِ أَمْرِهِ فَخَفْتِ عَلَيْهِ الْقَتْلَ فَالْقِيهِ فى الْيَمِّ أى النيل وَ لَا تَخَافِ ضَيْعَتَهُ وَ غَرَقَهُ وَ لَا تَحْزَنِى على فراقه إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ سَالِمًا عَمَّا قَرِيبَ وَ جَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ نعطيه منصب الرسالة و رتبة النبوة. ٨- فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ ... فأخذوه بتابوته من دون طلب لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَ حَزَنًا أى ليكون لهم فى عاقبة أمره كذلك لا أنهم أخذوه لذلك. إِنَّ فِرْعَوْنَ وَ هَامَانَ وَ جُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ قيل إنه من الخطأ لأنهم ما شعروا أنّه الذى يذهب بملكهم و يهلكهم إلى آخرهم. ٩- وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتْ عَيْنٍ لِي وَ لِمَكَ ... لَمَّا أَرَادَ فِرْعَوْنَ قَتْلَهُ بَعْدَ أَنْ حَذَرُوهُ قَالَتْ أَسِيءَ زَوْجَتِهِ: لا تقتل الصبى عسى أن يكون ضياء عينا جميعا لا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا حَيْثُ إِنَّ فِيهِ مَخَالِيلَ الْخَيْرِ وَ الْيَمْنِ وَ دَلَائِلَ النِّفْعِ أَوْ نَنْجِيَهُ وَلَمَّا أَيْ نَبَّأَهُ فَإِنَّ هَذَا الْوَلَدَ أَهْلٌ لِدَوْلِكَ وَ هُمْ لَا يَشْعُرُونَ أى: هم لا يشعرون أنّه هو الذى ذهاب ملكهم على يديه. ١٠- وَ أَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا ... أى صار قلب أم موسى خاليا من الصبر و العقل لدهشتها حينما سمعت أن الصبي قد وصل إلى يد فرعون، إِنَّ كَادَتْ لَتُبْدَى بِهِ أى أو شكت أن تقر و تعترف بأنه ابنها لَوْ لَا أَنَّ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا أَوْ ثِقْنَاهُ وَ أَحْكَمْنَاهُ بِالصَّبْرِ وَ الثَّبَاتِ. لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أى من المصدقات بوعدها لها برده إليها. ١١- وَ قَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ ... أى أن أم موسى قالت لأختها: امشى وراء الصندوق لتعرفى أثره و خبره. فَصُورَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ أى فرأت أخاها من بعيد، و قيل عن جانب كانت تنظر إليه خلسة وَ هُمْ لَا يَشْعُرُونَ أى لا يلتفتون أنها تقصّه. ١٢- وَ حَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ ... أى منعناه

من أن يرتضع منهم من قَبْلِ قَبْلِ أمه إلى عنده و أخذته فَقَالَتْ أى أن أخته عند ما رأت محبة آل فرعون له و حرصهم على إرضاعه و طلبهم مرضعته يقبل ثديها قالت لهم: هَيْلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ أى يقومون بتربيته و جميع أموره وَ هُمْ لَهُ ناصِحُونَ لا يقصِّرون فى أموره لأجلكم وَ لَتَعْلَمَنَّ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ أراد وعد الله لها عند ما أوحى إليها إنا رادوه إليك و جاعلوه من المرسلين. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٣٩٢-١٤- وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ... أى غاية قوته و نشوئه و نموه، و هو بلوغه إلى الثلاثين، و عن ابن عباس إلى الأربعين سنة. وَ اسْتَوَى تَمَّ فى استحكامه و بلغ الأربعين. و قيل: الاستواء: الاعتدال و الاستقرار، فالاستواء فى الحياة استقرار الإنسان فى أمر حياته و يختلف فى الأفراد و هو على الأغلب عند بلوغ الأشد. و قد ورد فى بعض الأخبار أن استوى: التحى. آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا أى النبوة و علما بالدين وَ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ أى كما فعلنا مع موسى و أمه من اللطف و الكرم و الإحسان هكذا نجزي المحسنين من كل من يعمل عملا حسنا مرضيا عندنا. ١٥- وَ دَخَلَ الْمَدِينَةَ ... أى المصر المعروف بمدينة فرعون على حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا بين المغرب و العشاء، أو يوم عيد لهم و هم مشغولون و قيل: حين يدخل الناس بيوتهم فتتعطل الأسواق و تخلو الشوارع و الأرقه من المارة كالظهيرة و أواسط الليل. هذا مِنْ شِدَّتِهِ أى إسرائيلى وَ هذا مِنْ عِدْوِهِ من مخالفه، أى القبطى. فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ ضَرْبَهُ بِجَمْعِ كَفِّهِ أو دفعه بشدة بحيث كان فيه إزهاق روحه، قَالَ هذا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ أى الاقتتال الذى وقع بين الرجلين كان من عمل الشيطان و وسوسته لا ما فعله موسى من قتل القبطى. ١٦- قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى ... بهذا القتل إذ لو ظفروا بى لقتلوني فَأَغْفِرْ لى يعنى استرنى من أعدائك فَغَفَرَ لَهُ الآية. و هذا الاعتراف بالظلم و سؤال المغفرة نظير ما وقع من آدم (ع) و زوجه المحكى فى سورة الأعراف: قال- ربنا ظلمنا أنفسنا و إن لم تغفر لنا ... الآية. ١٧- قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَیَّ ... من القوة. و يحتمل أن الباء فى قوله بِمَا للسببية كما قيل إن الباء للقسم و الجواب محذوف، و المعنى: أقسم بما أنعمت على لأمتعن فلن أكون ظهيراَ لِلْمُجْرِمِينَ أى معينا لهم. ١٨- فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ... خائفا من أولياء الدِّم من فرعون و القبطيين و يترصد الأخبار و ما يقال فيه يَسْتَضَرِّجُهُ أى يستغيث به على الآخر إِنَّكَ لَعَوِيٌّ مُبِينٌ ضال عن طريق الرشيد ظاهر الغواية لكثرة مخاصمتك. ١٩- فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْطَشَ ... إلخ. أى أن يأخذ القبطى و يدفعه عن الإسرائيلي بقوة و شدة، قَالَ يا موسى أُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ أى قال القبطى لموسى ذلك إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ إلخ. أى ما تريد إلا أن تكون طاغيا فى الأرض بالظلم و القتل و لا ترغب أن تكون من المصلحين بين الناس. ٢٠- وَ جَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ ... إلخ. المراد من الرجل هو مؤمن آل فرعون، و اسمه حبيب النجار ابن عم فرعون، و قد جاء من آخر المدينة مسرعا و أنذره قائلا: إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ إلخ. أى أن الأشراف من آل فرعون يتشاورون فيك ليقتلوك فاخرج من أرض مصر إلخ. ٢١- فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا ... إلخ. أى من مصر خائفا على نفسه ينتظر لحوق طالب و يلتفت يمنة و يسرة، و كان يدعو ربّه للنجاء من شر فرعون و قومه. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٣٩٣-٢٢- وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ ... أى نحو قرية شعيب (ع) بعد أن فرّ من أرض مصر. و مدين- كما فى مراصد الاطلاع- تجاه تبوك على بحر القلزم بينهما ست مراحل، و هى أكبر من تبوك و بها البئر التى استقى منها موسى لغنم شعيب (ع) كما قيل بأن بينها و بين مصر مسيرة ثمان، و كانت خارجة من سلطان فرعون و لذا توجه إليها موسى (ع). قَالَ عَسَى رَبِّى أَنْ يَهْدِيَنِى سَوَاءَ السَّبِيلِ أى الطريق المؤدى إلى النجاة أو الذى فيه صلاحى. ٢٣- وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ ... أى وصل إليه و هو بئر لهم وَ حِدَّ عَلَيْهِ أُمُّهُ مِنَ النَّاسِ أى على شفيره، جماعة من أهل القرية يسقون مواشيهم وَ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ فى مكان أسفل من مكانهم امرأتين تَذُودَانِ أى تمنعان أغنامهما عن الماء فسألهما ما خَطْبُكُمَا؟ أى: لم تمنعان الأغنام عن شرب الماء؟ قالتا لا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ أى ينصرف و يخلص جميع الرعاة من السقى. وَ أَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ كَبِيرُ السِّنِّ لا يستطيع أن يسقى فيرسلنا اضطرارا. ٢٤- فَسَقَى لَهُمَا ... أى فروى غنمهما ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ أى رجع إلى الشجرة التى كانت قريبة من البئر فجلس فى ظلها فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ المراد بالخير فى الكريمة هو ما يسدّ جوعه فقد كان منذ خرج من مصر لا يأكل إلا بقل الأرض. و قيل: إن المراد من قوله هذا إشارة إلى القوة البدنية التى كان يعمل بها الأعمال الصالحة التى هى رضى الله سبحانه كالدفاع عن الاسرائيلى و الهرب من فرعون

بقصد مدين و سقى غنم شعيب ... ٢٥- فَبَجَاءَتْهُ إِخِدَاهُمَا ... وهى أكبرهما سناً تَمْشِي عَلَى اسْتِخْيَاءٍ مُسْتَحْيَةٍ و كانت تستر وجهها بكمها، قَالَتْ إِنَّ أَبَى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا أى جزاء سقيك لنا. فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ أى لما جاء موسى شعيبا و حكى له ما جرى عليه من يوم ولادته إلى يوم فراره و تشرّفه بخدمة شعيب (ع) خوفا من فرعون، قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ أى قال شعيب لموسى لا تخف نجوت من فرعون و قومه حيث أنه لا سلطان له على أرضنا و لسنا فى مملكته. ٢٦- قَالَتْ إِخِدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ ... أى اتخذه أجيرا لرعى أغنامنا إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوَى الْأَمِينُ أى أحسن من تتخذه أجيرا هو الرجل القوى على العمل الأمين على أداء الأمانة. ٢٧- قَالَ إِنِّى أُرِيدُ أَنْ أُنْكَحَكَ إِخِيدَى ابْنَتَى هَاتَيْنِ ... أى واحدة من هاتين و كانت هى الكبرى عَلَى أَنْ تَأْجُرْنِي أَنْ تَكُونَ أَجِيرَا لِي ثَمَانِي حِجَجٍ ثَمَانِي سَنِينَ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ أى أنت مخير فى الإنعام، فإتمامه من عندك تفضل، و ما أريدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ أى أجور و أظلم بإلزامك بالعشرة أو بالمناقشة فى استيفاء الأعمال سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ لِلتَّبَرُّكِ مِنَ الصَّالِحِينَ أى فى حسن الصّحبة و الوفاء بالعهد. ٢٨- قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَ بَيْنَكَ ... أى قال موسى إن الذى شارطتنى عليه قد تم بيني و بينك أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ أى من الثمانى أو العشر أتممت فلى أن أختار أى الأجلين شئت فإن اخترت الثمان فليس لك أن تعدو على و تلزمنى بالزيادة، و إن اخترت الزيادة عليها فليس لك أن تعدو على بمعنى عنها. فَلَا عُذْرَ لِي عَلَى بَطْلِ الزِيَادَةِ مِنْكَ أَوْ بَتَرِكَ الزَائِدَ مِنِّي. وَ كَيْلُ أى هو تعالى على ما نقول و نشارط شهيد. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٣٩٤ ٢٩- فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ ... أى أتم ما كان عليه من الإيجار، وَ سَارَ بِأَهْلِهِ أى بامراته و بغنمه. آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا أى رأى من جانب جبل الطور نارا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّى آنَسْتُ نَارًا أى توقفوا هنا فإنى أبصرت نارا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أى بخبر عن الطريق و كان قد ضلّ عنه أَوْ جَذْوَةً إِنْخ. أى قطعه أو شعله من النار لَعَلَّكُمْ تَصِطَّلُونَ تستدفئون بها. ٣٠- فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ ... أى أتى النار و وصل إليها سمع موسى مناديا يناديه مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ أى من الجانب الأيمن لموسى أَوْ لِلْوَادِى فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ متعلق بنودى أى النداء، كان فيها، و هى البقعة التى قال فيها فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ ... إِنْخ. و إنما كانت مباركة لأنها كانت مهبط الوحي و الرسالة و نزول الكتب السماوية غالبا مِنَ الشَّجَرَةِ فَإِنَّ الشَّجَرَةَ كَانَتْ مَحَلًّا لِلْكَلامِ و مصدرا له أَنْ يَا مُوسَى إِنِّى أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ أى أن مناديك هو مالك العالمين و خالق الخلائق أجمعين تعالى عن أن يحل فى محل لأنه ليس بعرض و لا جسم. ٣١- وَأَنْ أَلْقِي عَصَاكَ ... أى إرم عصاك من يدك و إنما أعاد سبحانه هذه القصّة و كرّرها فى السور إثباتا للحجّة على أهل الكتاب و استماله لهم إلى الحق، و من أحبّ شيئا أحبّ ذكره. و القوم كانوا يدعون محبة موسى، و كلّ من ادّعى اتّباع سيّده مال إلى من ذكره بخير و تبجيل و فضل. على أن كلّ موضع من موارد التكرار لا يخلو من مزيد فائدة فَلَمَّا رَأَاهَا تَهَتَّرُ كَأَنَّهَا جَانٌّ أى بعد إلقيها رآها تتحرك بكمال السرعة كأنّها حيّة صغيرة مع عظم جثتها و غاية كبرها، و لذا خاف و وَلَّى مُدْبِرًا أى منهزما على عقبه من الفزع و لَمْ يُعَقِّبْ لم يرجع إلى موضعه، فنودى يا موسى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ أى ارجع و لا تفرع إِنَّكَ مِنَ الْأَمِينِينَ من كلّ مخوف حيث إِنَّكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ، و لا يخاف لدى المرسلون. ٣٢- اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ ... أى أدخلها فيه. و الجيب من القميص طوقه، تَخْرُجُ بَيَضاءَ ذات شعاع مِنْ غَيْرِ سُوءٍ أى مثل البرص أو أى عيب آخر وَ اضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ أدخل يدك اليمنى تحت عضدك اليسرى، و كذلك العكس، حتى يذهب بروعك و خوفك. فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ أى العصا و اليد حجتان تيرتان أنت مرسل بهما من عند ربك إلى فِرْعَوْنَ الْآيَةِ، فإن فرعون و قومه قوم فاسقون. ٣٣ و ٣٤- قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا ... إِنْخ. يريد القبطى الذى قتله فبين أن سبب خوفه منهم هو قتلهم له قودا بذلك القبطى و أَخِي هَارُونَ الموجود فى مصر هُوَ أَفْضَحُ مِنِّى لِسَانًا إنما قال ذلك لعقده و لكنه كانت فى لسانه، فَأَرْسَلَهُ مَعِيَ رِدْءًا أى عوناً لى يُصَيِّدُنِي يكون مصدقا لى فى بيان الحجج و تزييف الشبهة إِنِّى أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ حيث لا يفهمون مقصدى من عقده لسانى و لقصور بيانى. ٣٥- قَالَ سَيَنْشُدُ عَصِدَكَ بِأَخِيكَ ... أى نجعله عوناً لك و نقويك به وَ نَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا أى غلبة و سلطة بالحجج فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا أى فرعون و قومه لا يصلون إلى الإضرار بكما بِآيَاتِنَا بسبب ما نعطيكم من الآيات أُنْتَمَا وَ مِنْ أَتْبَعُكُمْ يَا الْغَالِبُونَ لفرعون و ملته، القاهرون لهم. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٣٩٥ ٣٦- فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ

قالوا ما هذا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرٍ ... أى سحر موصوف بأنه مخلوق كسائر أنواع السحر. وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ أى ما سمعنا أن هذا الذى يقوله موسى يصدق به آبائنا و يقبلونه مِمَّن ادَّعَاهُ مِنْ مَدْعَى النُّبُوَّةِ السابقين. أو اتخذوه فى وقت من الأوقات. ٣٧- وَقَالَ مُوسَى رَبِّى أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى ... أى جاء بإراءة طريق الحق للناس و مقتضى السياق كونه جوابا من موسى (ع) عن قولهم: وَمَا سَمِعْنَا ... إلخ، فى ردهم لدعواه (ع). و هو جواب مبنى على التحدى. مِنْ عِنْدِهِ بِأَمْرِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ عَاقِبَةُ الدُّنْيَا المحمودة و هى الجنة، و إما نفس الدار الدنيا كما فى قوله: قال موسى لقومه استعينوا بالله و اصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده و العاقبة للمتقين. أو المعنى الأعم الشامل للدنيا و الآخرة. إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ أى لا يفوز من عصى ربه و كفر به. فظلم بذلك نفسه. و فيه تعريض بفرعون و قومه، و إن هؤلاء لن تكون لهم عاقبة الدار حيث بنوا سنّة الحياة على الظلم و فيه انحراف عن العدالة الاجتماعية التى تهدى إليها فطرة الإنسان الموافقة للنظام الكونى. ٣٨- وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ ... خاطب فرعون قومه بذلك، ما عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِى فَلَا رَبَّ سِوَاى. و فيه تعريض لموسى بما جاء به من الدعوة الحقّة المؤيدة بالآيات المعجزة. فَأَوْقَدْ لِي يَا هَامَانَ عَلَى الطِّينِ أى اصنع الآجرّ و أوقد النار على الطين ليشندّ و يستحكم و ابن لى صرحا عاليا و هامان مستشاره و وزيره. لَعَلَّى أَطْلُعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى فى السماء. و قد نسب الإله إلى موسى بعناية أنه هو الذى يدعو إليه. و قوله: لَعَلَّى أَطْلُعَ ... إلخ، كأنه كان يرى أنه تعالى جسم من الأجسام يسكن فى بعض طبقات الجو أو الأفلاك، أو كأن هذا القول من قبيل التعمية على الناس و إضلالهم. وَإِنِّى لَمَّا طُنْتُ مِنَ الْكَذِبِينَ أى أعتقد كذبه. ٣٩- وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ... أى استعلى هو و جنده و أعوانه و أخذتهم العزة بالإثم وَظَنُوا زَعَمُوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُزْجَعُونَ لَا يَرُدُّونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. ٤٠- فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ ... فاستدرجناهم فى أثر بنى إسرائيل و أغرقناهم فى البحر فَأَنْظُرْ فَتَفَكَّرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ كيف كان مصيرهم. ٤١- وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً ... أى اعتبرناهم و أقمناهم قدوة ضلال يَدْعُونَ أَتْبَاعَهُمْ إِلَى النَّارِ يوردونهم إياها بكفرهم وَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ بدفع العذاب عنهم. ٤٢- وَاتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا ... أى ألحقنا بهم و أوصلنا لهم فى الدنيا لَعْنَةً إِبْعَادًا عَنْ الرَّحْمَةِ. وَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ مِمَّنْ قَبِحت وجوههم و من المشوهين أو مِمَّنْ قَبِحت أعمالهم و ساء حالهم. أو بحيث كانوا يتنفّروا و تسمّئ عنهم النفوس و يفر منهم الناس و لا يدنوا منهم أحد. ٤٣- وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى ... بَصَائِرَ لِلنَّاسِ ... أى أعطينا موسى التوراة أنوارا لقلوبهم يستبصرون بها، أو حججها و براهين لهم و عبرا يعرفون بها أمور دينهم وَ رَحْمَةً لِّئَلَّا يَقْوَا مِنَ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٣٩٦-٤٤- وَمَا كُنْتُ بِجَانِبِ الْعُرْبِىِّ ... أى و لم تكن حاضرا يا محمد فى طرف جبل الطور الغربى حيث كلّم الله فيه موسى إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ حِينَ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَمْرًا بِالرَّسَالَةِ و الشريعة. وَمَا كُنْتُ مِنَ الشَّاهِدِينَ لتكليمه فتخبر قومك به عند مشاهدته و عيان و إنما هو من الغيب الذى أطلعناك عليه ليكون حجة على صدق دعواك. ٤٥ و ٤٦- وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا ... أى أوجدنا أمما. فَتَطَاوَلْ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ فمضت عليهم مدة طويلة بحيث نسيت الأخبار و تغيّرت الشرائع و طالت فترة النبوة، و الناس صاروا فى حيرة الضلالة و تيه الجهالة فحملهم ذلك على الاغترار و التوخش و مَا كُنْتُ ثَاوِيًا مَقِيمًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ إِلَى أَنْ يَقُولَ وَمَا كُنْتُ بِجَانِبِ الطُّورِ ثم يقول سبحانه وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَعَلَمْنَاكَ ذَلِكَ رَحْمَةً مِنَّا، و هو أن بعثك ربك نبيا و أنزل عليك القرآن و أعطاك دين الإسلام و أخبرك هذه الأخبار لتكون معجزة لصدق نبوتك، و لِتُنذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لتخوف الذين لم يأتهم رسول فى زمن الفترة لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ يَتَعَذَّلُونَ و يعتبرون. و الظاهر أن المراد بذلك القوم أهل عصر الدعوة النبوية، أو هم من يقارنهم من آبائهم، فإن العرب خلت فيهم رسل منهم كهود و صالح و شعيب و إسماعيل (ع). ٤٧- وَلَوْ لَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ ... تنزل بهم بما قَدَمْتُ أَيْدِيَهُمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْ لَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ إلخ. جوابه محذوف. أى لو لا قولهم إذا أصابتهم مصيبة و عقوبة، بسبب كفرهم و معاصيهم، رَبَّنَا هَلَّا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا يَلْبِغُنَا آيَاتِكَ فنتبعها و نكون من المصدقين ما أرسلناك، و إنّما أرسلناك قطعاً لعذرهم و إلزاماً للحجة عليهم. ٤٨- فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا ... أى جاء محمد رسولا من عندنا إلى مشركى العرب أو أن المراد بالحق هو الكتاب النازل عليه (ص) و هو القرآن. قالوا لَوْ لَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى أى قالوا تعنتا و اقتراحا هلا أعطى محمد من المعجزات مثل ما أعطى موسى

كالعصا واليد البيضاء وغيرهما أَوْ لَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ فَمِنَ كُفْرِ الْقَبْطِيِّينَ وَ مُشْرِكِي عَصْرِ مُوسَى بِقَوْلِهِمْ: سِحْرَانِ أَيْ الْيَدِ وَالْعَصَا أَوْ الْمِرَادُ بِهِ: سَاحِرَانِ وَ مُرَادُهُمُ مُوسَى وَ هَارُونَ أَوْ الْمِرَادُ التَّوْرَةُ وَالْقُرْآنُ كَمَا سَوْفَ نَبْنِيهِ أَيْضًا. تَظَاهَرَا تَعَاوَنًا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ مَنَّهُمَا كَافِرُونَ جَاحِدُونَ مُكَذِّبُونَ. وَقِيلَ بَأْنَ هَذِهِ مَقَالَةُ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ وَ أَرَادُوا بِالسَّحَرِيِّينَ التَّوْرَةَ وَالْقُرْآنَ وَ قَالُوا إِنَّا كَافِرُونَ بِكُلِّ الْأَنْبِيَاءِ. ٤٩ وَ ٥٠- قُلْ فَاتُوا بِي كِتَابٌ ... هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا ... أَيْ مِنَ التَّوْرَةِ وَالْقُرْآنِ أَتَّبِعُهُ وَ أَوْ مِنْ بِهِ مَعَكُمْ وَ أَتَدِينُ بِهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِيمَا تَزْعُمُونَهُ. فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ لَمْ يَأْتُوكَ بِكِتَابٍ أَهْدَى فَاعْلَمْ أَنَّ مَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ أَيْ يَتَكَلَّمُونَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ بِلَا حُجَّةٍ وَ يَدْفَعُونَ عَنْ مُشْتَهَاتِ طَبَاعِهِمْ بِمِثْلِ هَذِهِ الْأَبَاطِيلِ. وَ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ أَيْ لَا أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّخَذَ دِينَهُ رَأْيَهُ. بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ أَيْ بِغَيْرِ إِمَامٍ مِنْ أُمَّةٍ الْهَدَى إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بَانْتِهَامِهِمْ فِي اتِّبَاعِ الْهَوَى فَجَرُوا عَلَيْهَا وَ بِلَاتِ الْعَذَابِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ. وَ غَيْرِ الْمُتَهْدَى هُوَ الضَّالُّ. إِرْشَادُ الْأُذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ٣٩٧ ٥١- وَ لَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ ... أَيْ أَنْزَلْنَا الْقُرْآنَ مُتَّصِلًا بَعْضُهُ فِي أَثَرِ بَعْضٍ لِيَتَّصِلَ الذِّكْرُ. أَوْ الْمَعْنَى مُتَوَاصِلًا حُجْبًا وَ عِبْرًا لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ فَيَتَذَكَّرُونَ وَ يَعْتَبِرُونَ فَيُطِيعُونَ. ٥٢- الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ ... أَيْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ التَّوْرَةَ وَ الْإِنْجِيلَ قَبْلَ مُحَمَّدٍ وَ الْقُرْآنَ. هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ أَيْ يَصَدِّقُونَ بِمُحَمَّدٍ لِأَنَّهُمْ وَجَدُوا نَعْتَهُ عِنْدَهُمْ. وَقِيلَ وَ هُمْ يَصَدِّقُونَ بِالْقُرْآنِ. ٥٣- وَ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ ... أَيْ آمَنَّا بِالْقُرْآنِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا لَا شَكَّ فِيهِ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ أَسْلَمْنَا بِهِ قَبْلَ نَزُولِهِ وَ تَلَاوَتِهِ عَلَيْنَا لِأَنَّا وَجَدْنَا فِي كِتَابِ السَّمَاءِ ذِكْرَهُ. ٥٤- أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ ... أَيْ لَمَّا آمَنُوا بِالْقُرْآنِ مَرَّةً قَبْلَ نَزُولِهِ وَ أُخْرَى بَعْدَ نَزُولِهِ فَلِذَا يَعْطُونَ أَجْرَيْنِ بِمَا صَبَرُوا بِصَبْرِهِمْ عَلَى الْإِيمَانِ بِهِ قَبْلَ النُّزُولِ وَ بَعْدَهُ، وَقِيلَ بِصَبْرِهِمْ عَلَى الْإِيمَانِ وَ أَذَى الْكَافِرِينَ وَ يَذَرُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أَيْ يَدْفَعُونَ بِطَاعَاتِهِمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَ مَعَاصِيَهُمْ الَّتِي عَمِلُوهَا قَبْلَ الْحَسَنَاتِ فَتَمَحَّى بِهَا أَوْ الْمِرَادُ بِالْحَسَنَةِ كَلِمَةُ التَّوْحِيدِ وَ السَّيِّئَةُ هُوَ الشِّرْكَ فَهِيَ مَاحِيَةٌ لَهَا، وَقِيلَ: يَدْفَعُونَ الْجَهْلَ بِالْحِلْمِ. ٥٥- وَ إِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ ... اللَّغْوُ هُوَ السَّفَهُ مِنَ النَّاسِ وَ الْقَبِيحُ مِنَ الْقَوْلِ فَإِذَا سَمِعُوهُ لَمْ يَقَابِلُوهُ بِمِثْلِهِ وَقَالُوا أَيْ قَالَ الْمُتَصِفُونَ بِالْأَوْصَافِ الْمَذْكُورَةِ لَنَا أَعْمَلْنَا مِنَ الْحِلْمِ وَ الصَّفْحِ وَ لَكُمْ أَعْمَالُكُمْ مِنَ السَّفَاهَةِ وَ اللَّغْوِ، سَلَامٌ عَلَيْكُمْ قِيلَ إِنَّ هَذَا سَلَامٌ مُتَارِكَةٌ يَعْنُونَ بِهِ أَنَّ هَذَا فِرَاقٌ بَيْنَنَا وَ بَيْنَكُمْ. وَقِيلَ سَلَامٌ تَحِيَّةٌ حِلْمًا وَ كَرَامَةً يَعْنُونَ بِهِ أَنَّنَا لَا نَقَابِلُ لَغْوَكُمْ بِمِثْلِهِ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ أَيْ لَا نَزِيدُ مَخَالَطَتَهُمْ وَ لَا نَطْلُبُ مَجَالَسَتَهُمْ. ٥٦- إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبَتْ ... أَيْ مَنْ أَحْبَبَتْ هِدَايَتَهُ. وَ الْمِرَادُ بِالْهِدَايَةِ هُنَا هُوَ اللَّطْفُ وَ التَّوْفِيقُ الَّذِي مِنْ عِنْدِهِ تَعَالَى، وَ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ غَيْرُهُ وَ لَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ بِلُطْفِهِ وَ تَوْفِيقِهِ فَيُرِيهِمُ السَّبِيلَ إِلَيْهِ وَ يَعِينُهُمْ عَلَيْهِ. وَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ أَيْ بِمَنْ لَهُ الْأَهْلِيَّةُ وَ السَّعَادَةُ الذَّاتِيَّةُ لِلتَّشْرِيفِ بِشَرَفِ الْإِسْلَامِ وَ لِلتَّوَرُّدِ بِنُورِ الْإِيمَانِ. ٥٧- وَقَالُوا إِنْ تَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ تَتَخَطَّفُ ... أَيْ نَسْتَلْبِ مِنْ أَرْضِنَا يَعْنِي مَكَّةَ وَ الْحَرَمَ. أَوْ لَمْ نُمْكِنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا أَيْ أَوْ لَمْ نَجْعَلْ مَكَانَهُمْ حَرَمًا ذَا أَمْنٍ بِحَرَمَةِ الْبَيْتِ يُجْبَى إِلَيْهِ أَيْ يَجْمَعُ فِيهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ مِنْ كُلِّ أَوْبٍ وَ مَكَانٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا عَطَاءً مِنْ عِنْدِنَا وَ لَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ فَهَمُ جَهْلَةٌ جَحْدَةٌ لَا يَتَفَكَّرُونَ. ٥٨- وَ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بِطَرَفِ مَعِيشَتِهَا ... أَيْ أَهْلَكْنَا أَهْلَهَا وَ كَانَتْ حَالُهُمْ كَحَالِكُمْ فِي الْأَمْنِ وَ خَفَضَ الْعِيشَ فَأَعْرَضَتْ عَنِ الشُّكْرِ وَ تَكَبَّرَتْ فِتْلَكَ مَسَاكِينُهُمْ إِيَّاهُ إِلَى مَا يَمْرُونَ بِهِ فِي أَسْفَارِهِمْ لِلتَّجَارَةِ مِنْ دِيَارِ عَادَ وَ ثَمُودَ وَ قَوْمَ لُوطَ لَمْ تُشْكَنْ مِنْ بَغْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا أَيْ خَالِيَةً مِنْ أَهْلِهَا لَيْسَ فِيهَا إِلَّا الْمَارُونَ فِي أَسْفَارِهِمْ وَ كُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ الْمَالِكِينَ لِدِيَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ إِهْلَاكِهِمْ. ٥٩- وَ مَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا ... أَيْ حَتَّى يَرْسِلَ فِي عَاصِمَتِهَا وَ هِيَ الْقَرْيَةُ الَّتِي تَكُونُ أَكْثَرُ قَرَاهَا، رَسُولًا. يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا يَقْرَأُ عَلَيْهِمْ حُجْبَنَا وَ أَهْلُهَا ظَالِمُونَ لِأَنْفُسِهِمْ بِتَكْذِيبِ الرُّسُلِ وَ التَّوَعُّلِ فِي الْجُحُودِ وَ الْكُفْرِ. إِرْشَادُ الْأُذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ٣٩٨ ٦٠- وَ مَا أُوتِيتُمْ ... أَفَلَا تَعْقِلُونَ؟ ... فَإِنَّ هَذَا الْاِسْتِدَالُ لِلَّذِينَ هُوَ أَدْنَى لِفَنَائِهِ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ لِبَقَائِهِ، وَ إِثَارُهُ عَلَيْهِ أَمْرٌ غَيْرُ عَقْلَانِيٍّ. وَ الْإِيْتَاءُ: الْإِعْطَاءُ. وَ قَوْلُهُ: مِنْ شَيْءٍ: بَيَانٌ لِمَا لِإِفَادَةِ الْعُمُومِ، أَيْ كُلِّ شَيْءٍ أَوْ تَيْمُومِهِ، وَ الْمَتَاعُ: مَا يَتَمَتَّعُ بِهِ. وَ الزِينَةُ: مَا يَنْضُمُ إِلَى الشَّيْءِ لِيُفِيدَهُ حُسْنًا وَ جَمَالًا وَ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا، الْحَيَاةُ الْمُؤْجَلَةُ الْمُقْطُوعَةُ الَّتِي هِيَ أَقْرَبُ الْحَيَاتَيْنِ مَنَا، وَ تَقَابُلُهَا الْحَيَاةُ الْآخِرَةُ الَّتِي هِيَ خَالِدَةٌ مُؤَبَّدَةٌ. ٦١- أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسِينًا ... أَيْ الْجَنَّةَ فِي الْآخِرَةِ جَزَاءً عَلَى طَاعَتِهِ فَهُوَ لَاقِيهِ أَيْ فَهُوَ وَاصِلٌ إِلَيْهِ لَا مُحَالَةً ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِّينَ لِلْحِسَابِ إِمَّا لِلثَّوَابِ أَوْ لِلْعَذَابِ. ٦٢- وَ يَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ ... أَيْ يَنَادِي اللَّهُ الْكَافِرَ تَوْبِيخًا لَهُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ فِي

الدنيا انهم شركائي في الألوهية و تعبدونهم. ٦٣- قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ ... أى وجب عليهم الوعيد بالعذاب من الجن و الانس و الشياطين. رَبَّنَا هَؤُلَاءِ مَبْتَدَأُ الَّذِينَ أَعْوَيْنَا بِهِ، أَعْوَيْنَاهُمْ أَضَلَّلْنَاهُمْ عَنِ الدِّينِ بِالسُّوسَةِ فَعَوُوا بِاخْتِيَارِهِمْ غِيًّا كَمَا غَوَيْنَا مِثْلَ غِيَّا بِاخْتِيَارِنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مِنْهُمْ وَمِمَّا اخْتَارُوهُ لِأَنفُسِهِمْ مِنَ الْكُفْرِ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْتِيدُونَ إِنَّمَا كَانُوا عَابِدِينَ لِأَهْوَائِهِمْ. ٦٤- وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ... أى و يقال للاتباع ادعوا الذين عبدتموهم من دون الله لينصروكم من الله فَدَعَوْهُمْ مِنْ فِرطِ الْحِيرَةِ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ لِعِزِّهِمْ عَنِ الْإِجَابَةِ وَ النَّصْرِ وَ رَأَوْا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ أى لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ تَمَنَوْا لَوْ كَانُوا مُهْتَدِينَ، وَقِيلَ: لَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا لَاعْتَقَدُوا أَنَّ الْعَذَابَ حَقٌّ. ٦٥- وَ يَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ ... أى اذكر يا محمد يوم ينادى الله الكافرين فيقول ما ذا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ بِأَيِّ شَيْءٍ أَجَبْتُمُ الْأَنْبِيَاءَ حِينَ دَعَوْكُمْ؟ فَهَمْ قَدْ سَأَلُوا أَوَّلًا: عَنْ شُرَكَائِهِمْ وَ أَمَرُوا أَنْ يَسْتَنْصِرُوهُمْ، وَ ثَانِيًا: عَنْ جَوَابِهِمْ لِلْمُرْسَلِينَ إِلَيْهِمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ. ٦٦- فَعَمِيَّتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ ... أى خفيت و لم يدروا بماذا يجيبون يوم القيامة. فَهَمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ أى لَا يَسْأَلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا عَنْ الْجَوَابِ لَدَهْشَتِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. ٦٧- فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَ آمَنَ ... أى تَابَ مِنَ الشَّرِكِ وَ آمَنَ بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ عَمِلَ صَالِحًا إلخ. مُشْفَعًا الْإِيمَانَ بِالْعَمَلِ الْحَسَنِ فَإِنَّهُ مِنَ الْفَائِزِينَ بِرِضْوَانِ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. ٦٨ وَ ٦٩- وَ رَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ... أى يَوْجِدُ كُلَّ شَيْءٍ يَرِيدُهُ بِلا مَانِعٍ وَ لَا رَادِعٍ وَ يَخْتَارُ لِرِسَالَتِهِ مَنْ هُوَ الْأَصْلَحُ لِعِبَادِهِ، فَإِنَّهُ الْخَالِقُ لَهُمْ وَ هُوَ يَعْرِفُ الْأَصْلَحَ مِنْ غَيْرِهِ فَلَيْسَ لِعِبَادِهِ كَالْوَلِيدِ بِنِ الْمَغِيرَةِ وَ غَيْرِهِ مِنْ صِنَادِيدِ الْعَرَبِ أَنْ يَطْعَنُوا فِي مَنْ اخْتَارَهُ اللَّهُ وَ اصْطَفَاهُ لِلرِّسَالَةِ مَا كَانَ لَهُمْ الْخِيَرَةُ أى لَيْسَ لَهُمُ الْاِخْتِيَارُ. سُيِّحَانِ اللَّهُ أى هُوَ تَعَالَى مَنَزَّهُ عَنْ أَنْ يَنَازِعَهُ أَحَدٌ بِمَا اخْتَارَهُ وَ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ارْتَفَعَ عَنْ إِشْرَاكَهِمُ الْحَامِلُ لَهُمْ أَنْ يَخْتَارُوا عَلَى مَخْتَارِهِ تَعَالَى غَيْرِهِ. وَ رَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَ مَا يُغْلِظُونَ أى يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَ جَهْرَهُمْ. وَ لَكُنِ الصُّدُورُ يَعِدُّ مَخْزَنًا لِلْأَسْرَارِ نَسْبَ الْإِكْنَانِ إِلَى الصُّدُورِ وَ الْإِعْلَانِ إِلَيْهِمْ أَنْفُسَهُمْ. ٧٠- وَ هُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ... أى أَنَّهُ لَا مَعْبُودَ بِحَقِّ سِوَاهُ، وَ لَهُ الْحَمْدُ أى الْمَدْحُ وَ الثَّنَاءُ فِي الْأُولَى أى فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ وَ لَهُ الْحُكْمُ الْأَمْرُ وَ النَّهْيُ. أَوِ الْحُكْمُ بِالْمَغْفِرَةِ لِأَهْلِ الطَّاعَةِ وَ بِالشَّقَاءِ لِأَهْلِ الْمَعَاصِي. إِرْشَادُ الْأَذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ٣٩٩ ٧١- قُلْ أَرَأَيْتُمْ ... عَلَيْكُمُ اللَّيْلُ سِرْمَدًا ... إلخ. السِّرْمَدُ: عَلَى فِعْلِ بِمَعْنَى الدَّائِمِ أى دَائِمًا بِلا نَهَارٍ وَقِيلَ: هُوَ مِنَ السَّرْدِ وَ الْمِيَمِ زَائِدَةٌ وَ مَعْنَاهُ: الْمَتَاعُ الْمَطْرُودُ وَ تَقْيِيدُهُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ، إِذْ لَا لَيْلَ بَعْدَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ. مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ إلخ. هَلْ يَقْدِرُ غَيْرُ اللَّهِ إِلَهَ آخَرَ أَنْ يَأْتِيَ بِضِيَاءٍ أَفْلا تَسْمَعُونَ مَوَاعِظَ اللَّهِ وَ بَيَانَ آيَاتِهِ بِأَذْنِ التَّدَبُّرِ وَ التَّفَكُّرِ لَتَعْتَبِرُوا؟ ٧٢- قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ ... النَّهَارَ ... أى أَخْبَرُونِي عَمَّا إِذَا جَعَلَ النَّهَارَ سِرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ دَائِمًا بِلا لَيْلٍ أَوْ كَمَا قِيلَ فِي سَابِقِهِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ أى قَادِرٌ يَقْدِرُ عَلَى حَرَكَةِ الشَّمْسِ سِوَى اللَّهِ يَأْتِيَكُمْ بِلَيْلٍ تَشْكُونُ فِيهِ تَسْتَرِيحُونَ فِيهِ أَفْلا تَبْصُرُونَ إِمَّا مِنَ الْبَصِيرَةِ يَعْنِي: أَفْلا تَبْصُرُونَ؟ وَ إِمَّا مِنَ الْبَصَرِ بِمَعْنَى الْمَشَاهِدَةِ أى: أَفْلا تَشَاهِدُونَ تِلْكَ الْآيَاتِ الظَّاهِرَةَ بَعِينَ التَّعْقُلِ فَتَعْلَمُونَ أَنَّهَا مِنْ صَنْعِ مَدَبَّرٍ حَكِيمٍ عَلِيمٍ؟ ٧٣- وَ مَنْ رَحِمْتِهِ ... أى مِنْ إِحْسَانِهِ وَ نِعْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ خَلَقَهُمَا لَكُمْ لَتَشْكُنُوا فِيهِ لِاسْتِرَاحَتِكُمْ فِي اللَّيْلِ وَ لَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ فِي النَّهَارِ مِنَ الرِّزْقِ وَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ نَعَمْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فِي هَذَا وَ غَيْرِهِ. وَ الْآيَةُ بِمَنْزِلَةِ نَتِيجَةِ الْحُجَّةِ الْمَذْكُورَةِ فِي الْآيَتَيْنِ السَّابِقَتَيْنِ، سَيَقْتِ بَعْدَ إِطَالِ دَعْوَى الْخَصْمِ فِي صُورَةِ الْإِخْبَارِ الْإِبْتِدَائِيِّ لِثَبُوتِهِ مِنْ غَيْرِ مَعَارِضٍ ٧٤- وَ يَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِي ... إلخ. مَر تَفْسِيرُهُ وَ إِنَّمَا كَرَّرَ هَذِهِ الْآيَةَ تَقْرِيعًا لَهُمْ بَعْدَ تَقْرِيعٍ أَوْ لِحْكْمَةٍ أُخْرَى. ٧٥- وَ نَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ... أى أَخْرَجْنَا مِنْ بَيْنِ أَفْرَادِ كُلِّ أُمَّةٍ نَبِيَّهُمُ الَّذِي أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ يَشْهَدُ عَلَيْهِمْ بِمَا كَانُوا مِنْهُمْ وَ بِمَا كَانُوا عَلَيْهِ فَقُلْنَا لِلْأُمَمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا أَنْبِيََاءَهُمْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ حُجَّتَكُمْ عَلَى صَحَّةِ مَا كُنْتُمْ عَلَيْهِ فَعَلِمُوا بَعْدَ عِزِّهِمْ عَنْ الْإِثْبَانِ بِبُرْهَانٍ عَلَى مَدْعَاهُمْ أَنَّ الْحَقَّ أى فِي الْإِلَهِيَّةِ لِلَّهِ وَحْدَهُ وَ ضَلَّ عَنْهُمْ أى غَابَ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ مِنَ الْكُفْرِ. وَ فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى ظُهُورِ بَطْلَانِ مَزَاجِهِمْ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ٧٦- إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى ... أى مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ثُمَّ مِنْ سَبْطِ مُوسَى وَ هُوَ ابْنُ خَالَاتِهِ كَمَا قِيلَ. فَبَغَى عَلَيْهِمْ تَكْبَرًا وَ تَجَبُّرًا وَ اسْتِطَالَ عَلَيْهِمْ بِكَثْرَةِ أَمْوَالِهِ. وَ الْبَغَى - كَمَا فِي الْمَجْمَعِ - طَلَبُ الْعَتْوِ بِغَيْرِ حَقٍّ. وَ آتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مِنَ الْأَمْوَالِ الْمَدْخَرَةِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ أى مَا يَفْتَحُ مِنَ الْغُلُقِ وَقِيلَ خَزَائِنُهُ لَتَنُوبَ بِالْعَصِيْبَةِ إلخ. تَثْقُلُ عَلَيْهِمْ وَ تَعْجُزُ عَنْ حَمْلِهِمْ إِيَّاهَا وَ حَفْظُهُمْ لَهَا. وَ الْعَصْبَةُ: قِيلَ هُوَ الْعَشِيرَةُ وَقِيلَ الْأَرْبَعُونَ. وَقِيلَ السُّتُونَ. إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ أى لَا تَبْطُرْ بِالنَّعْمَةِ وَ لَا يَلْهَكَ الْمَالُ عَنِ الْآخِرَةِ إِنْ اللَّهَ لَا يَحِبُّ مَنْ كَانَ بِهِذِهِ الصَّفَةُ. وَ قَدْ فَسِّرَ الْفَرَحَ بِالْبَطْرِ وَ هُوَ لَا زَمَ الْفَرَحِ وَ السُّرُورِ الْمَفْرُطِ بِمَتَاعِ الدُّنْيَا

فإنه لا يخلو من تعلق شديد بها ينسى الآخرة ويورث البطر والأشر. ٧٧- وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ ... إلخ. أى من الأموال، فاطلب بها الآخرة بإنفاقها فى سبل الخير الموصلة إليها. وَلَا تَنْسَ نَصَبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَاَعْمَلْ فِي الدُّنْيَا لِلْآخِرَةِ وَلَا تَنْسَ أَنْ تَعْمَلَ لِآخِرَتِكَ، أو المراد لا تنس حظ نفسك من هذه الأموال وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ أى أنفق إلى عباد الله بإزاء إحسان خالقهم إليك، وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إلخ. أى لا تطلب العمل فى الأرض بالمعاصى إن الله لا يحب من كان كذلك. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٤٠٠ ٧٨- قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي ... أى أراد إنما أعطيت هذا المال بفضل و علم عندى ليسا موجودين عندكم، أو لرضا الله عنى و معرفته باستحقاقى و هذا منه جواب عن جميع ما قاله المؤمنون من قومه و نصحوه به، و كان كلامهم مبنيًا على أن ما له من الثروة إنما آتاه الله إحسانًا إليه و فضلًا منه من غير استيجاب و استحقاق فيجب عليه أن يتبغى فيه الدار الآخرة و يحسن به إلى الناس و لا يفسد فى الأرض بالاستعلاء و الاستكبار و البطر. فأجاب بنفى كونه إنما أوتيته إحسانًا من غير استحقاق، و إذا كان ذلك باستحقاق فقد استقل بملكه و له أن يفعل فيما اقتناه من المال بما شاء و كيفما شاء. أَوْ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَ أَكْثَرُ جَمْعًا كَشَدَادِ و عاد و ثمود و أصحاب الرس و لَا يُشِيرُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ أى لا يسأل من كان قبلهم عن ذنوب هؤلاء المهلكين. ٧٩- فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ... أى خرج قارون على بنى إسرائيل فى زينته التى كان يترين بها و ابتهته و خدمه و حشمه قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ أى أن الكفار و المنافقين و ضعيفى الإيمان. بما للمؤمنين من ثواب الجنة تمنوا مثله لا عينه حذرا من الحسد. إِنَّهُ لَمَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ أى نصيب وافر من الدنيا. ٨٠- وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ... أى الخالص من أصحاب موسى وَيَلْكُمُ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَ عَمِلَ صَالِحًا مِمَّا أُوتِيَ قَارُونُ و هذه كلمة زجر عما هو غير مرضى. و هو فى المقام زجر عن التمنى الباطل. وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ أى لا يوفق لمثل هذه الكلمة إلا الصابرون على طاعة الله و قيل لا يعطى الجنة إلا هؤلاء. ٨١- فَخَسِفْنَا بِهِ وَ بَدَارِهِ الْأَرْضَ ... أى ابتلعت و داره و ما فيها من كنوز فما كان له من فئته يَنْصُرُونَهُ إلخ. أى من أعوان يدفعون عنه العذاب. ٨٢- وَ أَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ ... أى الذين كانوا يترجون مكانه قارون و يأملون منزلته و رفيع جاهه قبل الخسف، و يك كلمة تستعمل لإظهار الندم بعدم انكشاف الخطأ. وَيَكُنَّ اللَّهُ يَبْشُرُ الرَّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَ يَقْدِرُ أى أن سعة الرزق و ضيقه بيد قدرته و حسب ما تقتضيه الحكمة و تحكم المصلحة. لَوْ لَا أَنَّ مِنَ اللَّهِ عَلَيْنَا ... إلخ. أى لولا ان أنعم الله علينا بنعمه فلم يعطنا ما أعطى قارون لخسف بنا كما فعل به و لا يفوز بثواب الله و ينجو من عقابه الجاحدون لنعمه. ٨٣- تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ ... إلخ. أى التى سمعت خبرها و بلغك وصفها و الإشارة إليها بلفظ البعيد للدلالة على شرفها و بهائها و علو مكانتها و هو الشاهد على أن المراد بها الدار الآخرة السعيدة و لذا فسروها بالجنة. لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا غَلْبَةً وَ قَهْرًا وَ لَا فُسَادًا بَغْيًا وَ ظُلْمًا. ٨٤- مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ ... إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ... أى مثل ما كانوا يعملون لا يزداد على قدر استحقاقهم فى عقابهم، و فى هذا كمال العدل، بخلاف الزيادة فى الفضل على الثواب المستحق فإنه يكون تفضلا. ففيه كمال الفضل و الإحسان. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٤٠١ ٨٥- إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ ... أى أوجب تلاوته و تبليغه و امتثال ما فيه من الأحكام عليك يا محمد ففيه مجاز فى النسبة. لَرَأْدُكَ إِلَى مَعَادٍ لمرجعك إلى مكة و هذا من الإخبار بالغيب الذى حصل بفتح مكة. و قيل: إن المراد بالمعاد الموت، و قيل هو القيامة، و قيل هو المحشر، و قيل: هو المقام المحمود و هو موقف الشفاعة الكبرى، و قيل: هو الجنة، و قيل: هو بيت المقدس، و هو على هذا الأخير وعد بمعراج ثان يعود فيه إلى بيت المقدس بعد ما كان دخله فى المعراج الأول. و قيل: هو الأمر المحبوب، فيقبل الانطباق على جل هذه الأقوال أو كلها. قُلْ رَبِّى أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى أى قل يا محمد إن ربى لا يخفى عليه المهتدى و ما يستوجهه و مَنْ هُوَ فِى ضَلَالٍ مُبِينٍ أى الضال الذى لا شك فى ضلالته و فيما يستحقه. ٨٦- وَ مَا كُنْتَ تَرْجُوا أَنْ يُلْقَى ... إلخ. أى ما كنت يا محمد ترجو فيما مضى أن يوحى الله إليك و يشرفك بإنزال القرآن عليك إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ أى ما ألقى إليك إِلَّا رَحْمَةً مِنْهُ خَصَّكَ بها. فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ معينا لهم بمداراتهم و التحمل عنهم و الإجابة لطلبتهم. ٨٧- وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ ... أى لا يصرفك الميل إلى الكفرة عن قراءة آيات الله و العمل بها بعد إنزالها إليك وَ ادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِلَى توحيدِهِ و عبادته. و قد كرر صفة الرب مضافا إليه (ص)

للدلالة على اختصاصه بالرحمة والنعمة وأنه (ص) متفرد في عبادته لا يشاركه المشركون فيها. ولا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ بمساعدتهم والرضا بطريقتهم. ٨٨- وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ... إلخ. أى لا تعبد معه غيره إذ لا معبود سواه وكل شيء فان إلا ذاته. وقيل: كل شيء هالك إلا ما قصد به وجهه فإن ذلك يبقى ثوابه. لَهُ الْحُكْمُ أى القضاء النافذ فى الخلق وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ للجزاء بالحق والعدل.

سورة العنكبوت مكية، عدد آياتها ٦٩ آية

١- الم ... أشرنا سابقا إلى تفسير الحروف المقطعة فلا نعيده. ٢- أَحْسِبِ النَّاسَ ... أى أظن الناس أن يُتْرَكُوا أن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ فيهملوا ويخلوا إذا قالوا إنا مؤمنون فقط، ولا يمتحنون بما تظهر به حقيقة إيمانهم؟ ٣- وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ... أى اختبرناهم، فهي سنة جارية قديمة فى الأمم كُلِّهَا فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلْيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ أى ليميزن الله الذين صدقوا من الذين كذبوا بالجزاء والمكافأة. ٤- أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ ... هذا استفهام منقطع عما قبله والمعنى: بل أحسب الذين يفعلون الكفر والقباح أن يَشْتَبَهُنَا أن يفوتونا فوت السابق لغيره فلا نستطيع معاقبتهم ساء ما يَحْكُمُونَ أى بئس حكمهم هذا. ٥- مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ ... أى من كان يأمل الوصول إلى ثوابه، أو يخاف عقابه فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ أى الوقت الموقت للقائه لآت أى لقدام، وَهُوَ السَّمِيعُ لأقوال عباده الْعَلِيمُ بأفعالهم. ٦- وَمَنْ جَاهَدَ ... أى من حارب الشيطان بدفع وسوسته وإغوائه. ويحتمل من جاهد أعداء الدين لإحيائه، فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ لأن نفعه يرجع إليها إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ لا تنفعه طاعة من أطاعه ولا تضره معصية من عصاه. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٤٠٢-٧- وَالَّذِينَ آمَنُوا ... وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي ... أى نجزيهم على أحسن عملهم بأحسن جزاء، وبعد ذلك نجزيهم على أعمالهم الأخر التى دون العمل الأحسن طبق العمل الأحسن. ويتبين من ذلك أن عاقبة إيمانهم ونفعه يعود إليهم لا إلى الله سبحانه وأنه عطية من الله وفضل. وعلى هذا فالآية لا تخلو من دلالة ما على أن الجهاد فى الله هو الإيمان والعمل الصالح، فإنها فى معنى تبديل قوله فى الآية السابقة: ومن جاهد .. من قوله فى هذه الآية: والذين آمنوا و ... إلخ. ٨ و ٩- وَصَيَّنَا الْإِنْسَانَ بِإِلَادَتِهِ حُسْنًا ... إلخ. أى أمرناه: افعل بهما حسنا وإذا دعياك و ألحا عليك لِتُشْرِكَ بِي ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ أى لتشرك بى فى العبادة ما ليس لك ولا لأحد علم بالهَيْتَةِ وهذا تتميم للتوصية بخطاب شفاهى، وإشارة إلى علو النهى عن الطاعة فإن دعوتهما إلى الشرك بعبادة إله من دون الله دعوة إلى الجهل، وعبادة ما ليس له به علم افتراء على الله وقد نهى الله عن اتباع عدم العلم فى كثير من الآيات. فَلَا تُطْعَمُهُمَا إلخ. فى ذلك فإنه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق. والصالحون من الناس ندخلهم يوم القيامة مع الصالحين. ١٠- وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ ... فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ ... أى لدينه، يعنى لأخذه طريق الحق يؤذيه الكفرة جَعَلَ فِتْنَةً النَّاسَ يَعِدُّ عَذَابَ النَّاسِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ كَعَذَابِ اللَّهِ أى عذاب الناس يصير صارفا له عن إيمانه كما أن عذاب الله صارف لأهل الإيمان عن الكفر مع أن عذابهم يسير منقطع الآخر بنجاة أو موت ولا يقاس ذلك بعذاب الله المؤيد الذى يستتبع الهلاك الدائم. وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ أَى فَتَحٌ وَغَنِيمَةٌ لِّقَوْلِنَا إِنْ كُنَّا مَعَكُمْ وَلَنَا فى الغنيمة مثلكم أ وَ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فى صُدُورِ الْعَالَمِينَ أى يعلم الإخلاص والنفاق ويعلم الصدق والكذب. ١١- وَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا ... أى يعرف حقيقة ما فى القلب لا باللسان فقط وَلْيَعْلَمَنَّ الْمُتَنَافِقِينَ الذين يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم. ١٢- وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا ... اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا ... أى قال الكافرون للمؤمنين: كونوا على طريقتنا، وإذا كان البعث والحساب والعقاب حقا كما يقول محمّد فنحن نتحمل ذنوبكم وهو سبحانه ردّهم وكذبهم لأذن قولهم: ولنحمل خطاياكم، يشتمل على معنى ضمنى ودعوى أن خطاياهم تنتقل إليهم لو احتملوا وأن الله يجيز لهم ذلك. وبعد ذلك قال: ١٣- وَلْيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ ... إلخ. أى أنهم تضاعف أثقالهم بحملهم أثقال من تبعهم وتسببوا فى إضلاله من غير أن ينقص من أثقال تابعيهم شيء بسبب أنهم ضالّون مضلّون. فالآية فى معنى قوله تعالى فى سورة النحل: لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ ...، وبعد ذلك نسالهم بالتأكيد عما كانوا يفترون من الكذب لإضلال الناس. ١٤- وَلَقَدْ

أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ ... يدعوهم إلى التوحيد والإيمان فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَلَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ وَأَبَا أَنْ يَجِيبُوهُ، فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ الْخ. أهلكهم بالغرق وهم ظالمون لأنفسهم بكفرهم. و الطوفان هو الماء الكثير الغامر لأنه يطوف بكثرتة فى نواحي الأرض. وقيل: هو كل ما يطوف بالشئ على كثرة و شدة من السيل و الريح و الظلام، و الغالب استعماله فى طوفان الماء. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ١٥٤٠٣- فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ ... أى أنجينا نوحا و من ركب معه فيها. و هم أهله و عدة قليلة من المؤمنين به و لم يكونوا ظالمين. وَجَعَلْنَاهَا أَى الْقِصَّةِ أَوِ الْوَاقِعَةِ أَوِ النِّجَاةِ. آيَةً لِلْعَالَمِينَ أَى علامة للخلق من الأجيال اللاحقة بهم. يعتبرون بها. ١٦- وَ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ... إلخ. أى: اذكر يا محمد قصة إبراهيم إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ خَافُوهُ بِفَعْلٍ مَا أَمَرَكُمْ بِهِ وَ تَرَكُوا مَا نَهَاكُمْ عَنْهُ. ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ أَى الْإِتْقَاءِ وَ الْعِبَادَةِ خَيْرٌ لَّكُمْ مِنْ شِرْكِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ مَا فِيهِ خَيْرٌ لَّكُمْ. ١٧- إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ... أى غير الله أَوْثَانًا جُمَادَاتٍ تَسْمُونَهَا أَرْبَابًا وَ الْوُثْنَ: الصنم وَ تَخْلُقُونَ إِفْكًا تَكْذِبُونَ كَذِبًا فِى تَسْمِيَتِهِمْ آلِهَةً وَ الْإِفْكَ: الأمر المصروف عن وجهه قولاً- أَوْ فِعْلًا- لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا لَا يَقْدِرُونَ أَنْ يَرْزُقَكُمْ شَيْئًا مِمَّا تَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرَّزْقَ وَ اعْبُدُوهُ الْعِبَادَةُ يَنْبَغِي أَنْ تَخْتَصَّ بِمَنْ هُوَ الرِّزَاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينِ وَ هُوَ اللَّهُ وَ أَشْكُرُوا لَهُ الْخ. فَإِنَّ الشُّكْرَ قَيْدٌ لِلنَّعْمَةِ الْعَاجِلَةِ وَ إِلَيْهِ تَعُودُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. ١٨- وَ إِنْ تَكْذَبُوا ... أى محمدا (ص). و قيل بأنه خطاب لأمة إبراهيم (ع) فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ الْخ. أى كذبوا رسلهم و لم يضرهم تكذيبهم و إنما ضرروا أنفسهم. فكذا شركهم و تكذيبهم إِيَّاكَ يُلْحِقُ ضَرَرَهُ بِهِمْ. و معنى الشرط و الجزاء فى صدر الآية أَنْ التَّكْذِيبُ هُوَ الْمَتَوَقَّعُ مِنْكُمْ لِأَنَّهُ كَالسَّنَةِ الْجَارِيَةِ فِى الْأُمَمِ الْمَشْرُكَةِ وَ قَدْ كَذَّبَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَ أَنْتُمْ مِنْهُمْ فِى آخِرِهِمْ وَ لَيْسَ عَلَيَّ بِمَا أَنَا رَسُولٌ إِلَّا الْبَلَاغُ الْوَاضِحُ. ١٩ وَ ٢٠- أَوْ لَمْ يَرَوْا ... إلخ. أى كفار مكة أَلَمْ يَتَفَكَّرُوا كَيْفَ أَنْشَأَ اللَّهُ الْخَلْقَ مِنَ الْعَدَمِ ثُمَّ يَعِيدُهُمْ ثَانِيَةً بَعْدَ أَنْ يَمِيتَهُمْ وَ يَعْدِمُهُمْ قُلْ يَا مُحَمَّدُ لَهُمْ سَيِّرُوا ... إلخ. انظروا و ابحثوا هل تجدون غير الله خالقا ابتداء هذا الخلق فإذا لم تجدوا غيره لزمتمكم الحجة فى أنه سبحانه هو المعيد لأنه لا يعجزه شئ. إِنْ ذَلِكَ الْمَذْكُورُ مِنَ الْإِبْدَاءِ وَ الْإِعَادَةِ يَسِيرُ سَهْلًا عَلَى اللَّهِ إِذَا أَرَادَهُ كَانَ. ٢١- يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ ... وَ إِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ... أى تَرُدُّونَ فِى حَاسِبِكُمْ وَ يَعْذِّبُ الْمُسْتَحَقَّ لِلْعَذَابِ وَ يَرْحَمُ مَنْ يَسْتَحِقُّ الرَّحْمَةَ. و قيل: بأن قلب الشئ تحويله عن وجهه لله أَوْ حَالِهِ كَجَعْلِ أَسْفَلِهِ أَعْلَاهُ، وَ جَعْلِ بَاطِنِهِ ظَاهِرَهُ، وَ هَذَا الْمَعْنَى يَنَاسِبُ قَوْلَهُ تَعَالَى فِى سُورَةِ الطَّارِقِ: يَوْمَ تَبْلَى السَّرَائِرُ. ٢٢- وَ مَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ... أى لا يعجز الله عن إدراككم لو هربتم عن حكمه فى الْأَرْضِ الْوَاسِعَةِ أَوْ فِى السَّمَاءِ الَّتِي هِيَ أَوْسَعُ مِنَ الْأَرْضِ بِمَرَاتِبٍ كَثِيرَةٍ. وَ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ مَانِعٍ يَمْنَعُكُمْ مِنْهُ وَ لَا نَصِيرٍ نَاصِرٍ يَحْرُسُكُمْ وَ يَدْفَعُ عَنْكُمْ عَذَابَهُ. ٢٣- وَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ... أى بدلان الله الدالة على المعرفة و التوحيد أَوْ كُتِبَ وَ لِقَائِهِ أَى الْبَعْثِ أَوْ لِقَائِكُمْ يَسْئَرُوا مِنْ رَحْمَتِي لِإِنْكَارِهِمُ الْبَعْثَ وَ الْجَزَاءَ. وَ الْمَرَادُ بِالرَّحْمَةِ مَا يَقَابِلُ الْعَذَابَ وَ يُلَازِمُ الْجَنَّةَ، وَ قَدْ تَكَرَّرَ فِى كَلَامِهِ تَعَالَى إِطْلَاقُ الرَّحْمَةِ عَلَى الْجَنَّةِ كَمَا فِى الْجَانِيَةِ / ٣٠، وَ الْإِنْسَانِ / ٣١. وَ أَوْلَيْكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ مَوْجِعٌ. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٢٤٤٠٤- فَمَا كَانَ جَوَابَ ... إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ ... هَذَا قَوْلُ بَعْضِهِمْ وَ الْمَرَادُ بِالْقَتْلِ الْقَتْلُ بِالسَّيْفِ وَ نَحْوِهِ. وَ قَالَ آخَرُونَ: أَوْ حَرَّقُوهُ وَ نَسَبَهُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْفَعْلَيْنِ إِلَى جَمِيعِهِمْ بِاعْتِبَارِ رِضَاءِ الْبَاقِينَ حِينَ قَالَ الْبَعْضُ. فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ بَعْدَ مَا رَمَوْهُ فِيهَا بِأَنْ جَعَلَهَا عَلَيْهِ بَرْدًا وَ سَلَامًا إِنْ فِى ذَلِكَ أَى فِى إِنْجَائِهِ لآيَاتٍ الْخ. مِنْهَا مَنَعَهُ مِنْ حَرْهَا، وَ سَرَعَهُ إِحْمَادَهَا مَعَ عَظَمِهَا الْخ. كُلُّ ذَلِكَ حُجَجٌ وَ بَيِّنَاتٌ لِلْمُصَدِّقِينَ بِوَحْدَانِيَةِ اللَّهِ وَ قُدْرَتِهِ. ٢٥- وَ قَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ ... مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ ... إلخ. أى قال إبراهيم لقومه: إِنَّمَا اتَّخَذْتُمُ الْأَوْثَانَ آلِهَةً لَتَكُونُوا أَهْلَ مِلَّةٍ وَاحِدَةٍ فَتَتَوَادُّونَ بَيْنَكُمْ وَ تَتَوَاصِلُونَ فَتَكُونُونَ مُتَّحِدِينَ فِى قِبَالِ أَصْحَابِ الْحَقِّ فِى هَذِهِ الدُّنْيَا وَ مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ صَالِحٌ لِأَنَّهُ يَكُونُ مَنْصُوبًا بِنَزْعِ الْخَافِضِ بِتَقْدِيرِ لَامِ التَّعْلِيلِ وَ الْمَوَدَّةِ عَلَى هَذَا سَبَبِ لَاتِّخَاذِ الْأَوْثَانِ، وَ أَنْ يَكُونَ مَفْعُولًا لِأَجَلِهِ وَ الْمَوَدَّةُ غَايَةٌ مَقْصُودَةٌ مِنْ اتِّخَاذِ الْأَوْثَانِ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ أَى يَتَبَرَّأُ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فِى الْآخِرَةِ. وَ يَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَى يَقُومُ التَّلَاعُنُ وَ التَّعَادَى بَيْنَكُمْ، أَوْ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَ الْمَعْبُودِينَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَ مَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ مَا لَكُمْ أَعْوَانٌ يَخْلُصُونَكُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ. ٢٦- فَمَا مِنْ لَهُ لَوْطٌ ... أى صدق لوط إبراهيم فى رسالته و الإيمان يتعدى باللام كما يتعدى بالباء و المعنى واحد. وَ قَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّى أَى قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِلْوَطِ وَ لَزُوجَتِهِ سَارَةَ الَّتِي كَانَتْ بِنْتُ عَمِّهِ وَ قَدْ آمَنَتْ بِهِ: إِنِّى خَارِجٌ مِنْ قَوْمِ الظَّالِمِينَ إِلَى حَيْثُ أَمَرَنى رَبِّى أَى مِنَ الْعِرَاقِ إِلَى الشَّامِ. إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ

أى هو تعالى يمنعنى من أعدائى الْحَكِيمُ الذى لا يأمرنى إلّا بما فيه صلاحى. ٢٧- وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ ... أى رزقناه إسحاق ولدا من سارة بنت عمه و كان له من العمر حينئذ خمس و سبعون سنة. وَيَعْقُوبَ أى نافلة. و المراد بها هنا ابن ابن. وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَ الْكِتَابَ أى ذرية إسحاق أو يعقوب فإن كل نبي بعد إبراهيم كان منهما. كما أن التوراة والإنجيل والزبور والقرآن كلها أنزلت على ذريته. وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَهُوَ الذِّكْرُ الطَّيِّبُ وَ الْوَلَدُ الصَّالِحُ وَ إِنَّهُ فِي الْمَآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ أى أولى الدرجات العليا مع المكملين فى الصِّلاح. ٢٨- وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ... أى اذكر يا محمد لوطا حين قال لقومه إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ الْفَعْلَةُ الشَّعَاءُ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ إلخ. أى ما فعلها أحد قبلكم من الخلائق. ٢٩- أِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ ... أى تفعلون معهم الفعل الشنيع. و الاستفهام إنكارى لأمر من الحرى أن لا يصدق سامع و لا يقبله ذو عقل و لذا أكد بالنون و اللام. وَتَقَطَّعُونَ السَّبِيلَ تتركون السبيل المعتاد للتناسل باختياركم الرجال على النساء. و قيل المراد أنهم كانوا لصوصا يقطعون الطرق على المسافرين ليسلبوهم. وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ أى المجلس ما دام أهله فيه الْمُتَمَكَّرُ كالضُّرَّاطِ أو اللواط و كشف العورة و نحوها من المنكرات. فَمَا كَانَ جَوَابَ ... إلخ. أى كان ردّهم عليه بإصرارهم على إتيان ما نهاهم عنه و طلبهم ما توعدهم به من العذاب إن كان صادقا فيما ادعاه من النبوة. ٣٠- قَالَ رَبِّ انصُرْنِي ... أى أَعْنَى عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ بقبائح أعمالهم و سنّها فى الناس. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٤٠٥ ٣١- وَ لَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى ... أى حين جاءته الملائكة تبشّره بإسحاق و يعقوب قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ قَرِيبَ (سدوم) التى كانت بين القدس و الكرك، و التى كان يسكنها لوط. و فى قوله: هذه، إشارة إلى قرب القرية من المكان الذى كان ينزل فيه إبراهيم (ع) و هو الأرض المقدسة. ٣٢- قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ... أى كيف تنزلون العذاب بها و فيها لوط (ع)؟ قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا إلخ. نعرف من فيها و سيكون ناجيا إلّا امرأته فَإِنَّهَا مِنَ الْغَابِرِينَ الْبَاقِينَ فى العذاب مع من غبر من الكفرة. ٣٣- وَ لَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا ... أى فَلَمَّا جَاءَتْ الرُّسُلَ لُوطًا سَتَى أى اغتم بسببهم إذ جاؤوا فى صورة غلمان حسنى المنظر أضيفا فخاف عليهم قومه وَ ضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا أى صدرا قَالُوا لَا تَخَفْ عَلَيْنَا مِنْ قَوْمِكَ وَ لَا تَحْزَنْ لِأَجْلِنَا مِنْهُمْ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ وَ إِنَّا مُنْجُوكَ وَ أَهْلَكَ إلخ. واضح المعنى و قد مر. ٣٤- إِنَّا مُنْزِلُونَ ... رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ ... إلخ. أى عذابا منها بسبب خروجهم عن طاعة الله إلى معصيته. ٣٥- وَ لَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً ... أى من تلك القرية عبرة واضحة و دلالة على قدرتنا، و إمّا آثار ديارهم الخربة، أو الحجار السَّيْلِيَّةُ التى توجد بعض الأوقات فيها، أو المياه السوداء الباقية إلى الآن المنزلة مع الأحجار و كانت كالقطران لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ للمتدبرين المعبرين. و قيل: هى اليوم مجهولة المحل، لا أثر منها، و ربما يقال: إن الماء غمرها بعد و هى بحر لوط، لكن الآية ظاهرة فى أنها كانت ظاهرة معروفة فى زمن نزول القرآن كما يشير إليه قوله تعالى فى سورة الصافات: و إنكم لتمرون عليها مصبحين و بالليل أفلا تعقلون. ٣٦- وَ إِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ... إلخ. أى أرسلنا إلى مدين شعيبا و كان أخاهم فى النسب فأمرهم بعبادة الله و ان يكون لهم أمل بثواب الآخرة و خوف من عذابه وَ لَا تَعْتُوا إلخ. أى لا تسعوا بالفساد. ٣٧- فَكَذَّبُوهُ فَاتَّخَذَتْهُمْ رَجْفَةٌ ... أى الزلزلة أو صيحة جبرائيل فَأَصْبَحُوا فى دَارِهِمْ جَائِعِينَ صرعى على وجوههم أو على ركبهم ميتين. ٣٨- وَ عَادًا وَ ثَمُودَ ... عطف على شعيبا أو على ما قبله، أو بتقدير اذكر، أو أهلكناهم جزاء على كفرهم و قد غيّر السياق تفننا فبدأ بذكر عاد و ثمود و كذا فى الآية التالية بدأ بذكر قارون و فرعون و هامان بخلاف قصص الأمم المذكورين سابقا حيث بدأ بذكر أنبيائهم كنوح و إبراهيم و لوط و شعيب. وَ قَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِينِهِمْ أى من جهتها عند مروركم بها يا أهل مكّة، وَ كَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ أى متمكّنين من النظر و لكن لم ينظروا و لم يتدبروا لأن الشيطان اشرب فى قلوبهم حبّ أعمالهم الباطلة. و قيل: المراد بكونهم مستبصرين أنهم كانوا قبل ذلك على الفطرة الساذجة، لكن الظاهر أن عهد الفطرة الساذجة كان قبل بعثه نوح (ع) و عاد و ثمود كانوا بعد نوح. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٤٠٦ ٣٩- وَ قَارُونَ وَ فِرْعَوْنَ وَ هَامَانَ إلخ. أى أهلكناهم بسبب كفرهم بالحجج التى حملها إليهم موسى (ع) و قدّم قارون لشرف نسبه و ما كانوا سابقين أى فائتين أمرنا. فالسابق: استعاره كناية من الغلبة. ٤٠- فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ ... أى عذبنا كلّ واحد بجرمه أو أن كلّ واحدة من الأمم السابقة أخذناها بذنبها، ثم شرع فى التفصيل: فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا أى ريحا عاصفا فيها حصباء كقوم لوط على قول و قيل الحاصب:

الحجارة. وقيل: المقصود قوم عاد. وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ كَثُودَ وَمَدِينٍ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ كَقَارُونَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَعْرَفْنَا كَقَوْمِ نُوحٍ وَفِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ وَمَا كَانَ اللَّهُ تَعَالَى لِيُظْلِمَهُمْ بِإِهْلَاكِهِمْ بَلْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ بِإِشْرَاكِهِمْ وَبِالتَّعْرِيزِ لِلْعَذَابِ. لِأَنَّ الدَّارَ دَارَ الْفِتْنَةِ وَالْإِمْتِحَانِ، وَهِيَ السَّنَةُ الْإِلَهِيَّةُ الَّتِي لَا مَعْدَلَ عَنْهَا فَمَنْ اهْتَدَى فَقَدْ اهْتَدَى لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَعَلِيهَا. ٤١- ٤٢- مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ: أَيْ أَصْنَامًا يَلْجَأُونَ إِلَيْهَا كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا لِخ. أَيْ فِي وَهْنٍ مَا اعْتَمَدُوهُ فِي دِينِهِمْ شَبَّهَ اللَّهُ تَعَالَى حَالَ الْكُفَّارِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا غَيْرَهُ آلِهَةً بِحَالِ الْعَنْكَبُوتِ فِي مَا تَنْسُجُهُ فِي الْوَهْنِ وَالضَّعْفِ، فَإِنَّهُ لَا بَيْتَ أَوْهَنَ وَأَقْلَّ وَقَايَةً لِلْحَوَادِثِ وَالْحَزِّ وَالْبَرْدِ مِنْهُ، فَكَذَا آلِهَةُ الْكُفَرَةِ مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَوْثَانِ فَإِنَّهَا لَا تَقْدِرُ عَلَى دَفْعِ شَيْءٍ مِنَ الْحَوَادِثِ عَنْ نَفْسِهَا، فَكَيْفَ عَنْ غَيْرِهَا؟ فَدِينُهُمْ أَوْهَنُ الْأَدْيَانِ وَأَدْنَاهَا وَالْعَنْكَبُوتُ يَطْلُقُ عَلَى الْوَاحِدِ وَالْجَمْعِ وَيَذَكَّرُ وَيُؤنث. لَوْ كَانُوا يَغْلَمُونَ أَنَّهَا مِثْلُهُمْ لَنَدَمُوا وَرَجَعُوا إِلَى الدِّينِ الْحَقِّ وَإِلَهُ الْخَلْقِ وَالْآيَةُ تَشْمَلُ بِإِطْلَاقِهَا كُلَّ مَنْ اتَّخَذَ فِي أَمْرِ مِنَ الْأُمُورِ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ يَرْكُنُ إِلَيْهِ وَيَرَاهُ مُسْتَقْلًا فِي أَثَرِهِ الَّذِي يَرْجُوهُ مِنْهُ وَإِنْ لَمْ يَعُدَّ مِنَ الْأَصْنَامِ إِلَّا أَنْ يَرْجِعَ وَلايَتَهُ إِلَى وَلايَةِ اللَّهِ كَوَلايَةِ الرَّسُولِ وَالْأَمَّةِ وَالْمُؤْمِنِينَ. وَهُوَ الْعَزِيزُ فِي سُلْطَانِهِ الْحَكِيمِ فِي صُنْعِهِ. ٤٣- وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ... أَيْ هَذَا الْمَثَلُ وَنَظَائِرُهُ نَجَىءٌ مِنْ لِقَرِيبٍ مَا هُوَ بَعِيدٌ عَنِ الْإِفْهَامِ وَلِمَعْرِفَةِ قَبْحِ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ وَحَسَنِ مَعْرِفَةِ اللَّهِ وَتَوْحِيدِهِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ أَيْ وَمَا يَفْهَمُهَا إِلَّا الْمُتَدَبِّرُونَ فِي حَقَائِقِ الْأَشْيَاءِ عَلَى مَا يَنْبَغِي. ٤٤- خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ... أَيْ بِغَرَضٍ صَحِيحٍ لَا بِالْبَاطِلِ لَهَا وَلِهَا. إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ أَيْ دَلَالَةً لِلْمُصَدِّقِينَ بِقُدْرَةِ اللَّهِ لِأَنَّهُمْ الْمُتَنَفِّعُونَ بِهَا. ٤٥- أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ ... أَيْ أَقْرَأُ يَا مُحَمَّدُ الْقُرْآنَ عَلَى الْمَكْلُفِينَ لِيَعْلَمُوا بِمَا تَضَمَّنَهُ مِنَ الْأَحْكَامِ وَلِكُونِهِ خَيْرَ رَادِعٍ عَنِ الشَّرِكِ وَارْتِكَابِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ بِمَا فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ الَّتِي تَتَضَمَّنُ حُجُجًا نَبِيَّةً عَلَى الْحَقِّ تَوْدِي بِالتَّالِي لَهَا وَسَامِعَهَا إِلَى الْارْتِدَاعِ الْمَذْكُورِ. وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْتَهِي عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ أَيْ أَذْهَابًا عَلَى الْوَجْهِ الْمَطْلُوبِ مِنْ حَيْثُ الْأَجْزَاءِ وَالشَّرَائِطِ وَالْمَوَاقِيتِ. وَقِيلَ: فِي قَوْلِهِ: إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْتَهِي الْخ ... دَلَالَةً عَلَى أَنَّ فِعْلَ الصَّلَاةِ لَطَفٌ لِلْمَكْلُوفِ فِي تَرْكِ الْقَبِيحِ وَالْمَعَاصِي الَّتِي يَنْكَرُهَا الْعَقْلُ وَالنَّقْلُ، وَلِذِكْرِ اللَّهِ أَكْبَرُ أَيْ ذَكَرَ اللَّهُ لَكُمْ بِرَحْمَتِهِ أَكْبَرَ مِنْ ذِكْرِكُمْ إِيَّاهُ بِطَاعَتِهِ. إِرْشَادُ الْأَذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ٤٠٧-٤٦- وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ ... أَيْ لَا تَتَنَاقَشُوا مَعَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى مِنْ بَنِي نَجْرَانَ وَيَلْحَقُ بِهِمُ الصَّابِئُونَ وَالْمَجُوسُ إِلَّا بِمَا تَلَى هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا بِالْخَصْلَةِ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ الْخَصَالِ كَمَقَابِلَةِ الْخَشُونَةِ بِاللِّينِ وَالْغَضَبِ بِالْحَلَمِ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ نَبِيذُ الذِّمَّةِ أَوْ قَوْلُهُمْ بِالْوَلَدِ أَوْ الْإِبْتِدَاءِ بِالْقِتَالِ وَقَدْ يَرَادُ بِالظُّلْمِ بَقْرِيَّةُ السِّيَاقِ كَوْنِ الْخَصْمِ بِحَيْثُ لَا يَنْفَعُهُ الرِّفْقُ وَاللِّينُ بَلْ يَعْتَبَرُ حَسَنَ الْجِدَالِ نَوْعُ مَذْلَةٍ وَهَوَانٍ لِلْمُجَادِلِ وَيَعْتَبَرُهُ تَمْوِيهَا وَاحْتِيَالًا لَصَرْفِهِ عَنْ مَعْتَقَدِهِ، فَهَؤُلَاءِ الظَّالِمُونَ لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا تَنْجَحُ مَعَهُمُ الْمُجَادِلَةُ بِالْأَحْسَنِ. وَقُولُوا آمَنَّا بِالْخ. هَذِهِ الشَّرِيفَةُ إِلَى آخِرِهَا لَعَلَّهَا مَفْسَّرَةٌ لِمُجَادِلَةِ الْأَحْسَنِ وَبَيَانُهَا مِنْ جِهَةِ الْكَيْفِيَّةِ. ٤٧- وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ ... أَيْ كَمَا أَنْزَلْنَا الْكُتُبَ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ السَّابِقِينَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْقُرْآنَ وَقِيلَ: أَيْ عَلَى تِلْكَ الصِّفَةِ وَهِيَ الْإِسْلَامُ لِلَّهِ وَتَصْدِيقُ كِتَابِهِ وَرِسَالَتُهُ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْقُرْآنَ. فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ أَيْ عِلْمُ الْكِتَابِ كَابِنُ سَلَامٍ وَأَمْثَالُهُ. يُؤْمِنُونَ بِهِ أَيْ بِالْقُرْآنِ أَوْ بِالنَّبِيِّ وَمِنْ هَؤُلَاءِ أَيْ مِنَ الْعَرَبِ أَوْ أَهْلِ مَكَّةَ أَوْ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ بِالنَّبِيِّ أَوْ بِالْقُرْآنِ وَمَا يَجْحَدُ بِنَكْرِ بَيَاتِنًا مَعَ ظُهُورِهَا وَقِيَامِ الْحِجَّةِ عَلَيْهَا إِلَّا الْكَافِرُونَ. وَهُمْ السَّاتِرُونَ لِلْحَقِّ بِالْبَاطِلِ. ٤٨- وَمَا كُنْتُ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ ... أَيْ وَمَا كُنْتُ يَا مُحَمَّدُ تَقْرَأُ قَبْلَ الْقُرْآنِ كِتَابًا لِأَنَّكَ كُنْتَ أَمِيًّا وَلَا تَخْطُ بِبَيْمِينِكَ أَيْ مَا كُنْتَ تَعْرِفُ الْخَطَّ حَتَّى تَكْتُبَهُ بِيَدِكَ إِذَا لَزَمَتْكَ الْمُبْطُلُونَ أَيْ وَلَوْ كُنْتَ تَقْرَأُ وَتَكْتُبُ لَوَجَدَ الْمُبْطُلُونَ طَرِيقًا إِلَى الشَّكِّ فِي أَمْرِكَ وَإِلْقَاءِ الرِّيْبِ لَضَعْفِهِ النَّاسَ فِي نُبُوَّتِكَ. ٤٩- بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ ... الْقُرْآنُ دَلَائِلُ وَاضِحَةٌ عَلَى التَّوْحِيدِ وَالرِّسَالَةِ، فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ عَنِ الصِّيَادِقِ (ع): هُمُ الْأَثْمَةُ (ع) وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا يَكْفُرُ بِحُجَّتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ بِالْعِنَادِ وَالْمُكَابَرَةِ، وَقِيلَ هُمْ كُفَرَاءُ الْيَهُودِ. ٥٠- وَقَالُوا لَوْ لَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ ... أَيْ كِنَافَةُ صَالِحٍ وَعَصَا مُوسَى وَمَائِدَةُ عِيسَى وَنَحْوُهَا وَهَذَا تَعْرِيزٌ مِنْهُمْ أَنَّ الْقُرْآنَ لَيْسَ بِآيَةٍ وَزَعَمَ أَنَّ النَّبِيَّ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ ذَا قُوَّةٍ غَيْبَةٍ إِلَهِيَّةٍ يَقْدِرُ بِهَا عَلَى كُلِّ مَا أَرَادَ وَمَا يَرَادُ مِنْهُ قُلْ إِنَّمَّا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ أَيْ بِيَدِهِ وَاخْتِيَارُهُ يَنْزِلُهَا إِذَا شَاءَ كَيْفَمَا شَاءَ لَا يَشَارِكُهُ فِي الْقُدْرَةِ عَلَيْهَا غَيْرُهُ فَلَيْسَ لِلنَّبِيِّ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ. وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ أَيْ أَنَّ وَظِيفَتِي هِيَ الْإِنذَارُ بِمَا أُعْطِيتُ مِنَ الْآيَاتِ، وَالتَّخْوِيفُ بِهَا مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ وَإِظْهَارِ

الحق من الباطل. ٥١- أَوْ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ ... أى القرآن آية مغنية عما اقترحوه، يُتْلَى عَلَيْهِمْ يقرأ عليهم على الدوام إِنَّ فِي ذَلِكَ أَى فى الكتاب المعجز المستمر لِرَحْمَةٍ وَ ذِكْرَى إلخ. أى نعمة و عظة للمصدقين بالله و برسالتك. ٥٢- قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيِّنَى وَ يَبِّنُكُمْ ... إلخ. أى من حيث الشهادة بصدقى، و قد صدقنى بالمعجزات أو بالقرآن أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ فى صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالإيمان. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٤٠٨ ٥٣- وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ ... أى استهزاء، و يقولون أمطر علينا حجارة من السماء و فيه إشارة إلى أن قولهم كقول من تقدمهم من أمم: اثنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين. و قد حكى الله عنهم استعجالهم فى قوله: و لئن أخرنا عنهم العذاب إلى أمة معدودة ليقولن ما يحبسهم. وَ لَوْ لَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ أَى أن لكل عذاب وقتا معينا، و لو لاه لجاؤهم ما يستعجلونه بَغْيَةً وَ فجأة بحيث لا يشعرون بإتيانه. و هذا العذاب الذى يحول بينه و بينهم الأجل المسمى هو الذى يستحقونه لمطلق أعمالهم السيئة كما قال سبحانه: وَ رَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَّنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْثِقًا وَ لا ينافى ذلك تعجيل العذاب بنزول الآيات المقترحة على الرسول من غير إهمال و إنظار. ٥٤- يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَ إِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ... يعنى و إن لم يأتهم العذاب فى الدنيا لمصالح كثيرة، لكن عذاب جهنم سيحيط بهم إحاطة لما عندهم من الكفر و الإلحاد. و تكرار يَسْتَعْجِلُونَكَ للدلالة على كمال جهلهم و فساد فهمهم و أن استعجالهم هو استعجال لأمر مؤجل لا معجل أولا، و استعجال لعذاب واقع لا محالة و لا صارف له عنهم. ٥٥- يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ ... إلخ. أى النار تحيط بهم من جميع جوانبهم ذوقوا ما كنتم تعملون أى جزاء أعمالكم و أفعالكم القبيحة. ٥٦- يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ ... متباعدة الأقطار و متراحة فاهجروا أرضا يمنعكم كفارها من الإيمان بى و الإخلاص فى عبادتى. فَإِنِّي آتٍ فَأَعْبُدُونِ أَى فاعبدونى فيما يمكنكم من البلاد بعد الهجرة إليها. ٥٧ و ٥٨- كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ... أى فى كل مكان و فى كل زمان، سواء كان الشخص فى وطنه أو فى غيره، و فى يوم شبابه أو هرمه فإنه سيموت ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ أى لا محالة أن رجوعكم و عودكم إلينا توفية للجزاء وَ الَّذِينَ آمَنُوا ... إلخ. أى لنزلتهم أمكنة عالية رفيعة تجرى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ تحت الغرف خالدين فيها أى يكونون فى الغرف إلى الأبد، وَ نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ أى نعمت الجنة أجرا للعاملين. ٥٩- الَّذِينَ صَبَرُوا وَ عَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ... أى صبروا على المشاق و المحن و الأذى و ينحصر توكلهم عليه سبحانه .. ٦٠- وَ كَذَآبٌ مِنْ دَايِئِهِ ... إلخ. أى و كم من دابة لا يكون رزقها معدا الله يَرْزُقُهَا وَ إِيَّاكُمْ وَ هُوَ السَّمِيعُ لأقوالكم الْعَلِيمُ بضمائركم. ٦١- وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ ... أى إذا سألت يا محمد أهل مكة عن ذلك لَيَقُولَنَّ اللَّهُ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ وَ سَخَّرَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ أَى ذَلَّلَهَا فيقررون بأنه هو سبحانه الفاعل لذلك فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ؟ أى إلى أين يصرفون عن عبادته تعالى إلى عبادة حجر لا ينفع و لا يضر؟ ٦٢- اللَّهُ يَبْثُطُ الرِّزْقَ ... إلخ. يوسعه على من يشاء وَ يَقْدِرُ يَضِيقُ على من يشاء لحكمته. ٦٣- وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ ... الْحَمْدُ لِلَّهِ ... أى احمد الله على تمام نعمته و كمال قدرته أو على حفظك و متابيعك من الضلالة و حيرة الجهالة، بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ لَا يَتَفَكَّرُونَ بسبب تناقضاتهم حيث يقررون بأنه تعالى خالق كل شىء ثم يشركون به الأصنام و يعبدونها. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٤٠٩ ٦٤- وَ مَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَ لَعِبٌ ... الفرق بين اللهو و اللعب أن المقبل على الباطل لاعب به، و المعرض عن الحق لاه. و الوجه فى كون الدنيا كذلك أنها تزول بسرعة كما يزول اللهو و اللعب فيستمتع الإنسان فيها مدة قليلة ثم تنصرم و تنقطع و يبقى و بالها و إِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَاةُ الْحَقِيقَةُ لِأَنَّهَا الدَّائِمَةُ التى لا زوال لها لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ يعرفون أن الدنيا دار فناء و زوال، و أن الآخرة دار بقاء لا فناء فيها لما آثروا الحياة الفانية على البقاء الدائم. ٦٥- فَإِذَا زَكَّيَا فِي الْفُلْكِ دَعَاؤُا اللَّهِ مُخْلِصِينَ ... إلخ. أى دعوه فى حاله من أخلص دينه له تعالى مع ما هم عليه من الشرك و ذلك لعلمهم بأنه وحده القادر على إنجائهم من الغرق. فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ أى حينما خلصهم الله تعالى من الهلاك و نجَّاهم إلى البر عادوا إلى ما كانوا عليه من الإشراك معه تعالى فى العبادة. ٦٦- لَيُكْفَرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ ... أى لكى يكفروا بنعمة الإنجاء وَ لَيَتِمَّتْ لَكَ يَنْتَفَعُوا وَ يَتَلَذَّذُوا بِعُكُوفِهِمْ على أصنامهم. هذا بناء على أن اللام بمعنى (كى) التعليلية و يمكن أن تكون لام أمر فيكون للتهديد و لخذلانهم فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ عاقبة ذلك العكوف على عبادة الأصنام و التلذذ بها. ٦٧- أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا ...

أى أهل مكة ألم يعلموا أننا جعلنا مسكنهم وبلدهم حَرَمًا آمِنًا مصوناً من النهب والقتل والسبي وَتُخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَى يختلسون و يؤخذون من أطراف مكة. أ فَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ أَى يصدقون بعبادة الأصنام و هى باطله مضمحلّه. وَ نِعْمَةُ اللَّهِ يَكْفُرُونَ و هى نعمه الأمن و الاطمئنان يجحدونها بكفرهم بالله المنعم سبحانه. ٦٨- وَمِنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ ... أَى لا- أظلم منه كذباً حين ادعى الشريك له أَوْ كَذَبَ بِالْحَقِّ أَى الرّسول أَو الكتاب لَمَّا جاءه حين جاءه أليس فى جهنّم ... إلخ. أى أمّا لهؤلاء الكفار المكذبين فى جهنم مكانا لهم فى جهنم جزاء لهم على كفرهم. ٦٩- وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا ... أَى جاهدوا فى حقنا ما يجب جهاده من النفس و الشيطان و حزبه لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا طرق السّير إلينا أَو طرق الخير بزيادة اللطف. وَ إِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ أَى بالنصر و الإعانة فى الدنيا و الثواب و النعيم فى الآخرة.

سورة الروم مكية، عدد آياتها ٦٠ آية

١ إلى ٥- الم ... و قد ذكرنا فى سورة البقرة مفتحات بعض السور و بيانها فى الجملة، و قد قيل إن هذه الحروف لا يعلم تفسيرها إلّا من خوطب بها و ليتهيأ السامع لما بعدها حيث إن ما بعدها فى الأغلب يكون إخباراً عن أمور ستأتى و هو إخبار بالغيب غُلِبَتِ الرُّومُ أَى هزمت من قبل الفرس فى أَدْنَى الْأَرْضِ أَى أقرب أرض العرب من أرض الروم، أَو المراد أقرب أرض الروم إلى فارس وَ هُمْ أَى الروم مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ انكسارهم سَيَعْلَبُونَ يعودون فينتصرون فى بَضْعِ سِنِينَ و بضع تدل على ما بين الثلاث إلى التسع سنين أَو إلى العشر و قد تحقق ذلك بعد نزول هذه الآية فيكون إخباراً بالغيب و هو دليل على أن القرآن من عند الله لأنه لا يعلم الغيب غيره. ثم يكون لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَ مِنْ بَعْدُ أَى قبل غلبتهم و بعدها. وَ يَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ أَى يوم غلبة الروم على الفرس يسرّ أهل الإيمان بإظهار صدق نبّيهم فيما أخبر به أَو يسرّون لغلبة الروميين على الفرس لأنهم كانوا نصارى و أهل كتاب، و الفرس كانوا مجوساً و ما كانوا من أهل كتاب و لا أرسل إليهم نبي. و من باب الصدفة و أفق ذلك يوم نصر المؤمنين ببدر فنزل به جبرائيل (ع) و أخبر النبي (ص) بغلبة الروم على الفرس ففرحوا بالنصرين يَنْصُرُونَ مَنْ يَشَاءُ أَى ينصر بمقتضى الحكمة من يريد من عباده. وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْقَادِرُ بخذلانه لمن يشاء الرَّحِيمُ بمن أناب إليه من خلقه. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٦٤١٠ و ٧- وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ أَى: وعد الله بنصر الروم على الفرس و لا يخلف الله وعده حيث إن خلف الوعد عليه ممتنع لأنه سبحانه لا تضطره ضرورة فلا يحسن منه خلف الوعد بحال. على أن خلف الوعد يلزم النقص دائماً و يستحيل النقص عليه سبحانه. وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ صحه وعده و امتناع الخلف عليه لجهلهم به تعالى و بشأنه فلا يثقون بوعده و يقيسونه إلى أمثالهم ممن يصدق و يكذب و ينجز و يخلف. فالناس لا- يَعْلَمُونَ إلّا ظاهراً مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا أَى التمتع بزخارفها و التمتع بملاذها. وَ هُمْ عَنِ الْآخِرَةِ الّتى هى الغرض الأصلي منها هُمْ غَافِلُونَ أَى جاهلون بأمر الآخرة فلم يعملوا لها فعمروا دنياهم و خربوا آخرتهم. ٨- أَوْ لَمْ يَتَفَكَّرُوا فى أَنْفُسِهِمْ ... إلخ. أى فى أمرها فإنها أقرب شىء إليهم و فيها ما فى العالم الأكبر من عجائب الصّنع فلو كانوا يتفكرون فيها لعلموا و لتحقيق لهم أن قدره مبدعها على إعادتها، هى قدرته على إبداعها بل أسهل فلم يخلق السماوات و الأرض و ما بينهما إلّا بِالْحَقِّ أَى لإقامه الحق و معناه للدلالة على الصّانع و التعريض للشواهد و أَحْيَلِ مُسَيَّمَى تنتهى عنده و لا- تبقى بعده و هو يوم القيامة. ٩- أَوْ لَمْ يَسْ-يُروا فى الْمَأْرُضِ فَيَنْظُرُوا ... الاستفهام للتقرير، يعنى لا بدّ من السير فيها لينظروا إلى مصارع عاد و ثمود و غيرها فيروا كيف كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ إلخ. هذا بيان لنتيجة سيرهم ليعتبروا بذلك حيث إنهم كانوا أشدّ منهم قوة و من جميع الجهات، وَ أَثَارُوا الْأَرْضَ قَلْبُوا وجهها و حرثوها بعمارتها وَ عَمَرُوهَا ببناء الدّور و تشييد القصور و غيرها أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا أَى أكثر مما عمرها كفار قريش وَ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ أَى أتتهم أنبيأؤهم بالحجج و الدلالات من عند الله فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ بِإِهْلَاكِهِمْ بلا إرسال رسل و بلا إتمام حجة و لَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ حيث علموا ما أدّى إلى تدميرهم بكفرهم برسولهم و جحدهم للحجج ربهم. ١٠- ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوَاى ... أى كانت نتيجة الذين أساءوا إلى نفوسهم بالكفر بالله و تكذيب رسله نار جهنم. و هى معنى السوإى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَ كَانُوا بِهَا

يَسْتَهْزِئُونَ أَي سَبَب تَكْذِيبِهِمْ بآيَاتِ اللَّهِ وَاسْتَهْزَائِهِمْ بِهَا. ١١- اللَّهُ يَخْلُقُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ... أَي يَخْلُقُهُمْ ابْتِدَاءً ثُمَّ يَعِيدُهُمْ بَعْدَ إِمَاتَتِهِمْ أَحْيَاءً كَمَا كَانُوا ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ لِلْجَزَاءِ عَلَى الْأَعْمَالِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. ١٢- وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْفِثُ الْمُجْرِمُونَ ... أَي يَتَحَيَّرُونَ فِي أَمْرِهِمْ وَيَبْأَسُونَ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِمْ. وَالْإِبْلَاسُ: هُوَ الْيَأْسُ مِنَ اللَّهِ وَفِيهِ كُلُّ الشَّقَاءِ. ١٣- وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءٌ ... أَي مَن أَسْرَكَوَهُمْ بِاللَّهِ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ يَعِينُهُمْ وَيَجِيرُهُمْ مِنَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ جَاحِدِينَ مَتَبَرِّئِينَ مِنْهُمْ. فَهُمْ عَلَى يَأْسِهِمْ مِنَ رَحْمَةِ اللَّهِ آيِسُونَ مِنْ آلِهَتِهِمْ. ١٤- وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُؤْمِنُونَ ... أَي يَتَمَيِّزُونَ وَيَقْسِمُونَ فَرِيقَ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقَ فِي السَّعِيرِ. ١٥- فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا ... فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ أَي فِي جَنَّةٍ ذَاتِ أَرْضٍ خَضِرَاءٍ تَتَدَفَّقُ فِيهَا الْمِيَاهُ، يَسْرُونَ وَتَطْفَحُ وَجُوهُهُمْ بِالْبُشْرِ حَتَّى يَظْهَرَ عَلَيْهِمْ حَبَارُ نَعِيمِهِمْ. وَقِيلَ: يَكْرُمُونَ. إِرْشَادُ الْأَذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ١٦٤١١- وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ... أَي كَفَرُوا بِنَا وَبِوَحْدَانِيَّتِنَا، وَلَمْ يَصْدَقُوا دَلِيلَنَا، وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ أَي وَكَذَّبُوا بِيَوْمِ الْحَشْرِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُخَصَّرُونَ مُحْشَرُونَ فِي جَهَنَّمَ لَا يَفَارِقُونَ الْعَذَابَ. ١٧ وَ ١٨- فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ... يَعْنِي: الْأَمْرُ هُوَ أَنْ تَنْزَهُوه عَمَّا لَا يَلِيقُ بِهِ حِينَ تَدْخُلُونَ فِي الْمَسَاءِ، وَحِينَ تَدْخُلُوا فِي الصَّبَاحِ. وَلَهُ الْحَمْدُ أَي الثَّنَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَن فِيهِمَا وَعَشِيًّا حِينَ يَدْخُلُونَ فِي الْعِشِيِّ وَحِينَ تُظْهِرُونَ تَدْخُلُونَ فِي الظُّهَيْرَةِ. ١٩- يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ ... يَخْرِجُ الْمُؤْمِنَ مِنَ الْكَافِرِ، وَالْإِنْسَانَ مِنَ النَّطْفَةِ، وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ الْكَافِرَ مِنَ الْمُؤْمِنِ، وَالنَّطْفَةَ مِنَ الْإِنْسَانِ، وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا بِإِحْيَائِهَا بِالنَّبَاتِ بَعْدَ مَوْتِهَا بِالْيَسِّ وَكَذَلِكَ تُخْرِجُونَ أَي مِثْلَ هَذَا الْإِخْرَاجِ تَخْرُجُونَ مِنْ قُبُورِكُمْ؟ ٢٠- وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ... أَي مِنْ آدَمَ وَأَصْلَهُ تُرَابٌ. أَوْ الْمُرَادُ أَنْكُمْ مَخْلُوقُونَ مِنَ النَّطْفَةِ وَهِيَ مِنَ الْأَغْذِيَةِ وَهِيَ مِنَ الْأَرْضِ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بِشَرٍّ تَنْتَشِرُونَ ثُمَّ إِنَّهُ بَعْدَ الْخَلْقِ مِنَ التُّرْبَةِ كُنْتُمْ بَشَرًا مُتَفَرِّقِينَ فِي الْأَرْضِ. ٢١- وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ ... إلخ. أَي أَبْدَعَ وَأَوْجَدَ لَكُمْ زُوجَاتٍ مِمَّا تَلَهُ وَمَشَاكِلَ لَكُمْ وَمِنْ جَنْسِكُمْ، مَخْلُوقَاتٍ مِنْ أَنْفُسِ الرِّجَالِ حَدُوثًا وَبَقَاءً لِيَسْتَكُونُوا إِلَيْهَا أَي لِيَسْتَأْنِسُوا بِهَا وَتَمِيلُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً أَي أَوْجَدَ بِوَسْطَةِ الزَّوْجِ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ أَزْوَاجِكُمْ، تَوَادًّا وَتَحَابًّا. إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ أَي دَلَالَاتٍ لِأَهْلِ التَّدَبُّرِ وَالتَّفَكُّرِ حَيْثُ يَعْتَبِرُونَ بِهِ. ٢٢- وَمِنْ آيَاتِهِ دَلَالَتُهُ الدَّالَّةُ عَلَى تَوْحِيدِهِ وَقُدْرَتِهِ ذِكْرُ سُبْحَانِهِ وَتَعَالَى الْبَرَاهِينِ وَالشَّوَاهِدِ الْآفَاقِيَّةِ، وَأَظْهَرُهَا خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِمَا مِنْ عَجَائِبِ الصَّنِيعِ وَبَدَائِعِ الْخَلْقِ نَحْوُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ مِنَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَسَائِرِ الْأَنْجَمِ وَجَرِيَانِهَا فِي مَجَارِيهَا الْمَعِينَةِ وَنَحْوُ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ أَنْوَاعِ الْجَمَادِ وَالنَّبَاتِ وَالْحَيَوَانِ عَلَى اخْتِلَافِهَا جِنْسًا وَنَوْعًا وَصِنْفًا وَإِتْقَانِهَا مَعَ اخْتِلَافِ أَلْوَانِهَا وَطَعْمِهَا وَرَائِحَتِهَا وَخَوَاصِّهَا وَآثَارِهَا وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ أَي مِنْ حَيْثُ اللُّغَاتُ فَإِنَّ لِكُلِّ صِنْفٍ لُغَةً إِمَّا بِتَعْلِيمِ اللَّهِ تَعَالَى وَإِمَّا بِالْهَامَةِ لَهُمْ، وَأَلْوَانِكُمْ مِنَ الْأَبْيَضِ وَالْأَسْوَدِ وَالْأَحْمَرِ وَالْأَصْفَرِ فَلَا يَشْبَهُ أَحَدٌ أَحَدًا مَعَ التَّشَاكُلِ فِي الْخَلْقِ وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِلتَّرَاكِبِ الْبَدِيعَةِ الدَّالَّةُ عَلَى كِمَالِ قُدْرَتِهِ وَحُكْمَتِهِ. إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ أَي فِي الْإِخْتِلَافِ الْأَلْسَنِيِّ وَالْأَلْوَانِيِّ لِلدَّلَالَاتِ وَاضِحَاتٍ عَلَى كِمَالِ قُدْرَتِهِ وَحُكْمَتِهِ تَعَالَى لِجَمِيعِ الْعَوَالِمِ مِنْ ذَوِي الْعُقُولِ. ٢٣- وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ... إلخ. وَالمَعْنَى أَنَّ مِنَ الْآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى قُدْرَتِهِ الْكَامِلَةِ نَوْمَكُمْ فِي بَعْضِ اللَّيْلِ وَبَعْضِ النَّهَارِ لِاسْتِرَاحَةِ قَوَائِمِكُمْ وَطَلَبِ مَعَاشِكُمْ فِي الْبَعْضِ الْآخَرِ مِنْهُمَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَشْفَعُونَ أَي لَهُمْ آذَانٌ وَاعِيَةٌ تَسْمَعُ سَمَاعَ تَدَبُّرٍ وَاسْتِبْصَارٍ. ٢٤- وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ ... أَي وَمِنْ دَلَالَتِ قُدْرَتِهِ وَحُكْمَتِهِ. وَ الْبَرْقُ مُصْدَرٌ: نُورٌ يَلْمَعُ فِي السَّمَاءِ عَلَى أَثَرِ انْفِجَارِ كَهْرِبَائِي فِي السَّحَابِ، خَوْفًا أَي حَالُ كَوْنِهِ مَخُوفًا لِأَنَّهُ سَبَبُ الصَّوَاعِقِ وَطَمَعًا أَي مَطْمَعًا بِحَصُولِ الْمَطَرِ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا أَي: وَمِنْ آيَاتِهِ تَنْزِيلُهُ الْغَيْثَ مِنْ سَمَاءِ الْأَرْضِ أَي الْفَضَاءِ الْمَرْتَفِعِ فَوْقَهَا. وَنَتِيجَةُ هَذِهِ الْأَمْطَارِ إِحْيَاءُ الْأَرْضِ بِإِنْبَاتِهَا بَعْدَ مَوْتِهَا بِجَدْبِهَا وَبِيسْسِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ أَي فِي هَذِهِ الْآيَاتِ السَّمَاوِيَةِ الْآفَاقِيَّةِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ شَوَاهِدَ وَدَلَالَاتٍ لِلْعُقَلَاءِ الْمَكْلَفِينَ. إِرْشَادُ الْأَذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ٢٥٤١٢- وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ... أَي بِلَا دَعَامَةٍ تَدْعُمُهُمَا وَلَا عِلَاقَةٍ تَتَعَلَّقُ بِهِمَا بَلْ بِأَمْرِهِ سُبْحَانَهُ لِهَمَّا بِالثَبَاتِ وَالِدَوَامِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: إِنَّمَا أَمْرُنَا لَشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ: كُنْ فَيَكُونُ. ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ الْمُرَادُ بِالْدَعْوَةِ دَعْوَةُ إِسْرَافِيلَ بِالنَّفْخَةِ الْآخِرَةِ لِلْحَضُورِ فِي الْمَحْشَرِ لِثَوَابِ الْأَعْمَالِ أَوْ عِقَابِهَا. فَإِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ تَخْرُجُونَ مِنْ قُبُورِكُمْ بِلا إِبْطَاءٍ. ٢٦- وَلَهُ مَنْ فِي

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ... أى هو المالك لكل من فيهما ولنفس السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ منقادون له طوعا وكرها. ٢٧- وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ... إلخ. أى يخلقهم ابتداء ثم يرجعهم إلى الحياة بعد إعدامهم وإفنائهم وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ أى الإعادة أسهل عليه من الإبداء قياسا، على أصولكم، وإلّا فهما سواء عليه تعالى. وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى أى الصفات العليا التى لا- يمكن أن يتصف بها غيره. كالوحدانية والألوهية وغيرهما. فى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أى كل ما فيهما يصفونه تعالى بذلك الوصف الأعلى نطقا ودلالة وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ مر معناه. ٢٨- ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ ... أى منترعا من أنفسكم التى هى أقرب شىء منكم حتى يثبت أنّه لا يكون لله تعالى شريك. ثم بين المثل فقال هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ أى من ممالككم مِنْ شُرَكَاءِ فِى مَا رَزَقْنَاكُمْ أى فى الأموال والأرزاق والأسباب فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أى هل أنتم وهؤلاء الممالك تتصرفون فيها على السوية وبالشاركة تخافونهم كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ أى هل تخافون من عبيدكم أن يشاركوكم فى أموالكم كما يخاف الحر شريكه الحر فى المال يكون بينهما أن ينفرد فيه دونه وإذا لم ترضوا فى عبيدكم أن يكونوا شركاءكم فى أموالكم فكيف ترضون لربكم أن يكون له شركاء فى العبادة مع أن الكل عبيده ومملوكون له؟ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ أى نبينها لأهل التدبر والتفكير. ٢٩- يَلِ اللّٰهِ الَّذِينَ ظَلَمُوا ... أى أشركوا بالله أهواءهم بِغَيْرِ عِلْمٍ أى جاهلين ومن دون حجة أتتهم من ربهم فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ أَى من يقدر على هدايته بعد ذلك وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ أى يدفعون عنهم عذاب الله إذا نزل بساحتهم. ٣٠- فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ... أى أقبل بقصدك أو بالعمل الخالص على الإسلام بالاهتمام به خفيفا أى مائلا إليه مستقيما عليه فَطَرَتِ اللَّهُ النَّاسَ عَلَيْهَا هَذَا يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ بَيَانًا لِلدِّينِ الْحَنِيفِ، أى الزموا دين الله، ودين الله هو دين الإسلام الذى يولد كل مولود عليه ويعبر عنه بدين الفطرة. وقيل: الفطرة هى التوحيد. لا تبدل لَخَلَقِ اللَّهِ أَى ليس لأحد أن يبدل أو يغير دين الله الذى أمر الخلق أن يتبعوه به. ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ الْمُسْتَقِيمُ الذى يجب اتباعه وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ فهم جهلة بهذا الدين واستقامته ولذلك فهم يعدلون عنه. ٣١- مُبِينٌ إِلَيْهِ ... مبين حال من ضمير (أقم) باعتبار أن الأمة تدخل فى مخاطبة النبى (ص) والمعنى: فأقيموا وجوهكم راجعين إليه مرة بعد أخرى. ويمكن أن يكون من (ناب) إذا انقطع، أى منقطعين إليه عن كل ما سواه، وَاتَّقُوا اللَّهَ. إلخ. تجنبوا عصيانه والزموا طاعته ولا تكونوا من المشركين به فى الألوهية والعبادة. ٣٢- مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ ... بيان لما قبله من قوله من المشركين. و تفريق دينهم هو اختلافهم فيما يعبدونه على اختلاف أهوائهم وَكَانُوا شَيْعًا أى فرقا مختلفه كُلِّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ فَأَهْلَ كُلِّ مِلَّةٍ بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَسْرُورُونَ راضون. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٤١٣ ٣٣- وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ ... أى حادثه شديدة وسوء حال دَعَا رَبَّهُمْ بِتَضَرُّعٍ وَخُشُوعٍ مُبِينٍ إِلَيْهِ رَاجِعِينَ إليه منقطعين عن غيره ثُمَّ إِذَا أَذَقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً أَى أعطاهم من عنده رافعا لذلك الضر إذا فَرَّقَ مِنْهُمْ بَرِّهِمْ يُشْرِكُونَ أى يعودون إلى عبادة غير الله. ٣٤- لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ ... اللام هنا للعاقبة أى أشركوا فكان عاقبة شركهم كفرهم بِمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ نِعْمَةِ الْأَمْنِ وَالْعَافِيَةِ وَالصَّحَّةِ فَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ أى انتفعوا بنعيم الدنيا كيف شئتم فسوف تعرفون نتيجة كفرهم. ٣٥- أَمْ أَنْزَلْنَاهُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا ... أى: هل أرسلنا إلى الكفرة حجة يتسلطون بها على ما ذهبوا إليه فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ أى فذلك البرهان كأنه يتكلم بصحة شركهم ويحتج لهم به. والمعنى أنهم لا- يمكنهم إعادة ذلك. ٣٦- وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً ... أى نعمة من سعة أو أمن أو عافية فَرِحُوا بِهَا اسْتَبْشَرُوا بِهَا وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ شَدِيدَةٌ وَمُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ أَى بشأمة معاصيهم إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ أى ييأسون من رحمة الله. ٣٧- أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ ... أى يوسع عليه وَيَقْدِرُ أَى يقتر عليه وَيُضَيِّقُ حَسَبَ مَا تَقْتَضِيهِ الْمَصْلَحَةُ إِنَّ فِى ذَلِكَ أَى فى إذاقتهم الرحمة وإصابتهم بالسوء أو فى بسط الرزق وتقيته أو فى المجموع لآيات إلخ. دلائل عبرة للمؤمنين فَإِنَّهُمْ أَهْلُ الْاِعْتِبَارِ. ٣٨- فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ ... أى أعط يا محمد أقرباءك فرضهم من الخمس. وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ أَى أعطاهما حقهما من الخمس إن كانا من بنى هاشم، وإلّا فمن الزكاة الواجبة وابن السبيل هو المسافر المحتاج ذَلِكَ خَيْرٌ أَى إيتاء الحقوق للجماعة المذكورة خير من الإمساك لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ أَى يطلبون رضاه أو وجه التقرب إليه وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ أى الفائزون بالنعم الباقية. ٣٩- وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ

رباً ... أى زيادة محرمته فى المعاملة، أو عطية يتوقع بها مزيد مكافأة، لِيُزْبُوا فى أموال النَّاسِ أى: لتنموا أموالهم، و يزيد فى أموالهم أكله الربا فلا يَزْبُوا عِنْدَ اللَّهِ لا يزكو عنده بل يمحقه و ما آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ أى مرضاته و قربه فَأُولَئِكَ أى هؤلاء الذين يُؤَدُّون الزكاة المفروضة أو الصدقة المندوبة لوجه الله هُمُ الْمُضْعِفُونَ أى ذوو المكافأة و المضاعفة من الثواب فى الآجل، و المال فى العاجل. ٤٠- اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ... أى أوجدكم ابتداء معدومين محضاً ثُمَّ رَزَقَكُمْ أعطاكم أنواع النعم ثُمَّ يُمِيتُكُمْ عند انقضاء آجالكم ثُمَّ يُحْيِيكُمْ يوم الحشر هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ ... الآية هل ما عبدتموه من الأصنام و غيرها من يقدر على ذلك حتى يجوز توجه العباد إلى سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ تنزه و تقدس عن الشريك. ٤١- ظَهَرَ الْفَسَادُ فى الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ ... أمّا ظهور الفساد فى البر فبمنع السماء أمطارها فيقع القحط و الغلاء و كثرة الأمراض و الأوبئة و أمّا فى البحر فبكثرة الفيضانات و ثوران البحار مع ما يترتب على ذلك من المضار. بما كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ أى بسوء أفعالهم من الكفر و الفسوق و المعاصى لِيَذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا أى ليصيبهم الله بعقوبة بعض أعمالهم من الكفر و المعاصى. لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ أى ليرجعوا عنها فى المستقبل بعد أن يعتبروا. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٤١٤ ٤٢- قُلْ سِيرُوا فى الْأَرْضِ فَانظُرُوا ... إن الله تعالى كرّر الأمر بسير الآفاقية تأكيداً و تذكيراً للاعتبار، فإن فى ذلك أخبار الأمم السالفة و الإنسان يستبصر إذا شاهد كيف أهلكهم الله فصارت قصورهم قبوراً و محافلهم مقابرهم ثم يبين سبحانه أنه فعل بهم ما فعل لسوء صنيعهم فقال: كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ فالغالب فى عذاب الاستئصال أن يكون بسبب الشرك. ٤٣- فَأَقَمَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ ... أى فانصب قلبك و توجه به إلى دينك الذى هو فى غاية الاستقامة و العدل مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ أى قبل مجيء يوم من عند الله الذى لا يقدر أحد أن يردّه و هو يوم القيامة يَوْمَئِذٍ يَصْدَعُونَ يعنى يتفرون إلى الجنة و النار. ٤٤ و ٤٥- مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ ... أى عقوبة كفره فلا يتحملها أحد عنه و هى النار و مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نَفْسَ لَهُمْ يَمْهَدُونَ أى يوطئون لأنفسهم منازل فى الجنة لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ أى ليعطيهم على قدر استحقاقهم و يزيدهم من فضله. إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ أى لا يريد كرامتهم و إنما عقابهم جزاء على كفرهم. هذا الذيل علّمه لما يترتب على الكفر من الوبال و النار المؤبد، و على العمل الصالح من تمهيد المنازل فى الجنة العالية و المخلّد فيها. و فى الكشف أن هذا تقرير بعد التقرير على الطرد و العكس. ٤٦- وَ مِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ ... أى و من أفعاله الدالة على معرفته و كمال قدرته هو إرسال رياح الرحمة تبشر بنزول المطر و لِيَجْزِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ أى و لتسير المراكب فى المياه بأمر الله و إرادته و لِيَتَّبِعُوا مِنْ فَضْلِهِ فى التجارات البحرية تبتغون الخير من فضله و لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ هذه النعم فتوحدون ربكم. ٤٧- لَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا ... لم يكن لهم شغل غير ما عمله أنت جأؤهم بِالْبَيِّنَاتِ أتوا قومهم بدلائل على نبوتهم انْتَفَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا أى كفروا بآياتنا و جحدوها كَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أى و كان واجبا علينا نصرهم بدفع سوء عنهم و بإعلاء حجتهم. ٤٨ و ٤٩- اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتَنِّيهِ سَحَابًا ... أى من شواهد القدرة أنه يهتئ و يرسل الرياح من معاندها فتتهيج السحاب فى الفضاء فَيَسِيلُ طُهُ فى السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ سائرا و واقفا مطبقا و غير مطبق من جانب دون جانب وَ يَجْعَلُهُ كِسْفًا أى قطعاً متفرقة فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ أى المطر يخرج من بينه فَإِذَا أَصَابَ الْآيَةَ، أى إذا نزل الودق على طائفة من عباد الله يفرحون بذلك و يبشّر بعضهم بعضاً بنزوله و إِنَّ كَانُوا إلخ. يعنى أنهم قبل نزول المطر كانوا قانطين آيسين من نزوله عليهم. ٥٠- فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ ... إلخ. أى أثر الغيث من النبات و الأشجار و أنواع الثمار، كيف يحيى الأرض بما ذكر بَعْدَ مَوْتِهَا أى بعد أن كانت مواتا يابسة إِنَّ ذَلِكَ أى ان الله تعالى الذى يحيى الأرض بعد موتها لَمْ يُحْيِ الْمَوْتَى إلخ. هو قادر على إحياء البشر بعد إفنائهم بالموت و هو الذى لا يعجزه شىء. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٤١٥ ٥١- وَلَكِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا ... أى الدبور الذى هو للعذاب و هى ريح باردة مؤذنة بالهلاك فَارَأَوْهُ مُضِيًّا فَرَأَى أى يرون النبات و الزرع اللذين كانا من آثار رحمة الله أنه عرض لهما الاصفرار بعد الخضرة و هو علامة ييسهما و فسادهما. لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ أى لصاروا من بعد أن رأوه مصفراً كافرين جاحدين لأنعم الله. ٥٢- فَإِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى ... أى لا تستطيع يا محمد إسماع موتى القلوب يعنى الكفرة الذين سدت مشاعرهم عن استماع المواعظ و النصائح فإنهم فى حكم الموتى وَ لَا تَسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ أى و لا تقدر على إسماع من بهم صمم فإن حالهم كحالهم فى

عدم الانتفاع بالسماع إذا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ أى إذا أعرضوا عن حججنا ذاهبين إلى الضلال. ٥٣- وَمَا أَنْتَ بِهَادٍ الْعُمَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ ... يعنى يا محمد إنك لا تهدي ولا تستطيع إرشاد عميان القلوب إذا لم يطلبوا الاستبصار حيث إنهم أشد استحالة للهداية من عمى العيون، إِنَّ تَسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا أى الذى يستمع القول و يتلقاه و يتدبر معناه فَهُمْ مُسْلِمُونَ مُسْلِمُونَ بما تأمرهم به و تنهاهم عنه حيث إنهم يتبعون سبيل الهداية و الرشاد. ٥٤- اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ... أى كنتم فى بدء الإيجاد ضعفاء فى حالة الطفولية و قيل: أى من نطف. ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً حينما يصير الإنسان شابا ذا قوة و قدره أو حين ولوج الروح بالبدن ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَ شَيْبَةً فبعد ما يخلص تطوّر خلقه و يتم قوس الصّعود يحىء قوس النزول و هو الضعف و الشّيب بعد القوة و الشباب يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ مِنَ الضَّعْفِ وَ الْقُوَّةِ وَ الشَّيْبِ وَ هُوَ الْعَلِيمُ أى العالم بأحوال عباده و مصالحهم الْقَدِيرُ القادر على فعله بحسب ما يراه من المصلحة. ٥٥- وَ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ ... أى القيامة، يُقَسِّمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا أى الكافرون يحلفون أنهم ما بقوا فى القبور أو فى الدّنيا أو فيما بين فنائها و البعث غَيْرُ سَاعَةٍ فيستقلون مدّة لبثهم بالنسبة إلى مدّة عذاب الآخرة، كَذَلِكَ أى مثل صرفهم و حلفهم و قولهم كذبا فى الآخرة كانوا يُؤْفَكُونَ يصرفون عن الصّديق و يعدلون عن قول الحق فى الدنيا. ٥٦ و ٥٧- وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَ الْإِيمَانَ ... إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَخْبَرَ عَنْ قَوْلِ أَهْلِ الْعِلْمِ وَ الْإِيمَانِ مِمَّنْ هَدَاهُمُ اللَّهُ بِالْحِجْجِ وَ الْبَرَاهِينِ. قيل بأنهم الملائكة، و قيل هم الأنبياء، و قيل هم المؤمنون بعد استماعهم الحلف الكاذب من المشركين لَقَدْ لَبِثْتُمْ فى كِتَابِ اللَّهِ الْخ. أى ان مكثكم ثابت فى اللوح المحفوظ أو فى القرآن، إلى يوم القيامة و الحشر. فَهَذَا يَوْمُ الْبُعْثِ الْخ. أى اليوم الذى كنتم تنكرونه فى الدنيا فلا ينفعكم علمكم به الآن. فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِالْكَفْرِ وَ الشُّرْكِ بعد إتمام الْحِجَّةِ عليهم مَعِذَتُهُمْ اعتذارهم وَ لَا هُمْ يُشْتَعْتَبُونَ وَ لَا يَطْلُبُ مِنْهُمْ الْإِعْتَابُ وَ لَا الرَّجُوعُ إِلَى الْحَقِّ. ٥٨- وَ لَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ ... أى بيّنا لهم بحيث أغنياهم فى البيان فى هَذَا الْقُرْآنِ المنزل على نبيّنا مِنْ كُلِّ مَثَلٍ يدعوهم و يبتهم على التوحيد و الإيمان لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ فِرْطِ عَنَادِهِمْ إِنَّ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ أى أصحاب الأباطيل و التزوير. ٥٩- كَذَلِكَ ... أى كما طبع على قلوب هؤلاء الكفرة يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ أى الذين لا يعلمون شيئا من الحق و يعتقدون أن ما هم عليه من الضلالة و الأباطيل هو الحق. ٦٠- فَاصْبِرْ ... أى اصبر على أذاهم يا محمد إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ حِينَ وَعَدَكَ بِالنَّصْرِ وَ بِإِعْلَانِ دِينِكَ فَإِنَّ ذَلِكَ ثَابِتٌ مَنْجَزٌ لَا مُحَالَاةَ وَ لَا يَسْتَحْفِظُكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ أى لا يحملنك على الخفة و الضجر و لا تغضب من هؤلاء الذين هم أهل شكّ و ضلالة. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٤١٦

سورة لقمان مكية، عدد آياتها ٣٤ آية

١ و ٢- الم، تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ... أى هذه الآيات هى آيات القرآن المحكم أو ذات الحكمة. و قد وصف الكتاب بالحكيم إشعارا بأنه ليس من لهو الحديث من شىء بل هو كتاب لا انتلام فيه ليدخله لهو الحديث و باطل القول. ٣- هُدًى أى حال كونها بيانا و دلالة. وَ رَحْمَةً أى حال كونها نعمة لا نعمة صارخه عنها. لِلْمُحْسِنِينَ المطيعين أو للموحدين. ٤ إلى ٥- الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ ... إلخ هذه الشريفة و ما بعدها بيان للمحسنين، و تكرير الضمير تأكيد. ٦- وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِ لَهْوَ الْحَدِيثِ ... أى باطل الحديث و هو الغناء و كل ما يلهى عن سبيل الله و يدخل فيه السخريّة بالقرآن و اللغو فيه لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فيضلّ الناس عن دينه تعالى. و من أضلّ غيره فقد ضلّ و قيل: مقتضى السياق أن يكون المراد بسبيل الله القرآن بما فيه من المعارف الحقّة الاعتقادية و العملية و خاصة قصص الأنبياء و أممهم الخالية فإن لهو الحديث و الأساطير المختلفة تعارض أولا هذه القصص ثم تهدم ببيان سائر المعارف الحقّة و توهنها فى أنظار الناس. بِغَيْرِ عِلْمٍ بغير بصيرة حيث يشتري الباطل بالحق و الضلالة بالهدى، وَ يَتَّخِذَهَا هُزُوًا أى يتخذ السبيل المستقيم سخريّة و يستهزئ بها، و من يفعل ذلك فله عذابٌ مُهِينٌ ذو إهانة. ٧- وَ إِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِ ... وَلَّى مُسْتَكْبِرًا ... أى أعرض عن سماع آياتنا إعراض من لا- يسمعها كَأَنَّ فى أذنيه وَ قَرَأَ أى كَأَنَّ فى مسامعه ثقلا يمنعه عن سماع تلك الآيات فَبَشَّرَهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ مؤلم موجه. ٨ و ٩- إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ... لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ... البساتين و الحدائق ذات النعمة يتنعمون بها يوم القيامة. خَالِدِينَ فِيهَا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا أى

وعدهم وعدا ثابتا لا خلف فيه وَهُوَ الْغَزِيرُ الَّذِي لَا يَغْلِبُهُ شَيْءٌ الْحَكِيمُ الَّذِي يَفْعَلُ طَبَقَ مَا تَقْتَضِيهِ حِكْمَتُهُ. ١٠- خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ... أَيْ أَنْشَأَهَا بِغَيْرِ أَعْمَدَةٍ إِذْ لَوْ كَانَ لَهَا عَمَدٌ لَرَأَيْتُمُوهَا حَيْثُ إِنَّهَا لَوْ كَانَتْ فَرَضًا لَكَانَتْ مِنْ أَجْسَامٍ عَظَامٍ بَحِثْ تَحْتَمِلُ ثَقُلَ السَّمَاوَاتِ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى: أَنْشَأَهَا بِعَمَدٍ وَلَكِنَّهَا غَيْرُ مَرِيئَةٍ لَكُمْ. وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَيْ وَضَعَ عَلَيْهَا جَبَالًا شَوَامِخَ ثَوَابِتٍ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ أَيْ لَثَلًا- تَضْطَرِبُ بِكُمْ فَتَبْقَى ثَابِتَةً مُسْتَقَرَّةً. وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ أَيْ نَشَرَ وَفَرَّقَ فِي الْأَرْضِ كُلَّ مَا يَتَحَرَّكُ وَيَدْبُ مِنْ أَنْوَاعِ الْحَيَوَانِ. وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً أَيْ مَطَرًا. فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ أَيْ أَنْبَتْنَا فِي الْأَرْضِ مِنْ ذَلِكَ الْمَاءِ مِنْ كُلِّ صِنْفٍ كَثِيرٍ الْمَنْفَعَةُ. ١١- هَذَا خَلَقَ اللَّهُ ... أَيْ هَذَا مَخْلُوقُهُ وَمَوْجُودُهُ الَّذِي تَشَاهَدُونَهُ فَأُرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ أَيْ أَيْنَ مَخْلُوقُ شُرَكَاءِ اللَّهِ وَمَصْنُوعُهُمْ. وَمَاذَا خَلَقْتَ آلِهَتُكُمْ الَّتِي تَعْبُدُونَهَا؟ وَإِذْ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَى إِرَاءَةِ شَيْءٍ ثَبَتَ بِذَلِكَ وَحِدَانِيَتِهِ سُبْحَانَهُ فِي أُلُوهِيَّتِهِ وَرَبُوبِيَّتِهِ. بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ أَيْ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ بِاللَّهِ هُمْ فِي ذَهَابٍ بَعِيدٍ وَاضِحٍ عَنِ الْحَقِّ. إِرْشَادُ الْأَذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ١٢ ٤١٧- وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ ... أَيْ أَعْطَيْنَاهُ الْعَقْلَ وَالْفَهْمَ أَنْ أَشْكُرَ لِلَّهِ أَيْ لِأَنْ، أَوْ قُلْنَا لَهُ أَشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ أَيْ يَعُودُ نَفْعُهُ إِلَيْهَا. وَاللَّهُ غَنِيٌّ عَنِ شُكْرِ الشَّاكِرِينَ حَمِيدٌ أَيْ حَقِيقٌ بِالْحَمْدِ حَمْدٌ أَوْ لَمْ يَحْمَد. ١٣- وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ ... أَيْ إِذْ ذَكَرَ يَا مُحَمَّدٌ إِذْ قَالَ لِقَمَانَ لِابْنِهِ، وَهُوَ يَعُظُّهُ أَيْ يُؤدِّبُهُ وَيَذَكِّرُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ وَقِيلَ كَانَ كَافِرًا فَمَا زَالَ بِهِ حَتَّى أَسْلَمَ إِنَّ الشُّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ لِأَنَّهُ تَسْوِيَةٌ بَيْنَ أَشْرَفِ الْمَوْجُودَاتِ وَأَخْسَرَ الْمَخْلُوقَاتِ وَهِيَ الْأَوْثَانُ. ١٤- وَصَفَيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ ... أَيْ أَمْرَانَهُ بِطَاعَةِ الْوَالِدَيْنِ وَشُكْرِهِمَا وَالْإِحْسَانَ إِلَيْهِمَا. وَإِنَّمَا قَرَنَ شُكْرَهُمَا بِشُكْرِهِ لِأَنَّهُ الْخَالِقُ الْمُنْشِئُ وَهُمَا السَّبَبُ فِي الْإِنْشَاءِ وَالتَّرْبِيَةِ. حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنًا عَلَى وَهْنٍ أَيْ ضَعْفًا عَلَى ضَعْفٍ، فَإِنَّ الْحَمْلَ كُلَّمَا يَثْقُلُ وَيَتَرَقَّى يَزِيدُ فِي مُضَاقِقِهِ الْأَمِّ وَضَعْفِهَا وَفِصَالُهُ فِي عَامَتَيْنِ أَيْ فِطَامِهِ فِي انْقِضَاءِ عَامَيْنِ، وَهُمَا مَدَّةُ رِضَاعِهِ. أَنْ أَشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ هَذَا تَفْسِيرٌ لِلْوَصِيَّةِ، أَيْ وَصِيَّتِهِ بِشُكْرِنَا وَشُكْرِ وَالِدَيْهِ وَشُكْرِ اللَّهِ بِالْحَمْدِ وَالطَّاعَةِ وَشُكْرِ الْوَالِدَيْنِ بِالْبَرِّ وَالصَّلَاةِ إِلَى الْمَصِيرِ أَيْ الْمَرْجِعِ فَأُجَازِيكُمْ عَلَى حَسَبِ أَعْمَالِكُمْ. ١٥- وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي ... أَيْ بِذِلَا وَسَعِهِمَا وَجَدَا لِأَنَّ تَشْرِكَ بِي مَعْبُودًا آخَرَ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ أَيْ الَّذِي لَا عِلْمَ لَكَ بِاسْتِحْقَاقِهِ وَأَهْلِيَّتِهِ لِلشُّرْكِ إِلَّا تَقْلِيدًا لَهُمَا فَلَا تُطِيعُهُمَا فِي ذَلِكَ إِذْ لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ وَصَاحِبَيْهِمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا أَيْ مَصَاحِبُهُ مَعْرُوفَةٌ مَحْمُودَةٌ شَرعًا وَعَرَفَا بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمَا وَالرَّفَقِ بِهِمَا وَاتَّبَعَ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ أَيْ نَهَجَ مَنْ رَجَعَ إِلَيَّ بِالطَّاعَةِ وَالتَّوْحِيدِ وَالْإِحْلَاصِ وَهُمْ النَّبِيُّ (ص) وَالْمُؤْمِنُونَ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ إِلَى حَكْمِي مُنْقَلِبُكُمْ فَاتَّبِعُواكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ أَخْبَرَكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ وَأَقْوَالِكُمْ وَأُجَازِيكُمْ عَلَيْهَا. ١٦- يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُنْ مِثْقَالَ حَبَّةٍ ... إِنْخَ يَا بُنَيَّ، تَصْغِيرُ شَفَقَةٍ وَعَطْفٌ عَلَى ابْنِهِ. وَالْمِثْقَالُ كُنَايَةٌ عَنْ أَقْلٍ مَا يوزن به الشَّيْءُ مِنَ الْأَحْجَارِ وَالْفَلَازَاتِ وَالْخَرْدَلِ نَبَاتٌ لَهُ حَبٌّ صَغِيرٌ جَدًّا أَسْوَدَ. وَالْمَعْنَى أَنْ فَعَلَهُ الْإِنْسَانُ مِنَ الْخَيْرِ أَوْ الشَّرِّ إِنْ كَانَتْ فِي الصَّيْرِ مَقْدَارُ خَرْدَلَةٍ فَتَكُنْ فِي أَخْفَى الْمَوَاضِعِ كَجُوفِ صِيْحْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَعْلَى أَوْ فِي الْأَرْضِ أَوْ فِي الْأَسْفَلِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ أَيْ يَحْضُرُهَا لِيَحَاسِبَ عَلَيْهَا إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ بِاسْتِخْرَاجِهَا خَبِيرٌ بِمَوْقِعِهَا. ١٧- يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَآمُرْ بِالْمَعْرُوفِ ... إِنْخَ أَيْ أَدِ الصَّلَاةَ فِي مَوَاقِيتِهَا تَامَةً الْأَجْزَاءِ وَالشَّرَائِطِ وَاتَّمِرْ بِطَاعَةِ اللَّهِ وَانَهُ عَنْ مَعْصِيَتِهِ وَعَنْ كُلِّ قَبِيحٍ. وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ مِنَ الْمَصَائِبِ وَالشَّدَائِدِ وَالْأَذَى فِي الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ أَوْ مُطْلَقًا. إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ أَيْ الصَّبْرُ عَلَى مَا أَصَابَكَ مِنْ عِزَائِمِ الْأُمُورِ الَّتِي عَزَمَهَا اللَّهُ وَمَقْطُوعَاتِهَا. ١٨- وَلَا تُصَيِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ... أَيْ لَا تَمَلْ بِوَجْهِكَ عَنِ النَّاسِ نَخْوَةً وَتَكْبَرًا، وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا لَا تَسْرُ بِكِبْرِيَاءٍ وَعَجْرَفَةٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ أَيْ أَنَّهُ تَعَالَى يَكْرَهُ الْمُتَخَايِلَ فِي مِثْلِهِ الْمُتَكَبِّرَ عَلَى النَّاسِ الْفَخُورَ بِنَفْسِهِ. ١٩- وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ ... أَيْ تَوَسَّطْ فِيهِ بَيْنَ السَّرْعَةِ وَالْبَطْءِ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ أَيْ أَقْصِرْ وَاخْفُضْ صَوْتَكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ أَيْ أَقْبَحُهَا وَأَرْفَهَا. هَذِهِ نَبَذَ مِنْ مَوَاعِظِ لِقَمَانَ حَكَاهَا اللَّهُ تَعَالَى، فَإِنَّهَا وَإِنْ كَانَ الْخُطَابُ فِيهَا لَوْلَدَهُ لَكُنْهَا تَفِيدُ الْعَالَمَ، وَلِذَلِكَ أَوْحَى اللَّهُ بِهَا إِلَى نَبِيِّهِ (ص) لَاسْتِفَادَةَ أُمَّتِهِ بِهَا. إِرْشَادُ الْأَذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ٢٠ ٤١٨- أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ ... بِأَنْ جَعَلَهَا أَسْبَابًا لِمَنَافِعِكُمْ كَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالنُّجُومِ وَغَيْرِهَا وَمَا فِي الْأَرْضِ بِأَنْ مَكَّنَكُمْ مِنَ الْإِنْتِفَاعِ بِهِ كَالْحَيَوَانِ وَالنَّبَاتِ وَالْجِمَادِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ الْخَ أَيْ أَوْسَعَ وَأَتَمَّ نِعَمَهُ بِأَقْسَامِهَا مِنَ الظَّاهِرِيَّةِ الْمُحْسُوسَةِ وَالْبَاطِنِيَّةِ مِمَّا لَا يَدْرِكُ بِالْحَسِّ وَالْعِيَانِ بَلْ بِالْعُقُولِ، وَ

بعض القوى الأخر، وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ أَى فِي ذاتِ اللَّهِ أو فى توحيدِهِ و صفاته. بِغَيْرِ عِلْمٍ أَى عن جهل أو عن تقليد ولا هُدى ولا هاد من نبي أو وصي نبي ولا كتاب مُبين ولا كتاب منزل من عند الله كان واضح الدلالة على ما يقولون. ٢١- وإذا قيل لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ ... أَى على محمد من الدين والشرائع قالوا ... إلخ أى نقلد أسلافنا فى عبادتهم للأصنام وغيرها أو لو كان الشَّيْطَانُ ... إلخ الاستفهام للإنكار والمعنى أن الشيطان يدعوهم إلى تقليد آبائهم وترك اتباع ما جاءت به الرسل، وذلك موجب لهم دخول النار. ٢٢- وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ ... أى من فوض و خلى أمره إليه تعالى وتوجه به إليه بكامل وجوده وهو مُحْسِنٌ أى كان عمله على الوجه الحسن، فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى أَى المحكمه، ولعل المراد بالعروة الوثقى هو القرآن، أو كلمه التوحيد وإلى اللَّهِ عَاقِبَتُهُ الْأُمُورِ أى آخر كل شىء، أو جزاء أعمال الناس خيرا و شرا لأن الكل صائر إليه. ٢٣- وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ ... أى الباقي على الكفر أو الذى ارتدّ و رجع إلى الكفر، فلا تحزن عليه لأن كفره لا يضرّك ولا ينفعه إلتينا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا نخبرهم بأعمالهم المنسيه وغيرها و نجازيهم بها. إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ أى بما يضمرة الإنسان فيجزيه عليه. ٢٤- نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ ... أى نعطيههم من متاع الدنيا و نعيمها ما يتمتعون به مدّة قليله، و بعد ذلك نجعلهم مكرهين فى الآخرة إلى عذاب غليظ شديد يثقل و يصعب عليهم. ٢٥- وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ... أى مقرّون بأنّه خالقها لوضوح البرهان بحيث اضطروا إلى الإذعان. قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ اِحْمَدُهُ عَلَى نِعْمَةِ الْجَائِئِمْ إِلَى الاعتراف بما يوجب بطلان معتقدهم بل أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ بأن ذلك الإقرار يلزمهم الحجة و يبهتهم. ٢٦- لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ... أى هو المالك لهما ملكا و خلقا الغنى على الإطلاق الحميد بالاستحقاق. ٢٧- وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ ... إلخ أى ولو ثبت أن الأرض بجميع أشجارها صارت أقلاما و الْبَحْرُ يُمَدُّ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ أى البحر المحيط صار مدادا يضاف إليه و يمدّه سبعة أبحر مثله، ما نَفَدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ أَى ما انتهت كلماته الدالة على علمه و حكمته بكتابتها بذلك المداد لعدم تناهيها إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ مر معناه. ٢٨- مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كُنْهٌ وَاحِدٌ ... إلخ أى إلّا كخلقها و بعثها فى قدرته فيكفى فيها إرادته بقوله: كن فيكون. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٢٩ ٢١٩- أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ ... أى يدخله فى النهار بأن ينقص منه فى أوقات الصيف و يزيد فى النهار، و يفعل عكس ذلك فى الشتاء، و سَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ أَى ذلّلها كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى أى كل واحد من الشمس والقمر يجرى فى فلكه على نسق واحد لا يختلفان إلى مدّة معينة أو إلى منتهى معلوم عنده. و هو خَبِيرٌ عَالِمٌ بكنه ذلك و بما تعملون. ٣٠- ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ ... إشارة إلى ما ذكر من سعة العلم و كمال القدرة و عجائب الصنع و اختصاصه تعالى بها، فالله هو المستحق للعبادة و ما يدعون مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ الزائل الفانى و هو الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ المرتفع على كل شىء و الغالب عليه و القادر القاهر. ٣١- أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلُوكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ ... أى أن من آياته الدالة على قدرته الكامله جرى السيفن فى البحار بِنِعْمَتِ اللَّهِ بِفَضْلِهِ و رحمته عليكم لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ لَتَرُوا بعض أدلته الدالة على تفردّه بالإلهية و القدرة و الحكمة. إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ أَى فى جرى السيفن بالرياح لعلائم لكل صيَّارٍ شُكُورٍ لمن صبر على البلايا و المحن و على مشاق التكليف و شكر نعم الله عليه. ٣٢- وَإِذَا غَشِيَهم مَوْجٌ كَالظُّلَلِ ... أى علا راكبي البحر هيجان البحر كالظلل فى ارتفاعه و تغطيته ما تحته كالجبل و السحاب و غيرهما من المظلات و ذوات الظل دَعَا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ أى حين خافوا الغرق فأخلصوا فى الدعاء لله فى تلك الحال. فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ أَى متوسط فى الكفر و الإيمان. و مَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ أَى ما يكفر بدلائلنا إلا كل غدار خداع. كَفُورٍ يعنى شديد الكفر. ٣٣- يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ ... أى تجنّبوا ما يسخطه و اعملوا بأوامره و نواهيه و آخَشُوا خافوا يوماً هو يوم القيامة لا يَجْزَى وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ أَى لا يؤدّى الوالد عن الولد شيئا، و لا يتحمّل عنه تبعه ذنب ولا مَوْلُودٌ هُوَ جَارٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئاً و المولود لا يستفيد منه والده الرءوف فى ذلك اليوم شيئا. إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ أَى وعده بالبعث و الجزاء ثابت لا يتخلف فلا تُغَرَّنْكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا أَى لا يغرنكم الامهال الذى كانت الحياه كناية عنه، و لا يلهينكم الآمال و الأموال عن الإسلام و الإيمان و لا يَعَزَّنْكُمْ بِاللَّهِ الْعَزُورُ أَى لا يخدعنكم الشيطان فتصرفوا عن الله سبحانه. و قيل: الغرور هو كل شىء غرّك حتى تعصى الله. ٣٤- إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ... أى هو يعلم وقت قيامها و لا يدرى غيره و يُنَزَّلُ الْغَيْثُ فى زمانه المقدر له و المحل المعين له و

يَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى، قَبِيحٌ أَوْ جَمِيلٌ، سَخَى أَوْ بَخِيلٌ وَغَيْرَ ذَلِكَ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا أَى قَضَى عَلَيْهَا بِأَنْ لَا تَعْرِفَ مَا تَعْمَلُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَى أَرْضٍ تَمُوتُ يَعْنِي فِي أَى مَكَانٍ يَكُونُ مَوْتُهَا. وَ رَوَى الْقَمِيّ عَنِ الصَّادِقِ (ع) أَنَّ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ الْخَمْسَةَ لَمْ يَطَّلِعْ عَلَيْهَا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، وَ هِيَ مِنْ مَخْتَصَاتِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ بِهَذِهِ الْأُمُورِ دُونَ غَيْرِهِ خَيْرٌ بِهَا. إِرْشَادُ الْأَذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ٢٢٠

سورة السجدة مكية، عدد آياتها ٣٠ آية

١- الم ... قد مرَّ ما فى الحروف المقطعة. ٢- تَنْزِيلُ الْكِتَابِ ... أى هذه السورة أو هذه الآيات كتاب منزل. لَا رَيْبَ فِيهِ لَا شَكَّ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ أى كائن من عند رب العالمين أو وحى من عنده. ٣- أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ... أى هل يقول أهل مكة أن محمداً (ص) جاء بهذا القرآن من عند نفسه و يكذبونه فى قوله أنه من الله؟ بَلْ هُوَ الْحَقُّ إلخ يعنى لم يكن الأمر كما يقولون بأن القرآن افتراء بل هو الحق منزل من عند الله عليك يا محمد لِتُنذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ أى فى عصر الفترة و هو ما بين عصر عيسى و خاتم الأنبياء لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ التَّوْحِيدَ مِنْهُ تَعَالَى بِمَعْنَى الثَّبُوتِ، أى حَتَّى يَهْتَدُوا أَوْ لِيَهْتَدُوا بِتِلْكَ الْأَدْلَةِ الْوَاضِحَةِ. ٤- اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ... أى أوجدتهما و أنشأهما و ما بَيْنَهُمَا مِنَ الْحَيَوَانَاتِ وَ النَّبَاتَاتِ وَ الْجَمَادَاتِ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ فى مقدار من الزمان يصير إذا حَدَدَ وَ عَيَّنَ سِتَّةَ أَيَّامٍ مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا. ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ أى اسْتَقَرَّ وَ اسْتَوَلَى عَلَيْهِ وَ هُوَ أَعْظَمُ الْمَخْلُوقَاتِ، أَوْ الْمَرَادُ عَالَمُ الْأَمْرِ وَ التَّدْبِيرِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أى من قريب يدفع عنكم عذاب الله أو شفيع يشفع لكم يوم القيامة. أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ بِمَوَاقِعِ اللَّهِ وَ نَصَائِحِهِ؟ ٥ إلى ٨- يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ... أى يَسَبِّبُ أَمْرَ الدُّنْيَا مَدَّةَ أَيَّامِهَا فَيَنْزِلُهُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرِجُ أى يرجع الأمر كله إِلَيْهِ مِنْ بَعْدِ وَجُودِهَا إِلَى مَا بَعْدَ فَنَائِهَا فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سِنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ فى الدُّنْيَا ذَلِكَ أى الذى يدبّر الأمر على النهج المذكور عَالِمُ الْغَيْبِ وَ الشَّهَادَةِ يَعْلَمُ مَا غَابَ عَنِ الْخَلْقِ وَ مَا يَشَاهِدُ وَ يَحْضُرُ، الْعَزِيزُ الْغَالِبُ عَلَى أَمْرِهِ الرَّحِيمُ بَعَادَهُ فى تَدْبِيرِ أَمْرِهِمْ مَعَاشًا وَ مَعَادًا الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ أى أَتَقَنَ وَ أَحْكَمَ خَلْقَ كُلِّ شَيْءٍ بِحَيْثُ أَعْطَاهُ وَ وَفَّرَ لَهُ مَا يَلِيقُ بِهِ طَبَقَ الْحِكْمَةِ وَ الْمَصْلَحَةِ. وَ يَدَّأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ فَالْقَمِيّ قَالَ: هُوَ آدَمُ وَ قَدْ مَرَّ تَفْسِيرُهُ وَ أَظْهَرَ فى سورة البقرة ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ أى ذُرِّيَّتَهُ مِنْ سِلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ أى ماءٍ ضَعِيفٍ وَ هِيَ النُّطْفَةُ الَّتِي انْسَلَتْ وَ انْفَصَلَتْ مِنَ الصُّلْبِ. ٩- ثُمَّ سَوَّاهُ ... أى قَوَّاهُ وَ أَتَمَّ تَصْوِيرَهُ بِأَنْ جَعَلَهُ بَشَرًا تَامَ الْخَلْقَةَ غَيْرَ أَنَّهُ مَا كَانَ فِيهِ رُوحٌ وَ نَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَ الرُّوحُ هُوَ الْعَنْصَرُ الْبَسِيطُ وَ اللَّطِيفُ الْقَدْسَى الصَّادِرُ عَنِ عَالَمِ الرُّبُوبِيَّةِ وَ الْإِضَافَةُ إِلَيْهِ تَعَالَى تَشْرِيفِيَّةٌ كَإِضَافَةِ الْبَيْتِ إِلَيْهِ. وَ جَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَ الْأَبْصَارَ أى خَلَقَ لَكُمْ أَيُّهَا الْبَشَرُ هَاتَيْنِ الْجَارِحَتَيْنِ لِتَسْمَعُوا الْمَسْمُوعَاتِ وَ تَبْصُرُوا الْمَبْصُورَاتِ وَ الْأَفْعَادَةَ أى وَ جَعَلَ لَكُمْ الْقُلُوبَ لِتَعْقِلُوا وَ تَتَدَبَّرُوا بِهَا قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ (ما) زَائِدَةٌ، أى: تَشْكُرُونَ شُكْرًا قَلِيلًا. ١٠ وَ ١١- وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فى الْأَرْضِ ... أى غَبَا فِيهَا بِالدَّفْنِ، أَوْ بِأَنْ صَرْنَا تَرَابًا مَخْلُوطًا بِتَرَابِهَا أَيْنَا لَفَى خَلْقٍ جَدِيدٍ أى يَجْدُدُ خَلْقَنَا وَ نَبْعَثُ. وَ الْاسْتِفْهَامُ إِنْكَارِيٌّ، أى لَا يَكُونُ ذَلِكَ أَبَدًا بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ أى هُمْ بِمَا وَعَدَ بِهِ رَبُّهُمْ مِنَ الثَّوَابِ وَ الْعِقَابِ جَاهِدُونَ وَ لَذَا صَدَرَ عَنْهُمْ هَذَا الْقَوْلُ. قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ أى يَقْبِضُ أَرْوَاحَكُمْ وَ يَسْتَوْفِي نَفُوسَكُمْ الَّذِي وَكَّلَ بِكُمْ أى فَوَّضَ إِلَيْهِ قَبْضَ أَرْوَاحِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ تَحْشَرُونَ لِلْحِسَابِ وَ الْعِزَاءِ. إِرْشَادُ الْأَذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ٢٢١ ١٢- وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُؤُسِهِمْ ... أى مَطَاطَنِي رُؤُوسِهِمْ مِنَ الذَّلِّ خَجَلًا وَ نَدَامَةً وَ الْمَرَادُ بِالْمُجْرِمِينَ بِقَرِينَةِ ذِيلِ الْآيَةِ خُصُوصَ الْمُنْكَرِينَ لِلْمَعَادِ فَالْإِلَامُ فِيهِ لَا تَخْلُو مِنْ مَعْنَى الْعَهْدِ، أى هُوَلَاءَ الَّذِينَ يَجْهَدُونَ الْمَعَادَ وَ يَقُولُونَ: أِذَا ضَلَلْنَا فى الْأَرْضِ ... إلخ. عِنْدَ رَبِّهِمْ فى مَوْقِفِ الْقِيَامَةِ عِنْدَ عَرْضِ الْأَعْمَالِ، رَبَّنَا أَبْصَرْنَا أَى قَائِلِينَ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا مَا وَعَدْتَنَا وَ سَجِعْنَا مِنْكَ تَصَدِيقَ رِسْلِكَ فَارْجِعْنَا إِلَى الدُّنْيَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ إِذْ لَمْ يَبْقَ لَنَا بَعْدَ هَذَا الْيَوْمِ شَكٌّ وَ شَبْهَةٌ بِمَا شَاهَدْنَاهُ. ١٣- وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى ... أى مَا يَهْتَدِي بِهِ إِلَى الْإِيمَانِ وَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ بِالْقَسْرِ وَ الْإِلْجَاءِ أَوْ بِالتَّوْفِيقِ، وَ لَكِنَّهُ خِلَافَ الْإِخْتِيَارِ فى التَّكْلِيفِ فَلَا نَفْعَ لَهُ وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي أى ثَبَتَ قَضَائِي وَ سَبَقَ وَعِيدِي لِلْأَمْلَانِ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ بِسُوءِ اخْتِيَارِهِمْ نَسْيَانِ الْعَاقِبَةِ وَ تَرْكِ التَّفَكُّرِ فِيهَا. وَ الْقَوْلُ الَّذِي حَقَّ وَ ثَبَتَ مِنْهُ هُوَ قَوْلُهُ لِإِبْلِيسَ عِنْدَ مَا

امتنع من السجود لآدم: فالحق والحق أقول لأملأن جهنم منك و ممن تبعك منهم أجمعين. ١٤- فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا ...
يعنى نتيجة ترك التذكر والتدبر و نسيان لقاء هذا اليوم هو أن تذوقوا العذاب الأليم، إِنَّا نَسِيْنَاكُمْ أَى جازيناكم بنسيانكم أو تركناكم
من رحمتنا عَذَابَ الْخُلْدِ أَى الدائم بما كُنتُمْ تَعْمَلُونَ من الكفر والمعاصي. ١٥- إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا ... خَرُّوا سُجَّدًا ... أَى كبوا و وقعوا
على وجوههم خضوعا و خشية لله تعالى و سَبَّحُوا أَى نزهوا ربهم عما لا يليق به بِحَمْدِ رَبِّهِمْ أَى متلبسين به و هُمْ لَا يَشْكُرُونَ عن
عبادته. ١٦- تَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ... أَى تتخى و تتباعد جنوبهم عن فرش نومهم و استراحتهم للتَهَجُّدِ خَوْفًا من عذابه و
طَمَعًا فى رحمته يُنْفِقُونَ فى طريق الخير. ١٧- فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ ... أَى لا يعلم أحد لا ملك مقرب و لا نبي مرسل ما أعد
الله لهم، و للمتجهدين و المنفقين فى سبيل الخير مِنْ قُرَّةٍ أَعْيَنٍ أَى ممَّا لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر جزاء بما
كَانُوا يَعْمَلُونَ من صلاة ليلهم و إنفاق أموالهم. ١٨- أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ ... هذا استفهام يراد به التقرير، أَى لا
يكون من هو مصدق بالله على الحقيقة عارفا به و أنبيائه و عاملا بما أوجبه الله عليه و ندبه إليه، مثل من هو فاسق خارج عن طاعة
الله، مرتكب لمعاصي الله فى منزله واحدة. ١٩- أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا ... أَى جنات يأوون إليها
هى عطاء خاص من الله لهم بما كانوا يَعْمَلُونَ أَى جزاء لأعمالهم الصالحة. ٢٠- وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا ... أَى خرجوا عن طاعة الله بالكفر
و المعاصي فَمَأْوَاهُمْ النَّارُ أَى المكان الذى يأوون إليه يوم القيامة هو النار كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا و الإعادة عبارة عن
خلودهم فيها، وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ إِهَانَةً لَهُمْ و زيادة فى غيظهم. الذى كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ أَى تجحدونه و لا تصدقون به. فإذا
بلغوا أسفلها زفرت بهم جهنم فإذا بلغوا أعلاها قمعوا بمقامع الحديد فهذه حالهم. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٢١ ٢٢- و
لَنَذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَذْنَى ... أَى فى الدنيا من مصائب القتل و الأسر و القحط، إذ لما كانت غاية إذقتهم العذاب رجوعهم المرجو
إلى الله بالتوبة و الإنابة كان عذاب الدنيا هو أدنى العذاب النازل بهم للتخفيف و الإنذار دون عذاب الاستئصال، و لذا عد عذاب
الدنيا العذاب الأدنى و لم يقل الأصغر حتى يقابل الأكبر لأن هذا لا يناسب من العذاب ما كان للإنذار و التخفيف. دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ
أَى قبل عذاب الآخرة لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ أَى لعل من بقى منهم يتوبون. ٢٢- وَمَنْ أَظْلَمُ ... إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ... أَى من كل آثم
و مجرم. فكيف مَن كان أظلم من كل ظالم؟ إذ لا أحد أظلم لنفسه ممن تبه على بينات الله و حججه التى توصله إلى الإيمان ثم لم
ينظر فيها. ٢٣- وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ ... أَى أعطينا موسى التوراة فلا تكن يا محمد فى شك من
لقائك موسى ليلة الإسراء. و قيل: يوم القيامة. و قيل: بأن الضمير فى لِقَائِهِ راجع إلى موسى بلحاظ كتابه التوراة و التقدير: فلا تكن فى
مريه من لقاء موسى الكتاب. و قيل أيضا: التقدير: من لقائك الكتاب أو من لقاء الكتاب إياك. و قيل: الضمير لما لقي موسى من
الأذى من قومه، و المعنى: فلا تكن فى مريه من لقاء الأذى كما لقيه موسى من قومه، و لا يخفى عدم مناسبة شىء من هذه الوجوه
لسياق الآية. وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَى التوراة أو المراد نفس موسى. ٢٤- وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً ... أَى أنه قد اهتدى من قوم موسى
جماعة و قفناهم لأن يكونوا قادة للدعوة و حملة لها، و قد كانوا يَهْدُونَ غيرهم من الناس إلى الإيمان بِأَمْرِنَا توفيقنا و إرادتنا لَمَّا صَبَرُوا
على ما كانوا يلقونه من الأذى و هؤلاء الأئمة كَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ لأنهم أمعنوا النظر بها فصَدَّقُواها و آمنوا بها إيماناً راسخاً. ٢٥- إِنَّ
رَبَّكَ هُوَ يُفَصِّلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ... أَى يميز بين المحق و المبطل منهم يوم القيامة فيما كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ من أمور الدين. ٢٦- أَوَلَمْ
يَهْدِ لَهُمْ ... أَى ألم يظهر لقريش و لم يتبين لهم كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ كثره من أهلكتهم يَمْشُونَ فى مَسَاكِينِهِمْ يعنى أهل
مكة يَمْشُونَ فى متاجرهم على ديارهم إِنَّ فى ذَلِكَ لآيَاتٍ أَفَلَا يَشْعُرُونَ أَى فى ذلك الإهلاك عبرة لمن سمع سماع تدبر و اتعاط.
٢٧- أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا ... إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ ... إلخ أَى الأرض الخالية من النبات. زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ كالتبن و الأوراق و الحشائش و
أَنْفُسُهُمْ كالحبوب و الأثمار أَفَلَا يُبْصِرُونَ تلك الأمور المحسوسة الواضحة فيستدلون بها على كمال قدره خالقها. ٢٨- وَ يَقُولُونَ مَتَى
... إِنَّ كُنتُمْ صَادِقِينَ ... أَى فى الوعد به و بآتيانه. فمتى يكون الفتح الذى تعدون الناس به؟ ٢٩- قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ ... إلخ أَى يوم
القيامة لا ينفعهم إيمانهم و لا هُمْ يُنْظَرُونَ و لا يمهلون حتى يؤمنوا. ٣٠- فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ ... أَى تكزما و انتظر الغلبة عليهم إِنَّهُمْ مُنْتَظَرُونَ

الغلبة عليك. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٤٢٣

سورة الأحزاب مدنية، عدد آياتها ٧٣ آية

١- يا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ ... لعل أمره صلوات الله عليه بالتقوى أمراً بالمداومة، وإلا فهو صلوات الله عليه كان متقياً. و عليه فالمعنى: اثبت على تقوى الله و دوام عليها. وَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ وَ الْمُنَافِقِينَ نزلت في أبي سفيان بن حرب و عكرمة بن أبي جهل و أبي الأعور السلمي، فإنهم بعد واقعة أحد طلبوا من النبي (ص) الأمام و جاؤوا إلى المدينة ليتفاهموا مع النبي (ص) و نزلوا على عبد الله بن أبي و عبد الله بن أبي سلول زعيمى المنافقين فقام هؤلاء الثلاثة مع رؤساء كفره قريش. و المراد بالشريفة و لَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ هؤلاء الثلاثة الذين قام معهم عبد الله بن أبي و عبد الله بن سعد بن أبي سرح و طعمة بن أبيرق، فهم الذين عبر عنهم في الآية بالمنافقين، فدخلوا على رسول الله فقالوا يا محمد ارفض ذكر آلهتنا اللات و العزى و مناة و قل إن لها شفاعه لمن عبدها، و ندعك و ربك. فشق ذلك على رسول الله (ص) فأمر بإخراجهم من المدينة فنزلت الكريمة: ٢- وَ اتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ ... أى القرآن- و خبيراً لا- يخفى عليه شيء من أعمالكم فيجازيكم بها. ٣- وَ تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَ كَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ... أى قائماً بتدبير أمورك حافظاً لك و دافعاً عنك. ٤- مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ... أى ما خلق أحداً و فى جوفه قلبان فكيف يقوم أمر الكون و له إلهان؟ و هذا رد لما زعمت العرب من أن الليب الأريب الحفيظ له قلبان. وَ مَا جَعَلَ أَرْوَاجَكُمْ لِلأَيْ تَظَاهَرُونَ مِنْهُنَّ أُمّهَاتِكُمْ وَ الظَّهَارُ قول الرجل لامرأته: (أنت على كظهر أمي) و كانت العرب فى الجاهلية تطلق نساءها هكذا، فجاء الإسلام و نهى عنه و أوجب الكفارة على المظاهر و ما جعل أَدْعِيَاءَكُمْ أبنَاءَكُمْ جمع دعوى و هو الذى يتبناه الإنسان فبين سبحانه أنه ليس ابنا على الحقيقة و الغرض رفع قاله الناس عنه (ص) حين تزوج زينب بنت جحش بعد أن طلقها زيد بن حارثة الذى كان (ص) قد تبناه حين قالوا: إنه تزوج امرأة ابنه ذلكم قولكم بأفواهكم أى هذه النسبة فى قولكم (إن الدعوى ابن) قول أفواهى ليس له حقيقة، و الله يقول الحق أى كل ما يقوله تعالى فهو الحق و لا بد من أن يتبع و هو يهتدى السبيل أى يرشد إلى طريق الحق. ٥- اذْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ ... أى انسبهم لآبائهم الذين ولدوهم هو أفسط عند الله فهو أعدل و أصدق عنده، و إن لم تعرفوا آباءهم فأخوانكم فى الدين أى فهم إخوانكم فى الإسلام و مواليتكم أولياؤكم فيه فقولوا للواحد منهم: يا أخى ... يا مولاي و لا- إثم عليكم فيما أخطأتم به من نسبة النبوة إلى المتبين قبل النهى أو لسبق اللسان و لكن ما تعمدت قلوبكم أى يكون الجناح و الإثم فيما قصدتموه من دعائهم و نسبتهم إلى غير آبائهم و كان الله عفوراً للمخطئ رحيماً بالعفو عن العادم إن تاب. ٦- النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ... أى أولى بهم منهم بأنفسهم .. قيل فى معناه أنه أحق بتدبيرهم و حكمه عليهم أنفذ من حكمهم على أنفسهم. أو إذا دعيتهم أنفسهم إلى شيء و دعاهم النبي إلى آخر فدعوته أولى بالرعاية و الطاعة من دعوتهم و أزواجه أُمّهاتُهُم أى كأمهاتهم فى التحريم مطلقاً و فى استحقاق التعظيم ما دمن على طاعة الله و رسوله. و أولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض أى ذوو القربات بعضهم أحق فى الإرث و أولى ببعض. فى كتاب الله أى فى اللوح أو القرآن من المؤمنين و المهاجرين أى الأنصار و المهاجرين فإن المؤمنين هم الأنصار بقرينه التقابل إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفاً إلى محبيكم من الأنصار و المهاجرين وصية بأموالكم أن تعطوهم فى دبر وفاتكم. أو المراد بالمعروف هو إعطاؤهم فى حال حياتكم. كان ذلك أى كل ما ذكر فى الآيتين فى الكتاب مسطوراً فى القرآن أو فى اللوح المحفوظ ثابتاً. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٤٢٤-٧ و إِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ ... أى اذكر يا محمد حين أخذنا من الأنبياء و الرسل ميثاقهم و عهدهم بتبليغ الرسالة و إضافه الميثاق إلى ضمير النبيين دليل على أن المراد بالميثاق ميثاق خاص بهم و هو غير الميثاق المأخوذ من عامة البشر الذى يشير إليه فى قوله سبحانه فى سورة الأعراف/ ١٧٢: وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَ أَشْهَدَهُمْ ... إلخ. و قد ذكر النبيين بلفظ عام يشمل الجميع ثم سمي خمسة منهم بأسمائهم بالعطف عليهم فقال: وَ مِنْكَ وَ مِنْ نُوحٍ وَ إِبْرَاهِيمَ وَ مُوسَىٰ وَ عِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ إِنَّمَا قَدَّمْنَا نَبِيَّنَا لِفَضْلِهِ وَ شَرَفِهِ، و إنما خصوا بالذكر بعد التعميم لأنهم أولو العزم من الرسل و أخذنا منهم ميثاقاً غليظاً أى عهداً شديداً بالوفاء بما حملوا من

اعباء الرسالة. ٨- لَيْسَ لَكَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ ... إلخ أى لأنه تعالى يسأل الصادقين عن صدقهم فى تبليغ الرسالة وقيل: ليسأل الصادقين فى أقوالهم عن مدى صدقهم فى أفعالهم. وقيل غير ذلك. ٩- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ... إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ ... أى الأحزاب و كانوا جميعا عشرة آلاف نفر و ذلك فى غزوة الخندق فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا أى الدبور و يظن أنها ريح العذاب. وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا أى الملائكة، وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا من حفر الخندق و غيره من الاستعداد لهم. ١٠- إِذْ جَاؤُكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ ... أى من أعلى الوادى وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ من أسفلها وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ مالت عن مقرها خوفا و دهشا وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ فرعا إِذْ عِنْدَ الشَّدَةِ تنتفخ الرئة فترتفع عن مقرها الطَّيْبِعى إلى الحنجرة و هى منتهى الحلقوم فلو لا- أن ضاق الحلقوم عنها أن تخرج لخرجت. وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا يعنى أيها المسلمون ظننتم بربكم ظنونا مختلفة، فالثابتون على الإيمان كانت عقيدتهم النَّصْر و إنجاز الوعد بالغلبة، و المنافقون ظنوا باستئصالهم و غلبة الكفار. ١١- هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ ... أى اختبروا أو امتحنوا ليميز الله المؤمن من المنافق وَزُلْزِلُوا زَلْزَالًا شَدِيدًا ترعزوا من شدة الدهشة و الاضطراب. ١٢- وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ... أى ضعف إيمان و شك ما وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنَ الظَّفَر و إعلاء الدين إِلَّا غُرُورًا وعدا باطلا. ١٣- وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ ... أى يا أهل المدينة ليس هنا موضع قيامكم فَارْجِعُوا إِلَى مَدِينَتِكُمْ و منازلكم، وَصَارُوا يَقُولُونَ: إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ أى غير حصينة و ما هِيَ بِعَوْرَةٍ بل هى حصينة و ليست مكشوفة لأحدٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا أى لا يريدون إلا هربا من القتال من شدة خوفهم. ١٤- وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ ... أى لو دخل هؤلاء الذين يريدون القتال و هم الأحزاب على الذين يقولون إن بيوتنا عورة و هم المنافقون مِنْ أَقْطَارِهَا أى من جميع نواحي المدينة أو البيوت ثُمَّ سَيِّئُوا الْفِتْنَةَ بعد الدخول و دعوا من الأحزاب و المنافقين إلى الشُّرْك، لَأَتَوْهَا لِأَجَابِهِمْ و مَا تَثَبُّوا بِهَا إِلَّا سَيْرًا و ما احتبسوا و لا تعللوا عن إجابة الأحزاب إلى الشُّرْك إلا قليلا. ١٥- وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ ... إلخ أى بنو حارثة و من معهم لَمَّا قَصَدُوا الْفِرَار يوم أحد قبل معركة الخندق هذه فندموا على فعلهم و عاهدوا الله أن لا يَفْرُوا بعد ذلك أبداً وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا عن الوفاء به. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ١٦٤٢٥- قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ ... أى لن تمتنعوا بالفرار مِنَ الْمَوْتِ حتف الأنف أو القتل فى وقت معين وَإِذَا لَا تُمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا تمتعوا فى زمان قليل بعد هذا الفرار ثم تموتون قتلا أو موتا طبعيا. ١٧- قُلْ مَنْ ذَا الَّذِى يَعْصِيكُمْ مِنَ اللَّهِ ... أى من الذى يدفع عنه قضاء الله إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا عَذَابًا و عقوبة أو أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً أى عزا و نصرا أو هم لا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ غَيْرَهُ وَلَيَّا يَنْفَعُهُمْ وَلَا نَصِيرًا يدفع عنهم الضرر و السوء. ١٨- قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ ... أى القاعدين و المتخلفين عن مقاتلة الأحزاب مع النبى (ص) أو هم الذين يمنعون عن نصره النبى. وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا أى اليهود قالوا لا-إخوانهم المنافقين تعالوا و أقبلوا إلينا و اتركوا محمدا (ص) وَ لَا يَأْتُونَ الْبَاسَ إِلَّا قَلِيلًا أى المنافقون لا يحضرون القتال فى سبيل الله إِلَّا قَلِيلًا منهم، أو لا يقاتلون إلا كارهين. ١٩- أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ... أى بخلاء عليكم بالمعونة أو بالنفقة فى سبيل الله أو بكليهما فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ حَلَّ بِهِمُ الْفِرَاحُ حين تدور الحرب رَأَيْتَهُمْ يَا مُحَمَّد و هم ينظرون إليك و إلى المعركة تَدَوَّرَ أَعْيُنُهُمْ تتحرك أحداقهم يمنة و يسرة كَالَّذِى يُغْشى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ كالمغشى عليه فى سكراته، و ذلك لغلبة الخوف و الفرع فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِالسِّنَةِ حَدَادٍ أى يؤذونكم و يزعونكم ببذى الكلام أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ يعنى بخلاء عند تقسيم الغنيمة يجادلون و يناقشون طلبا لمزيد حصتهم أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا عَلَى وَجْهِ الْإِخْلَاصِ باطنا، فَأَخْطِطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ أى أظهر بطلانها و عدم ترتب الثواب عليها بسبب نفاقهم وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا أى كان الإحباط لأعمالهم عليه سبحانه هينا. ٢٠- يَخْسِبُونَ الْمَآخِزَ لَمْ يَذْهَبُوا ... أى المنافقون كانوا يظنون لجبنهم أَنَّ الْأَحْزَابَ لَمْ يَنْهَزُوا و ينصرفوا و الواقع أنهم انصرفوا وَإِنْ يَأْتِ الْمَآخِزَ كَرَّةً ثَانِيَةً يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فى الْأَغْرَابِ أى يتمنى هؤلاء المنافقون أن يكونوا فى البداية مع الأعراب يَسْتَلُونَ كُلَّ قَادِمٍ من طرف المدينة عَنْ أُنْبَائِكُمْ عن أخباركم وَ لَوْ كَانُوا فِيكُمْ فى هذه الكرة مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا أى لم يقاتلوا معكم الأحزاب إِلَّا قَدَرًا يسيرا، رياء و خوفا من العار. ٢١- لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فى رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ... أى لقد كان لكم معاشر المكلفين به (ص) قدوة حميدة، لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ يَطْلُبُ رِضَاهُ وَ الْيَوْمَ الْآخِرُ يَخَافُ سَوْءَ مَنْقَلَبِهِ فِيهِ وَ ذَكَرَ اللَّهُ كَثِيرًا فلم ينسه فى حال من الأحوال فكان ذلك موجبا لإطاعته فى تكاليفه. ٢٢- وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْمَآخِزَ ...

أى حين نظروا إليهم يوم الخندق قالوا فى أنفسهم: هذا ما وعدنا الله ورسوله من حرب الكفار والنصر عليهم وصدق الله ورسوله فى كل ما يصدر عنهما وما زادهم هذا المشهد الذى ينذر بالقتل والقتال إلّا إيماناً بما هم عليه من الحق وتسلماً انقياداً لأمر الله سبحانه وأمر رسوله (ص). إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٢٣ ٢٢٦- من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ... أى تجد بين المؤمنين بالله ورسوله رجالاً- امتازوا عن غيرهم بصدق العهد الذى أعطوه لله تعالى على أنفسهم من نصر دينه وإعلاء كلمته والجهاد مع رسوله (ص) والثبات معه، فمنهم من قضى نحبه أى استشهد على ما عاهد الله عليه ومنهم من ينتظر الشهادة فى سبيل الله وما بدّلوا تبديلاً العهد مع الله ورسوله ولا غيره. ٢٤- ليجزى الله الصادقين بصدقاتهم ... ليشيهم على إيمانهم وتصديقهم ويعذب المنافقين لنقضهم العهد إن شاء أى إذا أراد وإذا لم يتوبوا أو يتوب عليهم إذا تابوا وندموا على ما كان منهم إن الله كان عفواً رحيماً لمن تاب وعمل عملاً صالحاً. ٢٥- ورد الله الذين كفروا ... وهم الأحزاب، يعطيهم بحنقهم الذى جاؤوا به فلم يشف غليلهم لم ينالوا خيراً لم يصيبوا ظفراً ولا ذاقوا غلبه وكفى الله المؤمنين القتال أى مباشرة القتال بما أنزل على المشركين من الريح العاتية وألقى فى قلوبهم الرعب وكان الله قوياً على ما أراد عزيزاً غالباً على كل شىء. ٢٦- وأنزل الذين ظاهروهم ... إلخ ومعناها أن الله تعالى أخرج الذين عاونوا الأحزاب، وهم اليهود من بنى قريظة الذين نقضوا عهدهم مع الرسول لينصروا الأحزاب، من حصونهم وقذف فى قلوبهم الرعب أى ألقى سبحانه الخوف من رسوله ومن المؤمنين فى قلوبهم. فريقاً تقتلون وهم الرجال من بنى قريظة وتأسرون فريقاً وهم النساء. ٢٧- وأورثكم أرضهم وديارهم ... يعنى أعطاكم بعد قتلهم والانتصار عليهم مزارعهم وحصونهم وأموالهم المنقولة وأرضاً لم تطوها لم تذهبوا إليها ولم تأخذوها بعد ولعلها أرض خبير وكان الله على كل شىء قديراً واضح المعنى. ٢٨- يا أيها النبي ... شأن نزول المباركة أن النبي الأكرم لما رجع من فتح خيبر بعد ما أصاب كثر آل أبى الحقيق وأموالاً- كثيرة بحيث توقع أزواجه شيئاً من تلك الأموال وقلن أعطنا ممّا أصبت. فقال (ص): قسّمته بين المسلمين على ما أمر الله فغضب من ذلك وقلن لعلك ترى أنك إن طلقنا أن لا نجد الأكفاء من قومنا يتزوجونا؟ فأمره سبحانه أن يعتزلهن فاعتزلهن فى مشربه أم إبراهيم تسعة وعشرين يوماً حتى حضن وطهرن. ثم أنزل الله عز وجل هذه الآية التى تسمى آية التخيير قل لأزواجك إن كنتم تردن الحياة الدنيا وزينتها أى السعة والتنعم فيها وزخارفها فتعالين أمتكنن أعطيكن متعة الطلاق وقيل هى توفير المهر بتمامه أو المهر مع الزيادة وأسرحنن سراحاً جميلاً أطلقكن طلاقاً لا ضرار فيه. ٢٩- وإن كنتم تردن الله ورسوله والدار الآخرة ... إلخ فتبين عن قولكن واخترن الله ورسوله والدار الآخرة بدل الدنيا. وللمحسنات منكن أجر عظيم ... وقد تاب الله سبحانه عليهن فأمر النبي بالرجوع إليهن. ٣٠- يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة ... أى بمعصية شنيعة ظاهرة يضاعف لها العذاب ضِعْفَيْن أى مثلى عذاب غيرهن لأن الذنب منهن أقبح وكان عذابها على الله يسيئاً هيناً. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٢٧ ٣١- ومن يقنت منكن ... أى تدوم على الطاعة وقيل: القنوت: الخضوع، وقيل: هو لزوم الطاعة مع الخضوع. وتعمل صالحاً عملاً خالصاً لله تؤتيها أجرها مرتين أى مثلى أجر غيرها وأعتدنا لها هياتنا لها رزقاً كريماً زائداً على أجرها المستحق لعملها. والرزق الكريم مصادقه الجنة. ٣٢- يا نساء النبي لئن كآخدين من النساء ... أى: ليس قدركن كقدر غيركن من الصالحات. أنتن أكرم على وأنا بكن أرحم، وثوابكن أعظم لمكانكن من رسول الله (ص) وتدل الآية على تأكد تكاليفهن ومضاعفة جزائهن خيراً أو شراً ولا يخفى أن مضاعفة الجزاء لا- تنفك عن تأكد التكليف. إن اتقنن فإن الله سبحانه شرط عليهن التقوى ليعين أن فضلهن بالتقوى لا باتصالهن بالنبي فلا يغتررن بذلك فلا- تخضعن بالقول أى فلا تتكلمن بالقول اللين مع الأجانب مثل تكلم المربيات، فالخضوع بالقول هو ترقيق الكلام وتليينه مع الرجال فيطمع الذى فى قلبه مرض أى مرض الريبة والفجور ... وقلن قولاً معروفاً بعيداً عن الطمع والريبة وبكيفية طبعية متعارفة. ٣٣- وقرن فى بيوتكن ... أى اثبتن فى منازلكن والزمنها ولا- تبرجن تبرج الجاهلية الأولى لا تظهرن زينتكن للأجانب من الرجال مثل تبرج نساء الجاهلية قبل الإسلام وأطعن الله ورسوله أى كما أنكن مأمورات من عند الله ورسوله بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة كذلك لا بد لكن أن تطعن إياهما فى سائر ما أمركن به ونهايكن عنه إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت المراد

بالرجس هو الذنب والعصيان. وإنما أراد سبحانه بحصر الإذهاب فيهم لإفهام البشر أجمعين أن أهل بيت نبيه (ص) وهم الخمسة أصحاب الكساء والتسعة المعصومين من ذرية الحسين (ع) هم أشرف مخلوقاته من الأولين والآخرين وليس لأحد أن يزاحمهم في مناصبهم ويشاركهم في مناقبهم التي اختصهم الله بها والمراد بالإرادة إرادته التكوينية سبحانه لا التشريعية لأنهم (ع) لا اختصاص للتشريع بهم وإنما هو عام للمكلفين وَيُطَهِّرُكُمْ تَطْهِيراً من جميع المآثم. ٣٤- وَأَذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ ... إلخ قيل معناه: اشكرن الله تعالى إذ صيركن بتوفيقه لكن في بيوت يتلى فيها الوحي والسنة، أي الآيات التي يوحى بها إلى النبي والحكمة أقوال النبي الأكرم. وقيل معنى الشريعة: احفظن ما يتلى عليكم من القرآن لتعملن به. إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا فِي تَدْبِيرِ خَلْقِهِ خَيْرًا بِمَصَالِحِهِمْ. ٣٥- إِنَّ الْمُسْلِمِينَ ... وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ ... أي الدائمين على الطاعة والمقابلة بين الإسلام والإيمان تفيد مغايرتهما نوعاً من المغايرة، وذلك واضح لأن الإسلام هو تسليم الدين بحسب العمل وظاهر الجوارح في حين أن الإيمان أمر قلبي واعتقاد وإذعان باطن يترتب عليه عمل الجوارح. وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ فِي أَقْوَالِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ عَلَى الْبَلَاءِ وَالْقِيَامِ بِالطَّاعَاتِ وَالْخَاشِعِينَ الْمُتَوَاضِعِينَ وَالْمُتَصَبِّحِينَ وَالْمُتَصَبِّحَاتِ بِمَا فَرَضَ عَلَيْهِمْ أَوْ الْأَعْمَ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ عَنِ الْحَرَامِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ لَدُنُوبِهِمْ وَأَجْرًا عَظِيمًا عَلَى طَاعَتِهِمْ. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٤٢٨ ٣٦- وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ ... نَزَلَتْ فِي زَيْنَب بِنْتِ جَحْشِ الْأَسَدِيَّةِ خَطْبُهَا رَسُولُ اللَّهِ عَلَى مَوْلَاهُ زَيْدَ بْنِ حَارِثَةَ وَرَأَتْ أَنَّهُ يَخْطُبُهَا لِنَفْسِهِ فَلَمَّا عَرَفَتْ أَنَّهُ يَخْطُبُهَا عَلَى زَيْدِ ابْنَتِهَا أَنْكَرَتْ وَقَالَتْ أَنَا ابْنَةُ عَمَّتِكَ فَلَمْ أَكُنْ لِأَفْعَلْ، وَكَذَا أَبِي أَخُوهَا عَبْدُ اللَّهِ. فَنَزَلَتْ الْآيَةُ الْمُبَارَكَةُ لِتَأْدِيبِ النَّاسِ وَبَيَانِ عَظَمِ شَأْنِ رَسُولِهِ (ص) وَالْمَعْنَى مَا صَحَّ لِرَجُلٍ مُؤْمِنٍ كَعَبْدِ اللَّهِ ابْنِ جَحْشٍ وَلَا لَامْرَأَةٍ مُؤْمِنَةٍ كَزَيْنَب بِنْتِ جَحْشٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَيْ أَوْجَبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَيْ أَلْزَمَاهُ وَحُكْمًا بِهِ أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ أَيْ الْاِخْتِيَارُ بِتَقْدِيمِ أَمْرِهِمْ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ. وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا أَيْ وَمَنْ يَخَالِفُهُمَا فِيمَا يَحْكُمَانِ فَقَدْ ذَهَبَ ذَهَابًا بَعِيدًا عَنِ الْحَقِّ. وَبَعْدَ نَزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ قَالَتْ زَيْنَبُ يَا رَسُولَ اللَّهِ جَعَلْتَ أَمْرِي وَاخْتِيَارِي بِيَدِكَ فَزَوَّجَهَا إِيَّاهُ. ٣٧- وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ ... أَيْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِالْهَدْيَةِ إِلَى الْإِيمَانِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ بِالْعِتْقِ وَهُوَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ أَمْسَكَ عَلَيْكَ زَوْجَكَ أَيْ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ وَاتَّقِ اللَّهَ فِي أَمْرِهَا وَمُفَارَقَتِهَا وَمُضَارَعَتِهَا فَلَا تَطْلُقْهَا وَتُخْفِ فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ يَعْنِي أَذْكَرَ يَا مُحَمَّدُ الَّذِي كُنْتَ تَعْرِفُهُ وَتُخْفِيهِ فِي نَفْسِكَ وَاللَّهُ تَعَالَى مَظْهَرُهُ وَهُوَ نَكَاحُكِ لَهَا بَعْدَ طَلَاقِهَا، وَتُخْشَى النَّاسَ أَنْ يَعْتَبِرُوكَ بِالتَّزْوُجِ مِنْ مَطْلُوقَةٍ رَجُلٌ كُنْتَ تَتَّبَعُهُ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تُخْشَاهُ أَيْ أَنَّهُ أَوْلَى بِالْخَوْفِ مِنَ النَّاسِ. فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكِهَا أَيْ حَاجَتَهُ مِنْ نِكَاحِهَا وَطَلَقِهَا وَانْقَضَتْ عِدَّتُهَا. أَذْنًا لَكَ فِي الزَّوْاجِ مِنْهَا. لَكِنَّ لَا يَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ أَيْ فِي نِكَاحِ أَزْوَاجٍ مِنْ يَدْعُونَهُمْ أَبْنَاءَ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا إِذَا طَلَّقُوهُنَّ بِاخْتِيَارِهِمْ بَعْدَ قَضَاءِ حَاجَتِهِمْ مِنْهُنَّ، وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا أَيْ قَضَاؤُهُ كَانًا لَا مُحَالَه. ٣٨- مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ ... أَيْ ضَيْقٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ أَيْ أَوْجَبَهُ وَقَسَمَ لَهُ مِنَ التَّرْوِيجِ بِأَمْرَةِ الْابْنِ الْمُتَبْنَى، سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ أَيْ نَفَى الْحَرَجَ أَوْ تَعَدَّدَ الْأَزْوَاجَ لَيْسَتْ مِنْ خِصَائِصِهِ بَلْ كَانَتْ سُنَّةَ جَارِيَةٍ سَنَّاهُ اللَّهُ فِي السَّابِقِينَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا أَيْ حَتْمًا مُقَضًيًا. ٣٩- الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ ... أَيْ الْأَنْبِيَاءُ الَّذِينَ يُؤَدُّونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ الَّتِي حَمَلُوهَا إِلَى الْأُمَمِ الَّتِي بَعَثُوا إِلَيْهَا وَلَا يَكْتُمُونَ مِنْهَا شَيْئًا وَيَخْشَوْنَ يُخَافُونَهُ وَحْدَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالْأَدَاءِ وَالتَّبْلِغِ. وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا أَيْ كَافِيًا وَمُحَافِظًا وَمَحَاسِبًا لِأَعْمَالِ الْعِبَادِ وَمَجَازِيَا عَلَيْهَا. ٤٠- مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ ... أَيْ لَيْسَ مُحَمَّدُ أَبَا حَقِيقَتِي لِلرِّجَالِ الَّذِينَ لَمْ يَلِدْهُمْ حَتَّى تَتَحَقَّقَ حَرَمَةُ الْمَصَاهِرَةِ فَتَحْرُمَ نِسَاؤُكُمْ عَلَيْهِ وَلِذَا فَهُوَ لَيْسَ بِأَبٍ لَزَيْدٍ حَتَّى تَحْرُمَ زَوْجَتُهُ عَلَيْهِ (ص) وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ أَيْ وَلَكِنْ رَسُولُ اللَّهِ لَا- يَتْرَكَ مَا فَرَضَهُ اللَّهُ لَهُ بِسَبَبِ مَقَالَةِ الْجَاهِلِينَ. وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ أَيْ خَتَمَتِ النَّبُوَّةُ بِهِ فَحَلَّاهُ حَلَالَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَحَرَامَهُ كَذَلِكَ، وَشَرَعَهُ نَاسِخَ لَجَمِيعِ الشَّرَائِعِ. وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا وَاضِحَ الْمَعْنَى. ٤١ وَ ٤٢- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ... أَيْ عَلَى كُلِّ حَالٍ وَبِكُلِّ مَا هُوَ أَهْلُهُ. وَاخْتَلَفُوا فِي الذِّكْرِ أَيْ شَيْءٌ هُوَ؟ فَقِيلَ هُوَ التَّسْبِيحَاتُ الْأَرْبَعُ وَقِيلَ هُوَ قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ وَسَبَّحُوهُ قُدْسُوهُ وَنَزَّهُوهُ بُكْرَةً وَأَصَةً أَيْ أَوَّلَ النَّهَارِ وَآخِرَهُ. ٤٣- هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ ... وَالصَّلَاةُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى هِيَ الرَّحْمَةُ، وَمِنَ الْمَلَائِكَةِ الْاسْتِغْفَارُ. لِتُخْرِجَكُمْ مِنَ

الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ أى من الكفر إلى الإيمان، و من الجهالة إلى المعرفة. و هذا عِلَّةٌ لصلاته سبحانه و صلوات ملائكته على المؤمنين الذين يرحمهم و يرأف بهم. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٢٩٩ ٤٤- تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ ... و المعنى: تحية الله للمؤمنين عند الموت، أو عند البعث أو يوم القيامة و حين الدخول فى الجنة هو السلام المبشّر بالسلامة من كل المخاوف و الأهوال. وَ أَعِدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا هَيَّا لَهُمْ ثَوَابًا عَظِيمًا. ٤٥ و ٤٦- يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَ مُبَشِّرًا وَ نَذِيرًا ... أى شاهدا على أمتك بطاعتهم و معصيتهم، و مبشرا للمطيع بالجنة و نذيرا للعاصى بالنار و شهادته (ص) على الأعمال أن يتحملها فى هذه الدنيا و يؤديها يوم القيامة، فهو (ص) شهيد الشهداء. وَ دَاعِيًا إِلَى اللَّهِ إِلَى تَوْحِيدِهِ وَ طَاعَتِهِ بِإِذْنِهِ أى بأمره و سراجاً مُبِيناً أى مصباحاً تنجلي به ظلمات الضلال. بحيث يهتدى الناس به إلى سعادتهم و ينجون من ظلمات الشقاء و الضلالة و فيه نحو كناية استعارية. ٤٧- وَ بَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ... أى زيادة على ما يستحقونه من الثواب على أعمالهم، أو فضلا على سائر الأمم. ٤٨- وَ لَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ ... أى كن ثابتاً على عدم الاعتناء بشأنهم. وَ دَعُ أَذَاهُمْ أى أعرض عن إيذائهم إياك، وَ تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فهو كافيك فى دفع ضررهم عنك وَ كَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا فى تفويض أمرك إليه فى جميع الأحوال. ٤٩- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ... مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُمْ ... أى من قبل أن تجمعوهم فما لكم عليهم مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا تستوفون عددها، فَمَتَّعُوهُمْ المراد بالمتع هاهنا ما وصلت به و أعطيت بعد الطلاق، و هى متعة الطلاق. و هذا إذا لم يفرض لها مهراً وَ سَرَّحُوهُمْ سَرَاحًا جَمِيلًا أى خلوا سبيلهن من غير إضرار و لا منع حقهن. ٥٠- يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ... يَا مُحَمَّدُ إِنَّا أَهْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أَجُورَهُنَّ أى دفعت مهورهن التى جعلتها لهن. وَ مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ أى أهللنا لك نكاح المسيبات من الإماء كصفية التى هى من غنائم خير و أمثالها. وَ بَنَاتِ عَمِّكَ إِلَى أَنْ يَقُولَ اللَّاتِي هَاجِرُونَ مَعَكَ و هذا قيد للأفضلية لا للحلية فإنهن حلالن مطلقا. نعم قيل: يحتمل أن يكون قيدا لإحلال المذكورات فى حقه (ص) خاصة. وَ امْرَأَةٌ مُؤْمِنَةٌ إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا أى أهللنا لك امرأة مؤمنة إذا اتفق أنها وهبت نفسها فقبلها النبى (ص) بلا عقد مهر. خَالِصَةً لَكَ إِنْ هَذَا إِذْ بَانَ الْحُكْمُ مِمَّا خَصَّ بِهِ (ص) لنبوته فلا يحل لغيره من المؤمنين. فهذه أصناف سبعة من النساء أهلها الله لنبيه (ص). و قد ورد فى الدر المنثور عن على بن الحسين (ع) فى قوله: و امرأة مؤمنة ... هى أم شريك الأزدية التى وهبت نفسها للنبي (ص). قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فى أَزْوَاجِهِمْ وَ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ أى أننا قد علمنا ما فرضنا على المؤمنين فى أزواجهم من حيث العدد و الحصر و المهر و كذلك فى ملك اليمين لهم و لكن وضعناه عنك تخفيفا عنك و تشريفا لك و فيه تقرير لحكم الاختصاص. لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ أى ضيق و إثم فى باب النكاح. و هو تعليل لقوله فى صدر الآية: إِنَّا أَهْلَلْنَا لَكَ، أو لما فى ذيلها من حكم الاختصاص. وَ كَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا مر معناه. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٤٣٠ ٥١- تُرْجَى مَنْ تَشَاءُ مِنْهُمْ ... أى تؤخرها و تترك مضاجعتها. و قد يكون الإرجاء هنا كناية عن الرد. أو المراد تطلقها وَ تَوَوَّى إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ أى تضم إِلَيْكَ و تمسك من تشاء و نكحها. و الإيواء: الإسكان و هو كناية عن القبول. و الآية بملاحظة سياقها تدل على أنه (ص) مخير بين قبول من وهبت نفسها له ورده. وَ مَنْ ابْتَغَيْتْ أى طلبت، و تريد أن تؤوى إليك مِمَّنْ عَزَلْتَ من النساء اللواتى هجرتهن أو من النساء اللاتى رددتهن فلم تقبلهن عند هبتهن أنفسهن لك. فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ فى ذلك كله ذَلِكَ أى التفويض إلى مشيئتكم أذنى أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ أى أقرب إلى سرورهن لرؤية ما كنَّ متشوقات إليه، و ذلك لسرور المتقدمة بما قسمت لها و رجاء المتأخرة أن تتقدم بعد. وَ لَا يَحْزَنَ وَ يَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْنَهُنَّ كُلُّهُنَّ فتطمئن نفوسهن لأن الحكم فيهن كلهن سواء. وَ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا فى قُلُوبِكُمْ أى من الرضا و السخط و الميل إلى بعض النساء دون بعض وَ كَانَ اللَّهُ عَلِيمًا بما فى الصِّدُورِ حَلِيمًا رؤفا لا يعجل بالعقوبة. ٥٢- لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ ... أى بعد النساء اللواتى أهللناهن لك وَ لَا أَنْ تَبْدَلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ أى وَ لَا يَحِلُّ لَكَ أَنْ تَبْدَلَ مِنْ هَؤُلَاءِ التسع بغيرهن بأن تطلق واحدة منهن و تأخذ بدلها من غيرهن. وَ لَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ أى حسن المحرمات عليك إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ أى: لكن ما ملكت يمينك فيحل لك من الكتابيات و غيرهن. و هو استثناء من قوله فى صدر الآية: لَا يَحِلُّ لَكَ النساء. وَ كَانَ اللَّهُ ... رَقِيبًا أى حفيظا على كل شىء. ٥٣- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ... إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ ... أى تدعون إلى أكل الطعام غَيْرِ نَازِلِينَ إِنْهَاءً أى حال كونكم لا

تنتظرون وقت الطعام أو بلوغه وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا، فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا أى بالخروج من بيت النبي (ص) وَلَا مُسْتَأْنَسِينَ لِحَدِيثِ
أى ولا تدخلوا فتعدوا بعد الأكل متحدثين يحدث بعضهم بعضا لتؤنسوه إِنَّ ذَلِكَمُ الْفَعْلُ مِنْكُمْ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيُّ لَضِيقِ الْمَنْزِلِ عَلَيْهِ وَ
على أهله فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ أى من إخراجكم وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ أى من كلام الحق فيأمركم بالخروج بعد الطعام وإذا
سَاءَلْتُمُوهُمْ مَتَاعاً أى مِمَّا يحتاج إليه و ينتفع به و هو كناية عن تكليمهن لحاجة. فَسَيُلَوِّهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أى من وراء الستر ذَلِكَمُ
أَطْهَرُ لِقَابِكُمْ وَقُلُوبُهُنَّ مِنَ الزَّيْبِ و الخواطر الشيطانية و فيه بيان لمصلحة هذا الحكم الإلهي. و ليس لكم أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ أى
بنكاح أزواجه أو بطول الجلوس عنده فى بيته أو بالتكلم مع نسائه من غير وراء الستر، أو الدخول عليه بلا استئذان منه (ص) وَلَا أَنْ
تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا لَأَنَّهُنَّ بِمَنْزِلَةِ أَمَهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ. إلى أن يقول: عَظِيمًا أى ذنباً عظيماً. ٥٤- إِنَّ تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ ... إلخ
أى تظهرونه بألسنتكم أو تخفون فى صدوركم فإنه سبحانه يعلمه لأنه محيط بكل شىء. و فى الآية إشعار بأن بعضهم ذكر ما يشير إلى
نكاحهم أزواجه بعده، و فى الدر المنثور عن السدى قال: بلغنا أن طلحة بن عبيد الله قال: أ يحجبنا محمد عن بنات عمن و يتزوج
نساءنا من بعدنا؟ لئن حدث به حدث لنتزوجن نساء من بعده، فنزلت الآية. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٤٣١ ٥٥- لَا جُنَاحَ
عَلَيْهِنَّ ... إلخ أى لا بأس لهؤلاء أن يسألوهن من دون حجاب ولا عليهن أن يجبن من غير ستر ولا تستر و قد استثنى الآباء و الأبناء و
الإخوان و أبناء الإخوان و أبناء الأخوات و هؤلاء محارم، و لم يذكر الأعمام و الأخوال لأنهم من الممكن أن يصفوهن لأبنائهم. و
اتَّقِينَ اللَّهَ فيما كَلَّفَكُنَّ من الاحتجاب عما سواهم، و كان الله شهيداً أى لا يغيب عنه شىء. ٥٦- إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ...
فى ثواب الأعمال عن الكاظم (ع) أنه سئل: ما معنى صلاة الله و صلاة ملائكته و صلاة المؤمنين؟ قال (ع): صلاة الله رحمة من الله، و
صلاة الملائكة تركية منهم له، و صلاة المؤمنين دعاء منهم له وَسَلَّمُوا تَسْلِيمًا أى قولوا: السلام عليكم أيها النبي و رحمة الله و بركاته.
و قد استفاضت الروايات من طرق الشيعة و أهل السنة أن طريق صلاة المؤمنين أن يسألوا الله تعالى أن يصلى عليه و آله. ٥٧- إِنَّ
الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ... لَعَنَهُمُ اللَّهُ ... إلخ أى يبعدهم الله فى الدنيا و الآخرة من رحمته حيث هيا لهم نار جهنم. و من المعلوم أن
الله سبحانه منزّه من أن يناله الأذى و كل ما فيه و صمته النقص و الهوان، فذكره مع الرسول و تشريكه فى إيذائه تشريف للرسول و
إشارة إلى أن من قصد رسوله بسوء فقد قصده أيضاً بالسوء إذ ليس للرسول بما أنه رسول إلا ربه فمن قصده فقد قصد ربه. ٥٨- وَ
الَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا ... أى بلا ذنب يوجب إيذاءهم و أما إيذاؤهم بما اكتسبوا كما فى القصاص و الحد
و التعزير لا- إثم فيه. فَقَدْ اخْتَمَلُوا بُهْتَانًا فَقَدْ فَعَلُوا مَا هُوَ أَعْظَمُ الْإِثْمِ مع البهتان و هو الكذب على الغير يواجبه به و إثمًا مبینًا أى و
معصية ظاهرة. ٥٩- يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ ... يُذَنِّبِينَ عَلَيْهِنَّ مَن جَلَبَابِيهِنَّ ... أى يرخين على وجوههن و أبدانهن بعض ملا-حفهن حين
يخرجن من بيوتهن لقضاء حوائجهن ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ إلخ أى تغطيه الرأس و الوجه أقرب إلى معرفتهن بأنهن حرائر من ذوات
العفاف فلا يتعرض لهن الفساق من الشباب بظن أنهن إماء. ٦٠ و ٦١- لئن لم ينته المنافقون ... أى عن نفاقهم. و الَّذِينَ فى قُلُوبِهِمْ
مَرَضٌ أى فجور و فسوق من تعرضهم للنساء المؤمنات و الْمُرْجِفُونَ فى الْمَدِينَةِ هم أناس من المنافقين كانوا يشيعون أخبارا كاذبة
سيئة عن سرايا رسول الله لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ أى لنامرنك بقتالهم و إجلائهم ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا فى المدينة إِلَّا قَلِيلًا إِلَّا مجاورة قليلة
لأنهم يستأصلون فى أيام قلائل مُلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثَقِفُوا أى أينما وجدوا أُخِذُوا وَ قُتِلُوا تَقْتِيلًا ففضى عليهم. ٦٢- سَنَهُ اللَّهُ فى الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ
قَبْلُ ... أى سنَّ الله ذلك فى الأمم الماضية و فى منافقيهم المرجفين بالمؤمنين و السنة هى الطريقة المعمولة التى تجرى بطبعها غالبا
أو دائما. وَلَنْ تَجِدَ لِسِنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا يعنى هذه السنة جارية فى أمتك يا محمد نعلًا بالنعل و حذوا بالحدو، و لا يقدر أحد على تبديلها
و تغييرها. فتجرى فيكم كما جرت فى الأمم قبلكم. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٤٣٢ ٦٣- يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ ... أى
كفار مكة سألوه استهزاء عَنِ السَّاعَةِ أى عن وقت قيامها قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ و استأثر به و لم يطلع عليها ملكا و لا نبيا و ما يُدْرِيكَ
أى أنت لا تعرف متى تقوم فكيف بغيرك لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا أى قد توجد فى وقت يكون قريبا. و مثل هذا التعبير فيه زيادة إبهام
و ليعلموا أن النبى (ص) مثل غيره فى عدم العلم بها. ٦٤ و ٦٥- إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَ أَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ... أى هيا لهم نارا شديدة

الإيقاد واللعن من الله الإبعاد من رحمته خالدين فيها أبداً أى مقدار لبثهم فيها أبدى لا يخلصهم منها أحد. ٦٦- يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ ... أى تتحول من هيئة إلى هيئة ومن حالة إلى حالة فتصفرّ وتسودّ وتكون كالحة، أو انتقالها من جهة إلى جهة لتكون أبلغ في مسّ العذاب كما يفعل باللحم المشوى. فيقولون يا لَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ فكانوا يتمنون أمراً محالاً. ٦٧ و ٦٨- وَقَالُوا رَبَّنَا ... رَبَّنَا آتِنَا مِنْ الْعَذَابِ ... أى مثلى ما آتيتنا من العذاب لأنهم ضلّوا وأضلّونا والعنهم لعناً كبيراً أشدّ وأعظم من كلّ لعن أو عدده. ٦٩- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا ... إلخ أى لا تكونوا مع نبيكم مثل الذين آذوا نبيهم موسى (ع) برميهم إياه بالبرص فأظهر الله لهم براءته و اتّهامهم له بقتل هارون فبرّاه الله من مقالته الكاذبة. ٧٠ و ٧١- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ... وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيداً ... أى قولاً- صادقاً قاصداً إلى الحق، صواباً موافقاً ظاهره لباطنه. يُضِلِّحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ أى هو تعالى يوفقكم لصدور الأعمال الصالحة عنكم، أو يقبل أعمالكم وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وهذا نتيجة إصلاحه لأعمال عباده، فإن الأعمال إذا صارت مصلحة فالذنوب تصير مغفورة وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ قَصْدٌ فَازٍ فَوْزاً عَظِيماً أى من يطعهما فيما أمرا به ونهاى عنه فقد أفلح فلاحاً كبيراً. فرتب الفلاح الكبير على طاعة الله ورسوله. وبذلك تختتم السورة فى معناها فى الحقيقة، لأن طاعة الله ورسوله هى الكلمة الجامعة بين جميع الأحكام السابقة من واجبات ومحرمات والآيات التاليتان كالمتعم لمعناها وهما: ٧٢- إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ ... إلخ المراد بعرضها عليهن قيل إنه النظر إلى استعدادهن له وإبائهن الإباء الطبعي الذى هو عدم اللباقة والاستعداد، ويحتمل أن يكون المراد العرض على أهلها بتقدير حذف المضاف وعرضها عليهم تعريفها إيّاهم وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ أى مال إليها بقبولها أو اشتمل على صلاحيتها والتهيؤ للتلبس بها على ضعفه وصغر حجمه. إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا بَارِتْكَابَ الْمَعَاصِي جَهْلًا بِشَأْنِ الْأَمَانَةِ وموضعها فى استحقاق العقاب على الخيانة فيها. وأما الأمانة فقليل هى الطاعة، وقليل هى شريعة الله من أحكامه وفرائضه وقليل هى الصّيلة وقليل هى أمانات الناس. ٧٣- لِيُعَذِّبَ اللَّهُ ... هذا علّة لعرض الأمانة، الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ أى الخائنين للأمانة وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ أى المؤدّين للأمانة وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا مر معناه. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٤٣٣

سورة سبأ مكية، عدد آياتها ٥٤ آية

١- الْحَمْدُ لِلَّهِ ... أى قولوا: الحمد لله، وهو تعريف لوجوب الشكر لله على نعمه وتعليم لكيفيته. الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أى يملك وحده التصرف بما فيهما من مخلوقات وكائنات ونعم وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ لِأَنَّ النَّعْمَ- دنيوية وأخروية- مختصة به سبحانه، ولكن الآخرة خَصَّتْ تفضيلاً لها على الدنيا الزائلة. وَهُوَ الْحَكِيمُ فى تدبيره الْخَبِيرُ بخلقه. وقد ختم الآية بالاسمين الكريمين للدلالة على أن تصرفه فى نظام الدنيا ثم تعقيبه بنظام الآخرة مبنى على الحكمة والخبرة، فبحكمته عقّب الدنيا بالآخرة وإلا لغت الخلقة وبطلت ولم يتميز المحسن من المسىء، وبخبرته يحشرهم فلا يغادر منهم أحداً ليجزى كل نفس بما كسبت. ٢- يَعْلَمُ مَا يَلْجِجُ فِي الْأَرْضِ ... أى يعرف ما يدخل فيها مثل المطر والمحشرات والكنوز والأموات وما يَخْرُجُ مِنْهَا من المياه والفلزات والنباتات وما يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ كالأمطار والأرزاق والملائكة وغيرها. وما يَخْرُجُ فِيهَا أى وما يصعد إليها مع الملائكة وأعمال العباد ودعواتهم وغيرها. وَهُوَ الرَّحِيمُ فى إعطاء النعم الشّفوق على العباد بإتمامها عليهم الْغُفُورُ للمقصرين والمذنبين. ٣ و ٤- وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِنَا السَّاعَةُ ... إمّا إنكاراً لمجيئها، أو استبطاء واستهزاء بالوعد بها قُلْ بلى وَرَبِّىْ أى قل يا محمد: نعم وحق الله خالقي لَتَأْتِيَنَّكُمْ، عالم الغيب لتجيئكم القيامة و ربي يعلم كل ما غاب علمه عن المخلوقين لا يَغْرُبُ عَنْهُ أى لا يغيب عنه مثقال ذرّة أى زنه وأصغر جزء ممكن فى السّماوات إشارة إلى علمه بالأرواح ولا- فى الأرض إشارة إلى علمه بالأجسام، إلّا فى كتاب مبين أى اللوح المحفوظ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إلخ أى إنما أثبت ذلك فى اللوح المحفوظ ليكافئهم بما يستحقونه من الثواب على صالح أعمالهم. أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ أى فى الجنّة. والرزق الكريم ما يأتى من غير طلب. ٥- وَالَّذِينَ سَعَوْا فى آيَاتِنَا ... أى عملوا لإبطالها مُعَاجِزِينَ مسابقين لنا ظانين أن يفوتونا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ أى من سيئ العذاب المؤلم. ٦- وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ...

أى أهل العلم من المسلمين أو من أهل الكتاب و هم الذين يعلمون أن القرآن الذى أنزل إليك هو الحق لأنهم يتدبرونه و يتفكرون فيه، فيعلمون بالنظر و الاستدلال أنه ليس من قبل البشر و يهتدى إلى صراط العزيز الحميد و يعلمون كذلك أنه يرشد إلى دين القادر الذى لا يغالب، المحمود على جميع فعاله و هو الله تعالى. ٧- وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا ... أى كفره قريش قال بعضهم لبعض استهزاء هل ندلّكم على رجلٍ عنوا بذلك محمداً (ص) يُبَيِّنُكُمْ إِذَا مَزَقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أى يزعم إنكم تبعثون بعد أن تتفرق أبدانكم و تنقطع أوصالكم و تصبحون تراباً. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٤٣٤ ٨- أَفَتُرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا و المعنى: هل كذب على الله كذبا و اخترع من عند نفسه متعمداً حيث يزعم أننا نبعث بعد الموت؟ أم به جنّة أى جنون يخيل له ذلك فيهدى به بل الذين لا يؤمنون بالآخرة أى ليس الأمر كما يقولون بل هؤلاء المنكرون للبعث و الجزاء فى العذاب و الضلال البعيد أى هم فى نار جهنم فى الآخرة و فى ذهاب بعيد عن الحق فى الدنيا. ٩- أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيَّنَّ آيَاتِهِمْ ... أى إلى ما أحاط بجوانبهم من السماء و الأرض كيف أحاطت بهم، أفلم ينظر هؤلاء الكفرة إليهما فيعرفون أننا قادرون على إهلاكهم كما أهلكنا القرون الأولى. إِنْ نَشَأْ نُخَسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ كَمَا خَسَفْنَا بِقَارُونَ و أمواله أَوْ نُسَيِّقُ عَلَيْهِمْ كَيْفَافاً مِنَ السَّمَاءِ أى قطعاً منها فتغطيهم فيهلكوا إِنْ فى ذلك أى فيما ترون من السماء و الأرض و إحاطتهما بهم و من قدره الخالق تعالى لآيته لكل عبد مريب أى راجع إلى ربه و يتدبر فى قدرته. ١٠ و ١١- وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلاً ... أى أعطيناه من عندنا مضافاً إلى النبوة كتاباً و هو الزبور، أو المراد بالفضل الصوت الحسن، يا جبال أوبى معه و الطير أى سبّحى معه إذا سبّح. و قيل: سبّحى معه من التأويب و هو السير فى النهار، فكانت الجبال على ما قيل و الطير تسير معه أينما سار. و ألنا له الحديد فصار فى يده كالشمع يطاوعه كما يشاء من دون نار و لا طرق. أَنْ اْعْمَلْ سَابِغَاتٍ و المعنى أننا أمرناه بأن يعمل دروعاً واسعة الأذيال و قلنا له و قدّر فى السرد أى عدل و سوّ بين الحلقات فى نسجها بحيث تتناسب حلقاتها فى الصغر و الكبر و فى اللين و الغلظ. و اْعْمَلُوا صَالِحاً إلخ أى قلنا و اعمل أنت و أهلك الصالحات فأنا عالم بما تفعلونه. ١٢- وَلَسَلِيمَانَ الرِّيحَ ... أى سخرنا له الرّيح، غدوها شهراً و رواحها شهراً أى جريها بالغداة مسيرة شهر و بالعشي كذلك. و أسلنا له عين القطر أى أجرنا ذلك له بعد ما أذنبنا له معدن النحاس. و مِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيِّنَاتٍ لِرَبِّهِ يَذَّنُ بِآيَاتِهِ أى سخرناهم له منهم من يشتغل له بحضرته و بأمره بحكم الله و قضائه. و مَنْ يَزِغُ مِنْهُمْ عَنْ آمُرِنَا أى يعدل و يخرج عما أمرناه به من طاعة سليمان نذقه من عذاب السعير أى نعذبه بالنار المشتعلة فى الآخرة أو فى الدنيا بسياط من نار كما قال بعض المفسرين. ١٣ و ١٤- يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبَ ... أى أبنية رفيعة و قصور منيعة، أو المراد بها المساجد و محاربيها و تماثيل قيل هى صور الملائكة و الأنبياء ليقتمدى بهم. و جفان جمع جفنة أى صحاف للطعام كالجواب أى الأحواض الكبيرة و قدور راسيات أى ثابتات لا تنزل عن أماكنها لعظمها اْعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا و قَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ أى من يجتهد فى أداء الشكر بجزائه و لسانه و أركانه. فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ أى حكمنا بموته و ما دلّ الجنّ و الشياطين على موته إلّا ذابّة الأرض تأكل منسأته الأرض، فإنها أكلت عصاه فسقط (ع) فعلموا أنه ميت. و لكنهم علموا بعد سنه فلما خرّ تبَيَّنَتِ الْجِنُّ أى سقط سليمان ميتاً و ظهر للجن أن لو كانوا يغلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهيّن أنهم لا يعلمون الغيب كما كان يزعم الناس إذ لو علموه ما بقوا إلى ما بعد سنه من موت سليمان فى العمل الشاق. و قيل معناه: ظهر الجن و تبين للناس إلخ. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٤٣٥ ١٥- لَقَدْ كَانَ لِسَيِّدٍ ... أى لولده، فالمراد به ها هنا القبيلة الذين هم من أولاد سبأ و هو أبو عرب اليمن. فى مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ باليمن، علامة دالّة على كمال قدره الله و سبوغ نعمه. جَنَّاتٍ إلخ أى حديقتان ذاتى أشجار كثيرة عن يمين البلد و شماله متصلة بعضها ببعض كُلوْا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَ اشْكُرُوا لَهُ أى أنبئوهم يقولون لهم: كلوا من هذه النعم و افعلوا شكرها يزدكم من نعمه بلمدة طيبة إلخ أى هذه بلدة منزله مخصبة عذبة مياهها و إله كثير المغفرة للذنوب. ١٦- فَأَعْرَضُوا ... أى فلما أعرضوا عن الشكر و كفروا بأنعم الله فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ العرم: جمع عرمة و هو ها هنا الجرد الصّحراوى، أى الفأرة الكبيرة التى أمرها الله تعالى بنقب السدّ الذى صنعوه لمنع السيول فلما نقبته الجرذان جاءهم السيل الذى خرب البيوت و قلع الأشجار و الأبنية و أهلك جميع ما مرّ عليه و وقع فيه و يَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ أى عوض جنتيهم اللتين فيهما أنواع الفواكه العذبة الحلوة جَنَّتَيْنِ أخراوين ذواتى أكل

خَمَطِ أَى صَاحِبَتِي ثَمَرٍ فِي غَايَةِ الْمَرَارَةِ، وَ الْبَشَاعَةُ قِيلَ هُوَ الْأَرَاكِ وَ أَثْلٍ وَ هُوَ شَجَرٌ يُقَالُ لَهُ الْطَرَفَاءُ لَا ثَمَرَ لَهُ، وَ شَيْءٌ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ أَى قَلِيلٍ مِنْ ثَمَرِ النَّبَقِ. ١٧- ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا ... أَى ذَلِكَ التَّبْدِيلُ بِسَبَبِ أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِرِسَالِنَا وَ هَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ أَى أَنْ أَخَذَ النِّعَمَ وَ الْجَزَاءَ بِالْحَرَمَانِ مِنْهَا مَنْحَصِرٌ بِمَنْ يَكْفُرُ مِنْهُمْ بِنِعْمِنَا، وَ مَنْ يَشْكُرُهَا نَزِدَ لَهُ فِيهَا. ١٨- وَ جَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ الْقُرَى ... أَى بَيْنَ الْبَاقِينَ مِنْ أَهْلِ سَبَأٍ وَ بَيْنَ الْقُرَى فِي الشَّامِ وَ فِلَسْطِينَ وَ غَيْرِهِمَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا بِكَثْرَةِ الْمِيَاهِ وَ أَشْجَارِ الْفَوَاكِهِ الْمَخْتَلِفَةِ وَ الزَّرُوعِ قُرَى ظَاهِرَةً أَى مُتَقَارِبَةً مُتَصِلَةً كُلِّ وَاحِدَةٍ مَعَ الْأُخْرَى وَ قَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ أَى وَ جَعَلْنَا السَّيْرَ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَى أُخْرَى مُقَدَّارًا وَاحِدًا وَ هُوَ نِصْفُ يَوْمٍ وَ قَلْنَا لَهُمْ سَيِّرُوا فِيهَا لِيَالِي وَ أَيَّامًا آمِنِينَ أَى لَيْلًا شَتَمَ الْمَسِيرَ أَوْ نَهَارًا بَلَا خَوْفٍ عَلَيْكُمْ بَلْ مَأْمُونُونَ مِنْ جَمِيعِ الْجِهَاتِ. ١٩- فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا ... أَى أَشْرُوا وَ بَطَرُوا النِّعْمَةَ وَ مَلَّوْا الْعَافِيَةَ فَسَأَلَ الْأَغْنِيَاءُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ الشَّامِ مَفَاوِزَ وَ أَوْدِيَةً لِنَرْكَبَ إِلَيْهَا الرُّوَاهِلَ وَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِالْكَفْرِ وَ الْبَطْرِ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ لِمَنْ بَعْدَهُمْ يَضْرِبُونَ بِهِمُ الْمَثَلَ فَيَقُولُونَ: تَفَرَّقُوا أَيْدَى سَبَأٍ. وَ مَرَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَرِّقٍ أَى شَتَّانَهُمْ كُلَّ تَفْرِيقٍ وَ تَشْتِيتُ فَاصْبَحُوا قِبَاطِلَ فِي مَنَاطِقٍ مُتَبَاعِدَةٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ أَى هَذَا الْمَذْكُورِ مِنْ قِصَّةِ سَبَأٍ لآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ أَى فِيهَا عِبَرٌ لِمَنْ يَصْبِرُ عَلَى الشَّدَائِدِ أَوْ عَنِ الْمَعَاصِي وَ يَشْكُرُ كَثِيرًا عَلَى النِّعَمِ. ٢٠- وَ لَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ ... الضَّمِيرُ فِيهِمْ إِمَّا أَنَّهُ يَعُودُ لِبَنِي آدَمَ أَوْ إِلَى أَهْلِ سَبَأٍ بِمُنَاسَبَةِ الْمَقَامِ، يَعْنِي أَنَّ إِبْلِيسَ كَانَ قَالَ ظَانًا لَا عَلَى الْيَقِينِ: لِأَغْوِيَهُمْ وَ لِأُضِلَّهُمْ فَلَمَّا تَابَعَهُ أَهْلُ الزَّيْغِ وَ الشَّرِكِ صَدَّقَ ظَنَّهُ وَ حَقَّقَهُ فَاتَّبَعُوهُ أَى فِيمَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ: هُنَا لِلتَّبَيِّنِ يَعْنِي الْمُؤْمِنِينَ كُلَّهُمْ، وَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَى عَلِمُوا قَبْحَ مُتَابَعَتِهِ فَلَمْ يَتَّبِعُوهُ وَ اتَّبَعُوا أَمْرَ اللَّهِ سَبْحَانَهُ. وَ يَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ مِنْ تَبْعِيضِيَّةٍ. ٢١- وَ مَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ ... أَى أَنْ تَسَلَّطَ إِبْلِيسُ عَلَى مَنْ حَقَّقَ ظَنَّهُ فِي حَقِّهِمْ مَا كَانَ عَنْ قُوَّةٍ فِيهِ تَجْبِرُهُمْ عَلَى مُطَاوَعَتِهِ فِي وَسْوَستِهِ، وَ لَكِنَّهُ كَانَ بِاخْتِيَارِهِمْ، وَ لَمْ يَقْعِ مِنْهُمْ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ أَى إِلَّا لِيَتَمَيَّزَ الْمُؤْمِنُ مِنَ الشَّاكِّ فَجَازَى كُلًّا مِنْهُمَا جَزَاءَهُ، وَ رِيكَ حَفِيطٌ أَى رَقِيبٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ. ٢٢- قُلْ ... أَى يَا مُحَمَّدُ قُلْ لِمَشْرِكِي مَكَّةَ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ آلَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَى اطْلُبُوا مِنْهُمْ مَا يَهْمَكُمُ مِنْ جَلْبِ نَفْعٍ أَوْ دَفْعِ ضَرٍّ، فَإِنَّهُمْ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَ لَا فِي الْأَرْضِ أَى لَا يَمْلِكُونَ زَنْةَ ذَرَّةٍ فِيهِمَا مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ. وَ مَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شَرِكٍ أَى لَيْسَ لَهُمْ شَرِكَةٌ فِي خَلْقِهِمَا مَعَ اللَّهِ وَ مَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ وَ لَيْسَ لَهُ تَعَالَى مِنْ آلِهِ الْمَشْرِكِينَ مِنْ مَعِينٍ وَ لَا نَاصِرٍ عَلَى شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ حَدُوثًا وَ بَقَاءً. إِرْشَادُ الْأُذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ٤٣٦ ٢٣- وَ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ ... أَى لَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى زَعْمِهِمْ مِنَ الْأَصْنَامِ وَ الْأَوْثَانِ إِلَّا لِمَنْ أُذِنَ لَهُ أَى لَا تَقْبَلُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَ اللَّهِ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَاهُ وَ أُذِنَ لَهُ فِيهَا. حَتَّى إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمُ الْمَعْنَى أَنَّ الشَّافِعَ وَ الْمَشْفُوعَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِلَاهُمَا يَنْتَظِرَانِ الشَّفَاعَةَ وَ لَا يَزَالَانِ فِي خَوْفٍ وَ فَزَعٍ مِنْ رَدِّ الشَّفَاعَةِ إِلَى أَنْ يَسْلُبَ الْفَزَعُ عَنْ قُلُوبِ أَهْلِ الْمَحْشَرِ بِالْإِذْنِ لَهُمْ بِالشَّفَاعَةِ لَهُمْ فَيَفْرَحُوا قَالُوا يَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: مَا ذَا قَالَ رَبُّكُمْ مُتَسَائِلِينَ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى فِيمَا يَرْجِعُ إِلَى الشَّفَاعَةِ. قَالُوا الْحَقُّ أَى قَالُوا: قَالَ رَبَّنَا الصَّدَقُ وَ الْوَاقِعُ، وَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ أَى ذُو الْعُلُوِّ بِقَهْرِهِ، وَ ذُو الْكِبَرِيَاءِ بِعَظَمَتِهِ. ٢٤- قُلْ مَنْ يَزُوقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ ... هَذَا الْكَلَامُ تَقْرِيرٌ لِقَوْلِهِ لَا يَمْلِكُونَ وَ إِيْزَامٌ لَهُمْ لِأَنَّهُمْ لَا يَمْكُنُهُمْ أَنْ يَقُولُوا تَرَزَقْنَا آلِهَتِنَا الَّتِي نَعْبُدُهَا. فَعِنْدَ ذَلِكَ يَتَوَقَّفُونَ قَبْلَ اللَّهِ أَى قُلْ ذَلِكَ جَوَابًا عَنْ الْمَشْرِكِينَ إِذَا لَا جَوَابَ لَهُمْ سِوَاهُ، وَ إِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ يَعْنِي يَا مُحَمَّدُ قُلْ لِلْمَشْرِكِينَ: نَحْنُ الْمُؤْمِنُونَ نَقُولُ بِأَنْ رَازَقْنَا وَ خَالَقْنَا وَاحِدًا وَ إِيَّاهُ نَعْبُدُ أَمَّا الَّذِينَ تَعْبُدُونَهُمْ فَهُمْ مِنَ الْجُمَادِ الَّذِي لَا يَضُرُّ وَ لَا يَنْفَعُ فَنَحْنُ عَلَى طَرِيقِ الْهُدَايَةِ وَ الْإِسْتِقَامَةِ وَ أَنْتُمْ عَلَى جَادَةِ الْغَيِّ وَ الضَّلَالَةِ الْوَاضِحَةِ. ٢٥- قُلْ لَا تُسَبِّحُونَهُ عَمَّا أَجْرَمْنَا ... أَى قُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ أَنْتُمْ أَيُّهَا الْكَافِرُونَ غَيْرُ مَسْئُولِينَ عَمَّا اقْتَرَفْنَا مِنَ الْمَعَاصِي وَ لَا تُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ وَ كَذَلِكَ نَحْنُ غَيْرُ مَسْئُولِينَ عَنْ أَعْمَالِكُمْ بَلْ كُلُّ إِنْسَانٍ يَسْأَلُ عَنْ عَمَلِ نَفْسِهِ وَ يَجَازِي عَلَيْهِ. ٢٦- قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ... أَى يَحْشُرُنَا وَ إِيَّاكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا وَ بَيْنَكُمْ، أَى يَحْكُمُ وَ يَفْصِلُ بِالْحَقِّ بِالْعَدْلِ وَ هُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ أَى الْحَاكِمُ الْعَالِمُ بِكَيْفِيَّةِ حُكْمِهِ وَفْقَ الْحِكْمَةِ. ٢٧- قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ ... أَى عَرَّفُونِي الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ شُرَكَاءُ اللَّهِ فِي اسْتِحْقَاقِ الْعِبَادَةِ. كُلُّ كَلِمَةٍ رَدَعٌ لَهُمْ أَى لَيْسَ كَمَا تَزْعُمُونَ بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ أَى الْغَالِبُ بِقُدْرَتِهِ الْحَكِيمِ فِي تَنْدِيرِهِ، وَ الْأَصْنَامُ لَيْسَ لَهَا شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ. ٢٨- وَ مَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ ... إِلَخْ أَى مَا بَعَثْنَاكَ يَا مُحَمَّدُ إِلَّا لِرِسَالَةٍ عَامَةٍ عَلَى جَمِيعِ الْبَشَرِ

من الأبيض والأسود والأحمر. مبشرا لهم بالجنة ومخوفا لهم من النار و لكن أكثر الناس لا يعلمون رسالتك لأنهم يعرضون عن الحجج والأدلة التي تؤدي بهم إلى العلم بها. ٢٩- وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ ... أى الموعود بقوله قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا فَأَيْنَ هُوَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فى دعواكم. ٣٠- قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ ... أى ميعات يوم ينزل بكم ما وعدتم به وهو يوم القيامة لا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ أى لا تتأخرون عن ذلك بأن يزداد فى آجالكم ولا تتقدمون عليه بأن ينقص منها. ٣١- وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ ... أى اليهود قالوا هكذا، وقيل هم مشركو العرب. وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ أَلَمْ تَرَ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ أى فى موضع الحساب يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ أى يتحاورون فى مقام الجدل يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضَوْا أَى الأتباع لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا أى القادة لَوْ لَا- أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ فَأَنْتُمْ مَنَعْتُمُونَا مِنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَ بِالرَّسُولِ وَ صَدَدْتُمُونَا عَنِ الْهُدَى. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٤٣٧ ٣٢- قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا ... أَنْحَنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى ... إلخ أى قال المتبوعون للاتباع على طريق الإنكار: أ نحن صددناكم؟ أى لم نصدكم نحن عن قبول الهدى بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ فَأَنْتُمْ بِاخْتِيَارِكُمْ كَفَرْتُمْ حَيْثُ أَعْرَضْتُمْ عَنِ الْهُدَى. ٣٣- وَقَالَ ... بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ... أى قال الأتباع للمتبعين مكرهم لنا دائما ليلا ونهارا صدنا عن هدايتنا إلى الإيمان. إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ أى أنتم كنتم قوادنا و كنّا من رعاياكم المأمورين بأوامركم المنتهين بنواهيكم، وقد كنتم تأمروننا بأن نكفر بالله وَ نَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا أى شركاء وَ أَسِرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ أى أخفاها الفريقان خوف الفضيحة والتعير، وقيل أظهرها الندامة لأن صيغته أسر مما يفيد الأضداد وَ جَعَلْنَا الْأَغْلَالَ ... الآية، إيراد المستقبل بلفظ الماضى لتحقيق وقوع الفعل فإنهم بحكم من وضع الغل فى عنقه هَلْ يُجْزَوْنَ إلخ الاستفهام للإنكار أى: لا يجوزون إلا بأعمالهم. ٣٤- وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ ... أى رسولا منذرا إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا أى رؤساؤها المتنعمون إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ تخصيص المترفين بالتكذيب لأنهم الأصل فى العناد، ولأن معظم الداعى على التكذيب هو التكبر والتفاخر بالزخارف الدنيوية والانهماك فى الشهوات، ولهذا أخذوا الترف علة للتميز. ٣٥- وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا ... أى من كان أكثر أموالا وأولادا أى قوّة فهو أولى بدعوى الرسالة والإمارة على الناس، وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ لَأَنَّا أَكْرَمَ عِنْدَ اللَّهِ مِنْكُمْ فى الدنيا فلا يهيننا بالعذاب يوم القيامة. ٣٦- قُلْ إِنْ رَبِّى يَشِئْطُ الرِّزْقَ ... إلخ أى قل يا محمد لهؤلاء المترفين الجاهلة: إن الله تعالى يوسع الرزق ويضيّقه بحسب المصالح والحكم التى يراها وهو عالم بها، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ لا يدرون ولا يدركون ذلك. ٣٧- وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُفَرِّقُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى ... قُربى أو: تقربا. فالأموال والأولاد لا تقرب أحدا منكم قُربى لدينا إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا بِإِنْفَاقِ مَالِهِ فى سبيل الله، وتعليم ولده الخير والصالح فأولئك لَهُمْ جَزَاءُ الصُّعْفِ بِمَا عَمِلُوا أى يجازون الصُّعْفَ إلى العشر وزيادة إلى سبعمائه كما فى الحديث، وَهُمْ فى الْعُرْفَاتِ آمِنُونَ أى فى القصور السامية العالية فى الجنة مأمونون من جميع المكاره والآلام. ٣٨- وَالَّذِينَ يَشِيعُونَ فى آيَاتِنَا ... أى بالإبطال والطعن مُعَاجِزِينَ بزعمهم أَنَّهُمْ أَعْجَزُونَا بِذَلِكَ وَ ظَنَّهُمْ بَأَنَّا لَا نَقْدِرُ عَلَى أَخْذِهِمْ أُولَئِكَ فى الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ فالذين يجهدون لطمس آياتنا وإبطالها فإنهم سوف يحضرون يوم القيامة للعذاب فى جهنم. ٣٩- قُلْ إِنْ رَبِّى يَشِئْطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ ... إلخ مر تفسيره وإنما كرره سبحانه لاختلاف الفائدة حيث إن الأول توبيخ للكافرين و كانوا المخاطبين به وهنا وعظ للمؤمنين. وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ أى ما بذلتم من أموالكم التى رزقكم الله فى وجوه البر فإنه تعالى يعطيكم عوضه عاجلا- وآجلا- بزيادة النعمة فى الدنيا وعظيم الثواب فى العقبى. وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ لأنه يعطى لمحض نفع عباده ولا لدفع ضرر أو جر نفع لاستحالة المنافع عليه لأنه الغنى والمضار لأنه القادر المطلق. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٤٣٨ ٤٠ و ٤١- وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ ... إلخ أى يبعث الله يوم القيامة العابدين لغير الله والمعبودين من دونه ومن جملتهم الملائكة ثم يسأل الله الملائكة سؤال تقرير هل هؤلاء الكفار كانوا يتوجهون إليكم بالعبادة وليس السؤال سؤالا عن أصل عبادتهم لهم ولو كان كذلك لم يسعهم إنكارها لأنهم عبدوهم فى الدنيا وقد أنكروها كما فى الآية، بل المراد السؤال عن رضاهم بعبادتهم، والغرض من السؤال تبكيت المشركين وإقناطهم من نصره الملائكة وشفاعتهم لهم وقد عبدوهم فى الدنيا لذلك. قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَرَبُّنَا إلخ أى قالت الملائكة: تنزيها لك من أن نعبد غيرك أنت ناصرنا وأولى بنا

من دون هؤلاء الكفار بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَى يطيعونهم فيما يأمرونهم و يدعونهم إليه من عبادة الملائكة أو غيرها. و قيل إن مرادهم من الجن هو إبليس و أعوانه أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ أَى المشركون جميعا كانوا مصدقين بالشياطين مطيعين لهم. ٤٢- فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ... إلخ أَى فى الآخرة لا يملك العابدون و لا المعبودون نفعا بالشفاعة و لا ضرا بالتعذيب. ٤٣- وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ ... أَى ظاهرات واضحات قالوا ما هذا أَى محمد إَلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ إِلَخ يمنعكم عن تقليد آبائكم فى العبادة و قالوا ما هذا القرآن إَلَّا إِفْكٌ مُفْتَرًى أَى كذب مختلق و قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ إِلَخ أَى للنبي أو القرآن إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ أَى ظاهر. ٤٤- وَ مَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ ... أَى ما أعطينا مشركى قريش كتباً قط يتعلمون درسها حتى يعلموا أن ما جئت به حق أو باطل، و إنما يقولون ما يقولون بأهوائهم و بلا حجة و مَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ أَى ما بعثنا قبلك من رسول أمرهم بتكذيبك و أخبرهم ببطان قولك. ٤٥- وَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ... أَى كذبوا الأنبياء و الرسل الذين كانوا قبلهم من الأمم كما يكذبك هؤلاء من أمتك و مَا بَلَّغُوا مِغْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ أَى ما بلغ قومك عشر ما آتينا أولئك من القوة و طول العمر و المال فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ أَى انظر إنكارى عليهم بالتدمير و الإهلاك. ٤٦- قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَاحِدَةٍ ... أَى قل يا محمد لهؤلاء المشركين أوصيكم بخصلة واحدة أو بكلمة واحدة أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ شِئٍ وَفَرَادَى أَى اثنين اثنين و واحدا واحدا ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا فى أمرى و ما جئت به لتعلموا حقيقته و تعرفوا أن ما بصاحبكم مِنْ جِنَّةٍ أَى ليس بمحمد (ص) جنون موجب لادعائه الرسالة إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ يَخَوِّفُكُمْ يَتَنَزَّلُ عَذَابٌ شَدِيدٌ مِنْ عَذَابِ صَعْبٍ قَرِيبٍ وَقَوْعُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. ٤٧- قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرِ فَهَوَ لَكُمْ ... يعنى أن كل ما تحملت فى أداء الرسالة و تبليغها من المشاق و التكاليف فأجره لكم، و ما أريد منكم أجر رسالتى إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ أَى ليس ثواب عملى إلا على ربي على كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ أَى مطلع و شاهد على خلوص نيتى و صدق دعوتى. ٤٨- قُلْ إِنْ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ ... أَى يرمى به الباطل فيدمغه، و هو عَلَامُ الْغُيُوبِ أَى عالم بجميع الأمور الغيبية. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٤٣٩ ٤٩- قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَ مَا يُؤَيِّدُ الْبَاطِلَ وَ مَا يُعِيدُ ... أَى قل يا محمد لهؤلاء جاء الإسلام أو التوحيد و زهق الكفر و لم يبق له أثر لا إبداء و لا إعادة و رجوعا. ٥٠- قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ ... إلخ أَى إن ضللت عن الحق و طريق الهدى فيكون وبال ضلالى على نفسى و إِنْ اهْتَدَيْتُ إِلَى الْحَقِّ فِيمَا يُوحَى إِلَيَّ رَبِّي إِلَخ أَى بهدى ربي تفصلا و رحمه منه بى، فهو يسمع كل قول قريب منا فلا يخفى عليه المحق من المبطّل. ٥١- وَ لَوْ تَرَى إِذِ فَرَعُوَا فَلَا قُوَّةَ ... أَى و لو تنظر يا محمد الكفرة عند الموت أو البعث فَلَا قُوَّةَ أَى لا يفوتونا و لا ينجو منهم ظالم و أَخَذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ مِنْ قُبُورِهِمْ أَوْ مِنْ أَرْضِ الْمَوْقِفِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ قَرِيبُونَ مَعَهُ حَيْثُ كَانُوا. ٥٢- وَ قَالُوا آمَنَّا بِهِ وَ أَنَّى لَهُمُ التَّنَاقُشُ ... أَى يقولون يوم القيامة آمنا بمحمد و لكن من أين لهم الانتفاع بهذا الإيمان الذى الجئوا إليه مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ أَى من عالم الآخرة فإن محل التكليف بالإيمان هو الدنيا و هم فى عالم الآخرة و قد ابتعدت دار التكليف. ٥٣- وَ قَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ ... أَى كفروا بالقرآن أو بمحمد (ص) فى أوان التكليف و هم الآن يَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ أَى يرمجون بالظن من نفى البعث و الجنة و النار مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ يعنى من جهة بعيدة عن حال الرسول و حال الآخرة. ٥٤- وَ حِيلَ بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ ... أَى و فرّق بالموت بينهم و بين مشتياتهم من قبول الإيمان أو من نفع التصديق كَمَا فَعَلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ أَى بأفعالهم من كفره الأعم السابقة إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مِنَ الْبَعْثِ وَ الْعَذَابِ مُرِيبٍ أَى مشكك.

سورة فاطر مكية، عدد آياتها ٤٥ آية

١- الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ ... أَى خالقهما و مبدعهما على غير مثال سبق و قد حمد سبحانه نفسه ليعلمنا ليبين أن الحمد كله له و ليعلمنا كيف نحمد جاعل الملائكة رُسُلًا أَى وسائط بين الله و أنبيائه و الصالحين من عباده بالوحى و الرسالات أُولَى أَجْنَحَهُ مِثْنَى ... الآية الجملة صفة للملائكة. و اختلاف الأجنحة لتفاوت مراتبهم، و إعطاؤها لتسهيل النزول و العروج، و للتسريع فيما يؤمرون به. و ليس ذكر هذه الأعداد للحصر بل لبيان المثل، و يدل على عدم الخصوصية لهذه الأعداد و عدم بيان الحصر قوله: يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ

ما يَشَاءُ إلخ و قول ابن عباس عن النبي (ص) أنه قال: رأيت في ليلة المعراج جبرائيل كان له ستمائة جناح. ٢- ما يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ ... يعني إن الله تعالى لو أراد لعباده الخير و أن يفتح لهم باب رحمته فلا مُمَسِّكَ لها أى لا يقدر أحد أن يمنع خيره و رحمته النازلة إليهم و ما يُمَسِّكُ فلا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ أى ما يحبسه و يمنعه من نعمه و رحماته فلا يتمكن أحد أن يرسلها و يجيء بها من تلقاء نفسه بعد إمساك الله سبحانه و منعه. و هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ مر معناه. ٣- يا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا ... أى احفظوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ و آتوا حَقَّها بشكر مولاهما قولاً و عملاً و اعتقاداً. و النعمة أعم من الظاهرية و الباطنية هل مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ إشاره إلى نعمة الإيجاد فى ابتداء الوجود، يَزُوقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ إشاره إلى نعمة الإبقاء بالرزق إلى الانتهاء. لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنْتَى تُؤْفَكُونَ أى لا خالق و لا رازق غيره فأين تتوجهون و تنصرفون عن التوحيد إلى إشراك غيره معه؟. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٤٤٠-٤ و إِنَّ يُكَذِّبُوكَ ... أى إن نسبك يا محمد أهل مكة إلى الكذب فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ من قبل أممهم فأنس بهم فى الصبر على تكذيبهم و إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ فيجازيك على الصبر و يجازيهم على التكذيب. ٥ و ٦- يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ... أى وعده بما أرسل رسوله به من البعث و ما يتلوه، فهو صدق كائن حتماً فلا تُغَرِّبُكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فلا تغشبنكم فيلهيكم التمتع بها عن السعى فى طلب الآخرة و لا يَغُرَّنْكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ أى لا يخدعنكم عن طاعة الله و كرمه و مغفرته الشيطان الخداع إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدَاوَةٌ قَدِيمَةٌ و هو يدعوكم إلى ما فيه الهلاك و الخسران فَاتَّخِذُوا عَدُوًّا أَى فعادوه و لا تطيعوه و احذروه فى جميع أحوالكم. إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ أَى أنصاره و متابعيه لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ من أهل النار المسعرة. ٧- الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ... جزاء على كفرهم و هذا حال الفئة الأولى أَى المتابعين للشيطان وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ أَجْرٌ كَبِيرٌ أى ثواب عظيم و هذا وعد للفئة الثانية أَى المخالفين لدعوته لعنه الله. ٨- أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا ... إلخ أى الكفار حَسِنَتْ لَهُمْ نفوسهم الشريرة أعمالهم السيئة فتصوروها حسنة أو زينها الشيطان لهم هل هؤلاء كمن ميز بين الحسن ففعله و القبيح فانتهى عنه فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ يلطف بمن يشاء فيهتدى باختياره و يمنع لطفه عمن يشاء فيختار الضلال. فلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ أى لا تهلك نفسك يا محمد عليهم حسرة و لا يغمك حالهم إذ كفروا و استحقوا العقاب. إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ عارف بما يفعلون فيجازيهم عليه. ٩- وَ اللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا ... أى تهيجها و تزرعها من حيث هو من الشمال و الجنوب و غيرهما. فَسِقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ أى إلى أرض مجدبة فيمطر على ذلك البلد فَأَحْيَيْنَا بِهِ يعنى بمائه المستكن فى السحاب الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا فأنبت بعد يبسها. كَذَلِكَ النُّشُورُ أى مثل إحياء الأرض إحياء الأرواح. ١٠- مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا ... أى من أراد الشرف و العز و التعالى فليطلبها منه بطاعته، فإنها كلها له و من عنده دنيوية و أخروية إِلَيْهِ يَصِيرُ الْعِلْمُ الطَّيِّبُ أى التوحيد وَ الْعَمَلُ الصَّالِحُ يَزْفَعُهُ فى جملة يَزْفَعُهُ احتمالات ثلاثة: الأول: أن العمل الصالح يرفع الكلم الطيب إلى الله. الثانى: عكس الأول أى أن الكلم الطيب يرفع العمل الصالح إليه سبحانه. الثالث: أن العمل الصالح يرفعه الله إليه أى يقبله. وَ الَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ أى يعملون السيئات و قيل: يشركون بالله. و قيل الذين تآمروا على رسول الله (ص) فى دار الندوة. لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ جزاء مكرهم الذى هُوَ يُؤْوِرُ أى يبطل و لا ينفذ. ١١- وَ اللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ... باعتبار كون البشر تولدوا من آدم و هو مخلوق من التراب، ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ مِنْ مَاءٍ كُلِّ مِنَ الرَّجُلِ وَ الْمَرْأَةِ. ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا أى أصنافاً متنوعة ذكرانا و إناثا و ما تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَ لَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ أى إلّا و هو معلوم له سبحانه. و هو من الغيب الذى اختصه بذاته المقدسة و ما يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَ لَا يُنْقَضُ مِنْ عُمْرِهِ إِلَّا فى كِتَابٍ أى ما يزداد فى عمر أحد أو ينقص منه ثابت متحقق فى كتاب علمه سبحانه إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ أى ما ذكر من الحفظ و النقص و الزيادة و الخلق فإنه كله سهل عليه جلّ و علا. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٤٤١-١٢ و ما يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ ... إلخ العذب من الماء هو البارد الهنىء شربه و الفرات هو الماء الذى يكسر العطش. بخلاف الشديد الملوحة. فالبهران من هذه الجهة ليسا بمتساويين. و إن كانا متساويين من جهة منافعهما كما قال سبحانه: وَ مِنْ كُلِّ مِنَ الْبَحْرَيْنِ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيفًا هو الأسماك أو الطير البحرى. و الطرى: هو الغض الجديد. وَ تَشْتَرِجُونَ حُلِيَةً تَلْبَسُونَهَا أى اللآلىء و اليواقيت و المرجان و الأصداق. وَ تَرَى الْفُلُوكَ فِيهِ مَوَاحِرَ يعنى جوارى تشقّ الماء شقّاً لِيَتَّبِعُوا مِنْ فَضْلِهِ أى

من فضل الله بالانتقال فيها و التجارة بها و بر كوبها و لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ تحمدون الله على تلك النعم لأنكم إن تشكروها تزيد. «و فى الآية تمثيل للمؤمن و الكافر بالبحر العذاب و المالح، يتبين به عدم تساوى المؤمن و الكافر فى الكمال الفطرى، و إن تشاركوا فى غالب الخواص الإنسانية و آثارها، فالمؤمن باق على فطرته الأصلية ينال بها سعادة الحياة الدائمة، و الكافر منحرف فيها متلبس بما لا تستطيه الفطرة الإنسانية و سيعذب بأعماله فمثلهما مثل البحرين المختلفين عذوبة و ملوحة فهما مختلفان من حيث البقاء على فطرة الماء الأصلية و هى العذوبة و الخروج عنها بالملوحة و إن اشتركا فى بعض الآثار التى ينتفع بها ..» ١٣- يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ .. إلخ مَرِّ تفسيره ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ إلخ مدبر هذه الأمور كلها و خالق تلك النعم الجليلة، و له ملك الدنيا و الآخرة، و أما المعبودات التى أشركتموها معه ما يَفْلُكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ أى لا- يملكون القشرة الرقيقة الملتصقة على النواة و لذا فهو المستحق للعبادة دونها. ١٤ - إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ ... لأنهم جماد و يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ أى يشارككم حيث يبرءون من عبادتكم إياهم و لَا يُبَيِّنُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ أى يا محمد لا يخبرك بحقيقته الحال و واقع الأمر مثل ما يخبرك العليم بالحقائق و البصير بالأمور و هو الله تعالى.

١٥- يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ... أى أنتم المحتاجون إليه و اللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ عن عبادتكم و المستغنى على الإطلاق الْحَمِيدُ المستحق للحمد على إفضاله و جميع أفعاله. ١٦ و ١٧- إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ... هذا بيان لعدم الحاجة إليهم، و إظهار لكمال قدرته، و وعيد لهم بالإهلاك إذا لم يرجعوا عما كانوا عليه من الطغيان و ما ذلِكَ التهديد بإهلاكهم و الإتيان بغيرهم عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ أى ليس ممتنعاً عليه و لا صعباً لديه فإنه يقول للشيء كن فيكون. ١٨- وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ... أى لا تحمل نفس آثمة إثم نفس أخرى، بل كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينٌ وَّ إِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى تَحْمِلِ نَفْسٍ مِثْقَلَهَا إِلَى جِوَارِهَا فَلَا يَحْمِلُهَا مِنْهُ شَيْءٌ إِلَى أَنْ يَحْمِلَ عَنْهَا الْآخَرُونَ شيئاً من ذلك الحمل فلا يستجاب لطلبها و لَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى و لو كان المدعو إلى التحمل صاحب قرابة بالنسبة إلى الداعى. إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ أى الخائفين من بطشنا و عذابنا فى الآخرة فهم يصدقون به مع أن عمله قد غاب عنهم فى حين أن هؤلاء المكذبين لا ينتفعون بالإنذار و لا تتحقق معهم حقيقة الإنذار لأنهم مطبوع على قلوبهم. و مَنْ تَزَكَّى أى طهر نفسه عن دنس المعاصى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ أى نفعه عائد إلى نفسه و إِلَى اللَّهِ الْمَصْتَرِ أى مرجع الخلق كلهم للحساب و المجازاة صائرون إليه. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ١٩ ٤٤٢ إلى ٢٣- و مَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَ الْبَصِيرُ وَ لَا الظُّلُمَاتُ وَ لَا النُّورُ ... أى لا يتساوى الكافر و المؤمن أو الأعْمى عن طريق الحق و الذى يهتدى إليه و لا ظلمات الشرك و الضلال و نور الإيمان و الهداية قيل: هو عطف على قوله السابق: و ما يستوى البحران. و قيل: الظاهر أنه عطف على قوله: و إلى الله المصير، تعليل فى صورة التمثيل لعدم مساواة هؤلاء المتركين لأولئك المكذبين. و لَا الظُّلُّ وَ لَا الْحَرُّ أى الحق و الباطل أو الجنة و النار. و مَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَ لَا الْأَمْوَاتُ يعنى المؤمنين و الكافرين. و قيل العلماء و الجهال. إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ أى ينفع بالإسماع من يشاء أن يلفظ به و يوفقه إلى هدايته. و مَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ أى أنك يا محمد لا تقدر أن تنفع الكفار و تهديهم إلى الإيمان بإسماعك إياهم الآيات و العظات إذ لم يقبلوا منك، كما أنك لا تقدر أن تنفع الأموات بالآيات و البراهين. إِنَّ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ أى ما أنت إلا مخوف لهم من الله. ٢٤- إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ ... و إِنْ مِنْ أُمَّةٍ ... أى لا تكون أمة فى أى عصر من الأعصار إلّا و قد أتممنا عليها الحجة بإرسال رسول إليها. ٢٥ و ٢٦- و إِنْ يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ... إلخ هذه الكريمة تسليمة للنبي (ص) فقد كذب السابقون بالحجج الواضحة و الكتب السماوية و بالكتاب المنير الواضح فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ أى إنكارى بعقوبتهم و تدميرهم. ٢٧- أَلَمْ تَرَ ... و مِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ ... أى ذوات جدد، خطط و طرائق مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا أى ثمرات مختلفة الألوان و غرائب سودّ أى و منها ما هى شديدة السواد لا خطط فيها. ٢٨- و مِنَ النَّاسِ وَ الدَّوَابِّ وَ الْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ ... أى كاختلاف الثمار و الجبال تختلف ألوان الناس و الدواب و الأنعام. إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ أى لا- يخاف الله حق خوفه و لا- يحذر معاصيه حق الحذر إلّا- الذين يعرفونه حق معرفته و هم العلماء، و قبلهم الأنبياء و الأوصياء (ع). إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ فهو تعالى غالب فى الانتقام، و غفور للتائب عن عصيانه. و ما ذكره سبحانه فى هذه الآية «حجة أخرى على التوحيد و هو أن الله سبحانه ينزل الماء من السماء بالمطار و هو أقوى العوامل المعينة لخروج الثمرات و لو كان خروجها

عن مقتضى طباع هذا العامل و هو واحد لكن جميعها ذا لون واحد فاختلف الألوان يدل على وقوع التدبير الإلهي». ٢٩ و ٣٠- إنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ ... أى يقرءون القرآن أو يتبعونه بالعمل بما فيه و أقاموا الصَّلَاةَ يحتمل أن يكون المراد هو قراءة القرآن فيها فأثنى سبحانه عليهم بذلك. و أَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ إِنْ شَاءَ إِيَّاهُ مِنْ شَيْءٍ أَوْ يَخْتَارُوا أى أعطوا فى سبيل الله مما ملكناهم التصرف فيه حال سرهم و حال علانيتهم يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ أى راجين بذلك عوضا لا- يكسد و لا يفنى و هو الثواب. لِيُؤْفِقَهُمْ أَجُورَهُمْ أى ينفقون أموالهم لوجهه تعالى لأجل أن يوفيه الله أجور أعمالهم فيعطيه إياها تامة كاملة و يزيدهم من فضله أى ليزيد على ما يقابل أعمالهم من جوده و كرمه، إِنَّهُ غَفُورٌ لِّفِرَاتِهِمْ شُكُورٌ لطاعتهم و مجازيهم عليها جزاء موفورا. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٤٤٣ ٣١- وَ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ ... قوله مِنَ الْكِتَابِ بيان من الموصول يعنى القرآن هُوَ الْحَقُّ ضمير الفصل و اللام فى قوله هنا للتأكيد لا للقصر، أى هو حق لا- يشوبه باطل لما يَتَيْنَ يَدَيْهِ أى الكتب السماوية المتقدمة عليه إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ عَالِمٌ ببواطنهم بَصِيرٌ بظواهرهم. ٣٢- ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ ... إلخ الألف و اللام للعهد الذكري يعنى القرآن أو المراد هو الجنس و معنى الإرث انتهاء الحكم إليهم و مصيره لهم و هؤلاء هم الذين اخترناهم من عبادنا. و الاصطفاء و إن كان يقرب من معنى الإرث انتهاء الحكم إليهم و مصيره لهم و هؤلاء هم الذين اخترناهم من عبادنا. و الاصطفاء و إن كان يقرب من معنى الاختيار إلا أن هنالك فرقا بينهما لأن الاختيار هو أخذ الشيء من بين الأشياء بما أنه خيرها، و الاصطفاء أخذه من بينها بما أنه صفوتها و خالصها. فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ بِتَحْمَلِهِمُ الْإِثْمَ وَ ذَلَّ الْمَعْصِيَةُ وَ مِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَ هُمُ الَّذِينَ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَ آخَرَ سَيِّئًا وَ مِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُادِّنُ اللَّهُ أَى المصطفين الأخيار الذين اختارهم الله بتوفيقه من الأنزل ذلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ أى أن إرث الكتاب و الاصطفاء هو الفضل العظيم من الله عليهم. ٣٣- جَنَّاتٌ عَرِدْنَ يَدْخُلُونَهَا ... هذا تفسير للفضل الكبير كأنه قيل ما ذلك الفضل الكبير؟ فقال: هذا جَنَّاتُ عَدْنٍ. يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ فِيهَا بَيَاضَةٌ لِلتَّحْلِيَةِ وَ أَسَاوِرُ جَمْعُ سَوَارٍ وَ هُوَ زِينَةُ الْيَدِ وَ حُلِيِّهَا مِنْ ذَهَبٍ أَى بعضها ذهب خالص و لؤلؤا أى و يحلون فيها لؤلؤا و لباسهم فيها حَرِيرٌ وَ هُوَ مِنْ أَحْسَنِ أَلْبَسَةِ الدُّنْيَا. ٣٤ و ٣٥- وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ ... أى بعد ما استقرؤا فى جنات عدن و اطمأنوا من العذاب حمدوا الله و أثنوا على إذهابه عنهم الحزن الناشئ من خشية العذاب و خوف النار، و كذلك هم الدنيا إِنْ رَبَّنَا لَغَفُورٌ لِّفِرَاتِنَا وَ تَقْصِيرِنَا شُكُورٌ لطاعتنا مجازينا عليها بالثواب الجزيل فهو الذى أحلنا دارَ الْمَقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ أى أوردنا دار الإقامة الدائمة بكرمه و نَصَبَ أَى تعب و لا- يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ كلال و إعياء إذ لا تكليف فيها. ٣٦- وَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ ... فهى معدة لهم فى الآخرة جزاء على كفرهم لا يُقْضَى عَلَيْهِمْ أَى لا يحكم عليهم فيموتوا بموت ثان فيستريحوا من شدائد العذاب. و لا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا أَى لا يسهل عليهم عذابها كَذَلِكَ أَى مثل ذلك العذاب نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ كُلَّ جاحد كثير الكفران مكذب لأنبياء الله تعالى. ٣٧- وَ هُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا ... أى يستغيثون بالصِّرَاحِ قائلين: رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَى يستغيثون ربنا أَخْرِجْنَا مِنَ النَّارِ نَوْمن بدل الكفر و نطعم بدل المعصية أ و لَمْ نَعْمَرْكُمْ أ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ أ و لَمْ نَعْطِكُمْ عَمَراً كُنْتُمْ مَتَكِّينَ فِيهِ مِنَ التَّفَكَّرِ وَ التَّذَكُّرِ لو كنتم من أهل التذكر و التدبر. وَ جَاءَكُمْ النَّذِيرُ أَى الرسول أو الكتاب، أو الشيب، أو العقل لأنه الرسول الباطنى. فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ أى ناصر: يدفع عنهم العذاب. ٣٨- إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ... أى عارف بمضمراتها، غيرها أولى بأن يعلمه فلا يخفى عليه شيء من أسرار السماوات و خفيات الأرضين. و هو يعاملكم بما فى باطنكم من الاعتقاد و آثار الأعمال و يحاسبكم عليه، سواء وافق ظاهركم باطنكم أو خالف. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٤٤٤ ٣٩- هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ ... أى: يا معاشر الكفرة إن الله تعالى أنعم عليكم بعد نعمه الوجود بأن جعلكم خلفاء فى أرضه مكان من كان قبلكم فى التصرف فيها و التسلط عليها، فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ أَى جزاء كفره و عقابه و لا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا آيَةً، وَ الْمَقْتُ هُوَ أَشَدُّ الْبَغْضِ، وَ الْخَسَارُ هُوَ الْخُسْرَانُ فى الآخرة. ٤٠- قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ ... إلخ أى يا محمد قل لهؤلاء المشركين أخبروني عن الأوثان التى تعبدونها من دون الله ما ذا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ فيستحقون بذلك العبادة، أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فى السَّمَاوَاتِ أَى شركة مع الله تعالى فى خلقها فاستحقوا بذلك شركة فى الألوهية أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا أَى هل أرسلنا إلى الأوثان كتابا أو أرسلنا إلى عبدة

الأوثان رسالته من عندنا بأن الأصنام شركاؤنا في الألوهية فهم يستحقون العبادة؟ فَهَمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْهُ أَى فهم حينئذ كانوا على حجة من كتابنا إليهم. بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا أَى ليس لهم فى هذا الأمر حجة عقلية، لكن لا يعد بعض الكافرين بعضا إلا وهما لا- حقيقة له و عدة لا واقع حيا لها. ٤١- إِنْ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا... أَى لئلا تزلوا- أو المعنى أنه تعالى يمنعهما من الزوال فهو تعالى يمسك السماوات من غير علاقة فوقها ولا عماد تحتها وكذلك الأرض. وَلَئِنْ زَالَتْ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ أَى وَلَئِنْ قَدَّرَ زوالهما عن مراكزهما لا يقدر أحد على إمساكهما من بعد الله أو من بعد زوالهما. إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا مر معناه وهو واضح. ٤٢ و ٤٣- وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ... إلخ أى أن مشركى قريش قبل بعثته (ص) حلفوا بأيمان غليظة غاية وسعهم و طاقتهم لئن جاءهم رسول نذير مخوف لهم من عذاب الله لَيَكُونَنَّ أَهْدَى إِلَخ إلى قبول قوله و اتباعه من الأمم الماضية كاليهود و النصارى و كانوا قد سمعوا بأنهم و غيرهم كانوا قد كذبوا رسلهم. فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ أَى مُحَمَّد (ص) ما زادهم إِلَّا نُفُورًا أَى تباعدا عن الهدى و إعراضا عن الحق استكباراً فى الأرض أى تكبرا و تجبرا و عتوا على الله و مكر السيئ و قصد الإضرار بالمؤمنين و هو كل مكر أصله الخديعة و الكذب لأن من المكر ما هو حسن. وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ أَى لا ينزل و لا يلزم جزاء المكر السيئ إِلَّا بِأَهْلِهِ بفاعله و هو الماكر. فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سَيِّئَاتِ الْأَوَّلِينَ أَى هل ينتظرون؟ و هذا الاستفهام بمعنى النفى، يعنى لا ينتظرون إِلَّا ما جرت به عادة الله فى الأمم الماضية من الإهلاك حينما كذبوا رسلهم. فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا أَى تعويض العذاب بالثواب هو خلاف ما جرت به عادة الله و كذلك العكس وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا أَى لن تجد نقل العذاب عن مستحقه إلى غيره. ٤٤- أَوْ لَمْ يَسِيرُوا فى الْأَرْضِ ... الاستفهام للإنكار يعنى لا بد لهم من السير فى الآفاق فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَى فيطلعوا كيف أهلك الله المكذبين من قبلهم مثل قوم لوط و عاد و غيرهم فيعتبروا بهم و كانوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً أَى كان أولئك أشد من هؤلاء قوة و مع ذلك لم تغنهم قوتهم من عذاب الله من شىء و ما كانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ إلخ أى ما من شىء يسبقه أو يفوته لو أراد أن يهلكه لا فى السماوات و لا فى الأرض إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ظاهر المعنى و قد مر. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٤٤٥ ٤٤٥- وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ ... أى لو يؤاخذهم بذنوبهم و المراد بالمؤاخذه الدنيوية كما يدل عليه قوله تعالى الآتى: و لكن يؤخرهم إلى أجل مسمى ... إلخ. و المراد بالناس: جميعهم، فإن الآية مسبوقة بذكر مؤاخذه بعضهم و هم الماكرون المكذبون بآيات الله، و المراد بما كسبوا المعاصى التى اكتسبوها بقريته المؤاخذه التى هى العذاب، و قد قال فى نظيره هذه الآية، و هى الآية ٦١ من سورة النحل: وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ .. «وقوله تعالى: وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ ... إلخ واقعة موقع الجواب عن سؤال مقدّر ناش عن الآية السابقة فإنه تعالى لما أُنذر أهل المكر و التكذيب من المشركين بالمؤاخذه و استشهد بما جرى فى الأمم السابقة و ذكر أنه لا يعجزه شىء فى السماوات و الأرض كأنه قيل: فإذا لم يعجزه شىء فى السماوات و الأرض فكيف يترك سائر الناس على ما هم عليه من المعاصى؟ و ماذا يمنعه أن يؤاخذهم بما كسبوا؟ فأجاب: إنه لو يؤاخذ ... إلخ». ما تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا أَى الأرض لأن الناس يعيشون على ظهرها، على أن الأرض تقدم ذكرها فى الآية السابقة. مِنْ دَابَّةٍ المراد بالدابة كل ما؟؟؟ على الأرض و فيها من إنسان ذكر أو أنثى أو كبير أو صغير. و احتمال أن يكون المراد كل ما يدب فى الأرض من حيوان، و إهلاك غير الإنسان من أنواع الحيوان إنما هو لكونها مخلوقة للإنسان كما قال تعالى فى ٢٩ من سورة البقرة: خَلَقَ لَكُمْ مَا فى الْأَرْضِ جَمِيعًا. وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى أَى يوم القيامة أو الموت. فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا فيجازى كل واحد بما عمل إن خيرا فخير و إن شرا فشر لأنه بصير بهم عليم بأعمالهم لأنهم عباده، و كيف يمكن أن يجهل الخالق خلقه، و الربّ عمل عبده؟! و قوله: فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ ... إلخ من وضع السبب موضع المسبب الذى هو الجزاء.

سورة يس مكية، عدد آياتها ٨٣ آية

١- يس ... فى المعانى عن الصّيادق (ع): و أمّا يس فاسم من أسماء النّبىّ و معناه: يا أيّها السّامع للوحى. و قيل معناه يا إنسان. ٢- و

الْقُرْآنَ الْحَكِيمَ ... الواو للقسم. أقسم سبحانه بالقرآن المحكم من تطرّق البطلان إليه أو سمّاه حكيماً لما فيه من الحكمة. ٣ و ٤- إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ... على الطريق الواضح. ٥- تَنْزِيلَ الْغَزِيرِ الرَّحِيمِ ... أى منزل ذلك من عند الغالب الذى لا يقهر الرحيم بخلقه. ٦- لَتُنذِرَ قَوْمًا مَا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ ... أى لتخوف به من معاصى الله قوما لم ينذر آباؤهم قبلهم لأنهم كانوا فى زمان الفترة. و قيل معناه: لتنذر قوما كما أنذر آباؤهم بناء على أن ما مصدرية. فَهُمْ غَافِلُونَ عَمَّا تَضَمَّنَهُ الْقُرْآنُ وَ عَمَّا أُنذِرَ اللَّهُ بِهِ مِنْ نَزُولِ الْعَذَابِ. ٧- لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ ... أى وجب الوعيد و استحقاق العقاب على معانديهم فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ أى يموتون على جحودهم و كفرهم. ٨- إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ ... يعنى أيديهم مغلوله إلى أذقانهم بقيد مربوط بأعناقهم. و ذلك لأن الغل إنما يجمع اليد إلى الذقن فيما إذا كان يراد أن تشدا إلى العنق. فَهُمْ مُقْمَحُونَ أى مرفوعة رؤوسهم بواسطة القيود و لذا فهم لا يستطيعون خفضها و لا تحريكها. ٩- وَ جَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَبَاطًا ... فَأَعْشَيْنَاهُمْ ... أى غطيناهم. و روى القمى أن الباقر (ع) يقول: فأعيناهم فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ الهدى. ١٠ و ١١- وَ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ... فهؤلاء المذكورون فى الآيات السابقة لا تفيد معهم الذكرى و لا ينفعهم الإنذار لأنهم لا يؤمنون بقولك لفرط عنادهم و كفرهم. و أنت إِنَّمَا تُنذِرُ تَخَوْفَ مَنْ اتَّبَعَ الذِّكْرَ تابع هذا القرآن و استمع لمقالته و اتعظ بمواعظه، وَ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ أى صدق بما غاب عنه من الأمور الأخروية. فَبَشَّرَهُ بِمَغْفِرَةٍ وَ أَجْرٍ كَرِيمٍ أى جزاء عظيم و عفو عن ذنوبه. ١٢- إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى ... يوم القيامة للجزاء وَ نَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا أى نحصى طاعاتهم و معاصيهم فى الدنيا وَ آثَارُهُمْ أى ما يقتدى بهم فيه من بعدهم من حسنة و سيئة. وَ كُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فى إِمَامٍ مُبِينٍ أى عدّدناه فى اللوح المحفوظ. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ١٣٤٤٦ و ١٤- وَ اضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ ... أى مثل لهم يا محمد مثلاً، و المراد من القرية قرية أنطاكية فأهلها كانوا عبدة أوثان مثل أهل مكة إذ جاءها الْمُرْسَلُونَ أى حينما جاءهم رسل عيسى (ع) إذ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ أى رسولين من رسلنا فَكَذَّبُوهُمَا أى كذب أهل تلك القرية هذين الرسولين و قيل إنهم ضربوهما و سجنوهما فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ أى قويناها بالرجل الثالث من الحواريين فقالوا أى الرسل قالوا للكفرة: إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ أى يا أهل القرية إن الله أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ لِنُرْشِدَكُمْ إِلَى الْحَقِّ. ١٥- قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا ... أى لا مزية لكم علينا تقتضى اختصاصكم بالرسالة إلينا و ما أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ مِنْ وَحْيٍ وَ رِسَالَةٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ أى ما أنتم إلا- كاذبون فى دعواكم. ١٦- قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ... إنما قال الرسل ذلك بعد ما قامت الحجة بظهور المعجزة كإبراء الأكمه و الأبرص و شفاء الأعمى و إحياء الموتى و لم يقبلوها، و وجه الاحتجاج بهذا القول أنهم ألزموهم بذلك النظر فى معجزاتهم ليعلموا أنهم صادقون على الله. ١٧- وَ مَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ... أى ليس ما يلزمنا إلا أداء الرسالة و التبليغ الظاهر. ١٨- قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ... أى هؤلاء الكفرة قالوا فى جواب الرسل حين عجزوا عن إيراد جواب يقنعهم، و عدلوا عن النظر فى المعجزة: نحن تشأنا بكم لَيْتَنَّا لَمْ تَنْتَهُوا عَنْ مَقَالَتِكُمْ مِنْ دَعْوَى الرَّسَالَةِ لَنَرْجَمَنَّكُمْ أى لنهلكنكم بالحجارة وَ لَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ و ليلحقنكم منا عذاب موحج. ١٩- قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ ... أى قال لهم الرسل: كفركم هو منشأ شؤمكم و سوء عقيدتكم الفاسدة و تشؤمكم لا دعوتنا إياكم إلى الله تعالى و توحيده فإنها غاية خير و يمن و بركة أَوْ إِنْ دُكِّرْتُمْ أى لو وعظتم فجزاء الواعظ الناصح لكم هو التهديد لَيْلَ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُشْرِفُونَ أى ليس فينا ما يوجب التشاؤم بنا و لكنكم متجاوزون عن حدّ الشرع و الشريعة و العقل. ٢٠- وَ جَاءَ مِنْ أَفْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَشْعُرُ ... و هو حبيب النجار المعروف بمؤمن آل يس جاء من أبعد مكان فى المدينة راکضاً. قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ أى نادى أهل بلده و طلب منهم الإقرار برسالة رسل الله هؤلاء إليهم و تصديقهم. ٢١- اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْئَلُكُمْ أَجْرًا ... أى على النصح و الهدى و تبليغ الرسالة. وَ هُمْ مُهْتَدُونَ إلى الحق سالكون سبيله. ٢٢- وَ مَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي ... إلخ أى لم لا أعتقد بوحدايته الخالق و لا أعبد الذى خلقنى و جاء بى من العدم إلى الوجود و إليه تردون عند البعث فيجازيكم على كفركم. ٢٣- أَلَمْ تَجِدْ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً ... أى هل ينبغى لى أن أترك من هو خالقى و رازقى و أتخذ الأوثان آلهة لى إِنْ يُرِذِنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا أى لو أراد من الذى بيده الرحمة العامة أن يضررنى بكيفيته خاصّة لا تنفعنى شفاعته أبداً وَ لَا يُنْقِذُونِ أى أن الأصنام لا يقدرّون على خلاصى من ذلك الضرر أو الهلاك. ٢٤ و ٢٥- إِنِّى

إِذَا لَفَى ضَلَالٍ مُّبِينٍ ... أى لو عبدت الأصنام و هى جمادات و عدلت عن عبادة الله القادر القاهر أكون فى بعد واضح عن الحق. إني آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمِعُونِ قِيلَ إِنَّهُ تَوَجَّهَ إِلَى قَوْمِهِ بِهذه الخطاب نصحا و عظة لهم، لكنهم عدوا عليه فقتلوه. ٢٦ و ٢٧- قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ ... أى قال له الملائكة بأمر من الله تعالى لما قتلوه: ادخل الجنة، قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّيَ أَيْ تَمْنَى أَنْ يَعْلَمَ قَوْمَهُ بِمَا أَعْطَاهُ اللَّهُ مِنَ الْمَغْفِرَةِ وَ جَزِيلِ الثَّوَابِ لِيُؤْمِنُوا فِينَالُوا ذَلِكَ. وَ جَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرِمِينَ أى من المدخلين الجنة و هو غاية الإكرام و التعظيم. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٤٤٧ ٢٨- وَ مَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ ... أى على قوم حبيب النجار بعد قتله أو رفعه إلى السماء على ما قيل. مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ أى من الملائكة لإهلاك قومه وَ مَا كُنَّا مُنْزِلِينَ أى مَا صَحَّ فِي حُكْمَتِنَا أَنْ نَنْزِلَ الْمَلَائِكَةُ لِإِهْلَاكِ الْكَفَرَةِ. ٢٩- إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً ... أى مَا كَانَتْ الْعُقُوبَةُ الْمَفْنِيَّةُ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً صَاحَ بِهِمْ جِبَرَائِيلُ فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ مهلكون ميتون. ٣٠- يَا حَسِيرَةً عَلَى الْعِبَادِ ... إلخ أى يَا أَسْفَاهَ عَلَيْهِمْ فِي الْآخِرَةِ حَيْثُ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِتَكْذِيبِهِمْ كُلَّ رَسُولٍ جَاءَهُمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَ كَانُوا مِنْهُ يَسْخَرُونَ. ٣١- أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ ... إلخ أى أَلَمْ يَعْلَمْ هَؤُلَاءِ الْكَافِرُ كَمْ أُمَةٌ مِنَ الْأُمَمِ السَّابِقَةِ عَلَيْهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ كَعَادَ وَ ثَمُودَ وَ قَوْمَ لُوطَ وَ غَيْرَهُمْ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ أى إِنْ الْهَالِكِينَ لَا يَرْجِعُونَ إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ وَ لَا إِلَى الدُّنْيَا يَعُودُونَ، فَلَمَّا ذَا لَا يَعْتَبِرُونَ مِنَ الْمَاضِينَ؟ ٣٢- وَ إِنْ كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ لَمَدِينَا مُحْضَرُونَ ... المعنى أَنَّ الْأُمَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مِنَ الْمَاضِينَ وَ الْبَاقِينَ، مَبْعُوثُونَ لِلْحِسَابِ وَ جَزَاءِ الْأَعْمَالِ. ٣٣- وَ آيَةٌ لَهُمْ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ ... أى هَذِهِ حُجَّةٌ قَاطِعَةٌ لَهُمْ عَلَى قُدْرَتِنَا عَلَى بَعْثِهِمْ، وَ هِيَ الْأَرْضُ الْمَجْدِبَةُ الْيَاسِةَ أَحْيَيْنَاهَا بِأَنْبَاتِ نَبَاتِهَا وَ أَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا كَالْحِنْطَةِ وَ الشَّعِيرِ وَ غَيْرَهُمَا مِمَّا يُؤْكَلُ فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ أى مِنَ الْحَبِّ. ٣٤- وَ جَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَ أَغْنَابٍ ... أى بَسَاتِينَ مِنْ أَنْوَاعِهِمَا، وَ خَصَّ بِالذِّكْرِ لِكَثْرَةِ مَنَافِعِهِمَا وَ فَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ أى فَجَّرْنَا فِي تِلْكَ الْأَرْضِ الْمَيْتَةِ أَوْ الْبَسَاتِينَ عِيُونًا مِنَ الْمَاءِ لِلشَّربِ وَ الرِّى. ٣٥- لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ ... يَتَنَبَّهَانَهُ أَنَّهُ إِنَّمَا فَعَلَ ذَلِكَ لِلْأَكْلِ مِنْ ثَمَرِ النَّخِيلِ. وَ مَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ مِنْهُ كَالدَّبْسِ وَ الْعَصِيرِ وَ الْخَلِّ وَ نَحْوِهَا أَفَلَا يَشْكُرُونَ؟ الْاسْتِفْهَامُ إِنْكَارٌ لِتَرْكِ الشُّكْرِ أَيْ: فَلْيَشْكُرُوا نَعْمَ الْمُنْعَمَ تَعَالَى. ٣٦- سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ ... أى الْأَصْنَافَ وَ الْأَنْوَاعَ وَ الْأَشْكَالَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ أَزْوَاجِ النَّبَاتِ وَ الْأَشْجَارِ وَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ مِنَ الذَّكَورِ وَ الْإِنَاثِ. وَ مِمَّا لَا يَعْلَمُونَ أى وَ أَزْوَاجًا مِمَّا لَمْ يَرَوْهَا وَ لَمْ يَسْمَعُوا بِهَا لِأَنَّهَا فِي بَطْنِ الْأَرْضِ أَوْ أَعْمَاقِ الْبَحَارِ وَ غَيْرِ ذَلِكَ. ٣٧- وَ آيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ ... أى دَلَالَةٌ أُخْرَى لَهُمْ عَلَى كَمَالِ قُدْرَتِنَا مُضَافًا إِلَى خَلْقِ اللَّيْلِ وَ النَّهَارِ، هِيَ أَنَّ نَسْتَلَّ مِنَ اللَّيْلِ النَّهَارَ بِأَنْ نَخْرُجَ ضَوْءَ الشَّمْسِ فَيَبْقَى الْهَوَاءُ مَظْلَمًا لِأَنَّهُ سَبْحَانَهُ يَضِيءُ الْهَوَاءَ بِضَوْءِ الشَّمْسِ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ أى أَنَّ النَّاسَ دَاخِلُونَ فِي ظِلَامِ اللَّيْلِ. ٣٨- وَ الشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ... أى آيَةٌ أُخْرَى لَهُمْ هِيَ الشَّمْسُ الَّتِي تَجْرِي لِحَدِّ لَهَا مَوْقَتٌ بِقُدْرَتِنَا تَنْتَهِي إِلَيْهِ مِنْ فَلَكِهَا آخِرَ السَّنَةِ. أَوْ لِمَتْنَهِي لَهَا مِنَ الْمَشَارِقِ وَ الْمَغَارِبِ. ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ أى جَرَى الشَّمْسُ لِمُسْتَقَرِّهَا مَقَرَّرٌ وَ ثَابِتٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْغَالِبِ بِقُدْرَتِهِ الْمَحِيطِ بِعِلْمِهِ. ٣٩- وَ الْقَمَرُ قَدَرْنَا مَنَازِلَ ... هِيَ ثَمَانِيَةٌ وَ عَشْرُونَ مَنَزَلًا يَنْزِلُ كُلُّ يَوْمٍ وَ لَيْلَةٍ مَنَزَلًا مِنْهَا لَا- يَخْتَلِفُ حَالُهُ إِلَى أَنْ يَقْطَعَ الْفَلَكَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ أى حَتَّى يَعُودَ فِي آخِرِ الشَّهْرِ دَقِيقًا كَالْعَذْقِ الْيَاسِ الْعَتِيقِ وَ يَكُونُ مَعُوجًا. ٤٠- لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا ... أى لَا يَصَحُّ وَ لَا يَتَأْتِي أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ فِي سُرْعَةِ سَيْرِهِ لِإِخْلَالِ ذَلِكَ بِالنِّظَامِ الْأَحْسَنِ، فَإِنَّ الْقَمَرَ أَسْرَعَ سِيرًا مِنَ الشَّمْسِ إِضَافَةً إِلَى أَنَّ فَلَكِيهِمَا مُتَبَايِنَانِ. وَ لَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ أَيْ وَ لَا يَسْبِقُ اللَّيْلُ النَّهَارَ وَ لَا يَجْتَمِعَانِ فَيَكُونُ لَيْلَتَانِ لَيْسَ بَيْنَهُمَا يَوْمٌ بَلْ يَتَعَاقَبَانِ. وَ كُلُّ فِي فَلَكٍ يَشْبَحُونَ السَّابِحَةُ هِيَ السَّيْرُ وَ الْحَرَكَةُ الْإِنْبَسَاطِيَّةُ الطَّبِيعِيَّةُ أَيْ أَنَّ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ وَ النُّجُومَ فِي مَدَارِهَا وَ فِي أَفْلَاكِهَا تَسِيرُ بِإِنْبَسَاطٍ وَ سَهُولَةٍ، وَ كُلٌّ مِنْهُمَا أَنْبَسَطَ فِي شَيْءٍ فَقَدْ سَبَّحَ فِيهِ. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٤٤٨ ٤١- وَ آيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ ... أى حَيَّةٌ وَ عَلَامَةٌ لَهُمْ عَلَى كَمَالِ اقْتِدَارِنَا أَنَّا حَمَلْنَا آبَاءَهُمْ وَ أَجْدَادَهُمْ بِوَسْطَةِ سَفِينَةِ نُوحَ وَ نَجَّيْنَاهُمْ مِنَ الْغَرَقِ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ أَيْ الْمَمْلُوءَةِ مِنَ النَّاسِ وَ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ أَثْنَاءَ بَقَائِهِمْ فِيهَا. ٤٢- وَ خَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ ... أى خَلَقْنَا لِلنَّاسِ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ وَ غَيْرِهِمْ سَفِينًا مِثْلَ سَفِينَةِ نُوحَ يَرْكَبُونَ فِيهَا. وَ قِيلَ مِثْلُ السَفِينَةِ مِنَ الْإِبِلِ وَ الدَّوَابِّ. ٤٣ وَ ٤٤- وَ إِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ ... أى لَا مَغِيثَ لَهُمْ وَ لَا هُمْ يُنْقَذُونَ أى لَا يَنْجُونَ مِنَ الْمَوْتِ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَهْلِكَهُمْ إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَ مَتَاعًا إِلَى حِينٍ أَيْ لَا يَنْقُذُونَ مِنَ الْغَرَقِ إِلَّا أَنْ تَشْمَلَهُمُ الْعَنَاءَةُ الرَّحْمَانِيَّةُ مِنَّا وَ نَمْتَعَهُمْ إِلَى حِينٍ حُلُولِ أَجَالِهِمُ الْمَضْرُوبَةِ لَهُمْ. ٤٥- وَ إِذَا قِيلَ

لَهُمْ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ ... أى وقائع الأمم الماضية وما خلفكم أى أمر الساعة أو ما تقدم من ذنوبكم وما تأخر لعلكم ترحموا أى برجاء أن تشملكم رحمته الله. ٤٦- وما تأتيهم من آية ... أى من حجة وبرهان على صدق ما يدعيه الرسول من آيات ربهم، إلاً كانوا عنها مغرضين عن التفكير فى تلك الحجج والمعجزات. ٤٧- وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله ... أى من ماله على خلقه المحايج قال الذين كفروا للذين آمنوا أن طمعه من لو يشاء الله أطعمه هذا القول إيهام بأن الله لما كان قادراً على أن يطعمهم فلم يطعمهم، فنحن أحق بأن لا نطعمهم أيضاً وإنما قالوه للتهرب من دفع الحقوق المالية التى جعلها الله للفقراء فى أموال الأغنياء. ٤٨ إلى ٥٠- و يقولون متى هذا الوعد ... إلخ. متى يتحقق الوعد بالبعث إذا كنتم صادقين فى قولكم؟ ما ينظرون إلاً صيحة واحدة ما ينتظرون، وما يمهلون إلاً أن تأخذهم الصيحة الواحدة وهم يخصمون يتنازعون فى أمورهم ومعاملاتهم فى غفلة عنها، فلا يستطيعون توصية بشىء ولا إلى أهلهم يرجعون أى لا يعودون من أماكن تواجدهم. ٥١- ونفتح فى الصور ... أى مرة ثانية للبعث فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسألون أى من قبورهم يسرعون إلى الموضع الذى يحكم الله فيه ولا حكم لغيره هناك. ٥٢- قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقنا ... الكفرة منهم قالوا يا هلاكنا من حشرنا من منامنا الذى كنا فيه نياما هذا ما وعده الرخصم وصدق المرسلون أى هذا وعد الله على لسان رسله الذين صدقونا فيما أخبرونا عن هذا البعث. ٥٣- إن كانت إلاً صيحة واحدة ... أى ما كان بعثهم إلاً بصيحة واحدة، وهى النفخة الأخيرة فإذا هم جميعاً لدينا مخضرون أى فإذا الأولون والآخرون مجموعون فى موقف الحساب يوم القيامة بلا فاصل بين النفخ فى الصور والحضور. ٥٤- فاليوم لا تظلم نفس شيئاً ... أى لا ينقص من ثواب المثاب شىء، ولا يزداد على عقاب المعاقب من مقدار استحقاقه شىء، ولا تجزؤن إلاً ما كنتم تعملون أى جزاؤكم على طبق أعمالكم إن خيراً فخير وإن شراً فشر. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٤٤٩ ٥٥- إن أصحاب الجنة ... إلخ. أى الذين كانوا من أهل الجنة ودخلوها فهم فى ذلك اليوم مشغولون بنعيمها الذى غمرهم بسروره عما فيه أهل النار من العذاب. ٥٦- هم وأزواجهم فى ظلال ... أى هم وحلائلهم لا يصيبهم حر الشمس لأنهم يكونون فى ظلال أشجار الجنة. وقيل فى ظلال تسترهم من نظر العيون إليهم. على الأرائك متكئون أى على السرر المزينة فى الحجال، وقيل هى الوسائد. ٥٧- لهم فيها ... أى فى الجنة فاكهة ولهم ما يدعون أى ما يتمنونه ويشتهونه. ٥٨- سلام قولاً من رب رحيم ... أى لهم سلام من ربهم هو أن يقول قولاً منه سبحانه وهو الرحيم بهم يسمعونهم بدوام نعيمهم وأمنهم. وقيل: سلامه تعالى عليهم يكون بواسطة الملائكة. ٥٩- وامتازوا اليوم أيها المجرمون ... أى انفصلوا أيها الكفرة العصاة عن المؤمنين وذلك عند اختلاطهم بهم فى المحشر. ٦٠- ألم أعهد إليكم يا بنى آدم ... إلخ. أى ألم أنهكم على السنة الرسل أن لا تطيعوا الشيطان فيما يأمركم به وينهاكم عنه؟ إنه لكم عهد مبين أى ظاهر العداوة لكم وأن اغبطوني قوموا بعبادتي. هذا صراط مستقيم فوصف عبادته بأنه طريق مستقيم لأنه طريق إلى الجنة. ٦١- ولقد أضل منكم جبلاً كثيراً ... أى جر إلى الكفر والضلال منكم أيها الناس خلقاً كثيراً بأن زينها لهم وأغواهم. أفلم تكونوا تعقلون؟ استفهام للإنكار أى ألم تتعقلوا أنه يغويكم ويصدكم عن الحق ويضلكم فتحجموا عن طاعته. ٦٣ و ٦٤- هذه جهنم التى كنتم توعدون ... أى توعدون بها على السنة الرسل فى دار التكليف فهى أمامكم اضلوا اليوم احترقوا بها، أو التزموا عذابها بما كنتم تكفرون أى بسبب كفركم وتكذيبكم رسلنا. ٦٥- اليوم نختم على أفواههم ... يحتمل قوياً أن لا يكون المراد من الختم هو المعنى المعروف المشهور بين الناس، بل المراد به هو نتيجة الختم بأن يقيم هو تعالى الحجج عليهم. بحيث لا يقدرون على ردّها ويعجزون عن الجواب وتكلمنا أيديهم إلخ. معترفه بما استعملوها فيه من ظلم ومعاصي، و النتيجة أننا نستنتق الأعضاء التى كانت لا تنطق فى الدنيا لتشهد عليهم ونختم على أفواههم التى عهد النطق منها. ٦٦- ولو نشاء لطمسنا على أعينهم ... أى لو أردنا لأعميناهم عن الهدى. أو لتركناهم عمياناً بعد أن سلبناهم حاسة الإبصار. فاستبقوا الصراط أى فاستطرقوا الطريق التى كانت معتادة لهم. أو طلبوا طريق الحق فأنى يصبون فكيف يبصرون بعد ذلك طريق الهدى أو الطريق التى اعتادوا سلوكها؟ ٦٧- ولو نشاء لمسخناهم على مكائبتهم ... أى لو أردنا لمسخناهم قردة و خنازير أو حجارة بتغيير صورهم وإبطال قواهم فى مكانهم الذى هم جالسون فيه فما استطاعوا مضياً ولا يرجعون أى لا يقدرّون على ذهاب ولا مجيء ولا حركة. ٦٨- ومن

نُعَمِّرُهُ ... أى من نجعله ذا عمر طويل نُنَكِّسُهُ فِي الْخَلْقِ نَرَدُّهُ إِلَى مَا خَرَجَ مِنْهُ مِنْ انْتِقَاصِ بَنِيهِ وَ ضَعْفِ قُوَّتِهِ الظَّاهِرِيَّةِ وَ الْبَاطِنِيَّةِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ فَيَدْرِكُوا أَنَّ مِنْ قَدَرٍ عَلَى ذَلِكَ فَهُوَ قَادِرٌ عَلَى الطَّمْسِ وَ الْمَسْحِ. ٦٩ وَ ٧٠- وَ مَا عَلَّمْنَاهُ الشَّعْرَ ... يَعْنِي مَا أَعْطَيْنَا مُحَمَّدًا الْعِلْمَ بِالشَّعْرِ وَ نَظْمِهِ الشَّعْرَ بِتَعْلِيمِ الْقُرْآنِ، وَ لَيْسَ مَا أُنْزِلُنَاهُ عَلَيْهِ مِنْ صِنَاعَةِ الشَّعْرِ فِي شَيْءٍ مِمَّا يَتَوَخَّاهُ الشَّعْرَاءُ مِنَ التَّخِيلَاتِ الْمَرْغَبَةِ وَ الْمَنْفَرَةِ وَ نَحْوَهُمَا مِمَّا لَا حَقِيقَةَ لَهُ وَ لَا أَصْلَ بَلْ هُوَ تَمْوِيهِ مُحَضٍّ وَ مَا يَتَّبَعِي لَهُ أَيْ لَا يَنْبَغِي لِلنَّبِيِّ (ص) الصِّنَاعَةُ الشَّعْرِيَّةُ أَوْ لِلْقُرْآنِ أَنْ يَكُونَ شَعْرًا، إِنَّهُ هُوَ إِلَّا ذَكَرَ أَيْ الَّذِي أُنْزِلُنَاهُ عَلَى مُحَمَّدٍ مَا هُوَ إِلَّا نَصْحٌ وَ عِظَةٌ مُتَضَمِّنَا أَحْكَامَ اللَّهِ مِنْ حَلَالِهِ وَ حَرَامِهِ. وَ قُرْآنٌ مُبَيِّنٌ أَيْ مُبَيِّنٌ لِلْأَحْكَامِ وَ الْبَرَاهِينِ الدَّالَّةِ عَلَى وَجُودِ الصَّانِعِ وَ تَوْحِيدِهِ لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا أَيْ لِيُنْذِرَ الْقُرْآنُ أَوْ النَّبِيَّ مَنْ كَانَ مُؤْمِنًا حَتَّى الْقَلْبِ وَ يَحَقِّقَ الْقَوْلَ عَلَى الْكَافِرِينَ أَيْ يَجِبُ وَ يُلْزَمُ الْوَعِيدُ بِالْعَذَابِ عَلَيْهِمْ. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٤٥٠-٧١ أَوْ لَمْ يَزُوا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ ... إلخ. أى ألم يعلموا أنا أنشأنا لمنافعهم مما ولينا خلقه بأيدينا من غير معين البقر و الإبل و الغنم فَهَمْ لَهَا مَا لِكُونَ يَتَصَرَّفُونَ فِيهَا وَ هُمْ قَاهِرُونَ لَهَا وَ لَوْلَا خَلَقْنَا لَهَا لَمَا حَصَلُوا عَلَيْهَا وَ لَا عَلَى شَيْءٍ مِنْ مَنَافِعِهَا. ٧٢- وَ ذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ ... أى صَيَّرْنَاهَا مُنْقَادَةً وَ مَسْخَرَةً لَهُمْ غَيْرَ نَافِرَةٍ، مَعَ ضَعْفِ الْإِنْسَانِ وَ كَمَالِ قُوَّتِهَا. فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ إلخ. أى مِنْهَا مَا هُوَ لِلرُّكُوبِ وَ حَمَلِ الْأَثْقَالِ. وَ مِنْهَا مَا يَذْبَحُ فِيؤْكُلُ لَحْمَهُ. ٧٣- وَ لَهُمْ فِيهَا مَنَافِعٌ وَ مَشَارِبٌ ... فَمِنْ مَنَافِعِهَا لِبَسِ أَوْبَارِهَا وَ أَصَوَافِهَا وَ أَشْعَارِهَا وَ الْاِكْتِسَابِ بِهَا وَ بَجْلُودِهَا وَ مِنْهَا شَرَبُ أَلْبَانِهَا وَ أَكْلُ لَحْمِهَا أَفَلَا يَشْكُرُونَ أَلَا يَشْكُرُونَ الْمَنْعَمَ عَلَى هَذِهِ النَّعْمِ. ٧٤- وَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً ... يَعْبُدُونَهَا فَوَضَعُوا الشَّرْكَ مَكَانَ الشُّكْرِ، لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُّونَ أَيْ لِكِي يَنْصَرُوهُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ. ٧٥- لَا يَشَيْطَانُ نَصْرُهُمْ ... أى هَذِهِ الْآلِهَةُ الَّتِي عَبْدُوهَا لَا تَقْدِرُ عَلَى الدَّفْعِ عَنْهُمْ وَ هُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُخَضَّرُونَ أَيْ إِنْ الْآلِهَةُ مَعَ الْعَبْدَةِ فِي النَّارِ مُحَضَّرُونَ فَلَا الْجَنْدُ يَدْفَعُونَ عَنْهَا الْإِحْرَاقَ وَ لَا هِيَ تَدْفَعُ عَنْهُمْ الْعَذَابَ. ٧٦- فَلَا- يَحْزُنُكَ قَوْلُهُمْ ... فِي تَكْذِيبِهِمْ لَكَ بِشَيْءٍ الْأَسَالِيبِ. إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسْرَتُونَ وَ مَا يُعْلِنُونَ أَيْ عَلِمْنَا مُحِيطًا بِمَا فِي ضَمَائِرِهِمْ وَ مَا يَظْهَرُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ فَتَجَازِيهِمْ عَلَى كُلِّ ذَلِكَ. ٧٧- أَوْ لَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ ... أى أَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ أَيْ مِنْ مَاءٍ حَقِيرٍ مُسْتَقْدَرٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ أَيْ نَاطِقٌ عَالِمٌ بَلِغٌ يَجَادِلُ فِي الْبَعْثِ وَ النُّشْرِ وَ يَنْكِرُهُ فَهُوَ مُخَاصِمٌ ذُو بَيَانٍ. ٧٨- وَ ضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَ نَسِيَ خَلْقَهُ ... أى يَبِينُ لَنَا فِي انْكَارِ الْبَعْثِ مَثَلًا بِالْعِظَمِ الْبَالِي وَ قِتَّةِ يَدَيْهِ وَ تَعَجُّبِ مَنْ يَقُولُ إِنَّ اللَّهَ يَحْيِيهِ بَعْدَ فَنَائِهِ وَ تَرَكَ النَّظَرَ فِي بَدْءِ خَلْقِ نَفْسِهِ هُوَ وَ أَنَّهُ كَانَ مِنْ نُطْفَةٍ. قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَ هِيَ رَمِيمٌ أَيْ بَالِيَةٌ، فَقَدْ نَسِيَ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلِ وَ لَمْ يَكْ شَيْئًا وَ هَذَا بِنَظَرِهِمْ أَصْعَبُ مِنْ إِعَادَتِهِمْ. ٧٩- قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ... أى قُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ: بَأَنَّ الَّذِي أَنْشَأَهَا وَ أَوْجَدَهَا مِنَ الْعَدَمِ إِلَى عَالِمِ الْوُجُودِ فَإِنَّ قُدْرَتَهُ بَاقِيَةٌ عَلَى إِعَادَتِهِ بَعْدَ تَفَرُّقِ أَجْزَائِهِ. وَ هُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ أَيْ عَالِمٌ وَ قَادِرٌ عَلَى خَلْقِ الْأَشْيَاءِ بِتَفَاصِيلِهَا وَ كَيْفِيَّتِهَا إِيجَادَهَا أَوَّلًا وَ آخِرًا. ٨٠- الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا ... إلخ. أى الَّذِي يَقْدِرُ عَلَى إِعَادَةِ الْأَجْسَامِ عَلَى صُورِهَا وَ هَيَاتِهَا بَعْدَ تَمَزُّقِهَا هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَمْرٍ أَعْجَبَ مِنْهَا إِذْ يَخْرُجُ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ الْمَطْفِئِ لِلنَّارِ نَارًا مُحْرِقَةً مَعَ مُضَادَّةِ النَّارِ لِلرُّطُوبَةِ. ٨١- أَوْ لَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ ... إلخ. هَذَا الِاسْتِفْهَامُ مَعْنَاهُ التَّقْرِيرُ، يَعْنِي مِنْ قَدَرٍ عَلَى إِيجَادِ السَّمَوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ إِبْدَاعِهَا مَعَ عَظَمَتِهَا وَ كِبَرِ جَرْمِهَا وَ كَثَرَةِ أَجْزَائِهَا، يَقْدِرُ عَلَى إِعَادَةِ خَلْقِ الْبَشَرِ بَلَى أَيْ نَعَمْ يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ وَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ أَيْ كَثِيرُ الْخَلْقِ وَ كَثِيرُ الْعِلْمِ. ٨٢- إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا ... أى إِنَّمَا شَأْنُهُ حِينَمَا يَقْصِدُ إِحْدَاثَ شَيْءٍ وَ إِبْدَاعَهُ أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ بِمَجَرَّدِ هَذِهِ الْإِرَادَةِ، فَإِذَا بَهَذَا الشَّيْءِ مُتَكَوَّنٌ وَ مَوْجُودٌ بَلَا حَاجَةَ إِلَى قَوْلٍ كُنْ أَيْ أَنَّ هُنَاكَ مِلَازِمَةٌ بَيْنَ إِرَادَتِهِ تَعَالَى وَ وَجُودِ الْمَرَادِ وَ حَدُوثِهِ دُونَ حَاجَةٍ إِلَى أَيْ شَيْءٍ. ٨٣- فَسَيُبْحَنُ الَّذِي ... أى مَنْزَرُهُ عَنْ نَفْيِ قُدْرَتِهِ عَلَى إِعَادَةِ الْمَخْلُوقَاتِ بِيَدِهِ أَيْ بِقُدْرَتِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ أَيْ حَقِيقَةُ كُلِّ شَيْءٍ أَوْ مُلْكُ كُلِّ شَيْءٍ مُلْكُهُ وَ سُلْطَانُهُ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ تَرْدُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ فِيهِ وَعْدٌ لِلْمُؤَحِّدِينَ وَ وَعِيدٌ لِلْمُنْكَرِينَ. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٤٥١

سورة الصافات مكية، عدد آياتها ١٨٢ آية

١ إلى ٥- وَ الصَّافَّاتِ صَفًّا ... الصَّافَّاتِ صَفًّا، أَيْ الْمَلَائِكَةُ تَصْطَفُّ فِي الْعِبَادَةِ فِي السَّمَاوَاتِ كَصَفُوفِ الْمُؤْمِنِينَ لِلصَّلَاةِ فِي الْأَرْضِ، أَوْ

المراد مطلق نفوس الصّيافين في الصلاة أو الدّعاء إلى الله أو في الجهاد. فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا أَى الملائكة تزجر الخلق عن المعاصى أو الملائكة الموكلّة بالسّحاب تزجره وتسوقه وغير ذلك أو الملائكة يزجرون المردة من الشياطين عن التعرّض لبنى آدم بالشّرّ فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا أَى الملائكة تقرأ كتب الله، و الذكر الذى ينزل على الموحى إليه، أو جماعة قراء القرآن من المؤمنين يتلون في الصّلاة. فقد أقسم الله بكل هذه الأمور إِنَّ إِلَهُكُمْ لَوَاحِدٌ لا- شريك له. فى الوجود أو الذات أو الصفات. وهذه الجملة جواب للقسم، رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَى خالقهما ومدبرهما والمتصرف فيهما. وَمَا بَيْنَهُمَا من سائر المخلوقات الحيوانية والنباتية والجمادية. وَرَبُّ الْمَشَارِقِ أَى مشارق الشمس فإن لها فى كل يوم مشرقا، أو لكلّ التّيرات. و لم يذكر المغارب لأن الشروق قبل الغروب. ٦- إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءِ الدُّنْيَا ... أَى حسّنا الكرة التى هى أقرب الكرات منكم. وإنما خصّت بالذكر لاختصاصها بالمشاهدة بزيّنهُ الْكَوَاكِبِ قيل المراد من الزينة الناشئة من الكواكب هى ضوؤها وحسنها. ٧ إلى ١٠- وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ ... أَى وحفظناها من دنو كل شيطان خبيث متمرّد لا- يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى أَى لكيلا- يسترقوا السمع إلى الكتب من الملائكة فى السماء أو كلام الملائكة مطلقا. وَ يُقَسِّدُونَ أَى يرمون بالشّهب مِنْ كُلِّ جَانِبٍ من جوانب السماء دُحُورًا أَى طردا شديدا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ أَى للشّياطين عذاب دائم فى الآخرة. إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ استثناء من الاستماع. والتقدير لا يستمعون إلى الملائكة، إلا من اختلس كلام الملائكة واستلب سرعه فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ أَى فتعقبه وأصابته نار مضيئة محرقة. ١١- فَاسْتَفْتِهِمْ أَمْ أَسَدٌ خَلَقًا ... أَى أسألهم تقريرا لهم هل هم أقوى خلقا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا؟ أَى قبلهم من الأمم الماضية والقرون السّالفة الذين أهلكناهم بالعذاب. إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ أَى إن أجابوا بأننا أقوى فأخبرهم بأننا قد خلقناهم من طين يلتصق باليد لو مسته فأين وجه الأقويّة؟ ١٢- بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ... أَى تتعجب يا محمد من إنكارهم البعث وهم يسخرون من تعجبك منهم. ١٣- وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ... أَى وإذا وعظوا بالقرآن أو خوفوا بالله لا يتذكرون ولا يتّعظون. ١٤ إلى ١٩- وَإِذَا رَأَوْا آيَةً ... أَى إذا شاهدوا معجزة تدلّ على صدق القائل بالبعث والحشر يَسْتَسْخَرُونَ يَهْزَأُونَ وَيَبَالُغُونَ فى السّخرية والاستهزاء بها وَقَالُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ أَى وصفوا تلك الآية بأنها سحر ظاهر أ إذا مئنا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا إلخ. أَى كيف نبعث احياء بعد ما صرنا ترابا وعظامنا بالية أ وَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ هل إن آباءنا لمبعوثون بعد طول مدّة موتهم وفنائهم؟ قُلْ يَا مُحَمَّد نَعَمْ سَتَبْعُونَ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ أَى ذليلون أشدّ الدّلة فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ أَى البعثة ليست إلّا بعد صيحة واحدة وهى النفخة الثانية، فَمَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ أَى يصرف الصّيحة إذا هم قيام من مراقدهم حاضرون فى المحشر ينتظرون ما يفعل بهم، أو يبصرون البعث الذى جحدوه فى الدنيا. ٢٠- وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا مِنَ الْعَذَابِ، وهذه كلمة يقولها القائل عند الوقوع فى الهلكة هذا يَوْمُ الدِّينِ أَى: يوم الحساب و يوم المجازاة الذى كنّا نكذب به، فيعتفون بعصيانهم واستحقاقهم بما كان الرسل يوعدون به. ٢١- هَذَا يَوْمُ الْفَضْلِ الَّذِى كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ... أَى يوم الحكم والقضاء بين المحسن والمسيء والحق والباطل الذى كنتم أيها الكافرون تيجادون به وتكرونيه. ٢٢ و ٢٣- احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا ... أَى يقول الله للملائكة: اجمعوا الذين ظلموا أنفسهم بالشّرك والمعاصى وَأَزْوَاجَهُمْ أَى إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٤٥٢ أشياعهم، أو المراد أشباههم فالزنا مع الزنا وهكذا. وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَى احشروا العابد والمعبود من الأوثان ونحوها فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ الْجَحِيمِ دلّوهم على طريق جهنّم. ٢٤- وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ... أَى احبسوهم فى الموقف يعنى قبل دخولها فإنهم لا بدّ وأن يسألوا عن عقائدهم وأعمالهم. ٢٥- مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ... أَى لم لا ينصر بعضكم بعضا بالتّخليص من العذاب. ٢٦- بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ... أَى منقادون بلا مقاومة لعجزهم وذلهم. ٢٧ و ٢٨- وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ... أَى يسأل بعضهم بعضا فيقبل المضللّ على المضللّ له فيقول: لم اغويتنى؟ ويقبل المضللّ على المضللّ فيقول له: لم قبلت منى؟ فيجيب المضللّون الذين اضلّوهم: قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ أَى من جهة النّصيحة واليمن و لذلك أقررنا لكم. والعرب تتيمن بما جاء من اليمين. ٢٩- قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ... الظاهر أن الجملة من المتبوعين والرؤساء فإنهم أجابوا التابعين بقولهم: ليس الأمر كما تزعمون بل لم تكونوا مؤمنين من أوّل الأمر حتى نكون نحن ممّن يضلّكم فإن الأنبياء كلما كانوا يدعونكم إلى الهدى كنتم تكذبونهم. ٣٠ و ٣١- وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ ... أَى لم تكن لنا قوّة وقدره حتى

نجبركم و نكرهكم على ما كنتم عليه من الضلال بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ متجاوزين عن الحدود المقررة من الله و رسوله فلا لوم و لا عتاب علينا فقط بل عليكم و علينا الإثم بما فعلنا فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا أَىٰ وَجِب علينا عذابه و ثبت إِنَّا لَمَذِيقُونَ العذاب أَى ندركه كما يدرك المطعوم بالدوق. ٣٢- فَأَعْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ ... أَى لَمَّا كُنَّا فى الضلالة أحببنا أن تكونوا مثلنا فأعويناكم أَى دعوناكم إلى الغى فأجبتونا بلا- إكراه. ٣٣- فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ... يعنى أن الأتباع و المتبوعين مجتمعون فى العذاب. ٣٤- إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ... أَى بمثل ما ذكرناه نعذب المشركين الذين فعلوا المعاصى. ٣٥ و ٣٦- إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ... أَى إذا أمرهم النبى بكلمة التوحيد يَشْتَكِبُونَ فلا يجيبونه تكبرا و عنادا وَ يَقُولُونَ أ إِنَّا لَنَارِكُوا آلِهَتِنَا أَى كيف نترك عبادة آلِهتنا و أصنامنا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ يعنون به النبى (ص). ٣٧- يَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَ صَدَقَ الْمُرْسَلِينَ ... يعنى ليس محمد بشاعر و لا- مجنون كما تزعمونه بل جاء بما تقبله العقول من الدين و الكتاب و حقق ما جاء به الرسل من بشاراتهم بدين الإسلام و نبه (ص). أو أنه أتى بمثل ما أتوا به من الدعوة إلى التوحيد. ٣٨- إِنَّكُمْ لَمَذِيقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ ... التفات إلى الخطاب لاهتمامه بمقالته سبحانه لهم، يعنى أنتم أيها المشركون لذائقو العذاب الشديد للشرك و تكذيب الرسول و نسبته إلى الجنون و الشعر. ٣٩- وَ مَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ... أَى جزاؤكم على قدر أعمالكم كما و كيفا. ٤٠- إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ... استثناء منقطع، أَى لكن عباد الله الذين أخلصوا عباداتهم له تعالى و أطاعوه فإنهم لا يذوقون العذاب. ٤١- أُولَٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ... أَى للمخلصين فى الجنة أعد رزق معلوم من حيث الوقت أو الخصائص الأخرى. ٤٢- فَوَاكِهُ وَ هُمْ مُكْرَمُونَ ... أَى أرزاق أهل الجنة منحصرة فى الفواكه بأقسامها و أنواعها يتفكّهون بها و يتنعمون بالتصرف فيها كيف يشاءون فى حال كونهم معظمين مبعجلين. ٤٣ و ٤٤- فِى جَنَّاتٍ النَّعِيمِ ... أَى منازلهم و مستقرهم فى بساتين فيها أنواع النعم يتنعمون بها. على سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ أَى متواجهين يستمتع بعضهم بالنظر إلى الآخر فلا يرى قفاه أبدا. ٤٥- يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَّعِينٍ ... فالحور العين، و غلمان الجنة يدورون عليهم بكؤوس فيها خمر يجرى أنهارا ظاهرة العيون. ٤٦ و ٤٧- يَبْيَضُاءَ لَمْدَةً لِلشَّارِبِينَ ... أَى تلك الخمر فى نهاية الصفاء و الرقة و اللطافة و هى لذيدة لهم، لا فيها غَوْلٌ هى خالية من المفسد كإذهاب العقل و الصداع و ألم البطن إلخ. كما هو الحال فى خمر الدنيا. و لا هُمْ عَنْهَا يُزْفُونَ أَى يسكرون. ٤٨- وَ عِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطُّرُفِ ... أَى تلك الزوجات يحسن نظرهن على أزواجهن و لا ينظرن إلى غيرهم لحبهن لهم. عِىْنٌ أَى واسعات العيون لحسنها، أو المراد هو الأعين التى بياضها شديد إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٤٥٣ كسوادها. ٤٩- كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ ... مكنون يعنى مصون عن الغبار و الكدورة و عن كل آفة. و تشبه الجارية بالبئض: بياضا و ملاسمة و صفاء لون، لأنه أحسن الألوان للبدن. ٥٠- فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ... أَى أن أهل الجنة يسأل بعضهم بعضا عن أحوالهم منذ بعثهم إلى وقت دخولهم الجنة. أو منذ حياتهم الدنيا مروراً بعالم البرزخ وصولاً إلى القيامة و الجنة. ٥١- قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ ... أَى يقصّ واحد منهم على الجلساء حكاية فيقول: كان لى فى الدنيا صاحب منكر للبعث و كان يَقُولُ لى توبيخا: ٥٢- أ إِنَّكَ لِمِنَ الْمُصَدِّقِينَ؟ ... أَى أنت تصدق الحشر و تقبل الحساب و الثواب و العقاب. ٥٣- أ إِذَا مِتْنَا وَ كُنَّا تُرَابًا وَ عِظَامًا ... أَى بعد ما نصير بالموت ترابا و نصير عظامنا رفاتا أ إِنَّا لَمَيِّدُونَ أَى نحيا و نحشر و نحاسب و نجازى على أعمالنا؟ ٥٤- قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ؟ ... أَى أن الذى يقصّ على جلسائه يسألهم قائلا: هل أنتم مطلعون على موضع من الجنة لأريكم هذا الصاحب فى النار؟ و هل فى الجنة موضع يرى منه أهل النار لأريكم ذلك القرين؟ يفتح لهم كوة من الجنة نحو النار ليرى هذا المؤمن قرينه فيقال له: انظر إلى قرينك و جليستك المنكر للبعث و الجزاء. ٥٥- فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِى سَوَاءِ الْجَحِيمِ ... أَى أشرف من فى الجنة على أهل الجحيم فرأى جليسه فى وسط النار. ٥٦- قَالَ تَاللَّهِ إِنِ كِدْتَ لَتُرْدِينَ ... يعنى قال القائل بعد ما أطلع على حال قرينه مخاطبا له تالله قد كان قريبا أن تهلكنى بالإغواء و تجعل حالى كحالك. ٥٧- وَ لَوْ لَا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنْتُ مِنَ الْمُخْضَرِّينَ ... أَى لو لم يشملنى لطفه تعالى بالهداية و العصمة لى لكنت أنا معك فى النار. ٥٨ و ٥٩- أ فَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ فى أكثر التفاسير أن هذا الكلام من مقالات أهل الجنة فيما بينهم فقولهم أ فَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ يعنى أ نحن مخلصون هنا و لن نموت بعد إِلَّا مَوْتَنَا الْأُولَى التى فى الدنيا و مَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ على الكفر السابق قبل الإيمان؟ و فى بعض الأقوال أن هذا من تنمة كلام

ذلك الجليس في الجنة تقريباً لصاحبه الدنيوية الذي هو من أهل النار. ٦٠- إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ... أى النعمة و الخلود في الجنة هو النجاح الكبير. ٦١- لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ... أى لمثل هذه النعم التي ذكرناها ينبغي أن يعمل العاملون في دار الدنيا. ٦٢- أ ذَلِكْ خَيْرٌ نَزْلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ... أى هل ما ذكر من الزق من المعلوم و سائر النعم التي أعدت لنزلاء منازل الجنة أفضل أم نزل أهل النار و هو الزقوم الذي هو ثمر شجرة كرية شديد الكراهة شاق مع أنه لا خير فيه؟ ٦٣- إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ... أى اختباراً لهم في الدنيا حيث إنهم كذبوا نبينا لما سمعوا بأن في الجحيم شجرة الزقوم حيث أنكروا وجود مثل هذه الشجرة فيما عندهم. ٦٤- إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ... أى منبتها في قعر جهنم و أغصانها ترتفع إلى دركاتنا. ٦٥- طَلَعَهَا كَأَنَّه رُؤْسُ الشَّيَاطِينِ ... أى ثمر الشجرة شبيه برؤوس الشياطين في الكبر أو في التشويه و تناهى القبح و الكراهة في الصورة. ٦٦- فَإِنَّهُمْ لَا يَكُلُونَ مِنْهَا فَمَا لَوْ أَنَّ مِنْهَا الْبُطُونَ ... أى أن طعام أهل النار من ثمرة تلك الشجرة يملئون منها بطونهم من شدة الجوع. ٦٧- ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا ... أى أن لأهل النار بعد أكل ثمرة الزقوم و عطشهم الشديد لشوباً من حميم أى من ماء حار في غايه الحرارة مخلوط بغساق أو صديد يقطع أمعاءهم. ٦٨- ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ ... أى بعد الأكل و الشرب يردونهم إلى الجحيم. ٦٩- إِنَّهُمْ أَلفُوا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ ... أى وجدوهم على الضلالة و الكفر. ٧٠- فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ ... أى يقلدونهم في الضلال و يتبعونهم فيه بسرعة. ٧١- وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأُولَئِينَ ... أى قبل هؤلاء الذين هم في عصرك من المشركين الذين كذبوك، ضل أكثر الأمم السالفة. ٧٢- وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ ... أى الأنبياء و الرسل خووفهم و وعظومهم فما خافوا و ما اتعظوا. ٧٣- فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ ... أى انظر كيف أهلكناهم، و ماذا حل بهم من العذاب. ٧٤- إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ... أى إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٤٥٤ الذين تتبها بإنذارهم و اتعظوا بمواعظهم فأخلصوا دينهم لله فשמهم الله برحمته و خلصهم من العذاب بلطفه. ٧٥- وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ ... أى حين آيس نوح من إيمان قومه دعانا لننصره فلنعم المجيئون أى فأجبناه أحسن الإجابة. ٧٦- وَنَجَّيْنَاهُ وَآلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ... أى و خلصناه و من معه في السفينة من الغم الشديد الذي كان يسببه له قومه. ٧٧- وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ... أى بعد الغرق. فالناس كلهم من بنيه الثلاثة و هم: سام بن نوح، و حام بن نوح، و يافث بن نوح. ٧٨- وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ... أى أبقينا لنوح ذكراً جميلاً و ثناءً عالياً في الأمم المتأخرة عنه إلى يوم القيامة. ٧٩- سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ... أى تركنا على نوح التسليم و الصلوات إلى يوم القيامة في الأمم اللاحقة. ٨٠- إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ... أى مثل ما جزينا نوحاً نفعل و نجزي كل من أحسن و فعل ما فعله نوح من الطاعات و تجنب المعاصي. ٨١- إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ... أى أن نوحاً منهم. ٨٢- ثُمَّ أَعْرَفْنَا الْأَخْرِينَ ... أى كفره قومه. ٨٣- وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ ... أى من أتباع نوح إبراهيم أى أنه على منهاجه و سنته في اتباع الحق. ٨٤- إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ... أى حين صدق و آمن به بقلب خالص من الشرك برىء من المعاصي على ذلك عاش و عليه مات. ٨٥- إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ ... حين رآهم يعبدون الأصنام قال لهم على نحو الاستهجان و التفرغ ما ذا تعبدون أى أى شئ تعبدونه من دون خالقكم. ٨٦- أِفَكَا آلهَةُ دُونِ اللَّهِ تَرِيدُونَ ... الإفك هو أشنع الكذب، أى هل تريدون عبادة آلهة غير الله للكذب و البهتان؟ ٨٧- فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ؟ ... أى ما زعمكم و عقيدتكم بمن هو حقيق بالعبادة تأكلون رزقه و تعبدون غيره؟ ٨٨ إلى ٩٠- فَظَنَرُ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ... أى بعد أن نظر في النجوم فقال: إِنِّي سَقِيمٌ مريض. و كان قومه يخافون العدوى، فَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ أى تركوه وحده هارين خوفاً من كون مرضه الطاعون و هو مرض سار. ٩١ و ٩٢- فَرَاغَ إِلَى آلِهِتِهِمْ ... أى مال على الأصنام التي كان قومه يدعون أنها آلهة خفية و مال عليهم سراً و كان عندهم طعام صنعوه لها تقريباً إليها و تبركا بها فقال إبراهيم (ع) للآلهة استهزاء: أَلَا تَأْكُلُونَ مِنْ هَذَا الطَّعَامِ اللَّذِيذِ؟ مَا لَكُمْ لَا تَتَّقُونَ؟ أى لم لا تجيبونني؟ ٩٣- فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ... أى فمال عليهم مستخفياً. ضروباً باليمين أى أخذ يضربهم ضرباً و يكسرهما باليمين لأنها أقوى. و قيل: معنى باليمين، بالقسم الذي كان أقسمه بقوله تالله لأكيدن أصنامكم. ٩٤- فَاقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزْقُونَ ... أى توجه إليه قومه بعد أن اطلعوا على ما فعل بأصنامهم و بعد أن اتهموه بتكسيها قال لهم: ٩٥- قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْجِتُونَ؟ ... استفهام للإنكار، أى كيف يصح عند عاقل أن يعبد لما يعمل به يده. ٩٦- وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ... أى الذي ينبغي أن يعبد و يخضع له هو الذي أوجدكم من العدم و أوجد

الحجارة التي يعملون منها أصنامكم فكيف تتركون عبادته و تعبدون مصنوعاتكم؟ ٩٧- قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُيُوتًا ... قال ابن عباس: بنوا حائطاً من حجارة طوله في السماء ثلاثون ذراعاً، و عرضه عشرون ذراعاً، و ملاءوه نارا و طرحوه فيه. و ذلك قوله فَالْقُوَّةُ فِي الْجَحِيمِ فِي النَّارِ الْعَظِيمَةِ. ٩٨- فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا ... أى أرادوا حيلةً فى هلاكه بأن رموه فى النار بواسطة المنجنيق فَجَعَلْنَاهُمْ أَشْفَقِينَ أى أبطلنا تدبيرهم بأن صاروا مقهورين و جعلنا النار برداً و سلاماً على إبراهيم. ٩٩- وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي ... إلى ما أمرنى ربى من الأمكنة المقدسة. قيل هى بيت المقدس. سَيَهْدِينِ أى يهدينى ربى إلى المكان الذى رضى لى المقام فيه. أو إلى طريق الجنة بطاعتي له و إيمانى به. ١٠٠- رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ... أى أعطنى بعض الصالحين، يريد الولد. لأن زوجته سارة كانت عقيماً فوهبت له خادمته هاجر فملكها. ١٠١- فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ... أى فاستجبنا دعاءه و بشرناه بابن وقور غير مستعجل فى الأمور قبل أوانها مع القدرة عليها. ١٠٢- فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ ... أى بلغ الولد السن الذى يقدر على السعى فى أمور والده معه، يعنى حد الشباب قَالَ يَا بَنِيَّ إِنِّي أُرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى أى فكر فى الأمر حتى ترى و تعرف رأيك إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٤٥٥ و وظيفتك. قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ أى قال إسماعيل لأبيه نَفَذْ مَا تُؤْمَرُ به من قبل ربك سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ أى على أمره تعالى و بلائه الممثلين لما يريد. ١٠٣- فَلَمَّا أَسْلَمَا ... أى حين استسلما لأمر الله، وَ تَلَّهِ لِلْجَبِينِ أى صرعه على شقه و هو أحد جانبي الجبهة، فوقع جبينه على الأرض، أو أكبته على وجهه حسب طلبه كيلا يراه فيرق له و لما هم بنحره جاءه النداء: ١٠٤ و ١٠٥- وَ نَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ ... قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ... أى بالعزم على الإتيان بما كان تحت قدرتك من مقدمات العمل. أو فعلت ما أمرت به فى المنام إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ أى كما جزينا إبراهيم و ابنه إسماعيل بالعفو عن الذبح نجزي كل من سلك طريقهما فى انقياده لأمر الله. ١٠٦- إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ... أى ابتلاء إبراهيم هو امتحان ظاهر يميز به المخلص من غيره. ١٠٧- وَ قَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ... أى دفعنا ذبح إسماعيل بذبح كبش أملح سمين كان يرتع- كما قيل- فى رياض الجنة. ١٠٨ و ١١١- وَ تَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ... إلخ. قد سبق بيان هذه الآية و ما بعدها فى قصه نوح. ١١٢- وَ بَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ... أى بولادة إسحاق ولدا نبيا من جملة الأنبياء المرسلين الصالحين. ١١٣- وَ بَارَكْنَا عَلَيْهِ وَ عَلَى إِسْحَاقَ ... أى و جعلنا فيما أعطيناها من الخير ثابتا ناميا و مِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا أى و من أولادهما مُحْسِنٌ بالإيمان و الطاعة. وَ ظَلَمْنَا لِنَفْسِهِ مِثِينَ بالكفر و العصيان بَيْنَ الظلم. ١١٤- وَ لَقَدْ مَنَّا عَلَى مُوسَى وَ هَارُونَ ... أى أنعمنا عليهما بأعظم النعم و هو النبوة و بكثير من النعم الأخرى الأخرى و الدنيوية و منها النجاة من آل فرعون و غيرها. ١١٥- وَ نَجَّيْنَاهُمَا وَ قَوْمَهُمَا ... أى خلصنا موسى و هارون و باقى بنى إسرائيل مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ من استبعاد فرعون و قومه و قيل: من الغرق. ١١٦- وَ نَصَرْنَاهُمْ فَاكُنُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ... أى القاهرين لفرعون و قومه بعد أن كانوا مقهورين لهم. ١١٧- وَ آتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ ... أى التوراة التى هى فى غاية الظهور و نهاية الاتضاح. ١١٨ إلى ١٢٢- وَ هَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ... أى أرشدناهما إلى الطريق الموصل إلى الحق و الحقيقة وَ تَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ أى أبقينا لهما الثناء الجميل بأن قلنا سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَ هَارُونَ ذَلِكَ أَنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ف إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ و قد سبق تفسير مثل تلك الآيات فلا نكرر تفسيرها. ١٢٣- وَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَمِّنَ الْمُرْسَلِينَ ... لهديته الناس و هو إيلاس بن ياسين بن ميثا بن فنخاص بن الغيران بن هارون أخى موسى، بعث بعده. و قيل هو إدريس. ١٢٤ إلى ١٢٦- إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ؟ ... أى ألا تخافون الله أن تعبدوا غيره؟ أَ تَدْعُونَ بَعْلًا أى صنما اسمه بعل كان من ذهب و كانوا يعبدونه. و بعل بلغه أهل اليمن هو الرب. وَ تَذَرُونِ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ أى و تتركون عبادة أحسن الصانعين و الموجدين لله رَبَّكُمْ وَ رَبَّ آبَائِكُمُ الْبَاطِلِينَ أى الله الذى هو خالقكم و خالق من مضى من آبائكم و رازقكم و رازقهم فهو أولى بالعبادة و أحق. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٤٥٦ ١٢٧ إلى ١٣٢- فَكَذَّبُوهُ فَأَنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ... أى سنحضرهم فى محضر الحساب لنذيقهم العذاب الذى لا نجبر منه إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ الذين صدقوا دعوته من قومه وَ تَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ فأبقينا له الذكر الحسن و الثناء الجميل سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ يعنى أننا أبقينا لإيلاس فى من بعده من الباقين سلاماً على إيلاسين. أى هذه الكلمة الطيبة. أمّا إيلاسين فلغته فى إيلاس، أو جمع له يراد هو و من تبعه. و قرئ آل ياسين، أى آل محمد (ص) إِنَّا كَذَلِكَ لَخ. مر معناه. إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ

المصدقين الطائعين لنا. ١٣٣ إلى ١٣٥- وَإِنَّ لُوطاً لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ... لوط بن هارون ابن أخى إبراهيم (ع) كان ممن أرسل إلى سدوم. إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ فاذكر يا محمد إذ خلصناه و من آمن معه من قومه من عذاب الاستئصال إِلَّا عَجُوزاً فِي الْغَابِرِينَ أى فى الباقين الذين اهلكوا، و هى امرأته التى كانت كافرة. ١٣٦- ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرِينَ ... قد مضى تفسيرها. ١٣٧ و ١٣٨- وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ وَ بِاللَّيْلِ ... يعنى يا قريش أنتم فى أسفاركم لا زلتم تمرّون عليهم و على منازلهم الخربة ليلا و نهارة أ فلا تغفلون أى أ فلا تفكرون فى عاقبتهم فتعتبرون بهم. ١٣٩ إلى ١٤١- وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ... أى اذكر يا محمد يونس بن متى الذى بعث إلى أهل نينوى من بلاد الموصل فى العراق إِذْ أَيْقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ حيث ترك من بعث إليهم من دون اذن من ربه إلى السفينة المملوءة بالناس و بأمعتهم. فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ : أى قارع مع ركاب السفينة على من يلقي بنفسه فى الماء بعد أن كادوا يغرقون. فكان أن القرعة خرجت باسمه و قد خسرت صفقته فوقع فى القرعة فقال: أنا الآبق، ورمى بنفسه فى البحر. ١٤٢- فَالْتَقَمَهُ الْخُوتُ وَ هُوَ مُلِيمٌ ... أى ابتلعه و يونس مستحق للوم لوم العتاب لا- لوم العقاب. ١٤٣ و ١٤٤- فَلَوْلَا- أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ... أى الذاكرين لله تعالى بالتسبيح أو غيره. لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ أى لبقى فى بطن الحوت إلى يوم الحشر الأ- كبر. ١٤٥- فَتَبَدَّنَا بِهِ الْعَرَاءُ ... أى أمرنا الحوت بالخروج إلى ساحل البحر فرماه من بطنه إلى أرض عارية من الأشجار و النباتات وَ هُوَ سَقِيمٌ أى مريض. ١٤٦- وَ أَتَيْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ ... أى أنشأنا شجرة الدباء و غطيناه بورقها العريض بعد إنباتها حتى لا يتأذى من حرارة الشمس و الذباب. ١٤٧ و ١٤٨- وَ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ... أى بعثناه إلى قوم كان عددهم لو نظر إليهم الناظر لقال هم مائة ألف أو أكثر. قيل: انهم أهل نينوى من أرض الموصل. فدعاهم إلى الله و توحيده و عبادته فآمنوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ أى قبلوا منه و أجابوه فمتعناهم بالذات و المنافع الدنيوية إلى انقضاء آجالهم. ١٤٩ و ١٥٠- فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَّبِّكَ بُنَاتٌ وَلَهُمُ الْبُتُونُ؟ ... أى اطلب يا محمد الحكم من مشركى العرب الذين كانوا يزعمون أن الملائكة بنات الله و سلهم ما الوجه فى إضافتكم البنات إلى الله و اخترتم البنين لأنفسكم؟ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَ هُمْ شَاهِدُونَ: أى حين خلق الله الملائكة هل رأوا خلقه لهم؟ و الاستفهام للتوبيخ: أى كيف حكموا بأنوثية الملائكة مع انهم لم يشهدوا خلقهم؟ ١٥١ و ١٥٢- أَلَا- إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ... أى من افتراءهم وَلَدَ اللَّهُ عِنْدَ مَا زَعَمُوا أَنَّ الْمَلَائِكَةَ بَنَاتُهُ وَ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ فيما ينسبونه إليه تعالى. ١٥٣- أَصِطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ؟ ... استفهام إنكار، أى ليس الأمر كما يزعمون، فكيف يختار الله تعالى من هو الأدنى على الأعلى مع كونه مالكا حكيما. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٤٥٧

١٥٤- مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ؟ ... أى بأى برهان تقضون بأن لكم البنين و لله البنات. ١٥٥- أَفَلَا- تَذَكَّرُونَ؟ ... أى أ فلا- تتبهنون فتتعظوا بأنه سبحانه منزّه عن ذلك؟ ١٥٦ و ١٥٧- أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ ... أى هل عندكم برهان واضح نزل عليكم من السماء بأن الملائكة بناته فَأَتُوا بِكِتَابِكُمُ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ إِنَّ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فى دعواكم. ١٥٨- وَ جَعَلُوا بَيْنَهُ وَ بَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا ... أى قال الكفرة إن بين الله و بين الجن نسبة المصاهرة و لقد علمت الجنة إِنَّهُمْ أى: إن المشركين لمحضرون فى يوم الحساب و أنهم فى النار. و قيل أريد بالجن الملائكة و سمي الملائكة جنّة لاستتارهم عن العيون. ١٥٩ و ١٦٠- سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ... نزه هو تعالى نفسه المقدسة عما لا يليق به ممّا وصفه به الكافرون، إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ فاستثنى عباده الذين استخلصهم لنفسه من بين القائلين بما لا يليق به. ١٦١ إلى ١٦٣- فَإِنَّكُمْ وَ مَا تَعْبُدُونَ ... أى أيها الكفرة و الذى تعبدونه ما أنتم عليه بفاتنين ما أنتم عن الله و عن دينه بمضلّين أحدا إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ الْجَحِيمِ أى إلا من سبق فى علمه تعالى أنه من أهل النار فهو لا محالة يحترق فى الجحيم بسوء اختياره. ١٦٤ إلى ١٦٦- وَ مَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ ... يعنى ليس لأحد منّا إلا- و له عبادته مكان متعين لا يتجاوزه، و ذلك على قدر مراتبنا و درجاتنا علما و معرفة و عملا- و هذا من الكلام الذى يجرى على ألسنة الملائكة و قيل هو كلام جبرئيل للنبي (ص) وَ إِنَّا لَنَحْنُ الصّٰفُّونَ أى المصطفون للصلاة و هى أعظم مصاديق الطاعة و الخضوع له تعالى و منازل الخدمة. وَ إِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ أى المنزهون الله تعالى عما لا يليق به. ١٦٧ و ١٦٨ و ١٦٩- وَ إِن كَانُوا لَيَقُولُونَ ... المقصودون هم كفّار مكة. و المعنى أنهم بالتأكيد كانوا يقولون قبل البعثة المباركة: لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْمَآُولِينَ أى يا ليت كنا نملك كتابا من كتب الأولين التى أنزلها على أنبيائه. لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ

الذين أخلصوا العبادة له تعالى و لم يشركوا به. ١٧٠- فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ... أى حين جاءهم محمد (ص) بالقرآن أعرضوا عما قالوا و أصروا على جحدهم و عنادهم فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ عاقبه كفرهم. ١٧١ إلى ١٧٣- وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا ... إلخ. أى لقد تقدم منا الوعد لعبادنا الذين أرسلناهم إلى الخلق إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ على أعدائهم بالقهر و الغلبة و الحجج الظاهرة فى الدنيا و الآخرة إِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ أى أن رسلنا و من صدقهم هم المنصورون لأنهم جندنا، و أن جندنا هم الغالبون الذين يقهرون الكفار بالحجة تارة و بالفعل أخرى. ١٧٤ و ١٧٥- فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ ... أى فأعرض عنهم إلى موعد الأمر بقتالهم و حصول وقت نصرى. و قيل هو يوم بدر، و قيل يوم الفتح. وَ أَبْصَرَهُمْ فَسَوْفَ يُنصَرُونَ أى اجعلهم على بصيرة بضلالتهم و عما قريب يرون ما وعدناك به من النصر فى الدنيا و الثواب الجزيل فى الآخرة. ١٧٦ و ١٧٧- أَفَعِدَّائِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ... أى هل يطلبون التعجيل فى العذاب؟ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ أى إذا حلّ بفنائهم بغته فسَاءَ صِيبًا مُنذرِينَ فلبس الصيب صباح الذين يحذرون و لم يحذروا. ١٧٨ و ١٧٩- وَ تَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ وَ أَبْصَرَهُمْ فَسَوْفَ يُنصَرُونَ ... كثر الآيتين تأكيداً لتسليته النبى (ص)، و لتهديد قومه، أو أن الأولى لعذاب الدنيا و الثانية لعذاب الآخرة. ١٨٠ إلى ١٨٢- سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ ... أى منزّه ربك الذى هو ذو قوّة و غلبة، عَمَّا يَصِفُونَ عما يقوله المشركون من اتّخاذ الأولاد و الشريك و سِلامٍ عَلَى الْمُرْسَلِينَ الْمُبْلِغِينَ عن الله دينه وَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ على ما أفاض عليهم و على من اتّبعهم من النعم. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٤٥٨

سورة ص مكية، عدد آياتها ٨٨ آية

١- ص ... قيل هو اسم السورة، و قيل غير ذلك. وَ الْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ أى و حقّ القرآن ذى الشرف، و قيل ذى البيان الذى يؤدى إلى الحق. ٢- يَلِ الْذِينَ كَفَرُوا فِي عِزِّهِ وَ شَتَقَاقٍ ... أى ليس فى القرآن نقص و لا- قصور، بل الكافرون من أهل مكة فى تكبر عن قبول الحق و حمية جاهلية و عداوة و مخالفة لأنهم يأنفون عن متابعتك. ٣- كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ ... فقد دمّرنا الكثيرين قبلهم ممّن كفروا فَتَادُوا وَ لَاتَ حِينَ مَنَاصٍ أى نادوا باستغاثة و تضرّعوا حين نزول العذاب عليهم و لكن ليس الوقت وقت مفز و ندامه و خلاص. ٤- وَ عَجَبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ ... أى تعجب الكافرون لمجىء رسول من أنفسهم مخوف لهم من عقاب الله و محذّر لهم من مخالفته و معصيته وَ قَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ حينما زعم أنه مرسل من الله. ٥- أَ جَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ... أى بالغ فى العجب مبلغاً لا يتحمّل حين دعا إلى ربّ واحد مع أن الآلهة عندنا ثلاثمائة و ستون صنماً. ٦- وَ أَنْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ امْشُوا وَ اصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ ... أى خرج الأشراف من الكفار من مجلسهم عند أبى طالب (ع) يقول بعضهم لبعض: اثبتوا على آلِهَتكم و اصبروا على دينكم و تحمّلوا المشاق فى سبيله إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ أى هذا الذى يقوله محمد و زيادة أنصاره فيه ما هو إلا أمر يراد بنا. ٧- مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْأَخْرَةِ ... أى هذا التوحيد الذى أتى به محمد ما سمعناه فى دين النصارى و هو آخر الملل. إِنَّ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ أى كذب اختلقه و اخترعه من عند نفسه و لا برهان له على دعواه. ٨- أُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا ... إنكار لاختصاصه بالوحي و هو منهم أو أدنى منهم فى الرئاسة و السن و كثرة الثروة بحسب عقيدتهم الفاسدة. بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي أى لا يدفعهم إلى ما يقولونه سوى الشك فى كتابى الذى أنزلته على رسولى. بَلْ لَمَّا يَدُوقُوا عَذَابِ أَى لَن يَتبدل شكهم هذا باليقين بصدق محمد (ص) و كون ما جاء به من عندى حقاً إلّا حين يدوقون عذابى لهم فى النار. ٩ و ١٠- أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ... هذه تتمّة الجواب عن إنكارهم نبوة محمد (ص) فقال سبحانه: أ بأيديهم مفاتيح النبوة و الرسالة التى هى من جملة محتويات خزائن رحمة الله فيضعونها حيث شاؤوا؟ يعنى ليست خزائن الرحمة بأيديهم و لكنّها بيد العزيز الغالب الوهاب الذى يعطى ما يشاء لمن يشاء أَمْ لَهُمْ ... إلخ. أى هل يملكون شؤون التصرف فى السماوات و الأرض و تدبير أمورهما فيتهيا لهم أن يمنعوها الله من مراده فَلْيَتَرَقَّبُوا فى الأسباب إن كانوا صادقين فيما زعموا فليصعدوا فى المعارج التى يتوصّل بها إلى العرش فينزلوا الوحي على من يستصوبون. ١١- جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْخِزَابِ ... أى أنّهم من جملة الكفرة المتحرّزين على الرّسل فى كلّ عصر، و أنت يا محمد غالبهم، فلا تبال بهم. و هذا الكلام

إعجاز، لأنه إخبار عما حصل فيما بعد في بدر أو الخندق أو فتح مكة حيث قطع الله دابرهم. فهو من الغيب. ١٢- كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَ عَادٌ ... أى أن تكذيبك من قومك ليس بأمر جديد بديع، بل كَذَّبَ قَبْلَ قَوْمِكَ قَوْمُ نُوحٍ وَ عَادٌ عَادًا وَ قَوْمُ كُلِّ نَبِيٍّ نَبِيَّهُمْ، وَ فِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ فِي الْعِلَلِ عَنِ الصَّادِقِ (ع) أنه سئل عن قوله تعالى وَ فِرْعَوْنَ ذُو الْأَوْتَادِ، لِأَيِّ شَيْءٍ سَمِيَ ذَا الْأَوْتَادِ؟ فقال: لأنه كان إذا عَذَّبَ رَجُلًا بَسَطَهُ عَلَى الْأَرْضِ عَلَى وَجْهِهِ وَ مَدَّ يَدَيْهِ وَ رَجَلَيْهِ فَأَوْتَدَهَا بِأَرْبَعَةِ أَوْتَادٍ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ تَرَكَهُ عَلَى حَالِهِ حَتَّى يَمُوتَ. ١٣- وَ ثَمُودُ يَعْنِي قَوْمَ صَالِحٍ. وَ قَوْمُ لُوطٍ وَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَ هُمْ قَوْمُ شُعَيْبٍ أُولَئِكَ الْبَآخِرَابُ أَيْ الْمُتَحَرِّبُونَ عَلَى الرِّسْلِ، الَّذِينَ جَعَلَ سَبْحَانَهُ صِفَتَهُمْ أَنَّهُمْ الْجَنْدُ الْمَهْزُومُ، أَيْ وَ قَوْمُكَ مِنْهُمْ. ١٤- إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ أَيْ مَا كُلُّ حِزْبٍ مِنْهُمْ إِلَّا كَذَّبَ الرِّسْلَ كَأَنَّهُمْ لَا عَمَلَ لَهُمْ إِلَّا هَذَا. فَحَقَّ عِقَابُ أَيْ فُوجِبَ لِذَلِكَ عِقَابِي لَهُمْ. ١٥- وَ مَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ ... أَيْ مَا يَنْتَظِرُ قَوْمُكَ أَوِ الْأَحْزَابَ جَمِيعًا إِلَّا صَيِّحَةً وَاحِدَةً هِيَ النْفَخَةُ الْأُولَى الَّتِي يَمُوتُ الْخَلَائِقُ كُلُّهُمْ بِهَا. مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ أَيْ مَا لَهُمْ مِنْ مَوْتٍ إِرْشَادُ الْأَذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ٤٥٩ بعدها أو من رجعه إلى الدنيا ولو مقدار رجوع اللبن إلى الصُّرْعِ وَ هُوَ الْفَوَاقُ. ١٦- وَ قَالُوا رَبَّنَا عَجَّلْ لَنَا قِطْنًا ... إلخ. أَيْ قَدَّمَ لَنَا نَصِيبَنَا مِنَ الْعَذَابِ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ قَالُوهُ اسْتَهْزَأَ بِتَخْوِيفِ النَّبِيِّ (ص) لَهُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ. ١٧- اضْمِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ ... أَيْ اصْبِرْ يَا مُحَمَّدُ عَلَى التَّكْذِيبِ وَ الِاسْتِخْفَافِ بِمَا جِئْتَهُمْ بِهِ وَ اذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ أَيْ يَا مُحَمَّدُ بَيْنَ لِقَوْمِكَ قِصَّةَ عَبْدِنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ أَيْ صَاحِبِ الْقُوَّةِ عَلَى الْعِبَادَةِ وَ الْاِقْتِدَارِ وَ النِّعَمِ الْكَثِيرَةِ، إِنَّهُ أَوَّابٌ أَيْ تَوَّابٌ إِلَى مَرْضَاءِ اللَّهِ أَوْ دَعَاءِ لَهُ تَعَالَى. ١٨- إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ ... أَيْ صَيَّرْنَاهَا مَأْمُورَةً بِأَمْرِهِ فَتَسَايَرُ حَيْثُ سَارَ يُسَيِّرُ بِحُجْنٍ بِالْعَشِيِّ وَ الْإِشْرَاقِ أَيْ حِينَ تَغِيبُ الشَّمْسُ وَ حِينَ تَطْلُعُ وَ تَسِيحُ الْجِبَالُ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ بِاعْتِبَارِ أَنَّهُ سَبْحَانَهُ قَدْ خَلَقَ فِيهَا التَّسْيِيحَ وَ مَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ. ١٩- وَ الطَّيْرُ مَخْشُورَةٌ ... أَيْ وَ سَخَّرْنَا لَهُ الطَّيْرَ مَجْمُوعَةً إِلَيْهِ تَسْبِيحُ اللَّهِ تَعَالَى بِتَسْبِيحِهِ. كُلُّ لَهُ أَوَّابٌ أَيْ كُلُّ الطَّيْرِ وَ الْجِبَالُ كَانَتْ رَجَاعُهُ إِلَى طَاعَتِهِ وَ التَّسْبِيحِ مَعَهُ. ٢٠- وَ شَدَدْنَا مُلْكَهُ ... أَيْ قَوَّيْنَا وَ أَحْكَمْنَا سُلْطَانَهُ بِالْجُنُودِ وَ الْهَيْبَةِ وَ الْأَمْوَالِ. وَ آتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ أَيْ النُّبُوَّةَ وَ الْإِصَابَةَ فِي الْأُمُورِ وَ فَضَّلَ الْخِطَابَ أَيْ الْعِلْمَ بِالْقَضَاءِ وَ الْفَهْمَ. ٢١- وَ هَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَضَمِ ... أَيْ هَلْ بَلَغَكَ خَبَرُ الْمُتَخَاصِمِينَ يَا مُحَمَّدُ فَإِنْ جَبْرَائِيلَ وَ مِيكَائِيلَ أَتَيَا دَاوُدَ عَلَى صُورَةِ خَصْمَيْنِ وَ مَعَ كُلِّ وَاحِدٍ كَانَ جَمْعٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ أَيْ صَعَدُوا سُورَ الْغُرْفَةِ الَّتِي كَانَ يَتَعَبَّدُ فِيهَا لَا مِنْ بَابِهَا الْمُتَعَارَفِ. ٢٢- إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ ... أَيْ اذْكُرْ إِذْ نَزَلُوا عَلَيْهِ مِنْ فَوْقِ الْغُرْفَةِ فِي يَوْمِ احْتِجَابِهِ فَفَرَّغَ مِنْهُمْ أَيْ خَافَ مِنْهُمْ خَوْفًا شَدِيدًا لِأَنَّهُ زَعَمَ أَنَّهُمْ أَرَادُوا قَتْلَهُ، وَ لِأَنَّهُمْ دَخَلُوا بِلَا إِذْنٍ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ أَيْ نَحْنُ فَرِيقَانِ مُتَخَاصِمَانِ جِئْنَا لِنَقْضِي بَيْنَنَا بَغْيَ بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَ لَا تُشْطِطْ أَيْ لَا تَجْرُ فِي الْحُكْمَةِ وَ لَا تَجَاوِزِ الْحَقَّ. وَ اهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصَّرَاطِ أَيْ وَسْطِهِ، وَ الْمُرَادُ طَرِيقُ الْعَدْلِ. ٢٣- إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَ تِسْعُونَ نَعْجَةً ... النِّعْجَةُ هِيَ الْأَنْثَى مِنَ الضَّأْنِ، وَ قَدْ يَكْتَنِي بِهَا عَنِ الْمَرْأَةِ، وَ الْحَاصِلُ أَنَّ الْمَدْعَى بَيْنَ ادِّعَاءِهِ هَذَا وَ أَشَارَ إِلَى خَصْمِهِ وَ أَطْلَقَ عَلَيْهِ لَفْظَ أَخِي بِلِحَازِ الدِّينِ أَوْ الصَّدَاقَةِ، وَ بَيْنَ لَهُ أَنَّهُ شَارَكَهُ فِي الْخِلَاطَةِ وَ لَهُ تِسْعٌ وَ تِسْعُونَ نَعْجَةً وَ لِي نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ أَيْ لَا أَمْلِكُ إِلَّا هَذِهِ النِّعْجَةَ الْمَفْرَدَةَ فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا أَيْ اجْعَلْهَا فِي كِفَالَتِي وَ تَحْتَ تَصَرُّفِي وَ عَزَّيْنِي فِي الْخِطَابِ أَيْ غَلْبِنِي وَ أَعْجِزْنِي فِي الْقَوْلِ. ٢٤- قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نَعَاجِهِ ... أَيْ: إِنْ كَانَ الْأَمْرُ عَلَى مَا تَدَّعِيهِ، فَقَدْ ظَلَمَكَ بِضَمِّ نَعْجَتِكَ إِلَى نَعَاجِهِ وَ كَانَهُ (ع) حَكَمَ قَبْلَ أَنْ يَسْمَعَ كَلَامَ الْمَدْعَى عَلَيْهِ. وَ إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ أَيْ الشَّرَكَاءِ الَّذِينَ يَخْلُطُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيُبْنِيَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ أَيْ يَظْلَمُونَ وَ يَطْلُبُونَ زَانِدًا عَلَى حَقِّهِمْ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَ قَلِيلٌ مَا هُمْ فَإِنَّهُمْ لَا يَظْلَمُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَ هُمُ الْأَقْلِيَّةُ وَ ظَنَّ دَاوُدَ أَنَّهَا فِتْنَاءُ أَيْ عَلِمَ أَنَّهَا اخْتِبَرَانُهُ بِهَذِهِ الْحُكْمَةِ وَ الْحَكَمَ بَيْنَ الْمُتَخَاصِمِينَ قَبْلَ أَنْ يَسْأَلَ الْمَدْعَى الْبَيِّنَةَ وَ قَبْلَ أَنْ يَسْمَعَ الْكَلَامَ مِنْ خَصْمِهِ وَ قِيلَ أَنَّهُ مِنَ الظَّنِّ الْمُتَعَارَفِ. فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَ خَرَّ رَاكِعًا وَ أَنَابَ أَيْ وَقَعَ سَاجِدًا طَالِبًا مِنَ اللَّهِ السَّتْرَ عَلَيْهِ وَ رَجَعَ إِلَى اللَّهِ بِالتَّوْبَةِ. ٢٥- فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ ... إِشَارَةٌ إِلَى تَرْكِ الْمُنْدُوبِ وَ الْأُولَى، فَعَدَّ تَرْكَ الْأُولَى ذَنْبًا وَ إِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَ حُسْنَ مَآبٍ أَيْ إِنَّ لِدَاوُدَ عِنْدَنَا لِمَرْتَبَةِ الْقَرَبِ وَ الْكِرَامَةِ وَ حَسَنِ الْمَرْجِعِ فِي الْجَنَّةِ. ٢٦- يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ ... أَيْ لِإِقَامَةِ أَمْرِ الدِّينِ وَ تَدْبِيرِ أَمْرِ النَّاسِ، أَوْ جَعَلْنَاكَ خَلْفَ مِنْ مَضَى مِنَ الْأَنْبِيَاءِ فِي الدَّعَاءِ إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ وَ بَيَانِ شَرِيعَتِهِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ أَيْ ضَعِ الْأَشْيَاءَ فِي مَوَاضِعِهَا كَمَا أَمَرْنَاكَ وَ لَا تَتَّبِعِ الْهَوَى لَا تَحْكُمَ خِلَافَ حُكْمِ اللَّهِ طَبَقًا لِمَزَاجِكَ. فَيَصْرُفُكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَيْ إِذَا

اتبعت مزاجك عدل بك عن الحق الذى هو طريق الله. إِنَّ الَّذِينَ يَصِلُونَ إلخ. أى ينحرفون عن طريق الحق لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ أى بسبب نسيانهم إياه. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٢٧ ٤٦٠- وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ... أى لا لغرض حكيم أصلاً بل ابتدعناهما وما بينهما وما فيهما من إنسان وحيوان ونبات وجماد لأغراض عقلانية حكيمه. ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا. ٢٨- أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا ... إلخ. معناه بل أنجعل الذين صدّقوا الله ورسوله و عملوا بالطاعات كالعاملين بالمعاصى والكفر أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ والمعنى: أبل نجعل الذين اتقوا معاصى الله خوفاً من عقابه كالذين عملوا بها وتركوا الطاعات. أى أن هذا لا يكون. ٢٩- كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ ... أى هذا كتاب نفع ذو خير كثير لِيُذَكِّرُوا آيَاتِهِ يَتَأَمَّلُوهَا وَيَتَفَكَّرَ النَّاسُ فِيهَا فَيَتَعَذَّلُوا وَيَتَذَكَّرُوا أُولَئِكَ الْأَلْبَابِ أى ذوو العقول الصافية والأفهام الثاقبة. ٣٠- وَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ ... أى أعطيناها إياه. نِعَمَ الْعَبْدِ أى سليمان إِنَّهُ أَوَّابٌ أى رجّاع إليه سبحانه فيما يرضيه من التوبة والذكر. ٣١ و ٣٢- إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعِشِيِّ ... إلخ. أى اذكر يا محمد قصة سليمان حين عرض عليه فى آخر النهار بعد زوال الشمس الخيل الواقفة على ثلاث قوائم الواضعة طرف السنبك الرابع على الأرض الجياد: السريعة العدو الواسعة الخطى. فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ أى آثرت حب الخيل. عَنْ ذِكْرِ رَبِّي أى على ذكر ربى قيل بأنه صلاة العصر. حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ذكر الضمير بلا مرجع يذكر قبله دلالة لفظ بِالْعِشِيِّ عليه. والمراد بالمرجع هو الشمس، والمعنى استترت وراء الأفق. ٣٣- رُدُّوْهَا عَلَيَّ ... أمر الملائكة الموكلين برد الشمس، فردت فصلّى، كما ردت ليوشع و على (ع) فَطَفِقَ مَسِيحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ أى جعل يمسح سوق الخيل و أعناقها بالسيف و تصدّق بلحمها كفارة لتأخير وظيفة اليوم. أو المراد فجعل يمسح بيده سوقها و أعناقها على ما هى العبادة المشاهدة عند المعجبين بالخيل و المفتنين بها. ٣٤- وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ ... أى اختبرناه و امتحناه وَ أَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً يَحْتَمِلُ أن يكون إلقاء هذا الجسد بياناً لشدة محنته و ابتلائه و ما اختبره به، فإنه (ع) كان يحب أن يكون له أولاد كثيرون يجاهدون فى سبيل الله، و كان عنده من النساء ما شاء، و كان يطوف عليهن طلباً للأولاد و لكنهن لم يلدن له، إلّا امرأة واحدة جاءت بولد ميت و ألقته على كرسيه ليشاهده (ع). فلما رآه انكسر قلبه بمقتضى الطبع البشرى. و فزع و تأذى بذلك. ثُمَّ أَنَابَ أى رجع إلى ربه على وجه الانقطاع بعد يأسه من الولد أو بعد شهوده الجسد. و ذكر فى سبب ابتلائه أمور آخر كذهاب ملكه أربعين يوماً من يده و غير ذلك. ٣٥- قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي ... طلبه الغفران يحتمل أن يكون لحبه الشديد للولد و تعلقه الشديد به و حبه الأولاد ليجاهدوا فى سبيله تعالى، فإن الأنبياء جهم لا بد و أن ينحصر به تعالى أو أنه من باب الخوف و الخضوع و الخشوع. وَ هَبْ لِي ... إلخ. أى أعطنى سلطاناً مادياً و معنوياً لا يتأتى لمخلوق بعدى أبداً. إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ أى المعطى بكرم و بلا عوض. ٣٦- فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ ... أى ذللناها لطاعته إجابة لدعوته تَجَرَّى بِأَمْرِهِ رُخَاءً أى لينه طيبة سريعة مطيعة له حَيْثُ أَصَابَ أى فى كلّ مكان و زمان أراد و قصد. ٣٧- وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَ غَوَّاصٍ ... و سَخَرْنَا لَهُ الشَّيَاطِينَ الَّذِينَ لَهُمْ صِنَاعَةُ الْبِنَاءِ وَ الْغَوْصِ. ٣٨- وَ آخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ... أى مكبلين و مشدودين فى الأغلال ليكفوا عن الشر. ٣٩- هَذَا عَطَاؤُنَا ... أى هذا الذى أعطيناك من الملك الذى لا ينبغي لأحد من بعدك فَاْمُنْ أَوْ أْمْسِكْ أى أعط منه من شئت و امنع عَمَّنْ شئت، بِغَيْرِ حِسَابٍ غير محاسب عليه. ٤٠- وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى ... أى قرب المقام و الرتبة، وَ حُسْنُ مَآبٍ أى له عندنا مرجع حسن و درجات فى جَنَاتِ النِّعَمِ. ٤١- وَ أَذْكُرْ ... يا محمد عَبْدَنَا أَيُّوبَ شَرَفَهُ سَبْحَانَهُ بِأَن أَضَافَهُ إِلَى نَفْسِهِ وَ كَانَ أَيُّوبَ مِمَّنْ خَصَّهُمُ اللَّهُ سَبْحَانَهُ بِأَنْوَاعِ الْبَلَاءِ وَ الْمُحَنِّ فَذَكَرَ قَصَّتَهُ تَسْلِيَةً لِلنَّبِيِّ (ص) إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّى مَسَّنَى الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَ عِيَذَابٍ أى حين دعا ربه رافعا صوته اننى أصابنى الشيطان بتعب و مشقة و مكروه. و قيل: بوسوسة فيقول له الشيطان طال مرضك و لا يرحمك ربك. ٤٢- ارْكُضْ بِرِجْلِكَ ... حكاية لما أجيب به، أى اضرب برجل الأرض، فضربها فانبعث عين فقيل هذا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ أى ما تغتسل به وَ شَرَابٌ أى ما تشرب منه و هو بارد. فاغتسل (ع) و شرب فبرئ ظاهره و باطنه. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٤٣ ٤٦١- وَ هَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ ... مر تفسيره فى سورة الأنبياء. رَحِمَهُ مِنَّا وَ ذِكْرُى لِأُولَى الْأَلْبَابِ أى فعلنا ذلك به لرحمتنا إياه و ليتذكر و يعتبر به أصحاب العقول. ٤٤- وَ خُذْ يَدَكَ مِنَّا ... أى قبضه حشيش يختلط فيها الزُّطْبُ باليابس. فَاضْرِبْ بِهِ زَوْجَتَكَ ضَرْبَةً وَاحِدَةً وَ كَانَ (ع) قد حلف أن يضربها مائة جلدة لأمر أنكره عليها. وَ لَا تَحْنُتْ بترك

ضربها، إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا عَلَى مَا أَصَابَهُ فِي النَّفْسِ وَالْأَهْلِ وَالْمَالِ مِنَ الْبَلَاءِ الَّذِي ابْتَلَيْنَاهُ بِهِ نِعَمَ الْعَبْدِ أَيُوبَ إِنَّهُ أَوَّابٌ أَيْ رَجَاعٍ مُنْقَطِعٍ إِلَى اللَّهِ بِكُلِّ وَجُودِهِ. ٤٥- وَادْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ... أَيْ اذْكُرْ يَا مُحَمَّدُ لَأُمَتِكَ وَقَوْمِكَ عِبَادَنَا الصَّالِحِينَ هَؤُلَاءِ. أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ أَيْ ذَوِي الْقُوَّةِ فِي الطَّاعَةِ، وَالْبَصِيرَةِ فِي الدِّينِ. أَوْ أُولَى الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ. ٤٦- إِنَّا أَخْلَصَيْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ... أَيْ جَعَلْنَاهُمْ خَالِصِينَ بِخِصْلَةٍ لَا شُوبَ فِيهَا وَهِيَ ذِكْرُ الدَّارِ أَيْ تَذَكُّرُهُمْ لِلْآخِرَةِ دَائِمًا. ٤٧- وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ... أَيْ الْمُخْتَارِينَ حَسَبَ مَا سَبَقَ عَلِمْنَا الْمُخْتَارِينَ بِنِعْمَةِ النَّبَوَّةِ وَتَحَمُّلِ أَعْيَاءِ الْخِلَافَةِ وَالرِّسَالَةِ الْفَعَالِينَ لِلْأَفْعَالِ الْحَسَنَةِ الْكَثِيرَةِ. ٤٨- وَادْكُرْ إِسْرَافَ عَمِلٍ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ ... أَيْ اذْكُرْ لَأُمَتِكَ هَؤُلَاءِ الْكَرَامِ مِنَ الْمَذْكُورِينَ أَيْضًا لِيَقْتَدُوا بِهِمْ وَيَسْلُكُوا سَبِيلَهُمْ. وَالْيَسَعَ هُوَ ابْنُ أَخْطُوبَ اسْتَخْلَفَهُ إِيَّاسُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَانَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَأَمَّا ذُو الْكِفْلِ فَهُوَ ابْنُ عَمِّ الْيَسَعَ وَقِيلَ هُوَ ابْنُ أَيُوبَ النَّبِيِّ، وَقِيلَ غَيْرَ ذَلِكَ. وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ أَيْ مِنَ الَّذِينَ اخْتَارَهُمُ اللَّهُ لِلرِّسَالَةِ. ٤٩- هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ... أَيْ هَذَا ذِكْرٌ لَهُؤُلَاءِ الْأَنْبِيَاءِ الشُّرَفَاءِ الَّذِينَ يَسْتَحِقُّونَ الْمَدْحَ وَالثَنَاءَ الْجَمِيلَ يَذْكُرُونَ بِهِ فِي الدُّنْيَا دَائِمًا. وَلَهُمْ حَسَنُ الْمَرْجِعِ يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ فِي الْآخِرَةِ، وَهُوَ ثَوَابُ اللَّهِ. ٥٠- جَنَّاتٍ عِدْنٍ مُمْتِنَةٍ لَهُمُ الْأَبْوَابُ ... أَيْ جَنَّاتُ إِقَامَةٍ وَخُلُودٍ، حِينَ يَرُدُّونَهَا يَجِدُونَ أَبْوَابَهَا مَفْتُوحَةً. ٥١- مُتَّكِئِينَ فِيهَا ... أَيْ مُسْتَنِدِينَ فِيهَا إِلَى الْمَسَانِدِ، يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ فَكَلَّمَا أَرَادُوا فَاكِهَةً يَأْمُرُونَ سِدَنَتَهُمْ بِهَا، أَوْ يَتَحَكَّمُونَ فِي شَرَابِهَا وَثَمَارِهَا فَإِذَا قَالُوا لَشَيْءٍ مِنْهَا أَقْبِلْ أَوْ اشْتَهَوْهُ حَصَلَ عِنْدَهُمْ. ٥٢- وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ ... وَعِنْدَهُمْ فِي الْجَنَّةِ أَزْوَاجٌ قِصْرٌ طَرَفُهُنَّ عَلَيْهِمْ رَاضِيَاتٌ بِهِمْ مَالَهُنَّ فِي غَيْرِ أَزْوَاجِهِنَّ رَغْبَةً. وَتِلْكَ الزَّوْجَاتُ أَقْرَانٌ عَلَى سَنٍ وَاحِدٍ لَيْسَ فِيهِنَّ عَجُوزٌ وَلَا طِفْلَةٌ. ٥٣- هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ... أَيْ أَنَّ الْمَذْكُورَ آتِفًا هُوَ الَّذِي كُنْتُمْ تُوَعَدُونَ بِهِ بِوَسْطَةِ الْأَنْبِيَاءِ لِيَوْمِ الْجَزَاءِ. ٥٤- إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ ... أَيْ يَقُولُ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ: هَذِهِ النِّعَمُ الْجَزِيلَةُ الَّتِي أَنْعَمَ بِهَا عَلَيْنَا بِلُطْفِهِ هِيَ رِزْقُنَا الَّذِي لَا يَزَالُ ثَابِتًا غَيْرَ مُنْقَطِعٍ. وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ هَذَا مِنْ كَلَامِهِ تَعَالَى. ٥٥- هَذَا، وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ ... أَيْ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ أَمْرِ الْجَنَّةِ جَزَاءَ أَعْمَالِ الْمُتَّقِينَ. أَمَّا جَزَاءُ الْمُتَجَاوِزِينَ حُدُودَ الْعِبَادَةِ بِالطَّغْيَانِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى وَتَكْذِيبِ الرُّسُلِ فَإِنَّ لَهُمْ لَشَرَّ مَآبٍ وَقَدْ فَسَّرَ ذَلِكَ الشَّرَّ بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ٥٦- جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ... أَيْ يَدْخُلُونَهَا حَالُ كَوْنِهِمْ مَلَاذِمِينَ النَّارِ فَيَنْسِفُ الْمِهَادُ أَيْ بَسُّ الْمَسْكَنِ الْمَفْرُوشِ الَّذِي هَيَّئَ لَهُمْ. ٥٧- هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَعَسَاقٌ ... يَعْنِي هَذَا الْعَذَابُ لَا يَدَّ أَنْ يَذُوقُوهُ، وَهُوَ الْمَاءُ الشَّدِيدُ الْحَرَارَةِ، وَالْقَيْحُ الَّذِي يَخْرُجُ مِنَ الْقُرُوحِ وَالْدَّمَامِيلِ. ٥٨- وَآخِرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ ... أَيْ: وَلَهُمْ مَعَ ذَلِكَ الْعَذَابِ عَذَابٌ آخَرٌ وَهُوَ فِي الشَّدَّةِ مِثْلُ الْأَوَّلِ، وَهُوَ أَصْنَافٌ كَثِيرَةٌ. ٥٩ وَ ٦٠- هَذَا فَوْجٌ مُفْتَحِمٌ مَعَكُمْ ... أَيْ يَقَالُ لَهُمْ: هَذَا فَوْجٌ، وَهُمْ قَادَةُ الضَّلَالَةِ إِذَا دَخَلُوا النَّارَ، ثُمَّ يَدْخُلُ الْأَتْبَاعُ فَيَقُولُ الْخَزَنَةُ لِلْقَادَةِ: هَذَا فَوْجٌ، أَيْ طَائِفَةٌ مِنَ النَّاسِ، وَهُمْ الْأَتْبَاعُ دَاخِلُونَ مَعَكُمْ فِي النَّارِ وَهُمْ يَدْعُونَ دَعْوًا. لَا مَرْحَبًا بِهِمْ دَعَاءَ مِنَ الْمُتَبَوِّعِينَ عَلَى أَتْبَاعِهِمْ أَيْ: لَا سَعَةَ عَلَيْهِمْ وَلَا فَرْحَ بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ أَيْ دَاخِلُوهَا مِثْلَنَا. قَالُوا يَلِ أُنْتُمْ لَا- مَرْحَبًا بِكُمْ أَيْ الْأَتْبَاعُ قَالُوا لِلْقَادَةِ وَالرُّؤَسَاءِ: بَلْ أَنْتُمْ أَحَقُّ بِمَا قُلْتُمْ لَضَلَالِكُمْ وَإِضْلَالِكُمْ إِيَّانَا أَنْتُمْ قَدْ مَثُمُّوهُ لَنَا أَيْ هَذَا الْعَذَابُ صَيَّرْتُمُوهُ لَنَا بِحَمْلِكُمْ إِيَّانَا عَلَى الْعَمَلِ الَّذِي هَذَا جَزَاؤُهُ فَيَنْسِفُ الْقَرَارُ أَيْ أَنَّ جَهَنَّمَ بَسُّ الْمَقَرِّ لَنَا وَلَكُمْ. ٦١- قَالُوا ... أَيْ أَنَّ الْأَتْبَاعَ اشْتَكَوْا مِنَ الْمُتَبَوِّعِينَ أَيْضًا وَدَعَا عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِمْ رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا الْمَوْجِبَ لِلْعَذَابِ فَرِزْهُ عَذَابًا ضِعْفًا لَخ. أَيْ مَكْرَرًا وَمُضَاعَفًا وَهُوَ عَذَابُ الضَّلَالِ وَالْإِضْلَالِ. إِرْشَادُ الْأَذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ٤٦٢ ٦٢- وَقَالُوا ... فِي هَذِهِ الشَّرِيفَةِ يَحْكِي سُبْحَانَهُ أَحْوَالُ أَهْلِ النَّارِ وَمَقَالَاتِهِمْ فِيمَنْ كَانُوا فِي الدُّنْيَا عَلَى خِلَافِهِمْ فِي الْعَقِيدَةِ. مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ، أَيْ الْأَرَادِلِ الَّذِينَ لَا خَيْرَ فِيهِمْ حَسَبَ مَقَائِسِهِمْ فِي الدُّنْيَا، وَهُمْ شَيْعَةُ عَلِيٍّ (ع). ٦٣- أَتَّخَذْنَاهُمْ سِحْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ ... أَيْ يَقُولُونَ عِنْدَ مَا لَا يَرَوْنَهُمْ فِي النَّارِ مَعَهُمْ أَتَّخَذْنَاهُمْ هَزْوَا فِي الدُّنْيَا فَأَخْطَأْنَا أَمْ عَدَلَتْ عَنْهُمْ أَبْصَارُنَا فَلَا نَرَاهُمْ وَهُمْ مَعَنَا فِي جَهَنَّمَ؟ ٦٤- إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُّمُ أَهْلِ النَّارِ ... أَيْ مَا حَكِيْنَاهُ مِنْ جِدَالٍ وَنِزَاعٍ أَهْلُ النَّارِ فِيهَا مِنَ التَّابِعِينَ وَالْمُتَبَوِّعِينَ صَدَقَ وَمُحَقَّقٌ وَقُوعُهُ فِيهَا بَلَا رَيْبَ. ٦٥ وَ ٦٦- قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ ... أَيْ يَا مُحَمَّدُ قُلْ لِلْمُشْرِكِينَ إِنِّي مُخَوِّفٌ لَكُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الَّذِي لَا شَرِيكَ لَهُ الْقَهَّارُ لِكُلِّ شَيْءٍ الْمُتَعَالَى بِسَعَةِ مَقْدُورَاتِهِ فَلَا يَقْدِرُ أَحَدٌ عَلَى الْخِلَاصِ مِنْ عِقُوبَاتِهِ إِنْ أَرَادَ عِقَابَهُ. رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَيْ مَالِكُهُمَا وَمَا بَيْنَهُمَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَكُلِّ مَخْلُوقٍ فِيهِمَا الْعَزِيزُ الَّذِي لَا يَغْلِبُهُ شَيْءٌ الْغَفَّارُ

لذنوب عباده مع قدرته على عقابهم. ٦٧ و ٦٨- قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ ... أى ما أنبأتكم به من أحوال يوم القيامة أو من أمر التوحيد والنبوة والبعث، أو القرآن كل ذلك خبر عظيم أنتم عنه مغرضون أى أنتم عن تدبره والعمل به غافلون متولون. ٦٩- ما كان لى من علم بالملأ الأعلى إذ يختصه مومن ... أى الملائكة وإبليس إذ يتجادلون وحاصل الشريعة أنه (ص) فى مقام إثبات نبوته يريد أن يقول لهم إن أقوى دليل على نبوتى هو إخبارى عن الملائكة وإبليس فى قصة آدم وتناولهم كما سوف يأتى بعد قليل، وعلى ما هو مذكور فى كتب السلف من الأنبياء والمرسلين، مع أنى أمئى لم أطالع كتبهم ولا- تعلمت عن أحدهم ولا رأيتهم إخبارى عن مقاولاتهم تكشف عن وحى وإلهام سماوى فتدبروا ذلك. ٧٠- إِنْ يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ... أى لا- يوحى إلى إلا لأننى نبي منذر للناس إنذارا بينا واضحا. ٧١ و ٧٢- إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ ... أى أذكر يا محمد قول ربك حين أراد أن يسجد الملائكة لآدم: إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ و المقصود هو آدم أبو البشر فإذا سويته أى أكملت و تمنت خلقته و نفخت فيه من روجى أى أفضت عليه الحياة. فقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ أى خَرُّوا سَاجِدِينَ سَجْدَةً تَكْرِيمَ لَهُ. ٧٣ و ٧٤- فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ... أى لم يبق من الملائكة أحد إلا امتثل الأمر بذلك السجود إلا إبليس استكبر أى ترفع و تعظم و كان من الكافرين أى فى علمه تعالى لأنه كان ذا تكبر و تفخم طبعاً، و كان مخلصاً له تعالى فى كبريائه و عظمته. ٧٥- قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ ... إلخ. الاستفهام للتوبيخ والإنكار و تعريف للملائكة أنه لا عذر له فى الامتناع عن السجود لما خلقت بيدي أى لما توليت خلقه بنفسى من غير واسطة استكبرت أم كنت من العالمين؟ هذا سؤال توبيخ. يعنى أنك هل كنت من الذين يتكبرون من غير استحقاق، أم من الذين يستحقون الترفع و التفوق؟ ٧٦- قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ ... إلخ. و بذلك كان إبليس أول من قاس و فضل النار على الطين. ٧٧- قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا ... أى اخرج من الملا الأعلى أو الجنة فإنك رجيم أى مبعد مطرود من رحمتى. ٧٨- وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ... أثبت تعالى الخزي الدائم و الإبعاد الممتد إلى الأبد و العذاب الأليم الذى يخلد فيه. ٧٩- قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ ... أى أخرنى إلى يوم القيامة حين يبعث العباد. ٨٠ و ٨١- قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ... فأجابه سبحانه إلى ما هو مطلوبه بأصل التأخير إلى يوم الوقت المعلوم أى إلى يوم هو معلوم عندى. ٨٢ و ٨٣- قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغَوِّيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ... أى أقسم بسلطانك و قهرك سأزين لبنى آدم الغي و الشقاق و الضلالة و أدعوهم إليها و لن ينجوا منى إلا عبادك منهم المخلصين الذين أخلصتهم لطاعتك و أخلصوا دينهم لك فهؤلاء ليس لى عليهم سلطان ولا سبيل. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٤٦٣ ٨٤ و ٨٥- قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ ... أى فأنا الحق و أقوله. أو فالحق قسمى و الحق أقوله: لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ مِنْ جَنَسِكَ و هم الشياطين و ممن تبعك منهم من الناس أجمعين تأكيد للجنسين. ٨٦- قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ... أى على تبليغ الوحى و القرآن و الدعوة إلى الله و ما أنا من المتكلفين أى من المتصنعين الذين أظهروا شيئاً ليس فيهم. ٨٧- إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ... أى ما القرآن إلا عظة للخلق أجمعين. ٨٨- وَ لَتَعْلَمَنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ... أى ستعرفون يا كفار مكة خبر صدقه بعد الموت.

سورة الزمر مكية، عدد آياتها ٧٥ آية

١- تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ ... أى هذا القرآن تنزيل على نبينا محمد (ص) من الله العزيز فى سلطانه الحكيم فى تدبيره و جميع أفعاله. ٢- إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ ... أكد سبحانه إنزاله للقرآن على نبيه (ص) بالحق أى متلبساً به فأعبد الله مخلصاً له الدين حال كونك مخلصاً له عبادتك من الشرك و الأغراض الدنيوية. ٣- أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ... أى اعلما أن الدين الخالص من شوب الرياء و لوث الشرك و هو منحصر بدين الإسلام من التوحيد و العدل و النبوة و الإمامة و المعاد. ثم أخذ سبحانه فى تهديد أهل الشرك و التفاق فقال وَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ أى الكفار الذين زعموا بأن لهم مالكا يملكهم كعيسى و الأرواح السماوية و الأحجار و الأشجار و الأصنام و النجوم قائلين ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى أى قربى إن الله يحكم بينهم فى ما هم فيه يختلفون أى من أمر الدين فيثب المحق و يعاقب المبطل. إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار أى لا يوفق للاهتمام إلى الحق من يكذب على الله بنسبه الشريك

و الولد إليه تعالى، و يكفر بنعم الله ظاهرها و باطنها. ٤- لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ... أى كما زعموا و نسبوا إليه شركاء من الملائكة و المسيح و عزيز فقد كذبوا فيما زعموه لأنه لو شاء لَاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ أى لاختر من خلقه هو سبحانه وفق رأيه و مشيئته لا أنه يَخْلَى أمر الاصطفاء بيد غيره سُبْحَانَهُ أى تنزيها له عن ذلك هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ لا شريك له و لا صاحبة و لا ولد. الْقَهَّارُ الغالب على الأشياء بجميع مراتبها. ٥- خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ... أى لم يبدعهما باطلا بل ابدعهما لغرض حكيمى و هدف عظيم يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ إلخ. أى يدخل كل واحد منهما على صاحبه فما يزيد فى أحدهما ينقص من الآخر. و قيل يغشى هذا هذا. وَ سَيَخْرُ السَّمْسُ وَ الْقَمَرُ بأن أجراهما على وتيرة واحدة لا يتخلفان عنها كُلٌّ يَجْرَى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى هو منتهى دوره أو يوم القيامة أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ أى الغالب على كل شئ و لم يعاجل بالعقوبة. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٤٦٤ ٦- خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ... يعنى آدم (ع) لأن جميع البشر من نسله. ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا أى حواء من فضل طينته أو من ضلع من أضلاعه. وَ أَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ أى أحدث و أنشأ لكم من الإبل و البقر و الصَّانَ و المعز، من كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْأَصْنَافِ الأربعة ذكرا و أنثى فَتَمَّتِ الثَّمَانِيَةُ. يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ أى بدء تكونكم فيها خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقِ أى نطفة ثم علقا ثم مضغا ثم عظاما ثم كسوتها لحما ثم حيوانا سويا فى ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ظلمة البطن، و الرِّحْمِ، و المشيمة. ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ أى الفاعل لهذه الأمور العجيبة هو مالكمكم. لَهُ الْمُلْكُ يعنى أنه هو المالك للأشياء طُرَا على الحقيقة لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآَنِي تُصَوِّرُونَ أى فكيف تعدلون و تنصرفون عن توحيده إلى الإشراك به. ٧- إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ ... الخطاب إلى أهل مكة، أى إن تجحدوا نعم الله عليكم فلا يضره جحودكم و هو غنى عن شكركم وَ لَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ رحمة بهم و شفقة عليهم، لأنه عالم بضرره لهم. وَ إِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ لكنه إذا شكره على نعمه الإيمان و سائر نعمه فهو يرضى شكرهم لهم لا له، لأنه سبب لمزيد نعمهم الدنيوية و ثوابهم الآخروى و لأنه سبحانه هو الغنى عن شكرهم. وَ لَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى أى لا- تحمل حامله ثقل أخرى. و حاصله: لا يؤاخذ بالذنب إلّا من ارتكبه ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ بالمحاسبة و المجازاة إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ لا يخفى عليه سرّ و لا علانية. ٨- وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ ... أى ما يعتريه من مرض و شدّة و قحط و غيرها استغاث بالله مُنِيئًا إِلَيْهِ أى راجعا إليه وحده لا يرجو سواه، ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً أى أعطاه مطلوبه نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ أى ينسى ضرّه الذى كان يدعو ربه ليكشفه قبل نيل هذه النعمة وَ جَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا أى شركاء لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ أى عن دين الله قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا هذا أمر فى معنى الخبر، معناه أن مدة تمتّعك قليلا زائلة إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ تَعْدَبُ فيها دائما جزاء كفرك و اضلالك للناس. ٩- أَمَّنْ هُوَ قَانِثٌ ... أى هذا الذى ذكرناه خير أم من هو دائم على الطاعة. آَنَاءَ اللَّيْلِ أى ساعاته ساجداً وَقَائِمًا يسجد تارة و يقوم أخرى يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَ يَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ أى جعل عذاب الآخرة فى جميع حالاته نصب عينيه خوفا فهو متقلب بين الخوف و الرجاء فهذا و ذاك ليسا سواء قُلْ هَيْلٌ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ أَنَّ الصَّانِعَ للعالم موجود و أن محمدا رسوله وَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ بذلك إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ أى إنما يتعظ ذوو العقول بالمواعظ و التفكير فى الآيات التكوينية و الأنفسية. ١٠- قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ ... أى قل يا محمد لهؤلاء يا عبادى الذين صدّقوا بالله و رسوله احذروا عقاب ربكم بترك معاصيه. لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ أى للذين فعلوا ما هو حسن لهم و لغيرهم فى هذه الدنيا ثناء حسن و ذكر طيب و صحة و سلامة وَ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةٌ أى فمن تعسر عليه العمل بطاعة الله فى أرض فليتحول عنها إلى غيرها يتمكن فيها من العمل بها. و فيه حث على الهجرة من مكة فى بدايه الدعوة المباركة. إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ أى الذين يفارقون أوطانهم و أرحامهم و عشيرتهم و أصدقاءهم و يصبرون على مشاق الأمور فى سبيل تحصيل مرضاء الله فتوابهم على ذلك من عند الله لا يمكن عدّه و احصاؤه. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٤٦٥ ١١ و ١٢- قُلْ إِنِّى أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ ... إلخ قل يا محمد لهؤلاء الكفار إني أُمِرْتُ من قبل الله أن أعبد عبادة خالصة لا يشوبها شئ من المعاصى أو الشرك. وَ أُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ أى أقدمهم فى الدنيا و الآخرة. ١٣- قُلْ إِنِّى أَخَافُ أَنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ... أى بترك الأوامر و الإخلاص فى العبادة و أخشى عذاب يوم القيامة. ١٤ و ١٥- قُلِ اللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ... أى أخضع لرَبِّى وَ لَا أَعْبُدُ سِوَاهُ مَنْزِلِهَا عِبَادَتِي وَ طَاعَتِي عن الشرك و الياء. فَاعْبُدُوا

ما شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَى فاعبدوا أنتم معاشر الكفار ما أردتم من الأصنام و هذا تهديد لهم. قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ أَى العائدين بالخسران فى الحقيقة يوم الجزاء هم الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِإِدْخَالِهَا النَّارَ وَالْعَذَابَ وَالْخَاسِرِينَ أَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لعدم انتفاعهم بهم سواء كانوا معهم أو فى الجنة ... أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ أَى الواضح الظاهر. ١٦- لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ ... أَى لهؤلاء الكفار فى جهنم سرادقات و أطباق من النار و دخانها. وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ أَى أطباق و قيل فرش و مهد. ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ أَى ذلك العذاب لتخويف الله سبحانه العباد ليجتنبوا ما يوجب ما يوجب سخطى فقد أنذرتكم. ١٧ و ١٨- وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا ... أَى اجتنبوا عبادة الأوثان و الشياطين و أَنَابُوا إِلَى اللَّهِ أَى رجعوا إليه سبحانه و أقبلوا عما كانوا عليه لَهُمُ الْبُشْرَى أَى السَّيْرُورُ و البشارة بالثواب فَبَشِّرْ عِبَادَ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ إِنْخَ أَى بشر يا محمد من عبادى أولئك الذين يختارون ما يستمعون إليه أولاً بالقبول و العمل به و أرشده إلى الحق. أولئك الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ إِلَى طَرِيقِ الصَّوَابِ التى توجب وصولهم إلى حسن المآب و أولئك هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ أصحاب العقول السليمة من شوائب الأهوام. ١٩- أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ ... إِنْخَ أَى هل الذى وجب عليه وعيد الله بالعقاب فى جهنم أفأنت يا محمد تخلصه منه؟ و فى ذلك استبعاد لانقاده. ٢٠- لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ ... أَى عملوا بالواجبات و تجتنبوا المحرمات لَهُمْ غُرْفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرْفٌ أَى قصور أرفع من الأولى، مَبْنِيَّةٌ أَى بكيفية تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أَى من تحت الغرف وَعِيدَ اللَّهُ أَى وعدوا من قبله لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ بل يفي بوعد و بما وعده مما ذكر. ٢١- أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ... الخطاب للخلق من خلاله (ص). يعنى ترون بلا شك أنه هو تعالى الذى أنزل المطر من السحاب فَسَيَكُنْهُ يُنَازِلُ فِي الْأَرْضِ أَى فادخله فيها عيونا و قنوات و مسالك و مجارى كالعروق ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ مِنْ خَضِرَةٍ وَ حُمْرَةٍ وَ صَفْرَةٍ وَ بَيَاضٍ، أَو مِنْ صَنُوفٍ مُخْتَلِفَةٍ. ثُمَّ يَهْبِطُ فَمِنْهَا مُصَفَّرًا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا أَى ييبس فيصبح أصفر بعد خضرته و نضارته و إثماره ثم ينقلب رفاتا منكسرا متفتتا. إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ ذَكَرَ أَى أن فيما ذكر من أحوال الزرع ابتداء و انتهاء لعلامات و دلائل يتعظ بها ذوو العقول السليمة. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٢٢ ٤٦٦- أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ... أَى فسح صدره و وسع قلبه لقبول الإسلام و الثبات عليه. و نزلت هذه الآية فى على (ع). فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ أَى على يقين و هداية و الخبر محذوف أَى كمن طبع على قلبه، فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أَى من ترك ذكره سبحانه أو من أجل ذكره تعالى، و هى كلمة التوحيد. أَى كلما ذكرت عندهم هذه الكلمة ضاقت قلوبهم و زادت القساوة فيها فلم يتعظوا بالترغيبات و لم يترجروا بالترهيبات أولئك فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ على وجه لا يستر و لا يخفى ضلالهم و عدولهم عن الحق على أحد و قد نزلت فى أبى لهب و ولده. ٢٣- اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ ... أَى القرآن سَمَاهُ حَدِيثًا لِأَنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ. كِتَابًا مُتَشَابِهًا أَى يشبه بعضه بعضا فى الإعجاز و غيره. مَتَانِي هذه صفة أخرى للكتاب أَى يثنى فيه القول و يتكرر قصه كان أو موعظه أو خبرا أو حكما. تَقْشَرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ أَى ترتعد خوفا من وعيده، ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَ قُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ أَى بعد الارتعاش و ارتعاد القلوب و الخوف من الوعيد تلين جلودهم و تطمئن قلوبهم عند سماعهم آيات الوعد بالثواب و الرحمة. ذَلِكَ هُدًى لِلَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ أَى الكتاب المنزل هاد إلى الله تعالى بما فيه من نصب الأدلة على وجوده و وحدانيته و صفاته و أصول العقيدة الأخرى. يرشد به من عباده من يشاء كما يرشدهم على أيدى أنبيائه و رسله. وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ أَى الذى يخلى بينه و بين نفسه و يخذله فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ يُخْرِجَهُ مِنْ ضَلَالَتِهِ. ٢٤- أَفَمَنْ يَتَّبِعِ بَوَاجِهَهُ ... أَى بأن تغل يداه إلى عنقه فلا يتقى عن نفسه إلّا بوجهه سُوءَ الْعَذَابِ شِدَّتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَوْمَ الْحَشْرِ الْأَكْبَرِ، لَيْسَ كَمَنْ أَمِنَ مِنَ الْعَذَابِ وَ قِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ مِنْ جَزَاءِ أَعْمَالِكُمُ السَّيِّئَةِ و أقوالكم الموجهة للكفر. ٢٥ و ٢٦- كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ... أَى قبل كفره مكة و مشركى قريش فَأَنَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ يعنى من جهة لا تخطر ببالهم فَادَّاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا أَى الذل كالمسخ و القتل و الخسف و الإجلاء عن أوطانهم و لعذاب الآخرة أَكْبَرُ أَى أعظم و أدوم لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ لو كانوا من أهل النظر و الاعتبار. ٢٧- وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ ... أَى ما يحتاج إليه الناظر فى أمر دينه، بل ذكر فيه ما يحتاج إليه الناظر فى أمر دنياه لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ لِكَيْ يَتَذَكَّرُوا و يتدبروا فيعتبروا. ٢٨- قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرِ ذِي عِوَجٍ ... أَى غير ذى ميل عن الحق بل هو طريق مستقيم موصل

إليه. لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ لكي يتجنبوا معاصي الله و يعملوا بطاعته. ٢٩- صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ ... هذا مثل جاء به سبحانه للمشركين الذين يعبدون الآلهة المتعددة، فحالهم كحال رجل قد اشترك فيه شركاء مُتَشَاكِسُونَ أى شركاء فى ملكيته و بينهم تنازع و اختلاف كثير يتجاذبون فى مهامهم المختلفة، و إذا احتاج العبد لأمر من أموره فكل واحد يردّه إلى الآخر فهو لا يعرف أيهم أولى بأن يطلب رضاه، و أيهم أولى بأن يقوم بحوائجه، فهو لهذا السبب فى عذاب دائم ما دامت حياته، و كذلك المشرِك متحير فى الآلهة فأَيُّهم أولى بأن يعتكف بخدمته و يقوم بعبادته و طاعته و من أيُّهم يطلب إنجاح طلبته و قضاء حاجته و لأى منهم يتوجه، فلا يرى أثرا من نجاح طلبه فلا زال متحيرا فى أمر رزقه و معاده و معاشه، بخلاف الموحد و رَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ أى خالصا له و يخدمه على سبيل الإخلاص، و دائما يكون فى طاعته و هذا مثل للموحد. أما هذا المثل فضر به الله فى قبح الشرك و حسن التوحيد. ثم قال سبحانه: هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أى لا يستويان. و الاستفهام للإنكار. الْحَمْدُ لِلَّهِ أى احمدا الله المستحق للحمد و الثناء، بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ حقيقة نعمة التوحيد. ٣٠ و ٣١- إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ... أى كلكم فى صراط الموت و الفناء و ترقب الفانى لموت فإن مثله، و شماتته به لا معنى لها. ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ أى تحتج عليهم بأنك قد بلغت رسالات ربك و أنهم كذبوا، و يعتذرون بما لا يجدى و كذلك يختصم كل محق و مظلوم و ظالم. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٤٦٧ ٣٢- فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ ... الاستفهام إنكارى، أى لا أحد أظلم ممن كذب على الله بنسبه الولد و الشريك إليه و كَذَبَ بِالْصِّدْقِ أى القرآن و التوحيد إذ جاءه حين أنه فأنكره. أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ أى مقاما و مستقرا لهم فى جهنم. ٣٣- وَ الَّذِي جَاءَ بِالْصِّدْقِ ... أى أتى بالقرآن و هو محمد (ص) وَ صَدَّقَ بِهِ أى خاتم الأنبياء و من تبعه. أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ أى المصدقون هم المتقون العاملون بما أمروا به و التاركون لما نهوا عنه. ٣٤ و ٣٥ لَهُمْ مَا يَشَاؤُونَ ... من النعم فى الجنة عند ربهم أى ما ينالون من جهة لطفه ذلك جزاء الْمُحْسِنِينَ ما ذكر جزاء المحسنين على إحسانهم الذى فعلوه فى الدنيا لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا أى أسقط الله عنهم عقاب الشرك و المعاصى التى فعلوها قبل ذلك بإيمانهم و إحسانهم و رجوعهم إلى الله سبحانه و يَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ أى يعادل حسناتهم بأحسنها فيضاعف أجراها. ٣٦ و ٣٧- أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ... أى: نعم فإنه سبحانه كاف عبده محمدا (ص) عداوة كل من يعاديه و يؤذيه. فالاستفهام تقريرى. وَ يُخَوِّفُونَكَ أى عبدة الأصنام يهددونك بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بِالْهَتَمِ، وَ مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ أى من يخليه الله و ضلاله فلا يقدر أحد أن يهديه إلى سبيل الرشاد. وَ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ يلطف به لكونه أهلا للطف و الرحمة فيشرح صدره للحق فلا يقدر أحد أن يضله عما هو عليه. أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ غَالِبٍ قَاهِرٍ ذِي انْتِقَامٍ مِنْ أَعْدَائِهِ المنكرين له و لرسوله. و الاستفهام تقريرى. ٣٨- وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ ... أى لو سألت يا محمد هؤلاء الكافرين عن مبدع السماوات و الأرض بعد أن كانت معدومة. لَيَقُولُنَّ اللَّهُ أى لأجابوا: الله هو الخالق مع كونهم يعبدون الأصنام. قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ من الأصنام و غيرها من الآلهة إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ إِنْ خَالَخَ يَعْنِي اسألهم هل تقدر آلهتهم دفع مرض أو شدة أو بلاء إذا ابتلاني الله بها، أو شملنى بلطف منه و نعمة هل تقدر على إمساك تلك النعمة أو هذه الرحمة عنى؟ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ كَاشِفَا الضُّرِّ وَ مُصِيبَا بِالرَّحْمَةِ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ أى به يثق الوثائقون لعلهم بأن الكل منه. ٣٩ و ٤٠- قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ ... أى على قدر تمكّنكم و جهدكم و طاقتكم فى إهلاكى و تضعيف أمرى إني عاملٌ مقدار و سعى و استطاعتي فى تقدّم مرامى فسوف تعلمون مَنْ يَرَاتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ فَعَمَّا قَرِيبٍ تَدْرُونَ مِنَ الْمَغْلُوبِ فى الدارين. و قد أخزاهم الله يوم بدر، وَ يَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ أى دائم و هو عذاب النار و هذا غاية الوعيد. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٤٦٨ ٤١- إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ ... أى القرآن لمصالحهم و معاشهم و معادهم، متلبسا بالحق فليس فيه شىء من الباطل فَمَنْ اهْتَدَى بِالْقُرْآنِ بَانَ وَفَّقَ للعمل بأوامره و نواهيه بعد أن فقه ما فيه من الحجج فَلِنَفْسِهِ أى يعود نفعه إليها وَ مَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا لِأَنَّهُ ضَرُّهُ لَا يَتَعَدَاهَا وَ مَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ أى ما أنت يا محمد برقيب عليهم حتى توصل الحق إلى قلوبهم. ٤٢- اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ... أى أن الذى يقبض الأرواح حين انقضاء آجالها هو الله وَ الَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا أى و يتوفى الأنفس التى لم يقدر لها الموت فى منامها. فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ أى

لا يردّها إلى البدن ولا يرسلها إليه فقدّر موتها في نومها. وَيُرْسِلُ الْآخِرَىٰ إلخ أى الأنفس الأخرى التى لم يقض بموتها ويريد بها نفس النائم وذلك إلى الوقت المعلوم عنده سبحانه المحدد لإماتته. إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ أى الإحياء، والإماتة، والنوم، واليقظة، آيات على أن البعث والنشور أمر هين لمن تفكر وتدبر. ٤٣- أم اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ ... أى بل اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ تشفع لهم عند الله. فهل تتوقعون الشفاعة من الأصنام والأوثان والجادات قل يا محمد لهم: أَوْ لَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ أى كما ترونهم جمادات لا تقدر ولا تعقل فلا يعقل أن يشفع بشيء من هذه صفته كما تشاهدونهم. ٤٤- قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا ... أى لا يشفع أحد إلّا بإذنه، ولا يملك أحد الشفاعة إلّا بتمليكه له مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إلخ مر معناه. ٤٥- وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ... إلخ أى نفرت وقيل انقبضت قال ابن عباس: كان المشركون إذا سمعوا قول لا إله إلّا الله، وحده لا شريك، له نفروا من هذا القول حيث إنهم كانوا يقولون بالشريك وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ أى الأصنام. إِذَا هُمْ يَسْتَشِيرُونَ لذكر آلهم أى لفرط افتتانهم وحبهم لها. ٤٦- قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ... قُلِ أى يا محمد قل اللَّهُمَّ إلخ أى يا الله يا خالق السموات والأرض ومنشئهما ويا عالم الغيب والشهادة أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ أى عالم بما غاب علمه عن الخلائق جميعا وبما شهدوه وعلموه، احكم بين العباد فى القيامة فى ما كانوا فيه يَخْتَلِفُونَ أى فى أمر الذين والدنيا حيث يقضى بينهم بالحق. ٤٧- وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ ... أى زيادة عليه، يعنى ما فى الدنيا وضعف ما فيها، لو كان لهم وملكوه لَأَفْتَدَوْا بِهِ لِيُخَلِّصُوا أَنْفُسَهُمْ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ إلخ أى شدته يوم الجزاء. وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ أى ظهر لهم يوم القيامة من صنوف العذاب ما لم يكونوا ينتظرونه. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٤٦٩ ٤٨- وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا ... أى يوم القيامة ظهر لهم أيضا جزاء سيئات أعمالهم فى الدنيا وَحَاقَ بِهِمْ أى أحاط بهم من كل جانب ما كانوا به يَسْتَهْزِئُونَ أى العذاب الذى كانوا يسخرون منه عند ما كان النبى (ص) يخوفهم منه. ٤٩- فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ ... من مرض أو شدة أو قحط أو غيرها دَعَانَا أى استغاث بنا لكشف ما أصابه ثُمَّ إِذَا حَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا أى أعطيناه سعة فى المال أو العافية فى البدن تَفَضَّلَا مِنَّا لا على وجه الاستحقاق قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ أى أخذته من الله باستحقاقى له، أو بعلم منى بكيفية جلبه وكسبه. بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ يَقُولُ تَعَالَى رَدًّا عَلَيْهِ: لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا يَزْعُم، بَلْ هُوَ اخْتِبَارٌ وَامْتِحَانٌ ابْتَلَاهُ اللَّهُ بِهِمَا لِيَعْلَمَ أَشْكُرُ أَمْ يَكْفُرُ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ان النعمة امتحان للعباد بالشكر وعدمه كما أن البلاء كذلك. ٥٠ و ٥١- قَدْ قَالُوا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ... أى تلك المقالة إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَهُوَ قَارُونَ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ أى لم ينفعهم ما كانوا يجمعونه من متاع الدنيا فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا أى أصابهم جزاء أعمالهم السيئة. وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ أى من كفار قومك بعثوهم وجحدوهم سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا كما أصاب أولئك. وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ أى بفائتين تعذبنا إياهم. ٥٢- أَوْ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ ... إلخ أى يوسع الرزق على من يشاء ويضيّق على من يشاء بحسب ما يرى من المصلحة وتقتضى حكمته. إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ أى فى بسط الرزق وقبضه دلالات واضحات لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ يصدقون بالتوحيد وبأنه الباسط والقابض لأنهم المنتفعون بهذه الدلالات. ٥٣- قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ ... أى أفرطوا فى الجناية عليهم بإقرارهم لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ لَا تَيْأَسُوا مِنَ الْمَغْفِرَةِ وَالْعَفْوِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ واضح المعنى وهذه أرجى آية فى كتاب الله سبحانه. ٥٤ و ٥٥- وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ ... أى ارجعوا إلى الله توبة عما سلف وتسليما لما خلف حتى يغفر لكم جميع ما سلف. مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ حيث إن التوبة بعد وقوع العذاب لا تفيد ولا تمنع منه. وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ والمراد بما أنزل هو القرآن وَأَحْسَنَ حلاله وحرامه واجباته ومحرماته مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ أى لا تلتفتون حين مجيئه حتى تتداركوه. ٥٦- أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ ... أى خوف أن يقول الإنسان يا ندمى أين أنت منى، ويا حسرتى احضرينى على ما فرطت فى جنب الله أى قصيرت فى حقه تعالى أو فى طاعته وَإِنْ كُنْتُ لِمَنِ السَّخِرِينَ أى إنى كنت لمن المستهزئين بالقرآن والرسول والمؤمنين. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٤٧٠ ٥٧- أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي ... أى أرشدنى إلى دينه لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ المتجبنين لمعاصيه العاملين بطاعته. ٥٨- أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ ... أى

حين معاينته للعذاب لَوْ أَنَّ لِي كَرْرَةً فَأَكُونُ مِنَ الْمُحْسِنِينَ أَيْ رَجَعُهُ إِلَى الدُّنْيَا فَأُؤْمِنُ وَأَعْمَلُ عَمَلًا صَالِحًا. ٥٩- بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي ... إلخ لتهتدى بها أى ليس كما تقول، بل أرسلت إليكم الرسول مع الحجج الظاهرة فأنت من أتباعها وقبولها فكفرت. ٦٠- وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ ... أى زعموا أن له شريكا أو ولدا وُجُوهُهُمْ مُشْوَدَّةٌ مِنَ الْغَمِّ وَالْخَوْفِ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ أى مقاما وماوى للآتفين المترفعين عن الإيمان والطاعة. ٦١- وَيَجْجِي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا ... أى تجبوا الشرك وغيره من المعاصي بِمَفَازَتِهِم بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ الَّذِي هُوَ سَبَبُ الْفَلَاحِ وَالْفَوْزِ لَا يَمَسُّهُمْ الشُّؤْمُ إلخ يعنى فوزهم بأن لا يصل إليهم سوء ولا حزن من فقدان نعمه أو لذته. ٦٢ و ٦٣- اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ... أى موجد من العدم وهو على كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ أى قائم على حفظ المخلوقات ومتصرف فيها. لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَهُ مَفَاتِيحُ خَزَائِنِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ. وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أَى بدلائل قدرته أو بما يدل على توحيده وتنزيهه عما يقول الكافرون أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ لأنهم آثروا الحياة الدنيا الفانية على الآخرة الباقية و باعوا نعمه الجنان بعقوبات النيران. ٦٤- قُلْ أَغَيَّرَ اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ... أى قل يا محمد لهؤلاء المشركين هل ينبغي أن يصدر منكم أمر لى بأن أعبد غير الله مما لا يسمع ولا يقدر ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع وتحسبون أنكم من العقلاء؟ مع ان مثل ذلك لا يصدر إلا عن جاهل بعواقب الأمور و بعجز من يدعو إلى عبادته. ٦٥- وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ ... يَا مُحَمَّدُ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ مِنَ الرِّسَالِ لَئِنْ أَشْرَكَتَ ... إلخ قال ابن عباس: هذه الشريعة (يعنى من أولها إلى آخرها) أدب من الله لنبيه (ص) و تهديد لغيره، لأنَّ الله عصمه من الشرك، وهو كلام وارد على طريق الفرض والشرط، وإفراد الخطاب باعتبار كل واحد. والمراد بحبط العمل صيرورته باطلا و فاسدا. ٦٦- بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ ... رد لما اقترحوه عليه (ص) من استلام ببعض آلهتهم فقال سبحانه: بئس ما أمروك به و لكن كن على طريق الحق وَ كُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ نعمه عليك من الهداية والنوَّة والتوحيد والإخلاص فى العبادَةِ وغيرها. والخطاب وإن كان للنبي (ص) إلا أنه تأديب للأمة من خلاله (ص). ٦٧- وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ... أى ما عرفوه حق معرفته إذ لو عرفوه لما عبدوا غيره أو وصفوه بما هو منزّه عنه وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أخبر سبحانه عن كمال قدرته فذكر أن الأرض كلها مع عظمتها فى مقدوره كالشئ الصغير الذى يقبض عليه القابض بكفه كناية عن سهوله التصرف فيها عليه. وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ أى يطويها بقدرته كما يطوى الواحد من الشئ المقدور له طيه بيمينه كناية عن سعة قدرته سبحانه. سبحانه وتعالى عما يُشْرِكُونَ نَزّه تعالى شأنه نفسه المنزهة عن شركهم و عما يصفونه به مما لا يليق بساحته المقدسة. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٤٧١ ٦٨- وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ... يعنى النفخة الأولى. والصّور قرن ينفخ فيه إسرافيل (ع) فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ أَى يموت كل ذى روح فى السماوات وفى الأرض من شدة تلك الصيحة. إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ أَى شاء أن لا يموت كحملته العرش أو غيرهم ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى أَى مرة أخرى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ أى يقبلون أبصارهم فى الجوانب كالذى بهت أو ينتظرون ما يفعل بهم. ٦٩- وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا ... أى بعدله المزيّن لها والمظهر للحقوق فيها كما أن بالنور تزيّن الأمكنة المظلمة. وَوُضِعَ الْكِتَابُ لِلْحِسَابِ. والمراد جنس الكتاب، أى صحائف الأعمال فى أيادى أهلها. وَجِئَ بِالنَّبِيِّينَ لِدَعْوَى الْإِبْلَاحِ وَأَحْكَامِ كُلِّ مَا أَمَرُوا بِهِ الْأُمَمُ، أو لإلزام الحجة عليهم وَالشُّهَدَاءِ أَى الملائكة الموكّلين بالمكلفين ليشهدوا على صحّة دعوى الأنبياء وتكذيب الأمّة لهم (ع)، أو الشهداء فى سبيل الحق لمزيد شرافتهم وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ أى يفصل بينهم بالعدل وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ لا ينقص ثواب ولا بزيادة عقاب. ٧٠- وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ ... أى تستوفى كل نسمة جزاء عملها إن خيرا فخير وإن شرا فشر وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ. ٧١- وَسَيِّقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا ... أى يدفعهم ملائكة العذاب إلى النار بعنف فوجا بعد فوج حَتَّى إِذَا جَاؤُهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا أَى تفتح أبواب جهنم عند وصول هؤلاء الكفرة إليها. وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ أَى يقول لهم الموكلون بها ذلك تقريبا وتوبيخا. يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ أَى حججه و ما يدلّكم على معرفته وتوحيده و وجوب عبادته وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا و يخوفونكم من عذاب هذا اليوم قالوا بلى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ أى نعم قد جاءتنا الآيات والرسول وخوفونا ذلك اليوم وهذه النار لكن وجب العقاب من الله على من جحد بما جاءت به رسله. ٧٢- قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ... أى

يقول لهم الموكلون بها ادخلوا أى باب شئتم من أبواب النار لا آخر لعقابكم. فَيَسَّ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ أى جهنم بس موضع لأرباب الأنفة و الترفع عن الحق و الحقيقة. ٧٣- وَ سَيَقِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ... أى حثوهم على المسير إلى مقرهم الأبدى الذى هئى لهم زمرة بعد زمرة، معظمين مكرمين. حَتَّى إِذَا جَاؤَهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا أى وفتحت أبوابها قبل وصولهم إليها وَ قَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أى الموكلون بها من الملائكة سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ بشاره بالسَّلامه من المكاره و طبتم نفسا أو طاب لكم المقام بالعمل الصالح فادخلوا الجنة مؤبدين فى نعيمها. ٧٤- وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ ... أى وعده لنا على ألسنة رسله بالبعث و النعيم و الثواب، وَ أَوْرَثَنَا الْمَأْرُصَ أى أرض الجنة، نَتَّبِعُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ أى ننزل من الجنة كل مكان نريده و نسكن فيها فنعم ثواب المحسنين هى. ٧٥- وَ تَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ ... أى محدقين مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ذَاكِرِينَ له بوصف جلاله و إكرامه تلذذا به ... وَ قَضَى بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ أى بين الخلق بالعدل وَ قِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَ القائل هو الملائكة أو المؤمنون على ما قضى بينهم بالحق. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٤٧٢

سورة المؤمن مكية، عدد آياتها ٨٥ آية

١- حم ... قد سبق تأويله بعنوان الحروف المبتدأه فى أوائل السور. ٢ و ٣- تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ أى هذا تنزيل الكتاب من الله العزيز فى سلطانه، و العليم بكل شىء غافر الذَّنْبِ أى للمؤمنين، و هو للدوام و الاستيعاب. وَ قَابِلِ التَّوْبِ مصدر التَّوْبَةُ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطُّوْلِ أى الفضل و الإنعام أو الغنى. لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهِي الْمَصِيرُ أى المرجع للجزاء. ٤- مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا ... أى ما يطعن فى القرآن إِلَّا الذين كفروا و أنكروا نعم ربهم و جحدوها. فَلَا يَغْرُزُكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ أى لا يخذعك أسفارهم فى الأرض للتجارات المربحة و استفادات المنافع الكثيرة، فَإِنْ إِمهالى لهم ليس لإهمال عقوبتهم بل لازديادها، فَإِنِّي لَبالمرصاد لهم. ٥- كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ ... أى كذبت قوم نوح و الأخراب مِنْ بَعْدِهِمْ أى الطوائف الأخر بعد قوم نوح كذبوا رسلهم كقوم عاد و ثمود و أصحاب الأيكة وَ هَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ أى قصدوه لِيَأْخُذُوهُ أى يؤذوه و يقتلوه. وَ جَادَلُوا بِالْبَاطِلِ يعنى بما لا- حقيقة له مثل قولهم ما أنتم إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا، وَ مَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ وَ نحو ذلك من الأباطيل لِيُذْخِصُوا بِهِ الْحَقَّ أى ليزيلوا الحق عن مقره فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ أى فانظر يا محمد (ص) حتى تعرف كيفيه عقابي إياهم حيث أهلكتهم. ٦- وَ كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُهُ رَبِّكَ ... أى كما وجبت العقوبة على الأمم السابقة لتكذيبهم أنبياءهم و جب حكم ربك بالعقاب عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا من قومك بذاك الملائكة من كفرهم و تكذيبهم إياك أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ يعنى كذلك حكم ربك أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ. ٧- الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ ... الحاملون لعرش العظمة هم ثمانية من الملائكة المقرَّبين وَ مَنْ حَوْلَهُ يعنى الملائكة المطيِّفين بالعرش الكروبيون يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ أى يذكرون الله بمجامع الثناء من صفات الجلال و الإكرام. وَ يُؤْمِنُونَ بِهِ يصدِّقون بربوبيته و وحدانيته وَ يَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا أى يسألون الله المغفرة للمصدقين بالله و رسوله من أهل الأرض رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَ عِلْمًا أى أحاطت رحمتك و علمك بكل شىء. فَأَعِزُّ ... و هذا مقتضى سعة الرِّحْمَةِ لِلَّذِينَ تَابُوا من الشرك و المعاصي وَ اتَّبَعُوا سَبِيلَكَ أى مشوا على الجادة المستقيمة و الدين الحق. وَ قِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ أى و ادفع عنهم عذاب النار. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٤٧٣ ٨- رَبَّنَا وَ أَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ ... أى مع توبتهم و قبولها و وقايتهم النَّارَ فحينئذ أدخلهم جَنَّاتٍ عَدْنٍ إلى قوله: وَ ذُرِّيَّاتِهِمْ وَ قد سألوه سبحانه دخول هؤلاء مع دخول التائبين ليتَمَّ سرورهم و لتعظيم التائبين و إعظام شأنهم، و لتشويق الناس إلى التوبة و الاستغفار إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ مر معناه. ٩- وَ قِهِمُ السَّيِّئَاتِ ... أى عقوباتها، وَ مَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ أى و من تصونه من عقوبات أعماله و جزاء سيئاته يوم الجزاء فقد أنعمت عليه. وَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ أى الظفر العظيم بالبغيه. ١٠- إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ ... المقت أشد البغض أى أن الملائكة ينادونهم يوم القيامة و هم فى النار، و المراد خزنة جهنم: إِنَّ عداوة الله أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسِكُمْ و المعنى أَنَّ الكفرة لَمَّا رَأَوْا أعمالهم و نظروا فى كتابهم و أدخلوا النَّارَ مقتوا أنفسهم الأثارة بالسوء، فنودوا

لمقت الله إياكم في الدنيا إذ تدعون إلى الإيمان فتكفرون أكبر من مقتكم أنفسكم اليوم و بغضكم لها. ١١- قالوا ربنا أمتنا اثنتين ... إلخ الأولى في الدنيا بعد الحياة فيها، والثانية في القبر بعد الإحياء فيه للسؤال فاعترفنا بذنوبنا أى بإنكارنا البعث وما يتبعه. فهل إلى خروج من سبيل أى أوجد طريق نسلكه حتى نخرج و نتخلص من هذا العذاب الشديد و الجواب مقدر أى: لا سبيل لكم. ١٢- ذلكم بأنه إذا دعى الله وحده ... أى ذلكم العذاب الذى حلّ بكم بسبب أنه كان إذا تفوه المسلمون بكلمة التوحيد كفرتكم معنى بتوحيده وإن يشرك به تؤمنوا أى تسلموا بالإشراك به فالحكم فى تعذيبكم و الفصل بين المحق و المبطل لله العلى شأنه الكبير العظيم فى كبريائه. ١٣- هو الذى يريكم آياته ... أى مخلوقاته الدالة على التوحيد و القدرة و الحكمة و ينزل لكم من السماء رزقا من المطر الذى ينبت بسببه ما هو رزق للخلق و ما يتذكر إلا من ينبى أى يرجع إلى الله و يقبل على طاعته و يتجافى عن معصيته. ١٤- فادعوا الله مخلصين له الدين ... أى وجهوا عبادتكم إليه وحده و نزهوها عن الشرك و لو كره الكافرون أى و لو مقتوا إخلاصكم و شق عليهم. ١٥- رفيع الدرجات ... أى رافع درجات الأنبياء و الأولياء فى الجنة أو أنه سبحانه على الصفات ذو العرش يعنى مالكة و ربه المستولى عليه. يلقى الروح من أمره إلخ أى القرآن من عالم الأمر و كل كتاب أنزله الله على أنبيائه. و قيل الروح هو الوحي أى يلقى الوحي على قلب من يشاء من عباده الذين يخصهم بالرسالة و يجدهم أهلا لها. لئنذر يوم التلاق أى ليخوف الناس بما يوحى إليه من يوم القيامة حيث يتلاقى الخلق فى ذلك اليوم. ١٦- يوم هم بارزون ... أى خارجون من قبورهم لا يسترهم شىء، أو بارزة سرائرهم لا يخفى على الله منهم شىء أى من أعمالهم و أقوالهم و ضمائرهم لمن الملك اليوم، لله الواحد القهار حكاية لما يسأل عنه و لما يجاب به و قيل بأن السائل و المجيب هو الله سبحانه. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٤٧٤ ١٧- اليوم تجزى كل نفس بما كسبت ... إن خيرا فخير و إن شرا فشر لا- ظلم اليوم فإن المحاسب فيه هو الله و هو أعدل العادلين. إن الله سريع الحساب لا تشغله محاسبه أحد عن محاسبه غيره. ١٨- و أنذرهم يوم الآزفة ... كناية عن يوم القيامة، و سميت آزفة لاقترابها و دنوها، إذ القلوب لدى الخناجر أى أنها من فرع ذلك اليوم ترتفع عن أماكنها فتلتصق بحلوقهم، كاظمين أى ممتلئين غما و كآبة. ما للظالمين من حميم أى قريب مشفق عليهم و لا شفيع يطاع أى شفيع تقبل شفاعته. ١٩- يعلم خائنة الأعين ... أى خيانتها بنظرها إلى ما لا يجوز النظر إليه و ما تخفى الصدور أى ما تضره الصدور يعلمه تعالى. ٢٠- و الله يقضى بالحق ... أى لا يتعدى على أحد و لا يحكم ظلما بنقص ثواب أو مزيد عقاب، و الذين يدعون من دونه أى المشركون الذين يعبدون غير الله لا يقضون بشىء أى لا يحكمون بأمر من الأمور لأنها جمادات لا- يتصور و لا- يعقل أن يصدر عنها الحكم. إن الله هو السميع البصير مر معناه. ٢١- أو لم يسيروا فى الأرض ... إلخ أى سيروا فى الأرض و انظروا و اعتبروا بحال أسلافكم من المكذبين من الأمم لرسلمهم. كانوا هم أشد منهم قوة أى قدره و تمكنا فى أنفسهم. و آثارا فى الأرض مثل القلاع العالية و الحصون المرتفعة و البلاد العظيمة فأخذهم الله بذنوبهم أى أهلكتهم بإنكارهم الصانع أو بشركتهم و سائر معاصيهم و ما كان لهم من الله من واق أى يمنع العذاب عنهم و لا دافع يدفعه. ٢٢- ذلك بأنهم كانت تأتيهم رسلهم ... إلخ أى ذلك الأخذ و العذاب لأنهم كانت تأتيهم رسل ربهم بالحجج البينة فكفروا جحدوا بالله و كذبوا الرسل فأخذهم الله أهلكتهم إنه قوى قادر على كل شىء شديد العقاب إذا عاقب. ٢٣ و ٢٤- و لقد أرسلنا موسى بآياتنا ... أى بالمعجزات الواضحة و سلطان مبين إلخ أى برهان بين إلى هؤلاء الطغاة. فقالوا ساحر كذاب يعنون موسى (ع) و أنه مموه و كاذب فيما يدعيه من أمر الرسالة. ٢٥- فلما جاءهم بالحق من عندنا ... أى أتاهم بالدين الحق الذى كان من عندنا، و أمرهم بالتوحيد قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه أى أعيدوا على بنى إسرائيل سنة قتل كل مولود ذكر لهم و التى كانت سارية قبل ولادة موسى فيهم. و استحيوا نساءهم أى خلوهن حتى يخلد من القبطيين. و ما كيد الكافرين إلا فى ضلال أى فى ضياع. و معناه أن جميع ما يسعون فيه من مكيدة موسى فهو باطل ضائع. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٤٧٥ ٢٦- و قال فرعون ذرونى أقتل موسى ... أى اتركونى اقتله يستفاد من الآية أنه فى خواص فرعون قوم يشيرون عليه بعدم قتله. و ليدع ربه أى و يستجر بربه ليخلصه منى. إنى أخاف أن يبدل دينكم أى إن لم أقتله أخاف تغييره لدينكم الذى أتم عليه أو أن يظهر فى الأرض الفساد أى ما يفسد دينكم و عقيدتكم أو ما يفسد ديناكم كالإعلان

للحرب و تهيج الناس مثلاً. ٢٧- وَقَالَ مُوسَى ... أَيْ قَالَ لِقَوْمِهِ لَمَّا سَمِعَ بِعِزْمِ فِرْعَوْنَ عَلَى قَتْلِهِ إِنَّنِي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ تَسْلِيَةً لَهُمْ، يَعْنِي لَنَا مَلَاذٌ وَ مَلْجَأٌ هُوَ رَبَّنَا وَ خَالِقُنَا مِنْ كُلِّ مَتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ أَيْ مِنْ شَرِّ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ عَلَى اللَّهِ مُتَجَبِّرٍ عَنِ الانْقِيَادِ إِلَيْهِ لَا يَصَدِّقُ يَوْمَ الْمَجَازَاةِ. ٢٨- وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ ... إِنْ كَانَ ابْنُ خَالِ فِرْعَوْنَ أَوْ ابْنُ عَمِّهِ. وَقَالَ الْقَمِي: بَقِيَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ سِتْمَانَةً سَنَةً. أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ أَيْ لِأَنَّهُ يَقُولُ ذَلِكَ؟ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ أَيْ الْمَعْجَزَاتِ الْوَاضِحَاتِ مِنْ عِنْدِ خَالِقِكُمْ وَ رَازِقِكُمْ وَ إِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ أَيْ إِنْ يَكُ مُوسَى كَاذِبًا فَوَيْلًا كَذِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَ لَا يَتَعَدَّى ضَرَرَ كَذِبِهِ إِلَى غَيْرِهِ. وَ إِنْ يَكُ صَادِقًا يَصْطَبِحُكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ أَيْ لَا أَقْلَ مِنْ أَنْ يَصْبِيحَكُمْ بَعْضُهُ وَ فِيهِ هَلَاكُكُمْ أَوْ عَذَابُ الدُّنْيَا فَإِنَّهُ بَعْضُ مَا يَعِدُكُمْ. إِنْ اللَّهُ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُشْرِفٌ كَذَّابٌ أَيْ لَا يَرشِدُ إِلَى جَنَّتِهِ وَ ثَوَابِهِ مَنْ هُوَ مُتَجَاوِزٌ عَنِ الْحَدِّ فِي الْمَعْصِيَةِ كَذَابٌ عَلَى رَبِّهِ. ٢٩- يَا قَوْمِ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ... أَنْتُمْ الْيَوْمَ قَدْ عَلَوْتُمْ النَّاسَ وَ أَنْتُمْ أَهْلُ سُلْطَانٍ فِي هَذَا الْعَصْرِ، فَلَا تَفْسُدُوا أَمْرَكُمْ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ أَيْ أَرْضِ مِصْرَ غَالِبِينَ عَلَى أَهْلِهَا فَمَنْ يُنْصِرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا أَيْ مَنْ يَمْنَعُنَا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ إِنْ حَلَّ بِنَا جَمِيعًا. قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى أَيْ مَا أَشِيرُ عَلَيْكُمْ وَ مَا أَدْلِكُمْ إِلَّا عَلَى الطَّرِيقِ الَّتِي أَرَاهَا صَوَابًا لِي وَ لَكُمْ، وَ مَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ أَيْ مَا أَدْلِكُمْ إِلَّا إِلَى مَا فِيهِ رَشْدُكُمْ وَ صَلَاحُكُمْ. ٣٠ وَ ٣١- وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ ... أَيْ قَالَ حَزْقِيلُ إِنَّنِي أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَيْ فِي تَكْذِيبِهِ وَ التَّعَرُّضِ لَهُ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ أَيْ مِثْلَ عَذَابِ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ الْمُتَعَرِّضَةِ لِلرَّسْلِ بِالْأَذَى وَ الْقَتْلِ مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ أَيْ جَزَاءِ عَادَتِهِمْ عَلَى إِيْذَاءِ نُوحٍ وَ تَكْذِيبِهِ فَأَهْلَكَهُمُ اللَّهُ بِالطُّوفَانِ وَ عَادٍ وَ ثَمُودَ أَيْ مِثْلَ سَنَةِ اللَّهِ تَعَالَى فِيهِمْ حِينَ اسْتَأْصَلَهُمْ وَ أَهْلَكَهُمْ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ مِنَ الْكُفْرِ وَ الْقَتْلِ الرَّسْلِ وَ إِيْذَائِهِمْ وَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ كَقَوْمِ لُوطٍ وَ أَهْلِ الْمُؤْتَفِكَةِ. وَ مَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ يَعْنِي تَدْمِيرَ هَؤُلَاءِ كَانُوا عَلَى وَجْهِ الْعَدَالَةِ لِأَنَّهُ صَدَرَ مِنْهُ تَعَالَى وَ وَقَعَ فِي مُحَلِّهِ. ٣٢- وَ يَا قَوْمِ إِنَّنِي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ... أَيْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَ سَمَّى بِذَلِكَ لِنَدَاءِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا بِالْوَيْلِ وَ الشُّبُورِ، أَوْ لِنَتَادِي أَهْلِ الْجَنَّةِ وَ أَهْلِ النَّارِ وَ بِالْعَكْسِ وَ قِيلَ غَيْرَ ذَلِكَ. ٣٣- يَوْمَ تُولُونُ مُدْبِرِينَ ... أَيْ مُنْصَرِفِينَ عَنِ الْمَوْقِفِ إِلَى النَّارِ، أَوْ فَارِّضِينَ عَنْهَا مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ أَيْ مِنْ عَذَابِهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَانِعٍ وَ لَا دَافِعٍ. وَ مَنْ يُضِلِّ اللَّهُ أَيْ يَخْلِيهِ وَ مَا اخْتَارَهُ مِنَ الضَّلَالَةِ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ عَنِ الضَّلَالَةِ يَرْدُّهُ إِلَى الْهَدْيِ. إِرْشَادُ الْأَذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ٤٧٦ ٣٤- وَ لَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ ... أَيْ جَاءَ يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ قَبْلَ مُوسَى رَسُولًا- إِلَيْكُمْ مِنْ قَبْلِ اللَّهِ. بِالْبَيِّنَاتِ أَيْ الْمَعْجَزَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ مِنْ دَعْوَى الرَّسَالَةِ وَ الدِّينِ وَ أَحْكَامِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ يُوسُفُ وَ مَاتَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا أَيْ أَقَمْتُمْ عَلَى كُفْرِكُمْ وَ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَجِدُّ لَكُمْ إِقَامَةَ الْحُجَّةِ بِرَسُولٍ مِنْ بَعْدِهِ. كَذَلِكَ أَيْ مِثْلَ ذَلِكَ الضَّلَالِ يُضِلُّ اللَّهُ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ وَ الصَّوَابِ مَنْ هُوَ مُشْرِفٌ مُرْتَابٌ أَيْ مَنْ جَاوَزَ حُدُودَهُ الْمَقْرُورَةَ لَهُ فِي شَرْعِهِ وَ شَكٍّ فِي دِينِهِ الَّذِي تَشْهَدُ بِهِ الْبَرَاهِينُ الْوَاضِحَةُ. ٣٥- الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ ... أَيْ الَّذِينَ يَتَخَاصِمُونَ خُصُومَهُ شَدِيدَةً مَعَ الرَّسْلِ فِي دَفْعِ دَلَائِلِ اللَّهِ وَ مُحَاوَلَةِ إِبْطَالِهَا. بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ بِهَا حُجَّةٌ وَ بَيِّنَةٌ تَأْتِيهِمْ، كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَيْ عَظُمَ ذَلِكَ الْجِدَالُ مِنْهُمْ عِدَاوَةٌ عِنْدَ اللَّهِ وَ عِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا أَيْ وَ مَقْتَهُ الْمُؤْمِنُونَ وَ أَبْغَضُوهُ بِسَبَبِ ذَلِكَ الْجِدَالِ بِالْبَاطِلِ. كَذَلِكَ أَيْ مِثْلَ ذَلِكَ الطَّبَعِ الَّذِي فَعَلَهُ عَلَى قُلُوبِ تِلْكَ الْجَمَاعَةِ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ وَ ذَلِكَ كَعَقُوبَةٍ لَهُ عَلَى أَنْفَتِهِ وَ كَحَثِّ لَهُ عَلَى الْحَقِّ. ٣٦ وَ ٣٧- وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا ... أَيْ بِنَايَةً عَالِيَةً مَكْشُوفَةً، وَ قِيلَ مَشِيدَةٌ بِالْأَجْرِ وَ الْجِصِّ لَعَلِّي أَبْلُغَ الْأَشْيَابَ ثُمَّ فَسِّرَ تِلْكَ الْأَسْبَابَ فَقَالَ: أَشْيَابُ السَّمَاوَاتِ أَيْ طَرِيقُ الصَّيْعُودِ إِلَيْهَا مِنْ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ. فَأَطَاعَ إِلَى إِلِهِ مُوسَى وَ إِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا أَيْ فَانْظُرْ إِلَيْهِ وَ إِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا فِي ادِّعَائِهِ بِأَنَّهُ إِلَهٌ غَيْرِي. وَ كَذَلِكَ أَيْ مِثْلَ مَا زَيْنَ لَهُؤُلَاءِ الْكُفَّارِ سُوءَ أَعْمَالِهِمْ زَيْنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ ظَهَرَ لَهُ مِمَّا وَ صَدَّ عَنِ السَّبِيلِ أَيْ مَنَعَ عَنْ طَرِيقِ الْهَدْيَةِ، وَ مَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ أَيْ وَ مَا مَكَائِدُ فِرْعَوْنَ لِإِبْطَالِ دَعْوَةِ مُوسَى إِلَّا فِي هَلَاكِ وَ خُسَارٍ. ٣٨- وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ ... أَيْ سِيرُوا فِي أَثَرِي وَ لَا تَخَالَفُونِي أَهْدِيكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ طَرِيقَ الرِّشْدِ مِنَ الْغَيِّ وَ الْهَدَايَةِ مِنَ الضَّلَالَةِ. ٣٩- يَا قَوْمِ إِنَّمَا هِذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ ... أَيْ تَمَتَّعْ أَيَّامَ قَلَائِلَ لِسُرْعَةِ زَوَالِهَا وَ إِنَّ الْأَخْرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ أَيْ دَارُ الْخُلُودِ وَ الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ وَ الْبَاقِي خَيْرٌ مِنَ الْفَانِي. ٤٠- مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا ... عَدَلًا مِنَ اللَّهِ وَ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُتْنَى وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ يَعْنِي جَزَاءَ السَّيِّئَةِ مَقْصُورٌ عَلَى الْمِثْلِ،

لكن جزاء الحسنه بغير تقدير و موازنه بالعمل بل أضعافا مضاعفه. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٤٧٧ ٤١- وَا يَأْتِي قَوْمٌ ... ثم إن المؤمن كشف عن تقيته ستارها فنأدى فيهم ما لى أَدْعُوكُمْ إلخ أى ما لكم؟ و معناه: أخبرونى عنكم، كيف حالكم هذه؟ أنا أَدْعُوكم إلى الإيمان الذى يوجب النجاة من العذاب، و أنتم تدعوننى إلى الشّرك الذى عاقبته النار؟. ٤٢- تَدْعُونِنِي لَأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَ أَشْرِكَ بِهِ ... إلخ أى أنتم تدعوننى لربوبيه من ليس على ربوبيته دليل، و ليس لديه حجه فهو باطل الربوبية و مدعاكم بلا دليل، و أَنَا أَدْعُوكُمْ إلى العَزِيزِ الْغَفَّارِ الغالب على كل شىء و الغفار لمن تاب عن الشّرك. ٤٣- لَا جَزَمَ أَنَّمَا تَدْعُونِنِي إِلَيْهِ ... إلخ أى حقاً إن آلهتكم لا تدعو إلى أنفسها لأنها جمادات فليس لآلهتكم دعوة و أَن مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ أى مرجعنا إليه سبحانه فيجازى كلّاً بعمله و أَنَّ الْمُشْرِكِينَ بالشّرك و سفك الدماء هُم أَصْحَابُ النَّارِ ملازموها يوم القيامة. ٤٤- فَسَيَتَذَكَّرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ ... أى عما قريب تفهمون قولى من النصيح لكم عند معايينه العذاب و أَفَوْضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ أى أسلم أمرى إليه و أعتمد على لطفه إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ يعلم أفعالهم و أقوالهم من الطاعة و المعصية. ٤٥- فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَّرُوا ... أى صرف الله عنه سوء مكرهم فنجا مع موسى حتى عبر البحر معه. و حَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ أى أحاط بقوم فرعون و من معه عذاب السوء، أى الغرق أو النار أو كلاهما فى الدنيا و فى الآخرة. ٤٦- النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا ... القمى قال: عنى ذلك فى الدنيا قبل يوم القيامة، و ذلك لأنه فى القيامة لا يكون غدو و عشى، قيل يكون هم فى قبورهم فهم كذلك إلى يوم القيامة و يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقَالُ لَهُمْ أَذْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ هذا أمر للملائكة بإدخالهم فى أشد العذاب و هو عذاب جهنم. ٤٧- وَ إِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ ... معناه و اذكر يا محمد لأمتك الوقت الذى يتخاصم فيه أهل النار فيها، فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا جمع تابع أى يقول الأتباع للمتبعين فَهَلْ أَنْتُمْ مُعْتَنُونَ عَنَّا نَصِيحًا مِنَ النَّارِ أى هل تدفعون عنا قسطاً من النار. ٤٨- قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا ... أى أجابهم المتبوعون إِنَّا كُلٌّ فِيهَا أى نحن و أنتم فى النار إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ بذلك، و بأن لا يتحمل أحد عن أحد، و إنه يعاقب من أشرك به. ٤٩- وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَازِنَةِ جَهَنَّمَ ... أى استغاث الأتباع الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَازِنَةِ جَهَنَّمَ ... أى استغاث الأتباع و هم فى النار بملائكة العذاب اذْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ إذ لا طاقة لهم على شدة العذاب. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٤٧٨ ٥٠- قَالُوا أَوْ لَمْ تَكُنْ تَأْتِيكُم رُسُلُكُمْ ... قالوا هذا توبيخاً و إلزاماً بِالْبَيِّنَاتِ بالحجج و البراهين قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا أى نحن لا نقدر أن ندعو ربكم و نشفع لكم عنده بعد أن أتم عليكم الحجة فأنتم ادعوه. فهذا جواب يأس لهم. و مَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ أى فى ضياع و عدم التفات. ٥١- إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَ الَّذِينَ آمَنُوا ... إلخ أى ننصرهم بوجوه النصر الذى قد يكون بالحجة و قد يكون أيضاً بالغلبة فى الحرب، و ذلك بحسب ما تقتضيه المصلحة و الحكمة الإلهية، و قد يكون بالأطاف و التأييد و تقوية القلب، و قد يكون بإهلاك العدو. و يَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ أى فى يوم القيامة، جمع شاهد و هم الملائكة و الأنبياء و المؤمنون. ٥٢- يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذَرَتُهُمْ ... أى عذرهم لو اعتذروا يوم القيامة لأنه باطل، و لَهُمُ اللَّعْنَةُ البعد عن الرّحمة و لَهُمْ سُوءُ الدَّارِ جهنم. ٥٣ و ٥٤- وَ لَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى ... ما يهتدى به فى الدين من المعجزات و التوراة و أَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ هُدًى أى أورثنا من بعد موسى لبنى إسرائيل الكتاب، أى التوراة يعرفون بها معالم دينهم و ذكرى لأولى الألباب و تذكير لأصحاب العقول لأنهم الذين ينتفعون بها. ٥٥- فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ... خطاب للنبي (ص) و أمر له بالصبر على أذى قومه و بشره بما وعده من النصر فى الدنيا و ثواب فى الآخرة. وَ اسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ و إن لم تكن مذنباً، بل انقطاعاً إلى الله سبحانه، و لتستن بك الأُمَّةَ وَ سَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَ الْإِبْكَارِ أى نزه ربك متلبساً بالثناء الجميل عليه دائماً، أو كناية عن الصلوات الخمس. ٥٦- إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ ... إلخ أى إن الكفار الذين يخاصمون فى دفع حجج الله و إبطالها بلا حجة وردت عليهم منه سبحانه إن فى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ أى ليس فى قلوبهم إلا- عظمتهم و تكبر عن الحق و الحقيقة ما هُم بِبَالِيغِهِ فهم ليسوا بالغي مرادهم و مقصدهم فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ من شرورهم و مكائدهم إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ مر معناه. ٥٧- لَخَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ ... أى أن خلقهما ابتداء كان من غير أصل و مادّة، و إعادة الإنسان تكون من أصل و مادّة فالذى يقدر خلق شىء بلا مادّة هو على خلق ما له مادّة قادر بالأولى فلما ذا يدعونون لما هو أكبر و ينكرون ما هو أهون و هو البعث؟ و لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ

لعدولهم عن التفكير و التدبر فوقعوا في حيرة الجهالة و هوة الضلالة. ٥٨- وَ مَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَ الْبَصِيرُ ... يعنى الكافر الجاهل الغافل عن دلائل التوحيد لعدم التدبر فيها، لا يتساوى مع المؤمن العاقل العارف بالتوحيد عن طريق الأدلة و الحجج الدالة عليه. وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَ لَا الْمُسِيءَ أى لا يكون المحسن العامل بالأعمال الصالحة مساويا للمسيء قليلا ما تَذَكَّرُونَ أى: تذكرون تذكرا قليلا. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٤٧٩ ٥٩- إِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا ... أى أن القيامة واقعة لا شك من مجيئها. وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ أى لا يصدقون بها لقصور نظرهم على ظاهر ما يحسون به و حصره فى تقليد آبائهم. ٦٠- وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ... أى ادعوني فى جميع مقاصدكم حتى أستجيب لكم لو كان فى الإجابة مصلحة مقتضية لها. إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَكِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي أى لا يعبدونى استكبارا و أنفء سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ يعنى مهانين أذلاء. ٦١- اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ ... أى لاستراحتكم فيه بأن خلقه باردا مظلما وَ النَّهَارَ مُبْصِرًا مضيئا يبصر فيه، إِنَّ اللَّهَ لَمَذُوقُ فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ بهذه النعم تفضلا منه من غير استحقاق لهم. وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ أى يجحدونها و يكفرون بها. ٦٢- ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ... أى الذى أنعم عليكم بكل هذه النعم هو الله خالقكم و خالق كل شىء من السموات و الأرض و ما بينهما. لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَا يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ سِوَاهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ أى فكيف تنصرفون و تعرضون عنه و عن عبادته. ٦٣- كَذَلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا ... إلخ أى كما أنكم انصرفتم و أعرضتم عن دين الإسلام، هكذا ينصرف و يعرض كل من يجحد و ينكر آيات الله. ٦٤- اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا ... أى مسكنا و مستقرًا تسكنون فيها و تدفنون. وَ السَّمَاءَ بَنَاءً أى كالقبة المضروبة على الأرض قائمة ثابتة. وَ صَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ لِأَنَّ صُورَةَ بَنَى آدَمَ أَحْسَنَ صُورَةَ الْحَيَوَانَاتِ جميعا فهو قائم معتدل يأكل بيده و غيره يأكل بفيه. وَ زَرَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ يعنى تعين و تميز أرزاقكم عما جعل للحيوانات الأخر. ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ أى الخالق لهذه الأشياء و المنعوت بهذه النعوت هو خالقكم و هو الله. فَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ إِنَّهُ تَعَالَى يقدس نفسه بربوبيته لجميع العوالم. ٦٥- هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ... أى المتفرد بحياته الذاتية لا أحد يساويه فى ذاته و فى ألوهيته. فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ أى مخلصين فى دعائه و عبادته الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ فيه إضمار كأنه قال: ادعوه و احمده على هذه النعم و قولوا الحمد لله رب العالمين. ٦٦- قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أُعْبَدَ ... إلخ أى يا محمد قل لهؤلاء المشركين: أنا منهى عن عبادة أصنامكم التى تعبدونها. لَمَّا جَاءَنِي الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي أى بعد مجيء البراهين الواضحة من الله على أن غيره لا يستحق العبادة. وَ أُمِرْتُ أَنْ أُسَلِّمَ لِلرَّبِّ الْعَالَمِينَ أى أخلص له و أنقاد لأمره الذى يملك تدبير الخلائق و العوالم. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٤٨٠ ٦٧- هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ... أى خلق أباكم آدم من تراب و أنتم سلالته ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ أى ثم انشأ من ذلك الأصل الذى خلقه من تراب النطفة. وَ هِيَ الْمَاءُ الْقَلِيلُ مِنَ الرَّجُلِ وَ الْمَرْأَةِ يَخْتَلطُ فى رحمها ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ أى قطعة من الدم ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا أى أطفالا-واحدا واحدا. ثُمَّ لَتَبَلُّغُوا أَشَدَّكُمْ أى كمال قوتكم. ثُمَّ لَتَكُونُوا شُيُوخًا بَعْدَ ذَلِكَ وَ مِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلِ أَنْ يَبْلُغَ أَشَدَّكُمْ وَ هُوَ الْإِنْسَانُ لِلْمَرَاتِبِ الثلاث المذكورة وَ لَتَبَلُّغُوا أَجْلًا مَسِيًّا أى يبيكم بلوغكم آجالكم المعلومات عند بارئكم و التى تموتون عند حلولها. وَ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ أى تتعلمون تلك العوالم الماضية و هذه الانتقالات من عالم إلى آخر فتستبصروا و تؤمنوا. ٦٨- هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَ يُمِيتُ ... أى الذى أحياكم و خلقكم من تراب بالكيفية المزبورة هو الذى يميتمكم و يرجعكم إلى أصلكم، فَإِذَا قَضَى أَمْرًا أى فإذا أَرَادَهُ وَ حَكَمَ عَلَيْهِ فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ أى يفعل ذلك بلا تجشم كلفة و بلا صوت و بلا احتياج إلى كلام و نطق. ٦٩- أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ ... إلخ ألا ترى يا محمد إلى هؤلاء المشركين المعاندين المخاضمين لإبطال آياتنا بلا حجة و لا سلطان أَنَّى يُضَيَّرُونَ أى كيف يقلبون عن التصديق بها مع كثرتها و وضوحها. ٧٠ إلى ٧٢- الَّذِينَ كَذَبُوا بِالْكِتَابِ ... أى بالقرآن و جحدوه و بما أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا أى و كذبوا بما أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا قبلك من كتب و شرائع. فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ عاقبه عدم تصديقهم و سوء خاتمة أمرهم إِذِ الْأَغْلَالُ فى أَغْنَاهُمْ أى فى حال كون الأغلال فى أعناقهم. وَ السَّلَاسِلُ يُسَبِّحُونَ فى الْحَمِيمِ أى يجزون فى الماء الشديد الحرارة. ثُمَّ فى النَّارِ يُسَبِّحُونَ أى ثم يقذفون فى النار وقودا لها. ٧٣ و ٧٤- ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ ... إلخ أى يسأل خزنة جهنم أهل الشرك و العناد توبيخا: أين الذين كنتم تعبدونهم من دونه تعالى؟ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا أى غابوا عنا بحيث لم نجد لهم بل لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ

قَبِيلٌ شَيْئًا أَى لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا شَيْئًا يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ وَ لَا مَا يَنْفَعُنَا بِعِبَادَتِهِ. كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ أَى كَمَا أَنَّهُ سَبَحَانَهُ أَبْطَلَ مَا كَانَ مَطْمَعَ نَظَرِ كُفْرِهِ مَكَّةَ مِنْ انْتِفَاعِهِمْ بِعِبَادَتِهِمْ لِأَصْنَامِهِمْ كَذَلِكَ يَفْعَلُ بِجَمِيعِ أَصْنَافِ الْكَافِرِ فَلَا يَنْتَفِعُونَ بِشَيْءٍ مِنْ أَعْمَالِهِمْ. ٧٥- ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ ... إلخ أَى هَذَا الْعَذَابُ الَّذِي جَازَاكُمْ اللَّهُ بِهِ بِسَبَبِ فَرْحِكُمْ فِي الدُّنْيَا بِأَمْرٍ لَمْ يَكُنْ حَقًّا مِنْ عِبَادَتِكُمْ لِلْأَصْنَامِ وَ تَكْذِيبِكُمْ لِلرَّسْلِ وَ بِسَبَبِ أَشْرَاقِكُمْ وَ بَطْرِكُمْ. ٧٦- ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ ... وَ هِيَ سَبْعَةُ أَبْوَابٍ، فَادْخُلُوهَا لِتَسْتَغْفِرُوا لِخَلَايِكُمْ فِيهَا فَهِيَ مَقْدَرُهُ لِلتَّائِبِينَ فِيهَا فَبَسَّ مَتَوَى الْمُتَكَبِّرِينَ عَنْ الْحَقِّ، وَ بَسَّ مَقَامَهُمْ جَهَنَّمَ. ٧٧- فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ... فَاصْبِرْ يَا مُحَمَّدُ عَلَى أَذَى قَوْمِكَ وَ تَكْذِيبِهِمْ لَكَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ أَى أَنْ مَا وَعَدَ اللَّهُ بِهِ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ النِّصْرِ فِي الدُّنْيَا وَ ثَوَابِ الْجَنَّةِ فِي الْآخِرَةِ أَمْرٌ ثَابِتٌ وَاقِعٌ لَا مُحَالَةٍ. فَإِنَّمَا نَرِيكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ يَعْنِي: فَإِنَّمَا نَرِيكَ بَعْضَ عَذَابِهِمْ الْمَوْعُودِ فِي حَيَاتِكَ مِنَ الْقَتْلِ وَ الْأَسْرِ. أَوْ نَتَوَقَّعُكَ قَبْلَ ذَلِكَ فَإِنَّمَا يُرْجَعُونَ فَجَازِيَهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ بِمَا يَسْتَحِقُّونَهُ. إِرْشَادُ الْأَذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ٤٨١ ٧٨- وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ ... إلخ هَذِهِ الشَّرِيفَةُ نَزَلَتْ لِتَسْلِيَةِ النَّبِيِّ (ص) وَ إِجْمَالِهَا أَنَّ الرُّسُلَ الَّذِينَ أَرْسَلْنَاهُمْ قَبْلَكَ مِنْهُمْ مِنْ تَلَوْنَا عَلَيْكَ ذِكْرَهُ وَ مِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَتَلَّ عَلَيْكَ ذِكْرَهُ وَ مَا كَانَ لِرُّسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ أَى أَنَّ الْإِتْيَانَ بِالْمُعْجَزَاتِ لَيْسَ إِلَى الرَّسُولِ بَلْ إِلَى اللَّهِ يَأْتِي بِهَا عَلَى وَجْهِ الْمَصْلَحَةِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ بِالْعَذَابِ عَاجِلًا أَوْ آجَلًا قُضِيَ بِالْحَقِّ أَى حُكْمُ بِالْعَدْلِ بَيْنَ الْمَحْقُوقِ وَ الْمَبْطُلِ وَ خَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ أَى الْمَعَانِدُونَ بِاقْتِرَاحِ الْآيَاتِ حَيْثُ يَدْخُلُونَ النَّارَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِدَلِّ الْجَنَّةِ. ٧٩- اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَنْعَامَ ... مِنَ الْإِبِلِ وَ الْبَقَرِ وَ الْغَنَمِ، وَ يَلْحَقُ بِهَا الْخَيْلُ وَ الْحَمِيرُ وَ الْبِغَالُ لِيَرْكَبُوهَا مِنْهَا وَ مِنْهَا تَأْكُلُونَ أَى لِتَسْتَفْعِلُوا بِرُكُوبِ بَعْضِهَا وَ بِأَكْلِ لَحُومِ بَعْضِهَا الْآخِر. ٨٠- وَ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ ... أَى مَنَافِعُ أُخْرَى غَيْرَ الْأَكْلِ وَ الرُّكُوبِ كَالْأَلْبَانِ وَ الْجُلُودِ وَ الْأَوْبَارِ وَ الشُّعُورِ وَ لِيَتَبَلَّغُوا عَلَيْهَا حَاجَتَهُ فِي صُيُودُورِكُمْ كَالْتِجَارَةِ فِي الْبِلَادِ الْمُتَقَارِبَةِ وَ الْمُتَبَاعِدَةِ وَ الزِّيَارَةِ وَ حُجِّ بَيْتِ اللَّهِ وَ غَيْرِ ذَلِكَ وَ عَلَيْهَا أَى عَلَى ذَوَاتِ الْقَوَائِمِ كَالْإِبِلِ وَ عَلَى الْفُلُوكِ تُحْمَلُونَ أَى السِّفَنُ الْبَحْرِيَّةُ تَرْكَبُونَ مَعَ مَا كَانَ مَعَكُمْ مِنَ الْأَحْمَالِ وَ الْأَثْقَالِ. ٨١- يُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ ... أَى هُوَ سَبْحَانَهُ يَعْرِفُكُمْ دَلَائِلَ قُدْرَتِهِ وَ تَوْحِيدِهِ وَ رَحْمَتِهِ، فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ بَعْدَ وَضُوحِهَا بِحَيْثُ لَا يَنْكُرُهَا ذُو إِدْرَاكِ. ٨٢- أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ ... أَى بَأَنَ يَمْرُوا فِي أَقْطَارِهَا فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ الَّتِي أَهْلَكْنَاهَا، كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ عِدَدًا وَ عُدَّةً وَ أَشَدَّ قُوَّةً وَ آثَارًا فِي الْأَرْضِ مِنْ قُصُورٍ مَشِيدَةٍ وَ مَصَانِعٍ عَالِيَةٍ وَ حُصُونٍ مَرْتَفَعَةٍ. فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ مِنْ جَمْعِ الْأَمْوَالِ وَ الْجُنُودِ وَ الْأَبْنِيَةِ فَإِنَّهَا جَمِيعًا صَارَتْ مَعْرُضًا لِلْهَلَاكِ. ٨٣- فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ... أَى فَلَمَّا أَتَى هَؤُلَاءِ الْكَافِرَ رُسُلُهُمُ الَّذِينَ دَعَوْهُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ وَ أَقَامُوا لَهُمُ الْحُجَجَ عَلَى حَقَانِيَّةِ مَا يَدْعُونَهُمْ إِلَيْهِ. فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ أَى أَعْجَبُوا بِمَا زَعَمُوهُ عِلْمًا مِنْ شَبَهِهِمُ الْبَاطِلَةَ فِي نَفْيِ الْبَعْثِ وَ انْكَارِ الصَّانِعِ وَ تَكْذِيبِ الرُّسْلِ وَ الْكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ وَ احْتَقَرُوا عِلْمَ الْأَنْبِيَاءِ وَ دَعَاوِيَهُمْ وَ حَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ أَى نَزَلَ عَلَيْهِمْ وَ أَحَاطَ بِهِمُ الْعَذَابُ جَزَاءً لِمَا سَتَهَزَّأُوا بِهِمْ بِالرُّسْلِ وَ عِلْمِهِمْ. ٨٤- فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا ... أَى لَمَّا شَاهَدُوا شِدَّةَ عَذَابِنَا قَالُوا صَدَقْنَا بِاللَّهِ وَحِيدَهُ وَ آمَنَّا بِأَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَ كَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ أَى مُشْرِكِينَ بِاللَّهِ بِعِبَادَتِنَا لِلْأَصْنَامِ. ٨٥- فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ ... إلخ لِأَنَّ الْإِيمَانَ الْإِلْجَائِيَّ لَا يَقْبَلُ لِأَنَّهُمْ مَا آمَنُوا إِلَّا عِنْدَ مَا رَأَوْا عَذَابَ اللَّهِ وَ شِدَّةَ سُنَّتِ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ أَى سَنَّ اللَّهُ ذَلِكَ سُنَّةً جَارِيَةً مَاضِيَةً فِي الْأُمَمِ، بِأَنَّ الْإِيمَانَ عِنْدَ الْبَأْسِ لَا يَقْبَلُ وَ خَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ بِدُخُولِ النَّارِ وَ فُوتِ الثَّوَابِ وَ الْجَنَّةِ. إِرْشَادُ الْأَذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ٤٨٢

سورة فصلت مكية، عدد آياتها ٥٤ آية

١- حم ... قد قلنا ما هو المختار في معنى هذا و أمثاله فلا نعيده. ٢- تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ... خبر مبتدأ محذوف أَى: هذا تنزيل، الآية. ٣ و ٤- كِتَابٌ فَصَّلَتْ آيَاتُهُ ... أَى مَيَّزَتْ وَ بَيَّنَّتْ أَحْكَامًا وَ قِصَصًا وَ مَوَاعِظَ. قُرْآنًا عَرَبِيًّا أَى حَالُ كَوْنِهِ قُرْآنًا مُتَصِفًا بِأَنَّهُ عَرَبِيٌّ. لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ أَى مِنَ الْعَرَبِ أَوِ الْمَرَادُ مِنْهُمْ هُمُ الْعُلَمَاءُ بَشِيرًا وَ نَذِيرًا أَى مَبَشِّرًا لِلْمُطِيعِينَ بِالثَّوَابِ وَ مَنذِرًا لِلْعَاصِينَ بِالْعِقَابِ فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ عَنِ التَّدَبُّرِ فِيهِ وَ التَّفَكُّرِ فِي كَشْفِ أَسْرَارِهِ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ أَى لَا يَسْتَمِعُونَ إِلَيْهِ حِينَمَا قُرِئَ الْقُرْآنُ عَلَيْهِمْ. بَلْ كَانُوا يَعْزُضُونَ عَنْهُ

و إذا سمعوه بغته ما كانوا يتأملون ولا يفكرون فيه. ٥- وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ ... أى فى أغشية وأستار مما تدعوننا إليه فلا نفقه ما تقول. وفى آذاننا وقْرٌ أى صمم، ومن بيننا وبَيْنِكَ حِجَابٌ أى ستار و مانع يمنعنا عن التواصل فاعمل على دينك إننا عامِلُونَ على ديننا وإبطال دينك. ٦ و ٧- قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ... أى من ولد آدم، وإنما خصّني الله تعالى بنبوته يوحى إليّ أنما إلّكم إلّه واحد فميزنى بالوحى إلى بأن خالقكم واحد لا شريك له فى العبادة. فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوا أى لا تميلوا عن سبيله و توجهوا إليه بالطاعة و اطلبوا المغفرة لذنوبكم منه وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ تهديد لهم بالويل و بنار جهنّم. و قد خسر الذين لا يؤتون الزكاة أى لا يعطون الأموال المفروضة. وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ تكرر الضمير لتأكيد كفر المشركين بالخصوص بعالم البعث و الحساب. و ظاهر الشريعة يدل على أن الكفار مكلفون فروعاً و أصولاً. ٨- إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ... أى الذين صدّقوا بالله و برسوله و بالبعث و النشور و فعلوا الأعمال المرضية لله. لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ أى غير مقطوع. ٩- قُلْ أَإِنكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ ... أى سلهم يا محمد كيف تجحدون نعمة من خلق الأرض فى مقدار يومين و تنكرون قدرته وَتَجْعَلُونَ لَهُ أُنْدَاداً أى شركاء و أشباها من تلك الأحجار و الأخشاب التى تحتونها. ذَلِكَ أى الذى بهذه القدرة و القوة رَبُّ الْعَالَمِينَ هو خالق الكائنات و مالك التصرف فيها فينبغى أن يعبد وحده. ١٠- وَجَعَلْ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا ... أى خلق فى الأرض جبالات ثابتة من فوق الأرض. وَبَارَكْ فِيهَا أى أكثر خيرها بالمياه و المعادن و الزرع و الضرع وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا أى الناشئة منها للناس و البهائم على قدر حاجاتهم فى أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ أى غير الأولين أو معهما. سِوَاءَ لِلسَّائِلِينَ أى الأربعة متساوية ليس لواحد على الآخر زيادة و لا منه نقيصة للمستفهمين عن مدة الخلق. ١١- ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ ... أى ثم قصد سبحانه إلى خلق السماء و كانت مجرد أجزاء دخانية أو بخارات متصاعدة من المياه يخیل من بعيد أنها دخان فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً إلخ أى بما خلقت فيكما من التيارات و الكائنات سواء كنتما طائعتين أو مكرهتين، أى لا بدّ من إتيانكما طائعتين قالتا أَتَيْنَا طَائِعِينَ و هذا السؤال و الجواب ليسا على الحقيقة. فالمراد بإتيانهما امثالهما التكوينية الذاتى، كما أن المراد بإطاعتهما هى التكوينية الذاتية. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ١٢٤٨٣- فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ ... أى صنعهنّ بإحكام و إتقان حال كونهنّ سبع سماوات. فى يَوْمَيْنِ قال القمى: يعنى وقتين بدءاً و انقضاءً. وَأَوْحَى فى كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا أى ما بها يتعلق أو لا يتعلق بأهلها من الطاعات و العبادات. و هذا الوحى وحى تقدير و تدبير. وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ أى التيارات التى تضىء كالسرج وَحِفْظاً أى حفظناهن حفظاً عن استماع الشياطين ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ أى أن كلّ ما ذكر من بدائع الصنائع هو خلقه صانع العالم من العدم الغالب على كلّ شىء، و الواجد لكمال العلم. ١٣- فَإِنْ أَعْرَضُوا ... أى إذا أعرضوا عن الإيمان بعد إتمامنا الحجّة عليهم فَقُلْ أُنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثُمُودَ أى يا محمد قل للمشرّكين إن ربّى هكذا يقول: كما أهلكنا عاداً بريح صرصر عاتية و ثمود بصيحة جبرائيل المهلكة كذلك هؤلاء الكفرة نهلكهم بأشدّ عذابنا و أيسر ما يكون إهلاكهم علينا. ١٤- إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَ مِنْ خَلْفِهِمْ ... أى أتتهم الصاعقة حين أتتهم الرسل لينذروهم أو يحذروهم بما مضى من هلاك الكفرة و ما يأتى من عذاب الآخرة. أَلَّا تَعْلَمُونَ إِلَّا اللَّهَ أى أرسلناهم لينذروهم ألا يعبدوا إلا الله. قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً أى قال المشركون لو أراد الله أن يرسل إلينا رسولا فلا بدّ أن يبعث إلينا من غير نوعنا بل من الملائكة فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ أى على زعمكم كافِرُونَ حيث نظنكم كاذبين فيما ادّعيتهم به. ١٥- فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فى الْأَرْضِ ... إلخ أى قوم عاد عتوا و تجبروا و قالوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً فَاغْتَرَوْا بقوتهم الظاهرية لما هددهم عاد بالعذاب فقالوا نحن نقدر على دفعه بقوتنا. أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ... أى الذى كان أعطاهم تلك القوة و القدرة هو يقدر أن يسلبها منهم و يهلكهم وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ أى ينكرونها. ١٦- فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصِراً ... أى عاصفاً شديداً الصوت من الصرّة و هى الصيحة و قيل ريحا باردة من الصرّ فى أيام نجسات أى مشؤومة عليهم لُنذيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا أى فعلنا ذلك بهم لنذيقهم فى الحياة الدنيا عذاب الهوان و الدّلّ، وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى أى أفضح و أذلّ وَهُمْ لَا يُنصَرُّونَ أى ليس لهم ناصر و لا معين حتى يدفع عنهم العذاب. ١٧- وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ ... أى فدلّلناهم على الحق بنصب الحجج و إرسال الرسل فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى أى آثروا على الهداية الضلالة فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ

أى عذاب الذلّ والحقارة. بما كانوا يَكْسِبُونَ أى بسبب شركهم و تكذيبهم نبيهم صالحا و عقربهم الناقه. ١٨- وَ نَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَ كَانُوا يَتَّقُونَ ... أى نجينا صالحا و المصدقين به ممن كانوا يتجنبون الشرك و المعاصي من الصاعقة المهلكة. ١٩ و ٢٠- وَ يَوْمَ يُخْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ ... أى يحبس أولهم على آخرهم ليتلاحقوا و لا- يتفرقوا حتّى إذا ما جاؤوها أى إذا اجتمعوا و وقفوا قبالتها. شهد عليهم سَمْعُهُمْ وَ أَبْصَارُهُمْ وَ جُلُودُهُمْ بما كانوا يَعْمَلُونَ أى إذا جاؤوا النار التى وعدوها سئلوا عن أعمالهم فأول ما يشهد عليهم بإنطاق الله له هو السمع، و بعد ذلك الأبصار، و بعدها الجلود بما صدر عنهم من الأعمال القبيحة و الأقوال السيئة. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٤٨٤ ٢١- وَقَالُوا لِيُجْلِدُوهُمْ لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا ... أى يقول الكفرة لجوارحهم على سبيل التوبيخ أو التعجب أو العتاب لم شهدتم علينا بما فعلناه فى الدنيا من القبيح. قالوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ أى الله تعالى أعطانا قوّة النطق و علّمنا البيان و ألهمنا الشهادة و الاعتراف بما عملناه و فعلناه. وَ هُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ فى الآخرة. ٢٢- وَ مَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ ... إلخ أى عند ارتكابكم القبائح كنتم تستخفون بها لكنكم لم تتمكنوا من أن تستتروا بأعمالكم عن أعضائكم التى أنتم بها تفعلون ما كنتم تعملون، فجعلها الله شاهدة عليكم فى القيامة. وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ أى عملتم عمل من ظن أن عمله يخفى على الله و ذلك لجهلكم بالله تعالى فهان عليكم. ٢٣- وَ ذَلِكَ كَمْ ظَنُكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ ... أى ذلك الظن برّبكم أرداكم أى أهلككم فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ باستبدالكم بالجنة النار. ٢٤- فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ... أى فإن يصبروا على النار و آلامها و أمسكوا عن شكاوهم أم لم يصبروا فالنار مستقرهم وَ إِنْ يَسْتَعْجِلُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَجِلِينَ أى لو سألوا الله أن يرضى عنهم و يقبل عذرهم فما هم ممن يرضى عنه و يقبل عذره. ٢٥- وَ قَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ ... أى قدرنا لهم أخذانا من الشياطين، فَرَبَّيْنَاهُمْ مَا يَشَاءُ مَا يَدِينُهُمْ أى حسنا من أمور الدنيا و متاع الحياة و حظوظها و لذائذها فجدا فى طلبها. وَ مَا خَلَقْنَاهُمْ أَى بَأْن كَانَ هَؤُلَاءِ الشَّيَاطِينُ يوسوسون إليهم أن لا بعث و لا نار و لا جنة و لا سؤال فينكرونها من أصلها وَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ أى الوعيد بالعذاب فى أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ أى فى جملة الأمم الماضية. مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ لأنهم عملوا مثل أعمالهم إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ أى خسروا نعيم الجنة كما كان أولئك من الخاسرين قبلهم. ٢٦- وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا- تَسْمِعُوا لَهُذَا الْقُرْآنِ ... أى قال رؤساء الضلالة لأتباعهم لا تصغوا لهذا لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ بَأْن عَجَزَ تَمَوْه عن مقاومتكم فلا يعارضكم بعد ذلك بقراءة قرآنه. ٢٧- فَلَنَذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا ... بالأسر و القتل فى الدنيا، قيل عنى يوم بدر، و قيل فى الآخرة وَ لَنَجْزِيَنَّهُمْ أَشْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ أى نجزيهم بأقبح جزاء على قبح عصيانهم و هو الشرك و الكفر. ٢٨- ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارِ ... أى ما تقدم الوعيد به لأعداء الله الذين عادوه بالكفر و العصيان و حاربوا أولياءه، و هو الكون فى نار جهنم. لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ أى جهنم هى مسكن إقامتهم الدائمى جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ أى عقابا لهم بسبب إنكارهم لكون القرآن من عند الله. ٢٩- وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا ... أى أن رؤوس الكفر و الضلال يسألون الله حين يصيرون فى النار رَبَّنَا أَرِنَا الَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ أى شيطانى الجنسين الداعيين لنا إلى الضلالة و العناد نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا أى ندوسهما انتقاما منهما لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ أى فى الدرك الأسفل من النار فيكون عذابهما أشد من عذابنا. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٤٨٥ ٣٠- إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ... أى وحدوه و صدّقوا رسله ثم استمروا على هذا الأمر تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ عند الموت أو عنده و فى القبر و القيامة، أَلَّا تَخَافُوا أى يبشرونهم بَأْن لا تخافوا ممّا أمامكم من العقبات و المواقف وَ لَا تَحْزَنُوا على ما أخلفتم من ولد و أهل و أموال وَ أَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ بها فى الدنيا على ألسنة الأنبياء. ٣١- نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ... أى نحن معاشر الملائكة احبّاؤكم نتولّى أموركم من حفظكم و إلهامكم الخير و غير ذلك فى الحياة الدنيا وَ فى الْآخِرَةِ بَأْن نشفع لكم و لا نفارقكم حتى ندخلكم الجنة وَ لَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ أى فى الآخرة من أنواع النعم و اللذائذ وَ لَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ أى ما تتمنون و تطلبون. ٣٢- نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ ... أى جميع ذلك عطاء و فضل ذو بركة من ربّ كثير المغفرة و الرحمة. ٣٣- وَ مَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ ... استفهام يراد به النفى، و تقديره: و ليس أحد أحسن قولاً ممّن دعا إلى توحيد الله و طاعته و أضاف إلى ذلك وَ عَمِلَ صَالِحًا لِيَقْتَدَى بِهِ فِيهِ. وَقَالَ إِنِّى مِنَ الْمُسْلِمِينَ أى و أضاف إلى الدعوة القوليّة و العمليّة الخالصة إظهار إسلامه. ٣٤- وَ لَا

تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ... أَي لَا تَسْتَوِي الْأَعْمَالُ الْحَسَنَةُ وَالْأَعْمَالُ الْقَبِيحَةُ وَقِيلَ مَعْنَاهَا لَا تَسْتَوِي الْمَلَّةُ الْحَسَنَةُ أَى الْإِسْلَامُ، وَالْمَلَّةُ السَّيِّئَةُ وَهِيَ الْكُفْرُ. اذْفَعْ بِأَلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ خُطَابٍ مِنْهُ سَبْحَانَهُ إِلَى نَبِيهِ (ص) اذْفَعْ بِحَقِّكَ بِأَطْلَهُمْ وَبِحِلْمِكَ جَهْلَهُمْ وَبَعْفُوكَ إِسَاءَتَهُمْ، فَإِنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ ذَلِكَ فَإِذَا الَّذِي يَبْنِيكَ وَيَبْنِيهِ عَدَاوَةٌ أَى عَدَاوَةُ دِينِيَّةٍ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ أَى يُصِيرُ الْعَدُوَّ بِسَبَبِ إِحْسَانِكَ إِلَيْهِ فِي مُقَابَلِ إِسَاءَتِهِ كَالصَّيْدِ بِدِقِّ الْمَحَبِّ الْقَرِيبِ. ٣٥- وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا ... أَى لَا يُعْطَى هَذِهِ الْخَصْلَةُ الْحَمِيدَةُ، وَهِيَ مُقَابَلَةُ الْإِسَاءَةِ بِالْإِحْسَانِ، إِلَّا أَهْلَ الصَّبْرِ. وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ أَى الَّذِينَ لَهُمْ نَصِيبٌ وَافِرٌ مِنَ الْعَقْلِ وَكَمَالِ الْإِيمَانِ وَقِيلَ الْحَظُّ الْعَظِيمُ الْجَنَّةُ. ٣٦- وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ ... أَى وَإِنْ أَغْرَاكَ الشَّيْطَانُ لِيَصْرِفَكَ بِوَسْوَستِهِ عَمَّا أَمَرْتَ بِهِ مِنَ الدَّفْعِ بِأَلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ. فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ أَى فَاطْلُبِ الْإِعْتَصَامَ مِنْ شَرِّهِ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ مَر مَعْنَاهُ. ٣٧- وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ ... أَى مِنْ آثَارِ تَوْحِيدِهِ وَعَلَائِمِ قُدْرَتِهِ الَّتِي أَظْهَرَهَا عَلَى جَمِيعِ خَلْقِهِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ بِإِظْلَامِ الْأَوَّلِ وَإِضَاءَةِ الثَّانِي وَتَدْبِيرِهِمَا عَلَى نِظَامٍ مُسْتَمِرٍّ وَتَقْدِيرِهِمَا عَلَى وَجْهِ مُسْتَقَرٍّ. وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِمَا لَهُمَا مِمَّا اخْتَصَّ بِهِ مِنَ النُّورِ وَغَيْرِهِ وَمَا ظَهَرَ فِيهِمَا مِنْ دَقَّةِ التَّدْبِيرِ وَحِكْمَةِ التَّصْرِيفِ فِي فَلَكَ التَّدْوِيرِ. لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ أَى لَا تَعْبُدُوهُمَا عَلَى مَا فِيهِمَا مِنَ الْمَنَافِعِ لِأَنَّهُمَا مَخْلُوقَانِ مَأْمُورَانِ مِثْلَكُمْ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ الْخَافِضَ أَى لَوْ أَرَدْتُمْ السُّجُودَ لِشَيْءٍ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ الْأَشْيَاءَ بِقُدْرَتِهِ وَأَخْرَجَهَا مِنْ كَتَمِ الْعَدَمِ إِلَى صَفْحَةِ الْوُجُودِ فَهُوَ الْمُسْتَحَقُّ لِلْعِبَادَةِ دُونَ غَيْرِهِ. ٣٨- فَإِنْ اسْتَكْبَرُوا ... فَإِنْ اسْتَكْبَرُوا عَنِ السُّجُودِ لِلَّهِ وَتَوَجَّهَ الْعِبَادَةُ إِلَيْهِ فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَى لَا يَزَالُونَ مُشْغُولِينَ بِالْإِمْتِثَالِ لِأَمْرِهِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ لَا يَمَلُّونَ مِنَ الْعِبَادَةِ بِأَيِّ كَيْفِيَّتِهِ كَانَتْ. إِرْشَادُ الْأَذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ٤٨٦ ٣٩- وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْتَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً ... أَى وَمِنْ أَدْلَتِهِ عَلَى رَبوبيَّتِهِ وَقُدْرَتِهِ أَنْتَ تَرَى الْأَرْضَ غَيْرَاءَ يَابِسَةً مُتَذَلِّلَةً. فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ أَى تَحَرَّكَتْ بِمَا نَبَتَ عَلَيْهَا وَانْتَفَخَتْ بِالنَّبَاتِ وَكَثُرَتْ الرِّبْعُ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاها أَى الَّذِي هُوَ قَادِرٌ عَلَى إِحْيَاءِ الْأَرْضِ بِالنَّبَاتِ بَعْدَ إِمَاتَتِهَا لَمْحَى الْمَوْتِ أَى هُوَ قَادِرٌ عَلَى إِحْيَاءِ الْبَشَرِ بَعْدَ الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَاضِحُ الْمَعْنَى. ٤٠- إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ ... أَى يَمِيلُونَ عَنِ الدِّينِ وَيَطْعَنُونَ فِي آيَاتِنَا حُجْجًا وَدَلِيلًا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا بِأَشْخَاصِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ وَأَقْوَالِهِمْ أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اسْتَفْهَامُ تَقْرِيرٍ وَتَوْبِيخٌ مَعْنَاهُ أَنْ الْمَلْحَدَ الَّذِي يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَأْمُونًا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ وَهُمْ الْمَصْدُقُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ. وَالْمَعْنَى لَا يَسْتَوِيَانِ. اَعْمَلُوا مُخْتَارَيْنِ مِنَ الطَّرِيقَتَيْنِ مَا شِئْتُمْ أَى مَا أَرَدْتُمْ فَلَكُمْ الْخِيَارَ. إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِكُمْ خَفِيَةً أَوْ عَلَانِيَةً فَيَجَازِيكُمْ بِهَا. ٤١- إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالدُّعَاءِ لَمَّا جَاءَهُمْ ... أَى بِالْقُرْآنِ وَجَحْدُوهُ. وَخَبَرُ إِنْ مَحْذُوفٍ وَالتَّقْدِيرُ: نَنْتَقِمُ مِنْهُمْ. وَإِنَّهُ لِكِتَابٌ عَزِيزٌ أَى غَالِبٌ بِقُوَّةِ حُجْجِهِ أَوْ مَعْنَاهُ، عَدِيمُ النُّظِيرِ. ٤٢- لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ... أَى مِنْ نَاحِيَةِ التَّوَرَاةِ وَلَا مِنْ قَبْلِ الْإِنْجِيلِ وَالزَّبُورِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ أَى لَا يَأْتِيهِ مِنْ بَعْدِهِ كِتَابٌ يَبْطُلُهُ أَوْ يَتَقَدَّمُ عَلَيْهِ بِحَيْثُ يَنْسَخُهُ. تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ أَى عَالَمٌ بِوُجُوهِ الْحِكْمَةِ مُسْتَحَقٌّ لِلْحَمْدِ عَلَى خَلْقِهِ بِالْإِنْعَامِ عَلَيْهِمُ بِالْقُرْآنِ وَغَيْرِهِ. ٤٣- مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ ... أَى أَنْ الَّذِي يَقُولُهُ هَؤُلَاءِ الْكُفْرَةُ مِنْ قَوْمِكَ لَكَ، لَيْسَ أَمْرًا مَالَهُ مِنْ نَظِيرٍ، بَلْ هَذَا هُوَ الَّذِي قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ وَالْأَنْبِيَاءِ قَبْلَكَ مِنْ تَكْذِيبِ أَقْوَامِهِمْ وَالْجُحُودِ لِنُبُوتِهِمْ وَإِنْكَارِ فُضَائِلِهِمْ وَكُتْبِهِمْ مِنْ عِنْدِي إِنَّ رَبَّكَ لَمَدُونٌ مَغْفِرَةٌ أَى لِأَنْبِيَائِهِ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ لِأَعْدَائِهِمْ. وَقِيلَ الْوَعْدُ وَالْوَعِيدُ هُنَا عَامَّانِ. ٤٤- وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا ... أَى لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ بِلُغَةِ الْعَجَمِ لَكَانَ لَهُمْ أَنْ يَقُولُوا. لَوْ لَا- فَصَلَّتْ آيَاتُهُ أَى بَيَّنَّتْ بَلَّغْتَنَا حَتَّى نَفْهَمَهَا وَنَعْمَلُ بِهَا أَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ أَى لَقَالُوا مُسْتَنْكِرِينَ هَلْ كَلَامٌ أَعْجَمِيٌّ وَالْمُخَاطَبُ عَرَبِيٌّ وَالنَّبِيُّ عَرَبِيٌّ؟ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى مِنَ الضَّلَالَةِ وَشِفَاءٌ لِلْقُلُوبِ الْمَرِيضَةِ بِأَمْرَاضِ الشَّكِّ وَالزَّيْبِ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقُرْ أَى لَمَّا لَمْ يَنْتَفِعُوا بِهِ فَكَأَنَّهُمْ فِي آذَانِهِمْ ثِقَلٌ وَصَمٌّ إِذْ لَيْسَ لَهُمْ قَابِلِيَّةُ الْهَدَايَةِ. وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أَى لَتَعَامِيهِمْ وَعَدَمِ اسْتِفَادَتِهِمْ مِنَ الْقُرْآنِ فَكَأَنَّهُمْ عَمًى لَا يَبْصُرُونَ آيَاتِهِ الْمُرْشِدَةَ إِلَى طَرِيقِ الْحَقِّ. أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ أَى مِثْلَهُمْ مِثْلَ مَنْ كَانَ فِي مَسَافَةٍ بَعِيدَةٍ بِحَيْثُ كُلَّمَا يَصَاحُ بِهِ فَلَا يَسْمَعُ النَّدَاءَ. ٤٥- وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ ... أَى التَّوْرَةَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ لِأَنَّهُ آمَنَ بِهِ قَوْمٌ وَصَدَّقُوهُ، وَكَذَّبَهُ آخَرُونَ كَمَا اخْتَلَفَ فِي الْقُرْآنِ. وَلَوْ لَا كَلِمَةُ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ أَى الْوَعْدُ بِالْإِمْهَالِ لِأُمَّةٍ مُحَمَّدٌ (ص) لَقَضَيْتَ بَيْنَهُمْ أَى لِحَكْمِ بَيْنِ الْجَا حِدِينَ وَالْمَكْذِبِينَ بِاسْتِثْنَائِهِمْ وَإِهْلَاكِهِمْ كَالْأُمَمِ السَّابِقَةِ. وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ

أى إن قومك شاكون أعظم الشك بالقرآن أنه كتاب من عندنا نزل عليك. ٤٦- مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ... أى ثواب عمله راجع إليه لا إلى غيره وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا أى من الفسوق والعصيان فضرره على نفسه لا على غيرها وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ أى ليس يفعل بهم ما ليس له أن يفعل، بأن ينقص من أجر المطيع، أو يزيد فى عقاب العاصي، أو يعاقب المطيع ويثيب العاصي. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٤٨٧ ٤٧ و ٤٨- إِلَيْهِ يُرْدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ ... أى وقت القيامة التى يقع فيها الجزاء فإنه مِمَّا خَصَّ سبحانه ذاته المقدسة به فلا يعلمه غيره وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا جمع كم أى أوعيتها قبل أن تنشق عن الثمرة وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ أى كل ذلك مقرون بعلمه سبحانه واقعا حسب تعلقه به، فكما أن علم قيام الساعة خاص بذاته المقدسة فكذلك علم الثمار من حيث كَيْفِيَّةُ الأنواع وكبرها وصغرها وطعومها وروائحها وألوانها ونضجها، وعلم الأجنة وكونها ذكورا وإناثا وتامه من حيث الخلقة أو ناقصه وحسنه أو قبيحه وغير ذلك. وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِيَ أى ينادى الله المشركين أين من كنتم تزعمون أنهم شركائى فى الربوبية. قَالُوا آذْنَاكَ أى أعلمناك ما مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ أى ليس منا شاهد يشهد بأن لك شريكا وَضَلَّ عَنْهُمْ ما كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ أى غاب عنهم معبودهم الذى كانوا يعبدونه فى الدنيا من الأصنام وَظَنُّوا ما لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ أى أيقن المشركون أنه ليس لهم مهرب من عذاب ربهم. ٤٩- لَا يَسْأَلُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ ... قال القمى أى لا يمل ولا يعيا من أن يدعو لنفسه بالخير فى الدنيا وإن مَسَّهُ الشَّرُّ بزعمه كالفقر والمرض وغيرهما من العوارض الدنيوية فَيُؤَسَّسُ أى آيس كثيرا من رحمه ربه أو من إجابته الدعاء، قَنُوطٌ أى يظن به تعالى ظَنُّ السَّوءِ. ٥٠- وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا ... أى لئن رزقناه خيرا وعافيه وغنى مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هذا لى أى هذه الرحمة أنا أَسْتَحَقُّهَا بعملى. وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً أى كائنه كما يقول المسلمون ومفاده إنكار البعث وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّى أى على فرض صحته ما يزعمه المسلمون وأنا بعثت وحشرت ولقيت ربى إِنَّ لى عِنْدَهُ لِلْحُشْنِ أى لى عند الله الحالة الحسنة من الكرامة والنعمة كما أكرمنى وأنعم على فى الدنيا. فَلَنَنْبِتَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا فَنُخَبِّرُهُمْ يوم القيامة بما عملوا من قبائح الأعمال ومساوى الأقوال وَلَنَذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ أى عذاب شديد كَمَا وكيفا. ٥١- وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ ... بالصحة والثروة وغيرهما أَعْرَضَ أَكْبَرُ عن الشكر وَنَأَى بِجَانِبِهِ أى انحرف بجنبه تكبرا عن الاعتراف بنعمة الله عليه. وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ أى الفقر والفاقة والمرض والعاهة فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ أى فهو فى تَضَرُّعٍ شديد ودعاء عظيم مستمر ليكشف الله عنه ذلك البلاء فهو يجأر بالدعاء فى الشدة ويعرض عنه فى الرخاء. ٥٢- قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ... أى قل يا محمد لهؤلاء المشركين أخبرونى إن كان هذا القرآن فى نفس الأمر من عند الله كما أقول ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ وَجحدتموه عنادا مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ أى فى خلاف عن الحق والصواب، وبعيد عن الصلاح؟ يعنى أنتم أضل الناس لأنكم تعاندون الحق وتكذبون بالقرآن وتكفرون نبوة النبى استكبارا وجهالة. ٥٣- سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فى الْآفَاقِ وَفى أَنْفُسِهِمْ ... أى عميا قريب نريهم دلائلنا فى آفاق العالم وأقطار السماء والأرض من التيرات وغيرها وفى أنفسهم وما فيها من الحكمة والتدبير والإتقان. وقال ابن عباس: فى الْآفَاقِ أى منازل الأمم الخالية وآثارهم وفى أَنْفُسِهِمْ يوم بدر. حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أى حتى يظهر لهم أن الله هو الحق. أو أن القرآن حق من عند الله الحق. أَوْ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ الاستفهام تقريرى أى أن الكفار وإن أنكروا نبوتك لكنّه سبحانه كاف لك فى كونه شاهدا على صدقك وعلى أن القرآن من عنده سبحانه كما تقول فهو حسبك ولن يضروك بتكذيبهم لك. ٥٤- أَلَا إِنَّهُمْ فى مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ ... كلمة أَلَا للتنبية والتأكيد بأن الكفار بعد فى شك من وجود الصانع تعالى ومن يوم البعث ومجازاتهم أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ أى وسع كل شىء علما فلا تخفى عليه خافية. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٤٨٨

سورة الشورى مكية، عدد آياتها ٥٣ آية

١ و ٢- حم عسق ... أشرنا سابقا إلى رأى فى الحروف المقطعة فى أوائل بعض السور. ومن جملة ما قيل إن الحروف المقطعة فى أوائل السور أسماء للنبى محمد (ص) وكل واحد منها بمناسبه ويرمز إلى سر من الأسرار لا يعلمه إلا الله والراسخون فى العلم. ٣-

كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ ... أى مثل الذى فى هذه السورة من المعانى يوحى الله تعالى إليك وَ إِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَ الرُّسُلِ
 اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ مر معناه. ٤- لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ... أى هو مالِكهما و مدبرهما و المتصرف فيهما وَ هُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ
 المستعلى على كل قادر العظيم الشأن. ٥- تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرُونَ مِنْ قُوَّتِهِنَّ ... أى قرب أن تتشقق كل واحدة من السماوات من فوق
 التى تليها من عظم أن للرحمان ولدا أو لنسب الشريك له وَ الْمَلَائِكَةُ يَسْجُدُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ أى ينزهون الله عما لا يليق به حال كونهم
 يشتغلون بذكر ثنائه الجميل بما يليق به تعالى. وَ يَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ. أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ المعنى ظاهر و
 قد مر. ٦- وَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ... أى اتَّخَذُوا آلَهُهُ عَبْدُهَا مِنَ الْأَصْنَامِ يعنى كفار مكة الذين عبدوا الأصنام و غيرها الله
 حَفِيزٌ عَلَيْهِمْ أى محص و مراقب لأحوالهم و جميع شؤونهم فلا- يفوته شئ منها و هو مجازيهم بها. وَ مَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ أى
 بمفوض إليك يا محمد أمرهم حتى تدخلهم فى الإيمان قهرا. ٧- وَ كَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ... إلخ أى مثل ما أوحينا إلى من تقدمك
 من الأنبياء بالكتب التى أنزلناها عليهم بلغه قومهم، أوحينا إليك قرآنا بلغه قومك العرب لِنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ أى أهل مكة. وَ مَنْ حَوْلَهَا
 أى أطرافها. وَ تُنذِرُ يَوْمَ الْجُمُعِ أى تنذرهم يوم يجمع فيه الخلائق، أى يوم القيامة لا ريب فيه أى لا شك فى حصوله. فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَ
 فَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ أى فى ذلك اليوم يكون الناس على قسمين ليس لهم ثالث: قسم فى الجنة بطاعتهم، و آخر فى النار بمعصيتهم. ٨- وَ
 لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ... أى لو أراد الله لحملهم و قسرهم على دين واحد و هو الإسلام، لكنّه لم يفعل لأنه منافع لأمر
 التكليف و يؤدى إلى إبطاله، وَ لَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ أى بالهداية لقبولهم الإيمان و الطاعة. أو المراد بالرحمة هى الجنة. وَ
 الظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَ لَا نَصِيرٍ أى أهل الكفر و الضلالة لا ولى لهم يواليهم و لا ناصر يدفع عنهم العذاب. ٩- أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ
 أَوْلِيَاءَ ... أى بل اتخذ الكافرون من دون الله أولياء من الأصنام يوالونهم بقصد الانتفاع بهم فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ الْمُسْتَحَقُّ لِلْوَلَايَةِ حَقِيقَةً دُونَ
 غيره لأنه المالك للنفع و الضرر وَ هُوَ يُخَيِّمُ الْمَوْتَىٰ أى يبعثهم للحساب و الجزاء. وَ هُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ مر معناه. وَ حاصل المعنى
 أنه لا ينبغي أن تترك عبادة و لا ولاية هذا الذى بهذه الصفات من العلم و القدرة و الحكمة ينشئ الخلق من العدم و بيده أزمة الأمور
 و يوالى و يعبد ذاك الذى هو أعجز من كل عاجز لا يملك لنفسه ضرا و لا نفعا كالأصنام و غيرها. ١٠- وَ مَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ ...
 أى من أمور دينكم أو دنياكم فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ أى مفوض إليه يفصل بينكم ياثبته المحق و معاقبه المبطل ذَلِكَ اللَّهُ رَبِّى فَالَّذِى
 يَتَّصِفُ بِصِفَةِ الْحُكُومَةِ الْحَقَّةِ وَ لَا يَجُورُ فِي حُكْمِهِ أَبَدًا هُوَ اللَّهُ وَ هُوَ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ فى مهمات أمورى كلها وَ إِلَيْهِ أُنِيبُ أى أرجع
 إليه فى مهمات أمورى كلها وَ إِلَيْهِ أُنِيبُ أى أرجع إليه فى جميعها. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٤٨٩ ١١- فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَ
 الْأَرْضِ ... أى خالقهما ابتداء جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا مِنْ جِنْسِكُمْ نساء، أو المراد بالأزواج هو الذكور و الإناث وَ مِنَ الْأَنْعَامِ
 أَزْوَاجًا أى ذكرا و أنثى ليكمل الانتفاع بها يَذَرُوكُمْ فِيهِ أى ينشركم و يكثركم بسبب جعله لكم أزواجا و ذلك بالتناسل. لَيْسَ كَمِثْلِهِ
 شَيْءٌ أى أنه متفرد فى صفاته و فى ذاته القدسيّة وَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ مر معناه. ١٢- لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ ... أى مفاتيح
 خزائنها، و قيل مفاتيح الأرزاق و أسبابها فتمطر السماء بأمره و تنبت الأرض بإذنه يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ أى يوسعه وَ يَقْدِرُ أى يقتر و
 يضيّق، إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ظاهر المعنى و قد مر. ١٣- شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا ... إلخ أى سنّ لكم شريعته و نهج منهاجا
 و أوضحه لكم و أظهره، وَ هُوَ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا، و الخطاب إلى أمية محمد (ص) وَ هُوَ مَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ وَ هُوَ مَا وَصَّيْنَا بِهِ
 هؤلاء الأنبياء المذكورين أَنْ أَفِيمُوا الدِّينَ وَ لَا تَفَرَّقُوا فِيهِ أى شرع لكم أن أقيموا الدين أى أصوله. أى تمسكوا به جميعا و خذوا به و
 لا- تختلفوا فيه كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ أى عظم عليهم و صعب ما تدعوهم إليه من التوحيد و النبوة و المعاد و ترك
 الأصنام اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ أَمَّنْ يَشَاءُ وَ يَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ مَنْ يَقْبَلُ إِلَيْهِ وَ يَقْبَلُهُ بِقَبْلِهِ، وَ لَا يُوَفِّقُ إِلَيْهِ الْمَعَانِدِ
 وَ الْجَاهِدِ. ١٤- وَ مَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعِيدٍ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ ... أى تفرّق أهل الكتاب أو أهل الأوثان و الأديان بعد العلم و العرفان بصدق
 الأنبياء و حقايتهم ما جاؤوا به بَغْيًا بَيْنَهُمْ أى عداوة و حسدا بين الرسل و بينهم، أو بين بعضهم مع البعض الآخر طلبا للرئاسة، وَ لَوْ لَا
 كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ أى و لولا وعد الله و إخباره بتبقيتهم إلى وقت معلوم و تأخر العذاب عنهم لفصل

بينهم الحكم و أنزل بهم العذاب الذى استحقوه عاجلاً- وَإِنَّ الَّذِينَ أَوْرَثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ أَى اليهود و النَّصارى الذين أوروها التوراه و الإنجيل، من بعد قوم نوح و إبراهيم و موسى و عيسى، لَفَى شَكٌّ مِنْهُ مُرِيبٌ لَفَى شَكٌّ شَدِيدٌ مِنَ الْقُرْآنِ أَوْ مِنْ مُحَمَّدٍ (ص). ١٥- فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَ اسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ... أَى لأجل الاختلاف الذى صار سبباً للتفرق و قيل: إلى ذلك الدين و هو الإسلام. ادع الخلق يا محمد و اثبت على أمر الله و اعمل بموجبه. وَ لَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ أَى لا توافقهم فيما يميلون إليه و لا تسر على أثرهم أبداً وَ قُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ أَى قل لهم: إني آمنت بجميع الكتب السماوية التى نزلت على و على سائر الأنبياء الذين كانوا قبلى و صدقتها وَ أُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ أَى بَأْنْ أَعْدِلَ بَيْنَكُمْ فى الدعوة بَأْنْ أدعوكم إلى التوحيد و الوحدة يستوى فى ذلك منكم الأشراف و الوضعاء و الأعالى و الأدنى. اللَّهُ رَبُّنَا وَ رَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَ لَكُمْ أَعْمَالُكُمْ أَى و قل لهم أيضاً الله مدبرنا و مدبركم و المنعم علينا و عليكم و أن لكل عمل جزاؤه لا حُجَّةَ أَى لا خصومه بَيْنَنَا وَ بَيْنَكُمْ لظهور الحقَّ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَ بَيْنَكُمْ يوم فصل القضاء وَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ أَى المرجع. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ١٦ ٤٩٠- وَ الَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِى اللَّهِ ... أَى يخاضمون فى دين الله و هم اليهود و النَّصارى قالوا كتابنا قبل كتابكم و نبينا قبل نبيكم و نحن خير منكم مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ أَى لرسوله من بعد ما دخل الناس فى الإسلام و أجابوه إلى ما دعاهم إليه حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ أَى باطله، فَإِنَّهُمْ زَعَمُوا أَنَّ دِينَهُمْ أَفْضَلُ مِنَ الْإِسْلَامِ وَ عَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ لأجل كفرهم وَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ دائم يوم القيامة. ١٧- اللَّهُ الَّذِى أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ... أَى جنس الكتاب أو القرآن، متلبساً بالغرض الصَّحِيحِ وَ الْمِيزَانِ كَنَايَةً عَنْ مَنَهِجِ الشَّرْعِ الْمُعْتَدِلِ الْمُسْتَوِى، أَو الْمَرَادُ بِهِ مَا هُوَ الْمُتَعَارَفُ بَيْنَ النَّاسِ الَّذِى تَوَزَنَ بِهِ الْأَشْيَاءُ، وَ مَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ أَى قادمة و لكنها غير موقتة بوقت تعرفونه لأن علم الساعة خاص بذاته المقدسة. ١٨- يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ... لجهلهم بأحوالها و عدم تصديقهم بقيامها و لذا فهم يطلبون قيامها فيقولون للنبي (ص) على وجه السخرية متى تقوم؟ وَ الَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا أَى خائفون و وجلون منها لعلمهم بأنه يوم جزاء الأعمال وَ يَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَى الواقع الثابت بلا ريب أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِى السَّاعَةِ لَفَى ضَلَالٍ بَعِيدٍ أَى اعلّموا أن المشركين الذين يجادلون فى القيامة إنكاراً لها لَفَى الضلالة البعيدة عن الصواب. ١٩- اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ ... أَى يعمهم بربه بحيث إنهم لا يدركونه، و لم يعاجل مسيئتهم بالعقوبة لعله يتوب و يستغفره فيغفر له، يَزُوقُ مَنْ يَشَاءُ عَلَى مَقْتَضَى حُكْمِهِ وَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ وَاضِحُ الْمَعْنَى. ٢٠- مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ ... أَى الذى كان بعمله فى الدنيا طلباً لثواب الآخرة نَزِدَ لَهُ فِى حَرْثِهِ أَى نضاعف له الواحد بعشرة و نزيد لمن نشاء. وَ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا أَى ما تقسمنا له و قدّرناه فى دنياه وَ مَا لَهُ فِى الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ إِذْ الْأَعْمَالُ بِالنِّتَاءِ. ٢١- أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ ... إلخ الاستفهام للتقريع و التقرير أَى: بل لهم شركاء من الشياطين شرعوا لهم بالتسويل دينا لم يسمح و لم يرض به كالشرك و إنكار الصانع من بعض هؤلاء و إنكار البعث، وَ لَوْ لَا- كَلِمَةُ الْفَضْلِ لَقَضَى بَيْنَهُمْ أَى لولا الوعد بتأخير الجزاء و الفصل بين المؤمنين و الكفرة يوم القيامة لفرقنا و فصلنا بينهم فى الدنيا، وَ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ أَى أعد لهم العذاب المؤلم الشديد يوم القيامة. ٢٢- تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا ... أَى خائفين يوم القيامة حين معاينة العذاب من جزاء ما عملوا من المعاصى و القبائح. وَ هُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ أَى و الحال أن ما يخافون منه حال بهم لا محالة فلن ينفعهم خوفهم منه فى رده عنهم. وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ الَّذِينَ صَدَّقُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ عَمِلُوا بِالطَّاعَاتِ فِى رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ أَى فى حدائق الجنان متمتعون بأكمل النعم و أتمها لَهُمْ مَا يَشَاؤُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ أَى حال كونهم عند ربهم فإن لهم ما يشتهون من النعيم. ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ أَى ما ذكر من كرم الله و تفضلاته على عباده الصالحين هو إحسان جليل عظيم لا يعادله إحسان غيره. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٢٣ ٤٩١- ذَلِكَ الَّذِى يُبَشِّرُ اللَّهَ عِبَادَهُ ... الإشارة إلى الفضل الكبير الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بيان للعباد المبشرين بالنعم المذكورة آنفاً أَى بشرهم الله به قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا أَى قل لهم يا محمد: لا- أطلب منكم على ما أنا عليه من التبليغ أجرة إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِى الْقُرْبَى أَى إلما أن تودّونى فى أهل بيتى. وَ مَنْ يَفْتَرِفْ حَسَنَةً أَى يكتسب مودة آل الرسول و قيل إن اقرار الحسنه هو اكتساب مطلق الطاعة نَزِدَ لَهُ فِىهَا حُسْنًا أَى بتضعيف الثواب فى الحسنه إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ لِّلْسَيِّئَاتِ شَكُورٌ لِلْحَسَنَاتِ. ٢٤- أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ... أَى بل يقولون افترى و كذب محمد على

الله كذبا بادعائه الرسالة من الله فَإِنْ يَشَأِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ أَى لو حَدَّثْتَ نَفْسَكَ بِأَنْ تَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً لَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قَلْبِكَ و
لَأَنْسَاكَ الْقُرْآنَ وَ هَذَا عَلَى سَبِيلِ الْإِفْتِرَاضِ. وَ التَّشْبِيهِ. وَ يَفْخِجُ اللَّهُ الْبَاطِلَ أَى يزيله و يرفعه بإقامته الدلائل على بطلانه وَ يَحِقُّ الْحَقُّ
بِكَلِمَاتِهِ أَى يثبتها بالكلمات النَّازِلَةُ فى قرآنه من الحجج، و قيل بوحيه إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ أَى بضمائر القلوب و ما يخطر فيها من
الخير و الشر. ٢٥- وَ هُوَ الَّذِى يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ ... هذه الآية الكريمة أُرْجِى آية فى كتاب الله حيث إنها مطلقة من ناحية قبول
التوبة عن العصيان و إن عظمت المعصية بشرط كونها نصوحاً وَ يَغْفُوا عَنْ السَّيِّئَاتِ يتجاوز سبحانه عنها بالغاً ما بلغت وَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ
أَى من خير و شر فيجازيكم على ذلك. ٢٦- وَ يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا ... إلخ أَى يجيبهم إلى ما يسألونه وَ يَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ أَى على ما
فعلوا وَ استحقوا بالطاعة أو بالاستجابة. و قيل إن الاستجابة بمعنى قبول الطاعة و الإنابة، و الزيادة باعتبار الثواب وَ الْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ
شَدِيدٌ اسْتَحَقُّوه بكفرهم و معاداتهم لمحمد (ص). ٢٧- وَ لَوْ بَسَّطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ ... أَى وَسَّعَهُ عَلَيْهِمْ لَبَغُوا فى الْأَرْضِ أَى لبطروا و
أفسدوا فى الأرض ظلماً و عدواناً وَ لَكِنْ يُنْزَلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ أَى بمقدار أنه يصلحهم فى دينهم و دنياهم إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ أَى يعلم
و يرى ما يناسبهم فى أوضاعهم و أحوالهم على حسب مصالحهم. ٢٨- وَ هُوَ الَّذِى يُنْزِلُ الْغَيْثَ ... أَى أنه سبحانه هو وحده الذى ينزل
الغيث و هو المطر الذى يكون نافعاً فى وقته. مِنْ بَعْدِ مَا قَطَطُوا أَى بعد يأْسهم من نزوله. وَ يَنْشُرُ رَحْمَتَهُ أَى يفرق نعمته و يبسطها
بإخراج النبات و الثمار وَ هُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ الذى يتولى أمر عباده بإحسانه و نشر رحمته و يستحق الحمد على جميع أفعاله. ٢٩- وَ مِنْ
آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ ... أَى من الدلائل الدالة على التوحيد و القدرة إنشاء السماوات و الأرض ابتداء لما فيهما من عجائب
الصَّنْعِ وَ غرائب الخلق، وَ مَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ أَى فرق فيهما و نشر، من كل ما يدب على الأرض. وَ هُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ
أَى أنه تعالى على حشرهم و بعثهم إلى الموقف بعد إِمَاتَتِهِمْ قادر متمكن. ٣٠- وَ مَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ ... وَ مَا حَدَثَ لَكُمْ مِنْ بَلِيَةٍ فى
نفس أو مال فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ من المعاصى وَ يَغْفُوا عَنْ كَثِيرٍ من تلك المعاصى فلا يعاقب عليها تفضلاً منه. ٣١- وَ مَا أَنْتُمْ
بِمُعْجِزِينَ فى الْأَرْضِ ... أَى يا مشركى العرب لستم بقادرين أن تعجزونى و لا أن تسبقونى هرباً فى الأرض وَ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ
وَلِيٍّ يَدْفَعُ عَنْكُمْ عِقَابَهُ وَ لَا نَصِيرٍ ينصركم عليه. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٢٩٢ ٣٢ و ٣٣- وَ مِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فى الْبَحْرِ ...
أَى من حججه الدالة على اختصاصه سبحانه بصفات لا يشركه فيها أحد هى السِّفْنُ الجارية فى البحر كَالْأَغْلَامِ أَى كالجبال. إِنَّ يَشَأْ
يُسَبِّحُ الرِّيحَ فَيُظِلِّلَنَّ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ أَى لو أراد الله لأوقف الريح عن حركتها و هبوبها فتصير السفن ثابتة متوقفة على سطح الماء.
فمحرك الرياح و مسكنها هو الله، إِنَّ فى ذَلِكْ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ أَى فيما ذكر من آياته تسخير الرياح و إجراء السفن و
تسكينها دلالات واضحة لكل كثير الصبر على أمر الله كثير الشكر لنعمه. ٣٤- أَوْ يُوبِقْهُمْ بِمَا كَسَبُوا ... عطف على جملة يُسَبِّحُ
الرِّيحَ أَى إن شاء سبحانه أن يجعل الريح عاصفه فيهلكهم بأهلهم بالغرق فى الماء. عقوبة بما كسبوا من المعاصى وَ يَغْفُ عَنْ كَثِيرٍ من
أهلها بإنجائهم تفضلاً منه سبحانه. ٣٥- وَ يَعْلَمُ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ ... عطف على العلة المقدرة. و تقدير الكلام أنه تعالى يوبق أهل السفن
و يغرقهم لينتقم منهم و ليعلم الذين يخاصمون نبينا (ص) فى آياتنا فى إبطال حججنا ما لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ أَى من ملجأ يلجأون إليه من
عذابنا. ٣٦- فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ... أَى ما أعطيتهم من الأموال و الأولاد و غيرها فإنما هو عارية تستمتعون به مدة
قليلة ثم تموتون و تتركونه وراءكم. وَ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنْ ثَوَابٍ الآخرة و نعيم الجنة خَيْرٌ وَ أَبْقَى من ذلك المتاع إذ لا ينقص و لا ينقطع،
لِلَّذِينَ آمَنُوا وَ عَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ للذين صدقوا بالله و رسوله و فوضوا أمورهم إلى خالقهم. ٣٧- وَ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ ... أَى
إن ما عند الله للذين يجتنبون الكبائر: و الكبائر فيها أقوال، و المشهور أنها ما ذكر فى القرآن و أوعده عليه النار. وَ الْفَوَاحِشُ جمع
فاحشة، و هى أقبح كالشرك أو إنكار الصانع تعالى أو الزنا. وَ إِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ أَى و الذين إذا تملكتهم القوة الغضبية مما
يفعل بهم يتجاوزون عن المسيئين إليهم. ٣٨- وَ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ ... و معناه: و الذين أجابوه إلى ما دعاهم إليه من الإيمان وَ
أقاموا الصَّلَاةَ وَ أَهْرَهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ أَى لا يتفردون بأمر و لا يقدمون عليه حتى يفاوضوا غيرهم فيه ليتضح الحق. وَ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ
يُنْفِقُونَ أَى يبذلونه فى طاعة الله و سبل الخير. ٣٩- وَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ ... أَى إذا أصابهم من الكفار ظلم و تعدد

فيتكاتفون عليهم حتى يأخذوا منهم بحقهم و ينتقمون منهم. ٤٠- وَ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا ... هذه الكريمة تبين واجب المنتصر بأنه لا يجوز التعدي في مقام الانتصار عما جعله الله له، نظير قوله وَ إِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ أى تجاوز عن حقه، و أصلح بينه و بين خصمه و بينه و بين ربه فتوابه على الله إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ فى هذه الجملة إشعار بأن الانتقام من المنتصر ليس بمأمون من التجاوز و الاعتداء فيقع المنتصر فى مهلكة الظلم و العدوان و الله لا يحب الظالم فى قصاص و غيره بتعديه عما هو له إلى ما ليس له. ٤١- وَ لَمَنْ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ ... أى بعد ما ظلم و تعدى عليه فانتصر لنفسه و انتصف من ظالمة فى أخذ حقه فَأُولَئِكَ أَيْ فَالْمُنتَصِرُونَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ أى من إثم و عقوبة و ذم. ٤٢- إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ ... أى الإثم و العقاب على الذين يظلمون الناس ابتداء بغيا و عدوانا وَ يَتَّبِعُونَ فِي الْأَرْضِ الْإِخْ أى يتكبرون و يفسدون فيها و يظلمون الآخرين. بلا مجوز ديني و لا- عقلي، أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ أى موجه على ظلمهم و بغيتهم. ٤٣- وَ لَمَنْ صَبَرَ وَ غَفَرَ ... أى صبر على الأذى و تحمّل المشاق و غفر أى صفح و لم ينتصر مع قدرته على ذلك إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ أى الصبر و الصّفيح من الأمور الثابتة التى يحبها الله و أمر بها. ٤٤- وَ مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ ... أى يخليه و ضلاله، فليس له ناصر يتولى أمره من بعد خذلان الله له وَ تَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ أَيْ حِينَ يَرُونَهُ مَعَانِيَهُ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ أى إلى رجعة إلى الدنيا. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٤٩٣ ٤٥- وَ تَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا ... أى يا محمد ترى الظالمين يوم حشرهم يعرضون على النار قبل إدخالهم فيها و يدل هذا على أنهم من أهل النار خاشعين مِنَ الدُّلِّ أى متواضعين تواضع ذلّة و حقارة يَنْظُرُونَ مِنْ طَرَفٍ خَفِيٍّ أى يسارقون النظر بأطراف عيونهم إلى النار عند عرضهم عليها وَ قَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَ أَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَيْ بالتعريض للعذاب المخلد. فأما أنفسهم فعبادة الأوثان، و أما أهاليهم فلا ضلالهم إياهم و منهم عن الإيمان ألا إِنَّ الظَّالِمِينَ فى عَذَابٍ مُقِيمٍ أى فليعلم أن المشرّكين فى عذاب دائم لا ينقطع أبدا. ٤٦- وَ مَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ ... إلخ أى ليس للظالمين من أنصار يدفون عنهم العذاب لا فيما عبده من دون الله و لا فىمن أطاعوه فى معصيته. وَ مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ أى كلّ من يخليه الله مع ضلالته لجحوده و عناده فليس له طريق إلى الهداية و الرشاد. ٤٧- اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ ... أى أجبوا داعي ربكم يعنى محمدا (ص) مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ أى قبل يوم القيامة إذ لا رجوع للدنيا بعده و لا يردّه الله بعد إتيانه ما لَكُمْ مِنْ مَلَجٍ يَوْمَئِذٍ أى من معقل و ملاذ و ما لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ أى إنكار لتغيير العذاب لما اقترتموه، فهو مثبت فى صحائف أعمالكم. ٤٨- فَإِنْ أَعْرَضُوا ... أى فإن تولّى الكفار عما دعوتهم إليه فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا أى حافظا و حارسا لهم من كفرهم إجبارا و إكراها و سوقهم إلى دائرة الإيمان، إِنَّ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ أى تبليغ الأحكام و إيصالها إلى أفهامهم وَ إِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَحَرَّحْنَا بِهَا آى بطر و سرّ برحمته ربّه. وَ إِن تَصَبَّهْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ أى كثير الكفران ينسى النعمة رأسا و يذكر البلية و يستعظمها و لا يتعقل بأنها بسبب ما قدمت يده. ٤٩ و ٥٠- لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ ... أى له أمر تدبيرهما و التصرف فيهما بلا مانع. يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنِائًا فَلَا يُولَدُ له ذكر و هذه الجملة بدل من يخلق، بدل بعض من الكل وَ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ أى فلا يولد له أنثى أَوْ يُرْجِيهِمْ ذُكْرَانًا وَ إِنِائًا أى أو يجمع لهم بين البنين و البنات. وَ يَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا أى من الرجال و النساء هو الذى لا يلد و لا يولد له و أمره سبحانه فى كل ذلك على وفق ما يراه من المصلحة و ما تقتضيه حكمته. إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ أى عارف بمصالح الأمور و بما فى الأرحام، و قادر على ما يهب. ٥١- وَ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحِيًّا ... أى ليس لأحد من البشر أن يكلمه الله سبحانه على وجه أن يراه إلا أن يوحى إليه و حيا و الوحى هو الكلام الخفى الذى يدرك بسرعة. أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ كَتَكَلِيمِ مُوسَى (ع) الذى كان سماعا بدون رؤية و المقصود بالحجاب حجب السماع لا- المتكلم. أَوْ يُرْسَلُ رَسُولًا فَيُوحَى و الرسول هو جبرائيل (ع) لأنه رسول الله إلى أنبيائه و هم رسل الله إلى سائر خلقه بِإِذْنِهِ أى بأمره تعالى ما يَشَاءُ اللَّهُ إِنَّهُ عَلِيٌّ عَنِ الْإِدْرَاكِ و الأبصار حَكِيمٌ فى جميع أفعاله. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٤٩٤ ٥٢ و ٥٣- وَ كَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ... أى كما أوحينا إلى الأنبياء من قبلك هكذا نوحى إليك و نرسل رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا يعنى الوحى بأمرنا و هو القرآن ففيه حياة القلوب و الأرواح. و قيل المقصود بالروح ملك أعظم من جبرئيل و ميكائيل

كان ملازماً للنبي (ص). ما كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ أَي ما كنت تعرف القرآن ولا الشرائع ومعالم الدين قبل الوحي وَ لَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا أَي القرآن أو الروح. نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا أَي بالقرآن نرشد العباد من حيرة الضلالة والغواية إلى سبيل الهداية وطريق النجاة. وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ أَي إنك بعد وحينا إليك وتعلمك الكتاب والإيمان لتدعو الناس إلى صراط عدل لا اعوجاج فيه، وهو الإسلام صِرَاطُ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ومعناها أن الصِّراط المستقيم هو الطريق إلى الحق وإلى دين الله مالك السموات والأرض خلقاً وتديراً وتصرفاً. أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ أَي إلى الله ترجع أمور الخلق يوم القيامة فيجازيهم على أعمالهم.

سورة الزخرف مكية، عدد آياتها ٨٩ آية

١ إلى ٣- حم، وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ... أَي أقسم بالقرآن المظهر للحلال والحرام والمبين لما يحتاج إليه الأناس من شرائع الإسلام إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا أَي أنزلناه قرآناً بلسان العرب لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ أَي تتدبرون لكي تفهموا معانيه وتعملوا به وتعلموا صدق من جاء به. ٤- وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا أَنَّهُ الْقُرْآنُ مَثْبُتٌ فِي السُّورِ المحفوظ الذي هو عندنا لَعَلِّي أَي لرفع شأنه، يعلو على سائر الكتب السماوية المنزلة على المرسلين، ولما اختص به من كونه ناسخاً لها ومعجزة لمحمد (ص) وغيره حَكِيمٌ أَي محكم عن تطرق النقص أو الزيادة، أو معناه: ذو حكمه بالغه. ٥- أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا ... إلخ أفنمسك عنكم نزول القرآن إمساكاً لأنكم قوم مسرفون في الكفر وارتكاب المعاصي؟ والاستفهام إنكارى، أَي لا يصير كذلك. ٦- وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ ... أَي كثيراً من الأنبياء بعثناهم في الأزمنة الماضية لأمرهم لنقيم الحجة عليهم. ٧ و ٨- وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ... أَي يسخرون منه كما سخر قومك بك فلم تضرب عنهم صفحاً لأجل استهزائهم بالرسول بل كثرنا الحجج وأعدنا الرسل فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا أَي أن من القوم المسرفين السابقين من كان أقوى من قومك المسرفين فلم تمنعنا قوتهم من تعذيبهم، فكيف بالمسرفين من قومك، فتعذيبهم أيسر وأسهل وَمَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ أَي سلفت في مواضع عديدة في القرآن أخبارهم العجيبة من تكذيبهم لأنبيائهم وإهلاكنا لهم جزاء ذلك. ٩- وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ... أَي يا محمد لو سألت قومك من المبدع للسموات والأرض ابتداء لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ أَي لأقروا بأنه الله الغالب على جميع الأشياء والعالم بمصالح الخلق. ١٠- الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا ... أَي موضعاً ومستقراً مبسوطة لكونكم مرتاحين فيه، وَجَعَلَ لَكُمُ فِيهَا سُبُلًا أَي طرقاً وفجاجاً لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ أَي لكي تهتدوا إلى مقاصدكم في أسفاركم، أو إلى حكمه الصانع وقدرته. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٤٩٥ ١١- وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ ... أَي بمقدار نافع لا يضر، يعني بمقدار حوائج الموجودات بلا زيادة ولا نقص. فَأَنْشَرْنَا بِهِ أَي فأحيينا بذلك الماء المنزل بِلَدَّةٍ مَيِّتًا أَي يابساً جافاً، وإحيائها باخضرارها كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ أَي كما كنا قادرين على إحياء الأرض الميتة كذلك نحن قادرون على إخراجكم من مراقدكم يوم البعث أحياء. ١٢- وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا ... أَي أصناف المخلوقات كلها، أو المراد أزواج الحيوان من ذكر وأنثى. وَجَعَلَ لَكُمُ مِنَ الْفُلَمِكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ أَي أنه سبحانه خلق لكم من السفن والإبل وقيل البقر أيضاً ما تركبونه في البحر والبر. ١٣ و ١٤- لَتَسْتَثَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ... أَي لتستقروا عليها في البحر والبر في الحضر والسفر ولتستقيموا على ظهورها، ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ أَي إذا اعتدلتكم واستقررتم فتشكروا خالقكم ورازقكم على تلك النعمة التي هي خلقه لذلك المركب. وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا أَي جعله مطيعاً ومنقاداً لنا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ أَي مقاومين له وقرناء معه في القوة، لولا أن الله سخره لنا وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ أَي ولتقولوا أيضاً إنا إلى الله راجعون. ١٥- وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا ... أَي بقولهم: الملائكة بنات الله، أو عيسى بن الله، لأن الولد جزء من أبيه. إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ أَي جاحد لنعم الله مظهر لكفره. ١٦ و ١٧- أَمْ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ ... الاستفهام للإنكار. فيكون بمعنى (بل) أَي أتخذ ربكم لنفسه البنات وهن أنقص الأولاد في نظركم وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ أَي و آثر البنين لكم وهم أشرف الأولاد. وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا كُنَايَةً عَنِ الْبَنَاتِ، يعني إذا بشر

بأنه وضع لك بنت ظَلٍّ وَجْهَهُ مُسَوِّدًا بما يلحقه من الهم والحزن وَهُوَ كَظِيمٌ أى مملوء من الغيظ والكرب. ١٨ - أَوْ مِنْ يُنْشَوْنَ فِي الْحَلِيَّةِ ... يوبخهم سبحانه هنا بنسبة البنات إليه أى أ ينسبون إلى من نشأ و نما فى الزينة و يتربى فى النعمة، وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ أى و هو فى الجدل و المخاصمة عاجز عن إقامة الحجة على الخصم و ما ذلك إلا لنقصان عقلها و ضعف إدراكها. ١٩ - وَ جَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنِاثًا ... فزعموا أنهم بنات الله أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ أى هل كانوا حاضرين حين خلقهم فعملوا أنهم إناث؟ سَتَكُنَّ شَهِادَتُهُمْ الْكَاذِبَةُ بأنهم إناث وَيَسْتَلُونَ عنها يوم يقوم الأشهاد. ٢٠ - وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ ... و لو أراد الرحمن أن لا نعبدهم لما عبدناهم فإنما عبدناهم بمشيئته و من الآيه يستفاد أنهم كانوا قائلين بمذهب الجبر ما لَهِمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ أى لا يعلمون صَحِيحَهُ ما يقولونه لأنه دعوى بلا دليل إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ أى ما هم إِلَّا يكذبون. ٢١ و ٢٢ - أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ ... هذا استفهام بمعنى التقرير لهم على خطئهم، و التقدير أ هذا الذى ذكروه شئء تخرصوه و افعلوه، أم آتيناهم كتابا من قبل القرآن ينطق بصحة ما قالوه فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ أى محتجون به لإثبات دعواهم؟ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ أى على طريقه و ملته وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ أى نهتدى بهداهم و نتبع أثرهم فى هذه الملة. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٢٣ ٢٤٩٦ - وَ كَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ ... إلخ أى كما أن هؤلاء من شرفاء قومك لا مستند لهم فى الكفر إلا التقليد فإنما ما أرسلنا فى الأمم السابقة فى القرى و البلدان نذيرا إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا أى أرباب الأموال و أهل الشرف منهم إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ فما كان للسابقين من الأمم جواب إِلَّا التقليد لآبائهم كما هو ديدن اللاحقين. ٢٤ - قَالَ أَوْ لَوْ جِئْتُمْكُمْ بِأَهْدَى ... إلخ أى قل لهم يا محمد: أَتَتَّبِعُونَ آبَاءَكُمْ و لو جئتمكم بدين أهدى من دين آبائكم. قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ كَذَّبُوا رسلهم و أبوا قبول ما هو أهدى. ٢٥ - فَاتَّقِنَا مِنْهُمْ ... أى يا هؤلاء-كمهم و التعجيل فى عقوبتهم فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ للأنبياء و الرسل و ما جاؤوا به من عند ربهم. ٢٦ و ٢٧ - وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ ... أى و اذكر يا محمد الوقت الذى قال فيه إبراهيم لأبيه و قومه حين رآهم يعبدون الأصنام. إِنِّى بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ أى برىء من أصنامكم إِلَّا الَّذِى فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ أى لا إله إِلَّا الذى خلقنى، فإنه هو الذى يهدينى إلى الدين الحق. ٢٨ - وَ جَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً ... جعل الله، أو إبراهيم، الكلمة التى قالها و هى كلمة التوحيد و أرادها أن تبقى فى عَقِبِهِ أى فى ذريته ليكون فيهم دائما من يوحد الله تعالى و يدعو إلى توحيدهِ، لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ أى يتوبون و يرجعون عَمَّا هم عليه من الشرك إلى أبيهم إبراهيم بالافتداء به فى توحيد الله. ٢٩ - يَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ وَ آبَاءَهُمْ ... أى أمهلتهم متنعمين و آباءهم المشركين بالمد فى أعمارهم و الإكتار فى نعمهم، حَتَّى جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَ رَسُولٌ مُبِينٌ أى القرآن المشتمل على الآيات الدالة على الصِّدق و رسول يبين الحق و يظهره و هو محمد (ص). ٣٠ - وَ لَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ ... أى القرآن المميز بين الحق و الباطل أو الرسول لتنبئهم من غفلتهم و جهالتهم قَالُوا هَذَا سِحْرٌ أَوْ الْقُرْآنُ الَّذِى جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ أى منكرون. ٣١ - وَقَالُوا لَوْ لَا نَزَّلَ هَذَا الْقُرْآنُ ... إلخ أى قال هؤلاء الكفار لو كان هذا القرآن من عند الله لكان من المفترض أن ينزل على رجل عظيم من القريتين مكة و الطائف و مرادهم بالرجل العظيم الذى له مال كثير و جاه عريض و شهرة عند الناس. و يعنون بعظيم مكة الوليد بن المغيرة و بعظيم الطائف عروة بن مسعود الثقفى و قيل غير ذلك. ٣٢ - أَمْ هُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ... أى هل القرشيون المعاندون بأيديهم مفاتيح الرسالة فيضعونها حيث شاؤوا فالمراد بالرحمة النبوة. نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا أى نحن نقسم الأرزاق فى المعيشة على حسب ما علمناه من مصالح عبادنا و ليس لأحد أن يتحكم فى شئ من ذلك و كما فضلنا بعضهم على بعض فى الرزق فكذلك نصطفى للرسالة من نشاء لا ما شاؤوا هم. وَ رَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ أى فى الرزق و الغنى و الفقر و القوة و الضعف و الحرية و العبودية إلخ. لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا أى مسخرا من التسخير فيستخدمه فى حوائجه فينتفع كل بالآخر فينتظم بذلك أمر عالم الملك. وَ رَحِمْتَ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ أى أن النبوة لك يا محمد من ربك خير مما يجمعونه من حطام الدنيا. ٣٣ إلى ٣٥ - وَلَوْ لَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً ... أى لو لا- كراهة اجتماع الناس على الكفر لحبهم الدنيا طبعاً فيكونون كلهم كفارا على دين واحد لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِيُوتِيَهُمْ سُقْفًا مِنْ فِضَّةٍ أى كُنَّا نجعلهم قادرين و نوسع عليهم بحيث يبنون سقف بيوتهم من الفضة و معارجَ عَلَيْهَا يَطْهَرُونَ أى و لجعلنا درجا و

سلالم عليها يصعدون لتلك السقف. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٤٩٧ وكذلك نجعل لبيوتهم أبواباً وسُرراً إلخ أى جعلناهم أثرياء قادرين بحيث يجعلون أبواب البيوت والتخوت التى عليها يجلسون و السرر التى يتكئون عليها كلها من فضة و زخرفاً ذهباً أى وجعلنا بيوتهم مزخرفة مزينة موشاة بالذهب. وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا أى ليس كل ما ذكر غير متاع يتمتع فى الدنيا به و بعد موته يفتنى المتاع جميعاً والآخرة عند ربك للمتقين أى الجنة الباقية عنده تعالى خاصة بهم. ٣٦- و من يغش عن ذكر الرحمن ... أى من يعرض و يتعامى عن القرآن أو الآيات و الحجج نقيض له شيطاناً فهو له قرين أى نسلط عليه شيطاناً فهو يصاحبه و يغويه فيصير هو قرينه بدلاً عن ذكر الله. ٣٧- و إنهم ليصدونهم عن السبيل ... أى أن الشياطين ليصرفون هؤلاء الكفار عن طريق الحق و يحسبون أنهم مهتدون أى أن الكفار يحسبون أنهم على الحق فيتبعونهم. ٣٨- حتى إذا جاءنا قال ... أى إذا جاءنا العاشى عن ذكر الله و عاين العذاب يوم القيامة قال لقرينه الذى أغواه على نحو التمنى: يا ليت بينى وبينك بعد المشرقين أى بعد ما بين المشرق و المغرب، و هذا مبالغة كاملة فى بعد المسافة فبئس القرين أى كنت لى رفيقاً سيئاً فى الدنيا. حيث أضللتنى و فى هذا اليوم أوردتنى النار. ٣٩- و لن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم ... إلخ أى ما كنتم تتمنونه اليوم لن يفيدكم، و لن يجيركم من النار و لا يريحكم من العذاب اشتراككم فيه و لا شماتة كل واحد منكم بصاحبه. إذ لكل واحد من الكفار و الشياطين قرنائهم الحظ الأوفر من العذاب. ٤٠- أفأنت تسمج الضم أو تهدى العمى ... شبه الكفار فى عدم انتفاعهم بما يسمعون و يرونه بالصم و العمى و من كان فى ضلال مبين أى بين فإنك لا تقدر على جبرهم على الإيمان فلا تحزن على كفرهم و ضلالتهم. ٤١ و ٤٢- فإما نذهبك بك ... أى نتوفيك قبل تعذيبهم فإننا منهم منتقمون بعدك إما فى الدنيا أو فى الآخرة أو نرينك الذى وعدناهم أى وعدناهم به من العذاب فى الدنيا، فإننا عليهم مقتدرون أى لا يعجزونا بضلالتهم و عدم إيمانهم عن الانتقام منهم. ٤٣- فاستمسك بالذى أوحى إليك ... بالتمسك بالقرآن و بأن يتلوه حق تلاوته و يتتبع أوامره و ينتهى عما نهى فيه عنه إنك على صراط مستقيم أى على دين حق و صواب و هو دين الإسلام. ٤٤- و إنه لذكر لك و لقومك ... أى إن القرآن لشرف لك و لقومك من قريش. و سوف تسئلون عن أداء شكر هذه النعمة التى جعلها الله لكم شرفاً. ٤٥- و سئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا ... حين أسرى بالنبي (ص) إلى بيت المقدس حشر الله له الأولين و الآخرين من النبيين و المرسلين، ثم تقدم محمد (ص) فصلى بالقوم فأنزل عليه: و سئل من أرسلنا الآية فقال لهم رسول الله (ص) على ما تشهدون، و ما كنتم تعبدون؟ فقالوا: نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، و أنك لرسول الله أخذت على ذلك موثيقنا و عهدونا. و المسؤول عنه هذا أ جعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون أى هل حكمنا بعبادة غير الله فى ملهم؟ و قيل بأن المسؤولين هم أهل الكتابين التوراة و الإنجيل الذين أرسل الله إليهم الرسل. ٤٦- و لقد أرسلنا موسى بآياتنا ... أى الحجج الظاهرة على صحة دعواه النبوة إلى فرعون و ملأه أى إليه و إلى أشراف قومه. فقال إني رسول رب العالمين أى مبعوث منه سبحانه إليكم. ٤٧- فلما جاءهم بآياتنا إذا هم منها يضحكون ... أى لما أظهر المعجزات التى هى اليد و العصا و غيرها إذا هم منها يضحكون استهزاء بها. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٤٩٨ ٤٨- و ما نريهم من آية إلا هى أكبر من أختها ... أى فكل آية كانت أكبر مما قبلها فى الآيتية. و أخذناهم بالعذاب أى بتلك الآيات المنذرة لهم بالعذاب لعلهم يرجعون بأمل أن يعودوا عن عنادهم و كفرهم. ٤٩- و قالوا يا أيها الساجر ... فلما اشتدت عليهم أنواع العذاب المتعاقبة و خافوا منها على أنفسهم نادوه بذلك، و يعنون بهذا النداء (يا أيها العالم) ادع لنا ربك بما عهد عندك أى اطلب من ربك بما لك عنده من الكرامة ليكشف العذاب عمن آمن و إننا لمهتدون أى راجعون إلى الحق لو كشف عنا العذاب. ٥٠- فلما كشفنا عنهم العذاب إذا هم ينكثون ... أى لما أذهبنا عنهم بدعاء موسى، نقضوا عهدهم. ٥١- و نادى فرعون فى قومه ... أى أذاع فى ناديتهم، بعد كشف العذاب و خوفه من اتباع قومه لموسى قال يا قوم أليس لى ملك مضر و هذه الأنهار إلخ خداعاً لهم بافتخاره بأمرين السلطان و المال أفلا تبصرون أى أفلا تعترفون بما قلت؟ ٥٢- أم أنا خير من هذا الذى هو مهين ... أى أنا خير من موسى الضعيف الحقير الذى ليس عنده مال و لا ملك. و لا يكاد يبين أى يظهر كلامه و هذا لأثر بقى فى لسانه من العقدة التى أصابته فى الطفولة. ٥٣- فلو لا ألقى عليه أسورة ... أى هلاً طرح عليه أسورة الذهب إن كان صادقاً فى نبوته، و

كانوا إذا ملكوا رجلا سوره سوار أو جاء معه الملائكة مُقْتَرِنِينَ أى متتابعين يعينونه على أمره و يصدّقونه بصحة دعواه فى نبوته. ٥٤- فاستخفّ قومه فأطاعوه ... أى فوجدهم خفيى العقل والرأى و دعاهم إلى الكفر فانقادوا له و اتبعوه. و لو كانوا راجحى العقول لردوا عليه ما احتج به من ملك مصر و غيره بأنه ليس بدليل و لا يصلح للاحتجاج. ٥٥- فَلَمَّا آسَفُونَا ... أى فلما أغضبونا و قيل لما أحزنوا رسلنا انتقمنا منهم أى اقتصصنا منهم ثارا لأوليائنا، فأعزفناهم أجمعين فى اليم. ٥٦- فَجَعَلْنَاهُمْ سِلْفًا ... أى متقدمين إلى النار و مثلاً للآخرين أى عبرة لمن جاء بعدهم فلا يقتدون بهم لثلا ينالوا العقاب. ٥٧- وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا ... اختلف فى المراد به على وجوه، و نختار ما روى فى كتاب الكافى. قال: بينا رسول الله (ص) جالس ذات يوم إذ أقبل على (ع) فقال له رسول الله (ص): إِنَّ فِيكَ شَبَهَا مِنْ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ، و لولا أن تقول فيك طوائف من أمتى ما قالت النصارى فى عيسى بن مريم لقلت فيك قولاً لا تمر بملا من الناس إلّا أخذوا التراب من تحت قدميك يلتمسون بذلك البركة. قال فغضب جماعة من قريش فقالوا ما رضى أن يضرب لابن عمه مثلاً إلّا عيسى بن مريم؟ فأنزل الله على نبيه و لَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْ قَرِيشٍ وَ أَمْثَالِ قَرِيشٍ مِنْهُ يَصِدُّونَ أى يضحكون استهزاء. ٥٨- وَقَالُوا أَلِهْتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ... إلخ أى أم عيسى. فالضمير راجع إلى عيسى (ع) و كان نظر القوم فى هذه المجادلة و المخاصمة بقصد تحقير على (ع) لأن معنى قولهم أَلِهْتُنَا خَيْرٌ أَمْ عِيسَى هو أن عيسى الذى كان على شبيها به و مماثلاً له، فألتهنا من الأصنام خير منه. و ما قالوا هذا الكلام إلّا جدلاً و عنادا لعلّى (ع) و للرسول (ص) أيضاً. بل هم قوم خصّة مومن أى شديد و الخصومة و اللجاج. ٥٩- إِنَّ هُوَ إِلَّا عَيْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ ... أى ما عيسى إلّا عبد متّعناه بنعمه النبوة و بالخلقة من غير أب و جعلناه مثلاً لىنى إسرائيل أى آية و دلالة لهم على قدرة الله تعالى. ٦٠- وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ... أى لو اقتضت الحكمة و المصلحة لأهلكناكم لنجعل بدلاً منكم فى الأرض ملائكة يقومون مقامكم فى عمارتها و عبادة الله. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٤٩٩ ٦١- وَ إِنَّهُ لَعَلَمٌ لِلسَّاعَةِ ... أى نزول عيسى (ع) من السماء من أشراف الساعة و قرب يوم القيامة فلا تَمَتَّنْ بها أى لا تشكَّن فيها و اتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ أى اتبعوا ما أمركم به فإن هذا دين قيم و طريق للاهتداء. ٦٢- وَ لَا يَصِدُّكُمْ الشَّيْطَانُ ... أى لا يصرفنكم الشيطان بوساوسه عن دين الله إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ أى عدو متظاهر فى عداوته لكم. ٦٣ و ٦٤- وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ ... أى بالآيات البينة الدالة على نبوته نحو شفاء الأبرص و الأكمة و إحياء الموتى و غيرها قال قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ أى بالرسالة أو بالعلم و بالتوحيد و العدل و الشرائع، أو بالإنجيل و لأَيِّنْ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ أى من أمر الدين و الدنيا، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا، إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أى اجتنبوا معصيته فى أوامره و نواهيه و أطيعوني فيما أَدْعُوكم إليه و اعلموا أنه لا ربّ لكم و لا لى يستحق العبادة إلّا الله فاعبدوه و لا تشركوا به هذا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ أى أن تقوى الله و إطاعته هو الدين القيم و الطريق الموصل إلى الجنة. ٦٥- فَاخْتَلَفَ الْمَأْخِزَاتُ مِنْ بَيْنِهِمْ ... أى أن اليهود و النصارى اختلفوا فى أمر عيسى و تحزّبوا فرقا مختلفة فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا أى المتحزبين من عذاب يوم أليم أى موحى يوم القيامة. ٦٦- هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ ... أى ما ينتظر كفار مكّة بعد ورود الرسول و نزول القرآن غير القيامة أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً أى فجأة و هم لا يَشْعُرُونَ أى لا يلتفتون إليها لغفلتهم عنها. ٦٧- الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ... أى المتحابون فى الدنيا أصبحوا أعداء فى الآخرة. إِلَّا الْمُتَّقِينَ فَإِنْ خَلَّتْهُمْ لَمَّا كَانَتْ فِي اللَّهِ تَبْقَى نَافِعَةً أَبَدَ الْآبَادِ وَ تَتَوَقَّعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. ٦٨ إلى ٧٠- يَا عِبَادِ لَا- خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ ... إلخ أى ينادى بهم يوم الخوف يا عبادى المتقين لا- خوف عليكم اليوم من العذاب و لا تحزنون من فوت الثواب. الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَ كَانُوا مُسْلِمِينَ أى صدّقوا بحججنا و اتبعوها منقادين خاضعين لأمرنا. ثم بين ما يقال لهم يومئذ: ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَ أَرْوَاجُكُمْ أى نساؤكم المؤمنات تُخْبِرُونَ أى تسرون سرورا يبدو فى وجوهكم أثره. ٧١- يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصَفَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَ أَكْوَابٍ ... أى أن الحور العين و الغلمان لا يزالون يدورون على المتحابين فى الله و بأيديهم صواع الذهب و الأكواب المملوءة من ماء الكوثر و فيها ما تشتهيه الأنفس و تَلَذُّ الْأَعْيُنُ أى لهم فى الجنة ما تميل النفوس إليه من أنواع النعم من المأكول و المشروب و الملبوس و المشموم و ما تلتذ الأعين بالنظر إليه. وَ أَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ أى أنتم أيها المتقون فى الجنة و الملاذ مؤبدون. ٧٢ و ٧٣- وَ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ... أى أعطيتموها بأعمالكم الصالحة. لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ

مِنْهَا تَأْكُلُونَ جمع سبحانه لهم بين الطعام والشراب والفواكه وبين دوام ذلك فهذه غاية الأمنية. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٥٠٠ ٧٤ و ٧٥- إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ... أى دائمون. لَا يُقْتَرَعُهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ أى لا يخفف عنهم، وهم فى العذاب محزونون آيسون من كل خير. ٧٦- وَ مَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ... أى نحن عذبناهم بما كسبت أيديهم فكانوا هم الظالمين لأنفسهم بما جنوا عليها من العذاب. ٧٧- وَ نَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ... أى يدعون خازن جهنم، فيقولون: يا مالِك ليمنتا ربك قَالَ إِنَّكُمْ مَا كَثُورٌ أى يجيئهم مالِك بأنكم مخلصون فى العذاب بلا موت ولا تخفيف. ٧٨- لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ ... المراد من الحق هو القرآن، أو دين الحق وهو الإسلام. يعنى لقد جاءكم رسلنا بالحق من عندنا. وَلَكِنْ أَكْثَرُكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ لأن الحق خلاف مشتهياتكم والباطل موافق لما تميل إليه طباعكم ولذا تميلون إليه وتعرضون عن الحق. ٧٩ و ٨٠- أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ... أى بل أحكموا أمرا فى كيد محمد (ص) فإننا محكمون أمرا فى مجازاتهم أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ أى حديث أنفسهم وَ نَجْوَاهُمْ أى مسارتهم. بلى نحن نسمع ذلك و ندركه وَ رُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ أى الحفظه عندهم لا يزالون يكتبون ما يقولون و يفعلون. ٨١- قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ... أى قل يا محمد لهؤلاء المشركين إن كان لله ولد كما تزعمون فأننا أول من يعبده أداء لحق بنوته و مسانخته لوالده. ولكن البرهان قام على أنه ليس له ولد و لذلك لا اعبده فهو من باب السالبة بانتفاء الموضوع. ٨٢- سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ... إلخ أى تنزيها لخالق السموات والأرض و مالِكن و خالق العرش و مدبره عما يصفونه به من اتخاذ الولد لأن من قدر على كل ذلك استغنى عما ينسبونه إليه. ٨٣- فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا ... أى دعهم منغمسين فى باطلهم و متلهين فى دنياهم حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ فيه بعذاب الأبد فى جهنم و هو يوم القيامة. ٨٤- وَ هِيَ الَّتِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ ... إلخ أى هو وحده المستحق للعبادة فى السماء و المستحق وحده للعبادة فى الأرض. وَ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ مر معنا. ٨٥- وَ تَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ ... إلخ أى تعظم و تكبر من له السِّلْطَةُ على السَّيَاحَاتِ و الأرض و له التصرف كيف يشاء فيهما و فيما بينهما وَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ أى علم يوم القيامة فهو من مختصاته سبحانه وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ أى عاقبة أمركم هى الرجوع إليه فيجازى كلًا بعمله. ٨٦- وَ لَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ ... أى الذين يعبدهم المشركون بدلا عن الله سبحانه لا ترجى الشفاعة منهم و ليس لهم أن يشفعوا لعبدتهم لأن أمر الشفاعة بيده تعالى و لا يأذن للشفاعة إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَ هم عيسى و عزيز و الملائكة استثناهم سبحانه ممّن عبد من دون الله فإن لهم منزلة الشفاعة و لكنهم لا يشفعون إِلَّا لأهل التوحيد. وَ هُمْ يَعْلَمُونَ ما شهدوا به. ٨٧- وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ ... أى إذا سألت المشركين من خالقهم لَيَقُولُنَّ اللَّهُ أى يعترفون بأن الله. هو خالقهم لوضوحه بحيث لا يقدرّون على الإنكار، فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ أى فكيف يصرفون و يعرضون عن عبادته إلى عبادة غيره؟ ٨٨- وَقِيلَ ... الضمير راجع إلى النبى، أى: و قول النبى يا رَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ فإنه (ص) لَمَّا ضجر من قومه و عرف إصرارهم على الكفر دعا ربّه عليهم. ٨٩- فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سِلاَّمٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ... أى فأعرض عنهم يا محمد بصفح وجهك و قل سلام و هذا سلام هجر و متاركه لا سلام تحية و كرامة فسوف يعلمون يوم القيامة علم معاينة ما يحل بهم من العذاب. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٥٠١

سورة الدخان مكية، عدد آياتها ٥٩ آية

١- حم ... أشرنا سابقا إلى أن هذه الحروف المقطعة فى أوائل السور أسماء للنبى (ص) و قيل غير ذلك فلا نعيد. ٢- وَ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ... أى أقسم بالقرآن المظهر لأحكام الحلال و الحرام و المبين للحق من الباطل. ٣- إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ ... هذه الجملة جواب للقسام. و المراد باللييلة المباركة هى ليلة القدر، و من بركاتها نزول القرآن فيها. إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ أى مخوفين بما أنزلناه من تعذيب العصاة و الإنذار: الاعلام بمواضع الخوف ليتقى، و بموضع الأمن ليجتنبى. ٤- فِيهَا يُفْرَقُ ... أى فى ليلة القدر يفصل و يفرز، كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ أى كل أمر من الحق و الباطل. أو يقدر الله فى تلك الليلة من أمور السَّيِّئَةِ ما يحدث فى تلك السَّيِّئَةِ من الأرزاق و الآجال و الأحداث و له تعالى فيها البداء و المشيئة. ٥- أَمْراً مِنْ عِنْدِنَا ... أى نأمر ببيان ذلك و نسخه من اللوح المحفوظ. إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ محمدا

إلى عبادنا كمن كان قبله من الأنبياء. ٦- رَحِمَهُ مِنْ رَبِّكَ ... أى رأفه مِنَّا بخلقنا ونعمة عليهم بما بعثنا إليهم من الرسل. إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ مر معناه. ٧- رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ... أى مالكهما ومصلحهما ومدبرهما ومدبر ما بينهما. إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ أى عالمين أن الأمر كما وصفناه. ٨- لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ... إلخ. أى لا يستحق العبادة سواه يحيى الخلق بعد موتهم ويميتهم بعد إحيائهم وهو خالقكم وخالق آباءكم الذين سبقوكم ورازقكم ورازقهم. ٩- بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ... أى هم فى ريب بما أخبرناكم به وهم مع ذلك يستهزئون بك وبالقرآن إذا تلى وينغمسون فى دنياهم معرضين عن الآخرة. ١٠ و ١١- فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ... أى فانتظر يا محمد اليوم الذى تأتى السماء بدخان ظاهر بحيث لا يشك أحد فى أنه دخان. وقد روى أنه دخان يأتى من السماء قبل يوم القيامة يَغْشَى النَّاسَ أى يغطّيهم، أو يحيط بهم. فإذا شاهدوه بتلك الشدة يقولون هذا عَذَابٌ أَلِيمٌ أى كثير الألم ويخافون منه شديداً و قيل بأن المراد بالدخان ما كان يراه الواحد من قريش من أثر الجوع بعد أن دعا عليهم (ص) فأجذبت الأرض وأصاب قريشا المجاعة فكانوا يرون ما بينهم وبين السماء كالدخان. ١٢- رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ... أى مؤمنون بالقرآن ومصّدقون بمحمد (ص). ١٣- أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى ... أى من أين لهم الاتعاظ بذلك وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ أى والحال أنهم قد جاءهم رسول ظاهر الصدق والحجة فما اعتضوا. ١٤- ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ ... أى أعرضوا عن رسولنا وما اكتفوا بذلك بل قالوا يعلمه بشر وهو هو مجنون بادعائه النبوة. ١٥- إِنَّا كَاشَفْنَا الْعَذَابَ قَلِيلًا ... أى الجوع والدخان زمانا يسيرا قبل القيامة أو قبل يوم بدر كما روى. ١٦- يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى ... أى واذكر لهم يا محمد يوم نأخذهم أخذة كبيرة عظيمة شديدة بعذاب النار. والمراد يوم القيامة وقيل يوم بدر إِنَّا مُنْتَقِمُونَ أى ننتقم منهم بما يستحقون من العذاب. ١٧- وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ... أى اختبرناهم وامتحنناهم قبل قريش وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ أى موسى (ع) وكان كريم الأخلاق والأفعال بصفحه وتجاوزته ورشده. ١٨- أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ ... أى قال موسى لفرعون وملايه أطلقوا بنى إسرائيل من العذاب والتسخير فإنهم أحرار فلا تعاملوهم معاملة العبيد. وقيل: إن المراد أدوا ما أمركم به يا عباد الله إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ أى غير متهم بكذب فى القول على ما أَدْعِيهِ مِنَ الرِّسَالَةِ ولا بخيانة فى أموالكم التى أودعتموها عندي. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ١٩٥٠٢- وَأَنْ لَا تَغْلُوا عَلَى اللَّهِ ... أى لا تتكبروا عليه بترك طاعته وكفران نعمه وافتراء الكذب عليه إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ أى بحجة واضحة يظهر الحق معها، أو بمعجزة ظاهرة تبين بها صحة نبوتى فتعودوه عند ذلك بالقتل فقال: ٢٠- وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ ... أى التجأت إليه سبحانه أَنْ تَرْجِعُونِ مِنْ أَنْ تُوْذُونِي بِقَذْفِي بالحجارة، أو بغيره من الأذى. ٢١- وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَرِلُونِ ... أى فاتركونى وتتحوا عني فلکم دينکم ولى دينى. ٢٢- فَدَعَا رَبَّهُ ... أى لما يئس من إيمانهم دعا الله سبحانه عليهم أَنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ أى مشركون مذنبون يرتكبون المعاصى. ٢٣- فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا ... أى اخرج مع من آمن بك من بنى إسرائيل عن هذه البلدة فى الليل، إِنَّكُمْ مُّتَّبَعُونَ أى سيتبعكم فرعون وقومه. ٢٤- وَاتْرِكِ الْبَحْرِ زَهَوًا ... أى خل البحر على حاله منفرجا منفتحاً. وكان قد صار كذلك بعد أن ضربه بعصاه. إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّعْرَقُونَ أى فرعون وجنده سيغرقهم الله تعالى. ٢٥ إلى ٢٧- كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ... إن الله تعالى يخبر حبيبه عن حالهم بعد إهلاكهم بأنهم خلفوا من البساتين والعيون الكثيرة الجارية وما سواها من النعم التى كانت تغمرهم. وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ أى المحافل المزينة والمنازل الحسنة وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ أى سعة فى العيش كانوا بها ناعمين متمتعين. ٢٨- كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ... أى هكذا نفعل بالمجرمين، نهلكهم ونورث هذه المعدودات لمن بعدهم، أى لبنى إسرائيل. ٢٩- فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ ... هذه الجملة يمكن أن تكون تهكما فى مقام بيان تصغير قدرهم فإن العرب كانت عادتهم إذا أخبروا عن عظم المصائب بالهالك قالوا: بكاه السماء والأرض وأظلم لفقده الشمس والقمر على سبيل المبالغة وقيل إن المراد: لم يبك عليهم أهل السماء والأرض لكونهم مسخوطا عليهم وما كانوا مُنْظَرِينَ أى مهملين إلى وقت آخر. ٣٠ و ٣١- وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ... يعنى خلصناهم مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ذِي الإِهَانَةِ والاحتقار كقتل الأبناء واستخدام النساء وغير ذلك مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا أى متكبرا متجبّرا مِنَ الْمُشْرِفِينَ المتجاوزين الحد فى الطغيان. ٣٢ و ٣٣- وَلَقَدْ اخْتَرْنَاَهُمْ ... أى اخترنا موسى وقومه بنى إسرائيل وفضلناهم بالتوراة وكثرة الأنبياء منهم على علم

أى على بصيرة منا باستحقاقهم ذلك عَلَى الْعَالَمِينَ أى عالمى زمانهم. وَ آتَيْنَاهُمْ مِنَ الْآيَاتِ المعجزات كانشقاق البحر بضرب العصا و غيرها. مَا فِيهِ بَلَاؤٌ مُبِينٌ أى اختبار ظاهر. ٣٤ إلى ٣٦- إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ ... أى ان كفار قريش يقولون إِنَّ هِيَ إِلَّا مَوْتَتِنَا الْمَوْتِ أَى المزيلة للحياة الدنيوية وَ مَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ أى بعد الموت الأولى لا حياة أبدا، فَأَتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ خطاب لمن وعدهم بالنشور من الرّسول و المؤمنين أى إِنْ كَانَ الْأَمْرُ كما ترعمون بأننا نبعث احياء بعد الموت فأحيوا لنا واحدا من آباءنا الذين ماتوا قبلنا. ٣٧- أ هُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبُعٍ ... أى أمشركو قريش أظهر نعمة و أكثر أموالا و أعظم قدرة و قوة أم قوم تبع الحميرى و سَمَى تبعاً لكثرة أتباعه و قد ملك التبابعة جميع الأرض كما قيل و كانوا سبعين سَمَوْا تبابعة لأن الأخير يتبع الأول. وَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَعَادَ وَ ثَمُودَ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنْهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ أى أهلكناهم بسبب إجرامهم كما أن كفار مكة مجرمون. ٣٨ و ٣٩- وَ مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ ... إلخ. أى لم نخلق ذلك عبثا بل لغرض حكيم هو أن ننفع المكلفين به و نعرضهم لنيل ثواب الله و تنتفع سائر الحيوانات بضروب المنافع. مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ أى لغرض صحيح و مصلحته عامة وَ لَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ صحه ما نقول لتوليهم عن التدبر فيه و الوصول إلى حقايقه. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٥٠٣ ٤٠- إِنَّ يَوْمَ الْفُضَيْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ ... أى فصل الحق عن الباطل و هو يوم القيامة موعدهم جميعا. ٤١ و ٤٢- يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى ... يعنى يوم الفصل يوم لا يدفع مولى بقرابه و غيرها عن مولى شيئا من الإغناء أو شيئا من العذاب وَ لَا هُمْ يُنصَرُونَ أى لا يمنعون منه، وَ لَا يَعاونهم أحد من مواليتهم و أصدقائهم فى دفعه. إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ أى بالعفو عنه و الإذن للشفعاء بالشفاعة له. إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ مر معناه. ٤٣ إلى ٤٦- إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُومِ ... الزُّقُومُ شجرة مره كريهة الطعم و الرائحة تنبت فى أصل الجحيم يكره أهل النار على تناولها. طَعَامُ الْآثِمِ قوت من له الإثم الكثير قيل بأنه أبو جهل و من استسّن بسنته من أعداء الله. كَالْمُهْلِ وَ هُوَ الْمَذَابُ من نحاس و نحوه يَغْلَى فى الْبُطُونِ كَغَلَى الْحَمِيمِ أى إذا استقرت فى أمعاء أهل النار تغلى كغلى الماء الحار الشديد الحرارة. ٤٧- تُخَذَوْنَ فَأَعْتَلوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ ... أى يقال للزبانية خذوا الآثِمَ وَ جَرّوه بعنف و شدّة و غلظة إلى وسط الجحيم. ٤٨ و ٤٩- ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ... أى عذاب هو الحميم يصبّ عليه من فوق رأسه ثم يقول له الخزنه تهكّم ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ أى صاحب الكرامة بزعمك. وَ كَانَ أَبُو جَهْلٍ يزعم أنه أعز أهل الوادى و أكرمهم. ٥٠- إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ ... أى هذا العذاب هو ما كنتم به تشكّون فى دار الدنيا. ٥١ و ٥٢- إِنَّ الْمُتَّقِينَ فى مَقَامٍ أَمِينٍ ... أى الذين يجتنبون المعاصى و يفعلون الطاعات فى موضع إقامة دائميّة يأمن صاحبه من الحوادث و الآفات و المكاره و من الغير و الفناء. جَنّاتٍ وَ عُيُونٍ أى فى بساتين و عيون المياه النابعة فيها. ٥٣- يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ ... أى من الديباج الرقيق وَ إِسْتَبْرَقٍ وَ هُوَ الغليظ منه مُتَقَابِلِينَ أى متواجهين فى مجالسهم. ٥٤- كَذَلِكَ وَ رَوَّجْنَاهُمْ ... أى هكذا كما وصفناه حال أهل الجنة، وَ نضيف عليها أننا قرناهم بِحُورٍ جمع حوراء بمعنى البيضاء عِينٍ جمع عيناى أى بيض واسعات العيون. ٥٥- يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ ... أى يستدعون فيها أى ثمره شأوا آمِنِينَ من ضررها و سقمها و وجعها وَ لَا خَائِفِينَ موتها. ٥٦- لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ ... أى يكونون أحياء فى الجنة لأنه لا موت فيها. إِلَّا الْمَوْتَةُ الْأُولَى نعم ذاقوا مرارة الموت الأولى و لكنّه كان فى الدّنيا. وَ وَقَاهُمْ أَى جَنّبهم رَبّهم عَذَابَ الْجَحِيمِ عذاب النار. ٥٧- فَضْلاً مِنْ رَبِّكَ ... أى فعل الله ذلك بهم تفضلاً منه لأنه سبحانه خلقهم و أنعم عليهم و ركب فيهم العقل و كلّفهم و بين لهم من الآيات ما استدلّوا به على وحدانيته و حسن طاعته فاستحقّوا به النعم العظيمة. ثم جزاهم الحسنه عشر أمثالها فكان ذلك تفضلاً منه ذَلِكْ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ لأنه خلاص من المكاره و فوز بالمقاصد. ٥٨- فَإِنَّمَا يَسْرُنَا بِلِسَانِكَ ... أى سهّلنا القرآن على لسانك وَ هُوْنَا عَلَيْكَ قراءته وَ جعلناه بلغه قومك ليفهموه لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ أى يتعظون بما فيه و يعملون بما أمر. ٥٩- فَارْتَقِبْ ... أى فانظر ما يحلّ بهم من العذاب إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ ما يحلّ بك من الدوائر و لكن عليهم دائرة السوء. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٥٠٤

سورة الباقية مكية، عدد آياتها ٣٧ آية

١- حم ... قد مرّ قولنا فيه فلا نعيده. ٢- تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ ... أى أن إنزال القرآن كان من عند الله الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ مر معناه. ٣ و ٤-

إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ ... أى أن فيهما أو فى إبداعهما دلالات واضحة للمصدقين بالله و رسله لأنهم هم المتدبرون فيها المنتفعون منها. وَ فِي خَلْقِكُمْ وَ مَا يُبَيِّتُ مِنْ دَائِهِ مَعْنَاهُ وَ فِي خَلْقِهِ إِيَّاكُمْ بِمَا فِيكُمْ مِنْ بَدَائِعِ الصَّنِيعَةِ وَ عَجَائِبِ الْخَلْقَةِ وَ فِي خَلْقِ مَا يَفَرِّقُ وَ يَنْشُرُ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ عَلَى اخْتِلَافِ أَجْنَاسِهَا وَ أَنْوَاعِهَا وَ مَا فِيهَا مِنَ الْمَنَافِعِ وَ الْخَوَاصِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ أى فى جميع ما ذكر دلالات واضحة لقوم يطلبون علم اليقين بالتفكر و التدبر فيها. ٥- وَ اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَ النَّهَارِ ... أى فى ذهاب الليل و النهار و تعاقبهما، و مجيئهما و نقصهما و زيادتهما على وتيرة واحدة. أو فى أن أحدهما نور و الآخر ظلمة و ما أنزل الله مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ لَعَلَّ الْمَرَادَ بِالرِّزْقِ سَبَبُهُ وَ هُوَ الْغَيْثُ، مِنْ بَابِ ذِكْرِ الْمَسْبَبِ وَ إِرَادَةِ السَّبَبِ فَأَخْبَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا أَيْ بَيْسَهَا. وَ تَضَرُّعِ الرِّيحِ أَيْ عَلَى اخْتِلَافِ كَيْفِيَّاتِهَا مِنْ تَصْرِيفِهَا مِنْ جِهَةٍ دُونَ جِهَةٍ وَ كَوْنِهَا فِي وَقْتٍ حَارَةٍ وَ فِي زَمَانٍ بَارِدَةٍ، وَ مَرَّةٍ رَحْمَةً وَ أُخْرَى نَقْمَةً وَ هَكَذَا. آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ دلالات واضحة لقوم يتدبرونها فيعلمون أن لها صانعا حكيما قادرا. ٦- تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ ... أى هذه الآيات المذكورة دلائل لمعرفة الله و توحيده نَتْلُوها عَلَيْكَ بِالْحَقِّ أَيْ نَبِّئُهَا لَكَ يَا مُحَمَّدُ حَتَّى تَقْرَأَهَا عَلَى قَوْمِكَ مَقْرُونَةً بِالْحَقِّ دُونَ الْبَاطِلِ فَإِنَّ حَدِيثَ بَعْدِ اللَّهِ وَ آيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ يَعْنِي بِأَيِّ كَلَامٍ بَعْدَ كَلَامِ اللَّهِ، وَ هُوَ الْقُرْآنُ وَ آيَاتِهِ الدَّلَالَةُ عَلَيْهِ وَ عَلَى تَوْحِيدِهِ تَصَدِّقُونَ. وَ هَذَا تَوْبِيخٌ لَهُمْ مِنْهُ سُبْحَانَهُ. ٧ و ٨- وَيَلْ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ... الْوَيْلُ كَلِمَةٌ وَعِيدٌ يَهْدَدُ بِهَا الْكَفَّارُ، أَوْ وَادٍ سَائِلٌ فِيهِ مِنْ صَدِيدِ جَهَنَّمَ، أَوْ بَثْرٌ فِي قَعْرِ جَهَنَّمَ وَ الْأَفَّاكُ يُطْلَقُ عَلَى مَنْ يَكْثُرُ أَوْ يَعْظُمُ كُذْبُهُ وَ الْأَثِيمُ صَاحِبُ الْإِثْمِ وَ الْمَعْصِيَةِ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ أَيْ الْأَثِيمُ تَقْرَأُ آيَاتِ اللَّهِ بِمَرَأَى وَ مَسْمَعٍ مِنْهُ فَيَقِيمُ وَ يَثْبِتُ عَلَى كُفْرِهِ مُسْتَكْبِرًا أَيْ ذَا كِبَرِيَاءٍ بَحِيثٌ يَأْنِفُ عَنِ الْإِيمَانِ بِاعْتِبَارِ أَنَّهُ لَا يَلِيْقُ بِمَقَامِهِ. كَأَنَّ لَمْ يَسْمَعْهَا وَ لَمْ تَقْرَأْ عَلَيْهِ آيَاتِ رَبِّهِ فَبَشَّرَهُ بِعَذَابِ أَلِيمٍ أَيْ يَا مُحَمَّدُ بَشِّرْهُ بِعَذَابٍ مُؤَلِمٍ، ٩- وَ إِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوءًا ... أى إذا بلغه شيء من آياتنا استهزأ بها ليوهم السذج أنها باطل. أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ أى ذُو إِهَانَةٍ. ١٠- مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ ... أى قَدَامَهُمْ وَ مَنْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ جَهَنَّمُ. وَ لَا يُعْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا أَيْ لَا يَغْنَى مَا كَسَبُوا مِنَ الْأَمْوَالِ وَ الْأَوْلَادِ وَ نَحْوِهَا شَيْئًا مِنْ رَفْعِ الْعَذَابِ أَوْ تَخْفِيفِهِ وَ لَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ أَيْ لَا يَنْفَعُهُمْ مَا عَبْدُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَصْنَامِهِمْ شَيْئًا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ دَفْعًا وَ رَفْعًا وَ تَخْفِيفًا وَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ بَحِيثٌ لَا يَتَحَمَّلُونَهُ لَشِدَّتِهِ. ١١- هَذَا هُدًى ... أى الْقُرْآنُ الَّذِي تَلَوْنَاهُ عَلَيْكَ وَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ هَادٍ مِنَ الضَّلَالِ، وَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٍ أَيْ الْكُفْرَةُ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ قَسَمِ الرِّجْزِ وَ هُوَ عَذَابٌ شَدِيدٌ لِلْغَايَةِ. ١٢- اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ ... بِأَن خَلَقَهُ بِكَيْفِيَّةٍ خَاصَّةٍ مِنْ اسْتَوَاءِ السُّطْحِ وَ الْمَيُوعَةِ فِي مَائِهِ لَتَجْرِيَ الْفُلُكُ تَسِيرَ الْسَّفَنِ فِيهِ بِأَمْرِهِ أَيْ بِتَسْخِيرِهِ سُبْحَانَهُ لَذَلِكَ وَ أَنْتُمْ رَاكِبُوهَا وَ مَحْمَلُوهَا أَثْقَالَكُمْ وَ لَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ أَيْ لَتَطْلُبُوا التَّجَارَةَ وَ الْغَوْصَ وَ الصَّيْدَ وَ الرِّزْقَ وَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ تَحْمَدُونَ رَبَّكُمْ عَلَى هَذِهِ النِّعَمِ. ١٣- وَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ ... إلخ أى خَلَقَهَا وَ ذَلَّلَهَا جَمِيعَهَا لانتفاعكم مِمَّا فِي السَّمَاءِ كَالشَّمْسِ وَ الْقَمَرِ وَ النُّجُومِ وَ غَيْرِهَا مِنَ الْأُمُورِ الْعُلُويَّةِ، وَ مِمَّا فِي الْأَرْضِ مِنَ الدَّوَابِّ وَ الْأَشْجَارِ وَ النَّبَاتَاتِ وَ غَيْرِهَا مِنَ الْأَشْيَاءِ السَّيْفَلِيَّةِ. كُلُّ ذَلِكَ مِنْهُ وَ بِأَمْرِهِ لَا مِنْ غَيْرِهِ. إِنَّ فِي ذَلِكَ أَيْ فِيمَا ذَكَرَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ أى عِلَامَاتٍ لِلْمُتَفَكِّرِينَ الَّذِينَ يَتَدَبَّرُونَهَا فَيَعْرِفُونَ قُدْرَةَ رَبِّهِمْ وَ حِكْمَتَهُ. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ١٤٥٥- قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا ... يَا مُحَمَّدُ قُلْ لَهُمْ أَصْفَحُوا فِي الدُّنْيَا لِيَتَوَلَّى اللَّهُ مَجَازَاتِهِمْ فِي الْآخِرَةِ. لِلَّذِينَ لَا يَزُجُّونَ أَيَْامَ اللَّهِ أَيْ لَا يَخَافُونَ عَذَابَ اللَّهِ لَوْ آذَوْكُمْ وَ لَا يَطْمَعُونَ فِي ثَوَابِهِ إِذَا تَرَكَوْا أَذْيَكُمْ لِيُجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ أَيْ لِيُجْزِيَ اللَّهُ الصَّابِرَ بِصَبْرِهِ، وَ الْكَافِرَ بِعُنَادِهِ وَ جُحُودِهِ. ١٥- مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ... أى مَنْ أَتَى بِفِعْلِ طَاعَةٍ لِخَالِقِهِ أَوْ إِحْسَانٍ لِإِخْوَانِهِ الْمُؤْمِنِينَ فَثَوَابُهُ يَرْجِعُ إِلَى نَفْسِهِ وَ مَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَ مَنْ أَتَى بِعَمَلٍ قَبِيحٍ أَوْ ظَلَمَ لِإِخْوَانِهِ الْمُؤْمِنِينَ فَعِقَابُهُ عَلَيْهِ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ فَيُجَازِيكُمْ كُلًّا بِعَمَلِهِ. ١٦- وَ لَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ ... أَعْطَيْنَاهُمُ التَّوْرَةَ وَ الْحُكْمَ مِنَ الْمُحْتَمَلِ أَنْ يَكُونَ الْمَرَادُ هُوَ الْعِلْمُ بِفَصْلِ الْخُصُومَاتِ، أَوْ الْمَعْرِفَةُ بِأَحْكَامِ اللَّهِ وَ النَّبُوءَةِ أَيْ جَعَلْنَا فِيهِمُ النَّبُوءَةَ حَتَّى قِيلَ أَنَّهُ كَانَ فِيهِمْ الْفِ نَبِيٌّ. وَ رَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَيْ اللَّذَائِدِ الْمُبَاحَةَ بِأَنْوَاعِهَا بَعْدَ أَنْ أَوْرَثَهُمْ مِصْرَ. وَ فَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ قَالَ بَعْضُ الْمَفْسِّرِينَ أَرَادَ بِالْعَالَمِينَ عَالَمِي زَمَانِهِمْ، لَكِنِ الظَّاهِرُ أَنَّ التَّفْصِيلَ كَانَ عَامًا وَ لَكِنِ مِنْ جِهَاتٍ مَخْصُوصَةً ككَثْرَةِ الْأَنْبِيَاءِ فِيهِمْ وَ الْمَنَ وَ السُّلُوى وَ غَيْرَ ذَلِكَ. ١٧- وَ آتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ ... أَيْ قَرَّرْنَا لَهُمْ دَلَائِلَ وَ عِلَالِمَ مِنْ أَمْرِ النَّبِيِّ الْخَاتَمِ وَ نَعُوتِهِ فِي التَّوْرَةِ وَ الْإِنْجِيلِ

فَمَا اخْتَلَفُوا فِي هَذَا الْأَمْرِ إِلَّا مِنْ بَعِيدٍ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ أَيْ بَعْدَ أَنْ أَنْزَلَ اللَّهُ الْكُتُبَ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ وَأَعْلَمَهُمْ بِمَا فِيهَا مِنْ أَمْرِ خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ (ص) وَأَنَّهُ مُخَالَفٌ لَهُمْ فِي دِينِهِمْ، وَدِينُهُ نَاسِخٌ لِلْأَدْيَانِ طَرَا وَرَأَوْا أَنَّ الرِّئَاسَةَ قَدْ تَوَخَّذَ مِنْهُمْ فَاخْتَلَفُوا بَعْغًا بَيْنَهُمْ أَيْ عَدَاوَةً وَحَسَدًا لِلنَّبِيِّ (ص) إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنْ خَالَفُوا فِي خِلَافَتِهِمْ فَيَجَازِيهِمْ وَيُؤَاخِذُهُمْ عَلَيْهَا بِمَا يَسْتَحِقُّونَ. ١٨ - ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ ... أَيْ جَعَلْنَاكَ يَا مُحَمَّدٌ مِنْ بَعْدِ مُوسَى وَقَوْمِهِ عَلَى مَنَهِجٍ وَعَلَى طَرِيقَةٍ مُسْتَقِيمَةٍ إِلَى دِينِ الْإِسْلَامِ أَوْ التَّوْحِيدِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ أَيْ اجْعَلْ قَدُوتَكَ وَطَرِيقَتَكَ مَا شَرَعَنَاهُ لَكَ مِنْ دِينِ الْإِسْلَامِ وَاعْمَلْ بِهِ وَلَا تَذْهَبْ مَذْهَبَ مَنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ وَجَعَلَهُ آلِهَةً وَلَا تَتَّبِعْ آرَاءَ الْجَهْلَةِ وَهُمْ رُؤَسَاءُ قَرِيشٍ أَوْ الْيَهُودِ حَيْثُ غَيَّرُوا التَّوْرَةَ اتِّبَاعًا لِهَوَاهُمْ وَحُبًّا لِلرِّئَاسَةِ وَاسْتِتْبَاعًا لِعَوَامِ النَّاسِ. ١٩ - إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ ... إِنْ خَالَفُوا أَيْ لَوْ اتَّبَعْتَهُمْ فَرَضًا وَنَزَلَ عَلَيْكَ عَذَابٌ مِنْ رَبِّكَ فَلَنْ يَقْدِرُوا أَنْ يَرْفَعُوهُ عَنْكَ أَوْ يَدْفَعُوهُ وَ إِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَعْنِي أَنَّ الْكُفَّارَ بِأَجْمَعِهِمْ مَتَّفِقُونَ عَلَى مُعَادَاةِكَ وَبَعْضُهُمْ أَنْصَارُ بَعْضٍ عَلَيْكَ فَاسْتَقِمْ عَلَى شَرِيعَتِكَ وَاثْبِتْ عَلَيْهَا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ أَيْ اللَّهُ يَحْبِبُكَ فَيَتَوَلَّى أُمُورَكَ وَيَنْصُرُكَ وَيَحْفَظُ تَابِعِيكَ. ٢٠ - هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ ... أَيْ الْقُرْآنُ أَوْ الْإِسْلَامُ أَوْ الشَّرِيعَةُ مُعَالِمٌ وَعَبْرٌ تَبْصُرُهُمْ مَحَبَّةَ النَّجَاةِ وَوَجْهَ الْفَلَاحِ. وَهُدًى وَرَحْمَةٌ أَيْ دَلَالَةٌ وَاضِحَةٌ وَنِعْمَةٌ مِنَ اللَّهِ لِقَوْمٍ يُؤْقِنُونَ أَيْ يَصْذِقُونَ بِوَعْدِ اللَّهِ وَوَعِيدِهِ وَثَوَابِهِ وَعِقَابِهِ. ٢١ - أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ ... الْاسْتِفْهَامُ إِنْكَارِيٌّ وَالْاجْتِرَاحُ الْاِكْتِسَابُ أَيْ بَلْ ظَنَّ الَّذِينَ اِكْتَسَبُوا أَعْمَالًا سَيِّئَةً مِنَ الشَّرِّ وَالْمَعَاصِي الْآخِرَ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ أَيْ أَنْ نَجْعَلَ مَوْتَهُمْ وَحَيَاتَهُمْ كَحَيَاةِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَوْتَهُمْ وَمَنْزِلَتَهُمْ كَمَنْزِلَتِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ أَيْ بُسَّ مَا حَكَمُوا عَلَى اللَّهِ حَيْثُ إِنَّهُ بِمَقْتَضَى عَدْلِهِ لَا يَسْوِي بَيْنَهُمْ أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا وَمَا بَعْدَ الْمَوْتِ. ٢٢ - وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ... أَيْ أَبَدَهُمَا ابْتِدَاءً لَا عَثَا وَبَاطِلًا بَلْ لِمَصَالِحٍ وَحُكْمٍ مِنْهَا نَفْعٌ خَلَقَهُ بَأَنْ يَكْلِفَهُمْ وَيَعْرِضُهُمْ لِلثَّوَابِ وَالْجَنَّةِ. وَلَتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ مِنْ ثَوَابٍ عَلَى طَاعَةٍ أَوْ عِقَابٍ عَلَى الْمَعْصِيَةِ فَفِي خَلْقِهِمَا اخْتِبَارٌ وَامْتِحَانٌ لِلخَلْقِ. وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ أَيْ فِي الْجَزَاءِ بِنَقْصِ ثَوَابٍ وَتَضْعِيفِ عِقَابٍ عَلَى مَا يَسْتَحِقُّهُ. إِرْشَادُ الْأَذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ٥٠٦ ٢٣ - أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ ... أَيْ أَخْبَرْنِي، أَوْ: أَوْ مَا تَرَى يَا مُحَمَّدٌ مِنْ اتِّخَاذِ دِينِهِ مَا تَهْوَاهُ نَفْسُهُ فَإِنْ مَالَتْ إِلَى شَيْءٍ ارْتَكَبَهُ لِأَنَّهُ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَلَا يَخَافُهُ. وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ ... أَيْ خَذَلَهُ بِأَنْ يَتْرَكَهُ وَشَهَوَاتِهِ وَيَخْلِي بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا لَعَلَّمَهُ سَبْحَانَهُ بِاسْتِحْقَاقِهِ لَذَلِكَ لَخَبْثِ سَرِيرَتِهِ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ أَيْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا بِحَيْثُ لَا يُؤَثِّرُ فِيهِمَا وَعِظٌ وَلَا نَصِيحَةٌ. وَجَعَلَ عَلَى بَصِيرَتِهِ غِشَاوَةً أَيْ وَضَعَ عَلَى بَصَرِهِ غِطَاءً حَتَّى لَا يَرَى آيَاتِهِ تَعَالَى وَدَلَائِلَ تَوْحِيدِهِ وَقُدْرَتِهِ فَكَأَنَّهُ أَعْمَى فَمَنْ يَهْدِيهِ مَنْ بَعِيدٍ إِلَهُ أَيْ بَعْدَ أَنْ خَلَاهُ وَضَلَّاهُ، أَوْ مِنْ بَعْدِ هِدَايَةِ اللَّهِ لَهُ بِآيَاتِهِ الْبَاهِرَةِ وَعَدَمِ اهْتِدَائِهِ بِهَا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ أَيْ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ بِهَذِهِ الْمَوَاعِظِ. ٢٤ - وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا ... أَيْ الَّتِي نَحْنُ فِيهَا نَمُوتُ وَنَحْيَا أَيْ نَمُوتُ نَحْنُ وَيَحْيَا آخَرُونَ فَعَادَةُ الطَّبِيعَةِ جَرَتْ عَلَى هَذَا فَلَا بَعَثَ وَلَا حِسَابَ. وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ أَيْ مَرُورُ الزَّمَانِ فَضَمُّوا إِلَى إِنْكَارِ الْمَعَادِ إِنْكَارَ الْمَبْدِ. وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ أَيْ لَا عِلْمَ لَهُمْ بِمَقَالَتِهِمْ حَيْثُ لَا دَلِيلَ لَهُمْ وَلَا بَرَهَانَ وَكُلُّ مَا كَانَ كَذَلِكَ فَهُوَ بَاطِلٌ إِنَّهُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ فَإِنْ حُجَّتْهُمْ لَا يَحْصُلُ مِنْهَا عَلَى مَا بَيْنَا إِلَّا الظَّنُّ، وَالظَّنُّ لَا يَغْنَى مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا. ٢٥ - وَإِذَا تَتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ ... أَيْ إِذَا قُرِئَتْ آيَاتُنَا الْمَتَّصِفَةُ بِالْوُضُوحِ عَلَيْهِمُ الْمَخَالَفَةُ لِمَعْتَقَدَاتِهِمْ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ أَيْ لَمْ تَكُنْ لَهُمْ حُجَّةً تَقَابِلُ حُجَّتِنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتُوا بِآيَاتِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَهَذَا الْقَوْلُ إِقْرَارٌ وَاعْتِرَافٌ مِنْهُمْ بِعَجْزِهِمْ عَنْ إِثْبَاتِ دَعْوَاهُمْ بِحُجَّةٍ وَبَرَهَانٍ. فَقَالُوا: لَوْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِيمَا تَدْعُونَهُ فَادْعُوا رَبَّكُمْ أَنْ يَحْيِيَ آبَاءَنَا حَتَّى يَصْذِقُواكُمْ فِي دَعْوَاكُمْ فَتُؤْمِنَ لَكُمْ. ٢٦ - قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ ... إِنْ خَالَفُوا أَيْ قُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ فِي دَارِ الدُّنْيَا إِذَا لَا أَحَدٌ يَقْدِرُ عَلَى الْإِحْيَاءِ غَيْرِهِ ثُمَّ يَمِيتُكُمْ عِنْدَ انْقِضَاءِ أَجَالِكُمْ ثُمَّ يَحْشُرُكُمْ أَحْيَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا شَكَّ فِي كَوْنِهِ. وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ لِقَلَّةِ تَفَكُّرِهِمْ وَقُصُورِ نَظَرِهِمْ فِي مَا يَحْسُونَهُ. ٢٧ - وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ ... إِنْ خَالَفُوا أَيْ خَلَقُوا وَتَدَبَّرُوا وَتَصَرَّفُوا وَمَنْ كَانَ كَذَلِكَ فَهُوَ قَادِرٌ عَلَى الْبَعْثِ. وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُخْسِرُ الْمُعْطِلُونَ الْعَادِلُونَ عَنِ الْحَقِّ سَوْفَ يَكْتَشِفُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَّهُمْ قَدْ خَسِرُوا إِذْ لَنْ يَحْصُلُوا مِنْ وَرَاءِ كُفْرِهِمْ إِلَّا عَلَى الْخِزْيِ وَالْفَشْلِ فِي الدُّنْيَا وَعَذَابِ النَّارِ فِي الْآخِرَةِ. ٢٨ - وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِئَةٍ ... أَيْ يَا مُحَمَّدُ تَرَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ أُمَّةً كُلَّ نَبِيٍّ يَحْشُرُونَ مُجْتَمِعِينَ، أَوْ جَالِسِينَ عَلَى رُكْبِهِمْ يَنْتَظِرُونَ الْحِسَابَ. كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا أَيْ

إلى صحيفة أعمالها فيقول الآتي بكتاب العمل: الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ أى هذا اليوم يوم أجر الأعمال الماضية التي فعلتموها فى الدنيا. ٢٩- هذا كِتَابُنَا يُنْطَقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ ... يعنى هذا الكتاب كتبه الحفظة بأمرنا و هو يتكلم و يشهد عليكم بالصدق و الصِّحَّة بما عملتم بلا- زيادة و لا نقيصة إِنَّا كُنَّا نَسِيخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ بأن أمرنا الملائكة بكتابه أعمالكم كلها. ٣٠- فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ... أى الذين صدّقوا بالله و رسوله و فعلوا الطاعات و تركوا المعاصى فالإيمان تصديق و عمل. فَيَدْخُلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ و منها حصول الفوز بالجَنَّة ذَلِكْ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ أى الفلاح الظاهر لخلوصه عن الشوائب. ٣١ و ٣٢- وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ... أى يقال لهم: ألم يأتكم رسلى ليتلوا عليكم حججى و دلائل توحيدى؟ فَاسْتَكْبَرْتُمْ عن قبولها بعد التلاوة و البيان وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ أى كافرين و إِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ أى إذا خوطبوا بالوعيد و البعث وَ السَّاعِيَةُ أى القيامة لا رَيْبَ فيها أى لا شك فيها. قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعِيَةُ فى مقام الإنكارِ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا و مَا نَحْنُ بِمُشْتَقِّينَ يعنون بذلك فرارهم من الجواب أى ليس لنا يقين بيوم حساب و جزاء إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا، و زاندا على ذلك موضع شكننا. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٥٠٧ ٣٣- وَ بَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتٍ مَا عَمِلُوا ... أى يظهر لهم فى الآخرة جزاء قبائح أعمالهم و أقوالهم و حاق بهم ما كانوا به يَسْتَهْزِئُونَ أى حل بهم العذاب جزاء تكذيبهم و سخريتهم. ٣٤- وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسَاكُمْ ... أى نخليكم فى العذاب يوم الجزاء ترك ما ينسى كما نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا أى كما تركتم التأهب للقاء ربكم يوم القيامة وَ مَاوَاكُمُ النَّارُ وَ مَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ أى مفركم و مسكنكم جهنم و لا من معين يعينكم، و ناصر ينصركم فى نجاتكم من النار. ٣٥- ذَلِكُمْ بِأَنكُم اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا ... أى ذلك الذى فعلنا بكم لأجل استهزائكم بأنبيائنا و رسلنا و كتبنا المنزل إليكم وَ غَرَّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَانْسَوْتُمْ الحياة الآخرة فحسبتم أن لا حياة سواها فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا أى من النار وَ لَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ أى لا تطلب منهم العتبي، أو معناه أنهم لا يعاتبون لأن العتاب علامة الرضا و هم فعلوا كل موجبات غضبه سبحانه فلا يعتنى بهم. ٣٦- فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَ رَبِّ الْأَرْضِ ... أى الشكر و المدحه العظيمة لخالقهما و مالكهما و مدبر أمورهما رَبِّ الْعَالَمِينَ مالِك جميع العوالم. ٣٧- وَلَهُ الْكِبَرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ ... أى له العظمة و التجبر فى الملكوت الأعلى و الأرضين السفلى إذ ظهرت فيهما آثار قدرته وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ مر معناه.

سورة الأحقاف مكية، عدد آياتها ٣٥ آية

و ١ و ٢- حم، تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ... مر تفسيره فى مطلع السورة السابقة. ٣- مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ ... إلخ أيضا مر معناه. وَ أَجَلٌ مُّسَمًّى أى مدة تنتهى يوم القيامة المعلومة عنده سبحانه و أخفى علمه عن العباد لمصالح عديدة. أو المراد أَجَلٌ مُّسَمًّى لكل واحد و هو آخر مدّة بقائه المقدّرة له فى الدنيا وَ الَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا مُّعْرِضُونَ أى منصرفون عَمَّا خَوْفُوا به من يوم البعث و الحساب. ٤- قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ... قل يا محمّد لكفرة قريش: أخبرونى عن الأصنام التى تعبدونها و أرونى أى قولوا لى ما ذا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أى ما الذى أبدعوه و أوجدوه من العدم فاستحقوا به العبادة أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فى السَّمَاوَاتِ أى شركاء، فهل شاركوا فى خلقها و تركيبتها؟ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أى أعطونى كتابا سماويا قبل هذا القرآن يدل على صحّة ما ادّعيتهم أو آثاره مِنْ عِلْمٍ أى بقايا من العلوم التى تستند إلى الأولين موجبة لليقين بما تقولون، إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فى دعوكم بأنها شركاء لله فى إيجاد المكنونات. ٥- وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ ... إلخ الاستفهام فى مقام الإنكار أى أنه لا يكون أحد أضلّ و أبعد عن طريق العقل و الرشد من المشركين الذين يعبدون الأصنام من دون الله و الحال انهم لو دعوهم من الآن إلى يوم القيامة لم يجيبوهم لأنهم جمادات لا تسمع و لا تبصر و لا تضر و لا تنفع و لا تدفع. وَ هُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ أى أن الأوثان عن دعوة دعائهم غافلون جاهلون، لعدم شعورهم و إحساسهم بالدعاة. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٥٠٨ ٦- وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً ... إلخ أى إذا قامت القيامة و حشر الناس كانوا هم أعداء للأصنام أو بالعكس حيث يجحدون انهم كانوا يعبدونهم فى الدنيا كما أن الأصنام بعد أن ينطقها الله تتبرأ ممن عبدها فى الدنيا. ٧- وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ ... أى حينما تقرأ حججنا حال كونها

واضحات ظاهرات على المشركين فى مقام الإعجاز قال الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ أى لكلام الحق و هو القرآن لَمَّا جَاءَهُمْ، هذا سِحْرٌ مُبِينٌ أى حيلة لطيفة ظاهرة و خداع بين. ٨- أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ... أى بل يقول هؤلاء الكافرون لقد اختلق محمد القرآن و كذب به على الله قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ أى قل لهم يا محمد إن ادعيتَه فرضا على زعمكم فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئاً أى فلا تقدرُونَ أن تدفعوا عَنِّي من عذاب الله و عقابه فكيف أكذب عليه سبحانه من أجلكم و أنتم أعجز من أن تدفعوا عني عذابه هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ أى هو تعالى أعلم بما تقولون فى القرآن من القدرح فى آياته كفى بِهِ شَهِيداً بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ أى يكفينى أَنَّهُ تعالى شاهد بيننا بصدق كلامى و تبليغ الأحكام، و شاهدا عليكم بالمعاندة و الإنكار. وَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ مر معناه. ٩- قُلْ مَا كُنْتُ بِدُعَا مِنَ الرُّسُلِ ... أى قل يا محمد: لست أول رسول بعث فدعا إلى الله. وَ مَا أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِي وَ لَا- بِكُمْ أى لا أعرف أ أموت أم أقتل؟ وَ لَا أَدْرِى أَيُّهَا الْمَكْذُوبُونَ أ ترمون بالحجارة من السماء فى هذه الدنيا أم تخسف بكم الأرض كما فعل ببعض من قبلكم من الأمم السابقة أو لا هذا و لا ذاك. إِنْ أَتَّبِعْ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَ مَا أَعْلَمُ زائدا على هذا و لا أتجاوزهُ وَ مَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ أى مخوف ظاهر من عذاب الله و عقابه. ١٠- قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَ كَفَرْتُمْ بِهِ ... أى أخبرونى إن كان القرآن نازلا من السماء و كفرتم أنتم أيها المشركون به استكبارا و تجبرا وَ شَهِيدٌ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنْ خَالُوا حَالِيَهُ أى و الحال أنه شهد شاهد من اليهود على انه من عند الله و هذا الشاهد هو عبد الله بن سلام و كان أعلم اليهود و قد أسلم و قد شهد بذلك لما وجده مكتوبا فى التوراة من أوصافه و أحواله (ص). إِنْ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ أى أَلَسْتُمْ ظالمين مع هذه الدلائل البينة؟ و الهمزة للاستفهام التقريرى، أى: نعم أنتم من الظالمين، و الله لا يهديكم لفرط عنادكم و جحودكم. ١١- وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا ... أى قال رؤساء الضلال من الكفرة و المشركين لأهل الإيمان: لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ أى أن ما جاء به محمد (ص)، لو كان خيرا لنا فما كان ليتقدم علينا فيه أراذل قومنا كجهنم و غيرها من القبائل المستضعفة و إِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِنْ كُنْ قَدِيمٌ أى لَمَّا لم يهتدوا بالقرآن باعتبار انهم أغلقوا عقولهم عن تدبره و تفهمه فسيقولون عنه إنه كذب متقادم أو أساطير الأولين. ١٢- وَ مِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَ رَحْمَةً ... أى كتاب موسى و هو التوراة كان قبل مقدسا لبنى إسرائيل يقتدى به و يعمل على طبقه و نعمه من الله للمؤمنين و هم مع ذلك لم يؤمنوا به و لم يهتدوا بهديه و هذا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ أى هذا القرآن كتاب يصدق التوراة فى أَنَّهُ كتاب سماوى، لِسَانًا عَرَبِيًّا لِنَذِيرِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَ بُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ أى أن القرآن نزل بلسان عربى مبين حتى تعرفوا ما فيه و تتم الحجة على المشركين من أهل مكة و نواحيها، و ليخوف الذين ظلموا أنفسهم و غيرهم و يبشّر الذين أحسنوا بالحسنى. ١٣- إِنْ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ... و هم الذين وَّحَدُوا اللَّهَ تعالى ثُمَّ اسْتَقَامُوا أى استقاموا على طاعة الله و الصبر على أذى أعدائه. فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ مِنْ لِحُوقِ مَكْرُوهِ أَوْ مَخُوفِ آخِرٍ وَ لَا هُمْ يَحْزَنُونَ من فوت شىء محبوب لهم. ١٤- أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ... أى ملازمون لها خالدين فيها أى مؤيدين جزاء بما كانوا يَعْمَلُونَ من الطاعات. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٥٠٩-١٥ وَ صَيَّنَّا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا ... أى أمرناه أن يحسن لهما بما يمكنه من مصاديق الإحسان و هو ضد الإساءة. حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَ وَضَعَتْهُ كُرْهًا وَ مَعْنَاهُ وَضَعَتْهُ وَ هِيَ ذات كره أى مشقة شديدة بحيث لا يتحملها غير الأم فى أمر ولدها. وَ حَمَلُهُ وَ فِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا أى مدّة حملهُ إلى وقت فطامه هذا المقدار. حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ أى استحکمت قوّته و استتم عقله، وَ بَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً يحتمل كونه عطف تفسير لجملة إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ و إذا بلغ الإنسان نهاية رشده و هو مقام كمال عقله فله الأهلية و الاستعداد لأن يتوجّه إلى رَبِّهِ و يطلب منه الحاجة كما يحكى عنه: قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أى ألهمنى أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَ عَلَى وَالِدَيَّ مِنَ الْإِسْلَام و الحياة و القوّة و القدرة و الإدراك و الرزق و العقل. وَ أَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ أى و ألهمنى إلى عمل الطاعات و الحسنات التى تنيلنى رضاك وَ أَصْلِحْ لِي فى ذُرِّيَّتِي أى اجعل ذُرِّيَّتِي صالحين. إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ أى رجعت إليك عن كل شىء لا ترضى بصدوره من عبادك، وَ إِنِّى مِنَ الْمُسْلِمِينَ أى المنقادين لأمرك و نهيك بلا اعتراض لى عليك. ١٦- أُولَئِكَ الَّذِينَ تَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ ... أى أهل هذا القول الذى بيناه فى الآيات السابقة يشابون على طاعتهم، و نتقبّل إيجاب الثواب ل أحسن ما عملوا و هو ما يستحقّ العبد به الثواب من الواجبات و المندوبات، وَ نَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ أى نغفو و نصفح عن السيئات التى اقترفوها، و نجعلهم فى

أَصْحَابِ الْجَنَّةِ أَى حال كونهم من الذين يتجاوز عن سيئاتهم و هم أصحاب الجنة وَعَدَ الصَّدَقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ أَى وعدهم الله فى الدنيا بلسان أنبيائه وعدا صدقا غير مكذوب. ١٧- وَالَّذِي قَالَ لِيَا أَبِئْتِيهِ ... بعد أن دعواه إلى الإيمان قال جوابا لهما: أَفْ لَكُمَا و هذه الكلمة تصدر عن المرء عند تضجره. قيل معناه بعدا لكما أَعِدَانِي أَنْ أُخْرِجَ أَى أ تقولان لى إني بعد مماتى أخرج من القبر و أحياء؟ وَقَدْ خَلَّتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي أَى مضت أجيال كثيرة فلم يرجع أحد منهم و لا أعيد، وَهُمَا يَسْتَعْثِفَانِ اللَّهَ أَى والداه يطلبان من الله تعالى إعانتة و نصره و يسألانه التوفيق له للإيمان و يقولان له وَيَلِكْ آمِنْ بِاللَّهِ وَ الرَسُولِ وَ الْقِيَامَةُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ أَى بالبعث و النشور و الثواب لأهل الطاعة و العقاب للعاصين فَيَقُولُ فى جوابهما ما هذا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ أَى أباطيلهم سطرورها و ليس لها حقيقة. ١٨- أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ ... أَى الذين هم عاقون لوالديهم و عاصون لقولهم، و مخالفون لرأيهم، و الذين وجبت عليهم كلمة العذاب فى أمم أَى مع أمم، قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ قَدْ مضت قبلهم من الجن و الإنس فحالهم مثل حالهم. إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ لأنفسهم إذ أهلكوها بالكفر و المعاصى أَى الأمم. ١٩- وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا ... أَى لكل واحد من الجنسين المذكورين: المؤمنين البررة، و الكافرين الفجرة، مراتب متصاعدة فى الجنة و منازل فى النار. وَلِيُوفيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ أَى جزاءها وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ فى الجزاء بالنقص و الزيادة. ٢٠- وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ ... أَى تعرض النار عليهم ليروا أهوالها، فقلبت مبالغه أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَ اسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا أَى فاستوفيتموها باستغالكم بها و صرف حياتكم فيها كأنكم خلقتم لها و هى لكم فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ أَى فيه الهوان و الدل بما كنتم تستكبرون يعنى باستكباركم عن الانقياد للحق فى الأرض أَى فى الدنيا بِغَيْرِ الْحَقِّ من دون حق لكم فى الترفع و الإنكار و بما كنتم تفسقون أَى بخروجكم عن طاعة ربكم. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٥١٠ ٢١- وَادْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ ... المراد بأخى عاد هو هود (ع) أَى و اذكر يا محمد لقومك من أهل مكة هودا (ع) إذ خوف قومه بالله تعالى و دعاهم إلى طاعته و كانوا يسكنون واديا يسمى بالأحقاف بين عمان و مهرة كما قيل. وَقَدْ خَلَّتِ النَّذْرُ ... إلخ أَى مضت الرسل قبل هود و بعده بالنسبة إلى هؤلاء القوم أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ فَإِنَّهُ الْحَقِيقُ بِالْعِبَادَةِ لا غيره إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ إن عبدتم غيره. و هذا بيان إنذار هود للعاديين. ٢٢- قَالُوا أَجِئْنَا لِنَتَأَفَّكُنَا عَنْ آلِهَتِنَا ... يعنى: هل بعثت إلينا لتصرفنا عن عبادة أربابنا فَأَتَيْنَا بِمَا تَعِدُنَا من العذاب على الشرك إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ فى وعيدك من نزول العذاب علينا إذا لم نؤمن باللهك. ٢٣- قَالَ إِنَّمَا أَعْلِمْتُ عِنْدَ اللَّهِ ... أَى يأتيكم به هو تعالى فى الوقت المقدر له و ليس الأمر بيدي و لا أنا أعلم وقته. وَابْلَغَكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ أَى ما على إلا بلاغ ما أمرت بتبليغه إليكم. وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ حيث إنكم لا تعلمون أن شغل الرسل هو الإبلاغ و الإنذار لا التعذيب. و يحتمل أن تكون نسبة الجهل إليهم لاستعجالهم العذاب. ٢٤- فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ ... أَى نظروا إلى السماء فرأوا سحابا عرض فى أفق السماء متوجها نحو أوديتهم فاستبشروا قَالُوا هذا عارضٌ مُمطرنا أَى غيم يمطرنا و يرغد حياتنا. فقال هود: بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ من العذاب الموعود رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ أَى شديد مؤلم. ٢٥- تَذَكَّرْ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا ... أَى الريح تهلك كل شىء تمر به من الناس و الدواب و الأموال لشدتها فَاصْبِرُوا لَا يُبْرَى إِلَّا مَسَکِنُهُمْ أَى لا يرى أحد فى تلك البوادی التى كانوا يسكنونها إِلَّا آثار منازلهم، كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ أَى كما جزيناهم نجزي من هم أمثالهم من الكافرين. ٢٦- وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ ... أَى أعطيناهم من المكنة و القدرة ما لم نعطكم مثلها من القوة فى الأبدان و البسطة فى الأجسام و كثرة الأموال، و الطول فى الأعمار. وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَ أَبْصَارًا وَ أَفْئِدَةً أَى خلقنا لهم الحواس الصحيحة التى بها كان يمكنهم أن يدركوا الحجج التى توصلهم إلى الإيمان فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَ لَا أَبْصَارُهُمْ وَ لَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ أَى لم تنفعهم جميع تلك الحواس لأنهم أهملوها و لم يستعملوها فى النظر و التدبر إذ كانوا يَجْحَدُونَ بآياتِ اللَّهِ أَى ينكرونها مع كونها فى غاية الظهور فى الدلالة على التوحيد وَ حَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ أَى نزل عليهم من العذاب و العقاب الأليم لاستهزائهم بالأنبياء و الرسل و بما جاءوا به من الكتب و الشرائع. ٢٧- وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ ... الخطاب لأهل مكة. أَى أهلكنا من هم حواليكم مِنَ الْقُرَى يعنى أهلها كعاد و ثمود و قوم لوط وَ صَرَفْنَا الْآيَاتِ أَى كثرناها تارة فى الإعجاز، و تارة فى الإهلاك، و أخرى فى التذكير و طورا فى وصف الأبرار و مرّة فى

ذَمَّ الْفَجَّارَ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ أى يعودون عن كفرهم. ٢٨- فَلَوْلَا نَصَرَ رَبُّهُمْ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ ... إلخ أى فهل منع العذاب عن هؤلاء المهلكين أولئك الذين كانوا يعبدونهم فى الدنيا و يزعمون أنهم بعبادتهم لهم يقربونهم إلى الله. و الاستفهام للإنكار، أى لم ينصرهم بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ أى غابوا عنهم عند حلول العذاب. وَ ذَلِكَ إِنْكُهُمْ أى اتَّخَذَهُمُ الْأَصْنَامَ آلِهَةً كَذِبُهُمْ وَ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ أى يكذبون على الله فى أنها آلهة تعبد من دونه. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٥١١ ٢٩- وَ إِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ ... أى أرجعنا إليك يا محمد طائفة من الجن و حوّلناها نحوك. و النفر جماعة دون العشرة. يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ أى لاستماع القرآن أو مستمعين للقرآن فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أى حضروا النبى أو القرآن بعضهم قال لبعض أَنْصِتُوا أى اسكتوا لاستماعه فَلَمَّا قُضِيَ أى فرغ النبى (ص) من تلاوته وَلَوْ إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ أى رجعوا إلى قبيلتهم محدّرين لهم من عذاب الله إن لم يؤمنوا. ٣٠- قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى ... أى القرآن مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ أى مصدق لما فى التوراة، و لم يذكروا عيسى و لا الإنجيل لأنهم كانوا باقين على اليهودية. يَهْدَى إِلَى الْحَقِّ أى إلى ما هو ثابت و صحيح من العقائد الحقّة و إِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ أى إلى شرائعه الموصلة إلى المطلوب. ٣١- يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَ آمِنُوا بِهِ ... يعنون محمدا (ص) عليه و آله إذ دعاهم إلى توحيدِهِ و خلع الأنداد دونه. يَعْفِرُ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ أى بعض ذنوبكم لأن بعض الذنوب لا تغفر. وَ يُجْزِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ أى يخلصكم من عذاب موجه معدّ للكفار. ٣٢- وَ مَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْمَآرِضِ ... أى لا يعجز الله بالهرب منه إذ لا يفوته هارب و لَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أى ليس له من غير الله أجناء يمنعونه منه أَوْلِيكَ فى ضَلَالٍ مُبِينٍ أى الذين ما أجابوا داعى الله كانوا فى غواية واضحة لكلّ أحد. ٣٣- أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ ... أى: أولم يعلموا أنّه تعالى الَّذِى خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْمَآرِضِ وَ لَمْ يَغَيِّ بِخَلْقِهِنَّ أى لم يتعب و لم يعجز من خلقهنّ، فمن كان هذا شأنه أليس بقادرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بلى إلخ أى نعم هو قادر على إحياء الموتى: فَإِنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ أعجب و أعظم منه. ٣٤- وَ يَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ ... أى تعرض النار عليهم و يقال لهم: أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ عَلَى نَحْوِ التَّهَكُّمِ وَ التَّوْبِيخِ، يعنى أن الذى جزيتم به أليس بصدق و عدل قَالُوا بلى وَ رَبَّنَا أى نقسم برَبَّنَا أَنَّ الَّذِى جَاءَ بِهِ الرِّسَالُ كَانَ حَقًّا وَ نحن جحدناه عنادا. قَالَ بَعْدَ إِقْرَارِهِمُ الْمُؤَكَّدَ خَازِنُ النَّارِ: فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ أى جزاء لكفركم و عنادكم للرسل. ٣٥- فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أَوَّلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ... أى اصبر يا محمد على أذى قومك و على تركهم إجابتك فى دعوتك فَإِنَّ الصَّبْرَ مِنَ شِيمِ الْأَنْبِيَاءِ وَ الرُّسُلِ الَّذِينَ كَانُوا قَبْلَكَ، و بالأخص صبر أولى العزم منهم، و هم خمسة. نوح و إبراهيم و موسى و عيسى و محمد (ص) و إنما صاروا أولى العزم لأن كلا منهم بعث بكتاب و شريعة. وَ لَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ أى لا تتعجل بطلب العذاب لقومك فإنه مصيبهم لا محالة. كَانَتْهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ أى ما توعدهم به الرسل فى الدنيا من العذاب و يرونه فى الآخرة لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ مع أنهم ربّما عمروا فى الدنيا أزيد من مائة سنة و ذلك من شدة خوفهم و هلعهم من عذاب ذلك اليوم بعد معانيتهم له. بَلَاغٌ أى ما ذكر أو ما قيل فى تلك السورة أو فى هذا القرآن من المواعظ و النصائح تبليغ من الله عزّ و جلّ إلى كافّة البشر فَهَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ أى الخارجون عن حدوده تعالى. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٥١٢

سورة محمد (ص) مدنية، عدد آياتها ٣٨ آية

١- الَّذِينَ كَفَرُوا وَ صَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ... أى أن الكافرين الذين يمنعون الآخرين عن اتباع طريق الإيمان و الإسلام و هم مشركو العرب أَصْلَ أَعْمَالِهِمْ أى أحبط أعمالهم التى كانت فى زعمهم قرينة و أنها تنفعهم كالعتق و الصدقة و قرى الضيف. ٢- وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ... أى آمنوا بالله و بمحمد و أضافوا إلى ذلك الطاعات و الحسنات وَ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ مِنَ الْقُرْآنِ وَ الْأَحْكَامِ وَ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ جملة معترضه مؤكّدة لشأن القرآن و عظمتة. أى أن القرآن هو الحق الثابت من الله تعالى كَفَرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ أى سترها عنهم بأن غفرها لهم لأن الإيمان يجب ما قبله وَ أَصْلَحَ بِهِمْ أى حالهم فى أمور دينهم و دنياهم. ٣- ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ ... أى أن إضلال عمل الكفرة كان بسبب أن الكفرة أخذوا الباطل و اتبعوا سبيل الغيّ بجهلهم و أَنَّ الَّذِينَ

آمَنُوا اتَّبِعُوا الْحَقَّ أَى سَبِيلَ الرُّشْدِ وَ سَلَكُوا مَسْلَكَ الْحَقِّ فَانْجُوا مِنَ الضَّلَالَةِ كَذَلِكَ أَى عَلَى هَذِهِ الطَّرِيقَةِ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ أَى يَبَيِّنُ لَهُمْ أَحْوَالَهُمْ لِيَعْتَبَرُوا بِهِمْ أَى لِيَعْتَبِرَ أَهْلُ الْحَقِّ بِأَهْلِ الْبَاطِلِ وَأَهْلُ الْبَاطِلِ بِأَهْلِ الْحَقِّ. ٤ إلى ٦- فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا ... أَى فِى الْقِتَالِ فَضَرْبَ الرِّقَابِ أَى فَاضْرِبُوا مِنْهُمْ الرِّقَابَ ضَرْبًا، حَتَّى إِذَا أَتَخْتَمْتُمُوهُمْ أَى أَكْثَرْتُمْ قَتْلَهُمْ وَ بِالْغَنَمِ وَ بِالْغَنَمِ فِى إِفْنَائِهِمْ. فَشَدُّوا الْوُثَاقَ أَى أَحْكَمُوا وَثَاقَهُمْ فِى الْأَسْرِ فَإِمَّا مَنَّا بَعِيدٌ وَإِمَّا قَدِ افْتَدَاءٌ يَعْنِى مَخِيرَ أَنْتَ يَا مُحَمَّدُ بَيْنَ الْمَنِّ عَلَيْهِمْ وَ إِطْلَاقِهِمْ، وَ بَيْنَ أَخْذِ الْفِدَاءِ مِنْهُمْ حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا أَى هَذَا التَّخْيِيرَ بَاقٍ لَكَ مَا دَامَتِ الْحَرْبُ قَائِمَةً، وَ بَعْدَ انْتِهَاءِ حَالَةِ الْحَرْبِ فَهَذَا الْحُكْمُ يَنْتَفِى بِانْتِفَاءِ مَوْضُوعِهِ. ذَلِكْ أَى الْأَمْرُ هَكَذَا وَ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَأَنْتَصَرَ مِنْهُمْ بِأَهْلٍ- كَهُمْ بِلَا- قِتَالٍ وَ لَكِنْ أَمَرَكُم بِهِ لِيُثْبِتُوا بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ أَى لِيَخْتَبِرَ الْكَافِرِينَ بِالْمُؤْمِنِينَ أَوْ يَخْتَبِرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ. وَ الَّذِينَ قُتِلُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ أَى جَاهِدُوا، فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ أَى فَلَنْ يَضِيْعَ اللَّهُ مَا عَمِلُوا سَيَهْدِيهِمْ إِلَى الْجَنَّةِ وَ يُضِلُّ بِالْهَمِّ أَى حَالِهِمْ فِى الدَّارَيْنِ وَ يُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ أَى فِى حَالٍ هُوَ تَعَالَى عَرَفَ لَهُمْ الْجَنَّةَ فِى الدُّنْيَا عَلَى أَلْسِنَةِ أَوْلِيَائِهِ وَ أَنْبِيَائِهِ وَ رُسُلِهِ وَ قِيلَ: وَ عَدَهُمْ بِهَا. ٧- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ... أَى صَدَّقُوا النَّبِيَّ فِيمَا جَاءَ بِهِ إِنَّ تَنْصُرُوا اللَّهَ أَى دِينَهُ وَ نَبِيَّهَ بِجِهَادٍ أَعْدَائِهِمَا يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ بِالْغَلْبَةِ عَلَيْهِمْ وَ يُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ أَى يَشْجَعْ قُلُوبَكُمْ فِى مَقَامِ الْخَوْفِ وَ مَوَاقِفِ الْحَرْبِ. ٨- وَ الَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ ... أَى مَكْرُوهاً وَ سُوءَ لَهُمْ. وَ هُوَ دَعَاءٌ عَلَيْهِمْ وَ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ أَى مَا أَوْرَدَهَا فِى مَعْرِضِ الْقَبُولِ أَصْلًا وَ أَحْبَطَهَا. ٩- ذَلِكْ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ... أَى التَّعَسُّ وَ الْإِضْلَالَ لِكِرَاهَتِهِمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنَ الْقُرْآنِ وَ الْأَحْكَامِ، فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ أَى أَبْطَلَهَا لِأَنَّهَا لَمْ تَقَعْ عَلَى الْوَجْهِ الْمَأْمُورِ بِهِ. ١٠- أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِى الْأَرْضِ ... إلخ المراد بالاستفهام هُوَ الْأَمْرُ التَّحْرِيطُ لِلْهَوْلَاءِ الْكَافِرِينَ عَلَى السَّفَرِ أَى فَهَلَا- سَارُوا وَ رَأَوْا عَوَاقِبَ أَوْلَئِكَ الْجَا حِدِينَ الْمَكْذِبِينَ لِرُسُلِهِمْ مِنَ الْأُمَمِ السَّابِقَةِ عَلَيْهِمْ كَيْفَ أَهْلَكَهُمُ اللَّهُ هَلَاكَ اسْتِثْصَالَ مَعَ أَمْوَالِهِمْ وَ أَهْلِيهِمْ وَ لِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا أَى وَ لِلْمَكْذِبِينَ بِكَ يَا مُحَمَّدُ مِثْلَ ذَلِكَ مِنَ الْعَذَابِ إِنْ أَصْرُوا عَلَى عِنَادِهِمْ وَ كَفَرُوا. ١١- ذَلِكْ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا ... أَى نَاصِرَ الْمُؤْمِنِينَ وَ قَاهِرَ الْكَافِرِينَ وَ أَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ حَتَّى يَدْفَعَ الْعَذَابَ عَنْهُمْ. إِرْشَادُ الْأَذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ١٢٥١٣- إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا ... أَى يَأْذَنُ لَهُمْ فِى الدَّخُولِ، وَ يَوْفِقُهُمُ لِلْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ لِيَكُونُوا فِى جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أَى مِنْ تَحْتِ الْأَشْجَارِ تَجْرَى الْأَنْهَارُ وَ الَّذِينَ كَفَرُوا يَمْتَتِعُونَ أَى يَنْتَفِعُونَ بِالْأَمْتَعَةِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَ يَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ أَى يَنْهَمِكُونَ فِى شَهَوَاتِهِمْ غَافِلِينَ عَنْ عَوَاقِبِ أَمْرِهِمْ كَالْبَهَائِمِ فِى مَعَالِفِهَا غَافِلَةً عَمَّا تَوَوَّلَ إِلَيْهِ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا مِنَ النَّحْرِ وَ الدَّبْحِ. وَ النَّارُ مَثْوًى لَهُمْ أَى مَنْزِلٌ وَ مَقَامٌ لَهُمْ. ١٣- وَ كَأَيُّنَ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً ... أَى وَ كَمَ مِنْ أَهْلِ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً أَى جِسْمًا وَ سَطْوَةً وَ بَسْطَةً وَ عَدَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْتِكَ أَهْلُكُنَاهُمْ أَى مِنْ قَرْيَتِكَ يَا مُحَمَّدُ وَ هِيَ مَكَّةُ الَّتِي أَخْرَجَكَ أَهْلُهَا مِنْهَا وَ مَعَ هَذِهِ الْأَشْدِيَّةِ فِى قُوَّةِ أَوْلَئِكَ أَهْلُكُنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ أَى لَا مَعِينَ يَدْفَعُ عَنْهُمْ الْعَذَابَ وَ الْهَلَاكَ. ١٤- أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيْتِهِ مِنْ رَبِّهِ ... أَى عَلَى حِجَّةٍ وَاضِحَةٍ وَ بَرَهَانٍ سَاطِعٍ. كَمَنْ زَيْنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ يَعْنِى حَسَنَ لَهُ الشَّيْطَانُ الْمَعَاصِي وَ أَغْوَاهُ. وَ اتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ أَى انْسَاقُوا وَرَاءَ شَهَوَاتِهِمْ وَ مَا يُمِثِّلُ إِلَيْهِمْ طَبَاعَهُمْ. ١٥- مِثْلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ ... أَى صِفَةُ أَهْلِ الْجَنَّةِ الْمَوْصُوفَةُ بِأَنَّهَا مَوْعِدَةٌ لِلْمُتَّقِينَ هَذِهِ الْمَذْكُورَةُ وَ هِيَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ أَى غَيْرِ مُتَغَيِّرِ الطَّعْمِ وَ الرِّيحِ وَ اللَّوْنِ لِعَارِضِ كَمِيَاهِ الدُّنْيَا وَ أَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ أَى بِالْحَمُوضَةِ أَوْ غَيْرِهَا لَطُولِ الزَّمَانِ أَوْ حَرَارَةِ الْهَوَاءِ كَمَا يَحْصُلُ لِلْبَنِّ الدُّنْيَا وَ أَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٌ لِلشَّارِبِينَ أَى أَنَّ خَمُورَ الْجَنَّةِ مَطْرَبَةٌ وَ مِلْدَذَةٌ وَ مَفْرَحَةٌ لِلشَّارِبِينَ وَ مَنْزَهُةٌ عَنْ كِرَاهَةِ الرِّيحِ وَ غَائِلَةٌ لِلْيَكْرِ كَمَا هُوَ حَالُ خَمْرِ الدُّنْيَا وَ أَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى أَى مِنْ جَمِيعِ الْكَدُورَاتِ كَالشَّمْعِ وَ مَدْفُوعَاتِ النُّحْلِ وَ مَا يَتَصَوَّرُ فِيهِ. وَ لَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ أَى مِنْ جَمِيعِ مَا يَتَصَوَّرُ وَ مَا لَا يَتَصَوَّرُ كَمَا وَ كَيْفَا مِنْ أَصْنَافِ الْفَوَاكِهِ وَ أَقْسَامِهَا خَالِيَةً مِنْ جَمِيعِ الْعُيُوبِ وَ الْآفَاتِ لِفَوَاكِهِ الدُّنْيَا وَ مَغْفَرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ أَى مُضَافًا إِلَى مَا ذَكَرَ أَنَّهُ تَعَالَى يَكْرُمُ أَهْلَ الْجَنَّةِ بِسِتْرِ الذُّنُوبِ وَ تَغْطِيَتِهَا وَ التَّجَاوُزَ عَنْهَا. كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ؟ أَى مَنْ كَانَ فِي هَذِهِ النِّعَمِ وَ هَذَا النِّعِيمِ كَمَنْ هُوَ دَائِمُ الْبَقَاءِ مُؤَبَّدٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَ شَبُّوا مَاءً حَمِيمًا أَى مَاءً فِي غَايَةِ الْحَرَارَةِ وَ شِدَّتِهَا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ أَى تَتَلَاشَى وَ تَسِيلُ بِمَجْرَدِ الشَّرْبِ مِنْ فَرْطِ الْحَرَارَةِ. ١٦- وَ مِنْهُمْ مَنْ يَشْتَمِعُ إِلَيْكَ ... إلخ نَزَلَتْ فِي الْمُنَافِقِينَ أَى وَ مِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ تَقْدَمُ ذِكْرُهُمْ مِنْ يَسْتَمِعُ إِلَى قِرَاءَتِكَ وَ كَلَامِكَ يَا مُحَمَّدُ فَإِذَا أَخْرَجُوا قَالُوا لِمَنْ صَدَّقَ بِاللَّهِ وَ بِرَسُولِهِ وَ فَهَمَّ مَا تَلَفَظَ بِهِ (ص): أَى شَيْءٌ قَالَ النَّبِيُّ السَّاعَةَ. وَ كَانُوا يَقُولُونَ

ذلك إما استهزاء أو لإظهار عدم اهتمامهم بما قال أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وأتبعوا أهواءهم أى خلاهم و اختيارهم فتمكن الكفر فى قلوبهم فكانوا يعملون طبق ما تشتهيه أنفسهم كالبهائم. ١٧- وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى ... أى أن الذين اهتدوا بما سمعوا من النبى (ص) زادهم الله أو قراء القرآن أو النبى (ص) إيماناً بلطف الله بهم و آتاهم تقواهم أى أعطاهم جزاء التقوى، أو وقَّعهم للتقوى فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أى ما ينتظرون إِلَّا القيامة أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً أى فجأة فَصَدَّ جَاءَ أَشْرَاطُهَا أى ظهرت علاماتها فَأَتَى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرُهُمْ أى لا ينفعهم تذكُّرهم و تبتُّهم و ندمهم حينما تجىء الساعة فقد انسَدَّتْ أبواب التوبة و الندامة. ١٩- فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ... تفريع على ما مضى، أى إذا علمت سعادة المؤمنين و شقاوة الكفرة فاعلم أَنَّهُ لا يبقى فى العالم ذو حياة إِلَّا الله الذى هو موصوف بالحياء الدائمة و بالواحدية و الوحداية. و هذه كناية عن قرب موته (ص) وَ اسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ إخبار به. و قيل إن أمره بالاستغفار لتكميل النفس بإصلاح أحواله و أفعاله و التوجه إليه تعالى دائماً و فى الآية أقوال آخر و لِلْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ أمر سبحانه نبيه بالاستغفار لهم لأنه أبو الأمة الشفيق فأمر الله تعالى رسوله بالاستغفار لنفسه و للأمة إما من باب التذكير أو من باب التعليم أو بيان كرامة المؤمنين عليه سبحانه. وَ اللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَ مُتَوَكُّمَ أى متشركم بالثَّهَار و مستقركم بالليل أو منصرفكم و أمكنة ذهابكم و إيابكم فى الدنيا و مثواكم فى الآخرة من الجنة و النار. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٥١٤ ٢٠- وَ يَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْ لَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ... أى لماذا لم تنزل سورة فى الجهاد مع هؤلاء المعاندين و المشركين فَإِذَا أَنْزَلْتُ سُورَةً مُحْكَمَةً وَ ذَكَرَ فِيهَا الْقِتَالَ أى غير متشابهة مبنية ظاهرة فى أمر الجهاد، رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أى النفاق أو ضعف الإيمان يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ أى كمن عرضت له الغشية تراه مبهوراً متحيراً خوفاً من الموت فَأَوَّلَى لَهُمْ أُولَى فى هذه الموارد كلمه وعيد و معناها قد قاربهم الشر فليحذروا، أو فويل لهم بمعنى اللعن و العذاب و الزجر. ٢١- طَاعِيَةٌ وَ قَوْلٌ مَعْرُوفٌ ... أى إطاعة أوامر الله و القول بأننا نجاهد فى الله بأموالنا و أنفسنا خير و أحسن قليلاً لهم من إظهار الكراهية و الاشمئزاز عند نزول آية الجهاد فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ أى جاء وقت العمل و توطين النفس على الفعل فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ أى لو عملوا بما كانوا يطلبونه معجلاً من نزول الأمر بالجهاد لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ أَنْ يصدقوا الله من نفاقهم. ٢٢- فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ ... أى أ ترجون يا معشر المنافقين بأنكم لو ملكتم أمر الناس و تسلطتم على رقابهم أَنْ تُفْسِدُوا فى الْأَرْضِ بأخذ الرشى و أخذ أموال الناس بغير الحق و قتل النفس المحترمة و غير ذلك وَ تَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ بأن لا تزورهم و لا تسألوا عن أحوالهم و لا تساعدوهم فيما يحتاجون إليه و نحو ذلك و الاستفهام للتقرير. ٢٣- أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ ... أى أبعدهم من رحمته فلا يشملهم فضله و إحسانه وجوده. فَأَصْمَهُمْ وَ أَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ أى خلاهم و تركهم على ما هم عليه من الأخلاق الرذيلة و العقائد السخيفة. ٢٤- أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ ... أى فلا يتفكرون بالقرآن حتى يقرؤا بما عليهم من الحق و يعتبروا. أَمْ عَلَى قُلُوبِ أَقْفَالُهَا أى أم قلوبهم مقفلة لا يدخلها الهدى و لا يصل إليها ذكر. ٢٥- إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ ... أى رجعوا إلى كفرهم و نفاقهم مِنْ بَعِيدٍ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى بالحجج الواضحة، و ظهر لهم طريق الحق بالحجج الواضحة الشيطان سَوَّلَ لَهُمْ وَ أَمْلَى لَهُمْ أى زين لهم اتباع أهوائهم فى آمالهم، أو مدَّ أَمْلَهُمْ بطول أعمارهم. ٢٦- ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا ... إلخ أى التسويل و الإمهال كان منه سبحانه، لأنَّ المشركين و المنافقين منهم قالوا للذين كانوا باقين على كفرهم و كانوا كارهين لما أنزل الله من القرآن و ما فيه من الأحكام سَنُطِيعُكُمْ فى بَعْضِ الْأَمْرِ كالتظاهر على عداوة محمد (ص) و القعود عن الجهاد. وَ اللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ أى يظهرها للناس ليفضحها و يكشف سوء سرائرهم. ٢٧- فَكَتِفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ ... أى كيف يعملون و كيف تكون حالهم إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ و كانوا يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَ أَدْبَارَهُمْ التى كانوا يتقون أَنْ تصيبها آفة فى القتال فيفرون و يتجنبون أذاها. ٢٨- ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ ... أى اتبعوا ما أغضب من المعاصى الكبار وَ كَرِهُوا رِضْوَانَهُ أى ما يرضيه من الإيمان فَاحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ أى أبطل ما عملوا من الخيرات لذلك. ٢٩- أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ... أى هل ظن مرضى النفاق و العناد أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَصْغَانَهُمْ أى لن يبرز الله لرسوله و المؤمنين أحقادهم؟ إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٥١٥ ٣٠- وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ ... أى لعرفناكم بدلائل يا محمد فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ أى بعلامتهم و هيئتهم وَ لَتَعْرِفَنَّهُمْ فى لَحْنِ الْقَوْلِ أى بتصيير القول و تبديله عن الصواب و فحوى الكلام وَ اللَّهُ يَعْلَمُ

أَعْمَالَكُمْ مِنْ حَيْثُ كَوْنِهَا بِإِخْلَاصٍ أَوْ نِفَاقٍ فَيَجَازِيكُمْ عَلَى حَسَبِ نِيَّاتِكُمْ. ٣١- وَ لَنْبَلُوكُمْ ... أَى لَنخْتَبِرَنَّكُمْ بِالْجِهَادِ وَ سَائِرِ الْأَعْمَالِ الشَّاقَّةِ حَتَّى نَعْلَمَ نَمِيزَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ الْمُطِيعِينَ مِنْ جَمَلَتِكُمْ وَ الصَّابِرِينَ عَلَى التَّكَالِيفِ الشَّاقَّةِ وَ نَبْلُوكُمْ أَخْبَارَكُمْ عَنْ إِيْمَانِكُمْ وَ مَوَالِيَتِكُمْ الْمُؤْمِنِينَ فِي صَدَقَتِهَا وَ كَذِبِهَا. ٣٢- إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ صَدُّوا ... إلخ أَى لَمْ يُؤْمِنُوا وَ مَنَعُوا غَيْرَهُمْ عَنْ اتِّبَاعِ دِينِ اللَّهِ بِالْتَّرْغِيبِ وَ التَّرْهيبِ وَ شَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ الْهُدَى أَى عَانَدُوهُ وَ عَادُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا ظَهَرَ لَهُمُ الْحَقُّ وَ عَرَفُوا أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ صَدَقًا. لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا مَنَعَهُمْ وَ مَخَالَفَتَهُمُ لِلنَّبِيِّ وَ نَقْضَ عَهْدِهِمْ وَ سَيُخِيطُ أَعْمَالَهُمْ فَلَنْ يَرَوْا لَهَا فِي الْآخِرَةِ ثَوَابًا. ٣٣- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ ... أَى فِي أَوَامِرِهِ وَ نَوَاهِيهِ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ فِيمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ وَ لَا- تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ بِمَا يَنَافِي الْإِخْلَاصَ مِنْ كُفْرٍ وَ عَجْبٍ وَ رِيَاءٍ وَ مَنْ وَ أَذَى وَ غَيْرِهَا. ٣٤- إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ صَدُّوا ... إلخ أَى الَّذِينَ مَنَعُوا وَ صَرَفُوا النَّاسَ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ ثُمَّ مَاتُوا وَ هُمْ كُفَّارٌ أَى آمَنُوا إِلَى أَنْ مَاتُوا عَلَى الْكُفْرِ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ أَى لَنْ يَفْتَحَ بَابَ الرَّحْمَةِ الْوَاسِعَةِ لَهُمْ أَبَدًا وَ يَكُونُونَ فِي الْعَذَابِ الْأَبَدِيِّ. ٣٥- فَلَا- تَهِنُوا وَ تَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ ... أَى لَا- تَضَعُوا عَنِ الْقِتَالِ وَ تَدْعُوهُمْ إِلَى الصِّلَاحِ وَ أَنْتُمْ الْمَاعِلُونَ وَ الْحَالُ أَنْكُمْ الْغَالِبُونَ، وَ اللَّهُ مَعَكُمْ أَى نَاصِرَكُمْ وَ مَعِينَكُمْ وَ لَنْ يَتَرَكَكُمْ أَعْمَالَكُمْ أَى لَنْ يَنْقُصَكُمْ أَجْرُهَا. ٣٦ وَ ٣٧- إِنَّمَا الْحَيَاءُ الدُّنْيَا لِعِبٍّ وَ لَهُوَ ... أَى سَرِيعَةُ الْفَنَاءِ وَ الْإِنْقِضَاءِ وَ مِنْ اخْتَارَ الْفَنَاءَ عَلَى الْبَاقِي كَانَ جَاهِلًا- وَ إِنْ تَوَمَّنُوا وَ تَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أَجُورَكُمْ مِنْ ثَوَابِ إِيْمَانِكُمْ وَ أَجْرِ تَقْوَاكُمْ. وَ لَا يَسْئَلُكُمْ أَمْوَالُكُمْ أَى جَمِيعِ الْأَمْوَالِ بَلْ يَقْتَصِرُ عَلَى يَسِيرِ مِنْهَا كَالْعَشْرِ وَ نِصْفِ الْعَشْرِ، إِنْ يَسْأَلُكُمْ هِيَ أَى سَبْحَانَهُ إِنْ يَطْلُبُ مِنْكُمْ جَمِيعَ أَمْوَالِكُمْ فَيُخْفِكُمْ تَبَخَّلُوا أَى يَجْهَدُكُمْ بِمَسْأَلِهِ جَمِيعَ أَمْوَالِكُمْ لَا تَجْبِيهِ وَ تَبْخُلُونَ فِي مَسْئَلِهِ وَ يُخْرِجُ أَضْغَانَكُمْ يَظْهَرُ الْعِدَاوَةُ الَّتِي فِي صُدُورِكُمْ. ٣٨- هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ ... أَى أَنْتُمْ يَا هَؤُلَاءِ تَدْعُونَ لِنُفُوقِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَوْ دَعَيْتُمْ لِإِنْفَاقٍ مِقْدَارَ مِنْ أَمْوَالِكُمْ فِي نَفَقَةِ الْجِهَادِ وَ مَصَارِفِ الْفُقَرَاءِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ أَى مِنْ جَمَلَتِكُمْ مَنْ يَبْخُلُ بِمَالِهِ وَ لَا يَرْضَى الْإِنْفَاقَ. وَ مَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَنْ نَفْسِهِ أَى مَنْ أَمْسَكَ عَمَّا فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْهِ فَبَخْلُهُ بِخَلِّ عَلَى نَفْسِهِ لِأَنَّهُ ضَرَرَهُ عَائِدٌ عَلَيْهِ وَ اللَّهُ الْغَنِيُّ لَا يَحْتَاجُ إِلَى إِنْفَاقِكُمْ وَ أَمْوَالِكُمْ وَ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْخَيْرِ وَ الرَّحْمَةِ فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ وَ إِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ أَى وَ إِنْ تَعَرَّضُوا عَنْ طَاعَتِهِ وَ طَاعَةِ رَسُولِهِ يَسْتَبْدِلْكُمْ بِمَنْ هُوَ أَطْوَعُ لِلَّهِ مِنْكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ أَى فِي مَعَادَاتِكُمْ وَ خِلَافِكُمْ وَ ظُلْمِكُمْ لِمُحَمَّدٍ وَ آلِ مُحَمَّدٍ (ص). إِرْشَادُ الْأَذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ٥١٦

سورة الفتح مدنية، عدد آياتها ٢٩ آية

١- إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ... أَى قَضَيْنَا لَكَ يَا مُحَمَّدٌ قَضَاءَ ظَاهِرًا. قِيلَ الْمُرَادُ بِهِ فَتْحُ مَكَّةَ، وَ قِيلَ صَلَاحُ الْحَدِيثِ. ٢- لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ ... أَى الْمَتَقَدَّمُ مِنْ تَرَكَكَ الْمُنْدُوبِ يَعْنِي مَا قَبْلَ النَّبُوءَةِ، وَ الْمَتَأَخَّرُ مِنْ تَرَكَهِ بَعْدَهَا وَ قِيلَ الْمُرَادُ ذُنُوبَ أُمَّتِهِ بِشَفَاعَتِهِ (ص) وَ حَسَنَتْ إِضَافَةُ ذُنُوبِ أُمَّتِهِ إِلَيْهِ (ص) لِلاتِّصَالِ وَ السَّبَبِ بَيْنَهُ وَ بَيْنَ أُمَّتِهِ. وَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ أَى بِإِعْلَاءِ أَمْرِكَ وَ إِظْهَارِ دِينِكَ وَ يَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا أَى إِلَى دِينِ الْإِسْلَامِ، أَوْ يَشْتَبِكُ عَلَى طَرِيقٍ يُوْدِي بِسَالِكِهِ إِلَى الْجَنَّةِ. ٣- وَ يُنْصِرِكَ اللَّهُ نَصِيرًا ... أَى يَنْصُرُكَ نَصْرًا فِيهِ مَنَعَةٌ وَ لَا ذَلٌّ مَعَهُ رَغْمًا لِأَنُوفِ أَعْدَائِكَ. ٤- هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ ... هِيَ الْقُوَّةُ الْمَلَكُوتِيَّةُ أَوِ الْأَدْلَةُ وَ الْبَرَاهِينُ السَّاطِعَةُ الَّتِي تَسْتَلْزِمُ بِصِيرَتِهِمْ فِي الْغَزَوَاتِ وَ الْفَتْوحَاتِ فَتَكُونُ مُوجِبَةً لَتَسْكِينِ قُلُوبِهِمْ وَ قِيلَ هِيَ الْإِيْمَانُ الْكَامِلُ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ لَمْ يَخَالَفُوا النَّبِيَّ الْأَكْرَمَ وَ لَمْ يَنْكُرُوا عَلَيْهِ الصِّلَاحَ لِيَزْدَادُوا إِيْمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ أَى إِيْمَانًا بِالْشَّرَائِعِ كُلِّهَا الَّتِي تَنْزَلَ عَلَى الرَّسُولِ، مَعَ إِيْمَانِهِمْ بِاللَّهِ تَعَالَى. وَ لِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ أَى مَا يَتَجَنَّدُ مِنْهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَ الثَّقَلَيْنِ وَ غَيْرِهِمْ مِنْ ذَوَاتِ الْأَرْوَاحِ مُطْلَقًا حَتَّى الْحَشَرَاتِ وَ الْهَوَامِ وَ غَيْرِ ذَوَاتِ الْأَرْوَاحِ مِنَ الْجَمَادَاتِ كَالْأَرْيَاحِ وَ الْأَمْطَارِ وَ مُطْلَقِ الْمِيَاهِ كَالْبَحَارِ وَ الصَّوَاعِقِ وَ الزَّلَازِلِ وَ نَظَائِرِهَا مِنَ الْمُمْكِنَاتِ، فَإِنَّهَا جَمِيعًا لَهَا الْقَابِلِيَّةُ لِأَنَّهُ تَكُونُ جُنُودَهُ تَعَالَى وَ يَهْلِكُ بِهَا أَعْدَاءُهُ سَبْحَانَهُ كَمَا أَهْلَكَهُمْ بِهَا مَرَارًا. وَ كَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا مَرَّعًا. ٥- لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ ... إلخ. تَقْدِيرُهُ: إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِ أَشْجَارِهَا وَ قُصُورِهَا الْأَنْهَارُ دَائِمِينَ فِيهَا مُؤَبَّدِينَ لَا يَزُولُ عَنْهُمْ نَعِيمُهَا وَ كَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا أَى الْإِدْخَالَ وَ

www.noorfatemah.org

بأس شديد تُقاتِلُونَهُمْ و المراد أن النبي (ص) عمّا قريب يدعوهم إلى قتال أقوام ذوى نجدة و شدة مثل أهل حنين و الطائف و مؤتة و تبوك و هوازن و غيرهم من المشركين أو يُشِلُّمُونَ معناه أن أحد الأمرين لا بد أن يقع إما دخولهم فى الإسلام أو قتالكم لهم. فَإِنْ تُطِيعُوا أى تجيبوا إلى قتالهم. يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا أى جزاء صالحا. وَإِنْ تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ أى كما انصرفتم عن الحديبية يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا أى فى الآخرة. ١٧- لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ ... إلخ لما أوعد الله المتخلفين ظنّ العجزة إن الوعيد شملهم فنزلت الآية الشريفة لتسكين خواطرهم و أنهم معذرون فلا بأس عليهم إذا تخلّفوا و لا إثم عليهم فى ترك الجهاد. وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أى من يطع الله فى الأمر بالقتال و فى غيره له ذلك النعيم. وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا أى و من يتخلف و يعرض عن أمر الله و رسوله فيقعد عن القتال يعذبه عذابا موجعا فى الدنيا و الآخرة. ١٨ و ١٩- لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْ الْمُؤْمِنِينَ ... قد سبق تفصيله و قلنا إن وجه تسميته هذه المعاهدة ببيعة الرضوان لهذه الآية، إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْإِخْلَاصِ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ أى اللطف المقوى لقلوبهم و الطمأنينة و أَنَابَهُمْ فَتَحًا قَرِيبًا أى فتح خبير و قيل فتح مكة. وَ مَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا هى أموال أهل خبير يجمعونها و يملكونها وَ كَانَ اللَّهُ غَزِيرًا حَكِيمًا مر معناه. ٢٠- وَعِدْتُكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً ... إلخ أى لا تنحصر فى مغانم خبير بل مع النبي و بعده إلى يوم القيامة فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ أى غنائم خبير وَ كَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ من أهل خبير و حلفائهم، و ذلك أن النبي (ص) لما قصد خبير و حاصر أهلها هَمَّتْ قبائل من أسد و غطفان و هوازن أن يهجموا على أموال المسلمين و عيالاتهم بالمدينة فكفّ الله أيديهم عنهم بالرّعب فى قلوبهم من النبي و عسكره وَ لَتَكُنْ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ و لتكون إِمَارَةً دَالَّةً عَلَى صَدَقِ النَّبِيِّ (ص) فى وعده للمؤمنين بأخذهم الغنائم وَ يَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا أى يثبتكم على طريق الحق بفضله. ٢١- وَ أُخْرَى ... أى وعدكم مغانم أخرى لَمْ تَقْدُرُوا عَلَيْهَا و لعلّ المراد بها غنائم فارس أو الروم أو هوازن. قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا علما بأنها ستصير إليكم وَ كَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا أى قادرا على فتح البلاد و إيصال الغنائم و غير ذلك من الأمور. ٢٢- وَ لَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَذْبَارَ ... أى يا رسول الله اعلم أنه لو قاتلك الكفرة فهم المغلوبون المنهزمون سواء كانوا من قريش أو غيرهم. ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَ لَا نَصِيرًا أى محبا يتودّد إليهم و يحرسهم و لا ناصرهم ينصرهم. ٢٣- سَيُنَظَّرُ اللَّهُ الَّذِينَ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ ... أى عادة الله السالفة و ديدنه القديم على تغليب أوليائه على أعدائهم وَ لَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا أى تغييرا. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٥١٩ ٢٤- وَ هُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ ... أى بالرعب و المقصود بهم المشركون وَ أَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ أى بالنهى عن قتالهم بِبَطْنِ مَكَّةَ المراد ببطن مكة هو الحديبية فإنه يحسب من داخل مكة. مِنْ بَعِيدٍ أَنْ أَطْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ أى جعلكم تغلبونهم. وَ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا من جدالكم معهم أولا و اطلاقكم إياهم بعد أخذكم لهم. ٢٥- هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ صَدُّوكُمْ ... إلخ الضمير راجع إلى كفار مكة الذين منعوا الرسول و الصّحابة من دخولهم الحرم ليطوفوا فيه و يحلوا من عمرتهم. وَ الْهَيْدَى مَعْكُوفًا أى و صدوا الهدى و هى البدن التى ساقها (ص) معه و كانت سبعين من أن يبلغ محل نحره و هو مكة. و بعد أن تم الصلح نحرها (ص) فى الحديبية. وَ لَوْ لَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَ نِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ يعنى بمكة ممن كانوا من المستضعفين من أهل الإيمان لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أى أنتم لا تعرفونهم و غيركم أيضا أَنْ تَطَّوُّهُمْ أى أن تهلكوهم حين المقاتلة لو أذن لكم فَتَصَيْبُكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ أى بعد علمكم بقتلهم تلزمكم من جهتهم تبعه من دية أو إثم. بِغَيْرِ عِلْمٍ موضعه التقديم و تقديره: لولا أن تطوهم بغير علم لِيُدْخَلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ أى فكفّ عن القتال و صولحوا ليدخل الله برحمته من يشاء أى ممن أسلم من الكفار بعد صلح الحديبية. لَوْ تَزَيَّلُوا أى لو تميّز المؤمنون من الكافرين بأشخاصهم لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا باهلا-ك الكفرة و سبى عيالاتهم و ذراريتهم و نهب أموالهم أو إحراق بيوتهم عليهم و المقصود الكفرة من أهل مكة. ٢٦- إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ ... أى لعذبنا الذين كفروا و أذنا لك فى قتالهم حين جعلوا فى قلوبهم الأنفة التى تحمى الإنسان و تغضبه حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ يعنى نخوة الجاهلية و أنفها التى أشربت فى قلوبهم بحيث لا ينقادون لأحد فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ و لما كانت الحمية التى فى قلوبهم مانعة لإذعانهم و تصديقهم بالألوهية و التوحيد و الرسالة فَأَنْزَلَ اللَّهُ الطمأنينة على قلبه (ص) و قلوب أتباعه ليتحملوا حمية القوم و أذاهم وَ أَلَزَمَهُمْ كَلِمَةً الثَّقَوَى أى قول لا إله إلا الله و المعنى ثبتهم

عليها. وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلُهَا أَى لكونها أحقَّ بها وأهلها لها وغيرهم ليسوا كذلك وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا مَرَّعًا. ٢٧- لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ ... إلخ فقد رأى رسول الله (ص) هذه الرؤيا قبل خروجه إلى الحديبية و صدقه الله رؤياه إذ رأى أنه وأصحابه دخلوا مكة آمنين من أعدائهم محلّقين رؤوسهم وبعضهم يقصر بأخذ شيء من شعره أو ظفره وذلك بأن وفّقهم فى السنة التالية لسنة الرؤيا لفتح مكة والإتيان بفريضتهم بتمامها وفق ما كان قد رأى رسول الله (ص). فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا أَى فعلم سبحانه من الصلاح والحكمة فى صلح الحديبية ما لم تعلموه أنتم وهو خروج المؤمنين من بين الكفار بعد الصلح فجعل من قبل دخولكم مكة على هذه الصفة فتح خير. ٢٨- هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى ... يعنى أرسل سبحانه محمداً بالدليل الواضح و قيل: بالقرآن ... وَدِينِ الْحَقِّ أَى الإسلام لِيُظْهِرَهُ أَى ليعلو دين الإسلام عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ أَى على الأديان كلها بالحجة والبراهين الواضحة وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا على ما وعده المؤمنين من القهر والغلبة على المشركين. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٥٢٠

٢٩- مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ ... جملة مؤكدة لما فى الآية السابقة من قوله أَرْسَلَ رَسُولَهُ الَّذِينَ مَعَهُ والمراد بهم أصحابه الخالص. ومعنى الأشداء: الغلاظ الشداد لا يعصون الرسول ما أمرهم رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ أَى متعاطفون فيما بينهم تَرَاهُمْ رُكْعًا سَجْدًا كناية عن كثرة صلاتهم يَتَّبِعُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا أَى لا يبتغون من غيره شيئاً فلذا يسألون منه تعالى زيادة ثوابه ورضاه منهم سِيمَاهُمْ فى وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ أَى علامة إيمانهم ظاهرة فى وجوههم حيث تكون مواضع جباههم يوم القيامة أشد بياضاً. وقيل: هو التراب على الجباه لأنهم يسجدون عليه. ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فى التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فى الْإِنْجِيلِ أَى هذه الأوصاف العجيبة الحسنة هى صفتهم فى كتاب موسى و صفتهم فى كتاب عيسى، كَرَزِعَ أَخْرَجَ شَطْأَهُ أَى ورقه الذى هو فى غاية الدقة والضعف فَازَرَهُ أَى فقواه تدريجاً فَاسْتَعْظَمَ أَى تدرّج و نما حتى صار من الدقة إلى الغلظة، و من الضعف إلى القوة فَاسْتَوَى عَلَى سُوْقِهِ أَى وصل إلى مرتبة من القوة والاستعداد حتى استقرّ واعتدل على أصوله. يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ أَى لغلظه واستوائه فى تلك المدة القليلة. و وجه التشبيه أن النبى (ص) خرج وحده ثم كثر المؤمنون حتى تغلبوا على الكافرين فى مدة وجيزة لِيُغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ أَى إنما كثر الله المؤمنين وقواهم ليكونوا غيظاً للكافرين بتكاتفهم و حرصهم على الطاعة وَعِدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا أَى الجنة بمراتبها على درجات إيمان المؤمنين وأعمالهم فى الكثرة والقلّة، فإنها الفوز العظيم والأجر الجزيل الذى لا يتصور فوقه شيء.

سورة الحجرات مدنية، عدد آياتها ١٨ آية

١- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ... أَى لا تعملوا عملاً إلّا بإذنها، ولا تفعلوا فعلاً قبل أن يحكما به. وقيل إن المراد بالتقدم هو التقدم فى المشى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ أَى اجتنبوا معاصيه وأطيعوا أوامره ونواهي. ٢- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ... لأن فيه أحد أمرين إما الاستخفاف به وهو الكفر وإما سوء أدب فهو خلاف الأمر بتعظيمه. وَ لَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَى غصوا أصواتكم فيما خاطبتموه فإنه ليس كأحدكم حيث إن له شأنًا شامخاً ليس لأحد من البشر من آدم ومن دونه. أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ عِلَّةٌ لِلنَّهْيِ لِمَخَافَةِ حَبُوطِ أَعْمَالِكُمْ بلا شعور منكم بالحبط وعلته. ٣- إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ... أَى يخفضون أصواتهم فى مجلسه (ص) تعظيماً له أَوَّلِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى أَى اختبرها فأخلصها للتقوى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ أَى مغفرة لذنوبهم وأجر لطاعتهم. ٤- إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ ... من خارجها أو خلفها: يا محمد أخرج إلينا فإن لنا حاجة إليك. و المقصود حجرات نساءه (ص) و هم الأجلاف الجفأة من بنى تميم. أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ و صفهم سبحانه بالجهل و قلّة العقل إذ لم يعرفوا مقدار النبى (ص) وعظمته ولأن مقتضى العقل مراعاة الحشمة مع الرئيس مطلقاً فضلاً عن أن يكون نبياً مرسلًا. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٥٢١-٥. وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ... أَى حتى يخرج إليهم بطبعه واختياره، لكان الصبر أدباً وتعظيماً لشأنه (ص) خيراً لهم من مناداته من وراء الحجرات. وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ لمن تاب منهم. ٦- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ ... أَى لو أخبركم من لا يتجنب الكذب

وغيره من المناهى والمنكرات بخبر ما فتيتونوا تحققوا منه أن تصيبوا قوماً بجهالة مخافة أن توقعوا جماعة من المؤمنين فى مصيبة جاهلين بحالهم فتصيحوا على ما فعلتم نادمين أى فتصيروا على عملكم مغتمين و متمنين قائلين يا ليت أنه لم يقع إذ لا تفيدكم الندامة.

٧- وَاَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ ... الآية الشريفة تنبيه للمؤمنين أى فاتقوا الله أن تكذبوه أو أن تقولوا باطلا- عنده لأن الله سبحانه يخبره بذلك فلا- تفعلوا عملا- يفتضح، لو يُطِيعُكُمْ فى كثير من الأمر لعنتم أى لا- يترقب أحد منكم أن يطيعه النبى (ص) فى أكثر أموره، بل حتى فى بعضها، لأنه لو كان كذلك لوقعتم فى الهلاك أو المشقة الشديدة التى لا تطاق وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ أى جلاه و حسنه فى قلوبكم بما أقامه من الأدلة على صحته و بما وعد عليه من الثواب العظيم. وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ بما توعد به من العقاب عليه و أقام الأدلة على قبحه و بألطافه سبحانه الصارفة لكم عنه و الفسوق أى كره إليكم الخروج عن طاعة الله إلى معاصيه و قيل: الفسوق الكذب. وَالْعِصْيَانُ جميع المعاصى. أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ أى الذين اتصفوا بالصفات المذكورة هم المهتدون إلى كل خير و سعادة. ٨- فَضَلْنَا مَنَ اللَّهِ وَنِعْمَهُ ... أى حبيت إليهم الإيمان و كرهت إليهم الكفر و المعاصى تفضلا منى عليهم و رحمته منى لهم. ٩- وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا ... أى فريقان من المؤمنين قاتل واحد منهما صاحبه. فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا أى بما فيه رضا الله و رسوله فَإِنْ بَعَثَ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْآخَرِ أى تعدت عن الحق بالنسبة إلى الأخرى و تجاوزت عن حدود الشرع فقاتلوا التى تبغى حتى تفتىء إلى أمر الله أى حتى ترجع إلى حكم الله فَإِنْ فَاءَتْ أى تحولت عما كانت عليه من البغى فأصلحوا بينهما بِالْعَدْلِ أى فلا- مفاضلة بينهما فى مقام الإصلاح و إلما لم ينتج الإصلاح، و أفسطوا أى اعدلوا فى الأمور جميعا لأن قوامها به إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ أى العادلين قولا و فعلا. ١٠- إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ... أى فى الدين تجب نصره بعضهم بعضا فأصلحوا بين أخوتكم أى إذا تشاجرا و تنازعا، و التثنية باعتبار الأغلب. وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ أى خافوا الله و احذروا عقابه و شدائد عذابه و لعلها تشملكم رحمته باتقائكم إياه جل و علا. ١١- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ ... أى لا يهزأ رجال من رجال. عسى أن يكونوا خيرا مِنْهُمْ إلخ أى لعل المسخور منه أو منها أكرم و أحسن عند الله من الساخر. وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ و لا يعيب بعضكم بعضا. وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ أى لا تلقبوا بعضكم بعضا بالألقاب الدنيئة المشعرة بالذم و التعيير. و قيل معناه لا يلعن بعضكم بعضا بِئْسَ الْإِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ أى لا تسموا المؤمنين بالأسماء التى تدل على فسقهم قبل إيمانهم كاليهودية و النصرانية و المجوسية أو يا خمار فبئس الاسم أن يقال له ذلك و قد آمن. وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ أى و من لم يرجع إلى طاعة الله بإقلاعه عن اللمز و التنازع و المعاصى فأولئك هم الظالمون نفوسهم بتعريضها لعقاب الله. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ١٢٥٢٢- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ ... أى اتقوا و دعوا كثيرا من الظن، و قيد بالكثرة لأن منه ما يحسن كحسن الظن بالله و بأهل الخير و الصلاح لكنه فى مقابل الظنون السيئة قليل من كثير. إِنَّ بَغْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ أى يستحق العقوبة عليه و هو مما كان يمكن دفعه بالعلم فلم يفعل بل رتب الأثر عليه. وَلَا تَجَسَّسُوا أى لا تتبعوا عورات المؤمنين و لا تتفحصوا عنهم و عن مجارى أمورهم لكى تطلعوا على سرائرهم و على سواآتهم و لا يَغْتَبِ بَعْضُكُمُ بَعْضًا الْغَيْبَ ذكر العيب بظهر الغيب على وجه تمنع الحكمة منه. و سئل النبى (ص) عن الغيبة فقال (ص): أن تذكر أخاك بما يكرهه، فإن كان فيه فقد اغتبه و إلّا فقد يهته. أَيْحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ و تأويله: إن ذكرك بالسوء من لم يحضرك بمنزلة أن تأكل لحمه و هو ميت لا- يحس بذلك أو كما كرهتم أن يأكل أحدكم لحم أخيه و هو ميت فاجتنبوا ذكره بالسوء حال غيبته عنكم وَاتَّقُوا اللَّهَ أى بترك الغيبة بل و سائر المعاصى إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ أما كونه توابا فلكثرة العاصين التائبين إليه تعالى أو لكثرة ذنوب المذنبين. ١٣- يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ ... إلخ أى من آدم و حواء و المعنى أنكم متساوون فى النسب فلا تفاخر بالأنساب وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا جَمَعَ شَعْب و هو أعم طبقات النسب و قبائل هى دون الشعوب. لِتَعَارَفُوا أى لأن يعرف كل واحد منكم الآخر عند اشتراك الاسم أو نحوه مما هو سبب للشبهة. إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ أى إن أكثركم ثوابا و أرفعكم منزلة عند الله أتركم لمعاصيه و أفعلكم لطاعاته. إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ أى عليم بأحوالكم خبير بسرائركم. ١٤- قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا ... نزلت الكريمة على ما يروى عن ابن عباس فى نفر من بنى أسد قدموا المدينة فى سنة مجده فأظهروا الإسلام و

أبطنوا الكفر و ذلك طمعا في الصدقة يأخذونها فأمر سبحانه نبيه بأن يخبرهم بما في نفوسهم و أنهم لم يصدقوا بالله و رسوله على الحقيقة و إنما هم مسلمون ظاهرا. وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ أى انقدنا و استسلمنا مخافة القتل و السبى أو طمعا في الزكاة. و بذلك يكون إسلامكم على ألسنتكم و لم تصدق قلوبكم و هذا يدل على أن الإيمان محله القلب. وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا أى إن تطيعوا الله و رسوله لا ينقص من أجر عملكم شيئا. إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ مر معناه. ١٥- إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ... أى المؤمنون الذين صدقوا بالله و رسوله ثُمَّ لَمْ يَزَالُوا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ أى لم يشكوا و لا- كذبوا فى ادعائهم الإيمان بأن قالوا بألسنتهم ما تنطوى عليه قلوبهم فعلا. ١٦- قُلْ أَتَعْلَمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ ... إلخ أى هل تخبرونه بما أنتم عليه من دين و معتقد فهو سبحانه عالم بذلك لا يحتاج إلى أخباركم إذ هو العالم المطلق الذى لا تخفى عليه خافية فى السموات و لا فى الأرض. ١٧- يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ... أى يحسبون أنك تستفيد بإسلامهم و لذا يعدونه منه عليك قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَى إِسْلَامِكُمْ لَا تَحْمِلُونِي جَمِيلًا به و لا منه بل الله يَمُنُ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ و له سبحانه الفضل و المنة على هدايتكم لهذا الدين الشريف إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ أى فى ادعاء الإيمان مضافا إلى الإسلام بأن طابق قولكم تصديق قلوبكم. ١٨- إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ ... أى يعرف كل شىء مما هو مستور و مخفى فيهما و الله بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ أى أنه شديد الرؤية، لما تفعلونه فى العلانية و فى الخفاء. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٥٢٣

سورة ق مكية، عدد آياتها ٤٥ آية

١- ق، وَ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ... ق فى المقام قسم. قيل فى معناه أنه اسم من أسمائه سبحانه و قيل أنه اسم جبل محيط بالدنيا و هو وَ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ أى الكريم على الله العظيم فى نفسه و هو قسم أيضا. ٢- يَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ ... المراد بالمنذر محمد (ص) و الذين تعجبوا هم قريش و هو منهم حيث حسبوا أنه لا يوحى إلا لملك فقال الكافرون من قريش و غيرهم هذا شىء عجيب أى كيف يكون ذلك، و يكون محمد البشر رسولا- فأنكروا رسالته. ٣- أَ إِذَا مِتْنَا وَ كُنَّا تُرَابًا ... أى هل إذا جاءنا الموت و نيت أجسادنا نبعث أحياء من جديد ذلك رَجْعٌ بَعِيدٌ أى هذا الأمر محال فلا يعقل رجوعنا. ٤- قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ ... أى ما تأكل الأرض من أجسادهم بالموت فينقص عدد الأحياء وَ عِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ أى حافظ لتفاصيل الأشياء كلها، و هو اللوح المحفوظ عن أى تغيير. بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ ... أى كذبوا بالقرآن أو بمحمد (ص) فهم فى وضع مختلط عليهم فمرة يقولون ساحر و مرة مجنون و مرة كذاب و مرة شاعر فهم متحIRON لأنهم يجهلونه. ٥- أَ فَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا ... أى كيف لا- ينظر من كفر بالبعث و النشور إلى السماء رفعناها فوقهم بلا عمد و هذا ليس إلّا من كمال قدرتنا وَ زَيْنَاهَا بالشمس و القمر و النجوم و ما لها مِنْ فُرُوجٍ أى ليس فيها شقوق بل هى متلاصقة الطباق. ٧- وَ الْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا ... أى بسطانها حسب استعدادها وَ أَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ أى جبالا مستقرة ثوابت وَ أُنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ أى أخرجنا من الأرض من كل صنف حسن المنظر. ٨- تَبَصَّرَهُ وَ ذَكَرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ... أى ما ذكر لمزيد البصيرة لِكُلِّ عبد راجع إلى ربه يتفكر فى بدائع صنعه. ٩- وَ نَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا ... أى كثير الخير و البركة بحيث لا- تحصى و لا- تعد منافعه فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ أى بساتين ذات أشجار و ثمار وَ حَبَّ الْحَصِيدِ كالزرع الذى هو قائم على ساقه كالحنطة و الشعير فيحصد فى أوان حصاده. ١٠- وَ النَّخْلَ بَاسِيقَاتٍ ... أى و أنبتنا به النخل طوالا مرتفعات لها طَلْعٌ نَضِيدٌ الطلع ما يخرج من النخلة فى أكمامها ملتصق بعضها ببعض. ١١- رِزْقًا لِلْعِبَادِ أى أنبتنا هذه الأشياء رزقا للخلق و كل رزق فهو من الله إما بفعله بابتداء أو بفعل سببه وَ أَحْيَيْنَا بِهِ أى بذلك الماء. بَلَدَةً مَيِّتًا أى جدبا و قحطا لا تثبت فاخضرت و عاشت كَذَلِكَ الْخُرُوجُ من القبور أى كما أنزلنا الماء من السماء و أخرجنا به الثبات من الأرض و أحيينا به البلدة الميتة يكون خروجكم أحياء بعد موتكم. ١٢ إلى ١٤- كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ مِنَ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ قَوْمُ نُوحٍ فَأَغْرَقَهُمُ اللَّهُ وَ أَصْحَابُ الرَّسِّ وَ هم أصحاب البئر التى رسوا نبيهم فيها بعد أن قتلوه، و قيل كانوا باليمامة. وَ ثَمُودُ وَ هم قوم صالح وَ عادُ وَ هم قوم هود وَ فِرْعَوْنُ أى كذب موسى وَ إِخْوَانُ لُوطٍ

أى قوم لوط كذبوا لوطا. وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ أَصْحَابُ الشَّجَرِ الْمَلْتَفِّ وَ هُم قَوْمُ شَعِيبَ وَ قَوْمُ تُبَّعَ تَبَعَ أَحَدُ التَّابِعَةِ مِنْ مُلُوكِ جَمِيرٍ سَمَّى بِهِ لِكَثْرَةِ أَتْبَاعِهِ وَ هُم سَبْعُونَ تَبَعًا مَلَكُوا جَمِيعَ الْأَرْضِ وَ مِنْ فِيهَا مِنَ الْعَرَبِ وَ الْعَجَمِ. كُلُّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ أَى كُلِّ مَنْ هُوَ الْمَذْكُورِينَ جَحَدُوا نَبُوَّةَ مَنْ بَعَثَ إِلَيْهِمْ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ فُتِبَتْ وَعْدَهُ تَعَالَى لِلْمُكَذِّبِينَ لِلرُّسُلِ بِالْإِنْتِقَامِ. ١٥- أَفَعَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ ... الْإِسْتِفْهَامِ لِلتَّقْرِيرِ، أَى أَفَعَجَزْنَا حِينَ خَلَقْنَاهُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَكَيْفَ نَعْجِزُ عَنْ بَعْثِهِمْ وَ إِعَادَتِهِمْ وَ كَانُوا قَدْ اعْتَرَفُوا بِأَنَّ اللَّهَ خَلَقَهُمْ ابْتِدَاءً بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ أَى أَنَّهُمْ لَا يَنْكُرُونَ قُدْرَتَنَا عَنْ الْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ يَنْكُرُونَ الثَّانِي لِشَبْهِهِ حَصَلَتْ فِيهِ مِثْلًا كَشْبَهُهُ الْآكَلِ وَ الْمَأْكُولِ الَّتِي لَا يَقْدِرُ الْإِنْسَانُ الْجَاهِلُ عَلَى دَفْعِهَا. إِرْشَادُ الْأَذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ١٦٥٢٤- وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَ نَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ ... إِلَخِ أَى مَا تَحَدَّثَ بِهِ نَفْسُهُ، وَ هُوَ مَا يَخْطُرُ بِالْبَالِ وَ الْوَسْوَسَةُ الصَّوْتُ الْخَفِيُّ وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ أَى نَعْلَمُ أُمُورَهُ الْخَفِيَّةَ الَّتِي لَيْسَ لَهَا صَوْتٌ بَلْ تَخْطُرُ عَلَى الْبَالِ فَقَطْ فَإِنَّا أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ شَرَايِينَ دَمِهِ. الْمَرَادُ بِالْحَبْلِ هُنَا الْعِرْقُ، وَ إِضَافَتُهُ إِلَى الْوَرِيدِ بَيَانِيَّةٌ. وَ الْوَرِيدُ هُوَ الْعِرْقُ الْمَكْتَنَفُ بِصَفْحَةِ الْعِنَقِ وَ فِي مَقْدَمِهَا مَتَّصِلٌ بِالْوَتِينِ، وَ الْوَتِينُ عِرْقٌ يَتَعَلَّقُ بِالْقَلْبِ إِذَا قَطَعَ مَاتَ صَاحِبُهُ. ١٧ وَ ١٨- إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ ... هُمَا الْمَلَكَانِ الْحَافِظَانِ يَأْخُذَانِ مَا يَتَلَفَّظُ بِهِ عَنِ الْيَمِينِ وَ عَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ أَى لَا يَتَلَقَّى أَحَدُهُمَا عَنِ الْآخَرِ بَلْ كِلَاهُمَا لَا يَدَّ مِنْهُمَا، كَاتِبٌ لِلْحَسَنَاتِ عَلَى يَمِينِهِ، وَ كَاتِبٌ لِلْسَّيِّئَاتِ عَلَى يَسَارِهِ، مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ أَى مَا يَرْمِي مِنْ كَلَامٍ مِنْ فَمِهِ إِلَّا- لَدَيْهِ حَافِظٌ مَعَهُ أَى مَلَكٌ عَنْ يَمِينِهِ وَ مَلَكٌ عَنْ شِمَالِهِ كُلُّ مِنْهُمَا مَهِيًا حَاضِرٌ لِكِتَابَتِهِ حَسَنَاتِهِ وَ سَيِّئَاتِهِ. ١٩- وَ جَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ ... أَى شِدَّتُهُ الَّتِي تَغْيِرُ وَضْعَ الْإِنْسَانِ وَ عَقْلَهُ بِحَيْثُ لَا يَفْهَمُ شَيْئًا كَالسَّكَرِ مِنَ الشَّرَابِ، بِالْحَقِّ إِمَّا لِلْقِسْمِ وَ الْمَرَادُ مِنَ الْحَقِّ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى، وَ إِمَّا لِلتَّأَكِيدِ، أَى مَجِيءُ سَكْرَةِ الْمَوْتِ حَقٌّ ثَابِتٌ لَا شَبْهَ فِيهِ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ أَى ذَلِكَ الْمَوْتُ تَمِيلُ عَنْهُ يَمْنَهُ وَ يَسْرَهُ وَ تَهْرَبُ مِنْهُ. ٢٠- وَ نُفِّخُ فِي الصُّورِ ... أَى نَفْخُهُ الْبَعْثِ ذِكْرَ يَوْمِ الْوَعِيدِ أَى وَقُوعُ مَا خَوْفُ اللَّهِ بِهِ عِبَادُهُ مِنَ الْعِقَابِ لَيْسْتَعْدُوا لِلْقَائَةِ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ. ٢١- وَ جَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَ شَهِيدٌ ... أَى سَائِقٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ يَسُوقُهَا إِلَى مُحْشَرِهَا وَ شَاهِدٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ يَشْهَدُ عَلَيْهَا بِعَمَلِهَا الَّذِي عَمِلَتْهُ فِي دَارِ الدُّنْيَا. ٢٢- لَقَدْ كُنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا ... أَى يَقَالُ لَهُ: لَقَدْ كُنْتَ فِي سَهْوٍ وَ نَسْيَانٍ مِنْ هَذَا الْيَوْمِ فِي دَارِ الدُّنْيَا. فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ أَزَلْنَا وَ نَزَعْنَا الْحَاجِبَ لِأُمُورِ الْمَعَادِ الَّذِي كَانَ يَغْشَى سَمْعَكَ وَ بَصْرَكَ وَ قَلْبَكَ حَتَّى ظَهَرَ لَكَ أَمْرُ الْآخِرَةِ بِجَلَاءِ قَبْضِكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ أَى نَظَرَكَ فِي دَارِ الْبَقَاءِ فِي غَايَةِ الشَّدَةِ وَ الْحَدَّةِ. ٢٣- وَ قَالَ قَرِينُهُ ... أَى الْمَلِكُ الْمُوَكَّلُ بِهِ، هَذَا مَا لَدَى عَتِيدٍ أَى هَذَا حَسَابُهُ الْحَاضِرُ الْمَهِيًا لَهُ عِنْدِي. ٢٤ إِلَى ٢٦- أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ: الْخَطَابُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الشَّرِيفَةِ لِلْمَلَكَيْنِ السَّائِقِ وَ الشَّاهِدِ أَى أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ ذَاهِبٍ عَنِ الْحَقِّ وَ سَبِيلِ الرُّشْدِ عِقَابًا لَهُ. مَنَاعٌ لِلْخَيْرِ أَى كَثِيرُ الْمَنْعِ وَ الْبَخْلِ عَنِ الْبَذْلِ لِلْمَالِ كَمَا أَمَرَ اللَّهُ فِي وَجْهِ الْخَيْرِ وَ الْبِرِّ مُعْتِيدٌ مُرِيبٌ شَاكٌ فِي اللَّهِ وَ فِي دِينِهِ وَ مُتَعَدِّ عَلَى حُرْمَاتِهِ جَلٍّ وَ عِلَا. الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَالْقِيَاءُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ أَى أَرْمِيَاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ. ٢٧- قَالَ قَرِينُهُ ... أَى شَيْطَانُهُ الَّذِي أَغْوَاهُ رَبَّنَا مَا أَطْعَمْتُهُ وَ لَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ أَى مَا أَنَا الَّذِي جَعَلْتُهُ طَاغِيًا بَاغِيًا مَتَمَرِّدًا عَلَى الدِّينِ وَ مَصْرًا عَلَى الْكُفْرِ، وَ لَكِنَّهُ هُوَ اخْتَارَ الذَّهَابَ الْبَعِيدَ عَنِ الْحَقِّ. قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدُنِّي ... أَى لَا تَتَنَازَعُوا أَمَامِي فِي مَوْقِفِ الْحِسَابِ وَ قَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ أَى أَنْذَرْتُكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَ ذَلِكَ فِي دَارِ الدُّنْيَا عَلَى يَدِ رُسُلِي. فَلَيْسَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنْ حُجَّةٍ تَحْتَجُونَ بِهَا. ٢٩- مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدُنِّي ... أَى إِنْ مَا أَنْذَرْتُكُمْ مِنْ عِقَابِ الْجَاهِدِ الْمَعَانِدِ وَ إِثَابَةِ الْمُؤْمَنِ الْمَطِيعِ لَا- يُمْكِنُ الْيَوْمَ أَنْ يَحْصَلَ خِلَافُهُ وَ مَا أَنَا بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ فَأَعَذَّبُ مَنْ لَيْسَ لِي تَعْذِيْبُهُ. ٣٠- يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَ نَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ... أَى أَذْكَرُ يَا مُحَمَّدُ ذَلِكَ الْيَوْمَ الَّذِي يَقُولُ اللَّهُ فِيهِ لَجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ مِنْ كَثْرَةِ مَا أُلْقِيَ فِيكَ مِنَ الْعِصَاءِ فَتَجِيبُ النَّارُ بَطْلِبِ الزِّيَادَةِ كُنَايَةً عَنْ عَدَمِ امْتِلَائِهَا. وَ قِيلَ الْمَعْنَى مَعْنَى الْكِفَايَةِ أَى لَمْ يَبْقَ مَزِيدٌ لَامْتِلَائِهَا. ٣١ إِلَى ٣٤- وَ أُرْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ... أَى دُنْتُ وَ قَرَبْتُ الْجَنَّةَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا الشَّرَكَ وَ الْمَعَاصِي. وَ قِيلَ زَيَّنْتُ لَهُمْ. غَيْرُ بَعِيدٍ أَى لَا بَعْدَ فِيهِ بَيْنِهَا وَ بَيْنَ أَهْلِهَا هَذَا مَا تُوعِدُونَ أَى هَذَا الَّذِي ذَكَرَ مِنَ الثَّوَابِ هُوَ مَا كُنْتُمْ تُوَعِدُونَ بِهِ عَلَى أَلْسِنَةِ الرُّسُلِ فِي الدُّنْيَا نَتِيجَةُ طَاعَتِكُمْ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيفٍ يَعْنِي لِكُلِّ رَجِيحٍ إِلَى الطَّاعَةِ. وَ قِيلَ لِكُلِّ مَسِيحٍ لَهُ سَبْحَانَهُ. حَافِظٌ بِقُوَّةٍ لَمَّا أَمَرَ اللَّهُ مَتَحَرِّزٌ بِشِدَّةٍ مِنَ الْخُرُوجِ عَنْهُ إِلَى مَا نَهَى عَنْهُ. مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَ جَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ أَى هُوَ مَنْ خَافَ اللَّهَ بِطَاعَتِهِ وَ تَرَكَ مَعْصِيَتَهُ حَتَّى فِي الْخُلُوتِ الَّتِي لَا يَرَاهُ فِيهَا أَحَدٌ غَيْرَهُ سَبْحَانَهُ وَ

أقام على ذلك حتى وافى الآخرة بقلب مقبل على التوبة والطاعة. اذْخُلُوهَا بِسَلَامٍ يقال لأهل الجنة ادخلوها بسلامة من العذاب والغم مسلماً عليكم من الله إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٥٢٥ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ أى يوم الإقامة الدائمة فى الجنة مؤبدين. ٣٥- لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ... أى لهم فى الجنة ما يشتهون وما يريدون وعند الله له زيادة عليه مما لم يخطر ببالهم مما لا عين رأت ولا أذن سمعت. ٣٦ و ٣٧- وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ ... أى كم دمرنا من قوم كذبوا رسلهم قبل هؤلاء هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا أى الذين أهلكناهم كانوا أشد قوة من قومك وأكثر عدداً وعدداً فَتَقَبَّلُوا فى البلاد أى ساروا فى البلاد وطُوفُوا فيها بقوتهم وشدة بطشهم وتفحصوها وتحسسوها فيها لتحصيل أخبارها. وقيل فتحوا المسالك فى البلاد بقوتهم. هَلْ مِنْ مَّحِصٍ يعنى هل من مفر لهم من الله أو من الموت؟ إِنَّ فى ذَلِكَ لَمَذَكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أى عقل يتعقل به ويتفكر فيما يقال له من عنده تعالى أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ أى استمع ولم يشغل قلبه بغير ما يستمع له وهو حاضر القلب فيتفقه ما يستمع إليه. ٣٨- وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فى سِتَّةِ أَيَّامٍ ... أولها يوم الأحد، وآخرها يوم الجمعة وما مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ أى ما أصابنا تعب ولا عياء. وهذه الشريفة رد لقول اليهود إِنَّ اللَّهَ اسْتَرَاخَ يَوْمَ السَّبْتِ. ٣٩ و ٤٠- فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ ... أى اصبر يا محمد على ما يقوله المشركون من تكذيبك فإنهم لا يعجزون الله وَ سَيَبْخُ بِحَمْدِ رَبِّكَ أى نزهه عما يقول الكافرون عما لا يليق به قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ أى عند الفجر والعصر وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَيُبْحَثُ أى فسبحه بعض الليل وَأَذْبَارَ الشُّجُودِ أى فى عقب الصلاة. ٤١ و ٤٢- وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ ... أى انتظر بهم إلى اليوم الذى ينادى فيه إسرافيل بصيحته التى توقظ الأموات للبعث والنشور، فيسمع الكل على حد سواء، يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ أى تلك النفخة الثانية فى الصور بِالْحَقِّ أى بالوعد الحق الذى لا- خلف فيه ذَلِكَ يَوْمَ الْخُرُوجِ أى يوم الرجعة والبعث للحساب والخروج من الأحداث. ٤٣ و ٤٤- إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ ... أى نحى الأحياء فى الدنيا، ثم نميتهم بقدرتنا ومشيتنا، وإلينا مصيرهم ومآلهم فى الآخرة يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ تفتح عنهم قبورهم والأماكن التى ابتلعت رفاتهم من الأرض سِرَاعاً فَيَأْتُونَنَا مُسْرِعِينَ لأن ذلك الأمر حَشَرٌ جمع عَلَيْنَا يَسِيرٌ سهل علينا غير شاق ولا متعذر. ٤٥- نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ... أى نحن أدرى بقولهم بتكذيبك وجحدهم لنبوتك وإنكار البعث وما أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ أى لست عليهم بمتسلط لتقهرهم وتجبرهم بالإيمان فَذَكَّرَ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ أى حذر ونبه به من يخشى تهديدنا ويخاف وعيدنا فإنه لا ينتفع بالقرآن غيره.

سورة الذاريات مكية، عدد آياتها ٦٠ آية

١- وَالذَّارِيَاتِ ذُرُوءًا ... روى أن ابن الكواء سأل أمير المؤمنين علياً (ع) وهو يخطب على المنبر فقال: ما الذاريات ذرواً؟ قال (ع): الزياح ٢- فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا؟ قال السحاب. ٣- فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا؟ قال السفن تجرى على وجه الماء بسهولة إلى حيث سيرت قال ابن الكواء ٤- فَالْمُقَسَّمَاتِ أَمْرًا؟ قال (ع): الملائكة يقسمون الأرزاق بين الخلق على ما أمروا به على حسب حوائجهم. وقد أقسم سبحانه بكل هذه الأمور ٥- إِنَّمَا تُوْعَدُونَ لَصَادِقٍ أى من البعث وغيره ولا خلف فيه ٦- وَإِنَّ الدِّينَ أَى الجزاء لَوَاقِعٌ بلا شبهة ولا ريب فيه. والآيتان إنما توعدون وإن الدين جواب القسم. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٥٢٦ ٧ إلى ٩- وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُوكِ ... أى ذات الطرق فيها وإليها وإن لم نرها لبعدها، أو النجوم المزيّنة لها، وهذا قسم منه سبحانه إِنَّكُمْ لَفَى قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ جواب القسم أى إنكم يا أهل مكة أقوالكم مختلفة فى محمد (ص) إذ قال بعضكم: هو شاعر، وبعضكم: ساحر، وبعضكم قال: مجنون وأقوالكم فى كتابه مختلفة، بعضكم قال إنه شعر، وطائفة أخرى قالت: هو سحر، وثالثة هو ما سطره الأولون يُؤفكُ عَنْهُ مَنْ أَفَكَ أى يصرف عن الإيمان بالحق من صرف. ١٠- قُتِلَ الْخَوَاصُّونَ ... أى الكذابون على الله ورسوله. الَّذِينَ هُمْ فى غَمْرَةٍ سَاهُونَ أى فى شبهة وغفلة وقد غمرهم الجهل وهم لا هون عما يجب عليهم. يَسْتَلُونُ أَيَّانَ يَوْمِ الدِّينِ أى يسألون استهزاء متى يوم جزاء الأعمال. ١٣- يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ أى يكون هذا الجزاء يوم يحرقون وبأشد العذاب يبتلون ويقال لهم. ١٤- ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ أى عذاب حريقكم هذا الذى كُتِبَ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ لرؤيته وأنتم فى الدنيا استبعاداً له، فقد حصّلتكم الآن صحته. ١٥ إلى ١٩- إِنَّ الْمُتَّقِينَ فى جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ... تقدم

معناه آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ أى ما أعطاهم سبحانه من الكرامة والثواب إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ أى أن المتقين قد أحسنوا بأعمالهم فى الدنيا يوم القيامة والحساب، كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ أى كانوا ينامون قليلا فى لياليهم، لأنهم كانوا يصلون فى أكثرها. وَبِالْأَسْجَادِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ أى مع ذلك كانوا كأنهم بانوا فى معصية يستغفرون منها فى أوقات السجود وفى أموالهم حق أى نصيب معلوم ألزموا به أنفسهم للسائل والمَحْرُومِ السائل الذى يسأل الناس والمحروم الذى من عفته لا يسأل الناس. ٢٠ إلى ٢٣- وفى الأرض آياتٌ لِلْمُوقِنِينَ ... أى فيها دلائل للمصدقين المقتنعين بالحق وهم وحدهم المنتفعون بها وفى أَنْفُسِكُمْ آياتٌ أخرى على وحدانيته وقدرته أَفَلَا تُبْصِرُونَ أَفَلَا- ترون الأعاجيب فى نفوسكم من تحولها من حال إلى حال فيدللكم ذلك على الخالق القادر الحكيم. وفى السماء رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ينزل الله إليكم رزقكم بأن يرسل الغيث فيخرج به من الأرض أصناف ما تقتاتون به و تلبسونه وفى السماء أيضا ما توعدون به من الثواب والعقاب. فَوَرَبِّ السَّمَاءِ قَسَمٌ مِنْهُ عَزَّ وَجَلَّ يقول فيه إِنَّهُ لَحَقٌّ ما يقوله من أمر الرزق والوعد مِثْلَ ما أَنْتُمْ تَنْطُقُونَ هو أمر يقينى كنطقكم!. ٢٤ و ٢٥- هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ... أى هل جاءك يا محمد خبر الضيوف الكرام عند الله الذين نزلوا على إبراهيم (ع) وقيل كانوا أربعة: جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وكروبييل إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا أى حين دخلوا على إبراهيم فحيوه بقولهم سلاما قَالَ سَلَامًا قَوْمٌ مُنْكَرُونَ أى قال لهم جوابا عن ذلك سلام و قال فى نفسه هؤلاء قوم لا أعرفهم. ٢٦ و ٢٧- فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ ... أى ذهب إلى أهل بيته خفية فجاء بعجلٍ سَمِينٍ مطبوع. وقال الله فى قصه هود حينئذٍ أى مشوى فَعَزَّزَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ: أَلَا تَأْكُلُونَ بعد ما قربه إليهم لياكلوا فلم يأكلوا، فلما رآهم لا يأكلون عرض عليهم فقال أَلَا تَأْكُلُونَ. أو إنما قال ذلك إنكارا لعدم أكلهم. وفى الكلام حذف. ٢٨ إلى ٣٠- فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ... أى خاف منهم لإعراضهم عن طعامه وظن أنهم يريدون به سوءا قَالُوا لَا تَخَفْ أى قال له الملائكة لا تخف يا إبراهيم وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ أى يكون عالما إذا كبر وهو إسحاق فَأَقْبَلَتْ امْرَأَتُهُ فى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ فلما سمعت امرأته سارة البشارة أقبلت فى ضجة تولول و ضربت جبينها تعجبا بجماع أصابعها وقالت أنا عجوز عاقرة فكيف ألد، وقيل كان عمرها يومئذ تسعا وتسعين سنة. قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ أى كما قلنا فى البشارة إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ فى صنعه الْعَلِيمُ بخلقه. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٥٢٧ ٣١ إلى ٣٤- قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ... أى ما هو شأنكم قَالُوا إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ أى إلى قوم لوط الذين يرتكبون الفواحش لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَابًا مِنْ طِينٍ هو طين يحرق فى نار الجحيم فيصير حجرا قاسيا وهو يسمّى بالسَّجِيل، والله تعالى أعده للعذاب، مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ أى جرى وسمها وإعدادها للمتجاوزين حدود الله المنغمسين فى الفجور. ٣٥ إلى ٣٧- فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ... فيها: يعنى فى قرى قوم لوط، قبل الخسف بها وبأهلها فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا أى لم يكن فى تلك القرى على كثرتها غيرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ سوى بيت واحد فيه مسلمون وهو بيت لوط وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً أى جعلناها علامة على إهلاكنا لمن عصانا و تمرّد علينا و برهانا واضحا على قدرتنا لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ لأنهم هم المعتبرون بما حلّ بها نتيجة الكفر فيخافون عقابه. ٣٨ إلى ٤٠- وفى موسى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ ... أى إن فى قصة موسى لآية لمن كان يتفكر ويتدبر، وذلك حيث بعثناه رسولا منا إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ أى ببرهان واضح قاطع وهو العصا. فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ أى انصرف عن الحق بِرُكْنِهِ أى بجنوده الذين يستند إلى قوتهم وَقَالَ فِرْعَوْنُ عن موسى إنه ساحرٌ أَوْ مَجْنُونٌ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ اسْتَدْرَجْنَاهُمْ نحو البحر تَبَدَّنَاهُمْ فى اليم ألقيناهم فى غمر الماء وأغرقناهم مع فرعون هُوَ مُلِيمٌ أى أتى بما يلام عليه من الكفر والعناد. ٤١ و ٤٢- وفى عادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ... أى وفى عاد أيضا علامة وآية فيها عبرة حين أطلقنا عليهم الريح لا خير فيها بل هى عذاب و هلاك. ما تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ أى لا تدع شيئا تمرّ عليه إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ أى جعلته كنب الأَرْضِ اليابس المداس، وقيل هو العظم البالى المسحق. ٤٣ إلى ٤٦- وفى ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّى حِينٍ ... قد مرّت قصص إهلاك هؤلاء الأقوام. والمراد بالحين فى المقام هو المتمتع فى دارهم ثلاثة أيّام كما مرّ سابقا، وبعد ذلك ينزل العذاب عليهم فَعَتَوْا عَنْ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ أى عصوا، وبعد ثلاثة أيام حيث جاءتهم الصاعقة معاينة بالنهار فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُتَّبَعِينَ أى ما قدرُوا على الثبات أمام الصاعقة و ما كانوا ممتنعين وَقَوْمٌ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا

فَاسْتَقِيمَ أَيَّ خَارِجِينَ عَنِ الْإِسْتِقَامَةِ بِالْكَفْرِ بِالْعَصِيَانِ. ٤٧ إِلَى ٥١- وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ... أَيَّ بَنَيْنَاهَا بِقُوَّةٍ وَإِنَّا قَادِرُونَ عَلَى خَلْقِ مَا هُوَ أَكْبَرُ مِنْهَا. وَالْأَرْضَ فَزَعْنَاهَا أَيَّ مَهْدِنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ أَيَّ الَّذِينَ يَبْسُطُونَ الْفِرَاشَ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ أَيَّ صَنَفَيْنِ كَالذَّكَرِ وَالْأُنْثَى وَالْجَنِّ وَالْإِنْسِ وَاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهَكَذَا. لَكُمُ يَعْلَمُونَ أَنَّ خَالِقَ الْأَزْوَاجِ وَاحِدٌ. فَهَيُّوا إِلَى اللَّهِ أَيَّ أَهْرَبُوا إِلَيْهِ بِطَاعَتِكُمْ لَهُ خَوْفًا مِنْ عِقَابِهِ، إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ أَيَّ مَخَوْفٍ لَكُمْ مِنَ الْعِقَابِ مُوَضَّحٌ لِمَا جِئْتُمْ بِهِ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا تَشْرِكُوا مَعَهُ مَعْبُودًا إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ مَرَّ مَعْنَاهُ. إِرْشَادُ الْأَذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ٥٢٨ ٥٢ إِلَى ٥٥- كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ... أَيَّ كَمِثْلٍ قَوْمِكَ هَؤُلَاءِ، فَإِنَّهُ لَمْ يَجِءْ لِمَنْ قَبْلَهُمْ مِنْ رُسُلٍ يَنْذِرُهُمْ بِشَرِّهِمْ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ إِلَّا- وَصَفُوهُ بِهَذَا الْوَصْفِ. أَتَوَاصَوْا بِهِ أَيَّ هَلْ وَصَّيَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِهَذَا الْقَوْلِ؟ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ يَعْنِي لَا، لَمْ يَتَوَاصَوْا بِهِ وَلَكِنْهُمْ أَهْلُ بَغْيٍ وَطُغْيَانٍ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ أَيَّ انْصَرَفَ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ يَعْنِي فَلَا- تَلَامَ عَلَى إِعْرَاضِكَ عَنْهُمْ بَعْدَ بَذَلِكَ الْجَهْدِ فِي تَذَكِيرِهِمْ وَتَخْوِيفِهِمْ وَذَكَرَ فَإِنَّ الذِّكْرَ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ أَيَّ ثَابِرٍ عَلَى الْوَعْدِ وَالْإِرْشَادِ فَإِنَّ ذَلِكَ يَنْفَعُ الْمَصْدُقِينَ بِنَا وَبِكَ. ٥٦- وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ... أَيَّ مَا خَلَقْتُهُمْ إِلَّا مِنْ أَجْلِ طَاعَتِي وَعِبَادَتِي وَمِنْ أَجْلِ أَنْ أُخْتَبَرُ الْمَصْدُقِينَ بِي وَأُمَيَّزَهُمْ عَنِ الْمَكْذِبِينَ فَاتِّبِطِ الْمَطِيعَ وَأَعَاقِبِ الْعَاصِيَ. ٥٧ وَ ٥٨- مَا أَرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطِيعُونِ ... أَيَّ لَمْ أَخْلُقْهُمْ لِيَرْزُقُونِي وَلَا لِيُطِيعُونِي كَمَا هُوَ شَأْنُ السَّادَةِ وَالْأَكَاكِبِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى عِبِيدِهِمْ وَأَصَاغَرَهُمْ لِأَنِّي الْغَنَى وَهُمْ الْفُقَرَاءُ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ أَيَّ الَّذِي يَرْزُقُ كُلَّ مَنْ يَفْتَقِرُ إِلَى الرِّزْقِ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينِ أَيَّ ذُو الْقُدْرَةِ الْقَوِي الَّذِي لَا يَعْتَرِيهِ وَهَنٌ وَلَا يَمَسُّهُ لُغُوبٌ. ٥٩- فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ... أَيَّ ظَلَمُوا رَسُولَ اللَّهِ بِالْكَذِبِ وَأَنْفُسَهُمْ بِالْكَفْرِ ذُنُوبًا أَيَّ نَصِييَا مِنَ الْعَذَابِ مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ أَيَّ لَا تَطْلُبُوا مِنِّي الْعَجْلَةَ فِي الْعَذَابِ الَّذِي يَنْتَظَرُهُمْ. ٦٠- فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ... أَيَّ وَيْلٌ لَهُمْ مِنْ يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

سورة الطور مكية، عدد آياتها ٢٩ آية

١ إِلَى ٨- وَالطُّورِ ... جَبَلُ كَلَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ مُوسَى وَهُوَ فِي صَحْرَاءٍ سِينَاءَ وَقَدْ أَقْسَمَ اللَّهُ بِهِ وَبِمَا بَعْدَهُ. وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ أَيَّ كِتَابٍ فِيهِ، كَالْقُرْآنِ أَوْ التَّوْرَةِ أَوْ مَا كُتِبَ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ أَيَّ فِي الْجِلْدِ الَّذِي يَكْتُبُ فِيهِ مَا يَكْتُبُ. وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ قِيلَ: هُوَ السَّمَاءُ فَإِنَّهَا سَقْفُ الْأَرْضِ. وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ أَيَّ الْمَمْلُوءِ وَقِيلَ هُوَ الْمَوْقِدُ الْمَحْمَى بِمَنْزِلَةِ النَّوْرِ. قِيلَ بَأَنَّ الْبَحَارَ تَجْعَلُ نِيرَانًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تَصِيرُ بَحْرًا وَاحِدًا ثُمَّ تَفْجَرُ إِلَى النَّارِ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ هَذَا جَوَابُ الْقِسْمِ، حَيْثُ أَقْسَمَ اللَّهُ بِكُلِّ مَا ذَكَرَ عَلَى أَنْ تَعَذِّبَ الْمُشْرِكِينَ وَاقِعٌ لَا مَحَالَةَ. وَلَا قُوَّةَ تَمْنَعُ ذَلِكَ الْعَذَابَ عَنْهُمْ. ٩ إِلَى ١٢- يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ... أَيَّ تَتَحَرَّكُ وَتَدُورُ بِمَا فِيهَا وَتَمُوجُ مَوْجًا. وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سِيرًا أَيَّ سِيرًا سَرِيعًا وَتَزُولُ مِنْ أَمَاكِنِهَا حَتَّى تَسْتَوِيَ الْأَرْضُ. فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ أَيَّ إِذَا حَدَّثَ ذَلِكَ فَالْوَيْلُ لِلْمُكَذِّبِينَ بِالْبَعْثِ وَالنَّشُورِ. الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ أَيَّ يَخُوضُونَ فِي الْمَعَاصِي وَيَلْهَوْنَ بِحَدِيثِ انْكَارِ بِالْبَعْثِ وَالْمَعَاصِي. ١٣ إِلَى ١٦- يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَا ... أَيَّ يَدْفَعُونَ يَوْمَ الْحِسَابِ إِلَى جَهَنَّمَ دَفْعًا عَنِيفًا قَاسِيًا. هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ فَانظُرُوا إِلَيْهَا لِيَتَحَقَّقَ لَكُمْ مَا وَعَدْنَاكُمْ بِهِ مِنْ تَعَذِّبٍ مِنْ عَصَاكُمْ وَكُفْرٍ بِمَا جَاءَتْ بِهِ رُسُلُنَا. إِرْشَادُ الْأَذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ٥٢٩ أَيْ فَسَّخَرْنَا هَذَا الَّذِي تَعَايَنُونَهُ. أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ أَنْتُمْ لَا تَرَوْنَ دَلَالَتَهُ يَوْمَ أَنْذَرَكُمْ بِهَا رُسُلُنَا. أَصْلَحُوا أَيَّ ادْخُلُوا وَاحْتَرِقُوا فِيهَا. فَاصْبِرُوا أَوْ لَا- تَصْبِرُوا أَيَّ صَبِرْكُمْ وَعَدَمِهِ. سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ فِي عَدَمِ النَّفْعِ. إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ أَيَّ جَزَاءَ عَمَلِكُمُ الْمَعَاصِي فِي الدُّنْيَا يَرْجِعُ إِلَيْكُمْ هَذَا الْيَوْمَ. ١٧ إِلَى ٢٠- إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ... أَيَّ إِنَّ الَّذِينَ يَتَجَنَّبُونَ مَعَاصِيَ اللَّهِ خَوْفًا مِنْ عِقَابِهِ هُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي بَسَاتِينٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَفِي سَعَادَةٍ وَرَاحَةٍ. فَالْكَيْسُ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ مُتَلَذِّذِينَ بِفَاكِهَتِهَا مُتَنَعِّمِينَ بِمَا أَعْطَاهُمْ رَبُّهُمْ مِنَ النِّعَمِ الدَّائِمِ. وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ الْجَحِيمِ الْمَكَانَ الشَّدِيدَ الْحَرَارَةِ أَيَّ جَنَّبَهُمْ عَنْ هَذَا الْعَذَابِ الشَّدِيدِ. كُلُّوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ أَيَّ كُلُوا طَيِّبًا لَكُمْ بِمَا عَمَلْتُمْ مِنَ الْحَسَنَاتِ مُتَكَبِّرِينَ عَلَى سُرُرٍ مَضِيئَةٍ أَيَّ مُصْطَفًى مُوصُولَ بَعْضِهَا بِبَعْضٍ. وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ مَرَّ تَفْسِيرِهِ. ٢١ إِلَى ٢٣- وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ ... أَيَّ الْمُؤْمِنِينَ وَأَوْلَادَهُمْ. أَلْحَقْنَا بِهِمْ

ذَرَّيْنَهُمْ حَشَرْنَا أَوْلَادَهُمْ مَعَهُمْ. وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ مِنْ شَيْءٍ كُذِّبُوا بِمَا كَسَبَ رَهِيْنٌ أَى مَرهُونٌ وَمَأْخُودٌ بِعَمَلِهِ إِنْ كَانَ خَيْرًا فَاخِرٌ وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ وَلَا نَقْصَ مِنْ عَمَلِهِمْ شَيْئًا. وَأَمَّا ذُنُوبُهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ أَى أُعْطِينَا بِوَفْرَةٍ وَزِدْنَاهُمْ وَقْتًا بَعْدَ وَقْتٍ مِنْ مَشْتَهَاتِهِمْ مِنْ أَصْنَافِ الْفَاكِهَةِ وَبَلْحَمٍ مِنَ الصَّنْفِ الَّذِي يَشْتَهُونَهُ. يَتَنَزَّعُونَ فِيهَا كَأَسَا لَا لَعَوَ فِيهَا وَلَا تَأْنِيْمٌ أَى يَتَعَاطُونَ بَيْنَهُمْ فِي الْجَنَّةِ كُؤُوسُ الْخَمْرِ الْحَلَالِ الَّتِي لَا كَلَامَ بَعْدَهَا بِالْبَاطِلِ وَالسَّفَاهَةِ بِسَبَبِ شَرِبِهَا وَلَا إِثْمَ كَخَمُورِ الدُّنْيَا. ٢٤ إِلَى ٢٨- وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ ... أَى يَدُورُ عَلَيْهِمْ خَدَمُهُمْ وَمَمَالِيكُهُمُ الَّذِينَ هُمْ فِي الْحَسَنِ وَالْبَهَاءِ كَالدَّرَرِ الْمُسْتَوْرَةِ الْمُخْبَأَةِ فِي الصَّدْفِ. وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ أَخَذَ يَسْأَلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا عَنْ أَحْوَالِهِمْ. قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ أَى أَيَّامِ الدُّنْيَا. فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ خَائِفِينَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْنَا تَفَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْنَا بِالْجَنَّةِ. وَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ أَى جَبْنِ النَّارِ. إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ أَى نَعْبُدُهُ وَنَحْنُ فِي دَارِ الدُّنْيَا وَنَسْأَلُهُ فَضْلَهُ وَرَحْمَتَهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ أَى هُوَ اللَّطِيفُ بِعِبَادِهِ الرَّحِيمُ بِهِمْ. ٢٩ إِلَى ٣١- فَذَكَّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ... أَى أَنْذَرَهُمْ يَا مُحَمَّدٌ وَأَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى وَلَسْتُ بِمَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْكَ مِنَ النَّبُوَّةِ بِكَاهِنٍ يَعْمَلُ الْكَهَانَةَ الَّتِي تَوْجِبُ إِطَاعَةَ أَوَامِرِ الْجَنِّ وَلَا- فِي عَقْلِكَ مَسٌّ أَوْ خَلَلٌ كَمَا يَقُولُ هَؤُلَاءِ الْكَافِرُ. أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ تَرْبِّصُ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ أَى بَلْ يَقُولُونَ نَنْتَظِرُ بِهِ حَوَادِثَ الدَّهْرِ وَالْمَوْتِ. قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ أَى تَمُوتُوا مَوْتِي وَانْتَظِرُوهُ، فَأَنَا أَيْضًا أَنْتَظِرُ مَوْتَكُمْ وَوُقُوعَ الْحَوَادِثِ الْمَهْلِكَةِ بِكُمْ. إِرْشَادُ الْأَذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ٥٣٠ ٣٢ إِلَى ٣٤- أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَخْلَامُهُمْ بِهَذَا ... أَى هَلْ تَأْمُرُهُمْ عَقُولُهُمْ بِهَذَا الَّذِي هُمْ عَلَيْهِ وَالَّذِي يَقُولُونَهُ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ أَى بَلْ هُمْ مُتَجَاوِزُونَ لِحُدُودِهِمْ وَمُعَانِدُونَ لِلْحَقِّ؟ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوْلُهُ أَى اخْتَلَقَ الْقُرْآنَ مِنْ عِنْدِهِ وَنَسَبَهُ إِلَى رَبِّهِ. يَلْ لَا- يُؤْمِنُونَ أَى هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ قَطْعًا وَلَكِنَّهُمْ لَا يَصَدِّقُونَ. فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ أَى فَلْيَأْتُوا بِمِثْلِ الْقُرْآنِ فِي نَظْمِهِ وَحَسَنِ بَيَانِهِ إِنْ كَانَ مَا يَقُولُونَهُ مِنْ أَنَّهُ مِنْ صَنْعِ مُحَمَّدٍ صَدَقًا وَحَقًّا. ٣٥ إِلَى ٤٣- أَمْ خَلَقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ؟ أَى هَلْ وَجَدُوا مِنْ غَيْرِ مُوجِدٍ وَخَالَقُوا أَمْ هُمْ خَالِقُوا أَنْفُسَهُمْ؟ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ الَّتِي خَلَقَتْ قَبْلَ خَلْقِهِمْ وَإِيجَادِهِمْ؟ لَا فَإِنَّهُ لَا يَعْقِلُ الْأَثَرَ قَبْلَ الْمُؤَثِّرِ بَلْ لَا يُوقِنُونَ لَا يَصَدِّقُونَ بِأَنَّهُمْ إِلَهًا وَبَأَنَّكَ رَسُولُهُ إِلَيْهِمْ. أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَى هَلْ يَمْلِكُونَ خَزَائِنَ عِلْمِهِ وَفَضْلِهِ فَحَقَّ لَهُمْ أَنْ يَخْتَارُوا لِلنَّبُوَّةِ مَنْ شَاؤُوا أَمْ هُمْ الْمُصَيِّرُونَ أَى الْمُتَسَلِّطُونَ عَلَى الْعَالَمِ أَمْ لَهُمْ سُلْمٌ أَى مُصْعَدٌ إِلَى السَّمَاءِ يَسْتَمِعُونَ الْوَحْيَ فِيهِ أَى مِنْ عَلَى ذَلِكَ السَّلْمِ. فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ فليجئ ببرهان واضح على دعواه. أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ كَمَا قَالَ الْمُشْرِكُونَ بِأَنَّ الْمَلَائِكَةَ بَنَاتُ اللَّهِ وَلكُمْ الْبَنُونَ فَتلك إذا قسمته ضيزى فيها حيف. أَمْ تَشَاءُ لَهُمْ أَجْرًا عَلَى تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ. فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ أَى أَثْقَلَهُمْ ذَلِكَ الْأَجْرُ الَّذِي طَلَبْتَهُ مِنْهُمْ فَمَنْعَهُمْ ذَلِكَ عَنِ الْإِيمَانِ. أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ يَعْنِي هَلْ عِنْدَهُمْ عِلْمُ الْغَيْبِ حَتَّى يَعْلَمُوا بِأَنَّ مُحَمَّدًا يَمُوتُ قَبْلَهُمْ. أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا أَى يَتَمَنُونَ مَكْرًا بِكَ؟ فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمْ الْمَكِيدُونَ الْمَغْلُوبُونَ الَّذِينَ يَحِقُّ بِهِمُ الْمَكْرُ. أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَمْنَعُهُمْ مِنْهُ سُبْحَانَهُ. سُيُحَانُ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ تَنْزِيهَا لَهُ تَعَالَى عَنْ شَرِكِ الْآلِهَةِ. ٤٤- إِلَى آخِرِ السُّورَةِ الْمُبَارَكَةِ: وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ ... أَى إِذَا رَأَوْا قِطْعَةً مِنَ السَّمَاءِ، وَقِسْمًا مِنْهَا. سَاقِطًا وَاقِعًا عَلَى الْأَرْضِ يَنْذِرُ بِهِلَاكَهُمْ يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ أَى يَظُنُّونَ أَنَّهُ غَيُومٌ مُتْرَاكِبَةٌ فَوْقَ بَعْضِهَا. فَذَرُّهُمْ دَعَاهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ أَى حَتَّى يَصْلُوا إِلَى الْيَوْمِ الَّذِي يَمُوتُونَ فِيهِ وَيَمُوتُ النَّاسُ جَمِيعًا عِنْدَ النَّفْخَةِ الْأُولَى. يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ أَى لَا يَنْفَعُهُمُ الْمَكْرُ وَالْخِدَاعُ وَلَا يَجِدُونَ مَنْ يَنْصَرُهُمْ فِي بَاطِلِهِمْ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ أَى يَنْتَظِرُهُمْ عَذَابٌ يَحِلُّ فِيهِمْ قَبْلَ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ فِي الدُّنْيَا بِالْقَتْلِ، أَوْ فِي الْقَبْرِ مِنْ عَذَابِ الْبَرْزَخِ. وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ وَقْتُ نَزْوِهِ بِهِمْ. وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ أَى انتَظِرْ وَاصْبِرْ يَا مُحَمَّدٌ لِأَمْرِهِمْ مِنْ قَبْلِنَا وَنَحْنُ نَتَوَلَّى أَمْرَكَ. فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا أَى بِمَرَأَى مِنَّا نَكَلَاكَ وَنَرَاكَ. وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ مِنْ مَجْلِسِكَ وَ مِنْ نَوْمِكَ. وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ أَى بَعْضَ اللَّيْلِ. وَإِذَا بَرَأَ النَّجُومِ أَى حِينَ تَدْبِرُ فَتَذْهَبُ وَتَخْتَفِي عِنْدَ انْتِشَارِ ضَوْءِ الصَّبَاحِ. إِرْشَادُ الْأَذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ٥٣١

سورة النجم مكية، عدد آياتها ٦٢ آية

١ و ٢- وَ النَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ... هذا قسم منه سبحانه بالثريا إذا غابت مع الفجر، وقيل أقسم بجميع النجوم وقيل غير ذلك بأن محمدا (ص) ما عدل عن الحق ولا فارق الهدى ولا سها عن شيء مما يوحى إليه. ٣ و ٤- وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ... أى لا- يتكلم معكم و يقرأ القرآن عن هوى فى نفسه و ميل فى طبعه. إِنَّ هُوَ أَى مَا الْقُرْآن. إِلَّا وَحْيٌ نَحْنُ نَنْزِلُهُ عَلَيْهِ وَ يَبْلَغُكُمْ إِيَّاهُ. يُوحى إِلَيْهِ مِنْ عِنْدِنَا. ٥ إلى ٧- عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ... أى عَلَّمَهُ ذَلِكَ الْقَوْلُ وَ ذَلِكَ الْقُرْآنُ جِبْرَائِيلُ الْقَوَىٰ فِى نَفْسِهِ وَ خَلَقْتَهُ. ذُو مِرَّةٍ أَى جِبْرَائِيلُ ذُو قُوَّةٍ وَ شَدَّةٍ فِى خَلْقَتِهِ. فَاسْتَوَىٰ يَعْنِى أَنَّ جِبْرَائِيلَ ظَهَرَ لِمُحَمَّدٍ (ص) عَلَى صُورَتِهِ الْعَظِيمَةِ الَّتِى خَلَقَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهَا وَ هُوَ بِالْمُفَقِّ الْمَعْلَى هُوَ: كُنْيَاةٌ عَنْ جِبْرَائِيلَ (ع) حَيْثُ تَجَلَّى لِرَسُولِ اللَّهِ (ص) فِى أَفْقِ الْمَشْرِقِ فَرَّاهُ النَّبِىُّ (ص) عَلَى صُورَتِهِ الْحَقِيقِيَّةِ فَخَرَّ مَغْشِيًا عَلَيْهِ لَمَّا أَحَسَّ مِنْ عَظَمَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ. ٨ إلى ١٠- ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ... أى اقْتَرَبَ وَ ازدادَ فِى الْقُرْبِ مِنْ مُحَمَّدٍ (ص) عَلَى صُورَةِ الْآدَمِيِّينَ فَضَمَّهُ إِلَى نَفْسِهِ. فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ مِنْهُ، أى عَلَى بَعْدِ ذِرَاعَيْنِ. أَوْ أَذْنَى أَوْ أَقْرَبَ مِنْ ذَلِكَ. فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى أَى فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى عَبْدِهِ مُحَمَّدٍ (ص) مَا أَرَادَ أَنْ يُوْحِيَهُ عَلَى لِسَانِ جِبْرَائِيلَ (ع). ١١ و ١٢- مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ... أى لَمْ يَكْذِبْ قَلْبُ مُحَمَّدٍ بِمَا رَأَاهُ بِأَمِّ عَيْنِهِ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ مِنْ عَالَمِ الْمَلَكُوتِ. أَفْتَمَارُوتُهُ يَعْنِى أَتَجَادَلُونَهُ بِبَاطِلِكُمْ. عَلَى مَا يَرَى بَعِيْنَهُ وَ يَبْهِيْهِ بِعَقْلِهِ. ١٣ إلى ١٥- وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ... أى رَأَى النَّبِىُّ جِبْرَائِيلَ (ع) فِى صُورَتِهِ الَّتِى خَلَقَهُ اللَّهُ عَلَيْهَا مَرَّةً ثَانِيَةً. عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى وَ هِىَ الشَّجَرَةُ الَّتِى عَنْ يَمِينِ الْعَرْشِ فَوْقَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ يَنْتَهَى إِلَيْهَا عِلْمُ كُلِّ مَلَكٍ، وَ قِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ. عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى أَى عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى. جَنَّةُ الْخُلْدِ وَ الْمَقَامُ الدَّائِمُ. ١٦ إلى ١٨- إِذْ يَغْشَى السَّدْرَةَ مَا يَغْشَى ... قِيلَ إِنَّ السَّدْرَةَ الْمَذْكُورَةَ يَغْشَاهَا الْمَلَائِكَةُ. مَا زَاغَ الْبَصَرُ بِبَصَرِ مُحَمَّدٍ (ص) مَا انْحَرَفَ يَمِينًا وَ لَا- يَسَارًا. وَ مَا طَغَى يَعْنِى مَا جَاوَزَ الْقَصْدَ. لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى وَ هِىَ آيَاتُهُ الْعَظِيمَةُ الَّتِى شَاهَدَهَا لَيْلَةُ مَعْرَاجِهِ الشَّرِيفِ كَصُورَةِ جِبْرَائِيلَ (ع) وَ كَسَدْرَةِ الْمُنْتَهَى، وَ كَعَجَائِبِ السَّمَاوَاتِ. ١٩ و ٢٠- أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَ الْعُزَّىٰ ... إلخ أى أَخْبَرُونَا عَنْ هَذِهِ الْأَلْهَةِ الْمَزُورَةِ الَّتِى تَعْبُدُونَهَا وَ تَدْعُونَ أَنَّهَا شَفَعَاءُ لَكُمْ وَ هِىَ اللَّاتُ وَ الْعُزَّى وَ مَا هِىَ قِيَمَتُهَا وَ مَا هُوَ مَبْلَغُ اسْتَطَاعَتِهَا فِى الْخَلْقِ وَ الرِّزْقِ وَ الْعَظَمَةِ؟. ٢١ و ٢٢- أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَ لَهُ الْأُنْثَى ... أى يَا كُفَّارَ قَرِيشَ كَيْفَ تَجْعَلُونَ لِأَنْفُسِكُمُ الذَّكَرَ وَ تَخْتَارُونَ لِلَّهِ الْإِنَاثَ الَّتِى لَا تَرْضَوْنَهَا لِأَنْفُسِكُمْ. وَ كَانُوا يَقُولُونَ الْمَلَائِكَةُ بَنَاتُ اللَّهِ. تِلْكَ إِذْ قَسَمَ ضَرِيضَى أَى هَذِهِ قِسْمَةُ جَائِرَةٍ. ٢٣- إِنْ هِىَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَ آبَاؤُكُمْ ... أى أَنْ تَسْمِيْتَكُمْ لِهَذِهِ الْأَصْنَافِ وَ جَعَلَهَا آلِهَةً وَ أَنَّهَا بَنَاتُ اللَّهِ، هِىَ مِنْ بَدْعِكُمْ وَ بَدَعَ آبَائِكُمْ مِنْ قَبْلِكُمْ. مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ يَعْنِى لَمْ يَنْزِلْ سُبْحَانَهُ فِيهَا حُجَّةٌ يَصَدِّقُ قَوْلَكُمْ فِيهَا إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ فَهُمْ يَسِيرُونَ عَلَى غَيْرِ هُدًى دُونَ عِلْمٍ. وَ يَتَّبِعُونَ. مَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ أَى مَا تَمِيلُ إِلَيْهِ النُّفُوسُ الْأَمَّارَةُ بِالسُّوءِ. وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى أَى الْبَيَانُ الَّذِى حَمَلَهُ إِلَيْهِمْ رَسُولُهُ الْكَرِيمُ فِى الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ. ٢٤ و ٢٥- أَمْ لِلْإِنْسَانِ ... هَذَا اسْتِفْهَامٌ تَقْرِيعٌ وَ اسْتِهْزَاءٌ، يَعْنِى هَلْ لِلْإِنْسَانِ الْكَافِرِ. مَا تَمَنَّى مِنْ شَفَاعَةِ الْأَصْنَامِ؟. لَا. فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَ الْأُولَى وَ لَا يَمْلِكُ فِيهِمَا أَحَدٌ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ سُبْحَانَهُ. ٢٦- وَ كَمْ مِنْ مَلَكٍ فِى السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ ... فَقَدْ قَصِدَ أَنَّ الْكَثْرَةَ الْكَاثِرَةَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ الْمَوْجُودِينَ فِى السَّمَاءِ لَا تَفِيدُ شَفَاعَتَهُمْ أَحَدًا. شَيْئًا يَنْتَفِعُ بِهِ. إِلَّا مَنْ بَعِيدٌ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ يَسْمَحَ لَهُمْ بِالشَّفَاعَةِ. لِمَنْ يَشَاءُ وَ يَرْضَى مِنَ الْعِبَادِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلٌ لِأَنْ يَشْفَعَ بِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ وَ التَّوْحِيدِ. إِرْشَادُ الْأَذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ٥٣٢ ٢٧ و ٢٨- إِنْ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ... أَى الَّذِينَ لَا يَصَدِّقُونَ بِالْبَعْثِ وَ الْحِسَابِ لَيْسَمُوتَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةً الْأُنْثَى فَيَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ بَنَاتُ اللَّهِ. وَ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ فَلَا يَقِينُ عِنْدَهُمْ بِكَوْنِ الْمَلَائِكَةِ بَنَاتٍ. إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ الَّذِى يَخْطِئُ وَ يَصِيبُ وَ إِنَّ الظَّنَّ لَا- يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا فَلَا- يَقُومُ الظَّنُّ مَقَامَ الْعِلْمِ الْيَقِينِ وَ هُوَ الْمُرَادُ بِالْحَقِّ. ٢٩ و ٣٠- فَأَعْرَضَ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا ... أى انصرفت يا محمد عن كُلِّ مَنْ انصرفت عن توحيدنا و الإيمان بنا. وَ لَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا أَى لَمْ يَرْغَبْ إِلَّا فِى الدُّنْيَا وَ مَفَاتِنِهَا. ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ أَى التَّمَتُّعِ بِلَذَائِذِ الدُّنْيَا وَ الْانْصِرَافِ عَنْ أَمْرِ الْآخِرَةِ هُوَ مَنْتَهَى عِلْمُهُمْ وَ أَقْصَى هِمْمُهُمْ. إِنَّ رَبَّكَ يَا مُحَمَّدُ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ وَ مِنْ جَمِيعِ الْخَلْقِ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ أَى عَدَلَ عَنْ سَبِيلِ الْحَقِّ. وَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اهْتَدَى وَ أَعْرَفَ بِمَنْ هَدَى إِلَى طَرِيقِ الْحَقِّ. ٣١ و ٣٢- وَلِلَّهِ مَا فِى السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِى الْأَرْضِ ... يَخْبُرُ سُبْحَانَهُ عَنْ عَظَمَةِ مَلِكِهِ وَ سَعَةِ سُلْطَانِهِ، فَلَهُ السَّمَاوَاتُ وَ الْأَرْضُ وَ مَا فِيهِنَّ. لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤُا بِمَا عَمِلُوا قِيلَ إِنَّ اللَّامَ جَارَةٌ وَ هِىَ تَتَعَلَّقُ بِمَعْنَى الْآيَةِ السَّابِقَةِ، أَى أَنَّهُ تَعَالَى لَمَّا كَانَ

أَعْلَمُ جَازِي كُلًّا بِعَمَلِهِ وَبِمَا يَسْتَحِقُّهُ. وَيَجْزِي الَّذِينَ أَحْسَنُوا أَى وَخَدُوا رَبَّهُمْ وَعَبَدُوهُ: بِالْحُسْنَى أَى بِالْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَهُمْ بِهَا. الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كِبَائِرَ الْإِثْمِ أَى الذُّنُوبَ الْعَظِيمَةَ. وَالْفَوَاحِشَ وَهِيَ أَقْبَحُ الذُّنُوبِ. إِلَّا اللَّمَمَ أَى صَغَارَ الذُّنُوبِ. إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ لَمَنْ تَابَ. هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ حَتَّى قَبْلَ خَلْقِكُمْ. إِذْ حِثَّ. أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ يَعْنِي أَبَاكُمْ آدَمَ مِنْ تَرَابِ الْأَرْضِ. وَقِيلَ: الْمَرَادُ جَمِيعُ الْخَلْقِ لِأَنَّهُمْ يَتَغَدَّوْنَ بِمَا يَعْطِيهِمُ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْأَرْضِ. وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ وَحَيْثُ كُنْتُمْ أَجْنَةً فِي الْأَرْحَامِ وَ قَبْلَ أَنْ تُولَدُوا أَى يَعْلَمُ كُلُّ نَفْسٍ مَا هِيَ صَانِعَةٌ وَإِلَى مَا هِيَ صَائِرَةٌ. فَلَا تَزْكُوا أَنْفُسَكُمْ لَا تَمْدَحُوهَا وَلَا تَعْتَبِرُوهَا زَكِيَّةً خَيْرَةٌ فَإِنَّهُ سَبْحَانَهُ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اتَّقَى أَعْرَفَ بِمَنْ تَجَنَّبَ الشُّرَكَ وَالْكَبَائِرَ وَاتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ. ٣٣ إى ٤١- أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى وَ أَعْطَى قَلِيلًا وَ أَكْدَى ... أَى أَنْظَرْتَ يَا مُحَمَّدُ إِلَى الَّذِي أَدْبَرَ عَنِ الْحَقِّ وَ أَعْطَى قَلِيلًا- مِنَ الصَّدَقَاتِ وَ أَمْسَكَ عَنِ الْعَطَاءِ أَوْ مَنَعَهُ مَنَعًا شَدِيدًا. أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى أَى هَلْ يَعْرِفُ مَا غَابَ عَنْهُ مِنَ الْعَذَابِ وَ يَرَى أَنَّ صَاحِبَهُ يَتَحَمَّلُ عَنْهُ عَذَابَهُ الَّذِي اسْتَحَقَّهُ؟ ... أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى يَعْنِي: أَلَمْ يُخْبِرْ بِمَا فِي التَّوْرَةِ. وَ إِبْرَاهِيمَ يَعْنِي وَ بِمَا فِي صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ. الَّذِي وَفَّى أَى أَنْتُمْ مَا كَلَّفَ بِتَبْلِيغِهِ وَ أَدَّى مَا أَمَرَ بِهِ كَامِلًا وَ مَا فِي صُحُفِهِمَا هُوَ. أَلَا تَرَى وَازِرَةً وَزَرَ أُخْرَى أَى لَا يَحْمِلُ أَحَدٌ جَرَمَ أَحَدٍ وَ الْمَعْنَى لَا تُوْخَذُ نَفْسٌ بِجَرَمٍ غَيْرِهَا. وَ أَنَّ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى يَعْنِي أَنَّهُ لَا- يَجْزِي إِنْسَانٌ إِلَّا بِعَمَلِهِ. وَ أَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى يَعْنِي أَنَّ عَمَلَهُ سَوْفَ يَرَى عِنْدَ الْحِسَابِ. ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ الْأَوْفَى فَيُعْطَى عَنِ الطَّاعَاتِ أَكْثَرَ مَا يَسْتَحِقُّ مِنَ الثَّوَابِ تَفَضُّلاً مِنَ اللَّهِ. ٤٢ إِلَى ٤٥- وَ أَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُتَنَهَى ... هَذَا عَطَفٌ عَلَى مَا سَبَقَهُ، وَ مَعْنَاهُ، أَنَّ النَّهَايَةَ تَقُودُ إِلَى ثَوَابِ رَبِّكَ وَ عِقَابِهِ، وَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ. وَ أَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَكَ وَ أَبْكَى أَى هُوَ سَبْحَانَهُ خَلَقَ سَبَبَ الضَّحْكَ وَ الْبَكَاءِ مِنَ السُّرُورِ وَ الْحُزَنِ. وَ أَنَّهُ هُوَ أَمَاتٌ وَ أَحْيَا أَمَاتِ الْأَحْيَاءِ فِي الدُّنْيَا، وَ أَحْيَاهُمْ فِي الْآخِرَةِ لِلْحِسَابِ وَ الْجَزَاءِ. إِرْشَادُ الْأَذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ٥٣٣ ٤٦ إِلَى ٤٩- وَ أَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَ الْأُنْثَى ... أَى جَعَلَ الصَّيْنَيْنِ مِنْ جَمِيعِ الْحَيَوَانَاتِ، وَ ذَلِكَ. مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى أَى مِنْ نَظْفَةٍ- نَوَاهُ صَغِيرَةٌ جَدًّا- تَنْصَبُ مَعَ الْمَنِيِّ فِي رَحِمِ الْمَرْأَةِ وَ يَخْلُقُ مِنْهَا الْوَلَدَ. وَ أَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَى أَى إِعَادَةَ الْخَلْقِ يَوْمَ الْبَعْثِ. وَ أَنَّهُ هُوَ أَعْنَى وَ أَقْنَى أَى أَغْنَى بِالْمَالِ، وَ مَكَّنَ النَّاسَ مِنْ اقْتِنَاءِ الْأَشْيَاءِ وَ الْحَصُولِ عَلَيْهَا. وَ أَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعْرِى أَى خَالِقُهَا وَ مُوْجِدُهَا وَ مَالِكُهَا دُونَ غَيْرِهِ. وَ الشَّعْرِى هِيَ نَجُومٌ مُتَبَاعِدَةٌ الْمَسَافَاتِ، كَثِيرَةٌ الْعِدَدُ. ٥٠ إِلَى ٥٦- وَ أَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى ... وَ هُمُ الْقَوْمُ الْمُتَنَاسِلُونَ مِنْ عَادِ بْنِ إِرَمَ، أَهْلَكَهُمْ سَبْحَانَهُ بِالرَّيْحِ الصَّارِصِ الْعَاتِيَةِ وَ قَدْ سَمَّاهُمْ. عَادًا الْأُولَى لِأَنَّهُمْ كَانُوا مِنْهُمْ عَادَ الْأُخْرَى هِيَ مِنْ عَقِبِهِمْ وَ الَّتِي أَفْتَتْ بَعْضُهَا بِالْبَغْيِ عَلَى بَعْضِهَا. وَ ثَمُودَ أَهْلَكَهَا أَيْضًا وَ هُمُ قَوْمٌ صَالِحُونَ. فَمَا أَبْقَى فَلَمْ يَتْرَكْ مِنْهَا أَحَدًا. وَ قَوْمَ نُوحٍ أَهْلَكَهُمْ. مِنْ قَبْلِ مَنْ قَبْلَ هَؤُلَاءِ. إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَ أَظْنَى أَى كَانُوا أَشَدَّ ظُلْمًا وَ طُغْيَانًا مِنْ غَيْرِهِمْ لَطُولَ الْمُدَّةِ الَّتِي دَعَاهُمْ فِيهَا نُوحٌ وَ لَمْ يَزِدْهُمْ دَعَاؤُهُ إِلَّا فَرَارًا. وَ الْمُؤْتَفِكَةُ يَعْنِي قَرَى لُوطَ الَّتِي خَسَفَ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا. أَهْوَى أَى أَسْقَطَ، إِذْ قَلَبَهَا جِبْرَائِيلُ (ع) رَأْسًا عَلَى عَقْبِ. فَعَسَّاهَا مَا عَسَّى أَى أَلْبَسَهَا اللَّهُ ثَوْبَ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ مَا أَلْبَسَ مِنَ الْخَزَى وَ الرَّمْيِ بِالْحِجَارَةِ الْمَسُومَةِ. فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى أَى بِأَى نِعَمِ اللَّهِ وَ أَفْضَالِهِ تَشْكُّ وَ تَرْتَابُ أَيُّهَا الْمَخْلُوقُ الضَّعِيفُ. هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النَّذْرِ الْأُولَى أَى هَذَا مُحَمَّدٌ (ص) مَخُوفٌ مِنْ جَمْلَةِ الْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ سَبَقُوهُ فِي تَخْوِيفِ أُمَمِهِمْ مِنْ عِقَابِ اللَّهِ. أَرَفَتِ الْأَرْزَاقُ أَى قَرِيبَ الْقِيَامَةِ وَ دَنَتْ. لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ أَى أَنَّهَا إِذَا حَلَّتْ بِالْخَلْقِ وَ غَمَرَتْهُمْ شِدَائِدُهَا وَ أَهْوَالُهَا، لَمْ يَكْشِفْهَا عَنْهُمْ سِوَى اللَّهِ. أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَى مَا قَدَّمْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَخْبَارِ. وَقِيلَ مِنَ الْقُرْآنِ وَ نَزُولِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَ إِعْجَازِهِ. تَعْجَبُونَ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ. وَ تَضْحَكُونَ اسْتِهْزَاءً بِهِ. وَ لَا تَتَكُونُونَ خَوْفًا مِمَّا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ. وَ أَنْتُمْ سَامِدُونَ أَى غَافِلُونَ فِي غَيْبِكُمْ، لَا هَوْنَ عَنِ الْحَقِّ. فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَ اعْبُدُوا أَمْرَهُمْ سَبْحَانَهُ بِعِبَادَتِهِ دُونَ غَيْرِهِ بِتَمَامِ الْإِخْلَاصِ.

سورة القمر مكية، عدد آياتها ٥٥ آية

١ و ٢- اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَ انْشَقَّ الْقَمَرُ ... أَى قَرِيبَتْ سَاعَةُ الْمَوْتِ لِجَمِيعِ النَّاسِ الَّتِي تَعْقِبُهَا الْقِيَامَةُ، وَ أَمَا انْشِقَاقُ الْقَمَرِ، فَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ اجْتَمَعَ الْمُشْرِكُونَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ (ص) فَقَالُوا: إِنْ كُنْتَ صَادِقًا فَشَقِّ لَنَا الْقَمَرَ فَرَقَتَيْنِ. فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ (ص) إِنْ فَعَلْتَ تَوْمَنُونَ؟ قَالُوا: نَعَمْ. وَ كَانَتْ لَيْلَةُ الْبَدْرِ. فَسَأَلَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) رَبَّهُ أَنْ يُعْطِيَهُ مَا قَالُوا، فَانْشَقَّ الْقَمَرُ فَرَقَتَيْنِ. وَ إِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا أَى إِذَا رَأَوْا

معجزة لمحمد (ص) ينصرفون عنها من دون تأمل ولا تفكير فيها عنادا وكفرا. وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ أَيْ أَنَّ الْآيَاتِ الَّتِي يَأْتِي بِهَا مُحَمَّدٌ (ص) هِيَ سِحْرٌ قَوِيٌّ. ٣ إلى ٥- وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ... أَيْ كَفَرُوا بِالْمُعْجَزَةِ الَّتِي شَاهَدُوهَا فَاتَّبَعُوا مَا تَهْوَاهُ أَنْفُسُهُمْ وَمَا زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ فِي التَّكْذِيبِ. وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقَرٌّ أَيْ أَنَّ الْخَيْرَ يَسْتَقِرُّ بِأَهْلِهِ، وَالشَّرُّ يَسْتَقِرُّ بِأَهْلِهِ. وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ أَيْ جَاءَ الْكُفَّارُ مِنَ الْأَخْبَارِ الْعَجِيبَةِ فِي الْقُرْآنِ بِكُفْرٍ مِنْ تَقَدُّمِ الْأُمَمِ وَإِهْلَاكِهِمْ. مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌّ أَيْ مَا فِيهِ مَوْعِظَةٌ وَرَدْعٌ عَنِ الْكُفْرِ. حِكْمَةٌ بِالْعَةِ أَيْ هَذَا الْقُرْآنُ هُوَ أَعْظَمُ حِكْمَةٍ بَلَّغَتْ الْغَايَةَ فِي الْوَعْظِ وَالْبَيَانِ. فَمَا تَغْنِ النَّذْرُ أَيْ مَا تَفِيدُ النَّذْرَ مَعَ تَكْذِيبِ هَؤُلَاءِ الْمَعَانِدِينَ وَقِيلَ الْمَعْنَى: فَلَا تَغْنِي النَّذْرَ مَعَ هَؤُلَاءِ الْمَكْذِبِينَ. ٦- فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ... أَيْ أَعْرَضَ عَنْهُمْ يَا مُحَمَّدُ. يَوْمٌ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكِرٍ أَيْ يَوْمٌ يَدْعُو إِسْرَافِيلُ فِي النَّفْخَةِ الثَّانِيَةِ إِلَى شَيْءٍ مِنْكَرٍ غَيْرٍ مَعْرُوفٍ وَلَا تَعُودُهُ النَّاسُ هُوَ يَوْمُ الْحَشْرِ وَأَهْوَالِهِ. إِرْشَادُ الْأُذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ٥٣٤ و ٨- خُشَعًا أَبْصَارُهُمْ أَيْ ذَلِيلَةً أَبْصَارُهُمْ خَاضِعَةً لِهَوْلِ الْمَوْقِفِ وَرُؤْيَةِ الْعَذَابِ. يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ أَيْ مِنَ الْقُبُورِ. كَانَتْهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرَةٌ وَصَفَ لِكَثْرَتِهِمْ وَفِيهِ تَصْوِيرٌ لِفَزَعِهِمْ وَاجْتِلَاطِ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ كَالْجَرَادِ الَّذِي يَطِيرُ عَلَى غَيْرِ هَدًى. مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ أَيْ مُقْبِلِينَ نَحْوَ الَّذِي دَعَاهُمْ وَمُسْرِعِينَ لِإِجَابَتِهِ حَيْثُ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ أَيْ هَذَا يَوْمٌ صَعِبٌ شَدِيدٌ. ٩ و ١٠- كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ ... أَيْ كَذَّبَ قَبْلَ كُفَّارِ مَكَّةَ قَوْمُ نُوحٍ الَّذِينَ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا نُوحًا، وَقَالُوا أَيْ قَوْمُ نُوحٍ: هُوَ مَجْنُونٌ وَارْجِعْ أَيْ زَجِرْهُ وَشَتِّمْهُ فَدَعَا رَبُّهُ اسْتَغَاثَ بِهِ قَائِلًا أَنِّي مَغْلُوبٌ مَعَ قَوْمِي مَهَانٍ مَظْلُومٍ فَانْتَصِرْ فَانْتَقَمَ لِي مِنْهُمْ وَانْصَرْنِي عَلَيْهِمْ. ١١ إلى ١٥- فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ... هَذَا بَيَانٌ مِنْهُ سَبْحَانَهُ إِجَابَةُ دَعَاءِ نُوحٍ (ع) وَالْمَعْنَى: أَجْرَيْنَا الْمَاءَ مِنَ السَّمَاءِ كَجَرِيَانِهِ إِذَا فَتَحَ بَابَ كَانَ يَمْنَعُهُ مِنَ التَّدْفِقِ الشَّدِيدِ، فَانْصَبَ عِنْدُنَا انْصِبَابًا قَوِيًّا لَا يَنْقُطِعُ. وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا أَيْ شَقَقْنَاهَا فَخَرَجَتْ مِنْهَا الْيَنَابِيعُ حَتَّى جَرَى مَاؤُهَا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ فَالْتَقَى الْمَاءُ أَيْ مَاءُ السَّمَاءِ وَمَاءُ الْأَرْضِ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِّرَ أَيْ اجْتِمَاعًا مِنْ أَجْلِ إِنْجَازِ أَمْرِ قَضَى بِهِ اللَّهُ سَبْحَانَهُ وَهُوَ إِهْلَاكُ قَوْمِ نُوحٍ بِالْغَرَقِ، وَحَمَلْنَاهُ أَيْ حَمَلْنَا نُوحًا عَلَى ذَاتِ الْأَوَاحِ وَدَسِّرَ عَلَى سَفِينَةٍ مَصْنُوعَةٍ مِنَ اللَّوْحِ الْمَرْكَبَ بَعْضُهُ إِلَى بَعْضٍ وَالْمَشْدُودَ بِالسَّمَامِيرِ تَجْرَى تَسِيرُ السَّفِينَةِ عَلَى الْمَاءِ بِأَعْيُنِنَا أَيْ بِحِرَاسَتِنَا وَحِفْظِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ أَيْ فَعَلْنَا بِهِ وَبِهِمْ ذَلِكَ مِنْ إِنْجَائِهِ وَإِغْرَاقِهِمْ ثَوَابًا وَإِكْرَامًا لِمَنْ كَانَ قَدْ كَذَّبَ وَهُوَ نُوحٌ وَعَقَابًا لِلْمَكْذِبِينَ مِنْ قَوْمِهِ. وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً أَيْ أَبْقَيْنَا هَذِهِ الْحَادِثَةَ بُرْهَانًا وَاضِحًا فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ فَهَلْ فِي النَّاسِ مِنْ مُتَذَكِّرٍ وَتَعَطَّ فَيَخَافُ بَطْشَ رَبِّهِ إِذَا عَصَاهُ؟ ١٦ و ١٧- فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ ... أَيْ فَكَيْفَ رَأَيْتُمْ انتِقَامِي بَعْدَ إِنْذَارِي لَكُمْ بِالْعَذَابِ أَيُّهَا الْمَعَانِدُونَ لِرُسُلِي؟ وَلَقَدْ يَسِّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ؟ أَيْ أَنَا سَهَّلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ لِلتَّلَاوَةِ وَالْحِفْظِ فَلَا- يَصْعَبُ فَهَمُّهُ فَهَلْ مِنْ مُتَعَطٍّ يَنْظُرُ فِيهِ فَيَتَعَطَّ. ١٨ إلى ٢٢- كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ ... أَيْ كَذَّبَ قَوْمُ عَادَ رَسُولُهُمْ وَهُوَ هُودٌ، فَأَهْلَكْنَاهُمْ فَكَيْفَ تَرَى أَيُّهَا الْمَطْلُوعُ عَذَابِي لَهُمْ وَإِنْذَارِي إِيَّاهُمْ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا أَيْ بَعَثْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا شَدِيدَةً الْهَبُوبِ وَالْبُرُودَةِ، فِي يَوْمٍ نَحْسٍ يَوْمٍ شَوْمٍ مُسْتَمِرٍّ دَائِمٍ لِأَنَّ الرِّيحَ بَقِيَتْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حَتَّى أَهْلَكْتَهُمْ تَنْزِعُ النَّاسَ أَيْ تَقْتُلُهُمْ وَتَرْمِي بِهِمُ الْأَرْضَ فَتَدْقُ أَعْنَاقَهُمْ فَيَصْبِحُونَ كَانَتْهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ أَيْ كَانَتْهُمْ أَسَافِلُ النَّخْلِ الْمُنْقَطِعَةِ لِأَنَّ رُؤُوسَهُمْ فَارَقَتْ أَبْدَانَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ مَرِّ تَفْسِيرِهِ وَلَقَدْ يَسِّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ مَرِّ تَفْسِيرِهِ أَيْضًا. ٢٣ إلى ٣٢- كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذْرِ ... أَيْ أَنَّ قَوْمَ صَالِحٍ (ع) وَهُمْ ثَمُودٌ، كَذَّبُوا بِإِنْذَارِهِ الَّذِي جَاءَهُمْ بِهِ فَيَكُونُونَ بِذَلِكَ قَدْ كَذَّبُوا كُلَّ رَسَلِ اللَّهِ فَقَالُوا أَوْ بَشَرًا مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ أَيْ كَيْفَ نَصَدِّقُ قَوْلَ وَاحِدٍ مِنَّا مِنَ الْبَشَرِ إِنَّا إِذَا فِي هَذِهِ الْحَالَةِ لَفِي ضَلَالٍ خَطِئٍ وَانْحِرَافٍ عَنِ الْحَقِّ وَسُيُغْرٍ فِي عَذَابٍ شَدِيدٍ أَلْقَى الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا؟ الْاسْتِفْهَامُ إِنْكَارِي أَيْ كَيْفَ نَزَلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ وَاخْتَصَّ اللَّهُ بِالْنبُوَّةِ دُونَ غَيْرِهِ مِنَّا؟ بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشَرُّ أَيْ كَاذِبٌ بَطَرٌ أَخَذَتْهُ الْكِبَرِيَاءُ عَلَيْنَا فَادَّعَى الْنبُوَّةَ سَيِّغْلُمُونَ غَدًا سَيَعْرِفُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مِنَ الْكُذَّابِ الْأَشَرِّ مَنْ هُوَ الْكَذَّابُ رَسُولُنَا أَمْ هُمْ؟ إِنَّا مَرْسَلُوا النَّاقَةَ فِتْنَةً لَهُمْ أَيْ نَحْنُ بَاعَثْنَاهَا لَهُمْ تَمَامًا كَمَا طَلَبُوهَا مِنْ رَسُولِنَا صَالِحٍ (ع) قَطْعًا لِأَعْذَارِهِمْ وَجَوَابًا عَلَى سُؤَالِهِمُ التَّعْجِيزِي لِنَجْعَلَهَا امْتِحَانًا لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ أَيْ انتظر أمر الله بهم وانظر ما يفعلون وَاصْطَبِرْ عَلَى أَذَاهُمْ. إِرْشَادُ الْأُذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ٥٣٥ وَبَيَّنَّ لَهُمْ أَيْ أَخْبَرَهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ أَيْ أَنَّهُ يَكُونُ يَوْمًا لِلنَّاقَةِ وَيَوْمًا لَهُمْ كُلُّ شَرْبٍ مُخْتَصَرٌّ أَيْ كُلُّ نَصِيبٍ مِنَ الْمَاءِ هُوَ لِأَهْلِهِ يَحْضُرُونَهُ فَلَا يَحِقُّ لَهُمْ وَرُودُ الْمَاءِ فِي يَوْمِهَا، وَلَا هِيَ تَقْرُبُ الْمَاءَ فِي يَوْمِهِمْ فَتَادُوا صَاحِبَهُمْ أَيْ دَعَا وَاحِدًا مِنْهُمْ عَيْنُوه مِنْ أَشْرَارِهِمْ

و هو قدار بن سالف فَتَعَاطَى فَعَقَّرَ تَنَاوَلَ الناقَةَ بالعقر و باشره ثم نحرها. فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَ نَذِرٍ مَر تَفْسِيرُهُ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً هِيَ صَيْحَةُ جِبْرَائِيلَ (ع) بهم و قيل هو العذاب فَكَانُوا كَهَيْئَةِ الْمُخْتَضِرِ أى أنهم صاروا مثل حطام الشجر المتكسّر المرصوص الذى يلمّه صاحب الغنم ليسوى به حظيرة لغنمه وَ لَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ مَر تَفْسِيرُهُ. ٣٣ إلى ٤٠- كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ ... أى كَذَّبُوا بما أنذرناهم به أو برسلنا إليهم إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا أى بعثنا عليهم ريحا تحمل صغار الحجارة، حصبتهم بها فهلكوا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ اسْتَنْتَى لُوطًا (ع) و أهله، أى خَلَصُوهُمْ بخروجهم فى السِّحْرِ من قريتهم من العذاب الذى حلّ بقومه قبل نزوله نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا تَفَضَّلَا عَلَيْهِمْ مَنَا، كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ أى بهذه الطريقة و أمثالها نَنعَمُ على الذى يُوَحِّدُنَا و يَحْمَدُنَا على نعمنا وَ لَقَدْ أَنْذَرَهُمْ لُوطٌ بَطْشَتْنَا أَخَذْنَا لَهُمُ بِالْعَذَابِ فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ أى جادلوا إنذاره بالباطل وَ لَقَدْ رَاودُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ أى طلبوا منه أن يَسْلَمَهُمْ ضيوفه الذين نزلوا فى بيته فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَاعْمَيْنَاهُمْ، فَذُوقُوا عَذَابِي وَ نَذِرٍ أى استطعموا نتيجة تكذيب إنذارى لكم بمعاناة عذابى وَ لَقَدْ صَيَّبْنَاهُمْ بَكُرَّةٍ عَذَابٍ مُسْتَقَرًّا أى وقع فيهم عند الصباح الباكر فَذُوقُوا عَذَابِي وَ نَذِرٍ مَر معنا وَ لَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ مَر تَفْسِيرُهُ مَكْرًا. ٤١ و ٤٢- وَ لَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ ... أَقْرَبَاؤُهُ وَ مُتَابِعُوهُ فى العقيدة و الدين النُّذُرُ أى الإنذار منا على يد موسى (ع) كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا أى الآيات التسع التى جاء بها موسى و قيل بجميع الآيات فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ بِالْفِرْقِ أَخَذَ عَزِيزٌ مُقْتَدِرٌ أى كما يأخذ القادر الذى لا يمتنع شىء من قدرته العظيمة. ٤٣ و ٤٤- أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكَمْ ... أى هل كفاركم يا مشركى مكة أفضل ممّن ذكرنا من الأقوام السابقة عليكم أم لَكُمْ بَرَاءَةٌ فى الزُّبُرِ؟ و هل عندكم صكّ بالبراءة من العذاب فى الكتب السابقة المنزلة. أم يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرُونَ أى يقول هؤلاء الكفرة نحن منتصرون على أعدائنا لكثرة جمعنا و قيل لاتحاد كلمتنا سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ أى سيغلب جمع هؤلاء الكفار وَ يَقُولُونَ الدُّبُرُ أى ينهزمون و يولون لكم ظهورهم حين الهزيمة بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ فهى موعد العذاب لجميع العصاة وَ السَّاعَةُ أَذْهَى وَ أَمْرٌ أى أعظم فى الضرر و الإزعاج لهم و أشدّ فى المرارة حين يذوقون العذاب إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فى ضَلَالٍ وَ سُعْرٍ أى فى ضياع عن طريق الجنة و هم صائرون إلى نار ذات سَعِيرٍ يَوْمَ يَسْجُبُونَ فى النَّارِ يَجْرُونَ فيها على وُجُوهِهِمْ مكبكين فيها تجرّهم ملائكة العذاب الذين يقولون لهم: ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ يعنى تذوقوا طعم إصابته جهنم لكم بلهبها المحرق. ٤٩- إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ... أى أننا جعلنا كل شىء خلقناه مقدّرا بحسب الحكمة التى اقتضتها مشيئتنا. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٥٣٦ وَ مَا أَمَرْنَا إِلَّا وَاحِدَةً كَلَمَاتٍ بِالبَصِيرِ أى أن الأمر الصادر عنّا بمجىء الساعة ينفذ كطرف البصر وَ لَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاءَكُمْ أى دمرنا أشباهكم فى الكفر ممن سبقكم فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ هَلْ مِنْ مَنَعْتَظٍ بما نقول؟. ٥٢ و ٥٣- وَ كُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فى الزُّبُرِ أى كل شىء عملوه مسجل فى الكتب التى كتبها الحفظة عليهم وَ كُلُّ صَغِيرٍ وَ كَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ أى أن جميع ما قدّموه من عمل فهو مسجل عليهم. ٥٤ و ٥٥- إِنَّ الْمُتَّقِينَ فى جَنَّاتٍ وَ نَهَرٍ ... أى أن مقرّهم فى جنات الخلد حيث إنها الخمر و العسل و اللبن. فى مَقْعِدٍ صَدَقَ أى مكان حقّ و مجلس لا لغو فيه عِنْدَ مَلِكٍ مُقْتَدِرٍ أى عنده عزّ و جل فهو المالك القوى القادر الذى لا يعجزه شىء.

سورة الرحمن مدنية، عدد آياتها ٧٨ آية

١ إلى ٤- الرَّحْمَنُ، عَلَّمَ الْقُرْآنَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ ... لَفْظُهُ الرَّحْمَنُ مختصه بالله عزّ و علا فإنه هو الذى وسعت رحمته كل شىء، و قد افتتح هذه السورة بهذا الاسم الذى استأثر به لنفسه و ذلك ليعرف الناس أن كل النعم التى سيذكرها إنما صدرت عن مشيئته و بفيض رحمته. و قد أنكر الكفار هذا الاسم المبارك له إذ قالوا: وَ مَا الرَّحْمَنُ فقال لهم جوابا على ذلك: الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ أى هو الذى علّمه لنبيه محمد (ص) و هو (ص) علّمه لأُمَّته. خَلَقَ الْإِنْسَانَ و أخرجه بقدرته من العدم إلى الوجود، حين برأ آدم (ع) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ أى أسماء كل شىء من جهه، و الإفصاح عمّا فى نفسه من جهه ثانية. ٥ و ٦- الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ... أى يجران بمنازل لا يعدوانها و هما يدلان على عدد الشهور و السنين و الأوقات وَ النَّجْمُ وَ الشَّجَرُ يَسْجُدَانِ النجم هنا هو إنبات الذى ليس له ساق و لا جذع كالأعشاب الصغيرة. فهذا النبات، و سائر الشجر يسجد لله عزّ اسمه بما فيه من آيات دالّة على عظمتة موجدته و بما يحتوى من براهين

توجب السجود لقدرة ذلك المقدّر. وقيل إن السجود المقصود، هو سجود الظلال بكرة وعشيا وطيلة النهار. ٧ إلى ٩- وَ السَّمَاءَ رَفَعَهَا ... أى أنه سبحانه رفعها فوق الأرض بلا عمد لتدلّ على كمال عظمته وَ وَضَعَ الْمِيزَانَ الذى هو آلة الوزن التى تحقق الإنصاف و الانتصاف أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ أى لا- تتعدوا فيه الحقّ إلى الباطل و البخس و أقيموا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ أى أقيموا لسان الميزان المعروف بدقّة حين الوزن وَ لَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ لا تنقصوه و لا تبخسوا و تجوروا بل اتّبِعُوا الْعَدْلَ فى ذلك كله. ١٠ إلى ١٣- وَ الْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ... أى أوجدها و وطّأها للأنام الذين قيل إنهم الجنّ، و قيل إنهم الناس، و قيل: بل هم جميع المخلوقات من كلّ ذى روح. فيها فَاكِهَةٌ وَ هو ما يتفكّه به الإنسان من الثمار وَ النَّخْلُ ذاتُ الْأَكْمَامِ أى الشجر ذو الأوعية و الغلافات المختلفة التى تدلّ على قدرة الصانع منذ بروز الزهرة إلى تمام نضج الثمرة. و قيل إن الأكمام هو ليف النخل وَ الْحَبُّ أى جمع الحبوب المعروفة ذو الْعَصْفِ أى صاحب الورق الذى يكون ملتصقا به فإذا يبس صار تبنا، و قيل العصف هو الثبن الذى تعصفه الريح أى تصيره عند هبوبها وَ الرِّيحَانِ هو جميع ما يشمّ، و قيل هو الرزق، فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ؟ أى فبأى نعمة من نعم الله تكذبان، مخاطبا بذلك الإنس و الجنّ. و هذه الآية تتكرّر فى السورة المباركة مرارا للتقرير بالنعم التى يذكرها سبحانه، و للتأكيد و التذكير و التدبّر. ١٤ إلى ١٦- خَلَقَ الْإِنْسَانَ ... يعنى آدم (ع) و كذلك ذريته لأنه أصلهم. مِنْ صَلْصَالٍ الصَّلْصَالُ هو الطين اليابس، و قيل هو الحمأ الممتن كالْفَخَّارِ أى كالآجر و الخزف وَ خَلَقَ الْجَانَ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ أى من نار مختلط أحمرها و أبيضها و أسودها. و قيل إن المارج هو الصافى من لهب النار الذى ليس فيه دخان فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ؟ مر معناه. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ١٧٥٣٧ و ١٨- رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَ رَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ... أى مشرق الصيف و مشرق الشتاء و مغرب كلّ منهما. و قيل هما مشرقا الشمس و القمر و مغربهما، فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ؟. ١٩ إلى ٢١- مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ... البحرين هما العذب و المالح يلتقيان فلا يختلط ماؤهما يَتَّبِعُهُمَا بَزْرُخٌ أى حاجر لا يَبْغِيَانِ لا يبغي المالح على العذب فيفسده و لا- العكس فيختلط به. و معنى مَرَجَ: أرسل و أطلق طرفيهما. ٢٢ و ٢٣- يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّوْؤُ وَ الْمَرْجَانُ ... قيل: اللؤلؤ هو درّ البحر الكبير، و المرجان صغاره، و هما معروفان. ٢٤ و ٢٥- وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ... و هى السففن المرفوعات التى رفع خشبها بعضه فوق بعض حتى طالت و ارتفعت الجاريات فى البحر كالجبال بأمر الله. ٢٦ إلى ٢٨- كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَإِنْ ... أى جميع من هو على وجه الأرض من الحيوان هالك يخرج من الوجود إلى حالة العدم وَ يَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ أى يبقى ربك الظاهر بأدلته كظهور الإنسان بوجهه ذو الْجَلَالِ أى صاحب العظمة و الكبرياء المستحق للحمد و المدح وَ الْإِكْرَامِ الذى يكرم رسله و أوليائه و يلطف بهم. ٢٩ و ٣٠- يَسْئَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ ... أى لا يستغنون عن معونته فيتوجهون إليه بحوائجهم كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ اختلف المفسّرون فى معنى هذا القول الشريف. فقالوا: من شأنه الإحياء و الإماتة، و المعافاة و المرض، و الإعطاء و الحرمان، و الإنجاء و الإهلاك، و قالوا غير ذلك. ٣١ و ٣٢- سَفَرُكُمْ لَكُمْ أَيُّهُ الثَّقَلَانِ ... أى ستوجه لحسابكم أيها الجن و الإنس فى موعده. ٣٣ إلى ٣٦- يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ إِنِ اسْتِغْتَعْتُمْ أَنْ تَتَنَفَّدُوا ... أى الناس و الجنّ، إن قدرتم أن تخرجوا من سلطاني و تهربوا من الموت مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ أى من نواحيهما و جوانبهما فَانْفُذُوا أى اخرجوا لا تَتَنَفَّدُوا إِلَّا بِسُلْطَانٍ أى أنى توجهتم فإنكم تحت سلطاني آخذكم بالموت، فلا مخرج لكم إِلَّا بالقوة التى أمنحكم إياها يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوْاْطُ مِنْ نَارٍ وَ نَحَاسٌ يعنى أنكم إن حاولتم أن تنفذوا من أقطار السماوات و الأرض يرسل عليكم ذلك اللهب الأخضر المنقطع من ألسنة النار و النحاس السائل المحرق. فَلَا تَنْتَصِرَانِ أى فلا تقدران على دفع ذلك عنكما و عن غيركما. ٣٧ و ٣٨- فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً ... يعنى إذا انصدعت يوم القيامة و تفكّك بعضها عن بعض، فصارت بيضاء تميل إلى الصفرة و الحمرة كلون الفرس الورد كالأذهان جمع الذهب، و ذلك عند انقضاء مدة الحياة و انتهاء الأمر. ٣٩ إلى ٤٥- فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَ لَا جَانٌّ ... أى يوم القيامة لا يسأل مجرم لماذا أجرمت لا من الإنس و لا- من الجنّ، بل يصاب بالذهول من هول الموقف. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٥٣٨ يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ أى يعرفون بعلاماتهم لأنهم يحشرون سود الوجوه، زرق العيون فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَ الْأَقْدَامِ أى يأخذهم زبانية جهنم فيجمعون بين رؤوسهم و أرجلهم، فيربطونها بالأغلال و السلاسل و يجرونهم إلى النار هذه جَهَنَّمَ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ أى يقال لهم هذه

جهنم التي كذب بها الكافرون حين كانوا في الدنيا يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آتَى يَتَرَدَّدُونَ مرةً إلى جحيم النار في جهنم، و مرةً إلى الشراب الذي يصب من فوق رؤوسهم فيصهر ما في بطونهم والجلود. ٤٦ إلى ٤٩- وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ... أى لمن خاف المقام بين يدي ربه و ذلّ الحساب، و صدق بذلك و عمل صالحاً، فله جنتان قيل هما جنّة عدن و جنّة النعيم ذواتا أفنانٍ يعنى ذواتا أنواع من النعيم و ذواتا ألوان من الفاكهة، و قيل: ذواتا أغصان. ٥٠ إلى ٥٣- فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ... أى أن فى الجنتين عينين من ماء تجريان بين أشجارهما، و الجنتان فيهما من كل فاكهة زوجان؟ أى فيهما من كل الثمرات نوعان متشاكلان كشاكل الذكر و الأنثى. ٥٤ و ٥٥- مُتَكَيِّفِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِشْتَبَرَقٍ ... أى أن أهل الجنة يجلسون كالمملوك على فرش بطائنها من الديباج الغليظ و جنى الجنتين دان أى ثمر فواكه الجنتين قريب فى تناول صاحبها لأنها تدنو منه حسب رغبته. ٥٦ إلى ٥٩- فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ ... أى فى الفرش حور عين و نساء قصرن نظراتهن على أزواجهن فلا- يرون غيرهم لَمْ يَطْمِئْنُوهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا- حَيَّانٌ أى لم يفتضهنّ و لم ينكحنّ أحد قبل هؤلاء المؤمنين من أهل الجنة بل هنّ أبكار كما خلقن كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ يعنى أنهنّ فى الصفاء و الرونق كالياقوت و المرجان الشديد الصفاء. ٦٠ و ٦١- هِيَ لَئِنْ جَاءَ الْإِحْسَانُ إِلَّا الْإِحْسَانُ ... هو استفهام بمعنى التقرير، أى ليس جزاء العمل الصالح فى الدنيا إلّا أن يحسن الله إليه فى الآخرة. ٦٢ إلى ٦٩- وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّاتٍ ... أى أن لمن خاف مقام ربه جنتين أخريين غير الجنتين المذكورتين أولاً، و يكونان أقرب إلى قصره و أقرب لمجالس أنسه و سروره يتنقل بينهما من وقت إلى وقت مُبْدِهَاتَانِ أى شديدتا الخضرة حتى أنهما فى خضرتهما السواديهما عَيْنَانِ نَضَّاجَتَانِ؟ أى فوّارتان بالماء الذى ينبع فيهما و يجرى فيهما. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٥٣٩ فيهما فاكهة و نخل و رُمانٌ أى فيهما أنواع الفاكهة و قد ذكر النخل و الرمان مع أنهما من الفاكهة لفضلهما. ٧٠ إلى آخر السورة المباركة- فِيهِنَّ ... أى فى تلك الجنّات الأربع يوجد خيراتٍ حسناً يعنى نساء طيبات ذوات وجوه و أجسام جميلة و أخلاق فاضلة حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فى الْخِيَامِ أى بيض حسن بياضهنّ محبوسات فى الحجال مستورات فى القباب. و العين الحوراء هى التى يكون بياضها شديد البياض لَمْ يَطْمِئْنُوهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ مَرَّ تَفْسِيرُهَا مُتَكَيِّفٌ عَلَى رَفْرِفٍ خَضِرٍ أى على فرش خضر، و قيل هى رياض الجنة و مفردتها: رفرفة، و قيل هى الوسائد التى توضع بجانب الفرش فيتكأ عليها و عَبَقَرِيٌّ حَسَانٌ أى يتكئون أيضاً على زرابى جميلة و هى الطنافس تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ أى تعظم و تعالى اسم هذا الربّ الذى لا ينبغى لغيره أن يوصف بما يوصف به من القدرة و القدم و الألوهية و الحكمة و العلم و هو ذو العظمة و الكبرياء و الإكرام: أى الذى يكرم المؤمنين به و المصدقين لرسله.

سورة الواقعة مكية، عدد آياتها ٩٦ آية

١ إلى ٣- إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ... قامت القيامة بعد النفخة الأولى لَيْسَ لَوْفَعَتِهَا كَاذِبَةٌ أى لا يكون لحصولها تكذيب لأنها تحدث بمرأى و مسمع من كل حى و السمع و العقل لأنها خافضة رافعة أى تخفض ناساً بما عملوا من المعاصى فيدخلون النار و ترفع أناساً فتوصلهم إلى الجنة بما عملوا من الطاعة. ٤ إلى ١٦- إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا ... أى إذا حركت الأرض و زلزلت زلزلاً شديداً وَبَسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا أى تفجرت و تفتتت و اجتتت من أصلها. فَكَانَتْ هَبَاءً مُتْبَثًا أى غباراً دقيقاً جداً موزعاً. وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً بعد الحساب، أى أصنافاً ثلاثة فَاصْصَحَابُ الْمَيْمَنَةِ أى الذين يأخذون كتبهم بأيمانهم و يكونون من أهل الخير ما أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ؟ أى أى شىء هم؟ وَ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ أى أهل الشؤم الذين يعطون كتبهم بشمالهم و يكونون من أصحاب النار ما أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ؟ مندداً بشأنهم فى العذاب العظيم. وَ السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أى السابقون إلى اتباع أوامرنا التى أوحينا بها إلى رسلنا و فعل الطاعات أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ فهم الذين يقربهم الله تعالى إلى رحمته فيجعل مقامهم فى جَنَاتِ النَّعِيمِ فهى نزلهم فى دار مكرمه الله. ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَى أى جماعة كثيرة من الأمم الماضية و قَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ أى من أمة محمد (ص) عَلَى سُرُرٍ مَوْضُوعَةٍ مَصْنُوعَةٍ كصناعة الدرع الذى تدخل حلقاته بعضها ببعض مُتَكَيِّفِينَ عَلَيْهَا أى مستندين كما يفعل المملوك. مُتَقَابِلِينَ كل واحد يقابل الآخر، ينظر بعضهم إلى وجه بعض. إرشاد الأذهان إلى تفسير

القرآن، ص: ١٧٥٤٠ إلى ١٩- يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وَلِدَانٌ مُخَلَّدُونَ ... أى يدور عليهم خدمهم و غلمانهم الذين لا يموتون و لا يهرمون و لا تتغير حالهم بِأَكْوَابٍ وَ أَبَارِيقَ وَ كَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ أى بقداح لا خراطيم لها، و بأباريق ذات خراطيم، و بكؤوس الخمر لا يَصِيَّ دَعُونَ عَنْهَا أى لا يصيبهم من شربها صداع، و قيل لا يفرقون عنها و لا يُزِفُونَ أى لا تذهب عقولهم بالسكر. ٢٠ إلى ٢٤- وَ فَاكِهَةٌ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ ... أى: و يطوف عليهم الولدان بفاكهة مما يشتهونه و يختارونه و لَحْمٍ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ أى مما يتمنون من أطيب اللحوم و ألذها و حُورٍ عِينٍ مَرَّ تَفْسِيرِهَا كَأَمْثَالِ اللَّوْلُؤِ الْمَكْنُونِ أى كالدَّر المحفوظ المخزون فى أصدافه جزاء بما كانوا يَعْمَلُونَ أى ثوابا لطاعاتهم فى دار الدنيا. ٢٥ و ٢٦- لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَ لَا تَأْتِيًا ... أى لا يسمعون كلاما تافها ليس فيه فائدة، و لا قولاً يَأْثُمُ به قائله أو سامعه. إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا أى قول بعضهم لبعض سلاما بقصد التحيّة. ٢٧ إلى ٣٣- وَ أَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ... تعجب من شأنهم مثل: و أصحاب اليمين و قد مر فى سِدْرٍ مَخْضُودٍ أى نبق منزوع الشوك و طَلْحٍ مَنُضُودٍ يعنى موز منظم مرتّب و ظِلٍّ مَمْدُودٍ أى فىء دائم لا شمس تذهب به و ماءٍ مَسِيكُوبٍ يعنى أنه مصبوب يجرى دائما و لا يحتاج أحد إلى تعب فى استقائه و فَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ أى ثمار وافرة لا- مَقْطُوعَةٍ وَ لَا مَمْنُوعَةٍ ليس لها وقت و موسم معلوم كفاكهة الدنيا و لا يمنع من قطفها شوك أو غيره. ٣٤ إلى ٤٠- وَ فُرْشٍ مَرْفُوعَةٍ ... أى و بسط رفع بعضها فوق بعض فأصبحت عالية. و قيل هنّ ريفات الخلق رائعات الحسن، إذ يقال لامرأة الرجل فراشه إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنِشَاءً أى خلقناهنّ خلقا جديدا فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا أى عذارى عند كل و طء عُرْبًا أَتْرَابًا أى عاطفات على أزواجهن مؤنسات لهن. و متشابهات مستويات فى السن. لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ أى هذا المذكور كله هو ثواب أصحاب اليمين ثلّة مِنَ الْمَأْوِلِينَ وَ ثَلّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ أى إن ذلك لجماعة من الأمم السالفة و جماعة من أمّة محمد (ص). ٤١ إلى ٤٤- وَ أَصْحَابُ الشَّامِ مَا أَصْحَابُ الشَّامِ ... و هذا كقوله و أصحاب المشمئة إلخ و قد مر. فى سَمُومٍ وَ حَمِيمٍ أى فى الريح الشديدة الحرارة التى تدخل حرارتها فى مسامّ البدن، و الماء الحارّ المغلى وَ ظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ أى دخان أسود كثيف شديد السواد. لا بارِدٍ وَ لا كَرِيمٍ أى لا فيه برودة يستراح إليها، و لا منفعة يحمدها من يأوى إليه. ٤٥ إلى ٤٨- إِنَّهُمْ كَانُوا قَلِيلًا ذَلِكُمْ مُتَرَفِينَ ... أى أنهم كانوا فى دار الدنيا مرفهين متنعّمين يتركون الطاعات طلبا لراحة أبدانهم وَ كَانُوا يُصَيَّرُونَ عَلَى الْحِنْتِ الْعَظِيمِ أى يقيمون على الذنب الكبير. و قيل على الشرك. وَ كَانُوا يَقُولُونَ عَنَادًا وَ كَفْرًا: أ إِذَا مِنَّا وَ كُنَّا تَرَابًا وَ بليت أجسادنا أ إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ لعائدون إلى الحياة كما كنا؟ أ وَ آبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ أى و إن آباءنا يبعثون أيضا؟. ٤٩ إلى ٥٦- قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَ الْآخِرِينَ ... أى قل لهم يا محمد: سيعث من تقدمكم و من تأخر عنكم و كذلك أنتم لَمَجْمُوعُونَ إلى مِيقَاتٍ يَوْمَ مَعْلُومٍ أى ليوم القيامة الذى يحشر فيه الأموات للحساب. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٥٤١ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَنتُمُ الصَّالُونَ الذين انحرقتم عن طريق الحق الْمُكَذَّبُونَ بتوحيدنا و برسالة نبينا لَأَكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ رُقُومٍ فَمَا لُؤُنَ مِنْهَا الْبُطُونَ مَرَّ تَفْسِيرِهَا فى سورة الصافات فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ الماء المغلى و بلغت حرارته أشدها. فَشَارِبُونَ شَرِبَ الْهَيْمِ يعنى شرب الإبل التى أصابها العطش بحيث لا ترتوى. هذا نُزْلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ أى أن جهنم هى مأوى الكافرين، و هذا طعامهم و شرابهم يوم الجزاء فيها. ٥٧- نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْ لَا تُصَدِّقُونَ ... حين أنكر الكافرون البعث و النشور قال سبحانه محتجا عليهم: نحن أخرجناكم من العدم إلى الوجود و أنتم تقرون بذلك فلم لا- تؤمنون بقدرتنا على إعادتكم بعد إفنائنا لكم. ٥٨ إلى ٦٢- أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ... أى هل نظرتم إلى ما تقدفونه من النّطف فى أرحام نساءكم فتصير ولدا؟ أ أنتم تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ يعنى هل أنتم خلقتهم ما تمنونه بشرا أم نحن خلقناه؟ نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ أى قضينا به و جعلناه على كيفية مرتبة فهذا يموت طفلا و ذاك يكون سقطا، و الآخر يموت شابا و هكذا حسب ما اقتضته حكمتنا. وَ مَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ أى لم يسبقنا أحد إلى هذا التقدير و لا نحن بمغلوبين على أمر قدرناه. عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ فنخلق مثلكم بدلا عنكم وَ نَنْشِئْكُمْ فى ما لا- تَعْلَمُونَ أى نخلقكم على صور لا- تعلمونها كأن نجعلكم قرده و خنازير فإنه لا يعجزنا ذلك. فَلَوْ لَا تَذَكَّرُونَ أى فليتكم تعتبرون لتعرفوا قدرتنا على الخلق ابتداء و إعادة. ٦٣ إلى ٦٧- أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ، أ أنتم تَزْرَعُونَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا هَرَجٌ عَلَى أَصْحَابِ الْأَرْضِ عَاقِبَتُهُمْ أَي يَأْكُلُونَهُ أى فقللتم تفكّهون أى فبقيتم تتعجبون ممّا حلّ بكم و نزل فى زرعكم إِنَّا لَمُعْرِضُونَ

أى نحن نتحمل عاقبة كفرنا بالله فقد ذهب ما لنا و ذهب كذلك نفقتنا وضاع وقتنا و تعبنا بل نحن محرومون أى لا حظ لنا فنحن ممنوعون من الرزق و من كل خير. ٦٨ إلى ٧٠- أفرأيتم الماء الذى تشربون أ أنتم أنزلتموه من المزن ... إلخ أى السحاب أم نحن. لو نشاء جعلناه أى لو أردنا لجعلنا الماء أجاباً أى مرّاً شديد المرارة فلو لا تشكرون أى فيا ليتكم كنتم تشكرون الله على هذه النعمة. ٧١ إلى ٧٤- أفرأيتم النار التى تورون ... أى هلا نظرتم إلى النار التى تشعلونها و تقدحونها بزدناكم أ أنتم أنشأتم شجرتها إلخ هل أنتم أنبتم الشجر الذى تنفدح منها النار أم نحن؟ نحن جعلنا النار عبرةً لنار جهنم لتذكروا فتستعيذوا بالله من عذابها و متاعاً للمقوين جعلنا هذه النار أيضاً منفعةً للمسافرين و المقيمين ممن يستمتعون بها من ضياء و اصطلاء و طبخ إلخ فسبح باسم ربك العظيم أى فترهه سبحانه و برئه مما يصفه به الظالمون. ٧٥ إلى ٨٢- فلا- أقسم بمواقع النجوم ... لا- زائدة، أى: أقسم بمواقع النجوم، و هى مطالعها و مساقطها و إنه لقسم لو تعلمون عظيم أى أنه يمين عظيمة ذات أهمية من أكبر الأيمان. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٥٤٢- إنه لقُرآن كريم أى أن هذا الذى ننزله عليك يا محمد قرآن كثير النفع جم الخير فى كتاب مكنون أى مستور محفوظ عن الخلق فى اللوح المحفوظ لا يمسه إلا المطهرون أى الملائكة الموصوفون بالطهارة من الذنوب، و العباد المطهرون من الشرك و من الأحداث و النجاسات تنزّل من رب العالمين فهو منزل من عنده تعالى على نبيه (ص) أ فهذا الحديث الذى رويناه لكم فى القرآن أنتم مبدئون أى مائلون و مراءون و تجعلون رزقكم أنكم تكذبون أى و تجعلون نصيبكم من الخير بالكذب و قيل معناه: و تجعلون نصيبكم من القرآن الذى رزقكم الله إياه الكذب؟. ٨٣ إلى ٨٧- فلو لا- إذا بلغت الحلقوم ... أى فهلما إذا بلغت روحكم الحلقوم عند الموت و أنتم حينئذ أى و أنتم يا أهل الميت فى ذلك الوقت تنظرون ذلك و ترون حاله و لكنكم لا تستطيعون دفع ذلك عنه و نحن أقرب إليه منكم أى أننا ألصق به قدرة و علما بحاله و لكن لا تبصرون لا ترون ذلك و لا تعلمونه فلو لا إن كنتم غير مدينين ترجعونها إن كنتم صادقين فهلما ترجعون نفس من يعز عليكم إذا بلغت حلقومه عند الموت و تردونها إلى موضعها إن كنتم كما تقولون غير محاسبين و غير مبعتين. و قيل كنتم غير مملوكين لله بل أنتم تملكون أموركم. ٨٨ إلى ٩١- فأما إن كان من المقربين ... أى فإن كان الميت الذى حكينا عن احتضاره من المؤمنين السابقين إلى مرضاء الله فروح أى فله راحة تامة و ريحان أى رزق فى الجنة. و قيل هو الريحان المشموم يؤتى له به من الجنة و جنة نعيم أى و له تلك الجنة الموصوفة يدخلها و أمّا إن كان من أصحاب اليمين أى إذا كان المتوفى من هؤلاء المؤمنين مرّ وصفهم فسلام لك من أصحاب اليمين أى فيقال له: سلمت و ترى فى أصحاب اليمين ما تحب من السلامة يوم الجزاء. ٩٢ إلى آخر السورة المباركة- و أمّا إن كان من المكذبين الضالين ... أى و إذا كان المحتضر من المكذبين بالتوحيد و البعث و الرسل و بأوامر الله و نواهيه، و من الضالين عن الهدى فتزل من حميم فله مقام فى جهنم و قد أعد له طعام و شراب من حميمها الذى يقطع الأمعاء و تصلية جحيم أى إدخال فى نار عظيمة اللهب و الحرارة إن هذا الذى نقوله لكم أيها العباد لهو حق اليقين أى الحق المؤكد فسبح باسم ربك العظيم مر معناه.

سورة الحديد مدنية، عدد آياتها ٢٩ آية

١ إلى ٣- سبّح لله ما فى السماوات و الأرض ... أى نزه الله تبارك و تعالى جميع ما فيهما و برّاه مما يقول الظالمون. و هو العزيز أى القادر الذى لا يمتنع عليه شىء. الحكيم الذى أجرى الأمور جميعها وفق تدبير و حكمه له ملك السماوات و الأرض فهو مالك ذلك كله و المتصرف فيه وحده لا يمنعه من ذلك مانع يحىي و يميت فيحىي الأموات للبعث، و يميت الأحياء فى الدنيا و هو على كل شىء قدير أى أنه قادر على الموجودات و المعدومات هو الأوّل لأنه القديم الأزلّى و ما عداه محدث و الآخر الباقي بعد فناء كل شىء و الظاهر الغالب لكل شىء، و كل شىء دونه و الباطن العالم فلا أعلم منه. و هو بكل شىء علیم لأنه عالم لذاته. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٥٤٣ إلى ٥٤٦- هو الذى خلق السماوات و الأرض ... أى أنه أبدعها سبحانه بما فيهما فى ستة أيام و قد كان يستطيع أن يخلقهما فى لحظة واحدة لأنه قادر لذاته، و قد فعل ذلك ليرى ملائكته و عباده ما فى ذلك من مصلحة ظهور شىء بعد

شئ، و ما فى ذلك من حسن النظام و التدبير، ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ أى استولى على الملك و السلطان يَغْلَمُ ما يَلْبُجُ فى الْأَرْضِ أى يعرف سبحانه فيها ما يستتر و ما يَخْرُجُ مِنْهَا من سائر أنواع الحيوان و النبات و الجماد و ما يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ من مطر و من خيرات و من أوامر و نواهي و ما يَعْزُجُ فِيهَا أى ما يصعد إليها من الملائكة و من أعمال الخلق و غيرها و هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ بواسطة علمه الذى يحيط بأعمالكم و أحوالكم و بكل شئ و اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ من خير أو شرَّ بَصِيرٌ أى عليم لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ يتصرف فيهما بحسب مشيئته و إِلَى اللَّهِ تَرْجِعُ الْأُمُورُ أى تصير إليه يوم القيامة يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ، وَ يُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ أى يدخل ما نقص من هذا فى هذا و بالعكس بحسب ما دَبَّرَ و قَرَّرَ وَ هُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ أى عارف بأسرار خلقه و ما يخفونه من الضمائر و الهواجس و الأفكار. ٧ إلى ١٠- آمَنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ ... أى صدّقوا بالله إلهاً واحداً و بنوه رسولاً وَ أَنْفَقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ أى ابدلوا فى سبيل الله و فى الوجوه التى أمركم من المال الذى ورثتموه ممن قبلكم. فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ أَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ أى للمؤمنين بالله و برسوله المنفقين فى سبيله، جزاء أجر عظيم. وَ مَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ يعنى ما الذى يمنعكم من التصديق به مع الدلائل الواضحة على وحدانيته وَ الرَّسُولَ يَدْعُوكُمْ لِيُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَ نَبِيِّهِ (ص) يطلب إليكم أن تؤمنوا بخالقكم وَ قَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ بما جعل سبحانه فى عقولكم من معرفته الصانع و الميثاق هو الأمر الذى يجب العمل بمقتضاه إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ أى إذا كنتم مصدّقين فعلاً، فلا عذر لكم فى ترك الإيمان بعد لزوم الحجة هُوَ الَّذِى يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ مُحَمَّدٍ (ص) آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ بَرَاهِينَ وَاضِحَةٍ لِيُخْرِجَكُمْ اللَّهُ بِتِلْكَ الْبَرَاهِينِ وَ بِالْقُرْآنِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ أى من الكفر إلى الإيمان وَ إِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرْؤُفٌ رَحِيمٌ ذلك بأن أرسل إليكم رسولا و نصب أدلة و لم يترك مجالا- لبقايتكم على الضلال. وَ مَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أى ما تنتظرون من وراء ترككم للإنفاق فى ما يقربكم إلى الله وَ لِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ فكل ما فيهما يبقى له سبحانه بعد فناء ممن فيهما من الجنّ و الإنس و الملائكة، فاستوفوا حظوظكم من الأموال قبل أن تصير ميراثا لغيركم. لَا يَسْتَوِى أى لا يتساوى مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَ قَاتَلَ مِنْ بَذَلٍ مِنْ مَالِهِ فى سبيل الله قبل فتح مكة و جاهد الكفار بنفسه أولئك الفاعلين لذلك أَغْطَمَ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَ قَاتَلُوا أى بعد فتح مكة و جاهدوا الكفار فأولئك السابقون فى البذل و الجهاد أعظم ثوابا عند الله وَ كَلَّا وَ عَيْدَ اللَّهِ الْحُسَيْنِ أى وعد هؤلاء بالجنة و إن تفاضلوا فى درجاتها وَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ أى أنه عليم بكل ما تفعلونه. ١١ إلى ١٥- مَنْ ذَا الَّذِى يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ... من منكم أيها الناس ينفق من ماله فى سبيل الله ثم يعتبره قرضا لله و دينا عليه سبحانه بطيبة نفس فَيُضَاعِفَهُ أى يجعل له جزاء إقراضه هذا من سبعة إلى سبعين ضعفا، بل إلى سبعمائته؟ وَ لَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ أى لهم ثواب و جزاء خالص كثير. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٥٤٤ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ يا محمد فى ذلك اليوم يَشِيعُ نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ بِأَيْمَانِهِمْ أى أن ضياءهم لإيمانهم يضىء لهم طريق الصراط و يكون دليلهم إلى الجنة. وَ بِأَيْمَانِهِمْ يعنى كتب أعمالهم يأخذونها بأيمانهم ثم يبشرون فتقول لهم الملائكة: بُشْرَاكُمْ الْيَوْمَ جَنَاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ بِأَقِينٍ مُؤَبَّدًا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ أى الظفر المطلوب على أكمل وجه. يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَ الْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا بعد أن يروا ما هم عليه من النور و النعيم: أَنْظَرُونَا أى اصبروا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ أى نستضيء بنوركم و نتخلص من هذه الظلمات قِيلَ لِلْكَافِرِينَ: ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ أى عودوا إلى المحشر حيث أعطينا هذا النور. و قيل ارجعوا إلى الدنيا. فَالْتَمِسُوا هُنَاكَ نُورًا تستضيئون به، فيرجعون فلا- يجدون شيئا. فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ أى أقيم بين المؤمنين و الكافرين جدار يقام بين الجنة و النار لَهُ بَابٌ بَاطِنٌ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَ ظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ أى من جهة ذلك الظاهر العذاب أى جهنم كما أن الرحمة من جهة الجنة يُنَادُوهُمْ أى أن المنافقين ينادون المؤمنين قائلين: أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ أَلَمْ نَكُنْ سَوِيَّةً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا نفعل ما تفعلون من صيام و قيام و غيرهما؟ قَالُوا بَلَى هَذَا جَوَابُ الْمُؤْمِنِينَ، أى: نعم كنتم كذلك وَ لَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ أى غششتهم أنفسكم و أخذتم بفتنة النفاق وَ تَرَبَّصْتُمْ أى انتظرتهم بمحمد (ص) الموت أو تربصتم به (ص) و بالمؤمنين كل سوء وَ ارْتَبْتُمْ أى شككتهم فى أصل الدين وَ غَرَّكُمْ الْأَمَانِيُّ أى غشيتكم الآمال بأن تدور الدائرة بالمؤمنين فيهلكون وَ غَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ يعنى غرركم الشيطان فأطعتموه فاليوم لا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ أى لا يفيدكم أن تدفعوا بدلا تفدون به أنفسكم لتنجوا من العذاب وَ لَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أى الذين تظاهروا بالكفر الذى أبطنتموه مأواكم

النَّارُ أَي مَقَرِّكُمْ الدائم الذي تأوون إليه هَيَّ مَوْلَاكُمْ يعني هَيَّ أُولَى بِكُمْ وَبَسَّ الْمَصِيرُ أَي وَهِيَ مَصِيرُ بَيْتِ تَعِيسَ. ١٦ و ١٧- أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ ... أَي: أَلَمْ يَحِنْ الْوَقْتُ الَّذِي تَلِينَ فِيهِ قُلُوبُ الْمُؤْمِنِينَ لِتَذْكُرَ اللَّهُ فَنُفِثَ لَهَا يَسْمَعُونَ مِنْ تَذْكِرِهِ سُبْحَانَهُ وَوَعظَهُ لَهُمْ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ أَي وَتَلِينَ أَيْضًا لِلْقُرْآنِ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ أَي الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى مِنْ قَبْلُ أَي مِنْ قَبْلِهِمْ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ أَي الزَّمانُ قَدْ بَعْدَ بَيْنِهِمْ وَبَيْنَ رُسُلِهِمْ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ غَلِظَتْ وَزَالَ خُشُوعُهَا بَحِثْ مَرَنْتَ عَلَى الْمَعَاصِي. وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ مَارْقُونَ وَخَارِجُونَ عَنْ إِطَاعَةِ أَوَامِرِ اللَّهِ اغْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا يَعْنِي يَحْيِيهَا بِالْمَطَرِ بَعْدَ الْجُدُوبَةِ وَهُوَ كَذَلِكَ يَحْيِي الْكَافِرَ الْمَيِّتَ الْقَلْبَ بِالْإِيمَانِ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ أَي أَوْضَحْنَا لَكُمْ الْبَرَاهِينَ وَالْحَجَجَ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ بِأَمَلٍ أَنْ تَرْجِعُوا إِلَى طَاعَتِنَا بَعْدَ التَّفَكُّرِ. ١٨ إِلَى ٢٠- إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدَّقَاتِ ... أَي الْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُحْسِنِينَ إِلَى الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ، مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالَّذِينَ أَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا أَي بَذَلُوا فِي سَبِيلِ الْخَيْرِ، فَأُولَئِكَ يُضَاعَفُ لَهُمْ مَا بَذَلُوا مِنْ قَرْضٍ لِلَّهِ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ مَرَّ تَفْسِيرُهُ. إِرْشَادُ الْأَذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ٥٤٥ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ يَعْنِي صَدَقُوا بِهِمْ فَوَحَّدُوا اللَّهَ وَاعْتَرَفُوا بِنُبُوَّةِ أَنْبِيَائِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّدِّيقُونَ أَي شَدِيدُ وَالتَّصَدِيقُ الْمُبَالِغُونَ فِيهِ وَالشَّهَادَةُ عِنْدَ رَبِّهِمْ أَي وَأُولَئِكَ هُمُ كَذَلِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ أَي ثَوَابُهُمْ مُحْفُوظٌ لَهُمْ، وَكَذَلِكَ نُورُهُمُ الَّذِي يَهْتَدُونَ بِهِ إِلَى طَرِيقِ الْجَنَّةِ. وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ أَي فِي النَّارِ يَبْقَوْنَ فِيهَا دَائِمًا وَأَبَدًا فَكَانَهُمْ مَلَكُوهَا وَصَارُوا أَصْحَابَهَا اغْلَمُوا أَنَّهَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ أَي أَنَّهَا بِمَنْزِلَةِ اللَّعِبِ وَاللَّهِوِ اللَّذِينَ لَا بَقَاءَ لَهُمَا مَهْمَا طَالَ وَقْتُهُمَا. وَزِينَةٌ يَزِينُ أَهْلُهَا بِهَا فَتَحَلُّوا فِي أَعْيُنِهِمْ وَتَفَاخَرُوا بَيْنَكُمْ يَفَاخِرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ بَزَخَرُهَا وَتَكَاثَّرَ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ بَحِثْ تَجْمَعُونَ مِنْهَا مَا يَحِلُّ وَمَا لَا يَحِلُّ وَتَفْنُونَ أَعْمَارَكُمْ فِي كُتْرِ الْمَالِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَي مِثْلَ مَطَرٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ أَي أَعْجَبَ الزَّارِعِينَ مَا نَبَتَ فِيهَا مِنْ ذَلِكَ الْمَطَرِ ثُمَّ يَهْبِجُ أَي يَبْسُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا لِأَنَّهُ قَارِبُ الْيَبَاسِ ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا مَهْشَمًا مَكْسَرًا قَشَهُ وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ مَخْصُوصٌ بِأَعْدَائِهِ سُبْحَانَهُ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ لِأَهْلِ طَاعَتِهِ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ أَي أَنَّهَا سَبَبُ غُرُورٍ لِمَنْ اغْتَرَبَ بِهَا وَاشْتَغَلَ بِطَلَبِهَا سُرْعَانَ مَا يَفْنَى وَيَهْلِكُ. ٢١ إِلَى ٢٤- سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ ... يَعْنِي بَادِرُوا إِلَى صَالِحِ الْأَعْمَالِ وَالتَّوْبَةِ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فَسَابِقُوا إِلَى جَنَّةٍ هَذَا وَصَفُهَا. وَقَدْ ذَكَرَ سُبْحَانَهُ عَرْضُهَا وَلَمْ يَذْكُرْ طُولَهَا لِأَنَّ هَذَا الْعَرْضَ الْهَائِلَ لَا بَدَلَ لَهُ مِنْ طُولٍ أَكْثَرَ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا الْخُ أَي هَيَّئْتُ لِلَّذِينَ صَدَقُوا بِهِ سُبْحَانَهُ وَبِمَا جَاؤُوا مِنْ عِنْدِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ أَي أَنَّهَا تَفْضُلٌ مِنْهُ تَعَالَى عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَإِنْ كَانُوا لَا يَسْتَحِقُّونَهَا كَمَا هِيَ فَقَدْ أَعْطَاهُمْ مِنْهَا مَا يَسْتَحِقُّونَهُ مَعَ زِيَادَةِ تَفْضُلِيَّتِهِ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ أَي هُوَ سُبْحَانَهُ صَاحِبُ الْإِحْسَانِ الْجَسِيمِ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ كَالْقَحْطِ وَقَلَّةِ الْمَطَرِ وَنَقْصِ الْإِنْتِاجِ وَغَيْرِهِ وَلَا- فِي أَنْفُسِكُمْ مِنْ مَرَضٍ أَوْ غَيْرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ أَي أَنَّهُ مُثَبَّتٌ فِي اللَّوْحِ الْمُحْفُوظِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَبْرَأَهَا يَعْنِي مِنْ قَبْلِ أَنْ تَخْلُقَهَا وَتُوجِدَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ أَي سَهْلٌ هَيِّنٌ بِالرَّغْمِ مِنْ كَثْرَتِهِ. لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ أَي حَتَّى لَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا لَا- تَصِيْبُونَهُ مِنْ نَعِيمِ الدُّنْيَا وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ أَي لَا تَسْرَوْا كَثِيرًا بِمَا مَنَحَكُمْ اللَّهُ مِنْ عَطَائِهَا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ أَي يَكْرَهُ كُلَّ مُتَكَبِّرٍ يَتَعَاضَمُ عَلَى النَّاسِ الَّذِينَ يَخْلُونُ بِأَدَاءِ مَا كَلَّفُوا بِهِ مِنَ الْوَاجِبَاتِ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ يَحْتُونَهُمْ عَلَيْهِ وَمَنْ يَتَوَلَّ أَي يَعْرِضُ عَمَّا نَدَبَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ عَنْهُ وَعَنْ طَاعَاتِهِ وَصَدَقَاتِهِ وَهُوَ الْحَمِيدُ أَي أَهْلُ الْحَمْدِ عَلَى نِعْمِهِ. إِرْشَادُ الْأَذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ٥٤٦ ٢٥ إِلَى ٢٧- لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ ... أَي بِالْمُعْجَزَاتِ وَالْدَّلَائِلِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ أَي الْكُتُبَ السَّمَاوِيَّةَ الْمُتَضَمِّنَةَ لِلْأَحْكَامِ وَلِكُلِّ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْخَلْقُ وَالْمِيزَانُ إِمَّا ذَا الْكَفْتَيْنِ الَّذِي يوزنُ بِهِ، وَإِمَّا صَفْتَهُ لِيُقَوِّمَ النَّاسَ بِالْقِسْطِ أَي لِيَتَعَامَلُوا فِيهِمَا بَيْنَهُمْ بِالْعَدْلِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ أَي أَنْشَأْنَاهُ وَأَحْدَثْنَاهُ كَذَلِكَ لِفَائِدَتِكُمْ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ أَي قُوَّةٌ لِأَنَّهُ يَسْتَعْمَلُ فِي الْحَرْبِ وَفِي كَثِيرٍ مِنَ الصَّنَاعَاتِ وَمَنَافِعٍ لِلنَّاسِ أَي وَفِي الْحَدِيدِ أَيْضًا فَوَائِدُ يَنْتَفِعُونَ بِهَا فِي مَعَاشِهِمْ كَالسَّكِينِ وَالْفَأْسِ وَالْإِبْرَةِ وَلِيُعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلُهُ هَذَا عَطَفَ عَلَى قَوْلِهِ لِيُقَوِّمَ النَّاسَ بِالْقِسْطِ أَي لِيَعْرِفَ اللَّهُ نَصْرَهُ مِنْ يَنْصُرُهُ وَجِهَادٍ مِنْ يَجَاهِدُ مَعَ رَسُولِهِ الْكَرِيمِ (ص) بِالْغَيْبِ يَعْنِي فِي الْوَقْعِ مِنْ غَيْرِ مَشَاهِدَةٍ بِالْعَيْنِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ مَرَّ مَعْنَاهُ. وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ فَخَصَّيْهُمَا بِالذِّكْرِ لِأَنَّهُمَا أَبَوَا الْأَنْبِيَاءِ وَلَفْظُهُمَا وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَالْأَنْبِيَاءُ الْمَتَأَخَّرُونَ عَنْهُمْ كُلَّهُمْ مِنْ نَسْلِهِمَا. فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ إِلَى الْحَقِّ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ

خارجون عن طاعة الله ثُمَّ قَفَيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا أَى أَتَبَعْنَاهُمْ بِرسل آخرين إلى أمم أخرى واحدا بعد واحد وَ قَفَيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ من بعدهم أَيْضاً وَ آتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَ جَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي دِينِهِ، وَ هُمُ الْحَوَارِيُّونَ وَ مَنْ اتَّبَعَ عِيسَى (ع) رَافَهُ هِيَ أَشَدُّ الرَّقَّةِ وَ رَحْمَةً عَطْفًا وَ شَفَقَةً وَ رَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ وَ هِيَ طَرِيقَةُ الْعِبَادَةِ الَّتِي تُوْحَى بِالرَّهْبَنَةِ فِي الْكَنِيسَةِ أَوْ غَيْرِهَا وَ هَذَا شَيْءٌ لَمْ نَكْتُفِهِمْ بِهِ وَ لَكِنْهُمْ ابْتَدَعُوا مَا فِيهَا مِنْ رَفْضِ النِّسَاءِ وَ اتِّخَاذِ الصَّوَامِ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ أَى أَتَبَعُوهَا رَغْبَةً فِي رِضَايَا فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا أَى مَا حَفَظُوهَا بِحَسَبِ الْأَصُولِ الَّتِي وَضَعُوهَا لَهَا. وَ قِيلَ: فَمَا رَعَاهَا الَّذِينَ بَعْدَهُمْ حَقَّ رِعَايَتِهَا وَ ذَلِكَ لِتَكْذِيبِهِمْ بِمُحَمَّدٍ (ص) فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ أَى أَعْطَيْنَا مِنْ آمَنَ لِمُحَمَّدٍ (ص) ثَوَابَ طَاعَتِهِمْ وَ تَصَدِيقِهِمْ وَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ أَى كَافِرُونَ. ٢٨ وَ ٢٩- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا. اتَّقُوا اللَّهَ وَ آمِنُوا بِرَسُولِهِ ... قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ظَاهِرًا آمَنُوا بَاطِنًا يُؤْتِكُمْ كَفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ أَى نَصِيبَيْنِ مِنْ عَفْوِهِ وَ لَطْفِهِ، لِإِيْمَانِكُمْ بِمَنْ قَبْلَ نَبِيِّكُمْ وَ لِإِيْمَانِكُمْ بِهِ (ص) وَ يَجْعَلُ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ يَعْنِي يَجْعَلُ لَكُمْ هُدًى تَهْتَدُونَ بِهِ أَوْ هُوَ نُورُ الْقُرْآنِ وَ يَغْفِرُ لَكُمْ وَ يَسْتُرُ ذُنُوبَكُمْ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ مَرَّ تَفْسِيرِهِ لِنَّا يَغْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ أَى لِيَعْلَمَ الَّذِينَ لَمْ يُؤْمِنُوا بِمُحَمَّدٍ (ص) وَ حَسَدُوا مِنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ أَى لَا تَقْدِرُونَ وَ الْمَعْنَى أَنَّ الْأَجْرَيْنِ جَعَلْنَاهُمَا لِمَنْ آمَنَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ. بِمُحَمَّدٍ (ص) لِنَعْلَمَ الَّذِينَ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ لَا- أَجْرَ وَلَا- نَصِيبَ لَهُمْ فِي فَضْلِ اللَّهِ. وَ أَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ أَهْلِ الْإِسْتِحْقَاقِ وَ اللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ يَمُنَّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ الصَّالِحِينَ. إِرْشَادُ الْأَذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ٥٤٧

سورة المجادلة مدنية، عدد آياتها ٢٢ آية

١- قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا ... إلخ أَى تَرَاوَعَكَ فِي أَمْرِ زَوْجِهَا وَ هَذِهِ الْآيَةُ وَ مَا بَعْدَهَا نَزَلَتْ فِي امْرَأَةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ قَالَ لَهَا زَوْجُهَا فِي حَالِهِ غَضَبٌ أَنْتَ عَلَى كَظْهِرِ أُمِّي أَى وَ كَانَ هَذَا الْقَوْلُ يَعْتَبَرُ مُحَرَّمًا لِلْمَرْأَةِ عَلَى زَوْجِهَا بِحَسَبِ عَرَفِهِمْ فَشَكَتَهُ إِلَى النَّبِيِّ (ص) وَ قَالَتْ هَلْ مِنْ شَيْءٍ يَجْمَعُنِي بِهِ؟ فَإِنَّهُ لَمْ يَذْكُرْ طَلَاقًا وَ هُوَ أَبُو وَلَدِي وَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ. فَنَزَلَتْ الْآيَةُ. ٢ إِلَى ٤- الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ ... أَى هَذَا حُكْمُ الرِّجَالِ الَّذِينَ يَقُولُونَ لِنِسَائِهِمْ: أَنْتَنَّ كَظْهُورُ أُمّهَاتِنَا: مَا هُنَّ أُمّهَاتُهُمْ يَعْنِي لَا- يَصْرَنَ أُمّهَاتُهُمْ بِهَذَا الْقَوْلِ إِنْ أُمّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَ لَيْسَ أُمّهَاتُهُمْ إِلَّا الْوَالِدَاتُ لَهُنَّ مِنْ بَطْنِهِنَّ وَ إِنْهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ أَى أَنَّ الْمَظَاهِرِينَ يَقُولُونَ قَوْلًا- لَا يَعْرِفُ فِي الشَّرْعِ. وَ زُورًا أَى كَذِبًا وَ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ يَعْفُو عَنْ مَنْ يَقُولُ ذَلِكَ وَ لَكِنَّهُ يَأْمُرُهُمُ بِالْكَفْرِ عَنْ هَذَا الْمُنْكَرِ وَ هَذَا بَيَانُ حُكْمِهِمْ: وَ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ يَعْنِي يَفْعَلُونَ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الظَّهَارِ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا أَى يَرْجِعُونَ فِي الْقَوْلِ وَ يَرْغَبُونَ فِي نِكَاحِهِنَّ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا أَى فَعَلِيهِمْ عَتَقَ رَقَبَةً قَبْلَ أَنْ يَجَامِعُوا نِسَاءَهُمْ اللَّائِي ظَاهَرُوا مِنْهُنَّ ذَلِكَ ثُمَّ تَوَعَّظُونَ بِهِ أَى هَذِهِ الصَّعُوبَةُ فِي الْحُكْمِ هِيَ وَعَظٌ لَكُمْ لِتَرْكُوا الظَّهَارَ وَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ أَى عَالِمٌ بِأَعْمَالِكُمْ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ أَى فَمَنْ لَمْ يَجِدْ رَقَبَةً يَعْتَقُهَا فَصَّةً يَوْمَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا أَى فَعَلِيهِمْ صِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ قَبْلَ الْجَمَاعِ بِأَنْ يَصُومَ وَاحِدًا وَ ثَلَاثِينَ يَوْمًا مُتَوَالِيَةً ثُمَّ يَكْمَلُ الْبَاقِي وَ لَوْ مُتَفَرِّقًا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ أَى لَمْ يَقْدِرْ عَلَى عَتَقِ الرَقَبَةِ وَ لَا قَوَى عَلَى الصَّوْمِ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا أَى أَنْ يَطْعَمَ سِتِّينَ فَقِيرًا ذَلِكَ أَى ذَلِكَ الْفَرَضُ عَلَيْكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ لِتَصَدَّقُوا بِمَا أَمَرَ اللَّهُ وَ بَلَّغَهُ رَسُولُهُ وَ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ أَى مَا ذَكَرَهُ مِنَ الْكُفَّارَاتِ فِي الظَّهَارِ هِيَ أَحْكَامُ اللَّهِ وَ لِلْكَافِرِينَ أَى الْجَاهِلِينَ بِهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ عَذَابٌ مُوجَعٌ فِي الْآخِرَةِ. ٥ وَ ٦- إِنْ الَّذِينَ يُحَادِّثُونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ ... أَى الَّذِينَ يَعَادُونَهُمَا وَ يَخَالِفُونَهُمَا كُتِبَتْ لَهُمْ أَلِيمٌ عَذَابٌ أَلِيمٌ أَى ذُلُّوا وَ أَخْزَوْا كَمَا أَخْزَى الَّذِينَ سَبَقُوهُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَ قَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ أَى دَلَالًا وَ حُجُجًا وَاضِحَاتٍ وَ لِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ يَعْنِي وَ لِلْجَاهِلِينَ لَمَّا أَنْزَلْنَاهُ عَلَى رَسُولِنَا عَذَابٌ فِيهِ إِهَانَةٌ لَهُمْ وَ خِزْيٌ. يَوْمَ يَنْعُتُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا أَى يَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ بَعْدَ أَنْ يَحْيِيَهُمْ لِلْحِسَابِ فَيَنْبِئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَى يَخْبِرُهُمْ بِأَعْمَالِهِمْ وَ مَعَاصِيهِمْ أَحْصَاهُ اللَّهُ وَ نَسُوهُ أَثْبَتَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِ أَعْمَالِهِمْ وَ ذَهَبَ عَنْ بَالِهِمْ وَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ أَى أَنَّهُ سَبْحَانَهُ يَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ جَمِيعِ وَجْهِهِ وَ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ. إِرْشَادُ الْأَذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ٥٤٨ وَ ٨- أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَغْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ ... الْخُطَابُ لِلنَّبِيِّ (ص) وَ الْمَقْصُودُ بِهِ سَائِرُ الْمُكَلَّفِينَ. وَ فِيهِ اسْتِفْهَامُ يَفِيدُ التَّقْرِيرَ أَى اَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مُحِيطٌ بِجَمِيعِ الْمَعْلُومَاتِ

فى السماوات والأرض ما يكون من نجوى ثلاثه إلا هو رابعهم يعنى نجواهم معلومه عنده كعلم الرابع بها لو حضرها. ولا خمسَه إلا هو سادسهم أى حين يتناجى خمسَه يعرف نجواهم كأنه سادس المتناجين ولا أذنَى أقل من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أين ما كانوا إلخ يعنى أنه مطلع على تصرفات الكل فرادى و مجتمعين كأنما هو معهم إن الله بكل شئ عليم لأنه شاهد و مشاهد لكل ما يخصه. أ لم تر إلى الذين نهوا عن النجوى أى ألم تعرف حال هؤلاء الذين يتحدثون سرا بما يؤذى المسلمين و هم المنافقون اليهود ثم يعودون لما نهوا عنه أى يرجعون إلى ما كانوا عليه من المناجاة و يتناجون بالباطم و العِدوان و معصية الرسول أى يتسارون فيما بينهم بما يخالفون به و إذا جاؤك يعنى إذا أتوا إلى عندك و ترددوا عليك حيوك سلّموا عليك بما لم يحيك به الله بغير التحية التى حيّاك بها ربّك، لأن اليهود كانوا يقولون له (ص): السام عليك، و السام هو الموت بلغتهم، و هم يوهمون أنهم يقولون: السلام عليك. و يقولون فى أنفسهم أى فيما بينهم و بين بعضهم لولا يعذبنا الله بما نقول يعنى إذا كان هذا نبيا حقا فهلا يعذبنا الله بقولنا له كذلك؟ حسبهم أى تكفيهم جهنم يضلّونها النار يحترقون فيها فبئس المصير فبئس المال ما لهم فى جهنم. ٩ و ١٠ - يا أيها الذين آمنوا إذا تناجيتكم ... أى تسارتم فيما بينكم فلا تتناجوا بالباطم و العِدوان و معصية الرسول يعنى لا تفعلوا مثل فعل اليهود و المشركين و تناجوا بالبر و التقوى أى بفعل الخير و تجب ما يغضب الله و اتقوا الله الذى إليه تحشرون أى تجمعون إليه يوم القيامة ليشيكم على إيمانكم و طاعاتكم إنمّا النجوى من الشيطان يعنى نجوى الكافرين و المنافقين بما يسوء المؤمنين هى نجوى تنبعث عن وسوسة الشيطان ليخزن الذين آمنوا ليجلب لهم الحزن و ليس بضارهم شيئا فهو لا يجلب عليهم ضررا ولا سوء إلا بإذن الله يعنى بعلمه بحيث يكون سببا لإيلاهم و حزنهم و على الله فليتوكل المؤمنون أى يفوضون إليه جميع أمورهم دون غيره. ١١ - يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسخوا فى المجالس ... أى اتسعوا فيه و هو مجلس النبى (ص) و قيل: مجالس الذكر. فافسحوا توسعوا فيه يفسح الله لكم أى يوسع الله تعالى لكم المجالس فى الجنة و إذا قيل انشروا أى قوموا و اتركوا المكان لإخوانكم فانشروا قوموا و انهضوا. يرفع الله الذين آمنوا منكم و الذين أوتوا العلم درجات أى يرفع المؤمنين على غيرهم بطاعتهم للنبى (ص) ثم يرفع الذين أوتوا العلم منهم على الذين لم يؤتوا العلم درجات بفضل علمهم و سابقتهم فى الجنة. و الله بما تعملون خبير أى عليم. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٥٤٩

١٢ و ١٣ - يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول ... أى إذا سارتموه فقدموا بين يدي نجواكم صدقة أى تصدقوا على فقير قبل أن تدخلوا عليه (ص) لمناجاته. ذلك أى ذلك التصدق قبل مناجاته (ص) خير لكم لأنه أداء واجب و فيه ثواب. و أظهر يعنى و أزكى لأعمالكم فإن لم تجدوا ما تصدقون به فإن الله غفور رحيم أى عفو عنكم عطف عليكم أ أشفقتكم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات يعنى خفتكم الفقر و بخلتم بالصدقة يا أهل الغنى و اليسار؟ فإذا لم تفعلوا أى و حيث لم تقدموا الصدقات و تاب الله عليكم عفا عن تقصيركم فى أمره فأقيموا الصلاة و اتوا الزكاة و أطيعوا الله فى جميع ما أمركم به من الطاعات و أطيعوا رسوله أيضا و الله خير بما تعملون عالم بأفعالكم جميعها. ١٤ إلى ١٩ - أ لم تر إلى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم ... أى: ألم تنظر يا محمد إلى هؤلاء المنافقين الذين يوالون اليهود الذين باءوا بغضب الله و سخطه ما هم منكم و لا منهم أى أنهم ليسوا من المؤمنين بك و لا هم معهم فى الإيمان، و لا هم من اليهود فى الظاهر و إن كانوا معهم بالولاء و يخلفون على الكذب أى يقسمون الأيمان أنهم لم ينافقوا و هم يعلمون يعرفون أنهم منافقون أعيد الله لهم عذابا شديدا هياهم لهم فى الآخرة إنهم ساء ما كانوا يعملون أى بش ما فعلوا و ما يفعلون من التفاق و موالاة أعداء الله و رسوله. إنهم قد اتخذوا أيمانهم جنة أى جعلوا ما يقسمونه من الأيمان الكاذبة وقاية لهم دون القصاص فصيدوا أى منعوا نفوسهم و غيرهم عن سبيل الله عن الطريق المؤدية إلى الحق فلهم عذاب مهين مفسره. لئلا تغنى عنهم أموالهم أى سوف لا تفيدهم الأموال التى جمعوها و لا أولادهم التى خلفوها و تعبوا عليها من الله شيئا أى لن تمنع عنهم عذابه أولئك هم أصحاب النار هم فيها خالدون مفسرها يوم يبعثهم الله يحييهم جميعا كلهم فيخلقون يقسمون الله فى الآخرة كما يخلقون لكم فى الدنيا، بأنهم كانوا مؤمنين و يحسبون أنهم على شئ أى و يظنون فى الدنيا أنهم كانوا على الحق ألا- إنهم هم الكاذبون فى أقوالهم و عقيدتهم و إيمانهم التى يقسمونها استحوذ عليهم الشيطان أى استولى عليهم و أحاط بهم فأنساهم ذكر الله

فصاروا لا يذكرونه ولا يخافونه منه أولئك هم حزب الشيطان جنوده ألا إن حزب الشيطان هم الآخرة لأنهم يستبدلون الجنة بالنار. ٢٠ إلى ٢٢- إن الذين يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ... أى الذين يخالفونهما فى الحدود التى وضعها الله تعالى لمعالم دينه، وهم المنافقون أولئك فى الآذنين أى أنهم أذلاء محقرين فى الدنيا ومخزيون فى الآخرة كَتَبَ اللَّهُ فى اللوح المحفوظ وقدر وهو كائن لا- محالة لأَعْلَبَنَ أَنَا وَرُسُلِي لنتصرن على الكفار والمنافقين بالبيان والسنان إنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ قَادِرٌ قَاهِرٌ عَزِيزٌ مُنِيعٌ غالب. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٥٥٠ لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أى يصدقون بوحدايته الله والبعث يؤادون يوالون مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ من خالفهما ولم يعمل بأوامرهما ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أى مهمما قربت قرابتهم منهم، فإنهم يتبرءون منهم لأنهم أعداء الله ورسوله أولئك كَتَبَ فى قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ أى ثبته فيها بلطفه فصار كأنه مكتوبا فيها والمراد بهم من لا يؤادون أعداء الله وأيديهم بروح منه أى سددهم بالإيمان الذى كان لهم بمثابة الروح فى البدن لأنه بأمره سبحانه، وقيل بالقرآن وقيل غير ذلك. وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا مَرَّعًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لطاعتهم وَرَضُوا عَنْهُ بَثْوَابِ الْجَنَّةِ أولئك حزب الله أى جنوده ألا إن حزب الله هم الْمُفْلِحُونَ المنتصرون الظافرون بالمطلوب.

سورة الحشر مدنية، عدد آياتها ٢٤ آية

١ إلى ٤- سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فى السَّمَاوَاتِ وَمَا فى الْأَرْضِ ... إلخ مر تفسيرا. وهذه السورة المباركة نزلت فى إجلاء بنى النضير من اليهود حين أنذرهم النبى (ص) لكيدهم وخيانتهم فخرجوا إلى خيبر وبلاد الشام هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب أى هؤلاء اليهود من ديارهم بتسليطه المؤمنين عليهم بأمر النبى (ص) بإخراجهم من حصونهم لأول الحشر أى أخرجهم منها على أن لا يعودوا إلى أرضهم حتى قبيل يوم القيامة ما ظننتم أن يخرجوا أى ما حسبتم أيها المؤمنون أنه يمكن إخراجهم من ديارهم لقوتهم ومنعتهم وظنوا أنهم ما يعتهم حصونهم من الله أى حسبوا أنهم تحميهم القلاع والحصون التى اعتصموا بها من عذاب الله. فَأَتَاهُمُ اللَّهُ أى جاء أمر الله وعذابه من حيث لم يحتسبوا من جهة لم يحسبوا حسابها لأنهم اغتروا بقوتهم وقذف فى قلوبهم الرعب أى ألقى الخوف فى نفوسهم يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى الْمُؤْمِنِينَ أى يهدمونها من الداخل ليهربوا، ويهدمها المؤمنون من الخارج للوصول إليهم فَأَعْتَبُوا يَا أُولِى الْأَبْصَارِ أى فانظروا وتدبروا واتعظوا يا أصحاب العقول فيما حلَّ بهم من البلاء ولو لا أن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ أى قدره عليهم وحكم به. لَعَذَّبَهُمْ فى الدُّنْيَا بِالْقَتْلِ وَالسَّبْيِ كما فعل بنى قريظة ولهم فى الآخرة مع جلائهم عن وطنهم عذاب النار جزاء كفرهم وعنادهم. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٥٥١ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ أى هذا الذى فعل بهم هو بسبب أنهم خالفوا الله سبحانه وعاندوا رسوله وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ يَخَالِفْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ أى قوته. ٥- مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا ... أى أنكم يوم حربكم لليهود لم تقطعوا لهم نخلة من كرام النخيل أو تتركوا من نخلهم نخلة قائمة على أصولها لم تقطعوها أو تعلقوها فَبِإِذْنِ اللَّهِ فَبَأَمْرِهِ وَتَقْدِيرِهِ يُخْزِى الْفَاسِقِينَ ليهين اليهود ويذلهم. ٦ إلى ٨- وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ ... أى ما جعله له فينا خالصا من أموالهم حين جلوا عن بلادهم فما أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ أى فلم تقربوه محاربين لا على الخيول ولا غيرها ولا راجلين وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ بل الله تعالى يمكن رسله من أعدائهم وينصرهم عليهم حين يشاء من غير قتال والله على كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ظاهر المعنى ما أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أى من أموال الكفار فى القرى المعادية له فَلِلَّهِ يَضَعُهُ سبحانه فيما أحب ولِلرَّسُولِ بتمليك من الله له وَلِإِذَى الْقُرْبَى يعنى أهل بيت رسول الله وقربته من بنى هاشم دون غيرهم وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنِ السَّبِيلِ أى يتامى أهل بيته (ص) ومساكينهم، وابن السبيل منهم كى لا يكون دولةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ أى حتى لا يبقى ذلك متداولاً بين الرؤساء منكم فقط هذا مرة وهذا مرة وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا أى اعملوا بحسب أمره فى تقسيم الأموال وَاتَّقُوا اللَّهَ تَجَنَّبُوا غَضَبَهُ بِتَرْكِ الْمَعَاصِي وبفعل الواجبات إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ مر تفسيرا. لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ هَاجَرُوا بِدِينِهِمْ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَمِنْ دَارِ الْحَرْبِ إِلَى دَارِ السَّلَامِ الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمُ التَّى كَانُوا يَمْلِكُونَهَا

يَتَّبِعُونَ يَطْلُبُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً رَاغِبِينَ بِفَضْلِهِ وَرِضَا وَرَحْمَتِهِ وَيَنْصِيرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أَيْ هَاجَرُوا نَصْرَهُ لِدِينِهِ أَوْلِيكَ هُمْ الصَّادِقُونَ فعلاً لأنهم قصدوا لفعلهم نصر الدين لا غير. ٩ و ١٠- وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ ... أَيْ الْأَنْصَارُ الَّذِينَ سَكَنُوا المدينة و هي دار الهجرة قبل المهاجرين إليها و آثروا الإيمان و لا يعقل أن يكون (من قبلهم) يرجع إلى الإيمان أيضا بعد المهاجرين إلما إذا أريد أهل بيعة العقبة من أهل المدينة. يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ لِأَنَّهُمْ أَحْسَنُوا إِلَى الْمُهَاجِرِينَ وَ أَشْرَكُوهُمْ فِي أَمْوَالِهِمْ وَ لَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا أَيْ لَمْ يَكُنْ فِي قُلُوبِهِمْ حَزَازَةٌ وَ لَا غِيْظٌ بِسَبَبِ مَا أَخَذَ الْمُهَاجِرُونَ مِنَ الْفَيْءِ الَّذِي اسْتَوْلَوْا عَلَيْهِ مِنْ مَالِ بَنِي النَّضِيرِ وَ يُؤَثِّرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَيْ يَقْدَمُونَ الْمُهَاجِرِينَ وَ يَفْضِلُونَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ فِي الْعَطَاءِ وَ لَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ أَيْ وَ لَوْ كَانَتْ بِهِمْ حَاجَةٌ وَ فَقْرٌ وَ مَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ الْخُ أَي وَ مَنْ يَدْفَعُ عَنْهُ بَخْلَ نَفْسِهِ فَأَوْلِيكَ هُمْ الْفَائِزُونَ بِثَوَابِ اللَّهِ وَ قِيلَ شَحَّ النَّفْسُ هُوَ أَخَذَ الْحَرَامَ وَ مَنَعَ الزَّكَاءَ. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٥٥٢ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَعْنِي مِنْ بَعْدِ هَؤُلَاءِ وَ هَؤُلَاءِ وَ هُمْ سَائِرُ التَّابِعِينَ لَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ أَيْ أَنَّهُمْ يَدْعُونَ لِأَنْفُسِهِمْ وَ لِمَنْ سَبَقَهُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِالتَّجَاوُزِ عَنِ الذُّنُوبِ وَ لَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيْ لَا تَجْعَلْ فِيهَا حَقْدًا وَ لَا كَرَاهًا وَ لَا غِشًّا لِلْمُصَدِّقِينَ بِكَ وَ بِرِسْوَكَ رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ أَيْ مُتَعَطِفٌ عَلَى الْعِبَادِ مَنَعٌ عَلَيْهِمْ. ١١ إلى ١٤- أَلَمْ تَرَ ... أَلَمْ تَنْظُرْ يَا مُحَمَّدُ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا فَأَظْهَرُوا لَكَ الْإِيمَانَ وَ أَبْطَنُوا الْكُفْرَ يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمْ فِي الْكُفْرِ وَ الْقَائِلُونَ هُمْ بَنُو قَرِيظَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أَيْ يَهُودَ بَنِي النَّضِيرِ: لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ لَنُخْرِجَنَّ مَعَكُمْ مِثْلَهُمْ لَكُمْ وَ لَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا أَيْ لَا نَطِيعُ مُحَمَّدًا (ص) وَ أَصْحَابَهُ فِي قِتَالِكُمْ مُطْلَقًا وَ إِنْ قُوتِلْتُمْ مِنْ قَبْلِ الْمُسْلِمِينَ لَنَنْصُرَنَّكُمْ أَيْ لَنُعِينَنَّكُمْ فِي الْحَرْبِ. وَ اللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ فِي قَوْلِهِمْ فَإِنَّهُمْ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَ لَا يَنْصُرُونَهُمْ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا- يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ، وَ لَئِنْ قُوتِلُوا لَا- يَنْصُرُونَهُمْ، وَ لَئِنْ نَصَرُوهُمْ أَيْ إِذَا فَرَضَ وَ جُودَهُمْ نَصَرَهُمُ الَّذِي هُوَ مُحَالٌ لِيُؤَلَّنَ الْأَذَابَ لِسُوفٍ يَهْرَبُونَ ثُمَّ لَا- يَنْصِيرُونَ أَيْ ثُمَّ لَا- يَنْتَفِعُ جَمَاعَتُهُمْ بِهَذَا الْوَعْدِ وَ لَا يَنْصُرَتُهُمْ. لَآئِنَّكُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً أَيْ خَوْفًا فِي صُدُورِهِمْ أَيْ فِي قُلُوبِهِمْ وَ الْمَعْنَى أَنَّ خَوْفَهُمْ مِنْكُمْ أَشَدَّ مِنْ خَوْفِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا- يَفْقَهُونَ أَيْ بِسَبَبِ أَنَّهُمْ لَا- يَعْلَمُونَ الْحَقَّ وَ لَا- يَعْرِفُونَ عِظَمَ اللَّهِ وَ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ جَمِيعًا أَيْ مُجْتَمِعِينَ إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَيْ مِنْ حُصُونٍ مُنِيعَةٍ وَ أَبْرَاجٍ يَدْفَعُونَ بِهَا عَنْ أَنْفُسِهِمْ لَجَنَّهُمْ أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجْدِرٍ أَيْ مِنْ وَرَاءِ أَسْوَارٍ وَ حِيطَانٍ وَ الْمَعْنَى أَنَّهُمْ لَا يَقَاتِلُونَكُمْ وَ جِهًا لَوَجْهَ بَأْسِهِمْ يَنْتَهِمُ شَدِيدٌ أَيْ أَنَّ عِدَاوَتَهُمْ فِيمَا بَيْنَهُمْ شَدِيدَةٌ وَ قُلُوبُهُمْ غَيْرُ مُتَفَقِّهَةٍ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا تَظَنُّهُمْ مُتَّحِدِينَ فِي ظَاهِرِهِمْ وَ قُلُوبُهُمْ شَتَّى مُتَفَرِّقَةٌ مُخْتَلِفَةٌ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ لَا يَمَيِّزُونَ الرُّشْدَ مِنَ الْغَى. ١٥ إلى ١٧- كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ... أَيْ أَنَّ حَالَ الْكَافِرِينَ الَّذِينَ تَكَلَّمْنَا عَنْهُمْ مِنَ الْيَهُودِ وَ غَيْرِهِمْ مِنَ الْإِغْتِرَارِ بَعْدَهُمْ وَ قُوَّتِهِمْ، كَحَالِ مَنْ سَبَقَهُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ حَارَبُوهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ قَبْلَ غَزْوَةِ بَنِي النَّضِيرِ لِسِتَّةِ أَشْهُرٍ ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ أَيْ ذَاقُوا عِقَابَهُ كَفَرَهُمْ وَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الْآخِرَةِ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ الْخُ أَي مِثْلَ الْمُنَافِقِينَ فِي غُرُورِهِمْ لِبَنِي النَّضِيرِ وَ خَذْلَانِهِمْ لَهُمْ كَمَثَلُ الشَّيْطَانِ إِذْ زَيْنَ بُوَسُوسَتِهِ لِلْإِنْسَانِ الْكُفْرَ فَلَمَّا كَفَرَ تَبَرَّأَ الشَّيْطَانُ مِنْهُ وَ مِنْ كُفْرِهِ زَاعِمًا أَنَّهُ يَخْشَى عِقَابَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٥٥٣ فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا يَعْنِي عَاقِبَةُ الْفَرِيقَيْنِ: الشَّيْطَانُ وَ مَنْ أَغْوَاهُ أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا مُعَذِّبِينَ مُؤَبَّدِينَ وَ ذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ لِأَنْفُسِهِمْ وَ لْغَيْرِهِمْ. ١٨ إلى ٢٠- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ ... أَيْ تَجَنَّبُوا مَعَاصِيَهُ وَ اعْمَلُوا بِطَاعَاتِهِ وَ لَتُنْظَرَنَّ نَفْسُ مَا قَدَّمْتَ لِغَدٍ أَيْ مَا قَدَّمْتَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ يَنْجِي أَوْ سَيِّئٌ يُوبِقُ وَ اتَّقُوا اللَّهَ خَافُوهُ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ عَالِمٌ بِمَا تَعْمَلُونَ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ. وَ لَا- تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ أَيْ تَرَكَوا أَدَاءَ حَقِّهِ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أَيْ حَرَمَهُمْ حَظَّهُمْ مِنَ الْخَيْرِ وَ الثَّوَابِ أَوْلِيكَ هُمْ الْفَاسِقُونَ الْخَارِجُونَ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ إِلَى مَعْصِيَتِهِ لَا يَسْتَوِي أَيْ لَا يَتَسَاوَى أَصْحَابُ النَّارِ وَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ بِالْإِسْتِحْقَاقِ لِأَنَّ هَؤُلَاءِ يَسْتَحِقُّونَ الْجَنَّةَ، وَ أَوْلِيكَ يَسْتَحِقُّونَ النَّارَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ الْفَائِزُونَ بِالْظَّافِرُونَ بِثَوَابِ اللَّهِ وَ رِضَا. ٢١- لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ ... هَذَا تَعْظِيمٌ لَشَأْنِ الْقُرْآنِ، أَيْ لَوْ كَانَ الْجَبَلُ مِمَّا يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ وَ يَشْعُرُ بِهِ مَعَ جَفَاءِ طَبْعِهِ وَ كِبَرِ حَجْمِهِ لَرَأَيْتُهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ أَيْ لَرَأَيْتُ الْجَبَلَ الْجَامِدَ مُتَذَلِّلًا تَعْظِيمًا لَشَأْنِهِ. وَ الْإِنْسَانُ الْعَاقِلُ أَجْدَرُ مِنَ الْجَبَلِ وَ أَحَقُّ بِأَنْ يَخْشَى اللَّهَ وَ يَخْشَعُ لَهُ لَوْ عَقَلَ كَلَامَ الْقُرْآنِ وَ تِلْكَ الْأَمْثَالُ نَصْرُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ أَيْ لِيَعْتَبِرَ النَّاسُ بِهَذِهِ الْأَمْثَالِ الَّتِي هِيَ مِنْ

واقع حياتهم. ٢٢ إلى آخر السورة المباركة- هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ... يعنى هو الربّ الذى لا- ربّ غيره، المستحقّ للعبادة دون سواه، و هو عالم الغيبِ وَ الشَّهَادَةِ أى العالم بما غاب عن عباده و بما يشاهدونه و يرونه هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّازِقُ لجميع خلقه الرَّحِيمُ بالمؤمنين منهم خاصه هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ أى المالك وحده لجميع الأشياء إيجادا و تصرفا الْقُدُّوسُ الطاهر من كل آفة المنزه عن كل قبيح السَّلامُ الذى يسلم العباد من ظلمه الْمُؤْمِنُ الذى تنجو المخلوقات من ظلمه، و قيل الذى أمن أولياؤه من عقابه الْمُهَيِّمُ الرقيب المتسلط على الأشياء الْعَزِيزُ المنيع القادر الذى لا- يقهر الْجَبَّارُ القاهر العظيم الشَّانُ الْمُتَكَبِّرُ المجلّل بالكبرياء الحقيق بصفات التعظيم سُبْحَانَ اللَّهِ تنزيها له عَمَّا يُشْرِكُونَ عن شرك المشركين به من الأصنام و غيرها هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ المبتدع للخلق الفاعل للأجسام و الأعراض الْبَارِئُ المنشئ للخلق الْمُصَوِّرُ الذى صوّر الأشياء على ما هى عليه لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى مثل: الله، الرحمان، الرحيم، إلخ ... يُسَبِّحُ لَهُ ما فى السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ أى يزهو وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ مرّ تفسيره. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٥٥٤

سورة الممتحنة مدنية، عدد آياتها ١٣ آية

١ إلى ٢- يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ... نهى منه سبحانه للمؤمنين عن أن يتخذوا الكافرين أولياء يوالونهم و ينصرونهم أو يستنصرون بهم. تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ تحبونهم و تقتربون منهم و تنصحبونهم. و قيل معناه هنا: تلقون إليهم بأخبار النبى (ص) وَ قَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ أى القرآن و الإسلام يُخْرِجُونَ الرُّسُولَ وَ إِيَّاكُمْ مِنْ مَكَّةَ وَ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ أى لأنكم تؤمنون و تصدقون، و كراهة أن تؤمنوا إن كنتم خَرَجْتُمْ جِهَاداً فى سَبِيلِى وَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِى أى إذا كان هدفكم فى خروجكم و هجرتكم الجهاد و طلب رضاى فأعطوا خروجكم حقه من معاداتهم تَسْتَرُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ أى تعرفونهم مودتكم لهم سرا وَ أَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَحْفَيْتُمْ وَ مَا أَغْلَيْتُمْ لِأَنى لا يخفى على شىء و أنا أطلع رسولى عليه وَ مَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ أى من والى عدوى و أسر إليهم بأخبار رسولى أيها المؤمنون فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ أى انحرف و عدل عن طريق الحق إن يَتَّقُواكُمْ أى أن هؤلاء الكفار إن يصادفوكم يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءَ ظاهرى العداوة وَ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَ أَلْسِنَتَهُمُ بِالسُّوءِ يضربوكم و يقتلوكم بأيديهم و يشتموكم بالسنتهم وَ وُدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ أى أحبوا أن ترجعوا عن دينكم لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ لا تفيدكم القربى وَ لَا أَوْلَادُكُمْ يفيدونكم، و هم الموجودون بمكة يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ اللَّهُ بَيْنَكُمْ فيجعل أهل الطاعة فى الجنة و أهل المعاصى فى النار وَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ مرّ معناه. ٤ و ٥- قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فى إِبْرَاهِيمَ ... أى أنه قد كان لكم خير قدوة بإبراهيم (ع) وَ الَّذِينَ مَعَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُتَابِعِينَ له إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ مِنَ الْكُفَّارِ: إِنَّا بَرَأْنَا مِنْكُمْ تَبَرَّأْنَا مِنْكُمْ وَ لَا نُوَالِيكُمْ وَ مِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أى و نتبرأ من أصنامكم كَفَرْنَا بِكُمْ أى جحدنا عقيدتكم وَ بَدَا ظَهْرُ بَيْنِنَا وَ بَيْنَكُمْ الْعِدَاوَةُ وَ الْبُغْضَاءُ أَيْدَاءً فلن يكون بيننا موالاة فى الدين حَتَّى تُؤْمِنُوا تصدقوا بِاللَّهِ وَ خَدَّه فَنُوحِدُونَهُ وَ تَعْبُدُونَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ أى اقتدوا ببيننا إبراهيم (ع) فى جميع أموره، إِلَّا فى قوله لأبيه فلا تقتدوا به وَ مَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فلا أردّ عنك عقابه رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا أى كان إبراهيم (ع) و المؤمنون به يقولون ذلك وَ إِلَيْكَ أَتَيْنَا أى رجعنا إلى طاعتك وَ إِلَيْكَ الْمَصِيرُ أى المرجع رَبَّنَا لَا- تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا أى لا تبتلنا بهم وَ لَا تَسْلُطْهُمْ علينا فنقع فى الفتنة بديننا وَ اغْفِرْ لَنَا مَحْ ذُنُوبَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ الذى لا يغلب، و الذى لا يفعل إلا الحكمة. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٥٥٥ ٦ و ٧- لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ... أى فى إبراهيم و المتابعين له خير قدوة لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَ الْيَوْمَ الْآخِرَ ذَاكَ أَنْ الْأُسْوَةَ الْحَسَنَةَ لَا تَكُونُ إِلَّا- لِمَنْ يَطْمَعُ بَثْوَابِ الْآخِرَةِ وَ يخاف من عقابه سبحانه وَ مَنْ يَتَوَلَّ أى ينصرف عن الاقتداء بهم فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ مر معناه عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوْدَّةً أى فلعل الله يجعل بينكم و بينهم موالاة بأن يجمعكم على الإسلام وَ اللَّهُ قَدِيرٌ على تغيير ما فى القلوب وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ يتجاوز عن معاصى عباده و يلطف إذا أسلموا و تابوا. ٨ و ٩- لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ ... أى لا- يمنعكم الله عن مخالطة الذين عاهدوكم على أن لا يقاتلوكم وَ لَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَ لَا تَعْدُوا عَلَيْكُمْ فَأَجْبِرُواكُمْ على ترك منازلكم و أوطانكم أَنْ تَبْرُوهُمْ أى لا- ينهاكم عن الوفاء لهم بالعهد وَ تَقْسِطُوا إِلَيْهِمْ أَنْ تعدلوا فى

معاملتهم. إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِيَّ طِينَ أَى يحب أهل العدل إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ أَى الذين بقوا على الكفر و حاربوكم لأنكم أسلمتم و أخرجوكم مِنْ دِيَارِكُمْ أَى من بيوتكم وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَى ساعدوا المعتدين عليكم أَنْ تَوَلَّوْهُمُ يعنى ينهاكم عن موادتهم و محبتهم وَ مَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ أَى و من ينصرهم منكم فهو ظالم لهم و لنفسه مستحق للعذاب. ١٠ و ١١- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ ... نزلت هذه الشريفة بعد صلح الحديبية حيث صالح رسول الله (ص) مشركى مكة على أن من جاءه من مكة رده عليهم، و من جاء مكة من أصحاب رسول الله (ص) فهو لهم و لا- يردونه عليه. و قد جاءت سبيعة بنت الحرث الأسلمية مسلمة بعد الصلح بلا فصل و النبى (ص) لا يزال فى الحديبية، فأقبل زوجها فى طلبها فنزلت الآية الكريمة بعد قطع الموالاة بين المؤمنين و الكافرين. فحكم النساء أنهن إذا جئنكم مهاجرات فامتنعنهن أى تحققوا من إيمانهن و استوصوهن بالإيمان اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فى القلب إذ لا تعلمون إلّا ظاهرين فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فى ظاهر حالهن فلا تزجوهن و لا تعيدوهن إِلَى الْكُفَّارِ لا- هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ، وَ لَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ فقد وقعت الفرقة بينهم و إن أبى أزواجهن الطلاق وَ اتَّوَهُمْ مَا أَنْفَقُوا أى ردوا لأزواجهن الباقيين على الكفر ما بذلوه لهن من المهر وَ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ أَى تتزوجوا بهن إذا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ إذا دفعتم لهن مهورهن و لا- تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكُوفَرِ أى لا- تتمسكوا بنكاح الكافرات وَ سَيِّئُوا مَا أَنْفَقْتُمْ أى إذا لحقت زوجتكم الكفارة بدار الكفر فاطلبوا منهم ما أنفقتم عليها من مهر وَ لَيْسَ لَكُمْ أَنْفَقُوا فأنتم و هم سواء فى ذلك ذَلِكَ أى هذا الحكم المذكور هو حُكْمُ اللَّهِ قِضَاؤُهُ الْعَادِلُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَقْضَى الْحَقَّ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ مر معناه وَ إِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ أى لحقت زوجته أحدكم بالكفر مرتدة فعاقبتكم أى قاصصتم بالغزو أو غيره منهم شيئاً فَاتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِنْ عِنْدِكُمْ فَأَعْطُوهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا عليهن من المهور من رأس الغنيمة وَ اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ أى التزموا بأوامره و احذروا معصيته باعتبار أنكم مصدقون به و بأوامره و نواهيه. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٥٥٦ ١٢ و ١٣- يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ ... هذه حكاية بيعه النساء للنبي (ص) فبعد أن أنهى بيعه الرجال بعد فتح مكة جاءته النساء و هو على الصفا فنزلت هذه الشروط إذا جاءك المؤمنات يُبَايِعْنَكَ كَالرِّجَالِ فَالشَّرْطُ هِىَ أَنْ يَبَايِعْنَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئاً مِنَ الْأَصْنَامِ بَلْ يُوْحِدُونَهُ وَ لَا يَسْرِقْنَ مِنْ أَزْوَاجِهِنَّ أَوْ مِنَ الْآخَرِينَ وَ لَا يَزْنِينَ وَ لَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَ لَا بِالْإِسْقَاطِ وَ لَا بِالْوَادِ وَ لَا غَيْرَهُمَا وَ لَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِيْنَهُ أَى لا يكذبن فى مولود يوجد بين أيديهن وَ أَرْجُلِهِنَّ وَ لَا يَلْحَقْنَ بِأَزْوَاجِهِنَّ وَ هُوَ لَيْسَ مِنْهُمْ وَ لَا يَعَصِيَنَّكَ يَا مُحَمَّدُ فى مَعْرُوفٍ تَأْمُرُ بِهِ لَأَنَّكَ لَا تَأْمُرُ إِلَّا بِالْبَرِّ وَ التَّقْوَى فَبَايَعَهُنَّ يَا مُحَمَّدُ وَ اسْتَعْفَوَ لَهُنَّ اللَّهُ أَى اطلب العفو و غفران ذنوبهن إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ متجاوز عنهن رحيم بهن. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَ هُمُ الْيَهُودُ، فَإِنْ بَعْضُ فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ كَانُوا يَنْقُلُونَ أَخْبَارَ الْمُسْلِمِينَ لَهُمْ وَ يَسْتَفِيدُونَ مِنْهُمْ فَهَؤُلَاءِ عَنْ ذَلِكَ. فَإِنَّ الْيَهُودَ قَدْ يَسُؤُوا مِنَ الْآخِرَةِ أَى ليس لهم أمل بثوابها كَمَا يَسُؤُ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ أَى كما فقد الأمل الكافر الذى مات و صار فى القبر من أى ثواب فى الآخرة و يمكن أن يكون المعنى: كَمَا يَسُؤُ الْكُفَّارُ الْأَحْيَاءُ مِنْ خَيْرٍ مِنْ دَفْنِهِمْ مِنْ أَمْوَاتِهِمْ أَوْ مِنْ عَوْدَتِهِمْ إِلَى الدُّنْيَا.

سورة الصف مدنية، عدد آياتها ١٤ آية

١ إلى ٤- سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِى السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِى الْأَرْضِ ... إلخ مر معناه يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا- تَفْعَلُونَ قِيلَ إِنَّهُ خُطَابٌ لِلْمُنافِقِينَ الَّذِينَ تظاهروا بالإسلام و لم يبطنوه، و قيل هو تنبيه للمؤمنين كى لا يقولوا ما لا يفعلونه كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ أى عظم المقت عند الله تعالى أن يقول الإنسان ما لا يفعله و أن يعد و لا يفى بوعدِهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِى سَبِيلِهِ صَفًّا، كَانَتْهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ أَى الذين يصطفون عند القتال فى وجه الأعداء ليرهبوهم، و هم يظهرون أمامهم كالبنا المتصل المستقيم المحكم. ٥ و ٦- وَ إِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُوذُّونَنى ... أى اذكر يا محمد حين أنكر موسى (ع) على قومه إيذاءهم له بشتى أنواع الأذى وَ قَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ وَ أَنْتُمْ تَعْرِفُونَ حَقًّا أَنِّى رَسُولُ اللَّهِ بَعَثَنِى لَهْدَايَتِكُمْ وَ الرِّسُولُ يَعْظُمُ وَ لَا- يُوْذَى فَلَمَّا

زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ أَى وَ حِينَ مَالُوا عَنِ الْحَقِّ خَلَّاهُمْ سَبْحَانَهُ وَ سَوْءَ اخْتِيَارَهُمْ وَ حَجَبَ عَنْهُمْ الْطَافَهُ فَمَالَتْ قُلُوبُهُمْ إِلَى الضَّلَالِ وَ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ أَى لَا يَرْشِدُهُمْ إِلَى مَا فِيهِ الْأَجْرُ وَ الثَّوَابُ الْمَوْصِلُ إِلَى الْجَنَّةِ. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٥٥٧

وَ إِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ كَمَا قَالَ لَهُمْ مُوسَى (ع) مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ أَى مُضَافًا إِلَى أَنِّي لَمْ أُنْسخ أَحْكَامَهَا وَ مُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ يَعْنِي وَ نَاقِلًا لَكُمْ الْبَشَارَةَ بَنِي يَظْهَرُ مِنْ بَعْدِ زَمْنِي سَمَاءُ اللَّهِ تَعَالَى أَحْمَدُ يَعْنِي خَاتَمُ النَّبِيِّينَ (ص) فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُحَمَّدٌ (ص) بِالْبَيِّنَاتِ بِالْأَدْلَالِ الظَّاهِرَةِ قَالُوا هَذَا سَاحِرٌ مُبِينٌ سَحَرَ ظَاهِرًا. ٧ إلى ٩- وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكُذْبَ ... أَى لَيْسَ أَشَدَّ ظُلْمًا مِنَ الَّذِي يَخْتَلِقُ الْكُذْبَ عَلَيْهِ سَبْحَانَهُ وَ يَسْمَى مُعْجَزَاتِهِ سَحَرًا وَ هُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ أَى يَنْتَدِبُ لِمَا فِيهِ خَلَاصُهُ وَ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ مَرَّ مَعْنَاهُ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ أَى يَرِيدُ هَؤُلَاءِ الظَّالِمُونَ إِذْهَابَ نُورِ الْإِيمَانِ بِافْتِرَاءِ أَتَاهُمْ وَ أَكْذَابِهِمْ وَ هَذَا كَمَنْ يَحَاوِلُ إِطْفَاءَ نُورِ الشَّمْسِ بِفَمِهِ وَ اللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ أَى مُكْمِلُ لِدِينِهِ وَ مَظْهَرُ لِأَمْرِ نَبِيِّهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ رَغْمَ كَرَاهِهِمْ لِذَلِكَ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ مُحَمَّدًا (ص) بِالْهُدَى وَ دِينَ الْحَقِّ أَى بِالتَّوْحِيدِ وَ جَعَلَ الْعِبَادَةَ خَالِصَةً لَهُ، وَ بَدِينَ الْحَقِّ الَّذِي هُوَ الْإِسْلَامُ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ أَى لِيَقْوِيَهُ لِيَنْصِرَهُ عَلَى كُلِّ دِينٍ بِالْحُجَّةِ وَ الْبِرْهَانِ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ رَغْمَ كَرَاهِهِ الْمَشْرِكِينَ لِذَلِكَ. ١٠ إلى ١٣- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ عَلَى خَاطِبِ سَبْحَانَهُ جَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ وَ عَرَضَ عَلَيْهِمْ مَرْغَبًا بِتِجَارَةٍ تَخْلُصُهُمْ مِنَ الْعَذَابِ وَ هِيَ: تَوَمُّنُونَ بِاللَّهِ فَتَوْحِيدُونَهُ وَ تَعْبُدُونَهُ وَ رَسُولُهُ فَتَقْرَؤُونَ بِنُبُوَّتِهِ وَ تَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَحَارِبُونَ أَعْدَاءَ الدِّينِ بِأَمْوَالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فَتَبْذُلُونَ بِطَرِيقِ الْحَقِّ كُلَّ غَالٍ وَ نَفِيسٍ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَى إِنْ كُنْتُمْ تَقْدَرُونَ مَا عَرْضَتَهُ لَكُمْ حَقَّ قَدْرِهِ يَغْفِرُ لَكُمْ رَبُّكُمْ ذُنُوبَكُمْ بِأَنْ يَمْحُوَهَا وَ يَتَجَاوَزَ عَنْهَا وَ يَدْخُلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ هَذِهِ صِفَتُهَا الدَّائِمَةُ الَّتِي لَا تَزُولُ وَ مَسَاكِنَ طَيِّبَةً مُسْتَطَابَةً هَيْئَةً فِي جَنَّاتٍ عِدْنٍ حَيْثُ تَتَنَعَّمُونَ مُؤَبَّدِينَ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ الظَّفَرُ الَّذِي لَا يَعْلُوهُ شَيْءٌ وَ أُخْرَى تُحْبِئُهَا أَى وَ أَدْلَكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ ثَانِيَةٍ أَوْ عَمَلٍ ثَانٍ تَرْغَبُونَ فِيهِ فِي الْعَاجِلَةِ وَ هِيَ نَصِيرٌ مِنَ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا وَ ظَفَرٌ عَلَى أَعْدَائِكُمْ وَ فَتَحَ قَرِيبٌ لِبِلَادِهِمْ حَيْثُ تَدْخُلُونَهَا مُنْتَصِرِينَ عَلَيْهِمْ وَ بَشَّرَ الْمُؤْمِنِينَ أَى بَلَّغَهُمْ يَا مُحَمَّدُ هَذِهِ الْبَشَارَةُ بِالثَّوَابِ الْآجِلِ وَ بِالثَّوَابِ الْعَاجِلِ. ١٤-

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ ... أَى أَنْصَارِ دِينِهِ وَ أَعْوَانِ نَبِيِّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ أَى كَقَوْلِهِ لِأَنْصَارِهِ وَ خَاصَّتِهِ وَ إِنَّمَا سَمَّوْا بِالْحَوَارِيِّينَ لِأَنَّهُمْ أَخْلَصُوا مِنْ كُلِّ عَيْبٍ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ أَى مَنْ هُمُ الْمَعِينُونَ لِي فِي أَمْرِي قَالَ الْحَوَارِيُّونَ: نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ أَى أَجَابُوهُ بِهَذَا الْجَوَابِ! وَ قِيلَ إِنَّمَا سَمَّوْا نَصَارَى لِقَوْلِهِمْ هَذَا فَاَمَنْتَ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَى جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ صَدَّقَتْ بَعِيسَى (ع) وَ كَفَرَتْ طَائِفَةٌ كَذَّبَتْ بِهِ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ أَى سَدَدْنَا هُمْ وَ نَصَرْنَا هُمْ عَلَيْهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ أَى فَصَارُوا مُنْتَصِرِينَ عَلَيْهِمْ وَ غَالِبِينَ لَهُمْ. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٥٥٨

سورة الجمعة مدنية، عدد آياتها ١١ آية

١ إلى ٤- يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ ... يَعْنِي يَنْزِعُهُ اللَّهُ سَبْحَانَهُ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَ يَقَرُّ لَهُ بِالْوَحْدَانِيَّةِ وَ الْعِبَادِيَّةِ لِأَنَّهُ الْمَلِكُ أَى الْمَتَسَلِّطُ عَلَى التَّصَرُّفِ فِي جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ الْقُدُّوسُ الْجَدِيرُ بِالتَّعْظِيمِ الظَّاهِرُ عَنْ كُلِّ نَقْصٍ الْعَزِيزُ الَّذِي لَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ شَيْءٌ الْحَكِيمُ الَّذِي قَدَّرَ كُلَّ شَيْءٍ وَفْقَ حَكْمَتِهِ. هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِينَ رَسُولًا يَعْنِي الْعَرَبَ الَّذِينَ هُمْ أُمَّةٌ لَا تَعْرِفُ الْقِرَاءَةَ وَ لَا الْكِتَابَةَ وَ لَمْ يَبْعَثْ فِيهِمْ نَبِيًّا قَبْلَ. وَ قِيلَ مَعْنَاهَا: بَعَثَ فِي أَهْلِ مَكَّةَ لِأَنَّهُ تَسَمَّى أُمَّ الْقُرَى مِنْهُمْ يَعْنِي أَنَّ مُحَمَّدًا (ص) جَنَسَهُ مِنْ جَنَسِهِمْ وَ نَسَبَهُ مِنْ نَسَبِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ أَى يَقْرَأُ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ الْمَشْتَمِلَ عَلَى الْحَلَالِ وَ الْحَرَامِ وَ سَائِرِ الْأَحْكَامِ وَ يُزَكِّيهِمْ أَى يَطَهِّرُهُمْ مِنَ الذُّنُوبِ وَ الْكُفْرِ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ أَى الْقُرْآنَ وَ الْحِكْمَةَ وَ هِيَ الشَّرَائِعُ كَافَةً وَ إِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ أَى مِنْ قَبْلِ بَعَثِهِ فِيهِمْ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ أَى فِي انْحِرَافٍ ظَاهِرٍ عَنِ الْحَقِّ وَ آخَرِينَ مِنْهُمْ أَى لِيَعْلَمَ آخَرِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَ هُمُ الْمُسْلِمُونَ مِنْ بَعْدِ عَهْدِ صَحَابَتِهِ (ص) إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. وَ قِيلَ هُمْ غَيْرُ الْعَرَبِ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ مَرَّ مَعْنَاهُ. ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ أَى النُّبُوَّةُ الَّتِي اخْتَصَّ بِهَا رَسُولُهُ الْكَرِيمُ (ص) يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ يَعْنِي يُعْطِيهِ لِمَنْ يَرِيدُ وَ اللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ أَى هُوَ سَبْحَانَهُ ذُو الْمَنْ الْكَثِيرِ عَلَى خَلْقِهِ بِيَعْتَهُ مُحَمَّدًا (ص) إِلَيْهِمْ. ٥ إلى ٨- مَثَلُ

الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ... أى كلّفوا القيام بها والعمل بما فيها وهم اليهود ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا أى لم يقوموا بحملها كما يجب ولا قاموا بأداء حقها بالعمل بما فيها كما ينبغي كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَثْقَاراً الْأَسْفَارَ مفردها: سفر وهو الكتاب، فما فائدة الحمار إذا حمل كتب الحكمة على ظهره؟ إنه لا ينتفع بها لأنه لا يقرأها ولا يعمل بما فيها، وهذه هي حال اليهود مع توراتهم. بَشَسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أى تعس من الناس قوم ينكرون دلائل الله وبراهينه التى جاء به رسله وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ مر معناه قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا أى قل يا محمد لليهود إِنْ زَعَمْتُمْ أى إذا ظننتم بحسب قولكم أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ أى أنصاره وأنه معكم مِنْ دُونِ النَّاسِ دون بقيّة الناس فَتَمَتُّوا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ أى اطلبوا الموت الذى يوصلكم إلى رضوانه ونعيمه فى الجنّة إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فى زعمكم أنكم أحباؤه وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَداً أى أنهم لا يطلبون الموت مطلقاً بِمَا قَدَّمْتُمْ أُثْمِدْهُمْ مِنْ الذُّنُوبِ والكبائر الموجبة للنار وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ أى أنه عارف بهم وبأفعالهم قُلْ يَا مُحَمَّدُ لَهُمْ: إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِى تَفَرَّوْنَ مِنْهُ أى تهربون منه فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ أى مدرّكمكُمْ ثُمَّ تَرْدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أى أنكم ترجعون إلى الله العالم بسرّكم وجهركم فَيُنَبِّئُكُمْ فيخبركم بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ بما عملتموه فى الدنيا من سيئ الأعمال وغيره. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٥٥٩ ٩ إلى آخر السورة المباركة- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ ... أى إذا أذن لها فى ذلك اليوم وقعد إمام الجماعة على المنبر للخطبة فَاسْرِعُوا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ يعنى فامشوا مسرعين إلى الصلاة دون تأمّل وَذَرُوا الْبَيْعَ اتركوا البيع والشراء على السواء ذَلِكُمْ أى ما أمرناكم به من المبادرة إلى صلاة الجمعة وترك البيع خَيْرٌ لَكُمْ أكثر فائدة إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ما تنفعكم وما لا ينفعكم فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ يعنى أنه بعد انتهاء الصلاة والفراغ من الخطبة فتفرقوا لمصالحكم فى جميع نواحي الأرض وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ أى اطلبوا نعمه ورزقه وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا احمده واشكروه على نعمه بما وفقكم إلى طاعته وأداء فرضه لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ يعنى لتفوزوا برضاه وإذا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا إِذَا نظروا بيعا وشراء أو ما يليههم قيل هو الطبل انْقَضُوا يعنى تفرقوا عنك يا محمد وانصرفوا إلى التجارة وَتَرَكُوا قَائِمًا أى على المنبر تخطب قُلْ يَا مُحَمَّدُ لَهُمْ: مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْأَجْرِ والثواب على سماع الخطبة والصلاة خَيْرٌ لَكُمْ وأكثر نفعاً مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ التى تبغون ربحها وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ لأنه موفّر رزقه للطائع والعاصي، وهو يرزقكم حتى إذا بقيتم مع رسول الله (ص) واستمعتم الخطبة.

سورة المنافقون مدنية، عدد آياتها ١١ آية

١ إلى ٣- إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ ... إِذَا جَاءَكَ يَا مُحَمَّدُ الْمُنَافِقُونَ المذكورة صفاتهم قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ أى اعترفوا أمامك بأنهم يعتقدون كونك رسولا- لله وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ حَقًّا وحقيقته وعلمه لا- يلزمه دعم شهادتهم وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ فهو سبحانه كما شهدوا لك بالرسالة تمويها يشهد بأنهم كاذبون فى قولهم فإنهم لا يعتقدون ذلك فى قلوبهم اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً أى ستره يستترون بها خوفا من أن يقتلوا بكفرهم فَصِدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أى فأعرضوا بذلك عن الإسلام. وقيل: منعوا غيرهم من أن يتبعوا طريق الحق بأباطيلهم ونفاقهم. إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ أى بشس ما عملوه من إظهار الإيمان وإبطان الكفر والصدّ عن سبيل الله ذَلِكْ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا أى بسبب إيمانهم بالسنتهم ثُمَّ كَفَرُوا بقلوبهم لما كذبوا بهذا فَطُغِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ ختم عليها وطمس فلا يدخلها الإيمان فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ أى لا يعقلون الحق لأنهم لا يتدبرونه. ٤ إلى ٦- وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ... أى إذا نظرت إليهم يا محمد يعجبك حسنهم وجمالهم وتمام خلقتهم وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ وَأَنْتَ تصغى لأقوالهم كَأَنَّهُمْ خُشْبٌ مَسْنَدٌ أى كأنهم تماثيل حسنة الصنع ولكنهم خالون من العقول والأفهام يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ أى يظنون كل صرخة موجهة إليهم لأنهم جنباء هُمْ الْعِيدُوْا أى لك يا محمد وللمؤمنين حقيقة فَاخْذَرْتُمْ احترس من أن تأمنهم على سرّك قَاتَلَهُمُ اللَّهُ يعنى أخزاهم ولعنهم أَنَّى يُؤْفَكُونَ أى ينحرفون عن الحق. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٥٦٠ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ أى هلمّوا إلى رسول الله تائبين ممّا أنتم عليه لَوْوَا رُؤُسَهُمْ أى حرّكوها هزءا وسخرية مستخفين بهذا القول وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ أى رأيتهم يا

محمد يمنعون الناس عن الحق وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ متعجرفين مستهزئين باستغفار النبي (ص). سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ أى يتساوى معهم استغفارك وعدمه فإن الله تعالى لا يغفر لهم مطلقا لكفرهم إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ أى لا يوفق الخارجين عن الإيمان إلى الهداية لطريق الحق. ٧ و ٨- هُمْ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا- تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ... أى لا تقدموا معونة للمحتاجين من المؤمنين الموجودين عند رسول الله حَتَّى يَنْفُضُوا أى حتى يتفرقوا عنه وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فهو سبحانه يملك الأموال والأرزاق ولو شاء لأغنى جميع المؤمنين ولكنه لا يفعل إلّا ما فيه من المصلحة والحكمة وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ لا يعرفون وجه الحكمة هذا يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ أى إذا عدنا من غزوة المصطلق إلى المدينة لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ يعنى أنهم هم الأعزّ وسيخرجون منها النبي وأتباعه والذى قال ذلك هو رأس المنافقين عبد الله بن أبى ولِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ فهو تعالى العزيز المنيع، وكذلك رسوله فهو القوى العزيز المنتصر عليهم وَلِلْمُؤْمِنِينَ بَأْن يجعلهم سبحانه منصورين على أعدائهم وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا- يَعْلَمُونَ فهم جاهلون يظنون أنهم أعزّ، وهم بالحقيقة أذلّ صاغرون. ٩ إلى ١١- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ ... إلخ أى لا تشغلوا بأموالكم وأولادكم عن الطاعات والذكر وهو الصلوات الخمس وسائر الطاعات وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ أى من يتلهى عن ذكر الله بماله ولده فأولئك هُمُ الْخَاسِرُونَ لثواب الله ورحمته وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ أى اصرفوا فى سبيل البر والخير ويدخل فيه الزكاة وجميع الحقوق الواجبة مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ أى يفاجئه فيقول رَبِّ مستغيثا نادما عند ما يشاهد علامات الموت لَوْ لَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ أى يا ليت لو فسحت بأجلي ولو لمدة قليلة و تبقينى فى الدنيا فَأَصْدَقَ أى فازكى مالى و أتصدق وأنفق فى سبيل الله وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ الذين عملوا ما يرضيك وَلَنْ يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا فالأجل محتوم وهو واقع لا محالة فى حينه وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ أى عالم بأعمالكم ويجازيكم بحسبها. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٥٦١

سورة التغابن مدنية، عدد آياتها ١٨ آية

١ إلى ٤- يَسْجُدُ لِلَّهِ مَا فِى السَّمَاوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ ... قد مرّ تفسير مثلها و بيان أن تسبيح المكلف يكون بالقول، و تسبيح الكائنات الأخرى يكون بالدلالة والاستكانة لَهُ الْمُلْكُ لا يشاركه فيه أحد وَلَهُ الْحَمْدُ أى الشكر على جميع نعمه وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ مر معناه هُوَ الَّذِى خَلَقَكُمْ أى أوجدكم من العدم فَمِنْكُمْ كَافِرٌ لم يعترف بخالقه كالدهرية وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ مقرر بذلك وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ عالم بأعمالكم مطلع على أحوالكم خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِالْحَقِّ أى أنشأهما بإحكام الصنعة وأقامهما على الحق وصحة التقدير. وَصَوَّرَكُمْ يعنى خلق البشر على ما هم عليه من الهيئة فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ من حيث تمام الخلقة وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ أى إليه المرجع يوم القيامة يَعْلَمُ مَا فِى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لا يفوت علمه شىء وَيَعْلَمُ مَا تَسْتُرُونَ ما تفعلون فى سرركم وَمَا تُغْلِبُونَ و ما تظهرونه وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ أى عارف بأسرار القلوب وبواطنها. ٥ و ٦- أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا ... أى ألم يجئكم أخبار الكافرين مِنْ قَبْلِ هَؤُلَاءِ الكافرين فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهُمْ أى لقوا عاقبه كفرهم من الإهلاك والقتل وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ أى موجه فى الآخرة ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ أى ذلك الإهلاك والقتل والعذاب، كان بسبب أنه جاءتهم الأنبياء بالمعجزات والحجج الواضحة فَقَالُوا لِلرُّسُلِ: أَبَشَرٌ مِثْلُنَا يَهْدُونَنَا يَرشُدوننا إلى مصالحنا وإلى الحق فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا أى جحدوا وأعرضوا عن رسله وَاسْتَعْزَى اللَّهُ بِسُلْطَانِهِ عَنْهُمْ و عن أيمانهم وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ مستغن عن طاعتكم و عبادتكم، مستحق للحمد على ما أفاض من نعمه على خلقه. ٧ إلى ١٠- زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَكُونُونَ أى ظنوا ظنا كاذبا بأنهم لا يعادون أحياء للحساب يوم القيامة قُلْ يا محمد لهم: بلى وَرَبِّىْ: أى: أجل وحق رَبِّى لَتُبْعَثُنَّ أى لتحشرن ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ أى لتخبرن بأعمالكم وتحاسبون عليها وَذَلِكَ الْأَمْرُ مِنَ الْبَعْثِ وَالْحِسَابِ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ سهل عليه وَهَئِنِ فَاثُومُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ صَدَّقُوا بِهِمَا وَآمَنُوا بِالنُّورِ الَّذِى أَنْزَلْنَا وَهُوَ الْقُرْآنُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ عالم بذلك كله يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ أى حين يحشركم ليوم القيامة ذَلِكَ يَوْمُ النَّعَابِ أى اليوم الذى يستعيز فيه المؤمن ما ترك من حظه فى الدنيا و ينال حظه من الآخرة فيكون قد ترك ما هو شرّ وأخذ ما هو خير فكان غابنا، و بعكسه الكافر الذى ترك حظه من الآخرة و

سورة الطلاق مدنية، عدد آياتها ١٢ آية

www.noorfatemah.org

يكفيه أمر الدنيا، و يعطيه ثواباً في الآخرة إِنَّ اللَّهَ بِأَمْرِهِ أَى أَنهَآ لَا تَكُونُ إِلَّا مَشِيئَتُهُ فَيَمْنُ تَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَ فَيَمْنُ لَمْ يَتَوَكَّلْ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا أَى جَعَلَ لِكُلِّ شَيْءٍ مَقْدَارًا وَ أَجَلًا لَا يَزِيدُ وَ لَا يَنْقُصُ. ٤ و ٥- وَ اللَّائِي يَنْشُرْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ ... أَى اللواتي لا- يحضن إِنْ ارْتَبْتُمْ أَى إِذَا شَكَكْتُمْ بِهِنَّ فَلَا- تعرفون هل ارتفع حيضهن لكبر أو لعارض فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَ هَؤُلَاءِ هُنَّ اللواتي تحيض من كانت مثلهنَّ وَ اللَّائِي لَمْ يَحْضُنَّ أَى إِنْ ارْتَبْتُمْ بِحِيضِهِنَّ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ أَيْضًا، وَ هُنَّ اللواتي لم يبلغن المحيض في حين أن مثلهنَّ تحيض عادةً وَ أُولَاتِ الْأَحْمَالِ أَى الْحَوَامِلِ أَجْلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ أَى تَنْتَهِيَ عِدَّتُهُنَّ بِالْوِلَادَةِ وَ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ فِيمَا أَمَرَهُ بِهِ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا فَيُسْهَلْ لَهُ أَمْرُ دِينِهِ وَ دُنْيَاهُ ذَلِكَ يَعْنِي الْمَذْكُورُ فِي أُمُورِ الْعِدَّةِ وَ الطَّلَاقِ أَمْرُ اللَّهِ لَكُمْ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ لِتَعْمَلُوا بِهِ وَ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَخَفْهُ أَوَامِرُهُ وَ اجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ يَمْحُوهَا عَنْهُ وَ يُعْظِمَ لَهُ أَجْرًا أَى يَزِيدْ لَهُ فِي ثَوَابِهِ فِي الْآخِرَةِ. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٥٦٤ ٦ و ٧- أَسَدِكُنَّ مِنْ حَيْثُ سَيَكُنَّ مِنْ وَجْدِكُمْ ... أَى أَسْكُنُوا النِّسَاءَ الْمُطَّلَقَاتِ فِي بَيْوتِكُمْ وَ حَيْثُمَا سَكَنْتُمْ مِنْ مَسَاكِنِكُمْ التِي فِي مَلِكِكُمْ وَ مَا تَقْدِرُونَ عَلَيْهِ وَ لَا تُضَاوِرُوهُنَّ أَى لَا تَسْبُوا لَهُنَّ ضُررًا بِأَنْ تَقْصِرُوا فِي سَكْنِهِنَّ وَ نَفَقَتِهِنَّ لِتَضَيَّقُوا عَلَيْهِنَّ يَعْنِي لِتَضْطَرُّوهُنَّ إِلَى الْخُرُوجِ مِنْ بَيْوتِ السَّكَنِ أَوْ لِتَرْكِ النِّفْقَةِ وَ إِنْ كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ أَى حَوَامِلُ فَانْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ حَتَّى يَلِدْنَ لِأَنَّ عِدَّتَهُنَّ تَنْتَهِي حِينَ الْوَضْعِ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ أَوْلَادَكُمْ مِنْهُنَّ حَالِ طَلَاقِهِنَّ فَاتَّوَهُنَّ أَجُورَهُنَّ فَأَعْطُوهُنَّ بِدَلِ الرِّضَاعِ وَ أَتَمُّوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَى اتَّفَقُوا بِالْحَسَنِ وَ الْجَمِيلِ وَ إِنْ تَعَايَرْتُمْ فَسْتَرْضِعْ لَهُ أُخْرَى أَى إِذَا اخْتَلَفْتُمْ فِي الْإِرْضَاعِ أَوْ الْأَجْرِ فَسْتَرْضِعْ لِلرَّجُلِ امْرَأَةً أَعْجَنِيَةً لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ أَى عَلَى ذَوِي السَّعَةِ أَنْ يَوْسِعُوا فِي النِّفْقَةِ وَ أَجْرِ الرِّضَاعِ لِأَوْلَادِهِمْ وَ مَنْ قَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ أَى مَنْ كَانَ رِزْقُهُ قَلِيلًا وَ مَحْدُودًا فَلْيَنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ يَعْنِي أَنَّهُ يُعْطَى بِمَقْدَارِ إِمْكَانِهِ وَ طَاقَتِهِ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا أَى لَا يَحْمِلُهَا فَوْقَ طَاقَتِهَا التِي مَنَحَهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا أَى بَعْدَ ضَيْقٍ سَعَةً وَ بَعْدَ الصَّعُوبَةِ سَهُولَةً. ٨ إلى ١١- وَ كَأَيُّنَ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا ... أَى وَ كَمْ مِنْ أَهْلِ قَرْيَةٍ تَجَاوَزُوا الْحَدَّ فِي الْعَصْيَانِ وَ التَّمَرُّدِ عَلَى اللَّهِ فَحَاسِبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا أَى دَقَّقْنَا مَعَهَا الْحِسَابَ وَ لَمْ نَرَأْفْ بِهَا لِعَوْتِهَا وَ عَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نَكْرًا أَى كَانَ عَذَابُنَا لَهَا شَدِيدًا مَنَكْرًا بِحَيْثُ لَمْ يَرِ مِثْلُهُ وَ هُوَ عَذَابُ الدُّنْيَا فَذَاقَتْ وَ بَالَ أَمْرُهَا أَى ذَاقَتْ عَاقِبَةَ أَمْرِ كُفْرِهَا وَ كَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا أَى كَانَتْ نَتِيجَةُ حَالِهَا خُسَارًا فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا هُوَ عَذَابُ النَّارِ حَاضِرًا لَهَا لِحِينَ مِيعَادِهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ أَى احْذَرُوهُ يَا أَصْحَابَ الْعُقُولِ وَ لَا تَعْمَلُوا مِثْلَ مَا عَمِلَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ آمَنُوا وَ هَذَا وَصَفُهُمْ. وَ قَدْ خَصَّيْهِمْ بِالذِّكْرِ لِأَنَّهُمْ وَحْدَهُمْ يَنْتَفِعُونَ بِذَلِكَ دُونَ غَيْرِهِمْ قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا أَى قَدْ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ هَذَا الْقُرْآنَ وَ قِيلَ الذِّكْرُ هُنَا الرِّسُولُ (ص) رَسُولًا أَى نَبِيًّا مَبْعُوثًا مِنْ عِنْدِنَا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ أَى يَقْرَأُهَا عَلَيْكُمْ وَاضِحَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ أَى لِيُخْرِجَهُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْكُفْرِ إِلَى نُورِ الْإِيمَانِ وَ مِنَ الْجَهْلِ إِلَى الْمَعْرِفَةِ وَ مَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَ يَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَيْدًا مَرَّ تَفْسِيرُهَا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا أَى أَنَّهُ يُعْطِيهِ أَحْسَنَ مِمَّا يُعْطَى أَى أَحَدٌ مِنْ نَعِيمِ الْجَنَّةِ. ١٢- اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَ مِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ... أَى خَلَقَ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَ خَلَقَ مِثْلَهُنَّ فِي الْعَدَدِ: سَبْعَ أَرْضِينَ لَا فِي الْكَيْفِيَّةِ. يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ أَى يَنْزِلُ الْأَمْرُ لِنَبِينَا (ص) مِنْ فَوْقِ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِينَ، وَ كَذَلِكَ يَنْزِلُ الْمَلَائِكَةُ بِأَمْرِ رَبِّهِمْ فِيمَا بَيْنَهُنَّ بِالْحَيَاةِ وَ الْمَوْتِ وَ الرِّزْقِ وَ تَصْرِيفِ الْأُمُورِ بِحَسَبِ الْحِكْمَةِ وَ غَيْرِ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا لَتَعْرِفُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ مَرَّ مَعْنَاهُ وَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا أَى أَنَّهُ لَا يَفُوتُهُ شَيْءٌ مِمَّا يَجْرِي فِي مَخْلُوقَاتِهِ. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٥٦٥

سورة التحريم مدنية، عدد آياتها ١٢ آية

١ و ٢- يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ ... الْخَطَابُ لَهُ (ص) أَى: تَجْعَلُ الْحَلَالَ لَكَ حَرَامًا عَلَى نَفْسِكَ؟ وَ لِذَلِكَ قِصَّةُ جَرَتْ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ (ص) وَ بَعْضِ زَوْجَاتِهِ كَانَتْ سَبِيًّا فِي نَزُولِ هَذِهِ السُّورَةِ فَلْتَرَاجِعْ فِي الْمَطُولَاتِ. تَبَتَّغَى مَرْضَاتَ زَوْجِكَ أَى طَلَبَا لِرِضَاهُنَّ مَعَ أَنَّهُنَّ هُنَّ أَحَقُّ بِطَلَبِ رِضَاكَ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ مَرَّ مَعْنَاهُ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ أَى قَدْ قَدَّرَ لَكُمْ مَا تَحِلُّونَ بِهِ

من أيمانكم إذا حصلت منكم، ثم شرع لكم أن تحنثوا بها لتتحلَّ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ أَى وليكم أيها المؤمنون يحفظكم وينصركم وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ مر معناه. ٣ إلى ٥- وَإِذْ أَسِيرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ ... وَهِيَ حَفْصَةُ حَدِيثًا أَى كلاما أمرها بكتمانه فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ أَى أخبرت غيرها بما أسرَّ به إليها وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ أَى أطلع نبيه (ص) على ما وقع من حفصة من إفشاء سره عَرَفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ أَى أخبر النبي (ص) حفصة بعض ما ذكرت و لم يخبرها ببعضه الآخر. وهذا يدل بأنه (ص) قد علم بكل ما قالته لأن إعراضه عن بعض يدل على تمام معرفته، وهذا من كرم خلقه (ص) فلم يستقص معها كل ما عرفه من قولها فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ أَى حين أخبرها بما علم من أمرها قَالَتْ حَفْصَةُ لَهُ: مَنْ أَتْبَاكَ هَذَا يَعْنِي مَنْ أَخْبَرَكَ بِهِ قَالَ (ص) نَبَّأَنِي الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ أَى أخبرني به العليم بجميع الأمور، الخبير بذوات الصدور. ثم خاطب عائشة و حفصة معا: إِنَّ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمَعَاوَةِ عَلَى إِذَاءِ النَّبِيِّ (ص) و الاتفاق عليه فقد وجبت عليكما التوبة مما كان منكما فَقَدْ صَيَّغَتْ قُلُوبُكُمَا أَى مالت إلى الإثم وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ أَى تتعاونوا على إيذائه وَتَتَّفَقَا فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ أَى حافظه و ناصره وَجَبْرِيلُ كَذَلِكَ مَوْلَاهُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ يَعْنِي الْأَخْيَارَ مِنْهُمْ هُم أَوْلِيَائُهُ أَيْضَا وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ أَى و الملائكة أعوانه بعد الله تعالى و جبرائيل و صالح المؤمنين. عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنْ أَى واجب منه سبحانه إِنْ طَلَّقَكُنْ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ أَى أَنْ يعطيه بدلكنَّ مِنْ هُنَّ أَصْلَحَ لَهُ مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ أَى راضيات بأمر الله مُؤْمِنَاتٍ مُصَدِّقَاتٍ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ قَانِتَاتٍ أَى خاضعات خاشعات لله و مطيعات لأزواجهن تَائِبَاتٍ مُسْتَغْفِرَاتٍ مِنَ الذُّنُوبِ عَابِدَاتٍ لِلَّهِ تَعَالَى بِالْفُرُوضِ وَالسُّنَنِ سَائِحَاتٍ ماضيات فى الطاعة، و قيل صائمات تَائِبَاتٍ وَ هُنَّ اللّوَاتِي افْتَضَّ أَزْوَاجَهُنَّ بِكَارَاتِهِنَّ وَأُبْكَارًا أَى عذارى. ٦ إلى ٩- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ... أَى احرسوا و امنعوا أنفسكم و أهليكم النار بالصبر على الطاعات و عن المعاصي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أَى أَنْ حطبها من الناس و حجارتها من الكبريت الذى يلتهب عَلَيْهَا مَلَائِكَةُ غِلَظٍ شَدَادُ أَى أَنَّهُ مُوَكَّلٌ بِهَا زَبَانِيَةٌ غِلَظُ الْقُلُوبِ أَقْوِيَاءُ لَا- يَرْحَمُونَ أَهْلَ النَّارِ لَا- يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ أَى لَا- يَخَالِفُونَ مَا حَكَمَ بِهِ اللَّهُ عَلَى الْعَصَاةِ وَلَا تَأْخُذْهُمْ بِأَحَدٍ رَحْمَةً يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ أَى أَنَّهُمْ حِينَ يَعَذِّبُونَ بِذُنُوبِهِمْ يَشْرَعُونَ فِي الْإِعْتِذَارِ عَمَّا فَرَطَ مِنْهُمْ فَيَقَالُ لَهُمْ: دَعُوا أَعْذَارَكُمْ الَّتِي لَا تَسْمَعُ لَكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ أَى إِنَّمَا تَلْقَوْنَ جَزَاءَ أَعْمَالِكُمُ الَّتِي فَعَلْتُمُوهَا. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٥٦٦ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ أَقْلَعُوا عَنْ مَعَاصِيهِ وَارْجِعُوا إِلَى طَاعَتِهِ وَتَكُنْ تَوْبَتُكُمْ تَوْبَةً نَصُوحًا أَى خَالصة لوجه الله عَسَى رَبُّكُمْ أَى بِأَمَلٍ أَنْ رَبُّكُمْ أَوْجِبَ عَلَى نَفْسِهِ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ يَمْحُوها عَنْكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ مر معناه يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ أَى لَا يَدْخُلُهُمْ بِدْخُولِ النَّارِ بَلْ يَعْزِمُ بِإِدْخَالِهِمُ الْجَنَّةَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ مَرَّ تَفْسِيرِهِ فِي سُورَةِ الْحَدِيدِ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَنْتُمُ لَنَا نُورٌ أَى اجْعَلْهُ تَامًا لَنَا بِتَوْفِيقِنَا إِلَى سَبِيلِهِ وَهُوَ الطَّاعَةُ وَ اغْفِرْ لَنَا أَى اغْفِرْ عَنْ مَعَاصِينَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَاضِحُ الْمَعْنَى يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ أَى قَاتِلْهُمْ وَ جَاهِدِ الْمُنَافِقِينَ بِالْقَوْلِ لِرَدِّعِهِمْ عَنْ كُلِّ مَا يَفْعَلُونَهُ مِنْ قَبَائِحٍ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ أَى تَشَدَّدْ بِإِقَامَةِ الْحَدِّ عَلَيْهِمْ وَمِأْوَاهُمْ جَهَنَّمَ وَبِشَسِّ الْمَصْتَبِيرِ وَ هِيَ مَالَهُمْ وَ مُسْتَقَرُّهُمْ. ١٠ إلى آخر السورة- ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا ... أَى ذَكَرَ سَبْحَانَهُ مَثَلًا عَلَى الْكُفَّارِ بِقَوْلِهِ: إِنْ امْرَأَتٌ نُوحٍ وَامْرَأَتٌ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ أَى كَانَتَا زَوْجَتَيْنِ لِنَبِيِّنِ مِنْ رَسَلِنَا فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ تَحْفَظَا رِسَالَتَهُمَا وَ لَا عَمَلَتَا بِدِينِهِمَا وَ لَيْسَ الْمَقْصُودُ بِالْخِيَانَةِ إِيْتَانِ الْفَاحِشَةِ فَلَمْ يُغْنِيا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أَى لَمْ يَغْنِ نُوْحٌ وَ لَا لُوطٌ عَنْ زَوْجَتَيْهِمَا شَيْئًا مِنَ الْعَذَابِ مَعَ أَنَّهُمَا نَبِيَّتَانِ، وَ قِيلَ أَى يَقَالُ لَهُمَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ: ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ فَأَنْتُمَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ مَعَهُمْ وَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا أَى وَ ذَكَرَ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ وَ هِيَ آسِيَةُ بِنْتُ مِرْزَاحٍ فَإِنَّهَا لَمَّا رَأَتْ مُعْجَزَةَ الْعَصَا مِنْ مُوسَى آمَنَتْ وَ عَلِمَ فِرْعَوْنُ إِيمَانَهَا فَهَاجَهَا عَنْ ذَلِكَ فَامْتَنَعَتْ، فَعَاقَبَهَا بِأَنْ شَدَّ يَدَيْهَا وَ رَجَلَيْهَا بِالْحَبَالِ إِلَى أَرْبَعَةِ أَوْتَادٍ فِي مَكَانٍ مَعْرُوضٍ لِلشَّمْسِ، ثُمَّ أَلْقَى عَلَيْهَا صَخْرَةً عَظِيمَةً. إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ فَرَفَعَهَا اللَّهُ سَبْحَانَهُ إِلَيْهِ شَهِيدَةً تَأْكُلُ وَ تَشْرَبُ وَ نَجَّيْنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَ عَمَلِهِ أَى خَلَّصَنِي مِنْهُ وَ مَنْ كَفَرَهُ وَ نَجَّيْنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ أَى مِنْ أَعْوَانِ فِرْعَوْنَ الظَّالِمِينَ لِأَنْفُسِهِمْ وَ لغيرهم وَ مَزَيْمَ ابْنَتِ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا أَى مَنَعَتْهُ مِنْ دَنَسِ الْمَعْصِيَةِ وَ قِيلَ: اِمْتَنَعَتْ عَنِ الْأَزْوَاجِ فَتَفَحَّخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا أَى نَفَخَ جِبْرَائِيلُ جِيهًا فَكَانَ عِيسَى وَ صَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا آمَنَتْ بِمَا جَاءَ عَنْ رَبِّهَا وَ صَدَّقَتْ

ب كُتِبَهِ الْمَنْزِلَةُ عَلَى رِسْلِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِنِينَ أَيْ مِنَ الرُّهْطِ الْمُطِيعِينَ لِلَّهِ تَعَالَى. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٥٦٧

سورة الملك مكية، عدد آياتها ٣٠ آية

١ إلى ٤- تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ ... أى تعالى عن كل ما لا يجوز عليه، و عظم شأنه باستحقاقه الربوبية و بيده وحده السلطان و التدبير و التصرف وَ هُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ مر معناه الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَ الْحَيَاةَ أى جعل الموت حقاً على العباد و تعبدهم بالصبر عليه و الحياة للتعبد بالشكر عليها لِيُنْبَلُوكُمْ لِيخْتَبِرَكُمْ أَيْكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا أى أَيْكُمْ أَكْثَرُ امْتِثَالًا لِأَوَامِرِ اللَّهِ وَ اجْتِنَابًا لِنَوَاهِيهِ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ مر معناه الَّذِي خَلَقَ أى أنشأ من العدم سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا جَعَلَهُنَّ وَاحِدَةً فَوْقَ الْأُخْرَى مُتَشَابِهَاتٍ فِي الْإِتْقَانِ مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَافُوتٍ أى ليس فيه اختلاف من ناحية الحكمة و إن كانت متفاوتة في الصورة فَارْجِعِ الْبَصِيرَ أى أدرك أيها الإنسان في الخلق و استقص في النظر مرة بعد أخرى هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ هل تنظر فيها من شقوق أو خلل ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ أى كرر النظر يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ الْبَصِيرُ خَاسِئًا وَ هُوَ حَسِيرٌ يرجع إليك نظرك فاشلا كالاً لم ينل ما كان يتمناه من خلل. ٥- وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ ... أقسم سبحانه بأنه حسن السماء التي هي أدنى إلى الأرض بالنجوم و الكواكب، المضيئة وَ جَعَلْنَاهَا أَيْ الْكَوَاكِبَ رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ نرجم الشياطين منها بشهب حين يسترقون السمع وَ اعْتَدْنَا لَهُمْ أَيْ هَيَّأْنَا لِلشَّيَاطِينِ عَذَابَ السَّعِيرِ عَذَابَ النَّارِ الْمُسْعِرَةِ. ٦- وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَ بِنَسِ الْمَصِيرِ أى إن لهم عذاب جهنم، و بنس ذلك المآل الذي يصيرون إليه. ٧ إلى ٩- إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهيقًا وَ هِيَ تَفُورُ ... أى إذا طرح الكفار في نار جهنم سمعوا لها صوتاً مخيفاً يشبه صوت غليان القدر عند غليانها تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ أى تكاد تتفرق و تتقطع من شدة الغضب كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ أى كلما طرحت في جهنم جماعة من الكفار سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا قَالَتْ لَهُمْ زبَانِيَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ أى: ألم يجئكم محذّر يخوفكم من هذا المصير التعيس؟ قَالُوا بَلَى رَدُّوا بِالْإِجَابِ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا فَلَمْ نَصْدَقْهُ وَ قُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَ أَنْكُرْنَا أَنْ تَكُونَ دَعْوَتُهُ صَادِرَةً عَنِ اللَّهِ تَعَالَى، فيجيبهم الملائكة إِنْ أَنْتُمْ أَيْ مَا أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ أى في ضياع عن الحق عظيم. ١٠ و ١١- وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ ... فأجاب الكفرة قائلين: لو كنّا نسمع من الرسل في دار الدنيا، أو نميز الحق من الباطل ما كنّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ما كنّا من أهل النار الملتهبة. فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ أى أقرّوا بما ارتكبه من الكفر و العناد فَسُحِقُوا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ هذا دعاء عليهم، أى أسحق الله أهل النار و أبعدهم من النجاة. ١٢- إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ ... أى أن للذين يخافون عذاب ربهم حال كونهم غائبين عن رؤية ذلك العذاب تجاوزوا عن ذنوبهم و قيل: يخافون ربهم في السر كما يخافونه في العلن وَ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ أى ثواب عظيم لا فناء له. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٥٦٨ و ١٣ و ١٤- وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ ... أى فأبطنوا ما شئتم أو بوحوا به إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ يعرف ما في القلوب و يطلع على ما يدور في النفوس أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ أى: أفلا يعلم ما في القلوب من خلق القلوب، ألا يعرف السر من خلق السر و العلن؟ بلى وَ هُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ أى العارف بأدق الأمور، العالم بعباده و بأعمالهم. ١٥- هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا ... أى جعلها مسخرة سهلة مدعنة تصنعون فيها ما تريدون فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا أى سيروا في طرقها و فجاجها وَ كُلُوا مِنْ رِزْقِهِ أى مما أعطاكم من غلال جبالها و سهولها وَ إِلَيْهِ النُّشُورُ أى إليه سبحانه يكون البعث. ١٦ و ١٧- أَمْ أَنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ ... يعنى هل أنتم عذاب الله تعالى الذي في السماء سلطانه، و أمره أن يأمر ملائكة العذاب فيشق الأرض و يغيبكم فيها إِنْ عَصَيْتُمُوهُ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ أى تضطرب و تتحرك أَمْ أَنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا وَ هل أنتم في أمان من أن يرسل سبحانه عليكم ريحا تحمل الحجارة و تحصبكم بها فَسْتَغْلَمُونَ حينئذ كَيْفَ نَذِيرٍ أى كيف إنذارى لكم من عاقبة العصيان عند رؤية العذاب. ١٨- وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ... رسل و جحدوا بربوبيتي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ أى فانظر كيف كان إنكارى لعملهم و عقوبتى لهم بإهلاكهم. ١٩- أَوْ لَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَائِتٍ ... أى ألم ينظروا إلى الطيور محلقة في الجو تصف أجنتها في الهواء فوقهم؟ وَ هُنَّ يَقْبِضْنَ أَجْنَحَتَهُنَّ بَعْدَ بَسْطِهَا مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ فَهُوَ جَلَّتْ قُدْرَتُهُ يَمْسِكُ الطَّيْرَ بِمَا وَطَأَ لَهُ مِنَ الْهَوَاءِ، و من سخر الهواء على هذا الشكل يكون على كل شيء قدير إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ مر

سورۃ القلم مکیہ، عدد آیاتھا ۵۲ آیہ

www.noorfatemah.org

أيضا كل وقاع في الناس كثير الغيبة لهم، ساع بينهم بالنميمة مَناعٍ لِلْخَيْرِ بخيل مقتر بالمال، ولا تطع كل مُعْتَدٍ أَثِيمٍ أى المعتدى على الحق الفاجر الذى يرتكب الآثام عُتْلٌ فاحش سَيِّئُ الخلق بَعْدَ ذَلِكَ من الصفات القبيحة زَئِيمٍ أى دعى قد ألحق بقوم ليس هو منهم فى النسب أن كَانَ ذا مالٍ وَبَيْنَ أى لا تطعه يا محمد لمجرد كونه صاحب مال و ذا بنين إذا تَتَلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا، قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ أى إذا قرئت عليه آيات القرآن قال إن ذلك مِمَّا سَطَرَهُ الْأَوَّلُونَ فى أحاديثهم. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ١٦٥٧٠- سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُزُومِ أى سنشوهه يوم القيامة بسمه على أنفه يعرف بها أنه من أهل النار. ١٧ و ١٨- إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ ... يعنى إننا اخترنا أهل مكة بالقحط و المجاعة كما اخترنا أصحاب ذلك البستان إِذْ أَقْسَمُوا أى حيث حلفوا فيما بينهم لَيَصِيرُنَّهَا مُصْبِحِينَ أى ليقطفن ثمرها عند الصباح وَ لَا يَسْتَتْنُونَ فى أيمانهم، أى لم يقولوا: إن شاء الله. ١٩ و ٢٠- فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ ... أى طرقها طارق من أمر الله أتاحه ربك وَ هُمْ نَائِمُونَ حال نومهم قيل: بعث الله عليها النار فى الليل فأحرقها فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ كالليل المظلم كناية عن احتراقها ٢١ إلى ٢٥- فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ، أَنْ اْعْمِدُوا عَلَى خَرْثِكُمْ ... أى نادى بعضهم بعضا عند الصباح: هيا إلى زرعكم لتقطفوا ثماره إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ أى إذا قررتم قطع ثمار النخل فَأَنْطَلَقُوا وَ هُمْ يَتَخَفَتُونَ أى مضوا إلى عملهم و هم يتسارون فيها بينهم أَنْ لَا يَدْخُلْنَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ يجب أن لا يدخل بستاننا اليوم مسكين و لا فقير يقاسمنا ثمرها وَ غَدَاً عَلَى حَزْدٍ على قصد منع الفقراء قَادِرِينَ مَقْدَرِينَ فى أنفسهم منع الفقراء، و لإحراز جميع الثمر لأنفسهم ٢٦ و ٢٧- فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ ... أى فلما شاهدوا جنتهم على تلك الصفة من الحرق و تلف الثمار قالوا: ضللنا الطريق، و ليس هذا بستاننا. بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ أى استدركوا بعد أن تيقنوا الحال يعنى أن هذه هى حديقتنا فعلا و لكننا حرمانا خيرها لأننا قررنا منع حقوق الفقراء فيها. ٢٨ و ٢٩- قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْ لَا تَسْتَبِجُونَ ... أى قال أفضلهم قولاً، و قيل هو أوسطهم سنًا: أَلَمْ أَحذَرِكُمْ سُوءَ قولكم و فعلكم، فكأنه كان قد نبههم إلى أن ينبغي لهم أن يتوكلوا على الله و أن يعتقدوا أنه لا قدرة لأحد على شيء إِلَّا بِمَشِيئَتِهِ عَزَّ وَ جَلَّ، و قيل: هَلَّا تذكرون نعم الله عليكم فتؤدوا شكرها بأن تخرجوا حق الفقراء من أموالكم و لا- تمنعوها. قَالُوا سُبْحَانَ رَبَّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ تنزيها له و تعظيما عن الظلم فلم يظلمنا بإحراق ثمرنا بل ظلمنا أنفسنا حين عزمنا على حرمان المساكين حقوقهم ٣٠ إلى ٣٣- فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَوْمُونَ ... أى أخذ يلوم بعضهم بعضا على ما كان من تفريط و قالوا فيما بينهم: يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ أى قد أسرفنا فى الظلم و تجاوزنا الحدود فيه عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِنْهَا أى لعل الله تعالى يخلف علينا ما هو خير من هذه الجنة التى تلفت بعد أن تبنا إليه إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ أى نرغب إليه و نسأله ذلك و نتوب إليه مما فعلناه كَذَلِكَ أى مثل هذا الذى جرى يكون العذاب للعاصين فى الدنيا وَ الْعَذَابُ الْآخِرُ أَكْبَرُ مِنْهُ و أعظم لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ لو عقلوا ذلك و آمنوا به. ٣٤- إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ أى أن للمؤمنين الذين يجنبون سخط الله و يطلبون الجنة يتلذذون بنعيمها و يتقبلون فى خيراتها و مسراتها. ٣٥ إلى ٣٨- أَفَتَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ... هذا استفهام إنكار، أى لا نجعل المسلمين لنا كالمشركين بنا فى الجزاء و الثواب فهم ليسوا سواء ما لَكُمْ ماذا دهاكم كَيْفَ تَحْكُمُونَ أى كيف تقضون بذلك من عندكم؟ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ أى هل لكم كتاب لا تتعدون أحكامه و شرائعه تعملون بما فيه و بما أنكم ليس لديكم ذلك فإن القرآن الكريم حجة عليكم إِنْ لَكُمْ فِيهِ أى فى كتابكم الذى هو غير موجود فعلا لَمَّا تَخَيَّرُونَ ما تختارونه منه. ٣٩- أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بِالْعَقَّةِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ... أى هل لكم موثيق مؤكدة عاهدناكم بها تدوم إلى يوم القيامة و لا يمكن نقضها معكم؟ إِنْ لَكُمْ لَمَّا تَحْكُمُونَ يعنى ما تقضون به لأنفسكم من الكرامة عند الله. ٤٠ و ٤١- سَلِّمُوا إِلَيْهِمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ، أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ ... أى اسألهم يا محمد: من يكفل لهم فى الآخرة أن يكون لهم ما للمسلمين من المغفرة و الرضوان؟ أو أنهم ذو و شفعاء يشفعون لهم يوم الدين؟ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ فليجيئوا بأولئك الشركاء الذين يعبدونهم مع الله، ليدفعوا عنهم عذابه إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ فى دعواهم. ٤٢- يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ ... أى فليجيئوا بشركائهم فى ذلك اليوم الذى تبدو فيه الأحوال قائمة على قدم و ساق بحيث لا يردّها شيء حين تشتد، و يطلب منهم على وجه التوبيخ أن يسجدوا لربهم فَلَا يَسْتَعْطِعُونَ فلا يقدرّون على أداء السجود الذى يلجأ إليه الخائف من الأمر العظيم ليكشفه الله سبحانه عنه كما يفعل المؤمنون فى دار الدنيا، فتراهم: إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن،

ص: ٥٧١ ٤٣- خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ أَى ذَلِيلُهُ مَنْكَسُهُ إِلَى الْأَرْضِ مِنَ الْفَزَعِ وَ النَّدَمِ تَزَهَّقُهُمْ ذَلَّةٌ تَغْشَاهُمْ مَهَانَةٌ وَقَدْ كَانُوا فِي الدُّنْيَا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ لِرَبِّهِمْ وَ هُمْ سَالِمُونَ نَاجُونَ مِنْ هَذِهِ الْآفَاتِ. ٤٤ وَ ٤٥- فَذَرْنِي وَ مَنْ يَكْذِبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ ... أَى يَا مُحَمَّدَ، خَلِّ بَيْنِي وَ بَيْنَ الْمَكْذِبِينَ بِهَذَا الْقُرْآنِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ سَنَأْخُذُهُمْ لِلْعَذَابِ اسْتِدْرَاجًا مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ فَيَصِلُونَ إِلَيْهِ دُونَ أَنْ يَشْعُرُوا وَ أَنَا أُمْلَى لَهُمْ أَطِيلُ أَعْمَارَهُمْ وَ لَا أَسْتَعْجِلُ عَذَابَهُمْ لِأَنَّهُمْ لَنْ يَهْرَبُوا مِنْ مَلِكِي إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ إِنْ تَدِيرِي قُوَى مُحْكَمٍ وَ عَذَابِي شَدِيدٌ. ٤٦ وَ ٤٧- أَمْ تَسْتَلْهُمُ أَجْرًا ... أَمْ تَسْأَلُ يَا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ الْكَفَّارَ أَجْرًا عَلَى أَدَاءِ الرِّسَالَةِ فَهُمْ مِنْ مَعْرَمٍ مُتَقَلِّوْنَ أَى فَإِنَّهُمْ يَسْتَقْتَلُونَ لَزُومَ ذَلِكَ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ أَى هَلْ عِنْدَهُمْ مَعْرِفَةٌ صَادِقَةٌ بِصَحَّةِ مَا يَزْعُمُونَهُ وَ لَا يَعْرِفُ ذَلِكَ غَيْرُهُمْ فَهُمْ يَكْتُبُونَ يَسْجَلُونَ ذَلِكَ الَّذِي يَزْعُمُونَهُ وَ يَتَوَارَثُونَهُ وَ يَنْبَغِي أَنْ يَبْرَزُوهُ. ٤٨ وَ ٥٠- فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَ لَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْخُوتِ ... إلخ أَى اصْبِرْ يَا مُحَمَّدُ عَلَى مَا تَلْقَاهُ فِي سَبِيلِ إِبْلَاحِ دَعْوَتِكَ إِلَى أَنْ يَحْكُمَ اللَّهُ تَعَالَى بِنَصْرِكَ عَلَيْهِمْ وَ لَا تَكُنْ كَيُونَسَ الَّذِي اسْتَعْجَلَ عِقَابَ قَوْمِهِ وَ خَرَجَ عَنْهُمْ قَبْلَ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لَهُ فَنَادَى رَبَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ إِنْ لَوْ لَا أَنْ تَدَارِكُهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّي لَوْ لَا أَنْ أَدْرَكَتْهُ رَحْمَةُ رَبِّي وَ شَمَلَهُ عَفْوُهُ لَنَبِذَ بِالْعَرَاءِ أَى طَرَحَ فِي الْفُضَاءِ وَ هُوَ مَيِّذُومٌ مَلُومٌ عَلَى مَا فَعَلَهُ فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ اخْتَارَهُ نَبِيًّا فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ الْمَرْضِيِّينَ عِنْدَهُ الْمُطِيعِينَ لَهُ. ٥١ وَ ٥٢- وَ إِنْ يَكَاذِبُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُرْلَقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ ... أَى يُوْشِكُ وَ يَقَارِبُ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَزْهَقُوا بِأَبْصَارِهِمْ فَيَقْتُلُوكَ بِالْإِصَابَةِ بِالْعَيْنِ. وَ قِيلَ: يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظْرَ عَدَاوَةٍ وَ بَغْضٍ بَحِيثٍ يَكَادُونَ بِصِرْعُونِكَ بِحَدِّ نَظَرِهِمْ. لَمَّا سَجِعُوا الذِّكْرَ حِينَ سَمَاعِ تِلَاوَتِهِ لِلْقُرْآنِ وَ يَقُولُونَ حِينَئِذٍ: إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ قَدْ غَلَبَ عَلَى عَقْلِهِ وَ مَا هُوَ أَى الْقُرْآنُ إِلَّا ذِكْرٌ شَرَفٍ لِلْعَالَمِينَ لِلنَّاسِ وَ سَائِرِ الْمَخْلُوقَاتِ.

سورة الحاقة مكية، عدد آياتها ٥٢ آية

١ إلى ٣- الْحَاقَّةُ ... الْحَاقَّةُ: مِنْ حَقٍّ، أَى وَجِبَ وَ هِيَ هُنَا تَعْنِي الْقِيَامَةَ لِأَنَّهَا يَوْمُ الْحَاقَّةِ وَ الْمُخَاصَمَةِ وَ إِعْطَاءِ كُلِّ امْرِئٍ مَا يَسْتَحِقُّ مَا الْحَاقَّةُ اسْتِفْهَامٌ مَعْنَاهُ التَّعْظِيمُ لِشَأْنِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ. ثُمَّ زَادَ فِي التَّخْوِيفِ مِنْهُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: وَ مَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ وَ أَنْتَ لَا تَعْلَمُهَا إِذَا لَمْ تَرَهَا بَعَيْنِكَ وَ لَمْ تَشَاهِدْ أَهْوَالَهَا. ٤ إلى ٨- كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَ عَادٌ بِالْقَارِعَةِ ... أَى كَذَّبَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِي كُنَّ سَبِّحَانَهُ عَنْهُ بِالْقَارِعَةِ لِأَنَّهَا صَفَةٌ لَهُ هَائِلَةٌ جَعَلَهَا بَعْدَ الْكِنَايَةِ بِالْحَاقَّةِ فَأَمَّا ثَمُودُ قَوْمٌ صَالِحٌ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ يَعْنِي أُبِيدُوا بِالصَّيْحَةِ الطَّاغِيَةِ الَّتِي تَجَاوَزَتْ الْمَقْدَارَ الَّذِي يَحْتَمِلُهُ الْإِنْسَانُ وَ قِيلَ: بِطُغْيَانِهِمْ وَ كُفْرِهِمْ وَ أَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ أَى دَمَرُوا بِالرِّيحِ الشَّدِيدَةِ الْبَرْدِ الَّتِي عَتَتْ فِي هُبُوبِهَا وَ بَرَدِهَا سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ أَى سَلَّطَهَا اللَّهُ عَلَيْهِمْ سَيْحٌ لَيَالٍ وَ ثَمَانِيَّةُ أَيَّامٍ وَ هِيَ الْأَيَّامُ الَّتِي تَدْعُوهَا الْعَرَبُ: أَيَّامُ الْعَجُوزِ سَمِيَتْ بِذَلِكَ قِيلَ لِأَنَّهَا تَأْتِي فِي عِزِّ الشِّتَاءِ وَ قِيلَ غَيْرَ ذَلِكَ حُسُومًا أَى مُتَابَعَةً لَيْسَ بَيْنَهَا فِتْرَةٌ فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى أَى مَصْرُوعِينَ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ وَ اللَّيَالِي كَانَتْهُمْ أَعْجَازٌ نَحْلٍ خَاوِيَةٍ أَى كَانَتْهُمْ أَصُولُ نَخْلٍ بَالِيَةٍ قَدْ نَخَرَهَا الْقَدَمُ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ أَى مِنْ نَفْسٍ بَاقِيَةٍ. إِرْشَادُ الْأُذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ٥٧٢ ٩ وَ ١٠- وَ جَاءَ فِرْعَوْنُ وَ مَنْ قَبْلَهُ ... أَى وَ جَاءَ بَعْدَهُمْ فِرْعَوْنُ وَ مَنْ سَبَقَهُ بِطُغْيَانِهِمْ وَ كُفْرِهِمْ وَ الْمُؤْتَفِكَاتُ يَعْنِي وَ تَبِعَهُمْ أَهْلُ الْقُرَى وَ الْمُؤْتَفِكَاتُ الَّتِي انْقَلَبَتْ بِأَهْلِهَا قُرَى قَوْمِ لُوطٍ بِالْخَاطِئَةِ أَى بِخَطِيئَتِهِمْ الَّتِي هِيَ الشَّرْكُ وَ سَائِرُ الْكِبَائِرِ فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ لَمْ يُطِيعُوا أَمْرَهُ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِالْعَذَابِ أَخَذَهُ رَابِيَةً أَى أَخَذَا زَائِدًا فِي الشَّدَّةِ تَفُوقَ عَذَابِ الْأُمَمِ مِنْ قَبْلِهِمْ ١١ وَ ١٢- إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ... أَى جَاوَزَ الْهَدْمَ الْمَأْلُوفَ حَتَّى أَغْرَقَ الْأَرْضَ وَ مِنْ بَقِيٍّ عَلَيْهَا وَ لَمْ يَلْجَأْ إِلَى سَفِينَةِ نُوحٍ (ع) حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ أَى حَمَلْنَا آبَاءَكُمْ فِي السَّفِينَةِ لِنَجْعَلَهَا أَى لِنَجْعَلَ تِلْكَ الْفَعْلَةَ لَكُمْ تَذَكُّرَةً عَبْرَةً تَعْتَبِرُونَ بِهَا وَ تَتَفَكَّرُونَ بِكَمَالِ قُدْرَةِ اللَّهِ وَ نِعْمَتِهِ وَ تَمَامِ حِكْمَتِهِ وَ تَعْيِهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ أَى وَ تَسْمَعُهَا وَ تَحْفَظُهَا الْأُذُنُ السَّامِعَةُ الْحَافِظَةُ الَّتِي تَنْفَعُهَا الذِّكْرُ. ١٣ وَ ١٥- فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ... أَى إِذَا نَفِخَتْ النَّفْخَةُ الْأُولَى الَّتِي يَصْعَقُ مِنْهَا الْخَلَائِقُ، وَ قِيلَ هِيَ النَّفْخَةُ الْأَخِيرَةُ الَّتِي يَبْعَثُونَ بِهَا وَ حُمِلَتِ الْأَرْضُ وَ الْجِبَالُ أَى رَفَعَتْ مِنْ أَمَاكِنِهَا فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً أَى كَسَرْتَا كَسْرَةً وَاحِدَةً حَتَّى يَسْتَوِيَ أَدِيمُهَا فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ أَى فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ تَقُومُ الْقِيَامَةُ. ١٦ إلى ١٨- وَ انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ... أَى انْفَرَجَتْ بَعْضُهَا عَنْ بَعْضٍ فَصَارَتْ ضَعِيفَةً مَفْكُكَةً الْبَنِيَّةَ بَعْدَ قُوَّتِهَا وَ الْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا أَى رَوَى الْمَلَائِكَةُ عَلَى أَطْرَافِهَا وَ نَوَاحِيهَا وَ يَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ

فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ أَى وَيَحْمِلُ الْعَرْشَ فَوْقَ الْخَلَائِقِ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثَمَانِيَةٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ أَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُعْرَضُونَ بَيْنَ يَدَى اللَّهِ أَيْهَا الْمَكْلُفُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ فَلَا يَغِيبُ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِكُمْ وَلَا أَحَدٌ مِنْكُمْ. ١٩ إِلَى ٢٤- فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ... من هنا بدأ سبحانه بوصف تقسيم حالة المكلفين فقال أما أصحاب اليمين فيقول كل واحد منهم لأهل المحشر: هاؤم اقرؤا كتابي أَى تعالوا اقرؤوا ما فى كتابى، يقول ذلك فرحا بما لاقاه من ثواب، و هو لا يستحى من عرض كتابه على غيره إذا يعلم أن فيه الطاعات إِنِّي ظَنَنْتُ أَى عَلِمْتُ وَ أَيقَنْتُ وَ أَنَا فى الدنْيَا أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيَّهٗ أَنَّى مُحَاسَبٌ بِالتَّأَكِيدِ فَعَمِلْتُ بِالطَّاعَاتِ لِأَصِلَ إِلَى هَذَا الثَّوَابِ فَهُوَ فى عَيْشِهِ رَاضِيَةٌ فى ذَلِكَ الْيَوْمِ، أَى فى حَيَاةِ هَنِيئَةٍ فى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ رَفِيعَةٍ الدَّرَجَاتِ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ أَى ثَمَارُهَا قَرِيبَةُ الْمَنَالِ كُلُّوا وَ اشْرَبُوا فى الْجَنَّةِ الَّتِي دَخَلْتُمُوهَا هَنِيئًا خَالِصًا مِنَ الْكَدْرِ بِمَا أَسْلَفْتُمْ أَى بِمَا قَدَّمْتُمْ فى الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ عَنِ الْأَيَّامِ الْمَاضِيَةِ فى الدنْيَا. ٢٥ إِلَى ٢٩- وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ ... بعد ذكر أهل الجنة ذكر سبحانه أهل النار فقال: و أما من أعطى صحيفه أعماله بشماله فيقول يا ليتني لم أوت كتابي يتمنى أنه لا يعطى كتابه لما فيه من السيئات والمعاصى التى تسود الوجه و لم أدّر ما حسابي أَى و يا ليتني لم أعرف أَى شىء هو حسابي يا ليتها كانت القاضية أَى يا ليت حالى كانت موته واحدة لا أعود مرة ثانية ما أغنى عني ماليه فإن مالى لم ينفعنى و لم يدفع عني عذاب الله هلك عني سلطاني أَى قد ذهب عني حجتى و قيل زال أمرى و نهى فى الدنيا و لا أمر اليوم لى و لا نهى. ٣٠ إِلَى ٣٧- خُذُوا فَعُلُوه، ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ... الخطاب موجّه لملائكة العذاب حيث يقال لهم: خذوا هذا العاصى و شدوا إحدى يديه و إحدى رجله إلى عنقه بجامعه ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ أَى أدخلوه النار ثُمَّ فى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ أَى اجعلوه ملفوفًا فى سِلْسِلَةٍ طُولُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ أَى أَنَّهُ كَانَ لَا يَصْدُقُ بَوْحْدَانِيَةِ اللَّهِ تَعَالَى فى دار التكليف و لَا يَحْضُرُ عَلَى طَعَامِ الْمَشْكِينِ أَى أَنَّهُ كَانَ يَمْنَعُ الزَّكَاةَ الْوَاجِبَةَ. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٥٧٣ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ أَى لَيْسَ لَهُ صَدِيقٌ يَنْفَعُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ لَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَشِيلٍ أَى و لَيْسَ لَهُ أَكْلٌ إِلَّا مِنْ صَدِيدِ أَهْلِ النَّارِ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِؤُنَ أَى لَا يَأْكُلُ الْغَسِيلِينَ الْمَذْكُورَ إِلَّا الْمَذْنُوبُونَ الْجَائِرُونَ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ. ٣٨ إِلَى ٤٣- فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصَرُونَ، وَ مَا لَا تُبْصَرُونَ ... حرف فلا هنا زائدة فمعناه: أقسم بما ترون من الأشياء و بما لا ترون إِنَّهُ أَى الْقُرْآنَ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ هُوَ مُحَمَّدٌ (ص) وَ مَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ أَى و لَيْسَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ تُؤْمِنُونَ بِهِ إِيْمَانًا قَلِيلًا وَ لَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ أَى لَيْسَ بِقَوْلِ سَاحِرٍ حَتَّى تَعْتَبِرُوهُ عَتَبَارًا قَلِيلًا تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَى مَنَزَلٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَ حَيَاةٌ نَقَلَ جِبْرَائِيلُ (ع) بلفظه. ٤٤ إِلَى ٤٧- وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ ... أَى و لو اخترع محمد (ص) كلامًا و ادعى من عندنا لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ أَى لَكُنَّا أَخَذْنَا بِيَدِهِ الْيَمَنِ إِذْ لَا لَهُ. و قيل لقطعنا يده اليمنى ثُمَّ لَفَطْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ أَى و لَكُنَّا نَقْطَعُ وَتِينَهُ وَ هُوَ وَرِيدُ الدَّمِ فى عُنُقِهِ وَ نَهْلِكُهُ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ أَى و مَا مِنْ أَحَدٍ مِنْكُمْ يَحْجِزُنَا وَ يَمْنَعُنَا عَنْهُ لَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا كَذْبًا. ٤٨ إِلَى آخر السورة المباركة- وَ إِنَّهُ لَتَذَكْرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ ... أَى أَنَّ الْقُرْآنَ عِظَةٌ وَ عِبْرَةٌ لِمَنْ يَتَجَنَّبُ سَخَطَ اللَّهِ وَ غَضَبَهُ وَ يَعْمَلُ بِطَاعَتِهِ وَ إِنَّا لَنَعْلَمُ نَعْرِفُ بِالتَّأَكِيدِ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ أَى أَنَّ مِنْكُمْ مَنْ لَا يَصْدَقُ بِالْقُرْآنِ وَ يَكْذِبُ قَوْلَ رَسُولِنَا وَ إِنَّهُ لَحَسِرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ فَهَذَا الْقُرْآنُ يَكُونُ حَسْرَةً عَلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذْ لَمْ يَعْمَلُوا بِمَا فِيهِ فى دار الدنيا وَ إِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ أَى أَنَّ الْقُرْآنَ يَقِينٌ لَا شَكَّ فِيهِ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ هَذَا الْخُطَابُ لِلنَّبِيِّ (ص) وَ يَرَادُ بِهِ سَائِرُ الْمَكْلُفِينَ لِيَنْزَهُهُ سُبْحَانَهُ عَمَّا لَا يَلِيقُ بِهِ مِنْ صِفَاتٍ غَيْرِهِ.

سورة المعارج مكية، عدد آياتها ٤٤ آية

١ إِلَى ٤- سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ... أَى دَعَا دَاعٍ عَلَى نَفْسِهِ بِوُقُوعِ الْعَذَابِ عَلَيْهِ آجَلًا وَ قِيلَ بَأْنِ هَذَا السَّائِلِ هُوَ الْحَارِثُ بْنُ كَلْدَةَ، وَ قِيلَ هُوَ النُّعْمَانُ بْنُ الْحَرِثِ الْفَهْرِيُّ قَالَهُ يَوْمَ نَصَبَ رَسُولَ اللَّهِ (ص) عَلِيًّا يَوْمَ الْغَدِيرِ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ أَى لَا يَدْفَعُهُ عَنْهُمْ شَيْءٌ مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ أَى أَنَّ ذَلِكَ الْعَذَابُ وَاقِعٌ مِنَ اللَّهِ مَالِكُ الْمَلَائِكَةِ الَّتِي تَعْرُجُ إِلَى السَّمَاءِ فَمَعَارِجُ السَّمَاءِ هِيَ طَرِيقُ صُعُودِ الْمَلَائِكَةِ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَ الرُّوحُ أَى تَصْعَدُ بِوَاسِطَةِ تِلْكَ الْمَعَارِجِ، وَ الرُّوحُ هُوَ جِبْرَائِيلُ (ع) إِلَيْهِ أَى إِلَى الْمَوْضُوعِ الْمَعْيَّنِ لِلْعُرُوجِ وَ الَّذِى لَا يَتَجَاوَزُونَهُ فى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ أَى أَنَّ مَكَانَ عُرُوجِهِمُ الَّذِى يَصْلُونَ إِلَيْهِ يَحْتَاجُ غَيْرَهُمْ إِلَى خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى

يصل إليه سيرا من الأرض. ٥ إلى ٧- فَاَصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ... أى اصبر يا محمد على تكذيبهم لقولك صبرا لا شكايه فيه ولا جزع. إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا أى يرى الكفار مجيء يوم القيامة أمرا بعيدا مستبعدا لأنهم لا يؤمنون بصحته وَنَرَاهُ قَرِيبًا وَنَحْنُ نَرَى حُلُولَهُ قَرِيبًا إِذْ كُلَّ آتٍ قَرِيبٌ ... ٨ إلى ١٠- يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ ... أى يوم تصير السماء كردى الزيت- العكر- وقيل كعكر القطران أو كالفضة أو النحاس المذايين وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ أى تصير كالصوف المصبوغ المنفوش وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا أى لا يطلب صاحب من صاحب أن يتحمل عنه من أوزاره لانشغال كل واحد بنفسه. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٥٧٤ ١١ إلى ١٤- يُبْصِرُونَهُمْ ... أى يشاهد الكفار بعضهم بعضا ليعرفوا سوء مآلهم ثم لا يتعارفون بعدها يَوَدُّ الْمُجْرِمُ يَتَمَنَّى العاصي لَوْ يَفْتَدِي لَوْ يَقْدَمُ فداء عن نفسه مِنْ عَذَابٍ يَوْمَئِذٍ يوم القيامة بِنَيْهِ وَهُمْ أَعَزَّ المخلوقات عليه وَصَاحِبَتِهِ أى زوجته وَأَخِيهِ الذى كان جناحه ومعينه وَفَصِيلَتِهِ عشيرته الَّتِي تُؤْوِيهِ تحميه فى المصائب والشدائد وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا أى يتمنى أن لو يفتدى بجميع المخلوقات ثُمَّ يُنْجِيهِ أى يخلصه هذا الفداء من العذاب. ١٥ و ١٨- كَلَّا ... هذا إنكار لزعم الكافر بأن أحدا ينجيه من العذاب. لا، إنه لا ينجيه إِنَّهَا لَطَى أى نار جهنم المحرقة نَزَاعِيَةً لِلنَّسْوَى أى تنزع الأطراف ولا تترك جلدا ولا لحما إلا وأحرقته تَدْعُوا إلى نفسها مَنْ أَذْبَرَ انصرف عن الإيمان. وَتَوَلَّى انحرف عن طاعة الله وَمَنْ جَمَعَ المال فَأَوْعَى أى خبأه فى الأوعية وأمسكه ولم يدفع منه صدقة ولا زكاة. ١٩ إلى ٢٣- إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ... أكد سبحانه أن الإنسان خلق جزوعا، والهلع شدة الحرص إذا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا، وإذا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا يعنى أنه لا يصبر إذا أصابه فقر ولا يحتسبه، وإذا أصابه الغنى منعه من البر والإحسان إِلَّا الْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ أى الذين يستمرون على صلواتهم ولا ينقطعون عن أدائها. ٢٤ إلى ٢٨- وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ... يعنى فى أموالهم الزكاة المفروضة لِلْسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ السائل هو الذى يكون محتاجا ويسأل، والمحروم الفقير الذى يتعفف ولا يسأل وَالَّذِينَ يُصَدَّقُونَ يَوْمَ الدِّينِ أى يوقنون بيوم القيامة والحساب وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ يعنى خائفون إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ أى أنه لا يؤمن نزوله فى الكفار والعصاة. وقيل إنه غير مأمون لأن المكلف لا يعرف هل أدى جميع واجبه فنجأ أم أنه قصير فى بعض الواجبات، فاستحق عذابا؟. ٢٩ إلى ٣١- وَالَّذِينَ هُمْ لِأُزْوَاجِهِمْ حَافِظُونَ ... أى الذين يحفظون فروجهم عن المناكح على كل وجه إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمُ الشرعيات أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ من الإماء فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ لا يلامون على نكاحهن فَمَنْ ابْتَغَى أى طلب وراء ذلك أى وراء ما أباحه الله له من المناكح فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ أى وراء ما أباحه الله له من المناكح فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ أى المتعددون لحدود الله. ٣٢ إلى ٣٥- وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ... أى الحافظون للعهود المؤدود للأمانات: كالودائع والوصايا وغيرها، قيل الأمانة هى الإيمان بربوبيته والعمل بما أوجه عليهم وترك ما حرمه وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ أى أنهم يؤدون الشهادات على وجهها الصحيح وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ مَرَّ تَفْسِيرِهِ أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ أى يكونون فى الجنان محترمين معظمين. ٣٦ إلى ٣٨- فَمَا لَ الَّذِينَ كَفَرُوا قِيلَ لَكَ مُهْطِ عَيْنَيْكَ ... ما بال هؤلاء الكافرين بوحدانية الله وبرسالته مَن يَلْتَفُونَ حولك ويسرعون إليك ويحطونك بأبصارهم ناظرين إليك بالعداوة وهم عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ أى عن يمينك وشمالك عَزِينَ أى متفرقين جماعة جماعة وفرقة فرقة أَيْطَمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ المحيطين بك أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ كما يدخل الموصوفون بالإيمان والتصديق والعمل الصالح؟. ٣٩- كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ: أى: لا، لا يكون الأمر كما زعموا، ولا يدخلون الجنة، فإننا خلقناهم من التطفة القذرة التى هى فى غاية الهوان عندنا، إذ لا يستحق الجنة أى مخلوق بهذا الأصل الدنىء، بل بالعمل الصالح. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٥٧٥ ٤٠ إلى آخر السورة- فَلَا- أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ ... قد مرّ تفسيره مثل هذا القسم فى سورة الحاقة، والمشارق هى مشارق الشمس، والمغارب هى مغاربها إِنَّا لَقَادِرُونَ عَلَى أَنْ نَبْدَلَ خَيْرًا مِنْهُمْ أى أننا قادرون على إهلاكهم وخلق من هم خير منهم وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوحِينَ وَلَنْ يَسْبِقَنَا عَلَى عَذَابِ الْكَفَّارِ وَالْمُكَذِّبِينَ أَحَدٌ، ولا يفوتنا إدراكهم فَذَرْنَاهُمْ دَعَاهُمْ يا محمد يَخُوضُوا فى غيهم وضلالهم وَيَلْعَبُوا يلعبوا بما هم فيه حَتَّى يَلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ أى يوم القيامة الذى وعدناهم به فلم يصدقوا به يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ أى من القبور سِرَاعًا مسرعين كَانَتْهُمْ إِلَى نُصْبٍ يُوفُضُونَ أى مثل من يسرعون إلى علم نصب

لهم يريدون أن يبلغوه و يلتفتوا من حوله، و قيل كأنهم يسرعون إلى أوثانهم التي كانوا يعكفون على عبادتها خاشعةً أبصارهم ذليلةً منكسةً إلى الأرض ترهقهم ذلةً يغشاهم خزي و حقاره ذلك اليوم الذي كانوا يؤعدون يعني فهذا هو اليوم الذي وعدناهم به في دار الدنيا و أيام التكليف فكذبوا به و جحدوه.

سورة نوح مكية، عدد آياتها ٢٨ آية

١- ٤- إنا أرسلنا نوحاً إلى قومه ... إنا بعثنا نوحاً إلى قومه رسولا منا أن أنذرك قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ أى حذرهم من العذاب إذا لم يؤمنوا بنا و برسالتك إليهم. قال يا قوم و أضافهم إلى نفسه تحريكا لعواطفهم مثل من يقول: أنتم عشيرتي يسرني ما يسركم، و يسوؤني ما يسوؤكم إني لكم نذير مبين أى رسول مخوف موضح وجوه الأدلة في الوعيد و أمور الدين و التوحيد أن اعبدوا الله و اتقوه أى لا تشركوا به و اجتنبوا غضبه و أطيعوا فيما أمركم به يغفر لكم من ذنوبكم أى إن آمنتكم يتجاوز عن معاصيكم و يؤخركم إلى أجل مسمى فقد اشترط عليهم الأجل في الوعد المسمى بعبادة الله، فإذا لم تقع منهم الطاعة و لا العبادة أخذوا بعذاب الاستئصال قبل أجلهم الأقصى إن أحيل الله إذا جاء لا يؤخر يعني أن أجله الأقصى الذي عينه لإهلاككم لا يؤخر عن وقته لو كنتم تعلمون لو كنتم تعرفون ذلك و تؤمنون به. ٥- ٧- قال رب إني دعوت قومي ليلا و نهاراً ... أى قال نوح: يا رب إني دعوت قومي إلى عبادتك و ترك الشرك، و إلى الاعتراف بنبوتي، ليلا- و نهاراً فلم يردهم دعائي إلّا فراراً أى فكانوا ينفرون من دعوتي و لا يقبلون قولي و إني كلما دعوتهم إلى الإخلاص و العبودية لك لتغفر لهم لتغفروا عن سيئاتهم جعلوا أصابعهم في آذانهم حتى لا يسمعوا كلامي و استغشوا ثيابهم غطوا بها وجوههم حتى لا يروني و أصبروا أقاموا على كفرهم و استكبروا استكباراً أى: أنفوا و تكبروا و ترفعوا عن قبول الحق. ٨- ١٢- ثم إني أعلنت لهم و أسررت لهم إسراراً ... أى أننى دعوتهم سرا و علانية فقلت استغفروا ربكم اطلبوا منه المغفرة عن معاصيكم و كفركم إنّه كان غفّاراً يتجاوز عمن استغفروا إذا تاب و أناب. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٥٧٦ يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً أى يجعل السماء كثيرة الإردار بالمطر عليكم. و يُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَ بَيْنَ أَيْ يَكْتُرْ لَكُمْ أَمْوَالَكُمْ و أولادكم و يجعل لكم جنّاتٍ بساينٍ مزرعة في الدنيا و يجعل لكم أنهاراً ترونها بها. ١٢- ١٤- ما لكم لا ترجون لله وقاراً ... قال نوح لقومه على سبيل التوبيخ: ما لكم أيها الكفار لا يخافون لله عظمتة فتوحده و طيعوه و قد خلقكم أطواراً أى أوجدكم متطورين نطفة إلى علقه فمضغه فعظام كساها لحما إلى أن كمل خلقكم. ١٥ و ١٦- أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقاً ... هذا خطاب منه سبحانه لسائر المكلفين يعني أنكم أفلا تنظرون إلى السماوات السبع التي خلقها الله تعالى واحدة فوق الأخرى كالقباب و جعل القمر فيهن نورا أى جعله نورا في السموات و الأرض. و قيل إن معنى فيهن هو معهن، أى جعل القمر منيرا معهن و جعل الشمس سراجاً أى مصباحاً ينير الأرض و يضيء لأهلها. ١٧- ١٨- وَاللَّهُ أَتَتْكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتاً ... يعني مبتدأ خلق آدم الذي خلق من الأرض، و الناس من ولده، و هو سبحانه ينشئ جميع الناس بالتغذى على ما تنبت الأرض ثم يعيدكم فيها يرجعكم إلى الأرض فتدفنون فيها أمواتاً و يُخْرِجُكُمْ مِنْهَا عِنْدَ الْبَعْثِ إِخْرَاجاً يَتَمُّ بِأَمْرِهِ سبحانه. ١٩- ٢٠- وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطاً ... أى جعلها سبحانه مبسوطة ليسهل عليكم السير و العمل فيها لتسلكوا منها سُبُلًا فجاجاً أى لتقطعوا طرقاً واسعة. ٢١- ٢٥- قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي ... إلهي إن قومي لم يطيعوني فيما أمرتهم به و لا فيما نهيتهم عنه و اتبعوا من لم يردّه ماله و ولده إلّا خساراً أى تابعوا أغنياءهم و غزهم ما أعطوا من مال و ولد، و سخروا مني و قالوا لو كان هذا رسولا لأعطاه الله مالا و ولدا و الخسار هو الهلاك و مكروا مكراً كُباراً أى احتالوا في الدين احتيالا- كبيرا و قالوا فيه قولا- عظيما و اجترأوا على الله بالشرك مرّة و بالتكذيب به مرّة و قالوا لا تذر آلهم أي لا تدعوا عبادة الأصنام التي اتخذتموها أربابا و لا- تذرّنّ ودّاً و لا سواعاً و لا يعوث و يعوق و نسرّاً و هي بعض معبوداتهم من الأحجار، و قد عبد بعضها العرب من بعدهم و قد أضلّوا كثيراً أى حاد عن الحق بسبيلهم كثير من الناس و لا تردّ الظالمين إلّا ضلالاً أى فلا تزدهم يا رب إلّا إهلاكاً ممّا خطيئاتهم أى من أجل ما اقترفوه من الذنوب و ارتكبوهم من السيئات أغرقوا بالطوفان في الدنيا فأدخلوا ناراً في الآخرة

فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَاراً أَى فَلَمْ يَجِدُوا أَحداً يَمْنَعُهُمْ سَخَطُ اللَّهِ تَعَالَى وَ يَدْفَعُ عَنْهُ عِقَابَهُ. ٢٦ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ- وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْبَارِضِ ... إِنْخَرْبْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ صَاحِبِ دَارٍ، وَ لَا تَدْعُ أَحداً إِلَّا أَهْلَكَهُ إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ إِذَا تَرَكَتَهُمْ دُونَ عِقَابٍ يُضْطَلُّوا عِبَادَكَ يَفْتَنُوهُمْ عَنْ دِينِهِمْ وَ لَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا أَى وَ يَكُونُ أَوْلَادُهُمْ مِثْلَهُمْ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَ لِوَالِدَيَّ وَ أَبُوهُ اسْمُهُ لِمَكَّةَ، وَ أُمُّهُ اسْمُهَا سَمْعَاءُ وَ هُمَا مُؤْمِنَانِ، وَ قِيلَ أَرَادَ بِدَعَائِهِ أَبُوهُ آدَمَ وَ حَوَّاءَ وَ لَمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا أَى دَخَلَ دَارِي، وَ قِيلَ مَسْجِدِي، وَ قِيلَ سَفِينَتِي مَصْدَقًا بِكَ يَا رَبِّ وَ بِدَعْوَتِي وَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ جَمِيعًا، وَ قِيلَ مِنْ أُمَّةٍ مُحَمَّدٌ (ص) وَ لَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا أَى دِمَارًا وَ هَلَاكًا. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٥٧٧

سورة الجن مكية، عدد آياتها ٢٨ آية

١- ٢- قُلْ أُوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ ... أَى قُلْ يَا مُحَمَّدٌ لِلنَّاسِ أُوْحِيَ إِلَيَّ رَبِّي أَنَّ جَمَاعَةً مِنَ الْجِنِّ أَصْغَتْ إِلَيَّ وَ أَنَا أَقْرَأُ الْقُرْآنَ. قِيلَ بَأَنَّهُمْ كَانُوا سَبْعَةً مِنْ جِنِّ نَصِيْبِينَ فَقَالُوا أَى قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا أَى دَاعِيًا لِلتَّعَجُّبِ لِإِعْجَازِهِ، وَ لَخُرُوجِ تَأْلِيفِهِ عَنِ الْمَعْتَادِ فَصَاحَةٍ وَ نِظْمًا وَ نِظَامًا وَ تَشْرِيعًا وَ أَحْكَامًا وَ احْتَوَاءً لِأَخْبَارِ الْأَوَّلِينَ وَ الْآخِرِينَ. يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ أَى يَدُلُّ عَلَى الْهُدَى ... فَمَا مَنَّا بِهِ صَدَقْنَا بِأَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَ لَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا فَسَنُوحِّدُهُ وَ نَخْلُصُ فِي عِبَادَتِنَا لَهُ. ٣- ٤- وَ أَنَّهُ تَعَالَى حَيُّ رَبَّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبِيَّةً وَ لَا وَلَدًا ... هَذَا الْكَلَامُ تَمَمَهُ لِكَلَامِ الْجِنِّ أَى: تَعَالَتْ عِظْمَةُ رَبِّنَا وَ صِفَاتُهُ وَ ذَاتُهُ الْمَقْدَسَةُ عَنِ الصَّاحِبَةِ، وَ الشَّرِيكِ وَ الْوَلَدِ. وَ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيْهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا أَى كَانَ يَقُولُ الْجَاهِلُ مَنَّا- يَقْصِدُونَ إِبْلِيسَ- قَوْلًا سَفِيْهِهَا فِيهِ خُرُوجٌ عَنِ حُدُودِ الْحَقِّ الَّذِي يَنْبَغِي أَلَّا يُقَالَ فِيهِ سُبْحَانَهُ. ٥- ٧- وَ أَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ تَقُولَ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ ... إِنْخَرْبْ هَذَا اعْتِرَافٌ مِنْهُمْ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَحْسِبُونَ مَا يُقَالُ عَنِ اللَّهِ صَدَقًا، وَ أَنَّهُ ذُو صَاحِبَةٍ وَ وَلَدٍ، وَ أَنَّهُمْ مَا كَانُوا يَتَصَوَّرُونَ أَنْ يَفْتَرِيَ أَحَدٌ مِنَ الْإِنْسِ وَ الْجِنِّ الْكَذِبَ عَلَى اللَّهِ فَيَنْسُبُونَ إِلَيْهِ مَا لَا يَلِيْقُ بِهِ وَ هَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُمْ كَانُوا مُقَلِّدِينَ حَتَّى سَمِعُوا الْقُرْآنَ فَتَبَتِ الْحُجَّةُ عَلَيْهِمْ. وَ أَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوْذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ أَى يَلْجَأُونَ إِلَيْهِمْ وَ يَعْتَصِمُونَ بِهِمْ مُسْتَجِيرِينَ مِنْ كُلِّ مَكْرُوهِ. فَزَادُواهُمْ رَهَقًا يَعْنِي فَزَادَ الْجِنُّ الْإِنْسَ، إِثْمًا وَ كَفْرًا وَ أَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَى زَعَمَ كُفَّارُ الْإِنْسِ كَمَا زَعَمْتَمْ أَنْ لَنْ يَنْبَغْتَ اللَّهُ أَحَدًا أَى لَنْ يَرْسُلَ رَسُولًا بَعْدَ مُوسَى وَ عِيسَى. ٨- ١٠- وَ أَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلْتَأَتْ ... أَى ابْتَغَيْنَا الْوَصُولَ إِلَى السَّمَاءِ لَنَسْتَرْقِ السَّمْعَ مِنْهَا فَوَجَدْنَاهَا مُلْتَأَتْ أَبْوَابُهَا حَرَسًا شَدِيدًا حَفِظَتْهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ أَقْوِيَاءَ عَلَى صَدْنَا وَ شَهْبًا جَمَعَ شَهَابٌ وَ هُوَ النُّورُ الَّذِي يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ فِي وَ مِيزُ حَشْوِهِ النَّارُ الْمُحْرِقَةُ وَ أَنَّا كُنَّا نَقْعِدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلْسَّمْعِ أَى كَانَ يَتَهَيَّأُ لَنَا فِي السَّابِقِ أَنْ نَتَّخِذَ مَقَاعِدَ لَنَا قَرَبَ أَبْوَابِهَا فَنَسْتَمِعُ إِلَى مَا يَجْرِي فِيهَا بَيْنَ الْمَلَائِكَةِ فَمَنْ يَسْتَمِعُ الْآنَ فَمَنْ يَحَاوِلُ مَنَّا الْاسْتِمَاعَ بَعْدَ ظَهْوَرِ مُحَمَّدٍ (ص) يَجِدْ لَهُ شَهَابًا رَصَدًا يَرْمِي بِهِ وَ يَرْصُدُ لَهُ. وَ أَنَّا لَا نَذَرِي أَشَرًّا أَرِيدَ بَمَنْ فِي الْأَرْضِ أَى لَا نَعْلَمُ حَقِيقَةَ مَا أَرِيدَ بَعْدَ الرَّمْيِ بِهَذِهِ الشَّهْبِ، هَلْ يَدُلُّ عَلَى انْقِطَاعِ التَّكْلِيفِ وَ نِهَايَةِ الْحَيَاةِ- أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا أَمْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَرَادَ بِالْجِنِّ وَ الْإِنْسِ صِلَاحًا وَ هِدَايَةً إِلَى نَبِيِّ الزَّمَانِ. ١١- ١٥- وَ أَنَّا مِّنَ الصَّالِحِينَ وَ مَنَّا دُونَ ذَلِكَ ... هَذَا مِنْ تَمَامِ مَا قَالَهُ الْجِنُّ، أَى أَنَّ مَنَّا مِنْ يَوْمِنَ وَ يَعْمَلُ الصَّالِحَاتِ وَ مَنَّا مِنْ يَكُونُ دُونَهُمْ رَتَبَةً. كُنَّا طَرَائِقَ قَدَدًا أَى كُنَّا فَرَقًا مُخْتَلِفَةً مُتَبَايِنَةً فِي رَسُوخِ عَقِيدَتِهَا وَ صِلَاحِ عَمَلِهَا. وَ أَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْبَارِضِ أَى عَلِمْنَا يَقِينًا أَنَّنَا لَنْ نَفُوتَ قُدْرَةَ اللَّهِ إِذَا شَاءَ بِنَا أَمْرًا وَ لَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا فَإِنَّهُ يَدْرِكُنَا أَيْنَمَا كُنَّا. وَ أَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ أَى حِينَ اسْتَمَعْنَا إِلَى الْقُرْآنِ صَدَقْنَا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ يَصْدَقْ بِهِ وَ يُوْحِدُهُ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا لَا يَخْشَى نَقْصَانًا فِي الثَّوَابِ وَ لَا- رَهَقًا أَى لَا- يَخَافُ ظُلْمًا أَوْ مَكْرُوهًا. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٥٧٨ وَ أَنَّا مِّنَ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ أَدْعَانَا لِمَا أَمَرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ وَ مَنَّا الْقَاسِطُونَ أَى الْحَائِدُونَ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ فَمَنْ أَسْلَمَ اسْتَسْلَمَ لِأَمْرِ اللَّهِ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا أَى فَأُولَئِكَ التَّمَسُّوا الْهُدَى وَ طَلَبُوا الثَّوَابَ أَمَّا الْقَاسِطُونَ الْعَادِلُونَ عَنِ الْحَقِّ كَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا سَيَكُونُونَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ الَّتِي تَحْرَقُ النَّارُ الْحَطَبَ. ١٦- ١٧- وَ أَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ ... إِنْخَرْبْ هَذَا الْكَلَامُ ابْتِدَاءَ حُكْمٍ مِنْهُ سُبْحَانَهُ مُؤَدَاهُ أَنَّ الْمُسْتَقِيمَ عَلَى الْهُدَى مِنَ الْإِنْسِ وَ الْجِنِّ يَنْزِلُ عَلَيْهِ بَرَكَاتٌ مِنَ السَّمَاءِ، وَ قِيلَ قَصْدُ سُبْحَانِهِ مُشْرَكِي مَكَّةَ الَّذِينَ رَفَعَ عَنْهُمْ الْمَطَرَ سَبْعَ سِنِينَ. وَ قَدْ عَنَى بِالْمَاءِ النَّازِلُ مِنَ

السماء الخير كله لأن الرزق إنما يكون بالمطر. لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ أَى لِنَخْتَبِرَهُمْ هَلْ يَشْكُرُونَ أَمْ يَزِدَادُونَ كُفْرًا. أَوْ لِنَخْتَبِرَهُمْ كَيْفَ يَكُونُ شُكْرُهُمْ. وَمَنْ يُعْرِضْ يَنْصَرِفْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ عَنِ التَّفْكِيرِ فِيمَا يُوْصِلُهُ إِلَى مَعْرِفَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَشُكْرِهِ وَطَاعَتِهِ يَشِئْ لَكُمْ عَذَابًا صَدًّا أَى يَدْخُلُهُ فِي عَذَابٍ شَدِيدٍ يَتَصَعَّدُ فِي الْمَشَقَّةِ وَالْعَظَمِ. ١٨- وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ... تَقْدِيرُ الْكَلَامِ: وَلِأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ، فَلَا تَدْعُوا فِيهَا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا، وَاجْعَلُوهَا بِيُوتًا خَالِصَةً لَذِكْرِ اللَّهِ. وَقِيلَ: الْمَسَاجِدُ هُنَا هِيَ مَوَاضِعُ السُّجُودِ، وَهِيَ الْجِبْهَةُ وَالْكَفَّانُ، وَ أَصَابِعُ الرِّجْلَيْنِ وَ عَيْنَا الرِّكْبَتَيْنِ، فَهِيَ لِلَّهِ تَعَالَى وَقَدْ خَلَقَهَا فَلَا يَجُوزُ أَنْ يَسْجُدَ عَلَيْهَا لِغَيْرِهِ. ١٩- ٢٠- وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَزِيدُ اللَّهِ ... أَى لَمَّا أَخَذَ مُحَمَّدٌ (ص) يَدْعُوهُ يَدْعُو رَبَّهُ وَيَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيَدْعُو إِلَى تَوْحِيدِ رَبِّهِ تَالِيَا الْقُرْآنَ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لُبْدًا أَى تَجَمُّعُ الْجَنِّ مِنْ حَوْلِهِ وَ رَكِبَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا مِنْ شِدَّةِ الزَّحَامِ رَغْبَةً بِاسْتِمَاعِ تِلَاوَتِهِ وَ دَعْوَتِهِ. وَقِيلَ هَذَا الْقَوْلُ قَالَتْهُ الْجَنُّ حِينَ رَجَعُوا إِلَى قَوْمِهِمْ وَ وَصَفُوا لَهُمْ اَزْدِحَامَ أَصْحَابِ النَّبِيِّ (ص) مِنْ حَوْلِهِ حَرَصًا عَلَى أَنْ لَا يَفُوتَهُمْ شَيْءٌ. قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا أَى قُلْ لِمُشْرِكِي قَوْمِي يَا مُحَمَّدُ ذَلِكَ. وَ ذَلِكَ أَنَّهُمْ أَنْكَرُوا دَعْوَتَهُ وَ رَفَضُوهَا. ٢١- ٢٢- قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ... أَى قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِلنَّاسِ: إِنِّي لَا أَدْفَعُ عَنْكُمْ ضَرًّا وَلَا- أَوْصِلْ لَكُمْ خَيْرًا مِنْ عِنْدِ نَفْسِي، وَلَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ الْقَادِرُ عَلَى ذَلِكَ قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِلْمُكَلَّفِينَ: إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ أَى لَا يَمْنَعُنِي أَحَدٌ مِمَّا قَدَّرَهُ اللَّهُ لِي وَلَنْ أَحِدٌ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحِدًا أَى وَلَا أَحَدٌ غَيْرُ اللَّهِ مُلْتَجَأُ التَّجَاؤِ إِلَيْهِ طَلِبًا لِلسَّلَامَةِ إِلَّا بِلَاغًا أَى تَبْلِيغًا مِنَ اللَّهِ مِنْ وَحْيِهِ وَ رِسَالَتِهِ مَا جِئْتُ بِهِ عَنْهُ جَلٌّ وَ عِزٌّ. وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَ رِسُولَهُ يَخَالَفُهُمَا وَ يَبْقَى عَلَى الْكُفْرِ وَ اقْتِرَافِ الذُّنُوبِ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا جِزَاءً عَلَى ذَلِكَ حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ أَى عَانِيُوا مَا وَعَدْنَاهُمْ بِهِ مِنْ عِقَابِ الدُّنْيَا وَ هُوَ عَذَابُ الْاِسْتِنْصَالِ فَسَيَعْلَمُونَ يَوْمَئِذٍ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَ أَقْلُ عَدَدًا مِنْ كُلِّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُشْرِكِينَ. ٢٥- إِلَى آخِرِ السُّورَةِ- قُلْ إِنْ أَدْرَى ... أَى لَسْتُ أَعْرِفُ أَقْرَبُ مَا تُوعَدُونَ مِنَ الْعَذَابِ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمِدًا أَى وَقْتًا وَحْدًا يَنْتَهِي إِلَيْهِ. عَالِمُ الْغَيْبِ يَعْرِفُ مَتَى يَوْمُ الْقِيَامَةِ الْغَائِبِ عِلْمُهُ عَنِ النَّاسِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا أَى لَا يُطْلِعُ عَلَيْهِ وَاحِدًا مِنْ عِبَادِهِ. إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ أَى الْأَنْبِيَاءِ (ص) فَإِنْ نُبِّئْتَهُمْ تَبَيَّنَ أَنَّ يَخْبِرُوا النَّاسَ بِبَعْضِ الْمَغْثِيَّاتِ عِنْدَ الْمَعْجِزَةِ الدَّالَّةِ عَلَى صِدْقِهِمْ. فَإِنَّهُ يَشِئْ لَكُمْ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مَنْ خَلْفَهُ رَصِيدًا أَى يَجْعَلُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى مَعْرِفَةِ مَا كَانَ قَبْلَهُ وَ مَا يَكُونُ بَعْدَهُ لِيُعْلَمَ أَى لِيَعْرِفَ الرَّسُولُ أَنَّ قَدْ أَبْلَغُوا أَى الْمَلَائِكَةُ. وَ قِيلَ: لِيَعْلَمَ مُحَمَّدٌ (ص) أَنَّ الرُّسُلَ الَّذِينَ سَبَقُوهُ قَدْ أَبْلَغُوا- جَمِيعَهُمْ- رِسَالَتِ رَبِّهِمْ كَمَا أَبْلَغَ هُوَ رِسَالَتَهُ وَ أَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ يَعْنِي: وَ عِلْمُ اللَّهِ تَعَالَى بِمَا جَرَى بَيْنَ رُسُلِهِ وَ خَلْقِهِ وَ أَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا أَى عَرَفَ جَمِيعَ مَا خَلَقَهُ وَ لَمْ يَفُتْ عِلْمُهُ شَيْءٌ حَتَّى مِثْقَالَ الذَّرَّةِ. إِرْشَادُ الْأُذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ٥٧٩

سورة المزمل مكية، عدد آياتها ٢٠ آية

١- ٤- يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ، قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ... الْمُزَّمِّلُ هُوَ الْمُتَزَمِّلُ بِشِبَاهِ أَى الْمُلْتَفِّ بِهَا، الْخُطَابُ لِلنَّبِيِّ (ص)، يَعْنِي يَا أَيُّهَا الْمُتَزَمِّلُ بِسُرْبَالِ النُّبُوَّةِ الْحَامِلِ لِأَثْقَالِ الرِّسَالَةِ، قُمْ اللَّيْلَ لِلصَّلَاةِ وَ لَا تَنْمِ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا. نَضِيفُهُ أَى نَصَفَ اللَّيْلِ أَوْ انْقُصَ مِنْهُ قَلِيلًا مِنَ النِّصْفِ الَّذِي تَقُومُهُ لِلصَّلَاةِ أَوْ زِدَ عَلَيْهِ أَى زِدَ عَلَى النِّصْفِ وَ رَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا أَى اقْرَأْهُ مَرَّتَلًا بِفَصَاحَةٍ وَ تَجْوِيدٍ مَتَمَهَلًا بِحَيْثُ تَنْطِقُ نَظَقًا صَحِيحًا بِجَمِيعِ الْحُرُوفِ وَ تَفْعَلْ ذَلِكَ مَتَرَسِّلاً، إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا أَى سَنَنْزِلُ عَلَيْكَ مِنَ الْوَحْيِ مَا يَثْقُلُ عَلَيْكَ لِمَا فِيهِ مِنْ تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ وَ مَا يَثْقُلُ عَلَى الْأُمَّةِ لِمَا فِيهِ مِنَ الْأَمْرِ وَ النَّهْيِ وَ الْحُدُودِ. ٦- ١٠- إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا ... أَى إِنْ سَاعَاتِ اللَّيْلِ الْمُتَوَالِيَةِ لِأَنَّهَا تَنْشَأُ سَاعَةً بَعْدَ سَاعَةٍ، هِيَ أَكْثَرُ ثَقَلًا وَ مَشَقَّةً عَلَى قَائِمِ اللَّيْلِ لِلصَّلَاةِ لِأَنَّ اللَّيْلَ وَقْتُ الرَّاحَةِ وَ السَّكُونِ. وَ أَقْوَمُ قِيلًا أَى أَكْثَرُ اسْتِقَامَةً لِلْقَوْلِ لَا نَقْطَاعَ الْقَلْبِ إِلَى الْعِبَادَةِ وَ انْصِرَافَ الْفِكْرِ إِلَى التَّدَبُّرِ. إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا أَى أَنَّ لَكَ يَا مُحَمَّدُ فِي النَّهَارِ مَنْصَرَفًا إِلَى حَوَائِجِكَ وَ مَشَاغِلِكَ الْكَثِيرَةِ وَ اذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَ تَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا أَى اذْكُرْ أَسْمَاءَ رَبِّكَ الَّتِي تَعْبُدُ عِبَادَهُ بِالْدُّعَاءِ بِهَا وَ السُّؤَالَ وَ الْابْتِهَالَ. وَ أَخْلَصْ لَهُ إِخْلَاصًا فِي دُعَائِكَ وَ عِبَادَتِكَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَ الْمَغْرِبِ أَى رَبِّ الْعَالَمِ جَمِيعِهِ لِأَنَّهُ يَقَعُ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَ الْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ أَى لَا- تَحَقِّقْ الْعِبَادَةَ لِسِوَاهُ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا اجْعَلْهُ حَافِظًا لِأَمْرِكَ. وَ فَوِّضْ أَمْرَكَ إِلَيْهِ وَ اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ أَى تَحْمِلْ أَدَى مَا

يقوله الكفار من تكذيبك وأهجرهم هجرًا جمليًا أى اتركهم ولكن لا تتخل عن دعوتهم إلى الحق. ١١-١٤- وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولَى النَّعْمَةِ ... دعنى يا محمد مع هؤلاء المكذبين لك فى الدعوة إلى الله و الإخلاص فى العبادة له من المنتعمين براء الدنيا و مهلهم قليلًا أى أعطهم مهلة قليلة لينزل بهم غضبنا. و لم يكن إلّا وقت يسير حتى كانت وقعة بدر التى أزهقت صناديدهم إِنْ لَدَيْنَا أَنْكَالٌ أَوْ عِقَابٌ يُوقِدُ أَوَّارًا عَظِيمًا وَ طَعَامٌ ذَا غُصَّةٍ أَوْ ذَا شُوكٍ يَعْتَرِضُ فِي الْحَلْقِ فَلَا يَدْخُلُ وَلَا يَخْرُجُ وَ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَ عِقَابًا مُوجِعًا يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ أَوْ تَضْطَرُّ بِشَدَّةِ الْجِبَالِ أَيْضًا تَضْطَرُّ وَ كَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيرًا مَهِيلًا أَوْ تَصِيرُ رَمَلًا سَائِلًا متناثرًا. ١٥-١٩- إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ ... يعنى إِنَّا بَعَثْنَا إِلَيْكُمْ مُحَمَّدًا (ص) رسولًا من عندنا يشهد عليكم فى الآخرة بما كان منكم فى الدنيا كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا هُوَ مُوسَى (ع) فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ لَمْ يَقْبَلْ دَعْوَتَهُ فَأَخَذْنَاهُ بِالْعَذَابِ أَخَذًا وَيْلًا شَدِيدًا مَدْمَرًا لَهُ وَ لَجُنُودِهِ مَعْ كَثَرَتِهِمْ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا؟ أى كيف تتجنبون إذا كفرتم برسولنا محمد (ص) يوما تشيب فيه الأطفال من شدة الأهوال؟ السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ أى تشقق فى ذلك اليوم كَان وَعْدُهُ مَفْعُولًا أى حاصلًا لا خلف فيه إِنْ هَذِهِ تَذَكُّرَةٌ أَوْ هَذِهِ الصِّفَةُ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا مِنَ الْهَوْلِ هِيَ عِظَةٌ لِمَنْ أَهْمَّتْهُ نَفْسُهُ فَمَنْ شَاءَ أَرَادَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا سَلَكَ طَرِيقًا إِلَى نَيْلِ الثَّوَابِ مِنْ رَبِّهِ. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٥٨٠ ٢٠- إِنْ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ ... إِنْ رَبُّكَ يَا مُحَمَّدُ عَلَى عِلْمِ بَقِيَامِكَ لِلصَّلَاةِ إِلَى مَا يَقْرُبُ أَوْ يَقِلُّ عَنْ ثُلثِي اللَّيْلِ وَ نِصْفَهُ وَ ثُلُثَهُ وَ أَقَلَّ مِنْ نِصْفِهِ وَ ثُلُثِهِ. وَ طَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ أَوْ تَقُومُ جَمَاعَةٌ مِنَ الَّذِينَ هُمْ مَعَكَ عَلَى الْإِيمَانِ لِلصَّلَاةِ فِي اللَّيْلِ. وَ اللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ أَوْ هُوَ يَعْلَمُ الْوَقْتَ الَّذِي تَقُومُونَهُ فِيهِمَا عِلْمٌ أَنْ لَنْ تُخْصَوْهُ أَوْ عَرَفَ أَنْكُمْ لَا تَتِمَّكُنُونَ مِنْ حَصْرِ الْوَقْتِ الْمُسْتَحَبِّ لِلْقِيَامِ بِدَقَّةٍ فَتَابَ عَلَيْكُمْ بِأَنْ جَعَلَ ذَلِكَ تَطَوُّعًا وَ لَمْ يَجْعَلْهُ فَرَضًا فَافْقَرُوا مَا تَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ فِي صَلَاةِ اللَّيْلِ وَ قِيلَ: فَصَلُّوا مَا تَسَّرَ مِنَ الصَّلَاةِ عِلْمٌ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى يَقْتَضِي التَّخْفِيفَ عَنْهُمْ وَ آخَرُونَ مِنْكُمْ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَسَافِرُونَ يَتَّبِعُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ تِجَارَةً وَ سَعْيًا لِلْكَسْبِ. وَ آخَرُونَ مِنْكُمْ أَيْضًا يَقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجَاهِدُونَ الْكُفَّارَ فَافْقَرُوا مَا تَسَّرَ مِنْهُ أَوْ فَاقَرُوا مَا قَدَرْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْقُرْآنِ. وَ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ بِشُرُوطِهَا وَ حُدُودِهَا الْوَاجِبَةَ وَ آتُوا الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ وَ أَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا أَنْفَقُوا فِي سَبِيلِ مَرْضَاتِهِ عَلَى الْفُقَرَاءِ وَ الْمَسَاكِينِ وَ مَا تَقَدَّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ أَوْ طَاعَةٍ تَجِدُوهُ تَجِدُوا ثَوَابَهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ مِنَ الشَّحِّ وَ أَعْظَمُ أَجْرًا أَوْ أَكْثَرُ ثَوَابًا وَ اسْتَغْفِرُوا اللَّهَ اطْلُبُوا مَغْفِرَتَهُ إِنْ اللَّهَ غُفُورٌ رَحِيمٌ مَرَّعًا.

سورة المدثر مكية، عدد آياتها ٥٦ آية

١-٧- يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ، قُمْ فَأَنْذِرْ ... المدثر أى المتدثر هو المتغطى بالثياب عند النوم خاطب سبحانه نبيه محمدًا (ص) أَنْ يَا أَيُّهَا الْمَلْتَفُ بثوبه عند النوم قُمْ فَأَنْذِرِ النَّاسَ وَ أَدْعُهُمْ إِلَى التَّوْحِيدِ، وَ خَوْفُهُمْ عَاقِبَةُ الْكُفْرِ وَ رَبُّكَ فَكَبِّرْ أَوْ فَعْظُمْ رَبُّكَ وَ نَزَّهْهُ عَمَّا لَا يَلِيقُ وَ قِيلَ: كَبَّرَهُ فِي الصَّلَاةِ بِأَنْ تَقُولَ: اللَّهُ أَكْبَرُ وَ ثِيَابَكَ فَطَهِّرْ أَوْ فَطَهِّرْهَا مِنَ النِّجَاسَاتِ لِلصَّلَاةِ. وَ الرَّجَزَ فَاهْجُرْ أَوْ اتْرُكِ الْأَصْنَامَ وَ الْأَوْثَانَ وَ اهْجُرْهَا وَ اجْتَنِبْهَا وَ لَا- تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ يعنى: لَا تَعْطِ أَحَدًا عَطِيَّةً لِيُعْطِيكَ أَكْثَرَ مِنْهَا. وَ لِرَبِّكَ فَاصْبِرْ أَوْ لَوْجَهُ رَبُّكَ فَاصْبِرْ عَلَى تَحْمِلِ أَذَى الْمَشْرُكِينَ. ٨-١٠- فَإِذَا نَقَرُ فِي النَّاقُورِ، فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ... أى إِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ وَ هُوَ كَهَيْئَةِ الْبُوقِ، وَ الْمَرَادُ النِّفْخَةُ الْأُولَى وَ هِيَ الَّتِي يَمُوتُ فِيهَا الْخَلْقُ، وَ قِيلَ: الثَّانِيَةُ الَّتِي يَبْعَثُونَ عَنْهَا. فَذَلِكَ الْيَوْمَ يَكُونُ صَعْبًا شَدِيدًا عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ أَوْ غَيْرِ هَيْئَةٍ لِمَا يَرُونَ مِنْ سُوءِ الْعَاقِبَةِ. ١١-١٧- ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ... نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ فِي الْوَلِيدِ بْنِ الْمَغِيرَةِ الْمَخْزُومِي الَّذِي كَانَ مُعَانِدًا لِلرَّسَالَةِ يَكِيدُ لِلنَّبِيِّ (ص) وَ يَقِفُ فِي سَبِيلِ الدَّعْوَةِ، الَّذِي أَشَاعَ عَنِ النَّبِيِّ (ص) أَنَّهُ سَاحِرٌ وَ الْمَعْنَى: دَعْنِي وَ إِيَاهُ فَإِنِّي كَافٍ لَهُ فِي عِقَابِهِ. وَ قِيلَ مَعْنَاهُ: دَعْنِي وَ مَنْ خَلَقْتَهُ مُتَوَحِّدًا لَا شَرِيكَ لِي فِي خَلْقِهِ. أَوْ مَنْ خَلَقْتَهُ وَحِيدًا فِي بَطْنِ أُمِّهِ لَا مَالَ لَهُ وَ لَا وَلَدَ. وَ جَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْلُوءًا أَوْ مَالًا كَثِيرًا وَ بَيْنَ شُهُودًا حَاضِرِينَ قَدْ كَانُوا عَشْرَةَ فِيمَا ذَكَرَ وَ كَانُوا دَائِمِي الْحُضُورِ بَيْنَ يَدَيْهِ وَ مَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا أَوْ وَسَّعْتُ عَلَيْهِ فِي الْعَيْشِ حَتَّى صَارَ مَكْفَى الْمَوْنَةِ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ أَوْ يَطْلُبُ الزِّيَادَةَ دُونَ أَنْ يَشْكُرَنِي عَلَى نِعْمِي عَلَيْهِ. كَلَّا وَ هَذَا زَجْرٌ لَهُ، أَوْ: لَا- لَنْ يَكُونَ ذَلِكَ إِنَّهُ كَانَ لَا يَأْتِنَا غَيْدًا أَوْ كَانَ مُعَانِدًا لِحُجَّتِنَا يَنْكُرُهَا مَعَ مَعْرِفَتِهِ بِصَدَقِهَا سَأَرْهُقَهُ صَيْعُودًا أَوْ

سأحمله مشقة عذاب لا راحة فيه. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٥٨١ - ١٨ - ٣١- إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ، فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ... أى أنه تأمل و تفكر فيما يقوله فى نعت محمد (ص) و فيما يحتال به للباطل فلعن و عذب على تقديره ذلك فى آياتنا ثُمَّ نَظَرَ قَلْبَ الْبَصْرِ فى طلب ما يرد به القرآن ثُمَّ عَبَسَ قَطْبَ وَبَسَرَ كَلَحَ وَجْهَهُ و نظر بكراهة ثُمَّ أَذْبَرَ عَنِ الْإِيمَانِ. وَاسْتَكْبَرَ تعجرف حين دعى إليه. فَقَالَ إِنَّ هَذَا مَا هَذَا الْقُرْآنُ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ أى أنه سحر يروى عن السحرة. و قيل: يؤثر من الإيثار، أى يستحسن لحلاوته إِنَّ هَذَا مَا هَذَا الْقُرْآنُ إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ قول الإنس و ليس من عند الله تعالى سَأُصِلِيهِ سَقَرٌ أى سأحرقه فى نار جهنم و ألزمه بها و ما أدراك ما سَقَرٌ أى ما معرفتك أيها السامع بسقر فى هولها و شدة عذابها و ضيقها لا تُبْقَى لسكانها لحما إِلَّا أَكَلْتَهُ و لا تَذَرُ لا تدعهم إذا أعيدوا خلقا جديدا بل تشوهمهم و تحرقهم حتى تذيقهم ألوان العذاب لَوَاحُةً لِلْبَشَرِ أى مغيرة لجلودهم تجعلها محروقة سوداء عَلَيْهَا نَشِيعَةٌ عَشَرَ ملكا من ملائكة العذاب و ما جعلنا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً أى ما جعلنا الموكلين بالنار إلا ملائكة و جعلنا شهوتهم فى التعذيب لأهل النار و ما جعلنا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا أى لم نجعلهم بهذا العدد إلا محنة للكافرين الذين أنكروا الوحداية، و ليفكروا فى ذلك مليا فإنه سبحانه لا- يفعل إلّا ما فيه الحكمة فكيف جعل هؤلاء تسعة عشر فى حين أنه خلق ملكا واحدا يقبض أرواح العالمين جميعا لِيَسْتَفْتِحَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ليصدق اليهود و النصارى أن رسولنا محمد صادق فى كل ما أخبر من كتبهم و يزداد الَّذِينَ آمَنُوا إيمانا أى ليزدادوا يقينا بهذا العدد و بصدق جميع ما جاء به رسولنا الكريم إذا أخبرهم أهل الكتاب أنه مطابق لما فى كتابهم و لا يزداد و لا يشك الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَ الْمُؤْمِنُونَ بهذا العدد من خزنة جهنم و لِيَقُولَ الَّذِينَ فى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أى زيغ و نفاق و ليقول معهم الْكَافِرُونَ: ما ذا أرادَ اللَّهُ بهذا مثلا؟ أى ماذا أرادَ الله بهذا الوصف للعدد و ليفكروا فيصلوا إلى التدبر و الإذعان و الإيمان. و اللام فى (ليقول) هى للعاقبة، أى ليكون عاقبة أمرهم أن يقولوا ذلك كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ أى كما جعلنا خزنة جهنم ملائكة عددهم محنة و اختبارا، فكذلك نكلف الخلق ليظهر الضلال من بعضهم، و الهدى من بعضهم الآخر. و ما يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ أى لا يعرف كثرة عددهم غيره. و ما هِىَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ أى موعظة و تذكرة للعالم حتى يتفكروا فيجتنبوا ما يستوجبون به ذلك.

٣٢- ٣٧- كَلَّا وَالْقَمَرِ، وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ... أى: لا- ليس الأمر كما يتوهم الكفار من التغلب على خزنة النار، ثم أقسم سبحانه بالقمر و بالليل إذا ولّى و ذهب و أقسم أيضا ب الصُّبْحِ نور الفجر إذا أَشْفَرَ أَضَاءَ و أثارَ إِنَّهَا لِيَأْخُذِ الْكُفْرَ أى أن سقر التى تحدت عنها الآيات السابقة هى إحدى العظام. و هذا جواب القسم نَذِيرًا لِلْبَشَرِ أى مخوفا و منذرا و محذرا مما ينبغى الحذر منه. لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ أى أن يتقدم فى طاعة الله أو يتأخر عنها بارتكاب المعاصى. ٣٨- ٤٧- كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ... أى أن كل نفس مرهونة بعملها حبسه مطالبه بما جنته من طاعة أو معصية. إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ أى ما عدا الذين يعطون كتبهم بأيمانهم فى جَنَاتٍ يَتَسَاءَلُونَ أى يسأل بعضهم بعضا عَنِ الْمُجْرِمِينَ أى المدنيين الذين استحقوا النار قائلين: مَا سَلَكَكُمْ فى سَقَرٍ أى ما أوقعكم فى النار قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ أى لم نؤد الصلوات المفروضة و لَمْ نَكُ نَطُعُ الْمَسْكِينِ أى لم نخرج الزكاة و باقى الحقوق المالية لأربابها وَ كُنَّا نَحْضُ مَعَ الْخَائِضِينَ أى كنا ندخل فى كل باطل وَ كُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الدِّينِ أى كنا ننكر يوم الجزاء و ما يستتبعه. حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ حتى أتانا الموت و نحن على هذه الحالة. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٥٨٢ - ٤٨- فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ أى لا تفيدهم شفاعَةُ الأنبياء، و لا الملائكة كما تنفع غيرهم من المؤمنين. ٤٩- إلى آخر السورة- فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُغْرِضِينَ ... أى فما بالهم قد انصرفوا عن القرآن الذى هو تذكرة و موعظة كَانَتْهُمْ حُمْزٌ مُسْتَنْفَرَةٌ أى كأنهم حمر و حشية نافرة فَزَتْ مِنْ قُسُورِهِ يعنى هربت خوفا من الأسد. بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنشَرَّةً أى يود كل واحد منهم أن تنزل عليه كتب من السماء باسمه تأمره بالإيمان بمحمد (ص). كَلَّا أى ليس الأمر كما قالوا بل هم لا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ لا يخافون الآخرة لتكذيبهم بحدوثها كَلَّا هذه ليست ردعا بل معناها: حَقًّا إِنَّهُ تَذْكِرُهُ أى القرآن فإن فيه تذكيرا فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ أى فمن أراد اتعظ به و ما يَذْكُرُونَ أى و ما يتذكرون إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ يريد. و المعنى أَنَّ هؤلاء المعاندين من الكفار لا يذكرون إلا إذا أجبرهم الله تعالى على ذلك و لن يفعل. هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَ أَهْلُ الْمَغْفِرَةِ المتجاوز عن ذنوب المخطئين.

سورة القيامة مكية، عدد آياتها ٤٠ آية

١- ٤- لا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ... معناه: أقسم بيوم القيامة و عظمت ما يجرى فيه من مظاهر قدرة الله تعالى، و أقسم بالنفس الكثيرة اللوم لصاحبها في ذلك اليوم أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ أَى هل الكافر بالبعث يظن بأننا لن نقدر على أن نعيده إلى ما كان عليه أولا خلقا جديدا بعد أن بليت عظامه و توزعت اجزأؤه؟ بلى أى: نعم قادرين نحن على أن نُسَوِّيَ بَنَانَهُ نُؤَلِّفُ بينها حتى تستوى، و تعود كما كانت مع كونها من صغار العظام و القادر على جمع صغارها قادر بطريق أولى على جمع كبارها. ٥- ١٥- بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجَرُ أَمَامَهُ ... هذا إخبار من الله تبارك و تعالى عما فى علمه من شأن الإنسان و هو أعلم بما خلق إذ يقول: إن الإنسان الكافر يريد أن يمضى قدما فى المعاصى، بحيث لا يقف عند حد و لا يتوب. يَسْتَلْ أَتَيَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَى متى تكون القيامة و الحساب و سؤال فى مقام الهزء و التكذيب؟ فَإِذَا بَرِقَ الْبَصِيرُ أَى شخص عند معاينة ملك الموت فهو لا يطرف من شدة الفزع و خَسَفَ الْقَمَرُ ذهب نوره و جَمَعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ جمع بينهما بذهاب الضوء و تمام الخسوف و الكسوف حيث تلف الأرض ظلمة هائلة، ف يَقُولُ الْإِنْسَانُ الْمُنْكَرُ لِيَوْمِ الْبَعثِ يَوْمَئِذٍ فى ذلك اليوم: أَيْنَ الْمَفَرُّ أَى إلى أين المهرب كلاً لا وَزَرَ أَى لا مهرب تهربون إليه، إلى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ أَى المنتهى إلى حكم ربك. يُتَبَوَّأُ الْإِنْسَانُ يَخْبِرُ بِمَا قَدَّمَ وَ أَخَّرَ بأول عمله و آخره فيجازى بحسبه. بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بِصِيرَةٌ ذَلِكَ أن جوارحه تشهد عليه بذلك فهو شاهد على نفسه من هذه الجهة. وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ يعنى و لو اعتذر و دافع عن نفسه فإنه لا ينفعه ذلك. ١٦- ١٩- لَا- تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتُغَيِّرَ بِهِ ... الخطاب للنبي (ص) أى لا تحرك لسانك بتلاوة القرآن حين الوحي به إليك، و لا- تتعجل تلاوته قبل أن يقضى الوحي. إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ فى قلبك حتى تحفظه و قُرْآنَهُ و تأليفه بحسب نزوله عليك. فَإِذَا قَرَأَهُ أَى قرأه جبرائيل عليك بأمر منّا فَاتَّبَعَ قُرْآنَهُ أَى قراءته إذا فرغ منها. ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ أَى إنا نبين لك معناه إذا حفظته لتبين ذلك بدورك للناس. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٥٨٣- ٢٠- ٢٥- كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَ تَذَرُونَ الْآخِرَةَ ... أى أنكم أيها الكفار تختارون حب الدنيا و تعملون لها و تفضّلونها على الآخرة التى تتركونها و لا تعملون لها. وَجُودَ يَوْمَئِذٍ أى يوم القيامة نَاضِرَةٌ حَسَنَةٌ البهجة مضيئة بالسرور إلى رَبِّهَا نَاضِرَةٌ أى ناظرة إلى نعمه ربّها و ثوابه على ما عملته فى الدنيا و قيل معناه: منتظرة لرحمة ربّها و غفرانه وَجُودَ يَوْمَئِذٍ بِاسِرَةٍ أى عابسة مقطبة كالحية من خوف المصير تُظَنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ أى تعتقد أنها ستحلّ بها داهية تكسر فقرات ظهورها بما كسبت من المعاصى. ٢٦- ٣٠- كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ... أى حقا ما قلناه فإذا بلغت روح المحتضر العظام المحيطة بالحق و كنى بذلك عن الإشراف على الموت و قيل مَنْ رَاقٍ أَى و قال أهل المحتضر هل من طبيب يشفى هذا المحتضر وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ أى علم ذاك الذى بلغت روحه تراقيه أنه مفارق لأهله و دنياه وَالتَّفَتُّ السَّاقُ بِالسَّاقِ أى امتدت ساقاه عند الموت لأنه يبيس بعد الموت و يلتفت بعضه ببعض. إلى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ أى أن محل السّوق بعد هذه الحالة يكون إلى الله لجميع الخلائق بعد وفاتهم. ٣١- إلى آخر السورة- فَلَا صَدَقَ وَلَا ضَلَمَى ... أى لم يتصدق بشيء من أمواله. و قيل لم يؤمن بالله. و لا صَلَّى لربّه الصلاة المفروضة وَ لَكِنْ كَذَّبَ بِاللّهِ وَ تَوَلَّى أَعْرَضَ عن الإيمان و الطاعة ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى أى أنه بعد سماع الدعوة إلى الإيمان عاد إلى أهل يتبخر فى مشيته و قيل نزلت فى أبى جهل أَوَّلَى لَكَ فَأَوَّلَى أَى وليك المكروه و الشرّ يا أبا جهل ثُمَّ أَوَّلَى لَكَ فَأَوَّلَى كرر التهديد للتأكيد من جهه و لبيان حرمانه من خير الدنيا و الآخرة من جهه ثانية. أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ يعنى أ يظن أبو جهل و كل إنسان أَنْ يُتْرَكَ سُدًى أَنْ يهمل؟ أَلَمْ يَكُنْ نَظْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى أَى كان نظفة منى ثم تنقل من حال إلى حال تدل كل حال منها على أن له خالفا مدبرا حكيما لم يهمله فى طور من أطوار حياته. ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً بعد أن كان نظفة من منى فَخَلَقَ منها سبحانه فى الرحم خلقا فَسَوَّى هيئته و أعضائه جميعا فَجَعَلَ مِنْهُ أَى من ذلك الإنسان الرّؤُوسَ الذّكْرَ وَ الْأُنثَى ليتزاوجا أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى أَى أليس فاعل ذلك كلّه مستطيعا لأن يعيد الموتى بعد فنائهم بعد أن كان خلقهم بهذه الكيفية العجيبة و أوجدهم من كتم العدم.

سورة الإنسان مدنية، عدد آياتها ٣١ آية

١- ٤- هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ ... الاستفهام تقريرى أى ألم يأت على الإنسان وقت من الدهر وقد كان شيئاً، ولكنه لم يكن شيئاً مذكوراً لأنه كان لا يزال تراباً قبل أن تنفخ فيه الروح. إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَيْ خَلَقْنَا بَنَى آدَمَ (ع) جميعاً من قطرة ماء من الرجل والمرأة تتعقد فيخلق منها الولد أمشاج أى أخلاط من المائين تمتزج فى الرحم فأيهما علا صاحبه كان الشبه له. نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَيِّعاً بَصِيراً أى نختبره بالتكليف ومن أجل أن يكون قادراً على حسن الاختيار لنفسه، فقد أعطيناه الآلات التى تمكنه من التمييز ومنها السمع والبصر. إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ أى نصبنا له الأدلة وأزحنا العلة إذ جعلناه مميزاً للحسن من القبيح وأرشدناه إلى طريق الحق إما شاكراً وإما كفوراً أى مختاراً للإيمان والشكر، أو مكثفياً بالإنكار والكفر، وأى الأمرين اختار جازاه الله تعالى عليه بعدله. إِنَّا أَعْتَدْنَا أَيْ هَيَّأْنَا وَأَعَدَدْنَا لِلْكَافِرِينَ بِنَا وَبَرَسَلْنَا سَيِّئاً لَسَلٍ مِنْ نَارٍ فِى جَهَنَّمَ وَأَعْلَالاً وَقِيوداً وَسَيِّعاً وَنَاراً مُشْتَعِلَةً مَعْدَةً لِعَذَابِهِمْ. ٥- ٦- إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ ... الأبرار جمع برّ، وهو المحسن المطيع لله تعالى الذى يقوم بالحقوق الواجبة ويؤدى النافلة. وقد أجمع المسلمون على المراد بالأبرار هنا على وفاطمة والحسن والحسين (ع)، وأن هذه الآية وما بعدها نزلت فيهم دون غيرهم، فهؤلاء الأبرار يشربون فى الآخرة من إناء فيه شراب كان مزاجها أى يخالط الكأس كافوراً وهو اسم عين فى الجنة. أى يمازجها ريح الكافور الذى هو غير كافور الدنيا. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٥٨٤ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ أى يشرب منها أولياء الله وخصّهم بكونهم عباده تشریفاً لهم يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا أى يجزون ماء هذه لعين حيث شاؤوا من قصورهم و منازلهم. وقد قيل إن أنهار الجنة تجرى بغير أحاديث، وأن المؤمن إذا شاء أن يجرى نهرًا خطّ له خطاً فينبع الماء من ذلك الموضع و يجرى بدون تعب. ٧- ١٠- يُوفُونَ بِالنَّذْرِ ... أى إذا نذروا طاعة لله وفوا بها وأدوا الطاعة على أكملها. وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا أى يخشون شراً يوم القيامة الذى بلغ الشر فيه الغاية القصوى وانتشر فى كل الجهات كأنه يتطاير فى الآفاق. وَيَطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ أى يطعمونه للآخرين مع أنهم شديدو الحب له والرغبة فيه، وهذا معناه أنهم يؤثرون المستحقين على أنفسهم. مَسْكِينًا أى فقيراً لا طعام عنده وَ يَتِيمًا وَالِدَ لَهُ وَلَا قُوَّةَ لَدَيْهِ مِنَ الْأَطْفَالِ وَ أَسْتِيرًا وَهُوَ الْمَأْخُوذُ أَسْرًا مِنْ دَارِ الْحَرْبِ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ أى طعاماً خالصاً مخلصاً لله دون رياء لا نريد منكم جزاءً وَلَا شُكُورًا عَلَى إِطْعَامِنَا لَكُمْ، فلا نطلب المكافأة العاجلة ولا نطلب شكركم لنا من أجله إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبَّنَا يَوْمًا غَیْبًا أى نخاف عذاب يوم تقطّب فيه وجوه الكافرين خوفاً و هلعاً فيبدو اليوم نفسه مكفهرًا غاضباً قَمَطَرِيًّا صعباً شديداً لأنه يقلّص الوجوه و يقبض الجباه و ما بين الأعين. ١١- ١٨- فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ ... أى كفى سبحانه الأبرار شراً يوم القيامة و منع عنهم أهواله وَلَقَاهُمْ نَصْرُهُ وَ سُرُورًا أى أوصلهم إلى النعم والسرور واستقبلهم بها وَ جَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا كَفَاءً لِمَا صَبَرُوا عَلَى الطَّاعَةِ وَاجْتِنَابِهِمُ الْمَعَاصِيَ جَنَّةً وَ حَرِيرًا يَسْكُنُونَ الْجَنَّةَ وَ يَلْبَسُونَ الْحَرِيرَ وَ يَفْتَرِشُونَ وَ يَجْلِسُونَ عَلَيْهِ مُتَكِبِينَ فِيهَا يَسْتَنْدُونَ كَجُلُوسِ الْمُلُوكِ فِي الْجَنَّةِ عَلَى الْأَرَائِكِ أى الأسرّة والكراسى الوفيرة لا يَزُونَ فِيهَا فى الجنة شمساً يتأذون بحرّها ولا زَمْهَرِيرًا هواء بارداً ينزعجون من برودته وَ دَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا أى تلفهم أفياء تلك الجنة لأنها قريبة منهم لا تزيلها شمس كما تزيل شمسنا ظلال الأشياء فى الدنيا وَ ذَلَّلَتْ قُطُوفُهَا تَذَلُّلاً أى سهل أخذها و تناولها لأنها مسخرة لطالبها وَ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآيَاتِهِ مِنْ فَضِّهِ أى يدار على أولئك الأبرار بأوعيه من فضّه وَ أَكْوَابٍ جَمْعُ كُوبٍ أى بأقداح كانت قَوَارِيرًا أى هى من زجاج قَوَارِيرًا مِنْ فَضِّهِ أى أنه اجتمع لها لمعان الفضّة و صفاء الزجاج فصار يرى ما فى داخلها من خارجها. قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا أى قدرها الذين يسقون الأبرار بها تقديراً يساوى رى الأبرار بحيث لا يزيد ولا ينقص وَ يُسْقَوْنَ فِيهَا فى الجنة كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا أى ممزوجة بالزنجبيل الذى هو ليس كزنجبيل الدنيا بل يفوقه طعماً و رائحة عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا أى أن المزيج هذا من عين تسمى السلسبيل، وهى - كما قال الزجاج - صفه لما كان فى غاية السلاسة. ١٩- ٢٢- وَ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ ... مر معناه. إِذَا رَأَيْتَهُمْ إِنْ نَظَرْتَ إِلَيْهِمْ فِى صَفَائِهِمْ حَسَبَتْهُمْ لُؤْلُؤًا مَنثورًا لحسن منظرهم و بهاء رونقهم وَ إِذَا رَأَيْتَ نَظَرْتَ ثُمَّ يَعْنِى فى الجنة رَأَيْتَ نَعِيمًا عَظِيمًا وَ مُلْكًا كَبِيرًا جَزِيلًا. قال عنه الإمام الصادق (ع): لا يزول ولا يفنى. عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سَيْدُسٌ قِيلَ: عَالِي: ظرف، أى: فوقهم ثياب سندس. وقيل هى حال أى: يعلوهم الثياب

الريقة خُضِرَ لونها كذلك وإِسْتَبْرَقَ وهو السندس الغليظ وَحُلُوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ أى تحلَّت أيديهم بأساور الفضة الشفافة التى يرى ما وراءها وَسَيَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا طاهرا من القذارة والدنس وليس كشراب الدنيا. إِنَّ هذا الذى وصفه سبحانه من نعيم الآخرة و ملذاتها كَانَ لَكُمْ جَزَاءً أى مكافأة لكم أيها الأبرار وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا أى كان عملكم فى الدنيا مقبولا مرضيا و جزاؤه كان بمثابة الشكر لكم عليه. ٢٣-٢٦- إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا ... هذا خطاب للنبي (ص)، وقيل فى معناه أنه سبحانه فضّله فى الإنزال آية بعد آية و لم ينزله جملة واحدة فَاصْبِرْ يا محمد على ما حملتك من أعباء الرسالة، و اصبر لحكم ربك تقديره بأن تبلغ الكتاب و تعمل بما فيه و تأمر الآخرين بذلك، ثم اصبر على التكذيب والأذى أيضا وَ لَا تُطِغْ مِنْهُمْ أى من المشركين فى مكه آثما مرتكبا للإثم عنى به عتبه بن ربيعة أَوْ كَفُورًا عنى به الوليد بن المغيرة وَ أَذْكَرِ اسْمَ رَبِّكَ امض على طريقتك من العبادة و الدعاء و دعوة الناس إلى الهدى بُكْرَةً وَ أَصَبًا فى أول النهار و آخره. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٥٨٥ وَمَنْ اللَّيْلُ فَاسْتَجِدْ لَهُ أى صل له بعض الليل وَ سَيَجْعَلُ نَزْهَ اللَّهِ لَيْلًا طَوِيلًا طول الليل تطوعا فى حال يقظتك. ٢٧- إلى آخر السورة- إِنَّ هَؤُلَاءِ يُجِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ... أى أن هؤلاء الكفرة المعاندين لكلام الله و دعوة رسوله، يؤثرون ملذات الدنيا الزائلة وَ يَذَرُونَ يتركون وراءهم معنى أمامهم يَوْمًا ثَقِيلًا أى شديد العذاب عسير المآب و هو يوم القيامة. نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَ شَدَدْنَا أَسْرَهُمْ أى أوجدناهم و أحكمنا خلقهم. وَ إِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلًا يعنى إذا أردنا أهلكناهم و أتينا بغيرهم إِنَّ هَذِهِ السُّورَةُ أَوْ الْمَقَالَةُ تَذَكُّرَةٌ عَظْمَى فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا أى من أراد سلك الطريق لما يرضى ربه فعمل بطاعته و انتهى عن معصيته وَ مَا تَشَاؤُنَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ أى و ما تريدون اتخاذ تلك الطريق اختيارا إِلَّا أَنْ يجبركم الله تعالى عليها و يلجئكم إليها، ولكن- حينئذ- لا ينفعكم ذلك إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا فسيرناه سابقا يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ أى تشملهم رحمته فى الحياة و يدخلهم الجنة فى الآخرة وَ الظَّالِمِينَ من الكافرين و المشركين أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا هياهم لهم مسبقا، و هم ملاقوه.

سورة المرسلات مكية، عدد آياتها ٥٠ آية

١- ٧- وَ الْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا فَالْعَصَافَاتِ عَصِفًا ... أقسم سبحانه بقدرته من خلال قسمه ببعض مظاهرها: بالرياح المرسلة متتابعة كعرف الفرس، و بالرياح العاصفات الشديدة الهبوب. وَ النَّاشِرَاتِ نَشْرًا أى و بحق القدرة المسيرة للرياح التى تنشر السحاب نشرا و تأتى بالمطر. فَالْفَارِقَاتِ فَرَقًا أى الملائكة التى تأتى بما يفرق بين الحق و الباطل، و قيل هى آيات القرآن التى تفرق بين الهدى و الضلال فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا وَ هى الملائكة التى تلقى الذكر إلى الأنبياء و تلقية الأنبياء، إلى الأمم لهدايتها عِذْرًا أَوْ نُذْرًا أى أنها تلقى الذكر للإعذار و الإنذار من الله إلى خلقه. إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٍ هو جواب القسم الذى معناه أن ما وعدكم الله به من البعث و الثواب و العقاب كائن بلا شك و أنكم محاسبون و مثابون أو معاقبون بدون ريب. ٨- ١٥- فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ، وَ إِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ... أى إذا محيت النجوم و زال ضوءها، و انشقت السماء و تصدعت و ظهرت فيها فروج وَ إِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ اقتلعت من أصولها وَ إِذَا الرُّسُلُ أَقْتُتْ أى جمعت فى وقت معين لتشهد على الأمم لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ أى أخرت و جعل لها أجل محدود لِيَوْمِ الْفَصْلِ أى حين يفصل الله تعالى بين العباد وَ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ أى و أى شأن تعرف لذلك اليوم؟ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ فَعْدُهُمْ و توعدهم لأنهم جحدوا بوقوعه و كان تكذيبهم به نابعا من كفرهم بالله و برسله. ١٦- ١٩- أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ... السؤال للإنكار و التقرير: ألم نفس المكذبين السابقين لكم بالعذاب فى الدنيا كما فعلنا بقوم نوح و عاد و ثمود و غيرهم ثُمَّ نُنَبِّئُهُمُ الْآخِرِينَ أى نلحق بهم من بعدهم ققوم لوط و إبراهيم و من سواهم. كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ أى كفعلنا بمن تقدّم و يتأخر، نفعل بمجرمى مكه وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ أى تعس لهم يوم الجزاء حيث نجازيهم بأشد العذاب. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٥٨٦ ٢٠- ٢٤- أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَهِينٍ ... سؤال توبيخ، يعنى قد خلقناكم و أتمم فى أحسن تقويم من ماء حقير قدر ممّا يدل على الصانع الحكيم المدبر. فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ يعنى فى الرحم إلى قَدَرٍ مَعْلُومٍ أى إلى وقت معين و هو مدة الحمل فَقَدَرْنَا يعنى قدرنا خلقه ذكرا أو أنثى، طويلا أو قصيرا إلخ. فَنَعَمُ الْفَادِرُونَ فما أعظم

قدرتنا على ذلك و نعم المقدرّون نحن لذلك. وَيُلْ يُؤْمِنُ لِلْمُكَذِّبِينَ المنكرين أننا قادرون على الخلق و البعث. ٢٥-٢٨ أَلَمْ نَجْعَلِ
الْأَرْضَ كِفَاتًا ... أى ألسنا نحن جعلنا الأرض تكفت العباد على ظهرها أحياء و فى بطنها أمواتاً و تحوزهم فى الحالين و جَعَلْنَا فِيهَا
رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ أى جبالاً ثابتة عالية و أَشْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا أى ماء عذبا وَيُلْ يُؤْمِنُ لِلْمُكَذِّبِينَ بكل مظاهر قدرتنا. ٢٩-٣٤ انْطَلِقُوا إِلَى
مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ... هذا ما يخاطب به المكذبون بالبعث من قبل خزنة جهنم قائلين لهم: اذهبوا إلى النار التى كنتم تكذبون بها فى
حياتكم. انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ أى نار ذات ثلاث شعب أو هو دخان تلك النار الذى سَمَّوه ظلاً لسواده لا ظليل و لا يُغْنِي
مِنَ اللَّهَبِ أى أنه لا يعتبر ظلاً يستريح المرء فيه و يمنع عنه الأذى و العذاب، و لا يردّ عنه شيئاً من اللهب المستعر الذى يعلو على النار.
إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ أى أن شرارها الذى يتطاير منها فى الجهات تكون الشرارة منه بحجم القصر كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ أى كأن
الشرارة الواحدة كالجمال الأصفر وَيُلْ يُؤْمِنُ لِلْمُكَذِّبِينَ بنار هذا وصفها. ٣٥-٤٠ هذا يَوْمٌ لا يَنْتَقُونَ ... وصف سبحانه حال الكافرين
بالبعث و أنهم يوم القيامة لا ينطقون بشيء ينفعهم و لا بحجة تدفع عنهم قبل أن يختم على أفواههم. و لا يُؤْذَنُ لَهُمْ أى لا يسمح لهم
فَيَعْتَرِذُونَ فيبدون أعذارهم وَيُلْ يُؤْمِنُ لِلْمُكَذِّبِينَ بهذا الحديث. هذا يَوْمُ الْفَصْلِ بين أهل الجنة، و أهل النار و هو يوم القضاء.
جَمَعْنَاكُمْ وَ الْأُولِينَ حشرناكم يا مكذّبي هذه الأمة من كفره مكة و غيرها مع مكذّبي الأمم السابقة فى يوم واحد و صعيد واحد فَإِنْ
كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَيَكِيدُونَ أى إذا كانت بيدكم حيلة فاستعملوها لتنجوا أنفسكم من عذابي. وَيُلْ يُؤْمِنُ لِلْمُكَذِّبِينَ بهذا الموقف. ٤١-
٤٥ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فى ظِلَالٍ وَ عِوَيْنٍ ... هنا يبين سبحانه حال المؤمنين الذين عملوا بطاعته و تجنبوا معاصيه، و أنهم يكونون فى ظلال
أشجار الجنة و عيونها جارية من حولهم وَ فَوَاكِهِ أى ثمار مما يَشْتَهُونَ من الثمار التى يحبونها و تهواها نفوسهم، و يقال لهم: كُلُوا وَ
اشْرَبُوا هَنِيئًا بما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ أى: كلوا من الثمر خالصا من الكدر و تهنأوا بأكلكم و شربكم بسبب عملكم الصالح فى الدنيا. و الأمر
للإباحة إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ أى نكافئ من أحسن إلى نفسه و إلى غيره من عبادنا وَيُلْ يُؤْمِنُ لِلْمُكَذِّبِينَ بوعدنا هذا لعبادنا
المؤمنين. ٤٦- إلى آخر السورة- كُلُوا وَ تَمَتَّعُوا قَلِيلًا ... عاد سبحانه إلى تفرّيع المكذّبين فقال: كلوا فى دنياكم، و استمتعوا استمتاعا
قليلا- فى حياتكم، لأن متاع الدنيا قليل إِنَّكُمْ مُّجْرِمُونَ مشركون مستحقون للعقاب فى الآخرة. وَيُلْ يُؤْمِنُ لِلْمُكَذِّبِينَ بهذه النهاية
المخزية وَ كانوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ ارْكَعُوا أى صَلُّوا لا يَزْكَعُونَ لا يمارسون الركوع بل يعدّونه مذلةً. وَيُلْ يُؤْمِنُ لِلْمُكَذِّبِينَ بالصلاة و بعبادة
الله تبارك و تعالى فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ أى فبأى كتاب بعد القرآن يُؤْمِنُونَ يصدّقون به، و هم لم يصدّقوا بهذا الكتاب المعجز. إرشاد
الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٥٨٧

سورة النبأ مكية، عدد آياتها ٤٠ آية

١-٥- عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ ... النبأ هو الخبر العظيم الذى يكون له شأن و أهميّة، و التعبير هنا تعبير سؤال و استفهام، و لكن
المراد به تفخيم الأمر الذى يَتَسَاءَلُونَ يسأل بعضهم بعضا عنه، و قد أنزل الله تعالى ذلك لأنهم حين بعث محمد (ص) و أخبرهم
بوجوب توحيد الله و بالعبادة و بالبعث و الحساب، و تلا- عليهم القرآن، تساءلوا متعجبين و منكرين ما جاء به النبى (ص) من أمر
البعث بعد الموت بصورة خاصة. و قيل إن النبأ العظيم هو القرآن الذى هُم فِيهِ مُخْتَلِفُونَ بين مصدّق و مكذّب. كَلَّا أى ليس الأمر كما
يقولون و سَيَعْلَمُونَ عاقبة التكذيب بما جاء به محمد (ص) حين ينكشف لهم أمر النبوة ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ أى حقاً سيعرفون ذلك و
يرون ما يصيبهم يوم القيامة من العذاب. ٦-١٦- أَلَمْ نَجْعَلِ الْاَرْضَ مِهَادًا، وَ الْجِبَالَ أَوْتَادًا ... أى أننا قادرون على البعث كما أننا
خلقنا الأرض لكم و جعلناها وطاء و بساطاً مهياً للتصرف بسهولة و جعلنا الجبال أوتاداً تمسك الأرض حتى لا تמיד بأهلها و خَلَقْنَاكُمْ
أَزْوَاجًا ذَكَرَانَا و إِنَاثًا و قيل: خلقناكم أشكالا متشابهة و جَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُباتًا أى جعلنا النوم لكم راحة لأجسادكم و جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا أى
ستره تستترون بظلامه كما يستر أحدكم جسمه بالثياب و جَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا أى وقتاً تطلبون فيه العيش لكم وَ بَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا
أى سبع سماوات قويّة محكمة الصّنع وَ جَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا و هو الشمس التى تتوهج و تتلألأ بالنور فتستضيئون به. وَ أَنْزَلْنَا مِنَ

الْمُعَصِّرَاتِ مَاءٍ أَيْ أَنْزَلْنَا مِنَ الرِّيحِ ذَوَاتِ الْأَعَاصِيرِ مطراً. ثَجَّاجاً يَعْنِي يَنْدَفِعُ حِينَ انْصِبَابِهِ. لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا أَيْ لِنَبِتَ بِذَلِكَ الْمَاءِ الْحَبَّ الَّذِي تَزْرَعُونَهُ وَالعُشْبَ فَقَدْ جَمَعَ اللَّهُ تَعَالَى بَيْنَ كُلِّ مَا يَخْرُجُ مِنَ الْأَرْضِ مِنْ نَبَاتِ الْحَبُوبِ الْمُخْتَلِفَةِ. ١٧- ٢٠- إِنَّ يَوْمَ الْفُصْلِ كَانَ مِيقَاتًا ... أَيْ أَنَّ الْيَوْمَ الَّذِي يَفْصِلُ فِيهِ اللَّهُ تَعَالَى بِالْحُكْمِ بَيْنَ الْخَلَائِقِ هُوَ مُوَعَّدٌ مُحَدَّدٌ لَمَّا وَعَدَ بِهِ سُبْحَانَهُ مِنَ الْبَعْثِ وَالحِسَابِ وَالجَزَاءِ. يَوْمٌ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ مَرَّةً تَفْسِيرُهُ فَيَأْتُونَ أَفْوَاجًا فَتَجِيئُونَ جَمَاعَةً جَمَاعَةً حَتَّى تَكْتُمَلُوا وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ أَيْ انْشَقَّتْ لِنُزُولِهَا مِنَ الْمَلَائِكَةِ فَكَانَتْ أَبْوَابًا أَيْ ذَاتَ أَبْوَابٍ وَطَرِيقَ سَيِّرَتِ الْجِبَالِ فَكَانَتْ سِرَابًا أَيْ أَزِيلَتْ عَنْ أَمَاكِنِهَا وَدَكَّتْ وَصَارَتْ كَالسَّرَابِ يَظُنُّ أَنَّهُ جِبَالٌ وَ لَيْسَ كَذَلِكَ. ٢١- ٣٠- إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا لِلطَّاغِينَ مَابًا ... أَيْ هِيَ مَحَلٌّ رَصْدٍ يَرَصِدُ بِهَا خَزْنَتُهَا الْكَفَّارَ لِيَلْقَوْهُمْ فِيهَا. وَقِيلَ يَعْنِي هِيَ مَعْدَّةٌ لِلْكَفَّارِ، وَ الطَّاغُونَ هُمُ الَّذِينَ جَاوَزُوا حُدُودَ اللَّهِ وَ طَغَوْا فِي مَعَاصِيهِ، فَجَهَنَّمَ مَرْجِعُهُمُ الَّذِينَ يَثُوبُونَ إِلَيْهِ فِي نَهَائِهِمْ مَطَافُهُمْ لَا يَبْثِنُ فِيهَا أَحَقْبَابُ الْحَقِّ ثَمَانُونَ سَنَةً مِنْ سَنَى الْآخِرَةِ كَمَا عَنْ قَتَادَةَ. أَيْ أَنَّهُمْ يَبْقُونَ فِيهَا حَقْبًا بَعْدَ حَقْبٍ حَتَّى يَبْلُغَ ذَلِكَ زَمَانًا كَثِيرًا. وَ مِنَ الْأَقْوَالِ- كَمَا فِي الْمَجْمَعِ- أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَجْعَلْ لِأَهْلِ النَّارِ مَدَّةً، بَلْ قَالَ: لَا يَبْثِنُ فِيهَا أَحَقْبَابُ، فَوَ اللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنَّهُ إِذَا مَضَى حَقْبٌ دَخَلَ آخَرُ كَذَلِكَ إِلَى أَبَدِ الْآبِدِينَ. لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا أَيْ لَا يَصَادِفُهُمْ بَرْدٌ يَمْنَعُهُمْ عَنْ حَرِّ جَهَنَّمَ، وَلَا شَرَابٌ يَنْفَعُ غَلَّتَهُمْ وَ يَدْفَعُ عَطَشَهُمْ فِيهَا. وَقِيلَ: الْبَرْدُ هُوَ النَّوْمُ. إِلَّا حَمِيمًا وَ غَسَاقًا سَوَى الْمَاءِ الْحَارِّ، وَ صَدِيدُ أَهْلِ النَّارِ، جَزَاءً وَفَاقًا أَيْ عِقَابًا مُوَافِقًا لِكُفْرِهِمْ وَ شَرَكِهِمْ إِنَّهُمْ كَانُوا لَا- يَزُجُونَ حِسَابًا أَيْ فَعَلْنَا بِهِمْ ذَلِكَ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَتَوَقَّعُونَ بَعَثًا وَ لَا مُحَاسَبَةً عَلَى كُفْرِهِمْ وَ شُكْرِهِمْ وَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كَذِبًا أَيْ أَنْكَرُوا مَا جَاءَهُمْ بِهِ رُسُلُنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ، وَقِيلَ: يَعْنِي كَذَّبُوا بِالْقُرْآنِ تَكْذِيبًا وَ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ أَعْمَالِهِمْ وَ أَعْمَالِ سَائِرِ الْمَخْلُوقَاتِ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا أَيْ أَحْصَيْنَاهُ فِي اللُّوحِ الْمَحْفُوظِ. فَذُوقُوا أَيْ فَيَقَالُ لِأُولَئِكَ الْكُفْرَةِ: ذُوقُوا الْعَذَابَ الَّذِي أَنْتُمْ فِيهِ فَلَنْ نَزِيدَكُمْ مَعَهُ وَ بَعْدَهُ إِلَّا عَذَابًا يَزِيدُ عَلَيْهِ كَيْلًا تَرْتَاوَحُوا مِنْ أَلَمِهِ. إِرْشَادُ الْأَذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ٥٨٨ ٣١- ٤٠- إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ... بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ سُبْحَانَهُ وَعِيدَهُ لِلْكَافِرِينَ، أَخَذَ بِذِكْرِ وَعْدِهِ لِلْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ: إِنَّ لِلَّذِينَ اجْتَنَبُوا مَا يَسْخِطُ اللَّهَ تَعَالَى مَنَاجِي، وَ هُوَ النِّجَاءُ مِنَ النَّارِ حَدَائِقُ وَ أَغْنَابًا أَيْ حَدَائِقُ الْجَنَّةِ وَ ثَمَارَهَا الَّتِي كَتَبَتْ عَلَيْهَا بِالْأَعْنَابِ وَ كَوَاعِبَ أَثْرَابًا أَيْ جَوَارِي قَدْ تَكَعَّبَتْ أَثْدَاهُنَّ، فَالْكَوَاعِبُ مُفْرَدُهَا: كَاعِبٌ، وَ هِيَ الَّتِي بَرَزَ ثَدْيُهَا فِي أَوَّلِ صَبَاهَا، وَ كَتَبَتْ عَلَيْهَا بِالْأَعْنَابِ- تَرَابٌ لِيَدُلَّ عَلَى أَنَّهُنَّ يَكُنَّ مِنْ سَرِّ أَزْوَاجِهِنَّ وَ مِثْلَهُمْ فِي الْحَسَنِ وَ كَأْسًا دِهَاقًا أَيْ كُؤُوسًا مَمْلُوءَةً بِالشَّرَابِ تَكُونُ عَلَى قَدَرِ رِيهِمْ لَا يَشْبَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَ لَا كَذِبًا أَيْ لَا يَسْمَعُونَ فِي الْجَنَّةِ كَلَامًا لَا فَائِدَةَ فِيهِ وَ لَا يَكْذِبُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا. جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ أَيْ ثَوَابًا لِتَصَدِيقِهِمْ بِاللَّهِ تَعَالَى وَ بِرَسُولِهِ عَطَاءً لَهُمْ مِنْ رَبِّكَ. حِسَابًا أَيْ مُحَسُوبًا كَافِيًا، وَقِيلَ كَثِيرًا. رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ إِلَخْ مَرَّةً تَفْسِيرُهُ مِثْلُهَا الرَّحْمَنُ اللَّطِيفُ الَّذِي يَرْحَمُ الْمُؤْمِنَ وَ الْكَافِرَ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا أَيْ لَا- يَقْدِرُونَ أَنْ يَسْأَلُوهُ إِلَّا فِيمَا رَخَّصَ بِهِ وَ أَذِنَ لِلْمُقَرَّبِينَ مِنْهُ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَ الْمَلَائِكَةُ صِفًا أَيْ يَقِفُونَ مُصْطَفِينَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ قَائِمِينَ بِأَمْرِ اللَّهِ مُنْتَظِرِينَ مَا يَصْدُرُ عَنْهُ. أَمَّا الرُّوحُ فَقِيلَ هُوَ خَلْقٌ مِنْ خَلْقِهِ سُبْحَانَهُ يَشْبَهُ بَنِي آدَمَ وَ لَيْسُوا مِنْهُمْ، يَقُومُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صِفًا فِي مَقَابِلِ صَفِّ الْمَلَائِكَةِ لَا يَتَكَلَّمُونَ بِشَيْءٍ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ أَيْ رَخَّصَ لَهُ، وَ هُمُ الْمَلَائِكَةُ وَ الْمُؤْمِنُونَ وَ قَالَ صَوَابًا أَيْ قَالَ فِي الدُّنْيَا بِالتَّوْحِيدِ، وَقِيلَ إِنَّ الْقَوْلَ هُنَا الشَّفَاعَةُ فَهُمْ لَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى. ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ أَيْ يَوْمُ الْقِيَامَةِ الَّذِي لَا رَيْبَ فِيهِ فَمَنْ شَاءَ أَرَادَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَآبًا أَيْ جَعَلَ لِنَفْسِهِ مَرْجِعًا بِعَمَلِهِ الصَّالِحِ يَكُونُ مَرْضِيًّا بِهِ عِنْدَ اللَّهِ. نَا أَنْذَرْنَاكُمْ خَوْفَنَاكُمْ أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ذَابًا قَرِيبًا أَيْ عَذَابٌ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ لِأَنَّ كُلَّ آتٍ قَرِيبٌ. وَ مَ يُنْظَرُ الْمَرْءُ كُلُّ إِنْسَانٍ فِي صَحِيفَةٍ أَعْمَالُهُ أَمَدَّتْ يَدَاهُ مَا قَدَّمَ مِنَ الطَّاعَةِ الَّتِي عَبَّرَ عَنْهَا بِالْيَدَيْنِ لِأَنَّ أَكْثَرَ الْأَعْمَالِ تَبَاشَرُ بِهِمَا. يَقُولُ الْكَافِرُ حِينَئِذٍ: لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا أَيْ: آه لَوْ بَقِيتُ تُرَابًا وَ لَمْ يَرْجِعْ جِسْمِي وَ لَمْ تَعُدْ رُوحِي لِأَتَخَلَّصَ مِنَ الْحِسَابِ فِي هَذَا الْيَوْمِ.

سورة النازعات مكية، عدد آياتها ٤٦ آية

١- ٥- وَ النَّازِعَاتِ غَرْقًا، وَ النَّاشِطَاتِ نَشْطًا ... قِيلَ إِنَّ النَّازِعَاتِ هِيَ الْمَلَائِكَةُ الَّتِي تَنْتَرِعُ أَرْوَاحَ الْكَافِرِ بِشِدَّةٍ وَقِيلَ هِيَ النُّجُومُ تَنْتَقِلُ مِنَ أَفْقٍ إِلَى أَفْقٍ وَ تَطْلُعُ وَ تَغِيبُ، وَقِيلَ غَيْرَ ذَلِكَ وَ كَذَلِكَ النَّاشِطَاتِ قِيلَ بِأَنَّهَا الْمَلَائِكَةُ تَنْشَطُ فِي نَزْعِ نَفُوسِ الْكَافِرِينَ مِمَّا بَيْنَ الْجِلْدِ وَ

الأظفار لتخرجها منهم بكرب و النشط هو الجذب و السَّابِحَاتِ سَبَّحًا قِيلَ هِيَ الْمَلَائِكَةُ تَقْبِضُ أَرْوَاحَ الْمُؤْمِنِينَ وَ تَسْبِحُ بِهَا فِي الْفُضَاءِ، كما قيل أنها الملائكة التي تنزل من السماء مسرعة، و عن عطاء أنها السفن فَالسَّابِقَاتِ سَبَّحًا قِيلَ إنها الملائكة لأنها سبقت بنى آدم بالإيمان و الطاعة، أو أنها تسبق بأرواح المؤمنين إلى الجنَّة و قيل هي أرواح المؤمنين تسبق إلى الملائكة حين يقبضونها، أو هي الخيل في الحرب فَالْمِدْبَرَاتِ أَمْرًا أَى الْمَلَائِكَةُ تَدَبَّرُ أَمْرَ الْعِبَادِ مِنْ سَنَةٍ إِلَى سَنَةٍ، أو هم جبرائيل و ميكائيل و إسرافيل و ملك الموت الموكلون بتدبير الدنيا. ٦- ١٤- يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ، تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ ... أى يوم النفخة الأولى التي ترجف منها الأرض فتموت جميع الخلائق، ثم تتبعها النفخة الثانية فتبعث الخلائق من جديد. قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ أى مضطربة من الخوف أشد اضطراب أبصارها خاشعة و ذليلة من أهوال ذلك اليوم يَقُولُونَ أِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ أى يقول الكافرون المنكرون للبعث، هل أننا معادون أحياء بعد الموت، و نرد إلى حالنا السابقة. و الحافرة معناها: أول الشيء و ابتداء الأمر أ إذا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً أى و بعد أن نصير عظاما بالية مفتتة؟ قالوا: تِلْكَ إِذْ كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ أى قال الكافرون: هذه الرجعة بعد الموت رجعة خسران حيث نقلنا من نعيم الحياة الدنيا إلى عذاب النار فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ أى: ليست النفخة الأخيرة إلَّا صيحة من إسرافيل يسمعونها و هم فى قبولهم فيعودون أحياء فإذا هُم بِالسَّاهِرَةِ أى: و فجأة يكونون على وجه الأرض و قد سَمِيت الساهرة لأنها تعمل فى تغذية النبات ليلا كما تعمل فى النهار. و قيل إن الساهرة هي عرصه يوم القيامة حيث يقف الناس فى سهر دائم لا- نوم معه. ١٥- ٢٦- هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ... أى: يا محمد قد أتاك حديث موسى و عرفت قصته. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٥٨٩ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ فَقَالَ لَهُ: يَا مُوسَى بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى أى حينما كان فى طوى- و هو اسم الوادى- المطهر بما ظهر فيه من آيات الله العظمى اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى أى رخ إليه فإنه تكبر و علا- و تجاوز الحد فى الكفر فَقُلْ هَيْلٌ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى أى اسأله قائلا: هل أن تتطهر من الشرك و الكفر بشهادة لا إله إلَّا الله. وَ أَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ أدلك إلى معرفته جلّ و علا فتسلك الطريق التي تؤدى إلى ثوابه فَتَخْشَى فَتَخَافَهُ و تقلع عما أنت فيه من الكفر؟ فَارَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى أى أن موسى أرى فرعون آية العصا فكذب أنكر كونها آية من الله وَ عَصَى خَالَفَ مُوسَى وَ كَذَّبَ بنبوته ثُمَّ أَدْبَرَ أى ولى الدبر ليفكر بما يردّ به معجزة موسى. يَسْعَى فى الفساد كعادته. فَحَشَرَ فَنَادَى أى فجمع قومه و جنوده و صرخ فيهم: فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى أى أننى لا ربّ لكم فوقى فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَ الْأُولَى أى أخذه و أهلكه بالغرق فى الدنيا و نكل به نكالا و أعد له نكالا فى الآخرة. إِنَّ فى ذَلِكَ أى فى فعل فرعون و تكذيبه و معصيته و أخذنا له و تنكيلنا به لَعِبْرَةٌ أى عظة لِمَنْ يَخْشَى لِمَنْ يَخَافُ اللَّهَ تعالى و يخاف عقابه. ٢٧- ٣٣- أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ ... خاطب سبحانه من كان من المكابرين على عهد رسول الله (ص) محذرا لهم و قال: هل أنتم أيها المشركون أقوى خلقا من السماء التي بناها بهذه العظمة و هذه السعة التي لا تحد؟ رَفَعَ سَمَكَهَا أى سقفها و ما ارتفع منها فسوّاها جعلها مستوية بلا فطور و أَعْطَشَ لَيْلَهَا جعله مظلما و أَخْرَجَ ضُحَاهَا أى أظهر نهارها و الْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا أى بعد خلق السماء بسط الأرض، و الدحو هو البسط. أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَ مَرْعَاهَا أى فجّر العيون و الينابيع و الأنهار، و أنبت فيها ما يأكله الإنسان و الحيوانات و الْجِبَالَ أَرَسَاهَا أى ثبتها فى الأرض فجعلها راسية فكانت الأرض هكذا مَتَاعًا لَكُمْ وَ لِنِعَامِكُمْ أى أوجد فيها ما تستمتعون به أنتم و أنعامكم مما تخرجه الأرض من خيراتها العجيبة. ٣٤- ٤١- فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى ... أى إذا جاءت القيامة الهائلة المخيفة التي تظم على كل مصيبة و تفوقها. يَوْمَ يَنْذَرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى أى يكون ذلك التذكّر لما قدّمه الإنسان من عمل حين مجيء تلك الطامة الكبرى إذا بدت الجنّة للمؤمنين وَ بُرِّزَتِ الْجَحِيمُ أى أظهرت النار لِمَنْ يَرى من الخلق بحيث يراها جميع الخلائق رأى العين فَأَمَّا مَنْ طَغَى أى فأما الذى تجاوز حدود الله وَ آثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا أى فضّلها على الآخرة فَإِنَّ الْجَحِيمَ أى النار هِيَ الْمَأْوَى أى مقره الذى يؤول أمره إليه وَ أَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ أى خاف الوقوف بين يدى الحساب و خشى مساءلة ربه عما فعله و تركه وَ نَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى أى زجر نفسه و منعها عن ركوب المحارم التي تشتهيها فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى أى: فالجنّة مقره الذى يؤوى إليه. ٤٢- ٤٦- يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ... أى يسألك المنكرون للبعث يا محمد: متى يكون قيام القيامة المحدود الوقت و المكان؟ فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا أى و ما أنت على شيء من العلم بها و بذكر موعدها إِلَى رَبِّكَ مُتَتَّهَا و المعنى أن ربك

يعرف منتهى أمرها و منتهى علمها الذى لا يعرفه غيره إنما أنت مُنذِرٌ مَنْ يَخْشَاهَا أى فلست إلا مخوفاً ومُحذِّراً لكل من يخاف قيامها. كَانَهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا أى كأن الناس يوم يعاينون القيامة. لَمْ يَلْبَثُوا لم يبقوا فى الدنيا إلا عَشِيَّةً أو ضُحَاها سوى قدر بسيط من نهاية النهار أو من أوله. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٥٩٠

سورة عبس مكية، عدد آياتها ٤٢ آية

١- ١٠- عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ... لنزول هذه الفقرة من هذه السورة المباركة سبب هام. هو أنها نزلت فى رجل من بنى أمية كان عند النبى (ص) فجاء ابن أم مكتوم فليما رآه تقذّر منه و جمع نفسه و عبس و أعرض بوجهه عنه فحكى الله سبحانه ذلك و أنكره عليه. عَبَسَ يعنى قبض وجهه و بسر و تَوَلَّى أعرض بوجهه أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى يعنى لأن جاءه ذلك الأعمى و ما يُدِيرِكُ و من عَرَفَكَ لَعَلَّه لعل هذا الأعمى يَزَكِّي يتطهر بالطاعة و العمل الصالح بفضل ما يتعلمه منك أو يَذْكُرُ يذكّر و يعتبر بالقرآن و بمواعظك فَتَنَفَعَهُ الذّكْرُ فيستفيد من عبرته أَمَّا مَنْ اسْتِغْنَى كان متمولاً و كبيراً فى عشيرته فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى تتعرض له فتقبل عليه بوجهك و مَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَكِّي أى: أى شىء يلزمك إن لم يسلم و لم يتطهر من كفره؟ و أَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَشِيْعِي أَمَّا الذى قصدك ساعياً فى طلب الخير، و هو ابن أم مكتوم و هُوَ يَخْشَى يخاف الله فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى فأنت تتشاغل عنه بغيره. ١١- ٢٣- كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ ... كَلَّا أى امتنع عن ذلك و انزجر عنه إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ أى أن آيات ربك موعظة لك و لسائر الناس فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ أى من أراد لنفسه الخير ذكر الآيات و القرآن و اتعظ فى ضِيْحَفٍ مُكْرَمَةٍ أى هذا القرآن أو التذكرة فى كتب معظمه عند الله و هى اللوح المحفوظ القرآن العظيم مَرْفُوعَةٍ عَالِيَةٍ عن كل دنس مرفوعة فى السماء مُطَهَّرَةٍ مصونة عن أن تدنسها أيدي الكفرة و قيل مطهرة من الشك فيها أو التناقض بِأَيْدِي سَفَرَةٍ أى بأيدي سفراء الوحى بين الله تعالى و رسله. كِرَامٍ كرام عند ربهم و هم أعزّاء عنده بَرَرَةٍ مطيعين سامعين له. قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ أى عذّب الإنسان و لعن إذا ما أشد كفره، قيل المعنى هو أمية بن خلف، و قيل أراد به كل كافر. و قيل: إن ما للاستفهام و الكلام يعنى: أى شىء أدّى به إلى الكفر. مِنْ أَى شَيْءٍ خَلَقَهُ؟ أى فليُنظر إلى خلقه و ابتداء وجوده. و الاستفهام للتقرير مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ أى أوجد أصله من تلك النطفة أطواراً نطفة ثم علقه ثم مضغه إلخ ثم قدّر عمره و رزقه و كل ما يتصل به. ثُمَّ السَّيْلَ يَسْرُهُ يعنى أنه سهّل له سبيل الخروج من بطن أمه، و قيل يسر له طريق الهداية ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ أى قضى بإنهاء حياته، و انتهى به الأمر إلى أن يقبره الناس فى لحد. ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ أى إذا أراد أحياء فى قبر و بعثه يوم القيامة. كَلَّا أى حقاً لَمَّا يَقْضِ ما أَمَرَهُ أى أنه قصير فى عمله و لم يؤدّ حقّ الله تعالى بعبوديته له. ٢٤- ٣٢- فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ... أى: يجب أن ينظر الإنسان إلى ما يأكله من سائر أنواع مشتهياته و يفكر كيف مكّنه الله تعالى من الانتفاع بها ليرى أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا أى أنزلناه من السماء إنزالاً. ثُمَّ شَفَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا أى فتقناها بالنبات الذى يخرج منها بعد المطر فَأَتْبَتْنَا فِيهَا فى الأرض حَبًّا أى جميع الحبوب المفيدة للتغذية و الحفظ و عِنَبًا وَقَصْبًا ذكر العنب لجزيل فائدته، و ذكر القصب: أى القصب الرطب يقطع، مرّة بعد أخرى و يعطى علفاً للحيوانات وَ زَيْتُونًا و هو ما يؤكل و يستخرج منه الزيت وَ نَخْلًا جمع نخلة و هى التى تعطى الرطب و التمر وَ حَدَائِقَ غُلْبًا يعنى و بساتين مسورة ذات أشجار وارفة وَ فَاكِهَةٍ جميع أنواع الفواكه وَ أَبًّا و هو العشب الذى يكون فى المراعى ترعاه الحيوانات و لا يزرعه الإنسان متاعاً لَكُمْ وَ لِأَنْعَامِكُمْ أى جعل ذلك منفعة لكم و للأنعام التى تستفيدون منها. ٣٣- ٤٢- فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاحَّةُ ... عاد سبحانه و تعالى إلى ذكر يوم القيامة ليتبه الناس إلى ما ينتظرهم فى الآخرة، و الصّاحّة هى صيحة القيامة التى تصخّ الآذان: أى تطرقها حتى تكاد تصمّها. يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ إلخ يهرب من هؤلاء جميعاً. و صاحبة هى الزوجة. لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ أى أن لكل إنسان فى ذلك اليوم حال تحول بينه و بين أقربائه و تشغله عنهم كما تشغلهم عنه، و معنى يُغْنِيهِ هنا: يكفيه وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفَرَةٌ أى تكون بعض الوجوه فى ذلك اليوم مشرقة منيرة صَاحِكَةً مُسْتَبْشِرَةً مسرورة فرحة تتبأشر بالشواب الذى أعدّه لها الله وَ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٥٩١ أى عليها سواد و هم ظاهر ترهقها قَتَرَةٌ أى يغشاها سواد و انكساف عند مشاهدة النار أُولَئِكَ أى أصحاب تلك الوجوه هم

الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالَّذِينَ وَكَانَتْ أفعالهم فاجرة.

سورة التكويد مكية، عدد آياتها ٢٩ آية

١- ١٤- إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ... ما زال سبحانه يتحدث عن علامات و أحوال يوم القيامة الذى ذكر بعض حالاته فى سورة (عبس) السابقة. والمعنى أنه إذا كُوِّرَت الشمس فذهب ضوؤها و أظلمت و إذا تساقطت النجوم و انتشرت و إِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ أى نسفت عن وجه الأرض و أصبحت هباء كالسراب و إِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ العشار هى النوق الحوامل التى أتى عليها عشرة شهور، فإذا هى قد تركت مهملة بلا- راع و إِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ أى إذا جمعت يوم القيامة ليقترض بعضها من بعض و إِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ أى أرسل عذبها على مالحها و بالعكس و تفجر بعضها على بعض فصارت بحرا واحدا- و قيل أوقدت فصارت نارا تضطرم و إِذَا الْتُفُّوسُ زُوِّجَتْ أى إذا قرن كل شكل من الناس مع شكله من أهل الجنة أو من أهل النار. و إِذَا الْمَوْؤُدَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ أى و إذا سئلت البنت التى دفنها أهلها حية خوفا من عارها إذا كبرت: بأى ذنب قتلت؟ و هو سؤال توبيخ لقاتلها. و إِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ يعنى إذا فتحت كتب أعمال الناس التى كتبها الملائكة الحفظة عليهم ليقراها أصحابها و إِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ أى أزيلت عن موضعها كما يكشف الجلد حين يسلم عن الحيوان المذبوح. و إِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ أى إذا أوقدت و ازداد ضرامها و إِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ يعنى إذا قربت من أهلها عِلِمَتْ نَفْسٌ ما أَحْضَرَتْ أى علمت ما وجدته حاضرا من عملها الذى جنته. ١٥- ٢٢- فَلَا- أَقْسِمُ ... فلا أقسم: يعنى: أقسم، لأن فلا- زائده، فهو تعالى يقسم بمخلوقاته الدالة على عظمته بِالْخُنُوسِ أى النجوم التى تظهر فى الليل و تخفى أى تختفى و تستتر فى النهار الجوارى هى صفة للنجوم لأنها تجرى فى أفلاكها الخاصة بها و الْكُنُوسِ صفة من صفاتها أيضا لأنها تطلع و تتوارى فى بروجها كما تتوارى الطباء فى كناسها. و اللَّيْلُ إِذَا عَسَيْتَ يعنى إذا أدبر بظلامه و قيل إذا أقبل بظلامه أيضا و العسيسة من الأضداد و الصُّبْحُ إِذَا تَنَفَّسَ إِذَا أسفر و أضاء و امتد ضياؤه إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ هذا جواب القسم، أى و حق ما ذكرناه إن القرآن قول رسول كريم على الله تعالى، و هو جبرائيل (ع)، قد حمل كلام الله سبحانه الذى أنزله على لسانه إلى نبيه (ص). ذى قُوَّةٍ على تبليغ ما حملناه من الرسالة، و ذى قدرة فى نفسه عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ أى هو ذو مكانه عند صاحب العرش تبارك و تعالى مُطَاعٌ ثُمَّ أى أنه مطاع هناك فى السماء، تطيعه الملائكة فيها أَمِينَ مؤتمن على الوحي و الرسالات السماوية ... و ما صاحبكم بِمَجْنُونٍ أى ليس محمد (ص) الذى يدعوكم إلى الله قد غطى على عقله فلا يدرك الأمور و لَقَدْ رَأَاهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ أى أن محمدا (ص) رأى جبرائيل (ع) بحسب صورته التى خلقه الله تعالى عليها حيث تطلع الشمس، و هو الأفق الأعلى من ناحية المشرق و ما هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ أى: ليس ببخيل فيما يؤدى عن الله تعالى. و قرئ بظنين- بالطاء- أى: و ليس هو بمتهم على وحي الله تعالى و ما هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ أى ليس هذا القول بقول شيطان ملعون، رحمه الله باللعنة فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ أى فأى طريق تسلكونه و لم يميلون عن هذا القرآن الذى هو هدى و شفاء إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ أى ليس القرآن سوى موعظة للخلق لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ و إنه سيكون كذلك لمن أراد منكم الاستقامة على أمر الله و طاعته و ما تَشَاوُنَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ أى و ما تريدون الاستقامة على الحق إِلَّا إذا أَرَادَهَا اللَّهُ تعالى لكم لأنه خلقكم لها و كلفكم بها فمشيته قبل مشيئكم. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٥٩٢

سورة الانفطار مكية، عدد آياتها ١٩ آية

١- ٥- إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ، و إِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ ... أى إذا انشقت السماء و تقطعت قطعا، و تساقطت النجوم سودا لا ضوء لها. و إِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ أى فتح بعضها على بعض فاختلط عذبها بمالحها، و قيل ذهب ماؤها و إِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ أى قلب ترابها و بعث الموتى فأخرجوا منها يوم النشور عِلِمَتْ نَفْسٌ ما قَدَّمَتْ و أَخَّرَتْ أى عرفت ما قدمت من خير أو شر و ما أخرت من سنة حسنة استن بها بعده له أجر من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شىء. ٦- ١٢- يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا عَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ... أى ما الذى خدعك أيها

الإنسان بخالقك و رازقك و غشك بأن سؤل لك بالباطل حتى أنكرته و عصيته مع أنه كريم خلقك و لم يخل عليك بنعمة من نعمة التي لا تحصى؟ الذي خلَقَكَ ابتدعك من نطفه و لم تكن شيئاً فَسَوَّاكَ جعلك إنساناً سميعاً بصيراً فَعَدَّلَكَ صَيَّرَكَ معتدلاً في خلقتك و أعضائك في أئى صُورَةٍ ما شاءَ رَكَّبَكَ أى في أى صورة تشبه الأب أو الأم أو العم أو الخال أو الجد أو غيرهم جعلك. كلاً أى مهلاً فليس الأمر كما تزعمون أيها الكافرون بالبعث بل أنتم تُكَذِّبُونَ يا معشر الكفار بالدين الذي جاء به رسولنا محمد (ص) و هو الإسلام و إِنَّ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ رسلًا من الملائكة يحفظون ما تعملونه و يسجلونه في صحائف أعمالكم كراماً أى مكرمين عند ربهم كاتبين ما تقولونه و ما تفعلونه يَعْلَمُونَ ما تَفْعَلُونَ يعرفون أعمالكم من خير أو شر فيسجلونها في صحائف أعمالكم. ١٣- ١٩- إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ... أى إن المؤمنين المطيعين من أوليائه و عباده الصالحين، يكونون منعمين بنعيم الجنة و إِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ أى و إن الكفار المكذبين للنبي (ص) العاصين لأوامر ربهم في النار العظيمة الاشتعال يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ يعنى يكونون فيها يوم القيامة و ما هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ لا يغيبون عنها و لا يغيبون لأنهم مؤيدون في عذابها. و ما أدراك ما يَوْمُ الدِّينِ أى و ما حد معرفتك عن يوم الدين، و في هذا التعبير تنبيه على شدة أهواله ثُمَّ ما أدراك ما يَوْمُ الدِّينِ كثرها سبحانه تعظيماً لشأنه و تنبيها لشدة و عظيم حاله يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً أى لا يملك حق الدفاع عن مستحقى العذاب أحد، و لا تقدم نفس لنفس نفعاً و الْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ فالحكم بيده سبحانه و هو يثيب و يعاقب، و يعفو و ينتقم.

سورة المطففين مكية، عدد آياتها ٣٦ آية

١- ٦- وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ التطفيف هو نقص المكيال و الميزان. و المعنى: ويل لأولئك الذين يسرقون في الميزان و الميكال الشيء الطفيف الذين إذا اُكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ أى الذين إذا كالوا لأنفسهم ما على الناس يَسْتَوْفُونَ يأخذون حقهم وافيًا و إذا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ أى إذا كالوا للناس أو وزنوا لهم حقهم، ينقصون من ذلك الحق. ألا يَظُنُّ أى أ فلا يعتقد أولئك المخسرون أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ معادون أحياء ليوم عظيم هو يوم القيامة يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ بَعْدَ الْمَوْتِ لِزَبِّ الْعَالَمِينَ أى لأمره و بأمره للجزاء و الحساب. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٥٩٣ ٧- ١٧- كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ ... كلاً: كلمه ردع و زجر، و المعنى: انزجروا عن المعاصي فإن الأمر ليس على ما أنتم عليه فإن كتاب الفجار الحاوى لما ارتكبتموه من الفجور و عظام الأمور لفي سجين، و هو على ما قيل: هى الأرض السابعة و قيل إن سجين جب فى جهنم مفتوح. و قيل هو اسم لكتاب أعمالهم. و قيل غير ذلك .. و ما أدراك ما سِجِّينٌ أى و ما علمك به يا محمد كِتَابٌ مَرْقُومٌ أى مسجل رقم لهم فيه ما عملوه من السيئات و ختم لهم فيه بشر و يَلُّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ هذا تهديد لمن يكذب بالبعث و الجزاء الذين يُكَذِّبُونَ يَوْمَ الدِّينِ أى بيوم الجزاء لأنه يكذب بحق لا ريب فيه و ما يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ أى أنه يكذب به التارك للحق المتبع للباطل الكثير الإثم الذى إذا تَلَّى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ أى إذا قرئ عليه القرآن قال هذا من أباطيل الأمم السابقة كَلَّا يَلِ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ ما كانوا يَكْسِبُونَ أى: لا، فليس الأمر كما زعموا، بل غلب على قلوبهم الزين و هو أن يتراكم الذنب فوق الذنب حتى يموت القلب و لا يعد الذنب ذنباً. كَلَّا أى: لا فإنهم لا يصدقون إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ أى أن هؤلاء الفجار يحال بينهم و بين رحمته ربهم و إحسانه يوم القيامة ثُمَّ إِنَّهُمْ بعد ذلك لَصَالُوا الْجَحِيمِ أى أنهم يلازمون حر جهنم ثُمَّ يُقَالُ لَهُمْ تَقْرِيعاً و توبيخاً: هَذَا الَّذِى كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ أى هذا هو العقاب الذى أنكرتموه فى دار الدنيا. ١٨- ٢٨- كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ... بعد أن بين سبحانه حال الكفار و الفجار، قال: كلاً، أى حقاً إن كتاب المطيعين لله فى مكانة عالية معظمة. و قيل إنها فى السماء السابعة حيث أرواح المؤمنين و ما أدراك ما عِلِّيُّونَ و هذا تعظيم لشأن تلك المنزلة السامية كِتَابٌ مَرْقُومٌ أى مسجل فيه جميع أعمالهم الصالحة و فيه ما يسرهم يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ يعنى يحضره و يشهد عليه الملائكة المقربون. إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ أى أنهم فى أنواع من النعمة، و فى ملاذ من الجنة و هم عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ أى يجلسون على الحجال و السُرر و الكراسى الوفيرة و يتأملون ما منحهم الله من النعم تعرف فى وجوههم نَصْرَةَ النَّعِيمِ يعنى إذا شاهدتهم عرفت أنهم من أهل النعمة لأن وجوههم

تطفح نورا و سرورا يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ أى يشربون خمرا صافية ختمت برائحة المسك ختامه مسك آخر طعمه ريح المسك. و قيل ختم الإناء بالمسك بدلا عن الطين وغيره و فى ذلك فليتنافس المتنافسون أى ففى مثل هذه النعمة يتبارى المتبارون، و يتنازع المتنازعون السيق إليه و مزاجه من تشينيم أى أن ذلك الرحيق المختوم يمزج من عين فى الجنة تسمى تسنينا فيها أشرف شراب فى الجنة عينا يشرب بها المقربون فهى خالصة لهم يشربونها صرفا و يمزج بها لسائر أهل الجنة. ٢٩-٣٤- إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ... أى أن مشركى قريش كأبى جهل وغيره كانوا يسخرون من المؤمنين برسالة محمد (ص) فى دار التكليف و يعيون عقيدتهم و عبادتهم، و ذلك بسبب إنكارهم و إذا مروا بهم يتغامزون أى و كانوا إذا مر بهم المؤمنون يشير بعضهم إلى بعض بالأعين و الحواجب سخرية و استهزاء كونهم من اتباع محمد (ص) و إذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين أى إذا عاد هؤلاء الكفار إلى أهلهم و ذويهم عادوا و هم يتفكّهون و يضحكون مِمَّا عملوه مع المؤمنين و إذا رَأَوْهُمْ قالوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ أى إذا شاهدوهم كانوا يقولون: إنهم ضائعون عن طريق الصواب، قد خدعهم محمد (ص) و ما أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ أى و لم يجعل الكفار حافِظِينَ على المؤمنين، و لا- أحد كلهم بمراقبه أعمالهم و تقييما فاليوم يوم القيامة الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ منهم و يسخرون كما سخر الكفار منهم فى الدنيا. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٥٩٤ ٣٥- عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ يعنى ينظرون إلى عذاب أعدائهم هل تُوبَ الْكُفَّارُ ما كانوا يَفْعَلُونَ يعنى: هل جوزى الكفرة بأعمالهم السيئة؟ و قد استعمل لفظه الثواب مكان العقاب هنا لأن الثواب فى اللغة جزاء و العقوبة جزاء أيضا.

سورة الإنشقاق مكية، عدد آياتها ٢٥ آية

١-٦- إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ وَ أَدْنَتْ لِرَبِّهَا وَ حُحَّتْ ... المعنى: إذا تصدعت السماء و انفجرت، و استمعت لأمر ربها و انقادت لتدبيره و قد حق لها أن تأذن بالانقياد فى ذلك. و ذلك من علامات القيامة و إذا الْأَرْضُ مُدَّتْ أى انبسطت بعد دكّ الجبال و نسفها و صارت كالصحيفة الملساء. و أَلْقَتْ مَا فِيهَا لَفْظَتْ مَا فِيهَا مِنَ الْمَوْتِ وَ تَخَلَّتْ أى تركت كل ما فى بطنها. و قيل: أَلْقَتْ مَا فى بطنها من كنوزها و معادنها، و تَخَلَّتْ مِمَّا على ظهرها من الجبال و غيرها وَ أَدْنَتْ لِرَبِّهَا وَ حُحَّتْ و هذا ليس تكرر لأن الآية الأولى فى صفة السماء، و هذه الآية فى صفة الأرض يا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا أى: إنك ساع إلى ثواب ربك سعيًا متعبًا، و أنت تعمل عملا تتحمّل مشقته لتحمله معك ليوم الله العظيم. فَمَلَايِقِهِ فَأَنْتَ مَلَاقٍ لِحِزَائِهِ، فكان لقاء الثواب أو العقاب لقاء له. ٧-١٥- فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ يَمِينِهِ ... أى من أعطى صحيفة أعماله التى أثبتت فيها جميع طاعاته بيده اليمنى فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا أى أنه لا يناقش بشيء و لا يعاتب على السيئات التى تاب عنها و قيل إن الحساب اليسير هو التجاوز عن السيئات و الإثابة على الحسنات وَ يَنْقَلِبُ يَعُودُ بعد الحساب إلى أَهْلِهِ مَسْرُورًا فرحًا بما أُوتِيَ من رحمة و كرامة. و أهله هنا هم ما أعدّه الله له من الحور العين و قيل: أزواجه و أولاده و عشيرته التى سبقته إلى الجنة وَ أَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ذلك أن يده اليمنى مغلوله إلى عنقه، فإنه يعطى صحيفة أعماله بيده اليسرى المشدودة إلى وراء ظهره، و هذه إمارة على أنه من أهل النار فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا أى ينادى بالويل و الهلاك معولا باكيا وَ يَصْلى سَعِيرًا يدخل فى النار و يعذب فيها إِنَّهُ كَانَ فى دار الدنيا فى أَهْلِهِ مَسْرُورًا ناعما فرحًا لا يهتم بشئون الآخرة إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ أى اعتقد فى الدنيا أنه لا يرجع إلى الحياة بعد الموت بلى أى ليرجعن و ليحاسبن إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا لم يغب عنه شيء من أمره منذ خلقه إلى أن توفاه و بعثه. ١٦-٢٥- فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ ... أى أقسم بالحمرة التى تظهر عند الغروب فى الأفق و تخفى بعد قليل و الليل و ما وَسَقَى أى و ما ضمّ و جمع لأن ظلمة الليل تجعل كل حى يأوى إلى مسكنه و الْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ أى إذا تكامل و صار بدرا متناسق الجهات لَتَرْكَبَنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ فهذا جواب القسم يعنى لترتقن حالا بعد حال فى الآخرة بحيث تصيرون على غير الحال التى كنتم عليها فى الدنيا، و عَنْ هُنَا بمعنى (بعد) أى طبقا بعد طبق فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ أى ما بال كفّار قريش لا يصدّقون بنبؤة محمد (ص) و هو استفهام إنكار لحالهم إذ لا عذر لهم فى الانصراف عن الإيمان مع قيام الحجّة القاطعة عليه. و إِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ يعنى

أنهم ما بالهم لا يؤمنون ولا يسجدون كما أمروا في القرآن بالصلاة التي منها السجود بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ أَى أَنَّهُمْ يَكْذِبُونَ بقولنا تقليدا لأسلافهم ولم يصرفهم عن الإيمان قصور الفهم ولا عدم وجود البرهان وَاللَّهُ أَعْلَمُ هُوَ سُبْحَانَهُ أَعْرِفَ بِمَا يُوعُونَ بِمَا يَضْمُرُونَ فِي نَفْسِهِمْ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ أَى يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْهُمْ بِعَذَابٍ مُوجِعٍ وَاجْعَلْ ذَلِكَ لَهُمْ بَدَلَ الْبَشَارَةِ لِلْمُؤْمِنِينَ بِالرَّحْمَةِ وَالْمَغْفِرَةِ. إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ فَهَؤُلَاءِ الْمَصْدُقُونَ بِكَ نَعِطِهِمْ أَجْرًا غَيْرَ مُنْقُوصٍ وَلَا مُنْقَطِعٍ وَلَا مَكْدَرٍ بِالْمَنْ. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٥٩٥

سورة البروج مكية، عدد آياتها ٢٢ آية

١- ٩- وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ... أَقْسَمُ سُبْحَانَهُ بِالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ: مفردا برج، و هي هنا منازل الشمس والقمر والكواكب والتي هي اثنا عشر منزلا أو برجا. كما أقسم بيوم القيامة الذي يتم فيه الفصل والحساب وشاهد وشهود قيل إن الشاهد هو يوم الجمعة، والمشهود يوم عرفة وقيل أيضا الشاهد يوم النحر، والمشهود يوم عرفة، والشاهد محمد (ص)، والمشهود يوم القيامة. وقيل إن الشاهد هو الملك الذي يشهد على ابن آدم بما عمله، كما قيل إنها أعضاء المرء تشهد عليه. قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ جَوَابَ لِلْقَسَمِ، أَى وَحَقَّ مَا ذَكَرْنَاهُ لَعَنَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ، الَّذِي هُوَ الشَّقَّ الْعَظِيمُ فِي الْأَرْضِ. لَعَنُوا بِحَرْقِ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا لِمَجْرَدِ أَنَّهُمْ مُؤْمِنُونَ. أَمَّا قِصَّةُ أَصْحَابِ الْأُخْدُودِ فَمَعْرُوضَةٌ فِي الْمَوْسُوعَاتِ. النَّارُ ذَاتِ الْوُقُودِ وَكَلِمَةُ النَّارِ بَدَلٌ مِنَ الْأُخْدُودِ، وَهُوَ بَدَلٌ اشْتِمَالٌ لِأَنَّ الْأُخْدُودَ يَشْتَمِلُ عَلَى مَا فِيهِ مِنَ النَّارِ. وَعِبَارَةُ ذَاتِ الْوُقُودِ صِفَةٌ لَهُ. وَهَذِهِ الْعِبَارَةُ إِشَارَةٌ إِلَى كَثْرَةِ حَطَبِ هَذِهِ النَّارِ وَتَعْظِيمِ لِأَمْرِهَا. إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ إِنْ خَالَ حَيْثُ كَانَ الْكَفَّارُ قَاعِدِينَ مِنْ حَوَالِي النَّارِ يَعْدُونَ الْمُؤْمِنِينَ بِهَا وَهُمْ عَلَى كِرَاسِيهِمْ يَشْهَدُونَ ذَلِكَ الْعَذَابَ لِلْمُؤْمِنِينَ. وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ أَى مَا كَرِهُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ إِلَّا تَصْدِيقَهُمْ بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْقَوِيُّ الَّذِي لَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ شَيْءٌ الْحَمِيدُ الْمَحْمُودُ فِي سَائِرِ تَدَايِيرِهِ وَأَفْعَالِهِ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَرَّ مَعْنَاهُ. وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ أَى أَنَّهُ شَهِدٌ عَلَيْهِمْ أَيْضًا لِأَنَّهُ شَهِدٌ عَلَى فَعْلِهِمْ بِالْمُؤْمِنِينَ وَسَيَعَابِهِمْ عَلَيْهِ. ١٠- ٢٢- إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ... أَى الَّذِينَ أَحْرَقُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِالنَّارِ وَعَذَّبُوهُمْ بِهَا لِإِيْمَانِهِمْ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا لَمْ يَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ مِنَ الشَّرْكِ الَّذِي هُمْ عَلَيْهِ. فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمَ جَزَاءَ كُفْرِهِمْ وَشُرْكَهُمْ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ جَزَاءَ حَرْقِهِمْ لِلْمُؤْمِنِينَ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا صَدَّقُوا بِاللَّهِ وَوَحْدَهُ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قَامُوا بِالطَّاعَاتِ الْمَطْلُوبَةِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ مَرَّ تَفْسِيرِهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ أَى: وَهَذَا هُوَ النِّجَاحُ الْعَظِيمُ وَالظَّفَرُ بِالثَّوَابِ الْجَزِيلِ. إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ أَى أَنْ أَخَذَ رَبُّكَ - يَا مُحَمَّدُ - لِلْكَافِرِينَ بِالْعَذَابِ أَخَذَ أَلِيمٌ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ يَعْنِي أَنَّهُ سُبْحَانَهُ يَبْدِئُ الْخَلْقَ فِي الدُّنْيَا وَيُعِيدُ أَوَّلُئِكَ الْخَلْقَ أَحْيَاءَ بَعْدَ الْمَوْتِ التَّائِبِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الْوُدُودُ الْمَحَبُّ لِعِبَادِهِ الصَّالِحِينَ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ صَاحِبُ ذَلِكَ الْعَرْشِ ذِي الْعِظَمَةِ وَالرَّفْعَةِ. وَأَكْثَرُ الْقُرَاءَةِ فِي الْمَجِيدِ الرَّفْعُ لِأَنَّهُ هُوَ سُبْحَانَهُ الْمَوْصُوفُ بِالْمَجْدِ فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَلَا يَعْجِزُهُ شَيْءٌ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ أَى هَلْ بَلَغَكَ خَبَرُ أَوَّلُئِكَ الَّذِينَ جَنَدُوا أَنْفُسَهُمْ لِمَحَارَبَةِ أَنْبِيَائِهِ وَرَسُولِهِ فُزِعُونَ وَثَمُودَ بَدَلٌ مِنَ الْجُنُودِ وَكَيْفَ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ بِالْإِغْرَاقِ وَبِالصَّيْحَةِ. بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قُرَيْشٍ وَغَيْرِهِمْ فِي تَكْذِيبِ لِقَوْلِكَ وَلِلْقُرْآنِ وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ فَهَمْ لَا يَفُوتُونَهُ لِأَنَّهُمْ فِي سُلْطَانِهِ وَفِي قَبْضَتِهِ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ وَهَذَا الْقُرْآنُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْكَ: كَرِيمٌ لِأَنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ، وَعَظِيمٌ السَّخَاءُ بِمَا يُعْطَى مِنَ الْخَيْرِ الْعَمِيمِ وَالنَّفْعِ الْكَثِيرِ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ أَى أَنَّهُ عِنْدَنَا مَحْفُوظٌ مِنَ التَّغْيِيرِ وَالتَّبْدِيلِ وَالزِّيَادَةِ وَالنَّقْصَانِ. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٥٩٦

سورة الطارق مكية، عدد آياتها ١٧ آية

١- ٤- وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ... هَذَا قِسْمٌ مِنْهُ سُبْحَانَهُ بِالسَّمَاءِ وَبِالطَّارِقِ، أَى بَرَبِّ السَّمَاءِ وَالطَّارِقِ وَمَا أَدْرَاكَ أَى وَمَا عَلِمَكَ يَا مُحَمَّدُ مَا الطَّارِقُ فَلَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ (ص) لِيَعْرِفَهُ لَوْلَا بَيَانُهُ فِيمَا يَلِي. النَّجْمُ الثَّاقِبُ يَعْنِي: الْكَوْكَبُ الْمَضِيءُ ضِيَاءً سَاطِعًا، أَمَّا جَوَابُ الْقِسْمِ فَهُوَ: إِنَّ

كُلَّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ يَعْنِي: ما كُلَّ نفس إلّا عليها حافظ من الملائكة يحفظ أعمالها و يحصى أقوالها. ٥- ١٠- فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ ... أى فلينظر المكذب بالبعث و ليتدبر ممّ خُلِقَ أى من أى شىء خلقه الله و كيف أنشأه حتى يعرف أن الذى ابتدأه من هذه النطفة قادر على إعادته. خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ أى من ماء منصّب فى رحم المرأة، و هو المنى يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَ التَّرَائِبِ أى من بين ظهر الرجل و موضع القلادة من صدر المرأة أى بين الثديين. إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ أى: إن الله الذى خلق الإنسان من هذا الماء قادر على إرجاعه حيّا بعد الموت. يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ أى يوم القيامة حين تظهر و تختبر أعمال بنى آدم التى أكثرها كان سرّاً بين الله و العبد. فَمَا لَهُ أى ليس لهذا الإنسان المنكر للبعث مِنْ قُوَّةٍ تمنع عنه العذاب وَ لا- نَاصِرٍ يعينه على دفع غضب الله. ١١- ١٧- وَ السَّمَاءِ ذَاتِ الرِّجْعِ، وَ الْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ... هذا قسم منه سبحانه بالسماء ذات المطر و بالأرض ذات التشققات و التصدعات التى يخرج منها النبات و الأشجار. و جواب القسم هو: إِنَّهُ لَقَوْلُ فَضِيلٍ أى أن القرآن قول يفصل بين الحق و الباطل وَ مَا هُوَ بِالْهَزْلِ أى هو جدّ و ليس باللعب إِنَّهُمْ يَقْصِدُ مَشْرَكِي قَرِيشٍ يَكِيدُونَ كَيْدًا يحتالون و يمكرون بك يا محمد و بمن معك من المؤمنين وَ أَنَا أَكِيدُ كَيْدًا يَعْنِي: أريد أمرا يخالف ما يريدون، و أدبر ما يقضى على تدبيرهم و يحبط مكائدهم فَمَهْلُ الْكَافِرِينَ أى انتظر بهم يا محمد، و تربص تدبير الله فيهم أَمَهْلُهُمْ رُوَيْدًا أى أمهلهم قليلا.

سورة الأعلى مكية، عدد آياتها ١٩ آية

١- ٥- سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ... أى نزه ربك القادر بذاته و صفاته و الذى ليس فوقه قادر يا محمد عمّا لا يليق بذاته الكريمة الَّذِي خَلَقَ الْخَلْقَ جميعه فَسَوَّى بين مخلوقاته بالإتقان و الإحكام وَ الَّذِي قَدَّرَ فَهْدَى أى قَدَّرَ خلقه كل كائن على ما هو عليه ثم هدى جميع الأحياء لتحصيل معاشهم و أرزاقهم، كما هدى الناس إلى دينه وَ الَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى أى أنبت العشب و الكلاء لمنافع الحيوانات فَجَعَلَهُ أى المرعى غُثَاءً أَخْوَى يعنى جعله بعد الخضرة هشيمًا جافًا أسود كالذى يرى فوق السيل. و قيل: الأخوى الأخضر الشديد الخضرة يميل إلى السواد. ٦- ١٣- سَنُقَرِّبُكَ فَلَا- تَنْسَى ... أى سنعلمك قراءة القرآن يا محمد فلا تنساها. و قيل سيقراه عليك جبرائيل (ع) بأمرنا فتحفظه و لا تنساه. إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ سِوَى مَا أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَنْسِيكَ، إِيَّاهُ بِالنَّسْخِ أو برفع حكمه. إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَ مَا يَخْفَى أى أن الله تعالى يعلم العلن و السرّ. فلا تخفى عليه خافية. وَ نَسِيتُكَ لِلْيَسْرِ أى نسهل لك عمل الخير. فَذَكَرُوا إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى أى ذكّر الناس و عظمهم فإنما أنت مذكّر، و تذكيرك لهم نافع فى جعلهم مؤمنين، و فى امتناعهم كلا أو بعضا عن الشّرك و المعاصى. سَيَذَكَّرُ مَنْ يَخْشَى يعنى أنه سيستعظ و ينتفع من يخاف عقاب الله يَتَجَبَّهَهَا ينصرف عن الذكرى شَقَى أى الأكثر شقاء من العصاة. الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى أى يلزم أكبر نيران جهنّم و يكون من وقودها ثُمَّ لا- يَمُوتُ فِيهَا وَ لا يَحْيَى يعنى أنه لا يموت فيرتاح، و لا يعيش حياة يهنأ بها. بل يذوق أنواع العذاب. ١٤- ١٥- قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى وَ ذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ... يعنى فاز و نجح من طهر نفسه من الشّرك. و قيل: تزكّى: أعطى زكاة ماله. و قيل أراد صدقة الفطرة و صلاة العيد كما عن أبى عبد الله (ع). و كثيرين غيره. أمّا ذكر الله فقليل هو ذكره بقلبه عند الصلاة، و قصد الصلوات الخمس المكتوبة، بما فيها من خشوع و خشية و رجاء. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٥٩٧- ١٦- بَلْ تُؤَثِّرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا أى تختارونها على الآخرة و تفضّلونها عليها وَ الْآخِرَةُ خَيْرٌ وَ أَبْقَى أى و الدار الآخرة، يعنى الجنة. أفضل من الدنيا و أدام. إِنَّ هَذَا الَّذِي ذَكَرَ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى أى مذكور فى الصحف السابقة التى أنزلت على الرّسل قبل القرآن صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَ مُوسَى وَ الصّحُفِ: جمع صحيفة، و هو الأوراق المكتوبة التى تكون بين دفتين، أى الكتاب، و قد ذكر هنا إبراهيم و موسى (ع) كمثل على الأنبياء الذين أوتوا صحفا و نزلت عليهم كتب.

سورة الغاشية مكية، عدد آياتها ٢٦ آية

١- ١٦- هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ... هذا استفهام أراد به سبحانه التقرير، أى قد جاءك يا محمد خبر يوم القيامة التى تغشى الناس

فتجّلهم بأهوالها و مخاوفها. و قيل هي النار التي تغشى وجوه الكفار بالعذاب وُجوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ أى فى ذلك اليوم تكون وجوه ذليلة بالعذاب الذى ينزل بها عاملَةٌ ناصِبَةٌ يعنى أنها عامله فى الدنيا بالمعاصى، متعبة فى النار بمعالجة لهبها و سلاسلها تَصِلُ نَارًا حَامِيَةً أى تتلظى و تلزم الاحتراق فى نار قد بلغت حرارتها الغاية تُشَقِّى مِنْ عَيْنٍ آتِيَةٍ أى يكون شرابها من عين و قد بلغت النهاية فى الشدة و الحرارة لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ الضريع: نبت شائك تأكله الإبل و هو يضرّ و لا ينفع، و إذا يبس فهو أخبث طعام لا ترعاه دابته من الدواب. لا يُسَمِّنُ و لا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ فهو لا يردّ جوعا و لا يأتى بسمنه ... وُجوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ أى و فى ذلك اليوم تكون وجوه المؤمنين منعمه فى أنواع الملذات قد ظهر عليها أثر النعم الكثيرة فهى مسرورة مشرقة لِسَعِيْهَا رَاضِيَةً أى أنها راضية عن عملها للطاعات فى الدنيا الذى أدّى بها إلى الجنة. فى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ أى فى جنة مرتفعة القصور، عالية الدرجات. لا تَسْمَعُ فِيهَا لِغِيَّةٍ أى لا تسمع فى الجنة كلمة لغو لا فائدة منها فيها أى فى الجنة عَيْنٌ جَارِيَةٌ عبر هنا سبحانه عن الجنس إذ لكل إنسان فى قصره عين جارية من كل نوع من أنواع الشراب الذى يرغب فيه. فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ أى فى الجنة سرر عالية ما لم يجىء أهلها إليها، فإذا قصدوها تواضعت لهم و أَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ أى كؤوس موضوعة على حافات العيون و جوانبها إذا أراد المؤمن الشرب منها وجدها مملوءة. و تَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ أى: و فيها و وسائل مرتبة بعضها إلى جانب بعض و زُرَابِيٌّ مَبْتُوْثَةٌ يعنى: و بسط فاخرة، و طنافس مبسوطة و موزعة هنا و هناك. ١٧- ٢٦- أَفَلَا- يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ... ضرب الله تعالى لهم مثلا بخلق الإبل ... أى الجمال- لأنها كانت وسيلة عيش لهم. أى ألا يتفكرون و يعتبرون بخلق الإبل و ما جعل فيها من منافع إذ يخرج من ضروعها اللبن الصافى من بين الفرث و الدم، و قد ركب الله فيها من عجب الخلق و عظم إيهامه ثم ذلّلها للصغير و الكبير و سخّر لها لمنافع الناس و إِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ: أى أفلا ينظرون كيف رفع الله تعالى السماء فوقهم بلا عمد، و بث فيها الشمس و القمر و النجوم لمنافعهم و إِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ أى كيف جعلت أوتادا تثبت بها الأرض من أن تميد بأهلها و إِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ أى كيف بسطها سبحانه و جعلها واسعة يمشون فيها و لولا ذلك لما استطاعوا الاستقرار على ظهرها. فَذَكِّرْ يا محمد الناس فإن التذكير هو طريق العلم و سبيل المعرفة إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ تذكّرهم بعظمة الله و بنعمه الوفيرة، و تنبّههم إلى ما يجب عليهم من التوحيد و الشكر و العبادة لرّبهم لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ أى لست متسلطا عليهم تسلطا يجعلك حقيقا بإجبارهم على الإيمان إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَ كَفَرَ أى سوى من انصرف عن تذكيرك و دعوتك فكأنك لست مذكرا له لأنه لا يقبل منك، فدع أمره إلى الله فَيَعِذُّهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ أى يتولى إدخاله فى جهنم و الخلود فيها إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَتُهُمْ أى إن مرجعهم بعد الموت إلينا ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ أى محاسبتهم لإثابتهم أو مجازاتهم. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٥٩٨

سورة الفجر مكية، عدد آياتها ٣٠ آية

١- ١٤- وَالْفَجْرِ وَ لَيَالٍ عَشْرٍ ... هذا قسم منه سبحانه بالفجر الذى هو انفجار الصباح فى كلّ نهار، و قيل هو فجر ذى الحجة خاصة لأنه ذكر بعده الليالى العشر، و قيل هو فجر المحرم لأنه تتجدد عنده السنة، و قيل غير ذلك. و القسم بالفجر يدل على عظمة مفجّره بقدرته حيث قدّر دوران الأرض و منازل الشمس و إيلاج الليل فى النهار و النهار فى الليل. أما ذكر الليالى العشر و القسم بها، فذلك لأنها أيام الحج التى شرفها الله و رغب الناس فيها بالعمل الصالح. و فى قول أنها العشر الأواخر من شهر رمضان، ميقات موسى (ع)، و الأول أقرب للمعقول. ثم عطف على قسمه سبحانه قوله: وَالشَّفْعِ وَ الْوَتْرِ أى الزوج و الفرد من العدد. و قيل إن ذلك لما فى الحساب من النفع للناس. و قيل هى كل ما خلقه الله تعالى لأن جميع الأشياء إما زوج و إما فرد. و اللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى أى إذا سار و أدبر و مضى بظلامه، فإن سيره ذاك، المرتب من لدن خالق عظيم مدبر، يدل على عظمة خالقه و مدبره على تلك الحال. هَلْ فى ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ؟ أى هل فى ذكر هذه الأيمان التى أقسم بها سبحانه يمين تقنع صاحب العقل؟ و تدله على وحدانيه موجدتها و على عظمة صنعه و بديع تدبيره و حكمته. أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ هذه الحكاية اعتراض بين القسم المذكور و جوابه الذى لم يأت بعد. و هى خطاب للنبي (ص) و تنبيه للكفرة على ما جرى لمن سبقهم لما كفروا بالله و بأنبيائه و كتبه كعاد قوم هود إِرْمَ قالوا هو اسم قبيلة من

قوم عاد كان فيها الملك فقد كان (عادان) و إرم هي عاد الأولى، وقيل هو جد عاد المعروف بعاد بن عوص بن إرم إلخ ... وقيل هو اسم بلد هي دمشق ذات العِمَادِ العِمَاد جمع عمدة وهو ما تبنى به الأبنية والقصور، ويستعمل في الشرف فيقال: فلان رفيع العِمَاد، وقيل معناه ذات الطول والشدّة، وقيل إنهم كانوا طوال القامات فقال سبحانه في وصفهم الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ أى لم يخلق مثل تلك القبيلة في الطول والقوة و عمارة الأجسام، وهم الذين قالوا: من أشدّ منا قوة، والأصح أن ذات العِمَاد: ذات الأبنية العالية القائمة على الأعمدة القويّة، التي لم يخلق مثل أعمدتها وأبنيتها في جميع البلاد وَثُمُودَ الَّذِينَ جَاءُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ أى ألم تر كيف فعل ربك بشمود؟ وهذا عطف على سابقه. فثمود هم الذين قطعوا الصخر في الوادي الذي كانوا يسكنونها وهي وادي القرى. أو كانوا ينحتون من الجبال بيوتا. وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ أى فرعون موسى، صاحب الجنود الذين كانوا يشيدون ملكه ويقوّون سلطانه وقد دعاهم سبحانه، أوتادا. وقيل: إنه كان يعدّب أعداءه بأربعة أوتاد يشدّهم فيها باليدين والرّجلين ثم يتركهم مشدودين حتى يموتوا. الَّذِينَ طَعَوْا فِي الْبِلَادِ أى تجبروا وعصوا أنبياء الله فَكَثُرُوا فِيهَا أى في البلاد الفسّاد أى القتل والمعاصي على اختلافها فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ أى فجعل السوط الذي ضربهم فيه وأهلكهم عذاب الإهلاك في الدنيا قبل الآخرة. إِنَّ رَبَّكَ لَبَاسِمٌ بِأَن تَصَدَّ عِبَادَهُ وَلَا يَفُوتَهُ شَيْءٌ مِّمَّا هُمْ فِيهِ لِأَنَّهُ سَامِعٌ نَازِلٌ إِلَى سَائِرِ أَحْوَالِهِمْ. وقيل: إن قوله تعالى: إِنَّ رَبَّكَ لَبَاسِمٌ بِأَن تَصَدَّ عِبَادَهُ هو جواب القسم. وقيل: هو محذوف تقديره: ليقبض ربك على كل ظالم. ١٥-٣٠- فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ ... أى إذا امتحنه واختبره فَكَرَّمَهُ بِأَن أعطاه النعم الكثيرة وَنَعَّمَهُ جَعَلَ عِيشَهُ رَغِيْدًا بما أفاض عليه تلك النعم فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ أى أنه يسرّ بذلك ويقول إن ربّي وهبني ذلك كلّهُ لكرامتي عنده وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ بِالْحَاجَةِ أَوِ الْفَقْرِ التام فَقَدَّرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ يعنى فضيقه عليه فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ أى أنه يظن بينه وبين نفسه أنه ليس في محل كرامته من الله تعالى كلّهُ أى: ليس كما ظنّ هذا ولا كما ظنّ ذاك، فإنني لا أعطى الإنسان لكرامته عندي، ولا أحرمه لهوانه عليّ، ولكني أعطى من أشاء وأمنع من أشاء بحسب حكمتي بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ أى الولد الذي لا أب له فإنكم لا تعطونه مِمَّا وهبكم الله وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ أى لا تحثون على إطعامه ولا تتواصون بالصدقة عليه. وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أى إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٥٩٩ الميراث الذي يتركه الميت، وقيل هو هنا أموال اليتامى أَكُلًا لَمَّا أى أَكَلًا تَلْمُونَ به جميعا بحيث تأخذون نصيبكم ونصيب غيركم وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا أى شديدا ولا تنفقون زكاته ولا تصدّقون منه تطوعا. كلّهُ أى لا يكون الأمر كذلك ولو فعلتموه. وَكَلَّا كَلِمَةً زَجَرَ معناه: لا، لا تفعلوا هكذا، إِذَا ذُكِّرَ الْأَرْضُ ذُكَّا أى إذا زلزلت وانخسفت وتهدّم كل ما عليها، وقيل إذا دقّت جبالها واسترى أديمها وَجَاءَ رَبُّكَ أى جاء أمر ربك وحكمه وقضاؤه في يوم القيامة وَالْمَلَكُ وَكَانَ الْمَلَائِكَةُ حِينَئِذٍ صِفًا صِفًا حيث يكون أهل كل السماء صفّا وحده كما عن عطاء. وَجِئَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يعنى كشف عنها وأحضرت لمعاقبة من يستحقونها فيرى أهل الموقف جميعا أهوالها. يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ أى يوم يجاء بجَهَنَّمَ يتعظ الإنسان الكافر ويعتبر ولكن أَنَّى لَهُ الذِّكْرَى أى ومن أين له أن ينفعه التذكّر والاعتبار وقد كان ينبغي له أن يتذكّر ويعتبر في دار الدنيا. يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي أى يتمنى لو أنه عمل بالطاعات وفعل الصالحات لحياته الحقيقية الأبدية. فَيَوْمَئِذٍ أى يوم القيامة لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ أى لا يعذب عذاب الله سبحانه أحد من المخلوقين وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ أى لا يكبل الكفار بسلاسل النار كما يكبلهم ملائكة العذاب يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ أى الآمنة المؤمنة المصدّقة بالثواب التي اطمأنت إلى حسن عاقبتها ارجعي إلى ربك عودي إلى رحمة ربك وثوابه راضيةً بذلك الأجر العظيم مَرْضِيَّةً أَعْمَالُكَ عِنْدَ رَبِّكَ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي كُونِي فِي زمرتهم وَادْخُلِي جَنَّتِي التي وعدت بها عبادي الصالحين.

سورة البلد مكية، عدد آياتها ٢٠ آية

١-٥- لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ... تقدّم أن هذا معناه: أقسم بهذا البلد، وأن لا زائدة. أما الْبَلَدُ فهي مكّة يعنى أحلف ببلدك يا محمد وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ أى مقيم فيه، فكأنه قسم قد وقع من أجل حلوله (ص) به وَاللّهِ وَمَا وَلَدَ وَعَنِ بَذَلِكَ آدَمَ (ع) وَذَرِيَّتَهُ مِنْ

الأنبياء والأوصياء وأتباعهم. وقيل عنى بذلك إبراهيم (ع) وأولاده لأنه هو الذى بنى البيت الحرام لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ أَى خلقناه فى تعب ونصب وشدة جزاء القيام بالأمر والنهى فى مجال العبادات الشاقة وسائر الطاعات والواجبات أَيْحَسِبُ أَنْ لَنْ يَقْدَرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ أَى هل يزعم الإنسان أنه لا يقدر على عقابه والاقتصاص منه أحد إذا أمعن فى المعاصى وارتكاب الآثام؟ وهذا الاستفهام إنكارى. ٦-١٦- يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا ... أى كثيرا، وفى هذه الآية يحكى سبحانه مقوله هذا الإنسان الذى كان عدواً للنبي (ص) وهو يقول: قيل هو الحرث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف الذى أذنب ذنبا وسأل النبي (ص) عن ذلك فأمره أن يكفر، فقال: لقد ذهب مالى فى الكفارات والنفقات منذ دخلت فى دين محمد أَيْحَسِبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ فَيَسْأَلْهُ كَيْفَ اكْتَسَبَ هَذَا الْمَالُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وقيل كان كاذبا فى دعواه. أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ يَنْظُرَ بِهِمَا عِظْمَةُ الْمَخْلُوقَاتِ الدَّالَّةُ عَلَى عِظْمَةِ الْخَالِقِ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ يَنْطِقُ بِوَاسِطَةِ الْكُلِّ وَيَشْكُرُ الْكُلَّ وَيَشْكُرُ خَالِقَهُ وَرَازِقَهُ وَهَيْدِيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ أَى دللناه على سبيل الخير وسبيل الشر فلا أَفْتَحَمَ الْعُقْبَةَ أَى فلم يتجاوز هذا الإنسان الطريق الصعبة وهى مجاهدة النفس ومخالفة الشيطان للوصول إلى عمل الخير والقيام بالطاعات، وقيل إن العقبة هى الجسر الذى ينصب فوق جهنم، أى الصراط. فكأنه سبحانه قال: لم يحمل نفسه على المشقة بعنى الرقبة والإطعام وغيرهما وما أدراك ما الْعُقْبَةُ؟ أى ما هو ذلك الاقتحام للعقبة الذى ذكرناه؟ إنه فَكُّ رَقَبَةٍ تحريرا من أسر الرّق. وقيل أن يفك رقبة من الذنوب بالتوبة أو إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْجَبَةٍ أَى الإطعام فى أيام الجوع. يَتِيْمًا ذَا مَقْرَبَةٍ أَى أطعم يتيما من أقاربه ورحمه أو مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ أَى فقيرا محتاجا قد لصق بالتراب من شدة الجوع والفقر. ١٧-٢٠- ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا أَى فینبغى للإنسان مع هذه الأعمال المذكورة أن يكون مؤمنا مصدقا لعمل الخير ويقوم بالطاعات وتواصوا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ أَى وصّى بعضهم بعضا بالصبر على أداء الفرائض وترك المعاصى، وتواصوا كذلك بالتراحم وببذل الرحمة للفقراء منهم خاصة أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْإِيمَانِ أَى أنهم هم الذين تأخذ بهم الملائكة يوم القيامة إلى ناحية اليمين إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٦٠٠ و يعطونهم كتبهم بأيمانهم و الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا أَنْكَرُوا حَجْبَنَا وَدَلَّلْنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ أَى هم أهل الشؤم على أنفسهم ويؤخذ بهم إلى جانب الشمال و يعطون كتبهم بشمائلهم عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤَصَّدَةٌ أَى نار مطبقة مقلقة أبوابها عليهم.

سورة الشمس مكية، عدد آياتها ١٥ آية

١-١٠- وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا ... هذا قسم أيضا بالشمس وضحاها الذى هو امتداد ضوئها وانبساطه وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَاهَا أَى إذا تبعها و سار خلفها يستمد من نورها وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّاهَا أَى بدد ظلمة الليل وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَاهَا أَى يغطيها- يعنى الشمس حين يواربها عن الأنظار وَالسَّمَاءُ وَمَا بَنَاهَا يعنى و من بناها، فكأنه سبحانه أقسم هنا بذاته القدسية. وقيل هو: والسماء و بنائها المحكم الدقيق وَالأَرْضُ وَمَا طَحَاهَا أَى وبسطها وتسطيحها وَنَفْسٌ وَمَا سَوَّاهَا أَى و حق من سوى أعضائها وزانها بالعقل. فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا أَى عرّفها سبل الفجور وسبيل التقوى قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا هذا جواب القسم، يعنى قد فاز ونجح من زكّى نفسه بتطهيرها بالطاعات من الدنس والرّجس وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا أَى خسر من أضل نفسه وأحملها وجعلها دنيئة خسيئة. ١١-١٥- كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا ... أى كذبت ثمود، وهم قوم صالح (ع) بطغيانها وكثرة معاصيها إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا أَى كان تكذيبها حين خرج أشقى القوم لعقر الناقة. والانبعث معناه انتداب ذلك الشقى لعقرها وهو قياد بن سالف: هو أشقى الأولين. وقد قال النبي (ص) لعلى بن أبى طالب (ع): من أشقى الأولين؟ قال: عاقر الناقة. قال: صدقت، فمن أشقى الآخرين؟ قال: لا أعلم يا رسول الله. قال: الذى يضربك على هذه، وأشار إلى يافوخه. فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ أَى قَالَ صَالِحٌ لِقَوْمِهِ: نَاقَةُ اللَّهِ أَى أَحْذَرُكُمْ نَاقَةُ اللَّهِ، فلا تعقروها وسقيهاها أَى ودعوها وشربها فلا- تتعرضوا لها بسوء ولا تراحموها فَكَذَّبُوهُ أَى فكذبوه قومه ورفضوا قوله ولم يخافوا تحذيره بالعذاب فَعَقَرُوهَا أَى قتلوها فَدَمِدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ فَدَمَّرَ عَلَيْهِمْ وَأَطْبَقَ الْعَذَابَ عَلَيْهِمْ وَأَهْلَكَهُمْ بَلَائِهِمْ بمعصيتهم فَسَوَّاهَا أَى فاستوت المدمدمة- يعنى الهلاك والتدمير عليهم وعمتهم فشملت صغيرهم وكبيرهم وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا أَى لا يخاف سبحانه أَى تبعه تنشأ عن إهلاكهم لاستحقاقهم لذلك.

سورة الليل مكية، عدد آياتها ٢١ آية

١- ١١- وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ... هذا قسم منه سبحانه بالليل إذا أظلم فعطى النهار وأخفاه وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى يعنى إذا ظهر و بان مشرقاً بنوره وما خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى (ما) هنا بمعنى الذى، أى و الذى خلقهما. و قيل عنى بذلك آدم و حواء (ع)، و قيل قصد النوع: إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى هو جواب القسم، فقد أقسم سبحانه بما تقدّم أن أعمالكم مختلفة بعضها يؤدى إلى الجنة و بعضها يؤدى إلى النار فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَ اتَّقَى لهذه الآية قصة نزلت بسببها، و هى أن رجلاً كانت له نخلة مائلة تتدلى فروعها فى دار رجل فقير ذى عيال. و كان صاحب النخلة إذا صعد إليها ليقطف من ثمرها ربما سقطت ثمرة فتناولها أحد أولاد الفقير، فكان ينزل صاحب النخلة فيأخذ الثمرة من الصبي حتى و لو وجدها فى فمه أدخل إصبعه و أخرجه من فمه. فشكا الفقير ذلك إلى النبي (ص) و أخبره بما يلقى من صاحب النخلة فقال له (ص)، اذهب. ثم لقي رسول الله (ص) صاحب النخلة فقال له: تعطينى نخلتك المائلة التى فرعها فى دار فلان و لك بها نخلة فى الجنة؟ فقال له الرجل: إن لى نخلا كثيراً و ما فيه نخلة أعجب إلى ثمرة منها. ثم ذهب و لم يستجب لطلب النبي (ص) و سمع رجل يدعى أبا الدحداح الحديث فقال: يا رسول الله أ تعطينى ما أعطيت الرجل إن أنا أخذتها؟ قال نعم. فذهب الرجل و ساوم صاحب النخلة و اشتراها منه بأربعين نخلة و أشهد على ذلك، ثم جاء، و وهبها للنبي (ص) فذهب رسول الله (ص) إلى صاحب الدار فقال له: لك النخلة و لعيالك، فنزلت هذه السورة المباركة. فالذى أعطى و اتقى هو أبو الدحداح و صدّق بالحسنى أى بأن الله يعطى الواحد عشرة إلى أكثر من ذلك فَسَيُيسِّرُهُ لِلْيُسْرَى أى سهّل أموره للخير و أمّا مَنْ بَخِلَ وَ اسْتَغْنَى أى بخل إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٦٠١ بماله و ضنّ به كما فعل مالك النخلة ثم التمس الغنى و طلبه بمنع العطاء و بالبخل و كَذَّبَ بِالْحُسْنَى أى لم يصدق بحسنى الثواب و بالجنة فَسَيُيسِّرُهُ لِلْعُسْرَى أى سنخلى بينه و بين الأعمال الموجبة للعذاب و ما يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إذا تَرَدَّى أى لا يفيد ماله إذا هلك و مات. ١٢- ٢١- إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى ... أى إن علينا بيان الهدى بالدلالة عليه و أما الاهتداء فإليك. و إِنَّ لَنَا لِلْآخِرَةِ وَالْأُولَى أى أن لنا أمرهما لأننا نملكهما فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى أى فحذرتكم و خوفتكم نارا تستعر و تلتهب و تتوقد. لا يَصِيْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى أى لا يلزمها إلّا الكافر بالله و الكافر أشقى الأشقياء الَّذِي كَذَّبَ وَ تَوَلَّى أى كَذَّبَ بآيات الله و دلائله و انصرف عنها بتكذيب رسله و سَيَجْزِيهَا أى يجنب النار المتلظية الْمَاتَقَى المبالغ فى التقوى الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَفْقَهُ فى مرضاة الله يَتَرَكَّى يطلب أن يكون زكى النفس عند ربّه و ما لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى أى أن الذى أعطى ماله لمستحقّيه و أنفقه فى سبيل الله و لم يبتغ من وراء ذلك جزاء ممّن يعطيهم و لا يريد عوضاً أو منه إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى أى إنما فعل ذلك مبتغياً وجه الله و رغبته فى رضاه و ثوابه و لَسَوْفَ يَرْضَى أى و سوف نعطيهِ حتى نرضيه من الثواب فى الآخرة.

سورة الضحى مكية، عدد آياتها ١١ آية

١- ٥- وَالضُّحَى ... هذا قسم منه سبحانه بالضحى الذى هو وقت ارتفاع الشمس فى الثلث الأول من النهار، يعنى أنه أقسم بقدره من جعل الضحى و أظهره فى كل يوم وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى أى سكن و استقرّ ظلامه و خيم ما وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَ مَا قَلَى يعنى ما فارقك ربك يا محمد و لا قطع عنك الوحي و لا أبغضك و هذا جواب القسم و قصته ذلك أنه احتبس الوحي عن النبي (ص) خمسة عشر يوماً فقال المشركون: إن محمداً قد ودّعه ربّه و قلاه، و لولا ذلك لتتابع الوحي عليه فنزلت هذه الآية الكريمة ... وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى أى أن ثواب الآخرة المعدّ لك خير ممّا فى الدنيا الزائلة و الحياة فيها و لَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى أى سيمنحك من الشفاعة و أنواع الكرامة ما ترضى به. ٦- ١١- أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى ... أى ألم تكن يتيم الأب و الأم فأويتك إلى كف عبد المطلب و سخرته لتربيته و تعهّدك، ثم عند ما مات آويتك إلى ظل أبى طالب فحماك و قدّمك على أولاده و دافع عنك؟ وَ جَدَّكَ ضَالًّا فَهَدَى أى غائب الفكر عمّا أنت فيه الآن من النبوة و الرسالة فهداك. فالضلال هنا عدم العلم بالشىء و انصراف الذهن

عنه. وقيل في معناه: وجدك متحيراً في معاشك فهداك إلى ذلك وَحَدَّكَ عَائِلًا أى فقيراً لا تملك مالا فَأَعْنَى فَأَغْنَاكَ بمال خديجة وبالغنائم وبالقناعة والرضى بما أعطاك فصرت غنى النفس. فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ أى لا تذهب بحقه لضعفه ولا تقهره بماله كما يفعل العرب وسائر الناس باليتامى وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ أى لا ترد السائل إذا أتاك و طلب منك صدقه، حتى ولو كنت فقيراً فخاطبه خطاباً لينا وردّه ردّاً جميلاً. وقيل إن المراد بالسائل هو طالب العلم، ومعناه: علم من يسألك الشرائع ولا تزجره وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ أى اذكر نعم ربك وأفضاله بشكرها. وقيل إن نعمه الله هنا هي القرآن الذى هو من أعظم نعم الله على رسول الله (ص) فأمره بقراءته، وقيل بل هي النبوة والرسالة فبلغ ما أرسلت به وأخبر الناس به.

سورة الشرح مكية، عدد آياتها ٨ آيات

١- ٨- أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ... شرح الصدر هو التوسعة والتعبير عن سعة القلب والسرور والانبساط. وهو يعنى ألم نفتح صدرك ونوسع قلبك يا محمد بالعلم والنبوة حتى قدرت على القيامة بأداء الرسالة؟. وَوَضَعْنَا عَنكَ أَزْجَارَ أى حططنا عنك الثقل الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ أى الذى أثقله حتى سمع له نقيض أى صوت تعب وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ أى وقرنا ذكرك بذكرنا فلا أذكر أنا إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٦٠٢ فى أذان ولا إقامة ولا تشهد ولا خطبة إلا وتذكر أنت. فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا أى إن مع الفقر سعة وغنى أو إن مع الشدة والضيق فرجا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا كثرها سبحانه للتأكيد على ذلك. وقد قال الزجاج: إنه ذكر العسر مع الألف واللام ثم تثنى ذكره فصار المعنى: إن مع العسر يسرين فإذا فرغت فأنصب أى إذا انتهيت من أمر الصلاة المكتوبة فانصب وأتعب نفسك بالدعاء والتضرع إلى الله تعالى وإلى ربك فَارْغَبْ أى أقبل عليه وأطمع فيما عنده من الرحمة.

سورة التين مكية، عدد آياتها ٨ آيات

١- ٨- وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ... إنه كغيره مما سبق، قسم بالتين الذى نأكله أخضر ويابساً، والزيتون الذى نأكله ونعصر منه الزيت وطور سينين أى الجبل -الطور- الذى كلم الله عليه موسى (ع)، وسنين وسيناء واحد. وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ أى مكة المكرمة والبلد الحرام لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ هذا جواب القسم السابق، وربما أراد سبحانه جنس الإنسان الذى هو آدم (ع) وذريته، فقد جعلهم على اعتدال فى الخلقة، فهم منتصبوا القائمة فى حين أن الحيوان مكب على وجهه، كما أنهم فى كمال فى أجسامهم وجوارحهم وأنفسهم، وقد ميزهم عن غيرهم بالعقل والنطق والتميز والاختيار والتدبير. ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ أى أرجعناه إلى أرذل العمر والخوف ونقصان العقل. وقيل: المعنى إننا رددناهم بسبب كفرهم فى الدرك الأسفل من النار. إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أى الذين صدّقوا بوحدانية الله ورسله وقاموا بالطاعات والواجبات فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ أى أجر يستحقونه ولا منه عليهم به، وقيل إنه أجر غير مقطوع. فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالذِّينِ أى أى شىء بعد هذه الحجج يجعلك أيها الإنسان تكذب بالحساب والثواب والجزاء. أفلا- تعتبر بما بين ولادتك وشبابك وهرمك لتستدل على أن الله الذى فعل ذلك بك قادر على بعثك وحسابك و جزائك أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ هذا سؤال يحمل معنى التقرير. يعنى: إن الله تعالى أحكم الحاكمين فى صنعه وفعله وتدبيره وحكمته التى لا خلل فيها.

سورة العلق مكية عدد آياتها ١٩ آية

١- ٥- اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ... الخطاب لمحمد (ص) يأمره فيه ربّه بأن يقرأ باسمه وأن يدعوه به لأن فى تعظيم الاسم تعظيم المسمى الَّذِي خَلَقَ يعنى ابتدع وأوجد جميع المخلوقات على مقتضى حكمته، فأخرجها من العدم إلى الوجود بقدرته الكاملة خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ الإنسان هو الجنس من بنى آدم، يعنى خلقهم من قطعة دم جامدة بعد النطفة اقْرَأْ يا محمد ما نوحى إليك وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ أى

الأعظم كرما من كل كريم لأنه يهب ما لا يقدر عليه غيره، و هو الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ أى عَلَّمَ الكاتب أن يكتب بالقلم ليرسم ما يدور فى فكره على القرطاس مِمَّا يَنْتَفِعُ بِهِ هو أو غيره. عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ فَفَهَّمَهُ وَأَنْوَعَ الْهُدَايَاتِ، وَأَبَانَ لَهُ أُمُورَ الدِّينِ وَالْأَحْكَامِ وَالشَّرَائِعِ مِمَّا لَمْ يَكُنْ عَلَى دَرَايَةٍ بِهَا. ١٩-٦- كَلَّمَ إِنْ الْإِنْسَانَ لِيَطْغَى ... أى: حَقًّا إِنْ الْإِنْسَانَ لِيَتَجَاوَزَ حُدُودَهُ فِي ظَلَمِ نَفْسِهِ وَغَيْرِهِ حِينَ يَسْتَكْبِرُ عَلَى خَالِقِهِ أَنْ رَأَاهُ اسْتِغْنَى أَى لِأَنَّهُ رَأَى نَفْسَهُ غَنِيًّا بِقَوْمِهِ أَوْ بِمَالِهِ أَوْ بِقُوَّتِهِ، فَقَدْ تَعَدَّى طَوْرَهُ وَظَنَّ أَنَّهُ بَغْنَى عَنْ رَبِّهِ إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى أَى إِلَيْهِ مَرْجِعُ جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ بِمَا فِي ذَلِكَ هَذَا الطَّاعِيَةُ الَّذِي غَرَّتْهُ أُمُورُهُ وَأَوْلَادُهُ وَحَيَاتُهُ الدُّنْيَا أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى مَعْنَاهُ: أَلَا تَرَى يَا مُحَمَّدُ هَذَا الْكَافِرَ الَّذِي يَنْهَاكَ عَنْ صَلَاتِكَ وَيَعَادِيكَ مِنْ أَجْلِ دَعْوَتِكَ النَّاسَ إِلَى تَوْحِيدِ رَبِّكَ وَعِبَادَتِهِ؟ فَفَى الْأَخْبَارِ أَنَّ أَبَا جَهْلٍ قَالَ لِلنَّاسِ: هَلْ يَعْرِفُ مُحَمَّدٌ وَجْهَهُ بَيْنَ أَظْهَرِكُمْ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: فَبِالَّذِي يَحْلِفُ بِهِ لَنْ رَأَيْتَهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ لِأَطَانٍ عَلَى رَقَبَتِهِ. فَقِيلَ لَهُ: هَا هُوَ ذَاكَ يَصَلَّى. فَانْطَلَقَ لِيَطَّأَ عَلَى رَقَبَتِهِ فَمَا فُجِّأَهُمْ إِلَّا وَهُوَ يَنْكُصُ عَلَى عَقْبِيهِ وَيَتَّقَى بِيَدَيْهِ؟ ... فَقَالُوا: مَا لَكَ يَا أَبَا الْحَكَمِ؟ ... قَالَ: إِنْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ خَنْدَقًا مِنْ نَارٍ وَهُوَ لَا أُنْجُو ... وَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ: إِرْشَادُ الْأَذْهَانِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ص: ٦٠٣ وَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ دَنَا مِنِّي لَأَخْتَطَفْتَهُ الْمَلَائِكَةُ عَضُوا عَضُوا ... أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى أَى إِذَا كَانَ مُحَمَّدُ الْعَبْدُ الْمَصْلَى عَلَى هُدًى وَنَهَى عَنْ صَلَاتِهِ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى أَى أَمَرَ الْآخِرِينَ بِتَقْوَى اللَّهِ وَخَافَتِهِ وَلَزُومِ طَاعَتِهِ. وَالتَّقْدِيرُ هُنَا: كَيْفَ تَكُونُ حَالُ مَنْ يَمْنَعُهُ عَنْ ذَلِكَ؟ أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ هَذَا الضَّالُّ الْكَافِرُ أَبُو جَهْلٍ وَتَوَلَّى أَنْصَرَفَ وَأَعْرَضَ عَنْ تَصَدِيقِكَ أَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَرَى فَهَلْ غَفَلَ عَنْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَرَاهُ وَيَرَى مَا يَصْنَعُهُ مَعَكَ كَلَّا يَعْنِي: لَا يَعْلَمُ ذَلِكَ وَلَا يَصَدِّقُهُ لِأَنَّهُ كَافِرٌ لَنْ لَمْ يَنْتَهُ إِذَا لَمْ يَمْتَنِعْ أَبُو جَهْلٍ عَنْ تَكْذِيبِكَ وَإِيذَائِكَ لَنْشَفَعًا بِالنَّاصِيَةِ أَى لِنَسْحَبَتِهِ بِشَعْرِ مَقْدَمِ رَأْسِهِ وَلِنَجْرَنِهِ بِهَا إِلَى النَّارِ. نَاصِيَةُ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ وَصَفَهَا سَبْحَانَهُ بِالْكَذِبِ وَالْخَطِيئَةِ لِأَنَّ صَاحِبَهَا كَاذِبٌ فِي مَا يَقُولُهُ فِي مُحَمَّدٍ، وَخَاطِئٌ فِي فِعْلِهِ مَعَهُ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ أَى لِيَصْرُخْ بِعَشِيرَتِهِ وَ أَهْلَ مَجْلِسِهِ لِيَنْصُرُوهُ مِمَّا سَنَدْعُ الزَّبَانِيَّةَ يَعْنِي سَنَتَدِبُ لِعَذَابِهِ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ الْمُوَكَّلِينَ بِالنَّارِ كَلَّا أَى لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا يَشَاءُ أَبُو جَهْلٍ لَا تُطْعُهُ إِذَا نَهَاكَ عَنْ الصَّلَاةِ وَاسْجُدَ لِرَبِّكَ وَاقْتَرَبَ إِلَيْهِ بِالثَّوَابِ الَّذِي أَعَدَّ لَكَ بِطَاعَتِكَ، أَوْ اسْجُدَ لَهُ مُتَقَرِّبًا إِلَيْهِ بِالطَّاعَةِ.

سورة القدر مكية، عدد آياتها ٥ آيات

١-٥- إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ... الْقَدْرُ هُوَ كَوْنُ الشَّيْءِ مَسَاوِيًا لِغَيْرِهِ دُونَ زِيَادَةٍ أَوْ نَقْصَانٍ. وَقَدَّرَ اللَّهُ الْأَمْرَ: جَعَلَهُ عَلَى مَقْدَارٍ مَا تَدْعُو إِلَيْهِ الْحِكْمَةُ. وَهَاءُ فِي أَنْزَلْنَاهُ تَعْنِي الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ وَالْمَعْنَى أَنَّا أَنْزَلْنَا الْقُرْآنَ مِنَ اللُّوحِ الْمَحْفُوظِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ أَى وَمَا عَلِمَكَ يَا مُحَمَّدُ بِخَطَرِ هَذِهِ اللَّيْلَةِ وَحَرَمَتِهَا؟ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ أَى أَنَّ قِيَامَهَا وَالْعِبَادَةَ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقِيَامِ وَالْعِبَادَةِ فِي أَلْفِ شَهْرٍ تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ أَى تَنْزِلُ فِيهَا مِنَ السَّمَاءِ وَالرُّوحُ أَى جِبْرَائِيلُ (ع) فِيهَا فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ، يَنْزِلُونَ إِلَى الْأَرْضِ لِيَسْمَعُوا قِرَاءَةَ الْقُرْآنِ، وَالثَّنَاءَ عَلَى اللَّهِ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَلِيُرُوا الطَّاعَاتِ وَالْعِبَادَاتِ. يَأْذِنُ رَبُّهُمْ أَى بِأَمْرِهِ يَنْزِلُونَ. مِنْ كُلِّ أَمْرٍ أَى بِكُلِّ أَمْرٍ يَأْتِيهِمْ مِنْ عِنْدِنَا فِيهِ خَيْرٌ لَهُمْ وَبِرَكَّةٍ وَرِزْقٍ مِنْ هَذَا الْعَامِ إِلَى الْعَامِ الْمُقْبِلِ. سَلَامٌ هِيَ أَى سَلَامَةٌ مِنَ الشَّرِّ وَالْبَلَاءِ وَمِنْ هَمْزَاتِ الشَّيَاطِينِ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ تَبْقَى كَذَلِكَ لَيْلَةُ مَبَارَكَةٍ إِلَى وَقْتِ طُلُوعِ الْفَجْرِ مِنْ صَبِيحَتِهَا.

سورة البينة مدنية، عدد آياتها ٨ آيات

١-٥- لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ ... الْمَعْنَى أَنَّ الْكَافِرِينَ بِنُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ (ص) مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَهُمْ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى وَالْكَافِرِينَ مِنْ مُشْرِكِي الْعَرَبِ عِبَادَةُ الْأَوْثَانِ أَيْضًا لَيْسُوا مُنْفَكِّينَ مُنْتَهِينَ عَنْ كُفْرِهِمْ وَلَا تَارِكِينَ لَهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ حَتَّى يَجِيَهُمُ الْبَيَانُ الْوَاضِحُ الَّذِي هُوَ مُحَمَّدٌ (ص) رَسُولُ اللَّهِ وَالْعِبَارَةُ بَيَانُ الْبَيِّنَةِ وَتَفْسِيرُ أَى أَنَّ الْبَيِّنَةَ كَانَتْ الرُّسُولُ مِنَ اللَّهِ الَّذِي يَتْلُو يَقْرَأُ عَلَيْهِمْ صُحُفًا مُطَهَّرَةً أَى مُطَهَّرَةً فِي السَّمَاءِ لَا يَمْسُهَا إِلَّا الْمَلَائِكَةُ الْمُطَهَّرُونَ. وَهَذِهِ الصِّحْفُ فِيهَا كُتِبَ قِيَمَةُ ذَاتِ قِيَمَةٍ، مُسْتَقِيمَةٌ عَادِلَةٌ لَيْسَ فِيهَا عَوَجٌ، لِأَنَّهَا تَظْهَرُ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ، وَهِيَ تَعْنِي الْقُرْآنَ الَّذِي لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ. وَمَا تَفَرَّقَ

الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مَنْ بَعْدَ مَا جَاءَتْهُمْ النَّبِيُّ أَى و لم يختلف هؤلاء اليهود و النصارى فى محمد (ص) إِلَّا بعد مجىء البشارة به فى كتبهم و على السنة رسلهم فصارت الحجة قائمة عليهم. و قيل معناها: أَنَّ أهل الكتاب ظلّوا مجتمعين على تصديق البشارة بمحمد (ص) حتى بعثه الله تعالى، و عندئذ تفرّقوا و اختلفوا فى أمره و ما أُمروا إِلَّا لِيُعْيِدُوا اللَّهَ أَى لم يأمرهم ربهم و لا- أمرهم رسلهم إِلَّا بتوحيد الله و عبادته مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لا يشاركون فى عبادته أحدا غيره حُفَاءً مائِلِينَ عن جميع العقائد إلى عقيدة الإسلام و يُقِيمُوا الصَّلَاةَ و يُؤْتُوا الزَّكَاةَ فَيَدَومُونَ على إقامة الصلاة و يدفعون زكاة أموالهم لمستحقّيها وَ ذَلِكَ الدِّينَ الذى تقدّم ذكره دِينُ الْقِيَمَةِ أَى دِين الكتب القِيَمَةِ الرّفِيعَةِ القدر التى مرّ ذكرها. ٦- ٨- إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَ الْمُشْرِكِينَ ... أَى: إن من جحد توحيد الله و أنكر نبوة محمد (ص) إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٦٠٤ و من أشرك مع الله إلها آخر فى العبادة، أولئك جميعا فى نار جَهَنَّمَ فهى مقرهم فى الآخرة خَالِدِينَ فيها لا ينتهى عقابهم و لا يخفف عنهم أولئك هُم شُرُّ الْبَرِيَّةِ فهم أسوأ الخليقة و شرّها. إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا صَدَّقُوا رَسُولَنَا و عملوا بأمره و عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ و قاموا بالطاعات أولئك هُم خَيْرُ الْبَرِيَّةِ أَى أحسن الخليقة و خيرها. جَزَاؤُهُمْ ثَوَابُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ يوم القيامة جَنَّتْ عَذْنٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا مَرَّ تَفْسِير مثله رَضِيََ اللَّهُ عَنْهُمْ فارتضى عملهم و رَضُوا عَنْهُ بما أعطاهم من ثواب. ذَلِكَ الرضا و الثواب يكون لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ أَى لمن خاف منه فعمل بأوامره و امتنع عن نواهيه.

سورة الزلزلة مدنية، عدد آياتها ٨ آيات

١- ٨- إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ... الزَّلْزَلَةُ ارتجاف الأرض و اهتزازها، أَى: ما حالكم مع أهوال يوم القيامة إذا ارتجفت الأرض ارتجافا عظيما لقيام الساعة و أَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا أَى لفظت الموتى من بطنها أحياء للحساب و العقاب و الثواب. وَ قَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا؟ أَى أن المرء يقول متعجبا من ذلك: ما للأرض تتزلزل و يحدث فيها ما لم يحدث قبل هذا؟ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا أَى تخبر بما جرى على ظهرها. بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا يعنى أنها تحدّث بالأخبار قائلة إن رَبَّكَ يا محمد ألهمها التحدّث بالأخبار. يَوْمَئِذٍ أَى يوم القيامة و زلزال الأرض يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا يرجعون من موقف الحساب بعد العرض على ربهم متفرقين، فأهل الإيمان و حدهم، و أهل الكفر و حدهم، و كل أمة و حدها. لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ يعنى ليروا ثواب أعمالهم أو عقابها فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ أَى أن من يعمل خيرا يجد خير جزاء و مَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ يعنى يجد عقاب ما عمله من السيئات و القبائح.

سورة العاديات مكية، عدد آياتها ١١ آية

١- ١١- وَ الْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ... العاديات هى الخيل التى تركض فى الغزو للجهاد فى سبيل الله، أقسم بها سبحانه و هى تضبح ضبحا أَى تصوت من أجوافها أثناء الركض من غير أن تصهل أو تحمحم فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا هى الخيل التى تورى النار بحوافرها إذا سارت فى الأرض المحصبة. فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا أَى الخيل التى تغير على العدو بفرسانها وقت الصبح. فَأَنْزَلَ بِهِ نَفْعًا أَى هيّجن الغبار فانعقد وراءها كالغيوم فَوَسَّطْنَ بِهِ جَمْعًا أَى توسّطن جميع العدو بعدوهنَّ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ هذا جواب القسم، أَى: و حق ما ذكرنا إن الإنسان لكافر جاحد بربه و إِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ أَى أن الله سبحانه يشهد و يرى كفر ذلك الإنسان. و قيل: إن الضمير يعود إلى الإنسان أَى تشهد جوارحه على كفره و جحوده يوم القيامة. وَ إِنَّهُ أَى الإنسان لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ يعنى أنه شديد الحب للمال أ فلا- يَعْلَمُ أ فلا يعرف هذا الإنسان إذا بُعِثَ ما فى الْقُبُورِ أَى إذا بعث الموتى و أخرجوا من القبور و نشروا للحساب. اد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٦٠٥ وَ حُصِّلَ مَا فى الصُّدُورِ أَى أظهر ما أخفته الصدور ليجازى من يكتف كفرا بكفره كما يجازى الكافر المعلن لكفره إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ أَى أنه تعالى خبير بحالهم فى ذلك اليوم و إن كان خبيرا بهم فى كل حال.

سورة القارعة مكية، عدد آياتها ١١ آية

١- ١١- الْقَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ... القارعة: البلية وهى هنا اسم من أسماء يوم القيامة لأنها تفرع القلوب بالخوف و تفرع أعداء الله بالعذاب. وقوله: مَا الْقَارِعَةُ تعظيم لشأن القارعة و تهويل له. و ما أدراك: أى أنك يا محمد لا تعلم حقيقة القارعة، و لا تعرف وصفها بدقّة، و هذا كله تخويف منها. يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ أى ذلك يكون حين ترى الناس متحيرين متفرقين كأنهم الفراش المتفرق ها هنا و ها هنا وَ تَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ أى تصير الجبال كأنها الصوف المندوف فَاَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فى ذلك اليوم، أى رجحت حسناته على سيئاته فَهُوَ فى عَيْشَةٍ رَاضِيَةٍ أى أنه يصير إلى معيشة ذات رضا يرضاها صاحبها. و أَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ بَأَن قَلَّتْ حسناته و كثرت سيئاته فرجحت فَأَمُّهُ هَاوِيَةٌ أى فمأواه النار يسكن فيها، و قد سَمَّاهَا فَأَمُّهُ لأنه يأوى إليها كما يأوى الإنسان إلى حضن أمه. و ما أدراك ما هِيَةَ هذا تهويل لأمر جهنم يراد به أنك لا تعلم تفصيل حال جهنم و ما فيها من ألوان العذاب نارٌ حَامِيَةٌ أى نار حارّة شديدة الحرارة.

سورة التكاثر مكية، عدد آياتها ٨ آيات

١- ٨- أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ... أى شغلکم تفاخرکم و تکاثرکم بالأموال و الأولاد عن العمل للآخرة حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ يعنى إلى أن مِتُّم قبل أن تتوبوا و أنتم مثابرون على ذلك. و قيل بل حتى زرتم المقابر و عددتهم الأموات تتكاثرون بهم قبيلة مع قبيلة و عشيرة مع عشيرة. كَلَّا أى ليس الأمر كما أنتم عليه من التكاثر بالمال و الولد سَوْفَ تَعْلَمُونَ، ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ قالها مكررة لتكون وعيدا بعد وعيد، أى أنكم سترون عاقبة تفاخرکم هذا بالتأكيد، إذا نزل الموت بساحتكم كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ أى: لا، و ليتكم تعلمون هذا الأمر علما يقينيا، و إذن لشغلکم علمکم به عن التباهى بالمال و الرجال لَتَرَوُنَّ هذا كأنه قسم، و هو يعنى أن الْجَحِيمَ تبدو يوم القيامة للكفرة قبل دخولها ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا بعد الدخول إليها عَيْنَ الْيَقِينِ أى بالمشاهدة المؤكدة ثُمَّ لَتَشِئَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ يعنى ستسألون- يا كفّار مكة- عن شكر ما كنتم فيه من النعيم الذى هو من الله ثم عبدتم غيره و أشركتم به. و قيل النعيم المسؤول عنه هو ولاية أهل البيت (ع). إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٦٠٦

سورة العصر مكية، عدد آياتها ٣ آيات

١- ٣- وَالْعَصْرِ... العصر هنا العشى أى الطرف الأخير من النهار. و قد أقسم سبحانه به لأنه يدل على إدبار النهار و إقبال الليل، و ذلك دليل على وحدانيته موجدتهما و مقدّرهما إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ فهذا جواب القسم الذى تقدّم. و معناه أن كلّ إنسان فى خسر، أى فى نقصان من عمره يوما بعد يوم و هو رأس ماله فإذا لم يقضه فى الطاعة يكون قد خسر رأسماله ذاك إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فإنه سبحانه استثناهم من جملة الناس لأنهم مصدّقون به و برسله و كتبه و ملائكته، عاملون بطاعته و منتهون عن معاصيه، فليسوا فى خسر كغيرهم وَ تَوَاصَوْا بِالْحَقِّ يعنى وصّى بعضهم بعضا باتباع الحق وَ تَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ أى بتحمّل الصّعب و المشاق فى الطاعات، و بالصبر على ترك المعاصى و المحرّمات.

سورة الهمزة مكية، عدد آياتها ٩ آيات

١- ٩- وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ... الهمزة هو كثير الطعن على غيره بدون حقّ، و اللّمة: العائب للآخرين أيضا، فالويل للطاعن فى الناس بغير حقّ، العائب لهم، المفرق بينهم بالتميمة الذى جَمَعَ مَالًا وَ عِدَّدَهُ أى كدّس المال عنده و أحصاه مرارا، و يقال: معناه أعدّه لآفات الزمان و ادّخره من غير الحلال و منع الحق الذى فيه عن المستحقين من الفقراء و المساكين. و قيل إن هذه الآيات نزلت فى الوليد بن المغيرة الذى كان كثير الغيبة و الأذى لرسول الله (ص) و قيل غيره. يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ يظنّ أن ما جمعه من ماله يجعله من الخالدين فى الدنيا و يحول بينه و بين الموت كَلَّا أى لا يكون ذلك لِيُنَبِّذَ فى الْحُطَمَةِ يعنى ليطرحن و يقدفن فى جهنم، التى تحطم

العظام و تأكل اللحوم. و مَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ؟ أى و ما علمك يا محمد، و يا أيها الإنسان ما شأن تلك الحطمة؟ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ أى المشعلة المؤججة بالوقود الهائجة اللهب الَّتِي تَطْلُعُ عَلَى الْأَفْتِدَةِ أى تعرف ما فى القلوب، و تشرف عليها فيبلغها ألمها الشديد إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّؤَصَّدَةٌ أى مطبقة مقللة أبوابها على الكافرين ليأسوا من الخروج منها. فِى عَمِيدٍ مُّمِدَّدَةٍ يعنى أطبقت عليهم و شدت أبوابها بأوتاد و بأعمدة من نار ممتدة على مداخلها لإحكام إقفالها بحيث لا يدخل إليها روح و لا راحة من حرّها و ألمها.

سورة الفيل مكية، عدد آياتها ٥ آيات

١- أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ... هذا خطاب منه سبحانه لرسوله محمد (ص) يلفت نظره فيه إلى الآية السماوية العجيبة التى أمر بحلولها بأصحاب الفيل الذين قدموا من اليمن بقيادة ملكها أبرهه بن الصباح الأشرم المكنى بأبى يكسوم الذى بنى (كعبة) باليمن و جعل فيها قبابا من ذهب و أمر أهل مملكته بالحج إليها و أراد بذلك مضاهاة بيت الله الحرام، و أراد أن يدعو سائر العرب للحج إليها و أن يهجروا الكعبة المشرفة. ثم حلف أن يهدم بيت الله فى مكة حتى لا يحج إليه حاج أبدا. ثم دعا قومه و ركب فيلا و سار بهم نحو بيت الله فسمى ذلك العام بعام الفيل و فيه ولد رسول الله (ص). أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ يعنى ألم يجعل ربك يا محمد مكرهم و كيدهم فى تخريب البيت و قتل أهله و أَرْسَلَ بَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَلَى أَصْحَابِ الْفِيلِ طَيْرًا أَبَابِيلَ أى رفوفا و أسرابا يتبع بعضها بعضا، قيل إنها كانت لها خراطيم كخراطيم الطير و أكف كأكف الكلاب تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ يعنى تقذفهم بها- و قد فسرنا السجيل فى سورة هود فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّا كُوِلَ أى تركتهم كالزرع اليابس و تبته الذى أكلته الدواب وراثته ثم ديس و تفرق. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٦٠٧

سورة قريش مكية، عدد آياتها ٤ آيات

١-٤- لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ، إِبْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ... الإيلاف عكس الإيحاء، كالإيناس و سكون النفس إلى من تألفه. و كلمة لِإِيلَافِ جَارٍ و مجرور متعلقان بالآية: فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّا كُوِلَ، التى فى سورة الفيل السابقة. فقد فعل الله تعالى ذلك بأصحاب الفيل من أجل لَمْ شمل قريش و التأليف بينهم، و هذه نعمة منّا عليهم تضاف إلى نعمتنا التى تشملهم فى رحلة الشتاء إلى اليمن و رحلة الصيف إلى الشام. لِيُعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ أمر منه سبحانه بأن تكون عبادتهم موجهة لرب الكعبة المقدسة التى حماها الله لهم بآية من آياته العجيبة على مرأى منهم و مسمع الذى أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَ آمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ أطعمهم بما فتح عليهم من الأرزاق فى رحلاتهم، و آمنهم بأن لم يتعرض لهم أحد فى أسفارهم إذا قالوا له: نحن أهل حرم الله.

سورة الماعون مكية، عدد آياتها ٧ آيات

١-٧- أَرَأَيْتَ الَّذِى يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ ... يعنى هل نظرت فعلمت يا محمد هذا الكافر المنكر للتوحيد و النبوة و البعث و الجزاء فعن السدى أنها نزلت فى الوليد بن المغيرة، و عن الكلبي أنها نزلت فى العاص بن وائل السهمي، بل قيل إنها نزلت فى أبى سفيان بن حرب الذى كان ينحر جزورين فى كل أسبوع فأتاه يتيما فسأله أن يعطيه شيئا فضربه بعصاه و طرده، و لذلك قال سبحانه: فَذَلِكِ الَّذِى يَبْدُعُ الْيَتِيمَ أى يدفعه بعنف و جفوة، و إهانته. و لا- يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمُسَكِينِ و لا يطعمه و لا يأمر بذلك غيره و لا يحثه عليه فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ أى الويل لمن يؤخرون الصلاة عن وقتها، أو هم الذين أبطنوا التفاف و كانوا لا يرون ثوبا للصلاة و لا يخافون العقاب على تركها، و هم يتغافلون عنها حتى يذهب وقتها لعدم اهتمامهم بها، فإذا كانوا مع المؤمنين صلّوها فى وقتها رياء، و إذا كانوا وحدهم أهملوها و لم يعتنوا بها الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُنَ يفعلونها رياء أمام الناس وَ يَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ الماعون لغة هو كل ما فيه منفعة، و قد روى عن أبى عبد الله (ع) أنه القرض تقرضه، و المعروف تصنعه، و متاع البيت تعيره، و منه الزكاة.

سورة الكوثر مكية، عدد آياتها ٣ آيات

١-٣- إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ... الكوثر من الكثرة و هو يعنى الخير الكثير، و الشئ الكثير. و هذا خطاب منه سبحانه لنبى محمد (ص) أورد فى مجال تعداد النعم التى أنعم سبحانه بها عليه. و قد قيل فى الكوثر أنه نهر فى الجنة أعطاه الله تعالى لرسوله (ص) و هو أشدّ بياضا من اللبن حافته قباب الدرّ و الياقوت. فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَ انْحَرْ أى اشكر ربك على نعمه الجزيلة و صلّ صلاة العيد لأنه عقبها بنحر الأضحية و الهدى. و قيل: يعنى صلّ صلاة الغداة المفروضة بجمع، و انحر البدن بمنى. إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ أى: إن مبغضك يا رسول الله هو المنقطع عن الخير، أو منقطع النسل. و قيل إن الآية الكريمة نزلت فى العاص بن وائل السهمى الذى التقى برسول الله (ص) يخرج من المسجد عند باب بنى سهم فحدثه قليلا على مرأى من جبابرة قريش الذين كانوا يجلسون فى المسجد، فلما دخل العاص عليهم سألوه عَمَّنْ كَانَ يَتَحَدَّثُ مَعَهُ، فقال: ذلك الأبر- أى الذى لا عقب له و لا ولد-. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٦٠٨

سورة الكافرون مكية، عدد آياتها ٦ آيات

١-٦- قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ... قُلْ يَا مُحَمَّد: يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ المنكرون لله و لرسوله لا أعْبُدُ ما تَعْبُدُونَ أى و لا أعبد أصنامكم التى تعبدونها. وَ لَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ وَ هو الله عزّ و جل الآن و فى هذه الحال أيضا. وَ لَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ فيما بعد اليوم و إلى الأبد وَ لَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ فى المستقبل و فيما بعد اليوم. و قد أعلمه الله سبحانه أنهم لا يؤمنون به لشدة عنادهم. لَكُمْ دِينُكُمْ وَ لِي دِينِ أى لكم كفركم الذى قنعتكم به و سيوردكم موارد الهلاك، ولى دين التوحيد و الإخلاص الذى به النجاة و الفوز.

سورة النصر مدنية، عدد آياتها ٣ آيات

١-٣- إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ ... أى إذا جاءك يا محمد نصر الله على من قاومك و عادى رسالتك، و هم القرشيون و أشباههم. وَ الْفَتْحُ أى فتح مكة الذى نعدك به قبل وقوعه. وَ رَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا أى رأيتهم يسلمون و يسلمون لك جماعه بعد جماعه و فرقه بعد فرقه فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَ اسْتَغْفِرْهُ أى نزهه عما لا يليق به من الصفات القبيحة، و اطلب رحمته و مغفرته حين يوليئك هذه النعمة العظيمة مع ما له من نعم جسميه عليك، و احمده و اشكره على ذلك إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا أى: إنه كان منذ كان، يقبل التوبة و لو أذنب الإنسان و تاب، ثم عاد للذنوب و عاد للتوبة، فإنه تعالى كثير القبول لتوبة التائبين متجاوزين عن المذنبين.

سورة المسد مكية، عدد آياتها ٥ آيات

١-٥- تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَ تَبَّ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَ مَا كَسَبَ ... تَبَّتْ: من التَّبَاب أو التَّب و هو الخسران المؤدى للهلاك. فالمعنى: خسرت يدا أبى لهب، أى: خسر هو نفسه. و قد عبّر باليدين لأنهما يكون العمل بهما. و قد خسر خسارانا أكيدا و لا ينال خيرا لأن مصيره إلى النار بتكذيبه للنبي (ص) و ما نفعه و لا دفع عنه عذاب الله ماله و ما كسبه من حطام الدنيا. سَيَصِلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ أى سيدخل نارا ذات اشتعال و اتقاد شديد، و هى نار جهنم. وَ امْرَأَتُهُ التى هى أم جميل بنت حرب، أخت أبى سفيان رأس الشقاق و التَّفَاق، فلا غرو أن تكون مثله، و قد ذمها سبحانه بأن وصف كونها حَمَالَةً الْحَطَبِ بسبب أنها كانت تحمل الشوك فتطرحه فى طريق رسول الله (ص) إذا خرج إلى الصلاة ليعقر رجله الشريفتين إلى جانب أنها كانت تمشى بين الناس بالنميمة و توقع بينهم الفتن و تبّت الضغائن و تحطب بذلك السيئات. فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ أى يكون فى عنقها حبل كحبل الليف و لكنه من سلاسل النار إذلالا لها و خزيا لصنيعها فى دار الدنيا. و قد سميت هذه السلسلة مسدا لأنها تكون ممسودة فى عنقها، أى مفتولة فتلا جيدا. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٦٠٩

سورة الإخلاص مكية، عدد آياتها ٤ آيات

١- ٤- قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ... أى: قل يا محمد لجميع المكلفين: هو الله الذى تحقق له العبادة و أَحَدٌ أصله: وحد، وقد قلبت الواو همزة. أما معنى الأحد فهو يختلف عن الواحد الذى يدخل فى الحساب و يضم إليه ثان و ثالث إلخ ... فإن الأحد متفرد عن الشبه و المثل لا يدخل فى الحساب و لا يكون مجموعا لثان مثله. فكونه سبحانه أحدا يجعله متصفا بصفة لا يشاركه فيها أحد يجيز تعداد أحديته و إضافتها إلى غيره ممن يمكن أن يكون مثله. الله الصَّمَدُ أى أنه السيد المعظم الذى يصمد إليه فى الحوائج، أى أنه المقصود. لَمْ يَلِدْ أى لم يخرج منه ولد و لَمْ يُولَدْ أى لم يتولد- هو نفسه تعالى- من شىء آخر و لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ أى ليس كمثله شىء يكون عديلا له و نظيرا فيشاكله و يكون ندا له.

سورة الفلق مكية، عدد آياتها ٥ آيات

١- ٥- قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ... هذا خطاب من الله سبحانه لنبيه (ص) يأمره فيه بأن يستعذ برب الفلق الذى هو الفرق الواسع لغه، فاستعذ يا محمد و اعتصم، و ليستعذ كل واحد من أمته و ليعتصم، بربّ الصبح الذى ينبج ضياؤه فيبدد الظلمة بقدره خالقه و مطلعته مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ أى استعذ من شر الإنس و الجن و سائر الحيوانات التى قد تؤذى. و مِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ يَعْنِي و استعذ من شرّ الليل الهاجم بما تستر ظلمته من كائنات ضارّة موعده خروج السباع و الهوامّ. و قد عبّر سبحانه عنه بالغاسق لهجومه شيئا فشيئا و الوقب: الدخول. و مِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ أى من شر الساحرات اللواتى يقرأن و ينفثن فى عقد الخيط الذى يرقينه ليتمّ السحر. و مِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ و الحاسد هو الذى يتمنى زوال النعمة عن صاحبها و إن لم يردّها لنفسه، فالحسد يؤدى إلى إيقاع الشر بالمحسود، فأمر سبحانه بالتعوذ من شرّ الحاسد، و قيل من شرّ نفس الحاسد، و من شرّ عينه فإنه ربّما أصاب بهما فأضر.

سورة الناس مكية، عدد آياتها ٤ آيات

١- ٤- قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ... أى استعذ يا محمد بخالق الناس و منشئهم و مدبرهم مَلِكِ النَّاسِ يعنى سيدهم و القادر عليهم إلهِ النَّاسِ الذى تحقق العبادة له دون غيره. مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ فمعناه من شرّ الوسوسة الواقعة من الجن، أو هو: من شرّ ذى الوسواس الذى هو الشيطان الذى وصفه سبحانه بقوله: الَّذِي يُوسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ أى ينفث فى قلوبهم كلاما خفيا يصل مفهومه إليها من غير أن يكون قول و من غير أن يكون سماع. ثم ذكر أن الشيطان الموسوس قد يكون مِنَ الْجِنَّةِ الذى هم الشياطين و قد يكون مِنَ النَّاسِ فاستعذ من شرّ الإنس و الجن.